أقوال معاصرة

■ زوجي كان ضحية سياسته الليبرالية !

فرح ديبا امبراطورة ايران

■ اقدام الدول الغربية على تقوية القدرات العسكرية للصين يسجل قيام بؤرة بالغة الخطورة لنشوب حرب عالمية ·

بوريس بوناماريوف ـ عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي

شاه ايران

■ يجب أن يستمر الدولار في أداء دوره الهام في السوق الدولية، اذا رغب العالم في مزيد من النمو والتقدم ·

مايكل بلومنتال ـ وزير الخزانة الامريكي

■ الرمز الحقيقي للسلام هو القدس ، وعودتها عربية هي المعيار الوحيد لصدق الداعين الى السلام في المنطقة ·

الملك حسين ملك الاردن

■ سيادة الرئيس كارتر : لماذا يدفع ممول الضرائب الامريكي لاسرائيل ثمن احتلالها لسيناء ، ثم يعود ليدفع مرة أخرى ثمن انسحابها من سيناء ؟ !

رسالة من مواطن امريكي

الملك حسين

■ انا لا أطلب الرحمة لكنني فقط أطلب العدل ·

ذو الفقار علي بوتو ـ رئيس وزراء باكستان السابق

■ التحالف بين الصين واليابان سوف يخلق أعظم قوة اقتصادية في عالم الغد · ارقبوا هذا العملاق الجديد !

دافيد اوين ـ وزير خارجية بريطانيا

كارتر

■ ماتت حمامة السلام خنقا ·· والذى خنقها لم يكن بيجين رئيس وزراء اسرائيل وانما هم أعضاء لجنة جائزة نوبل !!

« مجلة دير شبيجل الالمانية »

■ بعد تخلى أمريكا عن فرموزا وشيانج كاى تشيك ، بات اليوم الذى تتحلل فيه كل الاحلاف العسكرية قريبا ·· أقرب ما نظن !

« الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر »

بوتو

■ اسرائيل تملك امريكا ·· تملك صحفها ·· وتملك بنوكها ·· ومعظم مؤسساتها الكبرى ·

« الجنرال جورج براون قبل وفاته »

■ مهمتي في معظم الاغنيات التي قدمتها ، بل في جميعها ، هي تلقيح الحزن العام بالفرح الذى يمكن أن يمنحه صوتي ·

« المطربة فيروز »

■ لن تصبح فرنسا أبدا امرأة أوروبا العانس !

الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان

ديستان

قرآنيات ـ ٢

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

■ كان واحدا من الحنفاء ، ولكن قريشا لم تسائله كما سائلت من سبقوه ، ومن عاصروه من الحنفاء ·

كان واحدا من الحنفاء بنص القرآن الكريم ، الذى يحدثنا عنه على أنه كان ضالا فهداه الله ، وان الله حين هداه لم يهده الى اليهودية او النصرانية الوافدتين الى شبه الجزيرة العربية من خارج ، وانما هداه الى ديانة سماوية اخرى لها جذورها التاريخية في شبه الجزيرة العربية وهى الحنيفية السمحاء ـ ملة ابراهيم عليه السلام

فيقول الله تعالى عن الهداية من بعد الضلال : « ووجدك ضالا فهدى » ·

ويقول الله في هدايته الى الحنيفية السمحاء: «قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا » ويقول في استبعاد الهداية الى اليهودية او النصرانية: ـ «وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل : بل ملة ابراهيم حنيفا » ·

ويقول في قضية الجذور التاريخية : «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم · ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا ، انك انت التواب الرحيم · ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » ·

ولم تسائله قريش كما سائلت غيره من الحنفاء لم تسائله لانه سلك سبيلا اخرى غير تلك التي كان يسلكها من سبقوه، ومن عاصروه ، من الحنفاء·

لقد كان الحنيف منهم يقف من العودة الى ملة ابراهيم عند حد معين· كان يقف عند عبادة الله وحده من غير ان يتبع ذلك بدعوة دينية تقوم على اساس من دعوة الناس الى نبذ الوثنية والاتجاه كل الاتجاه الى الله وحده ـ الامر الذى كان يعض ما يدعو اليه هو·

لقد كان الحنيف منهم يتخذ له شعارا هو ذلك المعنى الذى جاءت به الاية القرآنية الكريمة :ـ (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ، لايضركم من ضل اذا اهتديتم) ·

اما هو فقد كان يهمه اولا وقبل كل شيء هؤلاء الضالون ، فهو لم يبعث الا من اجل هدايتهم وانقاذهم مما هم فيه من ضلال·

لقد كان يعي تماما ان من مسئولياته التي بعثه الله من اجلها الى الناس نبيا ورسولا ، ان يعلم الناس الكتاب والحكمة ، وان يخرج الناس من الظلمات الى النور، وان يهدى الناس الى الحق والى الطريق المستقيم ـ طريق الذين انعم الله عليكم ، ولا الضالين ·

وبعبارة اخرى عصرية ، كان عليه ان يقود الناس في عملية تغيرات جذرية تتناول الاراء

أقوال معاصرة

شاه ايران

■ زوجى كان ضحية سياسته الليبرالية !

فرح ديبا امبراطورة ايران

■ اقدام الدول الغربية على تقوية القدرات العسكرية للصين يسجل قيام بؤرة بالغة الخطورة لنشوب حرب عالمية ٠

بوريس بوناماريوف ـ عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى

■ يجب أن يستمر الدولار فى أداء دوره الهام فى السوق الدولية، اذا رغب العالم فى مزيد من النمو والتقدم ٠

مايكل بلومنتال ـ وزير الخزانة الامريكى

الملك حسين

■ الرمز الحقيقى للسلام هو القدس ، وعودتها عربية هى المعيار الوحيد لصدق الداعين الى السلام فى المنطقة ٠

الملك حسين ملك الاردن

■ سيادة الرئيس كارتر : لماذا يدفع ممول الضرائب الامريكى لاسرائيل ثمن احتلالها لسيناء ، ثم يعود ليدفع مرة أخرى ثمن انسحابها من سيناء ؟ !

رسالة من مواطن امريكى

■ أنا لا أطلب الرحمة لكنني فقط أطلب العدل ٠

ذو الفقار على بوتو ـ رئيس وزراء باكستان السابق

كارتر

■ التحالف بين الصين واليابان سوف يخلق أعظم قوة اقتصادية فى عالم الغد ٠ ارقبوا هذا العملاق الجديد !

دافيد اوين ـ وزير خارجية بريطانيا

■ ماتت حمامة السلام خنقا ٠٠ والذى خنقها لم يكن بيجين رئيس وزراء اسرائيل وانما هم أعضاء لجنة جائزة نوبل !!

« مجلة دير شبيجل الالمانية »

بوتو

■ بعد تخلى أمريكا عن فرموزا وشيانج كاى تشيك ، بات اليوم الذى تتحلل فيه كل الاحلاف العسكرية قريبا ٠٠ أقرب ما نظن !

« الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر »

■ اسرائيل تملك أمريكا ٠٠ تملك صحفها ٠٠ وتملك بنوكها ٠٠ ومعظم مؤسساتها الكبرى ٠

« الجنرال جورج براون قبل وفاته »

ديستان

■ مهمتى فى معظم الاغنيات التى قدمتها ، بل فى جميعها ، هى تلقيح الحزن العام بالفرح الذى يمكن أن يمنحه صوتى ٠

« المطربة فيروز »

■ لن تصبح فرنسا أبدا امرأة أوروبا العانس !

الرئيس الفرنسى جيكسار ديستان

قرآنيات - ٢

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

■ كان واحدا من الحنفاء ، ولكن قريشا لم تسأله كما سألت من سبقوه ، ومن عاصروه من الحنفاء •

كان واحدا من الحنفاء بنص القرآن الكريم ، الذى يحدثنا عنه على أنه كان ضالا فهداه الله ، وان الله حين هداه لم يهده الى اليهودية أو النصرانية الوافدتين الى شبه الجزيرة العربية من خارج ، وانما هداه الى ديانة سماوية اخرى لها جذورها التاريخية فى شبه الجزيرة العربية وهى الحنيفية السمحاء ـ ملة ابراهيم عليه السلام فيقول الله تعالى عن الهداية من بعد الضلال : « ووجدك ضالا فهدى » •

ويقول الله فى هدايته الى الحنيفية السمحاء: «قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا » ويقول فى استبعاد الهداية الى اليهودية او النصرانية: ـ «وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل : بل ملة ابراهيم حنيفا » •

ويقول فى قضية الجذور التاريخية : «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا ، انك انت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » •

ولم تسأله قريش كما سألت غيره من الحنفاء لم تسأله لانه سلك سبيلا اخرى غير تلك التى كان يسلكها من سبقوه،ومن عاصروه ، من الحنفاء•

لقد كان الحنيف منهم يقف من العودة الى ملة ابراهيم عند حد معين• كان يقف عند عبادة الله وحده من غير ان يتبع ذلك بدعوة دينية تقوم على اساس من دعوة الناس الى نبذ الوثنية والاتجاه كل الاتجاه الى الله وحده ـ الامر الذى كان بعض ما يدعو اليه هو•

لقد كان الحنيف منهم يتخذ له شعارا هو ذلك المعنى الذى جاءت به الاية القرآنية الكريمة :ـ (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ، لايضركم من ضل اذا اهتديتم) •

اما هو فقد كان يهمه اولا وقبل كل شىء هؤلاء الضالون ، فهو لم يبعث الا من اجل هدايتهم وانقاذهم مما هم فيه من ضلال•

لقد كان يعى تماما ان من مسئولياته التى بعثه الله من اجلها الى الناس نبيا ورسولا ،ان يعلم الناس الكتاب والحكمة ،وان يخرج الناس من الظلمات الى النور، وان يهدى الناس الى الحق والى الطريق المستقيم ـ طريق الذين انعم الله عليكم ، ولا الضالين •

وبعبارة اخرى عصرية ، كان عليه ان يقود الناس فى عملية تغيرات جذرية تتناول الآراء

والمعتقدات ، وتتنـــاول كل مـا بنى على هــذه الآراء والمعتقدات من تقاليد وعادات ، ومن قيـم اخلاقيـة واجتماعية يمارس النـاس الحيـاة على اساس منها •

ولم يكن من شان قريش ان تتقاه له في مثـل هذه التغيرات ، ولا ان تسلم له في سهولة ويسر بان يحدث مثل هذه التغيرات» في مواريثها الثقافية والدينية • ولذا قام الصراع فيما بينهم وبينه — الصراع الفكرى اولا ، ثم الصراع الجسدى ثانيا ، الصراع الذى انتهى بالهجرة ، وانتهى باتخـاذ يثرب بدلا من مكة مستقرا له ومنطلقا لدعوته •

المشكلة الأولى والكبرى

كانت مشكلته الاولى ، ومشكلته الكبرى التى ترتبت عليها جميع المشكلات ، هى دعواه بان الله قد بعثه اليهم نبيا رسولا •

كانوا يقولون له فيما حكى القرآن عنهم :لست مرسلا • وليس من شك انهم لو صدقوا انه حقـا رسول الله اليهم لآمنوا به وبكل ما جاء به من عند الله ، ولحدثت التغيرات الجذرية المرجوة فيسهولة ويسر

لقد انكروا انه رسولالله اليهم ، وكانانكارهم قائمـا على معتقدات دينيـة وقيـم اجتماعية هى عدتهم فى الصراع الفكرىالدائر فيما بينهموبينه• وكان هو بتوجيهات من القرآن الكريم يبين لهم ان سنة الله فى ميدان النبوة والرسالة تغاير كـل المغايرة هذا الذى يتمسكون به ويدافعون عنه من معتقدات دينية وقيم اجتماعية • ان سنة الله هى الظواهر الاجتماعية التى لا تتخلف فى القادة ، وفى ميادين القيادة • وان سنة الله هذه هى التى سوف نتعرف عليها من تلك البدائل التى يستهدف القرآن الكريم احلالها محل ما كانوا يملكون مـن متغيرات •

كانوا يملكونفيهذا الميدان ثلاث ادواتللتقييم، وكانوا يستثمرون هذه الادوات جميعها فى تقييم محمـد بن عبد اللـه (ص) ، وفى التعرف على حقيقة تلك الدعوى التى يدعيها وهى : انه رسول الله اليهم :

(ا) كانت الاداة الاولى : عقيدة دينية يؤمن معتقدوها ان رسول الله الى الناس لا يكون من البشر ابدا ، وهؤلاء هم الذين صور القرآن الكريم موقفهم من محمد عليه السلام حين قال : « وما منع الناس ان يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا ان قالوا : ابعث الله بشرا رسولا ؟» ـ « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شىء » ـ « ابشر يهدوننا ؟ »

واصحاب هذه المقالة هم الذين رد القرآنالكريم عليهم مقالتهم تلك بقوله تعالى : ـ « قل ! من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدىللناس» ـ « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم » — « ولو جعلنا ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » •

والآية الاخيرةانما تعنىان رسول اللهالىالناس لا بد من ان يكون فى صورة البشر حتى ولو كان من الملائكة • ولو كان من الملائكة وجاء فىصورة البشر لالتبس الامر على هؤلاء الناسوتعذر عليهم ان يعرفوا فى يقين ان كان من الملائكة او منالبشر• ان الامر سوف يلتبس عليهم ويصبحون فى حيرة •

ويرى الرازى ان هذه العقيدة الدينية قد وفدت الى شبه الجزيرة العربية عن غير طريق اليهودية والنصرانية لانهما باعتبارهما منالديانات السماوية لا يقران هذه العقيدة ، ومن شانهما ان يرفضاها وينكراها •

ويرى الشهرستانى ان هذه العقيدة اثر منآثار الديانة الفارسية •

وهذا هو قول الرازى عند تفسيره لقوله تعالى: «وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام •• الخ » •

« القول الظاهر ان هذه الشبهة وهى قولهم الله اعلى واجل من ان يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة •• »

ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصـارى اصحاب العلوم والكتب ، فامرهم الله بان يرجعوا فى هذه المسالة الى اليهود والنصارى ليبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها ، فان اليهودى او النصرانى لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها » •

اما قول الشهرستانى فهو : ـ

« ومذهب هؤلاء ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان • والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربون اليه وهم الروحانيون •قالوا:

والانبياء امثالنا فى النوع واشكالنا فى الصورة يشاركوننا فى المادة ـ ياكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويضاهوننا فى الصورة • اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم ؟ وباية مزية لهم لزم متابعتهم ؟ « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » •

هذه العقيدة او هذه الاداة من ادوات التقييم لمحمد بن عبد الله هى التى جعلت اهل مكة يذهبون الى أن محمدا هذا ليس بالنبى الرسول ، وانه من اولئك الذينيعرفونهم ويعرفون اتصالاتهمبالارواح الخفية من الكهان والسحرة والشعراء ، او ممن مسهم الجن واصابهم بسوء • ووقف القرآن طويلا عند هذه الصفات وردها ، وانكر ان يكون محمد عليه السلام كاهنا اوساحرا او شاعرا او مجنونا•

وانكر القرآن الكريم ايضا أن تكون عملية اتصال هؤلاء بالارواح الخفية عملية صادقة او عملية منتجة • فالارواحالتى يدعى الكهانوالسحرة ومن اليهم الاتصال بها تعجز عجزا تاما عن ان تعرف امور الغيب التى يدعى الكهنة والسحرةانهم يطلعون على الغيب عن طريق هذه الارواح •

يقول الله تعالى : ـ « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » •

ويقول تعالى : ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » •

ويقول على لسان الارواح الخفية ذاتها : ـ « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » •

تلك هى العقيدة التى اتخذ منها اهل مكة أداة لتقييم محمد بن عبد الله عليه السلام ، والتى انتهت فيها عملية التقييم الى انه ممن يتصلون بالارواح الخفية ، كاهن او شاعر او ساحر او مجنون ـ اى أنه ليس برسول •

ولقد بين القرآن لنا خطا هذه العقيدة ، واكد لنا ان رسول الله الى الناس لا بد من ان يكون من البشر ، وان جميع المرسلين الذين جاءوا قبل محمد كانوا رجالا يوحى الله اليهم ويبعث بهم انبياء مرسلين •

قيادة البشر لا بد وان تكون من البشر وتلك هى الظاهرة الاجتماعية التى لم تتخلف من امر الانبياء المرسلين ان تلك هى سنة الله فى خلقه •

بحثا عن المعجزة

٢ـ كانت الاداة الثانية التى يستثمرونها فى عمليات التقييم هى المعجزات ، وهى عقيدة دينيه استمدها اهل مكة من اهل الكتاب • لقد كان هؤلاء يعتقدون ان الرسول من البشر وليس من الملائكه، انه بشر يوحى اليه ـ ولكن لابد منمعجزة اى من امر خارق للعادة يتبين الناس منه ان هذا الانسان هو رسول الله حقا•

واداة التقييم هذه هى التى كانت تدفع باهل مكة الى ان يطلبوا من محمد عليهالسلام ان ياتيهم باية تدل حقا على انه النبى المرسل اليهم والقرآن الكريم يذكر لنا من اقوال المشركينواقوال اهل الكتاب من امر المعجزة الدالة على صدق النبوة والرسالة ما يلى : «وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله او تاتينا آية • كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم • قد بينا الآيات لقوم يوقنون » •

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، او تسقط السماء كما زعمت كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف ، او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه• قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا » •

« يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا : ارنا الله جهرة » •

والمسلمون لا يزالون يعتقدون فى هذه الاداة للتقييم حتى الان ، ويبحثون لكل نبى رسول عن معجزة يتخذون منها الدليل على صدق النبوة والرسالة •

ويرى بعض المفسرين كالرازى ان هذه الاداة من ادوات التقييم معقدة الى الغاية ، ذلك لان الاعتماد عليها يتطلب العديد من المعجزات فىكل نوبة من نوبات الوحى •

يقول فى نهاية تفسيره الطويل لآية « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، او من وراء حجابه او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء •• » يقول:

وعلى هذا فالوحي من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات .

المرتبة الاولى : ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى ـ المرتبة الثانية : ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة . المرتبة الثالثة : ان ذلك الرسول اذ اوصله الى الامة فلا بد له ايضا من معجزة . فثبت ان التكليف لا يتوجب على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات .

هذا هو قول الرازي في هذه الاداة من ادوات التقييم ، وهو قول يجيء بعيدا عن موقف القرآن الكريم ذاته من هذه الاداة ـ وبخاصة فيما يخص محمدا عليه السلام .

لقد قص علينا القرآن الكريم الشيء الكثير من امر المعجزات فيما يخص الانبياء السابقين ولا سيما انبياء بني اسرائيل ، ولكنه مضى على غير هذه القاعدة في امر محمد عليه السلام .

لقد بين القرآن الكريم لنا ان تصديق النبي عليه السلام والايمان بما جاء به ، او تكذيبه ورفض دعواه لا يتوقف ابدا على المعجزات ، وانما يتوقف على الاستعداد الذهني وعلى العوامل النفسية وادراك ما جاء به الرسول من مبادىء ومعتقدات صالحة للحياة وملبية لاحتياجات الناس .

يقول الله تعالى : « ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ـ ولكن اكثرهم يجهلون » .

ويبين في آية اخرى ان التكذيب يكون وان العداوة تنشأ عندما يأتي الرسول بما لا تهوى الناس . يقول الله تعالى : « افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » انه من هنا طلب القرآن الكريم من النبي عليه السلام ومن معه ان يتحملوا الاذى ، ويتجملوا بالصبر . يقول الله تعالى : « لتبلون في اموالكم وانفسكم ، ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا . وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

وبين للنبي عليه السلام ان كتاب الله ـ وهو الاداة الى التغيير الجذري ـ يكفي في الدلالة على انه رسول الله اليهم . يقول تعالى : ـ « اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .

وبين للناس ايضا ان المعجزات انما تكون للتخويف ليس غير ، ولا علاقة لها بصدق الرسول !

يقول الله تعالى : ـ « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات الا تخويفا » .

ويعلق الطبري على الآية الكريمة : ـ « ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون » ـ بما يفيد انه لا علاقة بين المعجزة والايمان ، وانما العلاقة تكون بين المعجزة والعقاب بالهلاك .

يقول رحمه الله : ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا : فليأت محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله ، من اهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة افهم يؤمنون .

يقول : افهؤلاء المكذبين محمدا ، السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم اسلافهم من الامم الخالية التي اهلكناها » ـ انتهى كلام الطبري .

والظاهرة الاجتماعية التي لا تتخلف ، والتي نراها في هذا المقام من سنن الله في خلقه ، هي التي تدل عليها الآية التالية : ـ « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون ، فتول عنهم حتى حين ، وابصرهم فسوف يبصرون » .

على الرسول ان يتأكد من النصر ، ولكن عليه قبل ذلك ان يتحمل التبعات الى حين تستعد النفوس وتتقبل الهداية ، وعليه ان يبصر الناس بالحقيقة الى ان يبصر الناس وعند ذلك يكون النصر .

عند ذلك يتم التغيير لصالح الناس ويأخذ الناس في ممارسة الحياة على اساس من البدائل الجديدة ، « وابصرهم فسوف يبصرون » ، صدق الله العظيم .

ليس بالمال والجاه

(٣) واما الاداة الثالثة من ادوات التقييم فلم تكن دينية وانما هي من القيم الاجتماعية التي نبتت في شبه الجزيرة العربية ولم تفد عليها من فارس او تدخل اليها مع اهل الكتاب .

هذه الاداة عربية خالصة ومرتبطة بالوضع الاجتماعي الذي يجب ان يكون عليه من يتعرض لقيادة المجتمع في حركة اصلاحية ، او حركة تغيرات جذرية .

والقيادة في المجتمع المكي كانت للملأ ـ اي

للاقويـاء الذين يستمدون قوتهم من كثرة الاموال والاولاد •

لقد كانوا يقولون فيما حكى القرآن عنهم :ــ « من اشد منا قوة » • وكانوا يقولون :ــ « نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين » وعلــى اساس من هذا نظروا الى محمد بن عبدالله عليه السلام ووزنوه بهذا المعيار ، وكان منهم ما حكاه القرآن عنهم حين قال : ــ « وقالوا: ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز • أو تكون له جنة ياكل منها ••»

« وقالوا : لولا نزل القرآن على رجل مــن القريتين عظيم » ويعلق الرازى على هذه الاية الاخيرة بقوله :ــ « وهؤلاء المساكين قالوا :منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف•

وقد صدقوا في ذلك ، الا انهم ضموا اليــه مقدمة فاسدة وهي : ان الرجل الشريف هو الذى يكون كثير المال والجاه ، ومحمد ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به ، وانما يليق هذا المنصب لرجل عظيم الجاه كثير المال فى احدى القريتين : مكة والطائف •

وهم لم ينظروا هذه النظرة لنبى الاسلام وحده، بل نظروها الى المؤمنين ايضا • قال تعالى مصورا موقفهم : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا : اى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا » •

وتقييم الناس على اساس من الثروة والجاه لن تغنى عند الله شيئا • ولقد عرض للمواقف السابقة وكانت اجابته عنها كما يلي :ــ

«تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك: جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا» • «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهـــم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون • ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليهـــا يتكئون ، وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين » •

قيمة الانسان عند الله ليست بالثروة اوالجاه، ولو كان الامر كذلك لجعل المولى سبحانه وتعالى رسله الــى الناس من الاغنياء الموسريــن اصحاب الجاه والسلطان •

ان قيمة الانسان عندالله انما تكون بالتقوى ــ اى الايمان والعمل الصالح • العمل الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع •

والظاهرة التى نسجلها فى هذا المقام ونجعلها من سنة الله فى خلقه هى ان قيادة المجتمعات فى ميادين الاصلاح والتغيرات الجذرية لا تعتمــد على تلك المعايير التى كان يعرفها الناس يوم ان بعث محمد عليه السلام والتى صورناها فيما مضى، وانما تعتمد على ما يملك الانسان من طاقات وقدرات ذهنية يستثمرها فى العمل من اجل الارتفاع بانسانية الانسان الى المستوى الافضل •

ولقد اختار الله جميع الانبياء والمرسلين على هذا الاساس • اختارهم لما يملكون من طاقات روحية وقدرات ذهنية وليس لما يملكون من قوة تقوم استنادا الى الثروة والجاه •••

ومحمــد بن عبد اللــه عليه الســلام كـــان خاتم الانبيـــاء والمرسليــن ــ اى الجسر الذى يعبر عليه القادة من اختيار اللــه لهم الى اختيار الناس لهم • ومن هنا كان اصرار القرآن الكريم على توكيد الصفات البشرية فيه• الصفات التى يجب ان تتوفر فى كل الذين يتعرضون لقيادة البشرية ممن يجيئون بعده •

لقد اختار الله محمدا ليكون القائد ، وهــو اليتيم الذى آواه الله ، وهو الفقير الذى اغناه الله • وكان ذلك ايذانا بأن القادة انما ينبتون نباتا شعبيا • ينبتون وسط مشكلات البشرية فيدركون ابعادها ، ويتخذون موقفا منها •موقفا يقضى عليها ويهيىء الحياة الافضل للمجموعــة البشرية •

والذى يحقق الحياة الافضل هى السبيل التى حددها القرآن الكريم وجعلها من مسئوليات الانبياء المرسلين

● تعليم الناس الكتاب والحكمة ● اخــراج الناس من الظلمات الى النور ● هداية الناس الى الحق والى الطريق المستقيـــم • وصدق الله العظيم • ■■

القاهرة ــ د : محمد أحمد خلف الله

« هى خدعة تتحمل مسئوليتها المخابرات الامريكية »

بقلم : مجدى نصيف

اجمع سبعة شهود عيان من المهندسين والفنيين العاملين «بشركة نفط الكويت » الذين كانوا قد توجهوا لاصلاح محطة ضخ النفط ،على ان سبب توقفها يرجع الى هبوط طبق طائر فى المنطقة . وان المحطةعادت الى العمل تلقائيا بمجرد اقلاعه.

وصف الفنيون- وبينهم خبيرامريكى -الطبق بقولهم انهم فوجئوا بجسم غريب يجثم على الارض على بعد نحو ٢٥٠مترا منمحطةالضخ : « كانالجسم اسطوانى الشكل ، يفوق حجم الطائرة العادية ، وتعلوه قبة حمراء اللون . » .. وخلال تردد الفنيين من الاقتراب من الجسم . والذى استمر سبع دقائق . بدأ الطبق الطائر يرتفع قليلا .. قليلا عن سطح الارض ، وفى هدوء مثير للدهشة. حتى غاب عن الانظار دون أن يسمع له صوت . او يشاهد احد بداخله .. وعندما عاد الفنيون الى محطة ضخ النفط . وجدوا ان اجهزتها قد عادت الى العمل تلقائيا ، بمجرد مغادرة الطبق الطائر سماء المنطقة .

واكد العميد محمد أحمد الحمد مدير الادارة العامة للامن العام ان جميع شهود الحادث من المهندسين والفنيين يتمتعون بمقدرة علمية واطلاع واسع ، وقد اجمعوا على أن الجسم الغريب شبيه بالاطباق الطائرة. لانمثلهذهالاطباقلميكشفالنقاب عن حقيقتها تماما حتى الان ، وكل ما هو معلوم عنها ، هو مشاهدتها فى انحاء متفرقة من العالم، كما ان العلماء المختصين فى هذا المجال لم يتوصلوا بعد الى معرفة صفات هذه الاطباق ، سوى انها صحون تظهر بين فترة واخرى دون التوصل الى نتيجة علمية يقينية ثابتة بصددها . لكن الملاحظ انها لا تهبط الا فى اماكن مكشوفة وبعيدة عن المدن ، وخلال وجودها تتعطل اجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية وغيرها من الاجهزة الدقيقة القريبة منها .

كانت هذه هى قصة اول طبق طائر فى وطننا العربى . لكن القصة لها فصول سابقة شغلت الناس وحيرتهم منذ الاربعينات .

صورةنشرتها مجلة تايم الامريكية في عدد ٢٠ نوفمبرالماضي لجسم متوهج وصف بانه طبق طائر

بداية القصة

لقد بدات قصة الاطباق الطائرة فى مساء ٢٤
ية ١٩٤٧ • عندما كان « ارنولد كيث » يطير
واشنطن فى طائرته الخاصة • وفوق جبال
كار على ارتفاع ٩٢٠٠ قدم ، لاحظ سلسلة
الومضات ، ورأى ما اعتقد انه مركبات تقترب
عة هائلة • كان هناك تسعة اجسام لامعة على
اقراص تبتعد عنه بمسافة قدرها بين ٢٠
٢٥ ميلا • وكان طول كل جسم يتراوح بين
١ الى ١٥ مترا وتسير بسرعة ١٧٠٠ ميل
الساعة •

نلقت الصحافة الامريكية الخبر واحتل الصفحات
لى والمانشيتات الرئيسية لاغلفة المجلات فى كل
، الولايات المتحدة • وبدات اجهزة المخابرات
بية فى سؤال « ارنولد » خوفا من ان تكون
الاطباق نوعا من الطائرات السوفيتية الجديدة•

لم يشك احد فى رواية « ارنولد » فقد كان
ا ذا خبرة ومواطنا ذا سمعة طيبة ، ومع ذلك
العلماء بعض الملاحظات حول قصته • فلو
طول الطبق الطائر بين ١٢٫٥ و ١٥ مترا كما
• فلا بد وان تكون المسافة اقرب من عشرين
• ذلك أن اطباقا بهذا الطول وعلى بعد هذه
لا يمكنه رؤيتها • ولو كانت المسافة التى
ا مضبوطة فلا بد وان يكون طول الطبق ٦٣
على الاقل • وعلى ذلك فان السرعة التى
ا ليس لها اى معنى . حيث لا يمكن تحديد
السرعة الحقيقية وهو فى طائرته الا بتحديد الحجم
الحقيقى للجسم والمسافة الحقيقية التى يبعد بها
الجسم عن الطائرة •

وبعد الدراسات المستفيضة التى قام بها خبراء
الطيران فى القوات الجوية الامريكية ،لم تستطع
التوصل الى اى شىء على وجه الدقة • كل ما فى
الامر ان هذه الدراسات زادت الامر غموضا عندما
قالت انها قد تكون طائرات اومركبات فضائية او
سحبا اخذت هذا الشكل نتيجة للتوافق مع بعض
الظواهر الطبيعية•

وكان المفروض ان تنتهى القصة عند هذا الحد•
الا ان الناس فى انحاء الولايات المتحدة بدات
ترى الاطباق الطائرة، وفجاة، بعد ان رآها ارنولد
وتوالت البلاغات للهيئات المسئولة،رغم ان ارنولد
نفسه ظل صامتا لا يتحدث بعد ان روى بصدق كل
ما شاهده•وتلقف ناشر ذكى هو«ريموند بالمر»الحكاية
وارسل الى«ارنولد»يطلب منه ان يقص قصته على
العالم •فوافق ارنولد على بيع قصته ونشرها .
فاسرع الناشر الذكى بتاسيس مجلة جديدة
متخصصة فى قصص الاطباق الطائرة• وفى اول
عدد من اعدادها ظهرت قصة «كنيث ارنولد » بقلمه
تحت عنوان :«رايت الاطباق الطائرة »(١٩٤٨) ورغم انه
لم يكن كاتبا محترفا،الا ان محررا اعاد كتابة قصته
بطريقة صحفية مثيرة .فجاءت مغايرة قليلا لما
ذكره للخبراء فى المخابرات الامريكية .وخاصة
فى التفاصيل الهامة الدقيقة•فقد ذكر على سبيل
المثال ان واحدا من الاطباق التسعة كان لـونه

« هى خدعة تتحمل مسئوليتها المخابرات الامريكية »

بقلم : مجدى نصيف

اجمع سبعة شهود عيان من المهندسين والفنيين العاملين «بشركة نفط الكويت » الذين كانوا قد توجهوا لاصلاح محطة ضخ النفط ،على ان سبب توقفها يرجع الى هبوط طبق طائر فى المنطقة . وان المحطةعادت الى العمل تلقائيا بمجرد اقلاعه.

وصف الفنيون- وبينهم خبيرامريكى -الطبق بقولهم انهم فوجئوا بجسم غريب يجثم على الارض علىبعد نحو ٢٥٠مترا منمحطةالضخ : « كانالجسم اسطوانى الشكل ، يفوق حجم الطائرة العادية ، وتعلوه قبة حمراء اللون • » •• وخلال تردد الفنيين من الاقتراب من الجسم . والذى استمر سبع دقائق . بدأ الطبق الطائر يرتفع قليلا •• قليلا عن سطح الارض . وفى هدوء مثير للدهشة. حتى غاب عن الانظار دون أن يسمع له صوت . او يشاهد احد بداخله •• وعندما عاد الفنيون الى محطة ضخ النفط . وجدوا ان اجهزتها قد عادت الى العمل تلقائيا ، بمجرد مغادرة الطبق الطائر سماء المنطقة •

واكد العميد محمد احمد الحمد مدير الادارة العامة للامن العام ان جميع شهود الحادث من المهندسين والفنيين يتمتعون بمقدرة علمية واطلاع واسع ، وقد اجمعوا على أن الجسم الغريب شبيه بالاطباق الطائرة•لانمثلهذهالاطباقلميكشفالنقاب عن حقيقتها تماما حتى الان ، وكل ما هو معلوم منها ، هو مشاهدتها فى انحاء متفرقة من العالم، كما ان العلماء المختصين فى هذا المجال لم يتوصلوا بعد الى معرفة صفات هذه الاطباق . سوى انها صحون تظهر بين فترة واخرى دون التوصل الى نتيجة علمية يقينية ثابتة بصددها • لكن الملاحظ انها لا تهبط الا فى اماكن مكشوفة وبعيدة عن المدن ، وخلال وجودها تتعطل اجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية وغيرها من الاجهزة الدقيقة القريبة منها •

كانت هذه هى قصة اول طبق طائر فى وطننا العربى • لكن القصة لها فصول سابقة شغلت الناس وحيرتهم منذ الاربعينات •

صورة نشرتها مجلة تايم الامريكية فى عدد ٢٠ نوفمبر الماضى لجسم متوهج وصف بانه طبق طائر

بداية القصة

لقد بدات قصة الاطباق الطائرة فى مساء ٢٤ يونية ١٩٤٧ • عندما كان « ارنولد كيث » يطير الى واشنطن فى طائرته الخاصة • وفوق جبال كاسكار على ارتفاع ٩٢٠٠ قدم ، لاحظ سلسلة من الومضات ، ورأى ما اعتقد انه مركبات تقترب بسرعة هائلة • كان هناك تسعة اجسام لامعة على شكل اقراص تبتعد عنه بمسافة قدرها بين ٢٠ و ٢٥ ميلا • وكان طول كل جسم يتراوح بين ٥ر١٢ الى ١٥ مترا وتسير بسرعة ١٧٠٠ ميل فى الساعة •

تلقت الصحافة الامريكية الخبر واحتل الصفحات الاولى والمانشيتات الرئيسية لاغلفة المجلات فى كل انحاء الولايات المتحدة • وبدات اجهزة المخابرات الحربية فى سؤال « ارنولد » خوفا من ان تكون هذه الاطباق نوعا من الطائرات السوفيتية الجديدة•

لم يشك احد فى رواية « ارنولد » فقد كان طيارا ذا خبرة ومواطنا ذا سمعة طيبة ، ومع ذلك ذكر العلماء بعض الملاحظات حول قصته • فلو كان طول الطبق الطائر بين ٥ر١٢ و ١٥ مترا كما قال • فلا بد وان تكون المسافة اقرب من عشرين ميلا • ذلك أن اطباقا بهذا الطول وعلى بعد هذه المسافة لا يمكنه رؤيتها • ولو كانت المسافة التى ذكرها مضبوطة فلا بد وان يكون طول الطبق ٦٣ مترا على الاقل • وعلى ذلك فان السرعة التى ذكرها ليس لها اى معنى ، حيث لا يمكن تحديد السرعة الحقيقية وهو فى طائرته الا بتحديد الحجم الحقيقى للجسم والمسافة الحقيقية التى يبعد بها الجسم عن الطائرة •

وبعد الدراسات المستفيضة التى قام بها خبراء الطيران فى القوات الجوية الامريكية ،لم تستطع التوصل الى اى شىء على وجه الدقة • كل ما فى الامر ان هذه الدراسات زادت الامر غموضا عندما قالت انها قد تكون طائرات اومركبات فضائية او سحبا اخذت هذا الشكل نتيجة للتوافق مع بعض الظواهر الطبيعية•

وكان المفروض ان تنتهى القصة عند هذا الحد• الا أن الناس فى أنحاء الولايات المتحدة بدات ترى الاطباق الطائرة، وفجاة، بعد أن رآها ارنولد وتوالت البلاغات للهيئات المسئولة،ورغم أن ارنولد نفسه ظل صامتا لا يتحدث بعد أن روى يصدق كل ما شاهده•وتلقف ناشر ذكى هو «ريموند بالمر» الحكاية وارسل الى «ارنولد» يطلب منه ان يقص قصته على العالم •فوافق ارنولد على بيع قصته ونشرها . فاسرع الناشر الذكى بتاسيس مجلة جديدة متخصصة فى قصص الاطباق الطائرة• وفى اول عدد من اعدادها ظهرت قصة «كنيث ارنولد » بقلمه تحت عنوان :«رايت الاطباق الطائرة »(١٩٤٨) ورغم انه لم يكن كتابا محترفا،الا انه محررا اعاد كتابة قصته بطريقة صحفية مثيرة ،فجاءت مغايرة قليلا لما ذكره للخبراء فى المخابرات الامريكية ،وخاصة فى التفاصيل الهامة الدقيقة• فقد ذكر على سبيل المثال ان واحدا من الاطباق التسعة كان لـــونه

حديث عن الماضى ، من أجل الحاضر والمستقبل

مما يتسق مع وضعه القيادى في حزب حديدى ، ففصل من الحزب الشيوعي الفرنسي ، بعد محاكمة « فكرية » شهيرة ..

وقد اصدر بعدها كتابا احدث ضجة واسعة ، اذ سجل نقطة خلافه الاساسية مع الفكر الماركسى التقليدى عنوانه البديل L'Alternative

روجيه جارودى

ولكن قضايا هذا الكتاب ليست موضوع هذا الحديث .

ولكن موضوعنا هو ثلاثة كتب اخرى له ، متكاملة او متداخلة :

اولها : كلمات انسان

.Parole D'Homme

وثانيها : من اجل حوار بين الحضارات .

Pour Un Dialogue Des Civilisation

وثالثها (وقد صدر اخيرا) : كيف يصبح الانسان انسانيا ؟

.Comment L'Homme Devient Humain

والكتاب الثالث لم يصلنا بعد .

ولكن بين ايدينا اجزاء كثيرة نشرت
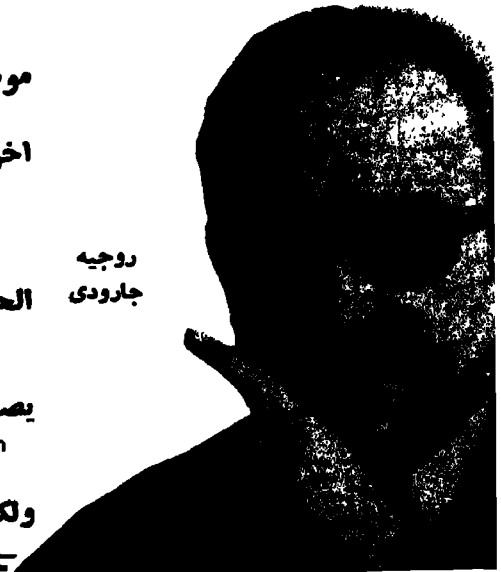
منه ، ومناقشات دارت حوله الـى جانب الكتابين الاولين ...

ببساطة شديدة يقول الكاتب المفكر الفرنسي لجمهوره الغربي : ان كل مصائب الدنيا مصدرها ان العالم الغربي يظن انه صاحب الحضارة العظمي ومصدر كل التقدم فى هذه الدنيا لمجرد انه ــ اليوم ــ هو الاقوى، وهو المصدر ...

ويطلق جارودى صيحة اذهلت مواطنيـه : ان الغـرب مجـرد صدفة ! ... L'occident Est Un Accident ! فالغرب ليس تعريفا جغرافيا ، ولكنه تلك المجموعة من القيم والقوى والثقافات والماديات التي تميزه كحضارة متقدمة في عصرنا الراهن .

ولكن حضارة الغرب لم تولد من العدم . ولكنها كأى شيء له اصل وله جذور .. ولو نظرنا نظرة صحيحة فاحصة الي كل ما لدى الغرب اليوم ، وما يشعه على العالم ، من افكار ومبادىء ونظم وفنون وماديات ، فسنجد له جذورا فى حضارات اخرى ...

ثم ان الغرب ــ كحضارة حديثة ــ عمره لا يزيد عن مائتي سنة ! ومع ذلك فهو يبدو على وشك ان يجر العالم الى الهلاك بمخترعاتـه الذرية واستخداماته للقوة الغاشمة .

فهو لم يثبت بعد قدرته حتى على البقاء زمنا طويلا . لان حضارة المصريين القدماء ، عاشت زاهرة ثلاثة آلاف سنة . ولان حضارة الصين عاشت الفين ــ لا مائتين ــ من السنين !

وبالتالى فهو يرى ان الحضارة الغربية قد اثبتت انها عاجزة عن قيادة العالم .

والحل هو « اولا » ان تدرك هذه الحضارة الغربية حجمها الحقيقى بين حضارات العالم الاخرى . و « الثاني » ان يقوم حوار بين الحضارات، تتبادل فيه مفاهيمها ومثلها وقيمها وتجاربها ، وعلى قدم المساواة ، حتى يصبح ممكنا ان يعيش العالم فى سلام ...

ولكن ، متى بدأ روجيه جارودي الفرنسي ، الماركسي ، هـذا الانعطاف الهام ؟

يقول ردا على ذلك : انه تدرج فى نفسه طويلا وببطء . وبدأ بلقائه الاول بالحضارة العربية الاسلامية .. « بدأ اهتمامي الاول بهذا الموضوع سنة ١٩٤٧ حين اصدرت كتابا صغيرا بعنوان « محاولة تاريخية لفهم الحضارة العربية » .. وقد اسعدني أن أعرف ان بعض الشباب الوطني فى مصر ترجمه وقدمه لجمال عبد الناصر . ولكن ، سبق أي قبل ذلك حادث لا انساه ابدا : فى سبتمبر ١٩٤٠ ، خلال الاحتلال الالماني لفرنسا ، كنت شيوعيا اعمل في المقاومة ضد حكومة فيشى ، فالقى القبض على وارسلوني الى معسـكر اعتقال عند واحة « غرداية » فى قلب صحراء الجزائر الكبرى . وبعد وقت قصير ، قمنا بحركة تمرد فى المعتقل ، وامر الضباط جنودهم الجزائريين باطلاق النار علينا وقتلنا . كان عمرى

سبعا وعشرين سنة . ولكن الجنود الجزائريين العرب رفضوا اطلاق النار . فانا عشت بعد ذلك بفضلهم » .

ويقول جارودى : انه ليس اول من قال بهذا الراى ، وان كان هو قد عكف على شرحه وفرر جعله موضوع ما تبقى من حياته ..

ثم يذكرنا بكلمة قالها الكاتب الفرنسي الشهير « اناتول فرانس » : « ان اهم تاريخ فى حياة فرنسا هو معركة بواتييه سنة ٧٣٢ ميلادية ، حين هزم شارل مارتل جيوش الوالى عبد الرحمن ، ففى ذلك التاريخ بدأ تراجع الحضارة العربية امام البربرية الاوروبية ! »

ويروى جارودى انه استشهد بهذه الجملة في محاضرة له فى تونس سنة ١٩٥٥ . وكانت تونس ما تزال تحت الاحتلال الفرنسي . وفي اليوم التالي طردته السلطات الفرنسية من تونس بتهمة قيامه بدعايات مضادة لفرنسا !

●

ويشرح روجيه جارودى فى اسهاب لماذا يعتبر « الغرب .. صدفة » .. فى كتابه « حوار بين الحضارات » .

واذا رجعنا الى قول « بول فاليرى » ان الغرب قد صنعته ثلاثة عناصر :

اخلاقيا : المسيحية ، والكاثوليكية بالذات .

سياسيا وقانونيا : روما وقوانينها .

فكريا وفنيا : الاغريق ..

فانه يمكن القول ان المسيحية ولدت فى آسيا ، وان حضارة الاغريق والرومان ولدت فى حجر البحر الابيض ، وبتاثير شديد جدا من شواطىء افريقيا وآسيا .. فكلها عناصر « شرقية » ، خارج « الغرب » بمعناه المعاصر ..

ويقول جارودى ان حضارة اوروبا نبتت جذورها كلها لاول مرة في افريقيا واسيا : وبالتحديد في مصر ، وبلاد ما بين النهرين (العراق) ..

فروح حضارة الغرب ومنطلقها هو التوجه نحو سيطرة الانسان على عوامل الطبيعة ، وعلى ذاته واعلائها ..

ولكن فى بلاد ما بين النهرين ، ومنذ خمسة آلاف سنة قبل « الياذة هوميروس » ، يرفع الستار عن اسطورة « جلجامش » . التى تتحدث عن مارد ثلثه انسان وثلثاه اله ، ظهر فى مدينة « اور » بعد الطوفان ، ورحل الى ارض الانهار الخمسة ، حيث تجرى الاسطورة متحدثة عن كل اشواق الانسان الى تحدى الطبيعة والسيطرة عليها ، وتجاوز امكانياته كبشر .. فمنذ اربعة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح ، كان « فاوست » الذى الفه « جوته » واتخذ رمزا لروح الغرب ، قد ظهر فى اسطورة « جلجامش » .

وحين سئل جلجامش فى الاسطورة العراقية القديمة « ولماذا تحاول

المستحيل ؟ » رد قائلا « اذا كان هذا الأمر لا تجوز محاولته ، فلماذا اتقدت في نفسى نار القلق والرغبة فيه ؟ » .

ذلك هو اساس كل حضارة الغرب ، التى تناقلها بعد ذلك فلاسفة الاغريق حتى اوصلوها الى اوروبا .

اما « الجرثومة » الاخرى للفلسفة الاغريقية التى ولدت في فينيقيا وكريت وخصوصا عن طريق افلاطون فنجدها فى مصر .

فالفلاسفة والمؤرخون الاغريق تأثروا تأثرا كبيرا وأعجبوا اعجابا عميقا بمصر القديمة . وفكرة افلاطون التى الهمت أوروبا عن الدولة

الفاضلة التى تجمع بين الاستقرار السياسي والديمقراطية الحية ، كان وحيه فيها من مصر ، الهمت مصر كل تجارب الاغريق .

فلو فحصنا ما انجزه الاغريق .. بدءا من فن النحت الى الفلسفة الى السياسة نجد تاثرهم العميق بمصر وتمثلهم الدائم بها .

ويضرب جارودى المثل بثلاث « مساهمات » مصرية قديمة اساسية فى تراث الانسانية كلها :

الاولى : اسطورة اوزوريس الذى يقاوم الطبيعة فيمزقه اعداؤه الى قطع ينثرونها فى الوادى كله ، ثم تجمعه من جديد . موجهة بفكرة

البعث ، اخته ايزيس بحبها ودموعها عبر سنوات المعاناة الطويلة ، فهى اول حديث عن رموز العلاقة اللانهائية بين الانسان ، والطبيعة والآلهة ..

والثانية : « كتاب الموتى » ، ثم صراع الفراعنة التاريخي ضد الموت بفكرة اقامة مبان تدوم اذا فنى الانسان ، وتسجل طابعه وعمله دهورا بعده ، كالاهرامات وقبور وادى الملوك وهى فكـرة جوهرية فى حضارة الغرب .

والثالثة : اخناتون الفرعون الذى مات فى الثلاثين من عمره بعد ان اكتشف اول فكرة انقلابية فى التاريخ وهى عقيدة التوحيد ، بعد تعدد الآلهة التى نجدها بعد ذلك فى فلسفة الاغريق وفى التوراة .

ويضيف جارودى فضلا ثالثا الى اخناتون ، فيقول انه أول من رفع المرأة ، فبدت فى تماثيله جالسة على حجره ، وقد نقش على الجرانيت اول قصائد حب .

« هكذا نجد جذور الغرب وقد تشكلت فى مصر وبـلاد مـا بـين النهرين : صراع الانسان ضد الطبيعة للسيطرة عليها ، ونضالـه لكـى ينفرد من بين كل المخلوقات بصفاته ، وبقدرته على التفكير المجرد .. وكل محاولة لقطع جذور الغرب عن جذوره الشرقية لا تؤدى الا الى افقار الانسان . »

أما ما تسميه كل المراجع « عصر النهضة » فى أوروبا فهو عصـر نمو الراسمالية وبدء الاستعمار . هو بداية صعود الغرب ولكنـه كـان بداية تدمير هذا الغرب نفسه لحضارات أخرى أرقى مـن حضـارة الغرب .. سواء فى علاقة الانسان بالله ، أو علاقة الانسان بالطبيعة أو فى علاقة الانسـان بالمجتمع .. وهي العناصر التى تحدد رقـى اى حضارة ...

وقد فعل الغرب ذلك عن طريق شيء اساسى وهو : تفوقه فى استخدام القوة العسكرية دون أى نوع آخر من القـوى ذات العلاقـة بالتقدم والرقى .

ويحلل جارودى حضارة الغرب الراهنة ـ السائـدة ـ تحليلا فلسفيا طويلا ، نحاول تبسيطه فى قوله أولا : ان تاريخ الانسان يتلخص فى ثلاث مراحل :

الاولى : مرحلة سيطرة الطبيعة على الانسان .. اي حـين كان الانسان يصارع عن مركز ضعفه ضد قوى الطبيعة الاقوى منه .

الثانية : مرحلة سيطرة الانسان على الطبيعة .. وهى حين نجح الانسان فى التقدم بدرجة سمحت له باستئناس الطبيعة الى حد كبير بما اوتى من عقل وعلم وحضارة .

والثالثة : وهى التى نعيشها حاليا ويسميها « مرحلـة محاولـة

سيطرة الانسان على نفسه » ذلك ان الانسان بما وصل اليه من تقدم وعلم وصناعة اطلق قوى تدميرية هائلة من عقالها باتت تشوه حياته وتدمر بيئته ومقوماته وتهدد وجوده ذاته والنتيجة فى هذا الصـراع الاخـير مشكوك فيها !

والمرحلة الثالثة ، مسئولة عنها حضارة الغرب ، بتخليها عـن القيم المشتركة مع الحضارات الاخرى والمستلهمة منها .

وباسلوب آخر .. ان حضارة الغرب قامت من ثلاثة منطلقات .

اولويه العمل كقيمة اساسية (« والعمل » كما يقول تقليد بورجوازى وقيمة اشتراكية) .

وأولوية العقل بوصفة اداة حل كل المشاكل والردعلى كل الاسئلة

واولوية كاسماء هيجل « باللامتنهاهى » .

ولكن هذه القيم تحولت وشوهت بحيث ركزت كلها على الذكاء .. ولم تترك مجالا للحب ، والشعور ، والضمير ..

والاولويات الثلاث صارت اثقالا ، لا حوافز ..

قيمة العمل تحولت الى خضوع الانسان للاستهلاك .

قيمة العقل تحولت الى خضوع الروح للذكاء .

وقيمة اللامتناهى تحولت من الكيف الى الكم .

والمسئول الوحيد الذي يطرحه الان الانسان على نفسه كل ساعة ازاء اى مشكلة او موقف هو : « كيف » ؟ .

ولم يعد احد يسال ابدا السؤال الاكثر اساسية وانسانية وهو : « لماذا ؟ » .

وفى فصل هام عن « الفرص الضائعة » يتحدث جارودى فى اسهاب عن ضياع فرص تأثر الغرب باطراد وتواصل الحضارات الاخرى . وقد يكفى هنا أن نضرب مثلا بحديثه عن حضارتنا العربية .. وعن تزويـر الاستعمار الغربى للتاريخ بتصويره التوسع العربي ، منذ القرن الثامن الميلادى ، على انه موجة من موجات « البربرية الآسيوية » التى هددت الغرب !

هذا فى حين ان الغزاة الانجليز والفرنسيين والاسبان هم الذين دخلوا ارض الاسلام مدمرين للحضارة العربية فى كل اشكالها ..

« .. ان ما يسميه الغرب « بغزو اسبانيا » لم يكن غزوا عسكريا فقط كغزوات الاوربيين فاسبانيا كان فيها من السكان عشرة ملايين ولم يدخلها من الفرسان العرب أكثر من خمسين الف فارس .. ولو كان الامر حربا فقط لما نجحوا . ولكن تفوق حضارة على اخرى كان هو عنصر النجاح الساحق » .

« وما فعله العرب فى اسبانيا يجعلنا نفهم ما فعله ماوتسى تونج فى الصين » ! ! اتى بنظام اجتماعي أرقى . حرر العبيد وانهى الرق

وسوى الحقوق ودعم النظام . وعلى انقاض الفوضى الاقطاعية اقام العرب اعظم مساقط المياه فى ذلك العصر واغنى البساتين القائمة الى الان .

((وما رايته فى تونس .. من آثار عربية قديمة تدل على سابق الازدهار .. ومن واقع ـ خلال الاحتلال الفرنسي ـ ينم عن الافقار والدمار .. يعطينا صورة ساطعة عن الفرق بين حكم الاغالبة فى شمال افريقيا ، وحكم الفرنسيين .

((الحضارة التى زرعها العرب عندنا فى اوروبا وبالقرب منا فى افريقيا تمتد جذورها الى الشرق فى اسيا . وحين سافر الفرنسى ((جيبر)) الى معاهد الشرق وعاد حاملا علومه قال الناس فى اوروبا انه قد اتصل بالجن لكثرة معارفه ! وبعد قليل جعلوه بابا على روما باسم البابا سيلفيستر الثانى .

((ونحن مدينون للعرب باول كليات الطب . واولها كلية الطب فى مونبليه الفرنسية . وحتى القرن التاسع عشر كانوا يدرسون فى جامعات فرنسا وانجلترا باسهاب علوم الطب العربية ، ومؤلفات الرازى ..

ولكن منذ انتصار شارل مارتل على العرب فى بواتييه تكونت لـدى اوروبا عقدة اسمها ((حماية الحضارة الغربية من البرابرة !))

ان كتب التعليم تلقن الاوروبيين منذ طفولتهم ان بواتييه كانت نقطة تحول اذ طردت الهمج عن اوروبا المتحضرة . وهذا هو استعمار التاريخ بعينه . فالواقع هو العكس . فهزيمة العرب ضيعت علـى فرنسا واوروبا فرصة الالتقاط المبكر لحضارة العرب .. واخرت اوروبا عشرة قرون على الاقل .. حتى بدات اوروبا ترى النور بعد القرون الوسطى !

●

ولست هنا فى مجال الاستشهاد باقوال جارودى عن مآثر العرب ، وقلب اوروبا لحقائق التاريخ ، او استعمار التاريخ كما قال بحق ، فالامثلة كثيرة ..

ولكن المهم انه يستشهد بنفس الاسلوب بحضارات اخرى غير الاسلام ، اهمها الصين . وعـدم الاستفادة منهـا . انها فكـرة عـداء الحضارات لا تكاملها ..

المهم هو المشروع الذى نذر جارودى ما استقبل من حياته له وهو :

نزع استعمار التاريخ ، وتصحيحه ..

واقامة حوار بين الحضارات كلها .

وبكلماته ((كيف يمكن بناء تاريخ لا تحتكره حضارة واحدة ؟))

انه يرى فى هذا المشروع الخلاص الوحيد للبشرية من خطر الفناء

فهل نشاركه هذا المشروع ؟

احمد بهاء الدين

بقلم : الدكتور علي الراعي

في شهر ديسمبر الماضي فجعت الكويت : شعبها، وفنانوها ومثقفوها بوفاة فنان المسرح الكويتي المتعدد المواهب : صقر الرشود .

كان الرشود مخرجا وكاتبا مسرحيا ، ومثقفا واعيا بحاجات بلاده في الكويت وفي الخليج وفي الوطن العربي كله . وكان يسمع باذنيه الفائقتي الحس نبض الشعب العربي في كل مكان . وكان دافق الامال ، عريض الافق ، فسعى الى زرع بذرة المسرح في باقي اقطار الخليج العربي بعد ان شارك في استنباته وقام على ازدهاره في بلده الام : الكويت .

والمقال التالي يُقدم تقييما لاعمال صقر الرشود المسرحية في الفترة التي انتهت بتعاونه اللاحق مع كاتب المسرح الكويتي المرموق عبد العزيز السريع ، شريك الرشود في كفاحه، وآماله واحلامه .

ينتقل التاليف المسرحي في الكويت نقلة واضحة الى الامام حين نقرا او نشاهد ، اعمال الكاتب والمخرج المسرحي « صقر الرشود » الذى كتب مسرحيات : « انا والايام » ، (١٩٦٤) والمخلب الكبير (١٩٦٥) و « الطين » (١٩٦٥) و «الحاجز» (١٩٦٦) ، قبل ان يشارك صديقه وزميله في الفن المسرحي ، الكاتب عبد العزيز السريع ، كتابة بعض من اهم ما قدمت فرقة مسرح الخليج من اعمال .

كان الرشود قد كتب مسرحيتين من قبل ،

ما . « تقاليد » المسرحية المكتوبة الوحيدة مسرحيات المسرح الشعبى المرتجلة الاساس، مت عام ١٩٦٠ . وفى العام التالي كتب صقر شود مسرحيته الثانية : « فتحنا »

من الملخص الذى كتبه صقر الرشودبنفسه ذات المسرحيتين ، نجد انهما تتعرضان موعين هامين من واقع حياة الكويتيين . الاولى ى عن الصراع بين الكويتى الذى طرا عليه نى ، وهو بلا حسب ولا نسب ، يتقدم الى رة فقيرة عريقة الاصل ، طالبا يد ابنتهـا . و صراع ينتهى بانتصار الغنى وفوزه بالفتاة فقيرة العريقة .

اما المسرحية الثانية ، فقد عالج فيها صقر رشود موضوع تفكك الاسرة فى الكويت المعاصرة، قدم اسرة كويتية الام فيها تؤمن بالزار ومزاياه علاجية ، وتكلف زوجها نفقات باهظة فى اقامة فلات الزار . والابن الاكبر لهذه الاسرة فاشل ى دراسته وفى حياته العملية من بعد . والابن لاوسط هو الوحيد الذى يسعى الى ان يبنى فسه ويصنع مستقبله ، بينما تقبع الابنة حبيسة جدران البيت وسجون التقاليد .

ثم يحدث ان يضرب الابن الاكبر اباه ،ويسرق امواله ويهرب بها خارج البلاد لينفقها علىملذاته وعلى اخوان السوء ، حتى يفلس ولا يجد من يرحمه الا طالبا كويتيا يدرس بالخارج يدفع عنه ثمن تذكرة العودة الى الكويت .

ويعود الابن الضال ليجد امه قد فقدت بصرها كمدا ، عقب هرب الابن ووفاة الاب . ويجد الابن الاوسط يعمل من اجل انقاذ اسرته . وحين يعود الضال ، تائبا ، نادما ، يعود البصر الى الام وتنتهى احداث المسرحية .

ونلاحظ على الفور ان الاحداث فى المسرحيتين تدور حول محور واحد ، هو : الاسرة وما طرا عليها من مشاكل بعد ظهور النفط ، وما جره الثراء المفاجىء على الاسرة الكويتية من مشاكل، وما احدثه فى قيمها الاجتماعية والاخلاقية من اختلال .

وسنجد صقر الرشود فى مسرحيته التالية : « المخلب الكبير » ، (١٩٦٥) لا يزال مشغولا بهموم الاسرة الكويتية المعاصرة ، وخاصة هموم النساء فيها عامة ، والبنات على وجه الخصوص.

و « المخلب الكبير » هو موضوع لوحة معلقة على جدار احدى الغرف التي تسكنها عائلة ابو خليفة . وهي تصور قطا اسود يضرب بمخالبه حمامة بيضاء . والرشود يستخدم هذه اللوحة كنوع من التعليق على ما سوف يتوالى فى المسرحية من احداث .

ان القط يرمز الى البطش ، والحمامةالبيضاء ترمز الى ضحايا هذا البطش من الابرياء . وبالمسرحية رمز آخر مالوف فى عديد منالاعمال المسرحية والسينمائية وهو : الطير المسجون فى قفص .

يمثل جانب البطش فى المسرحية اب غليظ الطبع ، قاسى الفؤاد هو ابو خليفة ، كما يمثله ايضا ابنه خليفة الذى لا يقل عن ابيه قسوة ولا تعنتا .

والاب ثرى وبخيل ومتدين متزمت فى دينه ، لذا نراه يصر على ان يزوج ابنته منيرة ، الفضة الاهاب من عجوز فى سن ابيها ، لانهمتدين مثله ، بينما ينكر على ابنته محاولاتها الحصول على موافقته على الزواج ممن تحب ، وهو ابن عمها ناصر .

وتحاول الام : « سارة » ان تسند طلبابنتها، ولكن محاولاتها تذهب ادراج الرياح ذلك انها هي نفسها احدى ضحايا المخلب الكبير . وهى ضعيفة بازاء زوج يرى ان لا حق لاحد من اهله بنتا او ولدا او زوجا فى ان يابى الانصياع الى رغباته . ولذا فان الاب يستاثر بالسلطة كلها ويقع فى صراع دائم مع اولاده وزوجه . يتهمهم بالكفر والطمع ، والرغبة فى قتله بالسم حتى يرثوا ما عنده من آلاف الدنانير .

ويقوم فى المسرحية صراع عات يصل الى حد استخدام المسدس ، يصوبه الاب نحو ابنه ، الذى طرده من البيت ولكنه عاد مصرا على ان يبقى فيه ، رغب الوالد ام اعترض

وينتهى هذا الصراع حين تضغط البنت«منيرة» زناد المسدس فيقتل اخاها خليفة ، وتنتهىاحداث المسرحية على نغمة حزينة مؤسية .

ويلفت النظر فى المسرحية تلك الصورة المؤثرة

التى يرسمها المؤلف ببراعة لاحوال الراتبين وشدة وطأة القهر عليهما . انه ينشىء علاقة تماثل بين قهر الوالد والاخ الاكبر لهما ، وبين مخلب القط الذى ينشبه فى حمامة بيضاء .

وهو يعرض حالة الزواج غصبا عرضا انسانيا عطوفا ، تكون من نتيجته ان تبرز منيرة ، الابنة المقهورة ، برواز مقنعا ، يجند لها عواطفنا واحساساتنا .

يوازن رشود صورة القهر الذى يصبه الرجلان على الراتبين ، بصورة اخرى اكثر تفهما وعطفا ، هى صورة الاخ التالى لخليفة ، واسمه وليد ، وهو متفهم لمشاكل اسرته وخاصة منيرة ، التى له وحده تفتح مغاليق قلبها .

والمسرحية بعد هذا تفعل ما كان يفعله كتاب المسرحية المعاصرة لكى يثروا اعمالهم الواقعية ، فتراهم يتخذون وسيلة الرمز المركزى اداة لاثراء المسرحية الواقعية المحدودة الاعماق بحكم نوعها وطريقة علاجها للاحداث — يثرونها برمز مركزى يلخص المسرحية ويعلق عليها . فعل هذا ابسن فى مسرحيات مثل « بيت الدمية » و « البطة البرية » وفعله تشيخوف فى : « بستان الكرز » وفى « طائر البحر » وفعله برنارد شو فى « بيت القلوب المحطمة » .

ويبدو من تصفح اعمال الرشود المقتبسة والمكونة انه اطلع اطلاعا بارزا على ادب الغرب المسرحى ، وافاد منه فى اعماله .

وفى المسرحية التالية « الطين » (١٩٦٥) وهى فى نظرى اقوى اعمال صقر الرشود يعالج الكاتب ايضا مشكلة النساء الشابات بازاء الرجال الطاعنين فى السن .

فهذا هو الرجل العجوز فهد ، قد تزوج من شابة من سن ابنته اسمها وفاء . بينما تزوجت ابنة فهد المسماة مريم وهى دميمة الخلقة من شاب وسيم تتمناه كل البنات زوجا ، تزوجها طارق وهذا اسمه — طمعا فى مال ابيها ، ومريم تعلم هذا ، وتعرف انها اشترت لنفسها زوجا ، وان هذا الزوج لا يحبها ولكنها تصبر عليه وتحبه ولا تريد فراقه .

ويحدث من بعد ، ما يحدث عادة لزوجة شابة قد تزوجها رجل يسعى الى القبر فتحب الزوجة طارقا وتقضى معه الليالى ويروح هو — من جانبه — يحرض الزوجة على أن تقتل زوجها بالسم البطىء ليخلو لها وجه عشيقها ، ولعلهما اذ ذاك يتزوجان .

غير انوفاء — الزوجة الشابة — ترفض الانسياق فى هذا التيار ، وتسدر فيما كانت تفعله من قبل من عشق لسائقى سيارات زوجها ، وغيرهم من رجال ، وتنبذ طارقا وترفع راسها متحدية اباه ، مذكرة له انها انسانة ذات ضمير . وفيما يهددها بافشاء اسرارها لزوجها ولابيها معا يناديها زوجها من الطابق العلوى فتذهب اليه وهي تتسخط ، ويخلو الجو لمريم فقد صرحت لزوجها بانها تعلم بما يدور بينه وبين زوجة ابيها .. ويتعاتبان طويلا ، وتعترف مريم انها لا تزال تحبه ، رغم ضربه اياها ، ولكنها لا تقبل أن يخون هواها مع زوجة ابيها ، ولاترضى للاب بان يتلوث شرفه على كبر .

وفجاة تنزل وفاء اليها وتعلن ان زوجها قد مات . مات منتحرا ومن ثم تغادر وفاء البيت غير مترددة ، ويترك طارق تحت رحمة شخصية تلفت الانتباه هي شخصية رجل عجوز اسمه مرزوق ، كان يعمل فى خدمة الاسرة من زمن بعيد ، خدم والد فهد ، وخدم فهد من بعد ، فله نوع من الولاية على الاسرة . وهو يكره طارق ويسال وفاء ان كانت قتلت زوجها كما اوصاها الشيطان طارق .

ومرزوق هذا هو صوت المسحوقين الذين يموتون من الكد والشقاء . كى يثرى اناس غيرهم على حسابهم . كما يقول هو : انه يعطى الغير السميد ، فيعطونه الطين يسدون به حلقه ، وكلما حاول ان يحصل لنفسه على سميد تحول السميد الى طين ، لغيره الثراء والجاه والبيوت المبنية — بناها هو وابوه وغيرهما من الكادحين وله ولامثاله الطين — ومن ثم عنوان المسرحية .

وبفضل هذه الصرخة الحرى التى تفيض شكاة واسى من اجل مرزوق وامثاله ترتفع المسرحية درجات كثيرة فى سلم التعبير ، انها تتناول بالنقد اللاذع احوال السادة وتفضح ظلمهم وتعطى الفرصة للمسحوقين كى يسمعوا العالم اصواتهم وحين يموت فهد يقول مرزوق لابنته مريم فى سخرية

الدعة : عظم الله اجرك . ليس من اجل ابيك ، لكن من اجل طارق الذى فقدته منذ الان ! .

ومرزوق لا يخفى كرهه لطارق ولا حنقه على مخدومه فهد الذى مات فلم تنفر له عروق مثلما نفرت عروق ابيه وهو فى الطوفة فى البحر .

وتنتهى المسرحية والظلام يطبق على مرزوق وهو يهدر غضبا ويتقزز اسى ، مخاطباجثة فهد : الان تسكت انت واتكلم انا . لماذا تغير انت الدنيا؟ اهى تسير وفق ارادتك ؟ بلى . هى تفعل ذلك لانك فوق وانا تحت .

وانا منذ الان صاعد اليك .

شخصية مرزوق هذه تذكرنا باساها ولوعتها بشخصية « الطواف » فى مسرحية نعمان عاشور « عائلة الدغرى » ، كما تذكرنا بشخصية الخادم العجوز فى « بستان الكرز » الذى يطبق عليه ـ هو الاخر . البرد والوحدة ، وتوصد عليه الابواب ، بعد أن ترحل الاسرة المنحلة عن المكان.

ويلفت النظر في المسرحية الى جوار شخصياتها المرسومة بعناية ودقة ، ذلك الحياد الفنى الذى يشى دائما بالنضج لدى الكاتب . فهو يعرض قضية وفاء عرضا عطوفا ، لانها ـ فى نظره ـ ضحية للمجتمع ، وليست امراة ساقطة ، كما يسارع البعض الى اعتبارها هى وامثالها من ضحايا الزواج غصبا ممن يضطرون الى أن يسلكوا الطريق الذى سلكت . وصقر الرشود لايدافع عن وفاء ، وانما ينظر بعمق الى دوافع سلوكها فيدين الدوافع ولايقبل نتائجها .

وفى مسرحية الحاجز ، (١٩٦٦) يعالج رشود موضوع صراع الاجيال الذى يدور فى المسرحية بين اب وام تقليديين من جهة ، وبنتين واخ لهما من جهة اخرى ، الابوان يتمسكان بالتقاليد بالمجتمع النصفى الذى تنعزل فيه المراة عن الرجل وتتلقى اوامرها منه . والاب هنا يسعى الى تزويج ابنته من ابن اخيه صالح ، بينما الابنة ـ مريم ـ تحب شابا آخر اسمه على .

والصراع الذى يدور بين الجيلين لا ينتهى الى شىء محدد . كل ما يفعله النقاش الذى يدور بين الاب مبارك وابنه خالد يتمخض عن نتيجة هزيلة هى : اعتراف الاب بانه انما يؤيد زواج ابنته من ابن اخيه مراعاة للتقاليد وحسب ، وخوفا من كلام الناس . وهو قول يرفضه خالد، ثم لا يستطيع من بعد ان يفعل شيئا . والشىء ذاته تفعله مريم ، فهى ترفض الزواج من صالح، وتبقى على حبها لعلى ، ولكنها لا تثور او تغادر البيت ، وانما تشغل نفسها بشىء تسميه انتاجا، وهو صنع الفانلات الصوف عن طريق التريكو . وهى تسخر من اخيها ومن نفسها ـ ضمنا ـ حين تقول له : دع النضال غير المجدى مع ابيك وافعل مثلى : اشتر آلة حياكة لصنع الفانلات .

الجيل الجديد هنا يكتفى بالرفض ـ بالمقاومة السلبية والجيل القديم يهتز فى مواقفه شىء ما ولكنه لا يسلم . ويبقى الحاجز فى مكانه .

وبهذه النهاية المفتوحة تنتهى المسرحية .وهى فى رايى اقل جودة من سابقتها لان بعضا من ابطالها يعزفون عن الدخول فى صراع حقيقى ، ويكتفون بالرفض ، مما يجعل شخصياتهم اقل عمقا واقناعا مما كان ينبغى ان يكونوا .

■■

د . على الراعى

رأى الكتروني !

● قال دون جلاوشتر أثناء مأدبة في لندن : « تم اجراء بحث شامل بواسطة الكمبيوتر لمعرفة أسباب الحوادث التى تقع في المنزل . وقد أظهر البحث أن ٩٠٪ من هذه الحوادث سببه السلالم بما في ذلك العلوية منها والسفلية . وعندما سئل الكمبيوتر كيف يمكن الحد من هذه الحوادث أجاب : أزيلوا السلالم العلوية والسفلية .

قضى الدكتور احمد كمال ابوالمجد عميد كلية الحقوق بجامعة الكويت ، ووزير الاعلام المصرى السابق ، ثلاثة اسابيع بين طوكيو والقاهرة ، مشاركا فى أكثر من ندوة حول حقوق الانسان . ثم عاد الى الكويت ليكتب ((للعربي)) هذا التقرير .

آفاق جديدة :

من طوكيو الى القاهرة مع :

حقوق الانسان المعاصر

بقلم : الدكتور احمد

* اعلان ... ق الانسان

* ت

ا مع التراب شهر ديسمبر من كل عام ، وعلى
اد الثلاثين عاما الماضية ، ظلت منظمة الامم
مدة، تدعو جميع العاملين بها وبفروعها والهيئات
بعة لها للمشاركة في حملة عالمية للاحتفال بيوم
اشر من ديسمبر يوم الاعلان العالمي لحقوق
سان الصادر عام ١٩٤٨ ..

وكان من نصيبي هذا العام ان صادفتني من
ه الحملة موجتان ، دفعت بي احداهما الى
كيو في اقصى الشرق، حيث تدارست مع مجموعة
محدودة العدد اختارتها « جامعة الامم المتحدة »
نامج ندوة تقيمها الجامعة المذكورة لمناقشة
ريس « حقوق الانسان » .. وذلك خلال يومي
٢ و ٢١ نوفمبر .. اما الموجة الثانية فدفعتني
لى القاهرة في ادنى الشرق للمشاركة في ندوة
حول نفس الموضوع نظمتها جامعة الزقازيق
بالاشتراك مع اليونسكو خلال الايام الثلاثة من
١٤ الى ١٦ ديسمبر اى بعد اقل من شهر من
الندوة الاولى ..

وعلى بعد ما بين طوكيو والقاهرة .. حضاريا
وجغرافيا .. فقد تقاربت كثير من الافكار ..
وتشابهت كثير من الرؤى .. وبرزت من خلال
المناقشات الطويلة داخل جلسات المؤتمر وخارجها
ظاهرتان هما ـ في الحقيقة ـ محور هذا الحديث..

الظاهرة الاولى : ظاهرة الرجوع الى الاصول
الحضارية الذاتية للشعوب .

والظاهرة الثانية : ظاهرة زيادة الوعي بالآفاق
الجديدة التى تعرض بها مشاكل الانسان ، ومنها
مشكلة « حقوقه » في عصر الثورة العلمية والتقنية
المستمرة .

على انني لا استطيع ان اتحدث عن مؤتمر طوكيو
.. دون ان اتحدث عن اليابان التي كانت هذه
الندوة سبيلي الى زيارتها للمرة الاولى .. فعلى
كثرة ما طوفت في العالم شرقا وغربا .. وعلى كثرة
البلاد التي زرتها سائحا متاملا مستمتعا بالنظر
في ملكوت الله ، او موفدا في مهمات رسمية
تحاصرني فيها اللقاءات المرسومة المحددة الاطار ،
فقد بقي الشرق الاقصى كله خارج تجربتي ومعرفتي.
وبقيت اليابان تمثل عندي قمة الشوق الى رؤية
هذا الجزء من العالم .. وهو شوق صنعه في
[illegible] احدهما قديم والاخر طارىء وحديث

.. اما الشوق القديم فاثر من آثار الصورة
الغامضة الفنية بالمتناقضات والصور المثيرة عن
بلاد الشمس المشرقة والزلازل التى فرضت على
الحياة كلها نظامها .. والحدائق اليابانية الشهيرة
ذات الالوان المتناسقة، والترتيب الجمالي المعجز،
والامبراطور الذى ينزله اتباعه منزلة التقديس
والعبادة والذى شهد الامجاد العسكرية لامته ثم
شهد هزيمتها واستسلامها .. ولا يزال يشهد من
قمة السلطة نموها وسبقها الصناعي المذهل ،
والتقاليد الشرقية الغريبة التى تشمل اشياء
يتعذر علينا فهمها في الانتحار النبيل على طريقة
الهيراكيرى..الى الادب الجم الرفيع الذى اشتهر
به الرجال ، والمراة اليابانية بوجه خاص .

الانسان الياباني باق

اما الامر الطارىء الذي ظل يشدني سنوات الى
كل ما هو ياباني ، فهو هذه النهضة الصناعية
والعملية السريعة التي قفزت باليابان خلال سنوات
قليلة الى الصف الاول من كبريات الدول الصناعية
المتقدمة منافسة اعرق الصناعات الاوربية المتخصصة
.. دون ان يصاحبها الانهيار التقليدى في اساليب
الحياة القديمة .. والتخلي السريع عن قيم المجتمع
القديم وعلاقاته الانسانية الحميمة السابقة على
مجيء الثورة الصناعية والتكنولوجية.. وكان هذا
الامر الاخير يثير في نفسي رغبة جامحة للتعرف على
السر الحضارى الذى استطاع عن طريقه
اليابانيون ان يجمعوا الحسنيين.. حضارة البناء
والتشييد المادي ، وحضارة العلاقات الانسانية
المترابطة . وكنت ارى العثور على مفتاح هذا
السر مصدر امل هائل نستطيع به نحن العرب
والمسلمين ان نستورد ما نشاء ممن شاء ، وان
نواكب حركة التقدم المادى العالمي دون ان نتخلى
بالضرورة عن القيم الحافظة للتماسك الاجتماعي
والترابط الاسرى ، والاخوة الانسانية ، وهي
القيم التى تهاوت في الغرب تحت مطارق حضارة
المنافسة وعبادة المال ..

وعلى قصر المدة التى قضيتها في اليابان ، متنقلا
بين ثلاث من مدنها الرئيسية .. طوكيو العاصمة
الضخمة ذات الملايين الثلاثة عشر من السكان
وكيوتو العاصمة القديمة ذات التراث الثقافي
العريق .. واوساكا المركز الصناعي الكبير ، فان

ظنى لم يخب فى شيء . فعلى الرغم من تأثر ظاهر ـ عند السطح على الاقل ـ بالحياه الغربية فى مظاهرها واساليبها ، فلا تزال الروح اليابانيه الاصيلة تطل من وراء الازياء الغربية الانيقة التى يحسن اختيارها ـ فى تانق رائع ـ الرجال والنساء على السواء .. وعلى الرغم من الزحام الشديد والحركة السريعة والتسابق على العمل والانتاج .. وكل ما يصاحب ذلك من مشاكل مرور الناس والسيارات ، ومشاكل الاسكان ، وتنظيم

المرافق ، على الرغم من ذلك كله لا يزال الزائر قادرا على رؤيه « الانسان » وسط ذلك كله .. انسانا هادئا رقيقا بالغ الدقة فى كل شيء .. على وجهه مزيج واضح من ابتسامه خفيفه تصدر عن ادب مفرط ، اكثر مما تصدر عن سعاده كامنة . ومن احساس بالواجب والالتزام نحو الاخرين يسبق الاحساس بالحق والرغبة فى الوصول اليه. وهكذا اكدت النظرة السريعة الاولى على المجتمع اليابانيصدق الظاهره التي شدتني الىاليابان..

ظاهرة النجاح في التوفيق بين ممارسة الثورة الصناعية واحراز ثمرتها المادية العديدة . وبين ممارسة القيم « الحافظة » للعلاقات الانسانية الحميمة .. وهى التجربة التى تشكل تاريخ الغرب الحديث ، خصوصا في المجتمعات الصناعية المتقدمة سؤالا خطيرا حول امكان تحقيقها .

ومع بداية المؤتمر سنحت فرصة ذهبية للتعرف على فكر المثقفين اليابانيين من اساتذة الجامعات والعلماء المشاركين في اعمال المؤتمر .. ومن خلالهم عرفنا كذلك الكثير عن اسرار هذه التجربة اليابانية . عرفنا ان المدن اليابانية ـ على ازدحامها الهائل وطرقها الضيقة المظلمة بعد غروب الشمس ، مدن آمنة تكاد تخلو من العنف والجريمة . وان الولاء للاسرة ، والوفاء الزوجى ، لا يزالان قيمة كبرى في مجتمع اليابان ، لم تنل منهما كثيرا آثار التقدم الصناعى ولا طوفان الحياة المندفعة وراء الكسب المادى كما علمنا ان ولاء اليابانى لعمله ومصنعه او الشركة التي يعمل فيها لا يقل عن ولائه لاسرته ، وهو لذلك لا يكاد يغيره الا مضطرا .. وان تغيير العمل لغير الضرورة القصوى يعتبر في نظر اليابانيين نوعا من « الخيانة » تنتقص من نظرة الناس الى صاحبه .. وان علاقة العامل برب العمل تجاوز كثيرا حدودها المعروفة في ظل فكرة « العقد القانونى » التى تسيطر على تلك العلاقة في النظرة الاوروبية فالشركة او المؤسسة راعية « للعامل » مسئولة عن مستقبله ومستقبل اولاده .. فالعلاقة اذا علاقة عطاء متبادل قبل ان تكون سباقا للاخذ المتبادل . وقفزت الى ذهنى صورة عكسية تماما سمعتها في العام الماضي من استاذة امريكية متخصصة في علم الاجتماع ضمن برنامج لعمداء كليات الحقوق نظمته جمعية اساتذة القانون بالاشتراك مع جمعية المحامين الامريكيين .. قالت الاستاذة الامريكية ان من الظواهر الاجتماعية المقلقة التى تنمو بسرعة داخل الاسرة الامريكية تزايد شعور الاباء والامهات بان ابناءهم لا يقدرون فضلهم .. وتزايد شعور الابناء بان اباءهم وامهاتهم لا يفعلون لهم شيئا يذكر .. وان الاسرة الامريكية قد بدا يتسلل اليها هذا الشعار : لا تعط الا القليل .. ولا تنتظر الا القليل .

وسط هذه الاهتمامات ، جاءت مشاركتى فى ندوة تدريس حقوق الانسان في طوكيو .. ثم في القاهرة ..

وفى طوكيو .. سبقت ندوة حقوق الانسان حلقة بحث اخرى اوسع واشمل هى جزء من مشروع رئيسي من مشروعات الابحاث والدراسات التى تتبناها جامعة الامم المتحدة ، وهى حلقة اسيوية عن الابداع فى الحضارات المحلية والبدائل المتاحة للتنمية الاجتماعية والثقافية فى عالم متغير .

رفض لسيطرة حضارة الغرب

وفى الندوات الثلاث ظهر اتجاه واضح الى ابراز دور الحضارات المختلفة والكشف عن عناصر الابداع التى ساهمت بها في تطور الحياة الانسانية .. كما بدا واضحا ان هناك اتجاها واعيا لرفض «سيطرة الحضارة الغربية » على الفكر الانساني ..

وفى كل من طوكيو والقاهرة .. وصف الاعلان « العالمي » لحقوق الانسان بانه فى حقيقته اعلان غربى يعكس رؤية الثورتين الامريكية والفرنسية للمشاكل السياسية التى عاصرت حكامها .. وانه لا يعبر ـ بالضرورة ـ عن تصور الحضارات الاخرى لحقوق الانسان ..

وفى القاهرة ـ بصفة خاصة ـ اكد عدد غير قليل من المشاركين في الندوة انه يستحيل تدريس حقوق الانسان ، كما تستحيل الحماية العملية لتلك الحقوق بغير الاتفاق على عقيدة تسندها ، ورؤية فلسفية يصدر عنها تصور تلك الحقوق ووظائفها ، وبالتالى حدودها وضمانات تنفيذها .

وتكرر في الندوتين ـ القول بان حضارات الشرق القديمة فى مصر والهند وبلاد النهرين وفى الصين واليابان ، ثم فى الجزيرة العربية منذ اشرقت عليها شمس الاسلام ، تقدم رؤى واضحة ومحددة لقضية « حقوق الانسان » ، قد لا تكون مطابقة للرؤية التى صدر عنها الاعلان العالمى الذى يدعى مع ذلك حق التحدث باسمها . وانه اذا كانت الصفوة المتعلمة والحاكمة فى اكثر بلدان العالم الثالث قد اشربت قيم الحضارة الغربية وامتلات رؤوسها بالمفاهيم والقوالب السائدة فى الفكر السياسي الغربي فان الفجوة قائمة ـ بغير شك ـ بين ما تمثله تلك الصفوة وبين ملايين البشر الذين

تكون منهم البنية الحقيقية لمجتمعات العالم الثالث .. وهذا ما يفسر تعثر كثير من الانظمة والهياكل السياسية والاجتماعية التي نقلت عن الغرب الى بلدان العالم الثالث في ميدان حقوق الانسان وفي غيره من الميادين السياسية والاجتماعية .

على ان الدعوة للرجوع الى الاصول ، وابراز الخصائص والرؤي الذاتية للحضارات الاصلية قد اتخذت ـ عند التدقيق والتامل ـ اسلوبين مختلفين في كل من القاهرة وطوكيو ..

في القاهرة .. وفي اليوم الثالث من ايام الندوة والذي خصص لمناقشة «حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية» تفجر نقاش طويل حول قضية التراث وقضية المعاصرة والتحديث .. والحدود الفاصلة بين المبادىء والتطبيق . وتجاوز البحث النطاق الضيق الخاص بحقوق الانسان ، ليمتد الى قضية تطبيق الشريعة الاسلامية والعودة للاسلام بصفة عامة .. ووسط كثير من الآراء المستنيرة العارفة باصول الشريعة ومقاصدها ، المدركة لطبيعة وحجم مشاكل الانسان المعاصر ، برزت النغمة القديمة التي عطلت مسار الاصلاح التشريعي والاجتماعي ، نغمة الدفاع الاعتذاري Apologetics التي تكتفي برفض كل التجارب الانسانية ـ طولا وعرضا ـ ما دام تطورها ونموها قد تما خارج نطاق الاسلام التاريخي او الجغرافي .. والتي يكتفي اصحابها ـ عادة ـ بتوكيد ان الاسلام حاكم لا محكوم وانه صالح لكل زمان ومكان .. وان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يتمان « بالرجوع الى الاسلام » والعودة الى مبادئه « وتنفيذ احكامه » .

اما في اليابان.. فلا اجد تعبيرا عن الاسلوب الآخر الذي اتخذته الدعوة الى الاصول وابراز خصائص الحضارات الذاتية والاصيلة للشعوب خيرا من عبارة الاستاذ تاكيو كوابارا رئيس جامعة كيوتو في كلمته الترحيبية باعضاء المؤتمر في يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٨م حيث قال : « ... اننا يجب الا نكتفي بنقد تاريخ العالم بل ينبغي ان نتجاوز ذلك النقد الى محاولة خلق مستقبل اكثر عدلا .. » ويجب ان نتجنب مجرد الثناء على ابداع الحضارات الذاتية لكل امة ، بل علينا ان نستكشف قدراتها المحتملة من خلال نظرة الى المستقبل ، وعن طريق ضرب الامثلة العملية .. » .

من الانصاف مع ذلك ان نقرر ان الموجة التي سادت في ندوة القاهرة كانت موجة معتدلة ومستنيرة وذات طابع عملي .. اذ دعا البعض ـ بدلا من الكلام العام الغامض ـ الى محاولة صياغة « اعلان اسلامي لحقوق الانسان » يعبر عن الرؤية الحضارية للامة العربية والاسلامية .. وفي الوقت نفسه حذر اكثر المتحدثين من خطر التحلل من المواثيق الدولية والدستورية التي تحمي حقوق الانسان في ظل النظام الدولي القائم انتظارا لمثل هذا الاعلان الاسلامي .. كما حذروا من خطر رفع شعارات اسلامية بقصد التوصل الى تعطيل بعض الحقوق الاساسية للانسان .. عن طريق التفسير والتاويل ..

الآلة هي التي تحكم

وفي نطاق الآفاق الجديدة لحقوق الانسان ، انتبه المجتمعون في طوكيو والقاهرة منذ اللحظات الاولى لاجتماعهم الى التطورات الهائلة التي طرات على مشاكل « حقوق الانسان » منذ دونت بعض تلك الحقوق في وثائق الثورات الاوروبية والامريكية ثم في الاعلان العالمي الصادر عام ١٩٤٨م. انتبهوا الى ضرورة الالتزام بمنهج علمي جديد متعدد الابعاد شمولي النظرة عند تدريس تلك الحقوق .. وشدت انتباههم في اقصى المشرق وفي ادناه امور خمسة توافقوا عليها :

● اولا : ضرورة ان تتم النظرة المعاصرة لحقوق الانسان من زاوية متعددة المحاور تدخل في حسابها رؤى الحضارات المختلفة التي ينتسب اليها الانسان المعاصر .. ووصفت هذه النظرة بانها « متعددة » الحضارات ..

● ثانيا : ضرورة تحرير دراسة حقوق الانسان من سيطرة الرؤية العلمية الواحدية ، اي رؤية فريق واحد من العلماء والمتخصصين . ورغم المناقشات والاعتراضات العديدة خصوصا من بعض اساتذة القانون ، سلم المجتمعون في القاهرة بدورهم بان تدريس حقوق الانسان ينبغي أن يتم على اساس « تكامل معرفي » بحيث تتضافر فيه جهود رجال القانون وعلماء السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد وعلم الانسان .. بل ان الدراسات الادبية التي قد تبدو مقطوعة الصلة

بموضوع حقوق الانسان تلعب دورا تعليميا هاما من شانه ان يخلق اهتماما شعبيا بتلك الحقوق وان يعين في النهاية على حمايتها ..

● ثالثا : الانتباه الى اثر الثورة العلمية والتكنولوجية على طبيعة وحجم العديد من المشاكل المتصلة بحقوق الانسان .

وفي مقدمة هذه الظواهر ان الانسان المعاصر في دفاعه عن حقوقه لم يعد يواجه افرادا ولا مؤسسات عادية الحجم كما كان شانه في الماضي ، بل اصبح يتعامل مع مؤسسات خاصة وعامة بالغة القوة والضخامة ولا قبل له ـ وحده ـ بالدفاع عن نفسه في مواجهتها .. فهو الان يواجه ما يسميه الباحثون ظاهرة المؤسسات العملاقة . فالحكومات الحديثة والادوات ذات النفوذ الهائل والعدد الضخم من العاملين والشركات ذات الرساميل الهائلة والنفوذ السياسي والاقتصادي الذي لا يكاد يقاوم ، واجهزة الامن القادرة على البطش بكل عنف وقسوة واجهزة المخابرات المزودة باحدث وسائل التسجيل والتجسس والتسمع واقتحام الحق في « الخصوصية » .. كل هذه مؤسسات عملاقة يواجهها الفرد وتحتاج معها حقوقه وحرياته الى مزيد من الحماية يمثل بعدا جديدا من ابعاد مشكلة حقوق الانسان في صورتها الجديدة . ولا يستطيع الباحث المعاصر في مشاكل « حقوق الانسان » ان يتجاهل آثار الدراسات في مجال الوراثة العضوية Bio-genetics وما تنطوي عليه من تدخل في تكوين الاجنة ومحاولة التحكم في خصائصها ، وما يثيره هذا التدخل من ابحاث ومشاكل قانونية واخلاقية ودينية تتعلق بحدود حق الانسان على حياته ، وحدود حق العلم في ان يقتحم على الانسان حدود تكوينه البيولوجي المستقر منذ مئات الالوف من السنين .

كذلك لا بد ان نشير الى ما توصل اليه العلم في مجال استخدام الوسائل الكيمائية في التاثير على الاعصاب والقوى الذهنية والنفسية وتوجيه الارادة والفكر بما يسمى « التحكم في العقل » مما يثير ابعادا جديدة لحدود حرية الفكر ـ والاعتقاد وحرية الشخصية الانسانية .

وفي النهاية ، لا بد ان نشير الى الدراسات العديدة المتعلقة باثر الادمغة الالكترونية على نوعية الحياة الانسانية ، وما تؤدي اليه من ميكنة وتحكم آلـي في اساليب تلك الحياة ، وتاثير تدريجي مطرد على كثير من الملكات الانسانية نتيجة الاعتماد المتزايد على المعلومات المختزنة في تلك الادمغة .

وعلى الدور الذي تقوم به في التحليل واستخراج النتائج .

محنة الاجيال المقبلة

● رابعا : ضرورة ادخال « الاجيال المقبلة » في نطاق حماية حقوق الانسان . وهذه الضرورة لها مصدران رئيسيان.. اولهما: القيم المطلقة الراسخة المستمدة من الاديان السماوية .. والثاني ، ما اشرنا اليه من انعكاسات للثورة العلمية والتكنولوجية التي امتدت بعض آثارها لتشمل الاجيال المقبلة .

(أ) اما الاديان السماوية فقد توجها الاسلام بنظرة ترى في الانسانية وحدة وجودية تختفي معها تقسيمات النسبية الزمنية التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل .. وهي وحدة عبر عنها القرآن في آيتين تقرعان الاسماع والعقول . تقول الاولى منهما : ... « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى .. » (الاعراف ١٧٢) فالالتزام الانساني بكل ما يحمله من رعاية للغير هو التزام ازلي يشد الجيل الحاضر الى مجموع الانسانية على امتدادها التارخي .

اما المسئولية عن المستقبل فيعبر عنها قول الله العزيز : ... « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا .. » (المائدة ١٢) ..

(ب) واما التقدم التكنولوجي فقد احدث تداخلا غريبا بين الحاضر والمستقبل اقتحمت به سرعة التطور حاجز النسبية الزمنية الذي اعتادته البشرية طوال قرون وعيها الحضاري . كذلك فان كثيرا من الظواهر التي ولدتها المخترعات وادوات الحضارة الحديثة تمتد آثارها الى المستقبل امتدادا يهدد حقوق الاجيال المقبلة .. ان الانسان المعاصر يملك في يديه من ادوات التاثير جيولوجيا وكيمائيا وعضويا ما يؤثر تاثيرا مباشرا على حقوق ومصالح وسلامة الاجيال المقبلة .. ان استعمال

جيلنا لبعض هذه الادوات المتطورة يمكن ان ينزل للاجيال المقبلة بيئة ملوثة ، بل يمكن ان يحدث من الخلل في بعض الظواهر الطبيعية فضلا عن ان الاستهلاك غير المسئول للطاقة واستنفاد الموارد البشرية في الارض والبحر والجو ، هذا كله يهدد الاجيال المقبلة بخطر بالغ . لهذا فان تربية ابناء جيلنا على الاحساس بالمسئولية عن ابناء المستقبل .. ينبغي ان تكون جزءا اساسيا من اجزاء برنامج التربية والتعليم في مجال حقوق الانسان . .

ان الاثار المدمرة للتفجيرات النووية ولمخلفات التجارب المتعلقة بها منها ما يظهر على الفور ومنها ما يتراخى ظهوره جيلا او اكثر . وكثير من التجارب التي يجريها العلماء اليوم في ميدان الوراثة العضوية، وما تنطوي عليه بعضها من تدخل في تكوين الاجنة ومحاولة التحكم في خصائصها يثير مشاكل قانونية واخلاقية ودينية عديدة تتعلق بحدود حق الانسان على حياته .. وحق العلم في ان يقتحم على انسان اليوم وانسان الغد حدود تكوينها البيولوجي .

على هذه الامور كلها التقت الندوتان .. وتوافقت اراء كثرة من المشاركين فيها .. في طوكيو والقاهرة على السواء ..

ماذا عن الضمانات ؟

ولكن سؤالا كبيرا ظل يلح على المؤتمرين .. كما لا يزال يلح على واقع الممارسة العملية « لحقوق الانسان » وهو .. هل من سبيل بعد ذلك كله الى توفير حماية عملية وفعالة لحقوق الانسان .. ؟ وفي تواضع العلماء وواقعية المجربين سلم اكثر المتحدثين والباحثين بانه لا يوجد ضمان كامل ولا مطلق للحريات .. فان المسالة سوف تظل دائما مسالة نسبية .. وان الجهد الانساني انما يطمح الى زيادة فرص تمتع الانسان بقدر معقول من الحماية لتلك الحقوق ..

وبرز هنا كذلك امران .. نختتم بهما هذه الجولة السريعة مع حقوق الانسان ..

- الامر الاول : ضرورة مواصلة الاهتمام بالضمانات القانونية والقضائية بصفة خاصة .. وفي مقدمتها توسيع نطاق الرقابة القضائية على اعمال الحكام .. ومضاعفة الاهتمام بضمانات المتهمين في مواجهة سلطات التحقيق والاتهام الجنائي .. وضرورة تقييد السلطات الاستثنائية للحكومات ، خصوصا في عالمنا الثالث حيث تعيش اكثر المجتمعات السياسية في ظل احكام عرفية واحوال طوارىء اكثر عمرها السياسي ..

- الامر الثاني : انه مهما بذل من جهد في تنظيم الضمانات الدستورية والقانونية فسيظل الراي العام المستنير القوي هو الضمان الفعال لحقوق الانسان .. واستنارة الراي العام هي المدخل الى قضية « تدريس حقوق الانسان » التي اجتمعت الندوتان تحت لوائها .. ■■

د . احمد كمال ابو المجد

التعبير بالقهوة

● يتبع الاهالى فى أجزاء من بوسنه وهيرزيجوفينا بأواسط يوغسلافيا طريقة فريدة تعتمد على اللباقة فى اتمام موضوع الزواج . فالشاب الذى يتقدم الى أى أسرة طالبا الزواج من احدى فتياتها عليه أن يبحث مع أهلها فى جميع نواحي الزواج المنتظر وأن يتناول الطعام والشراب الذى يقدم اليه . وفي نهاية النقاش لا تعطى أسرة الفتاة رأيها فيه صراحة بنعم أو لا ، وبدلا من ذلك تقدم له القهوة فاذا كانت حلوة فمعنى ذلك أنه قبل زوجا للفتاة ، واذا كانت مرة فطلبه مرفوض وعليه أن يجد حظا أفضل فى مكان آخر .

« هى خدعة تتحمل مسئوليتها المخابرات الامريكية »

بقلم : مجدى نصيف

اجمع سبعة شهود عيان من المهندسين والفنيين العاملين «بشركة نفط الكويت » الذين كانوا قد توجهوا لاصلاح محطة ضخ النفط ،على ان سبب توقفها يرجع الى هبوط طبق طائر فى المنطقة . وان المحطةعادت الى العمل تلقائيا بمجرد اقلاعه.

وصف الفنيون- وبينهم خبيرامريكى -الطبق بقولهم انهم فوجئوا بجسم غريب يجثم على الارض علىبعد نحو ٢٥٠مترا منمحطةالضخ : « كانالجسم اسطوانى الشكل ، يفوق حجم الطائرة العادية ، وتعلوه قبة حمراء اللون • » •• وخلال تردد الفنيين من الاقتراب من الجسم . والذى استمر سبع دقائق . بدأ الطبق الطائر يرتفع قليلا •• قليلا عن سطح الارض ، وفى هدوء مثير للدهشة، حتى غاب عن الانظار دون أن يسمع له صوت ، او يشاهد احد بداخله •• وعندما عاد الفنيون الى محطة ضخ النفط ، وجدوا ان اجهزتها قد عادت الى العمل تلقائيا ، بمجرد مغادرة الطبق الطائر سماء المنطقة •

واكد العميد محمد احمد الحمد مدير الادارة العامة للامن العام ان جميع شهود الحادث من المهندسين والفنيين يتمتعون بمقدرة علمية واطلاع واسع ، وقد اجمعوا على ان الجسم الغريب شبيه بالاطباق الطائرة•لانمثلهذهالاطباقلميكشفالنقاب عن حقيقتها تماما حتى الان ، وكل ما هو معلوم عنها ، هو مشاهدتها فى انحاء متفرقة من العالم، كما ان العلماء المختصين فى هذا المجال لم يتوصلوا بعد الى معرفة صفات هذه الاطباق ، سوى انها صحون تظهر بين فترة واخرى دون التوصل الى نتيجة علمية يقينية ثابتة بصددها • لكن الملاحظ انها لا تهبط الا فى أماكن مكشوفة وبعيدة عن المدن ، وخلال وجودها تتعطل أجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية وغيرها من الاجهزة الدقيقة القريبة منها •

كانت هذه هى قصة اول طبق طائر فى وطننا العربى • لكن القصة لها فصول سابقة شغلت الناس وحيرتهم منذ الاربعينات •

صورة نشرتها مجلة تايم الامريكية في عدد ٢٠ نوفمبر الماضي لجسم متوهج وصف بانه طبق طائر

بداية القصة

لقد بدات قصة الاطباق الطائرة في مساء ٢٤ يونية ١٩٤٧ • عندما كان « أرنولد كيث » يطير الى واشنطن في طائرته الخاصة • وفوق جبال كاسكار على ارتفاع ٩٢٠٠ قدم ، لاحظ سلسلة من الومضات ، ورأى ما اعتقد انه مركبات تقترب بسرعة هائلة • كان هناك تسعة أجسام لامعة على شكل اقراص تبتعد عنه بمسافة قدرها بين ٢٠ و ٢٥ ميلا • وكان طول كل جسم يتراوح بين ١٣٫٥ الى ١٥ مترا وتسير بسرعة ١٧٠٠ ميل في الساعة •

تلقت الصحافة الامريكية الخبر واحتل الصفحات الاولى والمانشيتات الرئيسية لاغلفة المجلات في كل أنحاء الولايات المتحدة • وبدأت اجهزة المخابرات العربية في سؤال « ارنولد » خوفا من ان تكون هذه الاطباق نوعا من الطائرات السوفيتية الجديدة•

لم يشك احد في رواية « ارنولد » فقد كان طيارا ذا خبرة ومواطنا ذا سمعة طيبة ، ومع ذلك ذكر العلماء بعض الملاحظات حول قصته • فلو كان طول الطبق الطائر بين ١٣٫٥ و ١٥ مترا كما قال ، فلا بد وان تكون المسافة اقرب من عشرين ميلا • ذلك أن اطباقا بهذا الطول وعلى بعد هذه المسافة لا يمكنه رؤيتها • ولو كانت المسافة التي ذكرها مضبوطة فلا بد وان يكون طول الطبق ٦٣ مترا على الاقل • وعلى ذلك فان السرعة التي ذكرها ليس لها أى معنى ، حيث لا يمكن تحديد السرعة الحقيقية وهو في طائرته الا بتحديد الحجم الحقيقي للجسم والمسافة الحقيقية التي يبعد بها الجسم عن الطائرة •

وبعد الدراسات المستفيضة التي قام بها خبراء الطيران في القوات الجوية الامريكية ،لم تستطع التوصل الى اى شيء على وجه الدقة • كل ما في الامر ان هذه الدراسات زادت الامر غموضا عندما قالت انها قد تكون طائرات اومركبات فضائية او سحبا اخذت هذا الشكل نتيجة للتوافق مع بعض الظواهر الطبيعية•

وكان المفروض ان تنتهي القصة عند هذا الحد• الا ان الناس في أنحاء الولايات المتحدة بدأت ترى الاطباق الطائرة، وفجأة، بعد أن رآها أرنولد وتوالت البلاغات للهيئات المسئولة،رغم أن أرنولد نفسه ظل صامتا لا يتحدث بعد أن روى بصدق كل ما شاهده•وتلقف ناشر ذكي هو «ريموند بالمر» الحكاية وارسل الى «ارنولد» يطلب منه ان يقص قصته على العالم •فوافق ارنولد على بيع قصته ونشرها ، فاسرع الناشر الذكي بتأسيس مجلة جديدة متخصصة في قصص الاطباق الطائرة• وفي اول عدد من اعدادها ظهرت قصة «كنيث ارنولد » بقلمه تحت عنوان :«رأيت الاطباق الطائرة »(١٩٤٨) ورغم انه لم يكن كتابا محترفا،الا ان محررا اعاد كتابة قصته بطريقة صحفية مثيرة ،فجاءت مغايرة قليلا لما ذكره للخبراء في المخابرات الامريكية ،وخاصة في التفاصيل الهامة الدقيقة•فقد ذكر على سبيل المثال ان واحدا من الاطباق التسعة كان لـونه

داكنا اكثر من الثمانية الاخرى ،وانه يختلف في شكله قليلا ،وهذا مالا يوحي الى القارىء انه الطبق « القائد » • ولدنسي ارنولد ان يذكر هذا في تقريره للمسئولين ونسي ان يذكره لاصدقائه ، بل وحتى نسي ان يذكره لزوجته !

واستمــر « ارنولد » يكتب في الاعداد التالية من المجلــة • فكتب في العدد الثاني مباشرة مقالا بعنوان : «هل هناك زوار من الفضاء الخارجي؟» ولم تكتف المجلة بقصة ارنولد وحدها ، بل بدات تنشر قصصا اخرى عن « الاطباق الطائرة » باقلام من شاهدوها ثم لم تستطع المجلة ان تستوعب كـل قصص الاطباق ، فاسس بالمر مجلتين اخريــين متخصصتين ايضا في الاطباق الطائرة •

وازداد الاهتمام في الولايات المتحدة بقصصــص الاطباق التي اصبحت لغزا يشغل الراى العام الامريكي • وارتفع عدد الذين شاهدوها من ٤٠٠ امريكي عام ١٩٦٣ حتى وصل الى ٨٨٦ في عام ١٩٦٥ •

ومنذ سجل ارنولد طبقه الطائر الاول فــي يونيه ١٩٤٧،اندفع آلاف الامريكيين ينشئون «نوادي الاطباق الطائرة» «جمعية الاطباق البينكوكوبية (اوكلاهوما) » ، « جمعية ابحاث الفضاء بين القارات» (نبراسكا) « مركز رصد الاطباق » (جورجيا) ، الجمعية الدولية للاطباق الطائرة » (ايداهو)، « الجمعية الدولية للاطباق البينكوكبية » (اوهيو) وغيرهـا • ولكــن اقــدم هــذه الجمعيــات هي«جمعية بحوث الظواهر الجوية» (اريزونا)وتصدر نشرةنصف شهرية• ومن هذه الجمعيات ما له طبيعة دينية• وتعلن هذه الجمعيات بالذات ان «الاطباق الطائرة» تاتي من العوالم الاخرى ، وتهبط على الارض في بعض الاحيان وتترك آثارها على شكل مواد معدنية او عضوية •

ولعل اكبر هذه الجمعيات من حيث عدد الاعضاء والتاثير هي « الجمعية القومية لرصد الظــواهر الجوية » (نيكاب) ولها الفرع في معظم الولايات الامريكية ، ومجلتها نصف شهرية توزع علــى اعضائها وعلى الشخصيات الهامة،وهي تنشر مشاهدات اعضائها على شكل تقارير غير علمية ، لانها لا تحدد الزمان ولا الاماكن بالدقة ولا اتجاه الحركة ولا السرعة ، وعضوية الجمعية مفتوحة لاى مواطن غير شيوعي •

ورغم ان اعضاء هذه الجمعية يشغلون مناصب هامة في التلفزيون والصحافة والاذاعة والكنيسة وبعضهم علماء في الهندسة والطب والطيران وعلم النفس، الا ان الملاحظ انه ليس بينهم خبراء في المجالات المرتبطة بالظواهر الجوية اى في مجالات الفلك والارصاد والرادار والضوئيات •

وتهاجم هذه الجمعية تقارير اللجنة الحكوميــة التي تشكلت بعد رواية ارنولد للتحقيق فــي الظواهر التي يبلغ عنها وتكتب التقارير المفسرة لها • ويرمز لهذه اللجنة باحرفها الاولى ، اتيك، وكل تقارير هذه اللجنة تنفي بشدة قصص الاطباق الطائرةوقالت عنها «ان الاسم نفسه اكثر الاسماء خطا في التاريخ ، فلا هي شيء عادي ، ولا هـي تطير على الاطلاق ! »

الدراسات والتقارير العلمية

منذ تشكلت لجنة « اتيك » وهي تتولى تقصى الحقائق وكتابة التقارير • احد هذه التقارير يقول انه منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٦ سجلت اللجنة عشرة آلاف و ٤٧ حالة لرؤية اطباق طائرة من المواطنين « الامريكيين » • قامت اللجنة بتفسير ٩٨٪ من هذه الحالات ، ولم تستطع التحقق من الـ ٢ بالمائة الباقية • الا ان الذين يؤمنون بان الاطباق هي سفن فضاء من كواكب اخرى يتجاهلون الـ ٩٨٪ من الحالات ويتشبثون بالـ ٢ في المائة الباقية • لذا رصد السلاح الجوى الامريكي في عام ١٩٦٦ مبلغ ٣١٣ الف دولار لعمل دراسة حول الموضوع تشارك فيها المعاهد والجامعات ومراكز البحوث • لكن المعاهد خشيت التصدى لبحث هذه القضية « الجماهيرية » ، بينما وافقت جامعـة كولورادو على تولي هذه المسئولية ، ورأس اللجنة « الدكتــور ادوارد كوندون » استاذ الفيزياء بالجامعة والحاصل على جائزة نوبل ، وتعاون معه اكثر من عشرين عالما في جميع فروع العلم المتصلة بهذا المجال،مثل علماء الفيزياء الفلكية والاتصالات اللاسلكية والبيولوجيا وعلم النفس وغيرهـا • قامت اللجنة بدراسة جميع التقارير • واثبتت الدراســات التي وقع عليهـا كل هؤلاء العلماء والتي طبعت في الف صفحة انه لم يثبت لهـا وجود اطباق طائرة تاتي من عوالم اخرى ، بل هي ظواهر طبيعية تحدث في ظروف جوية معينة ، يخيل للمشاهد معها انه يرى طبقا طائرا •

اما تقرير « اتيك » فيلخص الخط العلمي لهذا

الظاهرة فى ثلاث نقاط هامة هى :

اولا : لا تشكل ظاهرة الاطباق الطائرة اى خطورة على الامن القومى للولايات المتحدة الامريكية ٠

ثانيا : ليس هناك دليل واحد على ان هذه الاطباق الطائرة تمثل تطورا تكنولوجيا بعيدا عن مستوى المعرفة العلمية والتكنولوجية السائدة الان على كرتنا الارضية ٠

ثالثا : ليس هناك دليل واحد على ان الاطباق الطائرة هى سفن جاءت تزور الارض من عوالم اخرى ٠

الطبق كما وصفوه

ما هو شكل الطبق الطائر الذى وصفه « من شاهدوه » ؟

كل الاطباق التى شاهدها الناس ليست موحدة الشكل بطبيعة الحال ٠ فقد تراوح شكل الجسم بين القرص والطبق والمغزل والحلقة والسيجار ٠ اما حجمه فيتراوح بين الستة امتار حتى مئات الامتار ٠ ويختلف اللون ليغطى جميع الوان الطيف : من الابيض حتى الاسود وما بينهما من رمادى واحمر واصفر وازرق واخضر الى آخره ٠ وسرعة الطبق قد تكون بطيئة او فى سرعة الضوء او فى سرعة الطائرة النفاثة ٠ وبعضها يتحرك بدون صوت ، ويصدر الاخر اصواتا مختلفة ٠ لكن الذى اجمع عليه كل هؤلاء الشاهدين ، انهم لم يروا احدا من سكان الكواكب الاخرى سواء يقود هذه الاطباق او ان احدهم ترجل ونزل على كوكب الارض اثناء هبوط الطبق على سطح الكرة الارضية ٠

ويقول « هـ ٠ منيزل » و « ليل ج ٠ ييمر » الامريكيان اللذان الفا كتاب « عالم الاطباق الطائرة » وهو اهم المراجع فى هذا المجال :

« ان مئات الظواهر الغريبة التى رصدت فى السماء ، وصور الاطباق الطائرة التى دار حولها جدل عنيف ، والتقارير التى وضعتها القوات الجوية الامريكية ، ونوادى وجمعيات الاطباق الطائرة التى تشكلت ، وجمعية « النيكاب » وحربها ضد السلاح الجوى الامريكى : كل هذه الظواهر والناس والحواديث ، ان هى الا فصول من دراما ضخمة مخططة ، ادخلت « كخدعة » على الرأى العام الامريكى ٠ والمفروض ان المسئول الاول عن هذه المسرحية هى « وكالة المخابرات المركزية ، وهى تريد بهذه الضجة ان تخفى اشياء عن الجمهور الامريكى ، اشياء لا نعلمها » ٠

منذ اطلاق اول قمر صناعى فى ٤ اكتوبر ١٩٥٧ ، هناك مئات العلماء فى جميع مراصد العالم ومراكز المراقبة ، يرصدون حركة الاقمار وسفن الفضاء ، وترصد محطات الرادار كل قمر حول الارض ٠ ولم يسجل اى منها « هبوط » الاطباق الطائرة ٠

ووضع الانسان قدمه على سطح القمر تابع الارض ، وستضع البشرية اقدامها دون شك على كواكب المجموعة الشمسية ، ثم تتابع غزوها خارجها ٠ ولا شك ان هناك ـ من الناحية المنطقية والعلمية ـ حضارات اخرى موجودة فى هذا الكون الواسع ،ويستعدالعلماء للاتصال بتلك الحضارات، ولا شك ان سكان العوالم الاخرى يحاولون بدورهم الاتصال بنا ، لكن لا يمكن لهؤلاء الزوار ان يأتوا ويهبطوا على الارض ثم لا يتصلون بسكانها ٠ ان الهدف الاول لسكان الكواكب الاخرى هو الاتصال ، وليس الاستعراض ٠ ■ ■

لندن ـ مجدى نصيف

مجرد حشرات متوهجة !

هذه الاجسام المتوهجة والطنانة قد تكون مجرد حشرات تحدث وميضا عند حدوث ظاهرة جوية نادرة العواصف باسم « بريق سينث المو» هذا مايقوله اثنانمن علماء الحشرات الامريكيين هما فيليب كالاهان ومساعده« مانكن» فيدراسة قاما بها بعد أن اثار انتباههما التماثل بين ما نشر عن تحركات الاطباق الطائرة ، ونشاطات الحشرات ٠ وقاما بتجربة توليد حقول كهربائية مشابهة لتلك التى تتولد خلال العواصف، ثم وضعنا بعض الحشرات داخل هذه الحقول ، وكانت النتيجة أن تحولت هذه الحشرات الى اجسام متوهجة اشبه بالاطباق الطائرة ٠

مجلة تايم ـ عدد ٢٠ نوفمبر ٧٨

والمعتقدات ، وتتناول كل ما بنى على هذه الآراء والمعتقدات من تقاليد وعادات ، ومن قيم اخلاقية واجتماعية يمارس الناس الحياة على اساس منها .

ولم يكن من شان قريش ان تنقاد له في مثل هذه التغيرات ، ولا ان تسلم له في سهولة ويسر بان يحدث مثل هذه التغيرات في مواريثها الثقافية والدينية . ولذا قام الصراع فيما بينهم وبينه ـ الصراع الفكري اولا ، ثم الصراع الجسدي ثانيا ، الصراع الذي انتهى بالهجرة ، وانتهى باتخاذ يثرب بدلا من مكة مستقرا له ومنطلقا لدعوته .

المشكلة الأولى والكبرى

كانت مشكلته الاولى ، ومشكلته الكبرى التي ترتبت عليها جميع المشكلات ، هي دعواه بان الله قد بعثه اليهم نبيا رسولا .

كانوا يقولون له فيما حكى القرآن عنهم : لست مرسلا . وليس من شك انهم لو صدقوا انه حقا رسول الله اليهم لآمنوا به وبكل ما جاء به من عند الله ، ولحدثت التغيرات الجذرية المرجوة في سهولة ويسر

لقد انكروا انه رسول الله اليهم ، وكان انكارهم قائما على معتقدات دينية وقيم اجتماعية هي عدتهم في الصراع الفكري الدائر فيما بينهم وبينه . وكان هو بتوجيهات من القرآن الكريم يبين لهم أن سنة الله في ميدان النبوة والرسالة تغاير كل المغايرة هذا الذي يتمسكون به ويدافعون عنه من معتقدات دينية وقيم اجتماعية . ان سنة الله هي الظواهر الاجتماعية التي لا تتخلف في القادة ، وفي ميادين القيادة . وان سنة الله هذه هي التي سوف نتعرف عليها من تلك البدائل التي يستهدف القرآن الكريم احلالها محل ما كانوا يملكون من متغيرات .

كانوا يملكون في هذا الميدان ثلاث ادوات للتقييم ، وكانوا يستثمرون هذه الادوات جميعها في تقييم محمد بن عبد الله (ص) ، وفي التعرف على حقيقة تلك الدعوى التي يدعيها وهي : أنه رسول الله اليهم :

(١) كانت الاداة الاولى : عقيدة دينية يؤمن معتقدوها ان رسول الله الى الناس لا يكون من البشر ابدا ، وهؤلاء هم الذين صور القرآن الكريم موقفهم من محمد عليه السلام حين قال : « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا : ابعث الله بشرا رسولا ؟» ـ « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شيء » ـ « ابشر يهدوننا ؟ » .

واصحاب هذه المقالة هم الذين رد القرآن الكريم عليهم مقالتهم تلك بقوله تعالى : ـ « قل : من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس» ـ « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم » ـ « ولو جعلنا ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

والآية الاخيرة انما تعني ان رسول الله الى الناس لا بد من أن يكون في صورة البشر حتى ولو كان من الملائكة . ولو كان من الملائكة وجاء في صورة البشر لالتبس الامر على هؤلاء الناس وتعذر عليهم ان يعرفوا في يقين ان كان من الملائكة او من البشر . ان الامر سوف يلتبس عليهم ويصبحون في حيرة .

ويرى الرازي ان هذه العقيدة الدينية قد وفدت الى شبه الجزيرة العربية من غير طريق اليهودية والنصرانية لانهما باعتبارهما من الديانات السماوية لا يقران هذه العقيدة ، ومن شانهما ان يرفضاها وينكراها .

ويرى الشهرستاني أن هذه العقيدة اثر من آثار الديانة الفارسية .

وهذا هو قول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: «وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام .. الخ » .

« القول الظاهر ان هذه الشبهة وهي قولهم الله اعلى واجل من ان يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة .. »

ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب ، فامرهم الله بان يرجعوا في هذه المسالة الى اليهود والنصارى ليبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها ، فان اليهودي او النصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها » .

اما قول الشهرستاني فهو : ـ

« ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان . والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربون اليه وهم الروحانيون . قالوا:

والانبياء امثالنا فى النوع واشكالنا فى الصورة يشاركوننا فى المادة ـ ياكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويضاهوننا فى الصورة • اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم ؟ وباية مزية لهم لزم متابعتهم ؟ « ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » •

هذه العقيدة او هذه الاداة من أدوات التقييم لمحمد بن عبد الله هى التى جعلت أهل مكة يذهبون الى ان محمدا هذا ليس بالنبى الرسول ، وانه من اولئك الذين يعرفونهم ويعرفون اتصالاتهم بالارواح الخفية من الكهان والسحرة والشعراء ، أو ممن مسهم الجن واصابهم بسوء • ووقف القرآن طويلا عند هذه الصفات وردها ، وانكر ان يكون محمد عليه السلام كاهنا اوساحرا او شاعرا او مجنونا•

وانكر القرآن الكريم أيضا ان تكون عملية اتصال هؤلاء بالارواح الخفية عملية صادقة او عملية منتجة • فالارواح التى يدعى الكهان والسحرة ومن اليهم الاتصال بها تعجز عجزا تاما عن ان تعرف امور الغيب التى يدعى الكهنة والسحرة انهم يطلعون على الغيب عن طريق هذه الارواح •

يقول الله تعالى : ـ « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » •

ويقول تعالى : ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » •

ويقول على لسان الارواح الخفية ذاتها : ـ « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » •

تلك هى العقيدة التى اتخذ منها اهل مكة أداة لتقييم محمد بن عبد الله عليه السلام ، والتى انتهت فيها عملية التقييم الى انه ممن يتصلون بالارواح الخفية ، كاهن او شاعر او ساحر أو مجنون ـ اى انه ليس برسول •

ولقد بين القرآن لنا خطا هذه العقيدة ، وأكد لنا ان رسول الله الى الناس لا بد من ان يكون من البشر ، وان جميع المرسلين الذين جاءوا قبل محمد كانوا رجالا يوحى الله اليهم ويبعث بهم انبياء مرسلين •

قيادة البشر لا بد وان تكون من البشر وتلك هى الظاهرة الاجتماعية التى لم تتخلف من امر الانبياء المرسلين ان تلك هى سنة الله فى خلقه •

بحثا عن المعجزة

٢ـ كانت الاداة الثانية التى يستثمرونها فى عمليات التقييم هى المعجزات ، وهى عقيدة دينيه استمدها اهل مكة من اهل الكتاب • لقد كان هؤلاء يعتقدون ان الرسول من البشر وليس من الملائكة، انه بشر يوحى اليه ـ ولكن لابد من معجزة اى من امر خارق للعادة يتبين الناس منه ان هذا الانسان هو رسول الله حقا•

واداة التقييم هذه هى التى كانت تدفع باهل مكة الى ان يطلبوا من محمد عليه السلام ان ياتيهم باية تدل حقا على انه النبى المرسل اليهم والقرآن الكريم يذكر لنا من اقوال المشركين واقوال اهل الكتاب من أمر المعجزة الدالة على صدق النبوة والرسالة ما يلى : «وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله او تاتينا آية • كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم • قد بينا الآيات لقوم يوقنون » •

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، او تسقط السماء كما زعمت كسفا او تاتى بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف ، او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه• قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا » •

« يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا : ارنا الله جهرة » •

والمسلمون لا يزالون يعتقدون فى هذه الاداة للتقييم حتى الان ، ويبحثون لكل نبى رسول عن معجزة يتخذون منها الدليل على صدق النبوة والرسالة •

ويرى بعض المفسرين كالرازى ان هذه الاداة من ادوات التقييم معقدة الى الغاية ، ذلك لان الاعتماد عليها يتطلب العديد من المعجزات فى كل نوبة من نوبات الوحى •

يقول فى نهاية تفسيره الطويل لآية « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، او من وراء حجاب ، او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء •• » يقول:

والمعتقدات ، وتتناول كل ما بني على هذه الاراء والمعتقدات من تقاليد وعادات ، ومن قيم اخلاقية واجتماعية يمارس الناس الحياة على اساس منها .

ولم يكن من شان قريش ان تنقاد له في مثل هذه التغيرات ، ولا ان تسلم له في سهولة ويسر بان يحدث مثل هذه التغيرات في موازينها الثقافية والدينية . ولذا قام الصراع فيما بينهم وبينه ـ الصراع الفكري اولا ، ثم الصراع الجسدي ثانيا ، الصراع الذي انتهى بالهجرة ، وانتهى باتخاذ يثرب بدلا من مكة مستقرا له ومنطلقا لدعوته .

المشكلة الأولى والكبرى

كانت مشكلته الاولى ، ومشكلته الكبرى التي ترتبت عليها جميع المشكلات ، هي دعواه بان الله قد بعثه اليهم نبيا رسولا .

كانوا يقولون له فيما حكى القرآن عنهم :لست مرسلا . وليس من شك انهم لو صدقوا انه حقا رسول الله اليهم لآمنوا به وبكل ما جاء به من عند الله ، ولحدثت التغيرات الجذرية المرجوة في سهولة ويسر

لقد انكروا انه رسول الله اليهم ، وكان انكارهم قائما على معتقدات دينية وقيم اجتماعية هي عدتهم في الصراع الفكري الدائر فيما بينهم وبينه. وكان هو بتوجيهات من القرآن الكريم يبين لهم ان سنة الله في ميدان النبوة والرسالة تغاير كل المغايرة هذا الذي يتمسكون به ويدافعون عنه من معتقدات دينية وقيم اجتماعية . ان سنة الله هي الظواهر الاجتماعية التي لا تتخلف في القادة ، وفي ميادين القيادة . وان سنة الله هذه هي التي سوف نتعرف عليها من تلك البدائل التي يستهدف القرآن الكريم احلالها محل ما كانوا يملكون من متغيرات .

كانوا يملكون في هذا الميدان ثلاث ادوات للتقييم، وكانوا يستثمرون هذه الادوات جميعها في تقييم محمد بن عبد الله (ص) ، وفي التعرف على حقيقة تلك الدعوى التي يدعيها وهي : انه رسول الله اليهم :

(ا) كانت الاداة الاولى : عقيدة دينية يؤمن معتقدوها ان رسول الله الى الناس لا يكون من البشر ابدا ، وهؤلاء هم الذين صور القرآن الكريم موقفهم من محمد عليه السلام حين قال : « وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا : ابعث الله بشرا رسولا ؟» ـ « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شيء ، ـ « ابشر يهدوننا ؟ »

واصحاب هذه المقالة هم الذين رد القرآن الكريم عليهم مقالتهم تلك بقوله تعالى : ـ « قل : من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس» ـ « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم » ـ « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

والآية الاخيرة انما تعني ان رسول الله الى الناس لا بد من ان يكون في صورة البشر حتى ولو كان من الملائكة . ولو كان من الملائكة وجاء في صورة البشر لالتبس الامر على هؤلاء الناس وتعذر عليهم ان يعرفوا في يقين ان كان من الملائكة او من البشر. ان الامر سوف يلتبس عليهم ويصبحون في حيرة .

ويرى الرازي ان هذه العقيدة الدينية قد وفدت الى شبه الجزيرة العربية عن غير طريق اليهودية والنصرانية لانهما باعتبارهما من الديانات السماوية لا يقران هذه العقيدة ، ومن شانهما ان يرفضاها وينكراها .

ويرى الشهرستاني ان هذه العقيدة اثر من آثار الديانة الفارسية .

وهذا هو قول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: «وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام .. الخ » .

« القول الظاهر ان هذه الشبهة وهي قولهم الله اعلى واجل من ان يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة .. » .

ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى اصحاب العلوم والكتب ، فامرهم الله بان يرجعوا في هذه المسالة الى اليهود والنصارى ليبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها ، فان اليهودي او النصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها » .

اما قول الشهرستاني فهو : ـ

« ومذهب هؤلاء ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان . والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله ، وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربون اليه وهم الروحانيون .قالوا:

الانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة ـ ياكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويضاهوننا في الصورة • اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم ؟ وباية مزية لهم لزم متابعتهم ؟ « ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » •

هذه العقيدة او هذه الاداة من ادوات التقييم لمحمد بن عبد الله هي التي جعلت أهل مكة يذهبون الى ان محمدا هذا ليس بالنبي الرسول ، وانه من اولئك الذين يعرفونهم ويعرفون اتصالاتهم بالارواح الخفية من الكهان والسحرة والشعراء ، او ممن مسهم الجن واصابهم بسوء • ووقف القرآن طويلا عند هذه الصفات وردها ، وانكر ان يكون محمد عليه السلام كاهنا اوساحرا او شاعرا او مجنونا•

وانكر القرآن الكريم أيضا ان تكون عملية اتصال هؤلاء بالارواح الخفية عملية صادقة او عملية منتجة • فالارواح التي يدعي الكهان والسحرة ومن اليهم الاتصال بها تعجز عجزا تاما عن ان تعرف امور الغيب التي يدعي الكهنة والسحرة انهم يطلعون على الغيب عن طريق هذه الارواح •

يقول الله تعالى : ـ « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » •

ويقول تعالى : ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » •

ويقول على لسان الارواح الخفية ذاتها : ـ « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » •

تلك هي العقيدة التي اتخذ منها اهل مكة اداة لتقييم محمد بن عبد الله عليه السلام ، والتي انتهت فيها عملية التقييم الى انه ممن يتصلون بالارواح الخفية ، كاهن او شاعر او ساحر او مجنون ـ اى انه ليس برسول •

ولقد بين القرآن لنا خطا هذه العقيدة ، واكد لنا ان رسول الله الى الناس لا بد من ان يكون من البشر ، وان جميع المرسلين الذين جاءوا قبل محمد كانوا رجالا يوحى الله اليهم ويبعث بهم انبياء مرسلين •

قيادة البشر لا بد وان تكون من البشر وتلك هي الظاهرة الاجتماعية التي لم تتخلف من امر الانبياء المرسلين ان تلك هي سنة الله في خلقه •

بحثا عن المعجزة

٢ـ كانت الاداة الثانية التي يستثمرونها في عمليات التقييم هي المعجزات ، وهي عقيدة دينيه استمدها اهل مكة من اهل الكتاب • لقد كان هؤلاء يعتقدون ان الرسول من البشر وليس من الملائكه، انه بشر يوحى اليه ـ ولكن لابد من معجزة اى من امر خارق للعادة يتبين الناس منه ان هذا الانسان هو رسول الله حقا•

واداة التقييم هذه هي التي كانت تدفع باهل مكة الى ان يطلبوا من محمد عليه السلام ان ياتيهم باية تدل حقا على انه النبي المرسل اليهم والقرآن الكريم يذكر لنا من اقوال المشركين واقوال اهل الكتاب من أمر المعجزة الدالة على صدق النبوة والرسالة ما يلي : «وقال الذين لا يعلمون: لولا يكلمنا الله او تاتينا آية • كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم • قد بينا الآيات لقوم يوقنون » •

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، او تسقط السماء كما زعمت كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف ، او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه• قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا » •

« يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا : ارنا الله جهرة » •

والمسلمون لا يزالون يعتقدون في هذه الاداة للتقييم حتى الان ، ويبحثون لكل نبى رسول عن معجزة يتخذون منها الدليل على صدق النبوة والرسالة •

ويرى بعض المفسرين كالرازى ان هذه الاداة من ادوات التقييم معقدة الى الغاية ، ذلك لان الاعتماد عليها يتطلب العديد من المعجزات في كل نوبة من نوبات الوحي •

يقول في نهاية تفسيره الطويل لآية « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، او من وراء حجابه او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء •• » يقول:

وعلى هذا فالوحي من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات .

المرتبة الاولى : ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى ـ المرتبة الثانية : ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة ـ المرتبة الثالثة : ان ذلك الرسول اذ اوصله الى الامة فلا بد له ايضا من معجزة . فثبت ان التكليف لا يتوجب على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات .

هذا هو قول الرازي في هذه الاداة من ادوات التقييم ، وهو قول يجيء بعيدا عن موقف القرآن الكريم ذاته من هذه الاداة ـ وبخاصة فيما يخص محمدا عليه السلام .

لقد قص علينا القرآن الكريم الشيء الكثير من امر المعجزات فيما يخص الانبياء السابقين ولا سيما انبياء بني اسرائيل ، ولكنه مضى على غير هذه القاعدة في امر محمد عليه السلام .

لقد بين القرآن الكريم لنا ان تصديق النبي عليه السلام والايمان بما جاء به ، او تكذيبه ورفض دعواه لا يتوقف ابدا على المعجزات ، وانما يتوقف على الاستعداد الذهني وعلى العوامل النفسية وادراك ما جاء به الرسول من مبادىء ومعتقدات صالحة للحياة وملبية لاحتياجات الناس .

يقول الله تعالى : « ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ،ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ـ ولكن اكثرهم يجهلون» .

ويبين في آية اخرى ان التكذيب يكون وان العداوة تنشا عندما ياتي الرسول بما لا تهوى الناس . يقول الله تعالى : «افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »

انه من هنا طلب القرآن الكريم من النبي عليه السلام ومن معه ان يتحملوا الاذى ، ويتجملوا بالصبر . يقول الله تعالى : « لتبلون في اموالكم وانفسكم، ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا . وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » .

ويبين للنبي عليه السلام ان كتاب الله ـ وهو الاداة الى التغيير الجذري ـ يكفي في الدلالة على انه رسول الله اليهم . يقول تعالى : ـ « اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .

ويبين للناس ايضا ان المعجزات انما تكون للتخويف ليس غير ، ولا علاقة لها بصدق الرسول !

يقول الله تعالى : ـ « وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها،وما نرسل بالآيات الا تخويفا »

ويعلق الطبري على الآية الكريمة : ـ «ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون» ـ بما يفيد انه لا علاقة بين المعجزة والايمان ، وانما العلاقة تكون بين المعجزة والعقاب بالهلاك .

يقول رحمه الله : ما آمن قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا : فليأت محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله ، من اهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا اذ جاءهم رسولنا اليهم بآية معجزة انهم يؤمنون .

يقول : افهؤلاء المكذبين محمدا ، السائلوه الآية يؤمنون به ان جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم اسلافهم من الامم الخالية التي اهلكناها » ـ انتهى كلام الطبري .

والظاهرة الاجتماعية التي لا تتخلف ، والتي نراها في هذا المقام من سنن الله في خلقه ، هي التي تدل عليها الآية التالية : ـ « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون،وان جندنا لهم الغالبون ،فتول عنهم حتى حين ، وابصرهم فسوف يبصرون » .

على الرسول ان يتاكد من النصر ، ولكن عليه قبل ذلك ان يتحمل التبعات الى حين تستعد النفوس وتتقبل الهداية ، وعليه ان يبصر الناس بالحقيقة الى ان يبصر الناس وعند ذلك يكون النصر .

عند ذلك يتم التغيير لصالح الناس وياخذ الناس في ممارسة الحياة على اساس من البدائل الجديدة. «وابصرهم فسوف يبصرون »» صدق الله العظيم .

ليس بالمال والجاه

(٣) واما الاداة الثالثة من ادوات التقييم فلم تكن دينية وانما هي من القيم الاجتماعية التي نبتت في شبه الجزيرة العربية ولم تفد عليها من فارس او تدخل اليها مع اهل الكتاب .

هذه الاداة عربية خالصة ومرتبطة بالوضع الاجتماعي الذي يجب ان يكون عليه من يتعرض لقيادة المجتمع في حركة اصلاحية، او حركة تغيرات جذرية .

والقيادة في المجتمع المكي كانت للملأ ـ او

للاقوياء الذين يستمدون قوتهم من كثرة الاموال والاولاد .

لقد كانوا يقولون فيما حكى القرآن عنهم :ـ « من اشد منا قوة » . وكانوا يقولون :ـ « نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين » وعلى اساس من هذا نظروا الى محمد بن عبدالله عليه السلام ووزنوه بهذا المعيار ، وكان منهم ما حكاه القرآن عنهم حين قال : ـ وقالوا: ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز . او تكون له جنة ياكل منها ..»

« وقالوا : لولا نزل القرآن على رجل من القريتين عظيم » ويعلق الرازى على هذه الاية الاخيرة بقوله :ـ « وهؤلاء المساكين قالوا :منصب الرسالة منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف»

وقد صدقوا في ذلك ، الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي : ان الرجل الشريف هو الذى يكون كثير المال والجاه ، ومحمد ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به ، وانما يليق هذا المنصب لرجل عظيم الجاه كثير المال في احدى القريتين : مكة والطائف .

وهم لم ينظروا هذه النظرة لنبي الاسلام وحده، بل نظروها الى المؤمنين ايضا . قال تعالى مصورا موقفهم : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا : اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا » .

وتقييم الناس على اساس من الثروة والجاه لن تغني عند الله شيئا . ولقد عرض للمواقف السابقة وكانت اجابته عنها كما يلي :ـ

«تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك: جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا» . «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون . ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين » .

قيمة الانسان عند الله ليست بالثروة اوالجاه، ولو كان الامر كذلك لجعل المولى سبحانه وتعالى رسله الى الناس من الاغنياء الموسرين اصحاب الجاه والسلطان .

ان قيمة الانسان عندالله انما تكون بالتقوى ـ اى الايمان والعمل الصالح . العمل الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع .

والظاهرة التى نسجلها في هذا المقام ونجعلها من سنة الله في خلقه هي ان قيادة المجتمعات في ميادين الاصلاح والتغييرات الجذرية لا تعتمد على تلك المعايير التى كان يعرفها الناس يوم ان بعث محمد عليه السلام والتى صورناها فيما مضى، وانما تعتمد على ما يملك الانسان من طاقات وقدرات ذهنية يستثمرها في العمل من اجل الارتفاع بانسانية الانسان الى المستوى الافضل .

ولقد اختار الله جميع الانبياء والمرسلين على هذا الاساس . اختارهم لما يملكون من طاقات روحية وقدرات ذهنية وليس لما يملكون من قوة تقوم استنادا الى الثروة والجاه ...

ومحمد بن عبد الله عليه السلام كان خاتم الانبياء والمرسلين ـ اى الجسر الذى يعبر عليه القادة من اختيار الله لهم الى اختيار الناس لهم . ومن هنا كان اصرار القرآن الكريم على توكيد الصفات البشرية فيه. الصفات التى يجب ان تتوفر في كل الذين يتعرضون لقيادة البشرية ممن يجيئون بعده .

لقد اختار الله محمدا ليكون القائد ، وهو اليتيم الذى آواه الله ، وهو الفقير الذى اغناه الله . وكان ذلك ايذانا بان القادة انما ينبتون نباتا شعبيا . ينبتون وسط مشكلات البشرية فيدركون ابعادها ، ويتخذون موقفا منها .موقفا يقضى عليها ويهيىء الحياة الافضل للمجموعة البشرية .

والذى يحقق الحياة الافضل هي السبيل التى حددها القرآن الكريم وجعلها من مسئوليات الانبياء المرسلين

● تعليم الناس الكتاب والحكمة ● اخراج الناس من الظلمات الى النور ● هداية الناس الى الحق والى الطريق المستقيم . وصدق الله العظيم .

■■

القاهرة ـ د : محمد أحمد خلف الله

شاعر العربية

بدوى الجبل

بقلم : اكرم زعيتر

صدر اخيرا اول ديوان شامل للشاعر بدوى الجبل ومعه مقدمة ضخمة للسياسي والكاتب الكبير اكرم زعيتر .. ونحن ننشر هنا جانبا من هذه المقدمة ، ففيها تعريف بالشاعر وبفنه وبفترة غنية من الحياة السياسية والفكرية والادبية في العالم العربي .

اقدم الى العربية شاعرها بدوي الجبل .

وعلى ان العبقرية الشاعرة من صنع الله ، ونفحة العلي الأعلى ، فان منجمها البيت الذي فيه نبتت ، وصيقلها البيئة التى فيها ترعرعت ، فالشيخ سليمان الاحمد كان من أعلام الديار الشامية فقها ولغة وادبا ، وهو في الجبل العلوي ، في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية ، مبجل في قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يرتل فيه القرآن ، ويجود الشعر ، وينظم الشيخ المتصوف في الحكمة ، وبعض مرامي الشعر الشريفة ، تساعفه قريحة ثرة . والولد (محمد) ما تتلمذ في حداثته لمدرسة ابتدائية في الجبل واعدادية في اللاذقية على قدر ما تتلمذ لأبيه في ديوانه الذي تعبق فيه طيوب الشاعرية ، حتى ليجيء اولاده الثلاثة : محمد واحمد وفاطمة شعراء .

وكان محمد وقدة ذكاء ، يتلقف في الديوان كل سرى من نظيم ونثير ، ويختزنه في مستودع اللاوعي ، لترفد مفرداته بعد ذلك ذهنه السخي ، وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل .

ولا يرى الفتى النابغ في وطنه الا ما ينم على القهر ، وما يشي الى الفقر ، وما يضرب مثلا في الاعتساف ، ولا سيما في سني الحرب العجاف ، ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الاسى ، وهمهمات التذمر ، ودبيب الأماني ... اماني الخلاص ! ثم تلمح بوارقه في ثورة الشريف الحسين ابن على امير مكة ، فتموج بالمطامح القومية ثم تتنور اشراقة المجد في الموكب الفيصلي ، يهل على دمشق ، والعربية تبعث من مرقدها ، تتلظى بالانفة والحمية .. فيبادر الى دمشق ينشد انديتها بواكير شعره ، وقد احبها ، وثبت على حبها وفضلها على بلاد العالمين .

وكان « متصرف » اللاذقية حين احتلها الفرنسيون ذلك العربى الكبير ، رشيد طليع ، الذي غدا في العهد الفيصلي وزيرا للداخلية ، وقد توثقت بينه وبين الشيخ سليمان آصرة صداقة ، وشام في الفتى « محمد » مخايل النجابة ، فلما ثار الزعيم العلوي الشيخ صالح العلي على الفرنسيين ، واخذت الحكومة الفيصلية تظاهر الحركات التحررية ، واتفق الرأي ابتغاء التوثيق والتنسيق ، على الاتصال بالشيخ الثائر في مقره الجبلي ، رشح رشيد طليع لمرافقة الوفد فتانا محمدا لنجابته ولمنزلة أبيه ، وحين عاد الوفد موفقا ، قدم رئيسه يوسف العظمة ، وزير الدفاع الفتى محمدا الى الملك فيصل منوها به ، فشكر له الملك جهده ثم واصل اتصالاته ، مما جعل الفرنسيين يحتقدون عليه ويتربصون به .

رحلة السجن

وكانت الفاجعة ، واقتحم الفرنسيون دمشق غزاة عتاة بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة ، ذاك الذى مجد الشاعر الفتى بطولته ، وشدا شهادته ، واهدى بواكير شعره « الى تلك الروح الكبيرة التى تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وعلم الشاعر ما تبيته الاحنة الفرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربى ، الشامخ الوطنية ، غريغوريوس حداد واستخفى في بيت صديق لم يمم حماة ماشيا علّه يتسلل منها الى معتصم الثوار في الجبل ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلوه ، وادموا قدميه ضربا ، ومعصميه تكبيلا وتشغيلا ، وقد رأى في السجن كيف تستباح ارواح ، وكيف يصلب مجاهدون ، ثم سيق الى حمص فبيروت حيث مكث في سجنها اشهرا ، فاللاذقية حيث لبث في قلعتها حينا ، ولما اطلق كان التنكيل به قد احتفر في خواطره الخاديد من الذكريات الراعبة .

ولعل الشاعر ، وقد اوهى الاضطهاد جلده ، واعيته مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حينا ، ولكن ما اسرع ما استغفر الله وهنأ السم به ، واستجاب للصارخة القومية ، يوم نفخ في صور الوحدة السورية ، لم يلزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب . كلا ، بل انه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمرا في حياة تنذر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفا :

« ويا رب : درب في الحياة سلكته　　وما حدت عنه لو عرفت المغيبا »

وعرفته البرلمانات الوطنية نائبا يمثل عروبةجبل العلويين من انسال غسان وتنوخ . وغاظ الفرنسيين والسنتهمهذا فعيرته صحيفة فيبيروتبموقفه فاجاب انه بحمد الله قد جهر بالوطنية وهي جذوة تحرق كف لامسيها ، وبكلمة الوطنقوية ، والهمس بها ـ خلة الجهر ـ يكلف السجن والتشريد .

وحين خاس الفرنسيون سنة ١٩٣٩ بالوعد ،ونكثوا العهد وتقوض الحكم الوطني ، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفراتيةبالانفصال ، ظل البدوي واخوانه يذودون عن الوحدة . ثم اسقطت الحرب الحصانة عن النوابوايقن الشاعر انه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين فقطع البيداء لائذا بالعراق . واذكر انني كنتفي عملي ، موجها قوميا في معارف العراق ، حين باغتني البدوى ، اشعث ، اغبر ، قد اضناهالسفر ، ونهكته الوعثاء ... ولكن ما اسرع ما انبسطت اساريره باللقاء ، واطمأن الى النجاء،وانشرح صدره بالاحتفاء ، وتباشر الادباء وحملة الفكرة القومية بقدومه . وفي العراق نظم دموعالشام شعرا ، وهز ساسته ، واستثار حميتهم لنجدة اخوانه الاحرار المصفدين في غيابات سوريةولبنان .

وحين انتهت ثورة الجيش العراقي على الانكليزتلك الموسومة بالكيلانية سنة ١٩٤١ وكانتللبدوى مشاركة اعلامية فيها ، عاد الى سورية فاعتقلهالفرنسيون ، وزجوه في قلعة « كسب » على الحدود السورية التركية ، ويا لوعة قلبه حينقضى ابوه الجليل وهو في المعتقل ! على ان الشاعر السجين قد الهم في محبسه من الروائعما يزري بكثير من قصائد الحبوس ، فلم يكد يستعيد حريته حتى نودي لرثاء البطل الثائرابراهيم هنانو في حلب فراح يفجر طاقات شعره التي اختزنها منفيا او سجينا .

وبالتزكية الجماعية غدا الرجل نائبا للاذقية،وفي هذا الآن استقلت سورية وتحقق الجلاء ، فغنى الاستقلال وشدا ابطاله ، وندب شهداءه .

وفي ذكرى « هنانو » وكنت رصيفه ، ارسلقصيدته ، ذات العنفوان ، عنفوان ذوي القدمة في النضال :

« كتب المجد ما اشتهت غرر المجد　　ونحن الكتاب والعنوان
نحن تاريخ هذه الأمة الفخم　　ونحن المكان والسكان »

وفي قصيدة اخرى ، اهداها الى روح هنانو ،هي قصيدة الاباء والكبرياء ، لا يحجبهما سجن ولا يخفيهما قبر :

« اذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة　　ففي نفسه دنيا هي العز والكبر
وان حجبوا عن عينه الكون ضاحكا　　اضاء له كون بعيد هو الفكر »

البلبل الغريب

وقد تمثل لي ، وانا اسمعها ، ابو الطيبالمتنبي : فحلب موطن سيف الدولة ، وحلبمعقل هنانو ، والبدوي في تمجيد هنانو هو المتنبي فيتعظيم سيف الدولة ، شمم انف وجزالة نظم ، وقوة بيان ورنين قواف واوزان ، وقد خاطبشاعرنا بطله :

« نماك وسيف الدولة الدار والهوى　　وغناكما اندى ملاحمه الشعر
واقسم بالبيت الحرم ما احتمت　　بامنع من كفيكما البيض والسمر
فان نعجز الشهباء فالكون منصت　　وحق بسيفي دولتيها لها الفخر »

وقضت احداث بتنحيته واخوانه عن النيابةوالحكم فاصابه ما اصابهم من مغرم ، وقد انقذه من الاعتقال محافظاللاذقية يومئذ، سعيدالسيد، وكانت له قدم صدق في الحركة الوطنية ، حين تلقى امرا بالقبض عليه فهربه بسيارته الرسميةالى لبنان .

اثرى ديوان الشعر العربي بخوالد منروائعه،« فالبلبل الغريب » وقد نظمها في فيينا ، بث فيها حنانه حفيده محمدا ، وما احسب انشاعرا قال مثلها في حفيده ، ومطلعها :

« تغرب عن مخضوضل الدوح بلبل　　فشرق في الدنيا وحيدا وغربا »

وفيها يهتف :

« تود النجوم الزهر لو انها دمي ليختار منها المترفات ويلعبا
وعندي كنوز من حنان ورحمة نعيمي ان يغرى بهن وينهبا
ويوجز فيما يشتهي وكأنه بايجازه دلا اعاد واسهبا
يزف لنا الاعياد عيدا اذا خطا وعيدا اذا ناغى وعيدا اذا حبا »

واثارت القصيدة شاعر الشام الكبير شفيق جبري فارسل رائعته « بلابل دوح » :

« سل الشام من غنى حماها فأطربا ومن راح يسقيها الشراب المطيبا »

ورد البدوي ـ وكان في جنيف ـ تحية جبري بمثلها : « حنين الغريب » :

« وفاء كمزن الغوطتين كريم وحب كنعماء الشآم قديم »

وفي جنيف اضناه الحنين الى الشام ، فجاءت « ابتهالات » اعذب ما هتف به شاعر غريب ، ورقرق عيني قوله :

« هذا الاديم ابي وامي والبداية والمآب وامومة وطفولة ورؤى كما عبر الشهاب »

وانهى « ابتهالاته » وقد تجاوزت المئة من الابيات :

« انا والربيع مشردان وللشذا معنا ذهاب
دنيا بقلبي لا تحد ولا تراد ولا تجاب
والنور يسال والخمائل والجمال : متى الاياب ؟ »

فكتبت اليه : « حبذا غربة العبقري اذا هونفح الادب بمثل « البلبل الغريب » و « حنين الغريب » .. وكم ترنح بالنشوة اديب او نواقة وهو يرتل للعبقريين بنات محنتهم وثمرات شقوتهم، على ان العبقري يثار لنفسه حين يجعل الظالم هزاة بين الناس في التاريخ ، وظلمه مخزاة لاصقة به ، سبة دهر وعار ابد ! ويثار لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه » واجابني برسالة نابغة ،ويوم تلقيتها ، جاءتني رائعة للشاعر الكبير شفيق جبري مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وقد استحال نشرها لعنف ما فيها ، فبادرت الى ارسالها الى البدوي اجمل هدية ، واوسم تحية ، وقد هتف به في مطلعها :

« يا نائحا خلف العباب ادموع عينك ام لهاب
رفقا بقلبك ان يذوب وقلب ربعك ان يذاب ! »

من وحي الهزيمة

وعاد الشاعر الى وطنه واستفزته هزيمة حزيران في فلسطين سنة ١٩٦٧ فاطلق عاصفته « من وحي الهزيمة » في مئة وثلاثة وستين بيتا ، فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات ! ! وذات صبح كان البدوي يمشي ،على عادته في الرياضة اليومية ، واذا بشرير يهوى على راس الشاعر بطعن دراك افقده وعيه ونقل محطما الى مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهود موصولة للعثور عليه حيا او ميتا ، ولكن انذارا صارما وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ اللواء حافظ الأسد الآثمين باعادته فورا ادى الى طرحه خفية في احد المستشفيات وهو يحتضر ، ونمت سامة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستنفر لذلك اطباء من سورية ولبنان حتى افاق بعد اربعين يوما من غيبوبته ، وتماثل وئيدا وئيدا من علته ،فدفعت عن تاريخ العربية معرة قتل شاعرها ، وليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال في مصرع ابي الطيب المتنبي . وقيل ان مدبر اغتيال الشاعر ، قد انتحر بعد حين ،فتذكرت ان آخر بيت في « وحي الهزيمة » هو :

« لم اهادن ظلما وتدري الليالي في غد أينا هو المدحور ! »

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث ان هز العالم نبا المناضل الايرلندي ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياما حتى الموت ،وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم لم فقي صائما، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ،وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، راى قصيدته مذيلة

بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فاجابه : « ان الناس يقرأون للشعراء المعروفين ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب ... وانت ابن الجبل » . وتوالت قصائد « البدوي » ونقلتها صحف في بيروت شـادة بها ، والناس تتساءلون : عمن يكون ؟ . أهو خير الدين الزركلي ؟ ام هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الادباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الأحمد ! » وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون .. وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه ، ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٢٨ لأجل فلسطين ـ وكنت فيها ـ كان يلقى لكل اجتماع أو حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما : « سعادة النائب محمد سليمان الاحمد » .. ومما اذكره توكيدا للقول ان نفاسة الشعر تعلن نفسها ، ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتا من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة سجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهم شعراء العصر . ادعو لها بطول العمر ! » وكنت أعلم ان تلك الأبيات من قصيدة « اللهب القدسي » لبدوي الجبل . وما لبثت المجلة حتى صححت اغلوطتها ، ولكن عبارة صيدح جـاءت على وجازتها تقويما عفويا لشعر من شاعر .

شبيه بذاته فقط

درس شاعرنا في ديوان ابيه وحفظ ووعى شعر قدامى الفحول كالمتنبي ومهيار والرضي والبحتري وابي تمام و « حماسته » ، ولكنني أقطع بأنه شبيه بذاته ، له كيان شعري مستقل بأدواته ، ديباجة وخيالا ، ومعاني ونغما ، وقد يقال في شعراء مجيدين انهم متأثرون بالبدوي ولا سيما بعد أن تذهب زبد الشعر الطلسمي المتفشي جفاء، ويمسي هباء ! على أن شاعرنا تأثر نزعته الصوفية بجده الأكبر ، الشاعر العلوي المتصوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري .

قلت : ان مدرسته ديوان ابيه ، وأشرب الى الشعراء الذين قرأ شعرهم ووعاه ، ويهمني ـ وثقافة الشاعر عنصر في خصوبة ذهنه ـ ان أقول : انه درس القرآن والحديث والنهج وأوغل في مطالعة كتب الأدب العربي كالأغاني والأمالي وآثار الجاحظ والتوحيدي ، واذا حرم معرفة لغة أجنبية فقد عب المترجمات العـربية من آداب واجتماع وتاريخ ومذكرات وروايات ، وأذكر انه قرأ مترجمات شقيقي عادل في الفلسفة والتاريخ والاجتماع وأشاد بها أي اشادة .

★ ★ ★

لي مع الشاعر تجارب ، وهذه التجارب تدلنا على انه ـ وهو الشاعر المطبوع ـ لا يصطنع الشعر اصطناعا ، ولا يملك أن يقول الشعر ساعة يشاء، وأن الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وقد يمضي وقت طويل ، لا ينظم فيه بيتا ، وقد يرسـل ثلاث قصائد في شهر واحد ! واذا سألته : لم ؟ قال : « الارادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب ... اذا لم يجئني الشعر عفوا ، تعذر على استحضاره اقتسارا » . وقد ادركت أن دواعي المنطق لا تجدي ان لم يكن ثم حافز عاطفي مثير ... وشرارة تستوقد القلب .. وحين يهتف بالمطلع متأثرا ، قد يسلس الشعر قياده ويغدو الكلام غير ما وصفه « ابو حيان » : صلفا تياها .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمـان باريس ، قرر نادي « المثنى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العـربية التي أطلق الحسـين بن علي رصاصتها الأولى ، وأردناها تظـاهرة عـربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى التخطيط للمستقبل العـربي ، ومواجهـة الاحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجون البدوي ان يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فالححت في الرجاء فاصر على الاعتذار ، فهامست نفسي.

« لا بد من اثارة عاطفية تحل عقدة من لســـان الشاعر ! » وانطلقت اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية ... فرطت في اسكندرونة . .دمرت دمشق .. انت هنا مشرد ترشف رزقك مدرسا ، وابوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة الا يراك .. ، اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها .. الجزائر ، المغرب ، تونس ... ما فعلت فيها ؟ يا للـه هل كنا نحلم ان يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما اذاقتنا ؟ وابو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحودا ، وقبر في جوار الاقصى ، وفي ذكرى الثورة انت انت الذي تنصفه ميتا كما انصفته حيا » وعلى هـذه الوتيرة استرسلت متأثرا ، الى ان برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضــات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، أو هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف بهمهم . وارق تلك الليلة .. وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت ابصار الحشد في النـادي الى البدوي وارهفت الآذان ... فانطلق :

« يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا ... رق الحـديد ومـا رقـوا لبـلوانا
خل العتـاب دموعـا لا غنـاء بهـا ... وعـاتب القـوم أشـلاء ونيرانا »

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

« اني لاشمت بالجبار يصرعه ... طـاغ وبرهقـه ظلمـا وعـدوانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها ... هلا تذكرت يا باريس شـكوانا
عشرين عاما شربنا الكاس مترعة ... من الأذى فتملى صرفهـا الآنا »

قلت ان استثارة الحس الوطني والدفاع عن الاهداف القومية من اغراض شعر البدوي ، وهو داعية الحقد الوطني على المحتل الظالم ، فمايذكي مقاومة الغاصب مثل هذا الحقد ، الذي ادعوه (الحقد المقدس) :

« آمنت بالحقد يذكي من عزائمنـا ... وأبعد الله اشـفاقا وتحنــانا
ويل الشعوب التي لم تسق من دمها ... ثاراتها الحمر احقادا واضغانا »

والفواجع والهموم والأحزان القومية مذكيات للعزائم ، حافزات للثار ، واذا كان للمؤرخ توينبي نظرية التحديات في احداث التاريخ ، فالرزايا الوطنية هي اعنف التحديات في شعر البدوي :

« وقد عرفت الرزايا وهي منجبة ... فكيف لم تلـد الجـلى رزايانا
يا وحشة الثـار لم ينهد له احـد ... فاستنجد الثار أجـدانا واكفانا »

واما الحقد الشخصي فما اسرع ما يغسله الاسى ويمحوه الحنان :

« غسل الأسى قلبي وحسبك بالأسى ... من غاسل حقـد القـلوب وماحي
ووددت حين هـوى جنـاح حمامة ... لو حـلقت من خـافقي بجناح . »

الى بناة الحدود

ومن سمات شعره القومي دعوة ملحـة الى الوحدة العربية ، واذكر اننا تراصفنا في تأبين غازي وهنانو ورياض وفي ذكرى الثورة العربية في بغداد وبيروت ، فكان في قصائده كلها داعيـة الوحدة العربية .

فهو صاحب البيت الذي اتخذناه شعارا قوميا :

« ليس بين العراق والشام حد ... هدم الله ما بنـوا من حـدود »

وله :

« يا بناة الحدود ، لا تعرف الصحـ ... راء في زحمة الأعاصيـر حــدا »

وفلسطين ، قضية العرب الاولى ، هو ذا شاعر العربية يثير النخوات ، ويؤجج الثارات ، يبكت وينقد ، وينذر ويهدد :

« قد استرد السبايا كل منهـزم ... لم تبـق في رقهـا الا ســبايانا
ومـا لمحـت ســياط الظلم دامية ... الا عرفت عليها لحـم اسرانـا

العربي ـ العدد ٢٤٣ ـ فبراير ١٩٧٩

وشعر البدوي ذو نغم رائع .. هذا النغم هوالذى يسمو به عن ابداع اللوحات الزيتية لأكابر الرسامين ، ويميزه عنها ، انه يحفظ ويرتل ، ويرنم وينغم ، ويرتسم فى الحافظة فينشد ،وبه يستشهد .

ومن العجب ان يقضي التجديد لدى البعض بتجاهل النغم ، وان يحتجوا بان مدرسة شعرية فى الغرب تقول بهذا ، وهم لا يريدون ان يدركوا ان الشعر العربي غير الاعجمي ، وبدوي الجبل الشاعر الضخم لا يكون شاعرا عربيا اذا هو تخلى فى شعره عن النغم ..

والمفردات لدى البدوى غزيرة ولكنك لا تقع على غير مانوس منها ، على طول نفسه الشعرى .

وما احسب ان اتساق اللفظ والمعنى ، ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى ، وفخامة الكلام لجسامة الحادث ، وقدرة الفن الشعري التصويرى للبدوى يتجلى بأروع من قوله فى تأبين هنانو :

« زحف البحر بالجبال من الموج ... دراكا وجرجر الطوفان
لطف الله بالسفينة لم يسلم ... شراع ولا نجا سكان
تخبط الليل ، والعواصف والركب ... حيارى ، دليلهم حيران

اما الرقة التي تناسب المعنى ، اما اللفظ الحاني الحنون ، العطوف ، فدونك رثاء سعد الله الجابرى ومطلعه :

« سأل الصبح عن اخيه المفدى ... ايها الصبح لن تشاهد سعدا ! »

نعم ان شاعرنا لا يفصل بين المعنى والديباجة وأذكر أنه سمعني يوما اردد لنابغة الشعر العربي الكبير خليل مطران قوله معجبا به :

« كمالك وعر راقه حسن كوكب ... فأرجاه تدمي وعيناه فى السما »

فبادهني : الصورة رائعة ولكن هلا قال :

« ومغرد فى البيد أغرته نجمة ... فأرجله تدمى وعيناه فى السما »

ولعل آراء الشاعر فى الشعر تفصح عن اسلوبه ، وصداقتنا الحميمة مكنتني من استبار مذهبه فى قديم الشعر وحديثه : انه لا يؤمن بوجود مدارس شعرية فالشعر اما ان يكون رفيعا أو لا يكون ، ولا وسط ، وهناك شعراء لا مدارس ، والشعر المسمى بالحديث ، لا هوية له ، ولا ثبت على الزمان ما تخلى عن الاوزان وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة او حكمة ، وقد يكون رائع الخيال وقد يكون كل شيء الا ان يكون شعرا عربيا فيه وسامة الشعر العربي ونشوته . نعم انه يفتقد الجمال الشعري لأن الاوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله الى الروح .. والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعرا والاوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن احمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ، وهي ليست صناعة ، وانما تنسكب من السريرة انسكابا ، ولا يكون المجدد فى نسفها ، وانما هو فى ابتداع المعاني والأخيلة والصور مع المام باللغة والادب ، اجل « ان الاوزان اساور وعقود ، لاسلاسل وقيود ! » . والشعر فى أوزانه أقرب الى العفوية من هذا الذي يسمونه جديدا ويقول البدوى : انه لم يدرس العروض ولكنه جعل شعره بحسه المرهف منسجما مع الاوزان ...

★ ★ ★

وقبل ان أطرح القلم ، لا يفوتني القول : انه اذا طغت المادة فى هذا العالم طغيانها ، وتضخمت فى الحياة اعباؤها ، وتعاظمت همومها وأرزاؤها ، واستشرت فى النفوس الفحولة ، وفى الارواح الجدوبة ، فانه لا بد للانسانية من اللياذ بالفن الرفيع ـ والشعر اسمى بدائعه ـ ، به تجمل وجودها ، وتبدد كآبتها ، وتخصب بالبشر وجوهها . انه لن يفقد سلطانه على الدهر ، ولن ينضب معينه من السحر ! . ■■

اكرم زعيتر

هندسة الوراثة

علم جديد حقق إنجازات مذهلة في محاولة الكشف عن أسرار الحياة

بقلم : زهير الكرمي

اخطر من طفل الانبوب :

■ الانجاز العلمي الذي حققته عملية « طفل الانبوب » له جانب يفوق العملية خطراً * وخطورة ذلك هو صلته الوثيقة بميدان علمي جديد ، بالغ الخطورة ، هو هندسة الوراثة ، فتلقيح البويضة او اخصابها خارج قناة فالوب ، وفي انابيب الاختبار ، كفيل بازالة كثير من العقبات التي كانت تعترض مساعي العلماء للسيطرة على الخلية والتحكم في اسرار الحياة •

وسنحاول هنا ان نلقي بعض الضوء على جوانب من هذا الميدان ، ونتعرض لبعض ما يقوم به العلماء فيه من تجارب وابحاث وبعض ما تسنى لهم تحقيقه من منجزات •

من المعروف ان كل كائن حي – عدا الكائنات الحية الدنيئة جدا ذات الخلية الواحدة كالبكتيريا والحيوانات الاولية – يبدا حياته كجنين ياخذ نصف خيوطه الكروموسومية او الوراثية من الاب والنصف الاخر من الام• وتبدا خلية الجنين الاولى بالانقسام والتغذي والنمو ، فالانقسام ، الى ان يصبح الجسم مكونا من بلايين عديدة من هذه الخلايا • ويكمن سر الحياة في ان الخيوط الكروموسومية التي تحمل مراكز الصفات الوراثية قادرة على نسج نفسها نسخة طبق الاصل عند كل انقسام •• وهكذا تكون النتيجة ان بلايين الخلايا في الجسم تحمل في نويتها نسخة طبق الاصل من الخيوط الكروموسومية، نوعا وعددا ، وتحمل بالتالي الصفات الوراثية التي تتمثل في تلك الخيوط • فانوية خلايا الجلد في اي انسان على سبيل المثال تحمل نفس الصفات الوراثية الموجودة في انوية خلايا دماغ ذلك الانسان، وفي كبده وعضلاته وكل جزء من جسمه •

وعند النضج يحدث في الاعضاء التناسلية انقسام يختلف قليلا عما ذكرنا • فالخيوط الكروموسومية هنا لا تنقسم بل تنفصل ، بحيث يذهب الخيط الذي جاء اصلا من الاب في خلية ويذهب الخيط الذي جاء اصلا من الام في خلية اخرى •

ومعنى ذلك ان تلك الخلايا الجنسية تحمل نصف عدد الخيوط الكروموسومية التي تحملها خلايا الجسم•

---

* راجع انباء الطب والعلم في هذا العدد صفحة ١٠٢

فاذا تزوج البالغ وحصل الاخصاب فانه يحدث بين خلية ذكرية بها نصف عدد الخيوط الكروموسومية المعتاد وخلية انثوية بها نصف ذلك العدد ، وبذا يعود الجنين ليحمل في نواته الاولى العدد الكامل المعتاد من الخيوط الكروموسومية .

ومنذ ان استطاع السير فرانسيس كريك وجيمس واتسون في كمبردج بانجلترا في منتصف هذا القرن اكتشاف تركيب هذه الخيوط المعروفة باسم الكروموسومات في انوية الخلايا ، ونتيجة لتطوير استعمال المجهر الاليكتروني نجح العلماء في رسم خرائط لهذه الخيوط الكروموسومية ، وتحديد اماكن مراكز الصفات الوراثية عليها ، وكذلك معرفة تركيب هذه المراكز وكيفية عملها في الجسم .

وفتح ذلك كله الباب على مصراعيه امام العلماء لمحاولة « اللعب » بمراكز الصفات الوراثية هذه وتغييرها او تحميل الخيط الكروموسومي بمراكز صفات وراثية جديدة لم تكن في الاصل من صفات ذلك الكائن الحي ، بل تؤخذ من كائن حي آخر وتركب على الخيط الكروموسومي بعمليات دقيقة جدا بمساعدة المجهر الكتروني . ويسعى العلماء الى زيادة اتقان عملهم باستئصال مراكز الصفات الوراثية الرديئة ووضع مراكز صفات جيدة في مكانها .

اكل لمرضى السكر

انصب اهتمام العلماء على بكتيريا تعرف باسم اشيريشيا كولاي (E.Coli) وهي بكتيريا غير ضارة تعيش في امعاء الانسان الغليظة ومسالكه الانفية . وتتميز هذه البكتريا عن ذبابة الفاكهة وغيرها من النبات والحيوان بان دورة حياتها تتم في مدى عشرين دقيقة كما ان تكاثرها نتيجة ذلك كبير وهائل ، ففي مدى يوم واحد يستطيع العالم ان يحصل على بلايين منها .

وبدأ العلماء يغيرون من صفاتها ويضيفون اليها صفات اخرى .. ولعل احدث ما توصل اليه العلماء في هذا المجال ما نشر في شهر سبتمبر من عام ١٩٧٨ من تمكن فريقين من العلماء من تحميل هذه البكتريا صفات تجعلها قادرة على انتاج الانسولين الذي ينتج عادة في غدد خاصة في بنكرياس الانسان والحيوان الثديي . وكما هو معروف يؤدي اضمحلال هذه الغدد المنتجة للانسولين في الانسان الى الاصابة بمرض السكري ... وليس لهذا من علاج ناجع ... وكل ما تمكن الطب من تقديمه هو استخلاص الانسولين من غدد بنكرياس حيوانات اخرى كالخراف والابقار ، وحقن المصاب بالسكري بهذا الانسولين ليعوض به ما افتقده نتيجة اضمحلال الغدد المفرزة له . ولكن الكشف الجديد سيتيح انتاج نوع من بكتريا الاشيريشيا قادر على انتاج الانسولين نتيجة تحميل خيوطه الكروموسومية صناعيا بمراكز صفات لانتاج هذا الانسولين ، وجعل هذه البكتريا تغزو المصابين بالسكري ، فتعيش في امعائهم ، وتنتج الانسولين لهم دون ما حاجة الى اخذ هذه المادة بالحقن . وبذلك يعود المصاب بالسكري للعيش عيشة طبيعية ، دون ان يتأثر بمضاعفات هذا المرض ، ودون ان يضطر الى مراقبة غذائه والابتعاد عن النشويات والسكريات والدهون ..

بكتريا اخرى تلتهم النفط !

هناك بكتيريا تعيش في التربة بجوار آبار النفط وتتغذى على النفط المتسرب للتربة . وقد جهد العلماء في ابحاثهم لتحديد موقع مركز الصفات (على الخيط الكروموسومي) التي تجعل هذه البكتيريا تحب مثل هذا الغذاء الغريب . وبعد ان نجحوا في ذلك نقلوا مركز الصفة هذه من تلك البكتيريا التي تعيش في التربة الى بكتيريا تعيش في البحر عادة .. وهكذا اصبحت الاخيرة قادرة على التهام النفط رغم ان هذه الصفة غريبة عليها اصلا .. ويرى هؤلاء العلماء ان مثل هذه البكتيريا المحسنة او المطورة علاج ناجح لتلويث البحر بالنفط ... فما ان يتسرب النفط من ناقلة نفط الى مياه البحر حتى تطلق اعداد من هذه البكتريا الى ماء البحر فتلتهم النفط وتنمو وتتكاثر متضاعفة على شكل متواليات هندسية كل ٢٠ دقيقة على الاكثر فلا تمضي ساعات قليلة حتى يختفي النفط من فوق سطح البحر ولو كان يغطي مساحة كبيرة . وبذا يزول اثر التلوث في فترة قصيرة ، ودون كلفة عالية كما هو الحال الان ، حيث تستخدم وسائط كيميائية او ميكانيكية غالية الثمن وتحتاج الى سفن خاصة ذات كلفة عالية وكفاءة قليلة .

من المعروف ان البكتريا تدخل في كثير من العمليات الصناعية كالتجبين والتخمر وتحسين الالياف الطبيعية .. ويعتقد العلماء ان في الوسع

ادخال صفات اضافيةجديدةعلى كثير من البكتيريا لتقوم بعمليات صناعية تجرى الان بوسائطكيميائية معقدة كثيرة التكاليف ، بما تستخدم من الات واجهزة ، وما تستنفد من طاقة ، بينما يمكن للبكتريا المطورة هذه ان تنتج نفس النتاج دون جهد ، ودون صرف طاقة ، ودون رؤوس اموال كبيرة في آلات واجهزة ضخمة •

ومن هذه المنتجات التى امكنانتاجها بالبكتريا او العفن ـ الهورمونات في صناعة الادوية والمواد الكيمائية التى تعطى صناعيا اى طعم لاية فاكهة او طعام •••

وما زالت الدراسات والابحاث جارية لتوظيف البكتريا التى غيرت صفاتها ، واضيف اليها صفات عديدة في صناعات اخرى •

فى محاولة العلماء الحفاظ على المياه باعادة استعمالها ـ وقد بدات تتبدى معالم ازمة نقص المياه العذبة في العالم ـ جرت عمليات تربية البكتريا في خزانات كبيرة تختزن فيها مياه المجارى وتقوم البكتريا بالتغذى على الفضلات الصلبة والسائلة في مياه المجارى هذه • وبشكل طبيعى يستلزم هذا خزن مياه المجارى في خزانات ضخمة مدة من الزمن لتتمكن البكتريا من انهاء عملية التغذى على الفضلات الصلبة • ومع ذلك فان البكتريا المستخدمة ، طبيعيا لا تستطيع التغذى على كل الفضلات في مياه المجارى • وبذلك لا يمكن اعادة استعمال مياه المجارى تلك الا في الزراعة • بينما يسعى العلماء في ميدان هندسة الوراثة الى اضافة مراكز صفات وراثية للبكتريا المستخدمة في هذا المجال طبيعيا ، بحيث تصبح قادرة على التهام الفضلات بانواعها كافة وبسرعة كبيرة • وبذلك يمكن الحصول من مياه المجارى على مياه عذبة صالحة لاستعمالات الانسان المعتادة بالاضافة لاغراض الزراعة •

هل تنتهى امراض الوراثة ؟

هنالك حوالى ٢٠٠٠ مرض وراثى ، بمعنى ان اسبابها تنشا من خلل في مراكز الوراثة•وتتدرج هذه الامراض من مجرد عيب خلقى كعدم التحام سقف الحلق .وشفة « الارنب » المشقوقة ، وهى حالات غير خطرة، الى امراض خطيرة كتضخمالراس المنغولى وما يصاحبه من تخلف عقلى شديد ، ومرض « تى ـ ساخس » الذى يصاحبهتخلف عقلى وعمى يكاد يكون محصورا في اليهود الاشكنازيين ، ومرض فقر الدم المنجلى ، ومرض نزف الدم او (الهيموفيليا) ، وعدم قدرة الطفل الرضيع على هضم سكر الحليب (جالاكتوسيميا) ، وربما مرض السكرى •

وقد درج الاطباء حتى الآن عند اكتشاف حمل فيه خلل وراثى على اجهاض الام،وتخليص الاسرة من جنين شاذ غير طبيعى لن يسبب غير المآسي والتعاسة للجميع ، لو ترك وشانه حتى يولد طفلا شاذا او مشوها •

وفى المستقبل قد يمكن ـ وبخاصة بعد اتمام الاخصاب في الانابيب المخبرية ـ عند اكتشاف مثل هذهالحالةتصحيحها باستفراغالخيط الكروموسومى الزائد ، وجعل الطفل ينمو ويولد طبيعيا •

يامل العلماء ان تؤدى ابحاثهم في مجال هندسة الوراثة الى فهم سر السرطان ومعالجته • وحتى نوضح فكرتهم في هذا المنحى لا بد من شىء من التفصيل والتقديم •

عندما يتم اخصاب البويضة وتكوين الجنين يبدأ الاخير بالانقسام تكرارا حتى تتولد كرة جوفاء من الخلايا ثم تنبعج هذه الكرة لتكون طبقتين من الخلايا ، وبعد ذلك تصبح خلايا الجنين في ثلاث طبقات : خارجية ووسطى وداخلية • ومن خلايا كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تتكون اعضاء واجهزة خاصة •• فمن الطبقة الخارجية يتكون الجهاز العصبى والجلد مثلا ومن الداخلية يتكون الجهاز الهضمى ، ومن الوسطى تتكون العضلات وبقية الاعضاء • وعلى ذلك فان موقع الخلايا في طبقتها هو الذى يقرر ما الذى ستولده هذه الخلايا من اعضاء ، بالرغم من ان كل الخلايا متشابهة وتحمل كل منها جميع عوامل الصفات الوراثية في الكائن الحى كله • وعلىذلك فاختلاف خلايا الجلد عن خلايا الكبد مثلا هو اختلاف في اى مراكز الصفاتالوراثية ينشط ، وايها يتوقف عنالنشاط في كل من نوعى الخلايا ، وهذا ما يعرف في علم الاحياء بالتخصص في عمل الخلايا •

كما ان الجنين يستمر في الانقسام واكثار الخلايا الى حد معين •• اذ انه عند اكتمال تكون اعضائه ونموها تقوم مراكز الوراثة باعطاء امر بالتوقف عن الانقسام والتكاثر • وهذا الامر جزء

من الحصيلة الوراثية في مراكز الوراثة في أنوية الخلايا • فاذا ما جرح انسان بالغ مثلا ـ وقد توقفت خلاياه عن التكاثر والانقسام ـ تقوم الخلايا في منطقة الجرح باستعادة امكان الانقسام لتوليد انسجة تعوض ما مات بفعل الجرح ، وتعيد الوضع الى حالته الطبيعية، ثم يصدر اليها الامر بالتوقف مرة أخرى • ويعتقد بعض العلماء بأن الذى يحدث في حالة الاصابة بالسرطان هو أن بعض الخلايا يختل فيها نظام مراكز الوراثة ، بحيث تتولد فيها اوامر بالانقسام والتكاثر وكانما الخلية هي الجنين في بداية تكونه •• فتبدأ بالانقسام بسرعة ويظهر ذلك على شكل ورم •• وفي حالة السرطان الخبيث أو الورم الخبيث تفشل مراكز الوراثة في اصدار امر التوقف عن التكاثر فتستمر الخلايا في ذلك• ولما كانت هذه الخلايا بحاجة في نموها الى الغذاء فانها تسلب الخلايا الطبيعية العادية المجاورة لها غذاءها وتزاحمها في موقعها •• ثم تنفصل بعض هذه الخلايا المختلة وتنتقل مع القنوات الليمفاوية الى مناطق أخرى من الجسم •• ويستمر هذا الى أن تتعطل العمليات الحيوية للاعضاء الطبيعية ويحدث الموت •

ومع انهذا المفهوم واضح عندالعلماء الا انهم لا يعلمون ما يحدث في مراكز الوراثة بحيث يختل الوضع ، وتتولد هذه الحالة • وفي اعتقاد الكثيرين منهم أن علم هندسة الوراثة سيمكن العلماء مستقبلا من معرفة هذا السر ، وبذا يفسح المجال امام التدخل في مراكز الوراثة لايقاف جنون الخلايا ، وبذا يصبح علاج السرطان ممكنا وناجعا •

التكاثر تلقائيا

قبل سنوات قام الدكتور جون جوردن Dr. John Gurdon في انجلترا بتجربة مثيرة تكللت بالنجاح فقد استخلص بويضة غير مخصبة من مبيض انثى الملجوم او ضفدع الطين Toou ثم اجرى جراحة دقيقة نزع بها النواة من البويضة ووضع بدلا منها نواة خلية كاملة اخذها من غشاء امعاء الانثى التى استخلص منها تلك البويضة •• وهكذا اصبح لديه بويضة بها نواة تحمل عددا كاملا من الخيوط الوراثية الكروموسومية بدلا من النصف الذى كان في البويضة غير المخصبة أولا • وهكذا وجدت البويضة نفسها وكانها قد اخصبت (من ناحية عدد الخيوط الكروموسومية) • وكم كانت دهشته عندما رأى « البويضة » بعد هذه العملية تبدأ بالانقسام ـ وكانها جنين جديد •• ثم فقست البيضة لتعطى بعد مراحل التطور المعتادة ملجوما أو ضفدع طين انثى هي بالطبع صورة طبق الاصل عن الام صاحبة البويضة في كل صفاتها وخصائصها •• لان الصفات الوراثية واحدة بسبب كونها ماخوذة من خلية غشاء امعاء تلك الانثى صاحبة البويضة •

ويعرف هذا باسم الاكثار غير الجنسي (Cloning) لانه يشبه اكثار بعض النباتات خضريا اى بالعقل والفسائل وما اشبه ذلك •

ويمكن تعليل ما حدث في تجربة الدكتور جوردن بأن في مادة البويضة الحية انزيمات او هورمونات كيميائية عضوية تثير الخيوط الكروموسومية للانقسام وتمحو تخصص تلك الخيوط في الخلايا الجسمية المختلفة فتعود النواة وكانها نواة جنين حديث التكوين •• وهكذا تبدأ بالانقسام ولديها الاوامر المعدة لانشاء جنين جديد • ويحدث مثل ذلك في النبات عند قطع عقلة من ساق العنب مثلا وزرعها في التربة، اذ تؤثر التربة على الخلايا في منطقة القطع فتحولها من خلايا بالغة متخصصة الى خلايا انشائية قابلة للانقسام والتكاثر ، وم نتيجة ذلك تكوين جذور جديدة تنزل في الارض وايقاظ البراعم الابطية النائمة لتنمو ، فتكون الاغصان •

ولو أمكن ، من خلال ما سيحققه علم هندسة الوراثة مستقبلا ، تطبيق تجربة الدكتور جوردن على الانسان ، وليس هناك ما يمنع ذلك بعد ان امكن اخصاب البويضة في الانبوب ثم زرع الجنين في رحم انثى مستعد لاستقباله ، فان من المحتمل أن نرى امكان انتاج تسعين عالما عبقريا مثلا من أنوية خلايا عالم فذ واحد ، بحيث يكونون صور طبق الاصل منه في الشكل وقوة الفكر والابداع ويكون ذلك باستخلاص تسعين بويضة من نساء مختلفات واستئصال أنوية هذه البويضات ، ثم زرع أنوية تسعين خلية ماخوذة من جسم العالم الفذ •• وزرع الاجنة الناتجة في أرحام النساء الماخوذة منهن البويضات فيحملن ويلدن اولادا ذكورا وكل منهم صورة طبق الاصل عن ذلك العالم الفذ في جميع المناحى •وفي هذا ما فيه من توفير طاقة بشرية مختارة للمجتمع معروفة الامكانات سلفا •• وهو

امر يسمح للمجتمع بان يخطط لامكاناته وبناء طاقته البشرية بالشكل الذي يريد ، دون ان ينتظر ان جهود الطبيعة والصدف عليه بعالم عبقري ، او اديب فذ ، او شاعر مبدع ، بين الفينة والفينة .

من الواضح ان جدلا عنيفا سيثور حول هندسة وراثة الانسان . بل لعل شيئا في هذا واقع بالفعل الآن . على ان الجدل ، مهما بلغت حدته وتشعب ، لايمكن ان يضع حدا نهائيا لهذه الابحاث .. ولو توقفت في دولة ما ، لسبب ما ، فان من غير المعقول ان تتوقف في كافة الدول بلا استثناء . لا مفر اذن من ان تستمر ابحاث الهندسة الوراثية ولابد في ان تواصل تطورها وتعطي ثمارها الطيبة او غير الطيبة ... ذلك ان عددا كبيرا من العلماء يشعرون بالخوف والقلق مما قد تنتهي اليه تجارب الهندسة الوراثية . ويتركز قلقهم هذا حول ثلاث نقاط ..

أوبئة وامراض جديدة

قد تتمخض التجارب القائمة حاليا من انتاج بكتريا او جراثيم فتاكة او مميتة ، خلافا لما يقصد اليه العلماء . وقد تتسرب مثل هذه الجراثيم الى المجتمع وتفتك فتكا واسع النطاق ، واشد هولا من كل ما عرف عن وباء الطاعون والكوليرا .. وتجدر الاشارة الى ما حدث في الصيف الماضي ١٩٧٨ لسيدتين كانت احداهما تعمل في مختبر في احد المستشفيات . ذلك ان فيروس مرض الجدري الذي يربونه في ذلك المختبر لاغراض علمية قد تسرب واصاب تلك السيدة .. وذلك بالرغم من كل الاجراءات الوقائية المتخذة في هذا الصدد .. وقد انتقل الفيروس بالعدوى الى السيدة الثانية ومالبث ان تسبب في موت كلتا السيدتين ... فان كانت تلك هي النتيجة التي ادى اليها خطا بسيط ارتكبه موظفو المختبر بصدد فيروس قديم معروف فما بالك بالنتائج التي قد تترتب على خطا يرتكبه العلماء الباحثون انفسهم . فيما يسعون الى تخليقه من بكتريا وجراثيم .. ويقومون في سبيله باغرب التجارب ... التجارب الجراحية والتشريحية التي يجرونها في صميم الخلية ، وهي ـ كما تعلم ـ لاترى بالعين ولاحتى بالمجهر مالم يكن قويا او الكترونيا ... تنقل في محتويات تلك الخلية او المقومات التي تتكون منها ... من ثم كانت القيود التي فرضوها هنا وهناك على ابحاث الهندسة الوراثية بقصد تحاشي مخاطرها ، والحيلولة ما امكن دون افلات زمامها .

الاخلال بالبيئة

ويتخوف الكثيرون ايضا من احتمال الاخلال بتوازن البيئة الذي قد يترتب على تجارب الهندسة الوراثية وعلى ماقد تتمخض عنه من فصائل جديدة مخلقة ... فقد تطغى هذه الفصائل وتؤدي الى انقراض انواع مختلفة من الكائنات الحية مما قد يؤثر على بنية الحياة المعروفة بالذات . فاذا كانت الصناعة العادية لاسيما الكيماوية قد سببت التلوث ، واخلت بتوازن البيئة اخلالا خطيرا اخذ يهدد حياة الانسان ، وينذر بالبطش في غضون جيل او جيلين ، فما بالك بجهود العلماء الرامية الى العبث بفطرة الكائنات الحية والسعي الى التغيير والتبديل في صفاتها الوراثية .

ومن العلماء من يؤكد ان هندسة الوراثة ستنجح ان عاجلا او آجلا ، في انتاج صنوف من البشر متفوقة من حيث المواهب والطاقات . ومن يدري فقد لا يمضي وقت طويل حتى يتجاوز «السوبرمان» قصص الخيال العلمي ويصبح حقيقة واقعة . وفي تلك الحال الا يصبح في مقدور الدول المتقدمة في ميدان الهندسة الوراثية ان تخلق لنفسها اجيالا من العباقرة النوابغ وتضمن بالتالي السيادة المطلقة لابنائها وحكوماتها على كل ما سواها ..

الا ان من العلماء من يخشى وقوع العكس .. وظهور فرنكنشتاين بدلا من السوبرمان ، وذلك نتيجة خطأ قد يقع فيه العلماء الباحثون من حيث لا يدرون .. او تبعا لخطة موضوعة ترمي الى تخليق صنوف تتقن الحرب والقتال او تجيد الولاء والطاعة العمياء للدكتاتوريين والزعماء الى آخر ما هنالك .

ترى كيف ستكون حياة الانسان في ظل هذه التطورات ... او لا يرضى الانسان ان تكون خليفة الله في الارض حتى يحاول ان يلحق جزئيا دور الله ويتدخل في خلقه ويتشبث بما وضع للحياة في قوانينه . ■■

زهير الكرمي

القاهرة

من المآذن

تتعدد وجوه القاهرة بتعدد المراحل التى عاشتها تلك المدينة منذ عصور الفراعنة • وحيثما ذهبت تستطيع ان ترى للقاهرة وجها مختلف الملامح والقسمات ، وربما عالما له شخصيته المميزة • وهذه نظرة الى القاهرة من خلال مآذنها العديدة والعريقة •

بقلم : جمال الغيطانى

■ تنفرد مدينة القاهرة بوجود مجموعة كبيرة من المآذن ، تمت الى عصور مختلفة ، فى كل منها خصائص العصر الذى بنيت فيه، وملامحه ، قد تبدو المآذن مجموعة من المبانى النحيلة الرشيقة التى تشهق لتسد الفراغ اذا نظرنا اليها بمعزل عن الظروف، لكن عندما نتوغل الى الزمن الذى بنيت فيه سنجد ان الحياة قد دبت فى الحجارة الرمادية الصماء، وسنجد أمامنا « ارشيفا » حيا ، للعمارة الاسلامية، والمئذنة لم تولد مع المسجد ، بل انشئت فى فترة متاخرة قليلا كضرورة تقتضيها الحاجة ، يؤكد البخارى ان المسلمين عندما هاجروا الى المدينة كانوا يجتمعون « فيتحينون للصلاة ، ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما فى هذا ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى • وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر اولا تبعثون رجلا منكم ينادى بالصلاة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا بلال قم فناد للصلاة •• » وكانت المساجد الاولى تخلو من المآذن ، كمسجد الكوفة (١٧ هـ ـ ٦٣٨ م) ، والمسجد الجامع بالبصرة (١٦ ـ ٦٣٧ م) • وكان مسجد عمرو بن العاص خاليا من اى مئذنة ، وكان الناقوس مستخدما فيه لدعوة الناس الى الصلاة حتى سنة (٥٣ هـ ـ ٦٧٣ م) وفى البداية اطلقت كلمة (صومعة) او (منارة) على المآذن، وكانت كلمة صومعة تطلق فى الاصل على صوامع الرهبان المسيحيين ، وهى بناء مربع يعلو عن الارض • عندما زار الرحالة ابن جبير دمشق وصف ثلاث صوامع بالمسجد الاموى ،« كالبرج المشيد »•وما زال كلمة صومعة مستعملة فى شمال افريقيا حتى وقتنا هذا ، وربما كان ذلك لان شكل المآذن لا يزال محتفظا هناك بصورته المربعة الاولى • اما لفظ (منارة) فهو يعنى المكان الذى ينبعث منه النور اوالضوء ، وهذا يعنى ان المئذنة كانت تستخدم فى وقت ما لاغراض اخرى غير الاذان ، كارسال الاشارات الى السفن ، او ارشاد التائهين فى الصحراء ، اما كلمة مئذنة فمشتقة من لفظ (آذان) •

أقدم المآذن

تقول كتب التاريخ ان احمد بن طولون كان رجلا جادا ، لا يضيع جزءا من وقته فى العبث او اللهو، وفى احد الايام ، كان يجلس مع بعض رجال دولته ، وكان الحديث حول المسجد الجديد الذى ازمع بناءه فى مدينته الجديدة التى اختطها « القطائع » ساد صمت ، اطرق ابن طولون ، وراح يلف ورقة حول اصبعه • انتبه فجاة الى انهم ضبطوه فى لحظة عبث • اراد ان يبرهن لهم انه كان منصرفا الى عمل نافع يتدبره ، فثبت الورقة على وضعها حول اصبعه ، وقال بسرعة ••

« اعملوا لى مئذنة على هيئة هذا المخروط••»

وربما تبدو هذه القصة مقنعة لتفسير هذا الشكل الغريب لمئذنة ابن طولون ، اقدم مآذن القاهرة ، لكن لو عرفنا ان ابن طولون قضى اول حياته فى مدينة سامراء العراقية ، قبل ان يفد الى مصر• واذا لاحظنا مئذنة جامع سامراء القائمة فى الزيادة الشمالية للمسجد (تماما كمئذنة ابن طولون) التى لا تتصل بسائر مبنى المسجد ، تبدو كانها منفصلة

منه ، ولا ترتبط به الا بواسطة قنطرة محمولةعلى عقدين متجاورين • وكلتا المئذنتين تتكون من قاعدة مربعة تقوم عليها ساق اسطوانية يلفحولها من الخارج سلم دائري عرضه حوالي ٩٠ سنتيمترا له سور دائري ايضا ، هناك اذن تشابه بينمئذنة ابن طولون ومئذنة جامع سامراء ، ، وقد زرتكلا المئذنتين ، ولا شك ان كلا منهما توحي بالاخرى ، خاصة عند صعود السلم الدائري ، والوصولالى قمة اي منهما ، الفرق ان سلم ملوية سامراء غير مسور اما سلم مئذنة ابن طولون فيحف به سور منخفض • ولا شك ان مئذنة سامراء كانت ماثلة في ذهن ابن طولون • والمئذنة التي نراها اليوم بنيت في زمنين مختلفين • نصفها الاسفل المربع ، والجزء الاسطواني من البناء الاصلي • اما الجزء العلوي المكون من طابقين فقد اضافهما السلطان لاجين عام (١٢٩٦ م) • ويقال انه فعل ذلك نتيجة لنذر قطعه على نفسه عندما كان مطاردا ، واختبأ في المسجد قبل اعتلائه كرسي السلطنة وكانت المئذنة وقتئذ مهدمة • تطل برثاء على المسجد الفسيح الساكن ، والذي عبر كل الاعاصير والتقلبات ووصل الى زماننا سالما••

الحاكم

بالقرب من نهاية شارع المعز لدين الله ، قبل وصولنا الى بوابة الفتوح ، احد ابواب القاهرة القديمة السبعة يمتلىء الجو برائحة سوق الليمون . الزيتون الاخضر ، ويسد الطريق امامنا سور القاهرة القديم • تبدو سلالم الحصن الذي كان يطوق القاهرة • كذلك اماكن وقوف الجند ، ومزاغل المراقبة • في الفراغ تعلو مئذنتا الحاكم بامر الله ، وتحتهما يمتد اكبر مسجد في مصر ، واكثر المساجد اهمالا ورثاثة • فوق جزء من فنائه يستقر بناء كالنشاز يضم مدرسة السلحدار الاعدادية ، ثم اطلال وخرائب • وبرغم مظهر الاهمال فان المكان يعبق برائحة تاريخ قوي لم يول بعد،تاريخ الحاكم بامر الله ، تلك الشخصية الفذة التي اثارت جدلا لم يهدأ بعد ، ترتفع جدران المئذنين من الارض ، كل منهما تبدأ بقاعدة مربعة ضخمة تميل جدرانها ميلا خفيفا مما يذكرنا بالاهرامات ، المربعان ما هما الا معطفان منالحجر، كل منهما يحيط احدى المئذنتين الاصليتين • يرتفع المعطف الغربي ٢٤ مترا فوق ارض الشارع • ويتكون من جزئين اولهما يبلغ ارتفاعه ١١ مترا ، والطابق الثاني يرتفع ١٤ مترا ، اما المعطف الشمالي فيزداد ارتفاع الطابق الاول فيه مترين، وهكذا يبلغ ارتفاعه ٢٦ مترا • الا يذكرنا شكل المعطفين الحجريين بذلك الوصف الذي دونه عبداللطيف البغداديلمنارة الاسكندرية،تلكالجدران المائلة • ربما تأثر المهندس الذي اشرف على بنائهما بشكل المنارة التي كانت قائمة في ذلك العهد ولم يهدمها الزلزال بعد ، ربما كان قد تأثر بشكل الاهرامات المصرية ، هنا نرصد التميز الذي بدأ في بناء المآذن المصرية والذي سيستمر تطوره حتى تكتمل كافة عناصره في عصر السلطنة المملوكية•ندخلالىالمئذنةالشماليةمنبابصغير يعلو سور القاهرة القديم الذي بناه بدر الجمالي واخفى احد اضلاع هذه المئذنة •

المئذنة من الداخلتتكون من قاعدة مربعة وجسم اسطواني ، وعندما ندخل الى المئذنة من فوق السور فاننا نصبح محاذين للجزء الاسطواني، سلم المئذنة يدور حوله ، فوق الجدران الخارجية للمئذنة نرى زخارف ، ونوافذ تحيط بها اطارات زخرفية تتكون من وحدات هندسية مجردة، ووحدات زخرفية اساسها ورق النبات ، وفوق السلالم التي تصعد بنا الى اعلى نلمح زخارف ورقية ، مما يوحي لنا بمدى الجهد الذي بذله المنمنمون والمزخرفون في تزيين المسجد ، اثناء صعودنا تفجع آذاننا باصوات نحيلة ، حادة منبعثة من داخل المئذنة ، انها الوطاويط ، تعشعش في الداخل ، تنهش جوف المئذنة ، وتلوث باصواتها السكون النهاري الجليل الذي توحي به سيرة الحاكم صاحب المكان ويقال انها ضخمة الحجم الواحد منها في زنة الارنب،نصل الى سطح المئذنة، نصبح بجوار الجزء العلوي ، انه يتنافر مع بقية البناء ، لا يمت اليه باية صلة معمارية ، ولاعجب فقد بني في فترة متاخرة، بالتحديد في زمن بيبرس الجاشنكير احد امراء المماليك •

حدث في سنة ١٣٠٣ م زلزال عنيف هدم منار الاسكندرية ، وهدم الجزء العلوي من مئذنة

الحاكم بامر الله ، وقام الامير بيبرس الجاشنكير باضافة هذين الجزئين ، ينتصب القسم العلوى هنا من اربعة طوابق مثمنة • تحيط بالثلاثة العليا منها صفوف من القرنصات • وتعلوها قبة المئذنة على شكل مبخرة ، انه نفس شكل المئذنة التى تعلو مسجد بيبرس الجاشنكير والذى يقع فى مواجهة حارة الدرب الاصفر بالجمالية ، ويعرف هنا باسم زاوية بيبرس حيث كان يقيم الصوفية والفقراء يرددون الاذكار والاشعار ، فى الزمن النائى البعيد ، لكن البناء الاصلى ، فوق مسجد بيبرس يبدو متسقا ، اما هنا فوق مئذنتى الحاكم فانه غريب عن البناء الاصلى ، لانه من عصر مختلف ، هكذا تجاور زمنان مختلفان تنافرا ، واختلفا • يبلغ ارتفاع هذا القسم سبعة عشر مترا ، اى ان البناء يرتفع عن سطح الارض ٤٦ مترا •

وفوق جبل المقطم ، بالقرب من مركز السماء تقوم مئذنة الجيوشى (٤٧٢ هـ ـ ١٠٨٥ م) فى الشتاء تبدو من خلال الضباب معلقة فى فراغ الكون ، وقد اختفى الجبل الذى تقوم اليه فى بحر اللبن الابيض الهائش ، تبدو المئذنة وكانها دعاء تجسد فى طريقه الى اعلى ، او ابتهال غامض خفى ، او رغبة من المعبود فى الوصول الى الخالق، انها ثانى المآذن التى وصلتنا من العصر الفاطمى، لقد اختفت مئذنة جامع الاقمر ، وكان قد بناها الوزير البطائحى فى سنة ١١٢٥ م ، اما المئذنة الوحيدة التى وصلتنا من القرن الثانى عشر ، فهى مئذنة مسجد ابى الغضنفر ، وتصور مئذنة الجيوشى مرحلة من تطور المئذنة المصرية • فى اعلاها تلمح عنصرا هاما من القرنصات فى صورتها الاولى • والافريز الادنى يشتمل على صف من العقود ، وتلك هى المرة الاولى التى تبدو فيها هذه الظاهرة فى عمائر القاهرة • انها اقدم مئذنة فى ذلك الطراز المعروف باسم المبخرة ،وهو طراز استمر مستخدما حتى الربع الثانى من القرن الرابع عشر •

هكذا تتضح معالم المآذن المصرية الاولى • برج مربع ينتهى بشرفة • وفوقه طابق آخر مربع ، كما يبدو فى مئذنة الجيوشى • لقد اختفى هذا الطابق فيما بعد ، واستبدل بطابق مثمن فى مئذنة ابى الغضنفر ، فتحت فيه تجاويف مضلعة الرؤوس •

وارتفعت فوقه رقبة مثمنة الاضلاع تعلوهـــا خوذة مضلعة ، وتلك التي عرفت باسم المبخرة ..

الباب الاخضر

بجوار الباب الاخضر لمسجد سيدنا وامامنـــا الحسين عليه السلام في القاهرة شق ضيق فـي هذا الجدار القديم المتبقي من البناء الاصلي .

تقول الاسطورة «ان رأس الحسين طارت من كربلاء الى هذا الموضع لمدة اربعين يوما تسبح بحمـد اللـه ، وعندما استقرت هنا رست بجـوار سيدة عجوز ، اخفت الراس ، جاء جند يزيد اليهـا عندئذ اخذت رأس ابنهـا وقدمتها اليهم فـداء لرأس الحسين . والحي المجاور للمسجد يعرف حتى الان باسم حي ام الغلام ، اما المكان الذي استقرت فيه الراس فلا يروح العطر منه ابدا» . فوق هذا الشق تقوم مئذنة المشهد التي شرع في بنائها في عصر صلاح الدين الايوبي (٦٣٣ هـ – ١٢٣٦) ويبدو ان الذي انفق على تشييدها رجل صالح يدعى ابو القاسم بن يحيى ، اذ يوجد نقش على قاعدة المئذنة نصه :

« بسم الله ، اوصى بانشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد الحسين تقربا الى الله ورفعا لمنار الاسلام الحاج الى بيت الله ابو القاسم بن يحيى ابن ناصر السكري المعروف بالزرزور تقبل اللـه منه ، وكان المباشر لعمارتها ولده لصلبه الاصغر الذي انفق عليه من ماله بقية عمارتها خارجا عما اوصى به والده المذكور وكان فراغها في شهر شوال سنة اربع وستمائة .. »

ماتبقى من المئذنة قاعدتها الايوبية ، امـــا جزؤها العلوي ، فقد تهدم ، واستبدل به بنـاء عثماني في عصر الاحتلال التركي المتاخر . ويتميز الجزء الاصلي من المئذنة بجوفاته المقرنصة الثلاثة التي تشغلها ثلاث حشوات مطولة تزخر بحشد من الزخارف النباتية المحفورة في الجص ، من الطابع الاندلسي الذي نراه في قصر الجعفرية بسرقسطه وفي المسجد الجامع بتلمسان . ويعلو كل حشوة طاقة معقودة مقرنصة . وتشغل الفراغين والواقعين بينهما قوقعتان مقرنصتان .

واذا ما انتقلنا الى شارع بين القصرين ،وفي منطقة الصاغة ، حيث سوق الذهب والفضة ، اذا رفعنا البصر سنجد مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين ايوب . انها المئذنة الوحيدة التي تبقت سليمة من العصر الايوبي . انشاها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل في ٦٤١ هـ (١٢٤١م) ، في اعلى الباب باسفل المئذنة لوحة تشير الى الشروع في بناء المدرسة نصها :

« بسملة . امر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الاعظم الملك الصالح نجم الدين بن محمد بن ابى بكر بن ايوب في سنة احدى واربعـين وستمائة . »

في تلك المئذنة نجد ان الجزء المثمن اصبح مستقلا وبارزا بعد ان كان مندمجا في مئذنـة الجيوشي في مجموع البناء ، واصبحت المبخرة اكثر وضوحا ، وخلال نصف قرن تلا سقوط الدولة الايوبية ساد نظام المباخر في المآذن المصرية وهو طراز مصري خالص لم يتكرر في اى بلد آخر .

ونلاحظ ان شخصية المئذنة المصرية لم تتبلور، ولم تتضح الا في العصور التي نعمت فيها مصر بالاستقلال ، الدولـة الفاطمية ، ثم الايوبيـة ، والسلطنة المملوكية . ومن مآذن العصر المملوكي الاول مئذنة المنصور قلاوون ، قبل ان نصل الى بابها الصغير نعبر ردهة طويلة ، عالية السقف، تذكرنا ببهو المعابد الفرعونية ، الهواء رطب . الى اليسار تقـوم قبـة قـلاوون الرائعـة ، التي استوحي في تصميمها قبة مسجد الصخرة ، والتي يرقد تحتها الناصر والمنصور قلاوون، نصل الـى الباب الصغير الذي يسلمنا الى سلم دائري من الحجارة ، يستدير حول جسم اسطواني يمثل لب المئذنة ، يدور السلم ، تتخلل الجدران فتحات دائرية قصيرة نلمح منها سمك جدران المئذنـة الذي يبلغ حوالي المتر . نرى المدينة القديمة ، القريبة والمباني الحديثة الشاهقة عند الافق .

نصل الى قمة القاعدة المربعة ، حيث ينتابنا الاحساس بالعلو الشاهق اذ يرتفع جسم المئذنة النحيل مايقرب من ارتفاع عمارة حديثة مكونة من اثنى عشرة طابقا ، واذ نستند الى الحاجز الخشبي للشرفة نستطيع ان نلمح الافريز المقرنصات الذي يحيط بقمة القاعدة المربعة ، والذي يرى الباحثو
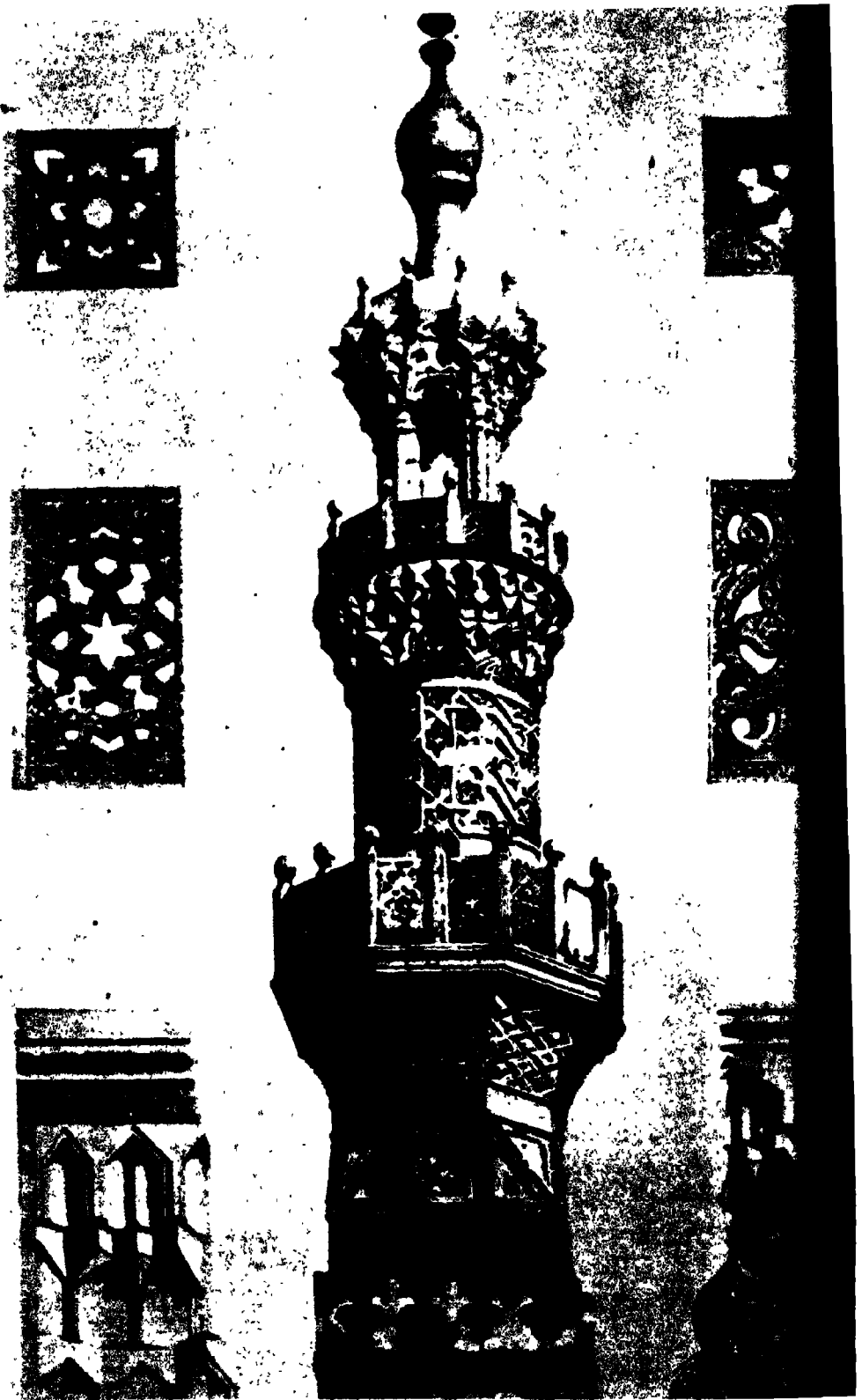
فى زخارفه تاثيرات اندلسية ، تلك الزخارف تشبه زخارف مسجد اشبيلية ، قد يبدو هذا اكثر وضوحا فى الطابق الثانى من المئذنة ، وفى الطابق الاخير حيث نجد شبكة من المعينات الزخرفية، ربما يرجع هذا الى زيادة الصلات بين مصر والاندلس ، خاصة بعد ظهور مصر كاقوى دولة اسلامية اذ قضت على الخطر المغولى فى عين جالوت (٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠م) وبروزها بوصفها القوة الرئيسية فى التصدى للخطر الصليبى فى الشام ·

من فوق الطابق الثانى للمئذنة ، وبنظرة خاطفة نجمع فترة طويلة من الزمن ، امامنا تعلو مئذنة مسجد السلطان برقوق ، بقامتها الرشيقة وطوابقها الثلاثة المثمنة وطبقتها الوسطى المزينة بالرخام على هيئة دوائر متقاطعة ، وهذه الزخرفة الرخامية تعد الاولى من نوعها فى المآذن المصرية ·

يفصل مئذنة قلاوون عن مئذنة برقوق فراغ ليس بكبير اذا قسناه بالامتار ، لكنه من عمر الزمن يبلغ مائة وعشرا من السنين ، وسط الفراغ ، نلمح مئذنة صغيرة اقل ارتفاعا ، انها مئذنة الناصر محمد بن قلاوون التى تعلو مدرسته· والتى تعلو قاعدتها زخارف جصية رائعة · هذه الزخارف بها تاثيرات اندلسية ايضا · فى هذه الساحة تنتصب مآذن قلاوون وبرقوق ، كل منها تعبر عن عصر باكمله ، ولكنها فى مجموعها تشكل متحفا متكاملا حيا لفن العمارة الاسلامية ·

وبمرور الزمن يصبح التطور فى المآذن المصرية اكثر وضوحا · لقد تضاءلت القاعدة المربعة حتى اصبحت مجرد سند لجسم المئذنة وبرز الجزء المثمن ، كما نجد فى مئذنتى الماردانى والبقا (٧٤٠هـ ـ ١٣٤٠ م) · ومئذنتى شيخون (٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م) وربما يرجع هذا الى فيض من التاثيرات السورية التى طرأت على المآذن المصرية بواسطة صناع الشام المهاجرين · فلاحظ ايضا اختفاء المبخرة ، لقد حلت مكانها دائرة صغيرة من الحجر (جوسق) مسحوبة الى اعلى · وكانت قمة هذه المآذن من الناحية الجمالية والفنية ، مئذنة السلطان الاشرف ابى النصر قايتباى (٨٧٧هـ ـ ٨٨٩ هـ) وقد استمر هذا الطراز متبعا بقية العصر المملوكى ، وان كنا نلمح بعض الاضطراب فى التطور · ويبدو هذا واضحا فى مئذنة السلطان الغورى حيث تتعدد الرؤوس فنجد اربعة بدلا من واحدة ، واذ نقف فى منتصف المسافة بين مسجد الغورى والجامع الازهر نلمح التشابه بين مئذنة الغورى والاخرى التى بناها بجامع الازهر والتى يعلوها راسان بدلا من اربعة ، لابد ان المهندس شخص واحد ، اراد ان يحدث شكلا من الابتكار ، فاستحدث اربعة رؤوس للمئذنة بدلا من راس واحدة ، ولكنه تطور مفاجىء ، لا ينم عن اصالة ، او تجديد يستند الى اصول ثابتة ·

مع الغزو العثماني لمصر تتعرض المآذن المصرية لة ، لقد بدأ الاحتلال التركي ومع الاحتلال يجيء الذي محاولا فرض طرزه واسلوبه ، وتبدو روح ناومة في البناء نفسه ، ينعكس الصراع حتى ى الحجـر ..

القلم الرصاص

فيفراغ القاهرةتنتصب مآذن نحيلة ، تنطلق الى لي كالحراب ، تذكرنا بالمآذن السلجوقية ، او ن استانبول ، نراها فوق مسجد محمد علـــى قلعة والذى استوحى فيتصميمه مسجد السلطان مد باستامبول ، ونراها فوق مسجد السلحدار ارع المعز لدين الله ، ومئذنة المشهد الحسيني ث بني في القرن التاسع عشر ، انه الطراز

المعمارى للغازى ، مآذن تركية مسحوبة ، خالية من الزخارف ، متجهمة ، خالية . لاتوحي بالسلام والدعة والابتهال والمناجاة الصامتة ، تلك المعاني التي تتجسد في المآذن المصرية الاصيلة ، حتى التي تبدو فيها تاثيرات سورية او اندلسية ، لا ادرى لماذا تذكرني المآذن العثمانية بالحراب .

لكن يبدو الصراع الذى كان قائما بين الروح المصرية والمحتل العثماني في نماذج اخرى ، في مسجد المحمودية الذى انشاه محمود باشا والي مصر العثماني (٩٧٣هـ ـ١٥٦٠م) لقد تاثـر المهندس بجامع السلطان حسن وجعل المئذنـــة بارزة عن المسجد ، ايضا شكل قاعدتها ، نرى هذا اكثر في مئذنتي جامع البرديني (١٦١٦ م) اذ تبدو المئذنة المصرية واضحة تماما ، كما كانت زمن المماليك الجراكســة . هنا نـرى انعكاس الظروف بسرعة على العمارة ، في زمن محمد بك ابو الذهب (١٧٠٣م) زميل على بك الكبير الذى حاول الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية ،وفي مئذنته المواجهة لمآذن جامع الازهر ، يبدو الطراز هنا مختلفا تمامـــا عن مآذن العصر التركي ، اذ انها تنتمي الى الطراز السورى المربع ، وتنتهي قمتها بخمسة رؤوس ضخمة ، والاهالي في منطقة الازهر يقولون ان ثمة كنزا خبيئا في هذه الرؤوس، ربما حاول المهندس ان يستوحي مآذن الغـــورى ذات الرؤوس المتعددة ، لكن تستوقفنا ملحوظة غريبة في تلك المئذنة ، انها تشبه برج الكنيسة في قامتها المستطيلة ، وفي التجاويف العلوية المفتوحة ، والتي تذكرنا بمكان الناقوس في الابراج الكنسية ، ولكن يبدو هذا التاثير مستوحى مـن المآذن السورية التي تاثرت بابراج الكنائس عند نشاتها .

وخلال القرن التاسع عشر ساد نظام المآذن العثمانية، ولكننا نلاحظ في المساجد الحديثة محاكاة لمآذن العصور الوسطى المملوكية،وليس هذا لان تلك العصور شهدت قمة التطور للمئذنة المصرية، ولكن لان مآذن هذا العصر تعد متكاملة العناصر من الناحية الفنية ، والجمالية . وارقى ما وصلت اليه المآذن المصرية .

■■

القاهرة ــ جمال الغيطاني

هذه الصناعة وسمومها

التي تدفعها إلى الصدور

بقلم : الدكتور محمد على الفرا

ان نعيش فى هواء ملىء بالسموم ، هذا هو الثمن الذى ندفعه كلما حاولنا ان نمضى على طريق التقدم .

هذه حقيقة تؤرق الكثيرين فى العالم ، وينبغي ان نفهم ابعادها جيدا ، لا لكي نكف عن الصناعة ، ولكن لكى نتجنب اخطارها بعقل واع .

ذلك ان الهواء النقي الذي نستنشقه يتألف ن اربعة غازات رئيسية هي النتروجين الاوكسجين ، والارجون ، وثاني اكسيد الكربون. هذه الغازات الاربعة تشكل ٩٩ر٩٩٪ من مجموع ازات الهواء . كما ان بخار الماء ضروري في الغلاف لجوي اذ تتراوح نسبته ما بين ١٪ الى ٢٪ من جم هذا الغلاف .

واذا اختلت نسب غازات الجو بحيث زاد كيز بعضها على حساب البعض الاخر سمي ذلك وثا . كما ان التلوث الهوائي يحدث نتيجة قذف يات من الغبار والذرات والغازات والمواد ختلفة في الجو .

ومعظم التلوث الجوي نتيجه مباشره من نتائج ويل الانسان للطاقة ، كما ان التعديلات التي دثها الانسان في الهواء نتيجة التفاعلات كيماوية المختلفة في السلم والحرب تؤدي الى ير في نسب عناصر الجو ومكوناته .

ان المصدر الرئيسي للتلوث الهوائي هو الالات الاجهزة التي يستخدمها الانسان في الوقت حاضر بشكل مكثف مثل السيارات ووسائل تبريد والتدفئة ، وكذلك المصانع التي تنفث دخنة والابخرة في اجواء المناطق الحضرية الصناعية . ولذلك فان المدن التي تكثر من عتماد على السيارات والالات ومختلف الوسائل تكنولوجية المتطورة يكون هواؤها فاسدا ، يوها مرتفع الحرارة نسبيا مع زيادة نسبة ثاني سيد الكربون والرطوبة مما ينتج عن ذلك ظاهرة اصة بالمدن يطلق عليها بظاهرة « الدخان ضبابي » اي الدخان الممزوج بالضباب .

ولا شك في ان السيارات تعتبر أكبر مصدر تلوث الجوي فقد ثبت علميا بان كل سيارة من سيارات الخاصة متوسطة الحجم تقذف في الجو و ستين مترا مكعبا من غازات العوادم في الساعة واحدة . وهذه الغازات التي تنفثها السيارات الجو يكمن خطرها في كونها قريبة من الانسان ، السيارة تدخل في كل مكان تقريبا من المدينة القرية وتختلط بالناس . كما ان العوادم غازية تكون في مستوى ارتفاع وجه الانسان مما علها تستنشق بسهولة قبل ان تضيع في الجو .

واهم الغازات التي تقذفها السيارات في الجو ي اول اكسيد الكربون وهو من اخطر الغازات سامة ، ثم ثاني اكسيد الكربون ، والمركبات يدروكربونية ، وثاني اكسيد الكبريت ، واكسيد الكبريت ، واكسيد النيتريك . وكل هذه الغازات تتفاعل مع الاشعاع الشمسي وينتج عنها مضاعفات خطيرة ، منها اضعاف القدره الجسدية للانسان كما تؤثر على المخ وخلاياه ، وتلحق اضرارا بالغة بالجهاز العصبي وتجعل الشخص حاد الطبع عصبي المزاج يثور لاتفه الاسباب .

ونظرا لخطورة الغازات التي تتسرب نتيجة تشغيل السيارات والمصانع فان من المناسب التحدث عن بعضها واضرارها على البيئة والانسان.

لو غرقت باريس !

غاز ثاني اكسيد الكربون : ينبعث هذا الغاز في الدرجة الاولى من حرق المواد العضوية ، والنفايات التي هي من اصل عضوي . وهو غاز سام ، ولذلك فان قذف كميات كبيرة منه في الجو يزيد من نسبة تركزه ، ويلحق بالكائنات الحية اضرارا بالغة ، ويؤثر على ميكانيكية الغلاف الجوي ودرجة حرارته . فعلى الرغم من ان هناك عوامل كثيرة تدخل في الصورة العامة ، وتؤثر على مستوى توازن حرارة الجو ، الا ان استمرار زيادة ثاني اكسيد الكربون ولفترة طويلة يؤدي الى تغيير شامل في مناخ الكرة الارضية . ومثل هذا التغيير من شأنه ان يحدث ارتفاعا في حرارة الارض وجوها ، مما يؤدي الى ذوبان قسم كبير من الغطاءات الجليدية في القطب الشمالي ، وقارة القطب الجنوبي ، ومناطق اخرى في الجهات ذات البرودة المتطرفة .

ولا شك في ان ذوبان هذه الغطاءات الجليدية ، وتحولها الى ماء له نتائج في غاية الخطورة ، ويرى العلماء بانه لو قدر وذابت هذه الغطاءات الجليدية ، فان مستوى البحار سيرتفع نحو خمسين مترا عن معدله الحالي ، وبالتالي ستغرق اجزاء كبيرة من السهول المنخفضة والمحاذية لشواطىء البحار ، وتصبح كثير من المدن الساحلية تحت مستوى الماء . وقد يتعدى طغيان البحار الى ما هو اكثر من ذلك فتصبح مدنا مثل نيويورك ، ولندن ، وباريس غارقة تحت مياه البحار .

اما غاز ثاني اكسيد الكبريت فهو من اشد الغازات خطرا في الجو نظرا لارتفاع نسبة السموم فيه . وحينما يختلط هذا الغاز بالجو المشبع بالرطوبة ينتج عنه حامض الكبريتيك . ويعتقد

بعض العلماء بان وجود ثاني اكسيد الكبريت مع حامض الكبريتيك قد اسهم بدرجة كبيرة في حدوث نكبات في بعض الاقطار ، ففي عام ١٩٥٢ تكونت فوق سماء مدينة لندن سحابة قيل انها كانت نتيجة اقتران اكسيد الكبريت وحامض الكبريتيك، وقد نتج عنها وفاة نحو اربعة آلاف شخص .

وفي عام ١٩٦٢ حدث نفس الشيء بمدينة نيويورك حيث راح ضحية ذلك نحو اربعمائة شخص .

وينتج غاز ثاني اكسيد الكبريت من حرق الفحم بانواعه المختلفة ، ومن النفط وهما يحتويان على نسبة عالية من الكبريت . وتسهم السيارات بالنصيب الاوفر في قذف هذا الغاز في الجو .

وغاز ثاني اكسيد الكبريت مهيج جدا للجهاز التنفسي ، وبخاصة الانف والقصبيات الهوائية ، وسبب الحساسية الشديدة ، والاحتقان في الحلق والبلعوم . ويظهر حامض الكبريتيك احيانا على شكل ضباب مما يسهل على الهواء حمله ونقله الى جوف الانسان عن طريق الفم والانف ، ويصل حتى الرئة ويبدأ بمهاجمة الانسجة الحساسة فيها فيصيبها بالتهيج والتلف .

مشكلة عوادم السيارات

وينطلق غاز كبريتيد الهيدروجين الى الجو من تراكم النفايات والمخلفات التي تلقيها المصانع في المياه الراكدة . وفي مثل هذا الوسط تنشط البكتيريا ، وتقوم بتحويل المركبات الحاوية على الكبريت الى كبريتيد الهيدروجين ، وهو غاز غير قابل للذوبان في الماء نسبيا ، ولهذا الغاز رائحة كريهة جدا ونفاذة مثل رائحة البيض الفاسد . واذا زاد تركيزه في مكان من الامكنة ادى الى الموت السريع للانسان . وقد يتسرب هذا الغاز من مصافي النفط نتيجة اهمال او حادث عرضي كما حدث في مصفاة « بوزا ريكا » بالمكسيك وادى الى وفاة عدد من العمال .

اما حامض النيتريك فينتج من الاحتراق الذي يتم على درجة حرارة عالية بحيث تكفي لاحداث نوع من الاستجابة من النيتروجين والاكسجين كما في حالة عمليات الاحتراق الداخلي او الاحتراق الذي يحدث تحت الضغط العالي .

وبما ان قدرا كبيرا من النيتروجين موجود في اسطوانات محرك السيارة ، فان حامض النيتريك يتكون بمجرد حدوث شرارة كهربائية مصحوبة بحرارة عالية تؤدي الى تفاعل النيتروجين في الاسطوانات والاكسجين الموجود في الجو .

واكبر منتج لحامض النيتريك السيارات ومصانع انتاج الطاقة الكهربائية وغيرها من معامل تحويل الطاقة .

وقد يتحول حامض النتريك الى ثاني اكسيد النيتروجين بواسطة عمليات معقدة تتم في الطبيعة كالتمثيل الضوئي الكيماوي . وهذا الغاز سام جدا ، وهو الوحيد الذي يلون الجو مما يجعل الرؤية صعبة او مستحيلة بحسب قلته او كثرته.

ومن مصادر اكاسيد النيتروجين يمكن ان نذكر بعض العمليات الكيماوية المعقدة مثل صناعة المتفجرات ، ولكن القسم الاكبر منه ياتي من السيارات .

وتتفاعل اكاسيد النتروجين مع بعض المركبات العضوية وينتج عن ذلك غاز الازون « وهو سام للغاية ، وغالبا ما يتكون في الغلاف الجوي في الايام المشمسة » .

ومن السموم الاخرى مجموعة الاولفين ، وهي من الغازات التي من اصل عضوي ، وينتج من العمليات الصناعية ، وبخاصة الكيماويات البترولية ، ولكن القسم الاكبر منها مصدره عوادم السيارات . وينتمي « الاثيلين » الى هذه المجموعة ، وهو يسهم بدرجة كبيرة في احداث الدخان الضبابي ، علاوة على كونه عبارة عن سموم نباتية شديدة الفعالية ، فيسبب التلف للنباتات والمزروعات.ويكفي وجود الاثيلين وتركيزه بنسبة قليلة لا تتعدى واحدا في البليون لان يحدث تخريبا وتدميرا شديدا لنباتات الفصيلة الباذنجانية كالطماطم .

واذا تعرضت غازات هذه المجموعة وبخاصة الاثيلين الى المواد العضوية الاخرى ولضوء الشمس مع وجود ثاني اكسيد النيتروجين او حامض النيتريك يحدث تفاعل معقد ينتج عنه « الازون » و « الالديهيد » وانواع اخرى من المركبات العضوية الحاوية على النيتروجين .

واذا وجدت هذه المركبات بتركزات كافية فانها تسبب اذى شديدا للنباتات وتحدث تهيجا للعيون ، وبعض اجزاء الغشاء المخاطي للانسان ، وقد اجريت بعض الابحاث اعطت دلائل على تأثيرها على الحيوانات . وقد اكتشفت آثار هذه المركبات ونتائجها الضارة على البيئة في « لوس انجلوس

بالولايات المتحدة الامريكية ، ويطلق عليها بظاهرة عامل الدخان الضبابي لمدينة لوس انجلوس .

وهناك ايضا الابخرة العضـوية او الذيبات والمـواد العـالقة ، وتنطلق في الجو متسربة من العمليات الصناعية ، او من بعض النشـاطات البشرية كالتنظيف الجـاف على البخـار ، ومن الاصباغ والطلاء . وهـذه المذيبات لها تاثير على الدخان الضبابي وتسهم في تكوينه ، وبعضها له رائحة كريهة جدا ومعظمها سام .

ويحتوى الجو على كميات كبيرة من المواد الدقيقة السابحة في الهواء ، وتكون على شكل ذرات بعضها ينتج عن نشاطات الانسان وفعالياته . واكثر هذه المواد واكبرها حجما الغبار الذى يرى في المناطق الحضرية . والغبار اصطلاح نقصد به الذرات المتطايرة من التربة التي تعرضت للتعرية الهوائية نتيجة قطع الاشجار او اقتلاع النباتات .

وقد يكون مصدر هذا الغبار حركة السيارات وجميع انـواع المركبات على الارض الترابية او الطرق التى تعلوها الاتربة والاوسـاخ ، او من الذرات التي تتولد بين مختلف الاعمال الزراعية والصناعية .

وهذا الغبار يسبب الازعاج على الرغم من انه لا يؤدى الى نتائج او آثار فسيولوجية .

وتختلف احجام ذرات الغبار ، ولذلك تتفاوت قدرة الرياح على حملها الى مسافات بعيدة عن مصادرها وكلما كانت الرياح اشد قوة ، اصبحت اكثر قدرة على نقل الذرات الكبيرة .

وفي المدن والمناطق الحضرية توجد انواع عديده من الذرات العالقة في الجو ومصدرها نشاطات الانسان واعماله وفعالياته ، فاملاح الرصاص مثلا تخرج من عملية احتراق بنزين السيارات وبخاصة الذى يحتوى على نسبة معينه من الرصاص ، كذلك تحوى سماء المدن ذرات من الرماد المتطاير في الهواء والناتج من حرق جميع انواع الوقود سواء كان فحما او خشبا او نفطا .

والمواد العالقة يكون مصـدرها احيانا بعض الصناعات كالاسـمدة والمعادن وتنقيتها وطحن الحبوب وما شابه ذلك .

والى جانب ذلك يوجد في جو المدن قدر كبير من المواد تطير في الهواء ، وتظل معلقة فيه،ولذلك تسمى بالمواد العالقة وتتالف من النفايات التـي في الشوارع ،وعلى الارض ،وهي تتفتت ببطء نتيجة ارتطامها بالارض ، ويحملها الهـواء وتظل معلقة فيه . وهذه المواد العالقة تشـمل ايضـا الاوراق الممزقة ، وبقايا النباتات وقطع الزجاج المهشم ، وبقايا المطاط واطارات السيارات. وكلها تسهم في صنع هذا الخليط المركب من الذرات والمواد الدقيقة السابحة في اجواء المدن .

ان حل هذه المشكلة البالغة التعقيد والخطورة يتطلب تعاونا بين الافراد من ناحية ، وبينهم وبين الحكومات من ناحية اخرى وعلى كافة المستويات من محلية واقليمية وعالمية . وينبغي ان يبدا هذا التحرك بتوعية الناس وتثقيفهم وشرح الاخطـار البيئية التى تهددهم وسن القوانين الخاصـة بحماية البيئة وكيفية مراعاتها واحترامها وتطبيقها من قبل الجمهـور . كما ينبغي اتخاذ القرارات السياسية التى لا تتعارض مع البيئة ، واختيار افضل البدائل الاقتصادية التي تحافظ على البيئة وتصونها .

ويبدو اننا لا نعرف الا القليل عن النظام البيئي وحركية التفاعلات الموجودة بين عناصره ومكوناته ، كما اننا نجهل الكثير عن ديناميكية البيئة وآثار التكنولوجيا عليها وبناء عليه ينبغي دراسة هذا الجانب وتعميقه في جميع مستويات التعليم ، فقد تبين بأن كثيرا من آثار الانسان الضارة بالبيئة ناجمة عن جهله وعدم فهمـه للنظام البيئي .. الذي هو جزء منه . كما ان كثيرا من الطرق التي يعالج بها الانسان الاوضاع المتردية لبيئته تدل على السـطحية في فهمه لهـا . وفي اعتقادنا بان الحلول المعقولة هي التي تحاول تصحيح الاسباب الاساسية التي ادت الى تدهـور البيئة وليس الاكتفاء بمعالجة الاعراض او النتائج. وهذا يتطلب منا تعلم طبيعة المشاكل البيئية ، ويحتم علينا تبني مواقف جديدة تتلاءم ونوعية الاعتماد التبادلي الموجود اصلا بين الانسان وعناصر النظام البيئي ، كان نتخلى عن الايمان المطلق بالتكنولوجيا والانقياد الاعمى لها وان نتحرر من استخدامها استخداما مطلقا بحيث نصبح تحت رحمتها وفي خدمتها .

ان مثل هذه الحلول سنواجهها عقبات كبيرة طالما انها تتطلب من الانسان ان يغير من نمط حياته وان يبدل من سلوكه ومواقفه تجاه البيئة ، ولكنه مضطر ان يفعل ذلك لأن وجوده واستمراره على هذا الكوكب بات مهددا . ■■

د. محمد على الفرا

● حل مسابقة العدد ٢٤٠ ●

هارون الرشيد

●

هند بنت عتبة

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : هارون الرشيد • ابن المهدى ، ولى الخلافة بعد اغتيال اخيه الهادى • حارب البيزنطيين وبلغ ابواب القسطنطينية •ازدهرت في عهده التجارة والآداب والعلوم • ولعب البرامكة دورا هاما ، قبل ان يوقع بهم •

(٨) راسيا : هند بنت عتبة • ام معاوية مؤسس الخلافة الاموية ، حرضت اهل مكة على مقاتلة النبي في بدر واحد ، ثم اسلمت ، وشهدت معركة اليرموك •

الفائزون بالجوائز

- الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : مصطفى على دمليم ـ صيدا / لبنان •
- الجائزة الثانية وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد احمد السنباني ـ صنعاء/اليمن الشمالى•
- الجائزة الثالثة وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : زكي عبدالمجيد ـ بغداد / العراق •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ فيصل محمد علوه ـ الرياض / السعودية • الكويت •
٢ ـ نجيب اسماعيل المصرى ـ بنغازى/ليبيا • ٦ ـ رغداء عاشورى ـ حلب / سوريا •
٣ ـ العروصي محمد مكناس ـ المغرب • ٧ ـ ربيع محمد صالح ابراهيم ـ الخرطوم / السودان •
٤ ـ جعفر احمد حسن ـ المنامة/البحرين •
٥ ـ لمياء مصطفى صالح حمدان ـ ميناء سعود / ٨ ـ آمنة عبدالغني عبدالهادى ـ عمان / الاردن•

الفلكلور

تعبير عن أصالة الشعوب

بقلم : صفوت كمال

خبير الفنون الشعبية

حقا ٠٠ « لا يشعر المرء بجهله الاعندما يعجز عن شرح وجهة نظره ٠٠ هذا الكلام لاندريه موروا » ٠

بهذه العبارةاستهل السيد تركي علي الربيعو مقاله المنشور في العدد ٢٤٠ من مجلة العربي ،(ذو الحجة ١٣٩٨ ـنوفمبر ١٩٧٨م) ص ، ٦٢ ـ ٦٤ بعنوان:«الفولكلورهذه الظاهرةالمستوردة»٠

وللاسف تضمن المقال تعريفاتللفولكلور ليس لها اى صلة بالفولكلور مادة وعلما ـ فمسرحيات الريحاني أودريد ونهاد وياسين بقوش أو غيرهم ليس لها اى صلة بالفولكلور كمادةابداعية أبدعها الشعب تلقائيا يعبر بها عن فكره ووجدانه يمتزج فيهاالموروث الثقافى التاريخي مع الخبرة الانسانية في تجربة الحياة اليومية ٠

، الفولكلور يدرس الانسان من حيث ابداعه ، هذا الابداع ٠٠ خبرته وحكمته كما ها في حياته اليومية تلقائيا ٠ هذه الخبرة ة التي تناقلتها الاجيال كل جيل يضيف أو يحذف اشياء لتتوافق في النهاية مع حياته التي يعايشها ٠ هذا الابداع ليس ع فرد ولكنه نتاج الجماعة الانسانية ككل مع ما ٠٠ وتتعدد اشكال الابداع والتعبير وسائل هذا الابداع من آداب وفنون تعبيرية ية وتطبيقية ، يظهر ذلك في فنون الغناء الذي يصاحب مختلف مناسبات دور الحياة د الى الموت ، او في العمل او الراحة من تاريخية والقصص الغنائي والحكايات ، التي تصور احداثا من الماضي او تجمع اقع والخيال في رؤية فنية أو ما يردده الناس من حكايات وخرافات تتضمن بقايا من تصوراته الاسطورية تضفي طرافة ونظرا تامليا على ما يرويه الناس من تصورات لعالم يفوق عالم الانسان الارضي ٠ أو ما ترسب في اشكال ممارساته الطقوسية لبعض العادات والتقاليد من بقايا تاريخية او اسطورية تمتزج داخل عادات المجتمع وتقاليده او ما يردده الناس من امثال سائرة تعبر بعباراتها الادبية الموجزة والبليغة عن فلسفة الانسان ونظرته الى قيم الحياة أو ما يتغنى به الناس من سير الابطال وملاحم البطولة كما يتمثل ذلك في سير « سيف ذى يزن وعنترة وابى زيد الهلالى » ٠٠ وغيرهم من أبطال التاريخ العربي ٠ وكذلك اللطائف والنوادر الساخرة التي تصور بعباراتها الموجزة التناقض الموجود في الحياة الذى عبر عنه الناس في صدق تلقائي وعفوية ادبية بلاغية ٠

كما أن الموسيقى بايقاعها والحانها والاتها تعبر بشكل مباشر أيضا مع الرقص والايماءات والحركات الايقاعية عن الحالة الفكرية والوجدانية للمجتمع يضاف الى ذلك الفنون التشكيلية والتطبيقية من رسم ونقوش ونحت وحفر غائر أو بارز وصناعة الدمى وتطريز الملابس والحلى وادوات التجميل .. وفنون التزيين وغير ذلك من أشكال وطرز الابداع الشعبى الذى يصدر عن الرؤية الفنية للمجتمع فى اطار من عاداته وتقاليده تعبر ببساطة وصدق عن بنية الثقافة التى تحدد معالم الشخصية الحضارية لكل مجتمع .

ودراستنا لهذه الموضوعات انما هى فى الواقع محاولة جادة للكشف عن القدرات الابداعية للمجتمع من خلال مختلف مظاهر التعبير الثقافى المتعددة التى توسل بها ليعبر عن قدراته الادراكية وقيمه الجمالية فى ادراك ووعى لقدرته على صنع الحياة على أرضه .

الابداع المستمر

هذا الابداع المستمر فى الحياة اليومية الجارية هو موضوع علم « الفولكلور » (Foik Lore) ، ذلك العلم الذى شاع بـ « الفن الشعبى » أو « الفنون الشعبية » كمصطلح دارج يدل عليه باعتبار أن « الفن » ابداع ، يعبر عن جماع الفكر والعقيدة والحس والدوق .

اما المصطلح العلمى العربى لهذا الابداع الشعبى فهو « المأثورات الشعبية » ، كترجمة دقيقة للمصطلح الانجليزى « فولكلور » ذلك المصطلح الذى استخدمه لاول مرة عالم الاثريات الانجليزى « سيرجون وليام تومز » (١٨٠٣ ـ ١٨٨٥) فى ٢٢ ـ اغسطس سنة ١٨٤٦ مستكملا ومحددا به الجهود العلمية والقومية التى سبقته فى انجلترا والمانيا وفنلندا وغيرها من بلدان أوربا الغربية بخاصة .. ولقد شاع مصطلح « فولك ـ لور » بعد ذلك بمعنى «حكمة الشعب ومأثوراته» كمصطلح يدل على موضوعات الابداع الشعبى .. وتطورت وتقدمت مناهج بحث علم الفولكلور .. واتسع مجال بحثه ليشمل مختلف أوجه النشاط الخلاق للانسان فى بيئته وارتباطه بالثقافة الانسانية ككل ، باعتبار أن الفولكلور هو تعبير مباشر عن اصالة الثقافة فى أى مجتمع . تعبير صادق يتوسل بمختلف وسائل التعبير الفنية ، يجمع فى مادته بين الخبرة الثقافية الموروثة والتجربة الحية المعاشة . والمجال هنا لا يتسع للاطناب فى شرح الفولكلور مادة وعلما .. فالمكتبة العربية تذخر بالعديد من الكتب والمراجع التى تتناول الفولكلور كمادة وكعلم ، كما أن الاسهاب فى الشرح قد يكون استطرادا لا يستعبه القارىء المطلع على ما سبق نشره من دراسات علمية حول الفولكلور بعامة والفولكلور العربى بخاصة .

تراثنا الثقافى غنى

وتراثنا الثقافى منذ القرن الثامن الميلادى غنى بمواد المأثورات الشعبية التى سجلها الرواد الاوائل من المفكرين العرب فى مخطوطاتهم ومدوناتهم الفكرية والادبية مثل الجاحظ والاصفهانى وابن خلدون وغيرهم . وقد سبق أن أوضحنا ذلك فى دراستنا « مناهج بحث الفولكلور العربى بين الاصالة والمعاصرة » ، مجلة عالم الفكر ، م٦ع٤ ، يناير ١٩٧٦ ـ الكويت ، ص ١٧٣ ـ ٢١٠ ـ وأرجو أن يتسع وقت السيد تركى على الربيعو للاطلاع على ما تضمنته هذه الدراسة من بعض المراجع .. فقد يساعد ذلك على تصويب بعض الاخطاء الشائعة فى تعريف الفولكلور ومادته ..

ولا باس أن نخطىء كما يقول الكاتب نفسه ـ « فهناك فرق كبير بين الخطا والتوقع ، بين النية الحسنة مع العمل وبين التواكل لاننا تاريخيا أثبنا المخطىء مرة والمصيب مرتين » .

ان ادراكنا لمقومات ثقافتنا العربية يكمن فى معرفتنا بمكونات هذه الثقافة بما تتضمنه من آثار مادية ومدونات تاريخية ومأثورات شفاهية مع تقييم واع لعاداتنا وتقاليدنا والكشف عن القيم الجمالية فى أشكال الابداع الفنى الشعبى الذى يحوط مختلف مجالات حياتنا المعاصرة بما تحتويه هذه الحياة من عناصر ثقافية موروثة حفظها وحافظ عليها الانسان على مر العصور . ان ادراكنا هذا ، هو فى الواقع من أهم موضوعات مسؤوليتنا الثقافية المعاصرة . فثقافتنا العربية باصالتها وحيويتها تتكون من شقين أساسيين. أحدهما ما هو شفاهى مأثور بين الناس وهو مادة البحث الفولكلورى والاخر هو ما دون وثابت وهو مادة البحث التاريخى.

من الخليج الى المحيط

وفى مجتمعنا العربى من الخليج الى المحيط

تطعيم الحلى الذهبية باللؤلؤ شكل من اشكال الابداع الفنى يعتمد على خبرة ثقافية عريقة ..

الجانب غير المدون من ثقافتنا العربية الشق
ر من واقع تاريخ الامة العربية وتطورها
ضاري ، كما يعبر بطبيعة مادته عن حيوية
الة هذه الثقافة .

كما ان كمًا غير يسير مما هو مدون من التراث
بى المدون كان اصلا مادة شفاهية انتبه الى
يتها كثير من الرواد الاوائل من المفكرين العرب
لوها واثبتوها بالتدوين والدراسة .

ن الثقافة التى يعتبرها الكاتب ثقافة حقة من
، « انها تعبير حى وملموس وباسلوب ولغة
المجتمع » هذه الثقافة هى بعينها «الفولكلور»
المأثورات الشعبية ـ باعتبار انها تعبير مباشر
فكر ووجدان المجتمع . « وثقافتنا تستمد
يتها ، وتتجلى اهميتها بالقدرة على العطاء
استمرار فى عملية الخلق والابداع » .. واهم
يميز المواد الفولكلورية هو بالفعل قدرتها على
ستمرار فى عملية الخلق والابداع مع تتابع
جيال فيتحول الموروث الثقافى الى مأثور ثقافى
فى تواصل مستمر فى اطار من الرؤية العلمية
فنية المعاصرة.وما بحثنا عن الاصالة والمعاصرة،
ى محاولة لتحقيق هذا التواصل فى ثقافتنا المعاصرة
والغاء الانفصام الثقافى الذى تعانى منه الامة
العربية .

الكشف عن الذات العربية

ان الكشف عن الذات العربية فى المجتمع العالمى
يتأكد ويتحقق بالكشف عن تراثنا الثقافى الحى
الذى يتمثله الانسان العربى فى حياته المعاصرة
ويعبر عنه بمأثوراته الاصيلة ابداعا وممارسة ..
فالفن الشعبى بعامة هو فن الحياة والمأثورات
الشعبية ـ الفولكلور ـ هو المناخ الثقافى
الذى تنمو فيه قدرات الانسان على الابداع الثقافى
المستمر كما انه تعبير عن الاضافة الفكرية التى
يضيفها كل مجتمع الى الثقافة الانسانية فى تواصل
حضارى ، دون تقوقع داخل الانا الفردية او
الاستغراق فى اجترار الذات .

فالفولكلور .. هو اضافة انسانية مستمرة
للحياة ، ووسيلة مباشرة من وسائل معرفة الانسان
عبر العصور وبخاصة معرفة الانسان معرفة فنية ،
ومعرفة الحياة التى عايشها الانسان من خلال
رؤية فكرية جمالية . ،،، ■■

الكويت ـ صفوت كمال

المسلمون مروا من هنا

قبل خراب مالطة

استطلاع : مصطفى نبيل   تصوير : عبد الناصر شقره

فاليتا العاصمة .. القائمة على التلال والمشرفة على البحر .

منظر عام لميناء فاليتا الطبيعي ٠

احد شوارع العاصمة ويظهر فيه طراز المباني والتاثيرات العربية

■ ذهبت الى مالطة لاقدم تحقيقاعن جزيرة صغيرة وادعة ترتمي في احضان البحر الابيض المتوسط ،يزورهاالسياح بحثا عن المتعة والهدوء والجمال ، ولكن سرعان ما استغرقني البحث عن بقايا الوجود العربي والاسلامي ، واخذت ابحث عن مفتاححل لغز هذه المرحلة من التاريخ وكان هذا التحقيق •

مالطة مجموعة جزر صغيرة تكاد لاتظهر في العديد من الخرائط ، رغم انها احد المفاتيح الرئيسية للشرق الاوسط ، ومثلما سقطت في عدد من الخرائط سقطت ايضا فصول من تاريخها من اسفار المؤرخين ، ويكاد تاريخها يتحول الى حلقات من الالغاز والاحاجي • وهي الواقعة في قلب الصراع بين الشرق والغرب ، وتاريخها دائما اكبر من جرمها الجغرافي ، فمساحتها لاتزيد عن ٣٢٣ كيلو متر مربع ، وتعداد سكانها ٣٥٠ الف نسمة ••

تقع داخل الممر الاوسط من البحر الابيض ، تكاد المسافة تتساوى بين قناة السويس شرقا حتى مالطة ، وبين مالطة غربا حتى مضيق جبل طارق وتبلغ حوالي ١٠٠٠ ميل ، وتتوسط بين قارتي اوروبا وافريقيا ، تبعد عن صقلية الايطالية ٩٣ كيلو مترا وعن شمال شرق تونس ٢٨٨ كيلو متر ، وفرض عليها هذا الموقع انتكون نقطةجذبلا تقاوملكل الدول والامبراطوريات التي قامت على شواطيء البحر المتوسط ، وان تكون مركزا لصراع طويل بين حضارتي الشرق والغرب ،ومنذ تسعة قرون قامت مالطة العربية الاسلامية ، بكل التاثيرات الثقافية والحضارية العميقة للعرب والاسلام ،والذي انعكس على تركيبها السكاني ولغة اهلها ، وطراز مبانيها ، واصبح كل شيء في الجزيرة يقول : المسلمون مروا من هنا •••

ان الوصول الى العاصمة « فاليتا » بالبحر اجمل من الوصول اليها عبر مطار « لوقا » ،فمنظر الجزيرة من الطائرة لا يكشفه ما تخفيه من جمال ، فانت امام كتلة حجرية صفراء كانها قارة في طريقها الى الغرق ، تنتشر على وجهها بقعقليلة خضراء،وليس بها جداول او انهار او وديان••!!

اما الوصول اليها عبر «الميناء الكبير » فكانك تقترب من منظر بانورامي لاحدى مدن القرون الوسطى ،تظهر القلاع التاريخية الضخمةوالابراج من فوقها ، وتزداد وضوحا كلما اقتربت منالميناء الذي يشق العاصمة حتى قلبها ، تحس بطعم التاريخ وتبدو بيوتها نظيفة بيضاء كانها غسلت لتوها بماء المطر ، وتواجهك مشربياتها وقدطرحها التاريخ وكنائسها الضخمة وكانها منحوتة فوق التلال ••

في نفس يوم وصولي تجولت فيشوارع العاصمة وازقتها ، استنشق في عمق هواءها المنعش ، والانتهاء من جولة في كل ارجاء فاليتا لايستغرق وقتا فلا يحتاج الزائر ليجوب الجزيرة بطولها وعرضها اكثر من يوم واحد ، فالمسافات هناقصيرة وفسيفساء مدنها وقراها متداخله ، وخلال جولتي لم اشعر للحظة بالغربة فهي عاصمة بلد شرقي خليط بين طابع مدن الشمال الافريقي منالاسكندرية حتى وهران ، ومدن جنوب اوروبا من فينيسيا حتى مارسيليا ، وطابع حوض البحر الابيض المتوسط والتاثيرات المتداخلة والمختلطة •

وكل من مر هنا ترك لمسة من تاثيره ، الفنيقيون والاغريق والقرطاجيون والرومان والعرب ، واخيرا بريطانيا الذى يظهر تاثيرها بوضوح في نظام المرور الذى مازال على اليسار ، وفي اكشاك الهاتف التي تماثل تلك القائمة في شوارع المدن البريطانية ••

ولم يبق في فاليتا من الاثار العربية سوى احد الحصون العربية داخل الميناء هو حصن « سانت انجلو » والذى اعاد الفرسان ترميمه ، اماالتاثير الغالب والذى يعود اليه اغلب المباني التاريخيةفي فاليتا فهو تاثير حكم فرسان القديس يوحنا،والذى ترجع قصتهم مع مالطة الى تلك الفترة الدامية في تاريخ العلاقات العربية الاوروبية ، عندماتجمع الفرسان او القرصان ـلافرق ـتحت راية الصليب او الجمجمة والعظمتين ، من كل البلدانالاوروبية متجهين الى فلسطين ، وتمكن العثمانيون منطرد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس ،وهامو على وجوههم يبحثون عن ماوى ، حتى قدم اليهم ملك الاسبان كارل الخامس مالطة على ان يتعهدوا بحماية منطقة طرابلس الليبية التيسقطت

ي ايديهم ، وعاش الفرسان فى مالطه حياة القرصنة ذاتها التى كانوا يعيشونها فى رودس، يكرسون كل جوانب الحياة فى الجزيرة لهدفواحد هو الحرب ، يغذيهم روح العداء المتاصل ضد العرب ..

هذا ما مر بخاطرى وانا اقف اما سور فاليتا العالي السميك ، وامام بوابة العاصمة الضخمة امام حصونها وقلاعها التى تشرف على البحر، عندما كنت اتنقل بين معالمها ، امام قصر السيد الكبير» وقصر رئاسة الحكومة «اوبرج دى كستلا » وامام الكنائس العديدة المنتشرة فيكل مكان ، تزين جدرانها لوحات بديعة مسجلة حدثا تاريخيا هاما شهدته الجزيرة وهو هبوط القديس بولس والقدس لوقا الى الجزيرة عام ٥٨ م ، بعد ان قبض عليهما بتهمة اعتناقالدين المسيحى، وارسلا الى روما ، وفى الطريق دهمتهم عاصفة بحرية القت بهم الى شواطىء الجزيرة ، وسجل ذلك الحدث الاصحاح الثامن والعشرون من « اعمال الرسل » بقوله :

«لمانجوا وجدوا ان الجزيرة تدعى مالطية .فقدم اهلها البرابرة ـ اى الذين لا يتحدثون اللاتينية او اليونانية ـ لنا احسانا غير المعتاد » .

وتنتشر فى الشوارعوامام المنازلتماثيل فرسان وكرادلة وابطال كحراس للتاريخ .وصور العذراء وتماثيل الناصرى المصلوب تنتشر فى كل مكان..

تقودك بوابة فاليتا الى الشارع الرئيسى التجارى الوحيد والذى يزدحم بالسكان والسياح وترى الفتيات المالطيات اقل حجما من الرجال لهن عيون سوداء جسورة وشعر ناعم ، وتتغطى المالطيات بالشال العربى ، ولا تحتاج الى كبير عناء لتكتشف ان الشعب المالطى عاطفى انطباعى يتحدث افراده بصوت عال وانفعال واضح .وصلت الى مقر رئاسة الوزراء الذى يطل على الميناء لكى التقى بالسنيور بلجرينى المتحدث الرسمى باسم الحكومة السياسى قليل الجسم والذى لايكف عن الحركة والنشاط .. قال :«ان موقع مالطة يؤهلها لتكون جسرا بين العرب واوروبا بين دول العالم الثالث والغرب ، فنحن نرتبط بالعرب بوشائج شتى .أصل السكان الذين ينتمى أغلبيتهم الى اصول افريقية ، واللغة المالطية ذات الجذور العربية، والتاريخالمشترك فى مراحل عديدة ،ونحن من جانب آخر أقرب جغرافيا الى جنوب أوروبا ،

احد المعابد القديمة
صيد الحيوانات البر
احد الشواطىء فى ال

زو والتي ترجع الفي سنة قبل الميلاد الى عصر العمالقة (الصورة الى اليمين) •
ت من يقضي اجازته في جزيرة مالطة (الصورة الى اليمين اسفل) •
والبحر والشاطىء (الصورة الى اسفل) •

وقد قطعت الحكومات خطوات واسعة في طريق التعاون الاقتصادي والسياسي مع الدول العربيـة وليبيا تقدم لنا الدعم والمساندة الاقتصادية ،ونتطلع الى ان يمتد هذا التعاون ليشمل دولا عربية أخرى .

وكانت كلمات المتحدث الرسمي بداية الخيط ، وتعددت لقاءاتي مع مسئولين وصحفيين ومواطنين وتبينت ان الجزيرة تتنازعها الحيرة والانقسام بين الشرق والغرب ،تنقسم حول اصل السكان وحول اصل اللسان المالطي وحول الماضي وآفاق المستقبل ، والمواطن العادي يرى انه اكثر اعزازا ان ينتمي الى اوروبا القـوية المزدهرة من أن ينتمي الى عالم عربي ما زال في طريقه الى التطور، رغم ان حكومة دوم منتوف التي وصلت الى الحكم باغلبية صوت واحـد تنادي بالتوجه الى العـرب وبذلك حسمت الصراع ، الا انه بقي حادا داخل الرأي العام ..

❋ وجهة نظر تؤكد ان اصل السكان أوروبي قدموا من جزيرة صقلية ، وينادون بالانتماء والولاء للغرب سياسيا وحضاريا ، ويطالبون بالانضمام الى السوق الاوروبية المشتركة ، وهذا ما تروج له الكنيسة ـ والتي فقدت الكثير من امتيازاتهـا والغيت الحصـانات التي يتمتع بها رجالهـا ـ والحزب الوطني المعارض ..

❋ ووجهة النظر الثانية ترى أن اول من سكن الجزيرة هم الفينيقيون عام الف قبل الميلاد ، وقد تركوا الدم واللغـة اللذين كانا تمهيـدا للانصهار الكامل مع العرب فيما بعد ، ويؤكدون ان اغلبية السكان قدموا من تونس وشمال افريقيا، وهذا يعني انتمـاء الجزيرة الى حضارة الشرق والى دول العالم الثالث ..

ويدلل اصحاب هذه النظرية على موقفهم بمـا قاله المؤرخ الروماني ديودوس عندما وصف مالطة بعد مائة وخمسين عاما من بداية الحكم الروماني بانه يسكنها البربر ، وهو ذاته ما جاء به الاصحاح الثامن والعشرون منقولا عن القـديس بولس ، والذي تحدث بالضرورة الى سكان الجزيرة بلغة سامية يفهمونها ..

ويدعمون وجهة نظرهم بنظرية جغرافية تقـول ان جزيرة مالطة كانت جزءا من افريقيا قبل ملايين السنين عندما انشقت الارض وفصلتها ..

★ ★ ★

ولعل هذا الانقسام من بقايا الصراع التاريخي الذي شهدته مالطة عندما كانت رأس حربة موجهة للشرق العـربي ، تمثل بموقعهـا احد المفاتيـح الرئيسية للعالم العربي مع كل من قبرص ومضيق جبل طارق كمداخل استراتيجية في مسلسل الصراع بين الشرق والغرب :

❋ هكذا كانت أيام الحروب الصليبية عنـدما انضوت تحت التاج الاسباني عام ١٢٨٢م . وتحولت الى محطة استقبال للسفن المتجهة الى فلسطين ، وصارت من اهم حصون احرب ضد العرب،واصبحت رهينة في يد النزاع المستمر ، مما خلق داخلها خوفا ومجافاة للعرب .

❋ وعندما اصبحت محل صراع ولعبة شد حبل بين كل من فرنسا وبريطانيا ، وكان هدف اللعبة الاستيلاء على مصر ، فعندما سعى نابليون بونابرت للوصول الى مصر في حملته المشهورة احتل مالطة كنقطة وثوب في يونيو عام ١٨٩٨م ، وبقي فيهـا ستة أيام توجه بعدها الى هدفه ، وهو الذي أسقط حكم الفـرسان واطلق سراح ٤٥٠٠ اسير مسلم كانوا في سجون مالطه ، وسرعان ما تحرك الاسطول البريطاني بقيادة نيلسون واستولى على الجزيرة كمقدمة لهزيمة الفرنسيين واحتلال مصر .

❋ وهكذا كانت في عصرنا الراهن خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ عندما تحركت البوارج البريطانية والطائرات من مرفئها الطبيعي العميق ومطاراتها الى مصر .

❋ وعندما استخدمت بريطانيا الشعب المالطي خلال مرحلة الاستعمار في المنطقة العربيه فبعثت بعدد منهم الى شمال افريقيـا محصنين بالامتيازات الاجنبية ، وكلنا يذكر ان احد ذرائع بريطانيا لضرب الاسكندرية في يوليو عام ١٨٨٢ كان بسبب المكاري والمالطي الذي كان يتمتع بالحماية البريطانية..

وفي نفس الوقت كانت روية بريطانيا للشعب المالطي هي ما اظهرته الوثائق السرية البريطانية التي كشف عنها مؤخرا في وثيقة بتاريخ ١٩ سبتمبر عام ١٩١٩ وكتبها فيلدمارشال لورد بلمر، وهي نظرة تفوح منها الرائحة الاستعمارية . فمالطة لدى الغرب الاستعماري من بلاد الشرق وكانت آخر البلدان الاوربية التي منحت استقلالها. تقول الوثيقة :

« لم يكن المالطيون عبر تاريخهم الطويل جنسا Race قادرا على أن يحكم نفسه ، وكانوا دائما تحت حماية او في خدمة امة قوية ، وبالتالي لم

لديهم القدرة على ممارسة المسئولية او
ة ، وهم قوم يرضخون للقانون ويطيعون
طة ، اعتمادا على العمل الشاق ، ويهتمون
ون بيوتهم وعائلاتهم ، وضعفهم الرئيسي
عن المبادرة ، وعدم قدرتهم على تحمل
ولية ..»

يكاد الشعب المالطي يكون الشعب الوحيد الذي
باستمرار الوجود البريطاني ، فعندما
ت فكرة ادماج مالطة في بريطانيا في اواخر
سينات لم ترحب بريطانيا بان يشارك المالطيون
ب البريطاني الخدمات الاجتماعية ، كما ان
انيا كانت ترغب في تقليص مسئولياتها
رجية ، وقد اجرى استفتاء في مالطة وحصلت
كرة الانـدماج على ٤٥ ٪ من اصوات سكان
يرة ، واكتفت بريطانيا بقبول مالطه عضوا
الكومنولث ، وقدمت للجزيرة ٥٠ مليون جنيه
استخدامها لقواعدها العسكرية في الجزيرة،
ما بعد اجرت بريطانيا قواعدها في الجزيرة
ف الاطلنطي .

❋ وليس صدفة اختيار الفاتيكان لمالطه لاقامة
مدرسة لتعليم اللغة العربية للمبشرين الذين
ملون الى افريقيا والبلاد العربية ، والى
ب المدرسة مطبعة عربية اقامتها الولايات المتحدة،
تمرت هذه المطبعة طوال ١١ عاما منذ عام
١٨ ، ثم نقلت الى ازمير ومنها الى بيروت عام
١٨ م ...

انها كانت نقطة رصد كما كانت نقطة وثوب
طلاق ..

المال العربي

لقد ادارت مالطه المعاصرة ظهرها لكل هذه
سياسات العتيقة ، وقدمت وجهها ودودا نحو
رب في ظل حكومة دوم منتوف ، وقابلتها بعض
دول العربية بالود ، ومن عشر بعثات دبلوماسية
، كل مافي الجزيرة ثلاثة منها بعثات عربية لكل
، مصر وليبيا والكويت ، ووقفت مؤيدة للقضايا
عربية واعلنت انها لن تسمح باستخدام اراضيها
د الدول العربية ، وآخر مشروعاتها السياسية
علان حياد مالطه ويضمنه كل من الجزائر وليبيا
، الشمال الافريقي وفرنسا وايطاليا من الجنوب
اوروبي ...

وفي نفس الوقت اخذت تبحث عن وسائل جذب
المال العربي ، وتسعى لتطبيق معادلة راس المال
العربي والتكنولوجيا الغربية والايدي العاملة
الرخيصة المالطية ، لكي تكون ممرا وممرا
للاستثمارات الاجنبية ، وتحتذى نموذج سنغافوره
وهنج كنج ، وتقدم نفسها كبديل للبنان الذي
هدته الحرب الاهلية ..

وواجهت حكومة مابعد الاستقلال عام ١٩٦٤
المشكلة الاقتصادية عن طريق تشجيع الهجرة ودفع
ثلاثة ارباع نفقات هجرة مواطنيها، ثم جربت طريق
التنمية الاقتصادية المستقلة ، وقدمت الصين
الشعبية قرضا قيمته ١٦ مليون جنيه مالطي ،
وفشلت هذه السياسة أمام عجز السوق المالطي
عن الاستيعاب وعجز المنتجات المحلية عن المنافسة
الاجنبية ، وامام احجام الاستثمارات الاجنبية
عن التدفق الى الجزيرة ، واخيرا بدأت مالطة
خطة اقتصادية تقوم على سياسة الباب المفتوح ،
واقامة فروع للشركات الاجنبية العابرة متعددة
الجنسية مع تطوير صناعة صيد الاسماك والنهوض
بالسياحة ، والغت تسهيلات الهجرة وخلقت فرصا
للعمالة ، وقدمت اعفاءات ضريبية كبيرة للمشاريع
المشتركة التي تقوم على ارض الجزيرة ،واستكمالا
لهذه السياسة كان لزاما عليهم عرض انقطاع
العام للبيع ..

وساهم المال العربي في بعض المشاريع في
الجزيرة ،وليبيا هي اهم المساهمين العرب ،فاقيمت
شركة مالطية ليبية قابضة برأسمال ثمانية مليون
ونصف مليون جنيه مالطي ،وساهمت في مشروع اقامة
حوض جاف لصناعة السفن تساهم فيه ليبيا بـ
٦٠ مليون دولار ، ويقيم راس المال الليبي مشاريع
مختلفة سياحية كالفنادق والمطاعم وحتى المطابع.
وتقدم السعودية قرضا بـ ٦٠ مليون دولار ،وحصلت
مالطه على تخفيضات في اسعار البترول من ليبيا
وتعهدت الجزائر بشراء ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار
من المنتجات التي تصنع في مالطه ..

وقدم صندوق التنمية الكويتي مشروعين احدهما
لصيد الاسماك وبناء ثماني سفن للصيد في اعالي
البحار ، تبلغ تكلفة المشروع مليونا و ٢٥٠ الف
دينار كويتي ، ومشروع آخر لتحلية المياه وانتاج
السماد من النفايات البشرية ، ومازال المشروع
قيد دراسات الجدوى الاقتصادية ، وتبلغ تكاليفه
حوالي ثلاثة ملايين من الدنانير الكويتية .

«المشربيات» مزيج بين التأثيرات العربية والايطالية.

برج سانت انجلو أحد الابراج التى اقامها العرب.

▲ منظر فى جزيرة جوزو او الهودج •

فن وذكرى لزيارة الجزيرة •

▼ احدى قرى صيد السمك وتظهر التاثيرات العربية واضحة •

اين الجامع .. ؟

برنامج اليوم مزدحم ، تركت فاليتا متجها الى قرية سياحية وسط الجزيرة اسمها عطارد At ard كانت تمتليء بمعسكرات الجيش البريطاني ، وحولتها الحكومة منذ ثلاثة اعوام الى مركز للاعمال الفنية اليدوية، يصنع الفنان المالطي روح الجزيرة وطعمها الخاص في عمل فني :

تمثال من زجاج او فخار ، قطعة جلدية ،نقشة شال عربي ، صياغة الحلى ، يشاهدها السائح وهي في طور الخلق ، ينتقي منها مايروقه ذكرى زيارته للجزيرة ..

ومن عطارد الى كل من «مدينة» و«رباط » ، البلدتين اللتين شهدتا ذروة المجد العربي ، عندما كانت «مدينة» عاصمة مالطه العربية ..

اعاد ــ المنظر الذى امامى ــ الى ذهنى تلك الصور التاريخية عندما كان مسرحا لاهم المشاهد التاريخية التى تلاحمت في الجزيرة ،الاعلام العربية وهي ترتفع الى عنان السماء لم وهي تنكس وتطوى..

المشهد الاول الذى نقله الينا التاريخ، الاغالبة، باساطيلهم وفرسانهم يقتحمون الجزيرة يوم ٢٨ ــ ٢٩ اغسطس عام ٨٧٠ م . القائد العربي للقوات هو احمد بن عبد الله بن الاغلب ولقبه الحبشي ، يسير القائد في شجاعة على رأس جنوده حتى يصل الى العاصمة « مدينة » ويسكن دارا هناك في « طريق مولاى » او « حارة الموالي » ، واسرع العرب لاقامة سور حولها لتحصين العاصمة الرومانية القديمة ..

المشهد التاريخي الثاني ، في يوم حار من صيف عام ١٠٩٠ م في شهر يوليو بالتحديد ارست عدة سفن للكونت روجر بن تانكر دى هوتفيل النورماندى على الشاطيء المالطى ونزل الى الساحل ومعه ثلاثة عشر فارسا يمتطون جيادهم ، وتبعه جنوده الذين اقاموا معسكراتهم على الشاطيء وفي الصباح ركب روجر فرسه وتوجه الى « مدينة » ووصل امام تلك القلعة الحصينة ، وما ان رأى الحاكم العربي قوة النورمانديين حتى طلب التحدث الى قائدهم ، واستسلم لشروطه من الافراج عن الاسرى وتسليمه كل ما يملكون من خيول وبغال واسلحة ، واقسم ان يدفع اتاوة سنوية وان يتحول الى حليف ولم يدرك عرب الجزيرة ان الهدف هو القضاء على القوة العسكرية في ذلك الموقع الاستراتيجي الهام للوثوب الى شمال افريقيا والشام ، وسلمت الجزيرة بلا قتال فسكانها المترفون لا يكترثون حتى بالدفاع عن انفسهم ..

تتوارد هذه المشاهد في خاطرى وانا اشاهد « مدينة » تقف بجلال فوق اعلى ربوة وسط مالطة يطل عليك سورها وقلاعها وبروجها ، بطرازها العربي المميز ، ثم خلال جولتي في شوارعها وازقتها ومشاهدة مبانيها ونوافذها ومشربياتها العربية ، ينتابني احساس عميق بانى في احد مدن المغرب العربي ، الشوارع بها الفوانيس المعلقة والابواب من خشب الساج المنقوش ذات المقابض الحديدية القديمة ، التماثيل امام المباني وعلى مفترق الطرق ، تاثير نفاذ لعرب الاندلس،الاعمدة والاقواس المزينة « بالارابيسك » ، هدوء عميق يحيطني : يروى جلية التاريخ ويساعد على التامل، ومحظور في « مدينة » ان يرتفع صوت بشر او ينطلق نفير سيارة ، ولعله احترام تاريخ «مدينة» المهيب ..

اخذت ابحث عن كل ما له علاقة بالوجود العربي، وفي مبنى عربي عتيق له بوابة ضخمة اقام سكان اهالى مدينة متحفا خاصا تؤول اليه مقتنيات اثرياء البلدة من التحف والعاديات ، اغلب محتوياته آثار فرسان القديس يوحنا وبعض الآثار التى خلفها النورمانديون ، وهم مجموعة من الحجاج كانوا في طريق العودة من القدس حينما دعوا للعمل كجنود مرتزقة مع الحملات الصليبية في بداية القرن الحادى عشر ، ومع الزمن ازداد عددهم وكبر سلطانهم حتى اصبحوا اكثر قوة من سادتهم ، ومن جنوب ايطاليا انتقلوا الى صقلية ومنها الى جزيرة مالطة ..

اين الآثار العربية .. ليس لدى المشرف على المتحف اية معلومات حولها ، وخلال جولتي في ارجاء المتحف ، علقت لوحة مزينة بكلمات عربية مكتوبة بالخط العثماني ، وضعت فوق اسلحة عليها كتابات عربية ، وكان اهم ما لفت انتباهي خوذة ودرع مكتوب عليها بخط لم يمحه الزمن « الله » والى جوارها « مالطة » .

وعثرت في مدينة على شارع ما زال يسمى شارع الجامع ، وسالت مرافقى : اين الجامع .. فلم يستطع اخفاء ارتباكه وسلم بان اسم الشارع لا

، به مسجد « البلدة » وانه أزيل مع خروج
.

استطع وقف سيل الافكار حول ندرة بقايا
الاسلامية ، فمن غير المعقول أن يبقى العرب
طة دون أثر ديني واحد ، وهناك أبحاث لا
حيبا عن بقايا مسجد تحت احد المباني في
لج Tas-sing وحفريات قديمة بدأت ولم
تجها النور ابدا ، وبقيت بعض الكتابات
، وبعض آيات من القرآن الكريم ، تحتاج الى
حول مغزى كل أثر وكل قطعة تاريخية قديمة ..

رج مدينة توجد مقبرة عربية على شواهدها
ت عربية ، ورغم أن هذه المقابر قد تم
فها بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٥ فلم تنشر
هذه الابحاث الا مؤخرا ، وكانت بداية التنقيب
ي عام ١٨٨١ م ..

سلام على أهل القبور الدوارس
كانهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة
ولم يأكلوا ما بين رطبا ويابس

ا ماكتب على أحد شواهد هذه القبور التي
، فوق أرضيات رومانية قديمة ، والمقابر
اة ببلاطات حجرية عثر بجوارها على بعض
ش الخشبية ، ورفات الموتى سجادة في اتجاه
ة من الشرق الى الغرب ، وعثر داخلها على
فضي منقوش عليه .. « ربي الله واحد » .

ا أين بقية مقابر المسلمين الذين سكنوا الجزيرة
ها وعرضها ، ويجيب الباحث العربي الشاب
تسون طلعت والمقيم في الجزيرة على هذا
ال بقوله .. « ان المكان المسمى بترية مالطة
Il - torbale يضم مقبرة مسيحية من عهد
معروف ، ويرى البعض أن هذه المقابر كانت
ر اسلامية ، وانها كانت تسمى كذلك حتى تم
المسلمين « ويضيف » .. ولا يستبعد ان يكون
يحيون قد أطلقوا هذه الكلمة على مقابرهم
صة عندما ينحدرون من أسر مسلمة » .

عقب انتهاء جولتي في مدينة ورباط أخذت
ث عن رئيس قسم التاريخ في جامعة مالطة
روفيلا Andrew vella ، وعلمت انه على
ش المرض في دير الدومنيكان الذي يراسه الى
ر عمله في الجامعة، وتفضل بلقائي رغم مرضه،
ان يرقد في أحد اركان الدير ، اضاءة خافتة
ل اليه وفوق رأسه تمثال بديع للناصرى مصلوبا

رمزا للمحبة والتسامح ، واتسمت مناقشاته معي بالروح العلمية والموضوعية .. قال :

« نعم » تعاني مرحلة الوجود العربي من تاريخ الجزيرة اهمالا متعمدا ، وعندما ابدى مؤخرا احد اساتذة التاريخ في احدى جامعات صقلية رغبته في زيارة مالطة ليحقق ويستكمل عددا من الوثائق التي عثر عليها هناك والتي ترتبط بالوجود العربي في الجزيرة ، لم يتلق اى ترحيب او استجابة ، رغم ان ما نعرفه من تاريخ الجزيرة العربي علم وقوع اى اضطهاد على غير المسلمين وان سكان مالطة قد تحولوا الى الاسلام خلال مرحلة الوجود العربي..

ثم جاءت النهاية بعد هزيمة المسلمين ورحيل بعضهم من الجزيرة وتحول البعض الآخر عن دينه، ويحتمل ان يكون البعض قد لقي حتفه دفاعا عن عقيدته ، وقد شهدت الجزيرة اضطهادا للمسلمين وقد عثرت في وثائق دير الدمنيكان على عقود يرجع تاريخها الى عام ١٢٥٨ م لاحد النصارى ولقبه محمد ، وهذا يعني ان أصله مسلم وغير دينه ولم يغير اسمه .

وهي ظاهرة تاريخية وقعت وتكررت في مراحل تاريخية متعددة ، فكما يوجد من يموت دفاعا عن عقيدته يوجد الذى تدفعه ظروف الحياة والمسايرة الى تغيير ولائه وانتمائه » .

سالته : هل توجد اية وثائق تاريخية حول مصير المسلمين في الجزيرة

اجاب : « لا توجد وثائق تاريخية كافية ،ولعلها اختفت ، ولكن عندما تغيب الوثائق التاريخية علينا استخدام المعرفة العامة لكشف ما خفي من التاريخ».

وتركت دير الدومنيكان لاقوم بزيارة احد المباني العتيقة والتي تحكي بقية القصة،وقفت السيارة في ساحة الفيتوريوزا ، المكان الذى تم فيه احراق الهراطقة خلال محاكم التفتيش ، عندما كانت الكنيسة تراقب الضمائر وتقمع الافكار الجديدة، ويقدم الى هذه المحكمة كل من بقي على اسلامه سرا ويوشى به او يضبط صائما او مصليا ،ويلقى به في غياهب هذه السراديب والاقبية المظلمة ، وتسجل جدرانها قصة الذين يدفعون حياتهم ثمنا لمعتقداتهم ،فبخطوط مرتعشة بقيت كتابات عربية تقول .. «ان الله مع الصالحين ، وعبارة اخرى تعكس المقاومة الانسانية « لا دين الا دين الاسلام» خطها الواقعون تحت سياط التعذيب .

، مدينة » التي كانت العاصمة

طواحين الهواء احدى الصور التي تعبر عن حياة الجزيرة

ت عربية واندلسية لا يمحوها الزمن فى الازقة وطراز المبانى .

قواعد ومحطات اذاعة للايجار !

هيا نتحرر من قيد برنامج جولتي ، ونمزج المشاهدة بالتاريخ ، لتتحول الشوارع والبروج والقلاع والمباني التاريخية والمتاحف الى سطور اقراها ، والى دلالات على حركة التاريخ التي لاتتوقف ..

جولتنا في منطقة وصفها مرافقي انها اجمل مناطق الجزيرة ، احد الشواطىء الرملية في اقصى الشرق تسمى « عين التفاحة » ، تقع على خليج هادىء، وخلف الشاطئ قرية سياحية اختارها عدد من البريطانيين المتقاعدين ليعيشوا في كنف هدوئها ، والى بلدة « ديل المرة » التي اختار احد رباها رئيس الوزراء ليقيم عليها استراحته ،ومن حولنا بقايا القاعدة البريطانية العتيدة والمؤجرة الان لحلف الاطلنطي والتي ادى وصول حزب العمال المالطي الى السلطة في يونيو ١٩٧١ الى نقل قيادة هذا الحلف الى نابولي ومررنا في المنطقة « بسانت توماس تاور » وتظهر بها هوائيات ضخمة قال لي مرافقي انها محطتان للبث والتقوية احداهما ليبية والاخرى لالمانيا الغربية ..

اليوم موعدنا لزيارة جزيرة جوزو الشقيقة الصغرى لجزيرة مالطة والتي اطلق عليها العرب اسم « الهودج » ، وفي الطريق الى « المرفا » اسم الميناء الذي ستنطلق منه العبارة نمر بكل من جزيرة وسليمة وسانت جوليانا وسانت بول اجمل مدن الجزيرة واكثرها ازدحاما بالسياح، تمتد على شاطىء تنتشر به الفنادق والنوادي البحرية وتمارس رياضة القفز والتزحلق على الماء • وبه شاطىء خاص لليخوت يجذب يخوت اصحاب الملايين بالحرية والتسهيلات التي يقدمها ..

قطعت السيارة طريقا من وسط الجزيرة لنشاهد الريف المالطي ، ساحات صغيرة هنا وهناك لاشجار الموالح والزيتون والخروب ، وصبار التين الشوكي على طول الشريط المحيط بالمناطق المزروعة ..

المنظر امامي يبحث عن ريشة فنان ، مدرجات فوق التلال اقيمت بالاحجار المرصوصة بصبر وعناية لتحمي التربة والزراعة من جرف الامطار ، وبيوت اقيمت على نفس النسق ، اصطف فوقها القرع العسلي لكي ينضج ، الى جوار المنزل طواحين الهواء التي تحولت الى علامة مميزة لمالطة وهي تبنى عادة في الاماكن المفتوحة حتى يتوفر اكبر قدر من الرياح وبؤرة المنظر « بدوي » ـ كما يطلق هنا على الفلاح ـ يحرث الارض بمحراث يجره حصان ..

وهذا المنظر وتلك الحياة الريفية مهددة بالانقراض امام زحف السياحة المتواصل وامام الصناعات الاستهلاكية التي تنتشر في كل ارجاء الجزيرة •

نقترب من «مرفا» عبر منطقة جبلية تزدحم بالكهوف الطبيعية ،والتي كانت ماوى الفارين من الغارات والقصف الجوي خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما كانت الطائرات المغيرة تصل الى الجزيرة من قواعدها في صقلية بعد دقيقة طيران ، عندما كانت مالطة ملجأ الغواصات البريطانية ، وعانت الجزيرة من حصار بحري ضرب حولها ، ودفع الشعب المالطي ثمنا باهظا فلقي الف و ٤٣٦ مواطن حتفهم واصيب ٣٧ الفا بجراح ، وهامت العائلات المالطية على وجهها لتجد في هذه الكهوف الامن والماوى ..

المسافة بين « مرفا » وجوزو ستة كيلو مترات ، وفي الطريق تظهر جزيرتا كيمونو وفيلفيلا الصغيرتان اللتان لا يقطنهما احد ،واعطاهما العرب اسميهما كمونة وفلفلة •

جوزو لا تختلف كثيرا عن مالطة سوى انها اكثر عذرية ، ومناظرها الطبيعية ما زالت خلابة،عزلتها النسبية جعلتها اكثر هدوءا ، والحياة الشرقية اكثر وضوحا ، ولم يهتم بها الفرسان ولا الانجليز عند احتلالهم للجزيرة ، ولم ير مشروع اقامة جسر بينها وبين مالطة النور ، بحجة ان الجسر سيفقد الجزيرة سحرها الخاص وطعمها المميز ..

توقفت في الجزيرة امام اثرين احدهما اغريقي والاخر عربي ، الاثر الاغريقي هو كهف كاليبسو الذي شهد ملحمة هوميروس ، المشهد الذي امامي هو الذي اختارة الشاعر الضرير ـ وهو اجمل شطآن الجزيرة ـ مقرا لبطله ، ومسرحا لملحمته ، اما الكهف فليس اكثر من شق طبيعي في الصخر تهبط اليه ببضع درجات لينفتح على شق اخر يطل منه الناظر على البحر ، وهو الكهف الذي كانت تعيش فيه ربة البحر الفاتنة الماكرة كاليبسو والتي ابقت اوديسيوس ـ البطل الاسطوري ـ لديها بضع سنوات بعد ان تدلهت في حبه حتى صدر اليوم امر الالهة باطلاق سراحه لكي يتابع رحلته الشاقة الى بلاده ، بعد ان تكسرت سفينته على امواج البحر ، وعلى تلك الصخرة التي امامي كان يجلس اوديسيوس وينخلع فؤاده حنينا الى بلاده ،والك

رة يطلان على واد عميق تختلط فى نهايته الارض بزرقة السماء ، وفى هذا المكان كانت لبحر تجلس الى اسيرها كل صباح تسعى الى ه بالبقاء وتغريه بكافة الوسائل ، الى ان اليه حلم الانسان السرمدى فى الخلود والذى ر على تقديمه سوى الهة هوميروس ، ولكن ، الجارف الى ارض الوطن كان اقوى من كل د والاحلام ..

ذا يعنى ان جزيرة جوزو هى اوجيجيا عند رس ، وهذا المكان ياتيه العشاق حالمين بالحب ود .

نتقلت من الاثر الاغريقى الى الاثر العربى او لاساطير الى الحقائق ، وهناك فوق اعلى تل البلدة الرئيسية فى الجزيرة بحصنها واسوارها ، كانت تسمى كنظيرتها فى مالطة « مدينة » ر اسمها الى فيكتوريا ، ومثل مالطة محيت ا العربية وبقى لسان اهلها اوضح والرب الى العربية من الجزيرة الام ، كما بقى شاهد ة يحكى فى كلمات حزينة لمحات من هذا الوجود، ائم فى متحف فيكتوريا ..

يس صدفة ان اغلب الآثار العربية الباقية د على القبور وابيات شعر حزينة حول الموت ول ، وقد كتب هذا الشاهد خلال القرن الثانى ، ويؤكد ان المسلمين كانوا يعيشون فى نبيل المالطى بعد اكثر من سبعين عاما من دخول رماندين اليها ... وكتب على الشاهد بالخط لى النص التالى :

هذا قبر ميمونة بنت حسان بن على الهذلى، ، بن السوسى ، توفيت رحمة الله عليها يوم يس ، السادس عشر من شعبان ، الكائن من تسع وستين وخمسمائة » وهى تشهد ان لا اله لله وحده لا شريك له ..

ظر بعينيك هل فى الارض من باقى
او دافع الموت او للموت من راقى

لموت اخرجنى سرا فيا اسفى
لم ينجنى منه ابوابى واغلاقى

صرت رهنا بما قدمت من عمل
محصا على وما خلفته باقى

ا من راى القبر انى قد بليت به
والترب غير اجفانى واماقى

بعد الخروج العربى من مالطة عثر على عقد بيع وقع عليه بالعربية ممثلو المذاهب الاربعة .

لى مضجعى ومقامى فى البلا عبر
وفى نشورى اذا ما جئت خلاقى

اخى فجد ، وتب

كما يضم المتحف قطعا فخارية اسلامية رسمت باللونين الابيض والاحمر بخطوط ضيقة ..

اللسان المالطى
او
الدليل

ان ابرز المعالم التى تشى بالوجود العربى والتى بقيت تتحدى كل محاولات تزييف التاريخ هو اللسان المالطى ، فاول ما يشد اهتمام الزائر العربى للجزيرة هو ذلك التشابه الواضح بين اللغة المالطية وبعض اللهجات العربية ، فيمكن بسهولة متابعة حوار يدور امامك وتدرك مضمون الحديث وان

فاتك بعض الكلمات ، وسريعا ما تكتشف ان أسماء اغلب الاماكن هي اسماء عربيه ، المدن والعيون والابار والقرى والتلال ، وان أسماء العديد من العائلات عربية وان كان قد دخلها بعض التحوير .

فاذا كان تاريخ الوجود العربي قد اخفيت آثاره ومحيت ادلته ، فان اللغه واسماء الاماكن وكنية العائلات تقدم اهم دليل على عمق التأثير الثقافي العربي ، وان هذا الوجود لم يقتصر على مجرد حامية عسكرية تعيش في العاصمه بل امتد الى مالطة باكملها ، وان الجزيرة تم تعريبها بالكامل ..

ولعل في مجموعة اسماء المدن التي تتوزع على الجزر المالطية الدليل القاطع فمن هذه الاسماء : مليحة . جزيرة ـ مرفا ـ رباط ـ مدينة ، سليمه ، نشار ، غار حسن ، غدير ـ مرسي ـ عين التفاحة ـ زيتونه ، كرمي ، عين الصنوبر وحتى الجزيرتين الصغيرتين في الارخبيل المالطي يطلق عليهما « كمونه » و « فلفلة وحورت كما راينا الى كيمونو وفيلفلا .. ومازالت بعض اسماء العائلات المالطية حتى الان هي : عبدالله ـ العجوز ـ البناني ـ كتكوتي ـ غزال ـ كسار ، حاكم ، كرمي ، زهرة ، فاطمة ويكفي ان تعرف ان اسم عائلة رئيس الجمهورية بودجيج ..

ويقترح المؤرخ البريطاني لوتربل «دراسة مايزيد عن ٥٠٠ من اسماء العائلات في مالطه واكثر من ٣٢٠٠ من الاماكن كلها اسماء عربية وخاصة قبل عام ١٥٤٥ م .. ويضيف ان الملاحظات الاولية تكشف تأثيرا تونسيا وبربريا واضحا ، وهي تتضمن اسماء رسمية مثل القاضي والشريف ، كما تشمل اسماء عربية لحرف واعمال » .

وهذه النماذج من الاسماء تدل على ان العرب المالطيين لم يغادروا الجزيرة في مجموعهم ، وانهم بقوا في الجزيرة يتداولون الاسماء بعد ان بدلوا دينهم ، كما ان النماذج الاتية للامثلة الشعبية تؤكد هذه الحقيقة .

« اكفي البرمه (الحلة) على فمها ، البنت تشبه امها » .

«قبل ما تكري الدار تستقصي الجار» اي سل على الجار قبل الدار .

« مين يدخل بين البصلة وقشرتها يبقى بريحتها .. »

« مايبكيش ما يرضاش » . اي الذي لا يبكي لا يرضى ..

وحتى مسالة اللغة المالطية فقد كانت محل شد وجذب بين القوى المختلفة في مالطة ، وربما تكون مالطة هي البلد الوحيد الذي قامت فيه ثورة عقب الحرب العالمية الاولى حين قررت السلطات البريطانية فرض اللغة المحلية كلغة رسمية في البلاد بدلا من الايطالية وتعليمها في المدارس ولنتوقف قليلا عند هذه الواقعة التاريخية ، لقد استهدفت بريطانيا من وراء دعم اللغة المحلية الى تنفيذ سياستها الرامية الى ابعاد مالطة عن تأثيرات ايطاليا في ظل مرحلة التنافس الاستعماري التي ادت الى الحربين الاولى والثانية ، وهو يكشف كيف تسعى القوى الدولية على التأثير على الانتماء واستخدام الثقافة استخداما سياسيا مغرضا .

والمهم كان المالطيون قبل ذلك لا يكتبون لغتهم الا من باب الهواية ولا يدرسونها ولكنهم منذ ذلك الحين جعلوا لها قواعد كتابة جديدة اتفقوا عليها ، فقد كانت تكتب بالحروف العربية حين قام رجل اسمه اجيوس سلوانيس بالعناية باللغة وقواعدها ، ثم قامت جماعة الكتاب المالطية « عقدة تالكتيبة تالملطي» باصدار كتاب «تعريف الكتبة المالطية» في عام ١٩٢٤ م ، وهم يكتبونها الان بالحروف اللاتينية .

وصحيح ان اللغة الملطية دخلها العديد من الالفاظ الاوروبية وبالذات الايطالية ولكنها اسماء الالات الحديثة او المصطلحات التجارية او القانونية او علمية او دينية ..

وكتب احمد فارس الشدياق في القرن الماضي بعد ان عاش في مالطة اربع عشرة سنة كتابه سماه الواسطة في معرفة احوال مالطة يحتوى

كتابات عربية وجدت في المقابر الاسلامية خارج « مدينه »

؛ شيقة حول لماذا اندثرت اللغة العربية من
؛ وسردينيا والاندلس وجنوب فرنسا وبقيت
الطة .. ويسلم بان اللغة المالطية لغةعربية
؛ ويجيب بعد ذلك أن أصل لغة تلك البلاد
اللاتينية اما لغة مالطة فكانت الفينيقية ،
ا دخلها اليونانيونلم يخرجوا منها الفينيقية،
لم تتغير زمن القرطاجنيين لان لغة هؤلاء
ايضا فينيقية ويضيف .. والفينيقية كانت
العربية ، وعندما جاءتهم العربية كانتكانها
في وطنها وثبتت فيها ثباتا لم يزلزلـه
؛ المسلمين ..

ساف الى ذلك انه حتى في عصر الفرسان
الفرسان طبقة مميزة معزولة عن الشعب
ى الذى استمر يتحدث لغته ..

لتقيت في مالطه بباحث عربي شاب هـــو
ور طلعت حسن استفاد من ارساله مبعوثـا
س اللغة العربية فعكف على دراسة اللغة
يه واعد اطروحة للدكتوراه حول دراســـة
ة للغة المالطية باعتبارها لهجة عربية،وحصل
الدكتوراه ويعمل الان استاذا للغة العربية
امعة مالطه ، وقد خلص في دراسته الى ان
، المالطيه احدى اللهجات العربية العامية
ل في بحثه الصوت والتشكيل وقواعد الصرف
و ، وقال : ان في المالطيه سمات اللهجة فهي
ت عن العربية ولاهلها طرقهم الخاصة في
ى والصرف والنظم والدلالة التى يتفقون في
ا مع بعض اللهجات العربية ويختلفون مع
س الاخر ..

يلاحظ ان اللغة العربية لم تعد تمد اللسان
لى باسباب الحياة والبقاء كما تفعل مع سائر
جات العربية الاخرى • مما ادى الى ان يطور
ان المالطي نفسه بطريقة مغايرة في بعض
بها للهجات العربية ، فهي لا تستمد مـــن
ون العربي العام مفرداتها وتعبيراتها بـــل
. على العكس اذ يعايش اللسان المالطي لثقافة
فة تماما عن الثقافة العربية ، كما انها اداة
بير في مجتمع مختلف عن المجتمعات العربية
؛ في ثقافته فحسب بل في ذات الوقت الذى
امل فيه العنصر العربي في المالطيه علـــى
دام ، لذلك تاخذ المالطيـه مـن الايطـاليـة
انجليزية وتخضعها تاخذه لكي يتلاءم معنظامها،

فالمالطيه ترى ان الاخذ والترجمة من اللغـــات الاجنبية ايسر من الاشتقاق والنحت •

فالمالطيه لغة سامية ليس بسبب العنصر العربي الغالب عليها ، بل لان نظامها الصرفي عربي ، ولانها عند استعارتها لالفاظ من لغات اجنبية تخضعها لقواعد الصرف العربية ،ويختم دراسته بالقول ..اننا اذا اردنا تفادى انقطاع اللهجة المالطيه باللغة العربية ، فيجب ان يكون ذلكجزءا من خطة قومية شاملة ..

ولم تعد اللغة المحلية في مالطة المعاصرة منبوذة كما كانت ، بل ان الحكومة الحالية تهدف الى دعمها ، وقررت تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية ، وقدمت الحكومات العربية خمسينمدرسا عربيا ، كما تدرس اللغة العربية في قسم اللغة المالطية باعتبارها اللغة الام .. فمن ذا الذى يستطيع ان يحملق في قرص الشمس الساطع ..

كالذى يؤذن في مالطه ..

استفزني البحث التاريخي فكل ما شاهدته يستاهل التحقيق والبحث ، وقفز الى ذهني المثل العربي الشائع والذى يتردد تعبيرا عنعدم الجدوى والذى يقول « كالذى يؤذن في مالطة » ولا يلقى استجابة ، فلا وجود لمسلم واحد بها ، فهل هذا اختزان للحقيقة التاريخية بان مالطة كانت يوما ترفرف عليها اعلام العروبة ، وان هذه الاعلام قد نكست وطويت•والبحث في تاريخ العلاقات بين مالطه والعرب عملية شاقة ومرهقة لقلة المصادر عربية كانت او اجنبية ، وهي مرحلة معتمة من التاريخ ، الاسئلة فيهـا اكثـر من الاجابات • فعندما تغيب الحقائق التاريخية يخضع الحاضر للاهواء يقول المؤرخ ايفانس..اهم مشاكل التاريخ المالطي بقيت بلا حل ، ويتعرض الكاتب البريطاني لوتريـل Luttrell للقضية بقوله .. « اوشك تاريخ مالطه على ان يسجل ، وماسبق كتابتـه ليس دقيقا وبعيد عن الموضوعية ومليء بالمبالغات ، تسيطر عليه الاساطير وتصفية الحسابات • ولـم تواجه هذه الاساطير من يدحضها، ولسبب او لاخر بقيت موضوعات هامة،مثلالوجود العربي والاوامر الكنسية واصل اللغة تعاني الاهمال بسبب عدم

من المسلمات المزيفة ٠٠ رغم ان العديد من الكتب القديمة تناولت فصولا من تاريخ مالطة ، وهي موزعة على الكتب اللاتينية واليونانية والعربية ولكنها جميعا مختصرة وعامة، ويكشف الكاتب المر بقوله « ان المؤرخين الغربيين والمالطيين يفضلون مالطة مسيحية اوربية عن كونها افريقية مسلمة »٠

ونفس الملاحظة يوردها برادلي Bradly بقوله ٠٠« قضية اصل الشعب المالطي خضعت في الماضي لما يراه المالطيون اكثر اعزازا واكثر فخرا ، اكثر منه خضوعا للحقيقة التاريخية ، وعندما يفضل احد الكتاب الجنس العبري للشعب المالطي ، ويسأل لماذا اختار ذلك ولم يقل « جنس عربي »، يجيب ان العبريين شعب المسيح ولكن العرب شعب محمد ٠

فتح الملفات

والذي يبحث قصة استئصال الاسلام من الجزيرة كالذي يفتح ملفات التحقيق حول قضية تمت منذ عشرة قرون بعد ان اخفيت كل معالمها ، وبالتالي يواجه قضية بالغة الصعوبة ، وبالطبع ليس مقصدي من فتح هذا الملف احياء رواسب التعصب المقيت بقيم متخلفة لعصر مضى بل لكشف الدروس التاريخية وعمق الروابط الثقافية بين العرب والجزيرة ، عن السمي المقدس نحو الحقيقة فكتب التاريخ تسجل باستفاضة الانتصارات وتتوارى خجلا في تسجيل الهزائم ، واصبح معروفا ومطروقا كيف تزدهر الامم والحضارات ، ولكن في بعض الاحيان يكون المطلوب معرفته كيف تتحلل الامم ٠٠ وكيف تتقهقر وتضمحل ، وكيف تنكس اعلامها وتطوى امجادها ٠

فالغريب ندرة المعروف عن مالطة في الكتب القديمة للمؤرخين والجغرافيين العرب ، فقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه تاج العروس ٠٠«بلدة في الاندلس كما نقله الصاغاني ، وهي مدينة عظيمة في بحر الروم (البحر المتوسط) ، شديدة الضرر على المسلمين في البحر » ٠

وقال عنها الجغرافي ابن حوقل ٠٠«ومن الجزائر المشهورة غير العامرة جزيرة مالطة وبها الى هذه الغاية من الحمير التي توحشت والغنم الكثير الغزير » ٠

ويفسر الامير شكيب ارسلان ندرة المعلومات حول الجزيرة في المراجع العربية وما يبدو من خطأ في بعضها بقوله٠٠ « انها اختلطت عند ياقوت الحموي بملقة في الاندلس ، وان ابن الاثير قد اطلق عليها اسم الجزائر في كتابه » ٠٠

اما عن فترة الحكم الاسلامي فلا يتوفر حولها معلومات سوى ما جاء في الوثيقة النادرة التي امدنا بها القزويني حول الجزيرة ٠٠ « جزيرة بقرب جزر الاندلس عظيمة الخيرات كثيرة البركات ، طولها نحو ثلاثين ميلا ، وهي آهلة ، بها مدن وقرى واشجار والماء » ٠٠

ولم ينس حظ الجزيرة من الادب فقال ٠٠«ينسب الى السمنطي الشاعر المالطي ، والذي كان آية في نظم الشعر على البديهة ،قال ابوالقاسم ابن رمضان المالطي ، اتخذ بعض المهندسين بمالطة لملكها صورة تعرف بها اوقات النهار ،وكانت ترمي بنادق على الصناج ،فقلت لعبدالله بن السمنطي، اجز هذا المصراع :

جاريـــه ترمي السنج

بهـا النفوس تبتهج

كان مـن احكمهـا

الى السمـاء قـد عرج

وطالع الافـلاك عـن

سر البـروج والـدرج

ومازال الموضوع يحتاج الى بحث وتدقيق في المخطوطات العربيـة ، فلعله يوجـد المزيـد من المعلومات وبالذات في تونس ٠٠

وهكذا نرى « نتفا » مختصرة لم تدرس او تحقق تنتشر في الكتابات العربية ، ويبقى السؤال : اين مرحلة مالطه العربية في كتابات المؤرخين العرب ومن الذي حكم الجزيرة خلال الوجود الاسلامي ، وماهي الاحداث التي عاشتها ٠٠ وماذا كانت عليه اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وهل خضع حكام مالطه الى صقلية الاسلامية ام الى القيروان في المغرب العربي ؟

فحتى المصادر التي تتناول الفتح العربي لمالطه متضاربة ، واذا اعدنا ترتيب الوقائع ، فالارجح انه تم الاستيلاء الكامل عليها في الاعوام (٨١٩، ٨٧٠م ـ ٢٥٥ ، ٢٥٦ هـ) اي بعد ان امتد الاسلام وتوطدت اركانه في الشمال الافريقي ٠ فابن الاثير يخبرنا انه في سنة ٢٢١ هـ ارسل ابراهيم

احد المنازل القديمه تشيد من الحجر المرصوص

الاغلب اسطولا لغزو الجزائر ، ويصف محمد
لبى ويسجل مارسيه Marcais مقاومة بيزنطيه
ة فى محاولة العرب الاستيلاء على صقلية
اء من ٨٢٧ م ، ويبقى لغز تاريخي هو كيف
ن ان لا تتعرض مالطه لاية محاولة غزو وهى
فى الطريق بين الاغالبة فى الشمال الافريقى
قلية وهى استراتيجيا قاعدة عسكرية هامة بين
اربين، والمؤرخ الايطالى ايمرى Amari يختار
٨٧٠م كتاريخ بدء احتلال العرب لمالطه
تمد فى ذلك على رواية ابن الاثير ومؤداها
لما قتل ابن خفاجه امير صقلية تولى ابنه
د ، واقره ابن الاغلب صاحب القيروان على
ته فسير جيشا عام ٢٥٦ هـ الى مالطه وكان
رم يحاضرونها فلما سمع الروم بالحملة رحلوا
ا، ولكن الا يحتمل ان يكون الجيش العربى فى صقلية
تحرك لفك الحصار وليس لفتحها ، مما يعنى
التواجد العربى فى الجزيرة سابق على هذا
ريخ !

وهناك رواية اخرى للمؤرخ الايطالى فيفيانى
ل : « ان المالطيين » لم يخضعوا للحكم العربى
٢٢٠ عاما فحسب بل لقد سبقت هذه الفترة ٢١٨ سنة
ى من الغارات والاستيطان المؤقت أو الممتد ..
ل هذا القول يؤكد عدم بقاء مالطه شوكة فى
يق العرب الى صقلية ..

هذا عن تاريخ الفتح اما عن الوجود العربى
ه .فيكاد يكون القرن العاشر الميلادى ـ الرابع
جرى كله معتما ، ووسط الظلمة توجد احداث
طعة وغير دقيقة مثل محاولة البيزنطيين

الاستيلاء على الجزيرة عام ١٠٣٨ م ، وهو ما
يرويه القزوينى فى كتابه «آثار البلاد واخبار العباد»
غزاها الروم بعد الاربعين والاربعمائة ، حاربوهم
وطلبوا منهم الاموال والنساء ، فاجتمع المسلمون
وعدوا انفسهم ، وكان عدد عبيدهم اكثر من
الاحرار ، فقالوا لعبيدهم : حاربوا معنا ، فان
ظفرتم فانتم احرار ، ومالنا بكم وان توانيتم
قتلنا وقتلتم ، فلما وافى الروم ، حملوا عليهم
حملة رجل واحد ، ونصرهم الله ، فهزموهم ،
وقتلوا من الروم خلقا كثيرا ، ولحق العبيد
بالاحرار ، واشتدت شوكتهم فلم تغزهم الروم بعد
ذلك أبدا .. »

اما البحث الذى كتبه لوتريل حول الوجود
الاسلامى فى مالطة فيقول فيه : « كان يحكم مالطة
الاسلامية « قائد » تسانده مجموعة اسلامية حاكمة،
وازدهرت الزراعة وأدخلت أساليب رى متقدمة ،
وزراعات جديدة مثل القطن والموالح ، وازدهرت
مالطة اقتصاديا لوقوعها فى الطريق التجارى بين
شمال افريقيا وصقلية.وكان فى «مدينة» العاصمة
مجتمع اسلامى مزدهر .. «ويضيف..وظهر بها الفن
العربى وشهدت شاعرين عربيين هما أبو القاسم
ابن رمضان الفنان المالطى الذى احتفل باقامة
ساعة دقيقة والذى يحتمل انه عاش فى منتصف
القرن الحادى عشر فى زمن القاضى يحيى حاكم
مالطه . وهو الذى انتقل الى باليرمو فى صقلية،
والذى رفض روجر عودته الى مالطه ، والشاعر
الاخر عبدالرحمن بن رمضان المعروف بالسوسى
وقد ولد فى مالطه واصله من سوسه ومن اعماله
السحر الذى وجد على حجر ميمونه ، ويبدو ان
النخبة العربية فى مالطة قد توزعت فى العديد من
البلدان بعد خضوع الجزيرة للنورمان .. ويلاحظ
الكاتب البريطانى . ان الكتاب العرب قد افسحوا
مؤخرا مكانا للكتابات حول الجزيرة ، وكانت
تعليقاتهم بشانها مختصرة وبعضها خاطىء ويبدو
انه يقصد ما نشره أحمد فارس الشدياق فى كتابه
«الواسطه فى معرفة أحوال مالطة» والذى ذكر فيه..
ان المسلمين الذين فتحوا مالطة لم يكونوا من اهل
العلم والتمدن ، فانى لم اجد فيما قرات ما
ينسب الى المالطى ، والسيوطى لم يغادر فى كتاب
الانساب الذى سماه «لب الالباب» أحدا من أهل العلم
الا ذكره ما خلا المنسوب الى مالطة » .

ويلاحظ ان مالطه فى الفترة مابين عامى ٨٧٨م

و ١١٤٩ م لم يوجد بها اسقف ، وروى نفي اسقف مالطة مكبلا بالحديد عام ٨٧٨ م الى باليرمو ، ويعلق انروفيلا على ذلك بقوله : ان المالطيين لم يكونوا محتقرين خلال الحكم العربي ، فاعداء العرب كانوا البيزنطيين ، وان حادثة سجن اسقف مالطة في باليرمو حصلت عندما اعان عليهم اعداءهم البيزنطيين في حصار سيركوزا بان حاول ان يمدهم بالقمح ، واستشهد بالمؤرخ العربي محمد الطالبي بانه كان هناك عهد بين العرب وبين مالطه ، ولكن يبدو ان الاسقف نقض العهد بمحاولته مساعدة سيركوزا المحاصرة فانتقم منه العرب .

الخروج

واذا كان تاريخ دخول المسلمين الى مالطة لم يحدد على سبيل اليقين ، فخروجهم مازال يفتقر الى اى شواهد او وثائق تاريخية ، واذا كان مفهوما اختفاء هذه القصة من المصادر الغربية التى عاصرت هذه الاحداث ، فما هو سر اختفائها تقريبا من المصادر وكتب المؤرخين العرب .. ؟

هل لان ما وقع فى مالطة وقع فى ظل كارثة اكبر منه فحجبته .. ؟

لقد بدا الخروج بحيلة ماكرة من روجر كما ذكرنا ولكن هذا الحدث يعكس تغير ميزان القوى فى هذه المنطقة من العالم لصالح القوى المضادة، ولنضع هذه الحادثة فى سياقها التاريخي مراعين الايجاز الشديد .. كانت يوما شبه جزيرة ايبريا وصقلية وكريت ومالطة وقسم كبير من اراضي اليونان والبلقان خاضعة لتاثير الحضارة الاسلامية العميق ، وطرقت هذه الحضارة أبواب كل من فرنسا وايطاليا وان لم تقع داخل نفوذه سوى امارتين هما بارى Bari وترنتو .

وشهدت شواطئه فيما بعد انحسار هذه الحضارة ودارت على امواجه فصول صراع دام طويل ،فشهدت مالطه الزحف الاسلامي ثم ارتداد هذه الموجة ..

وحمل عرب المغرب مسئولية البحر الابيض والدول التى قامت من الاغالبة وحتى الفاطميين واخيرا بنو زيرى واتخذ الاغالبة القيروان (وريثة قرطجنة) عاصمة وجعلوها قاعدة لنشر سيادتهم وهم الذين فتحوا صقلية ثم مالطة ، واصبحت القيروان مركز الدائرة فى ذلك الكفاح التاريخي، وقام عرب الاندلس بتعمير جزائر البليار وتحول البحر الغربى الى بحيرة عربية زهاء ثلاثة قرون..

وتصل الى القرن الحادى عشر عندما اشتد الزحف الغربى الذى كان يريد ان يغزو او يحطم او يخترق او يقسم تلك الكتلة الكبرى التى استوعبتها عقيدة واحدة وثقافة واحدة من قلب القارة الهندية حتى المحيط الاطلنطى فكانت الحروب الصليبية ذات الدوافع السياسية والاقتصادية والحضارية والدينية معا واستعاد الغرب سردينيا وصقلية ومالطه بعد ان وصل الصراع الى مرحلة توازن ثم الى اختلال لصالح الغرب ، بعد ان اصبحت كل المناطق فى جنوب اوروبا متروكة لشانها بينما الحرب الاهلية تهد هذا الكيان ،مما حال بين العرب فى القيروان وفى المهديه من التفكير فى الدفاع عن هذه المناطق ، ولم يدركوا ان ما وقع فى مالطه سيعقبه غزو القاعدة البحرية « المهدية » فى تونس وهو الغزو الذى وقع عام عام ١٠٨٧ وسيعقبه احتلال القدس عام ١٠٩٩ ، والتى لعبت قاعدة مالطه البحرية فيه دورا بارزا، وكان من الضرورى ان تخرج مالطه من تاثير حضارة الشرق ونفوذها لتخضع للنفوذ والثقافة الغربية.

هكذا تبدا الهزائم الكبرى فى التاريخ خطوة خطوة ، فقد كان روجر غير مثقف (جلف) واعتمد على المسلمين فى حشد أكثرية المشاة فى جيشه ، فلم يجد فى مالطه نصارى يعيبون انتصاره وشمل العلوم العربية باهتمامه فقرب منه الفلاسفة والاطباء العرب ، وسمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة ، وظلت الوظائف القيادية فى مالطه من المسلمين ، تشهد على ذلك العملة الذهبية فى عصر روجر والتى على احد وجوهها روجر وعلى الوجه الاخر كتب « اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » ، وظلت التجارة بايدى المسلمين ..

وبالطبع لم يستمر الحال على هذا النحو فسرعان ما قام خليفة روجر الثانى عام ١١٢٧م بضم مالطه نهائيا الى املاكه ، وبدا وقوع تغييرات رئيسية فاقامت جالية نورماندية ، وسيطر تجار من جنو

التجارة ، وبدأ يقع تغير ديموجرافي (سكاني) لجزيرة ، ورغم هذه التغيرات لم يكن لمالطه ـ حتى عام ١١٦٨ وهو الذى كان يقيم خارج ..

مكن فهم ما وقع في هذه الفترة على ضوء لة والتدمير الذى حاق بجربة القاعدة البحرية ونس عام ١١٣٥م باسطول ابحر من قاعدته في ، ومن خلال الاحداث التاريخية التي وقعت تصور اوضاع المسلمين في الجزيرة ، فمثلا حوالي عام ١١٤٨م استولى القائد بيسان ٢ على باخرة تونسية محملة بالبضائع قرب اطىء المالطية ، أسر بحارتها ، وهذا يعني علاقات بين مسلمي مالطه ومسلمي المغرب بي سرا ، كما انه حتى منتصف القرن الثالث كانت العملة المتداولة في الاسواق هي كلتا لتين التونسية والصقلية ..

خلفت لنا الوثائق ما ذكره اسقف ستراسبورج ، مر بمالطه في طريقه الى مصر في سفارة صلاح الدين الايوبي عام ١١٧٥م وسجل سكان مالطه هم من « السراسنه » وهو تعبير ، في اصله اللاتيني البدو المسلمين ..

تحولت مالطه لتصبح قاعدة للهجوم على العرب كز وثوب في الحروب الصليبية ، عندما قام نت هنري ـ الذى عين من قبل فريدريك حاكما ٩ ـ باسطوله متجها الى طرابلس في الشام احدى العملات الصليبية ، وقام بحملة أخرى ١٢٢٢م هاجم فيها دمياط في مصر ووقع ا وفقد حكم مالطه ..

يمكن القول ان اثر هذه الاحداث على سكان زيرة من المسلمين كان بالضرورة فاجعا ..

بعد كل هذه الاحداث نقل الينا تقرير الاب رت والذى اعده عام ١٢٤٠م عندما كان يعمل ربا للامبراطور فريدريك الثاني قال « ان ئلات الاسلامية في الجزيرة بلغت ٨٣٦ عائلة سيحية ٢٥٠ عائلة واليهودية ٢٣ عائلة ، وهي ـ بقاء الغلبية اسلامية حتى بعد التغييرات كانية التي وقعت فيها ..

اين ذهب المسلمون ؟

يجيب كتاب بريطاني بعنوان « مالطه قبل حكم الفرسان » جمع مادته لوتريل :

شهدت مالطه عام ١٢٢٤ موجة من نفي المسلمين الى خارجها ،وفي هذه الفترة اقيمت الكنائس والقصور والقلاع بواسطة الاسرى الذى يمثل المسلمون عددا كبيرا منهم ، والذى عرف تحديدا ان من بينهم ٤٨ مسلما من جربة في تونس ، وسجلت الوثائق بيع طفلة مسلمة تبلغ من العمر عشرة اعوام بيضاء لوحتها الشمس في جنوه عام ١٢٤٨ ، وبدات ظاهرة الذين يدعون المسيحية تجنبا للحرق او النفى » .

ويقدم الكاتب ريكاردو دى سان يوما من أيام مايو عام ١٢٢٤م كيوم محتمل لخروج المسلمين من مالطه .. «ويضيف » . انه لصغر حجم الجزيرة بالنسبة لجارتها صقلية يبدو ان قابليتها للتحول كانت اكبر واسرع .. !!

اما المصادر التاريخية العربية فليس فيها الا ما ذكره ابن خلدون ـ ان حاكم صقلية ذهب الى مالطه وطارد المسلمين الذين يعيشون في الجزيرة، والغى حكم الشريعة الاسلامية .

واذا صح اعتبار الفكلور مصدرا للتاريخ ، فهناك قصة تروى على السنة العامة رواها لازبينا Laspina في كتاب « الخطوط العريضة لتاريخ مالطه » ، وهي قصة لها مغزى خاص تقول : « بان المسيحيين قد انقضوا على المسلمين عام ١١٢٢م واوسعوهم تقتيلا بينما لجا الناجون الى جبل يسمى بحريه Bahria بعد ان تم اكتشاف مؤامرة ،وربما كان لهذه القصة اساس ، او ربما سيقت لتبرير العمل الذى اتخذ ضد المسلمين ، وقيمتها انها تقدم شاهدا او دليلا على واقعة تاريخية سقطت تماما من كتابات المؤرخين ..

ولم يظهر مسلمو ذلك الزمان اية استجابة لما وقع بل قوبل بلا مبالاة ، فالجهاد كان قد انتهى منذ زمن ، ودبت روح الفرقة والحرب بينهم . وكان روح الجهاد ـ احد اركان الاسلام ـ قوض تماما ..

وداعا .. او « صحة » باللسان المالطي .■

مصطفى نبيل

هل تستطيع أن تحدد اسم المكان الذى تدخلـه
وتخرج منه هذه الخطوات ؟ !!

اذا لم تستطع فانظر الحل اسفل الصفحة

بريشة : بهجت

العل

١ ـ ملهى ليلى .

٢ ـ صالة امتحان بهلوانات جدد للسيرك

٣ ـ محل أحذية على الموضة الجديدة .

٤ ـ كازينو للعب القمار .

٥ ـ منزلنا حيث سرق حذائى أثناء رسم هذه الصفحة .

نخلو الرواية العربية ، مع افاضتها فى تاريخ الاندلس ، وجمال حواضرها ، وفضائل شعبها ، وسير ملوكها وخلفائها ، وفى آدابها ورقيق اشعارها وموشحاتها ـ تخلو من الكلام عن تاريخ الامة الاندلسية المغلوبة ، وتكتفى بالاشارة العابرة الى ما وقع من تنصيرها المغصوب ، ثم اخراجها آخر الامر من اسبانيا فى سنة ١٦٠٩م (١٠١٨ هـ) ، ونزول البقية الباقية من ابنائها المنفيين فى مختلف الثغور المغربية .

ونود هنا ان نتحدث عن احدى المسائل ، التي ارتبطت بالمرحلة الاخيرة من حياة الامة الاندلسية في تلك الفترة ، وهي مسالة الحالة الفكرية ، التي كانت تصطدم في نطاقها الضيق ، وعن اللغة التي اضطر الموريسكيون او العرب المتنصرون الى ابتكارها للتعبير عن افكارهم ، ومشاعرهم ، والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت فى صدورهم .

ذلك ان العرب المتنصرين ، بالرغم من كل ما اتخذته اسبانيا النصرانية من وسائل القهر والارغام في تنصيرهم ، بقوا مسلمين فى سرائرهم يذهبون الى الكنائس مرغمين ، متوجسين مما ينالهم من سوء العذاب ، على يد محاكم التحقيق اذا لم يحضروا القداس ، او اذا علقت بهم آية شبهة في صدق اعتناقهم للدين المسيحي. وكانت هذه الشبه كثيرة لا حصر لها . وكانوا يشعرون دائما بالحرج من الدين الجديد . فاذا ذهبوا الى القداس ايام الاحاد ، فذلك فقط من باب مراعاة العرف والنظام . وفى يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون ، ويقيمون الصلاة فى منازلهم المغلقة ، وفى ايام الاحاد يحتجبون ويعملون وكانت محاكم التحقيق (وهي المسماة خطا بمحاكم التفتيش) قد وضعت قائمة طويلة بهذه الشبه ، ومنها : ان الموريسكي او العربي المتنصر ، يعتبر انه قد عاد الى الاسلام ، اذا امتدح محمد ، او قال ان يسوع المسيح ليس الها . ومنها ان يحتفل يوم الجمعة بان يلبس ثيابا انظف من ثيابه العادية ، او يستقبل الشرق قائلا « باسم الله » او يختن اولاده ، او يسميهم باسماء عربية ، او يقسم بايمان القرآن ، او يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، او يمتنع عن اكل لحم الخنزير وشرب الخمر او يقوم بالوضوء والصلاة بان يوجه وجهه نحو

الصفحتان الاوليان من كتاب فى الادعية النبوية مكتوب بالالخميادو ومحفوظ بمكتبةمدريد الوطنية برقم٥٣٠٦

ق ، الى غير ذلك من الامور التى لا نهاية لها .
قد ترك الموريسيكيون عصرا يتحدثون بلغتهم
بية ، ويتعاملون بها ، ويكتبون بها سرا
آن والحديث ، والادعية والصلوات ، وبعض
ب الادبية . وقد فطنت الحكومة الاسبانية
نيسة الاسبانية اخيرا الى اهمية اللغة
مية فى تدعيم وحدة الموريسيكيين ، وضم
هم ، وتقوية روحهم المعنوية ، فصدر في
١٥٢٦ في عهد الامبراطور شارلكان ، قانون
م على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية ،
نداء الثياب العربية ، واستعمال الحمامات
امة الحفلات على الطريقة الاسلامية . ولكنه
، نُفّذ فى كثير من الرفق والهوادة ولا سيما
المناطق التي يكثر فيها احتشاد الموريسكيين ،
، منطقة غرناطة ، ومنطقة بلنسية .

يحرم انشاد الاغاني !

ولما توفي الامبراطور شارلكان فى سنة ١٥٥٥م ، وخلفه ولده الملك فيليب الثاني اخذت هذه الاوضاع في التغيير وكان فيليب الثاني ملكا شديد التعصب والتزمت ففي سنة ١٥٦٦ م ، جدد هذا القانون القديم بتحريم استعمال اللغة العربية وسائر ما هو عربي من العادات والتقاليد ، واليك ملخص هذا القانون الهمجي :

« يمنح الموريسكيون ثلاثة اعوام لتعلم اللغه القشتالية ، ثم لا يسمح بعد ذلك لاحد منهم ان يتكلم او يكتب او يقرا اللغة العربية او يتخاطب بها . وكل معاملات او عقود تجرى بالعربية تكون باطلة . ولا يعتد بها لدى القضاء او غيره .

ويجب ان تسلم الكتب العربية ، من اية مادة ، لتقرا وتفحص ، ثم يرد غير الممنوع منها لتبقى لدى اصحابها مدى الاعوام الثلاثة فقط . وكذلك الثياب العربية ، فلا يصنع منها اي جديد ، ولا يصنع الا ما كان مطابقا لازياء النصارى . ويحظر على النساء الموريسكيات التحجب ، وعليهن ان يكشفن وجوههن وان يرتدين المعاطف والقبعات عند الخروج . ويجب ان تجرى سائر حفلاتهم طبقا لتقاليد الكنيسة وعرف النصارى. ويجب ان تفتح المنازل اثناء الاحتفال باية مناسبة، وكذلك ايام الجمع والاعياد ليستطيع القس ورجال السلطة ان يروا ما يقع بداخلها من المظاهر والرسوم المحرمة . ويحرم انشاد الاغاني القومية ، ويحرم الخضاب بالحناء ، ولا يسمح بالاستحمام في الحمامات ويجب ان تهدم سائر الحمامات العامة والخاصة .

اعلن هذا القانون في غرناطة في اول يناير سنة ١٥٦٧م وهو اليوم الذي سقطت فيه غرناطة ، واتخذته اسبانيا عيدا قوميا تحتفل به في كل عام، وعلق في ميدان باب البنود ، اعظم ميادينها القديمة ، وفي سائر ميادينها الاخرى ، فوقع لدى الموريسكيين وقع الصاعقة ، واجتمع زعماء الموريسكيين ، وتباحثوا فيما يجب عمله ا·· هذه المحنة الجديدة ، وحاولوا ان يسعوا بالضراعة والحسنى لالغاء هذا القانون او على الاقل لتخفيف وطاته ، ورفعوا ظلامتهم اولا الى الرئيس ديسا ، رئيس المجلس الملكي ، ثم رفعوها الى العرش على يد وفد من اعيانهم. وساعدهم في مسعاهم بعض اعيان غرناطة من الاسبان انفسهم ، ممن يعطفون عليهم . ولكن مساعيهم كلها ذهبت هباء ، واكد لهم الكردينال اسبينوزا كبير الوزراء ، بان الملك مصمم على تنفيذ القانون ، وانه اصبح امرا واقعا ومحتوما لا سبيل الى رده . فعندئذ بلغ الياس بالموريسكيين ذروته ، ولجاوا الى الثورة ، وبدات الثورة في منطقة « البشرات » في مناطقها الجبلية الوعرة ، وامتدت الى سائر انحاء مملكة غرناطة القديمة . واشتد النضال بين الموريسكيين، وبين قوات الجيش الاسباني في انحاء مختلفة ، ووقعت في الجانبين مذابح مروعة ، وجردت اسبانيا على مواقع الثوار ، قوى ضخمة ، تولى قيادتها الدون خوان الشهير اخو الملك ، وانتهى الامر باخماد الثورة في سيل من الدماء ، واستكان الموريسكيون في غمار من الذل والياس ، ينتظرون ما تخبئه لهم الايام من محن ومصائب جديدة .

كتبوا القرآن سرا

بيد انهم فكروا في الوقت نفسه ، انه لا بد ان تكون لديهم كتب الادعية والصلوات الاسلامية، وكتب القرآن والتفسير والاحاديث النبوية . فكيف يعملون ، وقد اخذت منهم معظم كتبهم الدينية ، وحرمت عليهم الكتابة بلغتهم العربية العزيزة . فعندئذ وجد الموريسكيون في اللغة القشتالية ذاتها متنفسا لتفكيرهم وادبهم القديم، ولادعيتهم وصلواتهم ، وكتبهم الدينية . واسفر ذلك بعد فترة من الوقت عن ابتكارهم للغة جديدة اشتقت اصلا من القشتالية ، لغتهم المفروضة ، واختلطت بها الفاظ عربية ، واعجمية من لغة من اللهجات القديمة والمعاصرة، ولا سيما ·ند· الرومانية . وكانت اللغة الرومانية لغة المستعمرين ايام الدولة الاسلامية ، وكانت معروفة ذائعة في قرطبة وغيرها من الحواضر الاندلسية ، التي تقيم بها طوائف كبيرة من النصارى المستعربين Mozakabes ، ويعرفها بعض العلماء المسلمين ، وكان المسلمون الاندلسيون يستعملون احيانا بعض عبارات هذه اللغة الرومانية ، ويسمونها في كتبهم«باللطينية» وقد تسرب منها بمضي الزمن كثير من الالفاظ في الزجل الاندلسي ، ولاسيما ازجال ابن قزمان، وفي مملكة غرناطة كانت اللغة العربية الشعبية يتسرب اليها كثير من الالفاظ فيما بعد الى لغة الموريسكيين السرية التي لجاوا الى ابتكارها ، حينما حرمت عليهم لغتهم الاصلية ، واحتفظوا لها بالاحرف العربية امعانا في اخفاء سرها عن اعدائهم .

وتعرف هذه اللغة التي اتخذها الموريسكيون بالاخص متنفسا لدينهم القديم « بالالخميادو » Aljamiado وهو تحريف اسباني لكلمة « الاعجمية » . وقد لبثت بعد نفي الموريسكيين في اسبانيا في سنة ١٦٠٩م ، سرا دفينا لا يعرفه احد ، حتى ظفر بعض العلماء الاسبان بمجموعة من مخطوطاتها في اوائل القرن الماضي . وعندئذ ظهرت عنها المعلومات الاولى . ويقول العلامة منندث اى بلايو ، في تعريفها « بانها هي اللغة الرومانية القشتالية Romana Castelan ، تكتب باحرف

» . وكان من اول الدارسين لهاالعلامه
رو الاسباني ساندرا ، وله في دراستها
بحوث .
هذا كتب الموريسكيون القرآن سرا باللغه
ه ، معزونا بشروح وتراجم الخميادية ،
سيره الرسول والمدائح النبوية ، وقصص
، وبعض كتب الفقه والحديث بالالخميادو
ي رسم لفهم العزيزه القديمة ، مع كتابة
له والايات القرآنية دائما خلال هذه
ح السرية ، باللغة العربية ، وقد كانت
الكتب الالخميادية ، تكتب دائما بالشكل
، حتى يمكن قراءتها بطريقة صحيحة .
. ترك الموريسكيون تراثا ادبيا من النثر
م استعملوا في كتابته « الالخميادو » وتوجد
مجموعات كثيره في مكتبة مدريد الوطنيه ،
، اكاديمية التاريخ . وكان من اشهر
هم محمد ربدان ، الذي كان حيا في اوائل
السابع عشر ، واصله من روطة خالون ،
قليم اراجون ، وله نظم كثير ، وقصائد
مه ، واخرى دينية ، ومن شعرائهم ايضا
سم دي بلفاد ، وخوان الفونسو ، ومحمد
طوسي من اهل بيانة . ومنهم اخيرا شاعر
سكي مجهول ، عاش في تونس في اوائل القرن
ع عشر ، بعد النفي بقليل ، واشتهر بنقله
ات لوبي دى فيجا ، شاعر اسبانيا الاكبر .
ن اشهر كتاب الالخميادو ، الكاتب الفقيه
ي « فتى ابرالو » El Mancebo de Averalo
مؤلف لكتب في التفسير ، وتلخيص السنه ،
طاف بمعظم انحاء اسبانيا ، وشهد مصائب
، ووصفها باسلوب قوي مؤثر .

رغم الضعف والتواضع

ن اشهر كتب الموريسكيين الالخميادية ،
الادعيه والمدائح النبويه ، والواقع ان كتابة
ح النبويه باللغة القشتالية ، يرجع الى
مبكر ، فقد كتبها « المدجنون » بهذه اللغة
القرن الثالث عشر ، وانتشرت بعد ذلك بين
ت المدجنين في مختلف مدن قشتالة واراجون،
بها الموريسكيون بالالخميادو او القشتالية
مه .

يرى النقاد ان نثر كتاب الالخميادو افضل
نظمهم ، وانه نثر مطبوع ، خال من التكلف .
ب الموريسكي لا يتجه الى مراعاة الرونق
والتنسيق ، ولكنه يرمي قبل كل شيء الى
تصوير التاريخ والتقاليد القوميه في اطار ديني.
وبالرغم مما تغلب عليه من الضعف والركاكه
بصفة عامه ، فانه يصل احيانا الى مرتبه
الطلاوه بل يصل احيانا الى مرتبة البلاغه . وهو
وان لم يكن له ثروه من الجمال ، او قيمة ادبيه
ذات شان ، فان له قيمة تاريخيه واجتماعيه
هامة ، في الكشف عن التقاليد والعادات . كما
يرى النقاد انه قد ترك اثره في اللغة الاسبانيه ،
وفي الشعر الاسباني ، وفي الافكار الدينيـة
وغيرها .

وقد نوه غير واحد من الكتاب الاسبان ، بما
كان عليه الادب الموريسكي ، بالرغم من ضعفه ،
وضآلة شانه ، من شاعرية ، وشعور بالجمال ،
وخيال ممتع ، وذوق سليم ، ويعلق العلامه
الاسباني ، الدون بروناث في كتابه الموريسكيون
الاسبان ونفيهم » على اختفاء الموريسكيين ،
واختفاء ادبهم بعبارات شعريه يقول فيها :
« ان السياسه الاسبانية لم تكتف بنفي
الموريسكيين ، وما ترتب عليه من نضوب حقولنا
ومصانعنا وخزائننا ، ولم يقتصر الامر على انتصار
التعصب وبربريه « ديوان التحقيق » بل تعداه
الى اختفاء الشعر ، وشعور الجمال الموريسكي،
والادب السليم ، الذي رفع سمعة تاريخنا »
ثم يقول : « انه اختفى بنفي الموريسكيين » الادب
العطر ، والشاعريه الشعبيه ، والخيال الممتع ،
ومصدر الوحي ، الذي كانوا يمثلونه . وقد
غاض باختفائهم من شعرنا هذا التلوين والفن
والحيوية والالهام والحماسة ، التي كانت من
خواصهم ، وحل محلها الظلام في الافق الادبي
خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر » .

هذا . وكم في قصة الموريسكيين او العرب
المتنصرين من آلام ومآس مبكيه ، تفيض بها
صحف التواريخ القشتاليه ويفيض بها وثائق
محاكم التحقيق المكدسه في دار المحفوظات
الاسبانية العامه في سيمانقا ، ولا يعرف مصادرنا
العربية المعاصره عنها شيئا ، ولا تتناول منها الا
النزر اليسير ، في اشارات عابرة . هذا الى
طائفة من المصادر الاوروبية الحديثة ، التي
تتناول تاريخ « ديوان التحقيق » واجراءاته
واحكامه المروعة ، ففيها كثير من التفاصيل
السابقة . ■■

الرباط — محمد عبد الله عنان

بقلم : يعقوب افرام منصور

ليس هذا تاريخا لحيـاة شوبرت ، ولكنة محاولة للتعريف به ، من خلال ما كتبه أصدقاؤه عنه ٠٠ وقد كانوا بمثابة المرايا التى تعكس ما كان عليه هذا الفنان العظيم ٠

■ الع شخصية فى حياة شوبرت، بعد انفصاله عن والديه واخوته ، هى (ميكائيل فوجل) صاحب الصوت العظيم من طبقة (البارتيون) ، الـذى امتلك شخصية قوية وحضورا مسيطرا ، وجمـع بـين روعـة الصـوت والادراك الموسيقى ٠ كانت تربيته رهبانية ، وكانت الفلسفة الجمالية على راس اهتماماته ، وكان الكتاب المقدس وتعـاليم الفيلسوف الرواقى الرومانى (Epictetus) مواضيع غذائه العقلى المفضـل ، وقد ترجم الى الالمانية اعمالا عقائدية ٠ وكان مثابرا علىتدوين مذكراته، وقد سطر هذا الاجلال لشوبرت : «لا شىء افضـل من اغانى شوبرت يمكن ان يبـين بوضوح الحاجة الى مدرسة عملية للغناء الالمانى ٠٠٠ ما أكثر الذيـن علموا كيف ان اجمـل كلمات أعظم شعرائنا يمكن ترجمتها الى موسيقى » ٠

هذه الملاحظة دونت بعد بضع سنوات من تعرفه لاول مرة على الموسيقار الشاب ، اذ ان (فوجل) كان آنذاك قد انسحب من المسرح وتخصص للغناء٠ وعندمـا قدمـه (شوبـير) و (سبـاون) الى شوبرت ، كان هو آنئذ المنشد المعشوق من طبقـة (البارتيون) فى مسرح (كارنترتر) حيث حملت توصياته متفننين من المثقفين الكبار بين زملائه ، على الاهتمام بشوبرت وباغانيه ٠ من هؤلاء المغنية (انا ملدر) ، واحدة من زمرة شوبرت ، وذلك عام ١٨١٧ ، لكن رسائلها الى شوبرت قبل وفاته بقليل ، تفصح عن الحماس الذى قوبلت به طائفة من اغانيه عندما انشدتها فى برلين ، وهذه المنشدة كانت المغنية الاولى فى احد اعمـال (بيتهوفن)

✻ ولد فى ٣١ يناير ١٧٩٧ ومات فى ١٩ نوفمبر١٨٢٨ ٠

ِالية ، وبطلب منها لكتابة اوبرا لمسرح برلين
شوبرت فى صياغة الموسيقى لنص مسرحية
ونت جلنجن) من انشاء (بورنفيلد) ، بيد
م ينجز غير المخطط •

مرحلة هادئة

لنان اول اجتماع بين (فوجل) و (سباون)،
الثانى ان شوبرت دخل فى طور غير مترابط
فوجل) الذى لم يتاثر به كثيرا حتى فحص
ت (جانيميد) من نظم الشاعر (جيته)
رثاة الراعى) • وعند مغادرته ، ربت على
شوبرت قائلا « فيك مادة خام ، لكنك ممثل
جدا ، ومشعوذ صغير جدا• انك تبذر افكارك
ة بدل أن تنميها » لكنه سرعان ما تردد على
بقار باستمرار ، وهو اكبر من شوبرت بثلاثين
• فغدا الرجلان صديقين لصيقين ، ثم كان
برت) يزور (فوجل) كل يوم تقريبا لتجريب
جديدة ، ولسماع المغنى وهو يلقى اشعار
ات الغنائية الجديدة •

جدال ان ذوق (فوجل) الادبى قد اثر فى
شوبرت الشاب الى حد كبير ، والمعتقد أن الطبقة
الصعبة ، فى بعض اغنيات شوبرت ، تعود الى
ابعاد صوت (فوجل) الشادة • ان أغانى (ممنون)
و (العاهل اميرل) و (التائه) و (الحوذى)
كانت من الاغنيات الرائعة الاولى التى أشاعها
(فوجل) قبل حلقات الاغانى المشهورة الاخيرة •

ليس ثمة أحداث هامة فىحياته خلال عام ١٨١٧،
فشوبرت وأصدقاؤه تزاوروا فيما بينهم، واجتمعوا
مدعوين فى بيت صديق جديد ، أو قصدوا دار
الاوبرا ، وتحمسوا لروسينى كما فعلت مدينة
« فينا » برمتها آنذاك • والافتتاحيات الموسيقية ،
ذات الاسلوب الايطالى ، تعكس بدعة تلك السنة،
وبعد اخراج اوبرا (تانكريدى) ، تعالت أصوات
هذه الزمرة فى اطراء المسرحيات الغنائيةالايطالية،
وخصوصا افتتاحيات « روسينى » ، فاقدم على
تاليف افتتاحية من مقام D الكبير ، ليبرهن
ان من اليسير محاكاة الاسلوب الايطالى الشائع •

ان تطور شوبرت الطبيعى ناى به عن التقاليد
الايطالية نحو المليودراما والاغانى الالمانية • وهذا
وحده يكفى ان يمسى باعثا على الانفصام بين
شوبرت وبين (سالييرى) المسن — الموسيقار

والنظرى الايطالى المقيم فى فينا منذ عام ١٧٦٦ ، ورئيس جوقة البلاط منذ عام ١٧٨٨ ·

فى صيف عام ١٨١٨ ، اتيحت لشوبرت فرصة العيش برخاء مع مرتب قليل ووقت للتاليف فى قلعة (زيلز) حيثمقر الكونت (يوهان استرهازى)، فانطلق الى هنجاريا (المجر) لاعطاء الدروس الموسيقية الى ابنتى الكونت ، حيث كان معتبرا فردا من الاسرة · فى هذه المدينة سبق أن عاش بيتهوفن متحررا من مراعاة بعضاعتبارات التفاوت الاجتماعى ، كما عاش (هايدن) بدون كلفة مع اسرة (استرهازى) واصدقائه · ان رسائل شوبرت ، رغم قلتها ، فى اعقاب مبارحته فينا ، تكشف النقاب انه خلال الصيف كان يحيا ويؤلف على احسن ما يرام ، لكنه فى شهر آب (اغسطس) تاق الى حبيبته (فينا) المرحة التى لا يتوقع الاوبة اليها قبل تشرين الثانى (نوفمبر) · ولا بد أن اقامته فى هنجاريا قد اسهمت فى توسيع تجاربه العاطفية ·

فى دار خاوية

يعتبر (ماير هوفر) صديقا مقربا لشوبرت · كان موظفا مدنيا وشاعرا كلاسيكى الاتجاه ، وتحت سقف بيته اقام شوبرت بعد انفصالهعن بيت أبيه · ورغم ان منزله لم يكن نظيفا ، فقد كان شوبرت فى منتهى الرضا ، فانه لاول مرة فى حياته ألفى دارا خاوية عندما يكون صاحبها فى مقر عمله ، فيجد آلة ووقتا للتاليف من الصباح حتى الظهر ، ويزور من شاء بعد الظهر ، الا اذا استبقاه بعد ذلك الهام مفاجىء · وكانت الليالى مخصصة للمرح والاجتماعات الموسيقية ·

خلال هذه الفترة ، أضحى اثنان من اصدقاء شوبرت ، الذين عرفهم قبلا ، من زائريه كما كان يزورهما ، فكانوا يجتمعون فى مقهى أو حفل موسيقى · احدهما (آنسلم هوتنبرينر) ـ ١٧٩٤ ـ ١٨٦٨ ـ وهو مؤلف موسيقى نمساوى وتلميذ الموسيقار الايطالى (ساليرى) السابق ذكره . عندما كان شوبرت يتلقى عليه الدروسالموسيقية، وصديق بيتهوفن · اما مؤلفاته ، التى نسيت الآن، فكانت غزيرة · كان متعدد البراعات وذا طبيعة مرحة ، وذكرياته مصدر ذو قيمة بشان عادات هذه الحلقة · لقد شكل رباعيا من أصوات رجالية ، هو وشوبرت وكثان منه ، وفى اماسى الخميس كان هذا الرباعى يلتئم لتقديم عمل الفه واحد منهم علاوة على قطع أخرى ، وكانت اعمال شوبرت فى الغالب لا تدون حتى ساعة حضوره الحفل · كان الاثنان يعزفان ثنائيات البيانو ، بعضها لهايدن الذى كان شوبرت معجبا بها جدا · وكان لآنسلم شقيقان : (جوزيف) و (هنريخ) المتحمسان لشوبرت ، وكانت عائلة (هوتنبرينر) خلية تبث الدعاوة لشوبرت فى (جراز) · ولقد استقر (جوزيف) بعدئذ فى فينا ، وله الفضل فى تجميع وحفظ مؤلفات شوبرت ، ولولاه لضاعت بسبب لامبالاة شوبرت · فى ذكريات (آنسلم) المدونة ، نطالع ما يلى : « كان شوبرت غالبا لا يتذكر لمن اعار اغنية ، ويجهل أين تولت · فقرر اخىجوزيف أن يجمع كل النسخ المبعثرة ، فوفق فى ذلك الى حد بعيد بعد كثير من العناء والتنقيب · وعرفت ذات يوم أن شقيقى قد جمع أكثر من مئة اغنية لشوبرت مصنفة ومفهرسة »· جوزيف الطيب هذا ، امتلك قابلية تجارية كانت تنقص شوبرت ، وكان مسؤولا عن الاتصال بالناشرين ووكلاء المسارح ، وتهيئة العديد من المخطوطات للطبع ·

وصديقه الآخر (يوهان ينجر) الذى كان ، نظير (هوتنبرينر) ، على معرفة شخصية مع بيتهوفن ، وكان ذا مكانة مرموقة لدى الاوساط العليا من الطبقة الوسطى فى فينا بصفته موظفا فى المستشارية العربية · وهو الذى قدم شوبرت الى الممثلة (صوفى مولر) والجراح الطبيب (مينز) وآل (باجلر) فى (جراز) ومنهم كارل باجلر المحامى فى المحكمة العليا ، ومارى قرينته عازفة البيان النمساوية · وأهم من ذلك أن (ينجر) امتلك ذوق موسيقار ومقدرته ، خصوصا عندما كان المغنى فى حلقة شوبرت هو البارون (فون شنوستن) الذى عرفه شوبرت لاول مرة عند زيارته لآل (استرهازى) فى هنجاريا ، فكان يرافقه فى تسياره فى ارياف (زيلز) · وانشاده لاغانى شوبرت لم يكن اقل تاثيرا من انشاد (فوجل) ، رغم المعتقد بكون صوت (فوجل) افخم ولو أن لم يرد ذكر لهذا فى موضع ما ·

على أن (شنوستن) كان هاويا وصاحب صوت قوى من طبقة (الباريتون) ، واليه اهدى شوبرت

ن حلقة (الطاحونة) ، وانشاده لاغاني
ت هو ما حدا بالموسيقار الرومانتيكي
ت) ، في نعته انشاد البارون ، أن يبدي
ته المشهورة عن شوبرت بكونه « اشعر
بقين قاطبة » •

رحلة صيفية

الصداقة مع (فوجل) توثقت الى حد دفعته
نترح على شوبرت الذي عمره نصف عمر
، العظيم ، ليقوم برحلة صيفية معه الى جبال
النمساوية . فتوقفا في اول محطة على
بق – وهي مدينة (ستير) – مسقط رأس
– حيث الاصدقاء والاهتمام بمؤلفات وعزف
ت وبغناء (فوجل) • ورسالة شوبرت في
١٨١٧/٧ الى شقيقه (فردينانـد) ، تصف
الريف حوالى المدينة بشكل يتعذر تصوره ،
ر من الرسالة يتطرق الى الجمال الخلاب
ي فتيات مقيمات في بيت المضيف • وقد الف
ت لحنا لقصة شعرية تنشدها المجموعة من
تمثيل ، لمناسبة ذكرى مولد (فوجل) ، في
ل آب ، انشا كلماتها (ستادلر) الذي كان
يا في محكمة ، ومعه جدد شوبرت صداقة
سة ، كما جددها مع آخرين ، في ذلك الصيف
لم • وكان لستادلر هذا اخت فاتنة موسيقية
ة مثله • وهكذا كان (سلفستر بومكارتنر)،
يرا عن امتنان شوبرت لضيافته وعزفه على
(الجيلو) ، الف شوبرت خماسية (السلمون
ط) • قصد السائحان مدينة (لينز) حيث
ت أول عائلة زاراها هي عائلة (سباون)
يق شوبرت الطيب • ان مجموعة صور (كاتي
دلر) تدل ان الاوبة كانت في ٩/١٤ ، ومن
المعلوم سبب التوقف عند (لينز) وعدم المضي
(سالزبورغ) مسقط رأس الموسيقار (موزار) –
وب شوبرت – كما كانا قد اعتزما قبلا •

كان لصيف عام ١٨١٩ اهمية عظمى في ثقافة
برت الرومانتيكية ، اذ اتيح له افضل الطعام
عيش والهناء برفقة الاصدقاء وكل الاسر التي
ته لما كان عليه من خصال،بدون أن تنشد فيه
ذلك ، كما اتيح له التسيار الكثير في انقى
في اوروبا • كل هذه العوامل فعلت الكثير
سم ظل ردحا بلا قوت لذيذ ولا منتظم الوجبات،
بل انكب طويلا على القراطيس الموسيقية . بينما
التوسع الكبير في المخيلة لم يحصل الا بفضل
مشاهداته للبحيرات الزرقاء والجبال ، وتسلق
المسالك،ورؤيته للقلاع والاديرةوالمدن الرومانتيكية
في النمسا العليا •

ان عملا صغيرا ، صيغ في الشهر الاخير من عام
١٨٢٠، ينم عن صداقة هامة ، وهو تاليف موسيقي
لصوتين من طبقة (السوبرانو) وصوتين من طبقة
(الكونترالتو) بمرافقة البيانوفورت للمزمور
الثالث والعشرين « الرب هو الراعي » بنصه
الالماني ، وقد وضع ليؤديه طلاب (انا فروهلينج)
احدى الشقيقات الاربع اللواتي كانت أسرتهن
مستقرا لعرائس الالهام والجمال • هذه الدار كان
غالبا ما يزورها (جريليارزر) الكاتب والشاعر
الدرامي النمساوي من فينا (١٧٩١ – ١٨٧٢)
وتوفي مع الشقيقات الاربع تحت سقف واحد ،
وهو غير السقف الذي جلس وشوبرت تحته عام
١٨٢٠ •

كانت الفتيات موسرات ، وكان العوز قد دفعهن
الى البحث عن مورد رزق عن طريق استغلال
مواهبهن العظيمة – انا وجوزفين احترفتا الغناء
وتدريس الانشاد في معهد فينا للموسيقى، وبربارة
رسامة ، و (كاتي) أكثرهن سحرا هيمنت على
الاسرة وعلى جنان (جريليارزر) ، رغم أنه لم
يعترف بها ، وكرست ذاتها للموسيقى ، ومن خلال
بنات (فروهالينج) صاغ شوبرت الالحان لقصائد
(جريليارزر) وفي بيتهن اجتمع بحشد من كبار
وصغار المتفننين والادباء •

ان عائلة (سونليترز) هي التي قدمت شوبرت
الى آل (فروهلينج) ، وكان الوالد (اجناز)
يعقد اجتماعات موسيقية في داره حيث (اوجست
فون جيمنيج) – موظف وصاحب صوت من طبقة
(التينور) – كان ينشد اغنيات شوبرت ، واحبها
(العاهل ايرل) • اما الابن (ليوبولد) فكان
محاميا وموسيقيا هاويا ، جلب طائفة من المخطوطات
الاصلية لاعمال شوبرت ، لكامى فروهلينج لتجرب
عزفها • وكانت السيدات توالت أن يزورهن
الموسيقار برفقة المزيد من الاغاني • وعندما سئل
شوبرت عن سبب عدم نشرها ، اجاب بانه ما من
ناشر ارتضى نشرها ، بينما تنادى (سونليترز)
و (جوزيف هوتنبرينر) و (يوهان سخوناور)

و (يوهان سغونيجلر) معا لنشرها على عاتقهم ، فكانوا ياتون بالقطع المطبوعة حديثا الى الامسيات الموسيقية ويبيمونهـا هناك · وفي عـام ١٨٢١ اشتملت هذه المطبـوعات على : عاهـل ايرل ـ ماوكريت عند دولاب المغزل ـ مرثـاة الراعي ـ التائه ـ الملك في اقصى الشمال ـ ممنون ـ ضريح انسيلوم ـ الموت والعذراء ـ واعمال اخرى لا تقل عنها اهمية ·

وبعدها تتوقف الاسهامات الشخصيـة في نشر مؤلفات شوبرت ، ويشرع (ديابيللي) الماكر في التعامل مع شوبرت مباشرة ، فيبتاع منه المخطوطات نقدا بأثمان زهيدة· وليس ما يشير الى ان شوبرت اصر على اتفاق لحفظ حقوقه التاليفية المعروفة اليوم ، اذ انها لم تكن معروفة في النمسا والمانيا آنئذ ، وكان شوبرت ، بلا ريب ، يحسب ان في مقدوره انتاج المزيد من الاغاني متى احتاج الى المال ·

تكشف الوثائق المدونة عام ١٨٢١ ان اغانـي شوبرت ظهـرت في برامـج (جمعيـة السيدات النبيلات لدعم الخير والصـلاح) حيث استعـاد الجمهور انشاد (عاهل ايرل) بصوت (فوجل) وهذا العام ذو اهمية عظمى لتلاميذ شوبرت ، وخصوصا عند الذين عدوه مغبونا ، اذ من الواضح انه ـ لو شاء ـ لاولم له الولائم اكابر فينا من الموسرين والمثقفين ، اذ ان الاغاني الاولى التي تم نشرها تكشف عن كونها مرفوعة الى طائفة من علية القوم ، منهم بطريرك البندقية · لكنه لم يطمح الى دخول صالونات ارقى درجة ، مفضـلا عليها رفقة اصدقائه والزيارات الىعشاق الموسيقى من الطبقة المتوسطة من امثـال آل فروهلينـج و (بروخمان) ·

تفـرق الاصدقاء

في هذه السنة بالذات والتي تلتها ، حصلت تغيرات في حلقته من الرفاق، فسباون مضى لاستلام منصبه في (لينز) ، وابتعد شوبرت عن (مايرهوفر) بدون شجار أو سبب حاضر غير تباين الامزجـة ، وذهب (آنسلم) الى (جراز) حيث ورث تركة والده · ولبث (شوبر) وحده من زمرة شوبرت الاصلية ، وترك غرفة تحت تصرف صديقه الحميم،

وتشير احدى رسائل الموسيقار اليه ، المؤرخـة في ١٨٢٣/١١/٣ ، انه لا يستطيع ان ينساه ·

في تموز ١٨٢١ ، انطلق الصديقان الحميمان شوبرت وشوبر ، حتى نهاية عمر شوبرت القصير، لزيارة (آتزنبروغ) الواقعة بين فينا و (سنت بولتن) حيث عم (او خال) شوبر اسقف في مقر اسقفيته المسماة قلعة (اوخسنبرغ) الرومانتيكية، فاقاما هناك باعزاز،مكرمين منالطبقة الارستقراطية التي تضم عدة كونتيسات ، وكان الاسقف ملمـا بالفنون ، فزود مقام شوبرت ببيان فاخر ، ويفيد (شوبر) ان صديقه انجز اعمالا كثيرة · اما مخطط السمفونية من مقام (E) الصغير ، فقد استبعد لغـرض التركيز عليه في وقت لاحـق (والحقيقة ان هذه السمفونيـة لبثت بشكلهـا المخطط فحسب ، حتى وفاة شوبرت) · وكذلك اوبرا (الفونسو واستريلا) ، فقد انجـز منها الفصلان الاولان فقط ، هذه العطلة مع (شوبر) سجلت الذروة في آمال شوبرت · لقد ابتعد فترة عن اصدقائه القدامى ، لكن ذلك كان خيرا له ، فكان ثمة اصدقاء آخرون يملكون شخصية ساحرة وعقولا لم يستوضحها بعد · لقد تمتع شوبرت ورفيقه بمشاهد الجبال والغابات والجداولوحديقة القلعة ، وتخلل ذلك امسيات هنيئة انفقاها في المطالعة والتدخين بالغليون وصياغة الموسيقى وبعد اوبتهما الى فينا ، استانف شوبرت عمله في اوبرا (الفونسو واستريلا) ، فتم الفراغ منها في ١٨٢٢/٢/٢٧ ·

بين الموسيقى والتصوير

ان قيام وشيجة صداقة رومانتيكية واسخة مع الرسام (موريتز فون شويند) قد حولت تمامـا قطب حلقة شوبرت · فهذه الصداقة كانت اهم وشائـج شوبرت ، وبلغت اجلى مظاهرهـا عام ١٨٢٤ · واذ ان (شويند) كان يصغره بثمانية اعوام·فلا ريب انه هو الذي تاثر بشوبرت كمتفنن حائز على مقدرة عظمى للتعبير عن الذات ، وكان ملهما للشاب الغض الرسام الذي يكاد ان يعتبر نموذجا كاملا للرومانتيكي ابان تلك الفترة انه نظير الشاعـر الانكليزي (شلي) من حيث الوسامة والرقة والملكة العقلية والهيئة الجسمية وقد لقب « صاحب الوجه الملائكي » ، بيد ان ذلك

ني تانثه . اذ كان مخلوقا طبيعيا رجاليا
، وذا عزيمة قوية ، ومتفننا لا يعتريه الجهد،
ا متوقدا ، نشيطا عاطفيا • واحدى رسائله
(شوبير)، تصور جيدا هذا المخلوق الرومانتيكي
ب : —

لا اروم الموت، بيد اني غالبا ما اشعر بمنتهى
ادة في التحرر من اصفاد الجسد • انا تواق
العيش مطمئنا مستقلا ، وانا ملتهب بالتشوق،
لق بالحب • فاين القلب والذراعان لاحتضاني
نفيف عني وتحريري ؟ »

(شويند) من الشبان شعروا بذات المشاعر
سطرها ، بيد ان جيلهم وزمنهم لم يسمحا
مثل كلمات (شويند) : « كثيرا ما اعجز
الاستقرار على كلمة ، وغالبا ما تخطيء
ما غرضي ، وعندئذ استطيع نوعا ان افصح
حاسيسي بفتح ذراعي » • هذا هو عين النجوى:
ها السامي » واستغاثة « آه ! » المبتسرة في
« كيت » • وهو الافصاح الوحيد الذي
ليعه صبي حدث لم يصهر صياغته بعد
يتيح له محاولة أعطاء حبه الكامل للحياة
شياء هيئة ثابتة• وهذا ما حدا بشويند الغض،
كان قد شرع توا في الامساك باهداب التعبير
لتي بها لا يتم بيسر ايصال العاطفة كما
ساطة الموسيقى — ان يجد في رفيقه شوبرت
سا قد اتم بروعة تحقيق احلامهما المشتركة •

ن الاتيان على جميع جوانب هذه الصداقة
يمة المثالية وتاثيراتها المتبادلة ، ليحتاج الى
اسهاب واستطراد ليسههنا موضعهما . لكنخلاصة
القول ان شوبرت ماكان لينجز اى عمل اقل مما
انجز فعلا لو انه لم يجتمع بشويند ، لكن الشاب
الاصغر طيب بمثاليته وحيويته أياما ربما كانت
ستكون برمتها مفعمة بالكآبة •

كان (شويند) رغم عوزه واسع الثقافة ،وربما
قد طالع اكثر من شوبرت ، وقد عاش في عالم
فكري تحفه شخصيات الاغاني الروائية القديمة ،
واستقى مواضيع رسومه من مصادر مختلفة
كالاساطير وزواج فيجارو (اوبرا موزار الشهيرة)
وليالي الف ليلة وليلة ، والناي السحري
(لموزار ايضا) وهي الرسوم التي زينت بهو
« دار الاوبرا » في «فينا» ، وغيرها من المواضيع •
وهكذا بقدر ما يسمح لفن ان يكون موازيا لفن
آخر ، فان رسوم (شويند) كانت نظيرا لموسيقى
أغاني شوبرت • واروع رسومه — كما قال هو —
تشتمل على مجموعة تصور مقاطع شعرية من
موسيقى شوبرت • وطائفة منها تصور بعض ليالي
شوبرت ، مثال ذلك صورة زيتية تمثل شوبرت
عازفا على البيان في بيت (جوزيف فون سباون)
وهو جالس بجوار الموسيقار ، وخلف الآلة يضع
اوانس وسيدات جلسن في وضع اصغاء حالم •

فسلام على روح شوبرت في عالمه بين الخالدين،
وتحية لمحبيه وقادريه في ذكراه أينما وجدوا •

■■

بغداد — يعقوب أفرام منصور

اشتريت جهازنا !

● خلال سوق خيرية نظمتها زوجتي وقع بصري على جهاز تسخين خاص بغذاء الاطفال ، وعلى الفور وبدون تردد اشتريته بسعر زهيد وجلبته معي الى المنزل • وبعد أيام وفي احدى الحفلات تطرق الحديث الى السوق الخيرية وأخبرت ضيوفي بقصة شراء الجهاز • ولما سمعت زوجتي حوارنا التفتت الي وقالت : في الحقيقة يا عزيزي لم اشأ أن أخبرك في حينه ، ولكن الجهاز الذي اشتريته هو جهازنا •

جي • ك ستوكر ، لندن •

اعداد : يوسف زعبلاوى

(٧)
واذا توفرت الشروط تكون الجنين في البلاستولا وتحول الى ضفدع صغير يكون نسخة طبق الاصل عن الضفدع المتبرع .

اسعار البن العالمية
هل توشك على الارتفاع مجددا

● يتوقع المراقبون في البرازيل ارتفاعا جديدا في اسعار البن العالمية .. ذلك ان الصقيع ضرب اشجار البن البرازيلي في شهر سبتمبر الماضي على نحو ما ضربها قبل بضع سنوات . سنة ١٩٧٥ . ويؤكد معهد البن البرازيلي ان الصقيع الاخير قد الحق التلف بثلث تلك الاشجار ، او ما يعادل (١٥٠٠) مليون شجرة .. وان محصول البن البرازيلي سينقص في هذا العام نحوا من ٨ ملايين كيس ليصبح ١٧ مليون كيس .. ولما كانت البرازيل هي الدولة الاولى في انتاج البن في العالم كان لا مفر لاسعار البن البرازيلي من ان ترتفع تبعا للكارثة التي حلت بالبرازيل دون غيرها .

فالصقيع لم يضرب مزارع البن في كولمبيا . وهي البلد الثاني انتاجا للبن في العالم .. بل لعل محصولها هذا العام محصول قياسي من حيث الجودة والكمية .. ويقال ان كولمبيا لم تحصل على مثيل له طيلة سنوات .. ومن شان هذا المحصول ان يحد من ارتفاع الاسعار المتوقع حدوثه نتيجة لكارثة الصقيع في البرازيل ..

وثمة خبر آخر يبعث على الاطمئنان في هذا الصدد .. فقد اكدت تقديرات وزارة الزراعة في الولايات المتحدة.. وهي التقديرات التي تعتمد على تقارير الاقمار الصناعية، اكدت ان التلف الذي احدثه الصقيع محدود للغاية وان محصول البن في البرازيل هذا العام سيبلغ ٢٣ر٥ مليون كيس، اي بنقصان ١ر٥ مليون كيس فقط . ولعل تقارير الاقمار الصناعية ادعى الى الثقة من تقارير السلطات المعنية في البرازيل ، وهي بلا شك تقديرات تقريبية نظرا لان الاحصاءات الفعلية لا تردها في شهر سبتمبر وانما في شهر اكتوبر او نوفمبر ..

ويذكر هنا ان ما تجنيه البرازيل من صادرات البن في المواسم المضروبة يفوق ما تجنيه منها في المواسم الطيبة .. من هنا كان المبلغ الذي سجلته صادرات البن البرازيلي في السنة الماضية رقما قياسيا وقد بلغ ٢٥٠٠ مليون دولار.. ولا يخفى ان آثار كارثة سنة ١٩٧٥ ما زالت قائمة .. ولا يخفى أيضا ان سياسة رفع أسعار البن لدرجة باهظة وهي السياسة التي تنتهجها البرازيل في المواسم المضروبة هو التفسير الوحيد لتلك المداخيل الفائقة.

وتجدر الاشارة الى ان معهد أبحاث البن في كامبتاس قرب سان باولو قد نجح مؤخرا في تهجين صنوف جديدة من البن تجمع بين المزايا المختلفة للصنوف القديمة .. من تلك المزايا المناعة ضد الصقيع وضد شتى الامراض التي تفتك بالبن .

عمليات اعقام النساء

● مازالت عمليات اعقام النساء هي واسطة منع الحمل المفضلة في نظر الكثيرين مز
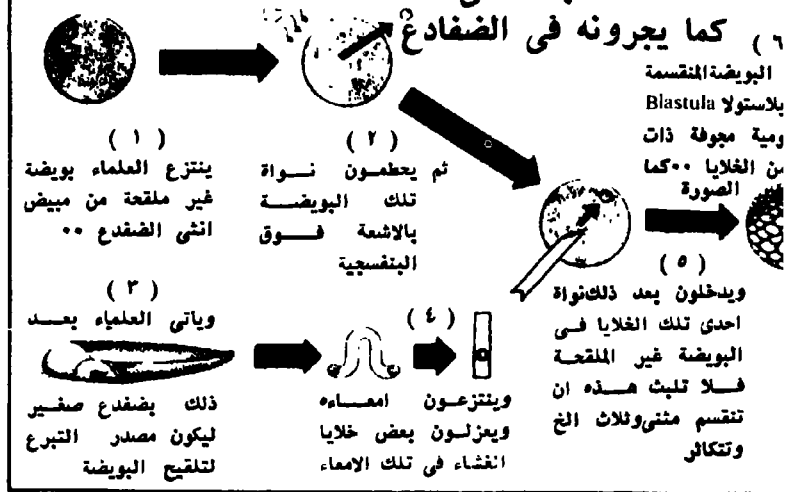
(انظر مقال هندسة الوراثة ص ٤٧)

• ولعل المستقبل القريب بانتشار هذه العمليات ى تحديد النسل على نطاق ممكن .

د نجح الأطباء الانجليز تعديلات على هذه العملية ارها بحيث اصبحت تجرى يادات الخارجية .. ذلك سبحت لا تستغرق اكثر ' دقائق .. علما بان ب التقليدى فى اجرائها ب مبيت المرأة فى المستشفى يومين .

رد الفضل فى هذا الى . مصح مارى ستوبس S فى لندن .. وقد ا اجراء عملية الاعقام ة هذه فى مطلع السنة .. وخصصوا لاجرائها واحدا من ايام الاسبوع ل ٦ – ٨ نساء للدفعة ة .. والمفهوم ان هذا المعدل سيتضاعف ليصبح ٢٠ امرأة .. ولا تزيد اجور هذه العملية على ٥٥ جنيها .

وتعرف عمليات الاعقام هذه اصطلاحا باسم Mini Laparotomy ويشق فيها البطن شقا صغيرا تحت الصرة ، عند الغط العانى .. ولا يلبث الجراح ان يهتدى الى انبوب (فلوبى)، وهو الذى تنتقل البويضة عبره من المبيض الى الرحم ، فيقفل هذا الانبوب بواسطة مشابك مصنوعة من مادة بلاستيكية هامدة ، يتقبلها الجسم ولا تسبب له ضررا .

دعوة لعدم استئصال اللوزتين

● عمليات استئصال اللوزتين للاطفال تكلف وزارة الصحة فى بريطانيا حوالى ٥ ملايين جنيه استرلينى سنويا. وهى فى معظم الحالات غير ضرورية ، وبلا طائل . ذلك انها لا تحد من السعال ولا من الرشح والزكام كما يعتقد الكثيرون. وقد اكد هذه الحقيقة البروفسور رونالد النجورث Illingworth ، أحد الاطباء الخبراء فى صحة الاطفال ، فى مقال نشرته له مجلة ممس Mims الطبية المعروفة .

ومما يقوله البروفسور رونالد فى مقاله هذا : « ولو تمهل الاباء ولم يستعجلوا اجراء العملية لاولادهم لوجدوا

ان مناعة اطفالهم ضد الرشح والسعال تزداد مع السنين ، وان تعرضهم لآفات البرد هذه يقل كثيرا حينما يكبرون » .

هذا وقد بلغ عدد عمليات استئصال اللوزتين التي اجروها للاطفال في بريطانيا سنة ١٩٧٥ وتكلفوا عليها ٥ ملايين جنيه ، ١٣٠ر١٢٤ عملية . ولئن لم تتسبب هذه العمليات بالموت لاكثر من واحد من كل عشرة الاف .. فانها قد ادت الى مضاعفات في الكثيرين .

ويقول البروفسور النجورث: « والغريب ان وظيفة اللوزتين الحقيقية ما زالت مجهولة .. ثم ان الفائدة التي تترتب على استئصالهما ما زالت بحاجة الى دليل »

الاخصاب الذاتي
Cloning

ثارت ضجة كبرى في اشهر الربيع الماضي ، حول كتاب بعنوان « على شاكلته » (In His Image) للكاتب الامريكي دافيد رورفيك (David Rorvik) . فقد زعم هذا الكاتب الذي سبق له ان عمل محررا في مجلة تايم الامريكية بين سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٩ ، زعم ان ضربا من ضروب الاخصاب الذاتي او الانجاب التلقائي Cloning اصبح حقيقة واقعة كما تدل القصة التي رواها بتفصيل في كتابه ...

وتبدأ القصة بمليونير من اهالي كاليفورنيا طالما حلم بالخلود ... وسمع المليونير بما يقوم به العلماء في ميدان الهندسة الوراثية والنجاح الذي اصابوه في تحقيق الاخصاب الذاتي في الضفادع على الاقل ، فشعر بدافع قوي لمحاولة تحقيق ما كان يحلم به من خلود عن طريق ذلك الاخصاب وبواسطة اولئك العلماء .

ولما كان المليونير على معرفة بالمستر رورفيك وبكثرة صلاته ومعارفه ، لا سيما في المجالات العلمية والطبية ، عهد اليه بتشكيل فريق من اولئك العلماء حسب اختياره ، وتكليفهم باجراء عملية اخصاب ذاتي للمليونير ، على غرار العمليات التي يجرونها للضفادع ... بما يضمن للمليونير انجاب طفل يكون نسخة طبق الاصل عنه ، فيكفل له الخلود . . بمعناه المادي الجسدي ، لا بمعناه الرمزي او الادبي ..

ويروي الكاتب بعد ذلك كيف انتزع الاطباء المختصون بويضة ما ثم عمدوا الى تحطيم نواتها ثم استبدلوا تلك النواة بنواة اخرى انتزعوها من احدى خلايا المليونير (غير الجنسية) وزرعوها في البويضة حيث كانت نواتها الاولى .

ونجح الاخصاب ، كما يقول رورفيك ، وراحت البويضة تنقسم وتتكاثر مثنى وثلاث .. الخ .. ثم مالبث الاطباء ان زرعوا تلك البويضة في رحم امرأة استأجروها لاغراض الحمل ... ومضت شهور الحمل التسعة فوضعت المرأة طفلا ذكرا ، كان شديد الشبه بالمليونير « وعلى شاكلته ... » كما يؤكد الكاتب .

ويؤكد الكاتب ايضا ان الطفل سوي وبصحة جيدة وكان قد بلغ ١٥ شهرا من عمره حين فرغ من تاليف كتابه .

الان المستر رورفيك لا يذكر اسم المليونير ولا المستشفى او البلد الذي اجريت فيه عملية الاخصاب الذاتي تلك .. ثم انه لا يذكر اسم احد من الاطباء الذين قاموا بتلك العملية ، من ثم كان الكاتب وكتابه موضع طعن وشبهة في الاوساط العلمية الامريكية بلا استثناء .

ومما يذكر ان لجنة صحية متفرعة عن الكونجرس الامريكي اجتمعت في تلك الاثناء للنظر في امر الكتاب الذي احدث الضجة الكبيرة ...

وكان القرار الذي اتخذته هو ان الاخصاب الذاتي في بني البشر ، وان كان ممكنا نظريا ، الا انه متعذر عمليا في الوقت الحاضر . ■■

ربية الأبناء"

اذا

قلم : الدكتور ملاك جرجس*

كل الاطفـال فهـوعصبي ، من السهل ان يثور ويغضب
امه . وهـو لايستقر في مكان ، هذا بجانب بعض
بة التـي يكررهـابمناسبة وبغير مناسبة . انه عصبي
. هـذه الدراسـةنستعرض الاسباب التي تؤدي الـى
بيب طفلك .. ومنسطورها يمكنك ان تعرف الاجابة عن

بيت هو المؤثر الكبير
ب والام والعلاقة بين
ت تؤثر على شخصية
ت الاولى من عمره .

وفي اول الامر يكون لعلاقة افراد الاسرة بالطفل
تاثيرها : هل هو محبوب من الجميع ؟ هل هناك
اهتمام به ؟ هل هناك مشاكل بينه وبين اخوته ؟
من الاجابة عن هذه الاسئلة قد يحس الطفل

ئيس قسم الصحةالنفسية بامانة الصحه في الجماهيرية العربيةالليبية

بالرضا عن نفسه او قد يشعر بالسخط والضيق ، ومن هنا تسود حياته النفسية مشاعر القلق والنقص .. والاكتئاب ..

ومن هنا يعتقد بعض العلماء ان العصبية تبدا في السيطرة على الطفل . فاحساس الطفل انه محروم من الحنان والعاطفة وعدم احساسه بانه مطلوب ومحبوب ، كل هذه الاشياء قد تؤدي الى هذه التصرفات العصبية ..

واذا حاولنا ان نحدد بعض صور هذه الاعراض العصبية لوجدنا الطفل في حالة عدم الاستقرار .. مع القيام بحركات عصبية . وكذلك هناك البكاء . والثورة لاتفه الاسباب وسهولة الاستثارة ، والعض ، والضرب في بعض الاحيان ، لكن هنا يبرز هذا السؤال الهام :

هل هناك اسباب اخرى ـ غير هذه الاسباب النفسية يمكن ان تؤدي الى التصرفات العصبية للاطفال ؟

الواقع ان بعض العوامل والامراض التي تصيب جسم الطفل قد تؤدي الى هذه الحالة العصبية . من هذه العوامل :

ـ اضطرابات الغدد ، مثل اضطرابات الغدة الدرقية وازدياد افرازها على الحد الطبيعي .

ـ سوء الهضم ـ الزوائد الانفية ـ التهاب اللوزتين ـ الاصابة بالديدان ـ الاصابة بالصرع .

وعلى هذا الاساس يجب قبل اي علاج نفسي للطفل العصبي التاكد اولا من عدم اصابته باحد هذه الامراض .. ولكن يجب ان نضع في الاحتمال ايضا وجود اكثر من سبب واحد لحالة الطفل العصبية : فقد يكون مصابا بمرض في جسمه ، وفي نفس الوقت قد تكون الظروف المحيطة به سببا في الحالة النفسية التي يشكو منها .

والآن نعود الى المؤثرات التي يمكن ان تجعل طفلك عصبيا ..

الولد يقلد اباه

من الملاحظ ان الاب قد يكون عصبيا ..

عندما تحدثه الام فهو يصرخ في وجهها او يرد بصوت غاضب مرتفع ، او قد تكون الام من هذا النوع الذي يثور بسرعة .. تصرخ .. وتشتم . اذا حدث ذلك امام الطفل الصغير فلا غرابة بعد ذلك ان ينقل الطفل تصرفات الكبار الذين يعيشون معه في بيت واحد .

وهناك الام التي تحبط طفلها بالاوامر في كل خطوة وكل حركة . وهناك الاب الذي يضايق طفله بهذه التحذيرات الدائمة .. في كل ساعة وكل دقيقة . ومن هنا يبدا الطفل في مقاومة كل التحذيرات والاوامر ..

هذا بالطبع على عكس ما يحدث اذا كانت المرونة هي اساس التعامل مع الطفل .. فالمرونة تؤدي الى خضوع لرغبات الوالدين بكل سرور .

وهكذا يظهر بوضوح تاثير تصرفات الوالدين على الطفل .. فاذا اخطا الوالدان انعكس ذلك على تكوين الطفل .. وهكذا لم يكن غريبا ان تنادي اسرية الحديثة بهذا الشعار : تربية الاباء يجب ان تكون قبل تربية الابناء ..

وحركات عصبية اخرى

وبجانب الصور المالوفة لعصبية الطفل وهي الحركة الزائدة ، وعدم الاستقرار وتشتيت الانتباه . وشرود الذهن والاعتداء على الاخرين والثورة لاتفه سبب بل واحيانا التشنجات الهستيرية ، والبكاء والعبث في كل شيء . بجانب ذلك نجد اعراضا اخرى لافتة للنظر ، مثل مص الاصابع وقضم الاظافر .. وحركات اخرى لا ارادية مثل الرمش بالعين او تحريك الراس ..

وهذه هي مناقشة سريعة لبعض هذه الحركات.

مص الاصابع

خلال السنة الاولى من عمره يكون من المالوف ان يمص الطفل اصابع اليد .. او حتى الرجل ويجد لذة في ذلك . ولكن ، اذا استمر ذلك مع تقدم العمر بالطفل فان مص الاصابع هنا يكون علامة على وجود اضطراب نفسي ..

وفي بعض الحالات قد تلتقي بالطفل الذي وصل الى سن العاشرة .. وهو ما زال متمسكا بعادة مص اصابعه .. ومع هذه العادة تكون الاغراق في احلام اليقظة والسرحان ، والاكتئاب وعند مواجهة المشاكل . مثل الفشل في الدراسة . نجد ان مص الاصابع يصبح اكثر حدوثا .. وهنا لا يجدي تحذير الاباء ..

والعلاج في مثل هذه الحالة يجب ان يبدا بدراسة ظروف الحياة التي يعيشها الطفل ، خاصة . علاقته بوالديه . واخوته ومدرسته .

● ابنى عصبى

والملاحظ ان الاهل عند ملاحظتهم لهذه الحركات العصبية ياخذون من الطفل الموقف الخاطىء ، اما بالسخرية منه . او اتباع اسلوب العنف فى منعه عن هذه الحركات . وهنا تؤدى هذه الاساليب الى زيادة عصبية الطفل .. وتوتره .. مما يثبت حدوث هذه الحركات العصبية .

هذا الطفل ضحية

ومن دراسة جميع حالات عصبية الاطفال نجد انهم ضحية لاخطاء وقع فيها الاباء والبيئة التى نشاو فيها . فالابناء الذين يعانون من العصبية عاشوا فى منازل كلها قلق وتوتر واضطراب عائلى فاحد الوالدين « او كلاهما » يعانى من القلق النفسى . ويعامل افراد الاسرة بالحدة الواضحة ..

ـ وملاحظة اخرى هى تدخل الاباء فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الابناء بحيث لا يشعر الطفل بالحرية وبذاته ، بل وينشا معتمدا على الاخرين ، ورغم كراهيته لذلك . فهو ينشا عاجزا عن الاعتماد على نفسه لانه لا يعرف التربية الاستقلالية ، ولم يدرب على حل مشاكله بنفسه ..

ـ عدم تشجيع الاهل لاولادهم على الاختلاط الذى يؤدى الى تنمية شخصية الطفل ..

ـ وقد يقع الاباء فى الخطا ويعتمدون على القسوة والضرب والتحقير فى تعاملهم مع اطفالهم ..

ـ جهل الوالدين بضرورة اعطاء لطفل الاحساس بانه محبوب مع اشعاره بالطمانينة والامن والاحساس بالتقدير وذلك دون الافراط فى هذه المعاملة بحيث تصل الى حد التدليل ..

ـ ضرورة اهتمام الوالدين باتاحة الفرصة لتنمية شخصية الطفل نفسيا واجتماعيا بالرحلات .. والهوايات .. والرياضة .. فهذه كلها اشياء تساعد على تنمية الطفل نفسيا واجتماعيا وليست مضيعة للوقت كما يعتقد بعض الاباء ..

واخيرا .. ابتسم فى بيتك . اضبط اعصابك امام طفلك . حافظ على هدوء الحياة داخل بيتك ..

بذلك .. يمكن ان تساعد على عدم اصابة اطفالك بهذه الحالات التى تدفعك الى الشكوى من : طفلك العصبى .. ■■

طرابلس ـ د. ملاك جرجس

يوم الأرض

على الشاشة

يوم الارض على الشاشة

فلتسمع كل الدنيا . فلتسمع
سنجوع ونعرى . قطعا نتقطع
ونسف ترابك يا ارضا تتوجع
ونموت ولكن لن نركع
للقوة .. للفانتوم .. للمدفع
لن يخضع منا حتى طفل يرضع

★ ★ ★

بهذا النشيد ، يصل الفيلم الوثائقي « يوم الارض » الى نهايته .. الفيلم الذى يبدا وسط صمت مطبق بهذه الكلمات المكتوبة : « اذا كان حكام اسرائيل قد فشلوا فى أن يصيغوا سلاما مع نصف مليون عربى ، يعتبرون مواطنين اسرائيليين ، فكيف ستنجح هذه السياسة فى أن تصيغوا سلاما مع الشعوب العربية ؟! .. »

وفيلم « يوم الارض » ، هو أول فيلم وثائقى فلسطيني يتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني داخل اسرائيل . اخرجه الفنان غالب شعث فى ٤١ دقيقة ، وتعتبر صرخة علانية مؤثرة ، فيحكى قصة الاحداث الدامية التى جرت فى منطقة الجليل ، يوم ٣٠ مارس ١٩٧٦ ، ويصور احتفال الفلسطينيين داخل اسرائيل بهذا اليوم عام ١٩٧٧ . وقد تصدت لانتاج الفيلم مؤسسة « صامد » للانتاج السينمائى .

قصة اليوم الدامي

فما هى قصة يوم الارض ؟ .. وما هى خلفية الاحداث التى جرت فى ٣٠ مارس ١٩٧٦ ؟

كان معروفا قبل صدور قرار التقسيم ، سنة ١٩٤٧ ، ان منطقة الجليل ستكون خارج حدود الدولة اليهودية ، لكن الحركة الصهيونية كانت تعد العدة للاستيلاء على الجليل ، قبل قيام الدولة الاسرائيلية . كان هذا الهدف موضع جدل فى الحركة الصهيونية ، انتصرت فيه آراء دعاة استيطان الجليل .

ودعوة تهويد الجليل دعوة قديمة تسبق اجراءات ١٩٧٦ بسنوات طويلة . فامام اللجنة التنفيذية الصهيونية عام ١٩٢٧ ، القى اوسشكين خطابا جاء فيه :

« ... علينا ان نبذل جهدا للاستيلاء على مواقع بعيدة عن مراكز الاستيطان ، لضمان اوسع الحدود لبلادنا ، ولما وضعنا البرامج لشراء الارض ، كان هذا الهدف دائما نصب اعيننا الاستيلاء على مناطق بعيدة .. ففضلا عن جودة الارض ، كانت تحركنا الرغبة لتوسيع الحدود مهما بلغ المصاعب ... وليس مسألة الزراعة هى ما نصبو اليه بل اننا نطمع بالدرجة الاولى فى ان نضمن اوسع الحدود الممكنة لبلادنا .. »

لقد احتلت اسرائيل اقسام الجليل التى لم تكن مخصصة للدولة اليهودية حسب قرار التقسيم عام ١٩٤٨ ، وضمت الى اسرائيل بحق الفتح .. وكانت المنطقة التى دخلت الحكم الاسرائيلى ذات اغلبية سكانية عربية ، ولا تزال حتى يومنا هذا . ولتغيير هذا الواقع ، طرح حكام اسرائيل مسألة تنفيذ مشروع التهويد الصهيونى باسماء مختلفة .. مثل « التطوير » ، و « توزيع الارض » .

ومشروع تهويد الجليل الذى اطلق عليه اسم « مشروع تطوير الجليل » ، تكشف عن نواياه بوضوح فى نصه الذى جاء فيه :

« القضية الخاصة بالجليل هى قلة السكان اليهود بالنسبة لغير اليهود ، الذين يؤلفون ٧٠ بالمائة من مجموع السكان .. وفى اطراف الجليل ، هناك ٤٠ الفا من السكان غير اليهود ، يقطنون ضواحى حيفا وعكا وطمره وشفاعمرو .. » .

اى ان مشروع التطوير المزعوم كان يهدف الى تحويل اقليم الجليل الجبلى الى منطقة ذات اكثرية يهودية ، وقد تقرر تنفيذ المشروع على مرحلتين : المرحلة الاولى حتى سنة ١٩٨٠ ، والمرحلة التى تعقبها حتى سنة ١٩٩٠ . وفى هذا استمرار للخطة الصهيونية فى التعامل مع العرب ، والتى تقول « ما اصبح فى يدنا هو لنا ، وما لا يزال فى يد العرب ، هو المطلوب ، وهو موضوع التفاوض » .. وهكذا بدأت الحكومة الاسرائيلية زحفها على منطقة الجليل .

مؤامرة على الجليل

فى يوم ١٣ فبراير ١٩٧٦ ، صدر امر الشرطة بمنع دخول السكان الى المنطقة ٩ ، جاء فيه « ان من يدخل الى المنطقة المذكورة ، ولاى غرض كان ، يعرض نفسه لطائلة القانون ، وحكمه كحكم من يدخل منطقة عسكرية دون اذن . » وأثار هذا الامر سخط السكان وخاصة الفلاحين الذين احسوا بخطر الاستيلاء على اراضيهم و... لقمة عيشهم ، فنادى سكان القرى الى ... العمال بالاحتجاج الصارخ ، ذلك الاحتج...

ى تجسد في مؤتمر سخنين المنعقد يوم ١٤
ار ١٩٧٦ .
المنطقة رقم ٩ بالجليل ، أرض معظمها دوايه
تل في الزراعة ، وهي تزرع بأشجار الزيتون
واكه المختلفة ، وفي اقسام منها تزرع بجميع
ع الحبوب والخضر . ومساحة الارض الزراعية
تقع ضمن المنطقة التي اغلقت ، ليهددها
المصادرة ، تبلغ حوالي ١٧ الف دونم ،
اراض مملوكة لاصحابها العرب المقيمين
ذه المنطقة ، انتقلت اليهم بالوراثة وبموجب
ادات تسجيل اصدرتها دائرة تسجيل
ضي ضمن دولة اسرائيل .
بعد هذا المؤتمر ، تعالت الاحتجاجات
، وسائل الاعلام ، مما اضطر وزارة الدفاع
دعوة ممثلي السكان من رؤساء واعضاء
طات المحلية ، وانتهى الامر الى حل وسط ،
ى تقسيم المنطقة الى قسمين ، قسم يستطيع
العرب ممارسة عملهم الزراعي ، ولا تجرى
المناورات العسكرية ، على ان ينظف هذا
م من مخلفات الجيش كالمتفجرات والالغام ،
ان تعطى السلطة للاهالي تصريحا جماعيا
سنة بممارسة الزراعة فيها ، وقسم ثان
ى فيه المناورات العسكرية ولا يصح الدخول
الا بموجب تصريح خاص من الجيش . وعلى
حال فقد بقيت الارض لاصحابها ، ولم تتم
درة اى ارض فى اى من القسمين .

فتح النار على المسالمين العرب

ان السلطة الاسرائيلية ، سرعان ما بدأت
درة الاراضى فى الجليل ، لاقامة مستوطنات
ية جديدة فى المنطقة ٩ . فدعت لجنة الدفاع
الاراضى العربية الى اجتماع فى الناصرة
٦ مارس ١٩٧٦ ، حضره رؤساء واعضاء
لطات المحلية بالمنطقة . وفى هذا الاجتماع قرر
ودون اعلان يوم ٣٠ مارس ١٩٧٦ ، اضرابا
للعرب فى اسرائيل ، احتجاجا على سياسة
ومة باعلان مصادرة أراض عربية فى الجليل .
ى الفور تحركت السلطة الاسرائيلية فى محاولة
مالة بعض اعضاء المجالس المحلية ، لتحصل
بالضغط والتهديد والترغيب على قرار
د بمناهضة الاضراب السلمي العام .
ى يوم ٢٩ مارس ، اى قبل موعد الاضراب

الخوذة والهراوة ـ منطق حكام اسرائيل

بيوم واحد ، توجه مندوبو قرى سخنين وعرابه
ودير حنا الى مراكز الشرطة ، طالبين عدم ظهور
قوات الشرطة وسط جماهير الاضراب منعا لاى
اصطدام محتمل ، باعتباره اضرابا سلميا .
ونظرا لان هذه القرى ليست بها اية مؤسسات
حكومية ، يخشى عليها من اعتداء المتظاهرين ،
مما يبرر وجود قوى الشرطة .
ورغم موافقة المسئولين على هذا المطلب ، فقد
تصاعدت الاحداث ابتداء من ذلك اليوم ففى
نفس الوقت الذى جرى فيه هذا اللقاء ، دخلت
قوات الجيش الى دير حنا وعرابة ، واطلقت
النار على الفلاحين العرب فقتلت منهم من قتلت
وجرحت من جرحت .
وفى يوم ٣٠ مارس ، وفى الساعات الاولى من
الصباح ، والقرى بعد يلفها الهدوء ، قبل ان
يستيقظ اهلها من نومهم ، كانت سيارات الشرطة
ومن خلفها مجنزرات الجيش تحتل هذه القرى،
وتذيع النداءات الى الاهالى بمنع التجول حتى
الساعة العاشرة مساء .

اسطورة الفردوس الاسرائيلى

حصاد ذلك اليوم ، كان سلسلة من الفظائع

والاعتداءات الصارخة على الاهالي العرب ، استخدمت فيها اساليب الارهاب التي تذكرنا بالوسائل التي كان يمارسها النظام النازي .. كانت القسوة الوحشية التي تصرف بها الجيش والشرطة وحتى الاطباء ، كشفا كاملا لأكذوبة الديمقراطية الاسرائيلية ، وتاكيدا على عنصرية النظام والدولة .

استشهد عدد من الفلاحين العرب ، رجال ونساء وصغار ، وتشوه عدد آخر ، وطرد بعد ذلك العمال العرب من وظائفهم ، وتحطمت المنازل وتخريب محتوياتها ، كما اعتقل عدد كبير من اهل المنطقة .. لقد هزت احداث ذلك اليوم الرأي العام الاسرائيلي والعالمي ، وحطمت اسطورة الفردوس الذي يعيش فيه العرب داخل اسرائيل .

ولم تكتف السلطات بهذه المذبحة ، بل راحت تغرق الرأي العام المحلي والعالمي بسلسلة من الاكاذيب .. وكان لابد من التصدي لاكاذيب الدعاية العنصرية ، فصدرت اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي العربية في اسرائيل ان تصدر « الكتاب الاسود عن يوم الارض » تسجل فيه وقائع الجريمة التي ارتكبها حكام اسرائيل ، ولتدحض به كذب اجهزة غسل المخ في اسرائيل .

انطلاقا من هذا الكتاب الاسود ، الذي اصدره العرب داخل اسرائيل ، قررت مؤسسة صامد استيحاء ما جاء به والتعبير عنه سينمائيا ، فكان ذلك الفيلم الوثائقي الذي اخرجه الفنان غالب شعث .

وقد استقل غالب شعث الذكرى الاولى ليوم الارض في ٣٠ مارس سنة ١٧٩٧ ، ليجمع مادة وثائقية للعمل سيقوم باخراجه . اعتمد على المادة الفيلمية التي وردت عن طريق وكالات الانباء العالمية ، وعلى الافلام التي جرى تصويرها على يد فريق عالمي من المتعاونين السينمائيين ، دخل الى الجليل بايحاء من مخرج الفيلم ، ليصور الاحتفال الاول بذكرى يوم الارض ، وليسجل فيلميا شهادات من شاركوا وعاصروا الاحداث الدامية التي جرت في ٣٠ مارس ١٩٧٦ .

يبدأ الفيلم باقوال شمعون بيريز ومناحم بيجن وارييل شارون ، التي تتناقض تناقضا كليا مع ما حدث في يوم الارض ، ومع كافة اجراءات المصادرة والتهويد التي تجري حاليا .

يقول شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي في ١٩٧٦/٢/١٩ « ان عرب اسرائيل يجب ان يعتبروا انفسهم مواطنين اسرائيليين ، وارجو ان يفعلوا ذلك » .

ويقول مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل في ٧٧/٥/٢٢ « نريد ان نعيش مع العرب بمساواة في الحقوق .. والسلامة والكرامة الانسانية »

ويقول آريل شارون وزير الزراعة الاسرائيلي في ٧٧/٩/١٢ « نحن جميعا ، كنا دائما نحرص جدا على عدم ايذاء المواطنين المحليين أو مصادرة أراضيهم » .

ثم تتابع احداث وشهادات الفيلم لتؤكد كذب هذه الاقوال . ولتعرض صورة حية لفظائع الحكومة العنصرية التي لم تقبل أن يتمتع العرب داخل اسرائيل باي حق من حقوق المواطن ، واستكثرت على العرب ان يمارسوا الحق الذي يمارسه كل مواطن اسرائيلي بحكم القانون ، حق الاضراب السلمي .

فيلم « يوم الارض » ، عبارة عن وثيقة حية يجب أن يطلع عليها ابناء العالم العربي في كل مكان ، حتى يتثبتوا من صدق الشعار الذي سبق لنا ان اوردناه والذي جاء في ختام الفيلم « اذا كان حكام اسرائيل قد فشلوا في أن يصيغوا سلاما مع نصف مليون عربي يعتبرون مواطنين اسرائيليين ، فكيف ستنجح هذه السياسة في أن تصيغ سلاما مع الشعوب العربية ؟

المفتاح .. وغالب شعث

ولابد ان نسجل لمؤسسة صامد الفلسطينية فضل انتاج هذا الفيلم . هذه المؤسسة التي بدأت كجمعية لابناء شهداء فلسطين ، ثم تحولت الى نواة ما يمكن ان يُسمّى القطاع العام الفلسطيني .

وليس هذا هو الانتاج الاول لقسم الانتاج السينمائي بالمؤسسة . فقد سبق ان انتج فيلم « المفتاح » الذي اخرجه ايضا الفنان غالب شعث وشارك به في مؤتمر الاسكان العالمي الذي نظمته هيئة الامم المتحدة في فانكوفر بكندا عام ١٩٧٦ . والفيلم يتحدث عن مشاكل الاسكان بالنسبة للشعب الفلسطيني .. وهو من خلال هذا يعرض فقد البيت ، والانتقال الى المخيم ، ثم الطرد من المخيم .. فيلم يتحدث عن محنة اللاجئ الفلسطيني داخل اسرائيل وخارجها .

وقد اشتقت تسمية المفتاح مما حدث عام

، عندما احتفظ النازحون عن بيوتهم في
ن ، بمفاتيح هذه البيوت ، على امل العودة
. لهذا يحتل ذلك المفتاح مكانا بارزا في
، او المخيمات التي انتقلوا اليها .
لم ان ذلك المؤتمر لم يكن مؤتمرا سياسيا ،
جحت صامد باشتراكها بهذا الفيلم في ان
على اعضاء ذلك المؤتمر محنة المواطن
طيني ، المتمثلة في عمليات التشريد المتصل
خضع لها . وقد نجح الفيلم في تحقيق هذه
به عند عرضه في المهرجانات العالمية للفيلم
يبلي ، في مهرجان كراكوف في بولندا
ان ابيزج في المانيا ، ومهرجان قرطاج في
، وفي اسبانيا ، حيث حصل الفيلم في
هذه المهرجانات على الجوائز الفضية .

★ ★ ★

اجد ما اختم به الحديث عن يوم الارض
ن قصيدة الشاعر توفيق زياد ، عضو
ست الاسرائيلي ، ورئيس بلدية الناصرة ،
كان لها نصيب الاسد في الاحداث الدامية
الارض ، والتي يقول فيها :

ى لا احب الصوف
ى كل يوم عرضة لاوامر التوقيف ،
بيتي عرضة لزيارة البوليس
فتيش (والتنظيف) ،
ى عاجز ان اشترى ورقا
احفر كل ما القى ،
احفر كل اسراري في ساحة الدار

. . . .

احفر رقم كل قسيمة من ارضنا
سلبت ،
موقع قريتي وحدودها ،
بيوت اهليها التي نسفت ،
اسجاري التي اقتلعت ،
كل زهيرة برية سحقت ،

. . . .

لكي اذكر . سأبقى دائما احفر ،
ميع فصول مأساتي وكل مراحل
النكبة ،
الحبة الى القبة ،
ى زيتونة في ساحة الدار . ■■

راجي عنايت
القاهرة

المخرج غالب شعث في سطور

* من مواليد القدس عام ١٩٣٥
* في ١٩٤٨ هاجرت العائلة الى غزة
* درس في مخيمات اللاجئين بغزة حتى نهاية عام ١٩٥٣
* عمل بالسعودية من عام ٥٤ وحتى ١٩٥٧
* سافر الى النمسا عام ١٩٥٧ لدراسة الديكور ، ثم عمل على دراسة الاخراج السينمائي
* بدا نشاطه الفني بالقاهرة عام ١٩٦٧ كمخرج بالتلفزيون العربي .
* اخرج للتلفزيون تمثيليات سهرة : « الركة » لنجيب محفوظ ، و « رحلة عم مسعود » لمحمود دياب ، و « ضمير امراة » لميخائيل رومان .
* قام باخراج الفيلم السينمائي الروائي «ظلال على الجانب الاخر» والذي انتجته جماعة السينما الجديدة بالاشتراك مع مؤسسة السينما بمصر ، وهو من تاليف محمود دياب ، وسيناريو وحوار واخراج غالب شعث . وقد حظى الفيلم بالجائزة الاولى في مهرجان كارلوفيفاري .
* في عام ١٩٧٤ سافر الى بيروت العمل بالاعلام الموحد بمنظمة تحرير فلسطين ، معارا من التلفزيون العربي بمصر .
* يتولى حاليا الاشراف عن الانتاج السينمائي لمؤسسة صامد الفلسطينية .

صفحة لغة

الاستراتيجية والسوقية

بقلم : محمد خليفة التونسى

في رسالة من الشارقة (بدولة الامارات العربية) يقول كاتبها السيد عبد الرحمن ابو محمد انه قرا في مؤلفات اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الكاتب العراقي المعروف ، كلمة « الاستراتيجية » مترجمة الى العربية بكلمة « السوقية » ثم يسال عن معنى « الاستراتيجية » واصلها ، وعن اشتقاق كلمة السوقية هل هي من « السوق » (مكان البيع والشراء) ؟ او من « السوق » طرد الشيء امامنا ، او من السوق بمعنى القيادة كما نقول سائق السيارة .

ثم يقول انه يعلم ان الاستراتيجية تستعمل في اكثر من معنى ، فيقال مثلا : « جبل طارق موقع استراتيجي » اي هام او متحكم او مسيطر، اي يتحكم فيما حوله او يسيطر عليه ، وهذا داخل في الناحية العسكرية دفاعيا او هجوميا ، كما يقال : استراتيجية الحزب الفلاني كذا » بمعنى منهج او خطة ولا علاقة لهذا بالمعنى الاول وتكون ترجمتها هنا بمعنى المنهجية او البرمجة او التخطيط ، ثم يطلب الكاتب الجواب .

والجواب يتضح حين ننظر الى ما تشتمل عليه الدراسات الحربية او العسكرية فهي تنتظم في ثلاثة موضوعات : الاستراتيجية Strategy والتكتيك Tactics وتاريخ المعارك الحربية استراتيجيا وتكتيكيا .

والمعنى الاصلى العام للاستراتيجية اعداد كل ما يلزم للحرب على وفق اهدافها الشاملة ، وتنفيذ خططها حتى تبلغ القوات المحاربة ميدان القتال ، ويراد بالتكتيك تحريك القوات للالتحام بالعدو وخلال التحامها به ، حتى نهاية المعركة » .

والكلمة الانجليزية Strategy التي نعربها بالاستراتيجية ماخوذة عن الفرنسية عن اللاتينية عن اصل اغريقي هو Srategos بمعنى القائد ، وهو مركب من كلمتين Stratos اي جيش ، و Aga اى يقود ، وقد لوحظ فيها ما لوحظ في الكلمة العربية « القائد » لانه في بداية الامر كان يقود جنده ، او يتقدمهم مكانة ومكانا في طريقه الى المعركة ، ثم كان يتقدمهم كذلك احيانا خلالها ليشارك بسلاحه فيها ،وهذا واضح في كثير من معارك الحروب القديمة كمعارك الاسكندر المقدوني وخالد بن الوليد وكثير من قادتنا العرب وغيرهم ، وهو واضح ايضا في بعض المعارك الحديثة ومنها معارك القائد الالماني روميل في شمالى افريقية خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد لقب « ثعلب الصحراء » ، ولم يكن القائد يكتفى بالتدبير والتوجيه خلف خطوط القتال خلال المعركة كما هو الغالب اليوم ، وهو في الحالة الاخيرة اشبه بان يسمى « السائق » لا « القائد » (لو راعينا المعنى اللغوى وحده) وهذا ماذكره شاعرنا البحترى وهو يصف صورة رآها على جدران « ايوان كسرى » حين زاره ، ونظم فيه قصيدته السينية المشهورة ، ومنها هذا البيت :

والمنايا مواثل ، وانوشر
وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

(اى يسوق صفوف جيشه للقتال ، وهو قائم تحت لوائه)

ومع ذلك لم يزل اسم « القائد » باقيا حتى اليوم لمن يدبر القوات المحاربة برا او بحرا او جوا ، ايا كان مكانه منها ، خلال القتال او قبله ، حتى حين يزجيها ، اى يسوقها ، لان السوق ـ لغويا ـ هو الحث على السير من وراء .

والاستراتيجية علم وفن ، فهي تشمل تشكيل العمليات الحربية والمهارة في الاعداد لها وادارة القوات في المعسكرات ، وتحريكها الى ميدان القتال لمواجهة الاعداء ، ومعرفة اهدافها املا في بلوغ النصر ، او تجنب الهزيمة واحتمال اقل خسارة ممكنة في الارواح والاسلحة والاقوات ،

غمن القتال في اسرع وقت مستطاع ، وقد
الاستراتيجية اعمالا غير عسكرية ، ولكنها
، بانها اعمال استراتيجية . مثل التحالف
ة ثالثة او التعاهد على عدم الاعتداء ، لتبقى
نحياد خلال الحرب ، او السماح لقوات
ا بالمرور في ارضها ، او استعمال مواضع
، او استمداد المؤن منها ، ومثل ذلك حفر
في طريق الجيش الى القتال ، او طم آبار
يش العدو من الماء ، او تعبئة دولة ثالثة
على حدوداحدى الدولتين لتهديدهاتحقيقا
ة الثانية ، ومثل ذلك الامور التموينية
ية والطبية ، فليس كل ما يوصف بانه
يجي يعد عسكريا ، او يتولاه عسكريون
على صلة وثيقة بالمعارك لتامين القوات
ة قبل القتال او خلاله وترجيح كفتهم
بداء .
ا قيل « جبل طارق موقع استراتيجي »
يكفي في تفسيره انه هام او متحكم فيما
او مسيطر عليه وكفى ، ولكنه قد يعني
لكه او ضمان حياده يرجح كفة فريق في
، على فريق . واذا قيل « ان استراتيجية
، الفلاني هي كذا » ـ وهذا المعنى بالضرورة
ي ـ فمعنى ذلك اهداف الحزب سياسيا
، العامة التي تحقق اهدافه الكبرى ، وهذا
قوي الصلة بالمعنى الاصلي العسكري
منقطع العلاقة به كما اشار الكاتب ، اذ
ستعمال مجازي علاقته المشابهة بين المجالين
ري والسياسي ، او هو استعارة كما
علماء البلاغة .
تكفي ترجمة الاستراتيجية بكلمة « المنهج »
الخطة » او « المنهجية » او التخطيط
برمجة ، وان كان ذلك جزءا من معنى
اتيجية ، واما بقية المعنى فتشمل الاهداف
، كما تشمل كل الاعمال التنفيذية للشروع
مل وضمان سيره او تفوقه في امانة ويسر
، قبل مباشرته فعلا .
- ترجمت كلمة « الاستراتيجية » بالكلمة
ة « السوقية » ـ بفتح فسكون ـ نسبة
السوق » الذي هو مصدر اصلي مثل
ياقة » وفعله « ساق ، يسوق » وكان اول
ستعمل هذه الترجمة الاتراك والمصريون قبل
العشرين وفي بدايته ، ولا ندري اي الفريقين
لها اولا ، ولكننا نعلم انها كانت مستعملة

عند الفريقين الى ما قبل خمسين سنة ، ثم اهمل استعمالها عند الفريقين ، وقد سمعناها من بعض من ادركناهم من رجال الجيل الماضي الذين تعلموا علومهم العسكرية في المعاهد التركية ، والمصريون اليوم يستعملون « الاستراتيجية » المعربة وهي مصدر صناعي . اما كتاب العراق فهم اكثر استعمالا لكلمة السوقية ، وكان العسكريون بينهم في الجيل الماضي قد تعلموا في المعاهد التركية ، فاخذوا كلمة « السوقية » عن الاتراك ، وهم بها اولى لان الكلمة عربية .

وربما كان مما لوحظ في ترجمة الاستراتيجية بكلمة « السوقية » ، مكان رئيس الجند منهم غالبا في المعارك وقبلها ، فهو من ورائهم يدبر امورهم ويوجههم وهو بعيد عن خط القتال .

وليست كلمة « السوقية » لغويا بترجمة دقيقة لكلمة « استراتيجية » فيما تدل عليه اصطلاحا ، ولكن يمكن ان يصطلح عليها لتكون بمعناها ، وقديما قالوا « لا مشاحة في الاصطلاح» فالكلمة قد تدل في اصلها اللغوي على شيء ، ثم تستعمل اصطلاحا للدلالة على شيء آخر ، وهذا امر شائع في كل اللغات ، وفي لغتنا مئات الامثلة على هذا النحو في شتى فروع المعرفة .

والكلمة المسيطرة الآن على الألسنة والاقلام هي « استراتيجية » وللكلمات حظوظها من الرواج او الكساد بين الناس ، ونرجح ان كلمة « الاستراتيجية » ستبقى اكثر رواجا ولا باس بذلك فان لغتنا حافلة بالكلمات المعربة في المصطلحات وغيرها ، وقد عربت بعض الكلمات وشاعت بيننا وان كان لها نظير في العربية ، مثل « قسطاس وقسط » ونظيرتها العربية « ميزان ، وعدل » بل ان بعض الكلمات المعربة غطت على كثير من الكلمات العربية منذ العصر الجاهلي .

ولا علاقة بين « السوقية » بضم فسكون نسبة الى « السوق » مكان البيع والشراء ، وبين الاستراتيجية

وقد نتصور علاقة بينها وبين التكتيك ، اى حركات الجنود في المعركة وتبادلهم القتال مع العدو ، فهنا تبادل الضرب والطعن والقذف كانه تبادل البيع والشراء ومن هذا ما ينسب لشاعرنا عنترة في وصف احدى وقائعه :

حصاني كان دلال المنايا
فخاض غمارها وشرى وباعا ■■

يوسف محمد .. يبحث عن زوجة بعد ان توفيت زوجته بمرض الحصبة وتركت له طفلين .. ومن فرط اشتياق السكان للعناية الصحية كتبوا اسم « مستشفى كوريا موريا » امام العيادة الطبية الصغيرة ، التى يجلسون تحت ظلال جدرانها معتزين ببنادقهم الجديدة ! .

هل تتحقق الامنية ويصطاد جنية بدلا من السمكة الملونة ! !

مشاكل بالجملة مــن نوع
جديد غريب ..
مشــاكل نقلنـــاها
للمسئولين ، فوصفوا لهـ
الدواء والحل ..
ولمعـرفة ابعـاد هـذ
المشاكل والحلول كانت لـ
هذه الجولة بين جزر خمس
تقبع معزولة نائية انها جز

وريا
وريا

زبال تصوير : صلاح آدم

عوفيت محمد عمر : شاب في عمر الزهور يبحث عن عروس بلا طائل !

ـ نريد ان نتزوج .. نزوجكم ؟ !

قلنا متعجبين : وما الذى يمنعكم ؟ !

ـ انه قدرنا .. فنحن ابناء كوريا موريا .. لنا قصة قديمة مع النساء ، قصـه يعرفها القاصي والداني ؟ !

ورغم الضجيج المزعج للطائـرة الحربية التي عادتنا من كوريا موريا الى صلالة ، ظلت كلمات عوفيت محمد عمر برن فى اذاننا : « لا يهم ان تكون العروس كبيره أو صغيرة ، المهم أن يرزقنا باطفال .. حتى لو كانت جنيه من البحر انا مستعد ان اتزوجها ؟ !! »

ويكمل « عوفيت » حديثه متألما : « في كل مرة نلقى بحبل السنارة فى البحر نتمنى ان يعود لنا بامرأة حيـة ، ولكن الذى نجده دائما هو سمكة ملونة سميـه .. لقد مللنا هذا السـمك الذى يعج به مياهنا بينمـا ارضنـا تشكو قحطـا في النساء !! »

٦٦ شخصا فوق خمس جزر

ان قصة كوريا موريا قصة شائقة مطوله .. اسمها له جرس رنان يدغدغ العواطف والاحاسيس، رغم انه لا يعني شيئا محددا للكثيرين منا .. بينما هو اسم لخمس جزر عربيه عمانيه .. اربع منها مهجوره تماما لا يعيش فوقها انسان ، والخامسه الحلانيه يسكنها ٦٦ نسمة ينقسمون الى ٤١ رجلا و ٥ نساء : (اثنتان عقيمتان وثلاث منجبات !) الى جانب طالبين و ١٢ تلميذا و ٦ فتيات تتراوح اعمارهن بين ٨ و ١١ سنه .. وبين سطور هذا الاحصاء تكمن مشكلة كوريا موريا : ٤١ رجلا و ٥ نساء .. اى ان هناك ٣٦ رجلا محرومين من الزواج ، لعدم وجود نساء !

لقد سبق وقدمنا جزر كوريا موريا لقراء العربى (العدد ١٨٥ ابريل ٧٤) واليوم عندما سنحت لنا الفرصة لزيارتها مره ثانية ، مع البعثة الطبيه المتجهة اليها فى الطائره الحربيه الاسبوعية، لم نتردد لحظـة واحده ، كنـا فى شوق لمقابلة اصدقائنا هناك ، ومعرفة ما فعله الزمان بهم بعد خمس سنوات من الغياب ..

فوق جبل البخور واللبان

ثمانيه اشخاص استقلوا الطائره : ممرضـه عمانيه ، ومهندس مصلحه مياه ظفار ، وميكانيكى من جراج الحكومة . وثلاثة من ابناء كوريا موريا كانوا في زياره الى مدينة صلالة ، قضوا وقتهم متنقلين بين متاجر « الماركيت » اى السوق ، لشراء كـل شيء : حليب مجفف .. بطيخ .. بسكويت .. وسائد اسفنج ، صناعة دبى .. خرطوم بلاستيك .. شاى .. كولا .. ملابس ..

كل هذا حملوه معهم فى الطائره .. فالرحلة مجانية لاهالى كوريا موريا ..

اننا نحلـق على ارتفاع منخفض فـوق جبل سمحان ، جبل البخور واللبان القديم .. الطائره تنحرف شرقا لتطير فوق مياه زرقاء داكنة ، انه خليج كوريا موريا ..

هذه اولى الجزر ظهرت امامنا .. « حاسكية » لا احد يسكنها ، انها تبعد ٣٨ كيلو مترا عـن الساحل .. وعلى مسافة ١٤ ميلا منها شاهدنا الجزيره الثانية « السـوداء » ذات الشواطىء الرمليه الساحرة ، التى تغسلها ميـاه لازوردية اللون هادئة لا يستحم فيها احد .. انها جزيره مهجورة حاليا ، بعد ان كانت ماهوله فى بداية هذا القرن ..

حساب فى المطار !

اننا نحلق الان فوق « الحلانيه » اكبر الجزر

سالم ، وعمر ، وعوفيـت يشرفون على انزال البضائع المحملة التى حملوها معهم من صلاله . لاهل الجزيره .

جزر كوريا موريا الخمس .. حاضرها افضل من ماضيها .. ومستقبلها ازهى من حاضرها !

٢ كيلو مترا مربعا) والوحيدة التى بها مياه ة وسكان .. الجبال ترتفع مسننة من وسطها ترك مكانا فسيحا للشواطئ الرملية التى تتناثر جيوب متفرقة على الساحل ..

وفوق السهل الوحيد فى الجزيرة ، هبطت تنا الحربية ، وانفتح جدارها الخلفى ، زنا منها الى الارض وسط زوبعة رملية اثارتها كات الطائرة التى لم تتوقف عن الدوران . عد غيرنا الى الطائرة ، التى انطلقت عائدة الى صلالة ، على امل العودة الينا فى وقت ن ..

التف الاهالى حول الركاب يرحبون ويسلمون، دما ادركوا اننا بعثة مجلة العربى التى سبق ت عنهم ، بدأوا محاسبتنا حسابا عسيرا جا :

برخ احدهم قائلا : « لقد شوهتم سمعتنا فى طلاعكم السابق واظهرتمونا وكأننا اشخاص شون محرومون .. »

رد عليه آخر : « لولا استطلاع العربى » لما ، المسئولون مشاكلنا ، ولما قدموا لنا كل هذه نات والمساعدات التى ننعم بها حاليا .. »

وارتفع صوت يقول : « حتى الحمارة التى نشرتم صورتها وقلتم انها تعيش عانسة فى الجزيرة، لحقها الانصاف ، وانتقلت الى بلدة حاسك بالباخرة .. لقد حلوا مشكلتها .. ولكن العديد من مشاكلنا ما زالت قائمة .. »

الاسمنت بدلا من العظام

وانطلقت بنا سيارة اللاندروفر مع نائب الوالى فى كوريا موريا عبد العزيز محمد عمر ، ودعانا الى منزله المكون من طابقين والمجهز باثاث مريح فاخر ، وهذا ـ فى حد ذاته ـ يعتبر تطورا هائلا .. فخلال زيارتنا السابقة لم يكن فى الجزيرة سوى اكواخ من الصخور ، سقوفها مغطاة بعظام سمك القرش، واعشاب بحرية مجففة !!

وبين رشفة من عصير البرتقال ، وقضمة من التفاحة التى قدمها لنا نائب الوالى سألناه عن احوال الجزيرة واهلها فقال :

ــ بعد زيارتكم السابقة لجزيرتنا تطورت اوضاعها وتبدلت تبدلا شاملا جذريا .. فقد جاءنا كبار المسئولين ، ودرسوا مشاكلنا على الطبيعة، وامر جلالة السلطان قابوس بان تبنى فى الحال

١٢ طالبا وطفلتين .. يتعلمون العربية لاول مرة في مدرسة كوريا موريا الابتدائية .. ويجيد اهل الجزيرة الحديث باللغة العربية اجادة تامة ولكنهم لا يكتبونها ، ولهجتهم المحلية هي اللغة المهرية القديمة .. انها حياة جديدة لاطفال كوريا موريا يقراون ويكتبون ويلعبون يوميا الكرة الطائرة بحماس زائد . وعندما تنتهي الدراسة يسير الطلبة الى منازلهم كل طفلة خلفها ستة اولاد !! ومما يذكر ان الاستاذ محمود استاذ المدرسة قد سافر الى الخارج ليعود مع زوجته التي سوف تستقر معه في الجزيرة .

٥٠ جالونا من المياه لم تعد تكفى يوميا حاجة ٦٦ نسمة ، لهذا جاء المهندس ليدرس امكانية زيادة الكمية الى ١٥٠ جالونا يوميا .. مع احتمال مد قرية الحلانية بقوة كهربائية مقدارها ١٥ كيلوواط ..

مساكن بالطابوق والاسمنت ، فجاءت الباخرة تحمل الاخشاب والاسمنت وتم بناء ٢٤ مسكنا للمواطنين ، من بينها عيادة ومدرسة .. كما تم تعيين ٢٧ من رجال الجزيرة كحراس صرفت لهم البنادق واصبح كل منهم يتقاضي ٥٧ ريالا شهريا .. »

وانهى نائب الوالى كلامه قائلا : « الحمد لله كل شيء متوفر في جزيرتنا .. من كان يصدق انه اصبح بامكاننا السفر من كوريا موريا الى لندن مباشرة عبر صلالة ومسقط ؟ !! »

الحصبة تفتك بالنساء ..

وخرجنا من عند نائب الوالى لنتحدث الى الاهالى ونتجول فى « المدينة » التى تضم ٢٤ مسكنا .. ومررنا بجوار مقبرة كبيرة بجوار المنزل لم تكن موجودة من قبل وقالوا لنا :

ـ بعد رحيلكم بسنة جاءنا وباء الحصبة الملونة .. قضي على كل نسائنا .. فتوفيت ٢٥ امراة وصبية وثلاثة رجال .. وهكذا انخفض عدد سكان الجزيرة من ٨١ نسمة الى ٦٦ فقط .

.. والسل يصيب ثلث السكان !

واخذونا لزيارة « المستشفى » .. مبنى من غرفتين للفحص المرضي .. ومكتب خاص للطبيب.. وتعجبنا عندما وجدنا هناك طبيبا فرنسيا يعالج ابناء الجزيرة .. سالناه : « ماذا تفعل هنا ؟ » **اجابنا الدكتور فرنسوا بيرون المنتدب للعمل في السلطنة بموجب اتفاقية التعاون الفرنسية العمانية :** « مضي على اسبوع في الجزيرة قمت خلاله باجراء مسح طبى شامل للسكان ، كانت نتيجته ان المرض الرئيسي فى الجزيرة هو السل : عشر حالات ثبت لى وجودها مؤكدا فى الجزيرة .. الى جانب عشر حالات اخرى على الاقل اثبت

محمد سهيل الكثيرى .. مرافقنا فى رحلتنا، والخشب ، التي اخذت مكان الاكواخ الحجريه

نص ان اصحابها مصابون ، وهؤلاء يجب نقلهم مستشفى قابوس بصلالة لاجراء الفحوصات ..ما هناك .. لمدة يومين .. »

الكي بالنار افضل من البنسلين !

رض خبيث ينتشر عندما تسوء التغذية ويعم ..ل وينعدم الوعي الصحي .. والشيء ان كوريا موريا يفرحون جدا عند رؤيتهم للطبيب، ..البون به بالحاح ، لكنهم في قرارة نفوسهم ..مقتنعون بفائدة علاجه ، انهم يفضلون عليه وسام » الذي لا يعتقد بدوره بفائدة البنسلين ..ا يفضل عليه اسلوب كي الجسم بالنار !!

..ل فرد في الجزيرة محروق مرتين على الاقل ..ر ، والاطفال تشهد على رؤوسهم علامات كي ..شة .. انهم مقتنعون بانها افضل وسيلة ..ج !

..ضاف الى هذا اسلوب حياة الناس .. يعيشون ..ربين جدا .. طعامهم ارز وسمك وشاى للجميع: ..ات والاطفال الرضع على حد سواء .. الجزيرة ليس فيها الا دجاجتان وديك ، مما يجعل

البيض شيئا نادرا .. جميع الاطفال اسنانهم مسوسة لنقص الفيتامينات وسوء التغذية .

٦٦ شخصا و ٥٠ جالون ماء

في عام ١٩٧٤ وخلال زيارتنا الاولى لهذه الجزر كان الاهالى يشربون من اربع آبار قديمة قرب الساحل عمقها نحو خمسة امتار .. « ولكن عندما استبحر ماء هذه الآبار - اى اصبح مالحا مثل ماء البحر - اتجهنا الى بثرين كانتا في المنطقة الشرقية ، كنا ننقل منهما المياه في رحلة العذاب على ظهر الحمارة المسكينة .. وعندما زار السلطان قابوس الجزيرة امر بمد خط للانابيب يوصل المياه مباشرة .. ومدوا خطا للانابيب طوله ثلاثة كيلو مترات من الآبار الى القرية .. »

ويستهلك الاهالى حوالى ٥٠ جالونا من المياه يوميا .. وفي عام ١٩٧٧ دمر اعصار كبير خط الانابيب فاعيد مده من جديد .. وقد جاء مهندس المياه معنا في الطائرة ليزيد انتاج الماء الى ١٥٠ جالونا يوميا .. ويدرس امكانية عمل محطة كهربائية لتمد الحلانية بقوة كهربائية تتراوح بين ١٠ و ١٥ كيلو واط .

..لمنازل الحديثة المصنوعة من الاسمنت ..عظام الاسماك في الحلانية !

طاط .. ترو .. ثوثيت !!

واتجهنا لزيارة المدرسة ، وهذا اروع المكاسب التي تحققت لابناء الجزيرة ، وهناك وجدنا فتاتين الى جانب ١٢ طالبا يتعلمون لاول مرة اللغة العربية .. فاللهجة السائدة هناك هي اللغة المهرية المخلوطة بالحميرية القديمة تتخللها كلمات بالعربية ، مثل قولهم : « مون تفاد ؟ .. اى : اين تذهب ؟ » وقولهم : « اينيش شووك ؟ .. اى : ما اسمك ؟ »

اما الارقام من واحد الى عشرة فيقولون :

طاط .. ترو .. ثوثيت .. اربعت .. خونش .. ستيت .. شبعت .. ثنت .. سعت .. عشيرت ..

وهذه اللهجة القديمة هي واحدة من العقبات الرئيسية التي تحول بين ابن الجزيرة والزواج بامراة هندية او اجنبية لن تفهم لهجته .. لهذا نراه يتجه الى مدن الساحل العماني للزواج من

مشكلة كوريا موريا الاولى هى فى عدد سكانها .. فعددالذكور ٥٣ شخصا بينما عدد الاناث ١٣ فقط ، ومن هنا

الناس يصطادون من على الشاطىء لعدم وجودقوارب صالحة .. وعند منطقة راس الصار ، شرق الحلانية ، يلقى الصيادون بخيط السنارةوعندما يسحبونه يجدونه مصبوغا بلون اسود .. هل هى تباشير النفط !

ل هذه الجزر .. انها حياة اجتماعية غيرمتوازنة ، جعلت السكان يعيشون فى اكتئاب وانطواء

د عودة الطائرة بنا من كوريا موريا استلم الطيار برقية بضرورة النزول حالا فى « حاسك »
ميزون سعيد احمد المريضة ومعها اسرتها المرافقة .. وفي مستشفى قابوس بصلالة اجروا
لها العلاج اللازم « لحامل تشكو من فقر الدم بسبب سوء التغذية .. »

بنات « حاسك » و « طاقة » .. ولكن في كل مرة يتم فيها الاتفاق ، تظهر في آخر لحظة مشكلة المهور لتقضي على كل الآمال .. فالآباء يطالبون بمبلغ يقرب من ألفي ريال عماني مهرا لبناتهم ، بينما المهر الرسمي لا يتعدى ٢٠٠ ريال !

ويسقط في يد ابن كوريا موريا ، فيبدأ في بيع كل ما يملك وهو ـ عادة ـ لا يملك شيئا يذكر ، فيحاول الاقتراض ليتزوج ، ولكنه لا يجد من يقرضه ، فيسقط في يده ويعيش في فراغ رهيب ، وتوتر اعصاب دائم .

آكلوا السمك بدون روزن !

ويقولون ان ابن كوريا موريا يفقد اعصابه في حالتين : عند تحدثه عن النساء او عن الاسماك !! فالتوتر يصل الى ذروته وهو يتحدث عن سفن الصيد الكورية التي تقترب من شواطىء جزيرته تجرف اسماكها بكميات هائلة .. « ليس من حقهم الاقتراب من شواطئنا ابدا ، فاتفاقيتهم تبيح لهم الصيد في المياه العميقة فقط ، ويمكننا ان نصيبهم بنيران بنادقنا العادية ، ولكنا لا نفعل ذلك احتراما لحكومتنا .. »

انهم تعساء لأنهم ـ وهم آكلو السمك ـ لا يملكون اي مركب ولو خشبي صغير لصيد السمك ، والمركب الوحيد كان يملكه نائب الوالي ، وقد باعه ليستكمل مهر شريكة حياته التي اختارها من مدينة « حاسك » .

وقال لنا احد الصيادين : « وما فائدة القوارب والزوارق اذا لم نجد من يشتري السمك الذي نصطاده .. اننا نعيش معزولين عن العالم ، فيما عدا الطائرة التي تتوقف عن الطيران في وقت الفتوح « الخريف » عندما تهب الانواء ويتبدد « ينقفل » كل شيء ! »

معنى كوريا موريا ؟

ان البواخر والسفن لم تعد تقصد جزر كوريا موريا لعدم وجود ميناء ترسو عليه ، او وجود شيء تنقله منها .. !

وهذا بعكس ما كان في منتصف القرن التاسع عشر ، حيث كانت تتجمع ٥٢ سفينة مرة واحدة في مياه كوريا موريا .. وكانت هذه السفن البريطانية تقصد جزيرتي « حاسكية » و « قبلية »

سعد سعيد .. المولود الاخير في الجزيرة .. ان سكان كوريا موريا يتزايدون بمعدل شخص واحد في السنة ! !

بالذات لتجميع « الجوانو » من فوقهما .. « والجوانو » هو السماد الطبيعي لطيور البحر ، تراكم عبر قرون طويلة فوق هاتين الجزيرتين ، حتى غطاهما بطبقة تراوح سمكها بين قدم وستة اقدام .. وقدروا الكمية التي نقلت الى بريطانيا من هذا السماد بحوالي ٢٠٠ الف طن !

وقبل السفن البريطانية كانت السفن الامريكية والفرنسية تنقل الاف الاطنان من هذا الجوانو ..

ومن اسم هذا السماد الطبيعي عرف اسم كوريا الحالي ، فقد اطلق بعض المؤرخين العرب اسم خرطان مرطان .. وخريان مريان .. على هذه الجزر ، ومعناها زرق العصافير . ويبدو ان صعوبة نطق حرف الخاء عند الاجانب جعلهم يحرفون اسم خريان مريان الى كوريا موريا !!

وهذا التعليل الوحيد المقبول لهذا الاسم الذي لا معنى له .. وان كان اسم جزر الحلانيات هو الاسم العربي المفضل حاليا ، والذي يكتب على الخرائط العربية ..

ومما يذكر ان الطيور البحرية عادت ثانية لتستقر في جزيرتي حاسكية وقبلية ٠٠ المهجورتين تماما من الانسان ..

مشكلتها في قلة سكانها

لقد قدم سلطان مسقط سعيد بن سلطان ، في عام ١٨٥٤ جزر كوريا موريا هدية الى الملكة

● كوريا موريا

..يا .. « لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها ..دها » .. ولكن هذه الهدية الملكية ردت الى ..ها ثانية عام ١٩٦٦ اى بعد ١١٢ سنة من ..

..سبحت هذه الجزر تتبع حاليا والى ظفار في .. عمان ، وتحولت مشاكلها الى نقطة في بحر ..ل الذى ورثته سلطنة عمان الحديثة .. ..ل هذه الجزر تنحصر في قلة عدد سكانها ، ..ة اقامة منشآت ومرافق كاملة لخدمة ٦٦ ..فقط ، ورب قائل : لماذا لا ننقل سكان ..لجزر الى البر الرئيسي ونوطنهم في ارض ..عمان الواسعة فنريح ونستريح ؟

..سرنا على هذا المفهوم لفرغت الارض من .. الاصليين ، في حين ان استمرار الحيــاة ..ذه الجزر امر مهم من الناحية الوطنية ..

حل مشكلة الزواج

مــا الــذى فعلتــه وزارتكم لحــل مأســاة زواج رجــال كوريــا موريا ؟

ســؤال وجهناه الى الــى وزيــر الشئــون الاجتماعية « خلفان بن ناصــر الــوهيبى » ، فاجابنا على الفور قائلا :

ــ كوريا موريا تحظى ..خاص من مجلس الوزراء العماني ، الذى ..حوا « قرارا » يقضي بمساعدة كل راغب ..ابناء هذه الجزر .. ونحصيها لهذا الغرض ..تحت تصرف والى ظفار مبلغا كافيا من .. وما على رجال كوريا موريا الا التوجه ..لوالى ليقولوا له : « نريد ان نتزوج ، ..اعطانا المنحــة اللازمة لتقديمها مهــرا ..ا » .. وسوف تستمر هذه السياسة حتى ..ل رجال الجزيرة الذين يرغبون في الزواج .. ..ا قررنا بنــاء منــازل جديــدة في الجزيرة ..ا الى كل رجل يعقد زواجه ..

..كذا لم يعد امام رجال كوريا موريا اى حجة .. الزواج .. ونعتقد انــه عندما تستقر .. الجديدة في الجزيرة فان هذا سيترتب ..ه حياة اجتماعية مقبولة في الجزيرة .. »

وحل مشكله القوارب والصيد

واتجهنــا الى مكتب وزير الزراعة والاسماك والنفط والمعادن احمد الشنفرى ، وعرضنــا عليه متاعب اهل الجزر وعــدم وجــود قــوارب لديهم ، فتحمس الوزير وقــال : « انــا اعتقد بالمثل الــذى يقول :

« بدلا من ان تساعد شقيقك بسمكة يأكلها يوميا ، عليك ان تعلمه كيف يصطاد السمك بنفسه .. لهذا قررنا تقديم عشرة قوارب صيد معدنية حديثة لابناء الجزيرة ليعودوا الى احتراف مهنتهم الاصلية وهى صيد الاسماك ..

« كما قررنا اقامة حوض صغير لاستخراج الملح من مياه البحر من اجل تجفيف الاسماك وتمليحها باسلوب حديث في جزيرة الحلانية ، حتى لا تفسد اثناء تخزينها .. وسوف تمر عليهم بصفة منتظمة « الباخرة الام » التى تجمع ما يصطاده الاهالى في الموانىء المجاورة ، لتشترى ما يصطاده أهل كوريا موريا من اسماك ..

« وكذلك سوف نرسل لهم مهندسا زراعيا ، ومهندسا للرى للبحث عن المياه الجوفية ، ودراسه امكانية عمل مزارع صغيرة ملحقة بالمنازل .. »

احلام اليقظة

انها صفحة جديدة تفتح في تاريخ كوريا موريا .. اذا تحقق تنفيذ كلام الوزيرين .. وما تبقى يقع على عاتق اهلها ، الذين يمكنهم تحويــل جزرهم الى جنات آهلة بالسياح .. الشتاء هنا رائع .. فبينما الثلوج تهطل في اوربا نرى الشمس تسطع في كوريا موريا ، فيستطيع السياح الغوص في اعماق المياه الشفافة ، وصيد الاسماك الملونة بالحربة .. والاستحمام في المياه اللازوردية الخضراء .. والنوم على الرمال تحت اشعة شمس الشتاء الدافئة .. ولا ننسى متعة التنقل بين الجــزر باليخوت !!

انها احلام اليقظة لكوريا موريا سنة ٢٠٠٠ !

■■

سليم زبال

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الحصبة
اعراضها ٠٠ ومضاعفاتها

● كثيرا مايصاب اطفالنا بالحصبة . فهل لي ان اعرف اعراضها ومضاعفاتها وطريقة علاجها والوقاية منها !!

ـ لا شك ان الحصبة من اكثر الامراض انتشارا فى عالمنا وهي من الامراض المعديه وتصيب الذكور والاناث ، الكبار منهم والصغار غير ان اكثر الاصابات تقع فى الاطفال واكثر من نصف الاصابات تقع بمن هم دون الخامسة من العمر ، ويلاحظ انها قليلا ما تصيب الاطفال الرضع الذين تقل اعمارهم عن الثلاثة اشهر وذلك بسبب وجود مناعة مؤقتة لديهم انتقلت لهم من امهاتهم ان كن قد اصبن بالحصبة قبل ولادتهم ، ولكن هذه المناعة تقل تدريجيا وتكاد تنعدم بعد ستة اشهر من الولادة .

والحصبة من الامراض الفيروسية . وان سالتنا ما هو الفيروس قلنا بانه ميكروب دقيق جدا ، سريع الانتشار لا يرى الا بمجهر خاص وقوي، يدخل خلايا الجسم ويتكاثر بها مسببا المرض ، وينتشر فيروس الحصبة بواسطة الرذاذ المتطاير من المصاب اثناء العطس والسعال . فيدخل خلايا الغشاء المبطن للجهاز التنفسي والفم ويتكاثر بها مسببا المرض . وقد ينتقل بواسطة ادوات المريض الملوثة كفوطة الوجه وغطاء السرير وادوات الاكل ولعبه .. الخ .

وتنتشر الحصبة فى الاماكن المكتظة كالمدارس مثلا فى الفتره ما بين شهر اكتوبر وشهر مارس ويكثر انتشارها كل عامين . ومرض الحصبه يبدا بدور الحضانة، والحضانة هي المده التي يكون فيها الفيروس قد دخل الى خلايا الجسم واخذ يتكاثر بها الا ان اعراض المرض لا تظهر اثناء هذه الفتره على المصاب ، ومدة الحضانة فى الحصبة تتراوح من عشره الى اربعة عشر يوما ، وقد تطول فى بعض الحالات . والاصابة واحدة عادة ما تعطي مناعة دائمة الا فى القليل النادر من الحالات . ويكون المصاب قابلا لنشر العدوى من اليوم التاسع او العاشر من تعرضه للاصابة حتى اليوم الخامس بعد ظهور الطفح ، ولذا وجب عزله فى هذه المده منعا لانتشار المرض .

اعراض المرض :

ويمكن تقسيم مرض الحصبه الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :

وهي مرحله الحضانة حيث لا تظهر على المريض ايسة اعراض وان ظهر البعض منها فانها تكون بسيطة جدا غير ملفتة ولا مؤثرة وكما ذكرنا تكون عادة من ١٠ ـ ١٤ يوما

المرحلة الثانية او المرحلة المتقدمة:

وهنا يظهر الاحتقان والاحمرار بالحلق والغشاء المبطن للفم والانف وترتفع حرارة الجسم وتدمع عينا المصاب بكثرة بسبب احتقانهما ولا تستطيعان تحمل الضوء كما تظهر اعراض الزكام

ل الانف ويعطس المصاب
بقع بيضاء مائلة الى
ـة محاطة بهالة من
ار بحجم راس الدبوس
الغشاء المقابل لضروس
الاسفل وقد تنتشر وقد
ى بعض الاحيان ونطلق
اسم حبوب «كوبلكس».
ده ما تظهر فى اليوم
او الثالث من ارتفاع
ره وتساعد فى تشخيص
قبل ظهور الطفح .

لة الاخيرة :

ا يظهر طفح على الجسم
بالظهور على الرقبة
وخلف الاذنين عند منبت
ثم يظهر على الاطراف
والصدر والظهر ثم
ب السفلى وتزداد حرارة
وقد تصل الى ٤٠ م
ر هذا الوضع من ثلاثة
مسة ايام ثم تهبط الى
ـا الطبيعى ، ويزول
ع ويتقشر الجلد ويترك
ى كثير من الحالات لونا
هـا بعض الوقت ثم
الجلد لحالته الطبيعة
ره ايام تقريبا .

فات الحصبة :

اعفات الحصبة كثيره
نهـا التهاب الاذن
، والتهاب الجهاز
ى وخاصة الالتهاب
، والتهاب الجهاز
، حيث يظهر القىء
ل وتسوء حالة المريض.
ب العينين ، والتهاب
الالفية ، والتهاب
والتهاب عضلة القلب

وان كان هـذا الاخير نادر الحدوث الا انه من المضاعفات الخطيره جدا وخاصة فى السن المبكره .

الوقاية :

ويمكن الوقاية من المرض او التخفيف من حده الاصابة باعطاء الطعم الواقي ويعطى حقنة واحده فى العضل فى الشهر الثامن من عمر الطفل عادة .

ويمكن ايضا اعطاء حقنة « جماجلوبيولين » فى العضل للمخالطين من الاطفال فى الاسبوع الاول من المخالطة فتجنبهم المرض لفترة من الزمن

ولكن هذه الحقنة لا تعطى مناعة دائمة .

العلاج :

وكبقيه الامراض الفيروسيه لا يوجد علاج مباشر لها ولكن الراحة بالسرير مع العنايه بالنظافة عامة وبالعينين والانف والفم والجلد خاصه ومراعاه اعطاء السوائل والاملاح اللازمه للجسم والوقاية من الاصابة بميكروبات اخرى واعطاء مضادات حيوية كالبنسلين مثلا فى حالة ظهور المضاعفات تساعد على الشفاء وتقلل كثيرا من المضاعفات .

التدخين

● ما هى الاضرار التى تصيب المدخنين ؟

ـ من الامور الثابتة التى لا شك فيها أن التدخين يؤثر تاثيرا ضارا على الاجهزة الحيوية . واولها الجهاز التنفسى (الرئتان والاوعية الهوائية) • الذى يعتبر أول جهاز يستقبل المواد السامة الناتجة عن التدخين ولهذا نجد أن احتمال مرض سرطان الرئة يزيد عند المدخنين بنسبة عشرة اضعاف عنه فى غير المدخنين • كما يؤثر التدخين تاثيرا ضارا على الاوعية الدموية • فمن المعروف ان مواد كثيرة تنتج من التدخين أهمها النيكوتين واول اكسيد الكربون يمتصها الجسم وتنتقل الى الدم •• ويحدث وجودها فى الدم ضيقا فى الاوعية الدموية نتيجة اثارة الغدة بجانب الكلية ، بسبب افراز هرمون يضيق الاوعية الدموية ويحدث أضرارا فى جدار هذه الاوعية بصورة مباشرة مما يؤدى الى ترسب بعض الاملاح والمواد الدهنية على جدار الشريانات الدموية مما يسبب ضيقا وربما اغلاقا لهذه الشريانات مما يقلل قدرتها على تزويد الاجهزة الحيوية بحاجتها من الاكسجين والمواد الغذائية التى تنقل مع الدم •

والمحصلة لكل هـذا ، هى

ظهور اعراض انخفاض الدورة الدموية للمخ والارجل ، مثل احساس المدخن بالم في الصدر خاصة عند الارهاق مما يضطره الى الوقوف والراحة امى أن يزول الالم • والاعراض التي تظهر على الرئتين بصورة سعال دائم نتيجة التهاب الاوعية الهوائية وافرازها مواد مخاطية زائدة •

واذا لم تعالج هذه الحالات بازالة المسببات فقد تضيق الاوعية الدموية وقد تسد ، الامر الذى يؤدى الى تلف عضو او جزء معين ، مثل احد اصابع الرجل واسودادها وضرورة بترها ، او حدوث الجلطة الدموية التي تؤثر على عضلات القلب وربما حدوث شلل نتيجة عدم تزويد جزء معين من العقل بحاجته من الدم •

والتدخين لا يضر العقل والقلب والرئتين والارجل فحسب بل ان كثيرا من الامراض يعود الى التدخين •• وكل شخص اصيب بقرحة المعدة يعرف أن مرضه سيعود ثانية طالما انه لم يقلع نهائيا عن التدخين •

ومنع التدخين اثناء العمل وفى الاماكن العامة ناتج عن الاضرار التي يسببها التدخين ليس على المدخن وحده بل على من رافقه في الغرفه • فقد اثبتت التحليلات العلمية ان المرافقين للمدخن في غرفة ما يتناولون حوالى ٣٠٪ من المادة الناتجة في الهواء • وهذه تسبب اضرارا على الاطفال خاصة اذا كان ابواهم يدخنان اثناء وجودهم •• كما اثبتت الاحصائيات ان اطفال المدخن اقل ذكاء ومناعة من غيرهم •

ان السيجارة الواحدة تحتوى على ١٠ مج نكوتين وخلال التدخين يمتص الجسم من ١ ـ ٢ مج وتتضح الصورة اكثر اذا علمت ان كمية ٥٠ مج نكوتين كافية لقتل انسان •

د • محمد على خليل

العربى : النكوتين واول اكسيد الكربون هما من اهم المواد الضارة التي تحتوى عليها السجاير • الا ان القطران هو بلا ريب اخطر تلك المواد اطلاقا كما اثبتت الدراسات العلمية العديدة التي اجريت في السنوات الاخيرة • من ثم كان تصنيف السجاير الى فئات حسب محتويات القطران فيها • وكانت القوانين والانظمة التي تحظر او لا تشجع صنع السجاير التي يزيد محتواها من القطران على ١١ ـ ١٦ مليغرام قطران في السيجارة الواحدة •

اما حدوث الموت بسبب النكوتين فامر مقرر لا شك فيه ولكنا لا نعلم علم اليقين ان كمية ٥٠ مليغراما من النكوتين كافية لقتل الانسان ••

آلام عضلات الرقبة

● عضلات رقبتي تؤلمني •• فما السبب ياترى ؟

ـ ان آلام عضلات الرقبة كثيرة الحدوث وهي عرضة للاصابة بالالتواءات •• وتحدث صيفا او شتاء ففي الشتاء يؤدى البرد الى تقلص هذه العضلات مع شعور بالم شديد وعدم القدرة على تحريك الرقبة وفي الصيف يحدث ذلك بسبب التكييف •

ولعل اكثر الام الرقبة شيوعا يحدث نتيجة تاكل الغضاريف بين الفقرات العنقية مما يسبب ضغطا على الاعصاب الموصلة لعضلات الرقبة مما يسبب تقلصات شديدة والاما عند تحريك الرقبة من جهة الى اخرى فاذا تاثرت الغضاريف بين الفقرات العنقية العليا كان الالم كثيرا خلف الرقبة وربما انتشر هذا الالم الى اعلى نحو الراس مسببا الاما في الراس •

واذا اصيبت غضاريف الفقرات السفلى ادى ذلك الى شعور المصاب بالام في الذراع او اليد وذلك حسب الفقرة المصابة وربما انتشر الى اعلى الصدر الم يشبه الى حد ما الم الذبحة الصدرية خصوصا اذا كان في الناحية اليسرى من الصدر مما يسبب قلقا للمصابين به •• ولكن ازدياد الالم عند تحريك الرقبة واثناء الجلوس يزيل من ذهن المصاب احتمال ان يكون الالم الم ذبحة صدرية •

ويجب على المريض عند الشعور بهذه الاعراض ان يعرض نفسه على طبيب اخصائي •

...ة قصيرة

الكلام

بقلم : عباس أحمد

بعد ان ودعناه ، ورايناه يغرب على ناقته
صحراء ، قلنا لانفسنا ، ها هو قد ذهب
ـه الله ، وسكتنا • وبدانا نعانى لكى نتكلم•

ى المعدية — فى عودتنا الى القرية ، لم
عم سعفان ، وهو يغرس عصاته الطويلة
نهر ، ان يقول شيئا مضحكا ، كما هو معتاد
تما • ولكن انبعث صوت من بيننا هو صوت
ى — وهو فتى صغير ويشتغل صيادا — بدا
باكيا ؛ قال :

قد «ضلمت» المياه •

حكنا بين اكتافنا فى تحقق ذلك ان الفيضان
ا يزال فى عنفوانه ، ومياه النهر تتاخم
القرية • واعتبرنا ان الشاب يشير للذهاب
بطريقته الخاصة • وكان الفتى فى حزن
على غياب سلمان ، وكان معروفا انه يحب
وهيبة — وحاول قبل سفر سلمان ان يعقد
عليها — ولكن سلمان رفض : وقال اولا
العب •• وتنضجون • وعاد المنياوى بصوته
ترى •

ن كانت المياه قد «ضلمت» فليرحمنا الله •

لت زوجة سلمان ، وكانت تجلس وسط
ن النسوة كانهن كتلة واحدة من السواد •

انت تعند يا منياوى • ان لم يكن عندك
تقوله فاسكت •

اد الصمت،ولكن تهامس الناس فيما بينهم•

لايفيد المنياوى — انه يشبه غيبة سلمان عنا •
بان المياه قد ضلمت • الا تتركه المراة يحزن قليلا
على غيبته • وبعض الجالسين بقرب المنياوى زغده
وقال :

— منياوى اصح •

قالت المراة وفى صوتها قسوة غريبة •

— لم يكن سلمان نفسه يريد ان تنعوه •

ووقف المنياوى وسط المعدية •

— سلمان قال ، وانتم جميعا تعرفون غياب
الاحباب يفرى الكبد • وسلمان الم يكن حبيبا
يا رجال برهنت ؟

ودب فى المعدية حماس غريب •

قام رجل وصاح :

— احذروا ان الكلام يذبل — قبل الزرع •

الكلام لابد فيه من الابداع — بدون الابداع
يذبل الكلام ويموت •

وصاح آخر •

— ابداع الكلام هو فتحة على الحركة وبالحركة•
والحركة بركة • ولكن زوجة سلمان هبت واقفة
وهى تصرخ •

والله البهائم يارجال البلد ، تفكر أحسن منكم•

وبهت الجميع لاهانة المراة — وصرنا ننظر اليها

وهي تنزل الشال عن رأسها .. وتنقل عيونها علينا واحدا واحدا .

ـ سلمان لا يريد أن تنعوه .. ولا تقدسوه . لما قال الكلام زرع .. قصده تزرعوا في الارض ما كان قصده تقفوا كلكم وتعيدوا كلامه بنظامه وتمامه .

سلمان قال وانتم عارفين ـ لما تذبل الحركة يذبل الكلام ويموت .

وضحك عم سعفان المعداوي .

ـ كلنا نريد أن نقول شيئا آخر ، ولا نعرف ها ها ها . واستطاع أن يوصلنا الى الشط ـ وقد اخذنا الى حد ما في جو من مرحه الصاخب ولكن زوجة سلمان ، وهي ترص الالواح الخشبية الى الجسر وامامها ابنتها وهيبة .. قالت بصوت عال ، ارادت به أن تسمع كل الاخرين .

ـ امش يا وهيبة ـ واياك أن تكوني اعتبرت .. ورأيت المنياوي على حقيقته .

وارتقينا الالواح الخشبية ، وتفرقنا في دروب القرية . ونحن جميعا نحمل شعورا باليأس . فلقد استطاعت زوجة سلمان بشخصيتها الطاغية .. ان تسقطنا في تأمل لا جدوى منه بالاضافة الى أن كراهيتها الشديدة للمنياوي ، والتي ظهرت فجأة ـ بعد أن ودعنا سلمان ـ جعلتنا ناخذ كلامها بحذر ، لا بحماس ، ولا بوازع على الحركة، ولا بهدف السعادة ، ولا من أجل أي شيء . هي قريتنا معروفة دونا عن كل القرى التي على بحر يوسف بانها تعني عناية خاصة بنفسها وهذا هو الذي جعلها على طوال التاريخ ، لا تعرف القتل ، ولا تعرف الاقطاع . وعلى الرغم من فقرنا الشديد، فانه بيننا رجال كثيرون كالانبياء . وعندنا مثلا أكثر من ثلاثين شاعرا ـ ونحن تعدادنا كله لا يعدو الفين . وعلى الرغم من اننا فلاحون .. وصيادون .. وبين هؤلاء واولئك طبائع متناقضة فاننا لم نتعارك مرة واحدة في حياتنا . وكان سلمان في الحقيقة هو الذي يتعهد هذه الروح . هو الذي أينع السامر في قريتنا وجعله أعلى شيء في حياتنا وفي السامر على النيل الساري وسط القرية ـ تخرج الابداعات والافراح والرقص والغناء والشعر . وكنا نغمر نقيع القمح والار ـ ونشربه في ليالي الحصاد القمرية ويقوم سلمان بنفسه بقيادة لعبة الشعر . يقف بعمامته وجلبابه الابيض الفضفاض ، وبسمته الممزوج بكل القرية .. ثم يطوف على من يكون قد قبل الدخول في اللعبة .. يقول :

ـ طار طار

ويرد الرجل

ـ في الدوار

ويقول سلمان

ـ عينه كبيرة

ويشير الى الثاني فيرد

ـ نطق شرار

ويقول سلمان متسائلا

ـ على شرار الحب ؟

ويشير الى الثالث فيرد

ـ شرار النار

ويقول سلمان ضاحكا ومتسائلا أيضا

ـ النار النار ؟

ويشير الى الرابع وياخذه في حضنه فيرد

ـ النار أسرار .

فيسأله وهو يواجهه

ـ آه . سر النار ؟

ـ نور الانوار

ـ نور الابرار ؟

ـ نور الشطار .

ويرقص المجتمعون على الكلام ـ وقد حوله سلمان الى غناء . ثم يضحكون ويتحابون . وفي هذه الليالي ، في العموم كانت كل امور الحب في قريتنا تتكشف .. والبنات يممن ويوزعن أعواد النعناع على الحاضرين .. وتتالق الجماعة وتزهو رائحتها .

وفي نفس هذه الليلة ـ حينما اجتمعنا على النيل الساري وسط القرية . قام المنياوي ونحن صامتون .. واستاذننا في أن يتحدث الينا فدنا له قال :
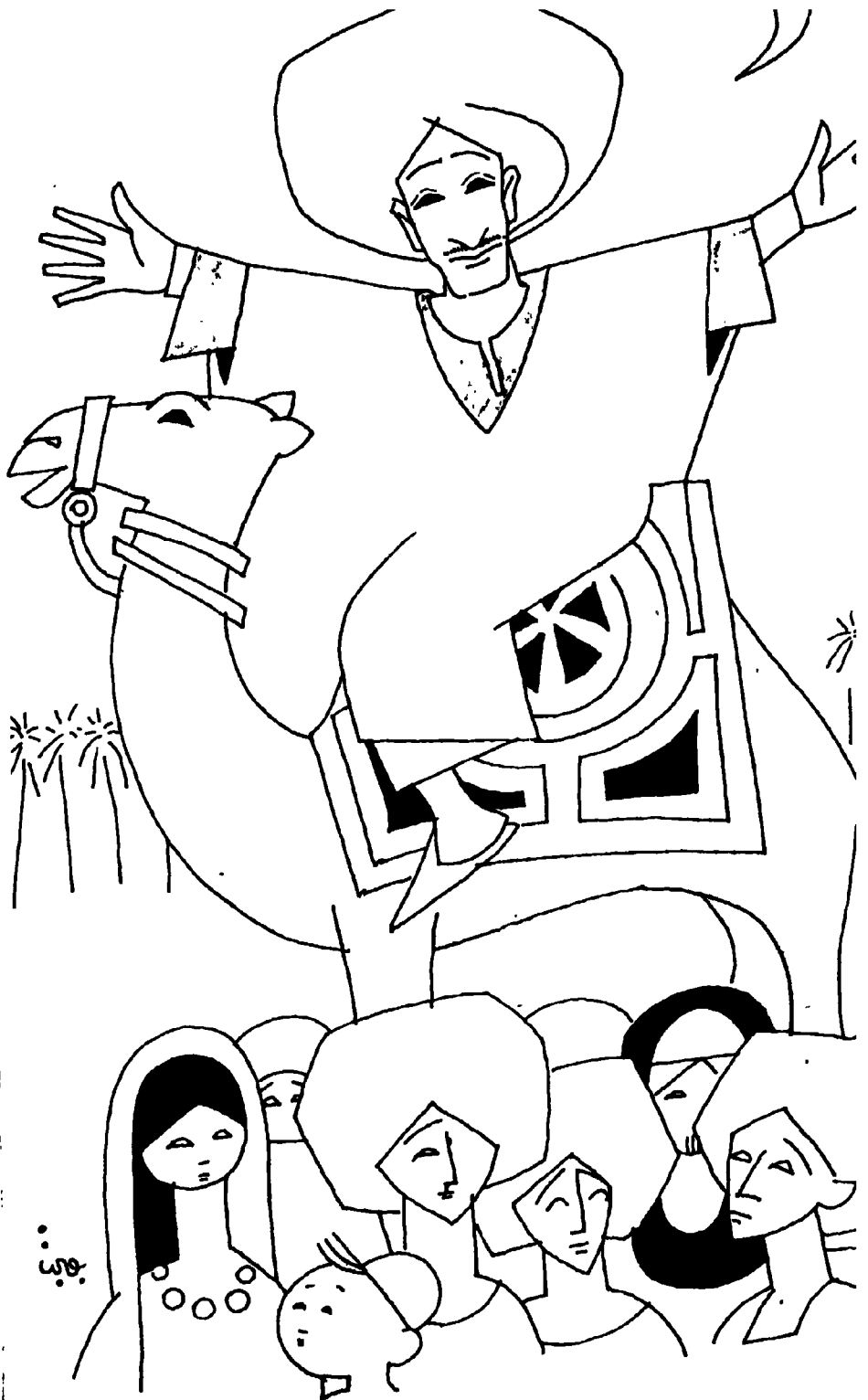
ـ انتم ساكتون لانكم ليس عندكم اعلا مما قاله سلمان ·· ولكن اقول لكم ·· ان لم يكن عندكم اعلا مما قاله سلمان فعليكم السلام ·

وصاح احد الحاضرين

ـ قل انت يا فالح شيئا اعلا

وانتفض المنياوى واقفا ، وقال

ـ اقول على شرط ان تعطونى ما كنتم تعطونه لسلمان من الانتباه والحب ·

قال احد الحاضرين

ـ ما كان سلمان يطلب منا الانتباه أو الحب ولكنه بمجرد ان يتكلم ياخذهما ·

وقال المنياوى صارخا :

ـ انتم تقفلون الطريق · انتم تريدون الموت · لعنة الله عليكم ·

وقفز من المجلس ، وهرب فى دروب القرية ـ وقام اثنان من الشبان يجريان وراءه ·

قال احد الحاضرين الملتفين حول عصبيهم ·

ـ لا حول ولا قوة الا بالله · عقل المنياوى فلت منه ·

وانفض الجمع · وكان عم سعفان صاحب المعدية قد شرب كثيرا من خمر الارز · فاستوقفنا عند السفح واخذ يصيح ·

ـ ماذا جرى للناس يا رجالة · والله الواحد ياخذ الطريق المفتوح ، ويخلص· يظهر ان الارتخاء شاع بيننا · كل واحد اذن يعرف خلاصه · لو الواحد اصبح وتزوج ثانية ، فله عذره يا عم لا شىء اكثر مما هو موجود فاستخفه · انت وحدك ، تلقى نفسك ، وليس اكثر من نفسك يعيش معها فى توافق ورضا · كل واحد يعيش فى نفسه · انا من هنا ورايح ·· اعمل على كيفى · المعدية سارفع سعرها من بكره ·

وقال احد القرويين بصوت غليظ ·

ـ يا عم سعفان روق ·· روق ·· أنت مالك ، كانك ركبك الشيطان مرة واحدة · ولكننا بعد ذلك تفرقنا فى صمت · وتغلب علينا الوجوم ·

ـ وكانت زوجة سلمان تفكر فى حزن شبـق «راح حبيبى»وفى اجتماعنا المعتاد على النيل لم تستطع ان تحتمل حالة الوجوم التى سيطرت على الناس» وظلت وهى فى الصف الاخير ـ مع بضع نساء اخريات تغلى بالكلام المهموس · اقول لهم · انهم لا يعرفون · سلمان لا يعرف هذه الحالة · لـو كبس عليه الصمت · قام وعمل شيئـا · لماذ لا يتكلمون ولا يعملـون شيئا · سلمان كانت رجولته عارمة يمد يده · يمشى · يقوم ويجمع البيض من تحت اجنحة الدجاج يتمدد على الجسر · ويجد شجرة غليظة ويقول كانها ارداف امراة · يركع على يده ورجليه حين يريد الوصال ·

وضحكت احدى النساء · وهمست ·

ـ قولى لهم · لماذا تقولى لنا هذا الكلام ؟

وسمعها الرجال ، فاشمأزوا · وقال احدهم

ـ قال سلمان انه ذهب وسيغيب عشر سنوات لم يعود · هكذا لا تستطيع النساء انتظار الرجال·

قال آخر ·

ـ سيذهب بعد الحج الى الهند · وفكر الجمع· الا يعود · ان مخاطر الطريق كثيرة ولكن فليحفظه الله · من يدرى ماذا قد يلحق به · وقد كان واضحا فى خطته أن يخرج من مكة وياخذ طريق الشام ويزور المسجد الاقصى ثم يعود مع التجار الى الهند · وفكر الجميع · وقال سلمان ·

ـ ان هذا هو فى صالح جميع الناس · يجب ان يخرج واحد منا على الاقل ويطوف بالعالم لكى يرى ويرجع ويقول لكم · اذا لم يرجع فقد كان ضحية واجبه · يجب أن يخرج منكم من بعدى· من لا بد ان يطوف العالم ويرجع اليكم ويخبركم عما رآه · ومع ذلك فما عندكم يحتاج كذلك لاستكشاف وبعد هذه الليلة بدات الحركة تموت فى القرية ·

ثلاثة من السواقى تعطلت ، ولم يكلف احد نفسه باصلاحها واصبحت المعدية تشتغـل يومـا ولا تشتغل الاخر ثم تعطلت تماما فقد تزوج عم سعفان فتاة فى سن بناته ·

ثم اغلق على نفسه باب داره ولم يشا ان يدع احدا يلقاه ··

وحينما ذهب اليه بعض الرجال ، واصروا على ان يقابلوه خرج اليهم بسرواله واخذ يصيح ·

ـ ماذا تريدون منى · هل انا اعمل عندكم · انا عندى ما يكفينى بقية الحياة ·هل انتم شركائى ماذا تريدون منى ·· هانذا اقول لكم اننى لن اعمل على المعدية بعد الان · خذوا ـ هذه هى مفاتيح

فقال خذوها • وشغلوها • هل لكم عندى شيء
ـ الان ؟
وقال الذى التقط المفاتيح ••
ـ لا يا عم سمعان. • تكرم على كل حال •
ودخل عم سمعان وصفق الباب ولم يلبثوا قبل
يبتعدوا عن داره أن سمعوا الطبل والناى
تانف فى داخلها •

وكان المنياوى يحوم حولدار سلمان عند الزريبة •
س عند فتحة فى الجدار •
ـ وهيبة
وخرجت له ابنة سلمان واجفة
ـ ماذا تعمل هنا الآن ؟
ـ تعالى نمش على الجسر •
ـ فى هذا الوقت • أنت مجنون ؟
ـ هذا الوقت فقط هو أنسب الاوقات • لأحد
ى الجسر •
ـ اذهب واخز الشيطان •
ـ لايجب ان أخزى الشيطان الليلة •
يجذبهـا من يدها واحتضنها ـ وهى تتمنـع
صمت •

وسارا فى انظلام •
قالت وهيبة •
ـ ابى عاف الكلام والظلام عافاه •
وكانت وهيبة لا تزيد على سبع عشرة سنة •
مد بين آن وآخر أن تضرب خلاخيلهـا • وهى
ر فى وجه المنياوى الذى يتقلب فى الشجرقـ
ب كانه ـ يرى مترصدين •
ـ مالك يامنياوى • انت خائف ؟
قال المنياوى وقد راح يسيطر على خوفه بصعوبة
ة •

ـ أبدا انا فقط افكر فى قول سلمان لى قبل
يرحل بعشرة ايام •• اذا سيطر الخوف على
ب يامنياوى ازهق انفاسه ويموت الحب •
ولمست وهيبة وجه منياوى برقة •
ـ تعال نفكر فى حاجة ثانية •

واندست بين حقول الذرة العالية ـ وقبعاهناك
هما فى مقابل الاخر • وكان كل الوله الذى
ه نحو وهيبة ـ يكاد يكون الان أسنا • كـان
ول جهد طاقته ان يفكر معها فى شيء آخر ••
نه دائما يجد نفسه محصورا •

قالت وهيبة وهى تقترب منه ـ وتمد ساقها بجانب ساقه •

ـ الم تر هذا الخلخال يامنياوى • جاءتنى به أمى البارحة •• انظر ومدت الى الخلخال يدها وشدت ثوبها قليلا واخذ الخلخال الفضى يضوى •

قال المنياوى باقتضاب •
ـ مبروك •
وانتظرت وهيبة •
وأردف بعد لحظة •
ـ سلمان قال حاجة عن الفضة •
اجابت وهيبة وهى تضحك •
ـ قال اذا شفتم الفضة وهى تضوى على الساق • فلا ياخذكم انبهار الفضة عن جمال الساق ثـم أعلنت صوتها وهى ترق ـ وتاخذه فى حضنها
ـ أيه يابنى • الدنيا بخير • وكانت هى نفسها طفلة • ولكنها كبيرة وعاقلة • ومع أن احضانها كانت دافئة ، ومع أن دقات قلبها كانت تخفق بشدة ، ومع أنها كانت تحنو عليه كطفل •• الا انه ظل بعيدا . ومحصورا فى الكلام •

أيه ان انت اصبت ، فهو خير ، وان لم تصب فهو خير مؤجل ، لك او لمن بعدك • اذا لمست ولم تستشعر شيئا فلابد انك مرهق وحاول ان تنام • والطريق يجب ان يرتفع ولكن ارتفاعه قرب النهاية فلابد ان يجلله حكمة البداية • وبعض الناس أخذوا اكثر مما يمكن اخذه وما يمكن أخذه يتحدد بمقدار ما ننمو ومانعدل • ولو ضحكت عاليا فى السرادق ادرك أهل الميت انك صغير لاتعـرف التقاليد ومن ثم يطردونك من جمعهم • حينما تخرج من الجمع صعب عليك ان تعود اليه • الوحدة وقوف على مشارف الهلاك • اطرق الباب قبل ان تدخل • افتح كلامك على الحركة وبالحركة • إفتح كلامك • افتح • وقامت •
ـ هيا نعد •
ـ وقام المنياوى يمشى وراءها حاسر الرأس ••
وفى نفسه يدور الكلام •
ـ طرق الطريق طارق •
ـ قالت بدهشة •
ـ ماذا تقول ؟
قال
ـ ابدا لاشيء ■■

عباس أحمد

«طه حسين والشعر الجاهلى»

● كتب الاستاذ سعيد الافغاني في عدد يناير سنة ١٩٧٧ من مجلة العربي كلمة بعنوان « انصافا لطه حسين » اشار فيها الى ان طه حسين رجع عن رأيه في الشعر الجاهلي ، فلم يعد لديه منحولا ، وانه من ثم يعد مصدرا لدراسة الحياة العربية في العصر الجاهلي. وعقبت على ما ذهب اليه الاستاذ الافغاني في عدد مايو سنة ١٩٧٨ وذكرت ان العميد لم يرجع عن رايه في هذا الموضوع وان دراسة عصر ما قبل الاسلام لا سبيل اليها عن طريق الشعر الجاهلي وان القرآن الكريم هو المصدر الصحيح لدراسة هذا العصر ، بيد ان الاستاذ الافغاني في حوار القراء في عدد اكتوبر ٧٨ حاول ان يؤكد ان العميد رجع عن رايه، وان الواجب يفرض عليه ان يصحح ما وقعت فيه من خطأ وفاء للتاريخ واقرارا للحقيقة ..

والحقيقة ان الحجة التي اعتمد عليها الاستاذ سعيد وهو العالم المدقق المحقق ـ لا تعد دليلا مقنعا في موضوع خطير اثار جدلا حاميا بين المفكرين والباحثين، فهذه الحجة رواية نقلها عن الدكتور الحوفي ،وهذا رواها عن المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى الذى قال انه سمع من العميد سنة ١٩٥٠ انه رجع عن رايه في الشعر الجاهلي ، وان العميد صرح بهذا بعد ان اهديت اليه مؤلفات تصور الحياة العربية من خلال الشعر الجاهلي ، وان الاستاذ مصطفى طلب من العميد ان يعلن رجوعه عن رايه فابتسم وقال : لا لا لا . !

هذه الرواية ـ ولا مطعن في صحتها ـ يتخذها الاستاذ الافغاني حجته في رجوع العميد عن رأيه ، وعلل رفضه لاعلان رجوعه بانه كان يامل الاعلان عنه بعد تراخي الزمن ونفاد الطبعة رحمة بالناشر! وكان العميد بهذا التعليل يخاف شيئا ما يحول بينه وبين انجهر بما انتهى اليه في قضية الشعر الجاهلي، وما كان العميد في القضايا العلمية وغيرها يعرف الخوف او الغمغمة ، وانما كان يعرف الشجاعة والصراحة والوضوح .

لقد رافقت العميد في العقد الاخير من عمره وقرات له كثيرا من المؤلفات العربية القديمة والمعاصرة وجاء ذكر الشعر الجاهلي اكثر من مرة،

الصراع العربى الاسرائيلى

● الصراع العربي الاسرائيلي وصل الان مفترق الطرق والصهيونية كما يبدو على وشك ان تقطف ثمار عدوانها ومخططاتها .. ومجلة العربي لسان كل عربي أجدر بان توضح لنا الاساليب الصهيونية والكيفية التي نتمكن معها نحن العرب من افشال هذه الاساليب والمخططات وحرمان اسرائيل من قطف ثمار بغيها ،وذلك عبر طريق المقالات والقصص والمعلومات التي تنير امامنا الطريق .

هشام محمد أسعد
عمان ـ الاردن

اقتراح

● تمثل مجلة العربي مائدة حافلة بالوان من المعرفة ولكن ينقصها لون واحد وهو « الزراعة » فالزراعة أصبحت ـ علما وفنا ـ فلماذا لا يتضمن العربي مقالات عن الزراعة خصوصا وان للزراعة في العالم العربي القدح المعلى .

صديق أحمد الصفاوى
الموصل ـ العراق

سمعت منه الا شكه في هذا الشعر وطعنه في
ته • وقد قال لي يوما : انه لا يعيد النظر في
فاته عند اعادة طبعتها غير انه اضاف الى
: ان هناك كتابا واحدا اريد ان اغير فيهبعض
اء وهو «مستقبل الثقافة في مصر» ، فقد انتشر
عليم واصبح مجانا في جميع مراحله كما قويت
لات العلمية والادبية بين البلاد العربية على
غم من الخلافات بين بعض حكامها ، وهذا يعني
كتاب « في الادب الجاهلي » لا رجوع عمـــا
مل عليه من آراء •

بعد فان موقف طه حسين من الشعر الجاهلي
كن الجزم بانه عدل عنه اعتمادا على كلمـــة
ا في مناسبة اهداء بعض المؤلفات اليه ، ثـم
م الصمت اكثر من عشرين عاما دون ان يكتب
رايه الجديد ، ولذا اكرر ما اومات اليه آنفا
ان العميد لميرجع عن رايه فيالشعر الجاهلي•
الله يقول الحق وهو يهدى السبيل ،

الدكتور محمد الدسوقي
طرابلس الغرب

دعوة المسلمين

● قام بعـض المسلمـــين بمشروع لانشاء مسجد فيمدينة كولونيا الاتحاديةوهذا المشروع يهدفالى تدعيم العملالاسلامى والدعوة الى دين الله تعـالى في احدى مدن اوربا الغربية ، ولتمكين المسلمين هناك من اداء واجبهم الدينيلواجهة التيارات المسمومة والمبادىء الهـدامة • والمركز الاسلامى يمد يده الى اخوانـــه المسلمين كي يمـــدوه بالمساعدة المادية لانجاز هـــذا المشروعالجليل فمناراد التبرع فعليه الاتصال بالعنوان التالي

Al-Fatih Moschee,
Florastrasse Nr. 33 – 35,
5000 Cologne/W,Germany.

والله لا يضيع اجر مناحسن عملا •

محمد احمد رسول
من لجنة الامانة العامة لمشروع
بناء مسجد كولونيا

واعروبتاه

عالج المحرر في كلمتـــه
هة للقارىء في العدد ٢٣٩
ة الشباب العربي الـذى
الــى امريكـا للدراسة
قلة الجامعات العربيـة
رة على استيعاب الشباب
ث عن مقاعد له في هـذه
ـات •• ولا اغـالي اذا
ان المحـرر اصاب كبـــد
المشكلة ، والقصة التي حدثت لي تؤكد المعنى الذى ذهب اليه المحـرر فــي كلمتــه ، وقصتي تتلخص في الآتي :

انــا طالب فلسطيني انهيت الدراسةالثانوية في بلد عربي احجم عن ذكـر اسمه وحصلت على مجمـوع هـو ٥ر٨٦ ولم استطع ان اجد لي مقعدا فــي جامعته ، وكررت المحاولة في بلد عربي آخر وكان الفشـل حليفي •

فلم يعد امامي الا ان اطرق ابواب الجامعات الاجنبية وفعلا ارسلت طلبا لجامعة امريكيـة ولم يمض اكثر مــن اسبوعين حتى جاءني الرد بالقبول •• فتعــال معـى نقـل سـويا (واعروبتاه) •

ناظم محمد البلمـاوى

مراكز لتعليم اللغة العربية

● اقترح ان تتولى مجلتكم الدعوة لفتح مراكز نموذجية لتعليم اللغة العربية فى معظم عواصم العالم وحيثما توجد الضرورة لذلك باعتبارها لغة القرآن يحتاجها كل مسلم وغيره على ان تقوم الدول العربية بتمويل وترتيب واعداد ذلك ، وتساعدها الدول الاسلامية بالقبول والموافقة ما امكن .

عمر صالح جبارى
أبو ظبى

ترجمة القرآن الكريم

● يقول الدكتورمحمد احمدخلف الله بان ترجمة القرآن الكريم الى لغات مختلفة اصبحت واجبا دينيا ما دمنا نعمد الى نشر الاسلام وان الانتظار حتى يتعلم الناس لغة القرآن هو الامر الذى يعارض سنة القرآن الكريم العملية ومضمون آياته "القرآنية ، ويستند فى ذلك الى ان القرآن الكريم قد ترجم الى العربية ما هو غير عربى من النصوص التى اوردها لكن القرآن الكريم قد نزل بالفاظ واساليب عربية يقول الله تعالى :« انا جعلناه قرآنا عربيا » وعلى هذا فان ترجمة القرآن الكريم الى غير اللغة العربية لا تسمى قرآنا ولا تثبت لها احكامه ، فلا تصح الصلاة بها ولا تكون دليلا ومصدرا للاحكام . وقد اجمع العلماء على ان العاجز عن النطق بالعربية يصلى ساكتا مستحضرا معنى العبادة والطاعة والمناجاة ، ويسقط عنه ركن القراءة حتى يقدر عليها كما يصلى العاجز عن القيام قاعدا حتى يقدر على القيام .

ويرى الامام الشاطبى ان ترجمة القرآن الكريم بمعانيه البلاغية تعد فى حكم المستحيل لان احتمال الخطا من المفسرين والمترجمين قائم وموجود لذلك فبدلا من ان نترجم القرآن الكريم يجب ان ننشر اللغة العربية لغة القرآن حتى ينتشر الاسلام ويسود .

السيد محمد علام .
كلية الحقوق ــ جامعة المنصورة

وما ادراك ما الافكار

● حقا ان الخطر يهددنا فى عمليات التصدير والاستيراد على حد سواء، تصدير الاموال والبترول ، تصدير الخبرات والعقول ، اما الاستيراد فهو منتشر فى بلادنا على اوسع نطاق ليقضى على الخناق الفكرى المزعوم على الرغم من تكهن الدكتور فؤاد زكريا ان اعداء هذا الفكر هم المتصورون الا ان الواقع غير مايعتقده الدكتور وعلى الرغم من ان الجماهير المؤمنة واحساسها بايمانها هو الذى يجعلها تبتعد عن الفكر المستورد الا ان هذا الفكر يدخل الى بيوتنا وفى عقولنا ومشاعرنا من كل حدب وصوب، وهو منتشر ايضا بين الاثرياء الذين ينقلون الى بيوتهم احدث ما اخترعه العقل الاوروبى فى اسواق الاوروبيين انفسهم لذا كانت الصدمة للجماهير الجائعة المحرومة من ابسط وسائل العيش ، من هنا كان « القرف » الذى احسته هذه الجماهير التى تعانى مرارة الحياة وشظف العيش لان التصدير قد يدد اموالها لتبعثر على قدمى حسناء بينما هذه الجماهير تنام تحت الخيام وتبحث عن لقمتها فى صناديق القمامة .

ومما لاشك فيه ان استيراد الافكار اشد ضررا وضراوة من استيراد اى سلعة اخرى لان شخصية الامة تتبدى من خلال الفكرة التى تؤمن بها وتدافع عنها والواقع ان السيل من الكماليات ما هو الا جزء من حضارة مادية بحتة بل هو نتاج تلك الحضارة التى تحلل الحرام وتحرم الحلال فى سبيل الربح والكسب الفاحش .

أحمد الخوص
دمشق

IN THE HUMAN INTEREST

Lester R. Brown

ـن
ـجل
ستقبل

لقد دبجت الكثير من المقالات والف العديد من الكتب حول مشكلة التفجر السكاني ، الا ان الكتاب الذى بين ايدينا والصادر حديثا في الولايات المتحدة (١٩٠ صفحة قطع كبير) يعالج هذه المعضلة من منطلقات جديدة وضمن اطار واسع جدا يتعدى الجانب الديموغرافي وهو يكتسب اهميته من كون مؤلفه لستر براون علما وثقة من الثقات الدوليين في حقل الغذاء ومرجعا في قضايا الديموغرافيا كما له القدح المعلى في كثير من ميادين الزراعة والاقتصادوالعلوم والادارة . وهو يبذل جهده ويكرس معظم وقته لدراسة المشكلات التي تثقل كاهل الجنس البشري وقد سبق لبراون ان الف كتبا اخرى : الانسان والارض والغذاء (١٩٦٣) بذور التغيير (١٩٧٠) عالم بدون حدود (١٩٧٢) فضلا عن المقالات الاقتصادية الكثيرة التى نشرها في صحف ومجلات اميركية عديدة بوصفه زميلا لمجلس « التطوير لما وراء البحار » . وقد جاء الكتاب الحالي الذى يحاول ان يفتح اقفال المستقبل الديموغرافي ثمرة للتعاون بين هذا المجلس « ومعهد اسبن للدراسات الانسانية »

ويقوم هذا المعهد منذ عدة سنوات بتقصى العلاقات المتبادلة بين البيئة والطاقة والسكان والموارد الطبيعية وتأثيرها في الصراع السياسي ـ الاجتماعي وفي القيم الانسانية .

واذا قلبنا صفحات كتاب (من اجل صالح البشرية) وتملينا من افكاره نجد ان الكاتب قد وفى مشكلة التفجر السكاني حقها من المناقشة واشبعها استقصاء وبحثا كما نجح في رسم ملامح استراتيجية ديموغرافية هامة لاقالة البشرية من العثرات الحالية التي تجثم على كاهلها ويرجع الكثير منها ليس الى تكاثر سكان العالم فحسب وانما أيضا الى التبذير والاسراف في الاستهلاك الفردى .

ويحدد المؤلف هدفا جديدا لاستراتيجيته السكانية فهو يرى ان الاكتفاء بانقاص معدل النمو السكاني بات الان هدفا عتيقا عفى عليه الزمان وغيبه المنطق الديموغرافي السليم ،وان الحاجة تدعو الى استبداله بهدف جديد يتجلى بتثبيت عدد سكان كوكبنا الارضي تثبيتا نهائيا عند رقم معين . وهذا الرقم قابل للاخذ والرد والمناقشة .

وتشير التقديرات الحالية الى أن عدد سكان العالم سيصل في نهاية القرن الواحد والعشرين الى عشرة بلايين نسمة . ولكن مما يزيد الطين بلة ان معدل الاستهلاك الفردى للغذاء والسلع آخذ بالقفز بنسبة تفوق نسبة تكاثر السكان !

ويتساءل براون عن حال عالمنا بعد ان يزيد عدد سكانه على ضعف العدد الحالي ، وعندما يحيا الناس المقيمون فيه حياة تتسم بالبذخ والاسراف في الاستهلاك اسرافا لم يسبق له مثيل في التاريخ البشرى

لا شك ان الحاجة تدعو حتى تستطيع هذه البلايين من البشر ان تعيش في كوكب لا قبل له باحتمالهم من الوجهة الاقتصادية الى احداث تغييرات جذرية عميقة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة . ولكن هل ننتظر حتى يطفح كوكبنا بالسكان وتغمره البلايين من الافواه الجديدة ؟ ! يعتقد براون ان من الضروري أن نتحرك الآن تحركا أساسيا حتى نطوق ذيول الأزمة القادمة ونتجنب الطوفان البشرى العارم قبل وقوعه وذلك بان نعمل على تثبيت عدد سكان العالم عند رقم يقل عن عشرة بلايين بكثير (ستة بلايين مثلا) وعلى تغيير طرز حياتنا الحالية وتحديد استهلاكنا والكف عن التبذير الذي لا مبرر له .

ولكن ... لماذا نعلق نواقيس الخطر ؟ ! لأن احداث عام ١٩٧٣ التى تضافرت فيها ازمتا الطاقة والغذاء على زعزعة أركان حياة الملايين من البشر تمثل نذيرا واضحا بان حضارة الانسان كما نعرفها اليوم لابد أن تئن وتتداعى تحت وطأة عالم يقطنه عشرة بلايين نسمة يستهلك الواحد منهم اكثر بكثير مما يستهلكه اليوم . ان العقد الحالي هو أحرج العقود بالنسبة للتاريخ البشرى لان سرعة التكاثر السكاني والنمو الاقتصادي المستنزف لاحتياطي الموارد الارضية قد وصلا الى ذروتهما بحلول عام ١٩٧٥ .

لستر • ر • براون المؤلف

وقع براون ان تاخذ هذه السرعة بالتباطؤ
ية القرن الحالي وبخاصة في العقد الاخير
وذلك خلافا لتنبؤات الدوائر الاقتصادية
موغرافية في الامم المتحدة .

لماذا التحرك ؟

و المؤلف في كتابه جميع دول العالم الى
قبل فوات الأوان على الصعيدين القومي
ى واتباع نهج جديد مستحدث لتثبيت عدد
الارض ففي هذا العالم المترابط الذي يشد
ازر بعض وتؤثر فيه الواحدة من الدول
خرى نجد ان اى زيادة سكانية في اى بلد
كان موقعه انما يمتد تاثيرها وعواقبها في
البعيد الى سائر بقاع العالم . فكل وافد
يشكل عبئا على موارد الارض وكثيرا ما يتحرك
لعبء في اتجاهين فالسكان الجدد يحتاجون
يد من الغذاء والطاقة واراضى السكن ومن
خرى فان انتاج المزيد من الغذاء يحـــد
ستلزم المزيد من الطاقة لتشغيل مصـــانع
وكذلك المزيد من الارض للزراعة .

ذا فان ما تتطلبه الزيـــادة السكانية مـــن
لى الطاقة والاراضى على سبيل المثال هو
زدوج .

وفي الماضى لم يكن لاضافة شخص جديد الى سكان العالم سوى نتائج طفيفة . فقـــد كانت الموارد تفوق حاجات الانسان وتوافر الســـلع يتجاوز حجم الطلب مما ادى الى خفض الاسعار وجعل السوق في صالح المستهلك . كانت الاراضى ترتقب الحرث والاخشاب الغابات تنتظر القطـــع والمياه ووقود الطاقة الوفيرة تتطـلع الى مـــن يستهلكها .

ولكن فجاة تغير كل شيء !

فالاعتقاد باننا كافراد نستطيع ان نستهلك ما نشاء من الغذاء والماء والطاقة والمواد الاخرى كامر مفروغ منه اصبح مشـكوكا فيـــه الان ، والافتراض بالوفرة اللا متناهية للمواد الخـــام حل محله توقع النقص المزمن في كثير من المـــواد الضرورية كما تحولت السوق العالمية للطـــاقة والبروتين والسلع والخدمات لصالح البائع على حساب الشاري ... حتى ان مسالة كيفية توزيع الموارد بين الدول يمكن ان تسيطر على الشؤون الدولية في السنوات القادمة .

ويطلق المؤلف سهام التشكيك على تنبؤات الامم المتحدة الخاصة بالانتاج الاقتصادى خلال العقود القادمة . فقد تضاعف هذا الانتاج ثلاث مرات خلال الربع الثالث من هذا القرن اى فيمـــا بين ١٩٥٠ ــ ١٩٧٥ فارتفعت قيمته من (١) تريليون دولار عام ١٩٥٠ الى (٣) تريليون دولار في النصف الاول من العقد الحالى . وتذهب تقديرات الامم المتحدة الى ان الامور ستســير على المنوال نفسه وتعيد سيرتها الاولى خـــلال الفترة التي تنتهي بحلول عام ٢٠٠٠ فيتضاعف الانتاج الاقتصادى العالى ثلاث مرات اخرى وتصل قيمته الى (٩) تريليون دولار .

تقديرات مشكوك فيها

اما براون فيتوقع رقما يقـل عن ذلك بكثير ويعزى السبب الى الضغوط البيئية وندرة الموارد . والشكوك نفسها تنطبق على تقديرات الامم المتحدة القائلة بان عدد سكان العالم سيصل بحلول نهاية هذا القرن الى ٦٫٥ بليون نسمة وان هذا الرقم سيصل الى ٩ او ١٠ بلايين نسمة قبل ان يصبح بالامكان تثبيته .

ويعارض براون هذه التنبؤات لانه يعتقد ان الذى صاغها هم المختصون الديموغرافيون وحدهم وهم يتعاملون عادة مع المسائل السكانية بصورة مستقلة عن الاوضاع الاقتصادية والبيئيةوامكانية توافر الموارد الاساسية كالغذاء والماء والطاقة . وهو يرى أن الظروف التى نجد انفسنا فى خضمها تستلزم منا توسيع الاطار الذى ندرس ضمنه التوقعات المقبلة الخاصة بالسكان بحيث علينا أن ندخل عناصر اخرى اقتصاديةوايكولوغية وانتاجية جنبا الى جنب معالعناصر الديموغرافية، نظرا لما لها من تأثير فى حوافز انجاب الاطفال . ومع توغلنا فى سبر اغوار محتويات كتاب (من أجل صالح البشرية) نجد المؤلف يفيض ويسهب فى شرح تلك العناصر :

فبالنسبة للطاقة نحن نعلم أن وقودها فىتناقص مستمر وربما يصبح على درجة كبيرة من الندرة وارتفاع الثمن بدءا من عام ١٩٨٠ وحتى عام ٢٠٠٠ ولكن التوقعات الخاصة بما هو ابعد من ذلك غائمة ويكتنفها الشك أو انها اقل يقينية وان كان من المتفق عليه بصورة عامة ان العودة الى وفرة الطاقة ورخصهالايمكن انتتم الا بحدوث قفزة تطورية فىاستثمار الطاقةالنوويةوالشمسية، وبما أن اسعار الطاقة تتجه نحو الصعود فان السلع والخدمات التى تعتمد عليها يتوقع ايضا أن ترتفع اسعارها بطبيعة الحال .

وبخصوص الغذاء فقد كانت الفترة الممتدة بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ فترة عصيبة فالطلب العالمى على الغذاء تصاعد بصورة لم يسبق لها مثيل بسبب تكاثر السكان منجهة والافراط فىالاستهلاك الفردى من جهة اخرى ، فتمخض ذلك عن انخفاض احتياطى الغذاء العالمى . وتأثر لهذا السبب الوضع الغذائى للطبقات ذات الدخل المنخفض فى جميع انحاء العالم والتى اصبحت ترزح تحت وطأة ارتفاع اسعار المواد الغذائية وبخاصة القمح والرز وفول الصويا ارتفاعا تجاوز كل التوقعات .

اما السمك فقد ارتفع معدل مصيده فيما بين ١٩٥٠ - ١٩٧٠ بسرعة ثم اخذ فى الانكماش بشكل ثابت منذ بداية السبعينات . واذا لم يقيض لهذا المعدل العودة الى الارتفاع فان ازمةالبروتين العالمى ستؤول الى التفاقم .

وبالنسبة لاحتياطى الغابات فانه يسير حثيثا نحو التناقص بسبب تعرض اشجار الغابات واخشابها للقطعواستعمال اراضيها لاهداف اخرى كالاسكان ومن جهة ثانية فان الطلب على الخشب من اجل اوراق الصحف والوقود وبيوت السكن بات يتجاوز قدرة الغابات على التجديد .

واذا تقصينا امر السلع والخدمات يتبين لنا ان الطلب العالمى عليها قد ازداد بنسبة ٤٪ سنويا بسبب تكاثر السكان وارتفاع الاستهلاك الفردى . وهناك جدل طويل دارت رحاه في الاوساط الاقتصادية والديموغرافية حول اي العاملين (تكاثر السكان أم ارتفاع الاستهلاك الفردي) اكثر مسؤولية عن الضغوط الايكولوغية ونقص الموارد . ويرى براون ان النقاش المحتد عقيم ومضلل لانه لا يرمي الى القاء الضوء على المشكلة ذاتها وبيان وجه الصحة والخطأ فيها وانما يهدف الى تبرير مواقف الدول الغنية او الدول الفقيرة والقاء اللوم على هذا الطرف او تبرئة ذاك الجانب . والحقيقة كما يراها المؤلف ان المسؤولية تقع على عاتق العاملين بدرجة متساوية .

حدود النمو الاقتصادى

يعتقد براون كغيره من الاقتصاديين ان الارض لا تستطيع أن تحتمل نموا اقتصاديا متزايدا . وهو يرى ان احدى المصاعب التى تعترضسبيل التقييم الصحيح لمدى قدرة الارض على تحمل الاستنزاف المستمر لمواردها هو ان كثيرا من الاقتصاديين يعتقدون ان الايكولوغيا هي فرع من فروع شجرة علم الاقتصاد مع ان العكس اكثر صحة وقربا من الواقع ، فالبناء الاقتصادى الذى شاده الانسان يستند كلية الى موارد الارض الطبيعيةوالعمليات الايكولوغية ،والنشاط الاقتصادي الذي يقوم عليه وجود البشر يتوقف على قدرة الارض على انتاج الغذاء وامتصاص النفايات وتوفير الماء الطازج والسمك وتوليد اوراق الغابات واخشابها وتامين وقود الطاقة والمواد الخام والفلزات المعدنية ... الخ .

الصعوبة الثانية التى تقف حجر عثرة
يق تقدير مدى توافر الموارد فى المستقبل
ى فى ان حساب الحاجة الى هذه الموارد
ادة على صعيد قومى محلى ، وقد بات من
رى الان سد هذه الثغرة وبذل جهود
من اجل تقدير الحاجات القومية الى الموارد
بلد على حدة ثم ربطها بالموارد المتوافرة
ميع انحاء العالم اي لابد من اقامة جسر
لحاجات والموارد المحلية من جهة والعالمية
هة اخرى .

ن نتائج اهمال تحليل العلاقة بين توافر
، والخدمات والمواد المختلفة وبين الطلب
فى المدى القريب والبعيد تحليلا يستند
ساس عالي واسع لا محلى ما شهدناه من
ث نقص فى هذه السلعة او تلك دون انذار
خلال السنوات الاخيرة كما حدث بالنسبة
وحب الهال والصنوبر .

تمام براون بموضوع حدود موارد الارض
جديدا فقد برز منذ السبعينات اهتمام
بهذه الناحية وصدرت كتب ودراسات كثيرة
ها ومن اهمها كتاب « حدود النمو » من
دونيلا . هـ . ميدور الذي صدر فى
لد عام ١٩٧٢ وعالج العديد من المشكلات
ة بالنمو الديموغرافى والاقتصادى .ولكن
لكتاب على الرغم من الدوي الكبير الذي
حين صدوره خلق انطباعا لدى القراء بان
، الخطير فى الموارد لن يقع قبل اوائل القرن
- والعشرين . ولكن ما ان مضت سنة واحدة
صدوره حتى كشرت ازمتا الطاقة والغذاء
نابهما واختفت الاسماك من مساحات مائية
ومالت ثروات الغابات نحو التقلص
اش وجفت المياه فى الكثير من الابار فاخذت
من الناس تكتوي بنار غلاء الاسعار وتجتر
النقص فى البترول والغذاء والسلع
ة ! .

ترف المؤلف ان ذلك كله قد اسفر عن
هامة فيما ان سوق السلع قد تحول
البائع على حساب الشاري فان قدرا
نفوذ السياسي اخذ ينتقل من الدول التى
على الرساميل والتكنولوجيا الى الدول
التى تملك الطاقة والمواد الخام والغذاء والمعادن
النادرة !

وهذه النتيجة ذات دلالة هامة بالنسبة للدول
العربية التي تملك احتياطيا ضخما من المواد
البترولية والغذائية والمعدنية ، فاذا احسنت
استخدام هذه الثروات فانها ستكسب سلاحا
سياسيا هاما يمكنها من فرض ارادتها .

ان جميع المشكلات الاقتصادية والبيئية
والاجتماعية والسياسية التي تواجهها البشرية
اليوم مثل التضخم والتلوث وازدياد البطالة
فى المناطق الريفية وما يستتبعها من نزوح السكان
من الارياف الى المدن غير المهيأة لاستيعابهم
بالاضافة الى مشكلات نقص الطاقة والغذاء التى
عرض لها الكتاب بالتفصيل سوف تزداد جميعها
سوءا اذا استمر التفجر السكانى بمعدلاته
الحالية .

وحينما يلقى براون الاضواء على المشكلات التى
سبق واشرنا اليها ، فانه لا يهدف من وراء
ذلك الى توضيح آثار التكاثر السكاني وعواقبه
فحسب وانما يرمى ايضا الى الاشارة الى الاثار
النفسية التى تخلفها هذه المشكلات فى الازواج
وتتجلى فى اضعاف حوافز الانجاب عندهم .
فالتفجر السكانى الذى هو سيف مسلط على
رقبة البشرية ان هو فى الاصل الا نتيجة لمئات
ملايين القرارات الفردية التى يتخذها الازواج
فى جميع انحاء العالم. وكلنا يدرك النتائج المترتبة
على زيادة ٣ ٪ فى عدد سكان العالم وما يستتبعها
من الحاجة الى مزيد من الغذاء والماء والاسكان
والتعليم والخدمات الاخرى . ولكن من ما يعرف
ان هذه النسبة الضئيلة ظاهريا تعنى فى الحقيقة
زيادة سكانية عالية بمقدار تسعة عشر ضعفا
خلال قرن واحد من الزمان ؟ ! ! ليس الازواج
وحدهم تعوزهم معرفة هذه الحقيقة وما تنطوى
عليه من تعقيدات وعواقب بالنسبة لمستقبل
الجنس البشري وانما ايضا كثير من الزعماء
السياسيين الذين يعد اسهامهم فى حل المشكلة
السكانية امرا اساسيا .

نحو تثبيت عدد السكان

على الرغم من ان كتاب (فى صالح البشرية)

قد اسهم كثيرا في توضيح صورة التفجر السكاني والمشكلات المتصلة به الا ان اهم جزء فيه يتعلق بالاساليب التي يقترحها المؤلف ليس فقط لوقف نمو السكان وانما أيضا لتثبيت عدد سكان العالم بصورة نهائية وحاسمة . وتحقيق هذا الهدف يقتضي في رايه العمل على عدة جبهات :

أولا ـ توسيع خدمات التخطيط العائلي : فهنالك اليوم عدد كبير من السكان لا يفيدون من هذه الخدمات اما لانها غير متوافرة أو لانهاباهظة التكاليف . وبالنسبة للدول المتقدمة فانالمشكلة لا تكمن فيتامين الموارد الكافية لتوفير هذهالخدمات لكل من يحتاجها ، وانما أيضا في ان السياسات والاولويات الداخلية في هذه البلدان موجهة نحو اهداف اخرى . ففي الولايات المتحدة مثلا وهي اكثر دول العالم تقدما ، لم يبدأ المواطنون على اختلاف مشاربهم وتفاوت مستوياتهم الاقتصادية وتباين مناطق اقامتهم بالافادة من مثل هـــذه الخدمات الا بدءا من عام ١٩٧٠ . بعد ان تم اقرار قانون خدمات التخطيط العائلي والابحاث السكانية . اما في الدول النامية فان توافرهذه الخدمات لغالبية الناس هو حـالة استثنائية اكثر منه قاعدة . وتقدر تقارير الامم المتحـــدة انه اذا امكن توفير خدمات التخطيط العائليلكل من يحتاجها في هذه الدول وتهيات الاستجابات المناسبة عند الازواج فان معدل ازدياد المواليد سيهبط بنسبة ٩/١٢ .

ومن الناحية المالية تشير التقديرات الى ان مبلغ ٢ بليون دولار يكفي لسد الثغرة وتوفير هذه الخدمات لجميع العائلات التي لم تتوافـر لها حتى الان . الا انه تبقى هنالك بعض العقبات التنظيمية والسياسية .

ثانيا ـ يقترح براون ان تعمد الدول الىالغاء الضرائب الجمركية وقيود الاستيراد المفروضـة على العقاقير المضادة للحمل حتى يمكن توفيرها باقل الاسعار في المرحلة الاولى ثم توزيعها ، في مرحلة لاحقة ، بصورة مجانية من قبل الدولة على كل من يطلبها .

اما بالنسبة للاجهاض فان المؤلف يدعو الى اباحته وتعديل التشريعات التى تمنعمزاولته . وهنالك تقديرات بان (٤٠) مليون عملية اجهاض غير شرعي تجرى في العالم كل سنة ! ولولا ذلك لكان مقدار الزيادة السنوية في عدد سكان العالم (١١٠) ملايين نسمة بدلا من (٧٠) مليونا . ويدعو براون الى سن تشريعات جديدة في الدول النامية لاباحة الاجهاض . وقد تحقق ذلك فعلا في بعض الدول المتقدمة ابتداء من عام ١٩٧٤ مثل الولايات المتحدة واليابان والاتحاد السـوفياتي والصين والهند حيث اصبح الاجهاض مسموحا به في الاشهر الاولى من الحمل .

(ونحن نرى ان التوسع في استعمال مضادات الحمل افضل من اباحة الاجهاض نظـرا لان الاجهاض يتنافى مع القيـم الدينية والروحيـة للانسان . واذا كانت بعض دول العالم قد حللته فان للعرب والمسلمين قيمهم الخاصة بهم .)

ثالثا ـ تلبية الحاجات الاجتماعية الاساسية : لقد ثبت ان تلبية بعض حاجات الافراد الملحة في المناطق الفقيرة التى ترزح تحت أوزار التاخر الاقتصادي والاجتماعي تقود بطريقة غير مباشرة الى خفض معدل المواليد .

ويذكر براون من هذه الحاجات :

أ ـ تعلم القراءة والكتابة فالمتعلمون وحدهم دونالاميين يمكن ان يتقبلوا فكرة التخطيطالعائلي ويدركوا نتائجها وابعادها المفيدة . وتقدر دوائر الامم المتحدة بان مبلغ (١ر٦) بليون دولارسنويا ولمدة خمس سنوات يكفي لتحقيق هدف محـو الامية في البلدان النامية .

ب ـ الحصول على الغذاء الكافي

فالغذاء هو اهم حاجة من حاجات الانسان وقد اثبتت الاحصاءات ان الدول التى تشـكو من نقص الغذاء يرتفع فيهـا معـدل الولادات الجديدة وذلك بسبب ارتفاع معدل الوفيات من الاطفال مما يؤدى الى خوف الازواج على اطفالهم والرغبة في انجاب المزيد منهم . ومن جهة اخرى فان توافر الغذاء الكافي يشـكل ضمانا نسـبيا لحياة الاطفال مما يضعف حاجة الابوين الى اطفال جدد .

وهكذا فان اى جهد يبذل للقضاء على سوء ...ذية من شانه أن يسهم فى تثبيت عدد ...كان . وبما ان اى زيادة سكانية فى اى مكان ... نتائجها فى العالم اجمع فان براون يخلص ... ان من صالح الدول الغنية نفسها ان تساعد ...ول الفقيرة على حل مشكلاتها الغذائية مما ...كل عاملا مساعدا على وقف تكاثر السكان ...ورة عامة .

...ب ـ تحسين الخدمات الصحية وتعميم مراكز ...ومة والعناية بصحة الاطفال . وهذا العامل ...تأثير العامل الغذائى نفسه . فحاجات الاطفال ...صحية شانها شان الحاجات الغذائية تؤدى ...ـها الى تهدئة مخاوف الاباء من احتمال وفاة ...الهم فى سن مبكرة وبالتالى الى اضعاف رغبتهم ...انجاب المزيد من الاطفال للتعويض عن الاطفال ...ن يحتمل أن تتخطفهم الموت .

...ابعا ـ تشجيع الادوار الجديدة للنساء فى ...تمع : فالتوسع فى خلق الوظائف الاجتماعية ...قتصادية للمراة يشجعها على التوجه نحو ...تمع اكثر من توجهها نحو الانجاب . ان ...ساء فى جميع انحاء العالم تسعين اليوم الى ...ساواة بالرجل فى مجال الحصول على الحقوق ...سياسية والاجتماعية والفرص الاقتصادية ...ا ما يجعل ادوارهن الوظيفية والاجتماعية ...ج المنزل اهم من ادوارهن التقليدية فى ...ل .

...امسا ـ الاهتمام بموضوع الحوافز الاقتصادية ...جتماعية التى تؤثر فى مواقف الازواج تجاه حجم ...ئلة . فهناك كثير من الاقطار ، وان كانت ... هدف تخفيف معدل المواليد ، تنتهج ...سات تؤدى من الناحية العملية الى تدعيم ...وافز الانجاب . من ذلك مثلا التعويض العائلى ...للمولود الجديد ، اجازة الامومة للمراة الموظفة ... جميع انحاء العالم تقريبا) وكذلك تخفيض ...ة الدخل بالنسبة للعائلات التى تنجب عددا ... من الاطفال (فى اميركا) وعلاوات العناية ...فال (فى فرنسا) .

...ذه كلها تشكل حوافز لصالح الانجاب . ... براون من الضرورى الغاء بعض هذه ...سياسات وتعديل بعضها الاخر مع تبنى سياسات اخرى تقود الى اضعاف حافز الانجاب من ذلك مثلا تقديم علاوات مالية للعزب بدلا من ارهاقهم بالضرائب وكذلك ادخال برامج ضمان الشيخوخة للعزب الطبقة فعلا الان فى الدول المتقدمة الى الدول النامية فمعظم الازواج يتوقون الى امتلاك الاطفال ضمانا لشيخوختهم واذا امكن تحقيق هذا الضمان بالتشريعات القومية فان اعتماد الوالدين على الابناء سيقل . ويطبق فى الهند حاليا برنامج يجمع بين الضمان الاجتماعى واضعاف حافز الانجاب وهو برنامج التخطيط العائلى الذى صممه رونالد ردكر وتم بموجبه دفع اعانة مالية للمراة عن كل شهر لا تحمل خلاله .

ويدعو براون ايضا الى رفع السن القانونية للزواج وفرض ضرائب كبيرة على كل من يقدم عليه قبل بلوغ هذه السن .

التربية والاعلام

تعد نظام التعليم مسؤولا من الناحية التقليدية عن تغيير المواقف الاجتماعية تجاه المشكلات الاساسية مثل التخطيط العائلى وطراز الحياة . ولكن الظروف التى تواجهنا اليوم تجعلنا غير قادرين على الانتظار طويلا حتى تتغير القيم والمفاهيم من خلال النظام التربوى . لذلك فان براون يدعو اجهزة الاعلام من اذاعة وتلفزيون وصحافة الى تحمل مسؤولياتها فى المجالين التاليين :

أ ـ شرح العلاقة بين مرض النمو السكانى والاعراض الناجمة عنه مثل التلوث ، نقص الموارد ، كثافة حركة السير ، غلاء الاسعار ، سوء التغذية .... الخ . وبالتالي توضيح الحاجة الى وقف هذا النمو بانقاص عدد المواليد .

ب ـ توفير الارشادات العملية حول كيفية تحقيق ذلك .

وهكذا فبينما نجد ان معظم الكتب التى تتصدى لقضايا السكان تتناولها من منظار ديموغرافى ولا تدعو الى اكثر من العمل على انقاص معدل ازدياد السكان فان كتاب (من أجل صالح البشرية) يتناول المشكلة من منظار واسع ويبشر بتثبيت عدد السكان لا مجرد وضع حد لتكاثرهم . ■■

دمشق ـ ياسر الفهد

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفـوز بواحـدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانـير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الأجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٤٣ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ابريل (نيسان) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقـة الكلمـات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسـم مؤسس مدينة مراكش ، كما ستجد فـي (٨) رأسيا اسـم سلطان أيوبي قتلـه هولاكو .

الكلمات الأفقية :

(١) رسول الآلهة في الأساطير الرومانية ـ دولة من القارة الامريكية .
(٢) مسرحية للكاتب الساخر برنارد شو ـ في الصحراء ـ غزال .
(٣) لمسه ـ منطقة اثرية فرعونية هامـة في صعيد مصر .
(٤) لفظة الم ـ يسيرون ـ نصف كلمة (سهاد) متشابهان .
(٥) فلسفة زينون ـ من العناصر الكيميائية .
(٦) يلاحظه ـ في الباب من أجزاء الجسم
(٧) ضمير ـ من الفاكهة ـ من المواد الدهنية .
(٨) مؤسس مدينة مراكش .
(٩) في الوجه ـ قذفته ـ ابطاء واحتباس .
(١٠) وحدة قياس كهرباء ـ للتفسير ـ سخن ـ قبيحـة .
(١١) من المعادن ـ فارغ .
(١٢) نظير ـ لقب عالم جغرافي عربي شهير ـ مادة قاتلة .
(١٣) اقترب ـ نصف كلمة (الغني) ـ من القار[illegible]
(١٤) حرف استفهام ـ يصفح ـ اقليم بالجز[illegible] العربية ـ سكان الصحراء .
(١٥) في القصيدة ـ غاز موجود في الهواء .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

الكمات الرأسية :

) من اشكال الكتابات القديمة ـ متشابهان ـ لا يتكلم .

) اقصى حدود العمران البشرى جنوب العالم ـ عاصمة انجولا .

) ستره و اخفاه ـ نصف كلمة (عراق) ـ يرجون .

) نصف كلمة (يتراه) ـ يرضون ـ لفظ تهديد .

) من المدارس الفلسفية ـ منطقة مراعى ـ شرب بلا تنفس .

) من اشكال الانتاج الادبى ـ ترفع ـ يتعالى .
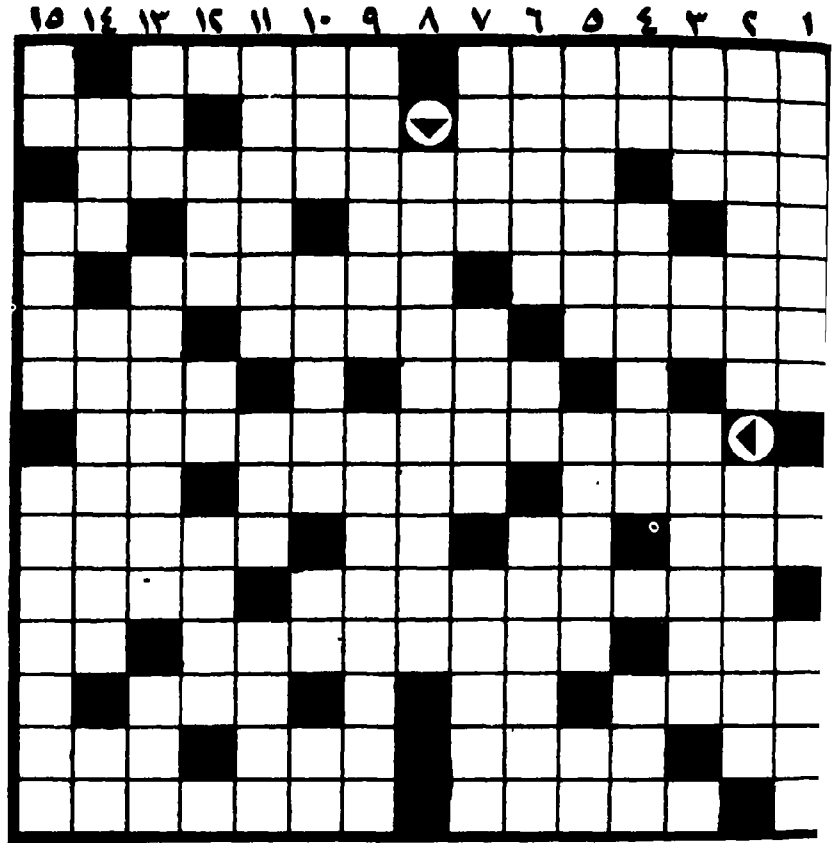
(٧) يقل وجوده ـ فى الجامع ـ من الاحجار الكريمة .

(٨) اسم سلطان ايوبى قتله هولاكو .

(٩) من الصخور النارية ـ حاكم تترى شهير .

(١٠) يسام ـ اعلام ـ غير ناضج ـ سحب .

(١١) من الانبياء ـ عسل ـ يلتذ بتعذيب الاخرين .

(١٢) لعب ـ نصف كلمة (مفيد) ـ فى الجهاز العصبى .

(١٣) من الاشجار ـ ميناء فرنسى شهير ـ يحسم .

(١٤) حمد ـ من الحشرات ـ مقام موسيقى .

(١٥) متشابهان ـ عمودى ـ يسيطرون .

صاحب رسالة التوحيد

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لواحد من علماء المسلمين الداعين الى التجديدوالاصلاح ، ومؤلف «رسالة التوحيد »· ثم انقل الحروف التى فى المربعاتالتى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه·

الكلمات الأفقية :

(١) دولة أوربيـة ·
(٢) فصيلة من الآلات الموسيقية ·
(٣) لفظة ضيق ــ من الذهب ·
(٤) منقول الى السنة التالية ·
(٥) يجـرح ·
(٦) صاحب المصباح السحرى ·

الكمات الرأسية :

(١) مغنية عربية من عصر الرشيد ·
(٢) من الاقـارب ·
(٣) نصف كلمـة (نائب) ــ من العمليات الحسابية ·
(٤) لا يمكن تنفيذه ·
(٥) شـكوك ·
(٦) من مصادر الطاقة الضرورية فى هذا العصر ·
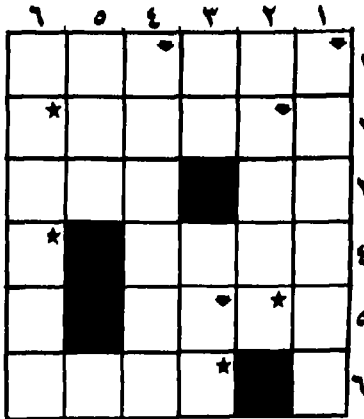
● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسال :

ماذا حدث لعبقرية المدير؟..

لمواجهة ازدحام المواصلات ، فكر المديرالعبقرى فى وضع نظام جديد للعمل بين الموظفين التابعين له ، بدأ تنفيذه فى اول ايامالشهر الماضى ، وينص النظام الجديد على ما يلى :

× السيد احمد كان عليه ان يعمل لمدة يومينثم ياخذ يوما اجازة ، وهكذا باستمرار .
× السيد بهجت كان عليهان يعمل يوما وياخذاجازة فى اليوم التالى ، وهكذا .
× السيد سعيد يعمل يوما كل ثلاثة ايام ،اى يعمل يوما ثم ياخذ يومى اجازة .
× السيد حسن يعمل يوما كل اربعة ايام ،اى يعمل يوما ثم ياخذ ثلاثة ايام اجازة .
× السيد فريد يعمل يوما كل خمسة ايام .
× السيد لبيب يعمل يوما كل ستة ايام .

فى اول أيام الشهر كان جميع الموظفينالستة فى مكاتبهم . وبدأ تطبيق النظام ، غير ان المدير اوقف تنفيذ النظام ، عندما اكتشفذات يوم ان احدا من الموظفين لم يحضر الى العمل . هل تستطيع ان تعرف فى اى يوم منايام الشهر حدث ذلك ؟ ..

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات بين الاشكال التى فى خين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال الارقام ، يحل محل علامة الاستفهام .

النجمة والسهم :

محمد عبده .

★ ★ ★

استاذ نبيه يسال :

غاب الجميع يوم ١٢ من الشهر .

★ ★ ★

الشكل المطلوب :

رقم ٥ .

باركر ٢٥
خطوط عصرية وأنيقة في قلم يعكس فن باركر في الصناعة الحرفية .
مصقول بالفولاذ الذي لا يصدأ ومزين بأحد من ثلاثة ألوان مختلفة، أسود أو أزرق أو أخضر
يتوفر في مجموعة من ثلاثة نماذج .
قلم حبر سائل وقلم حبر جاف وقلم ذو رأس ليف .
ويمكن الحصول على كل قلم بمفرده .
باركر ٢٥ يقدم لك الجودة التي لا تقدمها سوى أقلام باركر .
PARKER 25

FODEN

the complete heavyweigh[t] transport system

Super Haulmaster

Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex. 36171 (Service), 36553 (Sales), 36163 (Admin.)

Name...

Position.....................................

Company......................................

Address......................................

....

For operation in.............................

وداعاً الشوكولاته تريتس

أهلاً بمينستريلز

تريتس بالشوكولاته الكاملة
لتذوب في فمك وليس في يدك
تسمى الآن ... **مينستريلز.**
مينستريلز بالحليب والشوكولاته
اللذيذة في الوسط والمغطاة بطبقة
هشة ورقيقة من السكر لاتزال تذوب
في فمك لا في يدك . تذكر أن الاسم على
الغلاف قد تغير فقط . أمّا الداخل فإنه
يحتوي على نفس كمية الشوكولاته اللذيذة كالسابق دائماً.

مينستريلز . تذوبّ في فمَك لا في يَدك

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

الكتاب الرابع عشر

فبراير - شباط
١٩٧٩

جمالية الفن العربي

تأليف
د. عفيف بهنسي

سعر النسخة
٢٥٠
فلساً

الاشتراكات ترسل باسم:

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مِنَ المسرح العالمىّ

وزارة الإعلام فى الكويت

أول فبراير ١٩٧٩

١١٣

هكذا الدنيا تسير

تأليف : وليم كونجريف
ترجمة وتقديم : د. على الراعى
مراجعة : د. طه محمود طه

...وا نملكه من اجل التاريخ الاسلامى!

...رة الصين على النظام الدولى

...ة ملف الامبراطورية العثمانية

عزيزي القارئ

احتفال الكويت بعيدها القومي هذا العام (٢٥ فبراير)• اقترن بحدث له أهميته ودلالته هـو : افتتـاح اول معـرض للصناعات الكويتية •

وربما بدا التعبير غريبا على الاذهان ، اذ ان الانطبـاع السائد أن الدول النفطية هي دول استهلاكية بالدرجة الاولى ، وان أموال البترول حجبت عنها رؤية الحقائق الاساسية اللازمة لبناء مستقبل الشعوب ، وعلى راسها أن أى بلد يجب أن يتوفر له مصدر دائم للانتـاج ـ صناعة أو زراعـة ـ لا يعتمد على الصدفة ، أو العوامل المؤقتة •

غير أن وجود صناعة كويتية ـ خارج نطاق البترول ـ يغير من هذه الحقيقة ، ويكاد يحولها من مطلقة الى نسبية •

ورغم أن الصناعات الكويتية ـ التى لم تتمكن بسبب موعد طباعة العدد من تقديمهـا فى استطلاع خـاص ـ لا تزال فى خطواتها الاولى ، ولا تزال تتحرك فى دائرة محـدودة ، الا أن ارساء المبدأ فى حد ذاته يعد نقطة جديرة بالتسجيل • فضلا عن ان ما حققته حتى هذه الخطوات المبكرة ، يشكل انجازا يبعث على الاعتزاز ، ويبشر بمستقبل ملىء بالتفاؤل والثقة •

ومن يدرى ، فربما كانت هذه بداية رحلة الالف ميل !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

سياسية دولية :

عروبة :

اسلاميات :

شخصيات :

تاريخ :

استطلاعات :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABI — No. 244 March 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف :

● منذ ٩٠٠ عام تقريبا ، اقام الطوارق مدينة تمبكتو فى الصحراء الكبرى .. واليوم يعيش احفاد الطوارق حول مدينة الاجداد وتسير المرأة الطارقية سافرة الوجه بعكس الرجل الطارقى الملثم ، وفى الصورة نرى مريم وفاضمتا .. بشرتهما البيضاء تبين اصولهما الممتدة الى نبلاء الطوارق فى الجزائر والمغرب ...
(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ب وعلوم :

ب :

نفس :

ب الشهر :

عات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢ر٥ دينار . المغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

العروبة فى مصر

- أول جماعة عربية فى مصر تكونت سنة ١٩١١
- حكاية صفر زائد صفر يساوى صفرا
- ماذا قال سعد زغلول عن سوريا وعن فلسطين

انني فى مقالاتى هذه متحدث عن اشراقات عربية قومية فى مصر منذ انبثقت الفكرة العربية حتى مطلع الثورة المصرية فى تموز (يوليو) ١٩٥٢ .. وأحسب أن ما توافر لدى من اسانيد وما دونت من مذكرات وما اسهمت فيه من جهد متواضع يجعلنى اطلع الجيل العربى الحاضر على بعض المجهول من امر العروبة فى مصر ، ولعلى ابدد بذلك أوهاما شائعة بين الناس حول مواقف لكبار من قادة السياسة والفكر فى مصر ، وهى مواقف – فى ضوء الشائع عنها لدى الجمهرة – ادنى الى الزهد فى العروبة او الى الصدوف عنها او مناواتها منها الى الارتياح اليها والرضاء عنها بله الايمان بها والدعوة اليها .

ولا بد لي قبل الحديث عن « الاشراقات » وعما يمكن ان ندعوها « تحديات » من تمهيد اقرر فيه ان مصر قد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية قبل انفصال العراق وبلاد الشام بزمن طويل ،

وانه بينما كان تيار الحركة الوطنية المصرية يندفع نحو مقاومة الاحتلال البريطاني ، ... والاستعانة عليه بالدولة « العلية » العثمانية وترنو ابصار المصريين نحو دار الخلافة ، كانت

كة العربية الوطنية فى بلاد الشام والرافدين
فى تيار عكسى ، هو تيار الخصـومة اللداء
اسة التتريك وللحركة الطورانية العنصرية
لدولة العثمانية والاستعانة ـ بعد يأس من
لاح او التقويم ـ بالانكليز وحلفائهم على
رر منها . وبينما كان ابن دمشق او بيروت
غداد يرى فى من يمتشق الحسام ويثور على
ولة العثمانية ويهتف لاستقلال العرب امـام
نقة ، بطلا قوميا او منقذا او شهيدا يعربيا
ابن النيل يلصق به تهمة الخروج على الدولة
ية او التآمر عليها مع اعدائها الذين هم اعداء
الانكليز الغاصبون ...

يهمنى ان اقرر ، كذلك ، ان سياسة الدولة
مانية التقليدية تقضى بانه لا تتجه البـلاد
مانية نحو مصر والا توليها زعامتها ، وترى
لك خطرا يحيق بها ، كما ان الدول الاوروبية
تعمارية كانت بدورها حريصة على الا تمكن
زعامة فى البلاد العربية وتبذل فوق الجهد
يلولة دون قيام دولة عربية كبرى تشمل مصر
وسائر الاقطار العربية الاسيوية مما يهدد مصالحها
ومستعمراتها ويوهن طموحاتها او مطامعها ، وما
امر الحملة المصرية التي قادهـا ابراهيم باشـا
« واستفراس » التحالف العثماني الاوروبى فى
صدها ببعيد .

وانى لأزعم ، كذلك ، فى يقين ان من اخطـر
اهداف الصهيونية .. هو قيام دولـة يهوديـة
تفصل بين آسيا العربية وافريقية العربية وتكون
سدا منيعا دون تحقيق الوحدة العربية الكبرى
او وتدا مدقوقا فى وسط البلاد العربية مسيطرة
على باب الجزيرة قابضـــة على مفتاحها .. !!

على أن العقدة ، عقدة الخلافة ومحالفة أعدائها
وهى السر الاول فى تضاد الحركتين الوطنيتين فى
مصر والبلاد العربية قد حلت بعد ذلك لسببين :

اولهما : ان البلاد العربية (الاسيوية) ما لبثت
بعد ان خانها حلفاؤها وقضوا بتمزيقها وراحوا
يهودون فلســطينها حتى هبت لمقارعتهم فى كفاح
بطولى تجلى فى ثورات عنيفة ضخمة نشبت فى
سورية والعراق وفلسطين وتراصفت مـع ثورة
مصر ١٩١٩ م .

وثانيهما : ان تركيا نفســها الغت الخلافـة
وجحدت النصرة الاسلامية العارمة لها فى نضالها ،
واوغل اتاتورك باسم العلمانية فى مكافحة كل نزعة

اسلامية في السلطة او المجتمع .. وعلى ان هذه العقدة قد حلت فان مفهوم العروبة في مصر ظل مختلفا عنه في الاقطار العربية الاخرى لرسوبات خلفتها تلك العقدة وبسبب فارق الزمن وتباين الظروف . وظل تعريفها غير متبلر ، يختلط احيانا وكليا بالاسلامية واخرى بالشرقية ، ويعرف حينا بمحض التضاد للفرعونية حتى نشأت « حساسيات » عدائية بين لفظتي الفرعونية والعروبة مما ساتحدث عنه فيما بعد .

وبعد فقد اسس شبان العرب في الاستانة سنة ١٩٠٩ م اي بعد اعلان الدستور العثماني بسنة « المنتدى الادبي » فكان مقرا للحركة العربية الناشئة ومثابة لرواد الاصلاح ومنبرا للدعوة الى احياء المجد العربي ، وقد تراس هذا النادي الشاب العصامي عبد الكريم الخليل (من جبل عامل) وكان قد عرض برنامجه على خليل حماده باشا وهو مصري كان يتولى وزارة الاوقاف فشجعه على المضي في المشروع وعدل بعض بنوده .

وقبل مواصلة الحديث عن المنتدى اقول ان عبد الكريم الخليل كان في شهداء القافلة الاولى من احرار العرب الذين شنقهم جمال باشا السفاح في ٢١ آب سنة ١٩١٥ م فكانت اول كوكبة من فرسان التضحية في سبيل ايقاظ العرب بعد ذلك الرقاد الطويل .

وضع المنتدى الادبي مشروعا لتوحيد التعليم في المدارس الابتدائية الاهلية وعرضه الرئيس على نواب العرب وكبار رجالهم في اجتماع عقد في حزيران (يونيو من سنة ١٩١١ م) بعد أن خطب في وسائل اصلاح المدارس الاهلية وتوحيد مناهجها ، وناقشه نواب من سورية وبنغازي وطرابلس الغرب وفلسطين ثم اقروه ، وهو في مجمله يرمي الى توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عربيته الشريفة ويرمي الى توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة فيستريح جميع العرب في طريق واحد والى غرض واحد .

واوفد المنتدى فتانا عبد الكريم الخليل الى الاقطار العربية العثمانية للدعوة الى المشروع فبدأ جولته بزيارة القاهرة حيث عقد اجتماعات مع جمهرة من افاضل المصريين وذوي الغيرة العربية .. وقد تالفت لجنة للقيام في مصر بهذا المشروع من : محمد باشا الشريعي واحمد تيمور باشا وعبد الخالق بك مدكور وحسن باشا عبد الرازق والشيخ طنطاوي جوهري وعبد الستار الباسل ومحمود بك سالم المحامي وعبد الحميد حمدي ورفيق بك العظم والشيخ محمد المهدي والمحامي محمد علي كامل والدكتور شبلي الشميل وعارف الماردني وسامي الجريديني المحامي ونعوم شحاده وقررت أن تضم اليها احمد زكي باشا ومحمد بك يوسف والمطران يوسف دريان ، واجتمعت اللجنة في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٩١١ م فاقرت قانونها واختارت محمد باشا الشريعي رئيسا لها ورفيق العظم رئيسا ثانيا وحسن عبد الرزاق امينا للصندوق ومحمود سالم كاتبا (سكرتيرا) وافتتح الشريعي باشا الاكتتاب بمئة جنيه على ان يدفع مئة جنيه سنويا .. وطبيعي أن يؤدي تطور الظروف السريع ونشوب الحرب العالمية الاولى واغلاق المنتدى دون الاستمرار .

★ ★ ★

وحدث أن تعالت في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) موجة الدفاع عن حقوق العرب وهم كثرة المملكة وكان نائب دمشق شكري العسلي ، (الذي شنقه جمال باشا السفاح في القافلة الثانية في ٦ آيار سنة ١٩١٦ م بدمشق) الصوت الصارخ في هذا الشان ، كما كانت له وللنواب رضا الصلح وروحي الخالدي والامير امين رسلان، صيحات تحذير من الخطر الصهيوني ، ولما اثار العسلي موضوع الحيف الهائل الذي يلحق بالعرب من جراء حرمانهم من الوظائف والمراكز الحكومية وهم كثرة الدولة وضرب امثلة لها منها ان وزارة المالية والتي تضم ١١١ تركيا ليس فيها عربي واحد ومنها ما لقيه الوزير خليل حماده (المصري) من عنت لمحاولته الاصلاح في وزارة الاوقاف ، هبت البلاد العربية تنصره واخوانه ونشرت جريدة المؤيد المصرية وهي كبرى الجرائد العربية خطاب شكري العسلي ووقفت موقف الظهير النصير .. ولكن هال شباب العرب أن ينبري يومئذ احمد لطفي السيد للحركة بالعداوة فيكتب في جريدة الجريدة مقالا عنوانه : « المسألة العربية » ومع انه قد اعترف فيه « بان العرب اكثرية في بلاد الدولة العلية لا يكاثرها عنصر آخر من العناصر العثمانية ولو بعد زمان طويل » فقد قال : « ومهما كان عددهم في المجلس غير متناسب مع نسبتهم لعدد السكان فان تلك حالة وقتية

حمما اليوم او غدا لذلك لا نستطيع ان نفهم مسالة عربيه تستاهل النظر في حلها .. »
. اذا كان للمسالة العربية محل من الوجود جودها الآن سابق لاوانه جدا ، وخير للذين ن في تاليف حزب لبث شكايات العرب ما ان يرشدوا « الاعراب » (١) الى معنى ور فانهم ان علموه أحبوه .. ثم يستدرك فيقول : « ولكننا لا نغفل عن أن نطالب الفضل والسداد من جمعية الاتحاد والترقي لوا في العمل عن التمييز بين العنصر التركي صر العربي كما نزلوا عنه بالقانون يوم أعلنوا رهم » .. ثم يقول : « ولئن كان للمسأله ه ظل من الوجود ، فحلها بين العثمانيين مضاره احد ، وعلى ذلك نحن لا نستطيع كم بان جهاد النائب المحترم شكري افندي ي معقد للعثمانيين او معقد للعرب ، بل منه الا يجر الجزئيات العمليه الى ميدان ات حب يعقد حلها » .

الذين صدمهم احمد لطفي السيد بمقاله قد ان يكون المؤيد اشهر صحيفة عربية منبرا ع عن اهدافهم الاصلاحية وان يكون الشيخ يسف في جانبهم وان يرحب بما تكتبه شباب أمثال محب الدين الخطيب والدكتور عزه ي دفاعا عن حريتهم .

يكد مقال احمد لطفي السيد ينتشر حتى حد اركان الحركة العربية في بيروت ولعله ابها، صاحب المفيد عبدالغني العريسي الى لبه في ١١ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١١ م قال : « على ان الامر الذي قبلنا ويجعلنا الب الحكومة بمراعاة العنصر العربي في ـف المالية اعتقاد كثيرين من أولي ان البلاد العربية لا تنال حقها من الاصلاح كان لها بين رجال الحكومة غير واحد من ... وقد ظهر لنا خلال هذه السنين الثلاث منذ ظهور الدستور) ان رجال اليوم انما لاجناسهم فاذا لم يكن بين العاملين من يعمل ا فلا سبيل الى ترقي العرب » وضرب ي امثلة عن الحيف النازل بالعرب انتهى الى « ان استمرار التجاوز عن مبدأ المساواة في عهد المساواه يجر الدولة الى الهلكة » وختم مقاله : « فنصائح احمد لطفي السيد جديرة بان توجه الى القابضين على زمام الاحكام ، وان كان ثمة ظل للمسالة العربيه وغيرها من المسائل التي تعلق بالعناصر فحلها بيد الاكثرية .. » .

وأني أراني استطرد الى القول ان يد السفاح امتدت الى العريسي كما امتدت الى العسلي والخليل فشنقهم ونخبة من اقطاب الحركة العربية في بلاد الشام فروت دماؤهم شجرة القومية العربيه وجعلت من ثراها مهد الحركة العربية .

واستكمالا للصوره أشير الى أن صحف مصر ولا سيما المؤيد والمقطم والاهرام كانت منابر للدفاع عن الحقوق العربيه والمطالب الاصلاحية ولكن الكثيرين من المصريين ظلت تتنازعهم عاطفتان : الولاء للعثمانية وخلافتها واسلاميتها وكونها امتدادا للسد دون الغارات الصليبية أو عاطفة الانتصار للحق العربي ، فاذا كتب احد شباب الحركة العربية الدكتور عزه الجندي يؤلب الرأي العام المصري على السياسة العثمانيه ، انبرى له الكاتب الشهير ولي الدين يكن يقول له : أنا تركي وأبغض عباد الله اليّ تركي يتصدى .. أحب العناصر العثمانية كلها وآخذ بناصر المستضعف منها .. ثم أحب العرب حبا خالط الروح وجرى مجرى الدم من العروق وانا عربي الادب والقلم عربي النزعة ، ومن أبغض العرب فانا مبغضه ، اولئك اخواني الذين اغنيهم فيطربون وأحدثهم فيقبلون عليّ بالسمع ، غير اني لا أكذبهم ، اني كذلك لا أحب من يسب الترك ولا من يكون لهم عدوا . واذا جرى بين العرب والترك شر أكون يومئذ بمعزل عن كليهما داعيا عليهما بالفشل » .

* * *

ولاسباب ليس هنا مجال تفصيلها كانت تثور في مصر احيانا حملة على « الشوام » وهي كلمة تشمل السوريين واللبنانيين .. ولو اقتصرت الحملة على التنفيس النفساني عن مآخذ على البعض لهان الخطب ، ولكنها كانت تمتد الى

---

(١) يلاحظ أنه استبدل هنا كلمة الأعراب بالعرب ، متعمدا ومن قبيل الصدف ان اعثر على ب للامير شكيب ارسلان ارسله من جنيف سنة١٩٢٦ يقول فيه : « تلاقيت مع الشاب الاديب د بك نجل العلامة احمد لطفي السيد وهو من انجب الطلبة المصريين في سويسره واشدهم حمية عة عربية .. اتمنى للعرب أن يكون فيهم عدة شبان مثله .

الأصرة العربية فيبادر الكتاب القيثر الى ردها ، ويتنادى حملة الفكرة العربية الى تدارك عواقبها ، وما اكثر ما يساعفهم الشعر ويكون حافظ ابراهيم سباقا وهو هو الذى شدا قبل ثلاث سنوات قصيدته :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب
هنا العلا وهناك المجد والحسب

ومنها :

أمُ اللغات غداة الفخر امهما
وان سألت عن الآباء فالعرب

وختامها الرائع :

هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

وها هو ذا حافظ يهتف اليوم :

ماذا جنيت وما جناه بنوك
أظلمتهم يا مصر أم ظلموك
وسمعت للغرب العبوس واهله
ومنحتهم فوق الذى منحوك
وعبست فى وجه الشآم وانما
قطر الشآم وان عبست اخوك

والغريب الا يدرج هذه القصيده فى الديوان على حين نشرها المعبد فى بيروت والمعبد لسان الحركة العربية ومعظم الذين كانوا يحررونها غدوا شهداء كالعريسي والمحمصاني والشهابي والزهراوي والجندي والخطيب والعسلي .

اما مصطفى صادق الرافعى فقد هتف :

يا مصر يا سوريا المجد دائرة
وانتما فى محيط المجد قطران
كلاكما مشبه فى الحسن صاحبه
التما واحد أم انتما اثنان ؟
أرى الممالك اخوانا محللة
لكنما مصر والشام الشقيقان
لو تسأل الارض : اين ابناك ؟ لالتفت
اليهما ثم قالت : ها هما ذان

ويجتمع السوريون على اختلاف طوائفهم فى الكنيسة الانجيلية بطنطا يوم عيد الفصح ليستمعوا الى المحامي المصري محمد نجيب افندى الغرابلى (وقد اصبح فيما بعد احد اقطاب الوفد ووزرائه) يشدو :

هل مصر والشام الا توأمان اذا
كانا رشيدين فليجمعهم الرحم
سل (حافظا) حين اعطى العهد مغتبطا
هل كان عهدا على الايام ينفصم

ثم يهتف :

فلا وربك ما فى مصر غير هوى
بالشام فهى لدينا الراح والنغم
نحب حب اخت لا نضيعها
مهما تزاحمت الاطماع والحلم

ثم يهتف :

فجددوا العهد ها انى اجدده
عن آل مصر فقولوا كلكم : نعم

فدوت « نعم » مجلجلة فى ارجاء الكنيسه .

★ ★ ★

وقاد الزعيم الاعظم سعد زغلول الحركه الوطنيه المصريه واتجهت اليه افئده العرب فى جميع اقطارهم ، تتبعوا خطواته وتأثروا باسلوبه فى النضال والقتال وانى ازعم ان سعد زغلول هو اعظم من أثر فى مسيرى الوطنيه اسلوبا وحجة وبيانا .. والواقع ان سعدا قد أثر فى ذلك الجيل العربى حتى ان مراسل المانيا هرالد كتب فى موسم الحج سنه ١٩٢١ م يقول : ان الحجاج العرب وقفوا على جبل عرفات وصلوا من اجل نجاح القضية المصرية ودعوا لسعد زغلول بالتوفيق .

وقد روى على لسان سعد زغلول قول تلقفه فريقان من الكتاب : اراد اولهما البرهنة على ان مصر ليست من العروبة فى قليل او كثير وها هو ذا زعيمها الاعظم ينكرها وضخم هذا المفهوم حتى اضطر استاذنا ساطع الحصرى الى الرد على القول وتبديد ما قد يحدث من تأثير شعوبى واراد ثانيهما القول : ان العروبة لم تعرف مصر الا بعد ثوره يوليو ١٩٥٢ م ، وفى هذا اعتساف وهدر لجميع الجهود التى بذلت فى خدمه العروبة فى مصر ونكران وتنكر وجحود للرعيل الاول من حمله الفكرة العربيه فيها .

واجىء الى ما روى على لسان سعد اى قوله لفتى العروبة وداعيتها ، عبد الرحمن عزام وكان وفديا ومن جنود سعد المقربين اليه والمحببين لديه : «ان كل قطر عربى يوازى صفرا وان الجمع بين صفر وصفر يكون صفرا » وهذا ينم لى الاستخفاف بالبلاد العربية .

وقد سألت صديقى عبد الرحمن عزام فى زيارتى اياه فى بيروت قبل وفاته عن هذا فاجاب

ر ولده بما خلاصته : ان سعدا كـان يلحظ
عـزام في الشـؤون العربية ويقضـابـا
ر في المشرق والمغرب ، وحدث ذات امسيه
بل عزام على مجلس سـعد فساله سـعد
: وما هي اخبار اصحابك العرب يا ابـا
؟ » وكان سعد يطلق على عبـد الرحمن
هذه الكنيـة تيمنا بالصحابي الجليل عبـد
ن بن عوف ، فحدثه عزام عن سوء الاحوال
لاد العربية فساله سعد : « صفر وصفر
كم ؟ » فاجابه عزام « واحد وواحد وواحد
كم يا باشا ؟ » فاجاب سعد مبتسما :
المهم ان يكون العرب واحدا وواحدا وواحدا ،
ا وصفرا وصفرا ، ويوم يكون هذا ونراني
. » وقد جرى هذا في حديث عفوي لا يصح
ل منه قاعده للتحديد وحكما قاطعا على
العربية ، ويقول عزام رحمه الله وهـو
سعدا عما أريد استخلاصه من كلامه :
ب يوم من نوفمبر سنة ١٩٢٥ م استدعاني
زغلول من حلوان مستعجلا ، وعرعت اليه
استقبلني هاشـا منطلق الوجه وبادرني :
اقرا .. هل يعجبك هذا البيان يا ابا عوف
ذا بي أقرا بيانا عظيما بالغ الروعة يدعو
شعب المصري الى مظاهرة الثورة السورية »
فتح سـعد نداءه باسـم الوفد المصري
منه جنبه وعقبه اعضاء الوفد ابتداء من
لله بركات باشا كل واحد بتسعين جنيها
ن ذلك كان نادبا من الاعضاء امام زعيمهم
) وما لبثت أم المصريين صفيه هانم زغلول
تحت اكتتابا للثورة ، مما يعد بادرة عملية
ل لتلك العبارة العارضة مدلولا تم على
تعاف بالامه العربية .
ازال كلما تلوت ذلك البيان اترنح حماسة :
: « سورية التي تربطنا بها روابط وثيقة
يخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بها
ايام حوادث هائلة تقشعر من هولها الابدان
، جائحة تنخلع من بشاعتها القلوب وشرور
طع ما يرتكبه انسان ضد انسان » .
امه : « واننا معاشر المصريين لنشـعر في
بكل عطف على اخواننـا المصـابين نرثي
، رثاء الاخوان للاخوان ونحس بان علينا
مساعدتهم بكل ما في الامكان . » .
يكد يصدر ذلك البيان الابلغ حتى يممت
العربية بيت الامة ذاكرة ، شاكرة ، هاتفة

لسعد ، وابرق الثائرون من مرابضـهم يحيون الزعيم الثائر ، واما نحن في فلسـطين ، فقد ابرق رئيس لجنتنا التنفيذية موسى كاظم باشا يقول : « وفلسطين تؤكد ان بيانكم هذا وهو بيان الزعيم الاكبر بمصر ، راس الاقطار العربية ، كان له التاثير البليغ مما يقوي السوريين على احتمال المصائب التي يصبها عليهم المستعمرون في سبيل استقلالهم ، كما ابرق باسمنا ، معشر الشـباب الاستقلاليين . الاستاذ حمدي الحسيني يقـول عن نداء سعد وتبرعه : « انهما يخلدان لدولته اجمل الذكر في ربط أواصر الجامعة العربية ربطا يبشر العرب بالحرية المطلقة والاستقلال التام »

وارسـل الشاعر محمد الشريقي وهو من رجال الحركة العربية قصيدة بليغة وجهها الى رجل الامه العربية سعد زغلول ، انهاها منادبا :

يا رافعـا علـم الاخلاص منتظرا
الا وصلت بحبل العرب ما فصموا
ان العـروبة يا زغلـول قائدنـا
فاجهر كما جهـر الاتراك والعجم
وامدد يديك وصافح كل من نطقوا
بالضاد يقبل عليك القـوم كلهـم

وانهاها مشيرا الى الجنرال الفرنسي ساراي الذي امر بتدمير دمشق :

ان كان «ساراي» أجرى دمع شقوتها
فاليـوم سـعدك يوسيها فتبتسـم

ويقول المرحوم عوني عبد الهادي انه سـمع الملك فيصل الاول ملك العراق يقول : « كم ارغب ان يوسع هذا الرجل العظيم المبدأ الذي يعمل له فيشمل الشرق العربي كله ، وحسب سعد ان يقدم خطوة جريئة في هذا الميدان ليصبح الزعيم الوطني للعالم العربي كله .

واتجه تيار مصري هائل نحو تمجيد الثـورة السورية وتاييدها ، وكان مما عبر عن هذا التيار شعراء مصر : حافظ ابراهيم وزكي ابو شادي ومحمود رمزي نظيم وحبيب عوض الفيومي وعلي منصور ، وكانت رائعة الروائع قصيدة شوقي العبقرية :

سـلام مـن صـبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشـق

وما احسب ان سوريا في ميادين الثورة أو على مقاعد الدرس او عربيا ثائرا لم يردد مع شوقي :

وللاوطـان فى دم كل حـــر
يــد ســلفت وديــن مســتحق
وللحـــريه الحمـراء بـــاب
بكــل يـــد مضـــرجة يـــدق

وقد يقول مجادل ماحل : ان العاطفه الاساسيه دون الصارخة العربية هي حافزة سعد ، ومع ان نص البيان يخالف هذا فاننا نجيبه :

فى قاموس (الاعلام) لخير الدين الزركلى فى ترجمه سعد زغلول يقول :

وهو اول سياسى مصرى اسمع الغرب صوت الجامعة العربيه فقال وهو ـ فى لندن ـ يهدد الانجليز : « ان مصر تملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

وقد تقدم فى آذار (مارس) ١٩٢٦ م كاتب فرنسى مشهور اسمه مورس دكوبرا لزياره سعد خاصة ، ونشرت تفاصيل المقابلة وقد باده سعد صدمه الكاتب قائلا : « لا يسعنى ان اوكر فى الاعمال التى تقترف فى سوريه من دون أن اغضب .. انها تسىء الى اسم فرنسا » فاجابه الموسيو ديكوبرا : « ليست فرنسا هى التى ارتكبت تلك الأعمال ولكنه الجنرال ساراى . !! »

فقال سعد : « ولكن ساراى ممثل للجمهوريه الفرنسية » فقال دكوبرا : « لعلكم تعارضون مبدا الانتداب ؟ » فاجاب سعد : « ان الذى افهمه من الانتداب انه وضع امة المنتدب به لا اجاريه كما هى الحال الآن فى سورية .. فهل الانتداب قفاز ظاهره مخمل وباطنه شوك ؟ فما لكم ولتلك البلاد ؟ ولم لا تتركوها حتى تسمع تحريرها ؟ » فحاوره ديكوبرا : « يا باشا هب ان الذين عملوا تلك الاعمال فى سورية ليسوا فرنسيين بل شرقيين ، فهل يكون هذا شعوركم ؟ » فقال سعد على الفور : « لو عمل أخى تلك الاعمال لمقت اخى وغضبت عليه غضبا شديدا » .

ونهض سعد ليودع دكوبرا ويقول له : « ارجو منك يا موسيو دكوبرا عندما تعود الى بلادك ان تقول لمواطنيك : ان زغلولا غاضب مما حدث فى سورية واذا تكلم زغلول فانما يتكلم بلسان الشعب المصرى كله . وسئل دكوبرا رأيه فى سعد فقال : انه رجل قوى وشديد الصراحه فى حديثه وان كل ما قاله لي صحيح .

وفى تموز (يوليو) ١٩٢٧ م زلزلت فلسطين زلزالها الشديد ، وكانت نابلس أكثر مدن فلسطين تأثرا بذلك الزلزال .. وبينا كنا ... الكشافين ، نزيل الانقاض ونتنشل الجثث ... ساعى البرقيات يحمل برقيه من مصر ويناو... فاذا هى بتوقيع سعد زغلول ، ومن بنى وصب... ولست اذكر الان نصها ولكنها كانت مواسا... أب كبير لابنائه وفيها تبرع بمئة جنيه لمن... نابلس ، وقد فعلت البرقية والتبرع فعل السحر فى تشديد عزائمنا وتنشيط هممنا ... ولكن ما هي الا ايام حتى نعى سعد فلبست بلادنا ثوب الحداد ، ورحنا فى اربعينه نؤبنه فى كل بلد ونندبه فى كل محفل .. لم يتوان شاعر فى رثائه او كاتب فى بكائه وقلنا : صدق شاعر النيل حافظ ابراهيم :

قل لمن بات فى فلســطين يبكى
ان زلزالنا اجـــل مصـــابا
قــد دهمـــم فى دوركم ودهـــا
فى نفوس ابين الا احتســـابا

ولم يخل بيت من اسطوانه ام كلثوم فى ندب سعد مما نظمه رامي :

ان تغب عـن مصـــر ســـعد
فهــو فى الذكـــرى مقيــــم

وانني لأذكر هنـا انى فى زيـاره لمصر سنه (١٩٤٩) وكنت مستشارا للوفد السورى لدى مجلس جامعه الدول العربيه قد دعيت من فتى عربى النزعة هو المرحوم محمود حسنى مخلوف نجل مفتى الديار المصريه الاسبق الى سهره كان فى طليعه حضورها المرحوم الزعيم رياض الصلح وابن عمه تقى الدين ـ طال عمره ـ وكان فى استقبالنا الاستاذ مكرم عبيد وكان صاحب الدعوه من انصاره فى الكتله الوفديه ، وفى أثناء السمر راح مكرم يحدثنا بطلاقه عن النزعه العربية لدى سعد زغلول ، وقال لنا انه يعد رساله حول سعد والفكره العربيه ولديه اتصالاته بالزعيم وفيها أسرار بالغة الاهميه .. وانى اكتب الان هذه السطور وكلى أسى الا ينجز مكرم وعده قبل وفاته ومما سمعه تلك الليلة ان سعدا قد رشح لمجلس الشيوخ ثلاثه من السوريين المتمصرين .

والى حديث آخر فى مقال تال استكمل القول فيه ان شاءالله .

أكرم زعيتر

أقوال معاصرة

يجب على الحكومة الامريكية أن تفتح أعينها جيدا ، بعد الذى جرى فى ايران لان أصدقاءنا يتناقصون فى العالم .

« هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق »

وسط الشتاء جاء الربيع !

« لافتة استقبلت الامام الخمينى لدى عودته الى طهران »

المشكلة الفلسطينية ينبغى أن تحل ، بعد التوصل الى اتفاق شامل بالمنطقة !

« هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكى »

هنرى كيسنجر

عجيب أمر هذه الطلقة التى لا تنتهى أبدا .

« مزارع فيتنامى »

النظرة التى تخلقها الانعزالية فى تعاملها المالى والاقتصادى مع العرب، هى نظرة يمتزج فيها الحسد والاحتقار .. وعندما يقترن الحسد بالاحتقار فالمولود هو حق النهب .

« الكاتب اللبنانى منح الصلح فى كتابه عن المارونية السياسية »

الذى حدث كان مفاجأة تامة لى .. فقد أقنعنا الذين حولنا بأن الشعب الايرانى متعلق بنا للغاية .

فرح ديبا

« فرح ديبا امبراطورة ايران »

كان الامريكيون اعداء لنا وصاروا اليوم أصدقاء . وأن يصبح الصينيون والامريكيون حلفاء ، فهذا شىء رائع .

« الامير سيهانوك »

لقد انتهى تماما عهد الكنيسة الصامتة .

« البابا جون بول الثانى »

الامير سيهانوك

بعد حظر استمر ٣٠ عاما ، عادت الكوكاكولا مرة أخرى الى الصين .

« وكالات الانباء »

كيف لا يحق لى ان اقاتل الاسرائيليين وقد قتلوا شعبى وكرامتى وحريتى .

« المطران كابودجى »

انا بيلى كارتر الذى بدات الصحافة تهتم به ، بعد ان اصبح شقيقه رئيسا للجمهورية حتى صارت تصدق وتنشر كل التفاهات التى أقولها ، مع أننى أكذب دائما، وهم يعرفون أنى كذاب !!

كابوتشى

« من حديث صحفى لشقيق الرئيس الامريكى . »

وللاوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وقد يقول مجادل ماحل : ان العاطفة الانسانية دون الصارخة العربية هي حافزة سعد ، ومع ان نص البيان يخالف هذا فاننا نجيبه :

في قاموس (الاعلام) لخير الدين الزركلي في ترجمة سعد زغلول يقول :

وهو أول سياسي مصري أسمع الغرب صوت الجامعة العربية فقال وهو ـ في لندن ـ يهدد الانجليز : « ان مصر يملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

وقد قدم في آذار (مارس) ١٩٢٦ م كاتب فرنسي مشهور اسمه موريس دكوبرا لزيارة سعد خاصة ، ونشر تفاصيل المقابلة وقد باده سعد صدمة الكاتب قائلا : « لا يسعني ان افكر في الاعمال التي تقترف في سورية من دون أن أغضب .. انها تسيء الى اسم فرنسا » فاجابه الموسيو دكوبرا : « ليست فرنسا هي التي ارتكبت تلك الأعمال ولكنه الجنرال ساراي . !! »

فقال سعد : « ولكن ساراي ممثل للجمهورية الفرنسية » فقال دكوبرا : « لعلكم تعارضون مبدأ الانتداب ؟ » فاجاب سعد : « ان الذي أفهمه من الانتداب انه وضع لمنفعة المنتدب به لا لمحاربته كما هي الحال الآن في سورية .. فهل الانتداب قفاز ظاهره مخمل وباطنه شوك ؟ فما لكم ولتلك البلاد ؟ ولم لا تتركونها حتى تتمتع بحريتها ؟ » فحاوره دكوبرا : « يا باشا هب ان الذين عملوا تلك الاعمال في سورية ليسوا فرنسيين بل شرقيين ، فهل يكون هذا شعوركم ؟ » فقال سعد على الفور : « لو عمل أخي تلك الاعمال لغضبت أخي وغضبت عليه غضبا شديدا » .

ونهض سعد ليودع دكوبرا ويقول له : « ارجو منك يا موسيو دكوبرا عندما تعود الى بلادك ان تقول لمواطنيك : ان زغلولا غاضب مما حدث في سورية واذا تكلم زغلول فانما يتكلم بلسان الشعب المصري كله . وسئل دكوبرا رأيه في سعد فقال : انه رجل قوي وشديد الصراحة في حديثه وان كل ما قاله لي صحيح .

وفي تموز (يوليو) ١٩٢٧ م زلزلت فلسطين زلزالها الشديد ، وكانت نابلس أكثر مدن فلسطين تأثرا بذلك الزلزال .. وبينما كنا نشر الكشافين ، نزيل الانقاض وننتشل الجثث بل ساعي البرقيات يحمل برقية من مصر ونابها فاذا هي بتوقيع سعد زغلول ، ومن بني وصـ .. ولست اذكر الان نصها ولكنها كانت مواساة أب كبير لابنائه وفيها تبرع بمئة جنيه لـ .. نابلس ، وقد فعلت البرقية والتبرع فعل السحر في تشديد عزائمنا وتنشيط هممنا ... ولكن ما هي الا أيام حتى نعى سعد فلبست بلادنا ثوب الحداد ، ورحنا في اربعينه نؤبنه في كل بلد ونندبه في كل محفل .. لم يتوان شاعر في رثائه أو كاتب في بكائه وقلنا : صدق شاعر النيل حافظ ابراهيم :

قل لمن بات في فلسطين يبكي
ان زلزالنا اجل مصابا
قد دهمتم في دوركم ودهمنا
في نعوش ابين الا احتسابا

ولم يخل بيت من اسطوانة أم كلثوم في ندب سعد مما نظمه رامي :

ان يغب عن مصر سعد
فهو في الذكرى معيد

وانني لأذكر هنا أنى في زيارة لمصر سنة (١٩٤٩) وكنت مستشارا للوفد السوري لدى مجلس جامعة الدول العربية قد دعيت من فتى عربي النزعة هو المرحوم محمود حسني مخلوف نجل مفتي الديار المصرية الاسبق الى سهرة كان في طليعة حضورها المرحوم الزعيم رياض الصلح وابن عمه تقي الدين ـ طال عمره ـ وكان في استقبالنا الاستاذ مكرم عبيد وكان صاحب الدعوة من انصاره في الكتلة الوفدية ، وفي أثناء السمر راح مكرم يحدثنا بطلاقة عن النزعة العربية لدى سعد زغلول ، وقال لنا انه بعد رسالة حول سعد والفكرة العربية وامدة اتصالاته بالزعيم وفيها أسرار بالغة الاهمية .. واني أكتب الان هذه السطور وكلي أسى الا ينجز مكرم وعده قبل وفاته ومما سمعته تلك الليلة ان سعدا قد رشح لمجلس الشيوخ ثلاثة من السوريين المتمصرين .

والى حديث آخر في مقال تال استكمل القول فيه ان شاءالله .

أكرم زعيتر

أقوال معاصرة

هنرى كيسنجر

يجب على الحكومة الامريكية أن تفتح أعينها جيـدا ، بعد الذى جرى فى ايران لان أصدقاءنا يتناقصون فى العالم •

« هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق »

وسط الشتاء جاء الربيع !

« لافتة استقبلت الامام الخميني لدى عودته الى طهران »

المشكلة الفلسطينية ينبغى أن تحل ، بعد التوصل الى اتفاق شامل بالمنطقة !

« هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكى »

فرح ديبا

عجيب أمر هذه الطلقة التى لا تنتهى أبدا •

« مزارع فيتنامى »

النظرة التى تخلقها الانعزالية فى تعاملها المالى والاقتصادى مع العرب، هى نظرة يمتزج فيها الحسد والاحتقار •• وعندما يقترن الحسد بالاحتقار فالمولود هو حق النهب •

« الكاتب اللبنانى منح الصلح فى كتابه عن المارونية السياسية »

الذى حدث كان مفاجأة تامة لى •• فقد أقنعنا الذين حولنا بأن الشعب الايرانى متعلق بنا للغاية •

« فرح ديبا امبراطورة ايران »

الامير سيهانوك

كان الامريكيون اعداء لنا وصاروا اليـوم أصدقـاء • وأن يصبح الصينيون والامريكيون حلفاء ، فهذا شىء رائع •

« الامير سيهانوك »

لقد انتهى تماما عهد الكنيسة الصامتة •

« البابا جون بول الثانى »

بعد حظـر استمر ٣٠ عاما ، عادت الكوكاكولا مرة أخـرى الى الصين •

« وكالات الانباء »

كابوتشى

كيف لا يحق لى ان اقاتل الاسرائيليين وقد قتلـوا شـعبى وكرامتى وحريتى •

« المطران كابوتجى »

انا بيلى كارتر الذى بدات الصحافة تهتم به ، بعد ان اصبح شقيقه رئيسا للجمهورية حتى صارت تصدق وتنشر كل التفاهات التى أقولها ، مع أننى أكذب دائما، وهم يعرفون أنى كذاب !!

« من حديث صحفى لشقيق الرئيس الامريكى • »

« نحن بحاجة الى تعميق القيم الحية لتراثنا ، فى انفسنا وفي نفوس شبابنا ، بالدرس والمعايشة ، لا بالتناول والتقليد»

أساس التقدم

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

■ هذا زمان التحول السريع فى حياة الناس، تتغير فيه الامور من حال الى حال فى مدى سنوات معدودة • والسر فى ذلك طبيعة الحضارة الغربية الصناعية التى نعيش تحت ظلها • وقد ربطت ادواتها بين أركان المعمورة وغزت بضائعها كل اطراف الارض ، فاصبح الناس ينتقلون بفضل هذه النعم من جهالات القرون وسراديب التاريخ الى ضياء القرن العشرين فى لمح البصر • اصبحت كل المجتمعات مكشوفة ومعرضة للتاثير المباشر لادوات الحضارة الحديثة من اذاعات مرئية ومسموعة وصور متحركة ناطقة وصامته وصحف وسيارات وطائرات وصواريخ واقمار ومركبات فضائية بلغ بعضها القمر والمريخ والزهرة والبقية تاتى •

والامر فى ذلك لا يقف عند حد التاثير الشكلى الخارجى ، بل ان حياة الناس الحقيقية تتغير بفعل هذه المشروعات الانمائية الضخمة ، الزراعية والصناعية والتجارية ، التى تحاول كل امة بمقتضاها ان تنقل مجتمعها من مرحلة التخلف الحضارى الىمرحلةالتقدم حتىتلحقبالركبالمنطلق الى الامام • وكل ذلك يقتضى تحولات كبيرة فى حياة الناس العقلية والشعورية والاجتماعية ،حتى يتم التوافق والانسجام بين الانسان وبيئته ، لان ذلك أساس الاستقرار وسبيل التطور •

وتغيير مظاهر الحياة المادية يحتاج الى جهود جبارة وبذل وتضحية ، ولكن تغيير حياة الناس العقلية والشعورية يحتاج الى مجهودات اكبر ، لان سرعة التحول على هذا المستوى النفسى والعقلى ابطأ بدرجات كبيرة من سرعة التحول المادى • ويكفى أن نعلم ان ما أحدثه الانسان من تحولات مادية فى بيئته الخارجية فى مدى القرون الثلاثة الاخيرة يكاد يفوق كل انجاز البشر فى كل ماضيهم البعيد•ولكنعقولالناس ونفوسهم لمتتغير بهذا القدر الكبير كما هو واضح فاننا رغم هذا التقدم الكبير ما نزال نقتل بعضنا بعضا لغير ما سبب ، ونخرب الحياة من حولنا ، ونبذر الالم والشقاء للابرياء من بنى البشر • بل الانكى من ذلك ان معظم الضرر فى هذا المجال ياتينا من الدول المتقدمة فى العلم والتكنولوجيا ، فهى التى استعمرت العالم واذلت الشعوب وتريد أن تمحو سماتها او وجودها ـ ايهما حدث اولا ـ بالقهر والمدفع والفانتوم • ومعنى هذا ان التحول المادى الكبير يضع فى ايدى الاقوياء من بنى البشر اعظم قوة عرفها الكون ـ لا الارض وحدها ـ الا وهى السلاح الذرى ،اضافة الى انه يضخم من ثروات الاغنياء ،ويغير من حياة البسطاء من الناس الذين كانوا يلهثون وراء لقمة العيش فتتعلق آمالهم بكل ما يشاهدونه امامهم من مظاهر الثراء والترف والحياة الناعمة فى الفلات والتلفزيونات والسيارات الفارهة والنعيم الغيم

لقصور واماكن اللهو والمتعة ،فتمتلىء النفس
ا وتوقا لتحصيل كل ذلك مهما بلغت الاثمان •
هذا التحول الكبير في حياة الناس الخارجية
شاثاره الكبيرة على حياةالناس الداخلية•وليس
ـسان في حاجة الى التدليل على ان تعقد
ياة الناجم عن هذا التطور يحدث اضطرابا
با في‌قيم الناس واخلاقهم ،بحيث يتجلى الشره
لمع والانانية،وما دام كل الناس لا يستطيعون
يق كل رغباتهم المادية التي شحذتها وسائل
ماية ومظاهر الترف البادية على الوجوه
بيطان ، فان الباب ينفتح على مصراعيه لكل
ذائل ، او الوسائل السلبية لتحقيق الرغبات
ي يعجز عن تحقيقها السعي الحلال ، فينتشر
ف والارهاب ، ويتطور الى السرقة المنظمة
نتل وينتهي بالحروب •

أنصاف الحقائق

وليس ما يحدث الان في العالم امرا جديدا على
سان ، بل هو تكرار وتاكيد لما حدث في كـل
ريخه القديم،اذ أن نوازع الاثرة والطمع واجرى
ء اشباع الغرائز الحسية ، من حب للتملك
الثراء وامتاع الجسد تجد مجالها الواسع للتعبير
زمان تتكدس فيه الثروات ، وتكثر مظاهـر
رف ،وينصرف الناس فيه الى لون من الحياة
ابثة اللاهية ، وكل ذلك على حساب الجوانب
نرى في شخصية الانسان ، من ايثار للتوسط
اومة لاغراء الحياة ألعابثة ، وما الى ذلك مما
عوه بالفضائل التي تكبح جماح النفس ، وترد
سان الى لون من السلوك المتزن،الذي تتناسق
الرغبة الخاصة مع المصلحة العامة ••
والنتيجة الطبيعية لذلك ان تنهار الضوابط ،
طلق الناس على هواهم ، كل يريد ان يحقق
باته ، والتحقيق بهذا المستوى لا يكون الا على
ـاب الاخرين وعلى حساب المجتمع ، فينوءالمجتمع
رور افراده ، وتعم الفوضى ، ويعجز الامن عن
ع النزوات العدوانية من سلب ونهب وهتك
عراض وتحرش بالابرياء وسرقة وعنف في زمان
دت فيه كثير من حريات الناس وحقهم فـي
رفض والاختيار والسلوك ، وكل ذلك يؤثر ابلغ
ثر في حياة الناس ونظام حياتهم الاجتماعي،وكل
ك او معظمه لا يحكمه القانون ، وانما يحكمه
عرف بين الناس ، لان القانون لا يعلم الناس

الادب وحسن السلوك ، وانما يردعهم حين يصل
بهم سوء الادب الى العـدوان ، وبين المرحلتين
برزخ كبير تتوقف على ما يجري فيه سلامة النظام
الاجتماعي ، الذي تشكل حماية القانون فيـه
اقصى اطرافه ، ويقوم معظمه على أخلاق الناس
وتعاونهم ومراعاتهم لمشاعر الاخرين وحقوقهم •
وقد وقر في نفوس كثير من الناس ان هذاالزبد
الذي يطفو على سطح الحياة الحديثة هو سمة
التحضر ، خالطين بذلك بين اعراض المرض ومظاهر
العافية ، ومما عمق من هذا الخلط الكبير كثرة
الحديث عن تغيير كل المجتمع القديم لافساح المجال
للجديد ، وما يتبع ذلك من حديث مثير عن ضرورة
تغيير القيم بتغير وسائل الانتاج ، وعن نسبية
الاخلاق والحاجة الملحة الى ان نتسلخ عن كل ما
عهدناه من نمط الحياة لنرتدي حياة جديدة ،وبذلك
ننال جواز المرور الى الحداثة • وكل ذلك انصاف
حقائق تتكرر في تعميم لا يمثل حقيقة التطــور
الحضاري ، بقدر ما يمثل نزوات بعض الكتاب
والدعاة الذين ياخذون الامور بظواهرها ، ولا
يكلفون انفسهم مشقة النظر الى ما تحت السطح
من مظاهر • وهنا لا بد من التصدي لبعض الاراء
الخطيرة التي تجد رواجا كبيرا لدى بسطاء الناس
في مثل هذا الطور من مسيرة البشر • ومن هذه
الاراء القول بان كثيرا من مظاهر هذا التحلل من
القيم الانسانية والانخراط في‌الملذات وارتكاب‌كثير
من المنكرات انما يتم بدعوى المحافظة على الحريات
الفردية ، وان كثيرا من ذلك نشاط فـردي لا
علاقة له بالمجتمع ، ويدخل ضمنه ما يتبع كل ذلك
من انعزالية وضمور في روح التعاون بين البشر،
زاعمين ان هذا كله ضرورة لازمة لانتقال الناس
من مرحلة الرعي الى مرحلة التصنيع ، الذي
يحتاج الى قيم جديدة واخلاق جديدة •
يعني باختصار اننا لابد ان نتخلص من كثير
من العلاقات الانسانية التي عاشها الانسان فـي
تاريخه الطويل لننتقل الى عصر الالة التي تحكم
حياة الانسان المادية والعقلية ايضا • ومثل هذا
القول له خطره لانه يحكم على الامور بمظهرها
دون مخبرها • فان قيم الانسان الاساسيه لا تتغير
في جوهرها ، وان تغيرت اشكال التعبير عنها •
ولكن الناس يخلطون دائما بين جوهر القيم وبين
الاشكال التي تعبر عنها • ويحدث هذا الخلط
على اشده في ازمان التحول الاجتماعي الكبــير

« نحن بحاجة الى تعميق القيم الحية لتراثنا ، فى انفسنا وفى نفوس شبابنا ، بالدرس والمعايشة ، لا بالتناول والتقليد»

أساس التقدم

بقلم : الدكتور عون الشريف قاسم

■ هذا زمان التحول السريع فى حياة الناس، تتغير فيه الامور من حال الى حال فى مدى سنوات معدودة • والسر فى ذلك طبيعة الحضارة الغربية الصناعية التى نعيش تحت ظلها • وقد ربطت أدواتها بين أركان المعمورة وغزت بضائعها كل أطراف الارض ، فاصبح الناس ينتقلون بفضل هذه النعم من جهالات القرون وسراديب التاريخ الى ضياء القرن العشرين فى لمح البصر • اصبحت كل المجتمعات مكشوفة ومعرضة للتاثير المباشر لادوات الحضارة الحديثة من اذاعات مرئية ومسموعة وصور متحركة ناطقة وصامته وصحف وسيارات وطائرات وصواريخ واقمار ومركبات فضائية بلغ بعضها القمر والمريخ والزهرة والبقية تاتى •

والامر فى ذلك لا يقف عند حد التاثير الشكلى الخارجى ، بل ان حياة الناس الحقيقية تتغير بفعل هذه المشروعات الانمائية الضخمة ، الزراعية والصناعية والتجارية ، التى تحاول كل امة بمقتضاها ان تنقل مجتمعها من مرحلة التخلف الحضارى الى مرحلة التقدم حتى تلحق بالركب المنطلق الى الامام • وكل ذلك يقتضى تحولات كبيرة فى حياة الناس العقلية والشعورية والاجتماعية ،حتى يتم التوافق والانسجام بين الانسان وبيئته ، لان ذلك أساس الاستقرار وسبيل التطور •

وتغيير مظاهر الحياة المادية يحتاج الى جهود جبارة وبذل وتضحية ، ولكن تغيير حياة الناس العقلية والشعورية يحتاج الى مجهودات اكبر ، لأن سرعة التحول على هذا المستوى النفسى والعقلى ابطا بدرجات كبيرة من سرعة التحول المادى • ويكفى أن نعلم ان ما احدثه الانسان من تحولات مادية فى بيئته الخارجية فى مدى القرون الثلاثة الاخيرة يكاد يفوق كل انجاز البشر فى كل ماضيهم البعيد• ولكن عقول الناس ونفوسهم لم تتغير بهذا القدر الكبير كما هو واضح فاننا رغم هذا التقدم الكبير ما نزال نقتل بعضنا بعضا لغير ما سبب ، ونخرب الحياة من حولنا ، ونبذر الالم والشقاء للابرياء من بنى البشر • بل الانكى من ذلك ان معظم الضرر فى هذا المجال ياتينا من الدول المتقدمة فى العلم والتكنولوجيا ، فهى التى استعمرت العالم واذلت الشعوب وتريد أن تمحو سماتها او وجودها ــ ايهما حدث اولا ــ بالقهر والمدفع والفانتوم • ومعنى هذا ان التحول المادى الكبير يضع فى ايدى الاقوياء من بنى البشر اعظم قوة عرفها الكون ــ لا الارض وحدها ــ الا وهى السلاح الذرى ،اضافة الى انه يضخم من ثروات الاغنياء ،ويغير من حياة البسطاء من الناس الذين كانوا يلهثون وراء لقمة العيش، فتتعلق امالهم بكل ما يشاهدونه امامهم من مظاهر الثراء والترف والحياة الناعمة فى الدبلات والتلفزيونات والسيارات الفارهة والنعيم المقيم

لقصور واماكن اللهو والمتعة ،فتمتلىء النفس
نا وتوقا لتحصيل كل ذلك مهما بلغت الاثمان •
هذا التحول الكبير فى حياة الناس الخارجية
،شاثاره الكبيرة على حياةالناس الداخلية•وليس
ســان فى حاجة الى التـدليل على ان تعقد
ياة الناجم من هذا التطور يحدث اضطرابا
يا فى قيم الناس واخلاقهم ،بحيث يتجلى الشره
طمع والانانية،وما دام كل الناس لا يستطيعون
يق كل رغباتهم المادية التى شحذتها وسائل
اية ومظاهر الترف البادية على الوجوه
يطان ، فان الباب ينفتح على مصراعيه لكل
ائل ، او الوسائل السلبية لتحقيق الرغبات
ى يعجز عن تحقيقها السعى الحلال ، فينتشر
نف والارهاب ، ويتطور الى السرقة المنظمة
تل وينتهى بالحروب •

أنصاف الحقائق

وليس ما يحدث الان فى العالم أمرا جديدا على
سان ، بل هو تكرار وتاكيد لما حدث فى كـل
ريخه القديم،اذ ان نوازع الاثرة والطمع واجرى
ء اشباع الغرائز الحسية ، من حب للتملك
لثراء وامتاع الجسد تجد مجالها الواسع للتعبير
زمان تتكدس فيه الثروات ، وتكثر مظاهــر
رف ،وينصرف الناس فيه الى لون من الحياة
ابثة اللاهية ، وكل ذلك على حساب الجوانب
نرى فى شخصية الانسان ، من ايثار للتوسط
اومة لاغراء الحياة ألعابثة ، وما الى ذلك مما
عوه بالفضائل التى تكبح جماح النفس ، وترد
سان الى لون من السلوك المتزن،الذى تتناسق
الرغبة الخاصة مع المصلحة العامة ••
والنتيجة الطبيعية لذلك ان تنهار الضوابط ،
طلق الناس على هواهم ، كل يريد ان يحقق
باته ، والتحقيق بهذا المستوى لا يكون الا على
اب الاخرين وعلى حساب المجتمع ، فينوءالمجتمع
رور افراده ، وتعم الفوضى ، ويعجز الامن عن
ع النزوات العدوانية من سلب ونهب وهتـك
عراض وتحرش بالابرياء وسرقة وعنف فى زمان
دت فيه كثير من حريات الناس وحقهم فــى
فض والاختيار والسلوك ، وكل ذلك يؤثر أبلغ
ثر فى حياة الناس ونظام حياتهم الاجتماعى،وكل
ك او معظمه لا يحكمه القانون ، وانما يحكمه
رف بين الناس ، لان القانون لا يعلم الناس
الادب وحسن السلوك ، وانما يردعهم حين يصل
بهم سوء الادب الى العـدوان ، وبين المرحلتين
برزخ كبير تتوقف على ما يجرى فيه سلامة النظام
الاجتماعى ، الذى تشكل حماية القانون فيـه
اقصى اطرافه ، ويقوم معظمه على اخلاق الناس
وتعاونهم ومراعاتهم لمشاعر الاخرين وحقوقهم •

وقد وقر فى نفوس كثير من الناس ان هذاالزبد
الذى يطفو على سطح الحياة الحديثة هو سمة
التحضر ، خالطين بذلك بين اعراض المرض ومظاهر
العافية ، ومما عمق من هذا الخلط الكبير كثرة
الحديث عن تغيير كل المجتمع القديم لافساح المجال
للجديد ، وما يتبع ذلك من حديث مثير عن ضرورة
تغيير القيم بتغير وسائل الانتاج ، وعن نسبية
الاخلاق والحاجة الملحة الى ان ننسلخ عن كل ما
عهدناه من نمط الحياة لنرتدى حياة جديدة ،وبذلك
ننال جواز المرور الى الحداثة • وكل ذلك انصاف
حقائق تتكرر فى تعميم لا يمثل حقيقة التطــور
الحضارى ، بقدر ما يمثل نزوات بعض الكتاب
والدعاة الذين ياخذون الامور بظواهرها ، ولا
يكلفون انفسهم مشقة النظر الى ما تحت السطح
من مظاهر • وهنا لا بد من التصدى لبعض الاراء
الخطيرة التى تجد رواجا كبيرا لدى بسطاء الناس
فى مثل هذا الطور من مسيرة البشر • ومن هذه
الاراء القول بان كثيرا من مظاهر هذا التحلل من
القيم الانسانية والانخراط فى الملذات وارتكاب كثير
من المنكرات انما يتم بدعوى المحافظة على الحريات
الفردية ، وان كثيرا من ذلك نشاط فــردى لا
علاقة له بالمجتمع ، ويدخل ضمنه ما يتبع كل ذلك
من انعزاليه وضمور فى روح التعاون بين البشر،
زاعمين ان هذا كله ضروره لازمة لانتقال الناس
من مرحلة الرعى الى مرحلة التصنيع ، الذى
يحتاج الى قيم جديدة واخلاق جديدة •

يعنى باختصار اننا لابد ان نتخلص من كثير
من العلاقات الانسانية التى عاشها الانسان فـى
تاريخه الطويل لننتقل الى عصر الالة التى تحكم
حياة الانسان المادية والعقلية ايضا • ومثل هذا
القول له خطره لانه يحكم على الامور بمظهرها
دون مخبرها • فان قيم الانسان الاساسيه لا تتغير
فى جوهرها ، وان تغيرت اشكال التعبير عنها •
ولكن الناس يخلطون دائما بين جوهر القيم وبين
الاشكال التى تعبر عنها • ويحدث هذا الخلط
على اشده فى ازمان التحول الاجتماعى الكبـير

الناجم عن تطور حياة الناس المادية مما يتطلب تغييرا في شكل التعبير عن القيم ، ولكن كثيرا من الناس يتعجلون النتائج وهم في زحمة الاضطراب والفوضى وطغيان نزعات الرفض لكل قديم لانه قيد على حريات الناس وحبس لرغباتهم التي تود ان تنطلق وان تشبع في جو لا تحده القيود ، هم في الزحمة لا ينادون بتغيير الشكل فحسب ، بل ينادون بتغيير القيمة ذاتها ،حاسبين ان القيمة اصبحت تطول لصوقها بالشكل المعنى بمثابة المحتوى للقالب يتشكل بشكله ويصعب التفريق بينهما الا للحصيف من الناس . ثم ان القيمة ذاتها التي تمثل ميزان التعادل في شخصية الانسان تصبح لكثير من الناس المنطلقين لاشباع نزواتهم الحسية ورغباتهم في الاستمتاع والثراء والتملك وما الى ذلك قيدا وحجرا على نشاطهم الذي يغذيه اندفاع المجتمع بعامه وراء التطور المادي الذي يلهب من غرائز الناس ويثير حميتهم ويشحذ شهواتهم .

ليس بالعلم وحده

ومثل هذا الوضع ليس مقصورا على مرحلة الانتقال الى العصر الصناعي وحده ، بل هو وضع عاشته البشرية في كل مراحل تطورها ، ولكنه لم يبلغ من الحدة ما بلغه في هذا العصر الذي تضاعفت فيه حاجات الناس ورغباتهم بتضاعف وسائل الانتاج وازدياد اوقات الفراغ . فان عامة البشرية في ماضيها كانت محدودة الحاجات بحكم ضيق موارد العيش ، ولذلك لا يحدث الاهتزاز والاضطراب الا في اضيق نطاق ، وعلى مستوى الطبقات العليا في المجتمع التي كانت النموذج والمثال للموضات في الازياء والاخلاق والتفسخ وما الى ذلك ، ومن هنا جاءت الاية الكريمة (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقوله تعالى : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) .

ولذلك لا يحدث كبير تغيير في البيئات الرعوية والزراعية في اشكال التعبير عن القيم المتوارثة ، ولطول ما عهد الناس هذه الاشكال اصبح تغيير الاشكال في عرفهم يعني تغييرا في القيم،ولتمسك الناس بالعرض دون الجوهر اي بالشكل دون القيمة التي هي وراء الشكل ، تصبح الدعوة الى تغيير الشكل او التعبير عن القيمة دعوة الى الغاء القيمة ذاتها لدى بعض الداعين الى التغيير الاجتماعي . ومن هنا يفزع كثير من الناس من تغيير بعض عادات اللبس والاكل وما الى ذلك ، لانهم يعتقدون بان الغاية من وراء تغيير الملابس مثلا ليس الزينة فحسب بل دعوة الى التحرر من قيود العفة والشرف وما الى ذلك من القيم التي ارتبط جوهرها بالاشكال المعبرة عنها .

ومما يضاعف من هذا الخلط ايمان بعض الناس بان تطور مظاهر الحياة المادية من حولنا ،وتعليم الاجيال الناشئة منا مختلف الوان العلوم والفنون كفيل بخلق المجتمع المتجانس المستقر ، متناسين ان العلم والمعارف وحدها لا تخلق المواطن الصالح ، بل تحتاج الى مناخ في الاسرة والمدرسة والشارع وفي المجتمع ككل تتحول فيه المعرفة الى سلوك . بمعنى اننا محتاجون الى ترجمة العلم الى مشاعر واحاسيس ، وبالاختصار الى اخلاق لان الاخلاق بهذا المعنى المحدد تحكم علاقات الناس في المجتمع. ومن هنا كان تاكيد المعاني الاساسية والقيم الاصلية المنتزعة من تجربة الانسان في كفاحه الطويل لتاكيد انسانيته والتي لا تتغير بتغير المجتمعات ومراحل تطورها وان تغيرت اشكال التعبير عنها ، امرا ضروريا لدعم انسانية الانسان وخلق المناخ العقلي والشعوري الذي يستطيع الانسان ان يتخطى فيه مصاعب مرحلة الانتقال من مرحلة حضارية الى مرحلة اكثر تقدما دون ان يفقد في اثناء هذا التخطي انسانيته ، والا اصبح التقدم تدهورا وانحطاطا .

ازمة الجيل الجديد

ان كثيرا من الناس وخاصة الجيل الجديد الذين يعيشون مرحلة الانتقال في مثل مجتمعنا التقليدي تطحنهم شتى الاتجاهات والتيارات.وهذا طبيعي في مثل مجتمعنا الذي لم يتغير في ملبسه وماكله وكثير من معطيات حياته لما يزيد على الالف عام ، ولذلك فكل تغيير فيه يبدو للناس وكانه سقوط في الهاوية . هذا بعكس المجتمعات الغربية التي تغيرت حياتها وتحركت ، فاصبح التغيير سمة لازمة لتطورها،ومن هنا كثرت الموضات في الملابس والماكل ، وفي نمط العيش ، وفي المذاهب الادبية والعلمية والفنية ، وتتابعت بحيث يصاب الواحد منا بالدوار وهو يلاحق هذا التتابع ، وكل ذلك محاولة لاهثة للتعبير على مستوى الفكر والاخلاق عن الاوضاع الاجتماعية والمادية المتغيرة ابدا .

مثل هذا التطور السريع ان لم يصاحبه بناء نفسي
روحي متماسك فهو لا شك منته بالمجتمع الى
تحلل والانهيار ٠

ان بعض الناس في العالم الثالث لا يلاحظون
ك ، ويأخذون الامور بظواهرها ، وينسون ان
ه الحركات الفوضويه المتلاحقة في المجتمعات
غربية مثلا ، وان كانت في كثير من مظاهرها
زمات للتفسخ والفوضى ، الا انها في كثير من
حيان ترتكز على أرض صلبة من القيم الروحية
لانسانية التي يتربى الناس عليها ، ويحرص
جتمع على تنشئة الاجيال عليها ، حتى يستطيعوا
اجهه تحدى التغيير المستمر في حياة النـــاس
ى يفشـل البعض فـــي مواجهتـــــه فيبدون
هذه الصور المضحكة المحزنة التي تعبر عـــن
مة العصر ، وتشير الى صعوبة الملاءمة بـــين
خل الانسان وخارجه في مثل هذا العصر الحديث٠

ان مخاطر التحول الاجتماعي كما برهنت على ذلك
ربة الغرب في هذه القرون الاخيرة لا حصر لها،
ما لم تنتبه الامة للمزالق التي تعترض سبيلها
ن نتيجة التحول تصبح كارثة محققة ٠

واخطر ما في ذلك نقل تجارب الاخرين دون
حيص أو فهم٠فظروفنا تختلف عن ظروف الاخرين
نطلقنا يختلف عن منطلقهم ٠ خذ مثلا موضوع
تراث والمنطلق الفكرى لمجتمعنا وقارنه بالمجتمع
غربي تجد أن للدين في واقع حياتهم معنى خاصا
ردیا شعاره (ما لله لله وما لقيصر لقيصر)
ولا يتدخل في شئون المجتمع الا في أضيق الحدود،
ذلك كانت الثورة على الدين نابعة من هذا الشعار
ديني نفسه ، لان سلطات الـــــكنيسة تعـدت
رهـــا ، وارادت أن تـــكون هـــي القيصـــر
ى حياة الانسان فحدثت كـــل الثورات الدينية
ى الكنيسة وتسلطها ، وسموا ذلك بالعلمانية،
، ابعاد الدين عن الدولة وهو تاكيد للموقف
ساسي للدين المسيحي كما فهمه الغرب ، وما
هده في المجتمعات الغربية لكثير من مظاهـــر
سلوك ليس هو في عمومه نتيجة للتطور الصناعي
در ما هو تاكيد لموروث قديم ، وتجديد لمواقف
فها اليونان والرومان من قبل ، فهم في كثير
، مظاهر حياتهم العقلية والاجتماعية يعبرون عن
الفهم الديني والفكرى والاجتماعي ،وكل ذلك
، في اطار العصر الذى يعيشون فيه ٠
ا نحن حاولنا تقليد هذه التجربة العضوية

● أساس التقدم

فلن يتسنى لنا ذلك الا بالانسلاخ جملة وتفصيلا
عن كل مصادرنا العقلية والدينية والاجتماعية، لان
للدين في حياتنا مفهوما غير مفهومهم٠ فالدين
بالنسبة لنا ليس أمرا فرديا يهدف الى تطوير
أنفسنا فحسب،بل هو مستودع لكل ما يتصل بشخصيتنا
الفردية والاجتماعية٠هو الذى ينظم كل اوجه حياتنا
الاجتماعية ويعطيها مضمونها من تعاون وتكاتف
وبر ورعاية للضعيف وايثار للغير وتضحية في
سبيل الصالح العام وتشريع وعلم وما الى ذلك
من مقومات الحياة الاجتماعية ، بحيث يصبح الدين
في حياتنا هو التلخيص لما يجب ان تكون عليـه
حياتنا في كل ابعادها القريبة والبعيدة ٠

تحديات مرحله التحول

فاذا اردت أن تجرد الدين من مضمونه كما فعل
الغربيون فانك بذلك تدمر شخصية الفرد وشخصية
الجماعة ، لان كل فرد منا صورة للدين الـــذى
يحكم كل تصرفاتنا وعلاقتنا بالاخرين ٠ ولسنا في
حاجة الى تبين اختلاف المشارب والامزجة بين منحى
الثقافة الغربيه القائمة على تراث الرومان والاغريق
وبين ثقافتنا القائمة على تراث سامي شرقي ،
ويكفي أن أشير هنا الى ما أشار اليه مفكر من
قبل من أن اختلاف منحى الثقافتين يتمثل فـــي
نظرة قدماء المصريين وقدماء الاغريق ، فانك قل
أن تجد تمثالا فرعونيا عاريا ، في حين تجد معظم
تماثيل الاغريق عارية ٠

وكل ذلك يتطلب منا جهادا عنيفا لمواجهـــة
تحديات مرحلة التحول التي نعيشها وتهجم علينا
فيها كثير من الاشكال فتستهوينا ببريقها وما هي
الا الزبد ٠ نحن محتاجون الى تاكيد الاســاس
الحضارى والروحي الذى تقوم عليه شخصيتنا ،
وان نعيد النظر فيه بحكم تجربتنا الحديثة ، وان
نعمق في انفسنا وفي نفوس شبابنا القيم الحية
لتراثنا بالدرس والمعايشة لا بالتناول والتقليد حتى
نستطيع اجتياز مرحلة التحول ونخرج منها اقوياء
في نفوسنا ، اصحاء في عقولنا متطورين فـــي
مجتمعنا ، لاننا نكون قد نجحنا في خلق الفرد
القوى الذى ينبع اخلاصه من ضميره ، ويـــكون
مواطنا صالحا يخدم وطنه وامته ولا يحتاج منا الى
القهر لرده الى انسانيته التي عجز المجتمع عـــن
رعايتها وتطويرها ، فان الاخلاق أيضا استثمار
وقد توفر علينا الملايين ٠ ■■

الخرطوم ــ د ٠ عون الشريف قاسم

ثورة الصين على النظام الدولى

بقلم : جميل مطر *

منذ بداية خلافاتها العلنية مع الاتحاد السوفيتي في اواخر الخمسينات والصين مستمرة في معارضة نظام القطبين ، وقد تراوحت هذه المعارضة بين الثورة العارمة في احيان وبين التمرد السلبي في احيان أخرى . وفي الحقيقة لم تكن الصين وحدها المعارضة الوحيدة لهذا النظام ، بل شاركتها في مرحلة معينة فرنسا الديجولية التي حاولت تكتيل اوربا الغربية والعمل على خلق قطب ثالث له حرية خاصة في السلوك الدولي على مستوى قمة النظام . وهي المحاولة التي باءت بالفشل لأسباب كثيرة اهمها الدور الذى لعبته بريطانيا وغيرها بايحاء من الولايات المتحدة لمنع تحقيق الحلم الديجولي .

والجدير بالذكر ان الحرب العالمية الثانية كانت الحد الفاصل بين شكلين من اشكال النظام الدولي ، اذ نشبت الحرب في ظل نظام توازن القوى الذى ساد اوربا مدة قرن ونصف وانتهت بولادة نظام تقف على قمته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقطبين تفصل بينهما وبين غيرهما من الدول الاوربية وغير الاوربية مسافة شاسعة من امكانيات القوة الدولية. ومنذ ذلك الحين توزعت القوة الدولية ـ بشكل او بآخر ـ بين هاتين الدولتين . ومع استمرار التقدم التكنولوجي في ميادين السلاح واستمرار التصارع بينهما اطرد اتساع الهوة التى تفصل بينهما وبين اى دولة اخرى منفردة .

وبدا حرص القطبين واضحا في البداية على صبغ الصراع بينهما بصبغة ايديولوجية تضمن توافر اقصى حد من اللامرونة داخل المعسكرين التابعين لهما ، وكان الصراع الايديولوجي السمة الرئيسية لمرحلة الحرب الباردة ومن خلال هذا الصراع احتكر القطبان اكثر التفاعلات السياسية الدولية وتحكما في معظم مفاتيح العمل السياسي الدولي ، وساد العالم جو الرهبة والخوف من اشتعال حرب نووية ، كما ساد دول العالم الثالث شعور بالخشية على استقلالها المكتسب حديثا نتيجة الفارق الصارخ بين امكانياتها البسيطه والامكانيات الهائلة المتوفرة للدولتين الأعظم .

وفي ظل هذا الصراع وهذا الشعور ولدت فكرة عدم الانحياز ، لم تولد كتمرد او ثورة على نظام القطبين ، اذ لم يكن في وسع اعضائها تغيير هذا

---

* مستشار سياسي بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ماوتسى تونج

هواكو نسج

ـ ـحـيـف

كارتر

، ولكنها تشكلت لتحمى دولها من تاثرات
الايديولوجى بـين القطبين ، ولـكـسـب
له من دولها ارادة من خلال الارادة الكلية
عدم الانحياز .

يبدو الفارق بين الصين ــ وهى احدى
التى دعمت مجموعـة عدم الانحياز منـذ
شكله ــ وبين الدول المؤسسة للمجموعة .
اعتبرت بكين عدم الانحياز طاقة مضافة
الصين بواسطتها ان تغير معادلات القوة
وتضعف من نظام القطبين لصالح نظام اكثر
ى القمة ، كانت الدول المؤسسة تنظر الى
حياز كمبدا لا يحلم بتغيير النظام الدولي
عن الضمانات المعنوية الكفيلة بحماية دول
من طغيان الصراع الايديولوجي .

طبيعة الامور ان يدافع اصحاب الوضع
القائم عن مراكزهم وامتيازاتهم ، ولذلك وقفت
القمة بطرفيها ضد جميع محاولات الصين لتغيير
الوضع القائم ونجحت فى احباطها ، واختلفت
درجة الحدة فى التعامل مع التمرد الصينى، فكان
الاتحاد السوفيتي اشد حدة ليس فقط بسبب
مصالحه المتزايدة فى ذلك الوقت داخل مجموعة
عدم الانحياز ولكن لان التمرد الصينى على القطبين
يضعف مبدأ التماسك الايديولوجي داخل المعسكر
الاشتراكى ويضعف من عنصر اللامرونة الذى يربط
بين اعضاء المعسكر الواحد . وبنفس المنطق تعاملت
الولايات المتحده مع فرنسا الديجولية حين تمردت
على حلف الاطلسى وحاولت انشاء نفوذ لها بين
دول عدم الانحياز ومد تفاعلات خاصة بها عبر
اسوار الصراع الايديولوجي الى المعسكر الاخر ،
والتقت مع الصين الطامحة الى دور دولى على
هدف تغيير شكل النظام الدولى .

الصين والوفاق بين القطبين

مع بدء مرحلة الوفاق تغيرت كثير من المفاهيم
فى السياسة الدولية ولاشك ان الصين شعرت ــ
كما شعرت دول اخرى كثيرة ــ ان انماط تفاعلاتها

الخارجية في ظل صراعات الحرب الباردة لاتتمشى مع حالة الوفاق . فالوفاق لم يكن يعني انهاء الصراع والا اصبح الوفاق يعني في حد ذاته نظاما دوليا جديدا بشكل نظام القطب الواحد . انما الوفاق كان يعني تغير انماط الصراع بحيث تصبح الايديولوجية عنصرا ثانويا مع الاحتفاظ بهيمنة القطبين على القمة .

وقد ادى تغير انماط التعامل على القمة ـ بين ما ادى ـ الى حالة من السيولة العالمية سادت على وجه الخصوص دول العالم الثالث ، وظهرت بوضوح داخل المعسكرين الشرقي والغربي اذ تدعم التيار الذى عرف باسم « الشيوعية الاوربية » داخل دول المعسكر الغربي متبنيا اسلوب الاستقلال النسبي في تعامله مع القطب الشيوعي وغير معارض تماما للحلف الراسمالي ، بل ان رومانيا وهي عضو في الحلف الشرقي وجدت الفرصة سانحة في ظل السيولة الدولية لتفك التزامها وتمد تفاعلاتها ـ كما فعل ديجول قبلها ـ عبر آسوار الصراع الى الناحية الاخرى .

اما الصين ، وقد اكتشفت فشلها في محاولة هدم نظام القطبين عن طريق تدعيم علاقاتها بدول مجموعة عدم الانحياز او بالدول المتمردة في كلا المعسكرين وتحريضها لهذه الدول على الثورة ضد هيمنة القطبين ، فقد بدات تتلمس طريق الانفتاح المباشر على المعسكر الغربي وبوجه خاص على القطب الامريكي . ويبدو أن الصين وهي تفعل ذلك كانت تدرك ان الوفاق بين القطبين سيعنى ـ ان آجلا او عاجلا ـ تفرغ الاتحاد السوفيتي لعلاج مشكلته مع الصين ، وانها اذا استمرت في سياسة معاداة القطبين وفي سياسة الامتناع عن المشاركة الايجابية في تفاعلات الاسرة والمنظمات الدولية ستكون الخاسرة في اية مواجهة مع الاتحاد السوفيتي .

وعلى الرغم من تبنى سياسة الانفتاح على العالم الخارجي وانضمامها للامم المتحدة ظلت الصين مترددة في اتخاذ اسلوب ايجابي يتناسب مع اهمية عضويتها الدائمة في مجلس الامن ومع توقعات الدول التي علقت آمالا كبيرة على مشاركة الصين في تفاعلات الاسرة الدولية . اذ بدت الصين كعضو في الامم المتحدة وكانها ترفض ان تكون شريكا فيما تديره القطبان الاعظم او ان تعترف بالنظام الدولي القائم . وليس صحيحا تماما ما قيل من ان الصين لم تشارك بالايجابية التي تتناسب مع مكانتها وطاقاتها بسبب نقص في خبراتها الدبلوماسية او السياسية ، بدليل انها طرحت في البداية افكارا تهدف جميعها الى ادخال تعديلات في المنظمة الدولية بما يضعف من سيطرة القوتين الاعظم ويحقق مصالح القاعدة العريضة لاعضاء الامم المتحدة .

المحاولة الجديدة

في كل المحاولات السابقة كانت الصين تسعى الى اضعاف أو تحطيم نظام القطبين عن طريق تشكيل قوة ثالثة من تحالف اطراف من خارج القمة الدولية واطراف متمردة من داخل معسكرى القمة . اى انها كانت تسعى الى خلق تكتل من دول ينشىء قوة معادية للقطبين على حد سواء ، تعمل ككرة الجليد المتدحرجة تزداد حجما ونفوذا مع مرور الوقت والممارسة على حساب نفوذ القطبين .

في المحاولة الجديدة تطرح الصين نفسها رصيدا مضافا الى احد القطبين ضد القطب الآخر . وبذلك تكون الصين قد تخلت عن سياسة تكتيل قوى جديدة تشكل معها او بها قطبا ثالثا وتبنت سياسة تقترب الى حد كبير من السياسة البريطانية التقليدية في القرن التاسع عشر حين كانت تلعب دور « الموازن » بين الاحلاف الاوروبية .

وقد يبدو للوهلة الاولى ان المحاولة الأخيرة لاتزيد عن كونها سياسة جديدة الهدف منها التحالف مع المعسكر الرأسمالي لحماية الصين من القطب الشيوعي الذى يمثل بالنسبة اليها تهديدا مباشرا وحالا . وهذه هي الصورة التي تجسدت لدى الكثيرين من المعلقين وعلماء السياسة في الغرب ، بل وهي الصورة التي تختفي وراء الحملة والتهديدات السوفيتية العنيفة التي اعقبت هذا الاتجاه الجديد في السياسة الخارجية الصينية .

ولهذا الرأى مايبرره ، اذ لاشك ان الصين تشعر الآن واكثر من اى وقت مضى ان الحصار السوفيتي من حولها يكاد يكمل حلقة خانقة . ففي الشمال تتضاعف القوة السوفيتية المباشرة نوعا وكما ، وفي الغرب تتزايد مساحات النفوذ

ديجول

يتي لتضم مناطق كانت تقع ضمن المجال
وى الصينى ، وفى الجنوب حيث توجد
يه خاصة ذات جذور تاريخية تظهر حاليا
ان لانشاء اتحاد لدويلات جزر الهند
به له علاقات خاصة بالاتحاد السوفيتي
للصين .

ن الواضح ان فيتنام تقوم بدور كبير
فت الحالى لتعبئة دول آسيا الجنوبية
بية الشرقية فى شكل من اشكال التحالف
لصين وهو الدور الذى ينسجم مع ماصار
بنظرية الامن السوفيتي الاسيوى .

جانب عنصر التهديد السوفيتي المباشر
ايضا من الاسباب الداخلية فى الصين
. صورة سعى الصين للتحالف المباشر مع
ت المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي ، واهم
الاسباب هى المتعلقة بالحاجة الشديدة
ل على التكنولوجيا الحديثة فى مجال
ح وخاصة المجال النووى . اذ ان الانقطاع
عن متابعة نواحي التقدم التكنولوجي فى
بسبب ظروف الصين الداخلية خلال الثورة
ة ثم انفتاحها فجاة ادى الى اكتشاف مدى

● ثورة الصين

اتساع الفجوة التى تفصل بين الصين والدول المتقدمة . ولن يكون امام الصين وسائل تسمح لها بسد هذه الفجوة فى فترة قصيرة سوى ان تتحالف تحالفا مباشرا مع القطب الغربي .

هذه الصورة المبسطة تفترض ضمنا ان الصين تقبل بوضع التابع للقطب الغربي مثلها فى هذا الوضع مثل بقية اعضاء الحلف الراسمالى . هذا الافتراض يتناقض تناقضا رئيسيا ليس فقط مع الايديولوجية القائمة فى الصين ؟ بل ويتناقض ايضا مع احد الاهداف الدائمة فى سياستها الخارجية ، وهو الهدف الخاص باضعاف نظام القطبين او هدمه نهائيا لصالح نظام جديد تتعدد فيه الاقطاب .

والراى الذى نذهب اليه ان الصين وقد جربت ان تشكل قطبا ثالثا معاديا للقطبين فى وقت واحد ، تجرب الآن طرح نفسها قطبا ثالثا موازنا بين القطبين السوفيتي والامريكي ، واختارت الظروف الراهنة التى تدل مؤشرات عدة على انها ظروف فى صالح الاتحاد السوفيتى من الناحية الجيوبولتكية لتلقى بثقلها كقطب موازن الى جانب المعسكر الغربى .

احتمالات نجاح او فشل المحاولة الجديدة

لقد عرضت الصين على المعسكر الغربى عددا من المغريات لقبولها قطبا مؤيدا ، فهى على استعداد ان تسمح لتايوان بالاحتفاظ بنظامها الاقتصادى والاجتماعى اذا وافقت تايوان على شكل من اشكال الوحدة مع الصين ، كما انها تضمن سلامة وأمن كوريا الجنوبية وقد تستخدم نفوذها فى كوريا الشمالية لتحقيق نوع من الاتحاد بين الجنوب والشمال ينهى حالة التوتر والصراع ويضمن عدم المساس بالنظم الاقتصادية والاجتماعية القائمة . وهى تعرض الى جانب هذه التنازلات الاساسية صفقة ضخمة تتمثل فى ما قيمته اكثر من ٣٥٠ بليونا من الدولارات لتحديث الاقتصاد والجيش الصينى . يقابل هذه المغريات التهديد الضمنى بامكانية التصالح مع الاتحاد السوفيتي اى اضافة الصين للرصيد الجيوبولتيكى السوفيتي ، نظير ازالة الخطر العسكرى السوفيتي ضد الصين .

هذا الطرح من جانب الصين يمثل ربما اخطر مسالة خارجية واجهت الدبلوماسيتين السوفيتية والامريكية منذ ازمة برلين عام ١٩٤٨. لان القضية لا تتعلق بحليف اضافي لهذا المعسكر او ذاك ، فالاضافة العادية ـ وقد تكون حليفا جديدا او قوة عسكرية مضافة أو ميزة استراتيجية جديدة ـ سرعان ما تتولى قواعد سلوك نظام القطبين اصلاح عدم التوازن الناشيء عنها واعادة النظام الى حالة توازنه العادية . مثال ذلك حيازة القنبلة الذرية وازمة كوبا عام ١٩٦٢ وازمتا برلين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٨ وسباق التسلح وخاصة في مجال الصواريخ عابرة القارات .

ولا شك ان الاختلاف كبير بين فقدان المعسكر الشرقي للصين عندما نشب النزاع الصيني السوفيتي وبين ما تطرحه الصين حاليا على المعسكر الغربي . فالنزاع الصيني السوفيتي لم يحدث فور نشوبه اختلالا في توازن نظام القطبين ، ان الصين رغم أهميتها الاستراتيجية كانت ضعيفة عسكريا فضلا عن انها واصلت دعم حركات التحرر في آسيا وافريقيا ضد المعسكر الغربي ، اى انها ظلت لفترة غير قصيرة رصيدا محسوبا للمعسكر الاشتراكي وخصما للمعسكر الراسمالي .

ولكن الموقف الحالي يختلف اختلافا كليا عن اى ازمة او مرحلة دقيقة مر بها النظام الثنائي منذ نشاته . فالصين اليوم قوة سياسية واقتصادية ضخمة وامكانية استراتيجية اكثر ضخامة ، وانضمامها الى معسكر او آخر يهز قواعد وأركان نظام القطبين ويهدد كيانه .

ولان الانضمام الى القمة كما تطرحه الصين حاليا يتناقض مع عديد من المسلمات التى قام على اساسها نظام القطبين . وظهور القطب الموازن ـ أو الثالث ـ يعني بالضرورة أن نظاما جديدا قد نشا لا علاقة لقواعده بقواعد النظام القديم . ومن العسير ان نعرف بالتاكيد مراحل الانتقال من النظام الثنائي الى نظام متعدد الاقطاب لانه لا يوجد في تاريخ العلاقات الدولية حالة مماثلة . الا انه من الناحية النظرية يجوز ان نفترض انه طالما احتفظ القطبان بهيمنة كبيرة على حلفائهما ، وطالما احتفظا بفارق واسع بين امكانياتهما وامكانيات الاطراف الاخرى سواء كانت هذه الاطراف حليفة أو متمردة على النظام، فان النظام قادر على أن يصمد في وجه التحديات، وسيعمل القطبان ما في وسعهما لمنع الاخلال بالتوازن القائم بينهما .

وفي الواقع يصعب تصور نجاح المحاولة الصينية الجديدة ، ليس فقط لان الصين لا تستطيع بمفردها ان تجمع من القدرات والامكانيات ما يؤهلها لمركز القطب الموازن في الاجل المنظور، ولكن أيضا لان الاتحاد السوفيتي لن يسمح لاى عنصر دخيل على النظام الثنائي ان يخل بالتوازن ولو ادى الامر الى شن حرب على الصين قبل اكتمال تحالفها مع المعسكر الغربي .

من ناحية اخرى ، ولنفس الاسباب التى تتعلق بتوازن النظام الثنائي ، لا يمكن للولايات المتحدة ان تقبل الصين قطبا متحالفا قد ينقلب بعد فترة الى قطب موازن .

الا انه في اطار قواعد السلوك داخل نظام القطبين ، يتصدر على المعسكر الراسمالي ان يرفض الميزة الاستراتيجية التى تقدمها الصين . اذ ان المحافظة على الصراع الصيني السوفيتي محتدما يخفف الضغط السوفيتي على اوروبا الغربية ، ويستنفد جزءا هاما من طاقة الحلف الاشتراكي وامكانياته . ولذلك يحتمل أن يلجأ القطب الراسمالي الى الايحاء لحلفائه لتدعيم وتنويع علاقاتهم بالصين بشرط أن يتم هذا التعارض طبقا لقواعد سلوك نظام القطبين . فيستفيد الحلف الغربي من ميزة اضافية لا تخل بالتوازن بين القطبين الا الى الدرجة التى تسمح قواعد النظام بها، بمعنى ان يكون اختلالا يمكن اصلاحه عن طريق تنازلات في مسائل أو مناطق اخرى ، كمسالة مفاوضات نزع السلاح أو تخفيض قوات وسط اوربا او منافع استراتيجية في افريقيا والشرق الاوسط وجنوب آسيا . وقد تقبل الصين هذا الوضع تفاديا لحرب غير متكافئة مع الاتحاد السوفيتي ، ولكنها لن تقنع بهذا الوضع هدفا ينسيها هدفها الاساسي أو يبعد ثورتها الدائمة على النظام الدولي الثنائي

جميل مطر

« ١٨٨٦ ـ ١٩٧٨ »

بقلم : الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى

حد رواد عرب المهجر اللامعين الذين أتاحت لهم البيئة الغربية وامكانياتها أن
ا المكتبة الغربية بنتاج قرائحهم الذى أفاد من النظرة اللامعة المترتبة على الانفتاح
رى على الحضارة الغربية المتفوقة ، أفادته من التسهيلات الاكاديمية والمكتبية
تتيحها الحياة فى الغرب ..

الرواد العرب المغتربين فى حقل الدراسات
بة البرت حورانى ـ اللبنانى الاصل ـ الذى
ى القاء الاضواء على تاريخ سوريا ولبنان
ى استعراض النهضة الثقافية والسياسية
فى الوطن العربى فى كتابه « الفكر
فى عصر النهضة » الذى نشر فى الاصل
الانجليزية ثم ترجمه الى اللغة العربية
ـما مجيد خدورى ـ العراقى الاصل ـ الذى

الف بالانجليزية ثلاثيته الهامة عن تاريخ العراق الحديث : « العراق المستقل » .. « العراق الجمهورى » ـ « العراق الاشتراكى » وأجاد فى عرض التيارات السياسية الحديثة فى الوطن العربى فى كتابيه « الاتجاهات السياسية فى العالم العربى » و « عرب معاصرون » (1) ومنهم أخيرا وليس آخرا عزيز سوريال عطية ـ المصرى الاصل ـ الذى تفرغ فى البحث فى التاريخ الوسيط ووضع

ـ ترجم هذان الكتابان الاخيران الى اللغة العربية وكذلك كتاب العراق الجمهورى .

كتابا هاما عن « صليبية نيكوبوليس » التي شنها الغرب الاوروبي المسيحي على الدولة العثمانية في اواخر القرن الرابع عشر ولكنها منيت بهزيمة ساحقة٠٠كل هؤلاء الرواد كتبوا باللغة الانجليزية واصطنعوا أساليب البحث العلمي الغربي وشغلوا مرموقة في الجامعات ودور العلم الانجليزية والامريكية خاصة وان اجادتهم التامة للغة العربية (٢) قد أثرت انتاجهم واعطته بعدا قد لا يتاح حتى لابرز المستشرقين ٠٠

حتي ٠٠ في سطور

أما فيليب حتي ـ اللبناني الاصل ـ فقد ولد في شملان في عام ١٨٨٦ ثم درس بالجامعة الامريكية في بيروت حيث حصل على درجة البكالوريوس في العلوم (١٩٠٨م) وبعد ذلك توجه الى الولايات المتحدة في عام ١٩١٣م والتحق بجامعة كولومبيا حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللغات الشرقية وادابها (١٩١٥م) ثم قام بالتدريس في نفس الجامعة التي تخرج فيها ٠٠ وبعد ان وضعت الحرب العظمى أوزارها عاد الى لبنان بطلب من جامعة بيروت الامريكية وعين أستاذا لتاريخ العرب حتى عام ١٩٢٦م ثم التحق بجامعة برنستون الامريكية بصفته استاذا لتاريخ العرب ثم رئيسا لقسم الدراسات الشرقية وموجها أول لبرنامجه الخاص بدراسات الشرق الادنى وظل في هذا المنصب الاخير حتى عام ١٩٥٤م حين أحيل على التقاعد وان لم يجعله ذلك ينقطع عن العمل فعين استاذا زائرا في جامعات : هارفارد ومينسوتا وساوباولو في البرازيل وعضوا في مجلس أمناء جامعة بيروت الامريكية في الولايات المتحدة ورئيسا للجنة التربية بهذا المجلس ٠ ولم يتوقف عن الاسهام الفكري بقدر ما تسمح به حالته الصحية حتى وافته المنية بعد أن اربى عمره على التسعين عاما ٠ وقد استقر «حتي» في الولايات المتحدة في الوقت الذي ازداد فيها اهتمام المسؤولين الامريكان بالمنطقة العربية وذلك بسبب سعي الشركات البترولية الامريكية الى كسر الاحتكار البترولي الذي فرضته بريطانيا على المنطقة فيما عرف باسم اتفاقية الخط الاحمر ٠ وهكذا نجد الولايات المتحدة خلال التطورات العاصفة التي شهدها المشرق العربي في أعقاب الحرب العظمى تساند مبدأ «الباب المفتوح» في مجال النفط بوجه خاص،مما ادى الى كسر حدة الاحتكار البريطاني في هذا المجال وفتح الباب أمام الرأسمالية الامريكية الصاعدة لكي تشارك الرأسمالية البريطانية المتداعية أرباحها ثم لتهزمها في نهاية المطاف ٠ وهذا الاهتمام الامريكي بشئون المنطقة قد انعكس في برامج بعض جامعاتها التي تفرد الان مجالات لدراسة اللغة العربية وآدابها وتاريخ المنطقة وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠ وكانت برنستون أول جامعة أمريكية تعترف باهمية الدراسات العربية ـ الاسلامية وتضعها في مكانها الحق في مناهجها٠وتوفر «حتي» على ريادة هذا الميدان الذي حظي باهم مؤلفاته : تاريخ العرب المطول ـ تاريخ العرب المختصر ـ تاريخ سورية بما فيها لبنان وفلسطين ـ صانعو التاريخ العربي ـ لبنان في التاريخ (٣) هـذا بالاضافة الى مؤلفات أخرى لم تترجم بعد أهمها : الاسلام اسلوب حياة ـ الاسلام والغرب ـ أصول الدروز والديانة الدرزية ٠

تاريخ العرب المطول

ولعل أبرز مؤلفات حتي وأوسعها انتشارا كتابه « تاريخ العرب المطول » الذي صدرت له حتى عام ١٩٦٥م ثماني طبعات باللغة الانجليزية وترجم الى لغات أوروبية وشرقية كثيرة منها الالمانية والفرنسية والسويدية والاسبانية والبولندية والايطالية والصربية والكرواتية والاوردية والبنغالية والاندونيسية بالاضافة الى العربية ٠٠ وهذا معناه أن الكتاب لاقى اقبالا من معلمي

٢ ـ عمل محمد حدوري بالتدريس في دار المعلمين ببغداد قبل استقراره بالولايات المتحدة وكذلك الحال بالنسبة الى عزيز سوريال عطية الذي قام بالتدريس بجامعتي القاهرة والاسكندرية قبل هجرته الى امريكا أما البرت حوراني فقد نشأ في بريطانيا ٠

٣ ـ ترجمت كل هذه المؤلفات الى اللغة العربية وهي في الواقع نسخ مختصرة ومنقحة من العملين الرئيسيين . تاريخ العرب المطول وتاريخ سورية

ريخ وطليعة في كل هذه الاقطار، وله موجز صدر عام ١٩٤٣م من مطبعة جامعة برنستون وأصدر لس الحربي الامريكي منه طبعة خاصة للجيش نقل حتى عام ١٩٤٩م الى الاسبانية والبرتغالية بولندية والعربية .

ذا الكتاب يبحث تاريخ العرب منذ أقدم العصور القرن العشرين . وهو لايركز على البنية فية للمجتمع العربي وأن يكن يعطيها ما حقه من اهتمام بل يتناول الى جانب ذلك تطور سارة العربية الاسلامية في مدها وجزرها ض لمختلف الفرق الاسلامية وللعلاقات بين ن والغرب. وأخيرا يفرد بابا للعصر العثماني ثرات الغربية (٤) وهو باب لا ينسجم مع الابواب بقة من حيث الحيز والعمق والتوازن مقحما هايته دراسة خاصة عن الشيخ محمد عبده دون من رواد النهضة العربية الحديثة (٥) .

الدكتور حتى في هذا الكتاب وغيره من مؤلفاته د الى المصادر العربية الاصلية وغيرها من در الغربية ويصطنع النظرة العلمية المتجردة لعواطف والانفعالات السلبية والايجابية وينصف لام وشخصياته البارزة وان يكن - من ناحية - ياخذ ببعض التفاسير الغربية للفتوح مية التي يربطها بالدافع الاقتصادي ويعادات بقبل الاسلام وفي ذلك قوله : ولا نزاع في سلام ألف بين المسلمين ووحد أهدافهم وخلق شعارا جديدا فكان نبراسا لامانيهم القومية ن هذه الروح الاسلامية العجيبة لا تكفي الفتوحات فليست الاثرة الدينية والتعصب ا بالعرب الى تدويخ الدول وفتح الامصار ى الحاجة المادية التي دفعت بمعاشر البدو جيوش الفتح منهم .. الى ما وراء تخوم ة القفراء الى مواطن الخصب في بلدان ال .

ولعل تمرس الدكتور حتى باللغات والثقافات السامية هو الذى حدا به الى عقد المقارنات بين الاديان السماوية الثلاثة فهو يرى تشابها بين القصص التاريخي في القران وما يقابله في التوراة باستثناء بعض الانباء العربية المحضة وقصتين ترمزان الى الاسكندر وأهل الكهف والقصد من عرض هذه القصص عنده - هو التوصل الى عبر أخلاقية . وهو يعتبر الاسلام أقرب الى دين ابراهيم الخليل الذى تمثلة التوراة من دين عيسى الذى يبشر به الانجيل (٦) .

ويخلص من ذلك - دون تعليق - الى أن «بعض النصارى من أهل أوروبا ومن أهل الشرق تكون عندهم في العصور الوسطى رأى يستند الى ما بين الاسلام واليهودية والنصرانية من تشابه مؤداه أن الاسلام بدعة نصرانية أكثر منه دينا جديدا » .

وهذا الخلاف في الرؤية لا يغطى على كون الدكتور حتى قد انصف الاسلام بوجه عام ووضع الحضارة العربية الاسلامية في موضعها الحق بالنسبة الى التطور الحضارى العالمي . وفي كتابه « صانعو التاريخ العربي » يعزو الفرقة بين الاسلام والمسيحية لا الى الاختلافات اللاهوتية بل الى التطورات السياسية فطوال الفترة الطويلة من الصراع بين الاسلام والمسيحية « كانت الصورة التى انطبعت في نفوس الغربيين عن النبى العربي وعن القرآن الكريم .. بعيدة عن الانصاف والحق » -

قائمة عظماء التاريخ العربي

أما عمر بن الخطاب فيحتل لديه المرتبة الثانية في قائمة عظماء التاريخ العربي : فقد كان مؤمنا وقف حياته في سبيل الاسلام وقائدا يلتهب حماسة ومقوضا لاحدى أعظم الامبراطوريات في العالم ومؤسسا لمنصب الخلافة ولكنه لا يتردد في تسجيل قسوة عمر مع أبنه عبد الرحمن ومع خالد بن الوليد

- حظى التسويث بالفصل الاخير من كل من كتابى « الاسلام والغرب » و « الاسلام أسلوب اة » .

- يجارى المؤلف في اهتمامه الشديد بمحمد عبده كثيرا من المؤلفين الغربيين - وعلى رأسهم تشارلز ز - الذين اهتموا بتفسيره العصرى للاسلام ومحاولته التوفيق بين العلم والدين وتاكيده على واحى العملية في الدين والاخلاق وتأسيسا لمايمكن اعتباره « لبرالية اسلامية » .

وهو ما يتغاضى عنه المؤرخون المعاصرون الذين نحوا منحى عبادة البطولة التى تحول دون رؤية الخطأ فيما يعبدون .

ويدافع حتى عن معاوية بن أبى سفيان الذى لم يكن بطلا فى نظر معظم المؤرخين العرب ، خاصة وأن معظم الروايات تحدثت عن مصادر شيعية او عباسية وأن الروايات السورية التى تنصف الامويين قليلة جدا وهو يشيد بحلمه ودهائه ويعتبره « المبتكر العظيم والاول بين العباقرة السياسيين المسلمين الاربعة وبانى الامبراطورية العربية ومؤسس البيت الاموى » . ومن صانعى التاريخ العربى الذين نوه بهم ـ فى ميدان الدين والسياسة ـ عبد الرحمن الداخل والمامون وعبيد الله المهدى وصلاح الدين الايوبى ـ .

أما فى مجال الفكر فهو يفرد دراسة خاصة لكل من الغزالى والشافعى والكندى وابن سينا وابن رشد وابن خلدون وهم وغيرهم ممن سبقت الاشاره اليهم كانوا ـ فى رأى المؤلف ـ من نتاج الحركات السياسية والاجتماعية والفكرية او الروحية .. وهم قد أعتلوا قمة أمواج هذه الحركات لتوجيه سيرها أو تعديله بمعنى أن مجرى التاريخ وتياره يؤثران فى القادة الذين يؤثرون بدورهم فى تحديد مجرى التاريخ هذه النظرة العلمية تختلف عن نظرة ممجدى العبقريات والبطولات الفردية المفتقرين الى النظرة النقدية والمتميزين بعدم الاتزان فى اصدار الاحكام .

وفى تناوله لابى حامد الغزالى يعتمد على ما كتبه المترجم له لا على ما كتبه مؤرخوه . وهو يستخلص من دراسته له انه كان ذا عقل متحرر وتفان فى معرفة الحقيقة وجراة ادبية وتجرد فى نقد زملائه من علماء الدين والشرع وتسامح فى نظرته الى المسيحية وتشدد فى تقديم الروحانى على المادى وسعى خالص لبلوغ المثل الاعلى فى الدين مما مكنه من التوفيق بين العقل والايمان وان ينشىء مذهبا فكريا فى الفلسفة والدين بقى مع الايام موضع رضى السواد الاكبر من المسلمين وعلى حين أن الشافعى قد وضع أصول الفقه على اساس علمى فان الكندى جعل من المعارف اليونانية جزءا لا يتجزأ من الفكر الاسلامى وشق طريقا نحو التوفيق بين الفلسفة والعلم الالهى أما ابن سينا فهو فى رأى الدكتور حتى ـ يمثل الذروة فى الطب والفلسفة عند العرب ، وهو الذى مهد السبيل للفلسفة المسيحية واللاهوت المسيحى ليسيطرا على الفكر الغربى منذ العصور الوسطى ـ هذا على حين ان ابن رشد افلح فى تقريب ارسطو من مدارك الناس وتزعم حركة عقلانية دامت زمنا طويلا ومهدت لعصر النهضة فى اوروبا .

موقفه من ابن خلدون

ويدحض دكتور حتى ما يشاع عادة من أن ابن خلدون قد أثر فى الفكر الغربى على حين ينصفه فى وجه الحزازات التى آثارها بعده للعرب .. فهو يخلص الى أن المستوى الذى وضعه لنفسه كان متدنيا لان مصادر معلوماته التاريخية عن الشعوب السامية القديمة وعن العالم الاغريقى ـ الرومانى كانت محدودة وبعضها مغلوط خاصة وأن لم يتعلم أى لغة أجنبية وحين أكتشفه الغرب كان الزمن الذى يمكن ان يؤثر فى الفكر الغربى قد ولى بحكم أن العلوم الاجتماعية التى عالجها كانت قد انتظمت فى الغرب وذلك برغم سبقه للعلماء الاوروبيين فى فلسفة التاريخ وتنظيم العلوم الاجتماعية فهو ـ على اى حال ـ المؤرخ الفيلسوف وعالم الاجتماع والفقيه .. اول من فلسف التاريخ وآخر جبار من جبابرة الفكر فى الاسلام .

ولا شك أن الدراسة التى يتضمنها كتابا «تاريخ العرب» و « صانعو التاريخ العربى» قد استغرقت جهد المؤلف سنوات طوالا عكف خلالها على المصادر العربية الاصلية وغيرها من المصادر الغربية .. على اننا مع تسجيلنا لاهمية الجهد الذى بذله المؤلف فى هذا المضمار لا نميل الى الجهد الفردى فى مثل هذا الميدان الشاسع بل نؤثر عليه التفرغ على جانب او آخر من جوانبه بحيث يجىء العمل جماعيا على أيدى مجموعة من المتخصصين كل فى مجاله فمع اتساع جوانب المعرفة التاريخية وغير التاريخية لا يستطيع شخص أيا كانت طاقاته ان يلم بشتى اطرافها بمعنى أن العمل الموسوعى القائم على الجهد الفردى قد ولى زمانه وفى هذا الكتاب الاخير بوجه خاص يقع الدكتو

٩ ـ قارن ذلك بما يذهب اليه فى كتابه « صانعو التاريخ العربى » (الترجمة دار الثقافية بيروت ١٩٦٩) ص ٣٢ من أن « الاسلام من جميع الاديان الاخرى أقرب دين الى المسيحية » .

● فيليب حتى

ى فى أحابيل الاقليمية السورية بوجه عام
لبنانية بوجه خاص وهو يذهب الى ان بلاد
ام قد حافظت على طابعها المتميز الذى اثرت
طبيعتها الجبلية وقربها من البحر واتجاهها
الغرب وطابع سكانها ومثل هذا المنظور قد
فيه بعض مؤرخى مصر والعراق والمغرب بل
بمن وكل هؤلاء ممن تاثروا بالكيانات السياسية
، اوجدتها الظروف المحليه والمحلية، قد يبدوا
م هذه الكيانات وكأنها [illegible]
[illegible] ٠٠ [illegible]
ل العربى الكبير ابوخلدون [illegible]
رة مثل هذا التفسير الاقليمى للتاريخ [illegible]
ل الى التداخل التاريخى بين شتى اقطار الامة
بية ومنبها – الى ان سوريا او مصر اوالعراق
يكن لها تاريخ قائم بذاته الا فى فترات
ةنسبيا من تطورها على حين ان موقعها الجغرافى
ارها معبرا بين افريقيا وآسيا – قد جعلها
ـا لشتى الامبراطوريات التى سيطرت على
ة وافقدت هذه الكيانات استقلالها فالذى
النظر الى المنطقة العربية – التى هى متحف
ى فى الواقع – يجد انها تختلط فيها المؤثرات
اقدم العصور بحيث لا يمكن لاى وحدة بشرية
أن تدعى النقاء أو الانفراد بانجازات تخصها
ا ٠٠ والانكى من ذلك الكشوف الاثرية الحديثة
تصادف وجودها فى هذا القطر او ذاك قد
ت تكأة لبعض الثغرات « الطائفية » او
نصرية » سواء أكانت فينيقية او فرعونية او
أو عبرانية او اكدية او غير ذلك ولا يمكننا

أن ننكر مسئولية الاتجاهات الاستعمارية الغربية عن تعميق هذه التيارات الانعزالية بقصد تفتيت المنطقة العربية الى فسيفساء اقليمية من شانها ان تبعد احتمالات الوحدة العربية التى تشكل خطرا على مصالح كل من يفيدون من انقسام الوطن العربى وكما وقع حتى فى احابيل هذه الاقليمية المزعومة التى تروج لها بعض الدوائر الغربية ، فقد تعثرت فيها القدم قد سبق فى مصر ومن نحا نحوه من [illegible] ٠ [illegible] [illegible] الكيانات التى يدعو اليها بعض الساسة فى منطقة او اخرى من المناطق الواقعة بين المحيط الاطلنطى والخليج العربى ٠

ونحن لا نقصد من ايراد هذه الملحوظات ان نغض من قيمة جهود مؤرخنا الكبير بل التنبيه الى بعض المنزلقات التى يقع فيها كثير من مفكرينا بحسن نية ٠٠ فهو – آخر الامر – من الرواد الذين اطلعوا قراء تاريخنا فى العالم الخارجى على اهم منجزات العرب والمسلمين باسلوب علمى يتناسب مع عقلية من كتبت لهم مؤلفاته باللغة الانجليزية ٠٠ كما انه اسهم فى تكوين مدرسة من المؤرخين الامريكان الذين تفرغوا على دراسة التاريخ العربى بنفس النظرة العلمية التى طبقها استاذهم الكبير وهى وحدها الكفيلة بادراك الكثيرين فى الغرب لحقيقة تاريخنا واوضاعنا واماننا ٠ ■

د ٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى

– عقد فى دمشق منذ وقت قريب المؤتمر الدولى الثانى لتاريخ بلاد الشام ٠

الكرامة والحكمة

● أبلغ أحد الاباء ابنه بأن الكرامة والحكمة هما مفتاحا النجاح فى ميدان العمل ٠ وقال له : أما الكرامة فانى أعنى بها أنه اذا وعدت أحدا بتسليم بضاعة فى يوم معين .فيتوجب عليك أن تفى بوعدك ولو أدى ذلك الى افلاسك ٠

ثم سأله الابن : حسنا ، وماهى الحكمة ؟

فاجاب الاب : هى الا تقدم مثل هذه الوعود ٠

مستقبل الاخصاب خارج الارحام

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

هب انك كنت موظفا فى احدى ادارات السجلات المدنية ، ثم جاءك زيد من الناس ليعلن عن ولادة طفل حديث ، طالبا منك تسجيل اسمه فى سجلات المواليد ، فتبدا فى الاستفسار عن البيانات المطلوبة فى هذه الحالة ، وعندما تشرع فى تدوين المعلومات الخاصة بالاب والام ، تفاجا بان والدى الطفل الحديث الولادة قد ماتا فى حادثة منذ عشرين عاما ، وعندئذ تقع فى حيص بيص ، او قد تضرب اخماسا فى اسداس ، او قد تظن أن محدثك به مس من جنون ، فهذه ـ بلا شك ـ انباء مزعجة لم يسمع بها احد ، ولا هى وردت فى الاساطير !

وايا كانت الامور ، فان الحقيقة التى لا مفر منها ولا مهرب تتركز فى ضرورة تطوير انماط افكارنا ، حتى تساير عصرنا الذى نعيش فيه ، او نهيىء عقولنا لما قد ياتى به المستقبل من مفاجآت مثيرة .

والسؤال الذي يلح على الاذهان هو : هل من المعقول ان نخلف الانسان ذرية بعد موته بسنين عدة ، أو ربما عشرات السنين ؟ .. واذا فرضنا ـ مجرد فرض ـ ان ذلك كان واردا فى تفكيرنا الحالى ، فكيف ـ اذن ـ ينسنى لمولد ان ياتى الى الحياة ، بعد ان نكون والداه قد انتقلا الى رحمة الله ؟

الواقع ان ذلك ممكن الان ، او بعد الان ، اذ لا يهم ان تاتى المواليد بطريق الزواج او الجماع الجنسي التقليدى ، والفضل فى ذلك يرجع الى البحوث البيولوجية التى تستطيع ان تو...

، المناسبه للاخصاب خارج الارحام ، ليس
سبب ، بل هي ايضا بقادرة على ان توقف
النسبة لبدايات الاجنة التي تم تلقيحها
، الاختبار ، وكانما هذه الاجنة تعيد
اننا قصة اهل الكهف ، ولكن بطريقة
تطلب منا استيعابا وتطورا في افكارنا
، ومن لا يفعل ، فلا يلومن الا نفسه .

د الشديد .. نصل الى ماتريد !

شيء بداية ، وقد تكون هذه البداية
، لكن سرعان ما تتطور وتكبر وتصقل
ح ملء السمع والبصر والفؤاد .

اول طفلة بشرية في العام الماضي بعد
خصاب تمت في انبوب الاختبار ، انما
ا حقيقي لفكرة متواضعة بدأت في القرن
الماضي (انظر مقالنا في العدد السابق على صفحات هذه المجله) ، ولقد كبرت هذه الفكرة وانبعث ثم أنت ثمارها من خلال تغذيتها بافكار جديدة ، واقامة اودها بوسائل تكنيكية متطورة ومصقولة ، ومع ذلك ، فنحن ما زلنا في بداية طريق طويل وشاق ومثير ، لندرك الكثير من اسرار الحياة التي تتجلى لنا على هيئة الغاز جد عويصة .

فبجوار العلماء الذين يبحثون في اسرار الاخصاب والنطف الجنسية وتطور الاجنة في الارحام ، وجد علماء آخرون متخصصون في بحوث تبريد الخلايا والانسجة والاعضاء ، بغية حفظها لفترات طويلة دون تحلل او فساد.* والحق ان العلوم المختلفة تخدم بعضها ، لتتوصل الى اهداف كثيرة لا نستطيع لها حصرا .

فاستخدامات الاسس العلمية لظاهرة التبريد الشديد في مجال الخلايا الجنسية ، والاجنة

* مقالنا عن تجميد الحياة في العدد رقم ٢٣٩/اكتوبر ١٩٧٨ ص ١٩ من العربي .

الناتجة عن طريق الاخصاب خارج الارحام قد تدفعنا دفعا لكي نتخلى عن بعض افكارنا القديمة.

ولنفرض هنا ان زوجين شابين لا يريدان أن يحملا مسئوليه خلفة الذرية وتربيتها فى بداية حياتهما الزوجية لظروف تمنع ذلك ، لكنهما ـ فى الوقت ذاته ـ يحسبان للاقدار حسابها ، فلا شيء مضمون فى هذه الحياة ، ومن هنا قد يحتاطان للامر ، ويعقدان العزم على انتاج جنين او جنينين او اكثر ، ليس هذه المرة للحمل أو الولادة ، بل للحفظ فى الانبوب سنين عدة ، وليكن ذلك عن طريق الاخصاب الخارجي .. أى الذى تم فيه تلقيح البويضة بالحيوان المنوى فى انبوب الاختبار ، ثم انقسام البويضة المخصبة الى ثلاثه او اربعة او خمسة انقسامات متتالية ، تكون فيها قد انتجت عدة خلايا تمثل لنا البدايه الاولى للجنين ، ومن الممكن وضع هذه البدايات فى تركيز خاص من الجليسرين مختلط بوسط سائل ، ثم تبريدها الى ٧٩ درجة مئوية تحت الصفر ، فيتوقف كل نشاط حيوى فى الجنين ، الى ان يبعث من رقاده بعد سنين ، فيعاد الى رحم الام لكى تحمله من بعد نوم طويل .

لكن اهل الصين قد يقعون هنا فى مازق ، اذ انهم يضيفون الى عمر الوليد تسعة اشهر ، لانهم يعتبرون بداية المولود الحقيقية من يوم اخصاب البويضة ، ولنفرض ان الاخصاب قد تم عندهم فى الانبوب ، وحفظت بداية الجنين عشر سنين ، ثم اعيد الى رحم امه ليولد ، عندئذ لا يستطيعون حسابها من يوم الاخصاب ، لان الجنين قد « سرق » من الزمن فى رقاده عشرة أعوام ، ولابد هنا من تصحيح الاوضاع .

او قد تاتى حادثة فتقصف عمر الوالدين معا دون أن تكون لهما ذرية تحمل اسميهما ، او ترث ممتلكاتهما ، لكن الذرية قد تكون «نائمة» فى الانابيب ، ويمكن بعثها من رقادها الطويل اذا دعت الظروف لذلك ، وهى بلا شك تحتاج الى ام لتحملها حملا ، لكن الام ـ كما سبق ان ذكرنا ـ قد ماتت ، ومع ذلك ، فمن الممكن تاجير سيدة لتحمل عن المتوفاة بالنيابة ، وذلك مقابل اجر ، وما على الاطباء الا أن يجهزوا رحم تلك السيدة للحمل ببعض الهرمونات ، ثم زرع الجنين « النائم » فى انبوب الاختبار ، ليتطور ويتشكل فى رحمها ، ثم يوضع وضعا طبيعيا ، ليحمل اسم ابويه المتوفيين .

مآزق فكرية

والواقع ان هذه الامور الغريبة يمكن بالفعل تحقيقها فى وقتنا الحاضر ، لكن ذلك سيثير العديد من المشاكل الاجتماعية ، والمآزق الفكرية ، والصعاب القانونية ، والاحتجاجات الدينية ، والخدع الذكيه ... الخ .

فمن وجهة النظر التقليدية ، قد يقع عامه الناس فى فوضى فكرية ليس لها من قرار ، فاذا حملت السيدة غير المتزوجة جنينا غريبا عنها ، ووضعته وارضعته وحضنته وانشاته ، فان الشعور السائد قد ينسب الطفل اليها على انها امه ، لكن ذلك ليس صحيحا من وجهة النظر البيولوجية او الوراثية .. فمثل السيدة التى تلد جنينا مزروعا كمثل المرضعه التى ترضع وليدا غير وليدها ، فالطفل الرضيع يستخلص من الدم غذاءه ، وكذلك يفعل الجنين المزروع ، فهو يحصل من دماء الحاضنة على مقوماته الغذائيه عن طريق اتصال دورتها الدموية بدورته ، مع ما ينساب فى تلك الدورة من هرمونات لها اثر على الجنين .

ومع ان الحديث فى هذا الموضوع قد يتسعب ويطول ، الا أنه يكفينا ان نشير هنا فقط الى ان السجل الوراثى الحقيقى للوليد قد جاء اساسا من الخلايا الجنسية للابوين ، فكل خليه بمثابة « ميكروفيلم » للمخلوق الذى منه قد جاءت ، فاذا كان الابوان شقراوين وطويلين ، وحدث التلقيح بين خلاياهما الجنسيه فى الانبوب ، ثم زرع الجنين الناتج فى زنجيه ، فانه لا يحمل ايه صفة من صفاتها ، بل يخرج الى الحياة كوليد اشقر .. تماما كصفات والديه !

وقد تنشأ هنا مشكلة جانبية ، وقد تستلزم جدلا طويلا ، فمن وجهة نظر السيدة التى حملت وولدت وارضعت وربت ، ومع شعورها الدفين بان هذه الظواهر جميعها تنطبق على غريزة الامومة الكائنة فى الانثى ، فان هذا الشعور قد يدفعها دفعا الى التشبث بالوليد ، لانها تعتبره جزءا من لحمها ودمها ، وهذا ـ الى حد ما ـ صحيح ، الا ان الاصول الور

الوليد اساسا الى الوالدين اللذين بخلاياهما الجنسية فى تكوينه .

قد يقع العلم نفسه فى مآزق اخرى ، تعميم فكرة الاجنة المحفوظة لمدد طويلة فى ب ، فقد تستغل بعض النفوس الضعيفة ذه الاجنة ، ويدعون ما ليس لهم فيه حق، سبوا جنينا الى غير ذويه ، او قد تحمل بطريق غير مشروع ، ثم تدعى ان ما فى زرع لاسفاح ، وهنا يدخل رجال العلم ن والدين فى متاهات ، فماى رجال العلم تحفظوا من الصفات البيولوجية للوليد، للتى وضعته ، ولوالديه ان كانا لا يزالان فيعيدوا الامور الى نصابها او اصولها ، جال القانون ان يشرعوا قوانين جديده مع المتاهات التى قد تعيش فيها الاجيال ، وعلى رجال الدين ان يطوروا مفاهيمهم، حجوا لدى الحكومات ... الخ ...الخ.

د تنشأ مشاكل نفسية للام الحقيقية ، الامومة تنبع اساسا من احساسها بنشأة فى بطنها ، ثم حمله ووضعه وارضاعه ، تختلف تاكيدا عن وليد جاءها جاهزا فى ثى غيرها ، مما قد يؤثر على شعورها لشىء .

ذلك كله ليس لب موضوعنا العلمى الذى له هنا ، ولزاما علينا ان نعود لنشير بعض السيدات لا يستطعن انجابا على لبوار ارحامهن ، ومع ذلك فهن يستطعن ل انجازات العلوم البيولوجية والطبيه - ان يتغلبن على هذه المشكلة العويصة، لهن ذريتهن التى تنسب اليهن نسبا وبيولوجيا صحيحا ، خاصة اذا كانت سليمة ، وعندئذ يمكن استخلاص أو اكثر من تكوينهن ، ثم تلقح خارجيا فى حيوانات منوية من ازواجهن ، وتزرع المخصبة فى رحم سيدة تقبل - لقاء ان تكون حاضنة للجنين المزروع فى رحمها، ايضا من ارضاعه بعد ولادته ، ثم بة « الحية الى ذويها ، لان الطفل فى الة منسوب شرعا ووراثة الى والديه شاركا فيه بخلاياهما الجنسية ، وبهذا عالم قد حل مشكلة عويصة من مشاكل

النساء العاقرات ، وحقق لهن الامل الذى يقوم عليه عماد حياة الاسر .

اهداف اخرى

لكن هذه البحوث قد تفيد فى حالات اخرى كثيرة .. فقد يكون الزوج عقيما ، ويرجع سبب عقمه الى ان نسبة كبيرة من خلاياه الجنسية بها عيب أو غير قادرة على الاخصاب لاسباب يطول شرحها ، وان النسبة الضئيلة الباقية لاتستطيع حث البويضة او تهيئها لتقبل احدى الخلايا الذكرية لتلقيحها ، وعندئذ يمكن جمع هذه الحيوانات المنوية على فترات ، ثم تخزينها اولا باول بالتبريد الشديد ، فنزيد فيها الاعداد الخصيبه للخلايا الجنسية .. ذلك ان القليل مع القليل كثير ، وعندئذ يمكن حدوث الاخصاب فى الرحم او فى الانبوب .

وقد تفيد هذه البحوث فى تحديد النسل مبكرا، خاصة فى الدول الناميه ، اذ يمكن للزوج الشاب مثلا ان يحتفظ بقدر معقول من نطفته الجنسيه فى انبوب الاختبار تحت عملية تبريد تشرف عليها المتخصصون ، وتحفظ له باسمه فى احد بنوك الخلايا الجنسية التى قد تعمم فى المستقبل ، وبعد هذا يمكنه اجراء عملية تعقيم ، فلا يستطيع - بعد ذلك - اخصابا (لكنه قادر على الجماع طبعا) ، فاذا حدثت الذريه المحدوده (ولنقل انها تتكون من اثنين او ثلاثه) كارثة اودت بحياتهم او بحياة واحد منهم ، وتاق للذرية جديدة ، فان ذلك سيصبح ميسورا بفضل جزء من نطفته الجنسيه المحفوظة له فى « البنك » ، اذ بعملية اخصاب صناعى يكون له ما يريد ، وهذا يعنى ان تلك الطريقة بمثابة « وثيقة تامين » ضد خوف الرجال من عمليات التعقيم التى قد تحرمهم الى الابد من الذرية ، لكن الاخصاب مضمون بفضل وسائل العلم الحديثة .

او قد يخشى الناس من موت مفاجىء قبل تحقيق املهم فى ذرية ، فكوارث الحروب والحوادث (برا وبحرا وجوا) ، وضحايا الزلازل والبراكين والفيضانات والاعاصير ... الخ ، قد تدفع بعض الناس للاحتياط لمثل هذه الامور مستقبلا، فالذين يذهبون الى الحروب مثلا ، قد يتركون خلاياهم الجنسية محفوظة فى « البنوك » ، فربما

يموتون دون أن تخلفهم ذرية ، لكن العلم قادر مستقبلا على تحقيق هذه الامال ، اذ يمكن للميت أن تخلفه ذريه بفضل خلاياه الجنسيه المحفوظه سابقه لسنوات قد تطول .

وفي القصص العلمي الخيالي تصور مؤلفوه أن الانسان قد يغزو الكواكب في المستقبل البعيد، ولكي لا تكدس سفن الفضاء بالاحمال من البشر، فعليهم ان يحملوا معهم « نسخا » ضئيله من هؤلاء محفوظين داخل كبسولات خاصه ، وما نسخنا المحموله عبر الكون الا خلايا جنسية ، أو بويضات ملقحة ، أو اجنه دقيقه في مراحلها المبكره من الانقسام ، وستكون النساء في هذه الرحلات الكونية الطويله أهم من الرجال ، فالمراة هي الحاضنة الحقيقية للاجنة ، ومن هنا يمكن زرع الاجنه المحفوظة داخل انابيب الاختبار فيها ، وبهذا يعمر الكواكب البعيدة بنسل الانسان !

لكن هذا التصور او الخيال قد يتحول الى حقيقه بفضل البحوث البيولوجية الحديثة التي قد نجد لها تطبيقا في الارض .. وفي السماء !

جنين واحد يتحول الى عشرات الاجنة !

ومن البحوث الهامة التي قد يكون لها تطبيقات شتى في الحيوانات التي تفيد الانسان ، تلك التي تجعل الجنين الواحد يتمخض عن اجنة كثيرة .. اي كأنما الجنين نفسه يتوالد ليعطي ذرية كثيرة .

لكن .. ماذا يعني ذلك حقا ؟

الواقع ان الفكرة الجريئة قد تقود الى افكار اجرأ واتقن ، ولكي ندرك الهدف من فكرة جنين تخلفه ذرية من اجنة ، كان لزاما علينا ان نهجر فكرتنا التقليدية عن تكوين الاجنة ، فالفكرة « القديمة » في تكوين الجنين هي اجتماع الذكر بالانثى ليحدث الاخصاب الداخلي ، ثم حلت محلها فكرة حديثة تشير الى ان حدوث الاخصاب قد يتم دون اجتماع الذكر بالانثى في عملية التزاوج ، بل يكفي ان يحدث اللقاء بين الخلايا الجنسية ـ تحت ظروف خاصة ـ في انبوب الاختبار .

لكن الفكرة الاحدث ـ والتي قد تطبق مستقبلا ـ تتركز في تفصيص خلايا الجنين الواحد بعد انقسامه عدة انقسامات قليلة ، فبعد اخصاب البويضة الملقحة ، نراها تنقسم مثنى وثلاث ورباع .. الخ ، الى أن تصل الى كرة صغيرة لا تراها العين الا بصعوبة ، وفيها تكمن عشرات الخلايا النشيطة غير المميزة ، ولو أمكن فصل تلك الخلايا وتفكيكها في أنبوب الاختبار ، فان كل خلية بدورها تنقسم الى خلايا متماسكه ، ثم او اعدنا تفصيص هذه الكتله من جديد ، وقد تعيد خلاياها الكره مرة ، وربما مرات ،لنحصل في النهايه على المئات !

وهل يمكن تحقيق ذلك ؟

بالتأكيد نعم .. اذ حقق العلم هذا الهدف مع الانسجه المختلفة ، فمن الممكن ان نفكك خلايا الكبد والمخ والكلى والعضلات .... الخ ، ونجعلها تعيش فرادى في المحاليل الغذائية لفترات قد تطول ، والواقع ان العلماء يقومون بهذا العمل ليل نهار ، بغية التعرف على المزيد من اسرار تلك الخلايا وسلوكها ، لكن ذلك موضوع طويل وغريب ، وقد نفرد له دراسة قادمه مستقلة .

لكن .. ما هو الهدف من تفكيك خلايا بدايات الاجنة ؟

الهدف الحقيقي أن نحول كل خلية منها الى جنين مستقل .. فبدلا من جنين واحد يأتي الى الحياة بالطرق التقليدية ، نستطيع انْ نجعل منه عشرات الاجنة المتماثلة في كل صفة من صفاتها الوراثية .. فلو أردنا مثلا ان نحصل على ابقار ممتازة ومنتقاة ، فما علينا الا ان نحصل على بويضة من بقرة ممتازة ، وخلايا جنسيه من ثور قوي اصيل ، ويتم التلقيح في الانبوب، فتنقسم البويضة المخصبة الى عشرات الخلايا ، ونقوم بتفصيصها الى وحداتها الخلوية ، لنعطي كل واحدة جنينا ، ثم نزرع هذه الاجنة في أرحام ابقار رخيصة ، لتلد لنا ذرية من ابقار ثمينة ، وكل وليد منها صورة طبق الاصل من اترابه .

والواقع ان هذه الطريقة ليست وليدة افكارنا، بل هي قديمة قدم الحياة على هذا الكوكب ، فالتوائم المتماثله والمتشابهة في كل صفة من صفاتها الوراثية انما تجيء بعملية فلق في المراحل الاولى لتكوين الجنين ، فتنقسم كتلة الخلايا الى قسمين ، وكل قسم منها ينتج توأما مشابها تماما لاخيه ، لكن العلم قادر الان على أن يذهب الى ابعد من ذلك بوسائله المتطورة ، فيعطينا من

المتازة ما نشاء .. وهذا مستحب في
ديان لا الانسان !

التحكم فى جنس الجنين

ي ان اناث الحيوان اهم – فى هذا
من ذكوره ، فان الانثى هى التى تمنحنا
اللبن والزبد ، واكثارها يتطلب معرفة
نين من البداية .. صحيح أن البحوث
جارية فى هذا الميدان ، لكن فكرة الاخصاب
الاختبار سوف تيسر وتحدد لنا نوع
فلو اننا أخذنا خلية واحدة من الخلايا
المفككة ، وفحصنا مكوناتها الوراثيه
بتحديد الذكر من الانثى ، فان كانت
وان ذكر اهملناه ، وان كانت البداية
حافظنا على الخلايا الاخرى المفككة ،
ا على الانقسام ، لتصبح كل واحدة منها
اية جنينية للانثى ، فنزرعها في الارحام،
ذرية كلها اناث فى اناث .

الفكرة ايضا يستطيع العلم مستقبلا
ان يشاء الذكور او الاناث ، فلو ان
رزقه الله بذرية اناث فى اناث ،واشتاق
ان العلم قد يحقق له آماله ، وما ذلك
فمن خلال معاملة الزوجة ببعض
المشجعة على افراز البويضات ،
لحصول على عشرة منها او اكثر ،
ستخلص هذه البويضات الناضجة ،
فى أنبوب الاختبار مع حيوانات الزوج
ان فرصة التلقيح هنا لانجاب الذكور

والاناث تكون متساوية ، ذلك ان نصف عدد الحيوانات المنويه يحمل صفة الذكور الوراثيه فى حين ان نصفها الاخر يحمل الصفات الانثوية .

وبعد ان يتم التلقيح فى الانبوب ، ينتج عن ذلك عدد من الاجنة ، ومن الممكن تحديد نوع اى منها من خلية واحدة ، فتزرع التى جاءت بدايتها ذكرا فى رحم الزوجة ، لتهب زوجها ما يقر به عينا ، ويسعد فؤادا !

صحيح ان هذه الافكار لم يبدأ اخذها – حتى الان – فى الاعتبار ، لكن تطور البحوث المذهل فى هذا الميدان قد يحقق كل ما يصبو اليه الانسان من آمال فى المستقبل القريب او البعيد .

لكن اهم من ذلك كله ان عشرات او ربما مئات الالوف من الاطفال يولدون كل عام بامراض وراثية كثيرة ، لكن العلم – حتى الان – لا يستطيع ان يصلح هذا الخلل البيولوجى الا فى حدود محدودة، وقد يصبح « تكنيك » تنشئة بدايات الحياة فى انبوب الاختبار بداية طيبة لانقاذ ملايين الضحايا مستقبلا ، ومن هنا يقرر العلماء او الاطباء – من البداية – ان كان الجنين يحمل « بذور » مرض وراثى ؛ او هو قد جاء سويا .. فاما الذى به سوء ، فالاولى به الا يجىء ،فيصبح الانبوب قبره ومثواه ، واما الصالح ، فمرحبا به فى الحياة !

لكن قد يكون لذلك الموضوع الهام دراسة اخرى قادمة . ■■

الاسكندرية – د. عبد المحسن صالح

كن فتى مهذبا

● بينما كنت عائدا الى كليتى فى كامبريدج بعد منتصف ليل قررت اختصار الطريق والمرور عبر منزل المدير بدلا من تسلق جدران الكلية وما قد يسببه ذلك من مخاطر لى . وفى الوقت الذى تسللت فيه الى حجرة المطالعة فى المنزل واذا بوقع أقدام يقترب من الحجرة ، وعلى الفور اختبات خلف الستار . وبعد برهة دخل المدير وجلس الى مكتبه حيث قرأ لعدة ساعات . وعندما هم بالخروج قال بصوته موجه نحوى : كن فتى مهذبا واطفىء النور عندما تغادر الحجرة!

الاسلام المطلوب للمرحلة !

بقلم : [illegible]

حتى الاسلام لم يسلم من بصمات المرحلة . هكذا نعت الينا النبا صحف الصباح ، وابرزته مختلف الواجهات الفكرية المروضة فى هذا الزمان .

تقول خلفية النبا ان متغيرات المرحلة ليست فى الخرائط السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط ، ولكنها فى الخريطة الفكرية ايضا ، اذا صح التعبير . وتلك ضرورة تفرضها اعتبارات الانسجام والتناسق . وما دام الامر كذلك ، فان الدين يظل طريقا « استراتيجيا » اساسيا ينبغي عبوره ، بل هو الطريق الامثل لاحداث هذا التغيير في الخريطة الفكرية لدى قطاعات عريضة من الجماهير .

وهو حلم راود أشهر الغزاة فى العصر الحديث ، ان يدخلوا بلادنا وقد تأبطوا لواء الاسلام . من نابليون بونابرت الذى جاء الى مصر بدعوى انه حامى حمى الاسلام ، حتى اشهر خليفته الثانى الجنرال مينو اسلامه امعانا فى تثبيت الفكرة ، الى الرئيس الامريكي جيمى كارتر ، الذى قدمت ادارته منذ اسابيع مليون دولار الى الازهر الشريف ، هدية منها لمساعدته فى اداء رسالته الجليلة !

وما لم يقله النبا صراحة ان الاسلام مطلوب ـ جدا جدا ـ في هذه المرحلة ، بشرط واحد هو أن يكون اسلاما طيعا مستأنسا ، بغير اظافر ولا انياب .

المطلوب اسلام له مواصفات اسد السيرك ـ ومعذرة لتكرار استخدام التشبيه ـ مهيب وعظيم وله نفوذ ادبى خطير ، لكن كل ما يصدر عنه ـ حتى الزئير ـ هو فى حدود الدور المرسوم ، ومن خلال القفص الحديدى الذى ينتصب وسط الحلبة .

المطلوب اسلام مسطح مريح ، لا يزعج الواقفين ، ويخوض فيه القاعدون والمتمددون . اما ذلك الاسلام « المدبب » الذى اطل على البشرية منذ ١٤ قرنا ـ ثم دفن فى ثنايا بعض الكتب ، فهو شائك وغير مرغوب ، ويصعب امتطاؤه باى حال ! .

المطلوب ان ينتزع باى شكل ، ذلك الفتيل المفجر من الاسلام ، لابطال مفعوله . ليتحول من قنبلة الى دمية . من مضمون الى شكل . من طاقة حياة الى جثة بغير حراك . من شعلة مضيئة الى رماد بارد ! .

●

ورغم ان جهود تقليم اظافر الاسلام وتطويعه لها مواصفات ثابتة فى كل زمان ومكان الا ان لكل فترة خصائصها ، التى تختلف باختلاف طبيعة المرحلة واتجاه الريح خلالها واذا حاولنا ان نرصد المواصفات المطلوبة فى اسلام هذا الزمان ، فاننا نستطيع ان نستخلص ـ من قراءة الواقع ـ الشروط التالية :

● مطلوب الاهتمام بالمعنويات ، الروحانيات والاخلاق . اذ يجب ان تطهر النفوس او

من كل شوائب الاثم والخطيئة . وان يصفو الجو فيما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى . وحبذا لو تم ذلك في خلال صيغة كالطرق الصوفية مثلا . حيث تغتسل ضمائر الناس في حلقات الذكر ، وتترطب حلوقهم والسنتهم بالادعية والمأثورات ، ويستنقذون انفسهم من ذلك العالم المليء بالشرور والفتن .

* مطلوب الهجوم على العقل ، واتهامه بانه مصدر كل مفسدة وزيغ في العقيدة . ولعل اكثر اهل المشرق يذكرون حديثا تليفزيونيا اذيع اخيرا في برنامج « نور على نور » الشهير لعالم ازهري اكثر شهرة ، قال خلال مناقشة حول الاسراء والمعراج انه اذا اردت ان تدخل الى الدين فليكن ذلك من غير باب العقل . وهي نغمة ترددت في اكثر من كتاب بين أيدى الناس الان .

* مطلوب التركيز على سلامة الايمان بالله ، ومحاربة الالحاد بكل سلاح ، واعطاء هذه المعركة اولوية رئيسية . اذ لا يعادل الالحاد جريمة ، ولا يعلو حق فوق حق الله سبحانه وتعالى ، وهي رسالة مقدسة لا تحتمل التفريط فضلا عن التاجيل ، الامر الذى يدفعنا الى ان نجند انفسنا لمحاربة مذاهب دنيوية اخرى في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لكي نحرر كل الاعماق من دنس الالحاد ، لا نفرط في « شبر » واحد .

* مطلوب ضرب كل الشعارات التي جمعت صفوف العرب في مرحلة سابقة ، واسقاط الرايات التي التفوا حولها ، بحجة انها ضد الاسلام . فالقومية سلاح لطعن الاسلام ، والوحدة خدعة للتحلل من الارتباط بالاسلام ، والاشتراكية حصان طروادة الذى يخفي الشيوعية في باطنه ، والتاميم عدوان وتجني على النعم التي اختص بها الله بعض عباده ، حتى ولو كانوا خواجات او صهاينة !

* ينبغي ان نستعيض عن هذا كله باعلان العودة الى الاسلام ، وحتى تكون العودة فعالة ومؤثرة ، فلتكن من باب الجنايات . اعني ذلك الاسلام العقابي الذى يطل على الناس باسلحة الرجم والقطع والجلد ، وحتى نذود عن حياض الاسلام ونحفظ شرف وعرض اتباعه ، فينبغي ان نشغل انفسنا بزى المرأة وصوت المرأة وتعليم المرأة وتوظيفها ، وأين مناطق الحل والحرمة في هذا كله . وليس هناك ما يمنع من ان تمتد المناقشات الى مجالات « ثقافية » اوسع ، حتى يكون الناس على بينة من امر دينهم . ويفتح باب الاجتهاد على مصراعيه للبحث في صحة القول بكروية الارض والتثبت من هبوط الانسان على القمر ، وحسم مسالة اطلاق اللحى وتدخين السجائر واطالة شعور الشباب ومعضلة قمصانهم المشجرة !

* وحتى تصدق العودة وتثبت قرائنها . فليفتح الباب ايضا لكل صور خصام العصر . ليس فقط بافتعال معارك مع افكار دنيوية اخرى ، ولكن ايضا بغض البصر عن التجمعات التي تحمل اسم الاسلام ، وتنتشر بصورة سرطانية بين الاجيال الجديدة من الشباب ، مروجة لدعوات الامتناع عن رؤية التلفيزيون وسماع المذياع ، ومقاطعة السينما واعتبار الموسيقى رجسا من عمل الشيطان ، والفنون وثنية جديدة ، ومقاطعة المصارف والامتناع عن التعامل مع الحكومات الكافرة ورفض التعليم الجاهلي ..

* واذا كان لا بد من الاشتغال بالسياسة والاقتراب من حقلها المليء بالالغام والمحاذير ، فليكن ذلك من باب منح البركات ، على طريقة البابوات ، ليبارك رجال الدين اى موكب يسير امامهم ما دام العلم الرسمي يرفرف على مقدمته . ولموكب السلطان اعتبار

خاص . اذ لا يكفى التبريك ، بل لا بد من التبرير ايضا .

●

في التطبيق العملي ، ماذا يعني هذا كله ؟

ذلك يعني ـ من ناحية ـ ان يعزل الاسلام عن واقع الناس ومشكلاتهم الحياتية ، ويظل محصورا في دائرة اضيق ما تكون ، دائرة الفضائل ومكارم الاخلاق ، وبعض مظاهر العبادات ، . وبهذا يصبح محور حركة المسلم هو الطريق المؤدي مباشرة الى السماء ، وتنقطع كل الطرق التي توصله الى الارض .

ويعني ايضا ان يشغل المسلمون باى شيء الا جوهر الاسلام وحقيقته . يدعون الى التنقيب في الضمائر والتثبت من صحة الايمان ، والقتال على جبهة دفاعية ، وينصرفون عن خوض معركة اقامة العدل والحرية في مجتمعهم .

ويعني ثالثا ، غرس بذور الالحاد القومي ، واعتباره مرحلة ضرورية لمواجهة الالحاد الديني . ووضع الاسلام كنقيض حتمي لكـل الشعارات التي ساهمت في حشـد الجماهير العربية ولملمة صفوفها المبعثرة في مرحلة زمنية سابقة . وطرح المسالة كما لو كان الطريق الى الاسلام لا بد وان يمر فوق انقاض العدل والقومية العربية والوحدة .

ويعني رابعا ، اجهاض المدخل الصحيح للتطبيق الاسلامي ، وتقديم الاسلام بصورة مشوهة لا يمكن قبولها ، ليس فقط من جانب العالم الخارجي ، بل ايضا من جانب فصائل الشباب الواعي ، الذي يفزعه بغير شك هذا الطرح العقابي للاسلام المتمثل في البدء بالحدود ، وتنفره بكل تاكيد هذه الصورة السلبية للاسلام ، المتمثلة في جماعات « الرفض الديني » التي يقوم منهجها على مقاطعة العصر والحياة الحديثة في مجموعها .

ولا بد ان يثير انتباهنا هنا ذلك الالحاح من جانب الذين يرفعون رايات الاسلام في هذا الزمان على تطبيق الحدود . وصمتهم المطلق ازاء تطبيق فريضة الزكاة مثلا . وهو صمت يصعب تفسيره ، فضلا عن انه لا يشجعنا كثيرا على ان نحسن الظن باصحاب تلك الدعوات. ذلك اننا اذا حاولنا ان نجرد الصورة ، ونختار تطبيقا موضوعيا للاسلام ، بايهما نبدأ : بالحدود ام بالزكاة ؟ بعقاب قلة آثمة ، ام باقامة العدل الاجتماعي بين جماهير المسلمين ؟ ببتر البعض ، ام بوقاية الكل ؟

●

اخيرا ، لابد ان يثير انتباهنا ايضا ذلك الصمت الذي حل فجاة على رافعي رايات سلام في عالمنا العربي ، ازاء الزعامات الدينية الايجابية ، التي تحركت اخيرا داعيـة الـى تطبيـق الشريعة الاسلامية . رغم انه يفترض نظريا ان ثمة هدفا واحدا لهؤلاء وهؤلاء .

لكن الفرق بين الطرفين ان احدهما اخذ الامور ماخذ الجد فتكلم وتحرك ، بينما الطرف الثاني مطلوب منه ان يتكلم ويتكلم ، ليمتص مشاعر الناس ويلهيهم عن الحركة الايجابية . الاول خرج عن النص الموزع والمرسوم لاسد السيرك ، وكاد يتحول الى اسد حقيقـي يعمـل لحسابه ، والثاني ظل حريصا على وظيفته في السيرك ، وملتزما بكافة تعليمات المدرب !

الم اقل لكم ان الاسلام مطلوب جدا جدا في هذه المرحلة

وان المسلمين مرغوبون جدا جدا في هذه المرحلة ..

والشرط معروف سلفا : ان نسجل اسماءنا في السيرك !! ■■

واللاتينية . هذه الوثائق محفوظة في دورحكومية خاصة ممتدة في أوربا وافريقيا . في أوربا : في بلغراد وبوسنه سرايي وبودابست وفينا وصوفيا واستانبول . وفي اسيا : البصرة وبغداد ودمشق وفي افريقيا : القاهرة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر. وقد عددتهنادور المحفوظاتالرئيسية فقط . وربما يكون هناك دور محفوظات أو وثائق عثمانية في منطقة القرن الافريقي حيث كانت تحكم الدولة العثمانية ، وقد يكون هناك أيضا مثل ذلك فيصنعاء او عدن أو الحجاز مما لا نعرفه. اذكر بهذه المناسبة ان دور المحفوظات فياستانبول وحدها تضم (١٥٠) مائة وخمسين مليونوثيقة، لم يدرس بل لم يصنف منها الا عدد لا يفصح عن نفسه خجلا . وقس على ذلك كل هذه الدور المذكورة . لا ننسى في هذا الخصوص الاقسام الخاصة بالوثائق العثمانية في دور المحفوظات في مختلف انحاء العالم : موسكو ولندن وباريس وغيرها .

● ثانيا ـ نشر المخطوطات : وهذه منها ما هو عام يفيد في الكشف عن تاريخ منطقة كبيرة الساحة تحوي وحدات ادارية عثمانية فيداخلها اذكر على سبيل المثال : رحلة الطبيب العثماني قول اغاسي « عبد الحكيم » وهي رحلة رسمية استهدفت تقديم تقرير عنالحالة الطبيةوالصحية في منطقة الخليج والجزيرة العربية بما في ذلك اليمن وايضا في طرابلس الغرب وبنغازي . وكانت في أواخر العهد العثماني في البلاد العربية. ومنها ايضا « سليم نامه لر » المكملة والمتممة بل والمصححة لابن اياس ، وهي تقدم فهما هاما لتاريخ حملة سليم الاول على الشام ومصروالحجاز ثم « غزوات نامه لر » التي تساعد مساعدة فعالة في الكشف عن تاريخ منطقةالخليج والجزيرة العربية .

يدخل في نطاق هذه الفقرة رحلات الضباط العثمانيين في السودان واليمن والحجاز وليبيا. وتقارير هيئة اركان حرب الجيش العثماني عن الوضع السكاني والقدرات العسكرية لدى الشعوب بل والقبائل العربية في مختلف ارجاء الولايات العربية . وتقارير المخابرات العثمانية عن بعض المسائل الهامة في البلاد العربية مثل التقرير السري الذي كتبه الضابط العثماني يوزباشي اركان حرب علي عن حركة احمد عرابي باشا ، وكان علي قد دخل مصر سرا اثناء بدايات الغزو الانكليزي . والتقارير العسكرية الا[...] مثل تقرير محمد امين سامي باشا عن مشـ[...] تقسيم اليمن الى قسمين ، ثم تقارير و[...] الخارجية العثمانية عن المشكلات بينهـا [...] وزارات خارجية الدول الاوربية حول المنـ[...] العربية مثل تقرير الخارجية العثمانية [...] البحرين ، وغير ذلك الكثير .

ومن هذه المخطوطات ما يختص بأحداث [...] لمنطقة عربية محدودة : مثل تاريخ عبد الكـ[...] ابن عبد الرحمن عن مصر العثمانية وتاريخ [...] البصرة وتاريخ سفر نهر ذياب وتاريخ عز[...] ذلك التاريخ الكمل لتاريخ الجبرتي والمصـ[...] لمعلوماته .

● ثالثا : نشر القوانين العثمانية للبلادالعـ[...] مثل : قانون نامه مصر ، قانون نامه بغدا[...] قانون نامه طرابلس الغرب ، اقول ايضا في الصدد ان الحديث عن « اثقال العثمانيين » لل[...] « بالضرائب » لا ينبغي ان يكون قبل نشر القوانين ومتابعة تطبيقاتها من خلال الوثائق ففي نشر هذه القوانين القاء الضوء الساطع [...] يكشف التاريخ الاقتصادي العربي في العهـ[...] العثماني ، كما من شانه ان يحقق النتيـ[...] ذاتها بالنسبة لدقة العثمانيين في اهتمامهم با[...] العدالة وبالتقنين .

اقول ما دامت هذه الامور ما زالت مجهـ[...] فان اثارة دعوة تقييم « الحكم العثماني » وان تكون صعبة الى درجة يفطن اليها كل ادراك تاريخي ، بل وحتى المثقف العادي .

وما دمت ارى هذا ، فاني ارى ايضا ان[...] بالتالي ـ كخطوة اولى على درب دعوة الد[...] عبد الرحيم مصطفى من فتح ملف الدولةالعثـ[...] ـ الى فهم العثمانيين تشكيلا ونظما وحضارة [...] فهم طبيعة العثمانيين ، مراعين المدة الزمنية تحدث عنها الدكتور نور الدين حاطوم .

فلنر ماذا يقول الدكتور نور الدين حـ[...] عن الحضارة العثمانية .

طبيعة الدولة العثمانية

يقول الدكتور حاطوم : «ولكن ما هي الحا[...] التي كان عليها العثمانيون ايام الفتح ؟ لا وفاقد الشيء لا يعطيه . لم يكن للترك دين

ـارة خاصة . وكل ما عندهم لغتهم التركية خذوا عن العرب الدين الاسلامي والكتابة ؛ وتركوا العرب وشانهم بعد ان اتقلوهم ب من كل نوع وحكموهم حكما عسكريا » ي ، العدد ٢٣٥ ، ص ٥٧ / ١)

اناقش مسالة خصوصية الدين لقـوم ، د الترك الحروف العربية عن العرب ، ولا ضرائب ، فالضرائب في العهد العثماني شرعيا وعرفيا ، منها ما هو ثابت ومنها مؤقت ينتهي بزوال سببه (انظر فقـرة ن العثمانية من هذا المقال) ، (قارن بين الضريبي في الدولة المملوكية وتطبيقـاته ، وشدته في ابن اياس وغيره وبين النظـام ى العثماني وتطبيقاته في مصر في « قـانون ر » ، والعدالة العثمانية في البـكرى ـافي على سبيل المثال)

ك الحديث عن هذا ، فتلك مسائل طويلة نا مجالها ونقتصر على الحضارة العثمانية يام الفتح (بقصد الدكتور حاطوم الفتح ى للبلاد العربية)

قد لذلك حدا تاريخيا هو مقتل الغـورى ج دابق ثم دفن العثمانيين لراسه التي عليها عقب المعركة ـ امام حلب بنـاء على لحيم .

بيعة الدولة العثمانية ـ كما يعـرفها ين ـ « عسكرية ـ جهادية ، فقد بدات ثغر ثم تحولت الى سلطنة ثم الى خـلافة ة . لقد بدا التاريخ العثماني في الربع من القرن الثالث عشر الميلادى . كانت العالم كله وقتئذ رهبة وذعر من الامبراطورية ة التي اقامها جنكيز خان ، وكان هـذا ستولى على شمال الصين ثم بدا زحفـه ركستان . كلنا نعرف انه لم تكن هناك قوة آنذاك تستطيع الوقوف امـام جحـافل خان .

هؤلاء المغول على دين الشامانية . وكان تركستان اتراكا مسلمين في ذلك الوقت. سكن في منطقة جنوب صحراء قره قورم في الوسطى ما يقرب من ٧٠,٠٠٠ خيمـة يسكنها حوالي نصف مليون مسلم تركي . ذا الجمع البشرى عشيرة تسمى « قابي » كل هذه الكتل البشرية من مواطنها خـوفا من الزحف المغولي . وكذلك فعلت عشيرة «قابي» التي اتجهت نحو الاناضول . كانت عدتها ٤٠٠ خيمة يسكنها حـوالى ٤٠٠٠ شـخص . وفي الاناضول ساعدت هـذه العشـيرة السـلطان السلجوقي علاء الدين حاكم قونيه في احدى معاركه مع خوارزم شاه جلال الدين . فاقطع علاء الدين العشيرة قطعة صغيرة من الارض على حدوده مع بيزنطه (ثغر في الاصطلاح التاريخي الاسلامي) . وكان الرئيس الثالث لهذه العشيرة وهي في مكانها الجديد بآسيا الصغرى هو الامير فخر الدين عثمان الذى سميت الدولة العثمانية باسمه .

يقدر المؤرخون مساحة الثغر الذى اهـداه السلطان السلجوقي لعشيرة قابي بنحو يتراوح بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ كم تقع في ملتقى ولايات اسكيشهر مع ببله جك وكوتاهيه في تركيا اليوم.

وكانت امارة الثغر هذه بحكم الموقف التاريخي والموقع الجغرافي عسكرية ـ جهادية كما قلنا ، وعليه فقد استطاع الامير عثمان ان يوسع ثغرة على حساب القوى البيزنطية الى مساحة تقدر ب ١٦,٠٠٠ كم ، ولم يكن عثمان مستقلا ، فثغره تابع لقونية ، وقونيه كانت تابعة لتبريز ،وتبريز كانت تابعة لبكين حيث كان يحكم قوبيلاى خان حفيد جنكيزخان .

ثم تولى اورخان بن عثمان الذى ارسى دعائم حضارة عثمانية استمدت عناصرها من التـراث السلجوقي وحضارة السلاجقة ، والسلاجقة ، كما نعرف اتراك مسلمون . فتح اورخان ازنيق (كانت هذه المدينة قبـل ذلك مركزا علميـا مسيحيا يلي استـانبول ـ وكانت بيزنطيـة وقتها ـ مباشرة في المكانة الدينيـة والعلمية المسيحية) فانشا بها جامعة اسلامية كبيرة ،وفي عهده تم تكوين جيش نظامي لا عمل له الا الحرب وبدا الطرز المعمارى العثماني في الظهور وتم ترتيب الديوان الذى يساعد الحاكم في تصريف امـور الرعية (انظر لاروس ماده اورخان غـازى ، الطبعة التركية ـ ومحمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية) .

بعد اورخان تولى مراد الاول فاتح صـوفيا (عاصمة بلغاريا اليوم) فاعلنته الكنيسة « عدوا لعيسى » وعليه فقد اتحدت ضده كل الجيـوش الاوربية ، ومات مراد هذا في الحرب . وترك لابنه بايزيد امارة مساحتهـا ٥٠٠,٠٠٠ كم ٢

(انظر الموسوعة التركية ، مادة الامبراطورية العثمانية) .

بايزيد الصاعقة

قلت ان طبيعة امارة الثغر العثمانية عسكرية ـ جهادية « طورت مساحتها خلال ١٠٨ سنوات وفي عهد ٣ من امرائها من ١٠٠٠ كم ٢ الى ٥٠٠٫٠٠٠ كم ٢ . واقصد بذلك الدلالة على سرعة الانتشار مع الصمود في وجه اوربا المتحدة فيما سمي في الاصطلاح العثماني (خاجلي سفر لر) اي الحروب الصليبية .

الى ان جاء بايزيد الصاعقة الذي نعرفه نحن العرب باسم بايزيد الاول ـ وهو بايزيد الذي اسهب فيما بعد في وصف اهتمامه بالنظم العدلية وتطبيقاتها المؤرخ البكرى ـ واستطاع بايزيد عن طريق السلطان برقوق المملوكي ان يحصل من الخليفة العباسي في القاهرة على لقب سلطان فاصبحت الامارة العثمانية سلطنة رسميا ، وكان هذا كما يقول المؤرخ التركي شهاب الدين تكين داغ « تتويجا شرعيا لواقع العثمانيين » .

ثم جاء تيمورلنك وحارب بايزيد في واقعة انقره (٢٨ يوليو ١٤٠٢م) وهزم بايزيد بل واسر ثم مات في الاسر من اسر من اولاده وهرب من هرب ، ثم ادعى كل من اولاده السلطنة لنفسه وحارب كل منهم الاخر الى ان انتصر محمد جلبي (الاول) وبدأ يجمع شمل دولة انفرط عقدها واستقلت كل ادارة فيها عنها .

حارب محمد الاول الجميع وانتصر ، وبدأت عملية توحيد اجزاء السلطنة ، وما ان استغرقت هذه العملية قليلا حتى قامت ثورة الشيخ بدر الدين بن قاضي سماونه المشهورة ، وهي ثورة باطنية قامت بتأييد امير جنوب رومانيا المعادى للعثمانيين . وكان للشيخ بدر الدين مساعدان قويان احدهما مسلم وهو بيرقليجه مصطفى والآخر يهودى وهو طورلاق كمال . وكانت الثورة قوية حتى خيف على الدولة منها ، لكن محمدا انتصر ، وعادت الدولة العثمانية على مساحة تقدر بـ ٨٦٠٫٠٠٠كم٢ بعد أن لم تكن .

محمد الاول هذا يعرفه التاريخ العربي بانه اول سلطان عثماني يرسل الصرة الى الحجاز ، والصرة هدية نقدية سنوية اعتاد سلاطين آل عثمان ارسالها الى الحجاز لتوزع على اهالي مكة والمدينة .

ثم تولى مراد الثاني الذى حاصر بلغراد ستة اشهر كاملة (فتحها العثمانيون بعد ذلك عام ١٥٢١م) وبعده تولى محمد الثاني الذى نعرفه باسم الفاتح والذى بدأ به ـ في العرف التاريخي الدولي ـ العصر الحديث . ثم بايزيد الثاني ـ الذى كان معاصرا لمحنة المسلمين في الاندلس ـ ثم سليم الاول الفاتح العثماني للبلاد العربية ، والذى اصبح اول خليفة عثماني ، وبذلك اصبحت الدولة العثمانية خلافة وسلطنة .

وعندما مات سليم الاول بعد حكم قصير دام حوالى تسع سوات كانت مساحة دولة الخلافة العثمانية قد بلغت ٦٫٥٥٧٫٠٠٠ كم٢ موزعة كالآتي : في اوروبا ١٫٧٠٢٫٠٠٠ كم٢ ، وفي آسيا ١٫٩٠٥٫٠٠٠ كم٢ وفي افريقيا ٢٫٩٥٠٫٠٠٠ كم٢ (انظر تاريخ تركيا ، الجزء الخامس) .

وخطب لسليم الاول في جوامع دمشق والقاهرة باعتباره خليفة وضربت النقود باسمه باعتباره سلطانا . (انظر سليمنامه لر ومقالة شهاب الدين تكين داغ التي تحمل نفس الاسم) .

وتولى سليمان بن سليم المعروف بسليمان القانوني (لاحظ ما في اللقب من دلالة حضارية). وتعاقب من بعده السلاطين والخلفاء الى أن انتهت الدولة العثمانية وقامت على انقاضها دول عديدة منها : تركيا والبلاد العربية ودول البلقان والقرن الافريقي .

لقد قامت امارة الثغر العثمانية (المستقلة) عام ١٢٩٩ م وانتهت « السلطنة » عام ١٩٢٢ م ، وبدأت الخلافة العثمانية عام ١٥١٧ م وانتهت عام ١٩٢٤ م .

وهنا يعني ان العثمانيين استطاعوا ان يحافظوا على وجودهم طوال ستة قرون وربع قرن . فهل يعقل ان تحافظ دولة على كيانها كل هذه المدة اذا لم تكن ذات حضارة ؟ .

محمد الفاتح

قصور العثمانيين والاوروبيين

يقول المؤرخ الفرنسي رين جروسيه وهو واحد من اكبر مؤرخي آسيا ، في كتابه « وجه آسيا » الذي صدر في باريس عام ١٩٥٥ م : « ان عملية تصفية الامبراطورية الاسبانية بدات بموت فيليب الثاني عام ١٥٩٨ م ، وانتهت بمعاهدة اوترخ عام ١٧١٣ م اي خلال قرن من الزمان . اما تصفية الامبراطورية العثمـانية فقد بدات بمعاهدة كارلو فجه عام ١٦٩٩ م وانتهت عام ١٩٢٠ م اي خلال ٢٢٠ سنة » اي بعد قرنين وربع تقريبا .

ونشر لورد كيزوس في مجلة Books and Bookmen عـام ١٩٧٣ م ما ترجمتـه : « ان الامبراطورية العثمانية كانت في ضخامة الامبراطورية الرومانيه حيث كانت تساويها تقريبا من حيث المساحة ، لكن الامبراطورية العثمانية حافظت على وجودها في ضـعف المدة التي احتاجتهـا الامبراطورية الرومانية في هذا الشان » .

ناخذ قصر طوب قابو كمثال على قضية بذخ السلاطين العثمانيين ، فهذا القصر هو رمز الحكم العثماني ومركز حكم الامبراطورية العثمانية . والزائر له يدهش من بسـاطته فهو مقام على مساحة ٦٩٩،٠٠٠ م٢ (٠،٧ كم٢) وقد أسس ليسع ٤٠،٠٠٠ شخص بما في ذلك مدارس القصر السلطاني التي تعد العلماء والضباط والخبراء العسكريين وبعض فرق الجيش والحرم (والحرم يعني المحرم وهم ما لا ينبغي لاجنبي ان يراه اي زوجة السلطان وبناتـه حيث تقـوم الخادمات بخدمتهن ، اما الحريم كما تصوره المصـادر الاوروبية جيدة الخيال فلم يعرفه سلاطين هذه الدولة) . طوب قابي او طـوب قابو (ويكتب بالشكلين) ليس بمبنى فخم من قطعة واحدة كما هي القصور الملكيـة في اوربا ، لانه عبـارة عن اجنحة واروقة بسيطة احفل ما فيها مكتبة القصر المشهورة الاندوليا بمخطوطاتها العربية والفارسية النادرة القيمة . وليس في قصور العثمانيين ما يضارع قصر ملك اوربي في حينه ، وتواضع قصر يلديز امام قصر اي امير اوربي معاصر له ؛ له دلالته ايضا في هذا الامر .

جامعة لكبار الموظفين

ينقل الدكتور حاطـوم عن مولتكه ما نصـه (والنص للدكتور حاطوم) : « ان التركي الذي يعرف القراءة والكتابة يعتبر عالما ... حتى ان كبار الموظفين كانـوا يطلبون الى الآخـرين قراءة الرسائل الموجهة اليهم ... » (العربي عدد ٢٢٥ ص ٢/٥٧) .

هذا يدفعنا الى معرفة طريقة اعداد كبار موظفي الدولة العثمانية . قبل الفتح ، وليسـمح لي الدكتور حاطوم ان اضرب امثلة فيما بعد الفتح ايضا لان مولتكه (كونت فون مولتكه ١٨٠٠ ـ ١٨٩١) كان مستشارا عسكريا في استانبول من ١٨٣٥ م الى ١٨٣٩ م .

كان القصر الهمايونى (السلطاني) ينقسم الى ثلاثة اقسام : ١) الحرم : يعني عائلة السلطان وخادماتها وهو جزء مستقل . ٢) بيرون همايون ٣) اندرون همايون .

اندرون همايون ، عبارة عن جامعة خاصة داخل القصر ، ظلت اربعة قرون كمدرسة فنيـة تمد الدولة العثمانية بكبار الموظفين من العسـكريين ومدنيين ، بل حتى ما يسمى اليوم بالفنانين ، اذ كان بالقصر في وقت عمليـة تغريب الدولة مدرسة موسيقية كبيرة تضارع دور الكونسرفتوار في البلاد الاوربية اليوم نظاما ودراسة .

وفي هذه المدرسة (مدرسة في الاصطلاح العثماني تعني الجامعة ، بتعبير هذا الزمان) كان يؤتى بشبان اكثرهم من المدارس السـلطانية حيث يعدون اعدادا عسكريا تربويا مع منحهم رتبـة الضباط وبمرتب مجز . كانوا يدربون في القصر على ادارة الدولة من ناحية ويتلقون دراسـات خاصة في العلوم العسكرية والمواد العلمية والدينية ويتدربون على السباحة والرماية والفروسية . وكانت اللغة العربية في هذه المدرسة لغة اجبارية اذا رسب الطالب الضابط فيها يرسب تماما . اما اعلى مراحل هذه « المدرسة » تسمى (خاص اوده) يعني الغرفة الخاصة ولم يكن يقبل بهـا اكثر من (٤٠) طالبا فقط هم الصـفوة حيث يعدون للمناصب الاكبر في الدولة . مديرها ضابط رتبة وزير (مارشال) . وكان كل طالب من الغرفة الخاصة يتم تقديمه للسلطان شخصيا وظلت هذه « المدرسة » معمولا بهـا حتى عهـد السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٣ عندما تم تبني الطريقة الاوربية في اعداد الوزراء ، ومع ذلك فقد كان كل الضـباط الكبار والموظفين الكبـار [illegible] الدولة ، وحتى انهيار الدولة ، على درجة عالية

المعرفة والثقافة وكان فيهم كثرة ملحوظة من
ماء .

حمد جودت باشا (١٨٢٢م – ١٨٩٥م) وزير
ل وصاحب تاريخ جودت والتى اقترنت باسمه
جلة الاحكام العدلية » وهى معروفة في تاريخ
ريع الاسلامى . الغازى احمد مختار باشا
١٨٣م – ١٩١٩م) الذى عمل صدرا أعظم
وبا فوق العادة فى مصر عام ١٨٩٢ م صاحب
، رياض المختار ، مرآت الميقات والادوار الذى
فى مصر عام ١٨٨٦ م وكتاب اصلاحات تقويم
ايضا فيمصر عام ١٨٩٠ وسرائر القرآنالذى
ع ايضا فى مصر عام ١٨٩٠ وسرائر القرآن الذى
التونسي (١٨٢١ م) ذلك العبد الرقيق الذى
ح الصدر الاعظم في عهد السلطان عبد الحميد
ى عام ١٨٧٨ م وصاحب « أقوم المسالك في
ة احوال المماليك » واسماعيل باشا (وفاته
١٩٢٠ م) صاحب الذيل على كشف الظنون
ى سماه « ايضاح المكنون فى ذيل كشف
ون » .

فوق ١٢ الف جمل

ما ان الدولة العثمانية دولة « عسكرية –
ية » فلا بد ان يبدأ حديثنا فى هذه النقطة
انب العسكرى .

نى عام ١٧٠٠ م ، كانت المدفعية العثمانية
، مدفعية فى العالم . فقد كان اعداد المدفعيين
باعداد متين الجذور . فى عهد الفاتح (١٤٣٢
١٤٨ م) كانت الطوبخانة المتحركة (يعنى
ع المدافع المتحرك) تنقل على ١٢٫٠٠٠ جمل
رك من استانبول حتى البانيا ، ثم تقف امام
ة مثل اشقودرة لكى تصب مدافع الحصار
له . ومدافع فتح القسطنطينية لا تحتاج
الحديث عنها كتكنولوجيا متقدمة فى ذلك
ت . وكان هذا فى القرن الخامس عشر .

ا مدافع الهاون فقد استخدمت لاول مرة فى
يخ فى عهد الفاتح ايضا .

كان السلطان سليم الاول ، هو اول من
خدام المدافع غير ثابتة الاتجاه والتى يمكن
لها بيسر . وكان ذلك في اوائل القرنالسادس
الميلادى مظهرا لدقة الاختراع العلمى والقدرة
استخدام التكنولوجيا الحديثة – بالنسبة
– وكانت القوات العثمانية قد انتصرت على
القوات المملوكية في معركة الريدانية ، وهزمت
المدفعيةالمملوكية الثقيلةالثابتة الاتجاه والوضع.
كان لدى القوات المملوكية المدافع الضخمة التى
كان يستخدمها بجانب المماليك خبراء جاءوا
خصيصا لذلك من أوربا . وهذا ثابت فى
سليمنامه لر .

اما عن الاسطول العثمانى ، فقد كان حتى عام
١٨٦٨ م هو الاسطول الثالث فى العالم قوة بعد
الاسطولين الانكليزى ثم الفرنسي . وتشهد ترسانة
السويس على دقة التنظيم العثمانى فيتنظيم اعداد
الاسطول وسرعة تحركه من السويس الى مختلف
الاماكن خاصة ما تحدثنا به وثيقة هى فرمان لوالى
مصر بسرعة ارسال الاسطول لانقاذ « الاهالى
المسلمين » فى « البحرين » الواقعة فى بصره
كورفزى (خليج البصرة – الخليج العربى) عام
٩٨١هـ ١٥ جمادى الآخر من « الكفار » اى
البرتغاليين الذين عاثوا فسادا هناك (انظر : دار
محفوظات رئاسة الوزراء ، ديوان همايون مهمة
دفترى رقم ٢٣ ص ٦٤ حكم ١٣٤ وجنكيزاورخونلو
حبش ايالة) .

بمناسبة التنظيم الحضارى العثمانى يقول
الجنرال النمسوى كونت فارسكلى وهو القائد
الذى امضى حياته كلها فى محاربة العثمانيين .
يقول عن التنظيم العثمانى ما يلى : « وصل
التنظيم الاقتصادى العثمانىالى درجة عالية بحيث
لم يكن يعادلها نظير فى الحكومات المسيحية . من
الممكن ايجاد موانع شتى فى القوانين العثمانية
والنظمالاقتصادية التركية تمنع الاستغلال وتشجب
كافة المساوىء » .

وعن دقة تنظيم الطرق البرية العثمانية ووفرة
الخدمات بها يثنى هذا القائد على العثمانيين ،
كما يمضي قائلا : « من اسباب القدرة على الحركة
العسكرية الموفقة للجيش العثمانى هو جودة
الاطعمة والعناية بالحيوانات،وهذهكلها اكثر دقة
مما هى عليها عندنا ، واكثر جودة في التنظيم .. »

واذكر هنا الاستحكامات العسكرية وبراعة
العثمانيين فيها ، وقد بلغت متانتها ان الثوار
ما زالوا يستخدمونالاستحكامات والقلاع العثمانية
الموجودة في اوجادين فى حربهم ضد اليوبيا .
وهذه متبقية من العهد العثمانى بالصومال .

وفى الجغرافيا العثمانية : اذكر بيرى رئيس
القائد البحرى العثمانى الذى ظهر فى اوائل القرن
السادس عشر كمثال للجغرافية فى الحضارة

الحريم كما تصوره المصادر الاوروبية جيدة

العثمانية. وقد كتب بيري رئيس عن كروية الارض قبل رحلة ماجلان . ورسم خرائط لامريكا مع سواحل غرب افريقيا . رسم خرائط لشمال افريقية وسواحل البحر المتوسط الاخرى ، واتم ذلك بدقة قال عنها لاروش الفرنسي في كتاب له صدر عام ١٩٦٢م : ان هذا امر يعلو ويفوق كثيرا على علم الجغرافيا في ذلك القرن وعلى علم الجغرافيا لدى الغربيين » .

في كتاب Chariots of the god للمؤلف Erich Von Daniken حديث شيق عن خرائط القائد البحري العثماني بيري رئيس : « سلمت خرائط بيري رئيس في السنه الجيوفيزيقية ١٩٥٧ الى الراهب الجزويتي لينهام المشرف على دار الارصاد في ويستون ورسام الخرائط في اسطول الولايات المتحدة الامريكية . وقام لينهام بدراسات دقيقة لهذه الخرائط ثم اعلن إنه وجدها صحيحة بدرجة مذهلة للعقل ، خاصة انها تظهر بوضوح اماكن لم تكن قد اكتشفت حتى تلك الايام . اما الجانب المذهل في هذا الموضوع هو ظهور جبال انتاركتيكا التي تظهر بكل تفصيل في هذه الخرائط ، ذلك لان هذه الجبال لم يمكن اكتشافها الا بالاجهزة العاكسة للصوت عام ١٩٥٢ . قبل ذلك لم يكن احد يعرف انها موجودة وكانت انتاركتيكا مغطاة بالثلوج طوال عصور التاريخ » . ملحوظة : انتاركتيكا هي القارة السادسه التي تقع في نصف الكرة الارضية الجنوبي ومساحتها (١٤٠١٠٧٦٣٧ كم٢) .

نفس الكتاب يستطرد في الحديث عن الموضوع ذاته فيقول : « قدمت لنا الدراسات الاخيرة عن خرائط بيري رئيس التي قام بها البروفيسور تشارلز هـ . هابكود وعالم الرياضيات و . استراشان ، معلومات رائعة تحبس الانفاس : بمقارنة صور الارض التي تم التقاطها من مركبات الفضاء ، وبالخرائط التي رسمها بيري رئيس في البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح ان بين الاثنتين تشابها مذهلا . لقد توصل رجال العلم الى نفس نتائج صور اصول هذه الخرائط التي التقطت من ذلك الارتفاع الشاهق » .

وعلاج الامراض بالموسيقى

اما في ساحة العلوم : فتشهد كتب شرف الدين الصابونجي الاماسي وهو جراح عثماني عاش في عهد الفاتح بعلو مركزه في دراسة الادوات الجراحية. ولدينا داود الانطاكي بدراساته في المخ ، واخي جلبي وابحاثه في المسالك البولية ، وعياشلي شعبان افندي (افندي كانت تطلق على العلميين) بدراساته في امراض النساء والولادة والاطفال . وانشاء المجمع الطبي العثماني في القرن الخامس عشر الميلادي دليل على اهتمام الحضارة العثمانية بالعلوم . وفي هذا القرن ايضا يخصص العالم العثماني مؤمن السينوبي في كتابه في الطب ٢٥ بابا للامراض العقلية والنفسية والعصبية ، بل خصص العثمانيون مستشفيات خاصة لهذه الامراض ، في الوقت الذي كانت اوربا فيه تحرق المريض عقليا او نفسيا او عصبيا ، ذلك الاحراق الذي استمر حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، وذلك بحجة اخراج الشيطان من جسم المريض .

في ذلك الوقت ايضا استخدم الطبيب العثماني الموسيقى لمعالجة الامراض . ان علاج المريض عقليا او انفسيا او عصبيا بالموسيقى لم يبدأ حتى في الولايات المتحدة الامريكية الا عام ١٩٥٦ م .

يقول الدكتور Kraft-Ebing في كتابه Traite clinique de psychiatrie (باريس ١٨٩٧) : « ان اوروبا قد تعلمت من العثمانيين معالجة المصابين بالامراض العقلية ».

ان اول كلية للطب عند العثمانيين قامت في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، قبل عهد النهضة العثمانية في عهد الفاتح بكثير ، وسموها بل اطلقوا عليها لفظة « دار الطب » .

وعن الخدمات الاجماعية كمظهر حضاري في الدولة العثمانية نقول ان الدولة لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية بل كانت تدخل في اختصاص الوقف وكان ركنا اساسيا في اقتصاد الدوله العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية في جوامع استانبول (الجامع في النظام العثماني معماريا واداريا وحدة دينية وعلمية متكاملة فيها الجامع والمدرسة والمدارس الاقل من المدرسة الجامعة ــ والمكتبة ومدينة الطلاب والمطعم الخاص بهم والمطعم الخيري العام والحمام ومدرسة الطب والمستشفى ..) كان صقوللي محمد باشا ــ على سبيل المثال ــ ينفق على الحركة العلمية استانبول من دخل وقف ٢٠٠٠ قرية عثمانية تشيكوسلوفاكيا (وكانت تابعة للدولة العثمانية) واسعد افندى قاضي عسكر الروملي (به

ن) اوقف وقفين كبيرين على تجهيز الفتيات
ات اللاتي يصلن الى سن الزواج . وكان
العثمانيين اوقات كثيرة ومتعددة . مثال آخر
هناك اوقاف خاصة بصرف مرتبات للعائلات
ة ــ غير الاكل ــ لان للاكل المجانى اوقافا عامة
، تسمى (عمارت وقفى) اى وقف المطاعم
ة . وكانت الـ (عمارت) تقدم اكلا مجانيا
بلغ ....٣٠ شخص يوميا مجانا ، كان مثل
، كل الولايات .

مارت) السليمانية اى المطعم الخيري الملحق
، السليمانية . بلغت ميزانيته عام ١٥٨٦ م
ادل (١٠) عشرة ملايين دولار امريكي الا
(ماتعادل ٢٣٨ مليون ليرة تركية) . انوقفية
يمانية دليل على عظمة حضارة العثمانيين .
الطبع كان رصف الطرق و (كروان سرايي)
لفنادق المقامة على الطرق البرية في كل ارجاء
اطورية العثمانية بما في ذلك المأكل والمشرب
ب كان مجانا يصرف عليه من الاوقاف .
ك لمحة عن الحضارة العثمانية حتى أيام الفتح
اني للشام تعني من عام ١٢٩٩ م الى عام
١ م . مع امثلة طفيفة عامة . وحيث ان
ور نور الدين حاطوم قد اراد الوقوف عند
الحد عندما ذكر .. ايام الفتح « فسأقف عند
الحد ولا اتجاوزه . وان كان لي تعليق طفيف
.

عن نقل الفنيين المصريين

د ذلك ــ اى بعد الفتح ــ سيطر الفكر العربي
مسار الدولة العثمانية . اصبحت استانبول
ركز الثقل في الدولة بشكلها الجديد فانتقلت
د الفتح ــ مجموعات من العلماء والمتخصصين
بلدان المختلفة الى استانبول .

د ان يخطر ببال القارئ ان سليما الاول نقل
ين المصريين والبنائين المصريين اصحاب
ه الى استانبول للافادة منهم . وكتب التراجم
ابه ــ بعد الفتح ــ لاتخلو من القاب :
ي ، المصرى ، اليمني ، الازهرى ، المكي
بي ، المدني الى آخره .

جع لفكرة العاصمة . اننا نلاحظ ان الذين
ن في انفسهم قدرة تميزهم عن الاخرين
ون الى العاصمة لابراز مواهبهم . من رابغ
مكة ومن الاسكندرية الى القاهرة ومن وهران
الجزائر العاصمة ، بل اننا نجد اليوم من
يهاجر من بيروت او دمشق او حلب الى القاهرة
لابراز موهبة قد يتصورها او هي بالفعل موجودة
فيه . نفس هذا حدث عند انتقال مركز الثقل
من دمشق ومن القاهرة الى استانبول منذ عهد
سليم الاول .

ورغم ذلك ، فان اسماء عربية كثيرة سيطرت
على مقدرات الدولة العثمانية وليس فقط في
امورها العادية . اقرب مثال لذلك محمود شوكت
باشا العراقي البغدادى الذى تحرك على رأس
جيش الحركة من سالونيك قائدا لجيش ضم
مصطفى كمال (اتاتورك) ليخلع ويعزل السلطان
الخليفة التركي العثماني عبد الحميد الثاني من
على العرش وبذلك افسح الطريق لرجال الاتحاد
والترقى لحكم الدولة العثمانية .

سيطرة العربية على الثقافة

كان للعثمانيين من الثقافة الراقية والادب الاخاذ
ما جعل الترجمة منها الى اللغات الاوروبية
ملحوظة . (انظر تاريخ الادب التركي للدكتور
حسين مجيب المصرى ، القاهره ١٩٥٦) وكانت
اللغة العربية سواء قبل الفتح العثماني للبلاد
العربية او بعده هي لغة الثقافة والادب والعلوم
عند العثمانيين . كتبوا بها كل شيء من كتب الفقه
او الفتاوى او الدين ، اصطلاحات العلوم
العثمانية كانت كلها عربية . كما كتبوا بها التراجم
مثل الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده ، وكتبوا
بها التاريخ مثل جامع الدول لمنجم باشي
احمد دده وتاريخ (العلم الزاخر في علوم الاوائل
والاواخر) للعالم التركي جنابي ، وكتبوا بها
المقامات مثل مقامات عيدى .

وقد قرر العثمانيون اللغة العربية لغة اولى
في جميع المعاهد التعليمية من اولها الى آخرها
ودرسوا بها كافة العلوم . اهمل الاتراك العثمانيون
لغتهم التركية ، والفوا الكتب المدرسية وغير
المدرسية بما في ذلك صرف ونحو اللغة العربية ــ
بالعربية وكتبوا بها الرسائل . (انظر فهارس
مخطوطات السليمانية) . واشتقوا من العربية
اصطلاحات علمية كثيرة في حين اننا الان نشتق
هذه المصطلحات من اوربا .

الغريب في الامر ، ان حركة تنقية اللغة التركية
من الكلمات والمصطلحات العربية ، وقد بدأت
عقب الحركة الكمالية ، تنشط هذه الايام . ان

حديث المعاصرين الاتراك عن (العمل على التخلص من سيطرة اللغة العربية على اللغة التركيـة) لا يخلو منه حديث في الاذاعة ولا كتب اللغـة التركية في المدارس . الاتراك المحدثون يتهمون العثمانيين ويتهمون الدولة العثمانية بأنها اهملت (لغتنا التركية الجميلة على حساب اللغة العربية) وبان العثمانيين اسهموا في اثراء الثقافة العربية وكان (الاولى ان يهتموا بتطوير ثقافتنا التركية) وبين الاتراك الان تدور مناقشات وتصدر كتب ما بين مدافع عن تاثير اللغة العربية والثقافة العربية في اللغة التركية وآدابها وبين مهاجـم وينادي بان ينتبه الاتراك الى لغتهم الذاتية . ويعملوا على كسب اشتقاقات جديدة لها مـن اصول قديمة ونبذ ما في التركية مـن لفـظ ومصطلح عربي ، وفارسي . (لاحـظ جهـود المجمع اللغوي التركي الذى اقيم خصيصا لهـذا الغرض) .

العرب والمسلمون والعثمانيون

حتى في وقت انهيار الدولة العثمانية كان العالم العربي والعالم الاسلامي متعاطفا مـع العثمانيين . اطلقوا اسماء ابطالهم على اطفالهم. عبد الحميد نسبة الى السلطان عبد الحميـد الثاني ، عثمان نسبة الى الغازي عثمان باشـا بطل بلونه ، انور نسبة الى انور باشا احـد اعمدة الاتحاد والترقي وكذلك طلعت وزير داخلية الاتحاد والترقي والصدر الاعظم .

وفي حرب الاستقلال التركية :

١ ـ قام عثمان خوجة رئيس جمهورية بخارى في تركستان الشرقية عام ١٩١٨ بجمع اعانـة للشعب التركي من شعب تركستان الشرقيـة بلغت خمسة ملايين جنيه ذهبا (= مائة مليون روبل) صادر منها لينين عشرة ملايين وتم ارسال التسعين مليونا الباقية الى انقرة .

٢ ـ وارسلت الهند الى انقرة اعانة ماليـة قدرها نصف مليون جنيه ذهبا .

٣ ـ وارسلت مصر الى انقرة ـ في عهـد الخديوى عباس حلمى الثانى ....د..٩٠ جنيـه ذهبا

وكان ذلك تعاطفا مع دولة عريقة ذات حضارة راقية خدمت التراث الانساني والاسلامي وصانت البلاد العربية من اخطار فادحة .

اود ان اضيف الى دعوة الدكتور احمـد عبد الرحيم مصطفى الى اعادة « تقييم » الحكم العثماني في البلاد العربية الى فهـم طبيعـة العثمانيين كدولة والى معرفة حضارة العثمانيين وتشريعاتهم في البلاد العربية ، والقيام ـ ان امكن عالميا ـ بنشر الوثائق العثمانية والمخطوطات العثمانية عن العهد العثماني في البلاد العربية ، وبعدها ستكون دعوة الدكتور عبد الرحيم مصطفى امرا علميا بالغ الخطورة ، ضروريا حتى لفهم انفسنا وجذور مشاكلنا المعاصرة . ●●

استانبول ـ محمد حرب عبد الحميد

ان « العربي » تضيف الدعوة الى « فتح ملف الامبراطورية العثمانية » الى دعواتها السابقة الى طرح القضايا الفكرية التى يجب مناقشتها خصوصا مايتعلق بالشعب العربي والتاريخ الاسلامي .

ونحن ندعو الى المزيد . وفي هذا المجال لم يجب الاستاذ الكاتب عن اسئلة جوهرية يطرحها المثقف المعاصر عن الدولة العثمانية ، مثل : الـى اى حد اخـذت الامبراطورية العثمانيـة بالقيم والمثل الاسلامية في سياساتها نحو الرعية . والى اى حد عاملت المسلمين كشعب واحد خلافته في القسطنطينية ، او كشعوب محتلة بواسطة امبراطورية قومية .

وما هو الرد على من يقولون ان الامبراطورية العثمانية اعطت العلم « قوة » ولكنها لم تقدم فكرا ولا فقها ولا اجتهادا ولا فنا بمعناه الواسع . وماذا كان حظ اللغة العربية في ظل الحكم ؟

بقلم : الدكتور علي الراعى

**يبرز من بين كتاب المسرح المغربي منذالسبعينات الكاتب الشاب : عبد الكريم
شيد .**

**وعبد الكـريم نموذج طيب للكـاتبالمسرحي العـربي المسـتطلع ، ففي
رحياته وفى افكـاره عن المسرح وفىممارساته الفنية المتعلقة بهذا الفنتتردد
اء والمواقف ذاتها التي اصبحت تميزغيره من شـباب المسرح فى المغـرب
ارجهـا منذ بداية الستينات حتىالآن .**

اخذ برشيد يلفت اليه الانظار حين قـدم
يته : « عنترة فىالمرايا المتكسرة » عام ١٩٧٠،
جتها له الفرقة الوطنية المغربية المسماة
مورة » عام ١٩٧٤ ، وفيها يعالج الكاتب آثار
بة التى حلت بالوطن العربي عام ١٩٦٧ .
نب مسرحية طلائعية بعنوان : « عطيـل
ـل والبارود » التي قدمت فى « مهرجان
. » للمسرح ، واحدث ظهورها للناس ضجة
ة بين النقاد والمهتمين بالمسرح ، وفيها ينظر
د الى مسرحية شكسبير نظرة انسان عربي
، ويعكس فيها قضايا وهموم ذلك الانسان.
استمر عرض هذه المسرحية عامين .
كتب عبد الكريم برشيد مسرحية هامة اخرى
« قراقوش الكبير » ، وفيها يصور التناقض
يقع فى برائنه المثقف العربي المعاصر الذى
ه تيارات متعارضة . فهو يتطلع الى الحكم
تارة ، ويلتفت الى واجبه حيال الشعب تارة
اخـرى ، فيتوزع انتباهه بين صالحه الخاص
وواجبه ازاء الشعب الذى نبت من صفوفه .

وقد احدثت المسرحية ضجة كبيرة فى المغرب ،
وفى دمشق عام١٩٧٧ حيث عرضت فى اطار المهرجان
السابع للفنون المسرحية الذى يقام فى العاصمة
السورية كل عام .

ويصف عبد الكريم برشيد قصـده الفني فى
اثنتين من المسرحيات سالفة الذكر ، فيقول فىحوار
اجراه معه الكاتب امين جيـاد ، ونشرته مجلة
« الاقلام » العراقية فى عدد نوفمبر ١٩٧٧ :

« لقد وظفت القراقوز فى مسرحية قراقوش ،
التي تتحرك كل شخصياتها وفق عقلية لا منطقية .
كما ان الاحداث فيها تتطور بشكل لا منطقي ،
تماما كما يحدث فى فن القراقوز .

« ومن ناحية اخرى فان مسرحية : « عنتره فى

المرايا المتكسرة » تعتمد على نوع من الاحتفالات الشعبية التي عرفتها الاسواق العربية منذ اقدم العصور . فهناك شخصية الراوى الذى يقدم العنترية ، والذى يحكى قصته عبر العديد من الليالي الطويلة ، ويحرص على ان يوفر لحكايته عنصر التشويق ، فيقف عند اللحظات الحرجة ، كما هو الشأن في المسلسلات الاذاعية والتليفزيونية » . ومن خلال هذا الشكل التراثي يسعى برشيد الى تصوير الواقع العربي الباحث عن العظمة في الماضي لانه يفتقدها في الحاضر !

واستخدم برشيد شكلا تراثيا آخر من تراث المسرح في المغرب وهو ما يعرف باحتفال سلطان الطلبة . وهو احتفال قديم ، قام في البلاد حين شارك طلبة جامعة القرويين في القضاء على دولة ابن مشعل ، منذ ثلاثة قرون ، فتقرر مؤسس الدولة العلوية التي آل اليها حكم البلاد ، مكافاة الطلبة على اسهامهم في تحقيق النصر على ابن مشعل ، فامر بان يمنح طلبة جامعة القرويين سبعة ايام من الحكم كل عام ، ينتخبون فيها من بينهم ملكا،ويختار هذا وزراءه وحجابهوحاشيته، وبهذا قام في مدينة فاس نوع من التمثيل الشوارعي ، يجاوز صفوف « الممثلين » من الطلبة ليشمل سائر سكان المدينة ، الذين يشاركون في موكب الطالب ـ الملك بالتهليل والتصفيق .

ثم تنتهي الايام السبعة ، فيتبع الملك الطالب احد تقاليد الاحتفال العريقة ، بان يفر في نهاية اليوم السابع ، فاذا لم يفعل ، واستمرأ الملك ، قام الطلبة انفسهم بالقائه في النهر ليتاكد من زوال ملكه .

وقد استخدم برشيد هذا الشكل المسرحي الطريف في مسرحية له بعنوان : « السرجان والميزان » ، وفيها ينظر الى الحكم كلعبة في مدينة لا تعرف الفوارق الطبقية . ومن ثم لا يظهر فيها حكام ولا حراس . غير ان اللعبة لا تلبث ان تنتهي بان يتشبث الممثلون بالادوار التي قاموا بها ، فيصر الملك على ملكه والوزير على وزارته ، والجلاد على سيفه المسلول !

ومن مسرحية : « الحسين يموت مرتين » ، افاد برشيد من نوع آخر من « التمثيل » الشوارعي ، وهو الذى يقدم خلال الاحتفال الشعبي الكبير بمقتل الحسين ، وفيه يعاد تمثيل المعركة التي قامت بين رجال يزيد بن معاوية وبين الحسين وانصاره ، والتي استشهد فيها ابن بنت النبي ، دفاعا عن رايه وفكره ، في وجه قوة اكبر منه عدة وعتادا . وكان هذا الاحتفال يقام الى عهد قريب ويشترك فيه الشعب اشتراكا فعالا ، بالتمثيل وضرب الجسد وتعذيبه بشتى الطرق ، تكفيرا عن ذنب مقتل الحسين .

وبرشيد يرى تشابها بين هذه الاحتفالات الدينية وبين مسرحيات الالام المسيحية ، التي كانت تصور عذابات المسيح على الصليب في القرون الوسطى ، وهو لهذا يعتبرها ارهاصا لمسرح عربي يقوم على اساس واثق من معرفة التراث والافادة به .

الجمع بين النظرية والتطبيق

ليس فيما تقدم من آراء شيء جديد خاص بالكاتب المغربي الشاب ، فالآراء والافكار التي يرددها في حواره مع مجلة « الاقلام » قد ظلت تشغل بال الكتاب وفناني المسرح ودارسيه منذ اوائل الستينات . اى قبل ظهور برشيد بعشرة اعوام او نحو ذلك . انما الجديد ان الكاتب ينتقل من مرحلة اعتناق هذه الآراء الى كتابة مسرحيات متوالية تعد تطبيقات لها بحيث لا يترك الكاتب شكلا مسرحيا موروثا الا واستخدمه . وبهذا يجمع برشيد بين النظرية والتطبيق ، كما سبق وجمع بين الاخراج للمسرح والكتابة له . ذلك انه بدا نشاطه الفني مخرجا ، وكان اذ ذاك يعمل بالتدريس في مدينة « الخميسات » حيث كون فرقة مسرحية من الطلبة اخرج من خلالها ـ ضمن مسرحيات اخرى ـ مسرحيتي : « حكاية جوقة التمثيل » للكاتب السورى سعد الله ونوس ، و : « مسافر ليل » لكاتب المسرح الشعرى المصرى : صلاح عبد الصبور .

ورغم اطلاع عبد الكريم برشيد على بعض النتاج المسرحي الذى خرج في المشرق فانه يعترف في حواره مع مجلة « الاقلام » بان هذا الاطلاع قد كان محددا للغاية ، ويأسف لان هذا هو حاله . ثم يقول : انه قرأ توفيق الحكيم ، فوجد مسرحياته ذهنية ، خالية من البناء الدرامي ، ثم يمضي من هذا الحكم المتعجل الى ايراد قائمة بقراءاته في حقل المسرح العالمي فاذا بها تبدأ باليونان وتنتهي الى مسرح اللا معقول ، غير مغفلة مسرح القسوة الذى يدعو اليه البولندى جروتوسكى !

وغريب ان يدعو برشيد بكل هذا الاصرار والمثابرة الى الافادة من الاشكال المسرحية العربية

المتوارثة ، ويستخدمها بالفعل قاعدة وقالبا لمسرحياته ، ثم يهمل الاطلاع على المسرحيات الكثيرة العدد التي خرجت في المشرق ، ما بين مسرحيات وضعت في القالب الافريقي واخرى اتجهت الى التجريب على نطاق واسع ، مثل تجارب سعد الله ونوس في سوريا ، والفريد فرج ومحمود دياب ونجيبسرور في مصر ، ومثل كتابات يوسف العاني وقاسم محمد في العراق ، ومسرحيات عز الدين المدني في تونس .

واحسن الظن بالكاتب الشاب فاقول ، انه ربما لم تتح له فرصة الاطلاع على نصوص المشرق هذه ، بالنظر الى ان الطريق الى فرنسا واوروبا عامة اقصر لدى فناني الشمال الافريقي من الطريق الى مصر ، وسوريا ، والعراق ، ودول الخليج . فلعل برشيد هو ايضا واحد من ضحايا التجزئة الثقافية التي تقوم الآن رغم انوفنا جميعا ، ورغم الاستقلال الوطني ، وزوال شبح الاستعمار الكئيب عن معظم اجزاء وطننا العربي . اقول هذا ، وارجو ان لا يكون برشيد قد وقع في مطب يقع فيه امثاله من الشباب المسرحي المتحمس فيقولون — كما قال هو بالفعل — ان مسرح توفيق الحكيم ليس مسرحا ، ويمضون من هذا الى الزعم بان ما كتب قبل ظهورهم لم يكن مسرحا على الاطلاق . مثلما حدث في حالات بعينهما في كل من تونس ولبنان . في الاولى رفضت جماعة مسرحية متحمسة من بين شباب تونس اعتبار كل ما سبق اخراجهم مسرحية قدموها بعنوان « التحقيق » مسرحا على الاطلاق . وفي الحالة الثانية قال غسان سلامه في كتابه : « المسرح السياسي في لبنان » ان كل ما كتب في لبنان قبل الستينات لا هو مسرح ولا هو فن :

الناس والحجارة

فيما عدا ما كتب عن مسرحيات عبد الكريم برشيد في «الاقلام» وفي مجلة : «حياتنا المسرحية» التي تصدر فصلية في دمشق ، لم يتح لي حتى الآن ان اعرف الكثير عن هذا الكاتب الشاب ولم اتمكن من الاطلاع على اي من مسرحياته التي ورد ذكرها آنفا ، باستثناء واحدة ، عرضها علي ممثل مغربي رقيق قابلته في مهرجان الحمامات الصيف الماضي — ودفع الي بالمسرحية طالبا رأيي فيها ، ونصيحتي له فيما يتعلق بامكان تقديمها على المسرح . اما هذه المسرحية فاسمها : « الناس والحجارة » . وقد قراتها فاعجبت بها اعجابا غير قليل ، وقلت للممثل الشاب ان هذا لون مجهد من الوان الفن المسرحي ، سيكلفه القصى ما عنده من طاقة للتمثيل . فاجاب الممثل المغربي انه يدرك ما تحمله المسرحية من تحد ، وهو قد قبل التحدي !

وجميع احداث مسرحية : « الناس والحجارة » تدور في وهم سجين ، اعتقل انفراديا بين اربعة جدران ، فناضل في جلد وبسالة يرد عن نفسه اذى الوحدة القاتلة التي فرضت عليه .

نظر السجين الى رشح في الحائط فتامله واذا به يتخذ صورة قرد ، ما لبث ان ظهرت له عينان وشعر واقدام واصابع فوجد فيه السجين طلبته . قرر ان يمنحه الحياة وان يتخذه رفيقا في كل مغامراته في عالم الوهم . مغامرات تستهدف كلها ان تصل ما بين السجين والناس . ان تكسر الحائط الصلد الذي اجبر على ان يعيش وراءه .

ان السجين يحطم هذا الحائط مرات متعاقبة عن طريق الخيال يتخيل مرة انه استقل مركبا هو وصديقه القرد ، واخذ يجدف حتى وصل الى ارض يقول عنها مملكة النور ، حيث يتقدم ليعرض على الناس حبه وصداقته . ولكن الرجل الذي يتقدم منه في احدى بنايات المدينة يسيء معاملته ، ويغمره بالشكوك ، ويرفض حبه هذا الذي يعرضه عليه بعد ان يفسر هذا الحب تفسيرا شاذا ومسيئا ، ثم ينتهي اللقاء بين الاثنين ، بان يطلب الرجل الى السجين ان يذهب الى جهة الاختصاص ، وهي دائرة تقع في الطابق الخامس ، حيث يجلس رجل في الحجرة الخامسة ، وسوف يدله عليه الحاجب الخامس . هذه هي دائرة الاختصاص ، فان الحب الذي يعرضه السجين هو علاقة خاصة ، يرعاها مكتب العلاقات الخاصة ، اما المكتب الذي هو فيه الآن فهو مكتب العلاقات العامة !

ويروح السجين ومعه صاحبه القرد الى مكتب العلاقات الخاصة ، فينهال عليه المختص بالاسئله ، عن اسمه ولقبه وجنسه ، وعنوانه ، وحالته الاجتماعية وانتمائه السياسي والعقائدي والديني ، والرقم المالي ورقم الدار ، ورقم الهاتف ورقم السيارة ، ويطلب ايضا ان يقدم شهادة حسن سير وسلوك . وحين يحتج السجين بانه ليس في امكان احد ان يزعم ان الناس مراتب ودرجات

وسلالم وسلالات وانواع وقبائل ، او ان يحرم الزيارات واللقاءات والتجمعات والتظاهرات والاعراس والمواسم ، يقول له المختص ان الذى يحرم هذا كله هو مختص آخر من المكتب العاشر فى الطابق العاشر ، وهو المختص العاشر .

اذ ذاك لا يتمالك السجين نفسه ، فيهجم على الاوراق الصفراء والحمراء والخضراء والبيضاء ، وكل التقارير والصور واللوائح والشهادات التي يزدحم بها المكتب ويمزقها اربا ليحطم سجون الورق التي تحبس الناس عن الناس .

ويفزع المختص ايما فزع ، فينادى الحاجب ليدفع عنه شر هذا المجنون ، ولا يلبث الناس ان يتجمعوا لكي يقذفوا به فى الشارع . وعبثا يصرخ السجين بانه انما يفعل هذا من اجلهم : لانهم ناس وليسوا دمى او حجارة .

وتتكرر من بعد هذه اللقاءات الوهمية بين السجين وبين الناس . يستدعي المدينة اليه ذات مرة لتوافيه فى السجن ، ما دام قد تعذر عليه الذهاب اليها . ويأتي الناس بالفعل ، ويريد السجين ان يتحبب اليهم فيمثل هو وقرده دور القراد والقرد ، ويامر القرد بأن يقوم بالعابه المختلفة ، فيهش الناس ويبشون ، ثم ينصرفون من بعد ، وقد ترك كل منهم قطعة نقود ، ورفض حب السجين وقرده . ويابى السجين قبول هذه القطع المعدنية الباردة ، فانه انما يعطي الفرح ولا يبيعه ، وقد كان قصده ان يقدم الفرح للناس حتى يقول من بعد ما هو اهم . ولكن يتبين الآن ان ما يريد قوله لا يعني احدا من الناس ..

ويقرر السجين من فرط الياس ـ ان يقتل عقله . ان يجن، فان الجنون حرية والعقل اعتقال، غير ان الاطفال يرمونه بالحجارة، والكبار يفزعون منه . فانهم لا يكلمون المجانين الا اذا كانت الاغلال فى ايديهم .

ولا يبقى للسجين الا ان يستحضر القاضي ، الذى انيط به اصدار الحكم عليه . لقد اختفى هذا القاضي منذ سنوات بعد ان تغيب عن جلسة النطق بالحكم وقرر السجين اذ ذاك انه لا بد قد ذهب ليحضر ولادة ابنه ، فان امرأته كانت حاملا على وشك الوضع .

والآن وقد مرت كل هذه السنين ، فلا بد ان الولد الذى ولدته زوجة القاضي قد شب وكبر واصبح اهلا للزواج . والآن فلينتظر السجين حتى يتم الزواج وليستدع القاضي الى السجن ، ما دام يرفض ان يذهب هو اليه فى المحكمة .

ويأتي القاضي ، فيعرف منه السجين ان ثمة حريقا قد نشب فى البلدة ، واتى على ملف السجين ، ولهذا فان القاضي غير قادر على ان ينطق فى قضية لا يملك اوراقها . وعقب احتجاج قصير وتفجع يموت القاضي العجوز ، فيمحي آخر ما كان يصور تهمة السجين ويستطيع ان يكيف مصيره .

ويتوجه السجين للناس بالرجاء ان يسمحوا له بالنزول اليهم ، فان كان ملفه قد احترق ، فهو نفسه غير قابل للاحتراق . ان الشيء الوحيد الذى هو قابل له هو العيش مع الناس لا مع الحجارة .

ويسدل الستار الاخيرعلى هذه الصرخة الاليمة المتفرجة .

●

تعود مسرحية : « الناس والحجارة » ، الى نبع اساسي من ينابيع المسرح الناضج ، وهو الخيال . ان برشيد يطلب الى متفرجه أن يكون واسع الخيال مثله ، وهو لهذا يقيم له مسرحا فى الخيال، يعتمد فيه الكلمات بديلا من الشخصيات ومن المناظر ، ومن الحركة الكثيرة ويستخدم فن « الميم » وسيلة لتصوير الانتقال فى الزمانوالمكان وهو انتقال يتم بالبساطة ذاتها التي يتم بها لدى الاطفال . وكل ما يستعين به الكاتب لكى يقيم صرح احداثه الخيالية هذه هو : جدار شفاف ، وحبل غسيل ، عليه ملابس ، تمثل الشخصيات الوهمية التي تتحدث عنها المسرحية ، ثم سرير نوم قابل للتشكيل ، يكون مكتبا تارة او سفينة او ما شاء الخيال .

وبرشيد يرسمفىاقتدار حاضر سجينه وماضيه، كما يقوم عن طريق ممثل فرد حياة مدينة باسرها ، وحياة الناس فى اماكن كثيرة مشابهة . واستخدام الممثل الفرد ليقوم باعباء فنية متعددة هو واحد من تقاليد المسرح الشعبي ، كما ان اعمال الخيال عوضا عن التجسيد هو ايضا ضمن هذه التقاليد والمسرحية ـ عبر هذا كله ـ تطلق صرخة متفجعة ، ونداء حارا ، كي تزول كل القيود والفروق والسدود والاحباس ، ولا يبقى الا حب الناس للناس . ■■

د . علي الراعي

● حل مسابقة العدد ٢٤١ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	ج	ى	ن	ا	ت	↓	س	م	س	م	■	ج	م
٢	س	ع	د	ب	ن	ا	ب	ى	و	ق	ا	ص	■	و	د
٣	ت	ل	■	ا	■	س	ر	ا	ل	ا	س	ر	ا	ر	■
٤	و	■	ا	ل	د	ر	■	ق	ا	م	ا	■	ب	■	ع
٥	ن	ج	ل	ى	■	ك	ل	و	ر	■	ن	ب	ت	و	ن
٦	ى	د	ل	■	س	م	ا	ث	■	ا	ى	ل	■	ا	د
٧	ا	ل	ح	د	س	■	ب	ا	ت	ر	■	ا	ت	ر	ك
٨	■	←	م	ح	م	د	ا	ل	م	و	ى	ل	ح	ى	■
٩	ب	ل	ى	■	و	■	ز	ح	ل	■	س	■	ر	ت	ب
١٠	ا	ل	ا	ر	ج	ح	■	م	ى	ك	ا	ن	ه	ك	ا
١١	ب	■	ت	و	ر	ى	ن	و	■	ح	ر	ى	ر	■	ر
١٢	ل	ا	■	س	ا	ن	ر	ى	م	و	■	ل	ى	ل	ه
١٣	■	ل	ط	ى	ف	■	س	■	ن	ل	ب	س	ه	ا	■
١٤	ا	م	ا	ن	■	ا	ى	■	د	■	ى	و	■	م	ق
١٥	ا	■	ف	ى	ن	و	س	■	ل	ن	د	ن	■	ا	م

اثنتان في واحدة :

(٨) أفقيا : محمد المويلحى. اديب وصحفى مصرى انشــا مع ابراهيم المويلحى جريــدة « مصباح الشرق » . اشهر اعماله « حديث عيسى بن هشام » الذى صيغ على نســـق المقامات .

(٨) رأســيا : ياقوت الحمــوى . ولــد بالاناضول عام ١١٧٩ ، من اصل رومى ، رحل الى ايران ، واقام بالموصل ، ثم سافر الى حماه ، وحلب حيث قضى بقية ايامه . صاحب « معجم البلدان » ، و« معجم الادباء».

- الجائزة الاولى ٣٠ دينارا فاز بها : واجـل محمد ـ الدار البيضاء/المملكة المغربية
- الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا فاز بها : هشام محمود رشاد ـ الزيتون/القاهرة
- الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير فازت بها : ملكة الفاضل عمر ـ جامعة الخرطوم/السودان

٨ جوائز مالية : ٤٠ دينار كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ مها سليمان ضياء عبده ـ عمان/الاردن
٢ ـ محمود خالد مشتهى ـ مكة المكرمة/السعودية
٣ ـ المختار غيث الزنتاني ـ طرابلس/ليبيا
٤ ـ فؤاد راشد عبد العظيم قنديل ـ السماوة/ العراق .
٥ ـ أحمد ماهر بابا ـ حلب/سورية
٦ ـ أحمد محمد الجغمي ـ مدينة آب/الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ شريفة ابراهيم المعرى ـ المنامة/البحرين
٨ ـ سيد أحمد عبد القديم ـ كيريلا/الهند

الهجرة العربية

الأسباب الاقتصادية والآثار الاجتماعية *

بقلم : الدكتور محمد غانم الرميحى

استاذ الاجتماع المساعد بجامعة الكويت

أصبحت الهجرة الى اقطار الخليج البترولية ، وبالتحديد هجرة العمال ظاهرة اجتماعية اقتصادية سياسية ملفتة للنظر ، وتتطلب دراستها ومعالجتها دراية واسعة بأسباب الهجرة ومصادرها وتاثيراتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الاقطار المضيفة والاقطار المصدرة .

وتاتي الهجرة العمالية بجميع مستوياتها ومصادرها كعنصر اساسي لهذه الظاهرة فقد توافد على اقطار الخليج البترولية خاصة منذ بداية السبعينات موجات عمالية مهاجرة طالبة العمل في المجالات الواسعة الجديدة ، وكانت هذه الهجرة من مصدرين اساسيين اقليمي ، عربي بالتحديد ، ومن مصدر عالمي خاصة شبه القارة الهندية وما وراءها عدا الهجرة من اوروبا وبلاد الشرق الاوسط في

العربية • ونظرا لضخامة هذه الهجرة العمالية واهميتها فقد بدات تطرح مجموعة من الاسئلة الحيوية حول هذه الهجرة، اهدافها ومدى الاستفادة منها • من هذه الاسئلة :

١ ـ ما مدى ضخامة هذه الهجرة ، وما هي مصادرها العربية والاجنبية ؟

٢ ـ ما مدى وفاء الاقطار العربية بتحقيق الطلب المتزايد على اليد العاملة ؟ وما هي اسباب التجاء بعض اقطار الخليج البترولية لمصادر غير عربية لاستقدام العمالة ، وما خطورة ذلك ؟

٣ ـ ما هي الاعباء القانونية والاجتماعية المترتبة على تواجد عمالة عربية واجنبية في اقطار الخليج على الحكومات المضيفة ؟

٤ ـ هل هناك خطط وطنية او اقليمية للتنسيق بين هذه الاقطار ورسم سياسات مشتركة تجاه استيراد اليد العاملة غير المحلية ؟

٥ ـ هل تحتاج هذه الاقطار كل هذه الخطط الطموحة في الانشاءات ومشاريع الخدمات والصناعات وبعضها متشابه وينفذ في نفس الوقت ؟

٦ ـ واخيرا ما مستقبل العمالة الوافدة المستقرة في اقطار الخليج البترولية ؟ •

هذه الاسئلة المشروعة وما شابهها تحتاج الى اجابات حتى يمكن رسم تصور واضح لاهمية العمالة المستوردة واحتمالات تاثيرها على المجتمع في الخليج في المدى البعيد •

الى الخليج

ضعف البنية الاقتصادية التحتية لاقطار الخليج البترولية :

تعاني اقطار الخليج العربي البترولية (عدا العراق) من قلة السكان النسبية ، وكذلك صغر الحجم السكاني في القطاع النشيط اقتصاديا اذ ان الهرم السكاني لهذه الاقطار تتزايد فيه نسبة الشباب (اقل من ١٥ سنة) ، وكذلك الفقر في اليد العاملة المدربة ، كما تقف معوقات اجتماعية وثقافية امام المساهمة المحلية لبعض قطاعات السكان ـ كالمراة ـ وضعف المستوى التعليمي لقطاع واسع من اليد العاملة المحلية امام المساهمة المثلى في مجالات العمل الواسعة والمتعددة • كما انه من جهة اخرى تشهد المنطقة ـ خاصة منذ السبعينات ـ خططا ضخمة للتنمية في العديد من المجالات الاقتصادية ، وخاصة الانشائية والخدمية ـ وقد ساهم ارتفاع اسعار النفط لهذه الاقطار والشغف لبناء قاعدة اقتصادية راسخة مما جعل هذه الاقطار تعتمد خططا سريعة من اجل تطوير اقتصادي واجتماعي افضل •

ولعل مشكلة الفارق بين الطموحات الكبيرة في انشاء القاعدة الاقتصادية وبين الامكانيات البشرية والسكانية اعتمدت هذه الاقطار على القوة العاملة غير المحلية ولمجابهة الطلب المتزايد عليها في جميع القطاعات • ومن هنا ظهر المازق الاول الذي تعاني منه اقطار الخليج ، وهو عدم وجود سياسات واضحة ومحددة المعالم لما يراد لهذه المجتمعات ان تكون • وجدت نفسها اقلية سكانية تعيش على هامش الانتاج في حين تقوم القاعدة الانتاجية على اكتاف عاملين عرب او اجانب تطبق عليهم جميعا قوانين واحدة غير مدروسة ، وفي معظمها متنافية مع الحد الادنى المطلوب عالميا •

ومن الجدول رقم (واحد) يمكن ان نتعرف على صورة عامة لمساهمة السكان المحليين وغير المحليين من النشيطين اقتصاديا في القوى العاملة لكل من الاقطار الخليجية المدروسة •

---

* تعليق على الابحاث والتقارير المقدمة لندوة السكان والعمالة والهجرة في دول الخليج العربي، الكويت من ١٦ ـ ١٨ ديسمبر ١٩٧٨ •
اشرف على الندوة ودعا لها كل من المعهد العربي للتخطيط ـ الكويت ومنظمة العمل الدولية ـ جنيف •

الجدول رقم واحد * نسبة النشيطين اقتصاديا في سوق العمل (١٩٧٥)

ومن الجدول نجد ان المساهمين في الانتاج من القوى العاملة غير المحلية حتى في اقطار كالبحرين والمملكة العربية السعودية تصل الى ٤٠٪ تقريبا• وتصل هذه النسبة الى اربعة اخماس العاملين في كل من الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة ، وهذا مؤشر أساسي لمدى مساهمةالعمال غير المحليين في القطاعات الاقتصادية المختلفة لهذه الاقطار ، ومن المؤشرات الموجودة حتى الان ومن خلال الخطط الاقتصادية الموضوعة ، فان هذه النسب يتوقع لها ان تستمر فيالارتفاع فيالمستقبل القريبوالمتوسط خاصة ان اقطارا عديدة تتصور أن التصنيع اساسا للتطور الداخلي ، وقد بدات بالفعل هذه الاقطار بتطبيق خطط صناعية ضخمة •

سياسات التشغيل :

لا توجد سياسة اقليمية لاقطار الخليج ـ حتى الان ـ لاستقبال العمالة المهاجرة ، وحتىلو وجدت سياسات قطرية ، فانها قابلة للتغير والتطوير المستمر ، فالدافع الى التطوير وتوفر رأس المال قد غطى على وضع تصورات بعيدة المدى في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، ولقد كانت هذه الاقطار في البداية غير محتاجة الى هجرات عمالية واسعة كما هو حاصل الان ـ لذلك فقد كان هناك انتقال محلي (لليد العاملة) كانتقال عمال من عمان الى الكويت والبحرين مثلا في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، او عمال من اليمن الى السعودية في الستينات والسبعينات ، هذه الهجرة المحلية لم تشكل تحديا اساسيا للواقع الاجتماعي والاقتصادي، ومع ازدياد اعداد العمال المهاجرين ، فقد استمر طابع الهجرة غير المنتظمة والتي تتحكم فيه عوامل السوق والقوانين المحلية والاقليمية دون استفادة قصوى من الهجرة ـ خاصة العربية ـ من الاقطار المضيفة او الاقطار المرسلة لهذه الهجرة • وان تحول ملايين من الافراد الى الاقطار البترولية من بلاد متعددة قد صبغ هذه الهجرة بصبغة عالمية واصبحت تشكل تحديا حقيقيا للتنمية المحلية، وتؤثر كذلك على خطط التنمية في الاقطار العربية والاجنبية المرسلة لليد العاملة ، وتقدر بعض الدراسات حاجة بعض الاقطار الخليجية المنتجة للبترول بمئات الالوف من العمال خلال السنوات القليلة القادمة •

الهجرة الى اقطار الخليج :

حركة الهجرة الداخلية (في المنطقة العربية) للعمال العرب من الاقطار المرسلة الى الاقطار المضيفة تشكل الحركة الاعظم ، وهي ليست مقصورة على اقطار البترول الخليجية ، انما هي ايضا شاملة ، فهناك اقطار تستقطب نوعا معينا من العمالة في حين تصدر نوعا آخرا ، ففي حالة الاردن فهو يستورد عمالة مصرية في قطاع الانشاءات ، كما يصدر عمالة الى اقطار الخليج في المهن الحرفية وشبه الفنية ،كذلك نجد عمان تستورد عمالة فنية،

---

* Birks J.S.& Sinclair C. A.
International Migration in the Arab Region P.6.

وتصدر في نفس الوقت عمالة غير فنيةلبعض اقطار الخليج كالامارات العربية المتحدة .

ولكن الملاحظ ان هناك اقطارا بعضها تستقطب الجزء الاكبر من العمالة العربية ، وهي بالتحديد المملكة العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ، وقطر والبحرين ، وهي الاقطار التي تستقطب عمالة آسيوية بنسب كبيرة ايضا * ، كما يظهر من الجدول رقم (٢)

ومن الجدول رقم (٢) يمكن ملاحظة ان بعض الاقطار العربية الخليجية تعتمد اساسا على اليد العاملة العربية وتشكل نسبة الاسيويين والاوروبيين القطاع الاصغر من هذه العمالة ، كما هو في السعودية والكويت على وجه الخصوص . بينما تعتمد اقطار عربية خليجية اخرى على العمالة الاسيوية كما هو ملاحظ في قطر والامارات العربية والبحرين والتي تعتمد ايضا على نسبة لا بأس بها من الاوروبيين بينما تتدنى نسبة الاخرين في جميع الاقطار الاخرى . ولا بد من التنويه ان هذه النسب تعتمد على الارقام المتحصل عليها في سنة ١٩٧٥ .

وفي رأينا ان هذه النسب قد زادت بشكل ملحوظ للاعتماد على الاسيويين في الثلاث سنوات الاخيرة والمؤشر على ذلك المشاريع الضخمة الملزمة لشركات اسيوية في الاقطار المذكورة ، فقد اصبح من الملاحظ في اقطار البترول الغنية ترسية المشروعات الكبيرة كبناء او تشغيل المشروعات الصناعية على شركات كورية او فلبينية او ماليزية او تايلندية واقل من ذلك باكستانية وهندية .

ومن ارقام ١٩٧٥ نجد ان المملكة العربية السعودية كانت الاكثر باعا في استيعاب العمالة العربية ، فقد قررت احدى التقارير حقيقية مفادها ان نصف المهاجرين الى العمل في الوطن العربي في سنة ١٩٧٥ قد وجدوا لهم عملا في المملكة العربية السعودية ** .

اما في البحرين وقطر ودولة الامارات فقد شكل العمال العرب بالنسبة للعمالة غير المحلية بوجه عام بين الخمس والربع فقط (كما هو مبين في الجدول السابق) كما ان العمال الاسيويين يشكلون اكثر من نصف العمال غير المحليين . ولقد بدأت ظاهرة جديدة في السبعينات وملفتة للنظر هي تراجع نسبة العمالة العراقية والايرانية في سوق العمل الخليجي وتلاشيها في بعض الاقطار ، فقد بدأت العراق وايران منذ منتصف السبعينات في استقطاب العمالة الخارجية ، فاعتمدت الاولى على السوق العربية ، وقدمت اغراءات كثيرة لجذب هذه

جدول رقم (٢) جدول المهاجرين الى اقطار الخيلج حسب جنسيتهم وبلادهم الاصلية ١٩٧٥

المصدر : Birks & Sinclair P. 8

* مصطلح العمالة الاسيوية نعني به هنا الاسيويين من شبه القارة الهندية وشرقها ولا يدخل تحته الايرانيون والاتراك . كما انه تتواجد نسبة قليلة من العمالة الافريقية . Birks & Sinclair P. 7.

** Choucri Nazli - Labour Transfers in the Arab world P. 9.

العمالة ، كما اعتمدت ايران جزئيا على العمالة من السوق الافغانية والباكستانية .

العمال العرب :

لقد اظهر حجم العمالة العربية واتجاهها الجغرافي حقيقة التوزيع غير المتوازن للثروة البترولية ، وطريقة استخدام هذه الثروة . فقد اتجهت مجاميع كبيرة من العمال العرب الى اقطار الخليج البترولية لاسباب اقتصادية دافعة على رأسها الفروقات الكبيرة في الدخل الحقيقي للعمال في القطر المضيف عنها في الاقطار المصدرة ، وكذلك النسب المتفاوتة في النمو الاقتصادي والدخل القومي مع الخلل في توزيع السكان ، وتأتي على رأس الاقطار العربية المصدرة للعمالة جمهورية مصر العربية اذ يقدر ان حوالي ١٠٪ من قوة العمل المصرية في سنة ١٩٧٥ كانت تعمل خارج مصر ، ويأتي في المقام الثاني اليمن بشطريه الجنوبي والشمالي ، ثم الاردن (بمن فيهم العمال الفلسطينيون) وهذه الاقطار تصدر اغلبية اليد العاملة العربية الى اقطار الخليج النفطية ، وقدر مجموع اليد العاملة العربية في هذه الاقطار بحوالي ٤ر١ مليون في عام ١٩٧٥ وتشير الاحصائيات الى ارتفاع هذا الرقم في اوائل ١٩٧٨ الى حوالي ٧ر١ مليون عامل .

وتشكل العمالة المصرية النسبة الاكبر وتنتشر في جميع الحرف تقريبا من المهنية والفنية الى الحرفيين ، كما انها تنتشر كذلك في جميع الاقطار بنسب متفاوتة وتخص السعودية والكويت بالنسب الاكبر ، يلي ذلك اليمنيون (شماليون وجنوبيون) وتتركز العمالة اليمنية تقليديا في المملكة العربية السعودية ، اذ يقدر ان ٩٠ ٪ من العمال اليمنيين المهاجرين سنة ١٩٧٥ يعملون في ذلك القطر .

ويسيطر عمال الانشاءات حتى الان على حركة الهجرة ، فمعظم المهاجرين الى اقطار الخليج العربي النفطية يتركزون في قطاع الانشاءات ، وهو أيضا اكثر القطاعات الاقتصادية اعتمادا على اليد العاملة .

ان انتقال العمال العرب بهذا الحجم وهذا المستوى من اقطارهم المصدرة (مصر ـ اليمن ـ الاردن ـ وسوريا) * الى اقطار الخليج النفطية قد أوجد مجموعة من المشكلات القائمة والمتوقعة ليس للاقطار المضيفة فقط انما أيضا للاقطار المصدرة .

ولكن هل مستقبل التنمية العربية بشكل عام (كما تقول بعض الاتجاهات في الندوة) مرتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية في اقطار الخليج ؟ هذا السؤال تحتاج الاجابة عليه لمعرفة الايجابيات والسلبيات لهجرة اليد العاملة .

لا شك ان تشغيل اليد العاملة العربية بهذا الحجم في اقطار الخليج النفطية ستتيح عدة امتيازات اقتصادية للدول المصدرة للعمالة ، منها سد جزء من العجز في ميزان المدفوعات للاقطار التي تعاني من ذلك والحصول على عملة اجنبية ، وتوفر مورد كاف من رأس المال للاستثمار الداخلي وتقليل من نسبة البطالة الظاهرة او المقنعة في اقطار المصدر .. الخ من الايجابيات الاقتصادية المعروفة ، الا ان هذه الهجرة لها سلبيات على الدول المصدرة فمثلا خروج عمال التشييد من مصر اوجد عنق زجاجة في التطور الاقتصادي هناك ،فقد ارتفعت أجور عمال التشييد في مصر بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨ ار٥٢ ٪ بالمقارنة ب ٨ر١٩ ٪ في قطاع الخدمات ، ٧ر١٢ ٪ في قطاع الصناعة والاستخراج، كذلك فان اجور قطاع عمال الزراعة قد شهدت ارتفاعا كبيرا يقارب ارتفاع أجور قطاع التشييد ويعزى ذلك الى استنزاف العمال الزراعيين للعمل في قطاع التشييد والبناء خاصة في المستويات الدنيا من الاعمال ، كذلك نجد ان قطرا كالاردن في حين يصدر العمالة فهو يستورد عمالة من اقطار أخرى عربية وآسيوية .

كما ان فروق الاجور النقدية بين الاقطار المصدرة والاقطار المستوردة قد اوجد عبئا جديدا على الاقتصاد المحلي للاقطار المصدرة . فالقدرة على الادخار اوجدت طلبا متزايد على الخدمات والسلع في البلاد المصدرة من العمال

* هناك هجرة للعمال العرب أيضا من كل من لبنان ـ السودان ـ الشمال الافريقي الا أن هذه الهجرة لا تتجاوز في حدها الاعلى ٥٠ الف عامل.

العائدين او ذويهم مما سبب ارتفاعا فى السلع والخدمات المحلية فقد انتقل النمط الاستهلاكي فى اقطار النفط الى الاقطار المصدرة ، وقد حدث فى بعض الاحيان ان فاقت اثمان بعض السلع والخدمات فى الاقطار المصدرة للعمالة مثيلتها فى اقطار النفط ،مثال ذلك اسعار الارض واثمان الايجارات فى صنعاء تعادل اوتفوق مثيلاتها فى الكويت فى بعض الاحيان.كذلك استئجار سباك فى مصر اصعب من استئجار مثيل له فى السعودية او الاردن .

وهذا مما جعل فروق الاجور الحقيقية فى اسواق الاقطار المصدرة والاقطار المستوردة تميل الى النقصان ، الاان هناك عوامل اجتماعية تجعل استمرار الهجرة العربية الى اقطار النفط مستمرة ومن هذه العوامل القدرة على الادخار فى المهجر حيث يتحرر العامل من القيود القيمية والعائلية، فهو يتعاطى اى عمل يدرعليه ربحا ،كما انه يمكن ان يضبط انفاقه ، وخير مثال على ذلك العامل اليمنى المهاجر للعمل فى السعودية، فقد يحصل هذا العامل على نفس الاجر النقدى فى صنعاء، كما هو حادث بالفعل بدلا من الرياض الا ان قدرته على الادخار فى الاخيرة اكبر، حيث يضطر فى صنعاء مثلا الى القيام بطقوس اجتماعية كشراء القات مثلا الذى ياكل نصف دخله اليومى اواكثر، ولايفعل ذلك فى الرياض.

العمال الاجانب :

مماسبق ذكره تعرفنا على مجموعة من الحقائق فيما يخص الهجرة العمالية الى اقطار الخليج النفطية، وهى ان هذه الاقطار تقوم الان ولديها خطط فى المستقبل بمشاريع تنموية ضخمة لاتستطيع ان تحققها اعتمادا على العمال المحليين ، وان هذه الخطط تعتمد على قطاع التشييد والصناعة، الذى يتجه بدوره الى ان يكون اكثر تعقيدا، فى حين ان الاقطار العربية المصدرة للعمالة تضع بدورهـــا خططا تســتخدم فيهــا المــورد المتــاح لهــا مــن رأس المال البشرى للوفاء بهذه الخطط، مما يهدد استمرار ظاهرة الفائض العالى ، خاصة فى اطار تقارب الفروق الاجرية الحقيقية .

لذا، فان عوامل السوق فى اقطار الخليج تتجه الى الاستعانة باليد العاملة الاجنبية والاسيوية خاصة ،حيث يتحقق الحصول على مستويات عمالية اكثر تدريبا ومهارة واقل اجرا ودون ان تتحمل الدول المضيفة اعباء قومية اووطنية من اى نوع، وقد كان عدد العمال الاجانب فى اقطار الخليج فى سنة ١٩٧٥ (١ر٨) مليون عامل،وزاد هذا العدد حيث قدر فى اوائل ١٩٧٨ بـ(٢ر٤) مليون عامل اجنبى، وايضا معظمهم من الاسيويين.

هذا الرقم الحقيقى او المقدر يضعنا أمام تعد لوضع سياسة عمالية واضحة للمستقبل ،فالمؤشرات التى بين يدينا تقول : ان معظم الايدى العاملة التى يحتاج اليها الخليج هى عمالة فى الانشاءات والتشييد ، وبما ان هذه العمالة فى احتياطيهــا العربى تتجه الى النقصان لاسباب التشغيل الداخلى او لعــدم توفر الفــائض المدرب ، فان المتوقع ان تتدفق اعداد كبيرة من العمال الاجانب على هذا الاقليم العربى ، ولاشك ان قطاعا منهم سيتحول من عمالة مؤقتة الى عمالة دائمة او شبه دائمة فى قطاع الصناعات والخدمات مما يشكل عبئا مستقبليا على الوضــع الاجتماعى والسياسى والاقتصــادى للاقطار المضيفة ، ومن هذه الاعباء مطالبة هؤلاء العمال او دولهم لاحقا بامتيازات جماعية وحقوق اقتصادية واجتماعية ، كما ان منطقة مثل الخليج تتجه اليها طموحات العالم من الممكن ان تستخدم هذه المجموعات الكبيرة كراس حربة فى المستقبل لاثارة القلاقل غير المنظورة اليوم . فى حين تحرم قطاعات كبيرة من العمال العرب فى دول بها فائض غير مدرب كاليمن ومصر من الحصول على أعمال تستفيد منها اقطارهم لاحقا ، هذا بجانب الصعوبات الاجتماعية كاختلاف اللغة والعادات والتقاليد مما يسبب عبئا جديدا على المجتمعات النامية فى الخليج وتجدر الاشارة الى ان الكثير من القوى العاملة الاجنبية خاصة المستقدمة من شركات اوطانها هى فئات شابة ومدربة عسكريا وتقوم شركاتها بتوفير كل طلباتهــا من الســوق المصــدرة ســواء كانت احتياجات الات او خدمات وحتى اغذية ومهمــات رياضية .

كما يثير تواجد هذه العمالة المنظمة فى الخليج نتيجة لعملها المنظم والسريع مقارنات لدى الفئات الشعبية حول انتاجها السريع والمحكم فى حين ان

بعض الخبراء العرب ينقدون هذه المنجزات فنيا ويبررون دوافع الانجاز السريع بانه مخطط لـه ويضربون امثلة بانه لو أتيح للشركات العربيـة بعمال عرب تحت نفس الشروط الايجابيةلتم انجاز هذه المشروعات بنفس الكفاءة • ومن المهم الاشارة الى ان تلزيم منشات ضخمة الى شركات اجنبية ـ حتى لو كان هدفه اقتصاديا وتنمويا ، فان ذلك يحرم الشركات المحلية والعمال العرب من الاستفادة والخبرة التى هى جزء من تنمية الانسان العربى المرجوة • ان دور اليد العاملة الاجنبية هو خلق اتكالية كاملة ونوع من الاستعلاء على الاعمـال اليدوية لدى مواطنى هذه الاقطـار والى خلـق شعور زائف بالعظمة الفردية والاجتماعية، كما ان اولئك العمال يشكلون احتياطيا لا ينضب لمواجهة اية مشكلة قد تثيرها بعض التنظيمات المهنيةالمحلية من اجل الحصول على حقوقها، خاصة فىظل حرمان اليد العاملة الاجنبية وكذلك العربية من أيـة حقوق نقابية •

مشكلات العمال المهاجرين :

لاشك ان الاقطار المضيفـة حتى الان تتجـه الى استخدام (ساعات عمل)وليس أسرا عمالية، هذا ممايسهل استيراد العمالة الاجنبية ، فمعظم الاقطار تمنع اوتشدد على دخول اسرة العامل ، وتستخدم عرض عمل مرن ، دون ان تتحمل اعباء اجتماعية اضافية ، كما انمعوقات الانتقال بين الاقطار العربية المصدرة أو المضيفة لليد العاملة لاتزال قائمة ،ولاشك ان الأقطار المضيفة لاتزال هى التى تفرض الشروط التى تناسبها فتستورد من العمال ما تحتاجه من مجموعات مميزة من حيث السن والجنس والخبرة والتعليم والمهـارة والتخصص •

لذا فان السوق الاجنبية لهذه الاقطار اكثـر ملاءمة من السوق العربية مما يجعل توقع زيادة العمالة الاجنبية فى السنوات القادمة وهجرتها الى الخليج تفوق هجرة اليد العاملة العربية ممـا يفرض مشكلات رئيسية منها اغراق المنطقة بعمال اجانب وحرمان الاقطار العربية من الاستفادة من خطط التنمية • ولقد بدأت المنظمات الدوليـة تنظر الى العمالة المهاجرة ووضعها القـانونى والاقتصادى والاجتماعى فى اقطار الخليج نظر[ة] النقد التى سببها قصور فى القوانين والتطبيقات من حيث المساواة والحق فى التعويض المطبقـ[ة] عالميا ،فلا تزال مثلا لجنة خبراء تطبق الاتفاقيات بمكتب العمل الدولى فى جنيف تصر على تعديل بعض أحكام القانون رقم ٣٨ لعام ١٩٦٤ (قانو[ن] العمل فى القطاع الاهلى فى الكويت) • وذلك لوجـود بعض التناقضـات فيه مع بعض أحكـا[م] اتفاقيات العمل الدولية المصـدقة من الكويت •

ولا شك ان الحقوق الاساسية المتفق عليها عالمي[ا] للعمل مثل التدريب المهنى والثقافة العماليـ[ة] والتنظيم النقابى ، والتامينات الاجتماعية ، قد قصرت فى بعض اقطار الخـليج عن تلبيـة هذ[ه] الحاجات سواء العمال المحليين أو الوافدين عرب[ا] واجانب • ففى حين يسمح التشريع فى الكويت مثلا بحق اقامة النقابات لا يتوفر ذلك فى الاقطار الاخرى كالسعودية والبحرين وقطر والامارات وفى حين يحق للعمال فى السعودية الانضواء تحت قانون التامينات الاجتماعية تمنع القوانين المحلي[ة] فى الكويت استفادة العمال العرب أو الاجانب م[ن] ذلك • وفى حين ان الاقطار العربية فى الخليج قد انضمت الى منظمة العمل الدولية ـ الكويت ١٩٦١ ـ قطر والامارات ١٩٧٢ ـ السعودية ١٩٧٦ والبحرين ١٩٧٧ •

الا ان التصديق على اتفاقيات منظمة العم[ل] العربية (رغم الانضمام اليها) لم يتم حتى الان كما انه باستثناء الكويت لا تشارك اقطار الخليج الاخرى فىالاتحادات العمالية الدولية او العربية

انه مما لا شك فيه ان التعاون فى قضايا العم[ل] والعمال علىالمستوى الاقليمى خاصة لاقطار الخلي[ج] التى تستورد عمالة بهذا الحجم والمستوى أمر ل[ه] قيمته ويعود بالنفع على هذه الاقطار من جه[ة] وعلى الاقطار العربية المصدرة لليد العاملة م[ن] جهة أخرى ، كما انه يوحد موقف هذه الاقطار ف[ى] مواجهة العمالة الاجنبية ، وينسق بينها ، الا أ[ن] هذه الخطوات لاتزال فى بدايتهـا وتحـتاج ال[ى] الكثير من التنظيم فى المجال العربى حتى يمك[ن] ان تحقق الفائدة المرجوة منها • ■■

د • محمد غانم الرميحى

اعداد : يوسف زعبلاوي

صورتان للمسز فورد
الاولى قبل عملية التجميل
والثانية بعدها

تقـدمت الجراحـة
لية كثيرا في المـدة
ـيرة حتى بلغت مستوى
ـن الاتقـان في شتى
ـا ، وبخاصة : زرع
الراس وشد الجفـون
ن الصدور ، فضلا عن
وجوه .. ويضرب المثل
القديم الشهير فرانك
وبالسيناتور ويـم
ماير ، ممثل وسكونسين
ـانت على مدى ما احرزته
جراحه من نجاح في دهر
والتغلب على هـذه
التي طالما تذمر منـها
ون من الرجال..لاسيما
ملين منهم في ميـادين
يل .. السـياسي او
ـاني.ويؤكد البعض ممن
ا الممثلين بشعورهـم
الجديدة المزروعة تعذر اكتشاف
حقيقة هذه الشعور .. انهـا
غير طبيعية وان يد احـد
الجراحين المختصين هي التـي
زرعتهـا شـعرة شـعرة
فـي رؤوس الممثلين حتـى
احتمى الصلع منها .. وبدت
كـرؤوس الشـبان مـن ذوي
الشعور الكثة .. ولعل مثل ذلك
في السيدة الاولى في امريكا.
فقد اجرت روزالين كارتـر
عملية شد لجفونها التي كثرت
ثناياها ونالت كثيرا او قليلا
من جمال زوجة الرئيـس
الامريكي .ويقال انها استردت
بهذه العملية اكثر مما فقدت
من جمال ...

على ان الجراحة التجميلية
بلغت ذروتها في عمليات شد
الوجوه .. وهي العمـليات
التي تقبل عليها في الغـالب
النسـاء اللواتـي تجلـت
الشيخوخة في وجوههن اكثـر
مما تستوجب اعمارهن ، والى
حد يتعذر معه اسمويـه
بالمساحيق . ولعل اصدق دليل
على المستوى الرفيع الـذي
بلغته هذه الجراحه التغيـير
الكبير الذي احدثته في وجه
المسز بتي فورد زوجة الرئيس
الامريكي الاسبق ، والذي
يتجلى بوضوح في صورتي
المسز فورد المرافقتين لهـذا
الكلام ..وقد التقطت احداهما
قبل العملية والتقطت الثانية
بعدها . هذا وتبلغ السيدة
الامريكية الاولى (سابقا)
الستين من العمر ، وقد كانت
في معركة طويلة مع الاورام
الخبيثة في الثديين ، ما كانت
لتنتهي الا بعمليه اجتثـاث
خطيرة . واستسلمت المسـز
فورد بعد ذلك للادمان علـى
الكحول وغيرها .. علـى
نطاق واسع .. وبالرغم من
ذلك كله نجح الجراح M.R.
Mazaheri في عملية الشد
والتجميل التي اجراها لوجه
السيدة بتي فورد في Palm
springs ، بحيث بدت وكأنها
في الثلاثينات من العمر ..

ومما يذكر عن عمليات شد
الوجوه انها تستغرق ٣ - ٤
ساعات وتستوجب التخديـر

اوضعي او الكلي . وتبدأ
لجراحة بان يشق الجراح الجلد
وق الاذن مباشرة ثم يفصل
ين هذا الجلد وبين ما يكسوه
ن لحم وشحم .. ويعمد
لطبيب بعد ذلك الى شد الجلد
سفل الراس .. فينشد معه
جلد الوجه ويتجمع الفائض
ن الجلد فيقصه الجراح ويخيط
لجرح

على ان النضارة التي
كتسبها الوجه نتيجه هذه
لجراحة ليست ابدية .. فهي
تلبث ان تختفي لتحل محلها
عراض الشيخوخة ثانية ، في
ضون ٤ ـ ٨ سنوات .. وعندها
لابد من اجراء عمليه تجميل
ثانية .. اذا لم تحل طبيعة
لوجه دون ذلك .. وقد تسمح
بعض الوجوه بعملية ثالثة وقد
لا يستجيب بعضها للعملية
لاولى اصلا .. او يصاب
لوجه بتشويه اذا هي اجريت
وذلك في حالات قليلة نادرة.

وتجدر الاشارة الى ان ما
يشدونه في عمليات شد الوجوه
نما هو الجلد فحسب .. الا
ن بعض الجراحين خرجوا على
القاعدة في المدة الاخيرة وراحوا
يشدون العضلات ايضا، عضلات
لرقبة والاصداغ ..

اما تكاليف الجراحة
التجميلية فتبلغ ١٥٠٠ دولار
لعملية شد الوجه وعملية شد
الجفون .. علما بان تكاليف
عملية المسز فورد بلغت اكثر
من ضعف ذلك .. بالضبط
٣٢٠٠ دولار ..

صورة المسز فورد قبل عملية التجميل وبعدها

١ ـ تبدأ عملية شد الوجه بشق يحدثه الجراح خلف الاذن .. تحت شعر الراس .

٢ ـ ثم يفصل الجلد عن الانسجة التي تحته .. وذلك في منطقة الخد كلها وعلى نحو يضمن تحاشي التلف لاعصاب الوجه واوعيته الدموية .

٣ ـ ويشد الجلد بعد ذلك في اتجاه علوي خلفي كالاسهم .. حتى يذهب تجعيد الغضون ويختفي ارتخاء الاصداغ .

٤ ـ ويقص الجراح آخر الامر الفائض من الجلد ثم يخيط الشق الذي لا يلبث ان يختفي تحت شعر الراس .

نبات الذرة يحل محل البترول

● اشتهرت جنوب افريقيا بعمليات استقطار البترول من الفحم الحجري .. على نحو ما درج عليه الالمان ابان الحرب العالمية الثانية .. والظاهر ان كثرة مخزونها من الفحم وقلة تكاليف عملياتها الخاصة

باستخراج البترول منه ـ وهي قلة نسبية طبعا ـ قد دفعت بالحكومة العنصرية الى انشاء مجمع جديد لهذه الصناعة تطلق عليه اسم Sasol 2 .

ويؤكد الخبراء ان هذا المجمع سيغطي حوالى ٪ احتياجات

جنوب افريقيا من البترول ويغنيها عن استيراده بترولا خاما من منابعه ..

ولكن جنوب افريقيا ماضية حاليا في انشاء مصنع آخر لانتاج مادة اخرى غير البترول .. هي مادة الايثانول Ethanol او كحول الذرة .. نعم ، الذرة التي ناكلها وناكل زيتها .. فقد ثبت بالتجربة ان هذه المادة قادرة على تسيير السيارات دون اى تعديل في محركات هذه السيارات .. فيما لو مزجت بزيت الديزل بنسبة النصف ، او بالبنزين بنسبة ٢٠٪ بنزين و ٨٠٪ ايثانول .. اضف الى ذلك ان تكاليف انتاج كحول الذرة هذه لا تزيد على اسعار المحروقات المالوفة .

ولو ذكرنا ان محصول الذرة في جنوب افريقيا محصول كبير ، ولا يقل عن ٩ ملايين طن سنويا ، وان هذه الكمية كفيلة بتغطية اكثر من نصف احتياجات الطاقة في البلاد ، لامكننا الجزم بان اتحاد جنوب افريقيا سيحقق الاكتفاء الذاتي ويستغني عن استيراد البترول الخام كلية في مستقبل غير بعيد .

وتجدر الاشارة الى ان البرازيل درجت منذ زمن على استخراج الايثانول واستعماله .. ولكن الخامة التي تستخرجه منها هي السكر .

لقاح السعال الديكي في الميزان

● كان لقاح السعال الديكي موضع جدل في بريطانيا في المدة الاخيرة . فقد تبين لبعض العلماء انه قد يسبب تلفا في الدماغ لبعض الاطفال الملقحين .. وشاع الخبر بين الناس وتكاثرت حوله الاشاعات .. من هنا كان امتناع الكثيرين من الانجليز عن تلقيح ابنائهم ضد السعال الديكي . وهكذا تفشى الوباء في بريطانيا الى حد لم يسبق له مثيل منذ زمن بعيد .

فقد بلغ عدد الاصابات به ، في انجلترا وولز وحدهما ، ١٠٧٠٤ اصابة ، وذلك في فترة الشهور الستة الاخيرة من سنة ١٩٧٧ . يقابل ذلك ١٨٧٤ اصابة فقط في الفترة نفسها من سنة ١٩٧٦ و ٢٥٢٤ اصابة للفترة ذاتها من سنة ١٩٧٥ ..

ولا ريب ان لهذه الارقام صلة وثيقة بنسبة الاطفال الملقحين ضد السعال الديكي . فقد بلغت نسبتهم ٦٦٪ سنة ١٩٧١ وسنة ١٩٧٠ .. ولكن النسبة المذكورة هبطت الى ٣٢٪ سنة ١٩٧٥ ـ ٧٦ ثم هبطت اكثر من ذلك في سنة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ .

وتدل الدراسات ان الحملة التي ثارت ضد اللقاح كانت بلا مبرر .. فقد تبين ان ما قد يترتب على هذا اللقاح من تلف الدماغ لا تزيد نسبته على (١ : ٣٠٠٫٠٠٠) اى ان طفلا واحدا فقط من ٣٠٠٫٠٠٠ طفل جرى تلقيحهم يتعرض لتلف الدماغ ... ولو ذكرنا ان وباء السعال الديكي وباء خطير ويؤدي الى الموت ، وهو اى الموت ، اخطر كثيرا كما لا يخفى ، من تلف الدماغ ، وان نسبة الذين يلاقون حتفهم بسبب هذا الوباء تبلغ (١ : ١٠٠٠) ، وهي تفوق النسبة السالفة الذكر ، لاتضح لنا ان التلقيح ضد السعال الديكي اقل خطرا من الاصابة به ... وهو ضروري ويجب الاخذ به باعتباره اهون الشرين . ■■

صة قصيرة

بقلم : يوسف الشاروني

كانت ليلة عصيبة على سمعان وزوجته وابنهما الصبى • لم تكن هذه اول مرة يشهدون فيها بقرة لهم تلد ، لكنها كانت المرة الاولى بالنسبة لهذه البقرة التى لم تكد تتم السنة الخامسة من عمرها• وكانت الليلة من ليالى الشتاء الباردة ، رغم صفاء السماء وتلالؤ النجوم • وكان سمعان يرى أن وجود الفيوم صيفا ـ ان وجدت ـ رحمة من قيظ الشمس وان وجودها شتاء يحفظ للارض حرارتها فتكون لياليها اكثر دفئا • لهذا فانه امر ابنه داود ان يجمع للمدفأة بعض الاخشاب والاحطاب لتكون مهيأة للاشعال لحظة مجىء الوليد المنتظر فتتلقاه دنياه الجديدة بالدفء المناسب •

وقد ادرك سمعان ـ بخبرته الطويلة وباكثر من علامة ـ ان بقرته الشابة على وشك الولادة : من حساب الشهور التى انقضت من يوم تم اخصابها ، ولما لاحظه من يومين من تعبير فى عينيها اقرب الى تعبير الحزن والتجهم،اما شهيتها للطعام فقد كادت تنعدم هذا اليوم كله • كان قد وضع امامها الشعير والفول لكنها لم تقربهما • وكان فى الشهور الثلاثة الاخيرة قد اعفاها تماما من اية اعمال •فقد سبق لبقرته الشابة تلك أن اجهضت فى شهرها السابع • وعلل هو ذلك ـ كما وافقه عليه اصدقاؤه ـ بانه لم يمنحها ما تحتاج اليه من راحة كافية •

وتناهى الى سمعان صوت حركة فى الجانب الآخر من الحظيرة ، يفصله عن جانبه حائط من اللبن لم يكتمل بناؤه حتى السقف ولا حتى مدخل الحظيرة مما يسمح للداخل ان ينحرف ان يمينا او شمالا• فتنبه الى ضوء الشمعة المتسرب من فوق الجدار الطينى غير المكتمل مما ذكره بما حدث ليلة امس عند هبوط المساء •

••• كان يهم باغلاق باب حظيرته والعودة الى بيته المجاور ، حين لمح شابا وفتاة يقتربان منه فى الغسق • كان واضحا ان الفتاة حامل ـ بل وعلى وشك المخاض ـ وهى ان كانت ذات جمال لافت الا انها فى حالة اعياء شديد • وتقدم الشاب يحيى سمعان ويعرفه بنفسه قائلا : يوسف نجار من الناصرة ، وهذه امراتى مريم • وصلنا عصر اليوم الى بيت لحم امتثالا لاوامر الوالى الرومانى بان يعود كل مواطن الى مسقط راسه حتى يتم اجراء التعداد العام ، ويبدو اننا وصلنا متاخرين ، فقد امتلا خان القرية بامثالنا الوافدين لنفس السبب• ومنذ وصولنا ونحن نبحث عبثا عن مكان نبيت فيه• ولولا هذا السبب القهرى لما تركنا بيتنا فى الناصرة• فانت ترى السيدة على وشك •••

ولم يدعه سمعان يتم حديثه ، فقد كان منظر العذراء مريم اوضح من ان يحتاج الى ايضاح • فقاطعه قائلا : واضح واضح ، لكن ماذا عسانى استطيع ان افعل ؟

ـ ان تاذن لنا بالمبيت فى هذه الحظيرة •

ـ آه •• هذا آخر ما كان يخطر لى على بال•• ان تصلح حظيرة مواش مكانا لمبيت شابين مثلكما لا سيما وان السيدة على وشك الوضع • من حسن الحظ اننى بعت منذ ايام فقط كل ما كنت املك من ابقار كانت قد كبرت ولا تصلح الا للذبح ، ولم يتبق لدى الا بقرة شابة ، فثمة مكان لكما ، غير ان هذه البقرة الواحدة قد تزعجكما لانها على وشك ان تلد أيضا •

وضحك سمعان بينما كان يوسف يقول : ولكن ليس ذلك خيرا من المبيت فى الطريق العام ٠

، طبعا طبعا ، لكن المكان غير مهيىء ـ كما ستريان ، لمثل هذه الحالات الطارئة ٠ ومع ذلك فمن حسن لحظ أنه بسبب بقرتى الشابة التى على وشك ن تلد قد اتخذنا بعض الاستعدادات التى يمكن كما الاستفادة منها ٠٠٠ تفضلا تفضلا ٠

وأوقد سمعان شمعة كان قد أخرجها من جيبه قادهما الى جانب الحظيرة حيث كانت تقف بقرته بطنها المتضخم وعينيها المهمومتين ، ثم أرشد وسف الى كومة من القش وهو يقول :

ـ لقد جلبنا مزيدا من القش بهذه المناسبة يمكن لك أن تأخذ منه ما تشاء ليكون حشية لكما كما يمكن استخدام هذه الشمعة وأخذ احدى هاتين المدفأتين ٠٠٠ أوه السيدة تبدو شاحبة ، تفضلى يا سيدتى تفضلى ٠٠ كم كان يودى أن استضيفكما فى منزلى لولا أنه يزدحم عن آخره بأقربائنا الذين وفدوا لنفس الغرض الذى وفدتما من أجله على قريتنا ٠

وقادهما سمعان على ضوء الشمعة الباهت الى الجانب الآخر من الحظيرة ، وعندما هم يوسف أن يناقشه فى أجر المبيت أجابه : ليس الآن ، فيما بعد فيما بعد ٠

وعندما وصل سمعان الى بيته أرسل زوجته

لتكون الى جوار مريم ساعة المخاض ولامدادها بكل ما تحتاج اليه ....

وعندما اقبل سمعان عصر اليوم ليتفقد بقرته شاهد منظرا غريبا • جمع من الرعاة اتوا باغنامهم عند الحظيرة • وحدس انه لا بد ان يكونوا اقرباء ليوسف او مريم اقبلوا يسلمون عليهما • وكان قد علم من زوجته ان السيدة قد وضعت طفلها فجر اليوم ، فوجد ان من واجبه ان يعرج للتهنئة بسلامة الطفل وامه • وعندما دخل وجد الطفل مقمطا مضجعا في المذود والرعاة ينظرون اليه خاشعين ، مما لم يستطع ان يجد له تفسيرا • فما كان منه الا ان عرض خدماته على يوسف وابلغه انه سيبيت في الجانب الآخر مع بقرته لانه يتوقع لها ان تلد الليلة بين وقت وآخر •

وها هو ذا الآن واقف ينظر في اشفاق الى بقرته العزيزة ، يعلم ان تجلب له ـ بولادتها تلك ـ البركة والخير • فوليدها ثروة وما تدره من لبن ثروة اخرى • وكان قد اشترى هذه البقرة من السوق عجلة صغيرة بنت عامين • وعندما بلغت عامها الثالث لاحظ ذات يوم بروزا ما يشبه الشمعة القصيرة الرفيعة من مؤخرتها ، وعندما سقطت تلك الشمعة بعد ايام كان عليه ان ينتظر اسابيع اخرى ليتاكد من ملاحظته ، حتى ظهر ذات يوم ذلك الجسم شبيه الشمعة يتدلى مرة اخرى من نفس المكان • عند ذلك ادرك سمعان ان بقرته قد نضجت واصطحبها معه الى جاره شمعون الذى يمتلك ثورا شابا خصصه لاخصاب اناث البقر في مقابل اجر مناسب يكون جانبا لا باس به من دخله • وقد ادرك سمعان ان البذرة اخصبت عندما لم يعد يبرز ذلك الاصبع الرقيق الشمعي • وكان سمعان ـ فيما يبدو ـ يريد من بقرته الكثير دون ان يعطيها الا الكفاف • فظل يسوقها امامه الى الحقل تحرث وتدير الساقية وتدرس المحصول دون مراعاة لبطنها الذى يتضخم يوما بعد يوم ، حتى فوجىء ذات صباح ـ حين اقبل كعادته ليصطحبها معه الى الحقل ـ بجنينها ملقى بين اقدامها على الارض تشف اعضاؤه اللحمية الدقيقة من خلال غشائه الجلدى الرقيق ، فاقد الحياة لم يكتمل نموه بعد ، بينما تقف بقرته وكانما في عينيها نظرة عتاب له • فادرك مدى قسوته على حيوانه الوديع المطيع واقترب منها يربت على جلدها ، يعتذر لها فيحس نعومة زغبها على باطن كفه الغليظ ، يعدها الا يتكرر منه ما حدث ، مقدرا ان البقرة لن تصفح عنه بهذه السهولة ولا بد ان تمر ايام قبل ان يعودا صديقين •

والآن ها هي ذي امامه وقد اخصبت للمرة الثانية ، وقد وفى سمعان بوعده وخفف العمل عنها طوال مدة خصوبتها بل اعفاها منه تماما في الشهور الثلاثة الاخيرة • وكان ذلك في مقابل مضاعفة جهده وجهد زوجته وابنه الاكبر الذى لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وهو جهد بذلوه بكل سخاء ورضاء •

ولمح سمعان جسما اشبه بالبالونة الحمراء في حجم التفاحة الكبيرة يبرز شيئا فشيئا من مؤخرة البقرة وهي تخور خوارا متقطعا ، فادرك انها مقدمات الوضع ، وكان غشاء الكرة الشفاف يكشف عما تمتلىء به من سائل بينما هتف ابنه في فرح متعجل : هل هذا عجلها يا ابي ؟ فرد عليه الوالد المتوتر : بل تلك علامات مجيئه ، وكان خوار البقرة الآن قد اصبح ممطوطا كانه صادر من اغوار بعيدة ، مفزعا حزينا كانه استحال الى انين ، يدل على مدى ما تعانيه بقرته من الم ، حتى خشى سمعان ان تكون قد ازعجت الام والطفل المجاورين وهما احوج ما يكونان الى الراحة في مثل هذا الوقت الذى اخذ يوغل في الليل ، فوجد ان من واجبه معاونة بقرته الآن على تجاوز آلام المخاض في اقصر مدة ممكنة ، لهذا فانه مد يده اليمنى والتى كانت عارية تماما ، حيث انه كان يقف بالفانلة والسروال فقط حتى لا يعوق حركته عائق ـ يتحسس الجنين محاولا جذبه الى الخارج ، واخيرا بدت ساقاه الاماميتان الصغيرتان اولا ثم اطل براسه ثم جذب سمعان قدميه الخلفيتين حتى اصبح قطعة من اللحم تنبض ملء يديه ، فوضعه بكل حرص امام امه على كومة من القش كان قد اعدها لذلك خصيصا ، بينما وقف الابن ـ الذى كان مشغولا باشعال نار المدفأة ـ مبهورا اول الامر ثم قافزا في فرحة ثم مبديا استعداده لمعاونة ابيه • وكان يلاحظ الآن في كثير من الدهشة كيف انحنت الام على طفلها الوليد ـ وقد امتلأت عيناها بمزيج الفرح والامومة والحنان ـ تلعقه مما يكسوه من مخاط كان يساعده على الانزلاق عند خروجه من رحمها ، بينما انهمك والده في عقد مصران بارز من بطن الوليد بعد ان انفصلت من نهايته كتلة لحم كانت

متصلة به • أما الزوجة فاسرعت الى اثداء البقرة المتضخمة تدلك حلماتها المستطيلة فى حركة من اعلى الى اسفل حتى تتفتح مسامها وتجعلها مهيأة لارضاع عجلها الصغير •

وكانت البقرة الآن قد انقطع خوارها تماما ولم يعد يسمع الا خشخشة قوائم الوليد على خليط القش والتبن وهو يحاول النهوض ليقع فيحاول من جديد ، حين سمع سمعان طرقا على باب حظيرته فتعجب من يكون الطارق او الطارقون • وحين ذهب ليفتح الباب فوجىء بثلاثة اشخاص كان واضحا انهم غرباء لا عن قريته فقط بل عن مواطنيه جميعا، وكان ذلك يبدو من غطاء رأسهم وشكل لحاهم وطراز لباسهم ، وقد اناخوا جمالهم امام باب الحظيرة ، وتقدم احدهم يستفسر ـ لدهشة سمعان ـ بلكنته الاجنبية قائلا : هل هنا المولود ملك اليهود ؟

فضحك سمعان ضحكته المعهودة قائلا : لقد ولد حقا هنا طفل ولكن امه ـ وان كانت ذات جمال باهر ـ الا انها ليست الا برفقة نجار يدعى يوسف•

فاجابوه بصوت واحد : اذن دعنا نره فهو الذى راينا نجمه فى المشرق واتينا لنسجد له • فلم يسعه الا ادخالهم بينما عاد مسرعا الى ما كان مستغرقا فيه من عمل والدهشة والحيرة تملؤه •وتذكر الرعاة الذين زاروا الطفل امس ، واحس ان فى الامر شيئا غير عادى ، فارسل ابنه يستطلع جلية الامر•

اما العجل فكان قد نجح اخيرا فى الوقوف على قوائمه الاربعة ، يتلمس اثداء امه ، تقوده حاسة شمه اكثر مما يقوده بصره •

وحين عاد ابنه قص عليه قصة غريبة • قال الولد لابيه : هؤلاء يا ابى مجوس اتوا من الشرق يقولون ان نجما ظهر لهم يدلهم على ان طفلا ملكيا قد ولد ، فلما تتبعوه ظل يقودهم حتى وصلوا اورشليم ، فظنوا انه لا بد وان يكون ابن هيرودس ملكنا • غير ان هيرودس استدعاهم وابلغهم ان طفلا لم يولد له ، وانه عرف من الكهنة والكتبة ان الطفل لا بد وان يكون قد ولد فى بيت لحم تحقيقا للنبوءات ، وطلب منهم معرفة مكانه والعودة اليه لابلاغه بما توصلوا اليه ، لانه يريد ان يأتى هو ايضا ويسجد له • الا ان ملاكا ظهر لكبيرهم فى حلم وطلب منه الا يرجعوا الى ملكنا هيرودس لانه يريد ان يقتل الطفل حتى لا يسلبه الملك ، فقرروا ان يتخذوا طريقا آخر عند عودتهم •

عندئذ تملك سمعان خوف شديد ، وتساءل عما اذا لم يكن قد اوقع نفسه فى ورطة بسماحه لهذه الاسرة بالاقامة فى حظيرته ، فقد كان يسمع عن استبداد هيرودس وبطشه • فطلب من زوجته الا تتصل بهذه الاسرة الا عند الضرورة القصوى ، اما ابنه فقد اخذ عليه تعهدا بالا تطأ قدمه هذا الجانب من الحظيرة حتى يغادرها قاطنوها • ثم مضى يستانف رعايته لبقرته ووليدها • ■■

يوسف الشارونى

الشطرنج فى الاتحاد السوفيتى

● يعتبر الشطرنج اللعبة الشعبية السائدة فى جميع أنحاء الاتحاد السوفياتى فهناك فريق شطرنج فى كل مدرسة ومصنع ومكتب ومزرعة جماعية • والعلماء فى معسكرات انتاركتك المكسوة بالثلوج يلعبون الشطرنج عن طريق الراديو مع خصومهم فى موسكو ، كما يفعل البحارة على متن الغواصات النووية • ويلاحظ السفرجية وهم يحركون قطع الشطرنج فى مطابخ المطاعم أثناء انتظارهم تلقى أوامر جديدة ، الامر الذى قد يوضح فى بعض الحالات لماذا يصل الحساء الى مائدتك باردا !

ريموند اندرسون فى نيويورك تايمز •

تمبكتو..

استطلاع :
سليم زبال

تصوير :
اوسكار مترى

ابواب تمبكتو المغلقة متى نفتحها للعالم ؟

مئذنة المسجد الجامع، او الجامع الكبير في تمبكتو.. تنتظر تسليط الاضواء عليها.
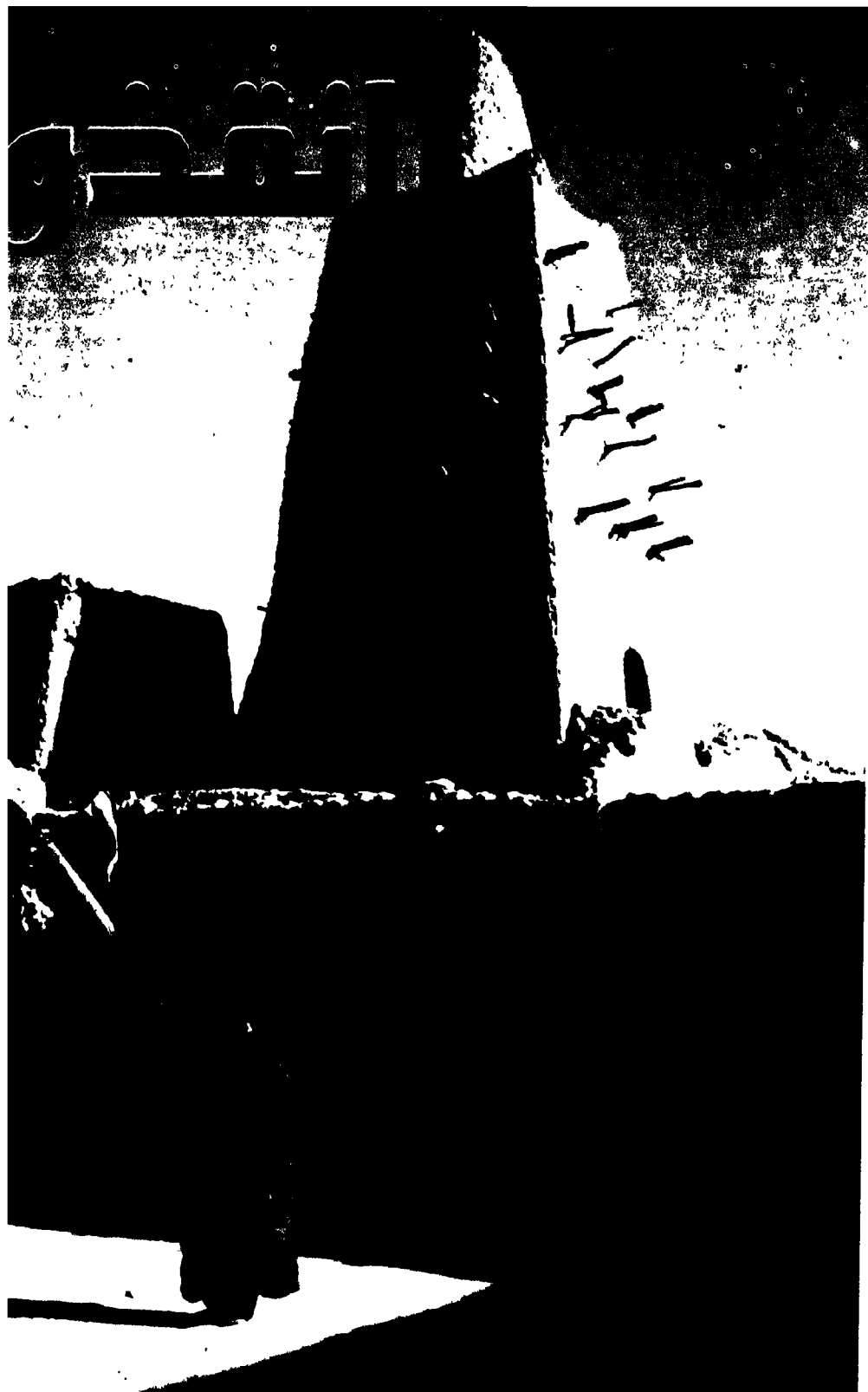
تمبكتو .. تمبكتو .. يا عاصمة الرمال وقمة الغموض !

تمبكتو .. تمبكتو .. ما الذى فعلته بالزمان ليدحرجك من قمة الاشراق والاشعاع الى حضيض الظلام والنسيان ؟ .

هل انت حقيقة هناك عند حافة العالم ؟

حدثينا يا تمبكتو ما هو سرك ؟

حدثينا يا مقبرة الرحالة والمستكشفين ، ما هى جريمتك ؟

انت لا تردين .. لانك تحتضرين .. تمهلى يا تمبكتو .. فنحن قادمون اليك ومعنا الدواء ..
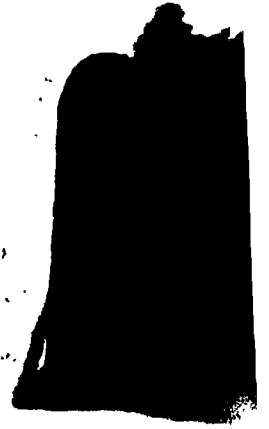
■ ارجوكم لا تقتربوا من هذا الباب لان فتحه يعني نهاية العالم !! .

وفي محاولة لتاخير نهاية العالم سارع اهل تمبكتو بوضع حصيرة سميكة لسد الثغرة التي حدثت في باب متآكل قديم عجيب ، موجود في ساحة مسجدهم الكبير .

انهم يحاولون وقف عقارب زمان غيرهم ، بعدان توقف زمانهم وماتت مدينتهم مع بداية القرن السابع عشر ..

لقد فقدت مدينتهم وظيفتها ، واصبحت عاطلة تتباهى بماضيها المندثر .. حاضرها لا يعني اي شيء .. ومستقبلها ما زال في عالم الغيب !!

ماض يتحدث ..

انها ليست من المدن الغارقة في القدم كما يتخيل البعض ، فعمرها لا يتجاوز ٨٨٠ عاما .. بدأت قصتها في الصحراء حول بئر ماء كانت تقف عندها قوافل جمال الطوارق لترتوي ..

وعند هذه البئر كانت تقيم امرأة تدعى « بوكتو » .. عرف المكان باسمها « تنبكتو » ، وهي كلمة تعني في لغة الطوارق : « مكان بوكتو » .. ومع مرور الزمان استقر الاسم على تمبكتو المعروف حاليا .

باب المسجد الكبير ، تآكل بفعل عوامل الزمان .. ولكنه لم يفتح .. لان فتحه يعني نهاية العالم .. هكذا يعتقد اهل تمبكتو !

وظل معسكر « تنبكتو » يتسع ويكبر حتى تحول الى بلدة صغيرة احتلت مركزا مرموقا كمحطة نهائية لجميع طرق القوافل الصحراوية القادمة من المغرب وفاس والجزائر وتونس وطرابلس الى السودان الغربي .

وانتشر اسم هذه المدينة وذاع صيتها الى ما وراء افريقيا ، عرفه اهل مكة والمدينة وبلاد المشرق والهند .

وفي اسواقها كان يلتقي البحرون فوق رمال الصحراء ، مع القادمين على قوارب نهر النيجر العظيم .. يأتون اليها بالزجاج والحرير والخيول والسيوف الدمشقية والملح الصخري ، ومختلف سلع سواحل البحر المتوسط .. ويحملون معهم الذهب والعاج والعبيد والحبوب والجلود والعسل والصمغ وغيرها من المنتجات الافريقية .

لقد تحولت عاصمة الرمال الى مخزن هائل للبضائع الاوربية والمغربية والافريقية وبلغ عدد تجار تمبكتو ٥٠ الف تاجر : دلالين ووسطاء وتجار جملة ومفرق .. وقسم كبير آخر من السكان عمل في الفنادق التي كانت تكتظ بها المدينة لايواء التجار المارين بها .

ومع قوافل الجمال نقل الطوارق والموريتانيون الاسلام وثقافة الاسلام الى السودان الغربي .

مستودع الفكر الاسلامي

ان طموحات ابناء تمبكتو جعلتهم لا يكتفون بمركزها التجاري المرموق ، بل عمدوا الى استقطاب العلماء ورجال الدين فازدهرت فيها حركة ثقافية ادبية لم يشهد لها غرب افريقيا مثيلا ، اذ بلغ عدد الطلبة في مدارسها ٢٥ الف طالب ، وقامت فيها جامعة سنكورية .. الشهيرة بكونها الشقيقة الصغرى لجامعات فاس وقرطبة والقاهرة ودمشق .. وانتشرت فيها المكتبات ،
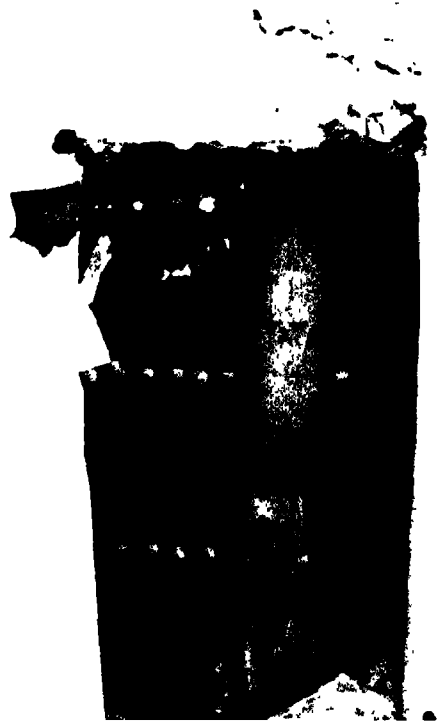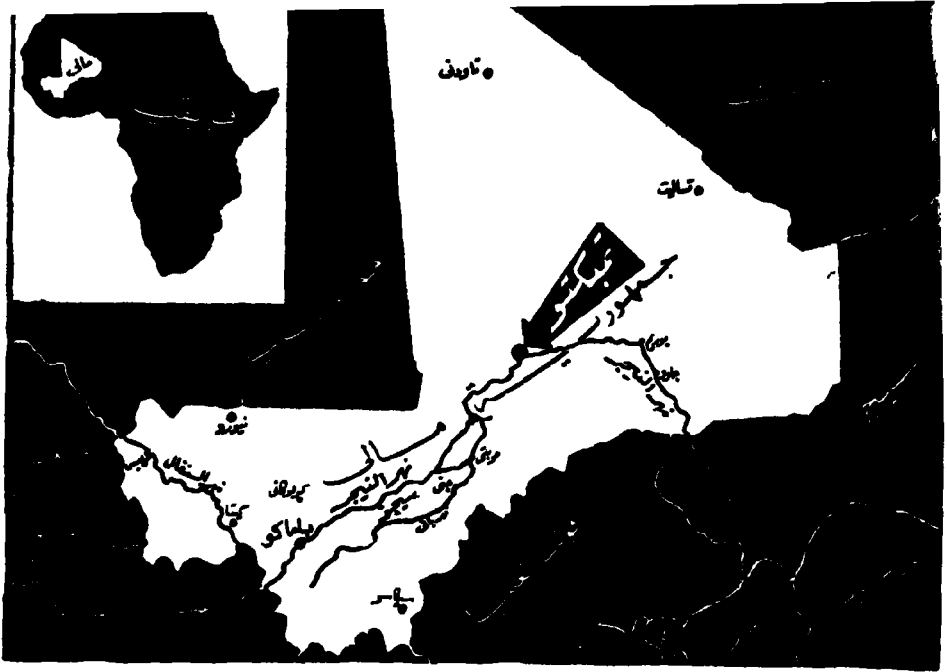
خريطة توضح موقع تمبكتو في جمهورية مالى ، انها تقع فى الجزء الشمالى الصحراوى من هذه البلاد ، التى تعتبر اكبر دول افريقيا الغربية بمساحتها التى تقارب مليونا و ٢٠٤ الف كيلومتر مربع .. ولجمهورية مالى حدود مشتركة مع سبع دول .. ويخترقها نهران هما النيجر والسنغال .. وباماكو هى عاصمة مالى ، وتبعد تمبكتو عنها بمسافة ٥٠٠ كيلو متر تقريبا .

وراجت فيها تجارة الكتب ونسخها ، وتحولت تمبكتو الى ما يشبه مستودعا ثقافيا للفكر الاسلامى فى تلك البقعة المعزولة عن العالم .

تعاستها فى شهرتها !

كانت تمبكتو منارة تشع العلم والمعرفة على غرب افريقيا باسرها ، وكانت مساجدها ومدارسها تجتذب الناس من مختلف ارجاء العالم .

ولكن ما كاد القرن السابع عشر الميلادى يطل حتى انطفات شعلة هذه المدينة وخبت .. وراحت تمبكتو فى سبات عميق لم تستيقظ منه حتى اليوم ..

ما الذى حدث ؟ وكيف تحولت تمبكتو الكبرى الى تمبكتو الغامضة .. ؟

تعاستها جاءتها من شهرتها ..

كل دول وقبائل المنطقة كان يسيل لعابها من اجل السيطرة على جوهرة الصحراء .. غزاة تعاقبوا عليها فى موجات مدمرة .. فقد سمعت طرقات تمبكتو وقع حوافر غزاة نجهل اسماء بعضهم فى مشرقنا العربى : المنديج .. الطوارق .. الصنغاى .. المغاربة .. البول .. التوكلور ..ثم الطوارق مرة ثانية..لينتهى مسلسل الحروب بالاحتلال الفرنسي قبل استقلال مالى عام ١٩٦٠ .

فى كل غزوة كانت تمبكتو تتعرض للنهب والسلب والتدمير والضياع ، ويظن الجميع انه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ، ولكن سرعان ما كانت تنهض من كبوتها منتعشة وكانها طائر الفينكس الاسطورى الذى بعد أن تحرقه النيران ويتحول الى رماد ، تدب فيه الروح من جديد !

كيف تحولت الى تمبكتو الغامضة ؟

تعب اهل تمبكتو من عمليات السلب والنهب وانعدام الامن ، فبداوا رحلة العودة الى المناطق التى جاءوا منها .

وشلت الحياة تماما قبل فترة الاحتلال الفرنسي

بمثل هذه المدارس حافظ الموريتانيون فى بادية تمبكتو على لغة القرآن والعقيدة الاسلامية.. يكتبون على الواح انتزعوها من الاشجار ، وحبر صنعوه من فحم ولبان وماء .. وسالنا الاستاذ ناجى بن حمود الحجرى عن « مدرسته » فقال : « اعلم الاطفال مجانا طلبا للثواب فى الآخرة .. عندى ٣٠ تلميذا لكنهم غير منتظمين، فهم يتنقلون خلف الماشية لهذا يمكث بعضهم سنتين وبعضهم ٥ سنوات فى مدرستى ليحفظوا القرآن .. ارسلوا الينا صحيح البخارى ومسلم . وشيئا من الفضة (الدراهم) لنستعين بها على المعاش الصعب ».

الى اليسار : الفتيات الموريتانيات
فى تمبكتو لا يتعلمن حتى يتفرغن
لاعداد الطعام ، من دق الدخن او
الارز او القمح او الشعير فى المهراس،
وطبخ المهروس هريسة .

هذه هى تمكتو .. اغلب منازلها مشيد بالطين ، اما البناء الحجرى فتجلب له الاحجار على ظهور الحمير من مسافة ١٥ كيلو مترا .. طرقاتها كلهارمليه .. يقول سكانها ان عددهم ٢٥ الف نسمة ، لكنهم أقل عددا من هذا الرقم .. ويتكون السكان من الصنهاي والطوارق والموريتانيون..

عام ١٨٩٣ م ولم يبق من تمبكتو سوى الاغنياء جدا او الفقراء جدا .. ولضمان سلامة ارواحهم عمد الاغنياء الى عمليات تمويه لاسلوب حياتهم : ارتدوا الملابس البالية التى ليس لها بريق . وامتنعت النساء عن التزين بالحلى ، واصبح الاهالى حياة مغلقة صامته ، حتى الحبوب كانوا يطحنونها على الاحجار ، كي لا يلفت صوت الهراس الانتباه والانظار !

واذا دق احدهم الباب .. تظاهر الاهالى بالموات، واخفوا كل ما يمكنهم اخفاءه من ثمين المتاع، وبدأوا سؤال الطارق عن اسمه والغرض من زيارته ، وبعدها كان يفتح باب المنزل المزخرف بالحديد نصف فتحة ليعاد اغلاقه فى الحال !

ومن هنا استحقت تمبكتو لقب « الغامضة »..

اشهر رحلة حج فى التاريخ

وكان العامل الآخر فى خراب تمبكتو هو تحول وسائل النقل من الجمال الى السفن البخاريه وانتشار الموانىء والمخازن البرتغالية على الشواطىء للتجارة مع سكان افريقيا .

ولو حاولنا الاستمرار فى سرد تاريخ تمبكتو لما استطاعت صفحات العربى كله ان تتسع له . تاريخ يختلط فيه الحلو بالمر .. والمآسى مع المغامرات .. والوحشية مع التسامح .. والعظمة مع المذلة !!

الفرنسيون اهتموا بتاريخ تمبكتو .. فكتبوا العديد من الكتب عنها .. وترجموا كتاب تاريخ السودان الشهير الى الفرنسية .

اما اخونا ابن بطوطة فليس فيما كتبه عن تمبكتو ما يشبع ، لقد ركز على ان سراج الدين بن الكويك احد كبار تجار الاسكندرية لم يمت مسموما فى تمبكتو لكنه انقضى اجله .

وقصة سراج الدين هذا تقودنا الى قصة كانكو موسى ، اعظم سلاطين مالى على الاطلاق ، حكم عام ١٣٠٧ لمدة ٢٥ عاما .. وقام باشهر رحله حج الى الديار المقدسة ، ما زال الكتاب والقصصيون يذكرونها حتى اليوم ، فقد خرج فى قافلة تضم ٦٠ الف جندى ، وخمسمائة عبد ، بيد كل منهم عصا من ذهب ، وفى كل عصا خمسمائة مثقال من الذهب ، ويقال انه قدم معه اربع عشرة الف جارية .. ولتامين حاجته من المال حمل مائة ناقة بتبر الذهب على ظهر كل واحدة ثلاثة قناطير من الذهب .. وكان سخاؤه بالذهب نشر الذهول فى كل مدينة يمر

أما فى البادية المحيطة بتمبكتو فيعيش المور والطوارق تحت خيام من الجلد والشعر مفتوحة على الجهات الاربع .. انهم يعشقون الحرية ويرتعبون من فكرة السكنى داخل شقة ، او خلف باب مقفل .. اما اثاث الخيمة فلا يتعدى بعض الاوانى الفخارية واكياس جلدية لحفظ الماء والحبوب.

بها . وفى القاهرة هبط سعر الذهب فى الاسواق نتيجة الكميات الهائلة التى انفقها ووزعها كانكو وجماعته ، الذين رحب بهم السلطان الناصر محمد ابن قلاوون عام ٧٢٤ هـ (١٣٢٤ م) .

ويبدو ان سخاء هذا السلطان كان اكثر مما

كانكو موسى .. اشهر ملوك وسلاطين مالى ، وصاحب اشهر رحلة حج فى التاريخ .. شيد المسجد الجامع ومنارة جامعة سنكورية .

يملك ، فقد اضطر فى رحلة العودة التى تعرض فيها لمخاطر كبيرة ، الى الاستدانة من تجار الاسكندرية .

والى تمبكتو جاء واحد من هؤلاء التجار هو سراج الدين الكويك التاجر الاسكندرى يطالب بالخمسين الف دينار التى استدانها السلطان منه .. ويوم وصوله الى تمبكتو مات هذا التاجر بعد ان تناول طعام العشاء .. واشيع انه مات مسموما لكن ابنه قال :

« انى اكلت معه هذا الطعام بعينه فلو كان فيه سمٌ لقتلنا جميعا ، لكنه انقضى اجله » .

واتجه ابنه الى مالى العاصمة وقبض ماله وعاد الى مصر بعد ان دفن والده فى تمبكتو .. هذه قصة سراج الدين الكويك التى ذكرها ابن بطوطة.

اضرحة بعدد ايام السنة

وحاولنا العثور على قبر سراج الدين فى تمبكتو فلم نجد له اثرا ولا حتى ذكرى ، لا احد يعلم عنه شيئا..ان سكان تمبكتو اليوم قد تبدلوا واختلفوا تماما عن سكان الامس ، لم تعد تهمهم ثقافة او تاريخ .. مطالب الحياة تستاثر بكل تفكيرهم .

الجميع مسلمون ولكن لغة تخاطبهم المشتركة

بدون جلبة تنطفىء تمبكتو ثقافيا .. سقف المدرسة الثانوية يتساقط على الطلبة ، وحرارة الشمس تجعل من الغرفة اتونا ومع ذلك يتعلم الاولاد .. والى اليسار : المئذنة الباقية من جامعة سنكورى ، امر كانكو موسى مهندسه القرطبي اسحاق بن ابراهيم الساحلي ببنائها فجاءت على هذا الشكل الهرمى المتدرج .. اما فى مركز احمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية ، فيعمل مديره الدكتور محمود عبده الزبير مع معاونيه من اجل اعادة امجاد تمبكتو القديمة ، وبداوا عملهم بجمع مئات الوثائق والمخطوطات النادرة عن التاريخ الاسلامى الافريقى المجهول من منطقة حوض النيجر .. وهذا المركز تم بناؤه بفضل المساعدة المالية التى قدمتها حكومة الكويت ، وما زال فى حاجة الى المال لتمويل مختلف المشاريع.

هي الفرنسية الى جانب لغاتهم الخاصة بكل منهم .. وهم يعتقدون كثيرا بالخرافات والخزعبلات ويتبركون بأضرحة الاولياء العديدين الذين يوازي عددهم عدد ايام السنة ، بحيث يمكن زيارة ضريح ولي مختلف كل يوم !!

وعندما سألنا مدير السياحة : هل لتمبكتو سور قديم ؟

أجابنا قائلا : « ليس لتمبكتو سور حجري.. لان سور البلاد سور روحي .. فالاولياء هم الذين يحمون تمبكتو ! »

نداء مشترك

ان تمبكتو اليوم تمر بموقف حرج للغاية لقد اختارها المؤتمر الاسلامي الذى انعقد في اسطنبول لتكون من بين ١٢ مدينة ستقام فيها مهرجانات ومؤتمرات اسلامية احتفالا ببداية القرن الخامس عشر الهجرى .

قد يقول البعض انها فرصة سانحة رائعة لاحياء تمبكتو .

ولكن المشكل هو : « كيفية ايواء ٧٠٠ مدعو .. ماذا سنفعل بهم اين سينامون ؟ .. الفندق اليتيم عندنا يضم ٢٩ غرفة .. واكبر قاعة في المدينة هي هذه الغرفة التي تجلسون فيها .. ان متاعبنا هائلة كبيرة في كل المجالات .. ولكننا نامل في التغلب عليها لنقيم المهرجان في موعده عام ١٩٨١ » .

قلنا لمحافظ تمبكتو الذى ينتمي الى اسرة كيتا ، أهم الاسر في تاريخ دولة مالي ، : ضموا لنتكم في مجلة العربي ، واطلعونا على مشاكلكم لنطرحها على قراء مجلتنا .. ان حكومة جمهورية مالي لن تستطيع بمفردها ان تنقذ تمبكتو أو تعيد امجادها ، لمشاكل جمهوريتكم أكثر من ان تحصى ، وتمبكتو ما هي الا نقطة في بحر هذه المشاكل .. دعونا نشترك معكم في نداء « انقذوا تمبكتو » .

واجتمع المحافظ بممثلي الوزارات ورؤساء الدوائر ، وكان ترحيبهم مع التحفظ : « اننا اذ نرحب بكم كممثلي أول صحيفة عربية تاتي الى مدينتنا ، نفتح لكم كل ابوابنا لتروا كل متاعبنا ومشاكلنا .. وانا على ثقة ان اخوتنا العرب والمسلمين سوف يشتركون معنا من اجل انقاذ مدينتهم تمبكتو .. »

متاعب الطائرة

مرة كل اسبوع يرفع اهل تمبكتو انظارهم بحسرة الى السماء ، وهم يشهدون الطائرات النفاثة الكبيرة تتجه الى جارتهم وغريمتهم « جاوو » .. التي اخذت مركز تمبكتو التجاري..

ان الطائرات الكبيرة تستطيع الهبوط بسهولة في مطار جاوو المجاور ..

اما تمبكتو فمطارها لا يستقبل الا الطائرات الصغيرة فقط ، وهي في منتظمة بالمرة اليها ..

كنا مع ٢٥ سائحا فرنسيا والمانيا وانجليزيا نجلس في مطار باماكو عاصمة مالي من السادسة صباحا .. ويمر الوقت حتى الواحدة ظهرا نسأل عن مندوب الشركة ، فلا نجد له أثرا .. وفي الثالثة بعد الظهر ادخلونا الى طائرة تحول داخلها الى أتون من الحرارة ، انطلقت بنا على المدرج ، وعند نهايته بدأت رحلة العودة الى مبنى المطار ثانية !! الطائرة مازال بها خلل !!

وسألنا متى نطير .. فقيل لنا استمعوا الى اذاعة باماكو سنذيع منها الموعد الجديد ، لقد الغيت هذه الرحلة ..

المعادلة الصعبة

وعند منتصف الليل جاءنا صديق وقال : السفر غدا في السادسة صباحا .. وما كادت الطائرات ذات المحركين ترتفع عن الارض حتى هتفنا جميعا فرحين ..

كانت الطائرة تحلق فوق نهر النيجر العظيم

موسى كيتا .. محافظ تمبكتو مع معاونيه .. انقاذ تمبكتو يحتاج الى مجهودات تفوق امكاناتهم.

شاب تمبكتو يعزف الموسيقى للسياح في الفندق الوحيد بالمدينة .. والسياحه موسمية هنا ، تبدأ من شهر نوفمبر حتى مارس، وبعدها يغلق الفندق ابوابه بسبب العواصف الرملية وارتفاع الحراره الى ٤٦ درجه مئوية .. ان صيانة هذا الفندق الصغير باهظة التكاليف فكل شيء يجب احضاره من العاصمة باماكو : الاسمنت والبلاط والحنفيات وحتى العمال الفنيين يجب احضارهم من هناك .. لان شباب تمبكتو لا يعلمونهم اية مهنة في المدارس .. والمشكل الحالى هو هل نوسع هذا الفندق ام نقيم قرى سياحية في البادية ؟

الذى يتابع مسيرته وسط اراض خصبة على امتداد البصر .. الطبيعة تزرع الاعشاب فى غياب الانسان .. وبعدها يتحدثون عن أزمة غذاء وطعام ، ولو انصفوا لقالوا : انها ازمة انسان لا يعرف كيف يستخرج الطعام .. !!

حول تمبكتو كانوا يموتون عطشا وجوعا .. وعلى مسافة ١٢ كيلو مترا كان الناس يغرقون فى مياه النيجر !! معادلة صعبة .

لا بد من تمبكتو

ونقترب من تمبكتو .. لون الارض يتحول من

● انقذوا تمبكتو

الاخضر الى الاصفر .. وكان لوثة أصابت نهر النيجر .. ينقسم الى فروع لا حصر لها تندفع فى كل اتجاه فى لوحة سيريالية رسمتها الطبيعة ..

ان الوصول الى هذا النهر كان حلم الرحالة والمستكشفين .. اليه وصل جوردون لانج Gordon Lang المستكشف البريطانى بعد رحلة العطش والالم والعذاب هاجموه فى الصحراء ، قطعوا فخذه واذنه وكسروا يده ، واثخنوه بسبع ضربات سيف واعتقدوا انهم قتلوه ، ولكن الشيخ مختار قام بعلاجه وانقذه من الموت .. وساله ان كان يريد العودة الى بلاده .. أجابه : « لا .. لا .. أريد تمبكتو .. »

وفى عام ١٨٢٦ م تحقق حلم لانج وكان أول أوروبى دخل تمبكتو .. فى الليل كان يخرج لاستكشاف النيجر ، وفى احدى المرات ، هجموا عليه وقطعوا رقبته وسرقوا أوراقه وخرائطه ومذكراته . . والصقوا التهمة بالطوارق المساكين .. كل شيء قبيح يلصقونه بالطوارق المظلومين ، ولكن التحقيق الذى اجرته بريطانيا فيما بعد اظهر ان الذين دبروا مذبحه جوردون لانج هم الفرنسيون ، بمساعدة أحد حكام طرابلس لسرقة مذكراته وخرائطه !!

لقد استغرقت رحلة جوردون لانج ١٢ شهرا ليصل الى تمبكتو .. أما رحلتنا فلم تستغرق سوى ساعتين بالطائرة الصغيرة .. وبعض السياح الذين يعشقون المغامرات قطعوا الرحلة فى خمسة أيام على ظهر المركب فوق مياه النيجر، من باماكو عاصمة مالى الى (كبارا) ميناء تمبكتو الصغير الذى يبعد عنها تسعة كيلومترات، انها رحلة عذاب مرهقة ..

هل تعود القناة ؟

كان فرع النيجر يصل حتى تمبكتو نفسها ، وكانت السفن تصل الى وسط سوقها والى موقع الفندق الحالى ، ولكن تاريخ المنطقة المؤلم حيث كان الناس ينهشون بعضهم ويتقاتلون فى كل مكان ، ادى الى ردم القناة التى كانت توصل السفن حتى تمبكتو ... ان استصلاح هذه القناة بطول ١٥ كيلو مترا ، هو الخطوة الاولى الواجب تنفيذها لتعود الروح الى تمبكتو .. سيتوفر الماء على مدار السنة ، وستصل السفن

هذا التمثال يتوسط الميدان الرئيسي في تمبكتو انه « الفاروق » الرجل الاسطورى الذى يعتقد اهل تمبكتو انه يحلق فوق منازلهم كل ليلة ليحميها .. ويزيد عدد اولياء المدينة عن ٣٦٥ وليا تزار اضرحتهم يومي الاثنين والجمعة .

انقذوا مسجد تمبكتو الجامع .. شيده سلطان مالى الشهير كانكو موسى منذ ٦٥٠ عاما واضيفت له توسعة بعد ٢٥٠ عام وبعدها لم تدخله اية اصلاحات : الارض رملية ، والجدران سقط طلاؤها ، العصافير تعشش في السقف ، الانارة معدومة « لا نحب النور الزائد » !! المهندس ابو اسحاق الساحلى او « الطويجن » كما يسمونه هنا ، استوحى فكرة الاعمدة الداخلية من مسجد قرطبة ، اما السقف الخارجى (الصورة السفلى) فما زالت الزخارف الطينية صامدة رغم مرور الزمان .
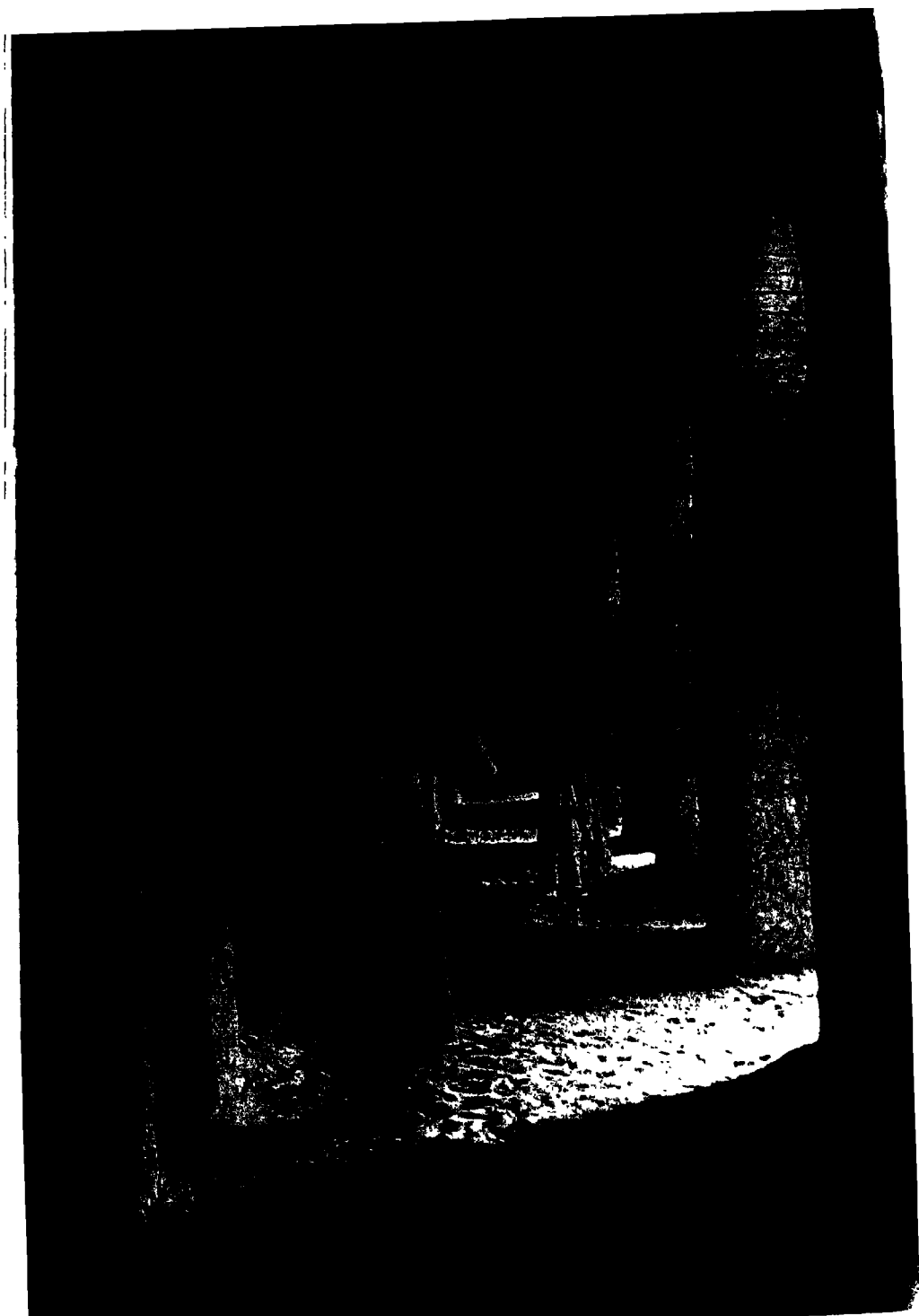
الى قلب المدينة مباشرة ، وستنتعش الزراعـة مرة اخرى ، ولن يموت سكان تمبكتو من الجوع او العطش ، فالابار سوف تمتلىء بالمياه الجوفية الغزيرة ..

اشعاع بدون نور !

واذا كان الماء هو مشكلة تمبكتو الاولى فـان الكهرباء هي مشكلتها الثانية ..

ويقول رئيس بلدية تمبكتو : « ان حفـلات القرن الخامس عشر الهجرى تحتاج الى كهـرباء وكل ما عندنا حاليا هـو ٣ مولـدات كهربائية اقمناها عندما كان عدد سكان تمبكتو ٦ الاف نسمة ، ومازالت هذه المولدات القديمة تعمـل حتى اليوم رغم ازدياد عدد السكان الى ٢٥ الف نـسـمة .. اننا نقف مكتوفى الايدى امام كل تقدم حديث بسبب نقص الكهرباء . الاحياء الجديدة نعجز عن مدها بالتيار الكهربائى ، حتى المستوصف الصغير الذى عندنا نريد تحويله الى مسـتشفى ولكن الكهرباء تنقصنا .. »

أن اهل القرى المجاورة ياتون الى تمبكتو بحثا عن العلاج ، فيجدون ادعياء الطب يعالجون المرضى بالاسـلوب القديم المؤلم .. ان تحويل تمبكتو الى عاصمة للمحافظة جعلها قبلة الانظار ومركزا للاشعاع ، دون ان يكون لديها بصيص من النور!

ماذا حدث الطوارق ؟

ورغم هذه المتاعب بدأ سكان تمبكتو يعودون الى مدينتهم ويقيمون الفيلات الحديثة على الطريق الوحيد المعبد المؤدى الى المطار والميناء ، والعناصر الرئيسية فى هؤلاء السكان ثلاثة هي :

× الصنغاى .. ذلك الشعب المالي المسلم الذى اسس امبراطوريته فى القرنين الخامس والسادس عشر .. افراده يتحدثون لغة الصنغاى التى تشكل الكلمات العربية ٤٠٪ من كلماتها .

× العرب أو المور .. وهم من اصول موريتانية عربيـة .

× الطوارق وينتسبون الى صنهاجة ولمتونـة ومسوفة ، وهى قبائل بربرية مغربية مشهورة .

والصنغاى يعيشون كلهم داخل مدينة تمبكتو.. اما العرب المور ، والطوارق فيعيش معظمهم تحت الخيام فى البوادى والصحارى حول المدينة
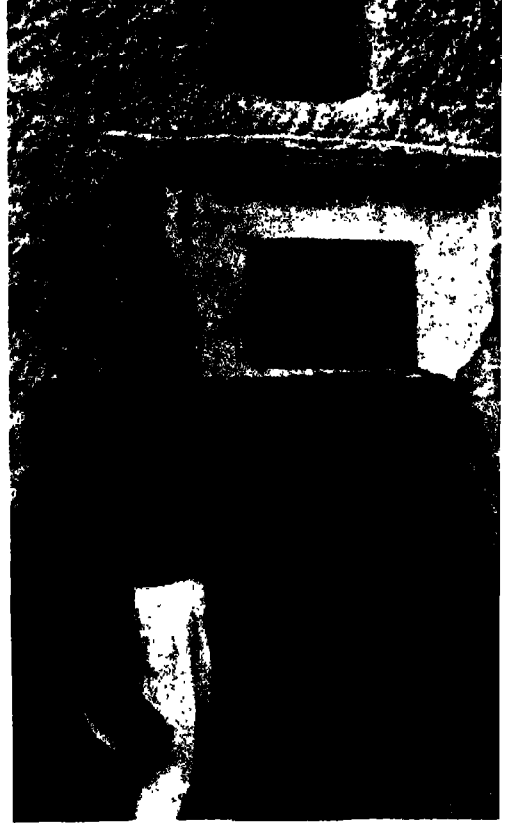
زيارة تمبكتو هى الحلم الذى يتمنى كل شباب اوربا تحقيقه .. انها يمكن أن تصبح منطقة سياحية من الدرجة الاولى .. قصص الاساطير ومغامرات الرحالة الاجانب تعطيها زخما سياحيا هائلا .. .. وقصة جوردون لانج بمفردها يمكنها ان تجتذب كل السياح الانجليز ، لو تم تحويل منزله فى تمبكتو الى متحف صغير .

عسكراتهم فوجدناهم
ة والتشرد والضياع !

طارقي النبيل الفخور
ى صهوة جملة المهرى
الى مطرب وراقص
ولاولاده الذين تعصف
القحط الكبير عشرات
٧٣.

ونزحوا الى الدول
جر وفولتا العليا
نحو ٧٥ الف نسمة
مسكرات صحراوية
خشون الاحتكاكبالعالم
لفرجة ، وكانهمذاهبون
صورون ما تبقى من
، ويشترون رماحهم
لاحقهم عينا الطارقى
دهاء فاصبحتا اليوم
لتعاسة .. انالغرائب
ى ماذا يفعل فلا احد

ا بالامنا

. او الموريتانيين العرب
باعدة عن بعضها . .
انهم ينافسون اخوانهم
وشظف العيش ، ورغم
لعربية ويعملون بكل
م (انظرصفحتى٧٢و٧٣)

الوطن العربى يطرونه
. عن اخبار الشعراء
ذ فجر الاسلام حتى

ت كلماتهم تتردد فى
اخبر بذلك اخوتنا

، فوق صحراء اشتهرت
ا فى الواقع ارض تكنز
ا فيها اخيرا اليورانيوم
النفط فينقبون عنه

هذه القناة كانت توصل مياه النيجر لتمبكتو، وكانت السفن تصل حتى اسواق المدينة ، اما اليوم فقد غطت الرمال المتحركة مجرى القناة ، واصبح الاطفال يسيرون فى مياهها الضحلة .. ان اصلاح هذه القناة سيعيد الروح الى المدينة ، التى تعتمد حاليا على مينائها النهرى (كبارا) من اجل تموينها بالحبوب والمنتوجات الاخ

الموريتانيون والطوارق يكافحون
من اجل البقاء ومقاومة عوامل
الفناء .. يعيشون على نفس
نمط اجدادهم .. لا يساعدهم
ـ ولا يساعدون ـ احدا لتغيير
نمط حياتهم التعسة .. الماء
يستخرجونه بشد حبال الدلو
من عمق ٤٠ مترا .. وفي
معسكراتهم يقف الطوارق الى
جانب جمالهم [illegible] صورهم السياح
مقابل دريهمات [illegible] مطلوب رد
الكرامة الى [illegible] لنا نسيناهم

الى اليسار : اغرب واقدم تجارة فى تمبكتو هى تجارة الملح الصخرى الذى يستخرج من مناجم الملح فى تودينى على هيئة الواح تنقلها جمال الطوارق في رحلة صحراوية طويلة مرهقة .. وعند مشارف تمبكتو تنقل الى ظهور الحمير لبيعها فى السوق ، وتصديرها .. الى بقية اجزاء مالى .كانوا يقايضون الملح بالذهب اما اليوم فانخفض ثمن الكيلو الى ما يوازى نصف دولار .. «تفضله على غيره لانه يعطى قوة في البدن وفى الابصار والجسمانية » .

لم يبق من امجاد الطوارق فى تمبكتو سوى ذكريات الحروب وبطولات الافراد .. وجمهم المخفى خلف اللثام كان يظهر عينين كلهما ذكاء ودهاء . امـا اليوم فقد غطاهما بنظارة سوداء ليخفى نظرات الحيرة والبؤس .. ويهوى السياح الالمان مشاركتهم حياتهم التعسة ، فيقضون معهم ايـاما قصيرة يشربون الشـاى ويدقون معهم المهراس الخشبى المشقوق .

لغات وطنية دون قواعد !

ان تمبكتو اليوم تنطفىء ثقافيا .. كـان عدد طلبتها ٢٥ الف طالب فى القرن الخامس عشر هبطوا اليوم الى ٢٥٠٠ طالب فقط يتعلمون فى ظروف صـعبة !

العربية كانت هى اللغـة الرسـمية ، واليوم لم نجـد فى كل تمبكتو سـوى استاذين مؤهلـين يدرسان العربية !! وماساة تعليـم العربيـة فى تمبكتو ، هى جزء من ماساة التعليم فى جمهوريـة مالى ، حيث تصل نسبة الامية الى نحو ٨٠ بالمائة .. بعد استقلال مالى سنة ١٩٦٠ شعر المسئولون بحاجتهم الى لغـة وطنية ، وعندما احتاروا فى اى اللغات يختارون قرروا فى عام ١٩٦٧ ان تكون لغات البمبارا ، والپوول .. والصنغاى .. والتماشـيك هي اللغـات الرسـمية .. ولكنهم لم ينتهوا بعد من اعداد ابجدياتها وقواعدها .. لهـذا قـرروا ان تظـل الفرنسـية هي اللغـة الرسمية حتى اشعار آخر .

اللغة العربية فى محنة !

ويتعلم الطلبة لغة ثانية يختارونها من بـين الانجليزية والروسية والصينية والعربيـة . .

فما هو موقع اللغة العربية الى جانب هـذه اللغات ؟

فى مدرسة تمبكتو الثانوية اختار ٧٢ طالبـا تعلم العربية كلغة ثانية ، بينما اختار ٥٠٠ طالب تعلم الانجليزية !!

ترى ما الذى حدث ليتدهور تعليم لغتنا الى هذا الحـد ؟

ان روابط مالى بالوطن العربى كانت وثيقة منذ قرون طويلة من الزمان ، وتأثير العرب فى حضارة مالى تأثير كبير يعترف به الجميع .. والعربية تتحدث بها قبائل عديدة على طول الحزام الصحراوى فى مالى ، وكانت هى اللغة التى دخل بها الاسلام الى قلوب أهل مالى ، فانتشرت مدارسها فى أغلب مدن مالى .. وخضعت مالى للنفوذ الفرنسى ومع ذلك ظلت العربية مزدهرة ، ومع رياح الاستقلال بدأت تظهر مشكلة تعليم العربية : نقص هائل فى المدرسين وانعدام الكتب والمناهج ..

ان احياء تعليم اللغة العربية فى تمبكتو فقط يحتاج الى خمسة مدرسين اكفاء يعملون على اعادة رغبة الطلبة فى تعلم لغتنا .. ولابد من تزويدهم بمجموعات من الكتب الحديثة تتبع منهجا موحدا ، « لان الكتب التى نعلم بها حاليا ورثناها من المدرسة القديمة عام ١٩٦٦ كتب قليلة العدد لا تتبع منهجا أو نظاما .. لهذا يدرس كل ثلاثة طلبة فى كتاب واحد !! »

هكذا يتعلمون العربية فى تمبكتو ، كل ثلاثة يقراون فى كتاب قديم لا يتبع منهجا او نظاما مقررا .. واصبح الساقط فى امتحان اللغة العربية يعتبر ناجحا ، اذا استطاع النجاح في بقية المواد !!

والاهم من كل ذلك ايجاد الوظائف التى سيعين فيها خريجو قسم اللغة العربية ، فكل شىء هنا بالفرنسية .. واذا تحدثت بالعربية مع احد المسئولين فانك سوف تشعر انمحدثك اصيب بدوار ، وعمد الى تغيير مجرى الحديث الى اللغة الفرنسية !!

مدينة البقشيش !!

ان المؤرخين يذكرون فى كتبهم ان ابناء تمبكتو كانوا يضعون كرامتهم وعزتهم قبل كل شىء يرفضون المساعدة ويخفون ضائقتهم حتىلايتصدق عليهم أحد .. اما اليوم فانت لا تسير فى الطريق الا وحولك عشرات الاطفال يطلبون اى شىء بلغة فرنسية ركيكة : مسيو .. دونيه سيجاريت .. دونيه سينكونت فران .. دونيه بيك .. سيلفوبليه .. « أى اعطنى سيجارة .. اعطنى ٥٠ فرنكا .. اعطنى قلما جافا ماركه بيك من فضلك » .

والويل لك عند التصوير .. كل فرد ظهر فى الصورة ، او حتى لم يظهر ، يريد ثمنا لخدماته! وفى نهاية الرحلة خيل لنا ان جدران المبانى سوف تطلب بقشيشا لاننا صورناها !! لقد تحولت تمبكتو من مدينة الاصالة والكرامة الى مدينة البقشيش !!

هنا عاش لانج وكاييه !!

وتشترك شركة السياحة فى ذبح الدجاجة التى تبيض ذهبا .. انها تفرض رسوما خيالية على السياح ، حتى ان مجرد جولة جماعية على الاقدام على معالم تمبكتو السياحية مع دليل تكلف ٢٠ دولارا للشخص الواحد !!

ياخذونه الى ساحة كوى باتونة ، وهناك يشير الدليل بيده الى أرض رملية ويقول : هنا كانت تقوم البئر الشهيرة التى كانت تحرسها العجوز بوكتو .. وقد اندثرت الان !!

ويكمل الدليل جولته بزيارة المنازل التى نزل فيها المستكشفون ، بعضهم دفع حياته فىسبيل الوصول الى تمبكتو مثل الانجليزى جوردون لانج سنة ١٨٢٦ م وبعضهم نجح فى الوصول اليها سالما مثل الفرنسى رينيه كاييه سنة ١٨٢٨ م والالمانى بارث سنة ١٨٥٣ م والنمساوى لانز سنة ١٨٨٠ م والامريكى بيركى عام ١٩١٢ م

كانت مياه نهر النيجر تصل الى مكان سوق تمبكتو الحالى الذى يباع فيه الفلفل الاحمر والسمك المجفف المغطى بالذباب،والذرة والفول السودانى والملح الصخرى واللبان والحنة والتوابلوغيرها.

الجوع يدق على ابواب تمبكتو باستمرار ، لان اهلها فقراء جهلاء لا يجيدون استخراج الطعام من الارض .. في الصباح ينزل الحراط الى قاع البئر العميقة التي حفرها بيديه ليملا صفيحتين بالماء .. يسقى بهما اشتالا ، صارت شجيرات وهو لم يشتلها بعد .. لم يعلمه احد كيف يزرع .. انه يقلد الطبيعة (الصورة اليمنى) .. اما نساء الحى فيخبزن الطعام في افران مشتركة مقامة عند ناصية الطرقات ، يشعلون الحطب فيها من الساعة الرابعة صباحا ، ليبدا خبز العجين في السادسة .. كل هذا من اجل عمل خبز مخلوط بالرماد والرمال المتطايرة .. اما الفاز فلم تعرفه المنطقة بعد . ان رمال الصحراء الكبرى تزحف على تمبكتو من الشمال ، بينما الجزء الجنوبي يستعد ليصبح ارضا زراعيةترويها مياهالنيجر الغنية بالطمى..ان نهر النيجر بالنسبة لاهل مالى هو بمثابة النيل لاهلمصر.

مستكشفون جاءوا الى هنا ، وسكنوا فى منازل ما زالت قائمة ، يسكن فيها اناس عاديون لا يعرفون شيئا عن الرحالة او المستكشفين !!

ان تحويل هذه المنازل التاريخية الى متاحف صغيرة امر ضرورى بعد اخراج سكانها منها !! .

جولة على مساجد تمبكتو

ثم نبدا جولة على مساجد تمبكتو .. هذا هو المسجد الكبير (جيجارى بيل) شيده كانكو « السلطان » موسى ، الذى اشتهر بانه كان يبنى مسجدا فى كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها وقد شيد مسجد تمبكتو بعد عودته من رحلة الحج الشهيرة عام ١٣٢٥ م واشرف على بنائه ابو اسحاق ابراهيم الساحلى الشاعر القرطبى والمهندس، لهذا جاءت هندسته الداخلية على غرار مسجد قرطبة العظيم مع الفارق طبعا اما خارجه فقد شيد بالطين الصحراوى على نمط الهندسة السودانية القديمة ..ومنارته الكبيرة متامة على اربعة اضرحة لاربعة اولياء .. وفى ساحة هذا المسجد الخارجية يقع الباب

تبرعت يوغوسلافيا ببناء سوق تجارى حديث فى تمبكتو . فجاء وكأنه قطعة من القرن العشرين زرعت وسط القرن الخامس عشر !!

العجيب الذى يعتقد أهل تمبكتو أنه اذا فتح حلت نهاية العالم .. !!

ويتجه السياح بعد ذلك الى مسجد سيدى يحيى .. لقد شوهوه بالتحصينات الحديثة التى ادخلوها على بابه ومئذنته عام ١٩٣٩ م فى حين انه مسجد قديم شيده سيدى همالا عام ١٤٠٠ الميلادى بعد ان شاهد فى منامه حلما يقول له : شيد مسجدا هنا فسوف يأتى ولى من بعيد ليكون اماما على هذا المسجد .. وشيد المسجد الذى بقى ٤٠ عاما مغلقا .. وبعدها جاء من بلاد المغرب الشيخ سيدى يحيى الشريف وطلب من امير المدينة مفتاح المسجد ، وفتحه وصلى بالناس واستمر اماما لهذا المسجد حتى مماته حيث دفن فيه تحت المنارة ..

جامع وجامعة ..

اما الجامع الثالث فهو اشهر جوامع تمبكتو انه جامع سنكوريه ـ او سنكورى ـ الذى تقام فيه حاليا الصلوات فقط ، فى حين انه كان فى الماضى مقرا لجامعة سنكوريه التى جعلت من تمبكتو المركز الدينى والثقافى فى غرب افريقيا ..

يقول صاحب تاريخ السودان ان هذا الجامع شيدته امراة عظيمة فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .. وبين سنوات ١٥٧٨ ، ١٥٨٢ م اعيده بناء هذا الجامع باكمله واخذ أبعاد الكعبة الشريفة ..

ومن هذا الجامع الجامعة ، تخرج كبار العلماء فى كل الفنون الاسلامية ، ولكن الثورات ومكائد السياسة تدخلت بين رجال العلم والحكام فكانت نهاية جامعة سنكوريه حوالى عام ١٥٩٤ م بطرد اساتذتها وسجنهم وقتل بعضهم ، ونفى البعض الاخر الى المغرب ..

ومن هؤلاء المنفيين كان المؤرخ الفقيه وحيد زمانه ابو العباس احمد بن احمد المعروف باحمد بابا السودانى .. الف ما يزيد على الخمسين كتابا فى مختلف الفروع والعلوم وما يزال معظمها مخطوطا حتى اليوم .

المكتبات تظهر مع الامطار

وتكريما لهذا العالم التمبكتى الفذ اطلق اسمه على عدة منشآت من بينها مركز « احمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية .. » لقد اختارت اليونسكو مدينة تمبكتو مقرا لهذا المركز لاهميتها

أبو العرف ..

« ومن المكتبات الاخرى الكبيرة والشهيرة في تمبكتو .. مكتبة محمد محمود بن الشيخ توفى صاحبها .. وابنه قاصر ، والمكتبة مغلقة يصعب الدخول اليها !! »

وينهي الدكتور الزبير حديثه قائلا : اننا نهدف الى تحويل هذا المركز ليصبح شبه جامعة تأخذ مكان جامعة سنكورية القديمة ..

« وقد اتصلنا مع معظم الدول العربية ، وخاصة الكويت ، التي وعدت بتطوير المركز وتقديم مساعدات مالية له لتنظيم احتفالات القرن الخامس عشر الهجري .. كما حصلنا على وعد من العراق لبناء قاعة للمحاضرات والاجتماعات .. وبعد زيارة السفير السعودي للمركز وعدنا بكتابة تقرير الى حكومته لمساعدة المركز .. »

واجب كل مسلم

ان عشرة في المائة من سكان اوروبا يحلمون بزيارة تمبكتو .. فالقصص والكتب المؤلفة عنها تجعلها اشبه بالمدينة السحرية .. ولكن الذي يزور تمبكتو مرة ، في ظروفها الحالية لا يعاود السفر اليها بالمرة .. من فرط التعب والعرق وخيبة الامل التي يصاب بها ..

ان اعادة النور الى منارة الاسلام في غرب افريقيا هي من واجب كل دولة ، وكل بنك وكل مؤسسة مالية اسلامية .

ما اسهل أن تشترك صناديق الانماء العربية في تمويل مشروع اعادة حفر القناة ...

وما اسهل ان ترسل دولة عربية عشرة اساتذة بدلا من خمسة لاحياء لغة القرآن في مدينة الاسلام ..

ما اسهل .. وما اسهل .. وما اسهل ..

ولكن ما اصعب التنفيذ .. وخاصة في بلد مثل مالي كانت المساعدات الغذائية الدولية تنهال عليه من كل صوب لانقاذ اهل تمبكتو وما جاورها من الجوع والقحط .. مساعدات هائلة وجدت طريقها الى الاسواق السوداء بدلا من أن تصل الى افواه الوف الجياع من ابناء تمبكتو وباديتها!

ما رأيكم لو تكونت لجنة عربية اسلامية شعارها :

— انقذوا تمبكتو ... ■■

سليم زبال

كورومي هو سهل تمبكتو الفسيح (١٧٠٠ هكتار) كانت تغمره مياه النيجر .. تبرعت شركة بلجيكية خاصة باستصلاح ٦٠٠ هكتار منه ، بعد اقامة سد صغير للتحكم في مياه النهر .. سوف تنتج الارض المستصلة محصولين سنويا من الارز والقمح والذرة.

التاريخية من جميع النواحي الدينية والعلمية والحضارية ..

والتقينا بمدير المركز الدكتور محمود عبده الزبير (ليسانس اداب من جامعة عين شمس ، ودكتوراه في التاريخ من السربون بباريس) الذي قال لنا : « بدأ المركز نشاطه منذ سنتين ، وقد جمعنا حتى الان اكثر من الف مخطوط عن طريق الشراء أو الاعارة او الهبة .. والعدد الاكبر من المباني القديمة المهجورة يتساقط عندما يأتي موسم الامطار فتظهر المكتبات والكتب النادرة ..

« كل أسرة كبيرة في تمبكتو تمتلك مكتبة عامرة بالكتب .. وكان الناس يحفظونها في غرف مقفلة بدون شبابيك .. واستطعنا اقناع اصحاب هذه المكتبات بضرورة فتح شبابيك في هذه الغرف .. وقمنا بهذه العملية فعلا على حسابنا حفاظا على المخطوطات الموجودة فيها ..

« تصوروا أننا امضينا شهرا كاملا دون أن نستطيع حصر الكتب الكثيرة الموجودة عند عائلة
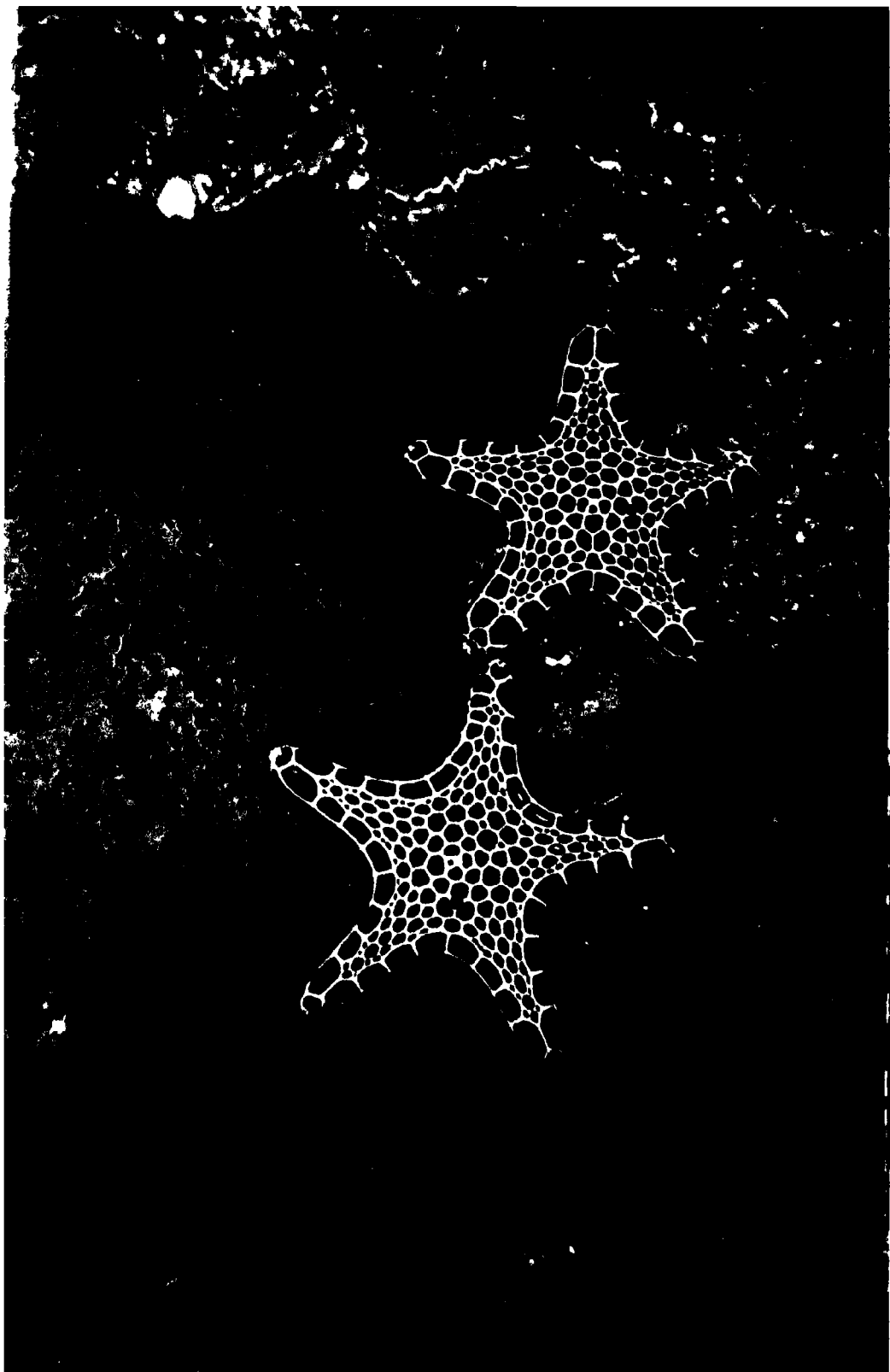
جنة الحيوانات البحرية المرجانية

« بغير أكثرات يقوم الانسان بافناء هذه المخلوقات المتالقة التى تعيش فى عالمها السحرى تحت سطح الماء »

(قنديل او نجم البحر ، برتقالى اللون والى جانبه نجمان « بسكويتيان » والخلفية مكونة من اسفنج اصفر وطحالب مرجانية العيون ·· وهى على عمق ٩٠ قدما بمحاذاة الساحل الغربى من استراليا · (الصورة الى اليمين) شقائق النعمان البحرى وهو اكثر الشقائق البحرية شيوعا فى بحار استراليا · ومما يذكر ان صغاره تنمو داخل جسم احد الابوين، ثم تخرج او تلفظ لفظا من طريق الفم · (الصورة الى اسفل)

■ تشكل مجموعات الحيوانات البحرية المرجانية الحية منظرا أخاذا خلال ساعات النهار المشمسة ، غير انه بالامكان كشف النقاب بصورة افضل عن الطبيعة الحقيقية لهذه المخلوقات اثناء الليل • غير ان القدماء لم يكونوا قادرين على القيام بمثل هذه الملاحظات الامر الذى ادى الى وقوعهم فى خطا جوهرى ، فقد اعتقدوا بان الحيوانات المرجانية نباتات • لان هذه الحيوانات تشبه الاشجار والشجيرات ذات اللون الفاتح خلال النهار ، كما انها لا تتحرك فى اماكن تواجدها فى الغابة الكائنة تحت سطح الماء ، ولكن بامكان اى شخص يغوص تحت المياه الصافية فى الليل ان يشاهد هذه المخلوقات • ففى ثوان تعج المنطقة بالحيوانات المرجانية التى تشبه الفراشات •وعلى الفور تصبح الطبيعة الحقيقية لهذه الحيوانات واضحة •• وتتحرك مئات من الازهار الصغيرة كما يظن للوهلة الاولى على السطح المرجانى • وتطلق الافا من التويجيات (البتلات) فى الماء ومن ثم يجرى الامساك بكل حيوان يلمسها ويتم سحبه الى داخل الازهار وهو يناضل للافلات دون جدوى •

فالازهار هى فى الحقيقة نوع من «البولب»وهو اسم يطلق على اشكال من الحيوانات المائية البسيطة • كما ان تويجياتها عبارة عن مجسات• وتعيش على الغصين الخارجى لشجرة المرجان حيوانات ضارة متناهية فى الصغر • وبامكان اى انسان ان يشاهد مذبحة اثناء نوبة الغذاء الجنونية كما انه لو كان امام اسماك القرش •

من اجل سعادة الانسان

وتغطى الحيوانات البحرية المرجانية جزءا من سطح الارض اكثر من اية كائنات اخرى فى المناطق المائية الضحلة •• وهذه الحيوانات ذات قدرة انتاجية من الناحية البيولوجية فهى تزود غذائنا بحاجته من المواد الحية الفعالة اكثر من حقل لقصب السكر تمت حراثته بعناية فائقة • وفى المناطق الاستوائية تؤمن الحيوانات المرجانية مقدارا هاما من البروتين ذى النسبة العالية عن طريق توفير البيئة الملائمة للسمك والحيوانات الصدفية المائية كما انها تكثر فى الكائنات الحية التى تعتبر ذات نفع كبير كالادوية والادوات التى يحتاجها البحث المتعلق بعلم العقاقير •

نوع من المخلوقات المرجانية الاكثر انتشارا فى المناطق المائية الضحلة والتى تشكل اغصانها الرائعة التى تشبه قرون الوعول مخبأ للاسماك•

وتقدم المناطق المرجانية كذلك مساهمة فورية وعملية من اجل سعادة بنى الانسان • فالصخور المرجانية تشكل حاجزا طبيعيا للامواج على امتداد واسع ، يعتبر افضل من اية حواجز اقامتها الهندسة الحديثة• ويوفر فى الوقت نفسه الحماية لالاف الاميال من الخط الساحلى •

ولم يعرف حتى الآن معدل سمك الصخور المرجانية ، ولكن تلك التى تقع على قمة الجبال المغمورة لتشكل الجزر المرجانية تمتد عدة الاف من الاقدام تحت السطح•وعند حافة الصخر المرجانى توجد جذور واغصان ناتئة اسفنجية الشكل تمتد مسافة تتراوح ما بين ثلاثين الى اربعين ياردة نحو البحر •

ومعظم الجزر المرجانية الموجودة فى العالم وعددها اربعمائة جزيرة والتى ترتفع عدة اقدام فقط عن سطح البحر قد تنجرف فى غضون اقل من عام بدون حماية من جانب الصخور المحيطة بها •

ويبدا تكون مستعمرة الحيوانات البحرية المرجانية الجديدة عندما يتم انتاج السائل المنوى والبيض

حيوان مرجانى ذو ألوان أخاذة وهو من الاصناف التىتوجد عادة فى مستعمرات كبيرة.

داخل البوالب . وكل بولب يستطيع القيام بوظيفة الذكر أو الانثى مع انه من النادر حدوث ذلك فى وقت واحد . وعندما تدخل السوائل المنوية الماء ياخذ بعضها طريقه الى تجاويف الجسم التابعة لبوالب أخرى تحتوى على بيض حيث تتم عملية التخصيب . وينمو البيض الملقح ليصبح يرقات تسمى الواحدة منها يرقة الحيوانات اللاحشوية . وغالبا ما تسبح أعداد كبيرة من هذه اليرقات فى طبقة تقع مباشرة اسفل سطح المحيط . ومعظم اليرقات اللاحشوية اما ان يتم التهامها من جانب حيوانات مفترسة او ان تنجرف بقوة الى البحر .

ومن بين الاف الملايين من هذه اليرقات التى يطلقها الحيوان الى البحر المرجانى خلال ايام حياته ، قد لا تعيش سوى يرقة واحدة تقوم فيما بعد بتكوين مستعمرة جديدة .

وعندما تشق اليرقة التى ظلت على قيد الحياة طريقها فى النهاية الى اسفل ، فانها تبحث قبل كل شىء عن موقع ملائم فى قاع البحر لتستقر فيه وتنمو . وبعد ساعات قلائل من استقرار اليرقة فى هذا الموقع يبدأ هيكل عظمى أبيض نجمى الشكل فى الظهور داخلها واسفل منها حيث يلتصق الحيوان فى الجزء السفلى .

وفى غضون عدة أيام يتخذ الهيكل العظمى شكل حيوان مصغر مخروطى الشكل ، ثم ينمو هذا الحيوان ليصبح فيما بعد بولبا مزودا بعدة مجسات قد تصل الى اثنى عشر مجسا . وفى العال ياخذ البولب فى الانقسام ، وفى خلال بضعة اسابيع تكون عشرات من البوالب قد تشكلت . ولمعرفة مدى السرعة التى تتم بها عملية انقسام البوالب يذكر ان مرساة لاحدى السفن بقيت فى قاع المحيط قبالة جزيرة فيجى لمدة ثلاث سنوات مما جعلها مكانا ملائما لنمو الحيوانات المرجانية، حيث وجد خمسة وعشرون الف بولب على هذه المرساة .

خطر ازالة الاشجار

وبينما تنمو المستعمرة المرجانية الى أعلى تحتفظ البوالب بمواقعها على سطح الهيكل العظمى عن طريق تشبثها بقمم المواقع القديمة فى الوقت الذى تبنى فيه اماكن جديدة فوقها . ويحتوى الهيكل الداخلى لرأس الحيوان المرجانى على طبقات كثيرة تشبه قرص العسل خزفى الشكل .

وهناك حقيقة بدهية تقول بارتباط الاشياء بعضها ببعض فى النهاية . فالانسان الذى يقطع اشجارا على الشواطىء الاستوائية انما يقوم فى الوقت نفسه بتدمير حيوانات مرجانية وتجرى عملية ازالة الاحراج الاستوائية بمعدلات سريعة لمواجهة الطلب المتزايد على الارض الغالية من الاحراج وذلك فى ضوء الانفجار السكانى المتعاظم ، وهذا يؤدى بدوره الى تعرية التربة على نطاق واسع.

واظهرت دراسة اجريت فى البرازيل ان كل فدان من الغابات الاستوائية يفقد بصورة طبيعية أقل من أربعمائة وثلاثة وخمسين جراما من تربته كل عام بفعل التعرية ، فى حين يفقد هذا الفدان ثلاثة عشر طنا من التربة سنويا عقب ازالة الاحراج

وفور قطع الاشجار من بقعة ما فان التربة تصبح مصدر خطر تحملها الانهار الى الساحل

▲ شقائق النعمان البحرية ذات اللون الاخضرواسمها Anthopleura xanthogrammica كما تبدو فى Cape johnson فى واشنطن •
لاحظ أن الشقائق التى فى المقدمة ، وهى ذات المجسات المفرودة ، مغمورة بالماء بينما تلك التى مجساتها مقبوضة موجودة خارج الماء •

▲ اثنتان من الرخويات اللاصدفية ، وهما من رتبة الرخويات البحرية العارية الخياشيم ، ويطلق على العليا منها اسم (Glossidoris westralieis) وعلى السفلى اسم (Branchus imperialis)
وتعرف هذه الاخيرة بالسيدة الراقصة نظرا للطريقة التى تتلوى بها وتتثنى •
وتظهر كلتاهما فى الحيد التجرى العظيم قرب استراليا (الحيد هو سلسلة صخور مغمورة ولكنها قريبة من سطح البحر) •

وتقذفها الى اماكن تواجد الحيوانات البحرية المرجانية • وتصبح هذه الحيوانات مغطاه بالتربة المترسبة بحيث لا تستطيع الحركة ويكون مصيرها الموت المحقق في غضون ايام •

وبامكان اى شخص موجود في طائرة فوق الجزر الاستوائية المرتفعة ان يحدد بدقة موقع حدوث تعرية التربة •

وعقب هطول امطار غزيرة تمتد التربة المترسبة سواء كانت حمراء او رمادية من مصب الانهار الى الصخور المرجانية •

وعلى نطاق محدود فان مثل هذه التعرية والرسوبات الساحلية هي عوامل طبيعية • ولكن في بورتوريكو فان عوامل التعرية كثيرة وبخاصة في الموسم الممطر حيث تحيط الاتربة المنجرفة بالجزيرة•

وفي استراليا اعلن علماء الاحياء ان الزراعة بدون تخطيط التي تسببت في حدوث تعرية هائلة للتربة ، قد اتلفت اجزاء داخلية من الحاجز المرجاني الكبير منذ عام ١٩٤٨ م

وكذلك فان ازالة الحياة النباتية في اقليم ما من شانها ان تقلل من قدرة الارض على الاحتفاظ بالرطوبة ومياه الامطار التي كانت تنساب على الارض بهدوء واصبحت الان تجرف أمامها طبقة من التربة يبلغ سمكها عدة اقدام ، ذلك لان الحيوانات المرجانية وغيرها لا تحتمل الصمود امام المياه العذبة •• ويعد هذا عامل تلويث في بيئته •

التلوث هو المشكلة

ومياه المجاري هي سبب آخر من اسباب القضاء على هذه المخلوقات • فعندما تتعرض الحيوانات المرجانية للتلوث الناجم عن مياه المجاري فان عدد انواعها يقل • وفي الوقت نفسه فان قطاعات من الكائنات الاخرى تصبح ذات قدرة على احتمال التلوث وتنمو بسرعة حيث تسود وتتم لها الغلبة•

وليس ادل على ما نحن بصدده من حالة الطحالب الخضراء الموجودة بكثرة في خليج كينوهي احد اكثر الصخور المرجانية انتشارا في جزر هاواي • فاعداد هذه الطحالب قد تضاعف هناك عشرات المرات بفضل المادة المغذية الموجودة في مياه المجاري• وبسبب انعدام الضوء والاوكسجين والطعام فقد ماتت الحيوانات البحرية المرجانية القابعة اسفل الطحالب • وعندما تموت هذه الحيوانات فان الاسماك المجاورة أو الحيوانات اللافقارية تغادر المنطقة او تلقى حتفها •

وبما ان الطحالب الخضراء قد طمست او قضت على الحيوانات المرجانية في خليج كينوهي فان وجود قطاعات من الاسماك وسرطان البحر وغيرها من الحيوانات البحرية قد تضاءل في تلك المنطقة •

واليوم فان الطحالب هي الكائنات الحية الاكثر وفرة وانتشارا في الخليج المذكور •

وعندما يتم تدمير الحيوان المرجاني فانه قلما يعود الى الحياة من جديد • ففي بيرمودا تبين ان عددا ضئيلا جدا كتبت له الحياة وعاش من جديد، من بين مجموعات كبيرة من هذا الحيوان كانت قد دمرت في عام ١٩٤١ م بفعل الرسوب الترابي الناجم عن رفع الوحل من قاع البحر • واذا ما تمت لها الحياة ثانية فانها تكون بصورة بطيئة • وبينما تعيش بعض الحيوانات المرجانية اربع او خمس سنوات فان كائنات اخرى منها تستغرق مائتي عام أو أكثر لتصل الى مرحلة النمو الكامل •

واحتمالات حل مسالة التلوث البيئي ليست افضل من الوسط الكئيب في معظم البلدان الاستوائية • فالاشخاص المدربون والاموال غير كافية •

وفي الدول التي تحاول عبثا التقدم اقتصاديا فان موقفا عاما ازاء تلوث البيئة يمكن استخلاصه من خلال تصريح لزعيم افريقي افضى به مؤخرا وجاء فيه قوله : « اذا كان التقدم الاقتصادي يعني التلوث فان الذي نحتاجه عندئذ هو مزيد من التلوث » •

وبوضوح فان أهم خطوة يمكن اتخاذها للتقليل من التلوث في المناطق الاستوائية هي الثقافة البيئية • فبينما اصبح علم البيئة : وهو فرع من علم الاحياء يدرس العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها ، اصبح جزءا من المنهج الذي يدرس في العديد من المدارس فان ردحا من الزمن قد يمر قبل ان يحدث هذا التدريب اثره على السياسات البيئية •

واخيرا فاذا كنت راغبا في مشاهدة حيوان بحري مرجاني على قيد الحياة فان عليك عدم الانتظار طويلا • حاول ان تملأ عينيك به اليوم ، فقد لا تراه غدا ! ■■

ترجمة واعداد : سمير جيوسي

« الحمق » هو اقرب الاضواء للحس العام وايسرها لتوضيح معناه •

الحس العام

العام لدى ذلك الاعرابي .

والحس العام Common sense اصطلاح غربي معاصر عرفه الجميع منذ غابر الازمان بكلمات واصطلاحات اخرى مشابهة ومقاربة تدل على : استخدام العقل والفطنة في حل المشاكل وتسيير امور الحياة . والحس العام يعني ايضا : «الحكمة في ادارة الامور» ويعني كذلك : «استخدام الفكر والخبرة لفك العقد والمعضلات الانية ..» ويعني ايضا : «كيفية الربط وايجاد العلاقات المختلفة لتجاوز الازمات والمشاكل» . وقد تعني ايضا : «الاسلوب المنطقي المعقول في استجابة الانسان لحوافز ومؤشرات الحياة» .

الحس العام ... غير عام

وقد يبدو لاول وهلة انمن المفروض اوالبداهة ان يمتلك كل انسان حسا عاما يلجأ اليه ويستعمله في تسيير اموره او الابحار بسفينة ذاته واتباعه في المحيط والمجتمع .. ، لكن الوقائع والتجارب تؤكد للمتتبع انه لو لجأ الناس الى حسهم العام فعلا واستعانوا به،لهبطت حدة المشاكل والاحتكاكات والمصادمات الى مستوى يثلج الصدور .. ، مما يدل على ان الحس العام قليل الاستعمال . ولا نجازف بالقول انه نادر الوجود او هو موجود فعلا مع ندرة اللجوء اليه .

وفي هذا قال احد الحكماء الساخرين : ان الحس العام ، غير عام ، ونادر الوجود ! . ولعل رنة السخرية وموقع الجملة يبدو اكثر جاذبية كما قالها بالانكليزية :

Common Sense,is a rare rense,hardly possessedi

وشاهدنا على صحة هذا الحكم ما نلمسه من مصاعب تنجم من جراء انتفاء الحس العام :كمجرد الروتين وتزمته .. والتمسك بحرفيات القوانين والتعليمات . فالاداري الممتاز والقاضي الناجح هو الذي يمتلك من المرونة وسعة العقل ورحابة الصدر ما يكفي لتكوين حس عام يطبق القوانين والانظمة والتعليمات لا بحرفياتها بل بمدلولاتها.. لا بنصوصها بل بروحيتها دون المساس بها وبقوتها وحرمتها وتاثيرها .

الحس العام ... ليس الذكاء

والحس العام لا يعتمد على الذكاء الصرف ، او بالاحرى ان وجود الذكاء ليس شرطا اساسيا لوجود الحس العام ، لان الذكاء احيانا يفتقرالى الحكمة ، والفرق بينهما شاسع .

والذكاء انواع : ذكاء عام وذكاء خاص.والذكاء العام هو مجموع ومحصلة القابليات العقلية الفطرية للانسان (عملية ولغوية ..) . امالذكاء الخاص فيدخل في الذكاء العام ويزيد عليه بميزة اخرى هي الاختصاص والامتياز فيه . فمثلا،وجود قابلية خاصة في فن الموسيقى..او الغناء،او الرياضيات. او الكلام ، او المهارة اليدوية الميكانيكية .. ، او الذاكرة . ، او الحفظ . الخ .

وما نود التاكد عليه اننا قد نجد شخصا ذكيا جدا او عبقريا في الفيزياء وذا ملكة عقلية وذكاء عام فوق المتوسط ، ومع ذلك فانه قد لا ينجح في حياته العائلية او في حل مشاكله الانية او اموره الاجتماعية ، اي تعوزة تلك الحكمة والخبرة الحياتية العملية . فالحس العام اذا هو ليس ذكاء صرفا بل قابلية على ربط الاشياء برباط جدلي واستنباط الحلول المناسبة والاجوبة الشافية لها ...

والحس العام .. ليس الثقافة

كذلك فان الحس العام لا يعتمد على التعلم في المدرسة والجامعة لان حكماء البشر المشهورين كانت مدرستهم هي الحياة .. وكانت كتبهم واقلامهم هي ورقة ملاحظاتهم ورهافة احاسيسهم .

« والعارفة » بين عشائر البدو العربية هم خير مثال على عقلاء الناس الذين يتملكون ذلك الحس العام الذي يلمسه الاخرون فيستعينون بهم لحل نزاعاتهم ومشاكلهم . وحكماء العرب في التاريخ هم الذين امتلكوا قدرا كبيرا من الحس العام جعلهم ذائعي الصيت وخالدين في تاريخ امتهم مثل اكثم بن صيفي .

اذن ، فالحس العام قد يستند الى المعرفة والثقافة ولكنه ليس المعرفة والثقافة حصرا ، وليس شهادة البكالوريوس او الماجستير او الدكتوراه ، لانها شهادات في حقل معين من علوم الحياة وليست شهادات خبرة في الحياة او فطنة في مجابهة الصعاب .

والسايكوباثية

واذا كان الشيء لا يعرف احيانا الا بضده،

فان الحمق هو الرب الاضداد للحس العام وايسرها لتوضيح معناه • وصفات الحمق معروفة • فالحمق علة طبيعية ، والاخرق مندفع وعنيد وسطحي ومتكابر ، وكلها صفات تتنافى مع الحس العام• يقول الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها

اما المرض العقلي الذى هو اشد درجات الحمق الاعتيادى فهو السايكوباتية Psychopathy
السلوك اللااجتماعي Antisocial behavior
وهو من الامراض العقلية المهمة التي تعتبر لحد الان من معضلات الطب النفسي والطب الشرعي، ومن آفات المجتمع الخطيرة • وهو مرض يصيب نسبة معينة من الناس لا يعرف له سبب معين ثابت لحد الان ، ولم يستقر تصنيفه في احد من ابواب وفصول الامراض النفسية • وله خصائص كثيرة معروفة لدى علماء النفس اهمها :

- انهم يتمتعون بذكاء طبيعي او فوق المتوسط
- انهم يفتقدون الحكمة والتجربة
- انهم لا يتعلمون من تجاربهم السابقة فيظلوا على ما هم عليه
- لا يروعهم العقاب ، ولا تشجعهم المكافأة والمديح فهم جامدون على وضعهم دون تحسن ، بل ربما يتراجعون الى تأخر وتدهور •

وهذه الصفات تتلخص بفقدان الحس العام• والسايكوباتية مرض بالطبع ولكنه يصور لنا اشد حالات انعدام الحس العام ، وهو سبب انزلاق المصابين بالمرض نحو الشذوذ الجنسي والتشرد والاجرام وكذلك الادمان على المخدرات • فكل سايكوباث هو احمق اخرق •• ولكن ليس كل احمق سايكوباث • والحمقى كثيرون والسايكوباث القلة ••

هل يمكن رعايته ؟

يتبين مما تقدم أن الحس العام هو دون جدال موهبة عقلية تستند الى استعداد وقابلية فطرية مضافا اليها ذكاء مناسب وخبرة كافية وثقافة شافية تمتزج جميعها بمقادير ونسب ومعادلات متناسقة ومتوازية لتجعل المرء انسانا يخوض غمار الحياة ، وما زلها بذهن جامع •• لامع•• قدير •

ولكن ، هل يمكنللتربية وعلم النفس والاجتماع ان تؤثر في هذه العوامل وتتدخل لتنمية وتعميم الحس العام النادر ؟ • سؤال وجيه يطرحه المربون والمصلحون •

وللاجابة عليه نقول : نعم ، يمكن ذلك باتباع اساليب التوعية المستمرة للنشء والجيلالجديد•• والحث على مكارم الاخلاق وضرب الامثال للناس وطلبة المدارس والجامعات •• ، والاستعانة بالتاريخ والتراث •• بالماضي والحاضر لاعطاء المثل والنمدج اسليمة في السلوك،وممارسة الرياضة العقلية في التعليم الثانوى والجامعي ، وهو التعليم الذى لايعتمد على الاملاء والنسخ بل على البحث والتقصي والمناقشة والتعليل ، لان المناقشة والحوار والتعليل تجلى الصدأ عن العقول وتكسر القيود والسدود ••• وتتيح للانسان الكشف عن العلاقات المنطقية بين الاشياء والمفاهيم ••• وربط النتائج بالاسباب•• والظواهر بالبواطن••والنظرة الشمولية الى الامور •

بذلك يصبح الحس العام ملكة عقلية ليست صعبة المنال بل اشبه بعادة اجتماعية سائدة ، واسلوبا في التعامل مع الحياة •• من اجل حياة اهدأ واجمل واعقل • ■■

دكتور فخرى الدباغ

شيكات وفواتير ديون

● انتاب الممثل السينمائي جاك ليمون الفزع عندما رأى ريتا هيوارت تمزق مجموعة من الرسائل غير المفتوحة • وصاح قائلا : لا تفعلي ذلك فقد يكون هناك شيكات بداخل هذه الرسائل •
فأجابت ريتا : نعم هناك شيكات ولكن هناك أيضا فواتير ديون •

ديلي ميل

رحلة التجديد فى التشريع الاسلامى

ماذا كان يحدث لو ان حركة التجديد فى المعاملات ، لم تقتطع من ارض الشريعة الاسلامية فى عام ١٨٨٣ ؟

بقلم : طارق البشرى *

■ ترتفع الاصوات مطالبة بان تكون الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع ، او ان تكون هى المصدر الرئيسي له . ويختلف المختلفون فيما اذا كان يتعين اعتبارها مصدرا من مصادر التشريع ، او ان تكون هى المصدر الغالب . على انه لا يبدو ان ثمة خلافا بالنسبة لمسالتين ، اولاهما ان تكون الشريعة « مصدرا » للتشريع وليست التشريع ذاته ، اى ان تكون هى الاصول الكلية الماخوذ عنها والمستقى منها ، مع ترك تفاصيل الاحكام تستنبط لمواجهة الواقع المعيش . وثانيتهما ان ثمة مغايرة بين الشريعة وبين « التشريع » ، بمعنى ان حكما لا يكون ملزما للقضاء الا عندما يصدر به قانون وفقا للاجراءات الدستورية . وعندما يصدر القانون الماخوذ من الشريعة ، انما يستجيب بالضرورة لحاجات البيئة والعصر ، ويتوخى جلب المصالح ودفع المفاسد ، مما يدركه العقل بمقياس النفع والضرر ، وبما ينسجم مع الهيكل التشريعى القائم ، بمراعاة الاصول العامة للشريعة واحكامها القطعية الدلالة من جهة ، وبمراعاة العرف وعادات التعامل الجارى من جهة اخرى .

والشريعة الاسلامية ، هى مجموعة الاحكام الماخوذة من القرآن الكريم وسنة رسول الله ، وما استقر فى كتب الفقه الاسلامى منذ تاسست المذاهب الفقهية المختلفة ، وما تفرع على احكام القرآن والسنة من اجتهادات الفقهاء والمذاهب. فثمة مذاهب السنة ، الحنفية والمالكية والشافعيا والحنابلة. ومذاهب الشيعة الاسماعيلية والاماميا وغيرها والمعتزلة. وثمة آراء فى كل مذهب واجتهادات لاعلام افراد . وكل هذا الحشد الضخم من الاحكا تضمه الشريعة الاسلامية فى وعائها الرحب الفسيح، والخلافات بين المذاهب والفقهاء مصدرها ، اما «اختلاف حجة وبرهان» بمراعاة مناهج التفسير واما « اختلاف زمان ومكان » بمراعاة فهم النصوص فى ضوء ظروف البيئة وعادات التعامل . والغايا

* مستشار فى مجلس الدولة المصرى .

احمد عبده

الخديوى اسماعيل

محمد على

السنهورى

لديهم جميعا تحقيق مصالح الناس وكفالة العدل بينهم .

ورغم كثرة ما يعرف من الدراسات المعاصرة عن حركة التجديد في الفكر والنظم ، في مصر والوطن العربى ، منذ القرن التاسع عشر ، فلا نكاد نرى الا القليل منها عن حركة التجديد في الفكر القانونى ، والا اقل القليل عن التجديد في التشريع الاسلامى . رغم الاهمية الكبيرة لهذا الجانب ولجهد المجتهدين فيه . وليس المقصود هنا التجديد في الشريعة، فهى ذات اصول مستمدة من احكام القرآن والسنة التى بلغت تمامها مع ختام الرسالة النبوية . انما المقصود هو التجديد في التشريع المأخوذ عن الشريعة ، اى الشريعة الاسلامية مطبقة من خلال القوانين .

القضاء قديما

لم يعرف النظام الاسلامى قديما ، الفصل بين سلطات الدولة ، او وظائفها الرئيسية المختلفة ، تشريعية وقضائية وتنفيذية . كانت الوظيفة التشريعية مستوعبة في الشريعةالاسلامية. وكان الوالى هو من يفصل في المنازعات بين الناس، اى يتولى الوظيفة القضائية . ثم اناب عنه القاضى . فقام النظام القضائى على فكرة الانابة من الوالى . يعين الخليفة قاضى القضاة الذى يعين بدوره القضاة. وكان القاضى يجتهد فيالاحكام بنفسه ياخذ من كتاب الله ثم من سنة رسوله ثم يجتهد رأيه ، حسبما يقول معاذ بن جبل . ثم استقرت المذاهب الفقهية وضعف الاجتهاد ومع

التقليد . فكان القاضي يلتزم في قضائه بواحد من المذاهب المختلفة .

وفي مصر مثلا ، غلب المذهب الشافعي على قضاتها ايام الطولونيين والاخشيديين ، ثم التزموا بمذهب الشيعة الاسماعيلية على عهد الفاطميين ، وفي اواخر ذلك العهد شارك هذا المذهب في القضاء مذاهبالشيعة الامامية والسنة الشافعيةوالمالكية. ثم انحصر القضاء في عهد الايوبيين في مذهبي الشافعية والمالكية . وعلى عهد المماليك جرى العمل بمذاهب السنة الاربعة ، على رأس كل منها قاض للقضاة ، ويولى كل منهم نوابا عنه في الاقاليم . ومع الغزو العثماني صارت الهيمنة للحنفية بواسطة قاضي قضاة تركي وحيد يعينه السلطان كل عام ، ويعين هو نوابا له من المذاهب السنية الاربعة . ثم انحصر القضاء على عهد العثمانيين ايضا في الرأى الراجح لمذهب ابى حنيفة .

والملاحظ عامة انه لم تكن تصدر باحكام الشريعة قوانين يطبقها القاضي . انما كان يستقى احكامه مباشرة من كتب الفقه الخاصة بمذهبه . وكان ما يصدر عن الحاكم من قرارات وأوامر ، يقوم عمال الدولة والشرطة بتطبيقها مباشرة . ويبقى ذلك بعيدا عن وظيفة القضاء . وكان تنظيم القضاء « واحديا » في الاساس . تتكون المحكمة من قاض مفرد لا من قضاة متعددين كما يحدث الان عادة (ثلاثة او خمسة مثل) وينظر القاضي جميع انواع المنازعات دون توزيع للاختصاصحسب نوع القضية كما يحدث الان عادة (مدني ، جنائي، اداري .. الخ) ، وان كان عرف بعض التخصص استثناء كقاضي الجند مثلا ، كما عرف مبدا تخصيص القضاء بالزمان والمكان ، وبالقضية (نوعها) وبالرأى (اى المذهب) . ولم توجد بهذا النظام درجات للتقاضي كما يحدث الان عادة (ابتدائي ، استئناف ..) ، الا في احوال استثنائية كان يخالف القاضي نصا قطعي الدلالة او اجماعا . كما يلاحظ انه لم يعرف عبر عصور تطبيق الشريعة ، التزام بمذهب واحد ، ولا عرف التزام بمذهب وحيد في اية مرحلة خاصة ، الا في القليل من الفترات . ومن ثم لم تعرف الشريعة تلازما لا ينفك مع مذهب وحيد في اى من البلدان، ولم تكن الظاهرة التى ادركها القرن التاسع عشر من التزام صارم مضيق برأى راجح في مذهب وحيد ، لم تكن ظاهرة لصيقة بحكومة الشرع الاسلامي ذى الوعاء الفسيح المتعدد الجوانب .

قوانين الوالي

وعلى عهد محمد على في مصر ، ظهر في النظامين التشريعي والقضائي ما ظهر في غيرهما منالمؤسسات الفكرية والتنظيمية ، وهي ظاهرة الازدواج . اى بقاء القديم على حاله تقريبا ، وانشاء جديد من مصدر مغاير الى جانبه (حدث ذلك في التعليم ونظم الدولة .. الخ) . لم ينصرف الاهتمام الى تجديد القديم او تحريكه ، انما انصرف الى تشكيل مجال آخر ينبنى فيه الجديد الوافد . بقي قاضي القضاة التركي ونوابه ، يلتزمون بالمذهب الحنفي كشريعة عامة . ولكن نمت الى جوار ذلك ظواهر جديدة في مجال شبه منفصل : استحداث دواوين ومجالس ذات اختصاصات قضائية ، والتزام تلك المجالس بما يصدره الوالي من قوانين لا بالشريعة الاسلامية . وما لبثالناس ان اعتادوا رفع منازعاتهم الى هذه المجالس الجديدة . التى اتسع نطاق نشاطها بالتدريج اطرادا مع زيادة ما يصدره الوالي من قوانين وتشريعات كما درج استقلال مصر القضائي عن تركيا في طريق النمو . فاستخلص الوالي محمد سعيد في الخمسينات سلطة تعيين قضاة الاقاليم، ثم شارك الخديوى اسماعيل في الستينات فيتعيين قاضي القضاة نفسه (قاضي مصر) .

منذ القرن التاسع عشر ، ونحن نواجه هجمة اوروبية ضارية . لم ينحصر خطرها في عنفوانها الاقتصادى والعسكرى،ولكنه تمثل اخطر ما تمثل، تفوقا في العلوم والفنون واساليب التنظيم الاقتصادى والسياسي والعسكرى . وفد الغزو الاجنبي بعلومه ، فلزمت مقاومته مع التعلم منه. لزم رفضه مع الاخذ عنه . ولزم التقدم لمواجهة العدوان ، والتجديد للمحافظة على الاصالة والاستقلال . لم يترك التدفق الكاسح فرصة للاستيعاب الهادىء الرشيد ، فعظم المعضل والاشكال . تمثل الاشكال فيهل يمكننا اننستوعب علومهم دون ان نستوعب نحن فيهم ؟ لقد فعلها المسلمون والعرب قديما وهم منتصرون فهل يمكن ان نفعلها ونحن مهزومون ؟ لزم فيما يلزم تجديد النظم القانونية والقضائية . تنظيما للاجراءات وملاءمة للعلاقات المتغيرة ورفعا لمستوى الوظيفة الاجتماعية .

جرت محاولة لتنظيم المحاكم الشرعية ، بان

لقضاة الاولى فى ١٨٥٦
لاجراءات والسجلات ،
بالتزام الدقة والمساواة
رقة بين الصغير والكبير
من شهادة الزور ..
تكم بالاقوال الصحيحة
بى حنيفة » والالتزام
وهى الاقرار واليمين
ة ما تضمنت من عناصر
ر على الوالى ان يوقع
كبار شيوخ الازهر .
١٨٨٠ بلائحة جديدة
جح لمذهب ابى حنيفة
) ولكنها ادخلت نظام
،مع توزيع الاختصاص
، للقاضي الاخذ من
القتل العمد وحدها ،
تى تصدر بذلك . كما
دعاوى التى يكون مضي
وكان هذا القليل اهم

الغربية

م ١٨٧٥ ، تلقى تطبيق
ية وجهت له . انشئت
يا الاجانب . ووضعت
انون الفرنسي باختصار
فى انشاء قضاء وطنى
حمد قدرى باشا لجنة
١٨ . وصدرت لائحة
١٨٨١ . وجرى وضع
نة التى تطبقها هذه
ت والتجارى والبحرى
ات . والغريب انها
بية وعلى غرار مثيلاتها
العربية . وقد اوقفت
م عاودت المسير فى١٨٨٣
تتحت المحاكم الجديدة
، البحرى ثم فى ١٨٨٩
ذلك بحركة الاصلاح
رحلة تقدم واسعة ..
ء الماضي » . كما يقول
نهورى .

يشير السيد رشيد رضا الى سبب هذه الانعطافة الحادة ، من الشريعة الاسلامية الى القوانين الاوروبية ، فيقول « قعد اهل الازهر عن اجابة طلب اسماعيل باشا الخديوى ، تاليف كتاب في الحقوق والعقوبات موافق لحال العصر ، سهل العبارة مرتب المسائل على نحو ترتيب كتب القوانين الاوروبية . وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب فى انشاء المحاكم الاهلية واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرنسا واحتجوا في رفضهم بانهم يحافظون بذلك على الشرع ، رغم ان تصنيف الاحكام ليس ضد الشرع بداهة . وكان الخديو اسماعيل قد حاول توسيط رفاعة الطهطاوى فى اقناعهم فاعتذر خشية ان يتهم منهم بالكفر . وهو يصف المحاكم الشرعية بان « اصلاحها اعيا النظام والجالسين على ارائك الاحكام .. وحومت الحكومة حول الاصلاح غير مرة ولكن لم تقع فيه، ورمت اليه عدة سهام فاخطات كلها الغرض » .

انحسرت المحاكم الشرعية الى مجال جد محدود، كالاحوال الشخصية (الزواج والطلاق .. الخ). والاعظم خطرا من هذا الانكماش ان المحاكم الجديدة كانت اكثر كفاية . كان شيوخ الازهر انفسهم يفضلون رفع الدعاوى اليها حتى عندما يكون الاختصاص مشتركا بينها وبين المحاكم الشرعية. ويذكر رشيد رضا «ظهر للناس بالاختبار ان المحاكم التى يحكم فيها بقانون فرنسا اضمن للحقوق واقرب للانصاف .. » وينبغى الحذر من القول بان الاحتلال البريطانى كان هو سبب نشأة النظام الجديد . فقد اعد مشروع النظام الجديد قبل الاحتلال . وهو ماخوذ من النظام القانونى اللاتيني الفرنسي لا النظام الانجليزي الانجلوسكسوني. وكان ما اعترى تطبيق الشريعة الاسلامية فى ذلك الزمان من ضعف وجمود ، بما لم يستطع به هذا التطبيق ان يستجيب لظروف الواقع ولا ان يتصدى للهجمة الوافدة . وتلك هى العبرة التى يتعين علينا ادراكها .

واجه الفقه الاسلامى تلك الضربة ، بانبعاث روح التجديد فيه . لانه فقه ينطوى على مادة عظيمة الخصوبة ، ودقة فى الصياغة الفنية مدهشة ، وقابلية للتجاوب مع ظروف الزمان والمكان . والدارسون له لا يغالون في انبهارهم بما يكمن فيه من حيوية . ولكن يلاحظ بطء التجديد فيه عن حركة المجتمع كما سيبين . ولعل مرجع ذلك الى كثافة الجمود من عصور الركود

منذ اغلق باب الاجتهاد . ولعل مرجعه ثانيا رد الفعل المحافظ والتلقائي لمقاومة الهجمة العنيفة الوافدة الغازية . وهو رد فعل يفرض على المدافع ان يتشبث بموقعه خشية ان يقتلع منه ، وذلك قبل ان يشرع في الحركة والتقدم . ومرجع الجمود وبطء التجديد ثالثا ، لاسباب سياسية لها امثلة واضحة الدلالة. فمثلا اعد الشيخ محمد عبده تقريرا عن اصلاح المحاكم الشرعية في ١٨٩٦ لم يستفد منه كثيرا في اللائحة التي صدرت في ١٨٩٧ ، اذ ابقت على الالتزام بالمذهب الحنفي وحيدا في التفسير ، ولكنها ادخلت نظام تعدد درجات التقاضي ، واشترطت الدليل الكتابي لنظر بعض الدعاوى (اى ان الدليل الكتابي لا يطلب لاثبات الحق فقط ، ولكنه مطلوب لكي تنظر المحكمة الدعوى ابتداء) . ولم يجد هذا الاصلاح البطيء ، وعمت الشكوى فطلب الى الاستاذ الامام في ١٨٩٩ ـ بعد ان تولى منصب الافتاء ـ ان يعد تقريرا شاملا عن الاصلاح . وجاب الامام المحاكم مفتشا منقبا ، وانتهى بتقرير تلحظ فيه الغيرة الشديدة على النظم الشرعية ، وطالب بان تسترد المحاكم الشرعية ولو بعضا من اختصاصها المسلوب، وذلك في اطار خطة لتطوير التشريع الاسلامي ، واعداد تقرير للمعلومات الشرعية تؤخذ احكامه « من جميع المذاهب الاسلامية ليكون خلافهم رحمة للامة .. » . ولكن تقرير الامام ووجه بمعارضة شديدة قادها « قاضي مصر » التركي ، بدعوى ان الالتزام بالمذهب الحنفي مصدره الانتماء للخلافة العثمانية ، فلا يصح حكم القاضي بغير هذا المذهب . ومن هنا تعطل الاصلاح بدافع سياسي في الجوهر .

مدرسة القضاء الشرعي

ان دعوة الشيخ محمد عبده انتجت فيما انتجت خارج الازهر ، مدرسة القضاء الشرعي ، انشاها بعد وفاة الامام بعامين ، تلميذه سعد زغلول وهو ناظر للمعارف في ١٩٠٧ ، وصارت بحق مدرسة المجتهدين في الفقه والقضاء الشرعيين . كان من اساتذتها امثال الشيوخ زيد الابياري واحمد ابراهيم ومحمد الخضري . ومن خريجيها امثال المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ، والمرحوم الشيخ علي الخفيف . وامدت القضاء وكليات الحقوق بصفوة من الاعلام. وسار هؤلاء على درب الامام تفتيحا لباب الاجتهاد وبعثا للفقه الاسلامي .

وبحثوا وكتبوا وحاضروا وحرروا الفتاوى والاحكام الشرعية ، وتربت على ايديهم اجيال من الازهريين والمدنيين وكشفوا عن الجذور الرواسخ للفقه الاسلامي وبنوا عليه من مادة الشريعة نفسها ومناهجهم يظهر من اقوالهم : ـ

يذكر الشيخ احمد ابراهيم ان الاحكام الشرعية نوعان ، العبادات وهي حق الله سبحانه يلزم الوقوف فيه عند النصوص ، والمعاملات المتعلقة بشئون الدنيا اساسها المصالح المرسلة « واذا خالف المصلحة النص او الاجماع وجب تقديم رعايتها عليهما ، بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما . ومن اجل ذلك خصص الفقهاء النص بالتعامل ، وقرروا بناء الاحكام على العرف » واذا كانت الاحكام الشرعية عامة ابدية وتبنى على العدل واليسر والرحمة فيلزم ان يراعى فيها مصالح الناس في كل زمان ومكان .

ويذكر الشيخ خلاف ان الرسول عليه السلام كثيرا ما « بلغ الاحكام مقرونة بعللها والمصالح التي تقتضيها وفي هذا ايذان بارتباط الاحكام بالمصالح .. » واورد امثلة مما جرى في عهد الرسول والخلفاء مما « بث في نفوس المسلمين ان غاية الشرع انما هي المصلحة ، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله . » .

وجدت هذه الروح سبيلها الى التشريع الاسلامي والنظام القانوني ، من خلال العديد من التعديلات الجزئية التي صدرت على فترات متراخية على مدار خمسين عاما او يزيد وذلك بتعديل لائحة المحاكم الشرعية ، فضلا عن العديد من المنشورات والتعليمات التفسيرية .

ثم جرت ما تسمى بحركة التقنينات الواسعة نسبيا في الاربعينات ، باصدار قانون المواريث في ١٩٤٣ م وقانون الوصية في ١٩٤٦ ، وقانون الوقف في السنة ذاتها . وبعد ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ م الغى الوقف الاهلى (القانون ١٨ لسنة ١٩٥٢ م) وتبعه عدد من القوانين المعدلة لنظام الوقف الخيري اهمها قانون استبدال اراضي تلك الاوقاف بسندات على الحكومة (١٥٢ لسنة ١٩٥٧ م) كما الغيت المحاكم الشرعية جملة ونقل اختصاصها الى المحاكم الوطنية مع بقاء القوانين الشرعية نافذة .

والملاحظ عامة ، ان تجديد التشريع الاسلامي قد جرى في المجال الذي ترك للشريعة الاسلامية منذ ١٨٨٣ ، وهو اساسا مجال الاحوال الشخصية

والوقف والوصية والميراث. ولنا ان نتصور ما كان يمكن ان تفضي اليه حركة التجديد في مجـال المعاملات لو لم تقتطع من ارض الشريعة الاسلامية في ۱۸۸۳ واتجه اليها جهد رجال النهضة منذ ذلك الوقت المبكر . كما يلاحظ ان التجديد جرى بتدرج بطيء ينبيء عن حجم المقاومة التي كان يلقاها . ولكنه جرى باطراد ينبيء عن انتصار روح التجديد والتمشي مع العصر من خلال الفقه الاسلامي نفسه .

ثلاثة مسارات

وقد جرى التجديد على مناهج ومسارات كان اهمها ما يلي :

اولا : تجاوز الالتزام بالراى الراجع عنـد الحنفية ، الى الاراء الاخرى في الفقه الحنفي ، ثم الى المذاهب السنية الاخرى ، مالكية ، شافعية ، حنبلية . ثم الى غير مذاهب السنة من بعض اراء ائمة من المعتزلة او الشيعة . وبهذا اتسع تدريجا مجال اختيار الحكم الاكثر ملاءمة لظروف الزمان والمكان حسب المصالح العامة . وتم ذلك على مدى خمسين عاما او اكثر .

ثانيا : تجاوز ادلة الاثبات التي اعتبر بها الفقه الاسلامي لاثبات الحقوق. كانت هذه الادلة تنحصر في الاقرار (اى اعتراف الشخص على نفسه بشيء) واليمين (اي يحلف امام القاضـي او ينكث) وشهادة الشهود . وقد اوجب هذا التجاوز ما لوحظ من كثرة الدعاوي الكيدية والايمان الكاذبة وشهادات الزور . وبحث المجتهدون عن انواع اخرى من الادلة لتكون بديلة وواجبة في بعض الحالات ، او شريكة ومساعدة في غيرها . وتدرج الاخذ بهذه الوسائل « الحديثة » كالسجـلات الرسمية والمعاينة والقرائن والخبرة . وبـذل المجتهدون الاسلاميون المحدثون جهدهم في ارجاع هذه الوسائل الحديثة الى المفهومات التقليديـة توسيعا لتلك المفهومات . فالخبرة والمعاينة انواع خاصة من الشهادة ، بمعنى ما من معاني الشهادة وكذلك القيد في السجلات ... وهكذا .

ثالثا : اجراء التفرقة بـين مسـالة التحليل والتحريم ، التي تعتبر حقا لله سبحانه ، وبين شروط سماع الدعوى في المحاكم . ذلك ان ولي الامر او المجتهد لا يستطيع ان يحلل حراما او يحرم حلالا ، فلا يستطيع ان يضيف شروطـا للتحليل او ينتقص منها ولكن لولي الامر تنظيم ولاية القضاء . ومن هذا الرافد نفذ المجددون ليضيفوا ما تمليه المصلحة من الشروط . فاذا اريد مثلا تحديد سنزواج الفتاة بستةعشر عاما على الاقل ، لم يستطع المجتهد ان يقرر بطلان زواج البالغة او تحريمه لهذا السبب « غير الشرعي » ، فهو يبقى الزواج صحيحا دينا (حلالا) ، ويلجا الى مبدا شرعي آخر هو تنظيم القضاء (تخصيصه بالمكان والزمان والقضية والراي) ، وبه يمنـع المحاكم من نظر اية قضية عن زواج تم لفتاة تقل عن السن المضروبة . ومن ذلك انه اذا حصل نزاع على الزوجية او احد آثارها (كميراث او نسب)، فان الزواج رغم كونه حلالا ، تنحسر عنه حمايـة الدولة والمجتمع . وتم ذلك بالتدريج على مدى ثلاثين عاما .

والاستقلال الشرعي

اما تطور التشريع الاسلامي ، فقدر له مسار آخر . واحكام الشريعة الاسلامية لمتكن استبعدت تماما عن هذا الميدان في ۱۸۸۳ . اذ تضمن القانون المدني (الفرنسي الماخذ) قلة مـن احكامهـا ، كالشفعة ومرض الموت واحكام الاهلية ... الخ . فجرت فيالتطبيق مفعمة بالحياة . ومن جهة اخرى عكف المجتهدون المحدثون على دراسة مبادىء الفقه الاسلامي مما اثرى الفكر القانوني عامة . ومادة الشريعة من أهم ما يدرس في كليـات الحقـوق المدنية . واهتمامات رجال القانون « المدنيين » وجدت في الشريعة زادا للبحوث والرسائل ، مثل دراسات الدكتور عبـد الرزاق السنهـوري ، والدكتور شفيق شحاته (فقيه جليل في القانون المدني ، قبطي ، لا يخفي على المتخصص مبلـغ استيعابه للفقه الاسلامي) . وعلى ذلك لم تكـن المؤسسات الجديدة بمحاكمها وكلياتها بعيدة عن هذا الفقه ودراسته . بل كانت مجالا ازداد مع الوقت وبالتدريج اهتمامه به وتوجهـه اليـه ، بمنهج عصري يستكشف ظواهره وكوامنه .

واذا كانت دعوة محمد عبده لتجاوز المذهب الحنفي ، تعتبر في احد جوانبها دعوة للاستقلال التشريعي عن تركيا . فقد قامت في المؤسسات القانونية « الحديثة » (مجال الفكر الوافد) دعوة مماثلة لتجاوز الفقه الفرنسي تحقيقا للاستقلال عنه . وهي ما اسمـاه السنهـوري في ١٩٣٤

«تمصير» الفقه المصري والتخلص من « الاحتلال » الفرنسي له . وبنيت هذه الدعوة على اساسين . اولهما ان يستقي التشريع احكامه من سائر التشريعات في العالم دون ان ينحصر في القانون الفرنسي . وان تقتصر الاستفادة من تلك التشريعات على الصياغة الفنية للنصوص ، شريطة ان يحيا النص بعد ذلك حياة قومية خالصة ، فلا يخضع لتفسيرات اجنبية وانما يخضع فقط لتفسيرات المحاكم والفقهاء المحليين من خلال تفاعله مع البيئة القومية . وثانيهما ان يؤخذ من الفقه الاسلامي في نطاق ما تصل اليه النهضة العلمية لدراسة هذا الفقه ، ومع عدم التقيد بمذهب معين فيه ، ومع مراعاة الانسجام مع الهيكل التشريعي العام .

كان هذا هو رائد الجماعة التي أعدت القانون المدني الجديد ، الذي بدأ التفكير في اعداده مع الغاء الامتيازات الاجنبية في ١٩٣٧ . وصدر مع الغاء المحاكم المختلطة في ١٩٤٩ م . واخذ من الفقه الاسلامي نزعته الموضوعية بدلا من النزعة الذاتية للفقه الفرنسي ، كما استمد من الفقه الاسلامي فكرة ان الحقوق غير مطلقة ، انما تقيد في حدود المصالح العامة المشروعة وبما لا يسبب ضررا للغير ، وكذلك أخذ فكرة الضرورة والعذر في تعديل الالتزامات وذلك تقييدا لسلطان الارادة الفردية بقيود المصالح ، وغير ذلك من الاحكام التي اتت نتيجة الدراسة العلمية المتانية . كما جيء في هذا التقنين باحكام اخرى لم تؤخذ من الشريعة وان اتت متفقة مع احكامها . لانها استمدت في الاساس مما استقرت عليه احكام المحاكم الوطنية ومعاملات الناس ، فكانت بمثابة العرف بالمعنى الذي قصده فقهاء الاسلام المجتهدون .

ولا يدعي احد ان هذا القانون او غيره قد اوفى على الغاية في هذا الشان ، او انه حقق الرجاء في استقلال الفكر القانوني ، ولكن القصد من البيان السابق كله ، الكشف عن مسارات التطور في الفكر القانوني ، وهما مساران رئيسيان ، تفتيح ابواب الاجتهاد في التشريع الاسلامي ليتفاعل مع واقع الحياة المعيشة واعراف الناس وعاداتهم ، شريطة ان ياتي التجديد بمادة شرعية خالصة ويستمد من اصولها الكلية ، والاخذ من هذا الفقه في نطاق ما تصل اليه النهضة العلمية بالدراسة الجادة للشريعة وللواقع . وان هذين المسارين يقتربان يوما بعد يوم والحركة لا تزال دؤوبة .

الاصالة المتجددة

واذا كنا قد واجهنا في القرن الماضي ، اشكال الاخذ عن الغرب دون ان نستوعب فيه ، فان السياق التاريخي ليظهر اننا قادرون على حل الاشكال لصالحنا ، حتى رغم هزيمتنا المؤقتة امام الغرب في القرن الماضي . ان مجتمعنا عانى من الازدواجية في الافكار والقيم والمؤسسات ، وكان هذا يهدده بالتاثر . ولكن الطرفين يسعيان تاريخيا للتقارب وللتوحد . والفكر التقليدي يتجدد ، « والحديث » يتاصل . والحركة بطيئة، ولكن يشفع لبطئها انها بدت في لحظة تاريخية ما ، شبه مستحيلة ، او باقل التقديرات شديدة الصعوبة .

المهم ان يثق كل طرف في الاخر ، وان يدرك انه مرتبط به بمصير واحد . والا يتعجل النتائج وصولا الى حلول سريعة جياشة بالحماس ، وقد لا تكون قادرة على تمثل الواقع او تمثل التراث . والمهم ادراك اننا لسنا في بداية الطريق ولا في نهايته . نحن في منتصف طريق بالنسبة لكل من مشاكل حياتنا . فلا نستطيع العودة الى الوراء ولا القفز قدما في الهواء . وانما السعي الدؤوب هو قدرنا . ولن يستطيع طرف ان ينفي صاحبه ابتسارا . وانما الهدف هو ذوبان الطرفين في واحدية متجددة اصيلة . والمهم ادراك ان المسالة مسالة حضارية في الاساس ، نظلم ماضينا ومستقبلنا لو تركناها تمتص في عراك سياسي وقتي . نظلم ماضينا اذا تصورنا ان الاصالة مستوعبة في التخلف . ونظلم مستقبلنا اذا تصورنا ان الحداثة مستوعبة في الالحاد . وهذه المسالة بالذات ليست صراعا بين الكفر والايمان ولا بين الرجعية والتقدم ولكنها حوار بين الاصالة والتجدد ، وصولا لتجديد يحمي الاصالة ويقوم عليها وليس لواحد فينا عصمة ، فلا زلنا على الطريق نجدد ونكشف اصالتنا . اي نكشف الماضي والمستقبل معا .

ورحم الله الشيخ عبد الوهاب خلاف ، اذ يقول « وكثيرا ما كان اجتهاد احدهم يخالف اجتهاد صاحبه ، بل قد يخالف ما يفهم من ظاهر النص . واتهم مجتهد منهم انه على غير حق او تنكب طريقه ، ما دامت الغاية المصلحة وعدل الله والوسيلة اجتهاد الراي وانعام النظر » . ■

طارق البشري

تولستوي

عملاق روسيا.. أين رسالته ؟

بقلم : منير نصيف

« كيف يمكن لمن كان مثلي ، يحمل هذا الانف العريض وهاتين الشفتين الغليظتين ، ثم تلك العينين الصغيرتين الرماديتين ، ان يجد السعادة على الارض ؟ »

وقرر الرجل الذى يحمل تقاطيع هذا الوجه ، كما وصفها هو ان يصنع شيئا بوجهه .. ان يخفيه عن الناس ، او على الاقل يحوّل انظارهم عنه .. ولكن كيف ؟

وقف يتطلع الى وجهه في المرآة .. وفجاة خيل اليه انه قد وجدها ! لقد بدا الشعر ينبت في ذقنه قويا ، لماذا لا يطلق لحيته ؟ وفعل ، وراحت الشعيرات تنمو وتنمو حتى اصبحت تغطي كل هذا الوجه ، او الجزء الاكبر منه ! وتصور الرجل صاحب اللحية ، انه استطاع ان يخفي وجهه وراء هذا « القناع » !

ولكنه لم ينجح !

لقد كان مظهره مخيبا للآمال ! مخيبا لآمله هو في نفسه ، ومخيبا لامل الذين قراوا له ونفذت كلماته الى قلوبهم وامتلأت بها رؤوسهم ، فاعجبوا بصاحب هذه الافكار الجديدة من البعد ، في طول البلاد وعرضها ، وخارج حدود الارض التى نبت فيها .. فقد كانوا يحجون الى البيت الذى يعيش فيه مع اسرته الصغيرة قاطعين مسافات شاسعة للقاء الرجل الذى « اكتشف » اروع ما في الحياة فراح يدعو الناس الى الاستمتاع بما قدمه لهم .. كانوا يجيئون اليه وفي مخيلتهم صورة اخرى لا تمت اليه بصلة ، ومن هنا كانت المفاجاة تصدمهم دائما .. ولكنها صدمة قصيرة لا تلبث ان تزول عندما يجلس الرجل صاحب اللحية بينهم ويتحدث اليهم .

« البحث » هوايته

كانوا يجلسون بدورهم من حوله ، يحدقون في وجهه بشعور هو مزيج من الدهشة وخيبة الامل .. وكان هو يعرف تماما ما يدور في رؤوسهم في اللحظات الاولى من اللقاء .. فكان يدور بعينيه الصغيرتين الرماديتين ، ويتنقل بهما من وجه الى وجه ، وكانه يبحث عن شيء بين هذه الوجوه التي جاء اصحابها يسعون اليه من اقصى الارض .. فقد كان « البحث » هوايته وعمله الذى افنى عمره فيه .. البحث عن المعنى الحقيقي للحياة !

قالوا يصفون هاتين العينين : « كانتا اشبه بشعاع قوى ينطلق من خلال غابة مليئة بالاشجار تشابكت اغصانها فوق حاجبيه .. ثم تنتهي رحلة البحث عند احد هذه الوجوه وتتركز عليه .. لقد استراحت هناك .. وتظهر هذه الراحة على عينيه ، فلا تلبثان ان تلينا وتمتلئا بالدفء ويبتسم الوجه كله في رفق .. فعن طريق هاتين العينين وحدهما كان الرجل ينقل الى الناس كل احاسيسه ومشاعره .. فقليلون هم الرجال الذين كانت لهم مثل هاتين العينين المعبرتين النافذتين !

رنين الجرس !

صاحب هذين العينين هو كاتب روسيا العظيم ليو تولستوى ، الذى يعد واحدا من اعظم عباقرة الادب في العالم . وهو صاحب « حرب وسلام » و « انا كارنينا » ، اروع ما كتب خلال حياته الادبية الطويلة التي دامت لاكثر من اثنين وثمانين عاما هي سني حياته على الارض .. فقد ولد « ليو » اديبا ، وعاش ومات انسانا يبشر بالخير والحب !

قال صديقه وزميله « مكسيم جوركى » ، احد عمالقة الادب الروسى ممن عرفوه وعاشوا قريبين منه : « كان صوته الهادىء ، اشبه برنين جرس يبدا خافتا ، ثم لا يلبث ان يطغى على كل ما حوله من اصوات .. اما المعاني التي كانت تحملها هذه الدقات ، فقد كانت اروع واجمل ما يمكن ان يجده انسان في بطون الكتب القديمة والحديثة اما كتاباته ، فقد كانت صراعا مستمرا مع النفس ، ومع الحياة » .

في العام الذى مضى ، احتفل العالم كله من

القصاه الى القصاه بذكرى مرور مائة وخمسين عاما على مولد الرجل الذى صور لنا هذا الصراع فى كل ما قدم من مؤلفات وقصص ، عاشت بعد ان ذهب هو ، لتروى تفاصيل هذا الصراع الذى كان يعتمل فى داخله ، صراعه مع نفسه وصراعه مع الحياة ، وهو يبحث ويبحث عن المعنى الحقيقى للحياة ..

سنوات الضياع

فقد عاش « ليو » شبابا ضائعا ، ولكنه لم يكن ابدا راضيا عن هذا الضياع ، وما اكثر اللحظات التي كان يخلو فيها الى نفسه ، ويحاسبها على ما اقترفت من ذنوب ويعدها بالحياة المثالية التي كان يتطلع اليها في سنى شبابه وهو طالب فى الجامعة !

حتى اذا ما بلغ منتصف العمر او كاد وبعد سنوات طويلة من البحث فى « طفولته » ثم الحرب فى جيش القيصر الذى تطوع للعمل فيه لمقاتلة قبائل التتار في القوقاز ، ثم العودة مرة اخرى الى « اهل القوقاز » ووصفه « لحصار سباستوبول » مسجلا هذا كله فى كتبه ومؤلفاته .. وبعد سنوات طويلة من الوقوف والتامل والانطلاق ولكن فى اتجاه معاكس تماما للحياة السهلة المرفهة التي كانت تنتظره .. خيل اليه انه قد وجد الاجابة على السؤال الذى طالما استوقفه وحيره .. لقد جلس اخيرا الى مكتبه يسجل بريشته معنى الحياة .. قال : « ان مملكة الله في داخلنا .. وما الله ؟ الله محبة » وعلى مدى ثلاثين عاما التي اعقبت هذا الاكتشاف حمل « ليو تولستوى » رسالته وراح يبشر بها فى كل كلمة فى كل سطر خطه بقلمه .. وكانت حياته اروع واعظم رسالة لهذا الحب الذى امتلا به صدره فراح يوزعه على الناس الذين عرفهم والذين لم يعرفهم ..

« الفلاح » .. ابن النبلاء

ولد ليو تولستوى ، او الكونت ليو في اسرة واسعة الثراء من نبلاء روسيا ، فى اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٢٨ ، فقد كان احد اجداده هو الكونت بيتر الوزير الاول فى بلاط قيصر روسيا بطرس الاكبر ، وكان جده لامه هو الامير نيكولاى فولكونسكى ، القائد العام لجيوش الامبراطورة كاترين العظمى !

وفي قرية « ياسنايا بوليانا » باقليم تولا ، كانت الضيعة الشاسعة الواسعة التي تملكها هذه الاسرة الثرية ، تنتظراحد الابناء ، وكانوا كثيرين، لكي يدير شئونها ويصبح سيدا لمئات الفلاحين البسطاء الذين كانوا يعرقون ويكدحون من اجل اسعاد اسيادهم !

ولكن الصبي الصغير ، لم يعجبه مذاق الطعام الذي كان يقدم اليه في تلك الاطباق الفضية « كان ينظر الى الحياة نظرة مختلفة تماما عن تلك التي كان يراها فى عيون الذين يعيش فى وسطهم من افراد اسرته واقاربه ممن اصبحوا مسئولين عن تربيته وتنشئته هو واخوته بعد ان ماتت امهم قبل ان يبلغ « ليو » السادسة ، ومات الاب ، وهو في التاسعة ، وكانت « العمة تاتيانا » اول من احس بتمرد هذا الصبي الصغير علىهذه التقاليد، وعلى الوصية التي اصبحت هي بمقتضاها صاحبة اليد الطولى فى هذه التركة الواسعة وفى حياة الورثة الشرعيين لها .. لا منافسا .. ولكن زاهدا فى كل ما يمت الى هذا الثراء بصلة ..

وكانت اول صدمة لها عندما جاءها يوما يصيح فى وجهها : « لا تحاولي ان تمنعيني من اللعب مع ابناء الفلاحين .. فانا فلاح مثلهم .. ان وجهي لا يقول غير ذلك فهو وجه فلاح عادي !! » .

فى ميدان القتال

وكان اول قرار اتخذه الشاب « ليو تولستوى» عندما ارسلوا اليه يطلبون منه العودة الى مزارع الاسرة للاشراف على ادارتها بعد وفاة العمة « تاتيانا » ، وكان وقتها طالبا فى الجامعة .. فى الثانية والعشرين وخيروه بين ان يقبل العودة او يعين شقيقه نيكولاى الذي يصغره للقيام بهذه المهمة ، في هذا اليوم ، قرر « ليو » ان يترك الجامعة بعد انتهاء دراسته ، ولكن لا ليعود الى المزارع التي ورثها عن والده ، ولكن لكي ينضم الى شقيقه نيكولاى الذي كان ضابطا فى جيش القيصر فى ذلك الوقت ، وذهب الاثنان لمقاتلة التتار ، تاركين المزرعة ، متناسين كل شيء عنها .

ولكن تولستوى لم يكن سعيدا ابدا بعمله في الجيش .. فهو لم يخلق ليكون محاربا .. فالقى بسلاحه جانبا ، وترك القتال بعد ان خاض اقسى تجربة فى حياته وخرج من بدلته العسكرية ليقول :

ما جدوى الحرب . ان الرعب الذي يعيشه الرجل في ميدان القتال يدمر كرامة الانسان ! »

وفي سانت بيترسبرج عاد يعيش حياة هادئة مع ريشته ، ومع ترحيب عمالقة الادب الذين لم يترددوا في اعطاء هذا الاديب الصاعد حقه ، وفي كلمات بيرجنيف اديب روسيا العظيم نجد هذا المعنى حين قال : « اخشى ما اخشاه ان يضعنا هذا الكاتب الشاب في الظل ، وربما كان من الافضل لنا جميعا ان نكف عن الكتابة ! »

مع الموسيقار الشريد

وانقضت فترة من الزمن ، وهو قابع مع فكره وتاملاته وريشته . قبل ان يقرر ولاول مرة ان يعبر الحدود الى الخارج .. وسافر الى اوربا ، وراح يجول بين مدنها .. وفي مدينة لوسرن وقع حادث صغير ، ولكنه كان كافيا لان يحدد بوضوح الطريق الذي كان يسير فيه هذا الكاتب الكبير منذ ان ترك كل شيء وراءه في ضيعة اسرته الواسعة !

كان « ليو » ينزل في احد فنادق المدينة ، عندما وصل اليها فجاة عازف موسيقى فقير يكسب رزقه من التجول والعزف على كمانه لنزلاء الفنادق وضيوف المطاعم . وطلب الموسيقار المسكين من مدير الفندق ان ياذن له بممارسة هوايته وسط النزلاء الاثرياء .. ولكنه فوجيء بهم يسخرون منه ويقذفون به خارج الفندق ! وراى «ليو» ما حدث للرجل ، فقفز من مقعده على مائدة العشاء وهرول وراءه مسرعا ، وانقضت بضع دقائق قبل ان يفاجأ النزلاء به يعود اليهم وهو يتابط ذراع الرجل الذي دعاه الكاتب الكبير للعشاء ، على مائدته ، ولم يتركه يذهب قبل ان يجزل له العطاء بعد ان تركه يعزف موسيقاه ، على كمانه رغم انف الارستقراطية !

مدرسة القرية

وعاد تولستوى اخيرا الى قريته الصغيرة ياسنايا بوليانا ، وكان ذلك في اوائل عام ١٨٥٨ ، ولكنه لم يعد ليرث شيئا مما تركت له اسرته ، وانما لكي يبدأ في اعداد دراسة عن حياة الفلاحين الذين احبهم ، ولا باس بعد هذا من ان يشرف على ادارة هذه الاملاك الواسعة ، ولو ان هذا العمل الاخير لم يكن ، كما قال هو فيما بعد اكثر

ساشا .. مالت الرسالة التى حملها أبي !

من مجرد رؤية قريبة لاسلوب العيش في الريف .

ومن اجل الفلاحين والريف ، كانت رحلة تولستوى الثانية للخارج ، فقد اراد ان يقدم لابناء القرية شيئا جديدا .. ونجح فقد عاد اليهم حاملا لهم « ثورة في التعليم » .. انشا مدرسة لابنائهم ، وكانت اول مدرسة من نوعها في روسيا كلها .. فلم يكن في مدرسة تولستوى الجديدة دروس يتحتم على كل تلميذ ان يحفظها .. لم تكن هناك اوامر ، ولاعقوبات ولا مكافآت .. كان الاطفال يجيئون الى المدرسة في اى وقت يشاءون، ويجلسون كما يحبون ، وينصتون او لا ينصتون !

ولكن التجربة لم تدم طويلا .. فقد اعتلت صحة تولستوى وترك المدرسة .. وسافر من جديد بحثا عن العلاج .. ولم يكن يدري ان بيته سوف يصبح نهبا لرجال الامن في غيبته .. كانوا يبحثون عن « منشورات ثورية » في بيت الكاتب الفلاح .. ولكنهم لم يجدوا شيئا !

لقد تحدث تولستوى عن «العدالة الاجتماعية» .. وكان يهاجم دائما الظلم الواقع على الفلاحين ويصف معاناتهم والامهم ، وكانت افكاره المتحررة تصطدم بالسلطة تحت حكم القياصرة .. ولكنه الآن قد اصبح مشهورا جدا .. ثم هو بعد ذلك ينتمي تاريخيا فقط لاسرة ارستقراطية كبيرة .. وكان هذان العاملان يوفران له بعض الحماية من العقاب الذي كان من الممكن ان ينزلوه به !

ووجد تولستوى في حياته الجديدة في القرية ملهمته ، فراح يكرس كل وقته وطاقته للكتابة .. ومع افكاره التي كان يسجلها في قصصه ومؤلفاته، عاش الرجل اهدا واسعد فترة في حياته بين عامي ١٨٦٢ و ١٨٧٦ .. فقد تزوج الكاتب الكبير بالفتاة التي اختارها هو ، وكان اسمها صوفيا برز ، ابنة صديق قديم للاسرة .. وكان مثل هذا

الزواج الذى يتم عن حب ، لاعن « ترتيب مسبق » بين اسرتي العروسين ، يعد حدثا فى هذه الحقبة من الزمن !

وفي سنوات ما بعد الزواج الذي بدا سعيدا ، كتب تولستوى ملحمتيه « الحرب والسلام » التي تدور احداثها حول محاولة نابليون لغزو روسيا في عام ١٨١٢ ، ومن خلالها صراع مسلح فى حياة اسرتين روسيتين ، ثم « انا كارنينا » التي التحم فيها الكاتب حياة زوجة خائنة طموحة !

تولستوي وشكسبير

غير ان حياته الخاصة بدات تضطرب ، وهو يسجل آخر فصول « انا كارنينا » فقد مرضت زوجته ومات اثنان من اطفاله ، وماتت معهما « ثورته التعليمية » في مهدها ، وبالرغم من الالم الذي احتواه فقد استطاع ان يفرغ من تحفته الرائعة الثانية ، التي كان يكتب احيانا بعض فصولها الاخيرة وهو يبكي ، لقد قال النقاد في وصفها : « في هذه الرواية كشف تولستوى عن ادراكه العميق لطبيعة الرجل والمراة .. وهو ادراك لم يتوصل اليه من قبل كاتب آخر سوى وليام شكسبير ! »

ولكن حياة تولستوى ما لبثت ان تغيرت بعد فترة قصيرة من الانتهاء من كتابة « انا كارنينا ».. فقد بدا يعيش حياة مليئة بالخوف والحيرة .. وبدات تراوده فكرة مجنونة لم يسبق ان عرفت طريقها الى راسه يوما .. لماذا لا يضع بيده نهاية لحياته .. لماذا لا ينتحر ويريح نفسه المتعبة ويستريح ! ولكنه ما لبث ان سخر من نفسه عندما وجد الراحة التي ينشدها لا في الموت .. وانما في الحياة التي تصور في لحظة ضعف انها ضاقت به وضاق بها .. !

وعاد يكتب ويكتب .. ويجدد ايمانه بالله ، وبالناس الذين عاش معهم وبينهم .. الفلاحين .. فكتب يصف حياتهم في كتابه « قوة الظلام » The Power of Darkness ثم « سوناتا كرويتزر » The Kreutzer Sonata الذي تحدث فيه عن النساء اللواتي اقيمت لسعة اكثر المصانع والمحال التجارية من اجل اسعادهن .. ثم « البعث » Resurrection وقد وصف فيه « الاخوة » بين الناس وقد كرس تولستوى كتبه كلها لنشر افكاره .

أعظم أحلامه

وعندما اقتربت رحلة حياته الطويلة الحافلة من نهايتها ، كان تولستوى قد حقق اعظم احلامه ، فقد تنازل عن الارض وعن البيت وعن كل ما يملك لاصدقائه الفلاحين ، ثم ذهب اليهم واختفى بينهم .. ولكن حلمه الكبير الذي تحقق قبل شهور قليلة من رحيله وضع في الوقت نفسه خاتمة لقصة الحب الكبير بينه وبين زوجته صوفيا .. وفي احد الايام ، كان تولستوى بين ركاب القطار الذى غادر قرية ياسيانا بوليانا .. واصابه المرض في رحلته التي لم يكن احد يعلم اين ستنتهي به ، حتى هو نفسه .. وقبل مضي اسبوع واحد كان كاتب روسيا قد مات ! وعاشت مؤلفاته واعماله .. وسوف تعيش طويلا .. وبقيت افكاره حية لانها لم تعد مجرد افكار ، وانما هي مثل عليا في حياتنا الحاضرة ..

الابنة تحمل الرسالة

ان الرسالة التي بشر بها تولستوى ما زالت تعيش ايضا في غير كتبه .. ترفعها اصابع يد سيدة عجوز جاوزت الرابعة والتسعين من عمرها.. انها الكسندرا تولستوى ابنة الكاتب الروسي العملاق ، التي تعيش في نيويورك وترأس «المؤسسة تولستوى » .. المؤسسة التي توفر المساعدة لكل مهاجر روسي .. ان الكسندرا ما زالت تعيش في عالم تولستوى المثالي الذي كان يحلم به قالت وهي راقدة على فراش مرضها تشكو آلام الشيخوخة والقلب : « ما اعظم خيبة الامل التي كان سيصاب بها ابي لو انه عاش عالم اليوم . فلم يعد الناس يعيشون من اجل بعضهم البعض ، لم يعد الانسان يعرف الخير ! لقد غابت الحقيقة وامتلات الدنيا بالكذب والنفاق ! » .

« انني سيدة عجوز مريضة متعبة .. وقد ترك لي ابي رسالة .. قال وهو على فراش الموت : « ساشا — وهو الاسم الذى كان يحب ان يناديها به دائما — « ساشا » ابحثي دائما عن الحقيقة يا ابنتي وانشريها على الناس » !

وبدا ابي وكانه يريد ان يقول شيئا آخر .. ولكنه اغمض عينيه وذهب « ترى هل يجد عالم اليوم الحقيقة التي اوصى تولستوى ابنته بالبحث عنها ؟ ■■

منير نصيف

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

انخفاض ضغط الدم

● قال لي الطبيب اني اعاني من انخفاض في ضغط الدم .. فما اسبابه وما علاجه ؟

- قبل الاجابة على هذا السؤال يجب أن تعلم ايها القارىء العزيز بان الدم هو الذي يغذي جميع انسجة الجسم الجسم بالاكسجين ولولا الاكسجين لما امكن ان تستمر الحياة . والدم يضخ بواسطة مضخة عظيمة وهي القلب الذي يضخ ما ٤ - ٦٪ لترون الدم في الدقيقة الواحدة واذا اعتبرنا انه ينقبض بمعدل ٦٠ - ٨٠ انقباضة في الدقيقة علمنا انه يدفع ما يقرب من ٧٠ - ٨٠ مليمتر من الدم في كل انقباضة وهذا ما يسمى بناتج الدم من القلب Cardiac output والدم يضخ في الاوعية الدموية الكبيرة ضد مقاومة محيطية Peripheral Resistance وبذا يتكون الضغط الشرياني.

وناتج الدم من القلب يتاثر بعوامل كثيرة منها كمية الدم العائدة الى القلب والتفاعل النفسي والمجهود العضلي .

ولكن الضغط الشرياني يبقى ثابتا بحكم التوازن الذي يتم بالمقاومة المحيطية فتشتد وتقل تبعا لتلك العوامل .

وفي حالة انقباض القلب يندفع الدم الى الابهر والشريان الرئوي معطيا الضغط الانقباضي وعندما يصل الى اقوى اندفاعه تقفل الصمامات الهلالية التي بالقلب لكي تمنع الدم من العودة اليه ويحصل الارتخاء وبذا يكون الضغط الارتخائي في الشرايين ..ولذا عند قياس ضغط الدم يذكر الضغط الانقباضي Systolic - Pressure والضغط الارتخائي Diastolic - Pressure.

ولقد وجد بان ضغط الدم الطبيعي يتراوح خلال مدى واسع من القياسات - فالانقباضي يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مم زئبقي والارتخائي ما بين ٦٠ / ٩٠ مم زئبقي ولاضطراب التوازن بين ناتج الدم المندفع من القلب وبين المقاومة المحيطية يختلف ضغط الدم اما ارتفاعا واما انخفاضا تبعا لذلك الاضطراب .

واسباب انخفاض ضغط الدم كثيرة وعادة ما نعتبر بان هناك انخفاضا اذا ما وصلت القراءة دون ٩٥مم زئبقي في الارتخائي.

ولكن هناك بعض الناس وهم قلة نجد ضغط دمهم مقاربا لهذه القراءة ومع ذلك فهم أصحاء لا يشكون من شيء وليس بهم مرض .

وانخفاض ضغط الدم ينتج من :

اولا : نقص ناتج الدم من القلب كما يحدث في حالات هبوط القلب وانسداد الشريان التاجي .

ثانيا : هبوط وضعف المقاومة المحيطية كما يحدث في حالات الصدمة او في حالات تاثر العصب الحائر على الاوعية الدموية Vasovagal Attach.

ثالثا : نقص في كمية الدم

والسوائل كما يحدث بعد النزيف الشديد والحروق المنتشرة وحالات التسمم والقيء والاسهال والارهاق الحرارى •

رابعا : انواع واسباب مختلفة كما فى بعض حالات سكرى الدم ومرض اديسون Addison's Disease واشتداد الحساسية فى تجويف الشريان السباتى Caroted Sinus hypersensetivity او الاصابات التى تحدث بالرأس •

ومن اعراض هبوط الضغط برودة الجلد ورطوبته والسرعة او البطء من النبض ـ حسب السبب ـ وزغللة العينين والغثيان وعدم القدرة على التركيز وفقدان الوعى فى الحالات الشديدة •

اما العلاج فيعتمد على السبب كان يعطى المصاب سوائل فى الوريد او ينقل له دم بدل ما فقده او اعطاء بعض العقاقير القابضة للاوعية الدموية •

الماء وضرورته للجسم

● الماء ضرورى للحياة فما هى وظائف الماء فى الجسم وما الكمية التى يحتاجها الانسان يوميا ؟

ـ اول عنصر ضرورى للحياة هو الاكسيجين ويليه الماء ، ففى كل خلية من خلايا النبات او الحيوان نجد مقدارا من الماء واذا جف الماء فقدت الخلية حياتها • والماء هو الوسيط الوحيد الذى تحدث فيه وتنتقل به جميع القوى الحية فى الجسم ويحتوى جسم الجنين الذى عمره ٣ شهور على ٩٣٪ من الماء والمولود حديثا يحتوى على ٨٠٪ من الماء والشخص البالغ على ٧٢٪ من الماء •

ووظائف الماء فى الجسم كثيرة منها :

١ ـ المساعدة فى عمليات المضغ والبلع •

٢ ـ المساعدة فى عمليات الهضم والامتصاص اذ يقوم بنقل وتوزيع الغذاء المهضوم عن طريق الدم الى اجزاء الجسم المختلفة •

٣ ـ التخلص من الاملاح المعدنية الزائدة عن طريق العرق والبول •

٤ ـ التخلص من بقايا الجهاز الهضمى عن طريق البراز •

٥ ـ ترطيب المفاصل والاغشية المخاطية حتى تتمكن من اداء وظائفها •

٦ ـ تلطيف الماء لدرجة حرارة الجسم نتيجة تبخره من سطح الجلد والرئتين •

٧ ـ الماء اساس لجميع الافرازات والعصارات والتفاعلات التى تحدث بالجسم •

٨ ـ يرتبط الماء بظاهرة الابصار وكذلك توصيل الصوت فى الاذن •

٩ ـ يوجد الماء مرتبطا مع البروتينات والكربوهيدرات ويستفيد الجسم من الماء الذى يتحلل من هذه المواد •

ويحصل الجسم على ما يحتاجه من الماء عن طريق الشراب وما يدخل فى تركيب المواد الغذائية التى نتناولها وكذلك ما يتكون داخل الجسم نتيجة التفاعلات الكيميائية المختلفة • وتختلف حاجة الجسم الى الماء تبعا لاختلاف حرارة الجو وما يؤديه الانسان من نشاط ومجهود وجملة ما يحتاجه الشخص البالغ تتراوح بين ١½ و ٢½ لتر من الماء يوميا وتقدر كمية الماء الذى يحصل عليه الجسم من الموارد المختلفة بالتقريب كما يلى :

١ ـ ١½ لتر من الماء والسوائل الاخرى •

٢ ـ حوالى ٨٠٠ سم٣ من الماء الموجود فى الماكولات •

٣ ـ ٣٠٠سم٣ تقريبا تتكون فى الجسم نتيجة عمليات التاكسد •

لذلك نجد أن الماء من أهم ضروريات الحياة ومكون هام للانسجة • ■■

دكتور
ابراهيم محمد القشلان

بَشَّرنا ثمّ تصوّفنا

شعر : فاروق شوشه

تـــنداحُ خيوطُ الليلِ ، فتشرقُ طلعتُكَ ، الوســـنى
ياربّـــى ! حقاً مـــا أبصـــرُ ؟
قد عشيتْ عيناىَ ولكنْ هأنـــذا أتحسّسُ دربـــى
أخطـــو ،
هـــذى عيـــناكَ تدلاّنى ، وتشـــدّانى
عينـــاكَ النجمُ الثاقبُ ظُلْمَـــة أحزانى
فأعاينُ بَعْدَ زمان القهرِ شعاعـــاتِ الفجر الأســـنى
عجبـــاً ، عجبـــا !
هذا صوتٌ بالإنعامِ وبالبشرى يتَرضانى
تنثال دموعُ الوجدِ ويغرقنى فيْضُ التحنانِ ، وأدنو منْكَ
أطالع في عينيْكَ شجوننا تتصبانى . .
غابت عمرا ، واليوم تعودُ فتلقانى
عجبـــا ، عجبـــا !
هذا لحنٌ بضروب الفرحة يسرى في إيقاع زمانى
أجتاز سياج الوهم ، أشير عليْكَ فتدنو ، تلتصق الرؤيا ،
نصعدُ فوق تخوم العالمِ ، نسبحُ في الفيض النورانى
عجـــباً ، عجـــبا !
من أطلق شُعلتْكَ الكبرى ، لتشـــعَّ علىَّ وترعانى
في هذى اللحـــظةِ من دنياى ، ومن مأمى ، من قلبِ
مراراتى ودخـــانى !

وأتيْتَ لتُفسِدَ ما أمَّلْتُ

سُكونَ الخيبةِ ،

صمْتَ العزلةِ ،

راحةَ مهزومٍ قد أغفى وطوته ظلالُ النسيان !

★ ★ ★

لو نسألُ الزمانَ ، ما الذى يقوله الزمان ؟

ونحن أدْرى بالذى تصوغهُ في كلِّ يومٍ مرةً ومرتينْ

نحلمُ أن يجاوز التخوم في غدٍ ، وأن يشارفَ الذرى

وأن يصيرَ واحةً وكوثراً

ننفخ فيه من رغائب السنينَ ، من حصاد عمرنا المهينِ ،

من تطلعاتنا

من زَهْونا المشبوب وانكسارنا

من جُوعنا للمسةِ الأمان . وانتظارنا

للحظةٍ مخطوفةٍ تضمُّنا معا

ولم نزلْ أدْرى ، برغمْ خشْعةِ العيون في الثـــرى
بما أصابَ طفلْنا الوليدَ بغتْةً ، فأوجعـــا
وعلّقَ الأحزانَ في الجـــدران !

* * *

هل تكفى في العُمرِ بقيّـــة ؟
لنخوض معا في الوحـــلِ المنْشبِ فينا أظفاره
الوحلِ الأسودِ والمرصودِ ووحْلِ الأنفس والنّية ؟
نقتلع معا أوهام الناس وضعفَ الناس وجوع الناس
نخطو من فوق جسور الرّغبِ ،
نعيدْ إلى النهرِ المتكدّرِ فينا تيّـــاره
وصفاء ملامحـــهِ الأولى
هل تكـــفى في العمر بقيـــة ؟
لنقولَ وداعا للأحزانِ ، وللساعات المنهارة
ونعيدَ إلى الانسانِ الذابلِ دفْء اللمسةِ والأنفاس
والقلبِ المضنّى . . وقدَ الجـــذوةِ والإحساس
ياكـــمْ جربْنا وتعبنا ،
أقدمنْـــا ثم تراجعنـــا
بشّرنْا حين لمحنْـــا ثمةَ شيئْـــاً يولد
لكنا حين رأيناهُ ، وعرفْنا وجهَ دمامـــتـه ،
عدنْا فعكـــفْنا ،
أغلقنا في وجـــه الإعصار معابدنا ،
وتصـــوّفْنـــا
يامن ينُجينا ، فالساعةُ بالهولِ اقتربت
الغادى مِثلُ الرائـــحْ
والسائحُ مثـــلُ البارح

عناقَ الأفران

ءبى ، دمدمةِ الطوفان

★

لا تُغادرى

، آنَ

اورى

فْ

ا ماءُ الشرف

ءِ بالبعيد

ن . .

مين بالجـــديد

نا

المضرَّجة

ُ العـــرى

مرجـــة !

■■

فاروق شوشـه
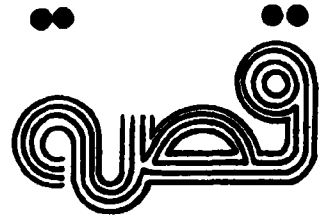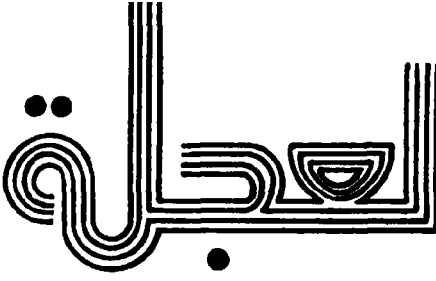
بقلم : الدكتور عبداللطيف ابوالسعود

● اذا نظرت الى عجلة تدور حول محورها ، فانها تبدو لك جهازا بسيطا • ولكنها في واقـع الامـر اختراع بالغ التعقيد • ولم يـكن اختراع العجلة عملا ذكيا فحسب ، ولكنه ادى الى انقلاب شامل في مختلف وسائل الحياة اليومية •

ويكاد كل اختراع ان يـكون محاكاة لبعـض الوظائف أو العمليات التي تحدث في الطبيعة• فالعين تحتوى على عدسة، وعلى قزحية تتسع وتضيق• وما آلة التصوير الا تقليد للعين• كذلك توجد الروافع والمحاور في اجسامنا • كما ان جهاز الانابيـب المعقد الذى يتدفق فيه الدم ، يتحكم فيه عدد مـن الصمامات ويمده بالقوة مضخة قوية ، الا وهـى القلب • كما توجد الكهرباء في الطبيعة في صـور مختلفة ، منها البرق ، والكهرباء المخزنة فـي اعضاء بعض الكائنات البحرية ، والتيارات الدقيقة التى تسرى في الاعصاب ، لتدفع العضلات الـى الحركـة • كذلك نجد ان جميع انـواع العمليات الكيميائية تحدث في الطبيعة،ابتداء من تبر معادن الارض،الى التغيرات السريعة التي تحدث في النبات والحيوان • كذلك نجد ان التحولات الذرية تحـدث باستمرار في الطبيعة ، كما هو الحال في الجحيم المستعر في نجوم السماء• ويبدو انكل ما اخترعه الانسان انما هو تقليد لما سبقته اليه الطبيعة •

ولكنك لن تجد في الطبيعة عجلة تـدور حـول محورها • فهذا جهاز اخترعه الانسان وهو اضافة ميكانيكية الى المعلومات البشرية ، وفكرة لم تكن موجودة من قبل • ويبدو ان العجلة ستبقى دائمـا ابدا الاختراع الوحيد الاصيل ، والجهاز الوحيد الذى لا يقلد شيئا آخر في الطبيعة •

من اخترع العجلة ؟

لا احد يعرف على وجه التحديد من الذى اخترع العجلة • فهى اختراع جاء بالتدريج خلال فترة طويلة من الزمن • وهى نتيجة لعمل رجال كثيرين، ولثقافات عديدة ، وتجارب طويلة • وعلى ذلك ، فلم تكن العجلة شرارة ذكاء ومضت فى ذهـــن مخترع واحد ، ولكنها جاءت نتيجة لقرون من العمل الدائب ، قام به عديد من المخترعين ، ادى الـــى سرعة تحرك الانسان وانتقاله من مكان الى اخر•

ولقد ظهرت العجلة فى اماكن كثيرة ، وعلـى صور عديدة ، فى البلاد المحيطة بالبحر المتوسط• وهى ليست قديمة جدا اذا ما قيست بمقياس تاريخ البشرية كله •

ولقد ظهرت العجلات الكاملة الاولى منذ ما لا يزيد عن خمسة او ستة آلاف عام،وانتشرت بسرعة من حيث صنعت ، الى انحاء العالم القديم •

أثر العجلة على التطور التكنولوجى

وتمثـــل قصــــة العجلــة دراسة مثيرة لتطور التقدم التكنولوجى للانسان فى العصور القديمة• ومن المعتقد ان الانسان القديم قد بدأ فى استخدام الادوات منذ حوالى مليون عام • وانه قد مرت مئات الالاف من السنين قبل ان يصنع العجلة • ولكن انظر الى التقدم الهائل الذى امكن انجازه فى خلال فترة قصيرة نسبيا ، تقدر بستة آلاف عام، منذ اختراع العجلة•لا شك فى انها سرعة مذهلة، ستة آلاف عام فى مقابل مليون عام ، الامر الذى يبين الاهمية الكبيرة التى كانت ــ وما تزال ــ للعجلة فى التطور التكنولوجى للانسان •

ولقد وجدت العجلات البدائية الاولى مــــن مخلفات الاشوريين ، والبابليين، والمصريين القدماء•

ويحتمل أن تكون العجلة قد اخترعت فـى نفس الوقت ، فى هذه البلاد • ونحن نعلم يقينا ان العجلة لم تخترع فى العالم الجديد •

فعندما غزا الاسبان نصف الكرة الغربى فـــى القرن السادس عشر ، وجـدوا ان الحـضارات الامريكية الاولى متقدمة للغاية ، ولكنها لم تكن تعرف العجلة •

الخطوات الاولى فى اختراع العجلة

قام عدد من العلماء بدراسة اصول التكنولوجيا البشرية ، فوصلوا الى ان الفكرة الاولى عن العجلة قد جاءت نتيجة لملاحظة الحركة الدائرية الجزئية فى اجسام الانسان والحيوان • فالاذرع ، والارجل، والاكتاف بل حتى الرؤوس تدور الى مدى معين ، ولكنها لا تستطيع الدوران دورة كاملة • لاحظ الانسان القديم ذلك واستخدمه فى اشعال النار • فقد كان يدير قضيبا خشبيا بسرعة كبيرة،مستخدما فى ذلك حبلا ملفوفا على القضيب ، ومشدودا على قوس ، يحركه الى الامام والى الخلف ، فيدور القضيب حول نفسه • فكانت الحركة الدائريـــة الاولى التى عرفها الانسان • ولكنها لم تكن حركة دائرية كاملة ، ذلك انه كان على القضيب ان يدور فى الاتجاه العكسى متى وصل القوس الى نهاية مشواره • وكانت الحاجة ماسة الى جهاز يدور باستمرار فى نفس الاتجاه •

وكانت الخطوة الاولى فى هذا السبيل اختراع الباب ذى المحور • لم تكن هناك مفاصل معدنية فى هذه العصور القديمة ، لذلك جهزت الابواب باوتاد فى اعلاها واسفلها ، تثبت فى تجاويف فى اطار البيت • ولقد وجدت هذه التجاويف فى آثـار الاشوريين ، وبعضها يرجع الى عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد• كما وجدت فى بعض المناطق حول بحـــر ايجه ، وفى بعض بلاد اوروبا الوسطى • وكلها ترجع الى نفس الحقبة من التاريخ القديم •

ولم تكن فكرة وتد يدور فى تجويف بعيدة جدا عن فكرة العجلة نفسها •

العجلات الاولى

ولقد ادى اختراع الباب الذى يفتح ويغلق الى اختراع عجلة الخزاف ، التى كانت فى بادىء الامر قرصا مستديرا من الحجر ، به جزء بارز فى مركز اسفله ، يركب على تجويف على هيئة الفنجان فى

حجر آخر • ومتى كانت عجلة الفخار متزنة ، ومشحمة بدهن الحيوان ، امكن ادارتها بسهولة كبيرة • ولقد كانت عجلة الفخار اول جهازيؤدي حركة دائرية مستمرة حقيقية •

ولقد وجدت بقايا هذا النوع من الالة الدوارة البدائية في آثار جميع الحضارات القديمة في العالم • اذ استخدم الاغريق القدماء ،والمصريون القدماء ، انواعا مختلفة من عجلة الفخار هذه •

وبالرغم من ان عجلة الفخار لم تكن عجلــة حقيـقية ، بــل مجـرد شـيء يـدور حـول محــور ، الا انها كانت اخــر خطــوة على الطريق • ولم يبق الا ايقافها على حافتها وعمل ثقب في مركزها ، وادارتها على قضيب او محور افقي • ولقد امكن تحقيق ذلك بين عامي ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، في اماكن كثيرة من العالم القديم • ولكن الحاجة كانت ماسة الى طريقة لحفظ العجلة في مكانها ، فكان ان دقت اوتاد في المحور الخشبي لتحفظ العجلة منالانزلاق خارج محورها •

وقد كانت العجلات الاولى مصنوعة منالخشب ، ولكنها لم تكن من قطعة واحدة •

فقد كان من الصعب الحصول على الواح كبيرة من الخشب ، تكفي لتقطع منها الاشكال الدائرية للعجلات•لذلك لجأ العمال الى ثلاث قطع علــى اشكال خاصة ، وثبتوها معا بالمسامير لتكون جسما دائريا • ولان الخشب يتآكل بسرعة ، كان مــن الضروري وضع اطار حول محيط العجلة • وكانت الاطارات الاولى من الجلد ، ثم من النحاس •

ويقول المؤرخون بان المركبات الاولىذاتالعجلات كانت عربات حربية • ففي حوالي عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، اندفع السومريون بمركباتهم الخشبية عبر الوديان ، موقعين الهزيمة بمن اعترضسبيلهم•

وبالرغم من انهم كانوا قد اخترعوا طريقة جديدة وحاسمة لشن الحروب ، الا ان قوتهم لم تــدم طويلا • فقد قامت جماعات اخرى بصنع عربات تجرها الخيول•وتبنوانظاماجديدا للهجومبالعربات• وسرعان ما تغيرت الحياة البسيطة للعالم القديم• فقد كان في امكان جيش يتنقل على عجلات ان يتحكم في مساحة اكبر • وسرعان ما ضمت اراضي الاعداء الى اراضي المنتصرين •

وكثير من المخترعات في تاريخ البشر ، كان لها استخدامات حربيــة ، الا انها افادت كثيرا في زمن السلم فقد كانت المركبات ذات العجلات خيرا [illegible] الفلاح • وسرعان ما تحولت الزحافات الى [illegible] الى عربات تجرها الثيران في سهولة ويسر • كانت عربة الفلاح بسيطة للغاية ، الا انها [illegible] على انشاء المدنالجديدة•فعندما اصبحنقل[illegible] الزراعية عملا سهلا ، اقيمت الاسواق المرك[illegible] القرى • وسرعان ما اصبحت هذه الاسواق للمتاجرة في جميع انواع البضائع ، وتحولت [illegible] بؤر تنمو حولها المدن • وفي هذه المراكز كان تبادل الافكار مع البضائع ، واذا بالـ[illegible] الصغير الذي كان قائما منذ حوالي ٦٠٠٠ [illegible] ويتسع في مختلف الاتجاهات •

اصبحت الهجرة من مكان الى آخر اسهل[illegible] ومتى رغب قوم في الانتقال الى ارض [illegible] كان في امكانهم حمل حاجياتهم معهم ، على [illegible] بدائية • اما الثيران التي تستخدم في الزر[illegible] فقد قامت بجر العربات•ونقل الناس ـ يملا[illegible] قلوبهم ـ الى الارض الجديدة التيانتقلوا [illegible]

اهم اختراع ميكانيكي ؟

يمكن القول بان التكنولوجيا الحديثة [illegible] تطورت ابتداء من العجلة ، او انها تعتمد [illegible] العجلة بصورة او باخرى فالعديد من الالات [illegible] العجلات ، او صنعت بمساعدة آلات اخرى [illegible] العجلات : آلة الطباعة التي قامت بطبع الصفحات تحتوي على عجلات كثيرة • وا[illegible] الصغيرة في ساعة المعصم ماهي الاانواع [illegible] العجلات • ويحتوي مولد الكهرباء على مثا[illegible] هيئة عجلة ، يدور فيمدنا بالكهرباء • اما الـ[illegible] فانها تقطع المسافات الطويلة على عجلا[illegible] اطارات من المطاط ، تديرها محركات تحتو[illegible] العديد من العجلات • وحتى آلات السفن تحتوي على عجلات كثيرة • اما رفاص ا[illegible] الذي يحرك الماء بقوة ، فما هو الا نوع من العجلات •

ويبدو انه لا حد لاستخدام العجلة •

ومهما زاد تعقيد الالة التي تستخدم ا[illegible] فان شكل العجلة نفسها لا يتغير • فما [illegible] قرص دائري الشكل يدور بحرية حول محور[illegible]

د • عبداللطيف ابو الس[illegible]

حسن عبدالوہاب

الثقـافي والتخلف ، بدراسة الآثار العـربية والدفاع عنها ، وحمايتها من عدوان النسـيان والاهمال ، أو نسبتها الى أصول غير اصـول أهلها .

كانا صديقين حميمين لا يمر العـام أو بعض العام الا ويلتقيان في أكثر من ندوة أو مؤتمر من ندوات الآثار ومؤتمراتها ، أحدهما يمثل مصر والآخر يمثل تونس ، منذ العشرينات حتى لحقـا بالرفيق الأعلى ، افسح الله تعالى لهمـا في جناته ، وأجزل لهما في ثوابه .

ولعلك قد تبينت أيها القـارىء انني اعني بالمسمى الثاني ، حسن باشا حسني عبد الوهاب، العلامة التونسي ، وكلاهما كان ـ الى صـلته بصاحبه صداقة وعلما ، على صلة علم برئيس تحرير العربي الجليل المرحـوم الدكتور أحمد زكي ـ لخدمة الثقافة العربية المخلصة في نفض غبار التخلف عن جهادنا العلمي .

ولقد عرفت « حسن عبد الوهاب » « المصري » قارئا لجولاته الأثرية على صـفحات الدوريات اليومية والاسبوعية والشهرية ، مصرية وعربية في ذروة نشاطه العلمي والادبي من اربعينات هذا القرن .

أول لقاء

ولقيته ـ أول ما لقيته عام ١٩٤٥ ، على غير معرفة بالذات ـ بينـما كان يشرف على ترميم « سبيل » (١) في مسجد « التي برمق » (٢) ، كنت طالبا في الأزهر ، اذاكر في المسجد ،وكنت ضيق الصدر بذلك الجزء المتخرب من المسجد ، ورغم انني كنت ادرس ـ في الوقت نفسـه ـ الرسم والتصوير بكلية الفنون الجميلة ـ فان تذوقي ـ يومئذ ـ للعمارة الاسلامية وفنونها كان محدودا لما يغلب على دارسي الفنون في معاهدنا الفنية العربية عامة من قصـور في تاريخ الفن الاسلامي والعمارة الاسلامية خاصة .

وبينما العمال يرفعون الحجارة ، ويقيمـون الجدران في هدوء وطول بال لحظت النشـاط يدب فجأة فيهم ، ووقوف المعماري الملتزم بالترميم « المقاول » وقفة الاحترام ومعه مهندس الآثار ، فاثار ذلك السلوك فضولي ، وتركت ملازم الفقه، لاقترب من هذا الجمع الذي وقف يستمع في أدب واحترام الى توجيهات رجل ربعة القوام ،يشير بعصا خيزرانية رفيعة قصـيرة المقبض ، ولما زاد اقترابي وجدته يحدث « الفعلة » ـ عمال الهدم والبناء في مصر ـ باصطلاحاتهم ، وكذلك يحدث كلا من البناء والحجار بلغته ، والمقاول والمهندس لا ينبسان .

وازحت عمامتي الى الخلف قليـلا ، واندفعت سائلا ـ في لحظة صمت من الجميع ـ وما قيمة هذه الجدران المتهدمة حتى تصلح وترمم ، وهي لن تعود الى عملها ، خاصة وقد تهدم الكتـاب من فوق السبيل فلم يبق له من اثر .

وكانني قد نطقت كفرا ، حيث هب المقـاول والمهندس معا قائلين : الا تعرف من تحدث بهذا الاسلوب ... ؟ انك تحدث مفتش الآثار الاول حسن بك عبد الوهاب ـ وقد كان الرجل ـ رحمه الله ـ يعمل تلك الرتبة رسميا في الفترة قبل الغاء الألقاب في مصر .

سلوك العالم الكبير

ولكن جواب العالم الاثري كان يختلف ـ رغـم مظهر الجد والضيق اللذين اكتست بهما ملامحه فقد سألني : وما سؤالك وانت طالب ازهـري فيما يبدو ولا شأن لك بالعمارة والفنون ؟؟ فلما اخبرته بدراستي تلك الاخرى، هدأ قليلا واخذني من يدي ، لندخل تحت الاخشاب المنصوبة لتحمل السقف المتيب الذي كان يوشك على الانهيار ، وبتقدمه اخذ يزيح الرمال عن أرضية رخامـية

---

(١) وحدة معمارية انتشرت في مصر منذ العصرالأيوبي وما بعده ، لشرب الناس ، قد تنفـرد بالعمارة مع كتـاب « فوقها ، وربما يلحقـــانبالمساجد والتكايا .

(٢) مسجد من العصر التركي بخطة « ســوقالسلاح » قرب القلعة والاســم تركي معنـاه « الأصابع الست » وكان هذا لقب العالم المدفونفي ضريح هذا المسجد .

نجمية ودائرية
ة ، وسالنى :
فاجبت بالنفى،
، زاوية الغرفة
حتة وسالنى :
ر ، فقال : لا،
المياه ، مبنى
مبطن الجدران
ر برفع الغطاء
صطدم بقاع
، سقوط الحجر
، عن اتساع

نملى حجرا ،
الجواب ، زاد
كان يكتب حسن
مجلات الرسالة
رى ، والكتاب.

الرجل واقترب
واتنى بعد
واتممت دراسة
ريدة الاهرام ،
صف القرن ،
ات عن ذلك
مصر الملكى فى

سينات ، لم
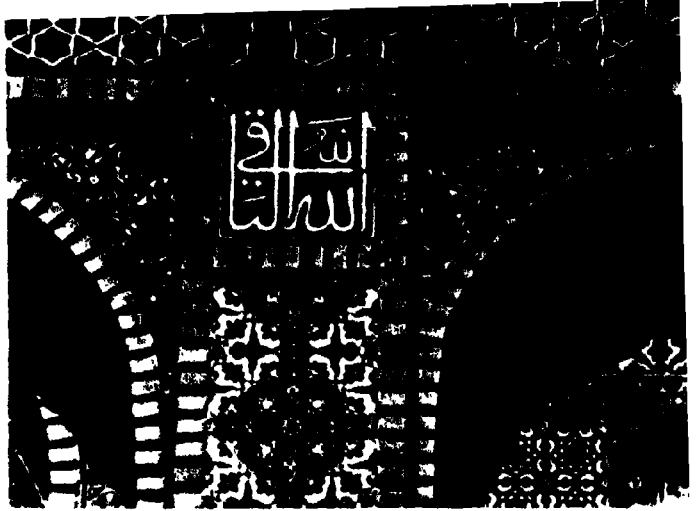
تنقطع صلتى بذلك العالم الجليل أصبح جانبا من تاريخ الفنون الشرقية فى ثقافتى ، حتى حولنى بعلمه وصائب توجيهه الى محب للآثار والفنون الاسلامية ومتخصص فيها .

من جيل العمالقة

ونسبة حسن عبد الوهاب الى جيل العمالقة ، الرافعى والعقاد ، وحافظ وشوقى وطه حسين.. أنه مثلهم من مواليد القرن الماضى ، وكالعقاد والرافعى اتسم كفاحه بالعصامية الثقافية ، ولد عام ١٨٩٨ ، بعد عامين من ردم خليج القاهرة ، ذلك الطريق المائى الذى كان يخترق القاهرة آخذا من النيل قريبا منموقع فسطاط عمرو بن العاص ـ مصر العتيقة ـ الى أن يلتقى مع ترعة غمرة ، قاطعا من الجنوب الى الشمال ما يقرب من ـ١٢ـ اثنى عشر كيلومتر ، تحيط به الدور ذوات المشربيات والنوافذ الجميلة الصناعة من خشب الخرط الدقيق ، تخترقه التوارب أشباه الجندول فى قنوات مدينة البندقية وتعبره أكثر من مائة وخمسين قنطرة ، مازال اسم بعضها يطلق الآن على بعض حوارى الأخطاط التى كان الخليج يمر بها .

وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب رضوان ، من علماء الازهر الفضلاء وجده الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان ، المكنى بأبى عيد المخللاتى ـ من أعلام القرن الثالث عشر الهجرى التاسع

عشر الميلادي ـ عالم القراءات ورسم المصحف ، له المؤلفات الدقيقة التي كانت عماد لجنة المصاحف التي أشرفت على طبـــع مصـحف الملك ـ في الاربعينات بمصر ، كما كان الشـــيخ رضوان ، استاذ للعلامة الجليل احمد باشا تيمور ، درس عليه علوم البلاغة وآداب اللغة العربية (٣) •

في هذا البيت العلمي نشا حسن عبد الوهاب ، فحفظ القرآن ودرس مبادىء العلوم في الازهر ، ثم تحول الى تجهيزية دار العلوم •

ولم يطل به المقام اذ التحق بخدمة لجنة حفظ الآثار العربية ، التي تأسست أيام السلطان حسين كامل ، دون أن يتم دراسته يومئذ ، ولكن ذلك العصامي قد تعلم الكثير في حقل الآثار الاسلامية عمليا ،حيث عمل مع المهندس الايطالي « بتريكولو» والسويسري « هرتس » ثم مع « جاستون فييت » عضو المجمع العلمي الفرنسي والمعهد الفرنسي للآثار بمصر ، ثم المهندس المصري محمود باشا احمد ، أول من تولى الآثار العربية من المصريين •

وكان لهؤلاء الاربعة ، فضل صيانة وترميم كثير من مســـاجد مصــر الاسلامية ، ومدارســـها ومشاهدها ، على اسس علمية وفنية حتى منتصف الاربعينات •

بينما كانت مصر لا تزال تزخر ببقايا من أجيال الصناع الفنيين في الخشب ، والرخـام والحجارة والنحاس ، ينهل كل من ينظر الى زخارفهـم النباتية والهندسية ، على هـذه المـواد جميعا ، رسما وتنفيذا •

وبعد هؤلاء وبين أيديهم اشتغل حسن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ بصيانة وترميم الآثار العربية ، حتى حمل اللواء مفتشا للآثار ثم كبيرا للمفتشين حتى احيل الى المعاش ١٩٥٨ •

علم ووراثة

واذا كان حسن عبد الوهاب قد تعلم دراسة الآثار « على الطبيعة » على يد هؤلاء الاربعة ، اربعة اجيال من الخبرة والعلم والفن ، فان ما ورثه من والده وجـده من مراجع وكتب اسلامـ كان مدرسته العلمية التي لم يلبث أن نماها و على هاتين المكتبتين ، ذخائر التاريخ والتراجـ والسير ، بالاضـافة الى كل ما طبـــع عن وآثارها وفنونها العربية والفرعونية ،بالفرنـ والانجليزية ثم بالعـــربية كما ضـم الى المكتبات كثيرا من نفائس المخطوطات ، أصلية و مصورة •

رأيته يقرأ الفرنسية ويتحدث بها ، ويعلق على هوامش تلك المراجع ، ويقـــرأ له الانجليزية ، تلميذه العالم الأثري الدكتور عبد الرحمن فهمي، واخوه المهندس عبد الرحمن عبد الوهاب ، بينما لم يخل مرجع عربي في مكتبته الا وقد قرأه وكتب على هوامشه تعليقاته •

وتعد نسخة العـلامة حسن عبد الوهاب ، من السلوك للمقريزي ، وكذلك خططه ، من الكتب التي عنيت باكبر قدر من تعليقاته ، عندما يرد ذكر اثر ، يشير الى ما طــرأ عليه من تغيير او تجديد مؤرخا لذلك الحدث ، وربما زالت آثار من الوجود ، فيذكر ما يقوم مقامها من عمائر ،وربما زالت حارة او زقاق فيذكر ما جد في موضعها من تخطيط جديد ، ولو اعيد طبع هذين الـــكتابين بهوامش حسن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ لصارا مرجعين قيمين جديدين معا ، يمثلان ماطرأ على القاهرة وزميلاتها ،فسطاط عمرو بن العاص وقطائع بن طولون ،وغيرها من مدن مصر من أحداث الزمان وعوادي الضياع •

وقراء العـــربي المنتظمـــون ، يعرفون حسن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أحد أعلام قلائل اعتمدت عليهم « العربي » في استطلاعاتها ـ ونادرا ما نفعل ـ وذلك ثقة من ادارة العربي ، بعلم هؤلاء الاعلام ، حيث كتب حسن عبد الوهاب ـ رحمة الله عليه ـ مادة الاستطلاع عن شارع المعز لدين الله ، اقدم شوارع القاهرة الآن واحد شوارع ثلاثة ، يضم كل منها ما يفـوق المائة من آثار الفاطميين والايوبيين والمماليك ثم عصر الأتراك •

ولم يكن يغيب عن ذاكرة حسن عبد الوهـاب

---

(٣) ذكر ذلك العلامة تيمور باشا في بعض مؤلفاته •

، رحمه الله — أثر من تلك الآثار ، ولا تاريخ ا طرأ عليه من ترميم أو زيادة ، ولقد شهدته ي محاضراته يتحدث دون أن ينظـر في ورقة ، يراجع تاريخا أو رقما ، وما أخطأ ابدا في تاريخ و رقم .

بحوث ومقارنات

وكانت له البحوث الطريفة ، في حياة الصناع، نظم العصور الاسلامية وتخطيط المدن والمقارنات ين آثار مصر وسورية وتونس ، ولعل اطرف بحث ، كان مدعما بالصور ، القاه بالمجمع العلـمي مصر ، عن تخطيط شوارع القاهرة وتقسيـمها ولافتاتها الاثرية على رؤوس الشوارع منذ اكثر ن مائتي عام ، وربما كان على رأس الشـارع لافتة كبيرة ثم تحتها لافتة أصغر باسم ذلك القسم ن الشارع ، كأقسام شـارع المعز لدين الله ، كعكيين والمغربلين والسكرية والخيامية .. الخ ن باب زويله الى باب الفتوح اوشكت تلك المثل لاثرية الآن أن تضيع وتندثر ، ولا من يلتفت الى سميتها .

وليس من أثر اسلامي في مصر بين رشـيد أسوان ، الا وكانت ليد حسن عبد الوهاب رحمه لله ، فيه لمسة حنان على بصمة من بصـمات لحضارة حتى تقاوم الاندثار والضـياع بل ان ثار فلسطين والقدس بالذات ، قد شهدت جهد سن عبد الوهاب في ترميم المسجد الاقصى وقبة لصخرة — رحمهما الله — ضمن لجنة الجامعـة لعربية الفنية — التي شكلت لذلك الأمر ، ولعل مارة قبة الصخرة التي تمت قبل سقوط القسم لعربي من القدس عام ١٩٦٧ في حرب « حزيران لمشئوم » — خير دليل على يقظـة الاثري حسن بد الوهاب ، التي لم تترك عصرا من عصـور لاسلام منذ انشاء قبة الصخرة ، الا وحافظت على ا يمثله في ذلك الصرح المتيد ، ليعود الى سابق رونقه ، كما شاء له ملوك المسلمين وخلفاؤهم وامراؤهم من العصر الاموي حتى عصرنا هذا .

وكان له فضل العديد من الاكتشافات التي تشهد له بالدقة العلمية ، والملاحظة الواعية ، فكثيرا ما كان يقرأ لمؤرخ أو رحالة عبارة ، تقوده الى كشف اثري خلفها ، من ذلك ما كتبه الرحالة ابن جبير عن تابوت خشبي دقيق الصنع ، في الغرفة السفلى للمشهد الحسيني — عندما زار مصر سنة ٥٧٨ هـ، ١١٨٢ م في طريقه الى الحج ، قادما من الاندلس، مما جعل العلامة يراقب عناصر المشهد ، وينتظر فرصة ليبحث عن ذلك الاثر الجميل .

في كتابة المساجد الاثرية

يقول العلامة حسن عبد الوهـاب في كتابـه المساجد الاثرية ص ٨٧ ، ٨٨ :

« وعندما كتبت في جريدة الاهرام عن تاريـخ المشهد الحسيني يوم الجمعـة ٤ نوفمبر سـنة ١٩٣٨ ،كتبت عن هذا التابوت مانصه : والمعروف ان تحت ارضية هذه القبة حجرة بها تابـوت من خشب محلى بزخارف وكتابات » .

فلما تحمل القصر الملكي نفقات تغيير ارضية القبة بالرخام انتهزت الفرصة واستأذنت في نزول الغرفة السفلى فبهرني روعة التابوت ، « كمـا احزنتني الحالة التي هو عليها — فقد ظل التابوت الذي يزرى بالذهب والفضة — محتجبا عن الانظار نحو ثمانية قرون،لم تكتحل به عين الاثريين،وذهب التلف الى اجزائه — فأخذت له في مكانه صـورا فوتوغرافية (٤) ، رفعتها مع تقـريري الى لجنة حفظ الآثار العربية ، ثم اخرجته بعد الاتفـاق مع وزارة الاوقاف ، واصلحته ادارة حفظ الآثـار العربية ، واعادته الى مجده الفني ثم اودعته دار الآثار العربية في ٢٣ يناير سنة ١٩٤٥ »

وبمقارنة هذا التابوت بشبيه له في الصناعة

(٤) كانت ميزة أخرى من ميزات هذا العـالم الجليل ، انه مصـور زاول التصـوير منذ بدء اشتغاله بالآثار رغم بدائية آلات التصـوير في أوائل هذا القرن العشرين ، وقد دعم كل أعماله الأثرية بتصويرها قبل العمل فيها وبعد الانتهاء منها — حتى ان سلبيات الصور الأثرية عنده تبلغ الالاف .

« تابوت الامام الشافعى » والمصنوع فى ٥٧٤ هـ « ١١٧٨ » م استنتج حسن عبد الوهاب رحمه الله انه من صنعة الفنان الايوبى المبدع ـ النجار ـ (عبيد النجار ـ المعروف بابن معالى ـ أيام ملك السلطان الناصر صلاح الدين الايوبى) •

كما اكتشف العلامة اسـم المهندس الذى بنى مدرسة السلطان حسن بالقاهرةوكان هرتس باشا ومن أعقبه من الاثريين ، ينسبون هذا المسـجد لمهندس مسيحى ، فلما قام حسن عبد الوهاب سنة ١٩٤٤ بمراجعة نصوص النقوش الـكتابية بهذا الصرح الشامخ اكتشف نصا من الكتابة فى بهو مدرسة الاحناف ـ احدى المدارس الاربعة التى تضمها عمارة المسجد ـ ينتهى بهذه العبـارة (وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسنى) •

واكتشف المحراب الجصى الفاطمى فى الجامع الأزهر ،فى عملية ترميم قامبها فى اكتوبر ١٩٣٣ حيث كان هذا المحراب مختفيا تحت كسوة خشبية جميلة النقوش من العصر المملوكى ، ولما رفعت تلك الكسوة ـ بحساب مدروس للمحافظة عليها وعلى ما تحتها ـ فوجىء العمال بالزخـارف الكتابية والنباتية المذهبة ،ذات الوحدات الفاطمية تحت هذه الكسوة ، بينما كان العالم الاثرى يتوقع وجود تلك النقـوش نتيجة لوصف الرحـالة والمؤرخين الذين تابعوا عمارة الأزهر علـى مر العصور ، ولم تهمل الكسوة الخشبية بل وضعت فى تجويف انشىء لها فى جدار القبلة الجـديد الذى أنشاه عبد الرحمن كتخدا أحد ولاة مصر فى العـصر التركى ١١٦٧هـ «١٧٥٧»م ـ على يمين المحراب التركى •

أحدث اكتشـافاته

ولقد أحيل الى المعاش فىسنه ١٩٥٨ ولكن حاجة الدولة الى علمه أعادت الاستعانة به خبيرا فنيا للآثار الاسلامية والقبطية •

وكان أحدث اكتشافاته ، أحد أبواب سـور القاهرة الكبير ، والذى أشار الأثرى الانجليزى ـ كابتن كرومويل كريزويل ـ الى احتمال وجوده تحت اتربة تلال الدراسة •

وكان ـ كريزويل ـ يصف الباب باسم « باب البرقية ـ وكان حسن عبد الوهـاب رحمه الله يشاركه فى الاحتمـال ، ويخالفـه الراى فى اسم الباب ، فلما كان البدء فى اتخاذ طريق جـديد شرقى القاهرة خلف التلال ، واقتضى ذلك اختراق

التلال بطريق يصل الى شاع الازهر ، وبينمـــا العمال يرفعون الاتربة كان العالم الاثرى ـ الذى قد جاوز الستين ، يبكر منذ السادسة صباحا ، حاملا أجهزة التصوير متابعا عملية ازالة الاتربة، موجها عمليات الحفر ـ حيث كان الفعلة من غير عمال الآثار ـ حتى بدأت دائرة العقد تظهر بين برجين من أبراج السور ،ووقف العالم الاثرى بين أكوام الاتربة ليصور كتابات ذلك الباب المكتشف وعليها تاريخ الانشاء ، وكان اسم الباب كمـــا توقع « باب التوفيق » لا « باب البرقية » حيث أن الأخير فى مكان آخر من السور الطويل الـذى بلغ طوله أكثر من ٢٠ كيلو مترا ، ثـم أرسـل صورة الكشف الأثرى الى الاثرى الانجليـــزى كريزويل ، مع تحياته •

مع القدس فى آخر أيامه

وبطول بنا الحديث لو تابعنا مساجلات حسن عبد الوهاب مع الاثرى الانجليزى وما كان بينهما من مراسلات ، كلها تناقش أثرا او تحقق موضعا، كما لا يسعفنا مثل هذا البحث لنتابع العديد من كشوفه الأثرية ، وأياديه البيضاء على عمـــارة الآثار الاسلامية فى مصر كلها ، بعد أن انطـوت صفحة ذلك السجل الحافل فى نهاية مارس١٩٦٧، بينما كان يعد العدة للسفر الى القدس ، لمواجهة خاتمة الترميم فى قبة الصخرة والأقصى وما اظنه رحمة الله عليه كان يطيق سماع خبر ســـقوط هذين الاثرين الجليلين بين يدى أعداء الانسانية وما حل بهما من عبث كان سببا فى ادانة اليونسكو لاسرائيل •

ومضى حسن عبد الوهاب ، وبقيت ذكـــراه ، ولكن من للآثار الاسلامية التى نالها الاهمال ، وقلة الاهتمام ، ودعوى قلة ذات اليد، والفنيين، وعاد الامر منة يتفضل بها من تهمهم آثـارنا الحضارية متبرعين ، من الالمان فى مسجد منمال، والدنمـــركيين فى قبة جوهر بالازهـــر ، وبيت السحيمى بالجمالية والفرسيين فى بيت جمـال الذهبى بالغورية •

ألا تستحق تلك الآثار ومثيلتها باليمن وسورية والعراق ، فى ذكرى حسن عبد الوهاب ومحمـود احمد ، صندوقا عربيا اسلاميا للحفاظ على تلك الآثار الحضارية التى توشك أن تندثر • ■■

عبد المجيد وافى

• صفحة لغوية •

ما الطرب؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

●نحن اليوم لا نستعمل كلمة « طرب » الا بمعنى الفرح والبهجة ، فنلقب المغنين والمغنيات « المطربين والمطربات » ونقول مثلا « اطربنا غناء ام كلثوم » و «طربنا لغنائها » و « وهذا اللحن مطرب » ومن اسماء النساء عندنا « طروب » وكلها تعنى الفرحة والبهجة ، فهل من الصواب تخصيص الكلمة بهذا المعنى وحده كما نفعل الآن ؟ .

هذا ما ينكره صاحب القاموس ، اذ يقول فيه « الطرب ـ محركة ـ الفرح والحزن ، ضد ، او خفة تلحقك تسرك او تحزنك ، وتخصيصه بالفرح وهم » .

الاشياء ثم نصوص اللغة ثم المعاجم

ويحسن بنا لغويا ان لا نقتصر على المعاجم فحسب لاستيضاح معانى الكلمات ، فقد فاتها من ذلك كثير ، واولى بنا ان نرجع ايضا الى كلام العرب ، لانه الاصل المباشر للمعاجم وهو اوثق .

وفى مثل هذا اللفظ « الطرب » ـ مما يدل على المعانى الوجدانية ـ يحسن بنا ان نرجع الى النفس البشرية فهى مجال العواطف والانفعالات وعاءها تقع مؤثرات الحياة فيكون لها فيها آثارها المختلفة ، كما نرجع الى الادباء .

ففيما يختص بالمعاجم نجد فى تاج العروس ـ نقلا عن المحكم ـ قوله : الطرب حلول الفرح وذهاب الحزن » . وفي لسان العرب « استطرب : طلب اللهو » .

ويظهر ان تخصيص الطرب بالفرح قديم فى لغتنا ، كما تدل عليه الشواهد الآتية : فمن شعرائنا الجاهليين ، علقمة بن عبده الملقب « علقمة الفحل » وهذا مطلع قصيدة طويلة له :

« طحابك قلب ، فى الحسان ، طروب
بعيد الشباب ، عصر حان مشيب »

ومن شعراء العصر الاموى مثلا الكميت بن زيد الاسدى ـ احد شعراء « آل البيت » ـ وله فى مدحهم جملة قصائد تسمى « الهاشميات » ، نسبة الى جدهم « هاشم » ـ وربما كان اشهرها قصيدته البائية التى مطلعها :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا منى ، وذو الشيب يلعب
ولم تلهنى دار ، ولا رسم منزل
ولم يتطربنى بنان مخضب

ومن معاصرى الكميت من الشعراء عبد الله ابن قيس الرقيات ، وكان كثير الغزل ، فقد توعده اميره بالقتل ، فاختفى عند امراة من شريفات البصرة ، فحمته ، حتى عفى عنه ، فخيرها بين ان يكافئها بمال ، او ينظم فيها قصيدة غزلية ، فآثرت ـ بطبيعتها الانثوية ـ القصيدة ، فكان مطلع قصيدته .

عادله من « كثيرة » الطرب
فعينه بالدموع تنسكب

وهو لم يحزن الا لما لقيه عندها من اسباب الغبطة من كرمها معه وحمايتها لحياته .

وفى كتاب الامالى لابى علي القالي قصيدة طويلة جيدة لهدبة بن الخشرم ، يشكو فيها سوء احواله مطلعها :

طربت ، وانت احيانا طروب
وكيف وقد تعلاك المشيب ؟

فهو ينكر على نفسه طربها - اى فرحها - وهذا عنده لا يليق به بعد الشيب - ولا سيما عند نكد الزمان .

وفي « الامالي » ايضا بسنده عن الاصمعي انه راى في البادية امراة عند قبر زوجها ترثيه ، فكان مما سمعه منها قولها :

اذا قيل : « مات ابو مالك »
فتى المكرمات ، قريع العرب
فقد مات عز بنى آدم
وقد ظهر النكد بعد الطرب

ويقول المتنبي من قصيدة طويلة يمدح بها كافورا الاخشيدي في مصر .

وما طربي لما رايتك بدعة
لقد كنت ارجو ان اراك ، فاطرب

ويقول بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ) في قصيدة له:

« خليلى ، قوما ، فاعذراني ، او اعتبا
ولا تعذلاني ان الذ واطربا »

ومن الابيات المشهورة التي تجرى عندنا مجرى الشواهد والامثال :

لا تحسبوا ان رقصى كان من طرب
فالطير يرقص مذبوحا من الالم

ومن مطالع قصائد محمود سامي البارودي - من شعر العصر الحديث - قوله :

سواى بتحنان الاغاريد يطرب
وغيرى باللذات يلهو ويلعب

ويقول معاصره الاديب اللغوى اللبناني احمد فارس الشدياق في وصف اهل مصر حين عاشرهم « اهلها ذوو لطف واحسان الى الغريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يغني عن التطريب » .

هذه بعض ما لدينا من الشواهد للاحتجاج بها، وبعض الامثلة التى يستانس بها في توضيح مانريد.

تعادل الفرح والحزن في النفس البشرية

ولا شك ان الفرح والحزن ضدان لا يجتمعان على النفس في وقت واحد من جهة واحدة .

ولكن يظهر ان جذورهما في اغوار النفس متحدة او واحدة ، وبواعثهما فيها متقاربتان ، والاوتار التي تصدر الانغام المفرحة هي التي تصدر الانغام المحزنة ، ولكن تختلف هذه عن تلك بتغيير طريقة العزف ولو قليلا .

ومن اقدم الملاحظات وانفذها في هذا الموضوع ما ذكره ارسطو في كتابه « الشعر » - وغيره من كتبه - عند كلامه على « التراجيدية » او «المأساة» وهي قمة الفجيعة التي تفعم النفس هما ونكدا حتى تحملها على البكاء غالبا ، مهما يبلغ المرء امامها من التوفر والضبط ، فارسطو يلاحظ ان مهمة المأساة هي « التطهير » Catharsis ويدخل فيه غسل النفس من اوضارها واحزانها ، واعادتها الى الصفاء والتسهل.والنفس اذا حزنت انقبضت وتازمت ، واختل توازنها ، ولكنها لا تعدم حيلها في الترفيه والتسلي ، بان تتذكر خلال ذلك بعض المسرات التي صحبت ماكان وقوعه سبب حزنها ، او مسرات اخرى ، وفي ذلك تهوين للحزن وتخفيف لضغوطه. لانه امر لا تطيقه النفس طويلا ، ولا تستريح الى اختزانه واجترازه بل لا تستسيغه ، وهو لو طال لامرضها او عرضها للمرض ، وما من بنية حية الا وهي حريصة على التوازن والسلامة لتحقيق غايتها او وظيفتها العامة ، ولهذا تحاول - حين تتازم - ان تستنفر كل اعضاء الجسد وحيل البديهة والفكر للتخلص من الازمة ، وقد يبدو لنا انها تستطيع اختزانه ، او الاستسلام اليه ، ولا تحاول التعزي عنه ، حين تكون الفاجعة ضخمة ، او حين يقعدها العجز عن استدراك ما فات بسبب الفاجعة ، ولكن هذا وهم ، فان الحزن اذا ثقل واطبق على صاحبه اهلكه .

ومن ملاحظات شعرائنا في هذا الصدد ما جاء في بيت ابن الرومي :

لم يخلق الدمع لامرىء عبثا
الله ادرى بلوعة الحزن

وقبل ذلك قول الفرزدق :

الم ترانى يوم جو سويقة
بكيت فنادتني هنيدة مابيا
فقلت لها ان البكاء لراحة
به يشتفى من ظن ان لا تلاقيا

وقريب منه قول آخر :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة
من الوجد ، أو يشفي نجي البلابل

ونتيجة البكاء هي الشفاء ، وتسميتها « شفاء» او « اشتفاء » هنا عند الشاعرين تكاد تكون

مصطلحا علميا نفسانيا ، او هي كذلك .

ويلاحظ ان اى انفعال مهما يكن نوعه اذا اشتد وقعه على النفس ـ طلب ما ينفس عنه ، وقد يكون ذلك بالبكاء ، وفى ذلك يقول احد شعرائنا :

يا عين ، قد صار البكى لك عادة
تبكين من فرح ومن احزان

ويقول استاذنا عباس محمود العقاد ، من قصيدة له ، يصف موقفه مهجورا من حبيبته :

وبكيت كالطفل الذليل انا الذي
ما لان فى صعب الحوادث مقودي

وقد حدث فى مجلس احد الامراء الامويين ان احد الاشراف سب آخر ، فغضب المسبوب واراد رد السب بمثله فاقسم عليه الامير ان لا يجيب ، فقال له : « قتلتني » ثم مات الرجل بعد حين كمدا .

لا عجب حين يلتبس الحزن او نحوه بالفرح فى النفس ، والواردات الكونية تتوالى عليها دون انقطاع سواء تنبه الفكر لذلك او غفل عنه ، فهي كوجه الماء الزاخر دائم التموج ، ولو لم نحس بالرياح تتوالى عليه .

بكاء ام غناء

ثم ان اهتزاز النفس من خبر او نغم قد يوحي اليها الفرح او الحزن على حسب علاقتها بما تسمع ، فما يسر زيدا من الاخبار قد يغم بكرا ، او كما يقول المتنبي .

بذا قضت الايام بيني وبينها
مصائب قوم عند قوم فوائد

ولهذا لا يستطيع المرء الحكم المجرد على لحن بانه مفرح او محزن ، لانه يثير الفرح فى بعض النفوس ، والحزن فى بعضها الاخر على حسب حالتها عند سماعه . ومن هنا حيرة شيخنا ابى العلاء المعري فى ارثيته الشهورة التي مطلعها :

« غير مجد فى ملتي واعتقادي
نوح باك ، ولا ترنم شاد »

فهو يسأل :

« ابكت تلكم الحمامة ، ام غنت
على فرع غصنها المياد »

لان الحزنان يسمع هديلها فيهيج حزنه ، والفرحان يسمعه فيهيج فرحه .

وواردات الوجود التي تهز النفس ـ كما اشرنا قبل ـ قد تجعل الشعور بالفرح والحزن متعاقبين عليها ، كما تهز الرياح وجه الماء ، فتتعاقب الامواج ، فيكون لكل موجة قمة وقرار ، [illegible] تمثل الفرح ، والقرار يمثل الحزن ، و[illegible] واحد ، مع تغير السطح علوا وانخفاضا [illegible] كان اثر الحزن فى النفس اشد وادوم ، و كانت الافراح اسرع نسيانا من الاحزان .

واذا كانت النفس تنبسط مع الفرح وت[illegible] اليه ـ على عكس حالتها عند الحزن ـ فانه[illegible] حين يمتد ، وتشعر بالحاجة الى ان تلملم اطر[illegible] لترتد الى قليل من الحزن او تؤذن به ، كان خطيئة ينبغي ـ عند الاسراف فيها ـ الن[illegible] والتوبة .

وفى القرآن الكريم « لا تفرح ان الله لا الفرحين » اي الذين يخرجهم الفرح بالدنـ[illegible] البطر ، ومن هنا نجد كثيرا من الناس اذ[illegible] فرحهم ، وتنبهوا لطوله ، انابوا وخشعوا[illegible] يقول بعضهم « اللهم اجعله خيرا » كأن لا توقع شر يحزن النفس ، فتكفر عن خطيئة المسرف . ومن هذا القبيل ما كان يعمد ا[illegible] المصريون ـ حتى العلية منهم ـ ايام الفرا[illegible] اذ كانوا ـ والفرح في قمته ـ يحضرون جثـ[illegible] محنطة يطوفون بها على اهل الحفل ، للتـ[illegible] بالنهاية والاعتبار بها ، حتى يكفكفوا من غـ[illegible] فى المتعة والبهجة ، ويتوبلوا حلاوة الغبطة من مرارة الحزن .

تخصيص اللفظ باحد معانيه

ومهما يكن من معنى الطرب والتباسه ، فا[illegible] لا يمنع ان يكون استعماله فى احد المعاني اشـ[illegible] استعماله فى معنى آخر ، ولو ضده ، ثـ[illegible] خطوة اخرى فيطلق اللفظ على الاشهر ، يحجب استعماله فيما هو اقل شهرة ، و[illegible] جرى الامر في استعمال لفظ الطرب ، وم[illegible] نكون على صواب حين نطلقه على الفرح و[illegible] ونقول : الطرب هو من يطرب غيره بحسن وغنائه اي يبهجه ، وبغير ذلك نغضب مطر[illegible] ومطرباتنا ، ونظهر انفسنا جهلاء بقدرهم و العظيم ، ولا صبر على وصمة الجهل وفسـ[illegible] الذوق ، ولا طاقة لنا باغضابهم ولا صبر [illegible] والا كنا فيمن يجزي الحسنات بالسيئات ، [illegible] اهل الفن ـ ذوو نفوس مرهفة ـ [illegible] لا تغتفر فى الارض ولا فى السماء .

محمد خليفة التونسـ[illegible]

غش الأصحاب

بقلم: فاضل السباعى

يكن ليخطر على بال اى منا ان زميلنا« الاستاذ هواش » يمكن ان يبيع البطيخ !
فى « الدورة » التى انتظمنا فيها متداول ذلك الصيف ـ خليطا من موظفين يختلفون فى
، والاجناس ، والدرجات الوظيفيـــة ، والمستويات الذهنية ، فضلا عن الوزارات التى
اليها ... ولكن كانت توحدنا ، بعد كل شىء ، هذه الدورة « التعليمية » ، التى استطعنا
، عليها روح الدعابة والمرح ، مما جعلنا نتقبل تقبلا حسنا الدروس التى رحنا نتلقاها فى
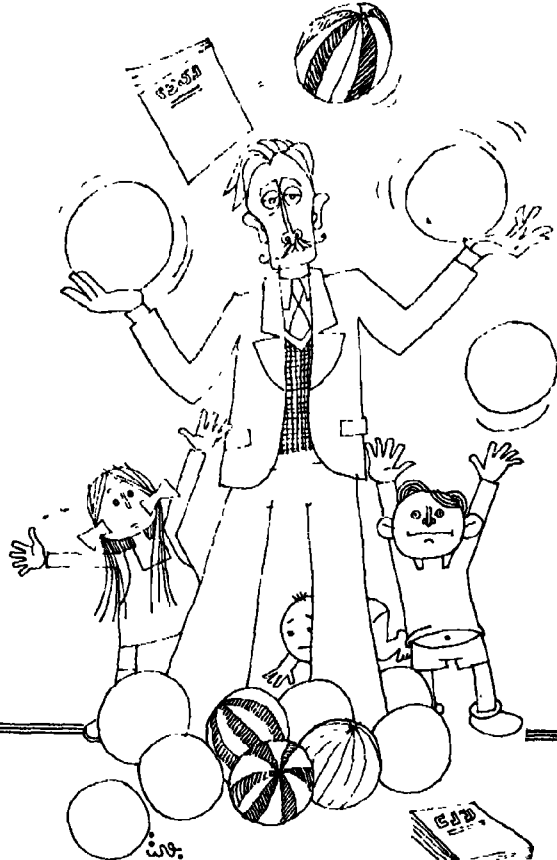
ساعات من اليوم ، يكون الناس فيها عادة مستلقين في اسرتهم ، نائمين او حالمين ... تلك كانت ساعات القيلولة !

كنت ـ والاعترف ! ـ اكبر رفاق الدورة سنا . فجريت على ان انادي زملائي باسمائهم المجردة ، وانما اعني اسماء « الشهرة » وليس اسماءهم الصغيرة : « انت ، يافاخوري ! تعال ، ياشكور ! لماذا غبت أمس ، ياعواش ؟ ... » ، تماما كما يتنادى تلامذة المدارس ، فاننا في الواقع قد عدنا تلامذة ، في سننا المتأخرة هذه ، مادام قد قدر علينا ولم لا اقول : قد اتيح لنا ، أن نعود الى مقاعد الدرس !

احدنا ، « الاستاذ عبدو عواش » ، بدا اكثرنا تقبلا للدعابات التي كان يحلو لنا ان نبادلـــه اياها .... هل اقول اني كنت انا صاحبها ، تلك الدعابات ؟

كان عبدو عواش في الثلاثينات من عمره ، تلوح عليه مظاهر الطيبة والوداعة مثلما تلـوح مظاهر القهر والتعاسة . كان اذا وقف امـــام الاستاذ او المدرب ليتكلم ، اجهد نفسه بالنطق ـ فقد كانت ملكته اللغوية متواضعة ـ وهو يطرف بجفنيه طرفات متتابعة تنم عما يعاني من جهـد في التعبير . وكان ، الى ذلك ، مرهقا باعبائه العائلية : راتب ضئيل ، اولاد ، ودار صغيرة مستأجرة حدثنا وافاضعما يعانيه من عنت صاحبها الذي ارهقه بما يرفع عليه من دعاوى كيدية قصد اخراجه منها ... فهو لا يعرف كيف يدرأ عـــن نفسه اخطار الحياة الصعبة وهمومها اليومية ، ولا يعرف كيف يوفق بين النين : الراتب وآخر الشهر.

احببنا جميعا «عبدو عواش» ، لطيبته ووداعته. فكنا اذا غاب افتقدناه .

ـ أين عواش ؟ اليوم ما جاء !

احيانا يقبل علينا مسرعا وقد بدانا العمل . اهمس ـ انا ـ من وراء ظهر الاستاذ :

ـ لماذا تاخرت ، يا عواش ؟

يجيب ، وعيناه تطرفان ذلك الطرف المتسارع :

ـ والله .. كان عندي .. شغل !

ثم نضيع في هم الدرس .

★ ★ ★

مرة غاب عبدو عواش . غاب يومين متواليين . فانشغل بالنا :

ـ عواش ، صار له يومان ، يومان ما جاء !

في مساء اليوم الثاني من غيابه ، صادفت في انصرافي من الدورة . رايته في الساحة ا[illegible] القريبة من بيتي ، يسير كالهائم على وجهه :

ـ اهلا عواش.خيرا؟ افتقدناك امس واليوم[illegible] بعينيه :

ـ والله مشغول بشغلة كبيرة . كيف حالك ؟ أين تسكن ؟

ـ اسكن هنا ، في هذا الشارع ، الذي يبدأ من هذه الساحة .

فاذا هو يباغتني بسؤال لا يمكن أن يتوقعه احد من رفاق الدورة :

ـ هل تشتري بطيخا ؟!

قلت :

ـ بطيخ !!

ـ نعم ! بطيخ اصفر ، جيد ورخيص !

اجبت ، بعد تفكير :

ـ والله ، « مشكلة » البطيخ محلولة عندي ، يا صديقي . نحن نشتريه من هذه الساحة ، من باعة « يبسطون » هنا على هذا الرصيف ، من باكر الصبـــاح حتى ســاعة العـصر . نشتري بطيخ « الاناناس » بستين قرشا للكيلو الواحد . وزن البطيخة ما بين الكيلو والاثنين ، نتحلى بواحدة بعد الغـداء ، أنا وزوجتي والولـدان ، ونتحلى باخرى مع الجبنة !

اعاد عواش على عبارته :

ـ عندي بطيخ اصفر ، جيد ورخيص !

وماذا يمكن أن تفعل كلمتا « جيد ورخيص » في نفس موظف محدود الدخل ؟ سالته :

ـ رخيص ، يعني بكم ؟

ـ بخمسة وثلاثين قرشا للكيلو ، تقريبا النصف

ـ وهل هو « اناناس » ؟

ـ لا ، لم الكذب ؟ انه من نوع آخر ، ولكنه حلو ايضا . وما حاجتك الى الاناناس ؟ انه يفسد فترميه على الباب. انا أبيعك مئة كيلو ، وانقيه لك ..

صرخت جزعا :

ـ مئة كيلو !!

ـ نعم مئة كيلو ، ثمنها كله خمس وثلاثون ليرة سورية فقط لا غير !

بررت :

ـ لست اشكو من ضخامة المبلغ ٠ ولكن ماذا افعل بها ، هذه المئة كيلو بطيخا ؟!

ـ اقول انقيها لك ، بعضها ناضج تاكله خلال الايام القادمة ، وبعضها « عجر » تاكله بعد خمسة عشر يوما او عشرين ٠ غدا ياتيك رمضان ، كل سنة وانت بسالم، حيثترتفعاسعار المواد الغذائية بسلامة فهمك ٠ ثم ماذا يعني ، اليوم ، مبلغ خمس وثلاثين ليرة ؟ انت اذا جلست في مقهى مع عدد من اصدقائك ، وخطر لك ان تدفع عنهم ، دفعت مثل هذا المبلغ ! انا ابيعك مئة كيلو بطيخا ، اجل مئة كيلو ، تاكلها بالهنا طوال ثلاثين يوما او اربعين ، يا شيخ ! هيا معي ، الآن ، الى «برزة» ، لاسلمك اياها ٠

صرخت من جديد :

ـ برزة ؟ وامضي اليها ، الآن ؟ انا اعطيكهذا المبلغ هبة ، مقابل ان تعفيني من « السفر » الى برزة ! وتصور : انا اركب « الطرطيرة » من هناك، لانزل منها ومعي البطيخ ، امام باب بيتي ، وعيون اهل الحارة تنظر الي ؟!!

تطوع صديقي الكريم :

ـ طيب احملها ، انا ، اليك !

ـ هذا معقول ٠ (وضحكت) ولعلك مسجل على اجرة الطرطيرة خمس ليرات ، كما يفعل بنا اصحاب المواصلات ، في هذه الايام ؟

ـ لا ، انا اشحن فيها ثلاث كميات فيآنواحد، واقسم الاجرة على ثلاثة ٠

تراءى لي ان استغل كرمه :

ـ ما رايك في ان تعفيني من اجرة النقل ؟

فاظهر رفيق الدورة تساهلا اضافيا :

ـ تكرم ٠ اجرة النقل علي !

كان عبدو عواش يتكلم،هذه المرة ، من غير جهد، ودون ان يطرف له جفن ٠ سالته :

ـ ولكن ٠٠ من اين لك بهذا البطيخ كله ، تبيعه للناس ، يا صديقي ؟

راح يشرح لي :

ـ والله اشترينا ، انا واخي ، سيارة بطيخ من ريف الشمال، حمولتها خمسة اطنان٠ وانا مشغول هذه الايام بتسويقها على اصحاب الدكاكين الذين اعرفهم ، وعلى اصدقائي الذين احبهم !

تبينت ، ههنا ، ان رفيق الدورةانما كانيكلمني خلال هذه الوقفة في ساحة الجسر الابيض ،بصفته « بائعا » ٠ فادركتني « صحوة » مباغتة ٠ قلت :

ـ ولكن خمسة وثلاثين قرشا ثمنا للكيلو الواحد ٠٠٠ الا تراها كثيرة ، ايها الصديق

اجاب :

ـ كما تريد ٠ احسب لك الكيلو بثلاثين قرشا٠ تكرم ٠ انت رفيق الدورة ٠ اين بيتك

★ ★ ★

مضيت بصديقي عبدو عواش ، فدللته علىبيتي القريب من الساحة ٠٠٠ ثم ادخلته الحديقة ٠ فانشا يقول، مشيرا بيديه، وهو واقففيوسطها :

ـ تضع البطيخات هنا ٠٠ لا ، بل هنا ٠٠ الناضجات منها تاكلها اولا ، وبعدها تكون الاخرى قد نضجت ٠ غدا صباحا ، في نحو التاسعة ، تكون البطيخات عندك ٠ اياك ان اجد البيت خاليا من اصحابه !

اكدت له :

ـ ان زوجتي هي التي ستستلم البطيخ منك ٠

ـ هل تدفع هي لي الثمن

مددت يدي الى جيبي :

ـ بل ادفعه لك ، الآن ٠ تفضل ٠

ونقدته الثلاثين ليرة ٠

ثم اني حدثت زوجتي ، في انصرافه ، بخبر « الصفقة » التي عقدتها في الساحة القريبة ٠٠ ورايتني افيض في مدح البطيخ واعدد فوائد اكله، دون انيفوتنيالثناء علىصديقيالاستاذ عواش٠٠

قاطعتني زوجتي :

ـ واذا كان بطيخه من نوع عديم الحلاوة ، فاضطررنا الى ان نرش عليه السكر !

اجبتها :

ـ غير معقول ٠ انه رفيقيفيالدورة، انهصديق٠ وهو ،ايضا، موظف محدود الدخل مثلي، فلا يعقل ان يغشني ٠

ونمت ، ليلتها ، وانا اتصور ان عبدو عواش قد حمل الي بطيخا لا يؤكل ، صدفت نفوسنا عن اكله ، واحترنا في ما نفعل به ٠٠ وصرت اتشاجر

وزوجتي من اجله ! ولم يقطع على هذا الحلم الكئيب ، الا رنين متواصل من جرس الباب • لقد وضع عبدو عواش ، في الساعة السادسة صباحا، اصبعه على زر الجرس ، ثم لم تطاوعه نفسه في رفعها •

ومعت في سريري ، ورمعت زوجتي والولدان • وسمعت زوجتي تقول كالمتشفية :

ـ قد اتاك صديقك العواش بالبطيخ، منذ الفجر، قبل ان تعدل عن شرائه !

ورايت عبدو عواش يقف وراء الباب ، ضاحك السن، والى جواره الطرطيرة • ودن سلام اوعز الي :

ـ افتح « الفردة » الثانية !

ثم اخذ يتناول البطيخة من ورائه بخفة ، ويقذفها نحوي، فاتلقفها واضعها جانبا •••وهكذا، حتى كلت يداي !

ـ هذه هي البطيخات العشر الناضجات ••والباقي تاكله بعد •

وودعني ، وانصرف •

صففت البطيخ في الموضع الذي كان قد اشار علي به في الليلة الماضية • خمس وعشرون بطيخة • تكفينا حتى منتصف رمضان • لنا منها ، في كل يوم، بطيخة كبيرة •

ههنا ، سمعت وقع خطوات زوجتي ، تقترب مني وهي تترنح تحت وطاة نعاس لم يزايلها بعد •وما ان وقعت عينها على البطيخ ، الذي صففته على نحو ما اشار علي صديقي ، ان اقيم كل بطيخة على راسها لا على قاعدتها ، حتى هتفت مستنكرة :

ـ هذا البطيخ لا يؤكل ! انه من ذلك النوع عديم الحلاوة !

ولما كانت زوجتي هي التي تتولى شراء الخضار والفاكهة للبيت ، فهي اعلم مني بالبطيخ ، فقد ادركت اني شربت مقلبا، من صديقي عبدو عواش!

كسرنا احدى البطيخات الناضجات ، فكانت متوسطة الحلاوة • فلما كسرنا اخرى ، وجدنا انها تؤكل •• اذا رشت بالسكر !

واسقط في يدي •

★ ★ ★

رويت هذا الذي وقع لي لرفاق الدورة،فضحكوا له اكثر مما ضحكت • وقد عجبوا من ان يتصدى زميلنا عبدو عواش ، الموظف ، لبيع البطيخ • ولكنهم كانوا اكثر عجبا من ان يعمد الى ممارسة غش من هذا النوع ضد رفيق دورتهم ! ••

احدهم قال :

ـ لم يعد راتب الوظيفة يكفي ، في هذه الايام العجاف !

وايده آخر :

ـ انه يريد ان « يعيش » !

استاذ الدورة ـ وهو فرنسي شاب لا يعرف من لغتنا الا بضع كلمات عامية ـ علم بالحكاية : بطيخ، «مولون»،يباع ويشرى بين زملاء الدورة ؟! هتف مستعجبا :

ـ مسيو عواش يبيع البطيخ !

فلما علم اني اشتريت منه مئة كيلو ، كاد يغمى عليه :

ـ مئة كيلو بطيخ ، دفعة واحدة !

ذلك ان البطيخ ، الاحمر منه ، يباع في المدن الاوروبية ، ليس بالبطيخة الكاملة ، بل •• ب « الحز » الواحد !

في البيت ، كثرت البطيخات التي تطلع ، بالكسر ، عديمة الحلاوة • ماذا نعمل ؟ نكهة البطيخ ماثلة فيها على كل حال، فكنا نستجلب لها الحلاوة بان نرش عليها السكر ! واذا اتفق ان طلعت بطيخة ، ذات يوم ، حلوة ، عددنا ذلك « حدثا » تعم من اجله الفرحة في ارجاء البيت !

في كسرنا البطيخ ، كان يغيظني من زوجتي ـ التي دابت على انتقادي لهذه « الصفقة » الخاسرة ـ انها تكتفي ، لدى تقطيعها البطيخة ، بان ترش السكر على ظاهر الصحن ، وتدع القطع ما دون الطبقة العلوية على حالها •• فكنت اعترض عليها:

ـ ان صنيعك هذا يجعلنا ناكل القطع المحلاة اولا ، وناكل بعدها ما لا حلاوة له !

فتقول في هدوء يضمر حنقا :

ـ ان ما ترشحه القطع العلوية ، خلال دقائق ، من مائها الذي تحلى ، ما يلبث ان يحل على القطع السفلية فيحليها !

فكان خلافنا يشتد على هذه المسالة • واحيانا تضيق ذرعا بملاحظاتي المتكررة ، فاراها ترفع من صوتها على مسمع من الولدين :

ابوكما ! يشترى البطيخ
، على توجيهاته الصارمة

ان القلعا عن اكل البطيخ

حلاوته ليست « ربانية »!
ف ان السكر يمزج مع
ليخ !

للولدين بطيخ الاناناس.
وزوجتي - في اكل قطع
العودة الى اكل بطيخنا!

لحديقة ، لا نستهلك منه
ذات مساء ، وانا متوجه
، ان تنصحني ، في نفحة

، معك بطيخة تهديها الى
ثم اسدى لك يد العون ؟
يخة كبيرة الحجم ،لففتها
ماض الى بيت صديقي .
اعلم ، فيما بعد ، ان
را له ، بعد ليلتنا تلك،

يهدى صديقا ماكلا دون
يتـاكد من ان الهديـة
ى على باب الدار فـى
ثمن الهدية !!
مريض » بخصالي الذاتية،
صديق او جار بطيخة ،
صغـيرة ، فان حـلا لي
طمئن الى حسن صنيعي..
البطيخ الحـلو وناكل ما
ة الاسرة » !
بطيخة ، احسست كما لو
.، فاقترحت ان نقيم في
.. لم ندع اليها احدا ،
كهة هذا ... البطيخ !

★

الى الدورة ، بعد غياب
ن صفقته المشبوهة قـد
، حتى لقـد بلغت علم

● غش الاصحاب

الاستاذ .. فما كان منه الا ان تظاهر بالاستغراب، مثل اى بائع بارع ، قال :

- ولكني بعتك بطيخا غير مطعون فيه !

فكنت احدثه ، امام الرفاق ، الضاحكين ، بمـا جلب لي بطيخه من المتاعب ، مع الزوجة والاولاد والجيران ... وفي التضييق عليه ، والاصدقـاء يحاصرونه بأسئلتهم، اعترف عبدو عواش، ضاحك السن ، والعينان منه تطرفان :

- الحقيقة ، يا اخوان ، اننا ، اخي وانا ، قد غرر بنا في سيارة البطيخ هذه ... فلم يكن بد من ان نوزعها على من نعرف من اصحاب الدكاكين والمعارف . ماذا نعمل ؟ نريد ان نطعم الاولاد !!

احتج احد الرفاق بحماسة ، وقد ظن انه مفحم صديقنا حتى ما يملك على سؤاله ردا :

- حسنا ، وهل تغش الاصدقاء ، ايضا ؟!

اجاب الاستاذ عواش :

- وهل تريدني ان اغش « الغرباء » ، الذين لا اعرفهم ؟!

ثم انه يخبر رفاق الدورة ، بانه يتوقع ان تصله، خلال الايام القادمة سيارة حمولتها عشرة اطنـان من « البطيخ الاحمر » ، الممتاز ..

- فمن شاء منكم ان احسب حسابه بمئة كيلو ، فليكتتب ! .

★ ★ ★

من يومها، اطلقنا على رفيق الدورة عبدو عواش لقب « مسيو بطيخ » !

وبدا انه استساغ لقبه هذا.. بدليل ان الرفاق ظلوا ينادونه به حتى بعد انتهاء الدورة .

وربما لمحه احدنا ، في احدى الساحات العامة ، فلوح له بيده ، هاتفا بصوت يجتهد ان يبلغ سمعه:

- هيه ، مسيو بطيخ ! كيف الاحوال ؟ ان شاء الله بخير ؟

فيجيبه الاستـاذ عواش ضاحك السن ، وهـو يقترب منه :

- عال العال ، ايها الصديق . هل تكتتب بمئة كيلو بطيخا ، تصلك الى البيت بارخص الاسعار ، والدفع مقدما ؟!

ويضحك الصديقان ، وهما يتصافحان بحرارة ، قبل ان يمضي كل في طريقه . ■■

دمشق / فاضل السباعي

ملف حرب ١٩٤٨

● قرات فى العدد (٢٤١) من «مجلة العربي» ـ الغراء مقالاقيما للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، بعنوان «دعوة لفتح ملف حرب ١٩٤٨» جاء فيه مايلى :

«...كما ادى اصرار المفتى على السيطرة على القوات العربية العاملة فى فلسطين ، الى اشتداد الصراع بينه وبين القاوقجى الذى لقى التاييدمن الحكام العرب وعمل على اقصاء الفلسطينيين عن صفوف قواته ، واغرب من هذا ، ان القاوقجى قد توصل الى اتفاق مع قوات الهاجاناه تعهد بمقتضاه بالا يساند قائد جيش التحرير العربى عبدالقادر الحسينى ،اذا ماشن اليهود الهجوم على جبهة القدس .وكان لكل ذلك الرمفى دفع عبدالقادر الى خوض معركة القسطل فى محاولة يائسة للسيطر على الموقف » .

هذا ماقاله الدكتور مصطفى .

وبما اننى كنت فى ذلك الحين ،مساعدا لمدير ادارة قوات الانقاذ فى مقر قيادتها فى الجبهة ،فقد تسنى لى ان اقف على ظروف معركة القسطل ومراحلها .ومن هنا كان استغرابى الشديد مماجاء فى المقال عن ذلك « الاتفاق » الوهمى مع الهاجاناه» وايضاحا للحق والواقع ، وانصافا للتاريخ ابين مايلى :

لقد حاول اليهود آنذاك ، الاستيلاء على القرى التى تقع على طريق (باب الواد) وتسيطر عليه ومنها قرية القسطل التى تعد نقطة هامة لتامين المواصلات بين القدس وتل ابيب ،فراحوا يضاعفون هجماتهم للاستيلاء عليها ، وكان المرحوم عبد القادر الحسينى ، قد ذهب الى دمشق ،قبيل استشهاده ، للحصول على مايضمن لقوات الاحتفاظ بتلك القرى . وخلال وجوده بدمشق ، ـ جاءت وفود من منطقة القدس الى مقر قيادة القاوقجى (فى جبع) طالبة النجدة ، وكان القاويجى يمدها ببعض من العتاد والقنابل اليدوية على قلة مالديه منها ، وآخر تلك الوفود وفد برئاسة رئيس الصحة العسكرية لقوات الانقاذ والنقيب فاضل عبد الله آمر حامية القدس ، يصفون خطورة الموقف وتدهوره فى منطقة القدس ويطلبون النجدة ، ولما كانت تلك المنطقة خارجا عن نطاق قيادة القاوقجى ، بل ومحرمة عليه وعلى قواته ، مع الاسف ، بحسب اوامر القيادة العامة فقد ابرق الى دمشق بواقع الحال . فجاءه الجواب بان الحسينى ومعه الامدادات اللازمة ، سيعود الليلة الى المنطقة .

وكان القاوقجى مشفقا من ان يقدم الحسينى

الصلاح والاصلاح والانسان العربى

● كيفما اتجهت فى هذه الايام ، سمعت اصواتا تطالب بالاصلاح ، وسمعت فى نبراتها الكثير من الحدة والالحاح ، فكان الناس من كل امة وفى كل مكان ، قد ضاقت صدورهم بحالة هم فيها ونفد صبرهم فى انتظار حالة افضل منها لا فرق فى هذا القبيل بين بدوى وحضرى ، او بين ابيض واسود ، ولا فرق فى ذلك بين كبير وصغير وغنى وفقير وعالم وجاهل ، فالكل يشعر ان فى حياته التواء لا بد من تقويمه ، ونقصا لا مناص من سده ، وخللا لا مندوحة من اصلاحه ، والكل واثق كل الثقة من ان الالتواء والنقص والخلل فى حياته ياتيه من غيره لا من نفسه ، ولذلك لا ينفك يتبرم الاباء بالابناء ، والابناء بالاباء ،

مغامرة قد تودى بحياته ، فاراد الاجتماع به
صوله الى القدس لبحث الموقف معه والتخطيط
اليهود من تحقيق غايتهم •

نظرا للصداقة التى كانت تربط بينى وبين
زم الحسينى منذ ان كنا لاجئين فى العراق
ثورة عام ١٩٣٦ ، راى القاوقجى ان اقوم
ملاقاة الحسينى وهو فى طريقه الى القدس ،
عه بالاجتماع به،هكذا كان واوفدنى القاوقجى
الغاية فى الليلة نفسها ، وعلى مقربة من
اللنبى ، وحوالى العاشرة ليلا ، منعنى
اس من البقاء هناك ، فعدت ادراجى الى
اريحا بانتظار وصول الحسينى • ونحو
ف الليل سمعت هرجا خارج المقهى الذى كنت
فيه ، وخرجت لاعلم بوصول سيارة الحسينى
كان بعض اخوانه اسبق اليها منى ، فاخبروه
ى ، وقرب السيارة سمعت المرحوم الشيخ
فى السباعى ـ الذى كان يرافق الحسينى ـ
للسائق : لا تتوقف وتابع سيرك •
هكذا ، وبعد ان ادركا الغاية من وجودى هنا ،
يا اللقاء بى ، تفاديا للاحراج ، وكان ذلك
عهدى بالمرحوم الحسينى •

دت الى مقر القيادة لاخبر القاوقجى بما
، وبما اننى لم ار بصحبة الحسينى سوى
تين صغيرتين تحملان بعض العناصر المسلحة من
ه ، ونظرا لخطورة الوضع فى منطقة القدس
القاوقجى مخالفة الاوامر المعطاة له ، ونجدة
القدس برتل مؤلف من سرية مشاة محمولة وفصيل
مدفعية ومصفحتين بقيادة ضابط ركنه الضابط
الشهيد المرحوم مامون البيطار • وكان قد سحب
هذا الرتل من قواته التى كانت تحاصر مستعمرة
(مشمار هايمك) فى حين كان اليهود يحشدون
قوات كبيرة على جبهة (طولكرم) •

وقبيل وصول هذه النجدة بقليل ، استشهد
الحسينى فى القسطل التى دخلها رغم كل النصائح
التى ابديت • واستولى اليهود اثر ذلك على
قرية القسطل • وفى اليوم التالى كانت الحملة
التى ارسلها القاوقجى تقصف مستعمرة (مودسا)
قرب القسطل العربية ، ثم راحت تقصف القسطل
نفسها مما اجبر اليهود على الخروج منها •
فاحتلتها القوات العربية المحلية • وقد طلب
الضابط البيطار الى هذه القوات المحلية ، العمل
على احتلال (مودسا) ايضا بمساعدته ، فلم
تفعل •

هذه هى الحقيقة عن معركة القسطل• فالقاوقجى
رحمه الله ، واحسن اليه قدر احسانه لامته ، لم
يتفق ولم يتصل يوما ، باى من قوات العدو
وعناصره • اما عن ابعاده الاخوة الفلسطينيين عن
قواته ، فذلك موضوع له حديث آخر • والله من
وراء القصد •

فارجو نشر هذا التصحيح ، عملا بحرية النشر
مع خالص الشكر والتقدير •

دمشق : خالد القنواتى

المعلم بتلميذه ، والتلميذ
معلمه، وصاحب العمل بالعامل
العامل بصاحب العمل ،
الامام بالمصلى ، والمصلى
الامام • وهكذا قل فى كل
علاقة تقوم بين انسان وانسان
و بين جماعة واخرى ، فالكل
عزو الى انحراف فى سلوكه
مع الاخرين ، فهو وحده نصير
الحق والرشاد وغيره اسير
الباطل والضلال وسبيله وحده
هو السبيل السوى •

ولكن السبيل السوى
للاصلاح هو ان يقوم كل فرد
باصلاح نفسه •• والله سبحانه
وتعالى يقول (كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون)
والشاعر العربى يقول :

لا تنه عن خلق وتاتى بمثله
عار عليك اذا فعلت عظيم
هذا هو السبيل •• سبيل
الاصلاح •

محمود الارناؤوط
دمشق

بطولة شعب فيتنام

● الشعب الفيتنامي نجح في انزال (النكسة) بالامريكيين وعملائهم فيفيتنام .ولم يتهيب هذا الشعبقوةامريكا واسلحتها التدميرية بل واجهها بايمـان وصبر حتى النصر المؤزر .. والغريب ان الشعب العربـي الذي يملك طاقات لا تقل بحال عنالشعب الفيتنامي لم يستطع ـ على الاقل ـ افشال المخططات الاستعمارية التيتحاك ضده.. سؤال اطرحه على قراء العربي فلعلي أجد عندهم جوابا .

علي محمد زلزلي
بيروت ـ لبنان

●

« العربي » وقضايا الامةالعربية

● لاحظت ان مجلة العربي بداتمؤخرا فيمعالجة موضوعات طالما تشوق القارئالى قراءتها ففي الماضي وانا اعلم ان المجلة تحاذر الغوض في القضايـا العربية الخطيرة خوفا مـن بطش الرقيب .. ولكن العربي في الاونة الاخيرة اخذ يتلمس طريقه لالقاء الضوء على تلك القضايا التي تهمنا نحن قراء مجلة العربيلانها تتصلبمصيرنا ووجودنا .

فمزيدا من هذه المقالات التي من شانها ايقاظ الضميرالعربي من غفوة طالت حتـى باتت سباتا .

عبدالحميد رجب
السودان

مثلث برمودا بين الحقيقة والخيال

● توجد ظاهرة غريبة على سطح الارض وهي من الظواهر الخفية التي لم يستطع العلم الحـديث بأجهزته وتجاربه ولا العلماء ولا الباحثون ان يجدوا لها حلا او تعليلا حتى الان وهي ظاهرة اختفاء السفن والطائرات في المنطقة المعروفة لدى الباحثين باسم مثلث برمودا او المعين الـ Magic Rhen Gus او مثلث الموت ، وهذه المنطقة تمتد في المحيط الاطلسي كمثلث تقع رؤوسه في جزيرة برمودا شمالا ومدينة ميامي(فلوريدا) في الجنوب الغربي فبورتريكو في الجنوب الشرقي . تبلـغ مساحة هذا المثلث حوالي ٧٧٠ الف كيلو متر ..

العربي :

كثر الحديث عن مثلث برمودا في المدة الاخيرة حتى اختلطت المعلومات الموثوقة عنهبالمبالغات .. ويعزى ذلك، كما لا يخفى، الى المخاطر البالغة التي اشتهرت بها تلك المنطقة ويعـزى كذلك ايضا الى حيرة العلم ازاء هذه الظاهرة وهي اعطـاء تعليل علمي مرض لما تتسبب في كوارث .

ونوجز فيما يلي ما تقوله الموسوعة البريطانية في هـذه المنطقة الغـامضة الرهيبة .. ولعل هذه الموسوعة هي خير مصدر يمكن الرجوع اليه في هذا الصدد .

يقع مثلث برمودا في المحيط الاطلسي الى الشمال الشرقي في خليج المكسيك درجة ٤٠/٢٥ في خطوط العرض ودرجة ٨٥/٥٥ في خطوط الطول .

وقد بدا الناس يسجلون احداث هذا المثلث وكوارثه فـي منتصف القـرن ١٩ وقد بلغ عـدد السـفن والطائرات التي ابتلعتها مياه هذا المثلث ٥٠ سفينة و (٢٠) طائرة .

ومن بين السفـن المبتلعـة الغـواصة الامريكيـة النووية سكوربيون Scorpion وقد اختفت في شهر مايو سنة ١٩٦٨م ولم يستطع المسؤول تحـديد أسباب اختفائها حتى الان .

ومن بين الطائرات التي اختفت في مثلث برمودا ٥ طائرات حربية قاذفة تابعة لسلاح الجو الامريكي علما بان القاذفات غالبا ما تكون كبيرة الحجم قوية البنيان وقد اختفت ايضـا طائرات بعثة الانقاذ التي ارسلت لنجدة تلك القاذفة ولـم يعثروا لهذه الطائرات جميعا على اثر .

ومن طريف ما يذكر ان منطقة اخرى تقع غير بعيـدة عن مثلث برمودا ولكنها تمثل الظاهرة النقيض لظاهرة المثلث .. تلك هي منطقة بحر سرقوسة الذي اشتهر بجوهالهادئ، ومياهه الساكنة والدافئة واشتهر بحر سرقوسة ايضا بكثرة الطحالب والنباتات البحرية الطافية على سطحه وكثرة الاحياء المائيـة الخافية في أعماقه .

E OUTRAGEOUS #1 NATIONAL

THE PET
PRINCIP

'HY THINGS ALWAYS GO

DR. LAURENCE J. PETER AND RA

للدكتور : لورنس ج. بيتر وريمون هول

تقديم : فريد كامل

ـى العمل بعيد عـــن الكفاية ؟؟ طبعا ـ و «مبدأ بيتر» يثبت
ـاب الذى يحمل اســـم«مبدأ بيتر» يشرح القضية بطريقة بالغة
قة ونحن نقدمه هنـــا مركزا بنفس اسلوب كاتبيه :

ـنس بيتر ـ رئيس قسم بجامعة كاليفورنيا الجنوبية (وهـــو
ـى فى التعليم وعلم النفس التعليمى وتنسيق البرامج التعليميـة
ـل المتخلفين ، وقد نشر له اكثر من ثلاثين بحثا علميا وكتاب
ـشادى) فى ١٩٦٥) ـ ومساعده فى كتاباته الصحفى ريموز

■ علموني في طفولتي ان الذين يكبرونني سنا ومقاما يعرفون تماما ما يفعلونه ، ولكنني اكتشفت عند ذهابي للمدرسة ان الشاغل الاول لمدرستنا هو ان لا نرفع اصواتنا عاليا ولا نسير على الحشائش ، اما ان نتعلم فكان شيئا ثانويا بالنسبة لها .. وحينما تخرجت ارسلت طلبا للتعيين في عمل ما ، فاعيد لي بعد ايام مع خطاب من مدير المؤسسة يبلغني فيه انه « كما كانت التعليمات تنص على وجوب ارسال الطلبات بالبريد المسجل لضمان وصولها » فان على ان اعيد ارسال طلبي له بالبريد المسجل !! ..

نعم : الحياة مليئة بمظاهر عدم الكفاية هذه نقابلها يوميا في كل مكان : الزميل الذى يغطى فشله بالتمسك بالروتين او بالمزاح والسخرية ، والرئيس الذى يتظاهر بفهم عمله وهو يتخبط ، والزعيم السياسى الذى يخطب لساعتين فلا يقول شيئا .. وهكذا .. تقابلنا هذه المظاهر في كل يوم فنتساءل : كيف وصل هذا الشخص الى منصبه هذا وهو غير كفء له ؟ .. ولماذا يتصرف هذا الآخر هكذا ؟

التعليل بسيط : لكل شخص يمارس اى نشاط كفاية في ذلك النشاط تفتح له ابواب التقدم والترقية الى ان يصل الى موقع اعلى ومستوى كفايته (موقع عدم كفايته) فيستقر به .. مثلا: محاسب شغوف بالارقام والحساب ارتقى تدريجا لكفايته في عمله حتى بلغ منصب رئيس قسم بالبنك ثم ـ لكفايته في هذا المنصب ـ رقى ليصبح مديرا للبنك ، فتعدى بذلك حدود كفايته (لان مهارته في الارقام والحساب لا تسعفه في مهام عمله الجديد ومنها التعامل مع اعضاء مجلس ادارة البنك والتنسيق مع الوزارات والمصالح المختصة .. الخ) .. اى ان ترقيته الاخيرة هذه قد نقلته من موقع كفايته الى موقع عدم كفايته ، ولعدم كفايته في منصبه الجديد ، لا يرقى عاليا مرة اخرى ..

هذه ظاهرة واضحة يتميز بها كل بناء هرمى هيراركى (بنك ،مدرسة ، شركة ، مصلحة حكومية، فرقة عسكرية ..) وقد صغتها فيما اطلقت عليه اسم « مبدأ بيتر » وهذا نصه : « القاعدة العامة في اى نظام هرمى هي ان كل من يعمل به يصعد فيه نتيجة لكفايته حتى موقع عدم كفايته ليستقر به » يعنى هذا ان « مصير كل منصب هام هو ان يحتله ويستقر به من هو ليس كفئا لذلك المنصب» . وايضا ان « الانتاج الحقيقى لاى جهاز يقوم به العاملون الاكفاء الذين لم يصلوا بعد الى موقع عدم كفايتهم » ..

يختلف الناس في درجة كفايتهم ومستوى عدم كفايتهم من شخص الى آخر مثلا : طالب يرسب عدة سنوات في صف دراسى معين ولايتعداه ـ لقد بلغ مستوى عدم كفايته .. طالب آخر اكثر كفاءة تخرج وعين مدرسا ولكن لتمسكه بحرفية الكتب المقررة وضيق افقه وعدم مرونته ،لم يرق بعد ذلك ـ لقد بلغ مستوى عدم كفايته ..مدرس آخر كفء رقى ليصير رئيسا لقسم او مدرسا اول وصار عليه ان يتخذ قرارات بالنسبة للمناهج وان يحل مشاكل بين مرءوسيه وان يطلب مهمات وادوات لازمة لقسمه وهكذا ـ وهى كلها اشياء فوق مستوى كفايته ـ لقد ادرك كفايته ولن يرتقى غالبا الى منصب اعلى ..وهكذا ..

لا تدع الظواهر تخدعك

اسمع من يقول :اذا كانت هذه هى القاعدة ـ فان لها الكثير من جوانب الشذوذ عنها ـ فاجيب: لاتدع المظاهر تخدعك ـ مثلا هذه المظاهر :

❋ ظاهرة الترقية الكاذبة او «الركل الى اعلى» ـ ماذا عن الذى يرقى من موقع عدم كفايته ـ وهى بادية واضحة ـ الى منصب اعلى ؟..الواقع ان كلمة ترقية تعنى تحرك عامل نتيجة لكفايته في عمله الى درجة اعلى في البناء الهرمى الهيراركى ـ اى انها تشترط ان يكون التحرك من موقع الكفاية (الى موقع كفاية آخر او الى موقع عدم كفاية).. اما التحرك من موقع عدم الكفاية فهو ترقية ظاهرية كاذبة تهدف اما الى ازالة عقبة في سبيل ترقية الاكفاء المحتجزين بدرجات اسفل بالسلم، او التستر على خطأ اختيار شخص لموقع لاتؤهله له كفايته، او المحافظة على ولاء هذا الشخص فلايكسبه منافس او عدو بالعمل ، اورفع الروح المعنوية بين العاملين (اذا ترقى شخص غير كفء

هذا ،فلا شك ان فرصتي للترقية جيدة٠٠ وهكذا ،

المثل يقول في اعلى النهر تتجمع الاخشاب ، نفس الكيفية يتجمع عند قمة العمل غير الاكفياء٠

مثلا : في شركة « هومورك » لانتاج الالات الكهربائية ٢٣ نائبا لرئيس مجلس الادارة (وعند بعض رؤسا الجمهوريات عدد اكبر من المستشارين لهذه الشئون او لتلك) ٠٠ وقد انشات شركة «ويفرلي» للاذاعة والتلفيزيون مبنى خاصا للادارة جمعت فيه عشرات المديرين الذين كلفوا بعمل بيانات وتقارير وندوات واشياء اخرى ثانوية ٠٠ المهم ان يبتعدوا عن آلات التصوير ومكبرات الصوت حتى يمكن للعمل أن يستمر ٠

❋ ظاهرة التحريك الجانبي ـ اى ازاحة شخص من موقع عدم كفايته الى موقع آخر مشابه بدون « ترقية » او زيادة مرتبة (لكن مع منحه احيانا لقبا اكثر فخامة وابهة) ٠٠ مثلا : شركة «ويلر» لقطع غيار السيارات ارسلت ٢٥ من كبار مسئوليها للعمل في الاقاليم كنواب لمديري المناطق ،وكلفت ثلاثة من مديريها بكتابة تاريخ الشركة !! ـ مثل آخر ـ اكثر طرافة ـ للتحريك الجانبي: نقلت من احدى الوزارات الى وزارة اخرى ادارة كاملة من ٨٢ موظفا وبقى مدير الادارة بلا ادارة ولا مرؤوسين ! ٠٠ وبالطبع كلما كان البناء الهرمي الهيرارقي اكبر واكثر تعقيدا ، كان التحرك الجانبي اعم استعمالا واكثر سهولة ٠٠

ترقية البيروقراطيين ٠ يوجد كثيرون يرتقون في عملهم رغم افراطهم في التمسك بالروتينية والبيروقـــراطية (كالممرضة التي ايقظت المريض لتعطيه الدواء المنوم !!) كلنا نعرف جيدا هذا النوع من الموظفين المتعصبين لملء الاستمارات بالطريقة الصحيحة حتى وان لم تكن لها اية فائدة ، الذين قد تغلبت عندهم اهمية الواسطة على الغاية (الاوراق اهم من تسهيل العمل الذي عملت لاجله الاوراق) الذين حولوا العمل من خادم للجمهور ليصبح الجمهور خادما له مطالبا بممارسة طقوسه وحمايه تقاليده والانحناء امام روتينياته ومراعاة من يعملون به ٠٠ هؤلاء المتعصبون للبيروقراطية اليسوا غير اكفياء ؟؟ ٠٠ كيف يحصلون على ترقياتهم اذن ؟

من يحدد الكفاية !

يقودنا هذا التساؤل الى سؤال آخر : ما الذي يحدد مدى كفاية العامل ومن الذي يقرر ترقياته؟٠ مدى كفاية العامل (ومن ثم مدى استحقاقه للترقية) يحدده رؤساؤه في جهاز العمل ٠ لا الجمهور خارج ذلك الجهاز الذي يتعامل معه ٠٠ واذا كان رئيس العامل ما زال في موقع كفايته فانه يقرر كفاية مرؤوسيه عامة على اساس انجازهم للعمل النافع، اى مساهمتهم في الانتاج ٠٠ اما اذا كان قد بلغ موقع عدم كفايته فيكون تقديره لمرءوسيه غالبا على اساس اخلاصهم للبناء الهرمي ، اى مدى دعمهم لنظام العمل وتقاليده ومحافظتهم على هيبته وتهويل اهميته وخطورة واهمية وخطورة القائمين به ، ومدى احترامهم لرؤسائهم واطاعتهم لهم ، ومدى معرفتهم باللوائح وعدم تخطيهم لحدود مسئولياتهم ٠٠ اى ان الذي يتصف بالروتينية هو الكفء الذي يستحق الترقية ٠٠

❋ ظاهرة اخرى ـ غريبة ـ في عالمنا هذا وهي ان الافراط في الكفاية لا يؤدي الى الترقية بل غالبا الى الفصل عن العمل ٠٠ ففي البناء الهرمي تعتبر الكفاية الزائدة خطرا يهدد نظام البناء نفسه ووقع العمل فيه ٠ توجد امثلة كثيرة لهذه الظاهرة ، اعطى منها مثالين من مهنتي الخاصة ـ التعليم : فصلت احدى مدرسات رياض الاطفال من عملها لانها علمت الاطفال مبادئ القراءة والكتابة بدلا من مجرد اللعب بالدمى والخرز الملون حسب البرنامج ، وأقيل مدرس لانه حبب الطلبة في مادته حتى شكا اولياء امورهم من انه يعلم طلبته ما ليس مقررا عليهم فيضيع وقتهم ويملأ رؤوسهم بما لا يهمهم !

❋ ظاهرة اخيرة : الترقية لاسباب خاصة تتراوح من المحسوبية الى الحاجة لزيادة التعيينات (او الحاجة لزيادة النفقات !) ـ مثلا ، قبل نهاية احدى السنوات المالية اكتشف مدير ادارة الصحة الوقائية بمدينة اكسلسيورسيتي أن ادارته لم تنفق ميزانيتها كلها ، مما يهدد بخفضها في السنة المالية الجديدة ، فاسرع بانشاء قسم جديد بالادارة « لمحاربة التلوث » عين له رئيسا وستة مساعدين وسكرتيرة ٠٠ ولان له صديقا يعمل بالسينما كلفه بصنع افلام للدعاية الصحية لحساب

الادارة ·· والنتيجة : تقرر زيادة ميزانية ادارته في السنة المالية التالية ·· الحكومات ايضا تعمل نفس الشيء : تحدد ميزانية لمحاربة الامية او القضاء على الذباب او تجميل المناطق الاثرية · الخ · وبسرعة تنشأ اللجان وتخلق المناصب ويرقى ويعين الموظفون ·· ولا يهم اذا ادت هذه اللجان عملها ـ المهم هو نجاحها في فتح المجال لتحريك او زيادة العاملين ·· ولانفاق النقود ·

الصعود بالواسطة

يحتاج العامل للصعود على سلم المناصب في عمله ـ الى الكفاية ـ اى قوة دفع من اسفل ولكن صعوده يكون اكثر سرعة وسهولة اذا كانت لديه واسطة ـ علاقة قرابة او صداقة او معرفة لشخص في موقع اعلى بالبناء الهرمي يرعاه من فوق ـ اى قوة جذب من اعلى ·· وفي العادة تكون قوة الجذب من اعلى اهم من قوة الدفع من اسفل ـ ونصائحي الخمسة لتزيد قوة الجذب الخاصة بك هي :

١ ـ دعم مركزك بمن يرعاك من بين رؤسائك· ادرس جيدا من عنده السلطة اللازمة لترقيتك في عملك واكتسب رعايته ·

٢ ـ اعط من يرعاك دافعا مستمرا لرعايتك ـ دعه يشعر دائما ان مصلحته في مساعدتك وخسارته في اهمالك ·

٣ ـ اختر دائما انسب الطرق للصعود : الطريق المباشر هو اقصر الطرق عامة ولكنه يكون مسدودا احيانا بعقبة لا يمكن لراعيك ان يتجاوزها · يحسن في هذه الحالة ان تتحرك الى طريق جانبي لتعبر هذه العقبة ، على ان تعود للطريق المباشر مرة اخرى بعد ذلك ·

٤ ـ كن مرنا ـ تذكر ان هناك حدودا لما يكن ان يعمله لك راعيك ، يجب عليه عندها ان يصعد هو نفسه الى اعلى ليستطيع ان يجذبك من جديد·

٥ ـ كن مستعدا دائما للتحول الى رعاية من عنده قوة جذب اكبر ـ وافضل الاوضاع ان يكون لك اكثر من راع واحد : لان مجموع قوة الجذب تساوى عدد الرعاة مضروبا في قوة جذب كل منهم·

والمهم ان تتذكر دائما المثل الذى يقول : لا تقف حيثما يمكنك الجلوس،ولا تسر حيثما يمكنك الركوب ، ولا تدفع حيثما يمكنك الجذب ·

قادة واتباع

حينما سئلت ام جورج واشنجطون عن سبب مهارة ابنها كقائد عسكرى اجابت لانني علمته الطاعة ·· كلام فارغ طبعا : غير صحيح ان التابع الجيد يصبح قائدا جيدا اذ كيف تتوقف المقدرة على القيادة على اجادة التبعية ··

لاشك ان جماهير التابعين هى المصادر الوفيرة لملء المناصب الصغيرة ·· ولكن ماذا يمكن للتابع الجيد ان يعمله في موقع القيادة (موقع عدم كفايته) انه يفشل في تصريف مهام منصبه ويبدد وقت رؤسائه ويهوى بكفاية مرؤوسيه ·والاحصائيات تثبت ان ٥٣٪ من الاعمال الفاشلة يرجع فشلها لسوء الادارة انه: فشل الذين يجيدون التبعية في لعب دور القادة!·

يوجه لى طلبتي احيانا اسئلة طريفة ـ سالنى احدهم : كلما واجهنا ازمة ، نسمع عشرات الاقتراحات لحلها يطبق منها ما يطبق ، ولكن الازمة لا تحل ـ لماذا · وسالنى آخر : ترى هل يقود العالم عباقرة الاذكياء ام قادة يتميزون بعدم الكفاية ··

نعم ـ في مواجهة كل ازمة او مشكلة ، يقدم عشرات الخبراء اقتراحات لمواجهتها ولكن ، لما كان غالبية هؤلاء الخبراء فعلا في مواقع عدم كفايتهم فان اقتراحاتهم تكون في غالبية الاحيان بلا فائدة ـ وحتى الاقتراحات الكفيلة بحل الازمة لا يمكن تنفيذها لان الجهاز الحكومى نفسه ـ مثل اى بناء هرمي هيراركي آخر ـ محمل بعدم الكفاية ·· بل ان عدم الكفاية هو احد مظاهر النظام السياسي عامة ··

ينتخب القادة السياسيون اليوم في غالبية دول العالم بالتصويت الشعبي ـ وقد يبدو ان الشعوب التي تنتخب تعرف اين توجد مصلحتها وتختار الاكفاء من السياسيين لقيادتها لترفعهم الى مواقع الحكم ـ لكن هذا غير حقيقي · فعالم السياسة اليوم يسوده نظام الاحزاب السياسية (حزب واحد او اكثر) ـ وكل حزب يمثل مصالح معينة ويقتصر دوره على ان يكون جهازا لتوصيل ممثلي تلك

المصالح الى مواقع السلطة - والحزب السياسي ايضا بناء هرمي هيرارقي اي ان فيه (كما في المصنع والشركة والمصلحة الحكومية الخ) يرتفع العاملون بسبب كفايتهم حتى يصلوا الى مواقع عدم كفايتهم ليستقروابها •• ويقوم الحزب ايضا باختيار مرشحيه وقياداته لا لحكمتهم وكفايتهم ومقدرتهم على موازنة الاحتمالات واتخاذ القرارات التي تتفق ومصلحة البلاد ، بل لاخلاصهم للحزب والمصالح التي يمثلها ولمقدرتهم على الدعاية والخطابة والتاثير على الناخبين والان (في عصر التليفزيون هذا)ايضا لجاذبيتهم الشخصية وفاعلية وجوههم بالاصباغ والمساحيق على الشاشة الصغيرة ••

حالات كفاءة نادرة

وكلما زاد البناء الهرمي الهيرارقي فخامة ونضجا زادت فيه نسبة الذين قد وصلوا الى مواقع عدم كفايتهم - اي كلما نقصت كفاية الجهاز ككل •• والحل المتبع عامة لمواجهة هذا النقص هو زيادة عدد العاملين بادخال عناصر جديدة بالبناء - وقد ينتج عن هذه الزيادة تحسن مؤقت في كفاية الجهاز (الى ان تصل العناصر الجديدة نتيجة لكفايتها) الى مواقع عدم كفايتها•• اما العناصر غير الكفاة التي تضاف للجهاز فتزيده شللا - لان المعادلة الرياضية سالب زائد سالب تساوي موجبا لا تنطبق هنا : فلا يمكن ان تنتج كفاية عن اضافة عدم الكفاية الى عدم الكفاية•

هل يعني هذا ان الكفاية لا توجد في مواقع القمة والقيادة ؟؟الايوجدالكفاة بين المديرين والوزراء والجنرالات الخ ••

يوجد بالطبع : لكنها حالات نادرة •• ان يصل شخص كفء الى موقع قمة انما يدل على عدم وجود عناصر كافية في ذلك البناء الهرمي لكي «تتجمع الاخشاب باعلى النهر » •• والكفء الذي يصل الى موقع قيادي لا يبقى به عادة لان ذلك وضع غير مريح او مستقر بالنسبة له : فهو في محاولة دائمة للصعود الى موقع اعلى يمثل نوعا من التحدي لامكانياته •• واذا لم يجد في البناء الهرمي الهيرارقي الذي يعمل به موقعا اعلى واكثر تحديا فانه ينتقل عادة الى بناء هرمي آخر (من التعليم الى السياسة - من الجيش الى الصحافة - من الفن الى الصناعة •• وهكذا) بحثا عن موقع عدم كفايته كفاح الطموح للوصول الى حدود طموحه• الى الاستقرار ••

لان كل من يعمل بكفاية يجد في ممارسة عمله تحديا منشطا له مجددا لطاقته ويتوقع تقدمه وترقيته مكافاة عادلة له يستحقها - حتى يصل الى موقع عدم كفايته حيث تعجز امكانياته الجسمانية او الاجتماعية او النفسية او الفكرية او العلمية•• الخ) عن مواجهة تحديات ذلك الموقع فيخمد صراعه• ولانه لم يعد يؤدي عملا نافعا منتجا فانه يستبدل بالعمل الفعلي التظاهر بالعمل والانتاج بالتطفل على الانتاج • وتظهر عليه اعراض الامراض البدنية والنفسية والمكتبية التي تقترن بعدم الكفاية •

والامراض البدنية المرتبطة بعدم الكفاية كثيرة منها التهابات وعدم انتظار الجهاز الهضمي وقرحة المعدةوالنهم أو فقدالشهية للطعام والتوترالعصبي والتشنجات العصبية والارق وارتفاع او انخفاض ضغط الدم وامراض الحساسية والارهاق المزمن والعجز الجنسي ونوبات الصراع واضطراب ضربات القلب والتنفس والغثيان والالتهابات الجلدية•• الخ كلها عامة بلا اسباب عضوية او جرثومية لذا لا يجدي علاجها بالدواء او بالجراحة وان حققا نتائج وقتية) بل هي امراض نفسية تعبر عن ما يسببه الوصول الى موقع عدم الكفاية من احساس بانتهاء المنفعة وعدم الانتاجية والعجز واليأس والضياع - وبدلا من ان يتصرف المريض على هذه الامراض كنتيجة عضوية لعدم كفايته فانه يتظاهر بان امراضه هي السبب في عدم انتاجيته وعدم كفايته لانها تعطله عن عمله او يمنعه الاطباء عنه بسببها •• والطريف ان بعض هذه الامراض قد تحولت عند بعض الناس الى رمز للنجاح و الوصول والشهرة فظهرت موضة تقليد امراض الرؤساء والمشهورين والتنافس فيها «قرحتي اكبر من قرحتك» تساوي عملي اهم من عملك !!) ••

والامراض النفسية (الاخرى تشمل الشكوى الدائمة من ظروف العمل) « لا احد يقدرني -

مقالات وكلمات

جورج واشنطن

■ قل لى ما الذى يشغل وقتك ، أقل لك من أنت ·

ــ جوته ·

■ الصداقة الحقة ، نبات بطىء النمو ·

ــ جورج واشنطن ·

■ بين الافراد تندر الاصابة بالجنون ، ولكنها القاعدة فى المجموعات والاحزاب والامم والعهود ·

ــ فريدريك نيتشة ·

توماس كارليل

■ ليس هناك قول يتصف بالمبالغة ، أكثر من أسلوب الحديث الذى يعتمد على الحقيقة المجردة ·

ــ جوزيف كونراد ·

■ أصعب شىء يتعلمه المرء فى الحياة هو أى الجسور يعبر ،وأى الجسور يحرق !

ــ توماس كارليل ·

■ المحارة الجريحة وحدها هى التى تضمد جراحها بلؤلؤة !

ــ ايمرسون ·

أرسطو

■ هناك دائما « ركن » غبى فى عقل أكثر الناس حكمة وذكاء ·

ــ ارسطو ·

■ ليس صحيحا أننى كرهت المرأة ، اننى أحبها ، لاننى أحب الحياة !

ــ صموئيل جونسون ·

لا احد يتعاون معى ــ الى آخره » والشكوى من الزمن الحاضر والتغزل اللامنطقى فى الماضى ·· ونقل شعور عدم الاستقرار الى المرؤوسين (بين النقد والمدح والتقريب والابعاد فلا يعرف احد اليوم حال المدير ومزاجه وكيف يتصرف معه) ·· والتردد وتاجيل اتخاذ القرارات (بحجةدراسة الموضوع او الاستفتاء الديموقراطى عليه) · · او التهرب من اتخاذ القرارات (لاتشغلونى بمثل هذه التفاهات ··او بتشكيل لجنة او اللجوء للقرعة الخ··والتصرفات العصبية(قرض الاظافر ــ طرقعة الاصابع ــ الخبط بالقلم على المكتب ــ اللعب بالدبابيس والاقلام واعادة تنظيمها ··) وباستعمال التعبيرات المعقدة والعلمية والاجنبية بلا لزوم وبدون ان « تقول » شيئا حقيقة ·· واللجوء الى التهريج والطرائف تهربا من تناول المسائل الجادة ·· وهكذا

اما الامراض المكتبية المرتبطة بعدم الكفاية فتشمل التهالك على المظاهر كالاهتمام بالحصول على غرفة اكبر واثاث اضخم ومكتب اكبر وابسطة ومقاعد اكثر لغرفته ·· وهوس التليفون (لكى يكون له « اتصال بكل كبيرة وصغيرة فى العمل» يهتم بوضع عدة آلات تليفون بجواره ويستخدم احيانا اكثر من واحدة منها فى نفس الوقت) ·· والخوف من الاوراق (ربما لانها تذكره بانه لا يعمل شيئا) فيهتم بان يكون مكتبه نظيفا تماما من الاوراق ــ فهو ينجز عمله اولا باول ــ او احيانا ــ على العكس

...اتك ؟ اذا فعلت فانت أناني ، واذا
... ، واذا كتبتها فعلا فانت تكذب على
ــ برناردشو .

برنارد شو

...ا ، وأعظم ما في الرجل أذن تعرف
وتميزه !
ــ تولستوي .

... أبدا عسر هضم . ــ تشرشل .

... هؤلاء الذين يتركونهم ينتظرون .
ــ مثل فرنسي .

صموئيل جونسون

... تعطيك كل شيء أنت في حاجة اليه،
... منك كل شيء تمتلكه !
ــ واشنطون .

تشرشل

...الامن تتمنى لو أنك قمت بمغامرة ،
... تمنيت لو أنك عدت الى بيتك !
ــ ثورنتون ويلدر .

...قارب الساعة ، ومع ذلك يستطيع أن
...كم مضى من الزمن ، هو شاب ناجح
...ه على طريق الحياة !
ــ هارلو كرتس .

... خطورته وكثرة
... والتبويب وعمل
... الاخص بالنسبة
... م تعد لها فائدة
... وتيتيتو ومظاهرها
... ه ..

...خص عامل ان يعمل
... استقراره) كيف
.

... تخلق له مواقع
... اليها : اما
... ادراك فيه، موقع

عدم كفايته الى سلم آخر (من التعليم الى التاليف ــ من المحاسبة الى الصناعة ..الخ) .. او بزيادة تخصصه في عمله (الطبيب يتخصص في نوع واحد من الامراض، المؤرخ في فترة تاريخية محددة ــ المعماري في نوع معين من الانشاءات او المواد المعمارية .. الخ) .. او باكتشافه تحديات جديدة خارج نطاق عمله (كتعلم لغة جديدة او الاهتمام بالاعمال الخيرية او ممارسة لعبة رياضية او احدى الهوايات .. الخ) اى شيء كفيل باخراجه من دائرة عدم كفايته المقلقة واشراكه من جديد في صراع الحياة . ■■

روما ــ فريد كامل

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي «الكلمات المتقاطعة» .. والمطلوب ايجاد الاجابة الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ــ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٤ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول مايو (ايار) ١٩٧٩ .

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم خليفة اموي ، كما ستجد في (٨) راسيا اسم شاعر عربي شهير .

الكلمات الأفقية :

(١) دولة افريقية ــ في العين .
(٢) من الامراض ــ استريب .
(٣) يخصني ــ حرفان متشابهان ــ لاهي ــ وحدة موازين .
(٤) من الزهور ــ حيوان ــ يحيط .
(٥) صوت الجرس ــ ترجع ــ للحصان .
(٦) قذيفة ــ اوجاع ــ حالا .
(٧) تقطع ــ اله الطب الاغريقي ــ نصف كلمة (صريع) .
(٨) خليفة اموي .
(٩) من قوات الامن ــ تالفت ــ يناسب
(١٠) بكرة ــ اضمر ــ من شخصيات ال... الفرنسية على مصر .
(١١) مقام موسيقي ــ حرف استفهام ... اجسام هندسية متتالمة .
(١٢) الفرائض ــ قطر عربي ــ نقص ــ موسيقي .
(١٣) من الآثار الفرعونية المشهورة ــ اش...
(١٤) لقب مؤلفة رواية جين آير ــ يفسد
(١٥) عتيق ــ من سور القرآن الكر... صوت الحمام .

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
							■								١
	■				■										٢
				■					■			■			٣
			■					■							٤
■					■					■					٥
			■					■					■		٦
		■									■				٧
															٨
	■					■				■					٩
				■				■						■	١٠
	■								■			■			١١
		■			■						■				١٢
				■									■		١٣
							■							■	١٤
■		■					■			■					١٥
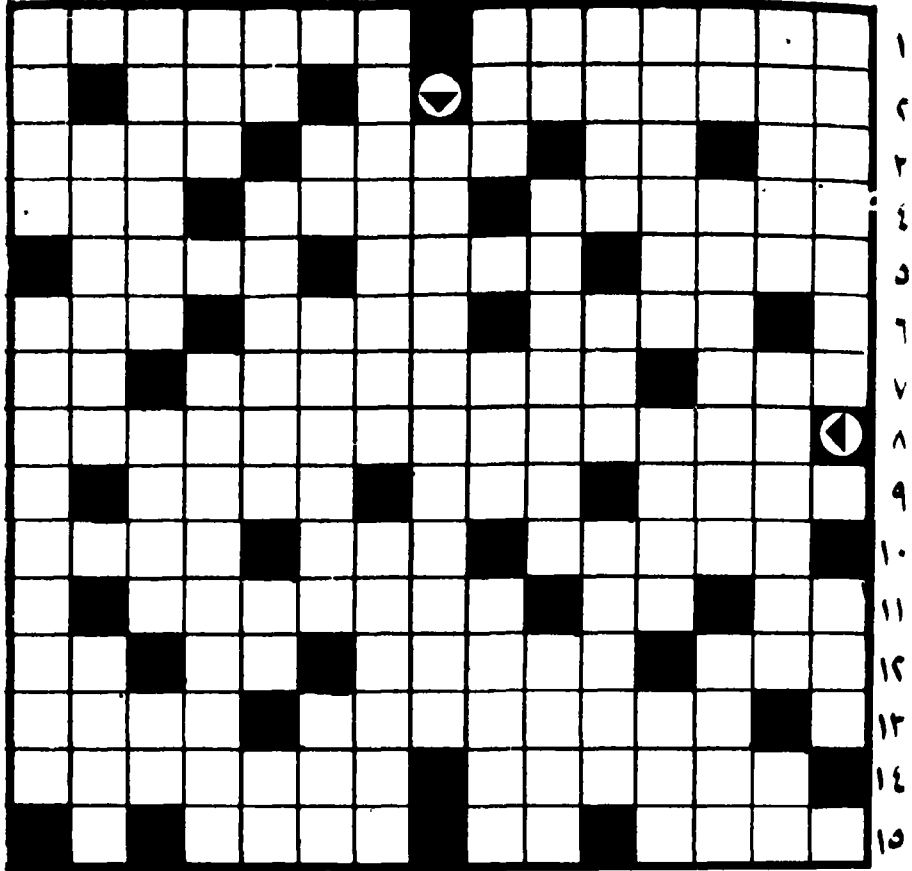
الكلمات الراسية :

(١) من وزراء نابليون ـ حرف ابجدى .

(٢) سهو ـ من شخصيات الف ليلة وليلة ـ مناص .

(٣) وعاء للخمر ـ حيوان ـ من الأسماء الحسنى .

(٤) اجبرنا ـ وحدات قياس زمن ـ طيور .

(٥) نريد ـ رقد ـ وحدة مكاييل .

(٦) نصف كلمة (يوسف) ـ نتخوف منهم ـ يقبل .

(٧) انظر من عل ـ صون وحفظ ـ شيطان شهير .

(٨) شاعر عربي شهير .

(٩) طائر ـ من المنكهات والتوابل .

(١٠) مناص ـ أظهرنا ـ قبر .

(١١) حرفان متشابهان ـ من أشكال الغناء الشعبي ـ في العين ـ نصف كلمة (عاتى) .

(١٢) تكسر او تقطع ـ سلطان عثمانى قضى على المماليك في موقعة مرج دابق .

(١٣) من فصائل المواد الغذائية ـ مكروه ـ مقام موسيقى .

(١٤) مدينة عراقية معروفة ـ اقل منه .

(١٥) نتوجه ـ علم الآثار .

رسام عالمى من اصل هولندى

ابدا اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الأسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لرسام عالمى شهير من اصل هولندى . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الأفقية :

(١) عاصمة آسيوية .
(٢) مدينة فلسطينية .
(٣) من أوقات الصلاة ـ حرفان متشابهان .
(٤) للتعريف ـ من الحبوب .
(٥) فى السترة .
(٦) دولة مدينة فى بلاد الاغريق .

الكلمات الراسية :

(١) مناطق مراعى .
(٢) القعود .
(٣) يسيل ـ من الاقارب .
(٤) علم ـ هزم .
(٥) شهر ميلادى (معكوسة) .
(٦) نتابعه .
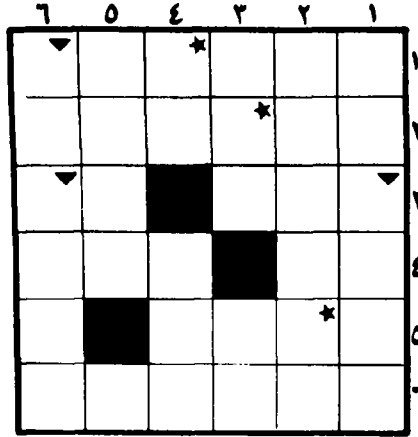
● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطا ؟ ..

هذه المعلومات العشر ، بعضها صحيح ، فهل تستطيع أن تميز بين الصواب والخطا ؟

(١) « القرم » ، شبه جزيرة فى البحر الاسود .

(٢) « المذنب » ، جسم يسير حول الشمس .

(٣) « الكوارتز » ، سلسلة جبال شمال اوروبا .

(٤) « التاندرا » ، حيوان قارض يعيش فى اواسط افريقيا .

(٥) « الفسيولوجيا » ، هو علم دراسة وظائف اعضاء الجسم .

(٦) « منــدل » ، رائد من رواد علـم الوراثة .

(٧) « كلهارى » ، صحراء فى افريقيا الجنوبية .

(٨) « الماموث » فصيلة مـن الشـعر الافريقى .

(٩) « كوبرنيكس » ، أول من اكتشف دوران الارض والكواكب حول الشمس .

(١٠) « الطبرى » ، أشهر مغنٍ فى العصر الجاهلى .

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .

النجمة والسهم

١ ـان جـوخ .

أين الصواب ، واين الخطا ؟

١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ صحيحة .

(٣) الكوارتز ، صخر بلورى شـديد الصلابة وشفاف .

(٤) التاندرا ، هـى الأراضى المحيطـة بالمنطقة القطبية الشمالية .

(٨) الماموث ، فيل ضخم كثيف الشعر توجد بقايا منه فى سيبيريا .

(١٠) الطبرى ، اشهر مؤرخى العصر العباسى .

الشكل المطلوب :

الشكل رقم ٦ .
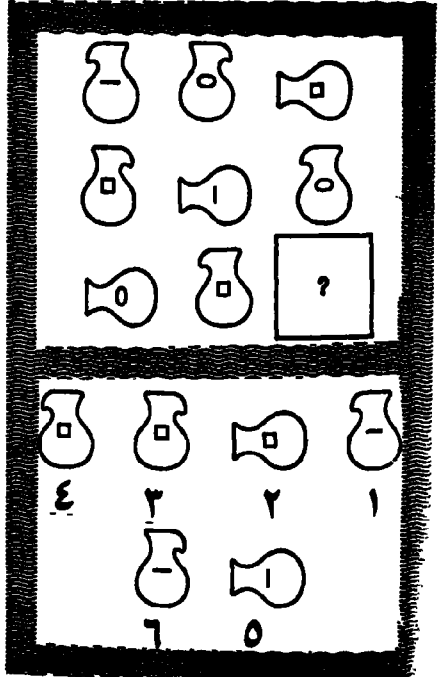
Mothercare® بالبـريـد

للكبار، للصغار وللذين لم يولدوا بعـد.

سوف تعرفين ما يعنيه ذلك بمجرد أن تلقي نظرة على الكتالوج الخاص بمنتجاتنا والذي يزداد حجمه عاما بعد عام. إنه مليء بكل ما تحتاجه الامهات الحوامل والرضع والأطفال حتى سن العاشرة. هناك ملابس للامهات، مستلزمات التمريض، لوازم التجميل، ملابس للرضع والأطفال، لعب، مشايات، أسرة ومدى كامل من المنتجات التي توفر الأمان Mothercare® بالبريد متاح لجميع الناس في مختلف أنحاء العالم. إن لنا أكثر من ٣٠٠ دكان بيع منتشرة في أقطار عديدة، وهناك أمهات من ٣٠ قطرا يشترين منتجاتنا عن طريق الكتالوج وهن يعرفن أن ما يخترنه من كتالوج Mothercare® هي منتجات عملية، جيدة الصنع توفر الأمان.

ويعرفن أيضا أن أسعارنا اقتصادية.

ويعرفن - فوق كل شيء - أنه حالما يرسلن طلباتهن إلى Mothercare® فإننا نرسل لهن ما طلبنه بالضبط، وإننا نعيد النقود إذا لم يكن الزبون راضيا عن البضاعة.

ثقي في Mothercare®

Mothercare® بالبريد... إنه أمر سهل للغاية وكأنك تعدين من ١ الى ٣.

١- أرسلي الكوبون بالبريد الجوي وسوف تتلقين نسخة مجانية من كتالوج Mothercare® (كامل ومعه كتيب توضيحي باللغة العربية).

٢- اكتبي طلباتك في أمر الشراء المرافق للكتالوج وأرسليه إلينا

٣- سوف نلبي طلباتك في الحال.

مجانا! ارجوا أن ترسلوا إلي كتالوج ربيع/صيف ١٩٧٩ (٢٣٦ صفحة ملونة)

املأي هذا الكوبون لتحصلي على كتالوج لك

To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England.

Name

Address (BLOCK LETTERS PLEASE)

Country

RC

Mothercare®-by-Mail

كل شيء للحوامل والرضع والأطفال حتى سن العاشرة

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

•

وزارة الإعلام فى الكويت

أول مارس ١٩٧٩

١١٤

الدراما الثورية الاسبانية

فصيلة على طريق الموت • الكمامة • النطحة

تأليف : الفونسو ساسترى

تقديم : د. صلاح فضل

ترجمة : د. أحمد يونس

مراجعة : د. أحمد هيكل

في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات اورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT QUARTZ
12.00 30
Su Mo Tu We Th Fr Sa
ORIENT
SUN 18

تمتّع بثلاث نكهات مختلفة من ثلاثة أنواع فاخرة من الشوكولاته

اليـــوم ، تمتع بكافة الميزات الزكيّة في مَارس
غــــداً ، جرّب مذاق ميلكي واي الخفيف
وَبعدغـدٍ ، تناول با ونتي بمذاقته الطري

مارس ، ميلكي واي وبا ونتي

فكّـــــر...

سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء . فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال
ر الرافعه الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك . تكاليف التشغيل بما فيها
ف التبديل والتصليح . كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر
رعند بيع الآلة

صف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يسهل تنفيذها . فهي مصممة بحيث
تقتصر إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص . وتجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن
ك مما يحقق الوصول السريع اليها كلها . وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل .
إأنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين
ه القطع فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها .
يعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل
لى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا بمنع تعطل الآلية عن
ريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها . وكل ذلك جزء من خدمات « كات
ر » . وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه
... في استثمارك للعربات الرافعة .

فكر بالصورة الأجمالية قبل أن تتخذ القرار ـ الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ .

وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع .

أبو ظبي محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٤٤١ ، ابو ظبي ، الامارات العربيه المتحده هاتف ٢٢٣٨٧ البحرين محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٥٣٥٧ المنامه هاتف ٧١٣٦٠٧ دبي محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ١١٧٠ ، الديرة ، الامارات العربية المتحده هاتف ٢٥٥ ٦ الأردن الشركه الاردنيه للجرارات والمعدات المحدوده ، ص ب ٣١٣ ، عمان هاتف ٢٨٣٦٣/٦٤/٦٥ الكويت محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ١٤٨ ، الكويت هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ الجمهورية العربية الليبية الشركة العامه لمعدات المزارع واللوازم الزراعيه (حسب) ، ص ب ٣٢٤ ، طرابلس هاتف ٣٠٣٤٤ فرع بنغازي ٩٢٣٣٩ مصر مانسراك ـ ١٨ شارع أمين فكري ، محطة الرمل ، الاسكندريه ، مصر ، هاتف ٢٨٩٤٣/٨٠٩٩٩٥ عمان شركة الواحه للتجاره والمعدات ، ص ب ١٠٠٢ ، مطرح مسقط هاتف ٢١٦٠ قطر محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٢١٧١ ، الدوحه هاتف ٢٥٩١٩ المملكة العربية السعودية شركة زاهد للجرارات والالات المحدودة ص ب ١٥٠٨ ، جدة هاتف ٧٦٣٦٦ الفروع الدمام ـ ٢٢٥٩٤ ، الرياض ـ ٢٨٤٦٨ سوريا م عرب الحلاق واولاده ، ص ب ٢٣ ، دمشق هاتف ٥٥٠٣٢٩ ويوجد فرع في حلب تونس موسسه ب بوسعى ش م ، ٩١ شارع قرطاجه ، تونس هاتف ٥٧٧ ٢٥٦ الجمهورية العربية اليمنية شركة يمانة التجاره المحدودة ، ص ب ٣٣٣٧ الحديده هاتف ٦ ٢٤ يوجد فرع في صنعاء

ان CATERPILLAR و CAT و ® ماركات تجاريه مسجله عائده لشركة جرارات كاتربلر

تصدر عن كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية

فصلية اكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية وتنشر مادتها بالعربية والانجليزية

سكرتير التحرير: *الدكتور أسعد عبد الرحمن*

يحوي العدد حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- **أبحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الاجتماعية .**
- **مراجعات بالعربية والانجليزية لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة .**
- **أبحاث باللغة الانجليزية .**
- **أبواب ثابتة : تقارير علمية . قاموس الترجمة والتعريب . دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا**
- **ندوة العدد**
- **ملخصات بالعربية للابحاث الانجليزية**

ثمن العدد : ٢٥٠ فلسا أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات : للافراد سنويا دينار في الكويت ديناران أو ما يعادلها في الوطن العربي (بريد جوي) ثلاثة دنانير أو ما يعادلهما في سائر انحاء العالم (بريد جوي) للطلبة اسعار خاصة ، أما الاسعار للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية في الكويت وخارجها فمفتوحة بحدها الاقصى ولا تقل عن عشرة دنانير كويتية في حدها الادنى .

العنوان : مجلة العلوم الاجتماعية ـ كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ـ العديلية

ص.ب/ ٥٤٨٦ ت/ ٥١٠١٨٨/ ٢٧٣/ ٢٥٠

توجه جميع المراسلات باسم سكرتير التحرير
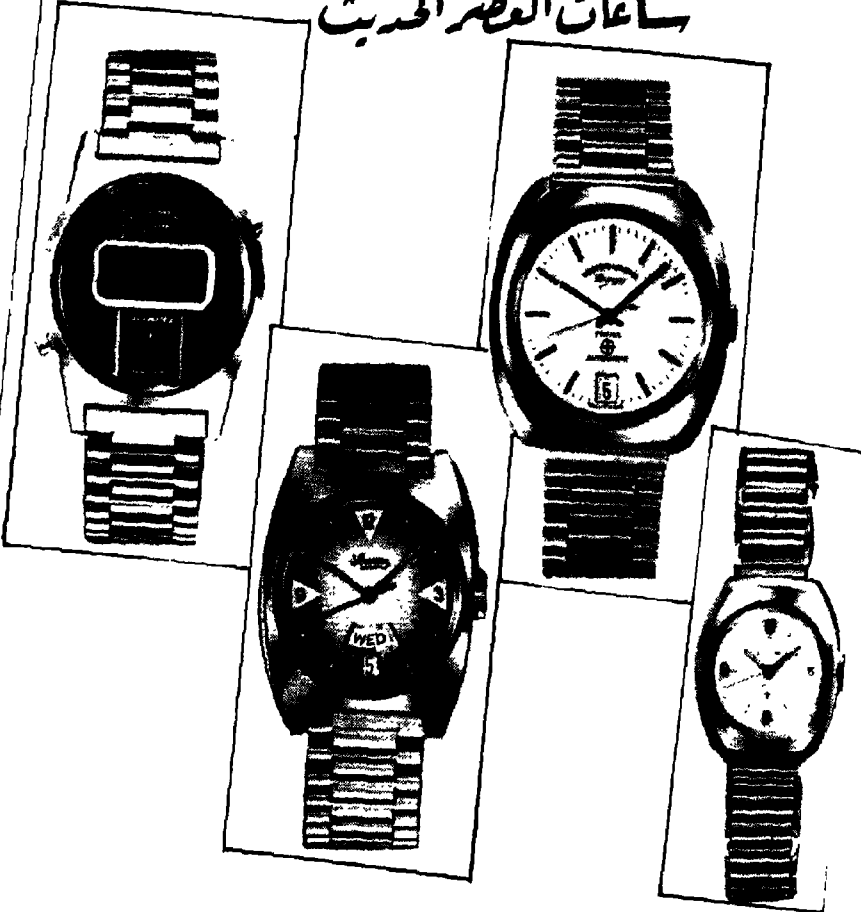
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

العدد الخامس عشر — مارس / آذار ١٩٧٩

الانسان الحائر بين العلم والخرافة

تأليف
د. عبد المحسن صالح

سعر النسخة ٢٥٠ فلساً

الاشتراكات ترسل باسم :

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

FODEN

the complete heavyweight transport system

Super Haulmaster

Please send me details on the Foden Super Haulmaster Export range

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works
Sandbach
Cheshire England Telephone 09367 3244
Telex 36171 (Service), 36553 (Sales), 36163 (Admin.)

Name...

Position...

Company..

Address..

....

For operation in.................................

IPS 1213/A

العدد ٢٤٥
جمادى الاول ١٣٩٩
(نيسان) ١٩٧٩

الليطاني: نهر عربي في خطر

NBK

الى القارئ

ويت خلال الشهر الماضي اجتماعا طارئا لوزراء
موضوعه الاساسى هو : حسم الصراع الذى
ن الشقيقين ، وهو الصراع الذى عمق
، الدم والمال والجهد العربى • ولم يستفد منه
ى طرف عربي ، خصوصا وانه من نوع
يتساوى فى نتيجتها نصيب المنتصر مع خسارة
سع نطاق الهزيمة لكى يتجاوز طرفى الصراع،
.بية كلها •

ما يلفت النظر فيما جرى ، هو اللهفة العربية
، ووقف نزيف الدم باسرع ما يمكن • لقد
ق النار اتصالات عربية عاجلة ومكثفة ، بادرت
لكويت من ناحية ، ثم سوريا والعراق والاردن
• وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان توقف القتال
واجتمع وزراء الخارجية العرب خلال ايام
•

عكس ادراكا حقيقيا لحجم المخاطر التى تتهدد
وهو ما نتمنى ان يحقق نتيجة مماثلة فى حسم
• التى هى فى النهاية ، شهادة تدين العرب
تثنى منهم طرفا •

ى ما جرى بين اليمنين ، لا يفوقه الا سعادتنا
.بى السريع !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 245 April 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف :

● الصور الثلاث لنهر الليطاني والحياة التي تدب حوله . وهو استطلاع الشهر الذي يروي قصة النهر الذي تهدده اخطار عديدة ، في مقدمتها انه يشكل حلما اسرائيليا يسعون الى بلوغه بكل وسيلة . والنهر بحد ذاته يجسد احدى صفحات التاريخ العربي الحديثبكل ما فيه من غرائب ومفارقات.

(انظر ص : ١٠٧)

ادب :

اجتماع :

تربية وعلم نفس :

فنون :

كتاب الشهر :

متنوعات:

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج٠م٠ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

بقلم : جميل مطـر

تتعدد الاسـئلة السياسـية التى لا تجد اجابـات شافية ، ولم يعد يوجد فارق كبير بين حـيرة رجل الشارع وحيرة الخبير بالشئون الدولية ، لأن كليهما يشهد افعالا سياسية لا يجد تفسيرا منطقيا او علميا لها . فالعالم يمر منذ فترة بمرحلة انتقالية تغيرت فيها قواعد السلوك الدولى وتبدلت اولويات ومسلمات وفرضيات واسترخت ايديولوجيات وتفككت تكتلات.

ومع ذلك يبدو ان المرحلة الانتقالية او مرحلة السيولة فى العلاقات الدولية تقارب نهايتها ، لا لان علاقات السياسـة الدولية صـارت اقل غموضا ، ولكن لان الازمة تعقدت بشدة . اذ لم تحدث فى تاريخ العلاقات الدولية تغيرات جذرية ومتلاحقة وفى وقت قصير مثلما حدث فى الاشهر القليلة الاخيرة . واصبح مشهدا مألوفا فى اجهزة صنع القرار ، وفى حلقات التحليل السياسي ، وصالونات المثقفين ، مشهد المحللين السياسيين امام خرائط سياسية واصابعهم تشير الى هلال من الدول يكاد يكتمل دائره أو مربع من دول اخرى تكاد تنفرط اضلاعه . ونسمع ان حالة من

الحاكمة فى هذا البلد او
ستفيضة يجرى اعدادها
مها .

سيولة الدولية حين ادرك
الامريكية خطورة سباقات
ن يسلكا طريق الوفاق ،
بة تغيرات هامة اخرى فى
الدولي كله يهتز بفعل
فى فيتنام ، وبزوغ اوروبا
اقتصادية منافسة للقوة
خط متغيرا اساســـيا فى
اعف من تعقيدات حـالة
ولية .

غير اساس

ـالم النامى تدعو لنظام
، كانت الدول الصناعية

المتقدمة تستعد لنظام دولى سياسي جديد ، ولقد نبه بعض المحللين السياسيين فى العالم النامى الى خطورة مرحلة السيولة الدولية وبوجه خاص الى ضرورة تفـــادى التـــورط فى الارتجـــال فى تغيير السياسات الخارجية خلال هذه المرحلة ، اذ كان واضحا لدى هؤلاء ان معظم المؤشرات والمتغيرات الدولية السائدة فى ذلك الوقت لم تكن سوى انعكاسا لاوضاع غير مستقرة فى العلاقات الدولية، وبالتالى فان الاقـــدام على تغييرات جذرية فى السياسات الداخلية او الخارجية استنادا الى هذه المؤشرات والمتغيرات يحمل فى طياته خطر البناء على اساس غير ثابت او متين .

ومع ذلك فقد كانت مرحلة الســـيولة اغنى مراحل التـــاريخ الحديث من حيث التغـــيرات الارتجاليـــة فى اساليب النمـــو والتخطيـــط فى العـــالـــم النـــامي ، ومـــن حيـــث التغـــيرات الجذريـــة فى الســـياسات الخارجية .

تصور بعض صناع السياسة مثلا ان النظام الدولي القائم على اساس هيمنة القطبين الرئيسيين يتحول تدريجيا الى نظام اكثر تعددا ، وكانت المؤشرات في ذلك الحين هي تزايد القوة الاوروبية واليابانية وبدءخروج الصين من عزلتها التقليدية، وترحل الولايات المتحدة في فيتنام ، وتمرد الماركسية الاوروبية على الاتحاد السوفيتي .

ولم تكن هذه الرؤى الجزئية للوضع العالمي مقصورة فقط على محللي وصانعي السياسة في العالم النامي ، بل تسببت هذه الرؤى في ظهور نظرية الرئيس الامريكي نيكسون القائلة بتدعيم دول معينة لتقوم بدور الشرطي الذي يحافظ على امن منطقته ، فتخصص لايران منطقة وللبرازيل منطقة ولدولة او اخرى في افريقيا جزء من القارة وللاقلية البيضاء في الجنوب الجزء الآخر . كذلك اوردت هذه الرؤى نظرية لبرجنسكي ـ مستشار الرئيس الامريكي ـ تقول بان الهيمنة السوفيتية في عالمية الآفاق والابعاد كالهيمنة الامريكية ، وانه من الواجب التعامل معها حيث يكون نفوذها اقوى وعدم الاهتمام بها حيث يضعف تاثيرها . والظن كبير انه بالفعل اعتبر الشرق الاوسط من المناطق التي يضعف فيها نسبيا تاثير النفوذ السوفيتي فتجاهل الاتحاد السوفيتي ، ثم اتضح لبرجنسكي ـ كما اتضح لكل من طبق هذه النظرية او شارك في صنعها وتطبيقها ـ ان الاتحاد السوفيتي ليس غافلا عن الشرق الاوسط ، وانما ابتعد عن عمد حتى يرتكب الارتجال السياسي لبعض الحكام اثمه الاكبر في ظل حالة السيولة ، اعتمادا على انه حين تستقر الاوضاع سيكتشف هؤلاء الحكام ان قوة دولهم قد استنزفتها متغيرات ومؤشرات السيولة .

ومن معالم السيولة الدولية الراهنة حالة الاسترخاء السياسي في علاقات الدول النامية ببعضها او بالعالم الخارجي . وتفسير ذلك يكمن في عديد من الاعتبارات ربما كان اهمها تغير القيادات السياسية التي قادت حركات الاستقلال السياسي في هذه الدول، ووصول قيادات جديدة لم تقدر ـ او لا تريد ان تقدر ـ حجم واهمية الدور الايديولوجي في عملية بناء الامم.وتظن اغلب هذه القيادات ان تعثر التنمية وتعقد المشاكل الاقتصادية ما هي الا بعض مخلفات الانظـ[illegible] السياسية الاولى نحو الاستقلال السيـا[illegible] والاقتصادي . جاء هذا الاكتشاف في وقت [illegible] النظام الدولي قد دخل بالفعل اولى مرا[illegible] السيولة حين شاعت الآراء بان الوفاق يتجـ[illegible] على حساب الدول النامية .

فوضى العالم النامي

وفي معظم الحالات كان التحول في السياسات الخارجية سريعا ومفاجئا وكان الارتماء في احضان احدى القوتين العظميين مثيرا ومخجلا ، ولم يخجل صناع السياسة في الدول النامية التي ارتجلت هذا التحول في تقديم القرابين من تراث مرحلة البناء السياسي والاجتماعي .

ولذلك فحين نشات الدعوة الى نظام دولي اقتصادي جديد لم يجزع العالم الصناعي المتقدم، لانه يعي من خبرة سنوات ماضية ان قوة الفقر تكمن في قوة سياسة الفقر ، فاذا نزع منها عنصر السياسة لم يبق لها الا الفقر منهكا لا يقوى على التحدي ، وحين ظهرت فجاة « قوة » المادة الخام التي تنتجها الدول النامية عكف العالم المتقدم على دراسة افضل الوسائل لمنع تحول هذه القوة الاقتصادية الى قوة سياسية ، وفي وقت كانت دول نامية متعددة تعيد رسم خططها على اساس معونات دول النفط كان العالم المتقدم يخطط لتطويع هذه المادة وامتصاص عوائدها والتحكم في مستقبلها . ولعل الازمة الايرانية تكون قد اكدت ظاهرة « الدولة الثرية المعدمة » ، اذ اناطوا بايران دورا لم تكن بحاجة اليه ، وزينوا لها خطرا لم تكن مستعدة لمواجهته ، واقاموا قصورا للشاه في السياسة الخارجية لا اساس لها في الاوضاع الداخلية . وملأوا الدنيا صياحا ونذيرا بخطورة الخليج واهمية استقراره بالنسبة لسلامة الاقتصاد العالمي ، ومع ذلك فحين سقط الشاه لم تهتز سوق واحدة من اسواق المال لانه باي حساب ستظل ايران مدينة للعالم الراسمالي لاعوام قادمة .

ان ما يشهده العالم النامي اليوم من فوضى سياسية واجتماعية واقتصادية انما يأتي نتيجة

لتفتت الذى صاحب
لدات الى تجاهل كثير
لتضامن السياسي
من وفى غياب التشاور
انت تولدها مؤتمرات
من الازمات والتطورات
لى صناع السياسة ،
عتبارات واقع حالة
ت المتخذة لوضع نظام
ع اوضاع كثيرة حقيقة
ولدينا القرن الافريقى
رفات دولية واقليمية
دى التفسير السهل .

بيح جميع التفسيرات
ان يكون الارتباك الدولى
نع السياسة بالدولتين
يهما الخارجية انعكاسا
ون الارتباك الدولى قد
النامى وبعض الدول
م يمتد الى الدولتين
، اوضاعهما الدولية
ى جديد مستقلين هذه
ة . ولكل من التفسيرين

ـ خطر

ا ان الدولتين العظميين
لورات وقوى متنوعة ،
يشها القارة الاوروبية
فات الحكم فى كلا الشرق
، لهذه النهضة الجديدة
تسود مناطق اخرى من
وهيمنة العناصر السلبية
كما انه مطروح فى كثير
سية العودة الى العقائد
ام النفس واطمئنانها .
، الايام ظواهر مشابهة ،
بين من جفاف الحياة
يان جديدة وبعض آخر

يمثل عقلانية مراجعة النفس فاقدم على اعادة النظر فى كل الفلسفات والايديولوجيات التى وضعتها وصاغتها اوروبا منذ عصر النهضة الاول حتى الآن . وتظهر أهمية هذه الصحوة الفكرية الاوروبية اذا نظرنا اليها فى اطار انهيار الفكر الانساني فى الولايات المتحدة خلال اعوام التحول الكبير الى عصر « التقنية » ، وفى اطار تجمد الحركة الفكرية والديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى ودول اوروبا الشرقية خلال الفترة الستالينية ، يضاف الى ذلك ان هذه الصحوة تأتى فى وقت اهتزت فيه دعائم النظام السياسي الامريكى فى اعقاب فيتنام وسلسلة من تجاوزات السلطة وانحرافاتها وتردى الروح المعنوية للشعب الامريكى كما تأتى فى وقت تشتد فيه حملة المثقفين السوفييت ضد القيود على الحريات فى الاتحاد السوفيتى وفشل النظام السوفيتى فى تحقيق الرفاهية النفسية .

وببساطة يمكن القول ان الايديولوجيتين الرئيسيتين السائدتين فى العالم الصناعى اليوم تواجهان منعطفا خطيرا ، اذ تولد عند الشعوب الاوروبية والامريكية شعور عام بالافتقار الى هدف ، وهو اخطر محنة تصاب به امة من الامم ، لانه يعنى بداية التفسخ والتسيب ، حقا تحققت اهداف كثيرة ، ولكن الشعوب تبحث دائما عن رفاهية وسعادة مكتملة ، وما تحقق حتى الآن سواء فى الدول الشيوعية او الدول الراسمالية اكثره كان على صعيد الرفاهية المادية . فى اغلب الاحيان كان على حساب راحة النفس أو حرية الانسان . وفى ظل هذا الشعور يبدأ الانسان اما بخلق حواجز تفصل بينه وبين السلطة السياسية الحاكمة وايديولوجيتها او بالتمرد عليها .

وتزداد خطورة هذا الوضع فى الدول المقسمة ايديولوجيا او الباحثة عن نهج سياسي جديد ، ففى كل من ايطاليا واسبانيا والبرتغال مشكلات مرتبطة بقضية البحث عن هوية ايديولوجية ، وكل التيارات مهتمة بان تقدم حلولا او انتقادات لمشكلات وتجارب عقائدية شوهت سمعة الايديولوجيات السائدة فى العالم . فى هذه الحالة يسيطر على العمل السياسي للدولة أسلوب

النظرة الجزئية الى الأمور ، وتتخذ القرارات في معزل عن اى اطار عام فلسفي او ايديولوجي يضمن تناسقها او انتظام الخط السياسي للدولة.

واذا كان التراجع الايديولوجي ظاهرة من ظواهر السيولة الدولية في العالم الصناعي فهو ايضا ظاهرة من ظواهر هذه السيولة في العالم النامي ، ويبرز هذا بوضوح في المنطقة العربية بالذات وفي كثير من الدول الافريقية والاسيوية بوجه عام . ويصح القول في هذا المجال بانه اذا استمر هذا الوضع فهذه الدول بلا شك متجهة بخطى سريعة على مسار امريكا اللاتينية وينتظرها نفس المصير . فامريكا اللاتينية قارة فقدت حافز البحث عن هدف جديد فور تحقيق هدف الاستقلال في الربع الاول من القرن الماضي ، كان بالامكان ان تجتمع على هدف قومي او على هدف التحرر من الهيمنة او على ايديولوجية توحد مسارات دولها وتعبىء شعوبها وتنمي قدراتها ، ولكنها لم تحاول فسكنت نموا وتقدما وتفجرت فوضى وتمردا .

مشكلة العالم العربي

وفي وقت من الاوقات وحين تنبأ بعض علماء السياسة والاقتصاد ان مصير العالم النامي كله سيكون من نوع مصير امريكا اللاتينية ، كنا في العالم العربي نهاجم هذا التنبؤ استنادا الى وجود ايديولوجية ما تلهب مشاعر الشعوب العربية وتعبىء طاقاتها وتدفع حكامها الى طريق التنمية ، وكان ظننا صادقا ، حتى ان بدأت حملة شرسة ضد القومية العربية ، وتراخى الالتزام بالايديولوجية ، وبدأت تسود مظاهر التفسخ لدى قطاعات هامة من الشعوب العربية ، وسيطرت مذاهب براجماتية على اساليب الحكم وتوارت مشاكل الامة وبرزت مشاكل كل شعب بشكل يهدد استقرار كل دولة على حدة ، ويهدد استقرار وسلامة الامة باسرها .

وفي هذه الظروف ، خاصة حيث لا يوجد الحافز الذى يعمل على تجميع الارادة وراء هدف قومي ، تسود الانانية الفردية والانتهازية وتظهر طفيليات اجتماعية وسياسية واقتصادية تعطل النمو الاجتماعي التدريجي للشعوب ، وينعكس هذا على السياسات الخارجية للدول فيجدها متذبذبة وجلة غير واثقة من قدراتها الحقيقية ، في احيان يبدو الخطر الخارجي مضاعفا عشرات المرات ، وفي احيان اخرى يبدو مصغرا الى حد دنيا ، اذ يكون الناصحون والمقربون لصنع السياسة من ذوى مصالح غير مؤسسة اجتماعيا او اقتصاديا او سياسيا ، وبالتالي تكون نظرتهم للاوضاع الاقليمية والدولية نظرة جزئية بل فردية « ومصلحية » .

واذا تفتتت الارادة الجماعية وغاب الهدف القومي او الوطني وحل الطموح الفردى محل الطموح الوطني تباطأ النمو وضاعت القيم ، واضطرت الدول الى الانفاق من ارصدتها الاستراتيجية السياسية والاقتصادية ، وعملت في الحقل الدولي منفردة متوسلة وفي احيان متسولة وانهارت الثقة في النفس ، وعادت ظاهرة الارتماء في احضان الهيمنة الدولية .

لذلك يسود القلق دول العالم النامي ، ويسود الارتباك حول فهم وادارة العمل السياسي ، وفي كثير من اروقة خارجيات حكومات عربية يحاولون تفسير حالة دولة تنقل ولاءاتها بين الشرق والغرب وكلاهما متفق على مصيرها ، او حالة حركة تحرير احتارت في تعريف وتحديد من تنتمي اليهم ومن لا تنتمي ، وخلال حيرتها فقدت اغلى قدراتها ، وحالة حاكم تتجاوز اطماعه طموحات شعبه ويزايد على حلفائه فتتخلى عنه الشعب والحليف ولم يقو العرش على تحمل ثقل اطماعه .

ان المنطقة العربية ـ على وجه التحديد ـ تمر باخطر مراحل تحديها . اذ قد تخطىء خطأ مصيريا اذا حاولت خلال مرحلة السيولة الدولية الراهنة ان تربط نفسها بنظام تحالفات خارجية ، او ان ترتجل في تعديل اولويات اصدقائها واعدائها والسبيل الوحيد نحو الخروج سالمين من ازمة السيولة ان يعاد للامة العربية هدفها القومي ويلتزم به حكامها . ■■

جميل مطر

الخميني

نافية مشعة فى عالم اليوم ٠

اندرويونج المندوب الامريكي لدى الامم المتحدة

ورجل أعمال وزعيم ، ومن الجنون ان اواصل

محمد على كلاى ـ بطل العالم فى الملاكمة

معى الكثير الكثير مما لم أقله ولم أصـــل
ت فى سباق مع الزمن ٠

الشاعر العراقى المخضرم محمد مهدى الجواهرى

عرفات

كن معصوما من الخطأ ، لكن أفكاره ستظـــل

تنج هيساوبنج ـ نائب رئيس وزراء الصين

ن ليس حدثا محليا ، ولكنه ظاهرة تنتشر٠

موشيه دايان وزير خارجية اسرائيل

ة صلبة لدعوة الجماهير العربية فى الارض
لثورة ٠

فيسور موشى شارون مستشار رئيس وزراء اسرائيل

تنــج

هو مصدر قوة اسرائيل ، ولكن لابد مـــن

ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق

لا سلميا لجميع مشكلاتهم يجب ان يتذكروا
صلون الى حل سلمى حتى مع أطفالهم !

اندرويونج ـ مندوب امريكا لدى الامم المتحدة

رية الشخصية ، وعلى الانسان أن يختـار
ورا أو سعيدا !

الممثلة الامريكية كاترين هيبورن (٧٠ سنة)

كـــلاى

ن فلسطين أصبح يمر الان بطهران !

راديو الثورة الاسلامية فى طهـــران

ولى التى أرى فيها طائرات فانتوم أمريكية

ياسر عرفات بعد خروج سرب من الطائرات
الايرانية لاستقباله فى سماء ايـــران

وجه جليلة طالع من الدم

شعر : عبد الكريم حسن

■ ماذا لو أن الريح تقتلع المحيط
من القرار ؟
وتمزق الملاح في قلب السفينة
ويعود احبابي بلا ماوى
ويكتمل الدمار
فاحس هسهسة المواقد وهي
تحرس خيمة الغد والنهار
ويحين لي وعد على طول انتظار
ريح ونار
ريح ونار

***

ماذا لو أن النار تلتهم السفينة ؟
وتهد أعمدة السكينة
ويعود نوح بلا عصا
ليطل وجهك وهو
يمسح غابة الافق البعيد
فاحس وهج الارض في دفء
وفي طعم جديد

***

النار تحتضن الربيع وتستريح
ويحف ساعدها ازار
ريح ونار
ويد تلوح من بعيد
من هيا الشطآن لاستقبال عرس الدم
في هذى الثغور ؟!
من هيج الارياش في جنح النسور ؟!
يا نوح ضل بنوك من زمن وهانوا
وترملت شمس النبوة في الظلام
والحقد نشّر ساعديه على الصدور
فعلام تنتظر المسير ؟!
الريح تمنح ساعديها للاسير
فعلام تنتظر المسير ؟!
ودم يلون أوجه الموتى
واشلاء القبور
حان النشور
حان النشور
ويطل وجهك وهو يخطر في سنا
الافق البعيد

***

لجبينك الصيفي يا سمراء الوان حبيب
ولوجهك الفضي أسرار الخصوبة
وأراك تكتملين .. تكتملين
تتحايلين وتنشجين

سمت حزين
ندس

، الشحيح

، القفار

للم

ن

★

• ثم ماتوا
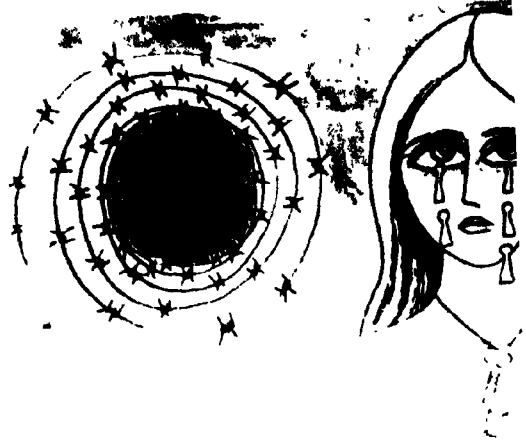
اكليل من الشوك البخيل على جبينك
وقلائد العرس الملمئى
سمّروها فى عيونك
وأراك تنفضين ٠٠ لا برد الحديد
ولا احتقان الشوك
ريح ونار
ريح ونار

★★★

وأراك تنقضين ٠٠٠ تلتفين
باللهب المقدس ٠٠ تصرخين
حان النشور
وترددين
حان النشور
هذا معاد الارض فانتثرى وهبى
يا قبور
فهسهست بعض القبور
لكنهم ٠٠٠
قتلوك فى وضح الظهيرة
قتلوك فى الوادى ٠٠ وماتوا
يا سميرة

★ ★ ★

وعلى غضارة عنقك الفضى لفوا
كل الوان الحبال

وعلى التلال
زرعوا البنادق فى انتظار حبيبتى
ريح ونار
يسلب منك ألوان النهار
ماذا جنت ؟
ألأنها صرخت ؟
شدوا على فمها
ألأنها نزفت ؟
رقصوا على دمها
ماذا جنت ؟
ألأنها شهرت يديها فى وجوه الغاصبين ؟
الراقصين على خيام اللاجئين ؟
الرافعين من الدماء قصورهم
ومن الخطيئة ؟
اللاعقين دم النبوءة ؟
عودى ...
سيحملك المحيط من القرار
ويعود للشط المعار
وعلى الجدار طيوف نار
ستهد أعمدة الجدار
ريح ونار
ريح ونار

***

يا نوح .. هذا موعد المدّ الكبير
فعلام تنتظر المسير ؟
الريح تقتلع المحيط وتزرع الغد بالظلال
فاترك بنيك على الجبال
وامخر عباب البحر بالدم والعبير
ستهل حولك كل أعلام الجمال
وكل آيات الجمال
وحبيبتى ...
ستعيدُ من أجل الرجال
أنفاسها الحرى
وما .. حملت كروم البرتقال ■■

باريس ـ عبد الكريم حسن

خلاف الفقراء والأغنياء

حول نظام النقد العالمى

بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

● ان مشاكل الدول النامية لاترجع فقط الى ماتعانيه من تخلف فني او تكنولوجي ، ومايترفه من اوضاع اجتماعية وثقافية غير مناسبة ، وانما تزيد هذه المشاكل نتيجة وجود نظم ومؤسسات دولية تنحاز الى الدول المتقدمة احيانا على حساب الدول النامية . ولعل هذا هو احد اسباب انتقادات الدول النامية لنظام النقد الدولى السائد ، والذى ترى فيه نظاما صمم وفقا لاحتياجات الدول المتقدمة ولم يراع بالدرجة الكافية مطالب الدول النامية .

وقبل ان نتعرض لانتقادات الدول الناميه لهذا النظام ، قد يكون من المفيد أن نبدأ بفهم الدور الذى يقوم به نظام النقد الدولي ، وخصائص هذا النظام حتى نكون في وضع يسمح لنا بمعرفة اسباب معارضة الدول النامية ومطالبها .

تحتاج المعاملات الدولية الى استخدام النقود تماما كما تحتاج المعاملات الداخلية الى هذه النقود . حقا ان النقود في ذاتها لاتخلق شيئا بل لابد من الانتاج والتبادل ، ولكن وجود النقود يسمح بتسهيل وتيسير عمليات الانتاج والتبادل بشكل كبير . فلا يتصور فى مجتمع جاوز المرحلة البدائية ان يستغنى عن النقود . فاذا نظرنا الى النشاط الاقتصادي وجدنا انه نشاط ممتد فى الزمن . فالانتاج يستغرق فترة قبل أن تظهر السلع النافعة ، فلابد من فترة طالت أو قصرت بين بذر البذور وبين ظهور المحاصيل ، ولا بد من فترات مماثلة قبل ان تخرج السلع الصناعية فى شكلها النافع للمستهلك ، وهكذا . والمنتج فى حاجة الى الانفاق خلال هذه الفترة وقبل ظهور الانتاج . كذلك فاذا كان الأصل هو أن يعيش الشخص فى حدود ما انتجه ، الا انه ليس من اللازم ان يتحقق توازن دائم بين ما ينفقه الفرد وبين مايكون تحت تصرفه من دخل . فالزرع يظهر فى فصول محددة ، ولكن حاجة المزارع الى الانفاق والاستهلاك مستمرة ، ولذلك نجده فى فترات يتمتع بفائض ، وفى فترات اخرى يعرف عجزا .

ولذلك فقد كان من الضروري أن توجد وسيلة تمكن الفرد من اجراء المعاملات انتظارا لظهور الانتاج او لزوال العجز المؤقت الذي يعرفه . ومن هنا فقد عرفت كافة المجتمعات النقود لتسهيل المعاملات والمساعدة على نموها . وقد ادى وجود هذه النقود الى تطوير ونمو الانتاج وزيادة كفاءته بما تقدمه النقود من خدمات اخرى لتسهيل الحساب والمقارنة بمالا محل للاطالة فيه هنا .

الطريق الى الاتفاق

وكما هو الحال في المعاملات الداخلية فان المعاملات الدولية ايضا تحتاج الى هذه النقود الدولية . حقا الاصل الا تستطيع دولة ان تشتري سلعا وخدمات من دولة اخرى الا في حدود ما تبيعه لها من سلع تنتجها هي . فالامر في النهاية هو تبادل في الانتاج بين الدول . ولكن هذا التبادل لايحول دون قيام عجز مؤقت هنا وفائض مؤقت هناك . ليس من الضروري ان تحتاج دولة الى سلع من دولة ثانية في نفس الوقت الذي تتمتع فيه بفائض من انتاجها تستطيع ان تبيعه لها . ولذلك فان الدولة تكون في حاجة الى وسائل تستخدمها للدفع عند مواجهتها لعجز ، او تقبلها للاحتفاظ بها عندما تحقق فائضا .

وهكذا نجد ان الحاجة للنقود ووسائل الدفع في المعاملات الدولية شانها شان المعاملات الداخلية . على ان هناك فارقا بين الامرين ، وهو ان المعاملات الداخلية اكثر تطورا وتقدما من المعاملات الدولية .

فقد عرفت تلك المعاملات الداخلية تاريخا طويلا حتى قامت الدولة باعتبارها السلطة العليا في المجتمع ، واصبحت بهذه الصفة تتولى اصدار النقود والاشراف عليها وادارتها بما يحقق اهداف السياسة الاقتصادية . اما المجتمع الدولي فانه لم يصل بعد الى هذه المرحلة، فلا توجد سلطة عليا فوق الدول تستطيع ان تفرض على الدول نقودا دولية تصدرها وتشرف عليها وتديرها بصرف النظر عن موافقة الدول . والوسيلة الوحيدة للنظام الدولي هي اتفاق الدول على نظام معين ، وفي حدود هذا الاتفاق.

وبطبيعة الاحوال فانه لاينبغي المبالغة في الشكلية بالقول بانه لاتوجد سلطة فوق الدول ، لان اوضاع القوى الاقتصادية والسياسية للدول على لبعض الدول سلطة فعلية تكاد تجعلها سلطة على الدول . وهذا الى حد كبير ما تقوم بـه الدول الصناعية المتقدمة وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ، وهو ايضا مصدر الشكوى الاساسي للدول النامية .

والواقع ان بذور النظام النقدي الدولي الحالي ترجع الى فترة الحرب العالمية الثانية ، عندما شعر الحلفاء باقتراب انتصارهم وادراكهم ان احد اسباب قيام تلك الحرب هو عدم وجود نظام نقدي دولي مستقر مما ادى الى الفوضى في العلاقات الدولية والى التنافس القاتل مما اضر الجميع وانتهى بهذه الحرب القاتلة . ولذلك فانه منذ «الاعلان الاطلنطي» عام ١٩٤٢ بين روزفلت وتشرشل ، كان اعداد نظام اقتصادي مستقر للعلاقات النقدية والتجارية هو احد الاهداف المعلنة والصريحة .

ومنذ ١٩٤٣ بدات الدراسات لتصور وضع نظام ما بعد الحرب للنقد العالمي . وكان اشهر ما قدم في هذا الصدد مشروع كينز الاقتصادي الانجليزي الشهير، الذي طالب بانشاء اتحاد دولي للمقاصة على غرار بنك مركزي عالمي يصدر نقودا دولية (بنكور) كما هو الحال تماما في المعاملات الداخلية . ولكن المشكلة الحقيقية هي انه على حين توجد سلطة سياسية فوق البنك المركزي تضع لـه السياسات المحددة لاصدار النقد وتوزيعه ، فانه لاتوجد مثل هذه السلطة العليا فوق الدول في المجتمع الدولي . ورغم ان كينز كان يرى امكان ادارة هذا الاتحاد الدولي بمعرفة خبراء يختارون لكفاءاتهم الفنية بصرف النظر عن انتمائهم الوطني ، فانه في الحقيقة ان هذا لم يكن حلا واقعيا . ولذلك فقد استقر الراي في « بريتون وودز »١٩٤٤ على انشاء صندوق النقد الدولي وفقا لافكار الاقتصادي الامريكي وايت .

ووفقا لهذا التصور اتفقت الدول على حماية استقرار اسعار العملات فيما بينها وان يمول العجز المؤقت الذي تعاني منه احدى الدول عن طريق الاقتراض من صندوق النقد الدولي . ولذلك فقد كان من الضروري أن يتوفر لهذا الصندوق وسائل دفع او نقود دولية يستطيع ان يقدمها لدول العجز لمواجهة الاختلالات المؤقتة . واتفق على ان تقدم كل دولة للصندوق نسبة معينة مما تحتفظ به من ذهب وجزءا من عملاتها

محلية . وبذلك توافر للصندوق كميات من الذهب ومن عملات الدول المختلفة ، اتفق على استخدامها لمساعدة الدول العاجزة بالاقتراض من الصندوق في احوال وبشروط معينة . ووفقا لهذا النظام كان الذهب يقوم بدور النقود الدولية، يستخدم مع عملات الدول الاخرى لاقراض دول العجز .

التنمية : حلم الفقراء

والمسالة الهامة التي تعرض هنا هي تحديد حصة كل دولة لدى الصندوق ، لانه على اساس هذه الحصة يتحدد حجم السيولة او النقود الدولية التي تستطيع الدولة ان تقترضها من الصندوق لمواجهة اي عجز مؤقت في علاقاتها الخارجية .

وهنا نجد ان الاعتبارات التي تدخلت في تحديد هذه الحصة كانت متعلقة باوضاع الدول المتقدمة، ولم تاخذ احتياجات الدول النامية بقدر كاف من التقدير ، وهو ما يسبب الانتقاد الحالي للدول النامية . وقد ثار خلاف عند انشاء صندوق النقد الدولي حول المعايير التي تؤخذ في تحديد حجم هذه الحصص . فانجلترا طالبت بان تكون نسبة مشاركة الدولة في التجارة الخارجية في الفترة السابقة على الحرب هي الاساس ، في حين ان الولايات المتحدة رات ان يكون ذلك على اساس حجم الناتج القومي لكل دولة . ولاغرابة في هذا الموقف ، فانجلترا قبل الحرب العالمية الثانية كانت صاحبة اكبر حصة في التجارة الدولية في حين ان الولايات المتحدة كانت صاحبة اكبر ناتج قومي . فالخلاف اذن هو حول اعطاء انجلترا او الولايات المتحدة الامريكية ميزة نسبية في صندوق النقد الدولي . وبطبيعة الاحوال تم حل هذا الخلاف ، باخذ حل وسط باختيار صيغة تجمع بين الامرين وتوفق بين مصالح انجلترا ومصالح الولايات المتحدة الامريكية .

وفي كل هذا كانت الدول النامية غائبة تماما . وهو امر طبيعي في ذلك الوقت الذى لم تكن فيه الدول النامية قد ظهرت على السطح الدولي . اما الآن فان الدول النامية وبعد ان حققت وجودا فعليا على المسرح الدولي ، فانها ترى ان يؤخذ في الاعتبار عند تحديد حصص الدول لدى صندوق النقد الدولي امر آخر وهو احتياجات التنمية الاقتصادية للدول النامية .

فالخلاف الاساسي بين نظرة الدول المتقدمة والدول النامية لنظام النقد الدولي هو خلاف حول وظيفة هذا النظام . الدول المتقدمة ترى ان المطلوب هو توفير سيولة او نقود دولية تتمتع بقدر من الاستقرار بما يساعد نمو التجارة الدولية . اما الدول النامية فانها ترى ضرورة ربط هذه السيولة الدولية باعتبارات التنمية الى جانب التجارة . ولذلك فانها ترفع قضيتها تحت اسم الربط ، اى ربط الزيادة في السيولة الدولية وفقا لنمو التجارة من ناحية ولزيادة تنمية الدول الفقيرة من ناحية اخرى . فالدول النامية تحتاج الى انشاء قطاع انتاجي متقدم حتى تصبح قادرة على المشاركة في التجارة . اما الدول المتقدمة والتي تتمتع بهذا القطاع الانتاجي فانها ترى ان وظيفة النظام النقدى تقتصر على توفير الوسائل اللازمة لتسهيل التجارة في المنتجات ولا شان لها بتغيير الهيكل الانتاجي للدول .

على ان تطور نظام النقد الدولي بعد انشائه لم يلبث ان ادى الى مزيد من محاباة الدول الصناعية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية على حساب الدول النامية .

فلم يلبث العالم ان اكتشف ان كمية الذهب الموجودة غير قادرة على ملاحقة احتياجات المعاملات الدولية . ومع عدم قدرة صندوق النقد الدولي على زيادة السيولة الدولية اضطر العالم ان يستخدم اكثر العملات الوطنية الدولية تداولا وطلبا وهي الدولار كنقود دولية مرادفة للذهب. وساعد على ذلك التزام الولايات المتحدة الامريكية بتحويل الدولار الى ذهب لغير المقيمين بسعر ثابت (٣٥ دولارا للاوقية من الذهب) . وقد كان معنى ذلك ان النظام النقدى الدولي قد زاد من امكانيات الولايات المتحدة الامريكية بالنسبة للعالم ، باعطائها الحق في الحصول على سلع وحقوق من اى مكان في العالم مقابل اصدار اوراق اسمها الدولار وتعهد بتحويلها الى ذهب عند الطلب . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من محاباة لاكبر اقتصاد في العالم على حساب الدول الاخرى . وهكذا بدلا من ان نجد ان توزيع السيولة الدولية الجديدة يحمي الدول الاكثر احتياجا (كما تطلب الدول النامية) ، فانه قد حابى اكثر الدول غنى وقدرة ، بل ان الولايات المتحدة الامريكية لم تلبث ان تخلفت عن تعهدها بتحويل الدولار الى ذهب . وذلك بقرار منفرد حينما اصدر الرئيس

نيكسون قراره الشهير بمنع تحويل الدولار الى ذهب في اغسطس ١٩٧١ . وازاء هذه الصدمة اختل نظام النقد الدولي كما وضع في « بريتون وودز » وبدات الدول في ترك قاعدة ثبات اسعار الصرف لتدخل الى موجة من التخفيضات في اسعار العملات .

خيبة امل متجددة

وبذلك اصبحت العملات المختلفة ودون اى استثناء خاضعة لظروف العرض والطلب ولاتتمتع باى استقرار ، وهو ما ادى الى ضياع فكرة النقود الدولية ذاتها . فالنقود الدولية شان اى نقود لابد وان تتمتع بشيء من الاستقرار في القيمة . ولا يخفى ما يمكن أن تعانى منه الدول النامية بوجه خاص من تقلبات اسعار الصرف . فهذه الدول تعتمد على عدد محدود من الصادرات الاولية ، ولذلك فانها شديدة الحساسية بالنسبة لاستقرار الاسعار بصفة عامة سواء اكانت راجعة لاثمان هذه الحاصلات ام لاسعار الصرف .

وعندما بدا العالم في اعادة النظر في نظام النقد الدولي ، فان مطالبات الدول النامية لم تجد اى مكان فيما تم من اصلاحات ، او بالاحرى من اجراءات ، حيث ان ما تم لا يرقى الى مستوى الاصلاح .

وقد كانت الخطوة الاولى في الاصلاحات هي زيادة كمية النقود الدولية المتاحة . وارتبط ذلك بانشاء وسائل جديدة هى ماعرف باسم حقوق السحب الخاصة . وهو موضوع يستحق معالجة مستقلة . ولكن الامر الهام هو توزيع هذه الحقوق التى تقوم بنفس دور النقود الدولية في علاج مشاكل دول العجز ، فالدول النامية وهى ترى ان يكون خلق السيولة مرتبطا باحتياجات التنمية الى جانب حاجات التجارة ، فان توزيعها يجب ان يراعى الاحتياجات المتزايدة للدول النامية لهذه السيولة . اما الدول المتقدمة فهي ترى انه يجب فصل الامرين عن بعضهما . وقد تغلبت وجهة نظر الدول المتقدمة .

فالبحث في انشاء حقوق السحب الخاصة بدا في اطار السوق الاوربية المشتركة ، ثم عندما عرض على صندوق النقد ابيح لجميع الدول الاشتراك فيه ، ولكن على اساس حصة كل عضو في الصندوق . ومعنى ذلك أن توزيع السيولة الجديدة قد اخذ فقط حصص الاعضاء في الاعتبار ، وهو الاساس الذى قام عليه صندوق النقد دون [illegible] الدول النامية اية مزايا جديدة باعتبارها [illegible] نامية .

وعندما بدا التفكير الجدى في اصلاح [illegible] النقد الدولي وشكلت لجنة وزراء مالية [illegible] الاعضاء في مجلس المديرين التنفيذيين في الصـ[illegible] ولجنة من نوابهم (تعرف باسم لجنة العشرين) ، شارك في هذه المشاورات ممثلون عن الدول النامية منذ البداية . ولكن النتيجة كانت مخيبة للامال ، فبدلا من الاصلاح العام للنظام النقدى ، انتهى الامر في اتفاقية « جاميكا » على الاعتراف بالوضع القائم واباحة تقلبات اسعار الصرف على ما فيه من مخاطر للدول النامية . وعند زيادة حجم حقوق السحب الخاصة لم تتغير قواعد توزيعها ، بحيث ظلت خاضعة لحصص الاعضاء في الصندوق (بالرغم من حدوث تغيير طفيف في حصص الاعضاء زاد من دور الدول النفطية ، وهى اقل الدول النامية احتياجا لقروض الصندوق) .

وهكذا نجد أن الدول النامية كانت غائبة تماما عند تكوين نظام النقد الدولي القائم ، وان تطوره لم يراع مصالحها ، بل ان بعض التطورات كانت مع محاباتها للدول الصناعية تضع لاقوى هذه الدول (الولايات المتحدة) مركزا متميزا باستمرار . كذلك فان الاصلاحات والاجراءات التي اتخذت للتعديل في نظام النقد الدولي سواء عند انشاء حقوق السحب الخاصة او زيادتها لم تضع اية حماية لمصالح تلك الدول . ورغم ان الدول النامية شاركت في التحضير للتعديل الثاني في اتفاقية الصندوق ، فان ماتم الاتفاق عليه بعيد عن ايجاد نظام خاص للدول النامية باستثناء بعض الامور ، واهمها :

ـ التوسع في منح قروض للمساعدة في احوال العجز الناجم عن قصور الصادرات .

ـ تكوين صندوق لمساعدة الدول النامية تكون موارده من نصف حصيلة بيع الذهب .

وهذه امور غير كافية لمسايرة احتياجات الدول النامية . ولا يزال نظام النقد الدولي ـ كما كان عند انشائه بعد الحرب العالمية مباشرة ـ نظاما يساعد على نمو التجارة وخاصة بين الدول الصناعية ولايكاد ان يكون له شان بقضية التنمية . ■■

د . حازم الببلاوى

ليس مهماً أن تأ... الأهم أن تتعاطى الفيتامينات !

بقلم : الدكتور عبد اللطيف ابو السعود

كان عالم الكيمياء الفرنسي برثيللوه يرى ان هدف الكيمياء العضوية هو دراسة المركبات الكيميائية التي توجد في النباتات والحيوانات ، واثبات امكانية تخليق مواد مطابقة لها من مواد غير عضوية او معدنية . وذلك يشكل هدفا واحدا من الاهداف العديدة لعلم الكيمياء العضوية . ولكن الاهتمام بهذا الاتجاه في البحث العلمي قد صادف هوى في نفوس علماء الكيمياء العضوية الاوائل ، وادى الى اكتشاف تركيب عدد من السكريات ، والزيوت الطيارة ، والبروتينات وغيرها من المنتجات النباتية والحيوانية ، والى تخليق عدد منها .

وفي بداية القرن الـ[illegible] ساد الاهتمام بهذه المركبات الكيميائية التي تنتجها النباتات والحيوانات . وقد ادت هذه الدراسات والبحوث الي تكوين فرع هام من فروع العلم ، الا وهو علم الكيمياء الحيوية . وكان من اوضح مظاهر هذا التطور التعاون الوثيق بين علماء الكيمياء العضوية ، وعلماء وظائف الاعضاء ، في عمليات تغذية الانسان ، والعوامل التي تحفظ صحته .

وفي تلك الايام ، اشتد الاهتمام بموضوع اللياقة البدنية للانسان ، وكيفية الوصول اليها . ولم يكن غريبا ان يزداد الاهتمام بموضوع التغذية لا من جانب المسئولين فحسب ، ولكن من جانب الناس ككل . ذلك لان الصحة الجيدة تعتمد على التغذية الكافية والصحيحة ، وبدون صحة جيدة ، لايمكن للانسان الوصول الى اللياقة البدنية .

مشكلة التغذية

وحتى اواخر القرن التاسع عشر ، بدت مشكلة التغذية بسيطة للغاية . وكان حلها يكمن في تزويد كل فرد بكمية كافية من البروتينات ، والدهون ، والسكريات : تلك المواد التي تلزم لبناء انسجة الجسم النامي ، ولاصلاح اواستبدال

ما يتلف منها ، ولتزويد الجسم بالطاقة اللازمة لحفظ درجة حرارته ، ولتمكينه من القيام بالاعمال المختلفة •

ولقد كان الخوف من ان تصبح كمية الطعام غير كافية هو الامر الذى اقلق سير وليام كروكس، كما ادى شبح المجاعة الى الاهتمام بانتاج كميات متزايدة من المحصولات الزراعية • وتحقيقا لهذا الهدف ، كان من الضرورى انتاج كميات متزايدة من المخصبات •

زال الخوف ، وحلت مشكلة انتاج طعام كاف لاطعام ملايين الافواه فى مختلف ارجاء العالم واليوم نجد ان الاهتمام قد تحول من الاهتمام بكمية الطعام الى نوعيته • واصبح الخطر على الصحة لا يكمن فى الغذاء غير الكافى ، فربما يكمن فى التغذية غير الصحيحة •

وقبل ظهور الاكتشافات الحديثة فى علم التغذية، كان العلماء ينظرون الى الطعام كوقود وكانت قيمة الوجبة تقاس بقيمتها كوقود ، وكمية الطاقة او عدد السعرات التى يمكن ان تعطيها هذه الوجبة عند احتراقها فى جسم الانسان •

ونظرا لعدم توفر معلومات ادق واشمل ، قنع الناس بهذا الرأى ، الذى كان يتناقض مع الخبرات الطبية •

داء غامض

قبل اختراع الالة البخارية ، كانت السفن شراعية ، تمخر عباب البحار بسرعة محدودة فكانت الرحلات تطول لاسابيع عديدة • لذلك كان من الضرورى ان تحمل هذه السفن فى مخازنها كميات كافية من الاغذية المحفوظة ، التى تبقى صالحة للاكل فترات طويلة ، مثل اللحوم المملحة ،واللحوم المدخنة ، والاسماك المجففة ، والجبن وبسكويت البحارة • وبالرغم من ان بحارة السفن كانوا ينالون قسطا كافيا من الطعام ، الا انهم كانوا يتساقطون اثناء هذه الرحلات الطويلة ، فريسة لداء غامض ، يصيبهم بضعف شديد ، يعوقهم عن القيام بواجباتهم ، ويؤثر فى بشرتهم وتنزف انوفهم ، وتتساقط اسنانهم • وكان هذا الداء يؤدى الى الوفاة فى بعض الاحيان • وقد عرف هذا الداء باسم « الاسقربوط » •

لم يكن هذا الداء يصيب الناس فى البحار وحسب ، ولكنه كان يصيبهم على اليابسة كذ •
فقد مات آلاف من الناس بفعل هذا الداء بـ عن البحر • كما هاجم الجنود الهنود الذين كـ يحاربون فى العراق اثناء الحرب الكونية الاو •
اهتم الاطباء بهذا الداء اهتماما كبيرا ،وعـ على دراسته ، فتبين لهم انه وثيق الصلة بنو الطعام • كما تبين انه يمكن شفاؤه بشرب عـ البرتقال او الليمون • ولم يكن هذا الداء يعـ بدواء ، ولكن بتغيير نوعية الغذاء بحيث يحتو على الليمون او البرتقال •

وابتداء من عام ١٧٩٥م ، امرت البحرية البريطانية بتزويد البحارة بعصير الليمون اثناء رحلاتهم الطويلة فى البحار والمحيطات • فلم تظهر بينهم حالة واحدة من الاسقربوط • وبات واضحا ان الفضل فى ذلك انما يرجع الى مادة توجد فى البرتقال والليمون •

وكان من الصعب على الكثيرين الاقتناع بان هذا الداء المخيف يمكن ان يشفى بهذه الوسيلة البسيطة •

وبطريقة مشابهة ، تبين ان امراضا اخرى مثل البرى ـ برى ، والكساح يمكن تجنب الاصابة بها وشفاؤها بتعديلات فى الغذاء •

وعلى ذلك ، فقد تبين للعلماء ان هذه الامراض لا تسببها سموم او مواد ضارة توجد فى الغذاء او ينتجها جسم الانسان ، انما يسببها خلو الغذاء من مواد ضرورية معينة •

لابد من الفيتامينات

ان ابحاث السير جولاند هوبكنز فى كامبردج

السفن الشراعية
وراء الاسقربوط

فيتامين أ
يريح اجهاد العين

في عام ١٩٠٦م ، وابحاث الاستاذ مكولم والاستاذة مرجريت ديفز ، في الولايات المتحدة ، وفي وقت لاحق ، قد قدمت الدليل القاطع على ان الانسان لن يبقى في صحة جيدة اذا تكون غذاؤه من البروتين، والدهون ، والنشويات ،والاملاح فحسب، فقد تبين انه من الضروري وجود كميات صغيرة من مواد اخرى اطلق عليها اسم الفيتامينات .

وقد مكنت هذه المعلومات الجديدة من الوصول الى نتائج باهرة في منع الاصابة بعدد من الامراض وعلاج الناس منها ، بعد ان ظل سببها غامضا زمنا طويلا ، كما تبين للعلماء ان هناك فجوة واسعة بين الصحة الكاملة والمرض الظاهر وانه حيثما لا يوجد مرض ظاهر ، فان الصحة والحيوية، والتمتع بالحياة ، كل ذلك يمكن تحقيقه بزيادة كمية الفيتامينات في الغذاء .

واليوم يعلم الاطباءجيدا ان الامراض البسيطة، والاسنان المسوسة ،والكساح البسيطوالاضطرابات الهضمية ، وغيرها ، قد تكون نتيجة لاخطاء في التغذية ، ونقص في الفيتامينات ولهذا السبب فقد زاد الاهتمام بتحسين نوعية الاغذية ، ومحتوياتها من الفيتامينات .

لقد ادى اكتشاف وجود الفيتامينات واهميتها، الى حفز البحث والدراسة في مجال مصادروطبيعة « عوامل الغذاء الاضافية » هذه ، كما سميت في بادىء الامر ، وقد اجريت هذه البحوث ومازالت تجرى بنشاط ونجاح كبيرين .

وفي اوائل القرن العشرين كانت هناك ثمانية فيتامينات امكن تمييزها ثم اخذ هذا العدد يتزايد مع مرور الايام ، لم تدرس التاثيرات الفسيولوجية لهذه الفيتامينات فحسب ، ولكن تركيبها الكيميائي كان موضوعا لدراسات مكثفة . ولقد نجحت هذه الدراسات نجاحا باهرا ، بحيث امكن تخليق عدد من هذه الفيتامينات ، كما امكن انتاج عدد منها بنجاح وعلى نطاق صناعي .

لقد ادى الجهل بطبيعته الفيتامينات ،وفرديتها الكيميائية ، الى تسميتها بحروف الهجاء ومازالت هذه التسمية قائمة حتىاليوم . ولقد كان الاعتقاد السائد ان بعض هذه الفيتامينات مفردة ،ولكن تبين فيما بعد انها مزيج من عدة فيتامينات ،ميز بينها بارقام مثل فيتامين ب١ ، ب٧ ، ب٦ ، ب١٢.

الفيتامينات الاساسية

يعرف اليوم من الفيتامينات ما يربو عدده على العشرين ولكن الانسان يحتاج الىمعظمها.

● فيتامين أ : لهذا الفيتامين اهمية فيمساعدة وزيادة النمو عند الاطفال . كما انه يفيد صحة البشرة والاغشية المخاطية للجهاز التنفسي . ولهذاالسبب،فانه يزيدالمقاومةللعدوىبالبكتيريا.. وعندما يخلو الغذاء من هذا الفيتامين لفترات طويلة ، يؤدي ذلك الى الاصابة «بالعشىالليلي» او عدم القدرة على الابصار في الضوء الخافت ثم الى اصابة العين بالعدوى .

وقد دلت الابحاث الكيميائية على ان فيتامين (أ) يتكون من الكاروتين ، الذي يوجد في المملكة النباتية على نطاق واسع . فهو يوجد فيالطماطم والمشمش والموز ، كما يوجد في الجزر والسبانخ

اعراض البرد العادى يمكن تخفيفها بتناول جرعات كبيرة من فيتامين ج

والخس • وفى عدد من الطحالب البحرية ،وعندما يدخل الكاروتين فى الجسم يتحلل بالماء معطيا فيتامين (ا) •

ويمكن للانسان ان يحصل على حاجته منهذا الفيتامين اما عن طريق الكاروتين الذى يوجد فى عدد من الخضراوات والفواكه ، او بتناوله جاهزا على هيئة الفيتامين نفسه • فى عدد من الاغذية مثل اللبن والزبد والبيض وغيرها ، هذهالاغذية تؤخذ من حيوانات تكون فيتامين (ا) منالكاروتين الذى يوجد فى غذائها • وما يزيد عن الحاجة من هذا الفيتامين يختزن فى الكبد •

وعلى ذلك فان الانسان الذى يتغذى جيدا ، يحتوى جسمه على احتياطى من فيتامين (ا) يمكنه ان يستمد منه احتياجاته ، عندما لا تتوفر انواع الاغذية التى تحتوى على الكاروتين او فيتامين (ا)

على ان اغنى مصدر طبيعى لفيتامين (ا) هو زيت كبد السمك ، وخاصة زيت كبد الهلبوت • لقد تكون هذاالفيتامين من الكاروتين الذى يوجد فى الطحالب البحرية الخضراء ثم اختزن السمكفى كبده ما زاد عن حاجته من هذا الفيتامين •

ويستخلص الفيتامين من زيت كبد السمك ثم يباع فى الاسواق فى صورة عاليةالتركيز • وعلى ذلك فانه يمكننا بسهولة ويسر تعويض اى نقص فى فيتامين ا فى غذائنا •

وفيتامين ا ضرورى لتجديد المادة الحساسة فى شبكية العين ولقد وجد ان الجرعات اليومية من الكاروتين او فيتامين (ا) تريح اجهاد العين وتقلل تعب العاملين فى مضاهاة الالوان وتزيد من كفاءتهم ••

● فيتامين ب ـ ا : والنقص فى هذا الفيتامين يؤدى الى الاصابة بذلك المرض المؤلم المعروف باسم البرى ـ برى • وقد كان هذا المرض منتشرا بين اهل المشرق الذين كانوا يعيشون على اكل السمك والارز •• يوجد هذا الفيتامين فى جرمة او جنين حبة الارز • وطالما كان الناس ياكلون الارز الطبيعى، لم تحدث بينهم اصابات بمرض البرى ـ برى• اما اذا اكلوا الارز

ـوح ، الذى أزيلت من حباته هـذه الجرمات ـر المرض •

وفى الثمانينات من القرن الماضى ، قاسى بحارة ـسطول اليابانى كثـيرا من هذا الداء الى أن ـيف الى وجباتهم التى كانت تتكون من اللحم ارز المسموح ، شعـير كامل يحتـوى على امين ب ١ •

ومن الاغذية الغنية بفيتامين ب ١ الخمـيرة ، رحرمة القمـح ، وصفـار البيض ، والعـدس ، وكبد الثور •

ولما كان هذا الفيتامين لا يختـزن فى الجسم ، فيجب على الانسان ان ياخذ كميات كافية منه فى غذائه اليومى • ويساعد هذا الفيتامين الجسم فى الحصول على الطاقة من الغذاء •

● فيتامين ب ٢ : ثبت أن داء البلاجرا يسببه نقص فيتامين ب٢ • وان توزيعه مشابه الى حد ما المعامل المضاد لداء البرى ــ برى ، الا انه اكثر ثباتا تجاه الحرارة • لذا سمى بالعامل المضـاد للبلاجرا •

والبلاجرا التى تصيب الانسان تؤدى الى اعراض منها نوع من الالتهاب الجلدى ، والاسهال وقـرح فى الفم ، واعراض عقلية •

وينتشر هذا الداء فى حزام القمح الجنوبى من الولايات المتحدة ، وفى مناطق اخرى حيث يتغذى الناس على وجبات فقيرة ، تتكون اساسا من القمح كما يظهر هذا الداء فى المصحات العقلية فى الدول الغربية •

وفى عام ١٩٣٥ م ، وجـد ان العـامل المـانع للاصابة بالبلاجرا هو مكون ثالث •

وفى عام ١٩٣٧ م ، وجد ان هذا العامل هـو حمض النيكوتينيك او اميد النيكوتينيك • كما وجد أن حمض النيكوتينيك ذو فعالية فى شفاء الكلاب التى تقاسى من البـلاجرا • وبعـد ذلك بقليل ، تبين انه يفيد فى علاج البلاجرا الادمية •

● الريبوفلافين : وهو مركب اصفر مشع ، يذوب فى الماء • ولقد اكتشف لاول مرة فى اللبن وذلك فى عام ١٨٧٩ ثم وجد بعد ذلك فى البيض والكبد و الكلية • وتبين فى عام ١٩٣٣ م انه يزيد من الفئران • كما ان النقص فى هذا الفيتامين يؤدى الى اصابة البشر بمرض معين يمكن تمييزه من التهاب الشفاه •

● فيتامين ب ٦ : اكتشف فى عام ١٩٣٤ م ، وهو ضرورى لشفاء مرض جلدى معين فى حيوانات التجارب وقد فصل هذا الفيتامين فى عام ١٩٣٨ م كما عرف تركيبه •وهذا الفيتامين ضرورى للنمو ، كما انه عامل مساعد فى تكوين انسجة الجسم •

● فيتامـين ب ١٢ : عندمـا تبين أن الحـقن بمستخلصات الكبد الغالية من البروتين يشفى من من انواع الانيميا • شجع هذا الكشف العلماء على بذل الجهد لمحاولة فصل العنصر الفعال من الكبد ، وكان التقدم بطيئا ، لانه لم تكن هناك طريقـة للكشف عن هذا الفيتامين ، الى ان لاحظ العالم شورب فى عام ١٩٤٧ م أن مستخلصات الكبد التى كانت تفيد فى معالجة الانيميا كانت تساعد على نمـو بكتيريـا معينة • وقـد ادى هـذا الكشف ، بالاضافة الى ما تبين من أن فيتامين ب ١٢ ذو لون احمر زاه ، الى عزله وبلورته ، ويتميز هـذا الفيتامين باحتوائه على عنصر الكوبالت ، الـذى يمكن ان يعزى الى وجوده اللون الاحمر لهـذا الفيتامين •

وهو مادة ضرورية لعملية تكوين كرات الـدم الحمراء الجديدة •

● فيتامين ج : وهو الفيتامين الذى يحمى من الاصابة بالاسقربوط • وقد عرف الناس منذ زمن طويل انه يوجـد فى الخضراوات الطازجة ، وفـى الموالح وقد امكن فصله فى عام ١٩٣٢ م على صورة متبلرة نقية وبكميات كبيرة نسبيا ، من الفلفـل الاحمر المجرى ، وفى العام التالى ، امكن معرفة تركيبه ، وتم تخليقه وهذا المركب مطابق فى تركيبه لحمض الاسكوربيك •

وحمض الاسكوربيك تجرى صناعته اليوم على نطاق واسع وبذلك اصبح فى متناول الجميع فى كل زمان ومكان •

● فيتامين د : تبين أن الكساح الذى يكـون مصحوبا عادة بالتكلس غير الكامل للعظام والاسنان ، لا يسببه نقص املاح الكالسيوم والفوسفات فحسب ، ولكن يسببه كذلك نقص فيتـامين د • وحتى اذا توفرت الامـلاح اللازمة فان هذا الفيتـامين يلزم لامكان استغدامها على الوجه المطلوب •

وبالرغم من عدم ظهور الاعراض الواضحة للكساح مثل تقوس العظام وغيره من الاعراض ، فان الفحص بالاشعة قد يبين وجود هذا المرض في الاطفال الاصحاء ظاهريا ٠

اما في البالغين ، فان نقص فيتامين د يتسبب في الاستخدام غير الكامل لاملاح الكالسيوم والفوسفور ، الامر الذي يظهر على صورة لين العظام ٠

واهم مصدر طبيعي لفيتامين د هو زيت سمك القد ، او زيت كبد سمك الهلبوت ٠ كما يوجد هذا الفيتامين في اللبن ، والزبد ، والبيض ٠وفي فصل الشتاء تنقص كمية الفيتامين ، ولذلك فانه يجب تعويضها بجرعةمن زيت كبد القد او الهلبوت أو من الفيتامين النقي ٠

وفي عام ١٩١٩ م ، اكتشف ان الكساح يصاحب غياب ضوء الشمس ، وانه يمكن شفاؤه او تخفيف وطأته بالتعرض لاشعة الشمس ، او للاشعة فوق البنفسجية التي يشعها مصباح بخار الزئبق ٠

وفي عام ١٩٢٤ م ، تبين انه يمكن تعريض الاغذية للاشعة فوق البنفسجية لتصبح ذات نشاط مضاد للكساح ٠

وفي عام ١٩٢٧ م ، اكتشف سر تأثير اشعة الشمس ، والاشعة فوق البنفسجية سواء كان مصدرها الشمس أو المصباح الزئبقي ٠ وجد ان مادة الارجوستيرول ، وهي مادة تشبه الدهن توجد في غدد الجلد الدهنية ٠ وفي الاغذية التي تعرض للاشعة فوق البنفسجية ، تتحول هذه المادة بتأثير الضوء الى مركب ذي نشاط مضاد للكساح ٠

● فيتامين هـ : في عام ١٩٢٢ ، اكتشف العالمان ايفانز وبيشوب هذا الفيتامين ، الذي تبين انه ضروري لعملية التناسل الطبيعية في الفئران٠ وقد اكتشف العالمان شور وماتيل ، كل منهما على حدة ، الدليل على وجود هذا الفيتامين المضاد للعقم ٠ وقد تبين ان نقص هذا الفيتامين يؤدي الى اعراض اخرى بالاضافة الى العقم ، منها الشلل المصحوب ، باضطرابات عضلية ، وتأثيرات غير طبيعية لعملية الاكسدة في الانسجةالدهنية٠

وقد امكن فصل هذا الفيتامين في صورة متبلرة في عام ١٩٣٦م ٠ واطلق عليه اسم الفا ـ توكوفيرول ٠ ويوجد هذا الفيتامين في سبعة صور هومولوجية على الاقل، لهانفس التركيبالكيميائي الاساسي ، ولكن لها نشاطات بيولوجية مختلفة . وجدير بالذكر ان هذا الفيتامين يمكن ان يحل محله في بعض وظائفه العديدة على الاقل ، عدد كبير من البدائل ، منها صبغة ازرق الميثيلين ،وعنصر السيلينيوم ٠

●فيتامين ك : في عام ١٩٣٥م ، وصف العالم دام من كوبنهاجن فيتامينا جديدا لتجلط الدم ٠ لقد وجد ان غذاء تجريبيا من الحبوب والخميرة قدم للفراريج لتتغذى عليه ، ادى الىاصابتها بالنزيف ٠ وقد امكن ارجاع سبب هذه الحالة الى تاخر تجلط الدم ٠ وتبين ان سبب ذلك هو قلة كمية البرولرومبين في الدم ٠

واليوم نجد لفيتامين ك استخدامات كثيرة في منع التجلط غير الطبيعي للدم ، وخاصة في الاطفال حديثي الولادة ٠

لقد امكن معرفة الكثيرعنالفيتامينات الرئيسية، والامراض التي تنشا عن نقصها ٠ كما امكنتعيين التركيب الكيماوي لمعظم هذه الفيتامينات ووصف طرق لانتاجها صناعيا ٠ كذلك درست دقائق توزيعها في انواع الاغذية المختلفة ٠ وفي كثير من الحالات ، اصبحت طريقة عمل بعضالفيتامينات واضحة ومفهومة ، ولكنه بالنسبة للبعض الاخر ، وخاصة فيتامين ا ، هـ لا يزال هناك كثير منالبحث والدراسة للوصول الى ذلك الهدف ٠

والامل كبير في ان تؤدي البحوث في هذاالمجال في المستقبل الى فهم اعمق للعمليات المختلفةالتي تمر بها هذه المركبات الضرورية ، التي قد تؤدي بدورها الى استخدام اوسع لهذه الفيتاميناتفي العلاج الطبي ٠

ومن الاتجاهات الحديثة في ابحاث الفيتامينات تحديد السبب في ان جرعات كبيرة من بعض الفيتامينات ، تزيد كثيرا عن الاحتياجات اليومية المعروفة ، كثيرا ما تنجح في علاج امراضاخرى٠ مثال ذلك استخدام جرعات يومية مقدارها جرام او اكثر من فيتامينات ج لعلاج ومنع الاصابة بالبرد العادي ، فقد بين عدد من الباحثينان اعراض البرد العادي يمكن تخفيفها بتناول هذه الجرعة الكبيرة ٠ ولكن السبب لم يعرف بعد ٠ ■ ■

د ٠ عبداللطيف أبو السعود

احدث صيحة

فى عالم القانــون

لانه خـلال ٦ آلاف سنة من التــاريخ المكتوب ، لم تعش البشرية فى ســلام الا لمدة ٦٠٠ سنة فقط ، وعاشت بقية هــذا العمر الطويل فى قتال متقطع ٠٠ بسبب من هذه الحقيقة ، كان من المنطقى أن يولد « القانون الانسانى » ٠٠

ماذا تعرف عن القانون الانسانى ؟

بقلم الدكتور احسان هندى

■ يؤكد الفلاسفة ــ عن حق ــ ان الانسان مخلوق يتنازع داخل طيات نفسه عاملا الخير والشر معا، ونجد هذين العاملين فى شتى احداث التاريخ منذ مقتل (هابيل) على يد اخيه (قابيل) حتى اليوم، وكذلك فى مختلف الانجازات ومظاهر الحضارة الانسانية • كما نجد تاثير هذه « الاثنينية » فى مضمار المؤسسات القانونية بشكل خاص : فالقانون ــ بالمفهوم الواسع للكلمة كجملة من القواعد الآمرة التى تنظم العلاقات بين افراد المجتمع ــ كان من الممكن الا يوجد بتاتا لولا تلك النزعــــة الشريرة التى تظهر احيانا فى احد بنى الانسان، او جماعة منهم ، ضد فرد آخر او جماعة اخرى، وتنصب على شخصه او على افراد عائلته او على ملكيته المنقولة وغير المنقولة •

وقد لا نكون قد اتينا بجديد اذا قلنا « ان تاريخ البشرية ملطخ بالدماء » اذ انه خلال ستة آلاف سنة من التاريخ المكتوب للبشرية لم يكن هناك اكثر من ستمائة سنة كفترات سلام لم يحدث فيها حروب على المستوى المحلى او العالمى ، وامــا الباقى (٥٤٠٠ سنة) فلم يكن الا فترات مذابح ومجازر ومعارك كلها دماء !

وكان من الطبيعى ان تنتفض روح الخير الموجودة فى بنى الانسان ، او فى بعضهم على الاقل ، امام

كل هذه المذابح والمجازر والدماء وان تحاول منع حدوثها او الاقلال من حدوثها من جهة ، وان تتم اذا حدثت حسب قواعد معينة يتقيد بها المتحاربون من جهة ثانية، وان لا يحدث الطرف المتحارب في خصمه من الخسائر والضرر اكثر مما تتطلبه مقتضيات النصر من جهة ثالثة .

وهكذا في مضمار انجاز معين من انجازات الانسانية ، وهو ذلك الفرع الذي يسمى اليوم (القانون الدولي العام) ظهرت ثلاثة فروع جديدة هي : ـ قانون الحد من الحروب ـ قانون الحرب ـ القانون الانساني

عن الحد من الحرب

اما (قانون الحد من الحروب) فهو مجموعة النصوص التي تحاول منع حدوث الحروب عن طريق شجبها وتجريمها دوليا او تحريمها في ازمنة معينة وامكنة معينة على الاقل . ويعتقد بعض الباحثين ان اول النصوص التي وضعت في سبيل الحد من الحروب هو (صك عصبة الامم) لعام ١٩١٩ ولكن الحقيقة هي ان النصوص الاولى في هذا المضمار يجب التفتيش عنها في القانون الاسلامي الذي منع القتال في الاشهر الحرم الاربعة (وهذا تحديد من حيث الزمان) وفي المسجد الحرام (وهذا تحديد من حيث المكان) . وقد انتقل هذا التحريم الى اوربة في فترة الحروب الصليبية حيث فرضت الكنيسة بين امراء اوربه المتصارعين خلال القرون الوسطى ما يسمى (هدنة الرب) وهي هدنة اجبارية كانت تفرض على المتحاربين منذ مساء يوم الجمعة وحتى صباح الاثنين من كل اسبوع بالاضافة للفترات التي تسبق الاعياد الدينية المسيحية في عيد الميلاد وعيد الفصح ... وكان يحكم على من يخرقون هذه الهدنة بعقوبة (الحرمان الديني) .

اما قواعد قانون الحد من الحروب التي تم وضعها حديثا فيشملها عدد من النصوص الدولية اهمها (صك عصبة الامم لعام ١٩١٩) و (ميثاق بريان كيلوج لعام ١٩٢٨) و (ميثاق هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٤٥) و (نظام المحكمة العسكرية الدولية لعام ١٩٤٥) و (اتفاقية تعريف العدوان لعام ١٩٧٤)

واما قانون الحرب فيشمل جملة من القواعد التي يجب على المتحاربين ان يتقيدوا بها اثناء عملياتهم الحربية مثل قواعد القصف والقنبلة والحصار والاقتحام ، والاسلحة الحربية التي يجوز استخدامها وتلك التي لا يجوز استخدامها في المعارك . ولقد نشأت قواعد قانون الحرب بشكل عرفي كقواعد يجب احترامها بين المتحاربين ثم تمت صياغة هذه القواعد عبر عدد من المؤتمرات الدولية اهمها مؤتمرا لاهاي لعامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ .

اما بالنسبة للقانون الانساني ، الذي هو موضوع بحثنا هذا فهو ضمن صيغته من أحدث فروع القانون الدولي ظهورا ، ولو ان كثيرا من قواعده كانت تطبق بشكل عرفي بين المتحاربين قبل ذلك . ويمكن تعريف (القانون الانساني) هذا بما يلي : « وهو جملة القواعد القانونية التي تكفل حماية الشخصية الانسانية وسلامتها وتمتعها بممارسة حقوقها والضمانات المقررة لها في زمن الحرب ».

واول ما نلاحظه في التعريف ان القانون الانساني هو « جملة قواعد قانونية » وهذا ما يميزه عن مبادىء الاخلاق الدولية : فقواعد القانون الانساني بالرغم من ان اغلبها مستقى اصلا من مبادىء الاخلاق الدولية الا انها تتميز عنها بأنها ملزمة للدول بعكس مبادىء الاخلاق التي لا تتمتع بصفة الالزام. والنقطة الثانية التي يجب التركيز عليها في التعريف هي (حماية الشخصية الانسانية) اذ ان هذه الحماية هي الموضوع الاساسي للقانون الانساني . والنقطة الاخيرة التي يجب التركيز عليها في التعريف هي تحديد الحماية بزمن الحرب وهذا ما يميز القانون الانساني عن (حقوق الانسان) التي يجب احترامها في كل وقت سواء في زمن السلم او زمن الحرب كما سنرى في نهاية هذا البحث .

ويقوم القانون الانساني على المبدأ التالي

بما ان الحرب شر لا بد منه ـ كما تدل وقائع التاريخ ـ لذا فمن المناسب تخفيف ويلاتها واضرارها ومصائبها ما امكن ذلك . و « لكي تصل الدول الى غايتها من الحرب عليها ان تتغلب على خصمها ويكون ذلك بالقضاء على قوى الخصم سواء من الناحية البشرية او المادية . والقوى البشرية يمكن القضاء عليها بالقتل والجرح والاسر ، وهذه النتائج الثلاث

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا طفلا صغيرا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكلة ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا اذا صالحتم ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له »

هذا في قانون الاسلام وفي بلاد الاسلام، واما في اوربة فقد انصرفت القرون الوسطى بكاملها تقريبا قبل ان تعرف اوربة اى نص قانوني وضعي يتعلق بمبادئ ما يسمى اليوم بالقانون الانساني، اى حماية المدنيين غير المحاربين والمحاربين غير المقاتلين في اشخاصهم واموالهم وحقوقهم ... ولعل انصع دليل على ان اوربة كانت تجهل مبادئ القانون الانساني يتجلى في معاملة من بقي من العرب المسلمين في مدينة غرناطة بعد سقوطها في يد الاسبان عام ١٤٩٢ : فعندما تم تسليم المدينة من الملك ابي عبدالله الصغير الى ممثلي الملكين الاسبانيين فرديناند وايزابيلا،كان من ضمن شروط التسليم ضمان الحرية الدينية للمواطنين المسلمين الذين يرغبون البقاء في المدينة ... ولكن الملكين الاسبانيين نقضا العهد ولم يقبلا منذ سنة ١٤٩٧ الابقاء على حياة سكانها من المدنيين المسلمين الا بشرط تنصرهم ، وكان ان تظاهر بعض هؤلاء بالتنصر مع محافظتهم على تادية فروضهم الدينية الاسلامية داخل بيوتهم ، فكان من نتيجة ذلك تشكيل حملات ومحاكم تفتيشية ضدهم ادت الى افناء ما يزيد عن نصفهم وهجرة النصف الباقي من المدينة الى الارياف المجاورة ، وان مقارنة بسيطة بين هذا التصرف وبين احكام العهود التي كان قادة المسلمين يقطعونها لسكان البلاد المفتوحة من غير المسلمين ، وكيفية تنفيذ هذه العهود ، تدلنا على مقدار السبق الذي حققه الاسلام في مضمار وضع وتطبيق مبادئ القانون الانساني .

واول محاولة جرت في اوربة لادخال فكرة حماية غير المقاتلين في الحروب ـ وهي محور اهتمام القانون الانساني اليوم ـ قام بها احدرجال الكنيسة الفرنسيين ، وهو الكاردينال بيلارمان (١٥٤٢ ـ ١٦٢١ م) الذي يقول في احد كتبه باللغة اللاتينية : « ان غير القادرين على الحرب كالقاصرين والنساء والشيوخ والعجزة الاخرين

يجب عدم المساس بهم ، لان الدوافع الانسانية تدعونا لعدم قتل اولئك الذين لا يستطيعون القتال. وان رجال الدين والاجانب والتجار والفلاحين الذين يزرعون اراضيهم يجب عدم اسرهم تمشيا مع اعراف جميع الامم ».

مثل هذه الافكار الانسانية ، التي كان الاسلام قد عرفها وطبقها قبل ذلك بقرون ، لم تجد آذانا صاغية لها في اوربة الا في اواسط القرن السابع عشر حيث تم تضمين معاهدات (وستفاليا) لعام ١٦٤٨ بعض المبادىء الانسانية في حماية المدنيين وغير المحاربين . وقد وجدت هذه المبادىء تكريسا لها في كتابات فلاسفة ومشرعي القرن الثامن عشر ، وخاصة الفقيه السويسري فاتيل في كتابه (قانون الامم) سنة ١٧١٥ ، والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو في كتابه (روح القوانين) ، والاديب والمفكر الاجتماعي جان جاك روسو في كتابه (العقد الاجتماعي) .

ولكن يمكن القول ان تطبيق هذه المبادىء ووضع هذه الافكار في حيز التطبيق والعمل لم يحصل بشكل فعلي الا خلال القرن التاسع عشر بعد احداث الثورة الفرنسية التي تركت تطورا ضخما في شتى مظاهر الحياة وخاصة من حيث نقل بعض مبادىء القانون الانساني من اطار المبادىء الاخلاقية غير الملزمة الى اطار العرف الدولي الملزم للجميع .

اما نقل هذه المبادىء العرفية الى قانون وضعي فلم يحدث الا في منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك قصة يستحسن ان نتوقف قليلا عندها :

ففي عام ١٨٥٩ شارك رجل سويسري اسمه (هنري دونان) في معركة (سولفيرنيو) بين فرنسة والنمسة ، وقد صدمته هذه الحرب وفجائعها ومآسيها فالف كتابا بعنوان (ذكرى سولفيرنيو) ، دعا فيه الدول الاوروبية الى اتخاذ عدد من التدابير اهمها « عقد مؤتمر دولي يقوم بصياغة اتفاق تعاهدي مقدس توقع عليه الدول ثم تصدقه ليصبح بعد ذلك منطلقا لتشكيل جمعية لمساعدة الجرحى في مختلف حروب البلدان الاوروبية » .

وبالفعل تشكلت الجمعية التي دعا اليها بعد ذلك باربع سنوات .. (سنة ١٨٦٣) برئاسته وتحت اسم (اللجنة الدولية للصليب الاحمر) ، وذلك في مدينة جنيف بسويسرة تكريما لدور هنري دونان في انشائها . وقد اتخذت اللجنة لنفسها شعارا دوليا هو « الصليب الاحمر على ارضية بيضاء » ، وهو عكس الوان العلم السويسري (الذي هو صليب ابيض على ارضية حمراء) وذلك تكريما لدور سويسرة نفسها في انشاء الجمعية واظهارها للوجود .

كما يبدو تكريم سويسرة من جهة اخرى في ان اعضاء هذه اللجنة ـ بالرغم من صفتها الدولية ـ يختارون حصرا من المواطنين السويسريين فقط وذلك حفاظا على حيادها ما امكن في المنازعات الدولية.

وقد تبنت هذه المنظمة ـ اي اللجنة الدولية للصليب الاحمر ـ الدعوة الى عقد اتفاقيات دولية للتقليل من ويلات الحرب والتخفيف من مصائبها ما امكن ، ونجحت فعلا في جعل عدد من الدول الاوروبية توقع على اتفاقية بخصوص (تحسين احوال الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية) وذلك في يوم ٢٢ آب (اغسطس)١٨٦٤، وتسمى باسم (اتفاقية جنيف الاولى) . واتفاقية جنيف هذه هي اول اتفاقية من سلسلة اتفاقيات تتابعت في جنيف في اعوام ١٨٠٦ ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٤٩ وتشكل في مجموعها قواعد القانون الانساني موضع بحثنا هذا . ولذلك نجد بين المؤلفين من يطلق عليها جميعا اسم (قانون جنيف) او (قانون الصليب الاحمر) ، ولكن مع قبولنا لهذين التعبيرين الاخيرين فان تعبير (القانون الانساني) يبقى اعم واشمل منهما .

واتفاقيات جنيف المتعاقبة هذه تنسخ كل واحدة منها الاخرى، ومعنى هذا ان الاتفاقيات السارية المفعول اليوم هي فقط اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩، وهي اربع اتفاقيات تغطي الجوانب التالية: تحسين اوضاع الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية ـ تحسين اوضاع الجرحى والمرضى والمنكوبين في الحروب البحرية ـ معاملة اسرى الحرب ـ ثم حماية الاشخاص المدنيين في الحرب .

وهذه الاتفاقيات الاربع تشكل في جملة بنودها (حوالي ٤٠٠ مادة) اربعة اخماس احكام القانون الانساني المعروفة اليوم . واما الخمس الباقي فنجده متناثرا في نصوص دولية اخرى .

وقبل ان ننهي بحثنا هذا من المستحسن ان نذكر

ـه هناك فرق بين (القانون الانسانى) منجهة ن (حقوق الانسان) من جهة ثانية ،فبالرغم من الاثنين يشكلان جانبين من جوانب القانون ـولى العام المعاصر ، الا ان لكل منهما نطاق بيقه ، حيث ان (القانون الانسانى) لا يطبق : يوضع موضع التنفيذ الا فى حالة الحـرب , لذلك يدرس مع قانون الحرب) ، واما(حقوق لانسان) فهى ذات طابع شامل من المفروض ان طبق فى جميع الظروف والحالات ــ اى فى حالتى لسلم والحرب معا ــ ولو ان المؤلفين اعتادوا حثها ضمن (قانون السلم) لانه هو القاعدة انظر المخطط) ٠

وتشمل حقوق الانسان بشكل اساسى (الاعلان لعالمى لحقوق الانسان) الذى يحمل تاريخ ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، و(اتفاقيةحماية لجنس) لنفس العام ، وجملة اتفاقيات انسانية خرى ٠

وجميع دول العالم المعاصر تقريبا منضمة الى اتفاقيات جنيف الاربع لعام ١٩٤٩ التى تشكل القانون الانسانى ، بل هناك دول ليست اعضاء فى هيئة الامم المتحدةوهىاطراف فى هذهالاتفاقيات وذلك بالاضافة الى الجمعيات الوطنية (جمعيات الصليب/ الهلال الاحمر) الموجودة فى كل بلد ، والى المنظمات الدولية ذات الطابع الانسانى٠

ومن الجدير بالذكر انه هناك مادة فى كل من هذه الاتفاقيات الاربع ، وكذلك فى بروتوكولى جنيف لعام ١٩٧٧ تلزم الدول الاطراف بنشر الاحكام الاساسية الواردة فى الاتفاقيات وتعميمها على اوسع مدى ممكن ، وتعليمها فى المعاهد العسكرية والمدنية ، لكى يلم كل فرد باهم احكام القانون الانسانى ٠ وهذا هو اهم الاسباب التى دعتنا لكتابة هذا المقال ونشره ٠ ■■

د ٠ احسان هندى (الدار البيضاء)

حفل راقص فى معسكر الضباط

● في اكتوبر عام ١٩٤٤ خلال الغزو الالمانى لاوروبا حوصرت مفرزة المانية كانت تحتل مدينة دنكرك وأصبحت محـاطة من جميع الجهات بالبحر وبقوات الحلفاء وبوصفنا أعضاء فى الوحدة البريطانية المتخصصة بالحرب النفسية فقد كانت مهمتنا دفع المفرزة الالمانية الى الاستسلام فى أقرب وقت ممكن ٠ وعلى الفور أحضرنا سيارتنا الكبيرة المجهزة بمكبرات صوت قوية فى مكان ملائم وسط حقول تغمرها مياه الفيضان على مشارف المدينة ٠ وقد أمضينا نهارا كاملا ونحن نتحدث اليهم ونحثهم على الاستسلام لانه لا نجاة لهم الا بذلك ، وكنا نبثمن جهاز تسجيل موسيقى المانية كلاسيكية ، غير أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل ٠ وفى الساعة السابعة مساء كافح اثنان من المدنيين الفرنسيين عبر الحقول حتى تمكنوا من الوصول الينا وسلمونا رسالة موجهة من قائد المفرزة ٠ وبينما كانت الافكار تتزاحم فى رأسى عن قرب استسلام المفرزة الالمانية بكاملها فتحت الرسالة وأخذت أقرأ ما جاء فيها : موسيقى باخ وبيتهوفن كانت رائعة ونحن نقدر لكم هذا الصنيع ولكن يا حبذا لو يوجد لديكم موسيقى لجلين ميللر ، لانه لدينا حفل راقص فى معسكر الضباط الليلة !

جون كامبايلسبورى ــ باكنكغ هامشاير

من انتاج القنبلة الذري
الى محكمة مجلس الشي
دكتور عبد العظي

تسلق الجبال ، وهو اولا واخيرا عالم فيزياء دولى مرموق فى ابحاثه ودراساته •

ومثل علماء امريكيين واوربيين كثيرين عرف اوبنهايمر طريقه الى العمل فى انتاج القنبلة الذرية من خلال جو الفزع العام الذى سيطر على علماء عديدين غداة نشوب الحرب العالمية ، لئلا تستطيع المانيا النازية ان تسبق الحلفاء فى انتاج السلاح الرهيب وفى استخدامه •

فى مواجهة المشكلة

وقد عبر اينشتاين عام ١٩٣٩ عن هذا الفزع العام فى الرسالة التى ارسلها الى الرئيس الامريكي روزفلت عن طريق مستشاره الاقتصادى ساكس الذى كان صديقا حميما لاينشتين • وكان ثمة دلائل عديدة على ان الالمان يعملون فى هذا المجال بسرية كاملة ••• ومن هذه الدلائل ان المانيا قد استولت على الوف الاطنان من اليورانيوم عندما اجتاحت بلجيكا ، وانها تفاوضت مع حكومة تشيكوسلوفاكيا لاخذ اليورانيوم والراديوم الموجودين بمناجمها ، وعندما اجتاحت المانيا النرويج وضعت يدها على اول مصنع فى العالم لانتاج الماء الثقيل الذى يمكن باستخدامه بناء مفاعل ذرى بسهولة فائقة • وعندما بدات المانيا بناء الصواريخ V-2 زاد قلق العلماء فى الغرب ، وكان منطقهم ببساطة ان هذه الصواريخ من الصغر بحيث يكون تاثيرها ضعيفا اذا استخدمت المتفجرات العادية كرؤوس لها ، ولابد اذن ان يكون هدفها الحقيقى ان تكون مسلحة برؤوس ذرية •

وقد ثبت تاريخيا ان الالمان فشلوا رغم جهودهم فى انتاج القنبلة الذرية ، وكان لهذا الفشل اسباب عديدة من بينها ان التنافس بين الوزارات المختلفة فى المانيا لانتاج القنبلة الذرية قد اعاق التنسيق وادى الى تبديد الجهود ، ومن بينها ايضا خطأ علمى بسيط ــ وان كان قاتلا ــ وقع فيه الالمان وادى بهم الى الاعتقاد انه يستحيل استخدام الجرافيت كوسيط فى مفاعل ذرى يستخدم اليورانيوم الطبيعى ، وانه لا مفر من استخدام الماء الثقيل فى مثل هذا المفاعل ، وادى

هذا بالالمان الى الاعتماد الكامل على المصنع النرويجي للماء الثقيل ، هذا المصنع الذى دمرته طائرات الحلفاء اكثر من مرة مما ادى الى تعطيل برنامج العمل .

وفى هذا الجو المحموم وجداوبنهايمر نفسه عام ١٩٤٢ مطلوبا للعمل فى مشروع القنبلة الذرية ، وكان ثمة نتائج علمية تبشر بنجاح المشروع ، من بينها ان العالم الايطالى الجنسية فيرمى قد استطاع ان يبنى فى امريكا مفاعلا ذريا يقوم على استخدام الجرافيت عام ١٩٤٢ ، ومن بينها ان بريطانيا قد عرضتان تشارك امريكا فى كل معلوماتها عن هذاالموضوع . وعندمااجتمعت اول لجنة علمية من كبار العلماء لبحث المشروع تحت قيادة الجنرال ليزلى جروفز بدا واضحا له منذ اول جلسة ان اوبنهايمر هو افضل العلماء لقيادة المشروع من الناحية العلمية ، فهو الى جانب امتيازه العلمى قادر بشخصيته على ان يقود الاخرين ، وهو رجل ذو كفاءات ادارية عديدة وهو محبوب من الناحية الشخصية من كثير من العلماء الامريكيين والاوربيين .

وهكذا بدا « مشروع مانهاتن » تحت قيادة روبرت اوبنهايمر وبدا اوبنهايمر يحاور نفسه وضميره حول مشروعية استخدام هذا السلاح الرهيب فىالحرب . لقد كان اوبنهايمر واضحا وحاسما فى ضرورة انتزاع السبق من المانيا النازية فى انتاج القنبلةحتى لا يفاجا الحلفاء باستخدامها ضدهم . ولكن المفارقة المأساوية هى انه عندما تم انتاج القنبلة بالفعل كانت المانيا النازية قد دمرت واستسلمت ، وكانت القوات السوفيتية قد اجتاحت برلين ، وكان هتلر قد انتحر ، واستسلمت المانيا دون قيد او شرط ، ولم تبق الا اليابان تقاوم مقاومة هزيلة بأمل الحصول على شروط افضل للهزيمة .

منطق العسكريين

ومنذ استسلمت المانيا النازية فى مايو ١٩٤٥ وانتهى الى غير رجعة جو الفزع المحموم من ان تجد المانيا النازية طريقها الى القنبلة ، بدأ العلماء الامريكيون وفىمقدمتهم اوبنهايمر يفكرون فى النتائج الطويلة المدى المترتبة على وجود هذا السلاح الاستراتيجى الرهيب هل من الضرورى استخدام هذا السلاح الان ؟ واذا استخدم كيف ؟ ثم ماذا سوف يحدث للبحوث الذرية ومعلوماتها بمجرد ان تنتهى الحرب ؟ تلك عينة من الاسئلة التى بدات تعذب الضمائر .

ومن الواضح الان ان اوبنهايمر ـ بعد ان استسلمت المانيا ـ لم يكن متحمسا لاستخدام هذا السلاح فى اليابان . فقد كان تقديره الصائب ان استسلام اليابان مسالة وقت لا اكثر ولا اقل وكان يشاركه هذا الراى عدد كبير من العلماء ، وقد عبر غالبية هؤلاء العلماء عن هذه القناعة فى الاستفتاء الذى اجرته الحكومة بينهم حول البدائل المقترحة فى استخدام هذا السلاح ... واول هذه البدائل كان استخدام السلاح فى اليابان لانهاء الحرب ، وقد صوت بتاييد هذا الاقتراح ٢٣ عالما من بين ١٩٠ . والبديل الثانى هو القيام بتجربة ميدانية فى اليابان يتلوها عرض بالاستسلام قبل استخدام السلاح ... وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح ٦٩ عالما ، والبديل الثالث هو القيام بالتجربة الميدانية فى امريكا بحضور ممثلين لليابان يتلوها عرض بالاستسلام قبل استخدام السلاح ، وقد ايد هذا الاقتراح ٣٩ عالما . وكان البديل الرابع هو عدم استخدام السلاح على ان تعلن امريكا عن وجوده لديها ، وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح ١٦ عالما ، ثم كان البديل الاخير هو عدم استخدام السلاح وعدم الاعلان عن وجوده وقد صوت الى جانب هذا الاقتراح عالمان.

لقد كان واضحا من هذا الاستفتاء ان غالبية العلماء كانت تؤيد ـ كحد ادنى ـ عدم استخدامه فورا ،أو الانذار باستخدامه مععرض بالاستسلام، ولكن العسكريين والسياسيين كان لهم منطق آخر !

انذاك كانت روسيا السوفيتية قد انتهت من حربها فى الجهة الالمانية وبدات قواتها فى الشرق الاقصى التحرك ضد اليابان ، ولذاكان العسكريون الامريكيون حريصين على استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان فورا حتى يعجلوا باستسلامها قبل ان تتقدم القوات السوفيتية فى الشرق الاقصى

ع ان الكسندر ساكس ــ المستشار الاقتصادى روزفلت ــ قد حاور رئيس الجمهورية فى ديسمبر ١٩ حول ضرورة القيام ببروفة امام كل العالم ا السلاح قبل استخدامه الفعلى ، ومع ان روزفلت قد وافق على هذا الاقتراح،الا ان وفاته فاجئة وتولى ترومان رئاسة الجمهورية الامريكية غيرا الموقف تغييرا كاملا •

فور استلام ترومان للسلطة عين فى ابريل ١٩٤٥ لجنة معظمها من العسكريين لتقدم له النصيحة حول استخدام القنبلة الذرية ، وكان من الطبيعى فى لجنة من هذا النوع على رأسها وزير الحرب ان توصى اللجنة باستخدام السلاح فورا، وان ترفض اقتراحات وضعت امام لجنة بضرب غابة قريبة من طوكيو ليلا كانذار اولا ، او اعطاء انذار للاهالى بوقت كاف للجلاء عن المناطق التى سوف تضرب ••• الخ • وقد صدر قرار اللجنة بالاجماع،لهماد احد الاعضاء «بارد»وهو نائب وزير البحرية فاعلن معارضته للقرار واكد هذا بتقديم استقالته،وكانت وجهة نظره ان البحرية الامريكية كفيلة بتركيع اليابان دون استخدام هذا السلاح وان الجيش فى امريكا يريد استخدام هذا السلاح حتى ينسب لنفسه فضلا فى استسلام اليابان •

لقداختارترومان انيلقيقنابلهالذريةعلىاليابان على الرغم من انه كان واضحا من المفاوضات السرية ان اليابان كانت مستعدة للاستسلام اذا لم يتمسك الحلفاء بازاحة الامبراطور منالسلطة•

وفى ٦ اغسطس ١٩٤٥ قامت الطائرة ب ــ ٢٩ تحمل الصبى الصغير ــ كما سميت القنبلة الذرية ــ الذى القى على هيروشيما فى تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا • وبعد ثلاثة ايام من هذا الحدث المروع القيت القنبلة الثانية على نجازاكى ، ولم يكن قد مضى على دخول الاتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان اكثر من ٢٤ ساعة•

وقد دلت الاحصاءات اليابانية على ان ضحايا [illegible]لة نجازاكى هم ٧٠ الف قتيل ، ١٣٠ الف [illegible]بح من بينهم نحو ٤٣ الفا جراحهم خطيرة • وقد اعلنت قيادة الحلفاء فى١٩٤٦ انضحايا هيروشيما هم ٧٨١٥٠قتيل ، ١٣٩٨٣ مفقود ، ٩٤٢٨ جراحهم خطيرة ، ٢٩٩٩٧ جراحهم خفيفة •

فى المحكمة

واثر هذه المذابح الرهيبةانتهتالحربواستسلمت اليابان ، وبقى علماء امريكا حيارى فى مسئوليتهم عن كل ما حدث • وزاد من حيرتهم ان العالم الامريكى تيللر قد اقترح استخدام الحرارة الهائلة الناتجة عن الانشطار فى القنبلة الذرية لتفجير القنبلة الانصهارية التى عرفت فيما بعد بالقنبلة الهيدروجينية،ووقف اوبنهايمر ضد هذا الاقتراح على انه شبه مستحيل فنيا ، ثم وقف بعد ذلك ضده على اساس فكرى وسياسى واضح •

كانت الحرب الباردة فى عنفوانها ، وكان الصراع المرير فى داخل لجنة الطاقة الذرية الامريكية على اشده حول موضوع بناء القنبلة الهيدروجينية ، وكان اوبنهايمر ما يزال رئيسا للجنة الاستشارية فى داخل لجنة الطاقة الذرية الامريكية ، ولكنه فى نهاية الامر خسر الصراع وتقرر بناء القنبلة الهيدروجينية ، واختار اوبنهايمر ردا على هذا الوضع ان ينسحب من جميع المراكز الحساسة التى يشغلها وان يتفرغ لعمله كمدير لمعهد الدراسات المتقدمة فى جامعة برنستون •

ولكن تيللر واصدقاءه السياسيين رفضوا ان يتركوا اوبنهايمر سالما فى عزلته الجديدة ، وهكذا بدات الدراما السياسية الرهيبة التىسميت باسم مسالة اوبنهايمر •

فى ديسمبر ١٩٥٣ استلم اوبنهايمر وهو فى معمله بجامعة برنستون خطابا من لجنة مجلس الشيوخ الامريكى يتضمن اربعة وعشرين اتهاما له ، وكانت خلاصة هذه الاتهامات انه ليس صالحا للعمل فى لجنة الطاقة الذرية الامريكية ، وانه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذى كان ممنوحا له بالاطلاع على الوثائق السرية للجنة •

وقد استمرت محاكمة اوبنهايمر لثلاثة اسابيع

تريدون مصاحف ؟ .. المطابع جاهزة ، والورق المصقول والذهب لن يعز على كتاب الله ، والاغلفة المغطاة بالجلد ـ الطبيعي لا الصناعي ـ والموشاة بكل نقش عربي اصيل ، هي من آجل المصاحف لا غير .

(تاكيدا لحسن النية وتفانيا في خدمة الاسلام وكسبا لمحبة المسلمين، فان زعيما في دولة اسلامية قد امر مؤخرا باصدار مصاحف تحمل اسمه، لاول مرة في التاريخ . يطمئن المسلمين الى انه هو ـ شخصيا ـ قائم على امور الدين ، حارس لكتاب الله !) .

تريدون حجابا ؟ .. بسيطة . بجرة قلم ينزل الستار على كل بنات حواء ، اتقاء للفتنة ودرءا للمفاسد ، وحماية للبسطاء وحسني النية من الشباب والرجال . واذا كانت بعض « الصعوبات الفنية » قد حالت دون تحقيق هذا الهدف النبيل ، الا ان السعي جاد ، ونحن ماضون على الطريق .

تريدون شرع الله ؟ .. وهل يجرؤ احد على القول بغير ذلك . فها قد تحقق المراد من رب العباد في مسالة الاحوال الشخصية ، وفي الطريق الكثير مما يطمئن المؤمنين ويريح ضمائرهم المؤرقة . الخمر منع او في طريقه الى المنع . وجلد شاربه ، وقطع يد السارق ورجم الزاني او سجنه ، بعضها طبق ، والبعض قيد البحث وفي الطريق . اما المرتدون والمنحرفون ، فلن يتساهل معهم احد . وسينالهم عذاب الدنيا والاخرة .

ماذا تريدون بعد ذلك ، وقف الربا من المعاملات المصرفية ؟ .. هذا ايضا قادم في الطريق ، والبنوك غير الربوية تنتشر في العالم الاسلامي بحمد الله. وغدا يتطهر مال المسلمين مثلما تطهر مجتمعهم من الرذائل ، ومثلما تطهرت نفوسهم من الشرور والضغائن .

سعداء ، مرتاحون ، اليس كذلك ؟

الم اقل لكم انه غدا تزقزق عصافير الاسلام ، ويصبح كل شيء على ما يرام ؟

فقط ، اصبروا ، وصلوا على خير الانام !

●

اليس هذا هو « المعروض » علينا في سوق الدعوة الاسلامية ، في العالم العربي على الاقل ؟

قد لا يخلو « السيناريو » من مبالغه . ولكنه لا يخلو ايضا من حقيقة فيما اظن . ولا اتمنى ان نخوض في مناقشة طويلة حول ما اذا كانت هذه التوجهات ـ او بعضها ـ مما جاء به الاسلام او مما جاء به وابتدعه المسلمون . لان ما يحتاج الى مناقشة وتحديد هو : ما هي الاولويات التي ينبغي ان نرتب بها التوجهات الاسلامية . وما هي المداخل الاصيلة لبناء المجتمع الاسلامي ، وماهي المداخل الفرعية او الدخيلة .

ذلك ان رايات الاسلام وبيارقه مرفوعة الان بالحق وبالباطل على اكثر من مسيرة ، واكثر من موقع . ومن حق الناس ان يتساءلوا اي هذه الاعلام يمثل الاسلام الحقيقي ، وايها دخيل على الاسلام . بل من حقهم ايضا ان يعرفوا بأي معيار يستطيعون قياس ماهو معروض عليهم ، ليتبينوا على الاقل ، الى اين هم ماضون ؟

واذا كنت في العدد السابق من « العربي » قد تحدثت عن مواصفات الاسلام المطلوب للمرحلة ، فقد تركت لذكاء القارىء ان يقدر لماذا هذه المواصفات مطلوبة ، ومن المستفيد من هذا الاسلام « المفصل » على قياسات واوضاع بذاتها .

وذلك يذكرنا بما سجله الامام آية الله الخميني في كتابه « الحكومة الاسلامية » عندما روى انه في بداية الاحتلال البريطاني للعراق ، سمع احد كبار الضباط الانجليز مؤذنا للصلاة ، اعتلى مئذنة مسجد ، وراح يدعو الناس بصوت عال ، الامر الذي ادهش

الضباط . وعندما استقصى الامر ، وقيلت له الحقيقة ، سأل القائد البريطاني : وهل في هذا الاذان ضرر على الامبراطورية البريطانية . وعندما تلقى اجابة بالنفي ، كان رده : اذن لا بأس ليستمروا في اذانهم .

واحسب ان كثيرين يرددون مقولة القائد الانجليزي . اذ لا بأس من ان تستمر الرايات والبيارق والسرادقات ، خصوصا وان بعضها ينفع ولا يضر ، والبعض الآخر لا يضر ولا ينفع !

المهم ان تبقى « الامبراطورية » في امان !

●

بماذا تتحقق عملية الفرز والتمييز اذن ، بين ما هو حق وما هو باطل ؟

يحتاج الامر لان نرتفع فوق التفاصيل ، ونجنب انفسنا متاهات الفروع وعالم الخلافات المثارة حولها . فاذا فعلنا ذلك فسوف نجد انفسنا في مواجهة حقيقة كبرى ، بها يمكن القياس والفرز والتمييز .هذه الحقيقة هي ان الاسلام بشقيه ، العقيدة والشريعة، يمثل دعوة الى الحرية والعدل . واذا كان التوحيد هو عماد العقيدة ـ كما قلت في مرات سابقة ـ فان القيمة الاساسية في التوحيد ، والشهادة بان لا اله الا الله ، هي انه بمثابة لتحرير الانسان من الداخل ، ونزع سلطان البشر من على البشر * ، اما الشريعة فقوامها العدل ، ونصوص القرآن الكريم في ذلك والاحاديث النبوية ، واجتهادات الغزالي وابن القيم والشاطبي ، هذه كلها ترددت اكثر من مرة في هذا المكان .

اذن فالمعيار هو الالتزام بقيم الحرية والعدل . كل مسيرة في هذا الاتجاه ، كل دعوة او لافتة او بيرق او حتى هتاف مجلجل في الفضاء ، تلك كلها خطى جادة نحو التطبيق الاسلامي الامين . وهو كلام قاله ابن القيم قبل ٦٥٠ عاما ـ ذكرته واكرره ـ اذ اعلن انه « اذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل ، واسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه » .

وما عدا ذلك ، فكله مضيعة للوقت والجهد .

وليأذن لي الذين يشغلون انفسهم بقضية الحدود واللبس والخلع والسينما والتلفزيون ، ليأذن لي ذوو النوايا الحسنة هؤلاء ، ان انسب اليهم انهم يحاربون على غير الجبهة الاساسية ويلهثون في غير الاتجاه الصحيح .

بل انني ازعم ان فتح هذه الجبهات والتركيز عليها يجهض المداخل الاصيلة للوجه الاسلامي الحق . ويشغل المسلمين بالجزئيات ، تاركين للكليات ، التي تمثل جوهر الرسالة وهدفها العظيم .

وباختصار ، قل لي اين تقف من الحرية والعدل ، اقل لك كم انت قريب او بعيد من جوهر الاسلام !

وكلما غابت قيم الحرية والعدل عن اعيننا . كلما بهتت كلماتها في دفاترنا وسقطت من قواميس حياتنا ، وصرنا الى الجاهلية اقرب !

●

وهي مصادفة ، ان كان الموضوع ذاته محل مناقشة طويلة بين مسئول باكستاني زار الكويت مؤخرا ، وبيني .

كان المسئول الباكستاني ، صاحب الرصيد الطيب في مجال الدعوة الاسلامية ،

---

* راجع عدد العربي رقم ٢٣٨ ص ٣٧ ـ والعدالة الاجتماعية في الاسلام للاستاذ سيد قطب.

يتحدث عن التوجه الاسلامي لدى الحكومة الباكستانية منذ الاطاحة برئيس الوزرا السابق « ذو الفقار علي بوتو » في عام ١٩٧٧ م .

قال انه في العام الماضي اعلن رسميا اسقاط جميع القوانين التي تتنافى مع القرآن والسنة ، ومنذ شهر فبراير من العام الحالي بدأت خمس لجان شرعية دراسة كل القوانين المعمول بها ، ولها صلاحية مطلقة في الغاء اي قانون يخالف الشريعة .

وقال انه اعتبارا من فبراير الذي انقضى ايضا ، تم تعديل القانون الجنائي في باكستان ، بحيث تطبق الاحكام الشرعية ، على مقترفي جرائم السرقة والسلب والزنى وشرب الخمر . وظل يفصل من توقع عقوبة قطع اليد،وكيف، وحالات قطع اليد اليسرى ، والقدم اليسرى ، وكيف انه في حالات السلب المسلح تقطع اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكاحل ... وهكذا .

واضاف انه من يوليو ٧٩ ، ستحصل الزكاة والعشر من القادرين لتوزع على الفقراء ، وانه تجرى في الوقت ذاته دراسة اقامة بناء اقتصادي اسلامي ، تخلو فيه المعاملات من الربا ، وان كانت عمليات الادخار بدون فائدة مطبقة بالفعل الان .

ثم سالني : اليست هذه بشائر خير ؟

قلت للمسئول الباكستاني ان هناك ملايين المسلمين يولدون ويعيشون ويموتون ، دون أن يمروا بكل هذه « المحطات » التي توقفتم فيها . وانه اذا كان هذا هو الاسلام المعروض على الناس ، فمعنى ذلك ان هؤلاء الملايين لن يشعروا باي وجود له .

وقلت ايضا ، ان الاسلام وسيلة لاسعاد الانسان ، وان هدفه في النهاية ان يوفر للبشر الذين استخلفهم الله في هذه الارض ، مجتمعا مؤمنا ترفرف عليه رايات الحرية والعدل . وهي مسالة محيرة في الواقع ، ان نشغل انفسنا بمجرم واحد يسرق من كل الف ، بينما لا يعنينا — مثلا — ان نوفر لك ٩٩٩ الاخرين نسيم الحرية الذى يمكن ان يتنفسوه صباح مساء .

وقلت انني لو خيرت بين بلد تحترم فيه الحرية والعدل أيا كانت قوانينه ، وبلد آخر تطبق فيه كل الحدود بحذافيرها ، وتملاء المساجد وتتردد فيه الاذكار ، بينما تنتهك فيه تلك القيم ، لاخترت البلد الاول بغير ادنى حرج .

وسالت : ايهما يعد مدخلا اقرب الى روح الاسلام ، واقرب الى مرضاة الله بالتالي : ان تلغى الاحكام العرفية وتجرى انتخابات حرة يمارس من خلالها المسلمون حق « الشورى » ام ان تطرح مسالة الحدود وتعطى الاولوية على غيرها .

وعندما طال بيننا الجدل قلت ، اننا مخيرون فيما يبدو بين اقامة اسلام الشكل او مضمون الاسلام ، وقد اخترتم الشكل على الارجح بينما المضمون ظل اختيارا مؤجلا ، انتم ادرى به !

●

في هذا المقام ، يطرح بعض الاسلاميين حجة تقول « شيء خير من لا شيء » ، و « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .

وهي حجة مردود عليها بان العبرة ليست بحجم الشيء الذي يتحقق ، ولكن باتجاه هذا الشيء ومساره . وان خطوة واحدة في الاتجاه الصحيح ، خير من عشرة في الاتجاه الخاطيء .

وستظل منارة الحرية والعدل هي مرشدنا الى الاتجاه الاسلامي الصحيح .

ومع كل الاحترام لمنطق دعاة « اي شيء » فان اكثر جهدهم يمضي في اتجاه خاطيء ، ولا القول باطل ! ■■

بقلم : الدكتور علي الراعي

لا تظفر قضية الترجمة في وطنناالعربي بالاهتمام الذى تستحقه،والذى تفرضه علينا الظروف الدقيقة التي‌تمر بها امتنا فى هذا المنعطف الخطير من حياتها •

ان الترجمة في بعض البلاد العربيةمتروكة لاجتهادات الافراد ، أو لمطالب السوق كما يحددها الناشرون التجار ،أو للخطوط السياسية التي ترسمها بعص الحكـومات • وهـده النظـرات‌المتفاوتة لا تخدم قضيةالترجمة الخدمة الواجبة ، بل لعل الارجح أنها تعـوق‌حركتها فى الاتجاه الصحيح •

ولقد شغلت سنوات طويلة بموضوع الترجمة • ترجمت بعض الاعمال الادبية وراجعت ترجمة الغير لاعمال اخرى ، فتخلف لدى شعور قوى بان الترجمة فى وطننا العربى تمر بازمة ، وان هذه الازمة لا بد محدثة بنا ضررا بليغا ، ما لم نحشد قوانا على صعيد الوطن العربى كله ، اضافة الى الصعيد القومى فى كل بلد عربى ، لملافاة الازمة والتغلب عليها •

وقبل ان امضى قدما فى الحديث عن الثقافة العربية والترجمة ، ساحاول ان احدد موقف اللغة العربية والانتاج المكتبى العربى ، والترجمة الى العربية بازاء مواقف وآداب بقية العالم •

من جهة الانتشار ، تحظى اللغة العربية بموقف لا باس به على الاطلاق ، فان عدد المتحدثين بها يمثل ٧ر٢٪ من مجموع سكان العالم ، متساوية فى هذا مع اللغة الفرنسية ومتراجعة قليلا عن اللغة الايطالية (١٠ر٢٪) ومتقدمة على اللغة البرتغالية (٥ر٢٪) (١) •

هل تصبح لغة عالمية ؟

والى جوار هذا ، فان اللغة العربية فى موقف يسمح لها بالانتشار العالمى لو تهيات الظروف المناسبة ، فهى موجودة فى قارتى آسيا وافريقيا • وهى اللغة الرسمية والفعلية لقطاع عريض من الارض والبشر يمتد من الخليج العربى شرقا الى المحيط الاطلسى غربا، ويتجه شمالا ليشمل فلسطين المحتلة والاردن وسوريا ولبنان ، الى جوار أنها اللغة الدينية لبلاد اخرى غير عربية مثل ايران وباكستان وافغانستان والهند واندونيسيا وتركيا وغيرها •

ولكن هل يهيىء هذا الانتشار الكبير للغة العربية ظروفا تسمح لها بان تكون عالمية بالفعل؟

---

(١) احصاءات عام ١٩٦٥ ، كما وردت فى‌كتاب:« ثورة الكتاب » لمؤلفه روبير سكاربيت ، ترجمة اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو •

الجواب مع الاسف هو : لا • وذلك لعدة أسباب ، اولها أن اللغة العربية تتداول في بلاد فقيرة ، خرج معظمها منذ سنوات قليلة من ربقة استعمار اوروبي شرس ، حاول في بلاد عربية عديدة أن يمحو اللغة والثقافة العربيتين معوا ، مثلما حدث في الجزائر ، حيث كاد ان ينجح او ان يجعلهـا لغة ثانيـة بعد لغـة المستعمر ، لا يتكلمهـا الا المتدنون في الثقافة والوضع الاجتماعي كما هو الحال في المغرب وتونس ولبنان •

اما السبب الثاني لقلة نفوذ اللغة العربيـة فهو ان انتاجنا الثقافي والعلمي لم يبلغ حدا يحمل العالم على تعلم لغتنا كي ينقل عن طريقها ما قدمناه من اسهام في شتى الميادين •

وسبب هذا التخلف الثقافي والعلمي والفني هو : سوء الاحوال الاقتصادية في البلدان العربية عامة ، وانتشار الامية ، وعدم توفر حرية التعبير، وهجرة العقول الممتازة الى خارج الوطن العربي • كمـا ان الاتجـاه الى تدريس العـلوم والاداب الاساسية في العالم بلغتها الاصلية ، دون محاولة ترجمة هذه المعارف جميعا الى اللغة العربية ، يحول دون تطور لغتنـا ويحرم القارىء الخـاص والعـام من مزية الاطلاع على المنجـزات الكبرى للثقافة والعلوم ، فضـلا عن أنه يصيب جهـود الترجمة عندنا باحباط واضح •

اضافة الى ما تقدم ، فنحن نكبل أنفسنا بقيود من صنع أنفسنا حين نحجم عن وضع سياسة واضحة وثابتة للترجمـة من لغات العالم ، تقـوم على استقصاء دقيق لحاجات الشعوب العربية وتسعى الى سد هذه الحاجات عن طريق الترجمة من اللغات العالمية ، وتمضي باصرار ومنهاج على دروب توحيد المصطلحات العلمية والادبية المتداولة في أرجـاء الوطن العربي •

وبسبب من هذا الاهمال ، تدني حقل الترجمة في البلاد العربية جميعا ، وسادته الفـوضى ، والتكرار ، والعشوائية ، في اختيار النصوص مما بدد جهدا ومالا كبيرين وأشاع البلبلة فـي عقول الناس •

ومن جهة أخرى أخذنا نفقد المترجمين الموهوبين في حقل الترجمة الادبية — على سبيل المثال — من أمثال محمد منـدور وسامي الدروبي ، ولم يظهر بعدهما وبعد غيرهما من الموهوبين جيل يمكن أن يحل محلهما •

مقارنات مؤسفة

والنتيجة الكلية لهذا ، أنه في الوقت الذي تشتد فيه حاجتنا الى النقل عن البلاد المتقدمة ، تقل وسائل هذا النقـل تدريجا ، ويسود سوق الترجمة صنف من الناس لا هو مؤهل ولا هو قادر على التاهيل • فضلا عن ان الاجور التي تناولها هذا النفر من المترجمين ازاء عمله من الضآلة بحيث لا تسمح له بالاعتمـاد على الترجمة في عيشه ، ولو كان الامر غير ذلك فربمـا استطاع هذا الجيل من المترجمين ان يحسن من مستواه ويزيد من ثقافته ، لخيره هو أولا ، ولخير الترجمة.

ولكي أعطي صورة واضحة عن فداحـة الاثر الذي يتركه فيها قلة الترجمة وسوؤها ، اعرض الاحصاءات التالية :

تتصدر اسرائيل قائمـة المترجمين الكبـار بين الدول ، اذ تبلغ نسبة الكتب المترجمة فيها الى جوار الكتب المنتجة محليا ٤٨٪ • اي أقل قليلا من النصف •

اما نحن فاننا قد وضعنا انفسنا بتقاعسنا وعدم فطنتنا في قائمة صغار المترجمين فنسبة الترجمة في مصر هي ٤ر٧٪ من الانتـاج الكتبي وهـي في العراق ٧ر٦٪ وفي لبنان ٢ر٣٪ •

وسبب تصدر اسرائيل قائمة الترجمة في العالم واضح كل الوضوح • ان هذه دولة تسعى الى دعم نفسها وتثبيت اركانها • وهي تستخدم لغة محدودة الانتشار ، كما ان حاجاتها كثيرة ومتباينة، وانتاجها المحلي لا يكفي ، فهي لهذا تلجأ للترجمة ، التي هي بمثابة السماد الفعال للارض قليلة الانتاج •

ومما يلفت النظر ، ونحن بصدد الحديث عن اسرائيل ، انها تترجم من الكتب الادبية ما يوازي ٦٠٪ من عدد الكتب المترجمة • فليس ثم ما يدعو دولة ناشئة مثلهـا الى القـول بان حاجاتها هي مادية وتكنولوجية وحسب ، كما يحلو للبعض في بلادنا العربية أن يقول زاعما ان اكفاء الحاجات المادية للانسان هو المعول ، وغير ذلك مضيعة للجهد والمال•

وبناء على هذا الزعم نجد نسبة الكتب الادبية في مصر ٣٨٪ من مجموع المترجمات ، ونسبتها في العراق ٦٪ •

ما العمل ؟

الترجمة اذن هي الوسيلة المثلى لمن هو في بلاد

فكيف نخطط
الى العربية
عباسين ·
ـه المترجمة في
لا هي مربحة·
ولة · كما ان
هو من الكثرة
. حتى شركات
لترجمة على
لدول النامية
ما ينبغي لها
، سارعت الى
ن المؤلف فوقع
فادح ، وهو
، الشروع في
براد الترجمة·
لدول أن تتبنى
لطريق المزدوج
ح للغير بسان

اذن ودون دفع
ة القرصنة »
نة فترة من
اما · فلطالما
لونا الى حد
بعض مالنا

بيه (٢) يظهر
يصفها بانها
والاقتصادي
ذه الطباعة ،
ين الشعوب ·
ا اللون من
موجودة في
مواقالمحصورة،
أجر المؤلف
، فان قام
الاصلي على
يقع الا على
لمن الكتاب

المترجم ، لان هذا يحد من انتشاره وبناء عليه ، يتعين على المترجم وحده ان يحمل هذا العبء · ومن لم ندور في دائرة مفرغة ، فنحن لا نترجم بالقدر الكافي لان مترجمينا ليسوا مؤهلين · وهم ليسوا مؤهلين لاننا لا ندفع لهم · ونحن لا ندفع لهم لاننفقات الترجمة كبيرة بالقياس الى العائد منها · هذا طبعا الى جوار اسباب أخرى اكثر اهمية جرت وتجرى الاشارة اليها في هذا المقال ، وتتعاون سويا في خلق ازمة الترجمة في الوطن العربي ·

من التاريخ الاسلامي

فاذا انتقلنا من هذا الاستعراض لازمة الترجمة الى العربية الى الحديث عن الدور الذى لعبته الترجمة في الثقافة العربية ، فلنذكر اهتمام الامويين والعباسيين بنقل علوم الامم التى دخلت مملكة الاسلام أو التى هزمت على ايدى جنوده · فنقلت كتبا فارسية وهندية ويونانيةالى العربية ، وكانت تتناول موضوعات متباينة بينها الطب والفلك والهندسة والزراعة والادب ···

وقد تحولت حركة الترجمة هذه الى ديوان ومكتبة للترجمة سميت بدار الحكمة · ثم تحولت دار الحكمة في عهد الخليفة المامون الى معهد كبير الحق به مرصد مشهور · وكان المامون يطلب الى الملوك الذين هزموا على ايدى جنوده ان يسلموه كنوز العلوم والمعارف التى لديهم كي ينقلها مترجموه الى اللغة العربية · والطريف في هذا ان المامون كان يطلب مثل هذا الطلب الى من هادنه وصادقه ايضا ، فنجده يطلب الىأمير قبرص ان يرسل اليه خزانة اليونان وكانت مجموعة في مكان لايعرفه الا الخاصة · فارسل أمير قبرص هذه الكنوز الى المامون الذى فرح بها ودفع بها الى الترجمة وجعل احد أعوانه المثقفين : سهل بن هارون ، خازنا للمكتبة الجديدة ·

ومن الطريف أيضاان نجد العرب آنذاك ياخذون بمبدأ مراجعة الترجمة ، ضماناالدقتها وكان كل من : سلم وسهل بن هارون ممن يراجعون النقل وينقحون فيه · أما البرامكةفقد عنوا باعادةترجمة بعض الكتب اليونانية التى ترجمت قبل عصرهم ضمانا لمزيد من الدقة والاتقان · ومن امثلة ذلك

، الذى سبقتالاشارة اليه ·

كتاب المجسطي لبطليموس فقد ندب له يحيى بن خالد البرمكي ، اباحسان ، وسلما ، صاحب بيت الحكمة،فاتقنا ترجمة الكتاب واجتهدافي تصحيحه •

وقدكان مننتيجة هذا التوسع الدائب والمدروس والحكيم ان تاثر العقل العربي بعلوم كانت جديدة عليه ، فاخذ يتمثلها ويضيف اليها • وبهذا اصبح العقل العربي في العصر العباسي الاول عقلا متفلسفا ، وعملا علميا ، واخذ هذا العقل يتجاوز مرحلة النقل عن الغير الى الابداع ، على نحو ما اضاف الخوارزمي الى علم الجبر ، وما انتج غيره في علوم الكيمياء والطب والجغرافيا والعلوم الاجتماعية •

والدرس المستفاد من هذا كله ، هو أن الدول لاتتقدم اعتباطا ولا مجانا بل هي تسير قدما بفضل عقل متفتح وسياسة رشيدة،وقدرة على استشراف حاجات الامم ، ووضع الخطط اللازمة لسد هذه الحاجات • واذا كان بعضنا يزعم الان ان ظاهرة وزارات الثقافة التياخذت تنتشر فيالعالم العربي انما هيظاهرة منقولة عنالغرب والكتلةالاشتراكية بالذات ، فانا نقول له : ان وزارات الثقافة لها جذورها العميقة في دار الحكمةالعربية ، وان ما تحظى به هذه الوزارات من نجاح غير منكور حيثما توجد في ارجاء الوطن العربي ، يرجع الى أن انشاءها يستفز ماهو كامن وراسخ في وجدان الشعوب العربية منذ أن نهضت حتى الان •

هي الصناعة الثقيلة

ماذا هو الموقف اذن ؟ وكيف نعيد للترجمة هذا العصر الذهبي الغابر ؟ ان قال أحد ان أمة العرب تخلو من المال فان الثروات الظاهرة والمطمورة في تراب هذا الوطن تكذب قوله • وان قال آخر اننا غير قادرين على التخطيط قلنا له ان دار الحكمة قامت بفضل الرغبة في قيامها ـ أولا وبفضل سياسة رشيدة اغدقت عليها الاموال وبفضل عقول متفتحة لم تخش ان تنقل عن الغير ولم تتردد في ان تلتمس العلم عند أصحابه ، دون محظورات فقد نقل العرب المسلمون عن المسيحيين وعن الهنود من غير اصحاب الديانات السماويةولم يترددوا في انيجعلوا ما نقلوه عرضة للنقاش الواسع الخصب على نحو ما كان من امر المتكلمين وعلى راسهم المعتزلة الذين تعمقوا الفلسفة بجميع [illegible]

ولقد كانت لنا جهود اولى مشرقة في [illegible] الحديث ، بدات بنقل رفاعة رافع الطهطاوي [illegible] شاهده من مظاهر الحياة في باريس وما نقـ[illegible] من نتاج هذه الحضارة في السياسة والادب و [illegible] وتلا ذلك انشاء مدرسة الالسن التي اضـ[illegible] بالترجمة وتعليم اللغات • ثم ترجم أحمد [illegible] السيد أحد كتب أرسطو في المنطق ، فاحدث [illegible] في حياتنا حدثا كبيرا وترجم غيره عيون الادب الغربي في حقول القصة والرواية والمسرحية،مثلما نقل خليل مطران مسرحيات شكسبير وبفضل هذه الترجمات عرف العرب المحدثون هذه الفنون جميعا وادخلوها في ادبهم • ولولا الترجمة ما عرفنا فن القصة القصيرة الراقية متمثلة في موباسان وتشيخوف ولولا الترجمة ايضا ما رحنا اليوم نكتب الروايات الضخمة على شاكلة الحرب والسلام لتلستوي او الروايات النفسية العميقة على غرار دوستويفسكي • ان انجاز محمود تيمور في القصة والرواية وانجاز توفيق الحكيم في المسرح والرواية والسيرة والسيرة الذاتية وانجاز نجيب محفوظ في حقل الرواية مدين لاحتكاك العقول العربية بالعقول الغربية احتكاكا خلاقا ، يستهدف الابداع ولا يقف عند حدود النقل •

وهذا كله هو بعض فضل الترجمة على الثقافة العربية • وليلحظ القارىء انني ادخل في عداد ثمار الترجمة الاحتكاك البدني والمعايشة فيالبلاد المترجم عنها •

غير انني لم أرد بعد على السؤال الذي أطلقته منذ قليل وهو : كيف نعيد الى الترجمة عهدها الذهبي الغابر ؟ ان الاجابة على هذا السؤال متاحة وبسهولة لمن يسير على درب دار الحكمة ومدرسة الالسن ، والترجمة الكاملة لاعمال شكسبير ومشروع الالف كتاب ومشرعي روائع المسرح العالمي في مصر والكويت وكل مشروع شامل من هذا النوع يستهدف ارساء قيم واساليب الصناعة الثقيلة في حقل الثقافة • ان الصناعة الثقيلة هي الصناعة التي تنتج آلات تصنع آلات والترجمة هي الصناعة الثقافية التي تنتجالثقافة التي تنتج المثقفين • ■■

د • علي الراعي

ما العمل :

عندما يصادفك حادث

في الطريق ؟

بقلم : الدكتور محمد طه الجاسر *

في مجتمعنا العربي النامي جوانب عديدة لم يسبق بحثها والاهتمام بها ، وحوادث الطرق احدى تلك الجوانب • وهو موضوع حيوي وخطير ، لان حوادث الطرق تكلفنا العشرات بل المئات من المواطنين بين قتيل ومقعد في كل عام ، ومع ذلك لا نتخذ من التدابير الا ما اقتصر على الاعلان والاعلام بقصد الترهيب من عواقب بعض التصرفات غير المتزنة كفرط السرعة مثلا وغيرها من الاسباب التي تعتبر مسؤولة عن معظم الحوادث ويهدف الحيلولة دون وقوعها ، دون ان نتعدى ذلك الى عمل ايجابي يخفض من تلك الاصابات حين وقوعها ، على اساس ان حوادث الطرق اصبحت ظاهرة من ظواهر الحضارة الحديثة الالية التي لا مفر منها •

ومن الملاحظ اننا وان كنا لم نبلغ بعد من التطور والوعي ما بلغته امم الغرب ، الا اننا في العديد من المجالات نحاول ان نصنع مثلهم دون ان ناخذ بالاسباب • فابتياع السيارات ومختلف المركبات الالية باعداد كبيرة دون تهيئة الطرق السالكة والعناصر الواعية والسائقين المهرة ، المزودين بالخبرة والمعرفة ، له دوره في تفاقم مشكلة الحوادث •

في دول « اسكنديناڤيا » والمانيا وعدد اخر من دول اوربا اصبح تدريب السائقين وكل من يقود سيارة او مركبة وتزويدهم بمعلومات عن الاسعاف الاولي لحوادث الطرق ، احد شروط استيراد المركبات وحيازتها ، وان عملا جادا كهذا يقتضي تعاونا مع مختلف الجهات ممن له علاقة مباشرة او غير مباشرة ، من كان منهم في موقع المسؤولية الرسمية او غيرها • والكل مسؤول : من وسائل الاعلام وقيادات الامن الداخلي وادارات المرور ووزارة المواصلات والاقتصاد والجمارك والجامعات والمؤسسات العلمية ، وتتسع دائرة المسؤولية حتى تشمل المواطنين جميعا • والموضوع بعد ذلك خطير ويتطلب اهتماما بالغا وتعاونا كافيا لوضع خطة لعملة بهدف الدراسة والتنفيذ •

* مدرس علم التخدير والانعاش بكلية الطب -جامعة حلب

٣ أسباب تهدد الحياة

فمصير المصابين بحوادث الطرق غالبا ما يتقرر خلال الدقائق الاولى القليلة التي تعقب وقوع الحادث • لذلك فمن الاهمية بمكان ان يقوم أول شخص يجد نفسه في مكان الحادث باتخاذ تدابير الاسعاف الاولية • وبذلك يمكن انقاذ الكثير من موت محقق او عجز دائم او عاهة مستديمة او تشوه بالغ • فقد ثبت أن معظم الاصابات تنجم عن عدم اجراء الاسعاف الاولى في الفترة الحرجة التي تعقب الحادث وفي مكانه ، والذى يحدث الان في معظم انحاء الوطن العربي ان ينتظر المصابون الى ان يهتدوا الى واسطة تحملهم الى المستشفى وغالبا ما يكون قد فات الاوان •

وبمحض الصدفة قد تكون انت سائق العربة التي تصل الى مكان الحادث لتجد نفسك في موقف

ايقاف النزف

دقيق ، وحولك عدد من المصابين يتوقف مصيرهم على حسن تصرفك ، وهذا بدوره رهن بما لديك من خبرة ومعرفة بمبادىء الاسعاف الاولى من جهة ، وبمقدرتك على ضبط النفس والمحافظة على الهدوء والسكينة لكى تلم بظروف الحادث وتحاول الاجابة على الاسئلة الحيوية التالية :

ـ ما هو الامر الذى يقتضى أن تبدأ به دون أدنى تمهل ؟

ـ كم هو عدد المصابين ؟

ـ أيهم اصابته أشد خطورة ؟

ومن المعلوم أن هنالك ثلاثة أسباب رئيسية تشكل تهديدا للحياة في حوادث الطرق ، هى :

١ ـ الاختناق

٢ ـ النزف

٣ ـ الصدمة

أما الاختناق فيعتبر مسؤولا عن مصرع عشرين في المئة من المصابين بحوادث الطرق • ومن المؤكد ان ممارسة بعض التدابير البسيطة فيمكان الحادث يمكن أن تنقذ حياة الكثير من هؤلاء الذين يفقدهم المجتمع دونما ضرورة،لانهغالبا مايكون سببالاختناق انسداد مجرى الهواء أو هبوط آني مؤقت في التنفس الا أن الثواني حاسمة،فالانسان لا يستطيع الصبر على نقص الهواء الا برهة وجيزة جدا لذلك كان الاختناق قاتلا سريعا ، ما يلبث أن يقضى على حياة المصاب في دقيقتين أو ثلاث •

والنزف الغزير يشكل خطرا محققا على الحياة، في حين ان ايقاف النزف الخارجي أسهل بكثير مما يتوقع الكثير •

وأخيرا هنالك الصدمة التي قد يغفل الكثير عنها لان مدلول هذه الكلمة لا يتضح الا في أذهان العاملين في الحقل الطبى ، ثم ان اعراضها قد تبدو طفيفة في حين تسرع بصاحبها نحو الموت

تنفس الفم للفم

الا اذا اتخذت التدابير الواقية المناسبة وفي الوقت المناسب •

تدابير سريعة

والان ما هي وسائل الاسعاف الاولى في حوادث الطرق التي تحول دون حدوث تلك المضاعفات الخطيرة التي تهدد حياة المصابين ؟

هناك ستة تدابير اسعافية بسيطة في مقدور كل شخص أن يمارسها ، ويمكن تلخيصها كما يلي :

١ ـ تحرير مجرى الهواء : وذلك برد راس المصاب الى الخلف باقصى ما يمكن ، وقد يكون ذلك كافيا ليستانف المصاب تنفسه بحرية بعد توقف ناجم عن انسداد طريق الهواء وذلك لاتخاذ المريض اثناء غيبوبته وبسببها وضعا منحرفا غير ملائم •

٢ ـ تنفس الانقاذ : ويدعى ايضا تنفس الفم ـ للفم ، ويجب البدء به حالا اذا لم يسترد المصاب تنفسه العفوي بمجرد تحرير مجرى الهواء ، وذلك بان ياخذ المنقذ نفسا عميقا ويطبق بفمه على فم المصاب ويسد انفه ويحافظ على راسه مرتدا الى الخلف ويزفر بشدة معتدلة ، ويراقب صدره ينتفخ ويعلو اثناء ذلك مما يدل على ان الاسعاف يؤدي هدفه ، ثم يرسله في زفير سلبي حر ويتاكد من ذلك بمشاهدة صدر المريض يعود الى سابق عهده ، وتتكرر هذه العملية عشرين مرة في الدقيقة الىان يستعيد المصاب تنفسه الذاتي او تتوافر وسيلة اسعاف اخرى •

٣ ـ الوضعية الجانبية الثابتة : وذلك بوضع المريضالفاقد لوعيه، بعد التاكد من سلامة التنفس والدوران ، على احد جنبيه مع المحافظة على راسه مرتدا الى الخلف ، وذلك بثني ذراعه العليا ووضع يده تحت راسه وذراعه السفلى خلف المريض ، وثني طرفه الاسفل الادنى من الارض عند الركبة • وهذه الوضعية ملائمة جدا ، لانها تيسر التنفس وتسهل اندفاع مفرزات الفم والقيء الى الخارجلكي يظل طريقالهواء حرا ،كما فيالصورة•

٤ ـ تطبيق رباط ضاغط : وذلك لوقف النزف ، وفي حالة عدم توافر رباط فني ،يمكن الاستعانة باي منديل او قطعة من القماش تقع عليها اليد •

٥ ـ رفع الساقين اليالاعلى وحماية المصاب من ضياع الحرارة : وذلك لمكافحة الصدمة التي ان استقرت تطورت واستفحلت ، متسببة في تدهور حالة المصاب فتتحول من سيء الى أسوأ • وهذه الحركة البسيطة تساعد على دفع أكبر كمية منالدم الى المناطق الاكثر حيوية كالدماغ والقلب ، كما ان احاطة المصاب بالدفء ـ دونما افراط ـ تيسر تدفق الدم الى مختلف انحاء الجسم ليحافظ على حيويته ونشاطه ، كما انه ثبت ان ضبط المسعف لاعصابه ومخاطبته لمن كان في وعيه من المصابين ببضع عبارات مشجعة تدخل تحسنا ملحوظا على حالتهم النفسية وتعزز من ثقتهم بانفسهم وبمن يمد لهم يد العون مما يساعدهم على التغلب على الكثير من مضاعفات اصابتهم •

تدابير وقائية

ان على المسعف قبل أن يندفع الى عملية الانقاذ ان يحاول ان لا يصدر عنهاي تصرف يزيد الاوضاع سوءا • ففي حالة وقوع حادث ، كثيرا ما تتــرك السيارات العابرة على الطريق كيفما اتفق ،فتعطل المرور مما قد يتسبب في حدوث سلسلة من الحوادث ، كما ان المارة قد يتجمهرون حول مكان الاصابة مما يعيق عمل المسعف ، ويعرضهم انفسهم لحوادث اخرى ، وخاصة اذا كانالوقت ليلا • لذلك

طريق الهواء مفتوح

طريق الهواء مسدود

فمن الاهمية بمكان ان يحرص المسعف على أن يوقف سيارته على جانب الطريق، وأن يختار بقعة أمينة. وفي الليل يجب اضاءة مصابيح الانذار الامامية والخلفية ، كما يمكن استعمال المصابيح الامامية لاضاءة مكان الحادث ، وينصح المسعف أن يرتدي وشاحا ملونا ـ في حالة توافره ـ ليقي نفسه حينما يكون منهمكا في اسعاف المصابين ، غافلا عن السيارات العابرة . وقد يكون في الامكان وضع اشارات مثلثة ملونة او عاكسة للضوء على مسافة كافية في كلا الاتجاهين لكي يراها السائقون فيخففوا من سرعة آلياتهم في الوقت المناسب، واذا كان محرك السيارة المصابة ما زال يهدر ويدور فيستحسن اطفاء المحرك تجنبا للحريق او حدوث اى ضرر آخر يمكن أن يلحق بالمصابين والسيارة .

محفظة للاسعاف

ولتامين حسن اداء الاسعاف العاجل الاولي في حوادث الطرق يستحسن ان تتوافر في كل سيارة وبصورة دائمة ، محفظة تحتوى على بعض الادوات والمواد التى تجعل عملية الانقاذ أسهل تطبيقا واكثر فائدة ، وعادة يكون في المحفظة المواد التالية :

١ ـ قناع للتنفس : يوضع باحكام على وجه المصاب محتويا فمه وانفه ، ليغني المنقذ عن ان يلصق فمه بفم المريض اثناء تنفس الانقاذ .

٢ ـ اربطة لقطع النزيف : كالرباط الضاغط، وضماد ساتر مع أشرطة لاصقة ومقص .

٣ ـ معدات واقية : كغطاء واق ، وحزام عاكس للضوء ولصاقات لنافذة السيارة ، ووسائل للكتابة وكتيب يلقن وسائل الاسعاف الاولي مع صور ايضاحية .

يبقى أن ننوه هنا ان في بعض الدول المتقدمة اصبح توافر محفظة الاسعاف التى أشرنا اليها في كل سيارة تصنع في البلاد أو تستورد ، شرطا اساسيا ، وعدم توافرها مخالفة لاحد بنود قانون المرور في تلك الاقطار ، يوجب العقوبة ؟ ■■

حلب ـ د . محمد طه الجاسر

● حل مسابقة العدد ٢٤٢ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	ل	ا	ح	ز	ا	ب	لا	ا	ل	ك	ا	س	ر	
٢	.	ا	-	ر	ا	ف	ة	ا	ت	ا		ل	ا	م	ا
٣	ا	ج		ف	د		ب	ب		ق		م	د	خ	ل
٤	ج	و	ش	ى	و	ن		و	ا	ت	و	س	ى		ع
٥	ق	س	م		ن	ت	ح	م	ل		ه	ت		ا	ا
٦	ا		م	س		م		ح	ج	ا	ب	ح	ا	ج	ز
٧	ف	م		ا	ل	ى	ا	م	و	ر		ى	ه	ا	ب
٨	←	ا	ل	م	ع	ز	ل	د	ى	ن	ا	ل	ل	ه	
٩	ا	ر	ا	ق	ب		ى	ب		ب	ل		ا	د	م
١٠	م	ت	ع		ه	د	ا	ن	ى		ع	م	ل		ع
١١	ا	ن	ب	ا		ا	ب	و	ا	ل	م	س	ك		ا
١٢	ن	ل		ا	ل	ل	ا	ه	و	ت		ر	ه	ى	ب
١٣		و	ه	ب	ه		ن	ب	ى		ا	ح	ف	ا	د
١٤	ء	ث		ا	ب	ن	ى		ن	ع	ن	ى		ت	
١٥	م	ز	ن	ه		ا	ه		ا	ل	ت	ه	و	ى	ل

المعز لدين الله

●

أبو محمد بن وهب

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : المعز لدين الله • خلف المنصور • وطد سلطة الدولة فانقادت له بلاد افريقيا كلها • احتل قائده جوهر الفسطاط واسس القاهرة عام ٩٦٩ • شجع العلماء وانشا الازهر •

(٨) راسيا : ابو محمد بن وهب • ولد في مصر ، وصحب الامام مالك عشرين سنة ، وتوفي بمصر عام ٨١٣ م •من كتاباته المعروفة « الموطا » ، و « الجامع » في الحديث •

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :حسني احمد حسن عوض ــ مكة المكرمة/السعودية•

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها:بهية ثناء ابوصالح ــ حلب / سوريا •

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :عوض عمر بكير ــ المكلا / اليمن الديمقراطية •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ امير محمد كمال اسماعيل ــ عجمان / الامارات العربية •

٢ ــ جمال علي خابور ــ عمان / الاردن •

٣ ــ فاطمة احمد عبدالله المضيان ــ الخالدية / الكويت •

٤ ــ مصطفى نصر محمد علي ــ الخرطوم / السودان •

٥ ــ عبدالحميد محمد احمد محمد ــ المحرق / البحرين •

٦ ــ الهيداني الخمار ــ مراكش / المغرب •

٧ ــ راغب محمد السعيد عجاج ــ سمنود / مصر •

٨ ــ احمد عارف القاني ــ بيروت / لبنان •

في العدد ٢٢٥ من مجلة « العربي » المسارفهمي هويدي في ركنه الشهري « للمناقشة »
الى ماروى من (تحفظ) السيدة عائشة رضي عنها في قبول الحديث المروي عن الرسول
صلى الله عليه وسلم « ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ، وذلك بسبب ما ورد في
القرآن الكريم من مبدأ شرعي عام « الا تزروازرة وزر أخرى • وان ليس للانسان الا
ما سعى ـ النجم / ٣٨ ـ ٣٩ » •
وفي خطاب من العراق غفل من التوقيع نشر بالعدد ٣٤١ من المجلة ، نقل صاحبه س

عن الرأي الآخر

الارهاب الفكري

بقلم : محمد فتحي عثمان

ـ نستطيع اذن ان نجمل عناصر الصورة فيما يلي :

ـ فهناك « تحفظ » وقع من السيدة عائشة رضي الله عنها ازاء تعارض ظاهر بين آية وحديث • وهي من هي ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم ورواية عنه والتزاما باحكام الاسلام وفقها فيها • ولم ينكر عليها احد من معاصريها حقها في ذلك ولا من جاء بعدهم بل تناقلوا قولها ورووه •

ـ وقد كان لهذا التحفظ وجاهته عند فقهائنا حتى اختلفوا فيه على ثمانية اقوال ، ولكل وجهته ودليله •

ـ وهذا الحوار (غير المباشر)في هذه القضية قد وعته ذخائرنا الفقهية ، ولم تستبعدها اشفاقا من ان يبدو تعارض ما بين آية وحديث ، ولم تتحرج في بحث القضية التي تبدو حساسة شائكة (وما اكثر ما يبدو لنا حساسا شائكا في ايامنا) ، فهي قضية تدور حول آية قرانيةمحكمة، وحديث نبوي صريح ، وراي يروى عن ام المؤمنين الراوية الفقيهة عائشة رضي الله عنها :

ـ والقضية استمرت مطروحة حتى ايامنا ، وقد وجد المحدث المعاصر الشيخ الالباني حاجة لايرادها ، وارتاى مشكورا ان ينهض بواجبه الذى الزم به الاسلام اهل العلم فادلى بدلوه ، وبين ماكان في تقديره ادنى الى الصواب •

دعوة الى الحوار

وقد اكد القرآن الدعوة الى الحوار المثمر الذى يلتزم الاصول المنهجية والموضوعية ، والاخلاقية ومثل هذا الحوار يسميه القرآن « الجدل بالتي هي احسن » ، ولم يفترض القران ان تعرض دعوته واحكامه من جانب واحد يفرض على الناس فرضا ، بل قدر ان دعوته تستلزم حوارا ونقاشا فامر « بالدعوة » على ان تكون « بالحكمةوالموعظة الحسنة » لتتوفر لها الاسس العقلية والنفسية اللازمة معا ، ثم قرن ذلك بافتراض حدوث

الشيخ المحدث الجليل محمد ناصر الديـــن الالبانى فى كتابه «احكام الجنائز» ان الفقهاء اختلفوا فى صدد ما يظهر لاول وهلة مـــن تعارض بين الحديث والاية على ثمانية اقوال، كان اقربهــا الى الصــواب فى نظــر صاحب الكتاب قولين ، اوردهما صاحب الرسالة •

ولاتزال دلالة الخبر الوارد عــن السيدة عائشة رضى الله عنها قوية بليغة ، بل انها لتزداد دلالة وضوحا وقوة بمــا نقل الشيخ المحدث الجليل من اقوال ثمانية فى دفع التعارض الظاهر بين الاية والحديث اختار منها قولين على ما ذكر صاحب الخطاب !

هو «الفتنة» فى حكم الاسلام

« المحاولة » والتوجيه الى ما يجب فيها بحيث تكون بالتى هى احسن • فقال عز وجل «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ـ النحل / ١٢٥ » •

وما نهى عنه القرآن من جدل ومراء هو تبادل الكلام فى انفعال واثارة بما لا ينتهى الى نتيجة موضوعية (١) وانما يوسع الهوة ويزيد النار ضراما « فمن فرض فيهن الحــج فــلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ـ البقرة/١٩٧ » « فلا تمار فيهم الا مــراء ظاهرا ـ الكهــف / ٢٢ » « ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ـ الكهف / ٥٦ » « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون • وقالوا أآلهتنا خير ام هو ، ماضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون « الزخرف/٥٧ـ ٥٨ » وما اكثر ما يقع الخلط عند الناس بين الجواب المنهجى المثمر البناء والمراء الانفعالى المذموم ، فيؤمر بان تعقل الالسنة وتلغى العقول باسم ذم الجدل والاختلاف والفتنة • !!

والقرآن قد دعا المؤمنين به الى مجادلة غيرهم وايراد حجتهم بالتى هى احسن ، كما تحدى غير المؤمنين وطلب برهانهم • وبذلك هيا المجال للحوار الذى لا مفر منه فى اخطر القضايا وهى قضية الاعتقاد • يقول عز من قائل : «ام اتخذو آلهــة من الارض هم ينشرون» • لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عمــا يصفون •• أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بــل اكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ـ الانبياء /٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ » « أاله مع الله، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ـ النمل / ٦٤ » وقد رد القــرآن على قضايا متعددة اثارها المؤمنون والمشركون ليسلك بالمؤمنين نهج الحوار • ويعلمهم اصوله وسبله وآدابه « يسألونك عن الاهلــة قــل هــى مواقيت للناس والحج •• البقرة ١٨٩ » يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير •• البقرة / ٢١٧» « يسألونك عن الخمر والميسر قل

---

(١) ثمة تفرقة واضحة بين الامرين فى المفردات اللغوية « فالمراء » تستخدم غالبا للجدال المذموم فى النصوص الاسلامية ••• وفى الانجليزية مثلا يعرفون Discuss Dialogue من ناحية و Polemiss او Dispute من جهة اخرى •

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم .. ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ..البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ «وهكذا وردت كلمة «يسالونك» والجواب عليها خمس مرات في ست آيات متتاليات من سورة البقرة . ولم يكن الحوار مقصورا على المسلمين في السؤال والجواب بل كان يشمل غيرهم «ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا .الكهف/ ٨٣ » « ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا . الاسراء ٨٥».

حوار المرسلين

وقد حكى القرآن في مواضع كثيرة حوار المرسلين مع أقوامهم ومنه حوار طويل لابي الانبياء ابراهيم عليه السلام . واذ قال ابراهيم لابيه آزر: اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين .. الايات ٧٦/٧٤ من سورة الانعام ـ وقد تبادل ابراهيم عليه السلام وقومه أطراف الحوار ولم يستاثر به ابراهيم وحده وهو الذي يبلغ دعوة التوحيد الصحيح من قبل رب العالمين « وحاجه قومه ..» الانعام/٨٠ وعقب القرآن على ايراد الحوار بالثناء على ابراهيم في حجته وهي من تعليم الله للمرسلين « وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم.. الانعام/ ٨٣ » ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ـ الانبياء / ٥١ ولقد الزم ابو الانبياء عليه صلوات الله وسلامه قومه الحجة بفعله في الواقعة المعروفة التي اراد ان يعزز فيها حجته عمليا بعد حوار قولي طويل .. « اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين ، قالوا اجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين .قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم. قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا ، فاسالوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال: افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون » .

وحين اخرست حجة ابراهيم القولية والعملية قومه لجاوا الى القهر والاضطهاد والارهاب لنصرة مالم يستطع أن ينصره اللسان والبيان والبرهان « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين. قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين . ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » الانبياء / ٥١ ـ ٧٣ . وفيما اوحى الى محمد رسول الاسلام صلوات الله عليه من الكتاب سورة كاملة تسمى المجادلة وتذكر المجادلة والحوار اكتفى بالاشارة الى صدرها «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير» وقد اوحى الله الى رسوله بما يجيب به تلك السيدة المؤمنة التي اثارت القضية وعلمت السنة النبوية المؤمنات ان يسالن ويناقشن في ادق الامور اذ لا حياء في الدين . !!!

ولقد أورد الامام ابن حزم بابا «في اثبات حجج العقول » في كتابه الرائع الممتع عن أصول الفقه المسمى « الاحكام في اصول الاحكام » رد فيه على من يقول بابطال الجدال والمناظرة.وابان أن الجدال المذموم شرعا هو ما فيه عناد للحق وخصام بالباطل. اما الجدال المحمود فمامور به ومن طريف ما استشهد به الفقيه الجليل ان المسلمين مامورون باتباع ملة ابراهيم ومن ملته المناظرة كما يعبر رحمه الله والنابه ، الى أن قال وقد علمنا الله الحجة على الدهرية والمنوية وجميع الملل وأمر بالجدال على لسان رسوله الذي قال : ، عليه الصلاة والسلام، «جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم» ، وقد علمنا رسول الله وضع السؤال موضعه وكيفية المحاجة ، وقد تحاج المهاجرون والانصار

وسائر الصحابة وحاج ابن عباس الخوارج بامر علي بن ابى طالب « وما انكر احد من الصحابة الجدال فى طلب الحق فلا معنى لمن جاء بعدهم» (٢) .

وبالنسبة للاحكام الشرعية ، افترض القرآن حالة الاختلاف فى الفهم والتاويل والاستنباط من النصوص وفى الاجتهاد فيما سكتت عنه النصوص وأبان عن منهج البحث والاستدلال عند حدوث التنازع « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا ـ النساء / ٥٩» . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه فى الامر اذا احدث تطييبا لقلوبهم ليكون انشط لهم فيما يفعلونه .. فكان صلى الله عليه وسلم يشاورهم فى الحروب ونحوها ، وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبا عليه او من باب الندب تطييبا لقلوبهم ؟ . على قولين ..» (٣) وقد ابى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة مصالحة « الاحزاب » بثلث ثمار المدينة حين طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشورة اصحابه فيه فترك المصالحة بناء على راى السعدين ، واشار جمهور الصحابة عليه بالخروج ليلقى العدو خارج المدينة فى « احد » فخرج رغم انه كان يميل للبقاء فى المدينة والتحصن بها ومواجهة العدو فيها ، بل ان صحابيا اعترض على مكان نزول الرسول صلى الله عليه وسلم يوم «بدر» واشار بمنزل آخر لاعتبارات استراتيجية حين علم ان الرسول نزل برايه لا بناء على وحى ، ووافقه الرسول على الموقع الذى اشار به مادامت عوامل تحديد موقع الجيش هى الراى والحرب والمكيدة « كما قال الصحابى رضى الله عنه» .

والصحابة لا يسكتون

وقد كان الصحابة يمارسون الحوار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما علمهم ولا يكتمون عنه خلجات صدورهم ونبضات عقولهم ، مهما كانت القضية شائكة حساسة والنفوس جياشة بالانفعالات . وحين عقد الرسول الصلح مع رسول قريش سهيل بن عمرو يوم « الحديبية » اتى عمر ابن الخطاب رسول الله فقال له : يارسول الله ، الست برسول الله ؟ قال : بلى ، فقال : اولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، فقال : اوليسوا بالمشركين قال بلى ، فقال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فاجابه الرسول صلوات الله عليه : انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف أمره ولن يضيعنى !! (٤) ولعمر بن الخطاب مواقف متعددة كان يبدى فيها الراى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأتى فيها الوحى مصدقا لرايه الذى قد يخالف ما يجرى عليه الامر ، او يخالف رأيا آخر وقد يكون مع الراى الاخر رسول لله عليه الصلاة والسلام نفسه (٥) ... فهل بعد ذلك من دعوة لابداء الراى مهما كان مخالفا لما عليه الحال او لراى الغير !!

وفى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لقى ربه على اثره ، طلب الرسول صلى الله عليه وسلم يوما صحيفة حتى يكتب لصحابته « كتابا لا يضلون بعده ابدا » ، فدار بفكر عمر بن الخطاب ظن لم يكتمه ، وابداه وتناقله الرواة وحوته ذخائر تراثنا للاجيال المتتابعة ، اذ قال رضى الله عنه وارضاه فى الجنة « ان رسول الله قد غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله فهو حسبنا » ! واثار الموقف ما اثار فارتفع اللغط ، وطلب الرسول صلوات الله عليه من صحابته ان يقوموا عنه ! .

بل حدث من عمر ذلك الحدث المشهور الذى استبان خطؤه فيه ، فما زاد ابو بكر عن ان وجهه الى الحق برفق ، ولم يحكم عليه بانه انكر معلوما من الدين بالضرورة وخالف صريح القرآن اذ يقول سبحانه « انك ميت وانهم ميتون ـ الزمر/٣٠ » « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، افان مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت .» الانبياء / ٣٤ ـ ٣٥ » « وما محمد الا رسول قد خلت من

---

(٢) ابن حزم : الاحكام فى اصول الاحكام ـ جـ١ ص ١٣ ـ ٢٩ .

(٣) ابن كثير : للاية ١٥٥ من سورة آل عمران « وشاورهم فى الامر » .

(٤) من سيرة ابن هشام ـ تحقيق السقا والابيارى وشلبى ـ ص٢ ـ القسم الثانى ص ٣١٧

(٥) انظر مثلا تفسير ابن كثير للاية ٦٧ من سورة الانفال « ما كان لرسول ان يكون له اسرى» .

قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم علـى اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللـه شيئا .. وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ـ آل عمـران /١٤٤ ـ ١٤٥ » « فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ـ الزخرف/٤١، الى غير ذلك من الايات ومن احاديث رسول الله صلوات الله عليه التي تؤكد انه بشر يجـري عليه ما يجرى على البشر ومنه الموت - فانظر الى اثـر الصـدمة بوفـاة الرسـول على ابن الخطاب حتى قال ما قال مما هو متناقل معروف ، وانظر الى ابى بكـر كيف يعالـج الامـر برفق وهدوء حتى تنتهى الضجة الى لا شيء ، وانظر الى الرواة يروون ما قاله عمر في سورة انفعاله وانه لكبير وخطاه جلى بين ، وانظر الى ذخائرنا تنقل الرواية بحذافيرها دون اى (مقص) مـن رقيب « قال ابن اسحق قال الزهرى : حدثنى سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال : لما توفى رسول الله قام عمر بن الخطاب فقال : ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله قد توفى ، وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ! والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فليقطعن ايدى رجال وارجلهم زعموا انه مات !! قال : واقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الـى شيء حتى دخل على رسول الله في بيت عائشه.. ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال : على رسلك ياعمر انصت ، فابى الا أن يتكلم، فلما رآه ابو بكر لا ينصت اقبل على الناس . فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه وتركوا عمر . فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت . قال : ثم تلا هذه الاية (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم .. الاية)قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا هذه الاية نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذ .. » (٦) .

في صميم العقيدة

فابوبكر الصديق سمع مقالة خطيرة تمس صميم العقيدة من عمر باذنيه شخصيا ، وعلم علما القطعى من آيات القرآن وشهادة الواقع تتمثل في جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجى في فراشه وقد يكون آخرون دهمهم مادهم عمر لكن ابا بكر رضى الله عنه وارضاه في الجد اقبل يعالج النفوس الملتاعة المفجوعة والعقول المسدومة المشلولة في رفق وعلى بصيرة ، فاراد ان يحاور عمر فابى الا ان يستمر في انطلاقه واشتعاله وهديره في الجموع ، فتحول الى جمهور الناس فحادثهم بكلمات قصيرة موجزة ، بينة قاطعة ، تحوى الحجة الدامغة من آيات الكتاب المبين . فقطعت جهيزة قول كل خطيب ، وانطفات الفتنه وهدات الزوبعة وعلا صوت الله على كل صوت .ولم يؤاخذ عمر ولا غيره بما لايطيقون اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... وهذا مثل رائع للحوار بين القول والقول ، ومقارعة الحجة بالحجة .. وهكذا تحسم المشكلات والازمات من جذورهـا وأصولها وانما تكون الفتنة في قمع المشكلة حتى تنفجر داخل النفوس والعقول لا في مواجهتها في النور على الملأ ! !

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرائض الاسـلام على الرجال والنساء « والمؤمنـون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ..» التوبة/٧١ « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..» آل عمران/١١٠ وقد لعن القرآن الذين لا ينهى بعضهم بعضا عما يقترف من منكر ووصفهم بالعصيان والعدوان (المائدة /٧٨ ـ ٧٩) .. وقرر رسول الاسلام عليه صلوات الله وسلامه أن الدين النصيحة وهى واجب من كل مسلم لائمة المسلمين وعامتهم وواجب عليهم لغيرهـم وأمر بانكار المنكر بكل وسيلة ومنهـا اللسان ، واعتبر الساكت عن الحق شيطانا اخرس وتوعد الذين ينكلون عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالسخط والعقاب .

---

(٦) سيرة ابن هشام ـ القسم الثاني ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦ .

الله لايعلم أحدكم فى عيبا الا قومه» ·· وعندما هتف بهأحد الناس : اتق الله»فانكر عليهبعضهم، صاح الخليفة الذى يعرف حقوق رعيته ويعرف واجباته « لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها ·· » ولابد ان يكون الاستماع جادا والحوار مثمرا يترتب عليه الاذعان للصواب حين يستبين · ولا يكون السماح بالرأى الاخر مجرد تنفيس لا تترتب عليه نتيجة فيواقع الامور ولقد خطب عمر يوما ينهى عن المغالاة فى المهور فاعترضت امرأة محتجة بدلالة ضمنية لآية من كتاب الله ذكرت المهور فبلغت بالمهر حد القنطار اذ يقول سبحانه : « ··· وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا ـ النساء/٢٠ » وعلى الرغم مما يمكن ان يقال فى هذا المقام ردا على اعتراض السيدة المعترضة ، فقد اختار امير المؤمنين أن ياخذ بوجهة نظرها فى الدلاله الضمنية للآية وقال : كل الناس أفقه منك ياعمر ·اصابت امرأة واخطا عمر ·· وكم كان يسر عمر ويحمد الله حين يسمع من رعيتـه من ينكر عليه ··

ولقد انجب المجتمع الذى ربى على قول الحق والاستماع اليه وحرية الرأى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فتى يحاور عمر امير المؤمنين الذى قال له مرة رجل كبير قوى «ملأت صدورنا مهابة » ! ·· فلقد روى ان عمر كان يمـر فـى الطريق فلقى فتية يلعبون فعدوا مبتعدين عنه حين رأوه الا واحدا منهم ، فابتدر الخليفة الفتى يساله لماذا لم تفر كما فعل رفقاؤك ؟ فاجاب الفتى غير هياب ـ ويروى انه كان عبدالله بن الزبير ـ لم اكن مذنبا فاخاف منك ، ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك ، ولم تكن جبارا فارهبك ! فاعجب الخليفة بالفتى أيما أعجاب وتوقع له الفلاح·· ولقد افلح حقا اذ انكر المنكر جهرا على اصحاب السلطة فى دولة بنى امية ، سواء اكان قداصاب فى اجتهاده من اجل السبيل الصحيح لهذهالغاية ام اخطا ، وسواء اكان حظه النجاح أم الفشل ·

عندما خرجت عائشة

وعائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، التـى «توقفت» وتحفظت بين قول الله تعالى « ولا تزر

وازرة وزر أخرى » وقول رسوله صلوات الله عليه « عن عذاب الميت ببكاء اهله عليه » واختارت ان تمضي مع الاية ايا كان نصيب اجتهادها من الصواب نرى لها اختيارا تاريخيا رائدا ايا كان الحكم عليه .. فقد علمت حق العلم قول الله لنساء النبي صلوات الله عليه « وقرن في بيوتكن» الاحزاب /٣٣ وعلمت ايضا امره تعالى بالامر بالمعروف وانكار المنكر . ولقد انكرت قبول لامام علي بن ابي طالب البيعه على الخلافة ممن ائتمروا بعثمان رضي الله عنه ولوثت ايديهم دمه الزكي. وآثرت ام المؤمنين في اجتهادها الخروج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر على القرار في بيتها باعتبارها من امهات المؤمنين ».

واستشهدت بقول الحق جل وعلا « لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ـ النساء/١١٤» وقالت « ننهض في الاصلاح ممن امر الله عز وجل وامر رسول الله : الصغير والكبير والذكر والانثى فهذا شاننا الى معروف نامركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره» وحين عاتبتها ام المؤمنين السيدة أم سلمة على الخروج اجابتها فيما يروي صاحب العقد الفريد« ..فما اقبلني لوعظك ، وما اعرفني لحق نصيحتك ولنعم المطلع مطلعا فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين » .. ويبدو انه رضي الله عنها لم تتوقع ان يصل الامر بين المؤمنين الى سفك الدماء. وقدرت ان اعلان رايها مع الجماعة التي كانت ترى مثل رايها سوف يترتب عليه حتما رد الامر الى الله ورسوله بين المؤمنين . لان المؤمن ينزل على الحق ويعلم انه اذا شهر السيف في وجه اخيه بغير حق فالقاتل والمقتول في النار .. ولقد كانت الامور تسير في هذه الوجهة كما اثبت المحققون لتمحيص الوقائع التاريخية (٧) لولا ا[ن] اشفق الدساسون واهل الفتنة على ا... سهم من هذه النتيجة ، فنفخوا في نار الخلاف ب... ان كاد الصلح ان يلتئم ، وقد انتصر لراى ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الخروج ابو بكر بن العربي في « العواصم من القواصم » وابن كثير في (البداية والنهاية) وشاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي في (التحفة الاثنى عشرية)(٨) وغيرهم .

ان اعلان الراى الاخر حتى لو خالف الراى السائد او راى السلطة حق تقرره الشريعة للفرد والفئة مهما كانت قليلة .. ولابد من (الاعلان) للراى الاخر حتى يصل الى الجماعة صاحبة الحق والمصلحة في تقرير الامر وهي القادرة على ان تلزم السلطة برايها لان القائم بها انما هو وكيل عن الجماعة ليس غير (٩) والذين يخشون منبة (الجدال) والاختلاف ربما كانوا لا يعرفون الحق اوهم يعرفونه ويحيدون عنه ، ويشيرون دعوى الفتنة على غير حقيقتها في شريعة الله . وانما تاتي الفتنة من اخراس الالسنة وكم الافواه فتندلع النيران من الصدور المحترقة الى الارض والمجتمع والدولة حين تجد ثغرة فتاتي على الحرث والنسل وتكون الفتنة حقا . وهي انما تاتي نتيجة منع الراى لا نتيجة اطلاقه . اورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » « قول عبدالله بن عمر رضي الله عنه وعن ابيه » فعلنا على عهد رسوله وكان الاسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه اما قتلوه او عذبوه ، حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة» . ويقول في تفسيرقوله تعالى « واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل.» « اى قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه الى

---

(٧) انظر مثلا :ابن العربي «العواصم من القواصم» تحقيق محب الدين بن الخطيب ـ اخبار والقصة الجمل .

(٨) ابن العربي ـ العواصم من القواصم ص١٥٩ ـ ١٦٠ والحواشي ، شاه عبد عبدالعزيز الدهلوى مختصر التحفة الاثنى عشرية ـ اختصار محمود شكرى الالوسي تحقيق محب الدين الخطيب ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٩) راجع لصاحب المقال : بين عقد الامامة في تاريخ الاسلام وفقهه ونظرية العقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

الله من القتل
ون ، فيكونوا
حتى يدلـــى
ما يهدى الى
لضرورة حرية
لقصد ملتزما
متابعا للحق
دلته •

ى

الاتهام بالمروق
عب من اثارة
فتنة والاكراه
الحق المبين •
ية حق الراى
ا الى الحجة
ريعة اللهعلى

كان قد هموان
ة فتفرقوا فى
روق بالروم ،
، بنزرعة،وقيل
لمؤمنين ان بنى
بازاء العـــدو
مؤنتهـم فـان
سالحهم عمـر
النصرانيـــة
، فرض الصدقة
جزية على كل
ــ ولكن شاء

عمر ان يسميها اسما آخر هو الصدقة التـــى يدفعها المسلمون مع مضاعفة قدرها ، ولا يسميها جزية مثلما وضعت الاحكام وسارت الســـوابق تقديرا لظرف معين • وقد ارتاى الفقهاء معاملة بنى تغلب فى اقتضاء الصدقة المضاعفة معاملة اهل الزكاة لا اهل الجزية فيرسل اليهم فـــى مواشيهم وثمار زرعهم فى اراضيهم وديارهـــم• قال يحيى بن آدم القرشى : والمراة والرجل من بنى تغلب سواء لانه ليس على رءوسهم وانما هو على ارضهم وقد اختلف فى الصبيان وقال بعضهم يؤخذ منهم لان اليتيم الصغير من المسلمين يزكى ماله » •• وقد روى ان عمر بن الخطاب قال لجبلة ابن الايهم الغساني مثل ذلك،وكان نصرانيا وكان قد خير بين الاسلام او الجزية او اللحاق بالروم• وروى انه لما اختار جبلة الروم اراد عمر ان يرجعه ويخصه بمعاملة تحقق خضوعه لدولة الاسلام والتزامه باحكامها ، واداءه واجبا ماليا معينا دون ان يكون جزية مثلما فعل مع بنى تغلب ، ولكن رسول عمر الى جبلة لم يدركه فى ارض الاسلام بل وجده قد اجتاز تخوم الشام الى بلاد الروم (١١) •

وعلى هذا النهج الذى اتبعه السلف الصالح من الاستماع الجاد والتفهم لراى اصحاب الراى والنقاش المثمر حوله واتباع ما ينكشف من صواب دون اهدار لشريعة الله او تجميدها بغير حق ، نستطيع ان نتوقى الفتن ، ما ظهر منها وما بطن•

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقـــــاب » الانفال / ٢٥ •

■■

الرياض ــ محمد فتحي عثمان

ية ١٩٣ من سورة البقرة « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ••• » والاية
نك عن الشـــهر الحرام •• واخراج اهله منه اكبر عندالله والفتنة
، سورة الانفال •

اج ــ المطبعـــــة السلفية بالقاهرة ط٤/١٣٩٢ هـ ص ١٢٩ ١٣٠ ،
اج بتحقيق احمد محمد شاكر المطبعة السلفية بالقاهرة ــ ط٢ سنة
نصوص رقم ٣٧،٣٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ابو عبيد القاسم بن سلام :
س ــ القاهرة سنة ١٣٦ هـ / ١٩٦٨ م ص ٣٩ ــ ٤٣٠ نصوص رقم
لبلدان •

سردين
SARDINE
٢٧ جلوس. ١٢ وقوف

نأسف لعدم
انقطاع الإرسال

SARTAN
SUPER FILTER
KING SIZE
SARATAN
سرطان
سوبر فيلتر كينج سايز

قداحات
ولكون
هى الأفضل دائما
لاتستعمل غيرها
لاتسرع وعد
لأهلك سالما
٣٠٪ صوف
٧٠٪ نايلون
٥١ - أجره
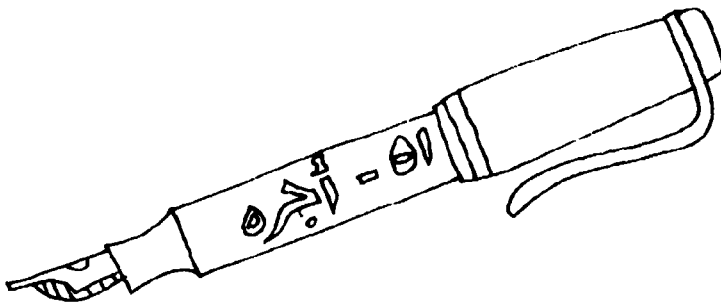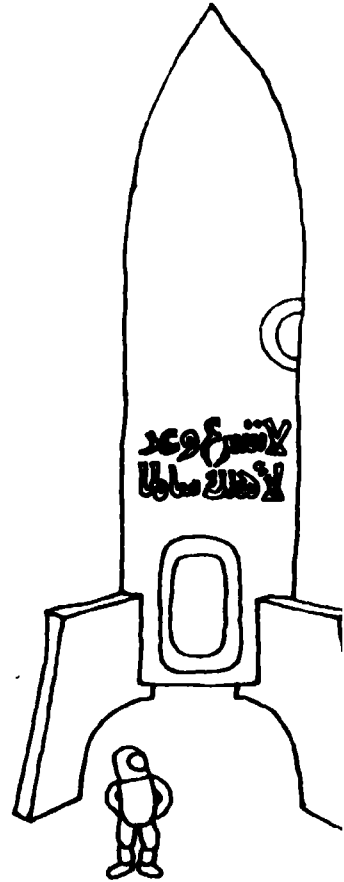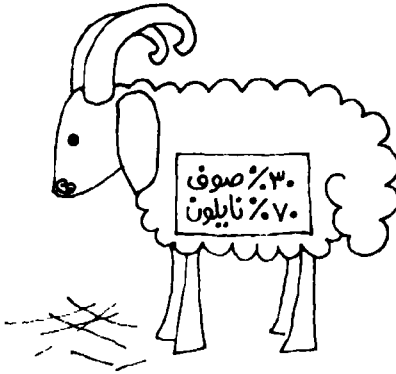
نور الدين محمود

الطريق إلى فلسطين

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

تولى نور الدين محمود ـ ٥١١ ـ ٥٦٩هـ ـ حكم حلب والمواقع المحيطة بها ، بعد مقتل أبيه عماد الدين زنكي عام ٥٢١هـ ، واقتسام امارته الواسعة في الجـزيرة والشام بين أبنـائه ٠٠ واستطاع نور الدين عبر فترة حكمه ٥٤١ ـ ٥٦٩هـ أن يحقق سلسلة من الانتصارات الحاسمه ضد الصليبيين في الشام وفلسطين ومصر ، وأن يقيـم الوحدة بين مصر والشام ويمهد الطريق لتحـرير فلسطين من خلال خليفتـه وساعده الايمن الناصر صلاح الدين ٠

وقد كتبت أبحاث عديدة عن انجازات الرجل السياسيـة والعسكرية ، أمـا الصفحات التالية فتتناول بايجاز جانبا من شخصيته في محاولة لتسليط الضوء على أحد العوامل الرئيسية التي مكنته من تحقيق انتصاراته الكبيرة تلك ٠

اذا ما أردنا الرحيل عبر منحنيات شخصية نور الدين محمـود ودروبهـا وملامحها ٠٠ بحثـا عن الدوافع التي مكنته ، بمساعدة جماهير امته ، من صنع الانتصار ، وبلغنا (تجرد) الرجل و (تقواه) ، فاننا نكون قد (حضرنا) بمواجهة اعظم التجارب في حياته ، واثقلها حجما ، واشدها تركيزا ٠٠ مساحة ناصعة ، مؤثرة ، من اروع المساحات في تكوين الشخصية التي بين ايدينا ، واكثرها ضوءا وعطاء ٠٠ ومن ثم يطول الوقوف ٠

ان التجرد العظيم الذي يمارسه الرجل ، انما يمارسه وهو في قمة السلطة والجاه والاغراء ٠٠ وانه لضغط ساحق يتطلب دفعا هائلا من داخل الشخصية البشرية ، من نسيج الذات لحمة وسدى لتحقيق التوازن المطلوب ، والخروج من التجربة الصعبة بنجاح ٠٠

المعلم الكبير

اننا ، هنا ، نستحضر في اذهاننا صورة عمر ابن عبدالعزيز ، الخليفة الاموي ، وهو يمارس ببطولة نادرة ، الامتحان العسير ، ويخرج منه بانتصار يشرف الانسان المسلم في كل زمان ومكان رغـم انه لقد عبر ساعاته الصعبة ولحظاته

نظة ، زهرة عمره ، وسنى شبابه ، وهو فى
نوان ، بل انه فقد حياته نفسها ثمنا للفوز
، حققه للعقيدة والتاريخ والشخصية البشرية
السواء ..

من وراء عمر ، نستحضر حشدا آخر من
ال الذين صنعهم كتاب الله ، وصاغهم رسوله
يم .. وهو الحشد الذى يقف الرسول نفسه،
الصلاةوالسلام،فى قمته ولاريب،ويضرب مثلا
ا على قدرة (المسلم) على (التجرد) وهو
لمة الدنيا ، يطل من سقفها العالى ، وما
الا الله (ايها الناس ـ قال الرسول بعد ان
انتزع وبرة من جمل يقف قريبا منه ـ والله مالى
من فيئكمولا هذهالوبرة ،الا الخمسوالخمس مردود
عليكم ..) .. ويوم اشتكى اليه أصحابه الجوع
وكشفوا عن بطونهم التى عصبها كل منهم بقطعة
من حجارة ، كشف (هو) صلى الله عليه وسلم
عن بطنه وقد عصبها بقطعتين !!

امـــا ابـو بـكر .. وعمر .. وعثمان ..
وعلى .. وسائر رجالات الجيل الاول الذى عايش
تجربة نبيه وقائده .. فتلتمع صور تجارب تجردهم
العظيم فى الذهن ، ضوءا كثيفا مركزا كالشهب
الثاقبة فى ليلة شديدة الحلكة ، عميقة الظلام ،

. ولن يتسع المجال لمجرد المرور عليها مسرعين ..

. ان التجرد يعني ، في نهاية التحليل ، قدرة المسؤول المسلم على مجابهةثقل السلطة واغراءاتها، وابوابها المشرعة التي تنفتح ، من حيث لا يشعر الانسان احيانا ، على الاخذ الذي يزداد ويزداد حتى يغدو ـ بمرور الايام ـ سرقة وسلبا وابتزازا .. وترفا وتخمة وفسادا .. وتنقفل على العطاء الذي يشح ويشح حتى يغدو جبنا وغلا وجبروتا وطغيانا ..

اننا هنا ـ اذن ـ بمواجهة ما يمكن تسميته باخلاقية العدل الاجتماعي .. ان المسؤول المسلم اذا ما وصل السلطة يوما فعليه ان يتحقق بهذه الاخلاقية : ان ينقلب على ذاته ، ان يغير في تركيبها الداخلي ، مؤشراتها ودوافعها ومنازعها، ويسكت ، من جهة اخرى ، نزواتها وشهواتها .. وان يقابل التاريخ متجردا من هذا كله ، عاريا من كل البطائن والستائر التي قد تحجب او تخفي .. قديرا على العطاء الدائم ، صامدا بوجه الاخذ والاغراء ..

وتقوى اللههي القوة الباطنيـة التي تمنـح المسؤول المسلم القدرة على المجابهـة الصعبـة بالتغيير الذاتي الدائم والتبديل المستمر .. وتعطيه امكانية استجاشة كل الدفوع الممكنة في باطن الشخصية البشرية لمجابهة الضغوط الخارجية الباهظة ، وحل المعادلة الصعبة ، واستمراء الجهد الشاق ، والتعب ، والنصب ، والارهاق ..

وبدون هذا التجرد الذي تصنعه التقوى .. بدون اخلاقية العدل الاجتماعي هذه .. لن يتحقق عدل ابدا .. لانه اذا انكسرت همـة القيـادة العقائدية ازاء المال والاغراء .. اذا انشرخـت القمة واتسع شرخها ،فليس لنا ان نتوقع حقا او عدلا ، وليس لنا ان ننتظر فرصة سحرية ، تاتينا بنتائج غابت شروطها الاساسية في بطون القيادة وفروجها ..

ان السقيم لا يمنح المرضى صحة وعافية .. والبئر المرة العفنة لا تنضح حلوا .. لا تنضح الا المر والعفن ..

الشهود

ماهي الابعاد الحقيقية لتجربة نور الدين (التجرد) ؟ والى اى مدى ذهب ... (تقواه) ؟ وهل قدر في نهاية الامر ... المعادلة الصعبة والخروج من المحنة بسلا... ؟ شتى لن يكون الا للوقائع نفسها ان ... لكي تمنحنا القناعة والرضا والاطمئنان .

يسال ابن الاثير في كتابه (الباهر) ... السؤال « ان قال قائل : « كيف يوصف بالزهد له الممالك الفسيحة ، وتجبى اليه الاموال الك... ويجيب « .. ليذكر نبينا صلى الله عليـ... وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والح... وجزيرة العرب جميعها ، من حدود الشام العراق ، وهو على الحقيقة سيـد الزاهد... ويخلص اخيرا الى هذه النتيجة التي يعد... مفتاحا لتفسير الموقف « انما الزهد خلو ... من محبة الدنيا ، لا خلو اليد عنها » (١)

وهل كان نور الدين محمود خالي اليد و... يحصل في معركة واحدة مع العدو الصليبي مبلغ قدره ستمائة الف دينار ؟ كلا ، ... الحال .. فهل قدر على ان يخلي قلبه من الدنيا ؟

ثمة حشد من المؤرخين ، بعضهم معاصر الدين وبعضهم قريب عهد منه ، يقدمـون (الاجابة) على هذا السؤال :

العماد : كان رسم نفقته الخاصة في كل مبلغ الفي قرطاس (٢) يصرفه في كسوته و وماكوله ومشربه وحوائجه المهمة حتى اجرة ... وطباخه ، من ذلك المقرر المعين النزر .ثم يست... ما يتصدق به في آخر الشهر وينفقه على ال... واهل الفقر . واما ما يهدى اليه من ال... وهدايا الملوك فلا يتصرف في شيء منه ، بل ... نظره عنه ، واذا اجتمع يخرجه الى مجلس ال... ليحصل اثمانه الموفورة ويصرفها في عمارة ال... المهجورة (٣) .

ابن الاثير : احضر ـ نور الدين ـ ال...

---

(١) الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية ص١٦٦

(٢) قيمة القرطاس الواحد مائة وخمسون درهما.

(٣) البرق الشامي ص١٤٣ ـ ١٤٤ وانظر ابن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ١/ ٨١ وابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية ص٥٣ = ٥٤ .

استفتاهم فى اخذ ما يحل له ، فاخذ ما افتوه له ولم يتعده الى غيره البتة .. وقال رضيع خاتون ، زوجة نور الدين : انها قلت عليها النفقة ، ولم يكفها ما كان قد قرره لها، فارسلتني اليه أطلب منه زيادة فى وظيفتها (اى مخصصاتها المالية) فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال : من أين اعطيها ؟ اما يكفيها مالها ؟ والله لا أخوض نار جهنم فى هواها !! ان كانت تظن ان الذى بيدى من الاموال هى لى فبئس الظن !! انما هى أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم ، معدة لصدق من عدو الاسلام ، وانا خازنهم عليها فلا اخونهم فيها • ثم قال : لى بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا قد وهبتها اياها فلتاخذها !! قال الرضيع : وكان يحصل منها قدر قليل : نحو عشرين دينارا !! (٤)

ابن كثير : كان نور الدين عفيف البطن والفرج، مقتصدا فى الانفاق على اهله وعياله فى المطعم والملبس ، حتى قيل : أنه كان أدنى الفقراء فى زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا (٥) •

سبط بن الجوزى : كان ـ نور الدين ـ اذا قام الولائم العظيمة لا يمد يده اليها ، انما ياكل من طبق خاص فيه طعام بسيط • وحدثني رجل من أهل حران قال : خرج نور الدين من حران وما قاصدا الرها فاجتاز على نهر ، وفقير نائم هناك ، فوقف وسلم عليه ، فرفع الفقير راسه وقال بيده (كذا) ، معناه فى أى شىء انت ؟ فحرك نور الدين اصبعا واحدة فحرك الفقير اصبعين !! ومضى نور الدين باكيا ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : أشار الفقير الى وقال : فى أى شىء انت من هذا كله ، اذا ؟ فقلت : من أجل رغيف واحد ، فاشار الى باصبعين،فانا آكل كل يوم رغيفين وانا مثلك (٦) !

اما مقر سكنى حاكم الجزيرة والشام ومصر واليمن فكانت دارا متواضعة فى دمشق تطل على النهر الداخل الى القلعة من الشمال ، الحق بها صفة يخلو فيها للعبادة ، فلما ضربت الزلازل دمشق بنى تلك الصفة بيتا من الاخشاب ولما توفى دفن فيه (٧) •

أنا .. بخلاف كل ما يقال !!

وهو يتفوق بتقواه على اغراءات الجاه واللقب والسلطان .. يتجرد عن كل ما يمكن ان يقطع الحبل المتين بينه وبين طرفى القضية : الله .. والجماهير .. ثمة حشد زاخر من الالقاب كانت الخلافة العباسية الاسيرة فى بغداد تمنحه لكبار القادة والمجاهدين،لانه لم يكن بمقدورها ان تمنح شيئا آخر..وعندما تفتقد قيادة ما القدرة على الاسهام الجاد فى حركة التاريخ يتحول همها الى منح النياشين والالقاب لمن يقدرون .. لكن رجلا (فاعلا) كنور الدين يرفض هذه المنح خوف ان يكون فى طياتها الكذب ، والمبالغة ، والزيف.. وخوف ان تقود الى نوع من الاعتداد والغرور كثيرا ما انتهى اليهما القادة والعاملون .. اما نور الدين الذى علمه (التجرد) كيف يكون الرفض ، فانه يتمنع حتى النهاية عن الذهاب مع الاغراء الى مايريد الشيطان لا مايريد الله !!

تلقى يوما من بغداد هدية تشريف عباسية ومعها (قائمة) بالقابه التى كان يذكر بها على منابر بغداد .. « اللهم اصلح المولى السلطان الملك العادل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط المثاغر نور الدين وعدته ، وركن الاسلام وسيفه ، قسيم الدولة وعمادها ، اختيار الخلافة ومعزها ، رضى الامامة واثيرها ، فخر الملة ومجيرها ، شمس المعالى وملكها ، سيد ملوك المشرق والمغرب وسلطانها ، محيى العدل فى العالمين ، منصف المظلوم من الظالمين ، ناصر دولة امير المؤمنين » ..

ولكن نور الدين الذى كان يصنع الانتصار الحقيقى ، اسقط جميع الالقاب وطرح دعاء

---

(٤) الباهر ص١٦٤ ـ ١٦٥ ، الكامل فى التاريخ١١/٣-٤٠٣ . ابن قاضى شهبة المصدر السابق •
(٥) البداية والنهاية ٢٧٨/١٢ •
(٦) مرآة الزمان ٣١٥/٨ ، ٣٢٠ •
(٧) العماد الاصفهانى : البرق الشامى ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ، ابو شامة : كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ٥٨١/١ ـ٥٨٢ •

واحدا يقول « اللهم واصلح عبدك الفقير محمود ابن زنكي » (٨) .

وثمة رواية اخرى تمنحنا مزيدا من الاضواء ، وتتضمن كلمات وجملا من انشاء نور الدين نفسه، روى انه كتب رقعة بخطه الى وزيره خالد بن القيسراني ، بعد ان استفزته كثرة الالقاب !! يامره ان يكتب له صورة ما يدعى له به على المنابر ، فكتب الوزير الصيغة التالية « اللهم واصلح عبدك الفقير الى رحمتك ، الخاضع لهيبتك ، المعتصم بقوتك ، المجاهد فى سبيلك ، المرابط لاعداء دينك ابا القاسم محمود بن زنكي» فكان جواب نور الدين : « هذا لا يدخله كذب ولاتزيد » ، وكتب بخطه فى اعلى الصفحة « مقصودى ان لا يكذب على المنبر . انا بخلاف كل ما يقال. افرح بما لا اعمل ؟ » (٩) .

ومن محمود حتى يقال له هذا ؟

وفى ساحة الحرب ، حيث الموت على بعد خطوات .. وحيث لقاء الله آت وراء كل لحظة .. كان نور الدين يذوب تواضعا واشفاقا .. وتقفه تقواه العميقة فى حضور مؤثر أمام الله ، حيث تتمزق فى اعماق وعيه بقايا الستائر والحجب التى ظل يكافح من اجل تمزيقها ، لكى يقف نقيا ، عاريا ، فى الساحة التى عشقها وتمناها .. ليس ثمة فى الحرب موقف وسط .. اما ان يكون القائد جبارا فى الارض او صديقا ..

عندما التقت قواته عند حارم ، شمالى الشام ، بالصليبيين الذين يفوقونهم عدة وعددا (عام ٥٥٩هـ) انفرد نور الدين تحت تل حارم ، وسجد لله ومرغ وجهه متضرعا : (يا رب ! هؤلاء عبيدك وهم اولياؤك ، وهؤلاء عبيدك وهم اعداؤك ، فانصر اولياءك على اعدائك . ايش فضول محمود فى الوسط ؟ « يقول ابو شامة المؤرخ » يشير نور الدين هنا ، الى انك يا رب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت ، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر» وبلغنى انه قال «اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا . من هو محمود حتى ينصر ؟ » (١٠)

وتحضرنا هنا رواية ابن الاثير ، حيث يبدو نور الدين لا فدائيا فحسب ، ولكن فقيها بدين الله متبصرا بدور الانسان فى حركة التاريخ عالما أن ارادة الله اذا شاءت تهيات الاسباب . ولن يعجزها شىء .. ولو مات أو قتل عشرات القادة والمجاهدين .. فان آخر رجل منهم سيحمل الراية ويواصل الطريق .. ومن ثم يستوى ـ عبر هذه الرؤية ـ هذا القائد او ذاك .. كان يقول « طالما تعرضت للشهادة فلم أرزقها » ، وسمعه يوما الامام قطب الدين النيسابورى فقال له : بالله لا تخاطر بنفسك ، وبالاسلام والمسلمين ، فانك عمادهم وان اصبت فى معركة لا يبقى من المسلمين احد الا واخذه السيف .. ويجيئه جواب الرجل الخبير : « يا قطب الدين ، ومن محمود حتى يقال له هذا ؟ قبلى من حفظ بــــلاد الاسلام ، ذلك الله الذى لا اله الا هو (١١) !

ذلك هو موقع التجرد الكامل والتقوى الفاعلة .. تجرد (القمة) الذى لو ادركته قياداتنا عبر التاريخ لعرفت كيف تصنع هذا التاريخ ..

ويمنعنى أيضا

كانت دمشق ـ يومها ـ جنة الدنيا ، ترغم الناس على ان يخلدوا اليها حينا بعد حين .. يستجموا فى ظلالها ويستروحوا نسائمها وياكلوا من ثمرها .. وكان احرى بنور الدين ان يؤوب ـ بعد النصب الطويل ـ الى قاعدة ملكه ليرتاح .. لكنه يرفض هذا لان ساحة اخرى تناديه وتمنحه المتعة كذلك .. ساحة الجهاد .. يحدثنا العماد الاصفهانى فيقول : « حضرت عند نور الدين بدمشق، والحديث يجرى فى طيبها ورقة هوائها وازهار رياضها .. وكل منا يمدحها ويطريها . فقال نور الدين : انما حب الجهاد يسليني عنها فما ارغب فيها !! »(١٢)

---

(٨) ابن قاضى شهبة الكواكب الدرية ص٦٨ ـ ٦٩ .

(٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ٣٢٢/٨= ٣٢٣ .

(١٠) كتاب الروضتين ١ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣

(١١) الباهر ص ١٦٩ ، الكامل ١١ / ٤٠٤

(١٢) البرق الشامى ص ١٢٦ .

فما أرغب فيها !! لكأننا نحس بنظرات نور الدين وهي تجوس في منحنيات نفسه ودروب وجدانه تفتش عن بقايا الرغبة، لكي تستأصلها من مكامنها، ليبقى هناك احساس غامر بتعشق الجهاد ، حيث يظل الانسان يقاتل معلقا (وجوده) كله باحدى الحسنتين : النصر او الجنة !!

ومرة اخرى نلتقي به ، وهو يغادر الموصل بعد عشرين يوما من دخوله اياها عام ٥٦٦ هـ ، فيسأله أصحابه : انك تحب الموصل والمقام بها ، ونراك أسرعت العود ؟ فيجيب : قد تغير قلبي فيها ، فان لم افارقها ظلمت ، ويمنعني أيضا انني هاهنا لا أكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد (١٣)

لقد صنع الرجل بتقواه العميقة ، تجرده العظيم .. فكيف صنع تقواه ؟ بأي وقود تقي اشعل فتيلة الروح فمنح تجربته الذاتية الضوء الذي تجاوز بها مواقع الظلمات ؟

ثمة شهادات عديدة لا مجال لسردها .. شهادات أبي شامة وابن الاثير ، وابن كثير ، وسبط بن الجوزي والعماد الاصفهاني وغيرهم .. تنصب كلها على المدى الطويل الذي كان نور الدين يمنحه للعبادة والذكر .. انها اطالة (التعبد) اذن التعبد الخالص ، الدائم ، العميق ، الذي أراده الله سبحانه أن يكون طريق التقوى وروحها في الوقت نفسه .. ولن يكون ذلك الا بان يمارس في إطار من (الذكر) الذي يحقق التواصل مع حقيقة الالوهية ، والتجارب مع حركة الكون والموجودات..

ويمضي نور الدين في تعبده آناء الليل واطراف النهار .. لكنه ذلك التعبد السالب الذي يدفعه إلى الفرار من المسئولية..بل ذلك الذي يضعه في قلب المسؤولية وهو اعمق وعيا ، واشد خشية ، وامضى عزيمة واقدح ذكاء .. ان المؤرخ ابن قاضي شهبة ، في اشارة عابرة له ، يسلط الضوء على هذه المسألة « كان نور الدين كثير الصيام ، وله أوراد في الليل والنهار ، وكان يقدم اشغال المسلمين عليها ثم يتمم اوراده » (١٤) . هذا هو المنطوق الذي علمنا اياه الاسلام ، والذي يجعل التعبد ، الذي هو غاية الخليقة ، ممارسة ايجابية تضرب في اعماق الناس فتغير نفوسهم ، وتمتد الى حركة التاريخ فتصوغ مسيرته .

الظل .. والدنيا ..

يمضي نور الدين في تعبده حتى تتكشف له حقيقة الحياة الدنيا ، وتتبين مواقع الموت القريبة ويظل حسه وذهنه ووجدانه مطبوعا بالرؤية الرصينة للكون والحياة والاشياء .. لا تعتمها الاغراءات السلطة ، ولا تحيطها بالضباب نزعات القوة والحياة والسلطان .

حكى الامير بهاء علي بن الشكري ، وكان قد صحب نور الدين منذ أيام الصبا وانس به ، قال: « كنت معه يوما في الميدان ، نسير والشمس في ظهورنا، كلما سرنا تقدمنا ظلنا ، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا . فاجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي : اتدري لاي شيء أجري فرسي والتفت ورائي ؟ قلت : لا . قال : قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا ، تهرب ممن طلبها وتطلب من هرب منها (١٥)

وفي اول أيام عيد الفطر المبارك من عام ٥٦٩ هـ، حينما خرج الى الميدان الاخضر شمالي دمشق لبدء الاحتفالات هناك ، تقدم منه احد كبار امرائه ، همام الدين مودود ، وسأله : ترى .. هل نكون هنا في مثل هذا اليوم من العام القابل ؟ اجاب نور الدين : هل نكون بعد شهر ؟ فان السنة بعيدة (١٦) .

بلى .. ان السنة بعيدة على الذين يقدرون على تصور الحدود الهشة الخفية ، التي لا تلمس ولا ترى ، بين الحياة والموت .. السنة بعيدة ، وقبل ان يستكمل الشهر الذي ضمنه الرجل التقي لرحيله ، قبل ان يستكمل دورته .. كان الرجل ، حاكم الجزيرة والشام ومصر واليمن ، صانع الانتصارات الكبيرة ضد الصليبيين ومعبد الطريق لتحرير فلسطين .. قد فارق الحياة ، بعد أن عبر غورها وهو يعمل في قمتها.. على سقفها العالي.

■■

الموصل ـ د . عماد الدين خليل

(١٣) ابن الأثير : الباهر ص ١٥٣ ـ ١٥٤

(١٤) الكواكب الدرية ص ٥٤

(١٥) ابن الأثير : الباهر ص ١٦٥

(١٦) ابو شامة : كتاب الروضتين ١/٥٧٩ ـ ٥٨٠ .

اعداد : يوسف زعبلاوى

كمبيوتر للاحصاء ورسم الخرائط
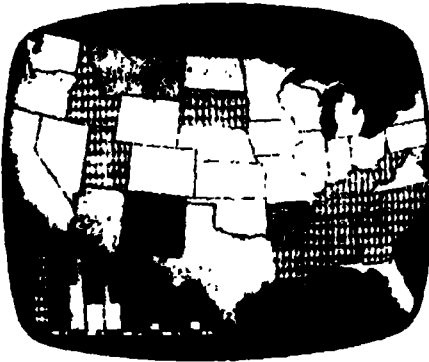
● يبدو ان اجهزة الكمبيوتر التي غزت الكثير من ميادين النشاط الانساني ، لا سيما تلك التي تعتمد على الذاكرة، لم تقنع بما غزت ، حتى اخذت تقتحم ميادين اخرى جديدة ، من نوع آخر جديد ، يغلب عليها الطابع الفني او الهندسي • وقد لا يمضي زمن طويل حتى تصبح اجهزة الاوديسي Odyssey هذه شائعة لا في مجلس الكونجرس فحسب ولكن في شتى المجالس الامريكية ، فضلا عن الدوائر الحكومية ومراكز الهيئات والشركات الرسمية في امريكا واوروبا واليابان • فمن شأن جهاز الاوديسي ان يضع في متناول عضو الكونجرس، مثلا، من الاحصاءات والرسوم مالا يخطر ببال • فقد يكون ذلك العضو بحاجة الى معلومات عن عدد الزنوج ونسبة توزيعهم في مختلف الولايات المتحدة الامريكية فما عليه في تلك الحال الا ان يضغط بعض ازرار الاوديسي فيحصل على خريطة ديموجرافية للولايات المتحدة تبين بوضوح عدد الزنوج ونسبتهم من مجموع

السكان في كل ولاية من تلك الولايات وذلك على الفور وفي تلك اللحظة التي هو فيها • نقول اللحظة لا السنة •• وقد يستوضح احد الاعضاء عن نسبة عدد النساء المطلقات في بعض الولايات فيحصل في لحظات على ما يحتاج من معلومات •• وهكذا ••

ويختزن هذا الكمبيوتر الكارتوجرافي ــ الديموجرافي مجموعتين مختلفتين من المعلومات •• مجموعة معلومات رسم الخرائط بالذات وهي مستمدة مما ترسله بعض الاقمار الصناعية من صور ورسوم فوتوغرافية للكرة الارضية ككل، أو لاجزاء معينة منها، والاقمار الصناعية المشار اليها تلف وتدور حول الارض باستمرار وتوافي المراكز ذات الاختصاص بصورها على الدوام •

اما المجموعة الثانية من المعلومات فتاتي الى جهاز الاوديسي من مكتب الاحصاء الرسمي : US Census Bureau وما اليه من مكاتب تعتمد بدورها على اجهزة كمبيوتر تسجل لها احصاءاتها وتصنفها ، أولا بأول ••

ومما يذكر ان ضروبا من جهاز الكمبيوتر الذي ذكرنا كانت قيد الاستعمال بصورة او باخرى في المدة الاخيرة-ونذكر

على سبيل المثال ، معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الذى بدأ فى انتاج افلام الكرتون بواسطة هذا الجهاز .. ولا يخفى ما يتطلبه اعداد هذه الافلام عادة من رسوم واعمال مملة تستغرق مئات الساعات .. ومن شأن جهاز الكمبيوتر الجديد ان يقوم بما يقوم به العاملون فى فن ال Animation بسرعة خارقة وبمزيد من الاتقان .

وقد استعمل هذا الكمبيوتر فى اعمال تخطيط المدينة وفيما يتصل بنظام المرور ومشاكله. فهو يستطيع ان ينبئك مسبقا بمواطن الضعف التى يعانى منها مشروع نظام مقترح للمرور ترغب السلطات المعنية فى دراسة حسناته وسيئاته قبل وضعه موضع التنفيذ ..

الجيش الايرانى تقييم موجز لاعداده وعدده

٤١٣٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى القوات المسلحة باسلحتها الثلاثة البرية والبحرية والجوية ولا يشمل هذا المجموع الاحتياطى البالغ ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل . ويضم المجموع المذكور اعلاه :

٢٨٥٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى الجيش وهم يضمون ٤ فرق آلية و ٤ فرق مشاة وغير ذلك .

١٠٠٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى سلاح الجو .

٢٨٠٠٠ مقاتل

مجموع العاملين فى سلاح البحرية .

يضاف الى ذلك :

٧٤٠٠٠ مقاتل

فى فرقة الجندرمة .

١٢٠٠٠ مقاتل

فى الحرس الامبراطورى المدرب تدريبا عاليا ، وبخاصة « فرقة الخالدين Javadan » وعدد افرادها ٤٠٠٠ مقاتل

الاسلحة والعتاد

الجيش

٢٣٠٠ دبابة من طراز Chieftain البريطانى المحسن

٤٠٠ دبابة من طراز M47 قيد التجديد .

٦٠٠ دبابة طراز M60 قيد التجديد .

الاسطول البحرى

٧ مدمرات منها ٤ من طراز Spruance

٤ بوارج مجهزة بصواريخ من طراز Seacat,Seakiner

١٤ قوارب هوفركرافت .

١٩ قوارب جراسة سريعة .

١٢ قوارب حراسة سريعة جدا ومجهزة بالصواريخ .

٥ سفن حربية - Combatta nte II مزودة بصواريخ هاربون

٥ كاسحات الغام .

٤ سفن انزال .

يضاف الى ذلك الغواصات والسفن الحربية التى ما زالت قيد الصنع ولم تسلم بعد .

وهذا الى جانب القوة الجوية التابعة للاسطول .

سلاح الجو

٤٥٩ مجموع الطائرات الحربية وهى تشمل فيما تشمل :

١٧٧ طائر طراز F-4E

١٤٠ طائرة طراز F.5E

٥٦ طائرة طراز Tomcat F-14A

٦ طائرات بوينج ٧٠٧ لتزويد الطائرات بالوقود جوا .

١٨ F-27

٤ F-28

٦٤ C-130

وهى مجهزة بصواريخ من الانواع التالية :

Shoenix, Sidewinder, Sparrow, Maverick, Condor

يضاف الى ذلك :

شبكات دفاع جوى متكاملة تعتمد على صواريخ هوك رابير (Rapier) وتايجركات Tigercat وبلايندفاير Blindfire

وشبكات رصد الكترونى من طراز Project Ibex

سدود عالية كثيرة قرر بناءهاالسوفيات فى الحبشة

يبدو ان الاتحاد السافياتي مصمم على المضي في مساعدة الحبشةعسكريا واقتصاديا الى ابعد الحدود • فقد تم الاتفاق مبدئيا على انشاء قواعد بحرية في الجزر الواقعة في البحر الاحمر ، وذلك لاتاحة الفرصة للاسطول السوفياتي، كما لا يخفى ، للتغلغل في هذا البحر « العربي » على نحو لم يسبق له مثيل ••

كذلك اتفق الجانبان على اقامة السدود على النيل الازرق •• بالقرب من حدود الحبشة مع السودان • ولن يقل عدد تلك السدود عن عشرين سدا وسيكونمن شانها السماح للاحباش بالتحكمبمياه النيل الازرق وحرمان مصر والسودان من مياهه الغزيرة التي تشكل ٦٨٪ من مياهالنيل اثناء الفيضان اى فى اواخر شهر اغسطس (آب) واوائل شهر سبتمبر (ايلول) •

اما الغاية من بناء هذه السدود فمزدوجة : الغاية الاقتصادية الظاهرة ، وهي توليد الكهرباء وتخزين المياه لاغراض التنمية في بلاد افتقرت للتنمية بكافة ضروبها •• والغاية السياسية غير الظاهرة •• وهي اللجوء الى الضغط على مصر او السودان عن طريق الحد من مياه النيل وذلك وفق مشيئة السوفيات •

والظاهر ان العمل في بناء هذهالسدود سيبدأ عما قريب• فقد تم فيشهر سبتمبر الماضي الاتفاق على نواة المعاهدة الخاصة بسدود النيل الازرق وقواعد البحر الاحمر وذلك اثناء الزيارة التي قامت بها الى اديس ابابا البعثة السوفياتية المختصة برئاسة فاسيلي كوزنيتسوف • والاهم من ذلكهو الدراسات الميدانية العديدة المتلاحقة التي قام بها المهندسون السوفيات في الشهور الخمسة او الستة الماضية •• والتي استكملوا فيها مسح الهضبة التي تضم منابع النيل في الحبشة •

وتجدر الاشارة الى انبعض المصادر تؤكد ان النية متجهة لاقامة بعض السدود الحبشية داخل الاراضي السودانيةوليس على الحدود فحسب •

الجديد في طب الاسنان

✱ مادةالهايدرون Hydro مادة بلاستيكية ، طورتها الاكاديمية العلمية التشيكوسلوفاكية في مطلع الستينات وذلك من اجل وقاية العيون من الالتهابات التي كانت تسببها لها العدسات اللاصقة ••• الا ان هذه المادة غير السامة ما لبثت ان وجدت طريقها الى طب الاسنان ، واصبحت تستعمل في الولايات المتحدة (NPD Dental Systems, Inc.of melville,N.Y. لتعبئة نخور تسوس الاسنان •• ما ظهر منها وما اختفى في الجذور ،ذلكان مادةالهايدرون تمتاز على المواد التقليدية المعدنية منها والبلاستيكية ، في انها تغني عما تحتاجه هذه من مواد خاتمه كثيرا ماتتسبب بالتهابات اللثة والعظام • اضف الى ذلك انها تمتص الرطوبة ••• فتتمدد تبعا لذلك بسرعة •• وتملأ بالتالي اصغر الشقوق والثقوب •• ثم ان المعالجة بالهايدرون لا تستغرق اكثر من نصف الوقت الذي تحتاجه المعالجة التقليدية لجذور الاسنان •• ولما كانت مادة الهايدرون هذه هامده كيماويا كان من المرجح ان تحول دون عودة الالتهابات للاسنان التي تعالج بها •

ابن بطوطه في الخليج العربي

بقلم : جمال الغيطاني

رسوم : بهجت عثمان

« .. كان ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، والمشهور بابن بطوطة ، آخر جغرافي عالمي من الناحية العملية ، اي انه لم يكن نقالة اعتمد على كتب الغير ، بل كان رحالة انتظم محيط اسفاره عددا كبيرا من الاقطار ، وقد جاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين الف ميل ، فهو بهذا يعد منافسا خطيرا لمعاصره الاكبر منه سنا ماركوبولو البندقي . ويقول العلامة الروسي كراتشكوفسكي في سفره الضخم « الادب الجغرافي عند العرب » ، ان وصف ابن بطوطة لخط سيره ادعى الى الثقة مما عليه الحال مع معاصره المسيحي » .

لقد خرج ابن بطوطة من طنجة مسقط رأسه يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥ هـ قاصدا الحج ، ويرجح كراتشكوفسكي انه كان يقصد اداء الفريضة فقط ، ولم يكن يدر ان هذا الترحال سنلقى به في مختلف البلاد ، فلم يعد الى وطنه الا بعد ربع قرن من الزمان ، تحرك من طنجة مارا بجميع المدن الكبرى بشمال افريقيا ، حتى بلغ الاسكندرية ، ثم غادرها الى دمياط ، وركب النيل الى القاهرة ، التي كانت تمر وقتئذ بفترة من الازدهار ايام عصر المماليك، ومن القاهرة تابع النيل حتى اسوان ، ومنها اتجه شرقا مخترقا الصحراء حتى بلغ مرفأ عيذاب على البحر الاحمر ولكن سير السفن المصرية في البحر كان متوقفا آنذاك بسبب الحرب التي اشتعلت بين قبائل البجة ، والمماليك ، فاضطر ابن بطوطة الى العودة للقاهرة . وهناك قرر ان يزور الشام ، وينضم الى قافلة الحجاج من دمشق ، وفي طريقه زار فلسطين ، وبيت المقدس ، وبلغ انطاكية ، ثم زار حلب ، ثم انضم الى ركب الحاج بدمشق ، وزار مكة والمدينة ، واعقب هذه الزيارة بتوجهه الى مشاهد الشيعة في النجف ، ثم اتجه الى البصره ، وهنا تكون عينا ابن بطوطة قد وقعتا على مياه الخليج العربي لاول مره .

البصرة

يقول ابن بطوطة :

« وكنت رأيت عند قدومي عليها نحو ميلين

فقيل لي هو مسجد على بن ابي طالب (رضى الله عنه) وكانت البصرة من اساع الخطة ، وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد فى وسطها ، وبينه وبينها الآن ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك ، فهو متوسط بينهما ، ومدينة البصرة احدى امهات العراق ، الشهيرة الذكر فى الآفاق »

يستوقف ابن بطوطة فى البصرة كثرة النخيل ووفرة التمر ، الذى كان يباع منه الاربعة عشر رطلا بدرهم واحد ، ويقول ان البصرة مقسمة الى ثلاث محلات ، محلة هذيل ، ومحلة بنى حرام ، ومحلة العجم ، وقد استضافه كل شيخ من شيوخ هذه المحلات ، واهداه ثيابا ، وتمرا ، ودراهم ، وهنـا يثنى ابن بطوطـة على اهالى الغريب .

من البصرة يركب ابن بطوطة « صـ قارب صغير ، يتجه بـه الـى مد القديمة ، والطريق الواصل بينها طوله عشرة اميال ، كله بساتين متصـ والباعة فى ظلال الاشجار يبيعون الخبـ والتمر ، واللبن ، والفواكه ، وفى بمتعبد سهل بن عبد الله التستـر حاذاه الناس بالسفن يشربون الماء وينبركون بهـذا الولـي ، ولكـ الابلة نفسها كانت قد دوست فلم ير منها بطوطة الا خرائب . اتجه بعد ذلك الى فزار شيراز ، ثم الموصل ، ثم ديار بكر ، الى الكوفة ، ثم الى بغداد ، وكان قد

فادى فريضة الحج مره ثانيه ، واقام بمكه من عام ٧٢٩ هـ حتى ٧٣٠ هـ ، ثم اتجه الى جدة حيث عبر البحر الاحمر الى الساحل الشرقى لافريقيا ، ثم عبر الى اليمن ، وعاد مره ثانية الى الساحل الافريقي ، ومن جديد عاد الى الجزيرة العربية ، وفى هذه المره طاف ببلدان الخليج .. زار مدينة عدن ، ومدينة ظفار الحموضى التي يقول عنها انها آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندى ، ومنها تحمل الخيول الى بلاد الهند ، ويقطع المراكب المسافه منها

الى ساحل الهند اذا كانت الريح موابية في شهر كامل ، وعندما تصل مركب من بلاد الهند تصعد عبيد السلطان في مركب صغير (صنبوق) ومعهم كسوة كاملة لصاحب المركب ، او وكيله ، وللربان ، ولكاتب المركب ، ويقول ابن بطوطة انهم يفعلون ذلك استجلابا لاصحاب المراكب ، وكانت المراكب تحمل اليهم من الهند الاقمشة القطنية ، والارز ، وتعود بالخيول ، واللؤلؤ ، وفي ظفار تلفت نظره طعام الاهالي من السمك ، واطعامهم اياه لدوابهم مما يثير تعجبه ، وياكل مع بعض التجار من عمان طعاما لم ياكله من قبل عبارة عن ذرة مطبوخة بدون طحن ، وتصب عليها العسل والتمر ، اما اهالي جزيرة مصيرة فلا يعيشون الا على السمك ، وفي طريقه الى مدينة قلبهات يتعرض ابن بطوطة لمحاولة سرقة ثيابه من جانب بعض الادلاء ، ولكنه ينجو ، ويستمر في الطريق الصعب المؤدي الى قلبهات ..

مدينة قلبهات

« .. اتيناها ونحن في جهد عظيم ، وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتى كاد الدم ان يخرج من تحت اظفارها ، فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة ان قال لنا الموكل بالباب : لا بد لك ان تذهب معي الى امير المدينة ليعرف قضيتك ، ومن اين قدمت ؟ فذهبت اليه فرأيته فاضلا حسن الاخلاق ، وسالني عن حالي، وانزلني ، واقمت عنده ستة ايام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقها من الآلام ، ومدينة قلبهات على الساحل ، وهي حسنة الاسواق ، ولها مسجد من احسن المساجد ، حيطانه بالقيشاني ، وهو مرتفع تنظر منه الى البحر والمرسى ، وهو من عمارة الصالحة بيبي مريم ، ومعنى بيبي عندهم « الحرة » . واكلت في هذه المدينة سمكا لم آكل مثله في اقليم من الاقاليم ، وكنت افضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارز وياكلونه ، والارز يجلب اليهم من ارض الهند ، وهم اهل تجارة ، ومعيشتهم مما ياتي اليهم في البحر الهندى ، واذا وصل اليهم مركب فرحوا به اشد الفرح ، وكلامهم ليس بالفصيح مع انهم عرب ، وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا ، فيقولونها مثلا تأكل لا ، تمشي لا : تفعل كذا لا ، واكثرهم خوارج ، لكنهم لا يقدرون على اظهار مذهبهم ، لانهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمهتن ملك هرمز وهو من اهل السنة » .

ثم يمضي ابن بطوطة الى قرية (طيبي) القريبة ، ويذكر انها من اجمل القرى ، واكثرها حسنا ، ومنها تجلب الفاكهة الى قلبهات ، وبها موز كثير ، ثم تسير في الصحراء لمدة ستة ايام ، تصل بعدها الى عمان ، ويزور قاعدة البلاد وقتئذ ، مدينة نزوا ، التي تقع في سفح الجبل ، تحيطها البساتين والمياه الجارية ، ويقول ان من عادة اهلها ان ياتي كل منهم بما يملكه من طعام الى صحن المسجد ، وياكلون معا ، ويقول ابن بطوطة انهم اباضية المذهب .

مغاص الجوهر

كان اهم ما يلفت نظر الرحالة الذين زاروا الخليج العربي طرق استخراج اللؤلؤ ، وقد وصفه الادريسي بالتفصيل عند حديثه عن البحرين ، قال ان اهم جزر البحرين ، جزيرة اوال ، وحاضرة الجزيرة مدينة اسمها البحرين، وفي تلك الجزيرة يسكن الغواصون الباحثون عن اللؤلؤ ، ويجيء التجار اليها من جميع انحاء الارض حيث يستاجرون الغواصين ، ويخرجون في مراكب تسمى «الدونج» ومع كل غواص رفيق مساعد اسمه المصفي ، له نصيب في الاجرة ، ومع الجميع ادلة مهرة يعرفون مواضع اللؤلؤ ، وعند وصولهم الى الاماكن المعلومة تطوى الاشرعة، ويبدا الغوص ، حيث يستر الغواص سوأته ، ويسد خياشيمه بالخلنجل الذي يذكر الادريسي انه عبارة عن دهان من المومياء المذاب مع زيت السمسم ، ومعه سكين ، وكيس ، ويحمل حجرا وزنه اربعة قناطير او ما اشبه ، معلق بخيط رفيع متين ، وهو يلقى في الماء من ناحية المركب ، ويمسك المصفي بهذا الخيط بينما يقف الغواص على الحجر ويمسك الحبل بيديه متاهبا للنزول ، ثم يترك المصفي الحبل فينزل الغواص والحجر سريعا الى قاع الماء،وهو واقف على الحجر ممسكا الحبل بيديه . فاذا وصل

الى القاع جلس وفتح عينيه ، وجمع عاجلا كل الاصداف حوله ، فاذا ملأ الكيس انتهى عمله، واذا تعب صعد الى سطح البحر ليتنفس ثم يغوص ثانيا .

ويقول الادريسي ان التدريب على مهنة الغوص كان يتم في فارس ، ويدفع مقابل التمرين عليها قدر معلوم من المال ، ويتعلم الغواص خلال التدريب كيف يتنفس من انفه ، ويحدث في البداية ان تصاب الاذان بالتهابات حادة، ويخرج منها صديد وتعالج بالعقاقير وتدفع احسن الاجور للغواص الذى يبقى في الماء اكثر من غيره ، وهم يعرفون بعضهم تحت الماء ، ولا يعتدون على حدود بعضهم البعض .

وقد شاهد الرحالة ابن جبير الغوص في مكان اخر بالبحر الاحمر ، ووصفه ، لكنه لم يصفه في الخليج ، وقد وصل ابن بطوطه الى نفس المواضع التى شاهدها الادريسي ، ولفت نظره الغوص على اللؤلؤ .

★ ★ ★

يقول ابن بطوطة ، ان مغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين ، في خور راكد مثل الوادى العظيم ، فاذا كان شهر ابريل ، وشهر مايو تاتى اليه القوارب الكثيرة ، فيها الغواصون وتجار الفرس والبحرين والقطيف ، ويجعل الغواص على وجهه مهما اراد ان يغوص شيئا يكسوه من عظم الغيلم ، وهى السلحفاة، ويصنع من هذا العظم ايضا شكلا شبه المقراض يشده على انفه ، ثم يربط حبلا في وسطه ويغوص ، ويتفاوتون في الصبر في الماء ، فمنهم من يصبر الساعة ، والساعتين ، فما دون ذلك . فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا في الرمل ، فيقتلعه بيده او يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ، ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه ، فاذا ضاق نفسه حرك الحبل ، فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل ، فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه المخلاة، ويفتح الصدف ، فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة ، فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر ، فيجمع جميعها من صغير وكبير ، فياخذ السلطان خمسه ، والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب ، واكثرهم يكون له الدين على الغواصين ، فياخذ الجواهر في دينه او ما وجب له منه » .

آخر المحطات

كانت البحرين آخر محطات ابن بطوطة التى توقف فيها ويصفها بانها مدينة كبيرة حسنة ، ذات بساتين واشجار وانهار ، وماؤها قريب المؤونة ، يحفر عليه بالايدى فيوجد ، وبها حدائق النخل والرمان والاترج ، ويزرع بها القطن ، وهى شديدة الحر ، كثيرة الرمال ، وربما غلب الرمل على بعض منازلها ، وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع ، فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر.

يمضي ابن بطوطة بعد ذلك الى مكة فيزورها للمره الثالثة ، ثم يجتاز البحر الاحمر الى عيذاب ويصل الى القاهرة ، لتبدا وجهه الى الاقطار الشمالية ، فيصل الى شبه جزيرة القرم ، وروسيا الجنوبية ، وارض البلغار ، ثم القسطنطينية ، ثم يرحل الى الهند فيدخلها في غرة المحرم من عام ٧٣٤ هـ (١٢ سبتمبر ١٣٣٣ م) ، ويحظى في الهند بمكانة عالية لدى السلطان محمد بن طغلق الذى عينه في منصب القضاء لمدة خمس سنوات ، وفى تلك الاثناء اعد السلطان سفارة الى الصين عن طريق قندهار كان ابن بطوطة احد اعضائها ، ولم يوفق فى الوصول الى الصين برا ، عن طريق قندهار ، فابحر من قليقون الى جزر المديف ، وفيهما امضى عامين شغل خلالهما مرة اخرى منصب القضاء ، وزار سيلان ، والبنغال (بنجالاديس) والهند الشمالية ، واندونيسيا ، ومن هناك اتجه الى كانتون بالصين ، وفى طريق العودة استقل سفينة من سومطرة الى ظفار ، وهكذا يصل ابن بطوطة مرة اخرى الى القرب من الخليج العربى ، وكان ذلك في سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م)، ولم تقع عيناه مرة اخرى على ساحل شبه الجزيرة الجنوبى ، فقد رحل الى ايران ، ثم مكة ، ثم فلسطين ، ثم القاهرة ، وفي نوفمبر ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) كان يمثل في بلاط السلطان ابن عنان بالمغرب ، منهيا رحلته الاولى التى استغرقت زهاء الخمسة وعشرين عاما .. » ■■

القاهرة ــ جمال الغيطانى

لأنهار العرب تاريخ سائل

الليطانى

نهر عربى فى خطر !

استطلاع بقلم : مصطفى نبيل تصوير : عبد الناصر شقره

حتى الصبية يحملون السلاح فى لبنان ـ صورة من البقاع (الى أسفل) • مشروع الكهرباء على سد القرعون • ويشاهد النهر فى عنفوانه خلف السد • (الى اليسار) •

هذا هو نهر الليطاني ، صفحة من التاريخ العربي « السائل » ٠ على ضفافه يعيش مليون من البشر ، موزعين على مائة قرية عربية ٠ وهذه « الصفحة » كلها ـ النهر والبشر والقرى ـ في خطر !

ذلك أن النهر بتعرجاته هو الحد الجغرافي الذي تسعى اسرائيل للوصول اليه ، فمنذ طالبت الحركة الصهيونية ، في مؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الاولى بجعل نهر الليطاني الحدود الشمالية للدولة الصهيونية ، وبعد ان حددت اسرائيل لنفسها نصيبا في مياه النهر ، أخذت هذه المطامع تحرك الاحداث ، وتصطنع الادوات ، وتقتنص الفرص لتحقيق أهدافها ، وهي ترى في الاضطراب الذي يدور على ضفاف النهر في الوقت الراهن ، الوضع الامثل لتحقيق أهدافها ٠

ولعل ما شهده تاريخ النهر الطويل يلقي الضوء على الحاضر ويستشرف المستقبل ٠

ويسمى النهر في الجنوب اللبناني على خرائط العسكريين « الخط الاحمر » او الخط الفاصل بين قوات الطوارىء الدولية وقوات الردع العربية ٠٠

ويروي النهر قصة منطقة كانت دائما مفتاحا لحضارة متميزة ، واحدى بؤرات التطور الحضاري ، وأحد مراكز الاستقطاب الفكري ، واحدى جبهات الصدام التاريخية ، باعتبارها جزءا من منطقة الشام التاريخية ، ذات الموقع الفذ بين أوروبا وآسيا ، وسوقا دائمة للبضائع والافكار ، حوارا وصداما بين الشرق والغرب ، وهي من اقدم وأعرق أجزاء العالم بالتاريخ والحضارة ، وهي احدى أجمل بقاع الدنيا واكثرها التهابا في نفس الوقت ٠

هذه هي المنطقة التي يتلوى فيها النهر ضعيفا احيانا حتى يكاد يجف ، وكسولا احيانا اخرى الى مسافة تصل الى ١٦٠ كيلومترا ليمثل محور الحياة لمليون من البشر ، يقطنون حوالي مائة قرية وبلدة من حوله ولكنك تقطع اضعاف هذه المسافة لكي تزور بعضا من هذه القرى فشبكة الطرقات لا تربط قرى النهر الموزعة في مدن معلقة تتفاوت بين « الجرود » العالية و « السفوح » القاحلة ، وتمر فيها بمناطق ملتهبة تسير تحت القصف احيانا وتمر خلال حواجز قوات الردع العربية في البقاع وجيش لبنان العربي والمقاومة الفلسطينية وقوات الطوارىء الدولية في الجنوب ٠٠

كانت بداية الجولة لدى منابع الليطاني في البقاع عند بعلبك في اهم الينابيع التي تغذي النهر عند نبع « العليق » والذي وصلته بعد ان تركت خلفي بيروت تعيش جو الازمة الخانق ، لم نسلك الطريق الطبيعي لنصل الى هدفنا وهو طريق بيروت دمشق ، فما زال الذي يقطعه عرضة للقصف الاعمى ، وانما اتجهت بنا السيارة جنوبا في طريق عرمون الذي يطول ويتجه جنوبا لتجنب الخطر وعبرنا العديد من الحواجز لنصل اخيرا الى النبع عن طريق برنايل شمسطار كفردبش كفردان ٠

وكانت المفاجأة الاولى ان النبع مجرد بحيرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها ٤٠٠ متر مربع وفي نهايتها جسر فوق مجرى جاف وسألت مرافقي ٠٠٠ أين النبع ٠٠ ؟ فاجابني مبتسما : هل تبحث عن بحيرة فيكتوريا ٠٠ ؟ هذا الذي أمامك هو النبع الرئيسي لنهر الليطاني وهو قائم على خزان هائل من المياه الجوفية ترتفع مستوى مياهه من أمطار الشتاء وذوبان الثلوج فوق قمم الجبال في الصيف ٠٠ واستطرد ضاحكا « انهم هنا يرددون حكاية قديمة عن امراة بدوية ابتلع تيار الليطاني وليدها ، فقد كان من عادة البدو قديما ان يقضوا الصيف في البقاع والشتاء في الجنوب وبينما كانت تغسل الثياب في مياه النهر أيام الربيع في منطقة الخردلة زل قدم طفلها ووقع في النهر وجرفه التيار ٠٠ ، وراحت المراة تنوح مخاطبة النهر : آخ ياالليطاني اعرف راس نبعك ، والله ما يحمل القشة ٠٠٠ !

وهذه الحكاية تروى لتبين ان مياه النهر عند منبعه من الشح بحيث لا تستطيع جرف القشة ٠٠٠ وهو يختلف كلما اقترب من المصب وغذته روافده العديدة ، فمجموع الامطار التي تهطل فوق لبنان تصل الى ١٠ آلاف مليون متر مكعب ، موزعة على مصادر المياه المختلفة التي تنقسم الى مياه الامطار

خريطة لبنان ونهر الليطانى والمخاطر التى تهدده

والانهار والمياه الجوفية والعيون، ويجرى فى لبنان وحده ٣٥ نهرا تمتد من شمال لبنان وحتى جنوبه، سبعة منها كبيرة يزيد تدفق مياهها عن ٢٠٠ مليون متر مكعب فى السنة ، وهذه الانهار هى : النهر الكبير الجنوبى (فى الشمال) ونهر ابو على ، ونهر ابراهيم ، ونهر الكلب ، ونهر الليطانى ، ونهر الحاصبانى ونهر العاصى ، والليطانى هو اطولها ، ويبلغ ما يهطل عليه من الامطار سنويا عشرة مليارات متر مكعب ، اى بمعدل مليون متر مكعب لكل كيلو متر من الارض ، ومع كل هذه

الوفرة تبقى العديد من قرى لبنان ومساحات واسعة من الارض تعاني العطش والجفاف ..

والوقفة عند النبع تتوارد فيها المعلومات عن النهر والمناطق التي يشقها ، فينبع من نقطة شمال غرب لبنان من اعلى منطقة في البقاع ، من بعلبك (آلهة السهل) عند نقطة تقسيم المياه بين نهري الليطاني والعاصي ـ النهران الكبيران الوحيدان في لبنان وسوريا ـ عندما يتجه العاصي نحو الشمال بينما يتجه الليطاني نحو الجنوب .

هنا يرتفع جدار بعلبك الى ٣٧٧٠ ... ما فوق سطح البحر في البقاع التي يتراوح عرضها بين سلسلتي الجبال بين ستة وعشرة اميال ، ...

كما عرف الجبل بالتفاح ، عرف الجنوب بالبرتقال،ويجمع في موسم الحصاد ويصدر بالشاحنات الى دول الخليج والعربية السعودية .

مصب النهر عند القاسمية ، بحيرة واسعة زرقاءيحيطها السافانا .

قرية « الزرارية » والنهر محور حياةالسكان ، وما زالوا محرومين من مشاريع مياه الشرب ومن مشاريع الري في العديد من قرىالجنوب .

هي بداية النهر وبداية الجولة ، ويستمر النهر جنوبا حتى يحاذي وادي التيم راشيا وحاصبيا ، على سفوح جبل الشيخ عندما ينعطف الليطاني فجأة عند سفح قلعة الشقيف ليخترق المنطقة الملتهبة في الجنوب ، ويشق طريقه في صخور لبنان الكلسية ويقطع بلاد الشقيف وبلاد بشارة التي يطلق عليها جبل عامل حتى يصب في البحر الابيض المتوسط عند القاسمية بين صور وصيدا ، وتتحدد بمسار النهر جولتي وطريقي ...

أنهار وعيون في البقاع ..

ليس نبع « العليق » هو النبع الوحيد هنا ، انما يغذي النهر مجموعة أخرى من الينابيع في البقاع ، تنقلت بين بعضها هي : شمسين ، وعنجر وتربل، وعيون موزعة على البقاع الغربي والشرقي.

وفي العديد من المواقع يمتد النهر مثل راحة اليد الممدودة ، الاصابع هي الروافد التي تجدد المياه الجارية ..

والجغرافيا هنا أحد الثوابت في وضع متغير ، فشبكة المدن تميزت باستمرارية فريدة خلال توالي العصور فاذا زالت مدينة ، فسرعان ما تعود وتقفز الى الحياة من جديد ، ويبقى عامل الماء ضابطا صارما مع المرتفعات والسهول والوديان ..

سد القرعون

توجهت الى سد القرعون عند قرية «القرعون»، والذي وصلته عبر سهل البقاع الغربي عند بر الياس شمالا ، وعندها ينساب نهر الليطاني ويشق السهل نصفين ، وسلسلتا الجبال من الغرب والشرق تحتضنانه والقرى المعلقة بين النهر والجبل وخلفها جبل الشيخ بعمامته البيضاء تشكل صورة بانورامية رقيقة ، ويظهر فوق السلسلة الغربية جبل الكنيسة وجبل الباروك منتصبين كالجدار ، بينما تقوم السلسلة الشرقية حول السهل بشكل هلالي ونصف مستدير وعندما تصل الى سد القرعون تكاد تتلاشى سلسلة الجبال الشرقية والغربية ، والتي تحدد لديها مكان السد .

أمامي بحيرة السد الكبيرة الوادعة ، بمياهها الزرقاء وخلفها قمم الجبال الثلجية ، ينتشر فوقها البط وتتناثر على شواطئ[ها] الزوارق الصغيرة ، ورجل هناك يجدف بكسل [...] [بع]ض الصيـ[ـادين] يحملون بنادق الصيد . وبعض أسرا[ب] البط يبرز مبتعدا والمقاهي السياحية المنتشرة في [الم]كان مغلقة فقليل اولئك الذين يتحملون مخاطر الانتقال لمجرد المتعة .. !

ويقطع «رافقي الصمت قائلا : « [ا]ن هذا السد جزء من مشروع نهر الليطاني الذي لم يكتمل والذي اقيم على سبعة آلاف دونم من أخصب الاراضي . وقد أعلن عن مشروع الليطاني عام ١٩٥٤ . والملاحظة ذات الدلالة أنه بدأ في نفس الوقت الذي طرح فيه مشروع جونستون لتقسيم المياه والذي أعطى اسرائيل ٨٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطاني . !! ومنذ بدايته وهو يشهد اكبر المناورات السياسية والضغوط المتبادلة والتي تعكس «أزمة الوضع اللبناني » وخلال هذه الفترة توالت اربعة مجالس ادارة لمصلحة الليطاني ، واهتزت البلاد بثورة مسلحة عام ١٩٥٨م وبدأ المشروع يتعثر ، وهو نموذج حي لطبيعة وأبعاد الازمة التي تفجرت خلال حرب السنتين والتي ما زالت قائمة حتى الان كما يقدم صورة بليغة عن عقم السياسات القائمة حيال المشاريع العامة..

ويهدف مشروع نهر الليطاني الى التحكم في مياه النهر ليوفر مياه الشرب والري والطاقة الكهربائية لاهل البقاع والجنوب ، وسرعان ما يتداخل مشروعه غيره من المشاريع مع تعقيدات الازمة الطائفية والوطنية الحادة . فالمؤشر الذي يحرك كافة الاطراف السياسية ، هو الموقف الطائفي الذي تدور حوله كافة المناورات وردود الفعل ، بعد أن اصبحت بلد الطوائف ، تعترف الدولة بست عشرة طائفة متمايزة . وعدد آخر من الطوائف ينتظر الاعتراف ، واصبح لكل طائفة عصبية مكونة تاريخيا وجغرافيا ، وحتى المجلس النيابي بنسبة ٦ للمسيحيين و٥ للمسلمين ، ويصبح الحاسم هو قدرة هذه الطائفة او تلك على ممارسة الضغوط، ويظهر وجه الطائفية البشع من الحرص الدائم والمستمر في بقاء الاوضاع على ما هي عليه، ويظهر أن المساواة بين الطوائف مجرد [...]

ويؤكد ما واجه المشروع من صعوبات أن المساواة الوحيدة القابلة للتحقيق هي المساواة بين الطوائف

حسم سد القرعون على نهر الليطـانى

المخرج الوحيد أن يرتفع الانتساب الوطنى الانتساب الطائفى .

ما أن الاختلال الطائفى ذا الوجه الاقليمى الارض الخصبة لاستثارة الاثرة والتسلل من رات الطائفيـة ، ولم يعد المشروع تاكيـدا ساواة بين المواطنين ، بل ان تعثره اصبح دا لهذا الاختلال من أجل استمرار البقاع الجنوب بعيدا عن الازدهار الذى شهده «الجبل» تدفق الاستثمارات والمشاريع عليه ، كما ادى النمو غير المتكافىء الى تحويل الطوائف الى وعات ضغط معاكسة ..

ونعود الى مراحل تنفيذ المشروع نتلمس الدليل ، ما نقول : يجمع سد القرعون خلفه ما يزيد ١٠٥ مليون متر مكعب من المياه لينقلها على سيب ثلاثة لتروى المناطق التى طال بها الحرمان جفاف ، ويتضمن المشروع اضافة لسد القرعون ، الغردلة الذى يستوعب بدوره ٩٠ مليون متر ب ويقـع على ارتفاع ٣٠٠ متر فوق سطـح عر ، والمفروض أن يروى المشروع الجنـوب اسطة قناة الرى على مستوى ٨٠٠ متر ، وهى ناة التى تنقل المياه مباشرة من السد وتصـل ن « كوتن » المحاذيـة للنهر وتروى مساحـة لغ ١٠٧٠٠ هكتار فى البقاع الغربى و ٢٨٧٠ هكتار فى ساحل بيروت صيدا ، و ٦٠٠٠ هكتار فى سهول صور و ٣٧٠٠ هكتار بمنطقة النبطية التحتا ، و ٣٠٠٠ هكتار بمنطقة النبطية العليـا و ٢٠٠٠ هكتار فى قضاء النبطية وقضاء جزين ، و ٣٥٠٠ هكتار فى اقليم الخروب .

وبقى المشروع رغم الحاجة الماسة اليه مجـرد وعود واحلام، وعلاوة على حاجة السكان الاقتصادية توجد اسرائيل التى تتربص بهذه المياه ، واستقر لدى السكان أن تعطيل المشروع سببه « طائفـة بعينها » ، مما حول المسائل الفنية الى قضـايا طائفية، وعندما طرحت فكرة الاقتصار على ارتفاع ٦٠٠ متر بدلا من ٨٠٠ متر ، كان معناه أن تبقى مرجعيون والمناطق المجاورة لهـا وبنت جبيل دون مياه ، وهذا يفيد منطقة قسم من سكانها موارنة فى حين أن منطقتى بنت جبيل ومرجعيون للشيعة والارثوذكس ..

ولكن اخطر ما طرحه « تعثر المشروع » أن الذى يقف وراء التاجيل والتسويف هى ضغوط صهيونية ودولية ، ووقعت واقعة خلفت وراءهـا الشكوك وملأت الجو بالسموم والاحقاد ..

تبنى احـد المهندسين التابهـين مشروع نهـر الليطانى، واخذ يقدم عنه الدراسات ويحاضر حوله فى المنتديات ، ويكتب عنه فى الصحف ، وتحـول

منظر لقرية «القرعون» الى جانب السد ويهيمن على المكان جبل الشيخ بعمامته البيضاء .
(الى أعلى) احدى كتائب القوات النيجيرية من القوات الدولية وأفرادها يستعدون
لتناول طعام الغداء (الى أسفل) .. احدى فتيات الجنوب الى جوار احدى قنوات الري التي
تتغذى من النهر . (الى اليسار)

عنده الى رسالة ، واخذ يكشف عمليات التسويف التى تحول دون اتمام المشروع، واوضح دور البنك الدولي الذى اشترط للتمويل تنفيذ مشاريع الطاقة الكهربائية قبل مشاريع الرى ونجح بالفعل فى جذب اهتمام الراى العام بقوة منطقه وحججه الفنية الرصينة .

وفجاة يسقط المهندس ابراهيم عبد العال شهيدا فى ظروف غامضة ..

ولم تعرف اى أسباب جنائية لهذه الجريمة البشعة والتى وقعت منذ عشر سنوات ، واقتنعت دوائر من الراى العام ان الذى اغتال المهندس ابراهيم عبد العال هى الدوائر الصهيونية المتحالفة مع قوى محلية ، فاسرائيل تطالب باستغلال مشترك لنهر الليطانى ، وبعد مشروع جونستون اعلنت السلطات الاسرائيلية عن مشروع آخر سمى مشروع «كوتن» والذى يقضى بتحويل ٤٠٠ مليون متر مكعب من مياه نهر الليطانى الى نهر الحاصبانى بواسطة نفق لكى تضخ الى بحيرة طبريا لتخفيف نسبة ملوحة مياهها وجرها الى النقب .. وتسعى الى بقاء حججها القائلة : انه ليس ثمة مجال فى لبنان للاستفادة من مياه نهر الليطانى، وقد كشف تعثر مشروع الليطانى الهيمنة الاسرائيلية الخفية داخل لبنان ..

وفى لقاء مع رئيس وزراء لبنان السابق تقى الدين الصلح روى ما يلقى الضوء على العرقلة المتعمدة لمشروع الليطانى ، يقول : اوليت مشروع نهر الليطانى كل اهتمامى فمطامع اسرائيل فى نهر الليطانى لا تحتاج الى دليل ، والجنوب اللبنانى ضمن «الحلم الصهيونى» وهو يحقق لاسرائيل الحدود الطبيعية والجبلية المنيعة فى المنطقة المتممة جغرافيا للمرتفعات السورية ، ومن ناحية اخرى تستطيع اسرائيل ان تستوعب ضعف سكانها عن طريق سيطرتها على مياه نهر الليطانى وبواسطة التوسع الراسى والاستفادة من الاراضى التى تحت سيطرتها الان وتنقصها المياه..

وكانت العقبة التى امامى لانجاز المشروع هى التكاليف التى تصل الى ٣٠٠ مليون ليرة فاتصلت بالشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية، وشرحت له هذه المخاطر ، ووافق على تمويل المشروع فورا ، ورغم ذلك بقى المشروع متعثرا .. ؛بقى سد القرعون لا يحفظ سوى ١٠٪ من الميا .

طريق هرقل

وامضى مع النهر .. مشاكله ومجراه ، من سد القرعون فى اتجاه مرجعيون .. فى ذات الطريق ـ طريق البقاع ـ الذى قطعه هرقل ملك الروم عام ٦٣٦ م فى طريقه لملاقاة القوات العربية البازغة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، ليشهد نهر اليرموك عند لقائه برافده الرقاد فى شرق الارد[ن] اهم المعارك العربية والتى كانت ايذانا بانتها[ء] الحكم البيزنطى .

يقطع مرافقى تاملاتى التاريخية بقوله .. « يحـ[ـق] للكثير من ابناء المنطقة أن يطلقوا على نهـ[ـر] الليطانى نهر المليون فقير ، ويكفى أن تعرف ا[ن] نصف أراضى البقاع تملكها فقط خمس عائلات [..]

نصل الى خمس قرى فى المنطقة ، تقع ار[...] منها قرب مجرى النهر هى : سحمر ، ويحمر وزلايا ، واليا ، والخامسة لبايا التى تقع عا[...] راس تل مرتفع الى الشرق وتطل من فوقه عا[...] وادى التيم منطقة حاصبيا العرقوب التى كا[نت] المعقل الرئيسى للدروز .

ان الطريق الوحيد الذى يربط هذه القر[ى] الخمس بمنطقة مرجعيون شقه الالمان خلال الحر[ب] العالمية الاولى ، والذى كان عام ١٩٦٠م طر[يقا] ترابيا عندما رصف ، وقد استخدمت هذا الطر[يق] المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية

عش النسر

وصلت الى قلعة الشقيف التى تطل على الليطانى. وتحتل موقعا بالغ الدلالة ، نقطة فا[صلة] بين البقاع والجنوب ، عند النقطة التى [...] لديها النهر فوق الثنية الحادة التى يتجه [...] نحو البحر المتوسط ، حول منطقة جبلية وامام المروج والمرتفعات وعلى الضفة الاخر[ى] النهر شبكة طرق تحكمها القلعة ، تنتابك رجفة عندما تتلاحق امامك المشاهد التاريخ[ية]

لقد وصلت الى القلعة عبر طريق الزهر[انى] النبطية ، وفى الطريق ظهرت العر[...]ة الام[...]

سيارة جيب تعبر نهر الليطاني عندما ينساب في مجرى ضيق قريب من بلدة (الزرارية)٠

، المباني المنهارة بتأثير قصف الطيران ، فهذه نطقة تبعد عن الحدود الاسرائيلية ما يقل عن ٢كيلومترا .وبعد وصول قوات الطوارىء الدولية سبحت من أقرب الاماكن التي تقع في متناول لدفعية الاسرائيلية والانعزالية ، فهي تطل على نلك القرى الواقع في أيدي القوات الانعزالية ، هي القليعة بلدة قائد القوات الانعزالية الرائد سعد حداد ، وكل من الخيام ودير مماس وتظهر ل هذه الاماكن بوضوح من خلال المنظار المقرب ، يقف موقع القلعة فوق أعلى قمة صخرية ٠٠

ان قلعة الشقيف اختزال بليغ لتاريخ هذه لمنطقة . بل هي « مكثف » للتاريخ العربي كله ٠٠ وهي تعكس الصراع المتشابك الذي شهدته لمنطقة . الماضي والحاضر امامك ، فهي أهم لحصون لمواجهة الغزو الاجنبي الذي تمثل في لماضي في الحروب الصليبية التي شهدت القلعة معاركها الحاسمة ، مر بها رموز المواجهة والنصر العربي منصلاح الدين الايوبي الىالظاهر بيبرس، وتمثلفيالحاضرفي القصف والغارات الاسرائيلية٠

ويؤكد موضعها والقرى من حولها الرأي القائل اصل المدن التاريخية هي الوظيفة الحربية وأن مدينة في التاريخ كانت عسكرية ، فهي تقع خط مرصع بالقلاع ، تلك التي تقوم على الغزوات الرئيسية وتحددها خطوط التضاريس رى لمداخل الانهار والفتحات الجبلية والبوابات يعية ٠٠

القلعة موقع استراتيجي ونقطة قوية توفر امكانيات ومناورات الهجوم والدفاع ، وتوفر الحد الاقصى من الحماية والحد الادنى من الاخطار ، فهي برج ممتاز ، وتمثل المياه الجارية في النهر تحت القلعة فيأسفلالوادي عامل حماية اضافيا٠٠

ومن فوق القلعة ترى ذلك الجمال الموحش الذي يظل الكلام عاجزا عن وصفه ، النهر من بعيد تحدده انثناءات الوادي ، وتلك السهول التي تمتد بغير زرع ، وتتحول الى مراع في غير موسم الزرع،وحوله القمم والسفوح التيتغطيها الاشجار والبقع الداكنة التي تتخللها المساحات الخضراء، والقلعة تسيطر على الممر الجبلي وطرقه التي تربط صور وصيدا بالبقاع بدمشق ، وهي تسمى ارنون الشقيف وارنون تعني بالسريانية السيل المندفع والشقيف تعني الصخر العظيم ، وتسمى عند الفرنبيينبلفور Belle Fort أيالحصنالجميل، هذا ما ذكره ليأحد الشبابالمثقف فيالقلعة والذي وقف يرقب بتحفز تحركات الجيش الاسرائيلي والقوات الانعزالية، ولم يغب عنه المغزى التاريخي للمكان ٠٠

ترتفع القلعة فوق نهر الليطاني ١٥٠٠ قدم وفوق سطح البحر ٢١٩٩ قدم وتقف كأنها « عش النسر » ، وهي أروع ما خلفته العصور الوسطى من فن عمارة الحصون ، ويذكر فيليب حتى عن تاريخ القلعة أنها ٠٠ « اقيمت عندما حرص الصليبيون على أن يسيطروا على المضايق الاستراتيجية التي تربط الشاطىء الذي كان في حوزتهم بالمناطق الداخلية ، واقاموا الى جانب القلاع والحصون الساحلية سلسلة أخرى

منظر شامل لنهر الليطاني في البقاع .

من القلاع على المرتفعات أو عند سفوح الجبال الغربية المشرفة على الساحل ، ولا شك أن اروعها كانت قلعة الشقيف ، ويضيف .. « أن الملك فولك صهر بلدوين الثاني وخليفته هو الذي بنى قلعه التشقيف عام ١١٥٣م على موقع كان الرومان قد اقاموا عليه حصنا .. »

على أن ثمه مواقع وعلامات لا بد ان تستوقف زائر قلعة الشقيف .. مناعة وقوة حوائط القلعة، وسمكها ، واجهة القلعة تجاه النهر والمزاغل التي أعدت ، لتحمي المواقع المعدة للاطلاق والتي تبلغ واجهتها ١٣٠ ياردة طولا ، ٣٢ ياردة عرضا ، وارتفاع جدرانها يتراوح ما بين ٥٨ الى ٧٨ قدما من جهـة الخنـدق المحيط بهـا في الجنوب والغرب ، وهو خندق محفور في الصخر وعمقـه يتراوح بين ٤٨ الى ١١٥ قدما ، وفي قلب الخندق حفرت غرف آبار لحفظ الماء ، وتتكون القلعة من سبعة طوابق أغلبها سراديب تحت الارض .

وتنقلت حول القلعة في حذر وفي حماية موقع قوات الطوارىء الدولية والقوة العسكرية العربية التي تقف بالمرصاد للرد بقوة على قصف العدو ، وتظهر علامات القصف في البناء المتهدم لبعض جدران القلعة ..

وبعد الجولة ـ حـول القلعـة والتنقـل بـين حجراتها ـ جلست مع عدد من الشباب حماة القلعة نحتسي الشاي ونشعر بالدفء ، نماذج مختلفة أحدهم ترك جامعته وجذبه الصدام المسلح والدفاع عن الوطن ، وآخر تخطى الخمسين كان أحد الجنود الفلسطينيين الذي قاتل الاحتلال الاسرائيلي فـي غزه وفي سينا. والتحق بالجيش المصري وجاء حيث يتمكن من قتال القوات الاسرائيلية ..

ورغم الازمة الطاحنة يتسم الحديث بالتفاؤل والامل ، وحلم غامض بالقضاء على كافة المظالم والشرور ، ووعي عميق بحركة التاريخ ..

وروى أحدهم : كيف فشلت القوات الاسرائيلية بعد اجتياحها للجنوب في الوصول الى القلعة ، رغم القصف المدفعي المكثف والغارات الاسرائيلية المتواصلة ، لذلك أصرت القوات الاسرائيلية قبل انسحابها على ضمان وصـول قوات الطـوارىء الدولية الى القلعة ،ورفضت المقاومة الفلسطينية، وتم التوصل الى حل وسط والاكتفاء بمركـز للرقابة الدولية التابع للامم المتحدة ..

وانتقـل الحـديث للمشـاهد الت[illegible] شهدتها القلعة ، والذي يعتبر الصـ[illegible] وتشهده القلعة الان جزءا منها ، الذي بدأ بالخطاب الذي القاه البـ[illegible] الثـاني الفرنسي المولد عام ١٠٩٥، بكلرمونت والذي حث فيه المؤمنين المسيح[illegible] الطريق الى كنيسة القيامة لانتزاعه[illegible] المسلمين ، وكانت الحـروب الصليبيـ[illegible] سوريا الشمالية ـ لبنان ـ أول من [illegible] وعندما بلغ الصليبيون البترون اتصلوا [illegible] فكانوا الادلاء لهم ، وقدموا لهم خدمات جليلة وخرج من القـاهرة جيش صلاح الدين الايوبي ليتصدى لهذه الهجمة ، وتم له القضاء على جيش « الافرنج » في معركة حطين ، ثم اتجهت [illegible] التحرير لتطهير الارض العربية من الحصون الصليبية الباقية ، فحررت في طريقها الشوبك والكرك [illegible] الجنوب وقلعة كوكب والشقيف وصهيون في الشمال.

والظاهر بيبرس

وتمضي دورة تاريخية جديدة ، وتخرج مرة أخرى قوات الملك المظفر وقائده الظاهر بيبرس من القاهرة [illegible] ١٢٥٩م لمواجهة اجتياح الاعصار المغولي القادم [illegible] الشرق والحقت قوات الملك المظفر بهم الهزيمة [illegible] عين جالوت . ثم عاد خليفته الظاهر بيبرس ليفتح قلعة الشقيف من جديد ..

ولا يجوز أن نستسلم للحلم طويلا ، فسرعـ[illegible] ما تفيق على صوت الحياة من حولك ، وعلى حقيقة وضع القلعة الراهن ، عنـدما شهـ[illegible] جـزءا من الحـروب الطـائفية عندما [illegible] زعمـاء « لبنـان » الى مزاولة الفـن الميكيافيلي ببراعة ، فمثلا خلال القتال الذي نشب بين الت[illegible] والمماليك كان هؤلاء الامراء ممثلين لدى الجبه[illegible] ليكونوا مع الجانب الفائز ، وهكذا قامت سياسة الانتظار والحذر والمداهنة ، وعندما كانت تنف[illegible] طائفة بالعون الخارجي على أخرى يخلف ذلك احقادا لا تنسى ، وهذه المناطق التي يقطعها النهر ـ البقاع والجنوب ـ كانت حتى عهد قريب جزءا [من] سوريا . الى ان ضمها الجنرال الفرنسي جورو بيروت ومدن طرابلس وصيدا وصور ، والتي [ضمت] جميعا الى «متصرفية» جبل لبنان في عام ١٩٢٠

..ح دولة واحدة ضمن الانتداب الفرنسي . وقد .. ابناء الساحل – الجزء الاكبر من الجنوب – ..يا معترضين على هذا الكيان .

مياه تحت الجسر

..من رحلة التاريخ في القلعة الى آخر نقطة ..لى النهر ، عند مصبه في بلدة « القاسمية » ..ندما يصبح النهر في عنفوانه ، والذي وصلته ..غم نصيحة الاصدقاء الذين يتوقعون تجدد الغارات ..لاسرائيلية ، وان زيارة هذه المنطقة تحمل في ..ياتها مخاطر كبيرة ، توجهت بالسيارة من بيروت ..ى الطريق الساحلي قاصدا صيدا ، وعند الدمور ..بدأ آثار الحرب الاهلية في الظهور ، الشواطيء ..هجورة والفنادق التي سكنها النازحون الهاربون ..ن الموت المتربص في الجنوب، وكلما اتجهت جنوبا ..زداد الخطر في اكثر المناطق اللبنانية بؤسا ..معاناة ..

.. حركة السير على الطريق كثيفة رغم الحواجز ..الاخطار ، ففي موسم الحصاد تنقل الشاحنات ..الحمضيات من بساتين الجنوب ، وسريعا ما وصلنا ..الى صيدا التي عادت الحياة الى مينائها كشريان ..حيوي بعد اغلاق مرفأ بيروت، انها الضارة النافعة، ..ومن صيدا الى الزهراني البوابة التي تصلك بالداخل ..والذي يصب فيها انبوب البترول السعودي ..

وصلنا الى جسر « القاسمية » اكبر الجسور ..وآخرها على نهر الليطاني ..

..ارى احدى دبابات جيش لبنان العربي في الوادي المحاذي للجسر ، وفوق الجسر ، وحوله حراسة مشددة فهو اهم شريان للجنوب ، وحوله قامت ازمة بين المقاومة الفلسطينية وقوات الطواريء الدولية والذي بقي اخيرا في أيدي القوات العربية المشتركة.

والى جانب الجسر خط حديد الحجاز الذي اقيم عام ١٩٠٨ م ليصل استانبول بالمدينة المنورة ، والذي عمل لورنس على نسف جسوره خلال الحرب العالمية الاولى ..

تصل الى المصب القريب من الجسر عبر بوابة كانت مغلقة ، وفوجئت بان المصب وجزءا من النهر ملكية خاصة يتوسطها بستان للموالح وبيت ريفي باعه صاحبه مؤخرا بستة ملايين ليرة، تختلط المياه العذبة بمياه البحر ، ويبلغ مستوى انحدار نهر الليطاني ٩٠٠ متر ، وسعة تفريغه تبلغ ١١,٥٠ متر في الثانية ، اى ما يزيد عن ٧٠٠ مليون متر مكعب في السنة ، وما زالت مياهه تهدر في البحر لتعثر مشاريع النهر ، امامي بقعة مياه زرقاء واسعة يحدها السافانا والبوص ،تجذب اللقطة عدسة زميلي المصور ، الارض على جانبي النهر تنتشر بها اشجار الموالح المرصعة بالبرتقال الطازج .

اقف الان على طرف « الخط الاحمر » من الجنوب،عند نقطة التقاء النهر بالبحر،والذي تبلغ مساحته ٩٨٦ كيلو متر مربع ، والذي شهد الاجتياح الاسرائيلي في ١٤ فبراير عام ١٩٧٨م والذي انسحبت منه اسرائيل وتركته وراءها على النحو التالي :

الخط الممتد من صور على الساحل حتى

قلعة الشقيف ارنون ، أو (عش النسر) والتي تشرف على نهر الليطاني .

الحياة في أحدى قرى الجنوب وصناعة الخبزاليومية ٠

رغم التوتر جلس على قمة جبل عالية واخذ يدخن النرجيلة ٠
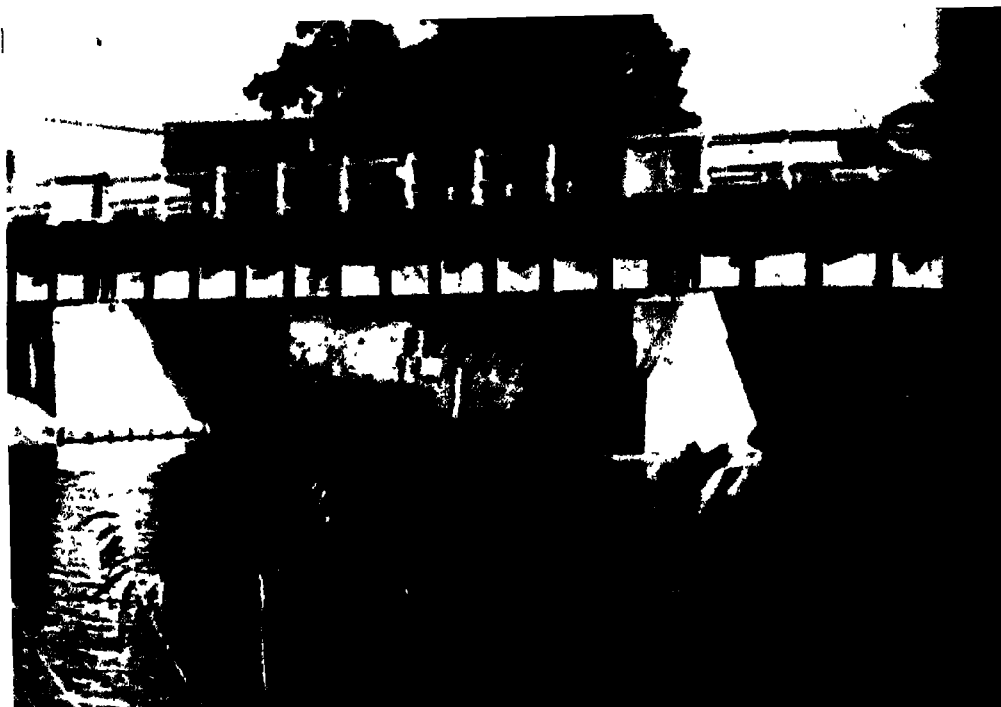
جسر القاسمية والنهـــر في عنفوانه واحدى الشاحنات تحمل منتجات الجنوب الى بيروت •

المصب عند نبع « العليق » في قضاء بعلبك •

النبطية يتولاه جيش لبنان العربى ، بما فى ذلك الجسور الثلاثة على النهر ، القاسمية ، والقعيقية ، والخردلة .

خط آخر تتولاه قوات الطوارىء الدولية جنوب نهر الليطانى فى المناطق التى انسحبت منها القوات الاسرائيلية ، على الحدود الشمالية للخط الاحمر، وخط ساحلى جنوب النهر حتى حى تتمركز فيه قوات المقاومة الفلسطينية .

خط رابع يمتد على طول الحدود اللبنانية الاسرائيلية يتراوح بين ٥ و ١٥ كيلو متر تتولاه المليشيات الانعزالية التى تدعمها اسرائيلبالسلاح والتموين وتضعه تحت حماية المدفعية الاسرائيلية وتسميه « الجدار الطيب » .. !

قرى حول النهر ..

وانتقلت من الجسر وتجولت فى القرى الواقعة حول النهر ..

واول ما تلمحه علامات الفقر والبؤس الواضحة، وعند كل مكان نصل اليه يروى مرافقى المقاومة الباسلة للاهالى ، وقصة الذين دفعوا بحياتهم لوقف الغزو الاسرائيلى ، القرى تكاد تخلو من الرجال ، فلم يصادفنى سوى الشيوخ والاطفال ، وتغيب الدولة وتقوم اللجان الشعبية التى اقامتها الحركة الوطنيةلادارة هذه القرى ، وقريب منقرية « الزرارية » تعبر السيارة اللاندروفر النهر عندما يجرى ضعيفا متكاسلا ، والاحظ ان قرى البقاع اقل فقرا من قرى الجنوب .

فالحالة هنا كانت دائما بائسة ، وقبل الهجوم الاسرائيلى كانت هذه القرى تعانى من الفقر والنزوح والبطالة ، والارض هنا وعرة مجدبة ، شعاب قائمة بين الهضاب والصخور تعانى قسوة الحياة وعقم الارض الذى يصاحبه اعلى خصوبة للنساء ، وتقول الدراسات الاحصائية حتى قبل الازمة :

ان ٤١٪ من منازل الجنوب تفتقر الى مطبخ ، و ٣٧٪ منها ليس بها مرحاض ، و ٥٥٪ محرومة من الماء العذب و ٢٩٪ منها بدون كهرباء ، وما زالت مساحات واسعة من الارض غير ، ـتقرة اما لعدم توفر مشاريع الرى او بسبب الملـ الغاما الكبيرة ..

وكان من الطبيعى ان تتوحد الازمة ـطنية مع الازمة الاجتماعيةوان تكون ارضا خصبة ـتنظيمات السياسية ، وان يخرج من هذه البيئة تنظيمات المحرومين التواقين الى العدالة ..

الفلسطينى

وكانت هذه المنطقة اولى المناطق التى تلقت الفلسطينى النازح عام ١٩٤٨ ، ودفع الجنوب ثمن هزيمة ١٩٤٨ وهو صاحب العلاقة الحميمةوالعريقة بفلسطين ، وتلقى النازح الفلسطينى عقب حرب ١٩٦٧ ، وبعد احداث الاردن ، وانتشرت بـ المخيمات الفلسطينية التى تحولت مع الزمن الى قرى ، وهى التى تركز عليها القصف الاسرائيلى ، وعندما شاهدت قرية « العباسية » وجدت ان كافة مبانيها تكاد تتهدم ، واقيمت هذه المخيمات فى البداية علىمساحات صغيرة من اراض غير مزروعة، أو فى معسكرات حربية مهجورة كان يحتلها الجيش الفرنسى ، وحلت الاكواخ مكان الخيام ، ثم استبدلت بالاكواخ بيوت من الطوب،ويزداد سكانها بمعدلات مرتفعة ، وحدثت فى فترات مختلفة حركة انتقال اليها من فقراء اللبنانيين والسوريين ، وجاء فى احصاء لبنانى عام ١٩٧١ « ان هناك ٥٠٠ر١١ لبنانى منهم ٥٥٠٠ فى جنوب لبنان و٣٣٠٠ سورى يعيشون فىالمخيمات الفلسطينية » وتوحد الجميع فى مواجهة الحرمان !

واهم هذه المخيمات فى جنوب لبنان هى عين الحلوة التى يبلغ عدد سكانها ٢٥ الفا والتى تقع جوار صيدا ، وفى النبطية وميفدون ، وجويا وتانا وكفرا وعيتا الشعب ، وبرج الشمال ، وخلق هذا الوضع لدى كافة الاطراف المتصارعة خطرا جديدا هو شبح« التوطين » ليضيف سببا اضافيا للنزاع وخطرا جديدا للخلل الديمغرافى بين الطوائف » .

لقاء أرسكين .. !

وبقيت القرىالمشرفة علىالنهر جنوب الليطانى

فيه ضمن خط قوات الطوارىء الدولية ، وحدد مكتب الامم المتحدة في بيروت موعدا مع الجنرال سكين قائد القوات الدولية،فيمقره في الناقورة، نصل اليهاعبر أحد حواجز مليشيات الانعزاليين، صلت الى « صور » مقر القوات الدولية في أحد نات الجيش اللبناني . وعلى أبوابهـا شاهدت سورة حادة للازمة اللبنانية ، عدد من المواطنين من قرى الخاضعة للانعزاليين يطلبون حماية القوات دولية في مواجهة عربدة الانعزاليين ، الـذين رضون الاتاوات ويخطفون غالبا من أجل الفدية والقليل لاسباب سياسية أو طائفية ، وعلى باب الثكنة التقيت بكبير قساوسة صور والذى يسعى للقيام بعملية تبادل للافراج عن احـدى الفتيات التى تحتجزها القوات الانعزالية ..

قادة التكنة مـن الايرلنديين تشوب تصرفاتهم التوتر ، وخاصة بعد أن أوقفت احدى الحواجـز الانعزاليـة جنـرالا فرنسيا وأصرت علـى تفتيشه تفتيشا ذاتيا ، وتركت صور وتوجهت الى موعدى مع قائد قوات الطوارىء الدولية الذى لم أستطع الوصول اليه، فعندما اقتربت منالحاجز الانعزالي وجدت بالعديد من الاهالي يعودون مهرولين شاكين من احتجاز رفاقهم عند الحاجز التى ينتصب الى جانبه أحد حواجز القوات الدولية ..

ورفض السـائق أن يكمل الطريق ، فهو يعرف مع من يتعامل ، وضاع الموعد ، واكتفيت بزيارة قرى النهر التى تسيطر عليها القوات النيجيريـة والقوات الايرانية التى كانت تستعد للرحيل .

يقول القرويون انهم يخشون عـودة المليشيات الانعزالية والجيش الاسرائيلي ، وقد عاد الى هذه القرى بعض الذين نزحوا ، وفي قرية شـحر ردد مدرس شاب أصداء القلق الذى يخيم على المنطقة بقوله .. « لقد كشفت المليشيات من قصفها لمواقع الامم المتحـدة ، ويقومون كل يوم بتعزيز مواقعهم بالدبابات والمدفعية ، انهم لا يكترثون بالقـوات الدولية .. » وروى .. « كيف تهـدد القـوات الانعزالية بقصف القرى طلبا للمال الذى يسارع الاهالي لجمعه تجنبا لهدم منازلهم وقتل اطفالهم .. انهميعربدون فيالمنطقة بلا رادع .. وفيحماية الطائرات والبوارج الاسرائيلية التى تجوب المياه اللبنانية » .

وروى أحد القرويين الذين شاهدوا الاجتيـاح الاسرائيلي، كيف كان عدد قليلمنالمسلحين يعطلون التقدم الاسرائيلي طويلا ، مستفيدين من وعورة الطرقات ..

المطامع الاسرائيلية

وأخيرا ..

مع جولتي حول النهر ومشروعه والسكان من حوله ، كانهناك بعد مشترك يؤثر فيكل التطورات التى تشهدها لبنان ، وهذا العامل هو المطـامع الاسرائيلية في الجنوب ومياه النهر ، وأى متأمل فـي الازمـة اللبنانية ، يلاحـظ بوضـوح الدور الاسرائيلي الذى يسعى الى خلق الظروف المواتية لتحقيق هذه الاطماع ، وبالطبع لا يمكن لاسرائيل أن تقوم بدورها ما لم تعتمد على عناصر داخلية ، والتى ظهرت الى السطح بعد حرب السنتين ، فرغم التناقضات والعوامل الطائفية ، فاليد الاسرائيلية لم تعد خافية في اطالةالمحنة، واستمرار الانهيار ، وقد أعلنت الحركة الصهيونية بصورة لا لبس فيها عن هدفها منذ البداية . وهو الوصول الى نهـر الليطاني كحد شمالي لها ، وتحويل مياه الليطاني واستغلاله ، ويساعدها على تحقيق هـذا الهـدف اقامة دويلات طائفيةتصبح اسرائيل الدولةالراجحة بينها ..

ولم تكتف بالاعلان بل تحركت واستخدمت كـل الظروف وكافة الادوات التى تحت يديها لتحقيق هذا الهدف ، بل واجتاحت هذه المنطقة ، وخلقت وضعا أصبحت طرفا فيه حتى فيالصراعات المحلية، والغريب أن العرب لم يتلقوا الرسالة الواضحة بعد ، او لعلهمعجزوا عن فهمها ،أو رفضوا تلقيها لاسباب مختلفة ، أو لعـله العجز عن الاستجابـة والرد على هذه الاخطار . ■■

مصطفى نبيل

للفنان جمال السجيني

١٩١٧ - ١٩٧٧

لوحة « الحرية » للفنان جمال السجيني (١٩١٧ - ١٩٧٧) هي من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة ولكن هناك لوحتين مشابهتين لها بنفس الاسم لنفس الفنان! احداهما بمتحف بوشكين في موسكو والاخرى بمتحف الفنون في بكين .

كان الفنان جمال السجيني من المع الاسماء في الحركة الفنية المصرية طوال الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى بعد وفاته في اسبانيا عام ١٩٧٧ .. وقد التحق السجيني « بمدرسة الفنون الجميلة العليا » عام ١٩٣٣ - التى اصبحت الان تحمل اسم كلية الفنون الجميلة بالقاهرة - وتخرج عام ١٩٣٨ ليسافر في بعثة دراسية الى باريس ، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية ادى الى تحويل بعثته الى روما ثم العودة الى ارض الوطن - دون ان تتم دراسته - عندما دخلت ايطاليا الحرب الى جانب هتلر ضد الحلفاء .. وعمل معيدا بكلية الفنون التى تخرج فيها حتى انتهت الحرب ، فسافر مرة اخرى الى اوربا لاستكمال دراسته ، وعاد عام ١٩٥٠ بعد ان حصل على دبلوم النحت من اكاديمية الفنون في روما ودبلوم فن الميدالية وسك النقود ، وتدرج في سلك تدريس فن النحت بكليتي الفنون الجميلة بالقاهرة والاسكندرية الى ان تولى منصب رئيس قسم النحت حتى احيل الى التقاعد في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٧ .

كان الفنان منذ اتم دراسته بالقاهرة غزير الانتاج دائم البحث يواصل التجديد ، فكان فنه دائما موضوع نقاش بين المتحمسين له والمعترضين عليه .. واعماله تمثل علامة بارزة في تاريخ فن النحت المصري الحديث ، لانه في اعقاب الحرب العالمية الثانية كان اول من ادخل الاتجاه (الرمزي) ثم (التجريد المعماري) في فن النحت العربي ، واستطاع ان يمزج ببراعة بين مميزات التراث المصري القديم والتراث الاسلامي في لوحاته المنفذة على النحاس بأسلوب الطرق ؛ ومن بينها لوحة « الحرية » التي صاغها ثلاث مرات . واستخدم حروف اللغة العربية بطريقته الخاصة التي ميزته من وقت مبكر قبل ان تظهر حركة « الحروفيون العرب » بين الفنانين التشكيليين .

براعة في الميداليات

لقد فاز السجيني بعديد من الجوائز كانت اولاها جائزة « مختار » للنحت عام ١٩٣٧ وهو لم يزل طالبا بعد . وفي عام ١٩٥٥ فاز بجائزة معرض « بينالي الاسكندرية » الاول ، ثم جائزة « الانتاج الفني » في مصر عام ١٩٥٦ ، والميدالية الذهبية من معرض موسكو الدولي عام ١٩٥٧ وكذلك الميدالية الذهبية من معرض بروكسل الدولي عام ١٩٥٨ . ثم فاز في مسابقة لاقامة

لوحة « الحرية » للفنان جمال السجيني من النحاس المطروق القياس ٤٧ × ٣٧ سم
(عام ١٩٥٦) .. موجودة بمتحف الفن الحديث بالقاهرة .ج.ع.م

تمثال امير الشعراء احمد شوقى فى حدائق « بورجيزي » بروما عام ١٩٥٨ ، ومنح جائزة الدولة لفن النحت فى مصر عام ١٩٦١ ، كما حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى ، ووسام من الحكومة الايطالية بدرجة « فارس » ، وفى عام ١٩٦٤ فاز فى مسابقة النحت البارز على قاعدة النصب التذكارى لشهداء بورسعيد ، واقام عام ١٩٧٥ تمثالا يعبر عن « العبور » فى مدخل مدينة « بنى سويف » .

وقد اقام عشره معارض خاصة لاعماله فى مصر بالاضافة لمشاركته الدائمة فى المعارض العامه ، اما معرضه الحادى عشر فقد اقامه فى اسبانيا خلال شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ ومات هناك قبل ان يتم رحلته فى اسبانيا .

كان السجينى بارعا فى فن تصميم الميداليات والنقود ، وهناك عدد كبير من الميداليات التذكارية التى ابدعها لتخليد احداث هامة مثل عيد العلم ، وميدالية جائزة الدولة التقديرية ، وجائزة السينما ، والمهرجان الآسيوى الافريقى ، وميدالية السد العالى ، وافتتاح مطار القاهرة الدولى وجميع ميداليات معارض بينالى الاسكندرية الاثنى عشر .. وغيرها ..

وانطلاقا من براعته ومهارته فى هذا الفن انطلق الى صياغة لوحاته الشهيرة على النحاس المطروق .. فى هذا المجال يثبت الفنان مسطحا من النحاس على مادة صلبة وتتميز بانها لا تفقد تحت طرقاته ويحول التصميم المرسوم بالخطوط الى نحت غائر ، حتى اذا اتم عمله النحتى على هذا الجانب السالب ، نزع لوح النحاس من المادة المثبت عليها فظهر الوجه الموجب الاخر بارزا كالذى نرى الآن صورته المرفقة للوحة « الحرية » ، انه يطرق الشكل فى الاتجاه العكسى مراعيا ان الغائر سيكون بارزا وان البارز سيكون غائرا ، وان الجانب الايمن سيكون ايسر والايسر ايمن ... وهكذا ...

الى السلام والحب

ان هذه اللوحة قد صممت وفقا للاسلوب الرمزى فى الفن الذى يكثف الفكرة ويركزها فى رموز قليلة تعبر عنها وتشير اليها ، فالعملاق المحبوس خلف القضبان يرمز الى الشعب الذى يتجه الى تحقيق حريته بنفسه وبايمانه ، مستخدما قوة ساعديه وكفاحه واصراره الدائم من اجل الحصول على حريته .. يخرج يديه من بين القضبان التى ترمز الى كبت الحريات ، ويحطم هذه القضبان يحدث بها انفراجا يسمح للحمامة ، الطيور وداعة ونقاء ، بأن تنطلق الى الحرية .

وعلى المساحات التى يؤطرها القضبان كتب بحروف مفردة الكلمات التى الموضوع ... الى السلام ، الى الحب ، الى الامل ، الى الجمال ، الى العقيده ، الى الناس ، الى العدالة ، الى الوعى ، الى الحريه ، الى العلم ، الى الهواء ، الى الشمس ... وهكذا .

ولهذا كانت هذه اللوحة من ابرز اعمال الفنان التى اثارت اعجاب كل من رآها مهما كانت جنسيته وعقيدته ، فالجانب الانسانى فيها عام شامل يرتفع على مستوى الحدث الوقتى العارض ، فهى تعبر عن الشوق الدائم عند الانسان الى الحرية . وفى نفس الوقت كانت من انجح الاعمال التى عبرت عن احداث عام ١٩٥٦ التى مرت بالوطن العربى .. وفيها حقق الفنان طابعا عربيا مميزا تمتد جذوره الى الفن الاسلامى القديم الذى كانت اشغال المعادن من اهم آثاره الفنية .

وعندما اقيم معرض موسكو الدولى عام ١٩٥٧ شاركت مصر بهذه اللوحة ضمن الاعمال الفنيه التى عرضت هناك ، فطلب متحف بوشكين اقتناءها ، ولكن المسئولين عن المعرض اعتذروا عن عدم اجابة الطلب لانها من ممتلكات متحف الفن الحديث بالقاهرة الذى كان قد اشتراها من الفنان قبل ارسالها لتعرض فى الخارج ، وانتقل المعرض المصرى بعد ذلك الى الصين ، وكان يرافقه فى هذه الجولة الفنان المصرى الكبير عبد السلام الشريف .. ولمس الاعجاب العام من الصينيين بهذه اللوحة حتى طلب المسئولون عن متحف الفنون فى بكين شراءها والحوا فى الطلب ..

وعلم الفنان بذلك عند عودة زميله المرافق للمعرض والذى حمل اليه اقتراحا بأن يعيد الفنان تنفيذ نفس اللوحة .. وقبل السجينى العرض فانجز لوحتين مشابهتين احداهما طارت الى متحف بوشكين بموسكو والاخرى انتقلت الى متحف الفنون فى بكين .. ولكن اللوحات الثلاث لا تتطابق تماما لأن جمال السجينى كان كلما اعاد صياغتها ادخل بعض التعديلات عليها .

لغة الخلايا الجنسية

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

لكل شيء في الكون لغة· ·لكن اكثر الناس عن هذه اللغات معرضون ، لانهم لايهتمون الابظواهر الامور ، أما بواطنها فعنهم محجوبة،أو قل أنها مدثرةبستائر من الغموض ، ولهذا لا تتكشف الا للعلماء الذين يبحثون عن الحقيقة في أية صورة من صورها ·

فعالم الذرة مثلا يستطيع ان يدرك لغة ذراته، او ما حوت هذه الذرات من جسيمات تعبر عن وجودها بالموجات ·· نوع خاص يعرف باسم الموجات الكهرومغناطيسية التي أصبحت لغة من لغات الكون المنظور وغير المنظور ·

وعالم الفلك يتعامل مع الفضاء وما حوى ، والكون وما طوى ، من خلال لغة اخرى تلتقطها المناظير الفلكية ، وله فيها تفسير وتعليل ·

وكذلك يكون عالم الكيمياء مع تفاعلاته ومعادلاته ، او عالم الجيولوجيا مع الارض وطبقاتها وحفرياتها وصخورها ، او عالم الاجناس مع سلالاته وطفراته ، او عالم البيولوجي مع خلاياه وانسجته، أو ما حوت هذه وتلك من نظم من داخل نظم من داخل نظم ··· الخ ·

والواقع ان هذه جميعا مواضيع طويلة ومتشعبة ومثيرة ، ولا يتسع لها هنا المجال ، ومن اجل هذا فعلينا ان نتعرض لنقطة واحدة من هذا البحر الزاخر بالاسرار واللغات، ولنعرضها هنا ببساطة، وبقدر ما يسمح المجال ، ليتبين لنا ان كل شيء قد جاء بقدر معلوم ، ودبر بحكمة بالغة ،لتسرى الامور بروعة الى هدفها العظيم ، وكما قدر لها الخالق ان تكون ·

عالم الظلمات !

ان للانسان حواسه التي يتعامل بها مع عالمه الذي يحيط به ، فله عينه التي يرى بها ، واذنه التي يسمع بها ، وانفه الذي يشم به ··· الخ كما ان له لغته المنطوقة والمكتوبة التي يتخاطب بها ويتفاهم، واحيانا ما تكون اللغة غير منطوقة، ولا مكتوبة فتظهر على هيئة تعبيرات في العين والشفاه وتقاسيم الوجه التي تعبر احيانا عن الرفض والقبول والسرور والقنوط والارهاق

* صورة مكبرة حوالى ١٣٥٠ مرة لل... الانسان .. وعلى رأس كل حيوان .. فيما وراء تكبير ...

والغضب وما شابه ذلك،وكل هذا نراه او نسمعه او نحسه ، مستخدمين فى ذلك حاسة من حواسنا او اكثر ، وهذا هو عالمنا الذى نعيش فيه وبه ، دون عناء يذكر .

لكن هناك عالما آخر تكتنفه الالغاز والاسرار والظلمات ، ولا نقصد هنا الظلمات بمعناها التقليدى ، ان قصدنا هو كل ما حجب عن حواسنا وادراكنا من لغات سرية .. لا هى مقروءة ولا هى مسموعة ، ومع ذلك نراها تعبر عن نفسها دائما فى عالم يعيش معنا او بيننا ، دون أن نفطن لذلك ، لقصور فى حواسنا ، وجهل فى ادراكنا .

فى هذا العالم المظلم الصغير الصامت تجرى تمثيليات من نوع مثير .

وبطلا التمثيلية « انثى » لاتكاد ترى ، أما « ذكرها » فاصغر منها بعشرات او مئات او ربما آلاف المرات ،الانثى لا تسمع ولا تتكلم ولا تشم ولا ترى ولا تتذوق ، وكذلك يكون ذكرها .

ومع ذلك فهناك تخاطب وتفاهم على ادق المستويات بفضل لغة سرية بديعة اودعها الخالق فى الخلايا الجنسية ممثلة فى ذكورها (الحيوانات المنوية) واناثها البويضات ، وبهذه اللغة الغريبة رسم لها طريقها ، وأوحى فيها امرها ، لتتوافق وتتعارف ، وتجذب وتطرد ، وتعطى وتمنع ، فاذا كل شىء يسير الى مداه العظيم ، وباحكام لا خلل فيها ولا فوضى .

لكن .. كيف يكون التخاطب او التفاهم بين حيوان منوى ، وبين بويضة اليها يسعى ، وفى غشائها يدخل ، قبل أن يطمسها من قبله أحد ؟ .. وما هى طبيعة تلك اللغة ؟ . وما هو هدفها ومعناها ؟ .

الواقع أن « التفاهم » او التعارف يتم عن طريق الجدار او الغشاء الرقيق غاية الرقة الذى يحيط بهذه الخلية الجنسية او تلك .. فكما نعرف الناس ببصمات اصابعهم او اختلاف اصواتهم ، حتى دون ان نراهم ، كذلك كان لكل نوع من أنواع الكائنات الحية «بصماته» الكيمائية التى جاءت بها جدر خلاياه الجنسية او الجسدية، وبحيث لا تتشابه هذه البصمة بين نوع ونوع من ملايين الانواع التى ظهرت على هذا الكوكب .. لكن العلماء يقفون امام هذه البصمات ، وكانهم بمثابة أطفال يتعلمون «ألف باء» شفرة الحياة ..

(مصبوغة بصبغة خاصة) . وهى لا تختلف كثيرا عن الحيوانات المنوية للثدييات بما فى ذلك
مركيميائية يتعرف بها على البويضة التى تتبع نوعه . وطبيعى ان هذه الشعرة لا تظهر هنا لانها
والالكترونية ايضا .

هذا فى الوقت الذى « يقرأ » فيه حيواننا المنوى « صفحة » بويضته ، أو « تقرأ » بويضتنا صفحة « فتاها » الرفيق ، وكانهما يمتلكان « مفتاح » لغة جديدة يترجمان بها ما عجزنا نحن عن قراءته واستيعابه ، فاذا تمت « الترجمة » او القراءة الصامتة بين الخلايا الجنسية ، وعرفت المضمون ، كان الرفض أو القبول ، أما الرفض فدليل على اختلاف البصمات أو عدم توافق اللغة المسجلة على غشاءيهما بجزيئات كيميائية متراصة صفا صفا ، ليصبح لها مدلول فى عالمها الصامت الدال على قدرة من خلق فقدر فسوى •

مثال من عالم النبات !

علينا اذن ان نوضح ما خفى عن حواسنا بمثال نحصل عليه من ذكر من ذكور النخيل الذى يحمل شماريخ زهرية ، تطلق حولها فى الهواء بلايين من الخلايا الجنسية الذكرية (حبوب اللقاح) •• لكن مما لا شك فيه أن هذه الحبوب الذكرية قد تحط بالصدفة على مياسم (مراكز استقبال الخلايا الجنسية الذكرية) زهورنباتات مثل القرع والطماطم والتين والباذنجان وعشرات النباتات الاخرى التى تنتشر حول ذكر النخل وتحته ، او لنتصور نحلة العسل وهى تنتقل بين زهور الانواع المختلفة للنباتات ، فتؤدى الى اختلاط الحابل بالنابل ، اى قد يتقبل ميسم زهرة البرتقال مثلا حبوب لقاح من النخيل او القرع او الباذنجان •• الخ ، الا ان هذا الميسم — ميسم زهرة البرتقال — لن يسمح بالدخول والاخصاب الا لحبة لقاح من نوعه فقط •• فالبرتقال للبرتقال ، والنخل للنخل ، والمشمش للمشمش •• والحياة نظام يا أولى الالباب !

على مياسم الازهار — اذن — فوضى ظاهرية ، لكن من هذه الفوضى يبرز نظام ، وينبثق تدبير ، ويقدر أمر « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » •• بدليل ان الميسم يوصد الابواب دون حبوب اللقاح التى ليست من « ملته » •• نعنى من نفس بصمته او لغته او نوعه !

كيف حدث « التعارف » — اذن — بين حبوب اللقاح وبين مياسمها حتى لا تكون الفوضى فى هذا العالم الذى لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ؟

لنؤجل اجابتنا حتى نسوق مثلنا آخر يسكن مستنقعا مائيا ، وفيه ترى درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .

لغات فى مستنقع !

فى مستنقع مائى راكد ، لاتكاد ترى فيه شيئا ، رغم انه يحتوى على مئات الانواع من الكائنات الدقيقة على هيئة طحالب وبكتيريا وفطريات وحيوانات اولية ذات خلية واحدة ، أو متعددة الخلايا ••• الخ ، ومع ان معظم هذه الكائنات تتكاثر بطريق الانقسام المباشر، بمعنى ان الفرد الواحد ينقسم الى فردين والفردين الى اربعة ••• الخ ، الا انه فى بعض الاحيان تميل الافراد الى التزاوج ، ورغم ان هذا الموضوع متشعب وطويل ، الا اننا سنلتقى حالات خاصة تغنينا عن سرد التفاصيل •

عندما يكون المستنقع فى أوج نشاطه وخصوبته، فان القطــرة الواحدة من مائه قـد تحتوى على عشرات الملايين من الافراد التى تتبـع انواعا واجناسا وفصائل ورتبا شتى ، وفى وسط هذه المعمعة من الكائنات، تنتشر ما نسميها بالجاميطات Gametes ، او الخلايا الجنسية البدائية التى اطلقتها كائناتنا الصغيرة فى المـاء بالملايين والبلايين ، وعلى كل جاميطة ان تبحث — فى هذا التيه الكبير — عن جاميطة اخرى من نفس نوعها لكى ترتبط بها برباط مقدس ، او غير مقدس •• لست ادرى !

ومن المؤكد ان هذه البلايـين من الجاميطات ليس لها ادراك ولا طريق محدد تسير فيـه ، بل عليها ان تسبح هنا وهناك ، وقد تتقابل — بطريق الصدفة — مع جاميطة أخرى ، وعندئذ قد يتوقفان عن الحركة ، وكانما كل واحدة تجس « نبض » صاحبتها وتتحسسها ، ثم قد نراهما يفترقان ، وكانما لسان حالهما يقول « لست لباسا لى ، ولا انا لباس لك ، ولاغشائى يفهم لغة غشائك ولا بصماتك تتجانس مع بصماتى ، وخير لنا ان نفترق ، ونسعى سعينا ، علنا نوفق فى مهمتنا ، ويكون لنا ما نريد » !

وهنا يحدث الفراق ، وعلى كل جاميطة أو

ذرات ، تآلفت في جزيئات ، تراصت في بنايات ، كما تتراص الحروف هنا في كلمات وجمل وفقرات ، ليصبح لها معنى في حياتنا ، وكذلك كانت الشفرات الكيميائة على اغشية الخلايا الجنسية .. انها بمثابة لغة مسجلة يقرؤها النوع ، ويفك رموزها بطريقة لسنا ندري كل تفاصيلها بعد ، وما أكثر ما لاندري !

فانبوب الاختبار مثلا يوضح لنا هذه الحقيقة.. فلو اننا اتينا بحيوانات منوية لفئران وكلاب وخيول وقرود ... الخ ، ووضعناها في انبوب اختبار يحتوي على وسط مناسب ، ثم وضعنا معها جميعا بويضة لانثى الانسان ، لما حدث لها تلقيح ولا اخصاب ، انما يحدث التلقيح او القبول اذا كان هذا الخليط غير المتجانس يحوي حيوانات منوية جاءت من انسان ، وعندئذ فقط تتعرف تلك الحيوانات المنوية على بويضتها ، وتطوف برحابها ، وتفك شفراتها ، وتسمح البويضة لها بالنفاذ والاخصاب دون غيرها .. وهنا نقول : ان اللغة قد اشتعلت ، والشفرة قد قرئت ،وحدث المراد من رب العباد !

ان انبوب الاختبار بما حوى من خلايا جنسية لحيوانات مختلفة نعرفها ونراها ، لا يختلف كثيرا عن مستنقع الماء الذي يحوي جيوشا من جاميطات ذكرية وأنثوية تبحث عن بعضها ، وتتعرف عن طريق شفراتها ، كما انها لا تختلف عن ميسم الزهرة الذي يتقبل انواعا من حبوب لقاح تتبع نباتات مختلفة ، ثم لا يسمح الميسم الا لحبة اللقاح التي تتبع نوعه في النفاذ والاخصاب .. وهذا ينبئك بالخبر اليقين ، خبر ان هذه العوالم ـ بداية من الميكروب الضئيل ، الى الانسان العظيم ، وما بينهما من ملايين الانواع والاجناس من المخلوقات ـ قد جاءت الى الحياة ، وهي تحمل معها « مفاتيح » لغة سرية كيميائة تتخاطب بها على مستوى الخلايا الجنسية ، ليتعرف النوع على نوعه ، ويوصد مادونه ابواب الاخصاب ، وبهذا تسري الحياة هينة لينة ، دون فوضى او ارتجال ، وهي ـ في الوقت ذاته ـ تضع العلماء الباحثين في اسرار الخلق في متاهات كبرى ، وعندئذ يعلمون انهم امام نظم سبحان من سواها وابدعها .

بين عالمين .. منظور وغير منظور !

لقد حطمت فكرة التلقيح في انبوب الاختبار نظرتنا التقليدية الى عملية الاخصاب ، فلكي ياتي فار او ارنب او حمار او قرد او انسان الى الحياة،كان لا بد انيسعى كلذكر الى انثاه،وطبيعي ان الحياة قد يسرت سبل هذا التعارف والسعي بين الانواع ، ليتزاوج كل نوع من نوعه ، وقد يكون السبيل الى هذا التعارف « نظرة .. فابتسامة .. فسلام .. » الخ ، كما هو الحال في الانسان ، او نظرة فقط ، كما هو الحال في الحيوان ، وقد تيسر امور اللقاء بلغات ندرك بعضها ، ولا ندرك بعضها الاخر ، فطنين البعوض، ونقيق الضفادع ، وزقزقة العصافير ، وهديل الحمام ، وصرير الصرصار .. الخ .. الخ . تحمل في طياتها نداء الجنس ، او قد يكون النداء عن طريق رائحة كيميائيةتطلقها الذكور او الاناث لتجذب جنسها من مسافات بعيدة كما هو الحال في الفراشات .. الخ ، والواقع ان هذه اللغات بين الكائنات متشعبة وكثيرة وطويلة ، وقد نعود اليها لنوفيها حقها في دراسة اخرى قادمة ، لكن يكفي ان نشير هنا الى ان الحياة قد وضعت الحدود بين انواع الكائنات المختلفة ، فيعرف الحمار حمارته ، والفار فارته ، والخنزير خنزيرته .. الى آخر هذه القائمة الطويلة العريضة من مئات الالوف من انواع الحيوانات التي يزخربها هذا الكوكب ، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه ، او يكون الخلط العشوائي الذي لا تباركه السماء !

كل هذا معروف ومدروس من زمن ، لاننا نلحظه بعيوننا ، وندركه بعقولنا ، ومع ذلك ، فان ما يجري بين هذه العوالم المنظورة ، وما وضع بينها من حدود مقدرة ومرسومة ، له اساس رائع ومنمق ودقيق فيالوحدات التيتتكون منها تلك الكائنات، ونعني بها الخلايا الجسدية والجنسية ، فعلى اغشيتها الدقيقة علامات خاصة لتهديها سواء السبيل في عالمها الذي خلا من الحواس المعروفة في عالم الانسان والحيوان ، وهي هنا تشبه العلامات التي توضح لنا معالم الطريق ... مع الفرق طبعا بين ابداع علامات الحياة في خلاياها، وبين بدائية علامات من صنع ايدينا وعقولنا .

اي كانما الله قد اوحى في كل نظام امره ..

هذا النظام او كبر ، ومن خلال هذا «الوحى» في تكوين الذرات والجزيئات والخلايا لوقات والارض والسماوات ، يسرى كل شيء ة واتقان .. «الذى خلق فسوى ، والذى قدر » .. حتى لو كان ما قدره في جاميطة تسبح مستنقع ، حتى تبلغ هدفها .

يجيء الانسان في نهاية المطاف ليكشف سر ا الابداع الذى لا تراه العيون ، ولا توضحه الميكروسكوبات الضوئية،ولا ايضا الاليكترونية.. غشاء الخلية التى بنيت فيها تلك العلامات ، او سجلت عليها تلك البصمات ، او « كتب » عليها تلك اللغات ، غشاء رقيق غاية الرقة ، ولا يزيد سمكه عن ثمانية اجزاء من مليون جزء من المليمتر، ومع ذلك ففيه من الاستحكامات الدقيقة ما لو كتب بلغاتنا ، لملأ مجلدات فوق مجلدات .

السر في « كلمة » !

ان المعجزات التى ينسبها عامة الناس الى نجاح الاخصاب في انبوب الاختبار،والسيطرة على هذه العملية خارج الارحام ، ليست راجعة ـ اى المعجزات ـ الى انبوب الاختبار والى العلماء ، بل ان المعجزة الحقيقية تكمن حقا في الشفرات التى تستخدمها الخلايا الجنسية في التعارف ليحدث الاخصاب !

فالعلماء هنا يهيئون فقط الظروف المناسبة في انبوب الاختبار بين البويضات والحيوانات المنوية، وعلى هذه الخلايا الجنسية ان تقوم بالمهمة الكبرى و « تقرا » المعلومة او المعلومات التى اودعها الخالق على جدار الخلية ، فان توافقت ، حدث الجذب والالتحام والاخصاب ، وان لم تتوافق كان الرفض والفشل .

وحتى لا نتوه في تفاصيل هذا « القاموس » من المفردات الكيميائية التى يزخر بها غشاء الخلية او جدارها ، دعنا نتعرض لمفردة واحدة من المفردات التى توجه هذه العوالم الدقيقة في سعيها الى اتمام اعظم واهم واتقن عملية تقوم عليها حياة الكائنات جميعا ، وتبدا بها بدايات الاجنة .

فالبويضة الصالحة للتلقيح تفرز من غشائها الرقيق مادة تعرف باسم « المخصبة » Fertilizin وهى عبارة عن جزيئات سكرية بروتينية معقدة التركيب ، مخاطية القوام ، وفي هذه الجزيئات تكمن كلمة السر،ولكى يحدث التعارف بينها وبين الحيوان المنوى الذى يتبع نوعها ، كان لابد من وجود « كلمة » سر مقابلة على راس الحيوان المنوى، وجاءت هذه الكلمة على هيئة مادة كيميائية تعرف باسم المخصبة المضادة (Anti Fertilizin) .. اى كاننا نحن امام نظام شفرى او«كودى» كالذى نستخدمه حديثا في نقل المعلومات السرية ـ خاصة بين الجيوش المتحاربة ،اذ لو استطاع العدو ان يفك رموز الشفرة التى يحصل عليها من عدوه ، فان ذلك كفيل بكشف خطته ، وكذلك يكون العالم المخصبة،والمخصبة المضادة.. انهما بمثابة كلمتين متقابلتين او متضادتين في « قاموس » الحياة ، او هما اشبه بفكرة القفل والمفتاح في عالمنا المنظور ، فكما ان لكل قفل مفتاحه الخاص به،كذلك كانت لكل نوع من انواع الكائنات الحية مخصبة ومخصبة مضادة ، اوشفرة، وشفرة كيميائية مضادة ، فاذا حدث التعارف والتوافق ، فتحت الابواب ، وكان الاخصاب بين النوع ونوعه ، ولا شئ سواه !

اما كيف يحدث فك تلك الالغاز بين الانواع ، او بالتحديد بين هذه الخلايا الجنسية ، فذلك شانها ، وهذا عالمها الذى لا ندرك من اسراره الا القليل .. وما اكثر ما لا ندرك « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ! ■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح

● الشخص الذى لا يسأل أما أنه يعرف كل شيء أو لا يعرف شيئا .
مالكولم فوربيز

● السكوت هو الجواب السريع غير المحتمل .
جى . ك . تشيسترتون

جورج صاند

■ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ، أن تبروا وتتقوا ، وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم •
(قرآن كريم)

■ من يحرم الرفق ، يحرم الخير كله •
(حديث نبوى)

■ البلاغة ما سهل على المنطق ، وخف على الفطنة •
(الامام على)

■ وما يلبث الاخوان ان يتفرقوا اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل
(عبدالله بن عبيد الله بن مسعود)

شكسبير

■ ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك، ولعدوك عدلك، وابخل بدينك وعرضك عن كل احد •
(عبدالله بن المقفع)

■ وفيت كل صديق ودنى ثمنا الا المؤمل دولاتى وايامى
(الخليل بن احمد)

■ الخير أبقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد
(عبيد بن الابرص)

■ ليس من الشجاعة ان تنتقم ، بل ان تتحمل وتصبر •
(شكسبير)

■ تود عدوى ، ثم تزعم اننى صديقك ؟ ان الرأى عنك لعازب
فليس أخى من ودنى بلسانه ولكن أخى من صدقته المغايب
(العتابى)

برناردشو

■ خطأ الشبان انهم يرون ان الذكاء يغنى عن التجارب ، وخطأ الشيوخ انهم يرون ان التجارب تغنى عن الذكاء •
(برناردشو)

العقاد

■ تستقطع المرأة سنوات من عمرها ، لتضيفها الى غيرها من النساء •
(جورج صاند)

■ كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئا عرف به •
(الاحنف بن قيس)

■ فعل الخير حسن ، واحسن منه ستره •
(قاسم امين)

■ كن بينهم « بوذا » فان نطقوا فكن ك«تيمور» و « نيرونا»
(عباس محمود العقاد)

السينما المجرية ـ لا يعرفها سوى جمهور نوادي السينما .

النقد السينمائى العربى
إلى أين ؟

بقلم : الفاروق عبدالعزيز

هل تتابع ما يكتب تحت عنوان ((النقد السينمائي)) . فى الابواب المخصصة له فى الصحف والمجلات العربية ؟ هل تتابعه بجدية ؟ وهل تتاثر حقيقة بما يتوصل اليه هذا الناقد اذذاك بشأن هذا الفيلم او ذاك ؟ وهل حدث مرة ان اعجبك رأى ناقد فى عمل رابته وحاز اعجابك انت ايضا ؟ وهل حدث العكس .. ان اعجبك الفيلم واحنقك راى الناقد فيه ؟ وهل حدث مرة ان تفكرت فيما كتبه هذا او ذاك وربطت بينه وبين المحتوى الاوسع لما يعرض عليك من افلام وأفلام على مدار الشهر والعام ؟

هذه ـ وغيرها كثير ـ اسئلة تترى على ذهنى كلما خطر ببالى ان اقترب من موضوع « النقد السينمائي العربى » . فالعنوان ـ فى تقديرى ـ ملغوم ويحتمل بذاته تفجير قضايا وقضايا مرئية وخفية . وقد لا يكون بوسع هذا المقال تفجير كل ما اتيح لى ان اراه . ولكنى ساحاول ان ابسط امام القارىء ساحة معقولة من مجالات الرؤيـة .

النقد .. السينمائي .. العربى

عرف العرب النقد من اوسع ابوابه ابان حركة الترجمة عن اليونانية في اوج ازدهار العصر

العباسي . وقد عرفوه ضمن علوم اخرى اتاحت لهم مجالات اوسع للرؤية الحضارية وبعبارة اخرى ، نقل العرب التراث النقدى اليوناني ضمن سائر المعطيات الفكرية للحضارة اليونانية. وما لبثوا ان قاموا بتكييف هذا الموروث مع عناصر الحضارة العربية المزدهرة فخرج المزيج رائعا فياضا بالحيوية . وعرف الموروث الفكرى العربى تخصصات نقدية قامت على دراسات واسعة للفلسفة والادب الموسيقى . وصار ميسورا لكل طالب علم ان يعيد تقييم موقفه ازاء التراث اليوناني القديم والعربي الوسيط بعد اطلاعه على اعمال الباقلاني والجرجاني والعسكرى وابن حيان التوحيدى وغيرهم .

وبما ان النقد في ابسط تعريفاته بعيدا عن التقسيمات المذهبية هو ممارسة فكرية (ضمن شروط معينة) لاعمال خلقها فنانون ومبدعون فقد تحتم بالتالي التزاوج بين عمليتى الخلق والنقد . وصارت العلاقة الجدلية بينهما شرطا لازدهار الظاهرة الثقافية بوجه عام في هذا البلد او ذاك . ولذا ارتبط ركود احدهما بركود تلقائي للطرف الآخر ، خلا استثناءات قليلة في مراحل تاريخية معينة . وصار النقد علامة اساسية من علامات الترشيد الثقافي والفكرى .

وقد جاءت السينما فنا وافدا الى العالم كله مع نهاية القرن التاسع عشر. وبات من الضرورى والطبيعي ان يستتبع ظهورها وجود نوع جديد تماما من النقد ، يعتمد ويناقش وسيطا مختلفا بالكلية عما عرفته الحضارة الانسانية طوال اربعين قرنا من الزمان . لهذا انطلقت تسمية هذا الفن الوليد بالصور المتحركة M-vies ولا تزال التسمية قائمة الى اليوم . لماذا ؟ لان العالم عرف الصور (سواء في الرسوم الراعشة لفنان كهف لاسكو والتامبرا المجهول او في صور الفنان المصرى القديم والبابلى والسومرى والفارسى او في صور انجرو ديلاكروا وجويا وسيزان) ولكن العالم لم يعرف من قبل ـ وطوال تاريخه ـ صورا متحركة تضاهى في حركتها حركة الحياة ذاتها .

لم يعرف العرب طوال تاريخهم فن المسرح على النحو الذى عرفوا به ـ مثلا ـ فن الشعر . لهذا لم يوجد نقد مسرحي عربى خالص . لان ممارسة النقد لا يمكن ان تتم الا بوجود الوسيط الذى يقدم من خلال العمل ذاته .

وقد جاءت السينما الى البلاد العر[بية] في وقت كانت تشهد فيه بدايات مبكرة لصحو[ة] عربية في مجال الفكر والتعليم والتحديث . و[لكن] الذى حدث هو ان ايا من رواد هذه اليقظ[ة] لم يلتفت الى « الصور المتحركة » باعتبارها فنا خالصا جنسا ادبيا ولغة مستحدثة جديدة [تض]اف الى العناصر المكونة للفنون الانسانية .

من مصر دخلت « الصور المتحركة » الى العالم العربى . وفي مطلع القرن العشرين كانت مصر تعج بنقاد الادب واساتذته الذين لم يلتفتوا ـ كما اسلفت ـ الى اهمية الفن الوافد الجديد . لماذا ؟ لان حملة الاصلاح التى كان يقودها الامام الشيخ محمد عبده كانت ما تزال تحاول ضمن سائر معطيات الحملة تكوين علاقة صحية بين الاسلام والتصوير . فما بالك لو طرح موضوع « الصور المتحركة » الذى اعتبرته جمهرة الازهريين آنذاك بدعة وضلالة ؟ كما ان بقية الرواد ـ كلطفى السيد والعقاد والمازنى وشكرى وشوقي ومطران وغيرهم ـ لم يعتبروها فنا يستحق الاهتمام. فالفنون القديمة كانت ما تزال متمتعة بالسطوة. اضف الى هذا ان ما عرض في مصر حتى ذلك الحين لم يكن له من مدخل سوى التسلية . ومن هنا سميت السينما بفن اللهو ودورها بالملاهي . وانتقل ذلك الى الحكومة التى ظلت تعاملها كالملاهى الى يومنا هذا .

فمن يكتب بعد ذلك عن « الصور المتحركة » ومن يقدم الاعمال ومن ينقدها ؟

وظهرت اول مجلة « سينما توغرافية » في ١٠ مايو عام ١٩٢٣ وهى مجلة « الصور المتحركة » التى صدرت غلاف عددها الاول بصورة تشارلي تشابلن . وفي الداخل بصور وحكايات عن النجوم والمسلسلات الامريكية التى كانت تعرض آنذاك . وما قالته المجلة عن تشارلى تشابلن لا يعدو الآن اكثر مما يمكن ان يقوله اى صبى من آراء في الملاهي: « ضعيف الروح والدم نشيط ومضحك .. شارلو العجيب .. » ويمضي المقال على هذا النحو . وبما ان السينما الاولى التى دخلت عالمنا العربى كانت امريكية . وبما ان هوليوود هى التى ابتدعت نظام النجوم فقد توجه الاهتمام « النقدى » منذ البداية الى النجم ـ النجمة : الكواكب، باعتبارها محور الفيلم . فالجمهور لا يذهب الى السينما الا ليرى « بطله المحبوب والاس بيرى .. آه ماذا سيقول الآن عشاقه ومحبوه بعد موته .. صورة

السينما السائدة : كيف يتعامل معها الناقـــد العربى ؟

التى كانت تتلألأ على الستار الفضي لن تعود بعد ذلك .. » وهذا ما يسمونه حاليا اخبار النجوم. ولكن الصحافة السينمائية كلها ظلت منذ عام ١٩٢٣ والى اليوم تعتمد بالدرجة الاولى على « اخبار النجوم » وتخلق الهالات من حولهم . وقد سار هذا في مجرى مواز للسيطرة الانتاجية والتوزيعية للسينما الاولى ـ السينما الامريكية التى اوجدت هذا النظام ودشنته .

وهكذا ظهرت فى ميدان « النقد » السينمائى اسماء وكتابات لا يمكن حصرها هنا لسبب بسيط هو انها لم تكن تنقد اية اعمال . وقد كانت النتيجة شيوع فكرة سهولة ممارسة النقـــد السينمائي واعتماد الناقد على رواية «الحدوتة» مرة اخرى وتوزيع قبل وشتائم هنا وهناك حسب الطلب .

والتوصيف العلمى لما كان يكتب من « نقد » سينمائى ـ بشكل عام ـ منذ ذلك التاريخ وحتى الان هو انه كتابات اعلانية او انطباعات لهواة لا يجيدون الكتابة او لا يحترمون هذا الفن . وهم فى النهاية لا يعرفون لانهم لم يدرسوا .

وقد عزز هذا كله ابتعاد الافلام الكبيرة عن المساهمة فى النقد السينمائى ، الذى لم تكن قد تحددت ملامحه بعد . وقد عانى الغرب نفسه بدرجة اقل من هذه المشكلة التى ارتبطت بظهور وسيط جديد له مفردات ولغة جديدة تتطلب تعبيرا جديدا ، ودراية بمكوناته . فمن البدهى ان الناقد لا بد ان يقف على اعتاب الفن الذى يمارس عمله من خلاله ومن الضرورى الا يكون « فنانا فاشلا » بل من الطبيعى ان يكون مفصولا عن حجب الفن بحائط رقيق شفاف يكشف له ما يدور فى مملكة الفن .

وعندما بدأت بعض الاقلام الجادة ـ من غير المحترفين ـ محاولات الخوض فى النقد السينمائى ظهر جليا ان اضافاتها المشكورة تعتبر مساهمة اساسية فى تذوق الافلام وليس نقدها . فالنقد لا بد ان يكون « سينمائيا » ومن ثم فان «القصة» ومغزاها ليسا هما الفيلم. فالمهم أن يعرف القارىء « كيف » رويت ولماذا اختار المخرج هذا الشكل او ذاك . غير ان اسهام هذه الاقلام قد ادى الى عدة نتائج جوهرية :

ـ كسر عزوف الاقلام الكبيرة عن المساهمة فى حركة تنشيط الوعى السينمائي العام .

ـ ربط هذه الحركة بآفاق الحركة الثقافية والحضارية ككل في هذا البلد العربى او ذاك .

ـ توجيه تحذير ، خافت حينا وزاعق احيانا الى مندوبى الاعلان وكتاب الخواطر والانطباعات باسم النقد السينمائي الى مضار الاعتداء على علم قائم بذاته .

ـ الاسهام فى توجيه عدد من الاقلام الشابة الى اعادة التفكير فى الوسيط السينمائي على اسس جديدة .

ـ اثارة الاحترام لهذا الفن مما انعكس بصورة غير مباشرة على تقدير متزايد من المؤسسات العامة ومن الحكومة لدور السينما فى المجتمع .

وقد شهدت نهاية الخمسينات ـ فى مصر بوجه خاص ـ بوادر حركة ثقافية شاملة استهدفت ـ ضمن ما استهدفت ـ ترشيد الانتاج السينمائي عن طريق تدخل الدولة كطرف فيه .

وقد استتبع هذا تكوين ندوة الفيلم المختار (بعد انشاء مصلحة الفنون) والتي كانت بمثابة معمل لتفريخ النقاد الجدد الذين سيقدر لهم تاسيس شركة نقد سينمائي على اسس علمية في فورة الستينات وفي عـام ١٩٥٩ تاسس المعهــد السينمائي الوحيد في الشرق الاوسط في مصر . ولاول مرة بدات كلمة العلم تعرف طريقها الى الوسـيط السينمائي في بلادنا . وفي عام ١٩٦٣ فاز احد مؤسسي جمعية الفيلم التى انبثقت عن ندوة الفيلم المختار وحملت معها نصها كاملة ــ وهو احمـد الحضرى ــ بجائزة النقد . كانت هذه هى المرة الاولى التى يكرم فيها ناقد سينمائي .

وكان من الضرورى ان يستتبع انشاء القطاع العام السينمائى اصدار مجلة سينمائية يمكنها ان تمسح عار الصحافة السينمائية الهزيلة التى تعتمد على صور وحكايات النجوم كامتداد للتراث الصحفي السينمائى منذ عام ١٩٢٣ . وفي الوقت نفسه تفسح المجال امام الاقلام النقدية الجديده التى وفدت من تخوم مجاورة ــ الادب والفلسفة ــ الى السينما محاولة في جدية دراسة ملامح هذا الفن . وقد ادى هذا التجمع النقدى في مجلـة « السينما والمسرح » المصرية الى ظهور اول جماعة للسينما الجديدة في مايو ١٩٦٨ . وقد اصدرت الجماعة بيانين « نقديين » على اسس علمية لعملية الانتاج السينمائي كله ضمن المحتوى الاوسع للحركة الثقافية العربية .

ويمكننا الان ان نحدد ثلاثة من الملامح المشتركة للنقد والناقد السينمائي في العالم العربى :

اولا : هناك النوع الاول من النقد والنقـاد السينمائيين . واضع تحفظات هامة هنا علـى استخدام كلمة النقد والنقاد . فهذا النوع امتداد شرعى لناقد الاعلانات والانطباعات الخفيفة ومندوب الدعاية الذى ظهرت بوادره في مجلة « الصور المتحركة » قبل نصف قرن . ما يزال هذا «الناقد» مسيطرا خاصة في الصحف اليوميـة والمجلات « الفنية » الاسبوعية .

ثانيا : هناك الناقد الذى [illegible] في احضـان [illegible]

[illegible]

ولكن عن طريق تدريجي ولذا يجد [illegible] له الحيز في المجلات السينمائية المتخصصة .

ثالثا : هناك الناقد الذى يربط [illegible] السينما وبين سائر العلاقات الخارجية التى [illegible] كم المجتمع العربى او اى مجتمع اخر . اى [illegible] يعتقد ان السينما هى افراز طبيعى للبنية الاجتماعية بكافة معطياتها . وهذا الناقد يهتم في الاسا[illegible] بالسينما الوطنية ــ القومية باعتبارها قضيته الاولى . ولانه قد تطور عن الناقد الثانى ، فهو يهتم ايضا بالثقافة السينمائية ويسعى لتطويرها ونشرها ولكن دون اغفال للدور العربى فيها . ومن هنا كانت نظرته للثقافة « عربية » بمعنى انه يحاول ان يكتب نقدا سينمائيا عربيــا لا بالجنسية ولكن بالتوجه المبدئى والنهائى .

ومشكلة هذا الناقد الاخير هى انه يخوض صراعات عديدة لتطوير ادواته النقدية وتنقية مصطلحاته من الغموض والعمومية وتوسيع مدارك السينمائية والتقنية ، في الوقت الذى يتوسع فيه جبهة حركته لكى يتوجه الى الجمهور العربى خارج اطار نوادى السينما . وهذا ما يجعله يشعر في غالبية الاحيان بالعجز خاصه وان حزام الامية ما يزال يحكم بقوة على جسد العالم العربى بما يحول بينه وبين توصيل ما يريد توصيله .

الى اين يتوجه النقد السينمائي العربي

في ضوء الانواع الثلاثة التى ذكرناها وفي ضوء اعتبارات الامية (الجمهور) وهيمنة السينما السائدة بشبكتها الانتاجية والتوزيعية الخالدة (السينما) وقلة حيلة السينما الجديده الى تستهدف ان تكون « عربية » حقا ، يجد الناقد الثالث نفسه في موقف عسير . ورغم [illegible] المطلوب والمرغوب فيه ان يستمر الناقد الثانى ردفا للثالث في محاولة « التنوير » الثقافى في دوائر [illegible] تتسع شيئا فشيئا . على حين سيستمر «الناقد» الاول في نشاطه وحيويته عبر قنواته [illegible] (التى ضمت اليها قنوات أخرى [illegible] التليفزيون) ما دامت حال السينما [illegible]

[illegible]

...مى هويـــدى يكتب من اليمن الشمالي :

بعيد عن العين ،وربما عن القلب أيضا،هذا اليمن السعيد ، سابقا !

ولانه كذلك ، فقد صارت اليمن تشكل مثالا نادرا للفهم المغلوط ، تماما كما ان اليمنى نمـوذج فريـد للانسـان الـذى لا يعكس ظاهرة حقيقته• وفى زمن كالذى نعيش فيه ، حيث العين والقلب يتجهان ـ فى أغلب الحالات ـ الى « بر العجم » ، فان محنة بلد كاليمن تصبح مضاعفة •فالفهم المغـلوط يصبح مقترنا بالجسـور المقطوعة ؛ اذ يصبح الوصول الى صنعاء مشكلة ، والنفاذ الى صنعاء ذاتها مشكلة اخرى •

لن يعترضك احد بكل تاكيد ، لكنها « الحواجز النفسية » ـ بتعبير المرحلة ـ هى المانع والعائق • وهى حواجز بعضها غرسناه ، وبعضها نما فى غفلة منا ، وبعضها كنا ضحاياه • وكلها ، كلها ، هش قابل للسقوط والزوال فى لحظة زمن •

وتلك حقيقة مرة ، لا تتوفر الا فى عالم العجائب العـربى ، الـذى ينتقل من النقيض الى النقيض بنفس سهولة تتابع الليل والنهار • فبعد أن كانت عيوننا وقلوبنا طوال الستينات معلقة على جبال صنعاء وصرواح وحجة وصعدة ، حيث كان الله العربى ـ ممثلا فى ٨٠ الف جندى مصرى ـ يحتضنون بكل الحب والحرص ثورة اليمن الوليدة ، وبعد ان رسمت حدود الجمهورية العربية اليمنية بدم ٢٠ ألف شهيد مصرى مع عشرات الالوف الاخرين من ابناء اليمن ، بعد هذا كله، طالعتنا السبعينات ... ، عبر عنه شعار « انا اولا » ـ الذى أصبح « انا فقـط » فيما بعد ـ وطويت صفحة الستينات ، ولطخت بكل ما تيسر من اتهامات وشتائم واوحال • حتى كادت تتحول الى وصمة ، تلك الصفحة المجيدة من تاريخ النضال العربى •

وكلما علت أصوات « الانا اولا » ، تبـاعدت المسافات بين العواصم العربية • حتى صرنا نقرا اخبار صنعاء فى الصحف بين الحين والآخر • وفى مقدمتها خبران اثنان يكتبان دائما بصيغ مختلفة• ان انقلابا وقع ، او قرضا تم الاتفاق عليه !

ولا اخفى اننى ذهبت الى صنعاء بخطى متثاقلة، متاثرا ـ ربما ـ بما ظل ينقل عن اليمن من اخبار خلال السنوات الاخيرة • خصوصا تلك التى تتعلق بالتقلبات السياسية المستمرة • وبعد ان تتابعت الاحداث فى الساحة اليمنية ، من ثورة الى انقلاب الى تصحيح ، الى تصحيـح التصحيـح ـ (غير المحاولات التى لم تنجح) الى غير ذلك من الشعارات

المستحدثة التى صارت تغلف كافة الاتجاهات فى آن واحد !

وفى ظل تلك المتغيرات ، عاشت اليمن مأساة العديد من دول العالم النامى ، حيث يدور القتال على جبهات عديدة ، وتعصف كل معركة ببعض الرؤوس ، ويتبين فى النهاية أن القتال يدور فى غير الاتجاه الصحيح ، وأن أغلب الرؤوس قد طارت ، وانه لم يبق شىء يذكر للمعركة الحقيقية معركة التنمية ، لا جهد تنمى ولا كفاءه استمرت •

ولانها المرة الاولى ، وتلك حقيقة مؤسفة ، فقد ذهبت أبحث عن أبناء جيلنا ، زملاء الدراسة فى ثانوية حلوان بمصر فى بداية الخمسينات • وهم الدفعة الاولى من الشباب اليمنى الذين أوفدوا للتعليم فى الخارج بعد انقلاب سنة ٤٨ ، الذى قتل فيه الامام يحيى ، ولم يكتب له النجاح •وكان هؤلاء الشبان أنفسهم هم الذين تصدروا مواقع القيادة بعد ثورة ٦٢ • ولكنى فوجئت بان معظم أبناء هذا الجيل قد اختفوا من مسرح الحياة السياسية • وأن التقلبات السريعة أقصتهم خارج الحلبة ، فمنهم من أحيل الى التقاعد ، ومنهم من أصبح لاجئا سياسيا ، ومنهم من اعتزل السياسة الى البحث العلمى أو التجارة ، ومنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر !

هل تعود الامامة ؟!

وهذهالظاهرة ـ مع شواهد أخرى ـ تجسد احدى الحقائق التى تلمحها العين منقوشة بحروف بارزة على جدران صنعاء ، وأعنى بها الحاجة الملحة الى الاستقرار • ذلك أنه بعدما انهكت حرب الستينات اليمن كله ، حتى أعلن افلاس خزينة البلاد فى سنة ٧٠ ، منذ ذلك الحين والى الان ، تتابعت ستة عهود على اليمن ، من السلال الى الايريانى، الى الحمدى ،الى الغاشمى ، الى العرشى ثم أخيرا الى الرئيس الحالى على عبد الله صالح •

على أننا نقع فى خطأ فادح ، اذا ما ربطنا ما بين ثورة ٢٦ سبتمبر ٦٢ ، وبين تلك التقلبات ، لان العهد الامامى الذى سبق الثورة لم يخل من الهزات العنيفة ، ثم أن اليمن كله ظل طوال تلك السنوات يعيش فىحالة قصوى من الغليانالشعبى• فضلا عن أن ذلك العهد لا يمكن أن يعتبر مستقرا الا بالقدر الذى يوصف به شخص مكمم الفم ومقيد بسلاسل الحديد ، بانه هادىء ووديع للغاية !

وليس سرا أن ثمة أطرافا عديدة ن مصلحتها أن يستمر التخلف فى اليمن والا ينعم هذا الشعب العريق والغنى باى قدر من الاستقرار ، يمكنه من ترتيب حياته وتفجير طاقاته الكامنة واستثمار ثرواته • وتحرص هذه الاطراف على لا يظهر فى الجزيرة العربية اثر ليمن القرن العشرين ، وان يظل هذا اليمن واقفا على أبواب القرن الثالث عشر ، ولا باس ـ من وجهه نظرهم ـ أن يتقدم الى القرن الرابع عشر ، شريطة الا يتجاوز القرون الوسطى باى حال !

وليس سرا أيضا أن بقايا العهد الامامىما زالت تحلم بالعودة ، بحجة أن «الامامة» هى ضمان الامن والاستقرار فى بلد « متخلف » كاليمن ، كانت ثياب الثوره فضفاضة عليه ، فتعثر وانكفأ ، ولا سبيل الى علاجه الا بالباسه ثيابه المناسبة ، التى هى ـ بالضبط ـ فى قياس الامامة !

وحتى لو كان ذلكحلما مستحيلا ، فانه لا يزال يراود البعض خارج اليمن على أى حال •

فى القاموس اليمنى الجديد

على أننا اذا ما غضضنا البصر عما هو سياسى مباشرة ، فاننا نستطيع أن نقرأ على جدرانصنعاء نقوشا ذات دلالات لا تخفى أهميتها ••

وقصة النقوش قديمة فى اليمن يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخامس أو السادس عشر قبل الميلاد ، عندما كانت العربية لغة « خام » ، لم تحكمها بعد قواعد النحو والصرف ، فيما عرف بعد ذلك بالفصحى • وقد عثر على عدد كبير من هذه النقوش ، التى تسجل تصرفات الافراد المرموقين ، مدونة على الواح تتراوح بين الحجر والذهب •

اسلوب النقوش هذا ، لا يزال له دور فى تعبير اليمنى عن نفسه• وواجهات بيته، وثيابهالخارجية وحتى تطريز غمد خنجره الفضى ، والحزامالعريض الذى يطوق خصره ، هذه الصيغ كلها تؤكد تلك الحقيقة •

وكما ترصد العين نقوشا كهذه ، الا أن بقية

صورة من صنعاء القديمة ، حيث تتشكل معالم الحياة من جديد ، وتتجسد التحديات فىمحاولات اختراقاسار القرون الوسطى

الحواس تستطيع أن ترصد نقوشا اخرى ـ ليست مدونه بالضروره ـ على سطح الحياة اليمنية •

واذا وضعنا فى الاعتبار ذلك الحرص على أن تبقى اليمن أسيره عصور القرون الوسطى ، فانه يصبح مثيرا للانتباه أن « نكتسف » فى القاموس اليمني عبارات نعد اختراقا لتلك الحدود ، مثل : البرنامج الانمائي والخطة الخمسية ، والتعاون للتطوير ، ثم أن يصبح لهذه الرموز دور ـ أى دور ـ فى مسيره اليمن •

فقد عرف اليمن لاول مرة فى تاريخه تعبير « الموازنة العامة » فى برنامج الانماء الثلاثى الذى بدأ فى عام ٧٣ ، ثم هم الان ينفذون ، ومنذ عام ٧٦ ، خطة خمسية تعدس الكثير من الطموحات (استثماراتها ٥ر١٦ مليار ريال) •• والى جانب هذا وذاك فان ثمة جهدا له قيمته تبذله التعاونيات المنتشرة الان فى أنحاء اليمن •

وتشغل قضية التعاون هذه جانبا كبيرا من اهتمام المسئولين فى صنعاء • ولا تكاد تجتاز أبواب العاصمة حتى يسالوك : هل رأيت تجربه التعاون؟ ولا تكاد تدخل اى مدينه أو قرية الا وتلاحق عينيك ملصقات التعاون • بل لا تكاد تستمع الى نشرة الاخبار الا وتجد على رأسها أخبار التعاون • حتى أصحاب المحلات التجارية ، لم يفتهم أن يعلنوا عن تجاوبهم مع شعارات المرحلة ، فصارت اللافتات تحمل عبارات بقالة التعاون وجزارة التعاون وصيدلية التعاون !

وتسعى الحكومة فى حدود قدراتها الى دعم هذه التعاونيات ، ماليا واعلاميا • وفضلا عن المساعدات العينية ـ جرارات وموتورات كهربائية ـ فقد تنازلت الحكومة للتعاونيات عن ٧٥٪ من دخل الزكاة وخصصت لها ٢٪ من قيمة الرسوم الجمركية ، هذا غير حملة الدعاية المركزة التى تستهدف لفت الانظار الى التجربة • ويشير احصاء أخير ، الى أن عدد التعاونيات فى محافظات اليمن الاحدى عشرة ، قد بلغ ١٨٥ هيئة • وان تلك التعاونيات قامت خلال السنتين الاوليين من سنوات الخطة الخمسية بانشاء ٣٠٩ مدارس ، و ٦٤٥ مشروعا للمياه ، و ٢٨ مستوصفا ، غير شق وتمهيد طريق طولها ٧٦٥٨ كيلومترا •

ورغم أن البيانات الرسمية غالبا ما تجنح الى المبالغة فى مثل هذه الحالات ، الا أنه يظل انجازا كبيرا أن تكون هناك ـ من حيث المبدأ ـ تعاونيات فى اليمن وان تحقق ولو نصف مثل هذه المشروعات .

أكتر من مشكلة للتنمية

ومع ذلك ، تظل قضية التنمية فى اليمن مشكلة بالغه التعقيد ، فاذا توفر الاستقرار النسبى ، لا يتوفر المال • واذا توفر المال يتعذر الحصول على الايدى العاملة الماهرة • اى أنه ينطبق على اليمن وصف « قصور الحال والمال » .

فمن ناحية ، لا يدخل الانتاج الزراعى او الصناعى ضمن موارد الميزانية • لان الانتاج ـ ان وجد ـ موجه كله الى الاستهلاك • وتشير احصاء رسمى أخير يشير الى أن حجم المنتجات الزراعية المستورده يتجاوز المنتجات المصدرة بما يعادل ١٦ ضعفا • الامر الذى يعكس مدى العجز الخطير فى الانتاج الزراعى • ومما يلفت النظر هنا أن اليمن بدأت تستورد البن مثلا ، وهو المحصول الذى تميزت اليمن بانتاجه على مدى قرون !

ولان « الانتاج » خرج من حساب الموارد ، فان الموارد الحقيقية للميزانية اليمنية لا تكاد تخرج عن دائرتين أساسيتين: القروض والمعونات الخارجية التى تتمثل حوالى ٧٠٪ من حجم الاستثمارات ، ثم الرسوم على الواردات • كما تشكل تحويلات المهاجرين مصدرا آخر للدخل بالعملات الصعبة (مليار دولار فى العام الماضى) •

هذا فى جانب الموارد المادية ، أما من ناحية الموارد البشرية ، فقد تسببت الهجرة ، مع ارتفاع نسبة الامية الى ٩٠٪ فى نقص الايدى العاملة بوجه عام ، والمدربة بوجه خاص • وفى مناطق عديدة باليمن يزرع الفلاحون المحاصيل ولا يجدون من يقوم بحصادها أو جنى ثمارها ، وينتهى الامر بهم الى حصاد المساحة التى تغطى احتياجات كل منهم فقط ، وتترك بقية الزراعات الاخرى بلا حصاد • وهذا النقص هو الذى يفسر وجود حوالى ١٠ الاف عامل سودانى فى اليمن ، غير عدد مماثل من العمال المصريين • وهو الذى يفسر أيضا الزيادة الكبيرة فى أجور الحرفيين • حتى ان متوسط أجر عامل البناء يصل الى ٥٠ دولارا فى اليوم الواحد •

وامام هذا الاغراء ، لم يكن غريبا أن التقى فى تعز بأحد اليمنيين ، يحمل شهادة الماجستير فى التاريخ ، لكنه يعمل فى البناء ، و «متخصص» فى تثبيت البلاط !

رغم الاهتمام بمشروعات الصناعة ـ الاسمنت
سيج مثلا ـ الا ان التركيز الاساسى ، بل
ج الراهن والمنظور لازمة الموارد فى اليمن ،
ب على مشروعات الزراعة فى مناطق تهامة
احلية المؤهلة طبيعيا لهذا الدور .. ولعـة
وع نفذ فعلا ويموله الصندوق الكويتى للتنمية
اه سدود لضبط المياه وتوزيعها فى منطقـة
الخصبة • وكانت نتائج هذا المشروع مشجعة
ية •

يؤكد اهمية المستقبل للزراعة بساحل تهامة
تجربة محدودة تمت فى وادى رماع ، الذى
منطقة مجاعات فى المـاضى وبجـهد بسيط ،
هدف العناية بتسميد التربة وريها ، ومكافحة
ت الزراعية • وكانت النتيجة ان تضاعف
انتاج القمح والشعير ٢٠ مرة فى العام الماضى •

ولنا ان نتصور من هذا النموذج ، اى مستقبل كبير ينتظر ساحل تهامة اذا ما توفر له الحد الادنى من الاهتمام •

ولان المشكلة معقدة كما قلت ، فانه رغم ان الزراعة هى المفتاح الاول لحل المشكلة الاقتصادية اليمنية ، الا انها لا توضع فى المقام الاول من استثمارات الخطة الخمسية وتمثل هذه الاولوية قضية المواصلات والطرق ، وهو ترتيب منطقى فى الواقع لان اى جهد انتاجى ـ زراعة او صناعة ـ لا يمكن ان يخطو خطوة واحدة الى الامام ، ما لم تكن هناك طرق سالكة وممهدة تخدمه • ورغم ان شبكة الطرق الاساسية قد تمت تقريبا فى اليمن ، الا ان هذه الطرق ربطت المدن بالدرجة الاولى ،

وفى سبيلها الى ربط مناطق الانتاج أيضا •

ولا يزال النصب التذكارى الذىاقامه الصينيون على طريق صنعاء ـ صعده تكريما لعمالهم الذين قتلوا وهم يشقون هذا الطريق قبل سنوات ، لا يزال هذا النصب رمزا لمدى العون الذى قدمه العالم الخارجى فى هذا المجال •• وهو عون قامت الدول الاشتراكية بدور بارز فيه حتى أوائل السبعينات ، ثم بدأت الدول الغربية تاخذ مكانها مؤخرا ، تبعا لتغير الموازين السياسية فى المنطقة•

عن الحضور العربي

وهذه الصورة تطرح قضية الحضور العربى فى اليمن • وهو حضور قائم وله دوره الملموس الان، ويتمثل فيما تقدمه صناديق الانماء العربى ، ودول الكويت والسعودية ودولة الامارات من دعم مالي •• وما تقدمه الدول العربية الاخرى من رصيد الخبرات الفنية والبشرية المطلوب فى كافة التخصصات •

وما يحتاج الى مناقشة حقيقية المتعلق بالدعم المادى الذى يتم فى مساعدات مالية مباشرة ، مشرو (مستشفيات ومدارس وطرق) انش او محطات توليد الكهرباء) • ذلك أن الفرصة متاحة للمستثمرين العرب فى مجالات الانتاج الصناعى باليمن • التى تحتكرها الصناعة اليابانية بذك بالغ ،

و الجانب ـخ مختلف ت خدمات ت (سدود ـه من المؤكد لكي يشاركوا ـهى المجالات

واذا تاملنا خريطة الجزيرة العربية جيدا ، فسنجد أن اليمن تشكل موقعا نموذجيا للاستثمار، مساحته (١٩٥ ألف كيلومتر) وامكانياته الطبيعي (أرض زراعيةمساحتها ٥ر١مليون هكتار،غير خامات الفحم والعديد والنحاس والاسمنت) وثروت البشرية (٨ ملايين نسمة) هذه العناصر ـ اذا خضعت للدراسة واعداد جيد ـ تؤهل اليمن لمستقبل أكثر اشراقا ، خصوصا وان لليمن رصيدا حضاريا عريقا تمتد جذوره الى ما قبل الميلاد الى دول وممالك معين وقتبان وسبأ وحمير ، التى ازدهرت

الاستهـــــــــلاك • الاستهـلاك • ما من قرية يمنية الا وتتكدس السلـع المستوردة فى محلاتهـا التجـارية الصغيرة• وتلك صورة لا تتكرر فى أى جزء من الوطن العـربى • والصـورة لاحـد هذه المحلات ، بينما صاحب المحـل لـم يمنعه أن « يخزن » القـات فى فترة القيلولة •

ـورة ملهشة،
ا بعد باليمن

الاستثمارات
الامريكية ــ
ـواتيه في بلد
، الذي يمكن
ك •
، بعض الدول
نفاقه • ذلك
مباشرة ، وهي
: علاقة لهـا
في الانشـاء
لليمن • اذ
لايين الريالات
، بينما البلاد
والمستشفيات•

تعكسه نقوش
لة تضخم تداد
ذا تاملت هذه
ـمن شعبا غنيا
ـني هو مغالطة
ـينة الحكـومة
ـمة ولا تحتـاج
لف الاقتصادية
الاقوى هـــو
، عناصر القوة
ى » في اليمن

ـرة على الفور
ـة على جيـب

ـال المهـاجرين
ونصف مليون
ـليون في داخل
ـو خمسة افراد

خلفت حالة من
كانت تتقـاضي

● نقوش عصرية على جدران صنعاء

اموالا من الجانبين المتحاربين الملكيين والجمهوريين وهي مبالغ كانت تدفع بالملايين •

وهناك من يهمس بان ثمة اموالا ما زالت تدفع الى بعض شيوخ القبـائل ــ بمعدلاتها الكبيرة ــ حتى الان •

وثمة عنصر آخر وهو أن ارتفاع أسعار القات لخمسة أضعاف على الاقل اصبح يشكل مصـدر سيولة له اهميته في الريف اليمني • وكانت نتيجة ذلك كله أن شهدت اليمن حالة رواج مفتعل وامتلأت المدن والقـرى بالسيارات والدراجات النـارية وتضاعفت أعـداد موتورات الكهـرباء الخاصـة ، وانتشرت المتاجر التي تبيع من احدث العطـور وربطات العنق الفرنسية الى علب البان «نيدو» وسفن أب !

وبسبب الحرمان الشديد في الماضي، ونتيجة لضعف الوعي العـام ، فان هـذه الاموال كلهـا ، اموال المهاجرين والمهربين والمزارعين وممولي القبائل تذهب الى الاستهلاك • اى تصب عند التجار • !

هؤلاء التجار هم الورثة الحقيقيون للامامة في اليمن •• وربما فسر ذلك تاييدهم السريع لثـورة سبتمبر ١٩٦٢ م ، واشتراكهم في الاعداد للثورة في تعز ، كما ذكر اخيرا كتاب « أسرار الثـورة اليمنية » •

وكل ما فعله التجار حتى الان انهم اغرقوا السوق اليمنية بالسلع الاستهلاكية ، الكمالية لا الضرورية (واردات ميناء الحديدة ارتفعت من ٦٨٠ الف طن عام ٧٦ الى اكثر من ٢ مليون طن عام ٧٨) وليس هناك متجر بقالة في اى قرية يمنية ، اينما كانت، ــ الا وهو مكدس بالفواكه المستوردة والمعلبـات والمشروبات الغازية القادمة من كافة انحاء العالم•

في اليمن تعرف بالضبط معنى تعبير القطـاع الخاص الشره والمستغل ، وتدرك خطورة ان يكون للدولة ــ في بلد نام كاليمن ــ دور في تصحيـح مسار الاقتصاد الوطني ، بعدما تتأكد تماما من ان ما يفعله هذا القطـاع الخـاص هو افساد حقيقي للجماهير ، هـذا اذا استخدمنا أكثـر التعبيرات تأدبا •

لكن هذه ليست كل النقوش على جدران اليمن الان • لانه لا يمكن لاحد ان يزعم انه قام برصـد ما يجري في اليمن ، ما لم يقف امام حديث الساعة وكل ساعة : « القات » !! ■■

فهمي هويدي

حرية الرأى بين الأشعرى و.. برتراند راسل

بقلم : عبد الوهاب أحمد الافندى

> لقد التقى الفيلسوف المادى المتأخر ، مع الفيلسوف المؤمن المتقدم . وكان للاشعرى فضل السبق .

■ يؤكد الرواة أن السبب فى تخلى الاشعرى عن المعتزلة ، انه سال استاذه ابا على الجبائى ذات يوم : «ما تقول فى ثلاثة اخوة: أمات الله احدهم قبل البلوغ ، ويقى اثنان فامن احدهما وكفر الاخر ، اين يذهب الصغير ؟ »

فقال الجبائى : « انه يذهب الى مكان لا سعادة فيه ولا عذاب . »

فانكر عليه الاشعرى ذلك ، وقال : «لماذا يرسله الى ذلك المكان وهو لم يات شرا ولا خيرا ؟ »

فرد الجبائى : « انما اماته الله لانه علم انه لو بلغ كفر . »

فقال الاشعرى : « فقد ابقى احدهم فكفر ،فلماذا لم يمته صغيرا ؟ »

فلم يحر الجبائى جوابا ، فقال الاشعرى : « وقف حمار الشيخ فى العقبة . »

★ ★ ★

كان أبو الحسن الاشعرى تلميذ الجبائى النجيب وربيبه ـ كان الجبائى زوج ام الاشعرى ، درس عليه أربعين سنة لا يفارقه .

يقول ابن عساكر : « وكان ـ يعنى الاشعرى ـ صاحب نظر فى المجالس ، وذا اقدام على الخصوم ولم يكن من اهل التصنيف .. وكان أبو على الجبائى صاحب تصنيف وقلم ، اذا صنف أتى بكل ما يراد مستقصى ، واذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرض ـ وكان اذا دهمه الحضور فى المجالس يبعث الاشعرى ، ويقول له « نب عنى »

وعلى هذا فان اللهلا يمكنان يظلم احدا، حتى لو ادخل جميع البشر النار رغم اعمالهم الصالحة، لانه لا يمكن ان يكون بفعله هذا قد تصرف فيملك غيره ، لانه ـ سبحانه وتعالى ـ مالك كل شيء ..

ولا شك ان هذا اسلوب فيه قصـور . اذ ان مفهوم الظلم لا يستوعبه تعريف الاشاعرة . فنحن نرى الرجل الذى يعذب عبده او يقتله بغير ذنب يتهم بالظلم رغم ان العبد ملك له .

ولعل الاشعرى ، والذى كان يرى فى كثير من مما يقع على العباد ظلما لانه لا يد لهم فيه،اراد القيام بمحاولاتمحمومة للخروجمن حيرتهوالوصول الى سلام مع نفسه المقتنعة بعدل الله سبحانه .

ولعل الاشعرى وتلاميذه لميكتفوا بهذا التعريف المخترع ، فلجاوا الى اختراع آخر ، وهو الغـاء قانـون السببية واستحداث منطق جديـد للافعـال الانسانية .

فقالوا : ان علاقة السبب بالاثر ليست علاقـة ضرورة ، وانما الله اجرى العادة بانيعتقد الناس ضرورة ان يتبع الاثـر السبب ، وذلك لكثـرة ما راوا ذلك .

وعليه ففى عرفهمفانه منغير المستبعد ان تطلع الشمس من المغرب ، او ان تتوقف النار عن تسبيب الحرق ، والسيف عن القتل .

فالنار لا تحرق بالضرورة ، وانما الله هو الذى اجرى العادة بان تكونالنار سببا للحرق ، ولا شيء يمنعه من ان يغير ذلك .

وكذلك الشمس لا تطلع من المشرقبقانون ثابت، وانما الله هو الذى يحدد فى كل مرة مكان وزمان شروقها ولا يستبعد ان يجرى تغييرا فى ذلك فى اى لحظة .

وضربوا لذلك مثلا : فقالوا ان الناس اعتادوا على رؤية الخليفةيتفقد اسواق مدينته على جواده، حتى اصبحت صورة الخليفة على جواده ملازمـة لفكرة الخليفة ذاتها . فلا احـد يتصور الخليفة الا وهو على جواد . على انه ليس من المستبعد ان ياتى الخليفة الى السوق راجلا او على حمار مثلا، حتى وان كان ذلك سيدهش الكثيرين .

حرية الارادة عند الاشاعرة

ومن هذا انطلق الاشاعرة الى تفسيرهم لحرية

الارادة ، فقالوا : لان الله خالق كل شيء ، فان جميع افعال العباد ، شرها وخيرها مخلوق له •

فعلى سبيل المثال ، انت حين تريد ان تضرب شخصا ما بالسيف ، فان الله يخلق فعل الضرب بالسيف ، والقدرة عليه فيك ، بعد اختيارك له • كذلك فان الضرب بالسيف لا يتبعه القتل ضرورة، وانما الله هو الذى يخلق القتل بعد ضربك بالسيف•

وتسمى العلاقة بينك وبين افعالك بالكسب • فانت تكسب بالافعال حين تختارها • فتكسب الكفر حين تختار ان تكون كافرا ، ولكنك لا تخلق فعل الكفر ، وانما الله يخلق فيك القدرة على الكفر بمجرد اختيارك الكفر وارادتك له •

وانت تعاقب على كسبك وتثاب عليه ـ اى انك تعاقب على اختيارك، على الرغم من انك لم تخلق الفعل•

ولا شك ان هـذا الراى تحيط بقبوله صعوبات جمة : مثلا : اذا كان الكسب هو ارادة الانفعال فقط ، وهو كل ما يفعله العبد ، فهل يعنى هـذا ان العبد يعاقب على اختياره فقط حتى لو لـم يؤد هذا الاختيار الى اى عمل ؟

ثم ثانيا : من الذى خلق الارادة فى الانسان وهى فعل ؟ هل خلقها الله دون ان يكون للمريد فيها يـد ؟ فلمـاذا اذن يعـاقب ـ او يثـاب عليها ؟ أم هل خلقها الانسان ! اذن تكون انتفت نظرية الاشاعرة من الاساس •

★ ★ ★

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات ، فان آراء الاشعرى ظلت تكتسب الاعجاب والقبول كمحاولات عبقرية لحل معضلات الجبر والاختيار ، حافظت على معظم المسلمات الاساسية فى الاسلام ، وادخلت الراحة على النفوس •

ولا شك ان اكثر عبقرية الاشعرى تجلت فـى نظرته الفاحصة لمبدأ السببية التى رفعت عنه هالة الضرورة ، وعرته كمجـرد ابتـداع مريـح لتفسير ظواهر تربط بينها احتمالات كبيرة •

فالمفهـوم الحديث للقوانـين السببية هو انهـا قوانين احتمالات بمعنى ان قولك ان الظاهرة (أ) هى سبب للظاهرة (ب) لا يعنى اكثر من قولك : « ان الظاهرة (أ) شوهدت دائما مشفوعة بالظاهرة (ب) ، وعليه فاذا شاهدنا (أ) فان هناك احتمالا كبيرا لمشاهدة (ب) » •

اذ انه لا توجد ضرورة منطقية تجعل (ب) تتبع (أ) • انما هو احتمال • ومهما كان عدد المرات التى شوهدت فيها الظاهرتان متلازمة مع انعدام اى حالة حدث فيها العـكس ، فان هذا لا ينفى منطقيا جواز عدم تلازمهما •

رسل : نفس الموقف

وبعد اكثر من عشرة قرون من وفاة الاشعرى نجـد فيلسوفا مثل برتراند رسـل ، الفيلسوف البريطانى العظيم ، يعتمد على نفس المبدأ لحل معضلة حرية الارادة •

يقول رسل : « ان الاحساس الذاتى بالحرية هو الاحساس بالقـدرة على اختيار ما نحبـه من بين عدد من البدائـل ، ولكنه لا يعنى غياب الارتباطات السببية بين ماضينا وبين ما نحب » •

ويرى رسل ان التعلل بأن الارتباطات السببية بماضينا تحد من حريتنا ينبع من فهم قاصر للسببية•

فعلاوة على ما ذكرنا من ان السببية لا تعنى اكثر من الاحتمال ، فان معاملة الاسباب على انها مشابهة للارادة ، او على انها ارادات منافسة لارادتنا قد يخـلق مفهوما خاطئا • فان وجود اسباب لارادتنا هو عبارة عن ارادة لهذه الارادة ، وبمعنى آخر اجبار لنا على ارادتها • لانه لو كانت ارادتنا لها سبب ، وهى ترتبط به ضرورة، فهذا يعنى اننا كنا سنريد هذه الارادة بمجرد حدوث السبب ، وهذا يعنى اننا نريد رغما عنا •

ولكن تشبيه السبب بالارادة مبنى على المفهوم القديم للسبب ، أما فى المفهوم الحديث ، كما فى المفهوم الاشعرى فان الاسباب لم تعد لها تلك الهالة الميتافيزيقية •

ولكن الاسباب لها خاصية اخرى • فعن طريق القوانين السببية ، يمكننا التنبؤ الى حد كبير بما سيكون •

وقد كان من راى بعض الجبريين الماديين انه لو كان عندنا معلومات كافية عن كل دقائق حياة شخص معين حتى هذه اللحظة ، لامكننا التنبؤ بجميع تصرفاته القادمة فى اى حال من الاحوال •

فعلى الرغم من معرفة العـلماء بأن الاسباب ليس لها اى ضرورة منطقية ، الا ان فائدتها فى التنبؤ لا تنكر •

فهل اذا امكن التنبؤ بتصرفات الانسـان بكل دقائقها يكون هذا الانسان حرا ؟

لابن عباس راى فى هذه المسالة حين سئل عن اللوح المحفوظ ، وعن قوله تعالى : « ما اصاب

من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها » ٠

فقال رضي الله عنه : ان الله علم ما كان وما سيكون ، ثم قال لعلمه كن كتابا فكان » ٠

ويقول رسل : « لو انه وجد جنس من البشر لهم « ذاكرة » للمستقبل ، كما لنا ذاكرة للماضي، بمعنى انهم يعرفون ما سيكون كما نعرف ما كان، فهل يكون هؤلاء احرارا ام لا ؟ »

وهنا يتساءل : هل الحرية تعني الجهل ؟ وهل اذا عرفت انني سافعل كذا وكذا يملك ارادتي ينقص هذا من حريتي شيئا ؟

ويرى رسل ان من الخطا ان نعتقد ان من مستلزمات الحرية ان نتصف بالجهل ٠ وان زيادة العلم لا تعني النقص في الحرية ، وانما تعني تفهما اكثر لتصرفاتنا ٠

وهنا لا بد من توجيه انتقاد لرسل ٠

اذ ان الاحساس بنقص الحرية نتيجة زيادة العلم ، نابع من اننا حين نعلم بما سيحدث سنعرف اننا سنقوم بافعال خاطئة، ولكننا عاجزون رغم علمنا بها مقدما عن تغييرها ٠

ويحضرني في هذا المجال اسطورة اوديب الشهيرة الذي ابلغ بانه سيتزوج امه بعد قتله ابيه ، ولم يستطع منع ذلك ٠

ولكن دفع هذا الاعتراض ليس باليسير ٠ اذ اننا نعرف انه حتى في مثال اوديب ، فانه قتل اباه وتزوج امه بملء ارادته ٠ كذلك فانه على الرغم من ان المرء حين يعلم مقدما باخطائه المستقبلية ، فانه يرتكبها بملء ارادته ٠

يقول رسل : ان الحرية هي ان تنتج ارادتنا من رغباتنا ، والا تكون مفروضة بقوة خارجية ٠ ومهما كانت اسباب رغباتنا ، فان مسبباتها لا تعني حجرا على الارادات الناتجة عنها ٠

والنتائج متقاربة ايضا

وكما ان رسل والاشعري قد استندا في معالجتهما على مقدمات متشابهة ، فاننا نرى ان النتائج التي توصلا اليها كانت ايضا متقاربة ٠

فكلاهما يرى ان الحرية تتلخص في الا تكون هناك ارادة اخرى تجبرنا على اختيار ما لا نرغبه، اي انهما حصرا مفهوم الحرية في العملية الداخلية البحتة للاختيار ، وحاولا فصل مقدمة الارادة ونتيجتها عن الارادة نفسها ٠

فعند الاشعري لا يهم كوننا خلقنا في بيئة معينة ، وتربينا تربية من نوع معين ، لان الله خلقنا احرارا و « على الفطرة » اني خلقنا ٠

كذلك فعند رسل الارتباطات السببية التي تحدد رغباتنا غير مهمة ، طالما ان رغباتنا فقط هي التي تحدد ما نريد ٠

وبالمثل فالاشعري يرى ان الافعال لا يد لنا فيها بل الله يخلقها ، ولكن هذا لا يحد من حريتنا بحال ، فالله يخلق ما نختاره من افعال ٠

ومثله رسل لا يرى في القيود البيئية التي تحرمنا من عمل ما نريد حجرا على حريتنا ، فالحرية مسالة داخلية بحتة ٠ وهكذا التقى الفيلسوف المادي المتاخر مع الفيلسوف المؤمن المتقدم ، وكان للاشعري فضل السبق ، رغم ان رسل لم يكن يعرف ٠

وهنا لا بد من الاشارة الى ان رسل رغم عبقريته كان على جهل كبير بالفلسفة الاسلامية ، فقد كان يرى انها نقل كله خطا عن الفلسفة الاغريقية ٠ ■■

الخرطوم ـ عبد الوهاب احمد الافندي

لاتؤذوه

● خلال مباراة في كرة القدم جلب انتباهي رجل كان يجلس امامي وما برح طوال المباراة ينادي باعلى صوته : لا تؤذوا رقم ٥ ، من فضلكم كونوا لطفاء مع رقم ٥ ، لا ترهقوا رقم ٥ ٠ وفي النهاية سألته عما اذا كان رقم ٥ هو ابنه ٠ فاجاب قائلا : لا ، ياسيدي ، انه الرجل الذي استأجرته لمساعدتي في عملية حصاد المحصول غدا ٠

طبيب الاسرة

يجيب عن هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

جدرى الماء

● ظهرت حبوب حمراء على ولدى الاصغر سرعان ما انتشرت فى جميع اخوانه بالمنزل فهل هو يعدى وهل له مضاعفات؟

ان جدرى الماء Chicken-Pox يسببه فيروس وهو معد جدا فاذا أصاب طفلا عادة فان العدوى تسرى الى كل من يخالطه بعد فترة حضانة تختلف من اسبوع الى ثلاثة اسابيع • والمرض عادة يكون بسيطا ويبدأ بطفح على شكل حبيبات حمراء الا أنه احيانا يكون مصحوبا بارتفاع فى درجة الحرارة وكحة وآلام بالجسم خاصة اذا كان منتشرا على جميع أجزاء الجسم•

١ ـ توزيع الطفح : حيث يظهر اولا على الجسم وبدرجة أكثر كثافة فى الوجه والذراعين بل الساقين فيوجد فى الاجزاء القريبة من البطن والصدر ويظهر نادرا على اليدين والقدمين ، كما انه يظهر فى ثنايا الجلد أكثر من غيرها •

٢ ـ تطور الطفح : يبدأ الطفح أولا على شكل حبيبات حمراء صغيرة تتحول بسرعة الى قيلة نتيجة امتلائها بسائل مصفر سرعان ما يتحول الى صديد، وعادة تكون فى مجموعات سرعان ما تجف وتذبل الا انه قد يظهر غيرها ، وهذه التحولات عادة تكون سريعة فتستمر ساعات فقط أو أياما قليلة حتى تجف وتسقط القشرة •

٣ ـ عمق الطفح : يكون الطفح سطحيا والقشرة سطحية بحيث انه بعد سقوطها لا تترك أثرا يذكر •

وبالنسبة للتلاميذ فمن الواجب عزل الطفل ، حتى لا يعدى بقية التلاميذ ، ولا بد ان يتم عزله حتى تسقط آخر قشرة من جسمه •

اما مضاعفات المرض فبسيطة اذ يتقيح الطفح احيانا نتيجة العدوى والحكاك مؤديا الى دمامل تحتاج الى علاج أطول ويترك الدمل ندبة أكبر ،ونادرا ما يحدث التهاب دماغى نتيجة ذلك المرض • وليس له علاج خاص ولكن الوقاية وعدم الحكاك والنظافة ضرورية ويمكن استعمال شراب أو حبوب مضادات الحساسية اذ كانت توجد حكة زائدة • وكذلك يستعمل مسحوق ملطف للطفح•

قبـض الامعاء أو الامساك

● مشكلة عامة ، يشكو منها كثير من الناس، لما تسبب لهم من الانزعاج ، لجا أكثرهم الى طرق شتى لمعالجتها ، ولكن غالبا ما تكون هذه الطرق غير سليمة ، وكثيرا ما تؤدى الى زيادة الحالة تعقيدا •

اما اسباب الامساك فهى

رابعا : بعض الامراض لمؤلمة بالجسم :

مثل البواسير الملتهبة الشرخ الشرجي ،حيث يتجنب لمصاب القيام بعملية التبرز شية زيادة الالم •

خامسا : عدم التعود المنتظم على الاخراج منذ الصغر همال من الابوين ، او عدم ظافة الاماكن الصحية ، فتمنع لطفل من الذهاب اليها •

وتجدر الاشارة هنا بانه يس كل تاخر في عملية لتخلص من الفضلات يعتبر ساكا أو قبضا، فهناك اناس نومون بهذه العملية كل يوم يومين او اكثر ، ولكن ا دامت هذه هي عادتهم منذ لصغر ، وما دامت الفضلات بيعية منحيث الكمية والشكل النوع ، فليس هذا امساكا لا علاج لهؤلاء •

العلاج : ينقسم العلاج هنا سمين :

اولا : علاج حالات الامراض عضوية ان وجدت •

ثانيا : علاج الامساك لطرق الاتية :

ا ـ ان يقوم الفرد وبانتظام جربة التخلص من الفضلات ، اوقات محددة ، ويفضل بان تكون بعد وجبة الافطار او الغداء، وان تمنح هذهالعملية المدة الكافية من الزمن بحيث لا تقل عن ١٠ ـ ١٥ دقيقة

ب ـ ان يلبى نداء الطبيعة باسرع وقت ممكن ولا يهمل ابدا في ذلك •

جـ ـ ان يتناول كمية من السوائل ، وشرب كوب ماء صباحا يساعد كثيرا في منع الامساك •

د ـ ان يتناول كمية معقولة من الطعام ، وخاصة تلك التى تحتوىعلىالخضراوات والفاكهة والتى يترك هضمها كمية من السليلوز •

وقد وجد ان تناول الخبز الذى يحتوى على كميات كبيرة من النخالة (الردة) يوميا يقلل كثيرا من امراض الجهاز الهضمى •

هـ ـ ان معظم حالات الامساك يمكن التغلب عليها بالطرق التى سبق ذكرها ،فان لم تعط النتيجة المطلوبة ، حينئذ فقط نلجا الى العلاج اما باعطاء الحقن الشرجية او بصرف العقاقير ولا بد هنا من العذر ، فان تناولها المستمر يكسب الفرد التعود عليها ، ويصبح اسيرا لها ، وقد تفقد مفعولها بعد مدة من الزمن •

في كل مرة أكتب فيها عن المغاربة بمجلة « العربي » ، أشعر — من أحاديث الناس ورسائل القراء الي — كانما أتحدث الى المشارقة عن عالم غريب مجهول !

بقلم :
الدكتور احمد عبد الرحمن عيسى

■ ركبت الحافلة الى حي « سيدى عثمان » وهو حي شعبي فى اطراف مدينة الدار البيضاء، حيث حرصت على ان اؤدى صلاة الجمعة فى مسجد سيدى عثمان • ولما قضيت الصلاة وانتشر الناس يبتغون من فضل الله ، بدا لى انا وزميل آخر ان نقوم بجولة قصيرة نتعرف فيها على معالم الحياة الجديدة علينا فى هذه المدينـة العجيبة ، مدينـة الدار البيضـاء التى جمعت كل مظاهر الحيـاة التقليدية المتوارثة ، الى جانب ما حفلت به من ارقى معالم الحضارة الحديثـة فى كل شيء ، فى الناس او الاشياء او المعنويات •

مررنا نتطلع هنا وهناك بين المساكن الشعبية ، وما كدنا نقطع الشارع الرئيسى من المسجد ، حتى اخذتنا الحان تنبعث مقبلة علينا ، بين غناء شعبى وطبول رقيقة لها رنات تشبه دقات الزار فى مصر • فعجبنا وقلنا : حتى الزار سبقنا الى هذه الديار؟ ولم نلبث ان راينـا جمعـا من النسـاء والفتيات والاطفال يلتفون حول عربة يجرها حمار مذعور ، وقد وضعت عليها ملابس جديدة والمشة زاهية وحلوى وسكر « روس » وهدايا اخرى متنوعة • اخـذوا يقتربون منا شيئا فشيئا حتى صرنـا فى وسطهم نتحسس النغم ونحاول ان نفهم الكلام وقد اخذ الطرب بنفوسنا لهذه الالحان التى عهدناهـا فى الموشحات الاندلسية ، وان لم نفهم الا بعض كلمات متقطعة من الفاظ الغناء • سرت فينا هزة الفـرح وانغمرت نفوسنا فى جو فطـرى ساذج ، وسالنا : ما هذا الشيء ؟ (على حد تعبيرهم) ! فقالوا لنا : انها شبكة عروس ••• ومضى الركب الملتف حول العربة والحمار مجهد وقائده يجر من زمامه ، وحناجر النساء والفتيات والاطفال ودقات الطبول والزغاريد ووقع اقـدام الحمار ، تؤلف جميعها جولة موسيقية كانما يقودها فنان بارع

المؤلف والملحن مجهولان

اخذت منذ تلك الساعة ابحث فى هذا الغناء الشعبى عند المغاربة ، وفى سر هذه القوة الاسرا[ة] التى تدل على مزاج فنى اصيل ، فلم اجد الام[ر] غريبا الى حد بعيد ، فالاندلسيون طبعوا المغاربة بروح الموشحات الاندلسية الرقيقة من قديم ، حيث نزحت كثرة ضخمة من الاسر الاندلسية واتخذت المغرب موطنا لها عقب سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس • استوطنت هذه الاسر فى الرباط وسلا وسبته وطنجة وغيرها ، وقد وفدت بروحها الفنية فى الغنـاء والموسيقى وفلاحـة البساتين وتنسيق الزهور وهندسة المبانى ، كما سبق ان الر[...] المغاربة كذلك ، واخترعوا الحـانا اضافوها ال[ى] غناء الموشحات •

ولكن ماذا اعنى بالغناء الشعبى هنا ؟ • انى [...] به غناء العامة الذى لا يدون ولا يكتب ولا با[...]

للها الاجيال
كتب الادب
در ، حصلت
بة عن طريق
، الامكان ان
، او الفني·
: متى ظهرت
في اي الاقاليم
· ويبدو أن
، ينفرد بهذا
ية والاعشاب
، اني قرات
الوهاب يشير
بة « يانغلتين
جهولة المنشا
! متى ظهرت
اعجابه بهذه

معبي يقودني
لهجة المغربية

الدارجة عنوانه «الادب في الغناء» وموضوعه تعليم الغناء وتعلمه · قرات هذا الحوار فرايت فيه عرضا لهذا الفن ، وهو في الوقت نفسه نموذج للعامية المغربية فيها لهجة اخرى مغلقة تسمى « الهدرة » وهي حليط من لغة الشلوح او الشلحة «البرابرة» ممزوجة بلغة عربية تشوبها كلمات فرنسية · والحوار الذي معنا هو حوار بين فتاة مغربية وفتاة افرنجية، وحوار آخر بين فتى مغربي وآخر اجنبي · ولا ادري ما اذا كانت تقاليد « مجلة العربي » تسمح بنشر نص عامي غير فصيح ، ولكنه في انواعه لا بديل له في هذا المقام · وهاهو ذا النص :

الادب في الغناء

مريم : يا للا (١) عائشة كا تغني شي في داركم، واشكون كا يعلمك الغناء ؟

عائشة : انت بوك كا يفرح بك منين كا يسعك تغني ، والفقيهة كا تعلمك الغناء ولعب الكمنجة · وحتى اذا شطحت (٢) ، والديك يفرحوا بك · هذه عاداتكم انتم النصارى · واحنا عاداتنا ما

(٢) شطحت = رقصت ·

كا نغنوا فى الافراح والولائم والاعياد ، وكا تكونوا غير العيالات مع بعضياتنا . وحشومة (٣) علينا نغنوا او نشطحوا قدام الرجال واخا (٤) والدينا واخوتنا .

مريم : ما فيكم من يضرب الكمنجة او العود او البيانو ؟

عائشة : قليل البنت اللى ابوها يخليها تتعلم البيانو ، غير شى ناس تجار سافروا وشافوا فى المشرق بنات المسلمين تعلموا الموسيقا واعجبتهم هذيك الحذاقة وبقوا بناتهم يتحذقوا ، والغناء اللى كا يغنوه العيالات ساهل بزاف وهو غير كلام ملحون . فى مصر والمشرق كله النساء كا يغنوا باللغة الفصحى وغناؤهم اشعار .

مريم : دابا (٥) كثير الديار اللى فيهم الماكينة والغناء ، وكيف تدوروا الصحن تقدروا تحفظوا كلامه وتتعلموا غناءه .

عائشة : ايه ! دابا ، فينا اللى كا يعرفوا المصرى والتونسى والوزيرى والاندلسى ، ومنين كا يخرجوا الرجال من الدار كا يغنوا .

مريم : منين كا يكون عندكم فرح اشكون كا يزهى (٦) الجماعة .

عائشة : كا بخيبوا الشيخات (٧) ومنهم المعلمة كا تلعب بالكمنجة ، والمتعلمات يضربوا الطر والتعارج وهما اللى كا يغنوا ويشطحوا .

مريم : فى مصر العيالات تولعوا بالغناء والشطيح الرومى ، وحتى انتم يجى وقتكم .

عائشة : الله ينجينا يا مريم ويبعد عنا البلاء . السنة والدين فوق كل شىء (انتهى) .

وهذا الحوار يصور ضمير العامة والاوساط الشعبية فى الماضى . اما الان وعلى مستوى الدولة واوساط المثقفين ، فقد بلغ المغاربة مستوى رفيعا من الفن الراقى فى الغناء الحديث والتاليف الموسيقى المعاصر .

والحوار الاخر يدور بين فتى مغربى وفتى اجنبى على النحو التالى :

جاك : يا صاحبى عبد الله انا دايما كا نسمعك تغنى غناء عربى . ما تولعت شى بالغناء الرومى .

عبد الله : دابا ، عندنا الولاعة هى الموال المصرى ، وقليل من المغاربة السلم كا تعجبوا الموسيقا الرومية .

جاك : الغناء المغربى بقيت تسمه .

عبد الله : غناؤنا فيه انواع : عندنا كلام ملحون تسمعه عند الشيخات والشيوخ والقصايدى كا يضرب الكمنجة او الكنبرى وكا يحفظ بلغا دا القصايد ، ولكن ما كان يضرب شى مزيان بالكمنجة . وعندنا الاندلسى كا تسمعه عند العوادين هم اللى كا يحسنوا الصنعة الرباعة كا يكون فيها معلم يلعب بالرباب ، وزوج معلمين يلعبوا بالكمنجة وزوج او ثلاثة يضربوا العود والطرار وفيهم اللى يقول الموال . منين كا يكون يقول الموال دما يكونوا المعلمين يلعبوا بالمواعن باللاتى ، ومن يقاضى من الموال يخرجوا بالشغل ويغنوا كلهم فى مرة واحدة يسموا هذيك الرباعة الآليين .

جاك : الموسيقا عند المغاربة ما هى شى مكتوبة بالنقط بحال الرومية ، وكيفاش يتعلموها ؟

عبد الله : كا يحفظوها بالسماع ، اذا تولع شى واحد ، يبدا يحفظ على المعلمين ويتعلم يضرب العود او الكمنجة لراسه ، ويسموه مولوع . ومنين يعرف مزيان يدخل فى شى رباعة . ويبدا يغنى فى الاعراس ويعيش بهذيك الصنعة .

جاك : سمعت شى بهذيك المدرسة فى سلا ، اللى كا يعلموا فيها الموسيقى المغربية ، مديرها فرنساوى وفيها شيوخ وتلاميذ مغاربة .

عبد الله : مزيان ذاك الشىء ، لكن احنا باقيين ما نعتنوا بالموسيقا ، كا تعرف حشومة عندنا على الولد يغنى قدام بوه او خوه الكبير وحتى قدام الناس الكبار الاخرين . وعيب على الرجل يغنى قدام اولاده . والناس الخيرين يستحيوا يغنوا ، وكا يقولوا الغناء يطيح الحياء والوقار . فى الافراح منين يكونوا الناس غير يتصنعوا انغناء ، ما كا يجلسوا شى الصغار مع الكبار ، هذو فى صالة ، وهذوك فى صالة . وذاك الشىء سببه الوقار (انتهى) .

هذه النماذج الشعبية من الغناء حينما استعرضتها رايت فيها صورا من الحياة الاجتماعية على الطبيعة ، فهى ـ كما ارى ـ ليست معانى هائمة وانما

---

(٣) حشومة = عيب .

(٤) داخا = خصوصا .

(٥) دابا = الآن او حالا .

(٦) يزهى = يطرب ويؤنس .

(٧) الشيخات = المغنيات . وكل هذه الانماط لهجة مغربية . وكذلك كلمة بزاف ومعناها كثير .

قوموا وكافحوا يا شبان
رجعوا مجد العربان

ومن الاغاني التي كانوا يتاجون بها انفسهم وراء محمد الخامس في منفاه :

متى مشيتي سيدي ، متى مشيتي
والنار شاعلة في قلبي
وراك جبتي سيدي ، وراك جبتي
بارادة ربي !!
سيدي محمد
سيدي محمد يا امير
يا بو جلابه
يا بو جلابه حرير
اللي ما يبغيك
اللي ما يبغيك يا أمير
تبقى داره
تبقى داره خاويه

٣ ـ اغاني المطر

وهم مدينون للمطر بحياتهم ، يفعل الغيث بهم فعل السحر حينما يصب ميمونا بالخير ، ترى تقلب وجوههم في السماء وانطلاق حناجرهم بالاناشيد :

السنبلة عطشانة
غثها يا مولانا
السنبلة في الكسكاس
غثها يا ابن العباس

او يغنون بهذا الدعاء :

يا ساقي الارض المطر
اسقنا شيء من قطر
اسقنا شيء من قطر
نأتي به يوم الفطر
اسق البرابر البقر
اسقي جميع ألقطر
يا ساقي الارض المطر

اذا ارسلت السماء سيولها بالغيث استقبلوه

النـو صبت صب
ايجـي أمـي والاب
كا ينطـوني بالزربي

٤ ـ اغاني عمال المباني (الفاعل)

ولعمال المباني في كل بلد اغان يستعينون بها على كدحم وهمومهم ويمدون في صبرهم على المشاق ، وهي اغان جماعية تختلف من بلد الى بلد ، وتصبغها البيئة الخاصة بالوانها • ومن اغاني هؤلاء العمال المغاربة :

يـا راعـي الجمـال
هـات جمـالك يبـاتو
اذا أخطـاك الـزين
(طامـو) هي مولاتـو
(طامو) طبع السكين
كيف ! نشاها مولاهـا
بالـذهـب والفضـة
باش كسـاها كسـاها

يقصدون : يا راعي الجمال هات جمالك تبيت عندنا ، واذا لم تجد الانس والجمال ، فانك واجده في المرأة الجميلة (طامو) فهي مطبوعة على الرقة واللطافة مثل السكين التي كساها مولاها بالذهب والفضة • ومن اغانيهم ايضا :

اجـرادة مالحـة
فـين كنـت سارحـة
واش كلـت وشربـت
غير كفـاح انبـاح

وهي اغان غزلية عاطفية فيها دعاء نفسي للحبيب المجهول • ومثل هذه الاغنية :

يا طـير الحمـى يا طـير
وقتـاش - تتغيـب
ابغيت أوصيـكَ وصايـة
قـرب وزيـد لحـداية

او يتحاورون بهذه الاغنية :

ايش أداني ولا مشيت غير نظرة من عيونه
باش بلاني وكواني ، زلقت رجلي وزادت عيني

هما الاثنين أسباب في ها الكية
خلى القلب شاعل فيه نار قوية
ناديته من بعيد قلت له يا شاغل بالي
ما بغيت فيك غير بترد جماري
نده علي وقال لي أنا مالي

احين شكيت اضراري ما سب شكايا
ما فكر في وقال لي من انتا ...
هو الدوا يا طبيبي ايش ادا ...

٥ ـ التغني بجمال الطبيعة

قال احد فلاسفة الغرب : «مراكش ـ بلاد المغرب ـ تلك البلاد الخفية الاسرار ، التي يشبه وجودها الحاضر مقدور الابد في الغموض و لاشتباه ولعل هذه القول ينطبق أكثر ما يكون على مظاهر الطبيعة في المغرب فاسرار هذه الطبيعة تكمن في روعتها التي تفوق امهر سبحات الخيال ، ولعل خفاء اسرارها يتمثل في الدهشة التي تاخذ بالظار النفس البشرية حين تفجؤها دفعة واحدة معالم هذا الجمال القاهر الجبار ، ففنون هذا الجمال تتفاوت في كل لوحة من لوحات هذه الطبيعة بين البساطة والسذاجة وبين العمق الضارب في اعماق الامم الذاهبة وأعماق التاريخ الراهب الوقور .

وقد تغنى شعراء المغرب بجمال الطبيعة في بلادهم. ولذلك مجال آخر ، فنحن هنا في مجال الاغاني الشعبية فمثلا •• مصيف ايفران وسط غابات الارز على ارتفاع ١٧٠٠ متر فوق جبال الاطلس المتوسط ، هذا المصيف العجيب تتردد عنه الاغاني الشعبية كهذه الاغنية :

ما أحلى « افران » ما أحلى جماله
ما أحلاها عيشـة ما بين أغصانه
وعدني حبيبي وكمـل ليـا
رجـايا في غابـة افـران

وفي هذا المجال يتغنون بالمدن التاريخية مثل مدينة طنجة :

طنجـة يا العاليـة عاليـة
بأسـوارهـا هـاو لـله
الا لا يلاللـى ، الا لا يلالـى
أو مدار عليـك حبـى وباقـى
دوك العيـون الكحـل
همـا واماالهـم هـاو لله

٦ ـ غناء المهد

والحديث عن الغناء ذو شجون وشئون ، فالكلام فيه يرق ويتسلسل وتتعلق به الاسماع وتهفو اليه النفوس حدثني احد المغاربة ان لهم غناء جميلا خاصا بمهد الطفل تغنيه النساء ، وبخاصة الجدة العجوز التي فرغت من اغراض الحياة

ـال وتنـاغى
تابلة عندما
ا سيدة اخرى
اض الولادة ،

ـاس

ـــه
دان من يخلص
فـى استقبال
يها الاخرى •
بعض الجهـات

لطفل اذا زهد
اصبحوا امام
عن حل •هذا
« طير الليل »
لبنها ويفيض
سية تقدم على
كيف يرضع من
يات اخرى تقوم
ئات التى تغنى
ع « السادات »
البخـور » لكى
له لبن الام •

الام او الجدة
لقول التى تغنى

دراری
، باش نراری
ـام
ة فـاس
ـد
لكـاس
، الشعب هنـاك
يهم وتميزهم •
لتفى بان نعرض

الكرايم
، غير شتايـم

رسمت قصيدة منسوجة في قرطاس
بخـط عجمي واللغـة فيه نغـايم
كغزالة حضرية من بنات أهل فاس
معانقة شي عبد قناوى م الصمايم
اش من عار عليكم يا رجال مكناس
جيت داركم في حماكم يا أهل الكرايم
سبتى وهلاكي الامان في ابن آدم

ويمتاز هذا الموال بالرقة وبعد الخيال ، ويشير الى الرابطة العريقة بين شعوب الوطن العربي ، وذلك بالربط في العواطف الوجدانية بين « قنا » في مصر و « فاس » في المغرب •

ما نرقـدهم ولا نتشـوش
ولا نرقـد فـى قلبـى
الهمـوم تتصـرف
دابـا يفـرج ربـى
صباحك يا وليـد ورواحـك
مائـة ناقـة فى مراحـك
مائـة عبـد تسوقهـا
ومائـة خـادم تحلبهـا
وأنت يا ولدى تاكل زبدتهـا •

★★★

من درى ، الحـال يصبـح
وتهـود الشمـس لنـا
من عـاش لا بـد يفـرح
وتـزول عنـه الغبينـه
نوصيك يـا واكـل الـراس
فى البـير تـرمى عظامـه
اضحـك والعـب مع النـاس
وفمـك در لجـامـه
يـا غربتـى عدهـا لاهلـى
مـش زمانـى خسـاره
يا غيبـة الـورد الاحمـر
فى الـبر عنـد النصـاره
يعـطى للعـدو مـا يهـده
والدمعـة تهـرى خـدوده
يعمـى وما يصـيب من يقـوده
رارا يا وليدى راريت عليك بالطاسـه
اللى ما يبغـاك تجيـه رصاصـه !

وبعد •• فهذه باقة من الغناء الشعبي الذى يسمع ولا يكتب ، ولعلـه الوجـه الضـاحك في الفولكلور المغربي الذى تتعدد روائعه • ■■

د • أحمد عبد الرحمن عيسى

خلافاً
لرأى
فرويد

تمر بثمانى مراحل

بقلم : محمود محمود

من علماء التحليل النفسى الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية أريك اريكسون ، وله نظرية فى نكوين الشخصية يعارض بها ما كان يتجه اليه فرويد من أن هذه الشخصية تتخذ صورتها الاساسية فى عهد الطفولة ولا تتغير بعد ذلك مهما طال العمر ، يقول أريكسون ان المرء يمر فى حياته بعدة مراحل ، وكل مرحلة من هذه مراحل لها مميزاتها النفسيه التى تؤثر فى تكوين الشخصية ، وان لشخصية على ذلك فى تطور مستمر • وتلاقى نظرية اريكسون هذه اليوم ترحيبا فى اكثر الجامعات والاوساط العلمية فى أمريكا •

وهو يقسم حياة الانسان الى ثمانى مراحل بالنسبة للمشكلات والصراعات النفسية التي يتعرض لها الفرد • ومن التغييرات التى ادخلها اريكسون فى قاموس علم النفس وشاع استعمالها فى الاوساط العلمية المعنية « ازمة الشخصية » وقد كان يعنى بها مرحلة المراهقة التى يشتد فيها الصراع النفسى فى هذه الفترة من حياة الفرد، وقد عرض اريكسون فى وضوح شديد المشكلات الفذة المعقدة التى يجابهها المراهقون والشابات ، ودحض بحجة قوية النظرية التى كانت تعزو الى الطفولة وحدها كل مقومات الشخصية التى يتميز بها كل امرىء فى مستقبله •

ومن الحق ان نقول أن اريكسون لم يخالف نظريات فرويد كل المخالفة ذلك ان فرويد ـ وان كان قد ابرز بقوة تاثير الجنس فى حياة الانسان، الحديث عن الجنس ودوافعه مما كان يؤدى فى كثير من الاحيان الى الامراض العصبية المستعصية - الا انه لم يهمل كل الاهمال عنصر « الذات » أو « الأنا » الذى عزا اليه كذلك كثيرا من اتجاهات الافراد وما يظنونه بانفسهم وبالعالم الذى يحيط بهم • اما اريكسون فكاد ان يغض الطرف عن دوافع الجنس ويصب كل اهتماماته على التطور النفسى الاجتماعى « للذات » • وعلى هذا الجانب من حياة الانسان بنى أريكسون نظريته فى تطور الشخصية •

وقد عززت وجهة نظره تلك الفترة التى قضاها بين الهنود الحمر فى امريكا ولاحظ ان اهم المشكلات العاطفية التى يعانيها الهندى هو شعوره بانفصاله عن بيئته الاجتماعية وانعدام التواصل بين حياته الحاضرة وما ينقله اليه التاريخ من العلاقات القبلية

لك ان يرسم
بهـا استيعابه
، امريكا ، ان
تتعلق بنموه
واقع الجنسية
، وقد زادمن
ـ دون العنصر
سه في الجنود
نفسية متعسرة
الجنود كانوا
م ولا ما هم ،
، التوفيق بين
ند في الجيش
، التي كانـوا
المصاعب التي
رضون عليـه
مما يصطرعون
بقدر ما كانت
، •

سان

ة التي جمعها
نفس ، اولهـا
عية تؤثـر في
ع ، وذلك الى
ويد ، والاتجاه
ند سن المراهقة
• ثم ان كل
يجابي كما ان

ية في حيـاة
عناصر ، يتميز
الاجتماعي » ـ
ـه وتفاعله مع

لانسان ـ وهي
مدى ما يضعـه
من الناس وفي
ه حدا لا نهاية
وقف ذلك على
سنة الاولى من

توفر له الحياة الناعمة ، والذى يدلله ابواه ، ويجد من يتحدث اليه ومن يشاركه اللعب ،يتصور العالم مكانا آمنا والناس اهلا للثقة • اما اذا كانت العناية بهذا الطفل ناقصـة ، وكان يلقى صدودا عنه فى مختلف المواقف فانه يرى الناس غير جديرين بالثقة ، ويتكون لديه نوع من الخوف ومن الشك فى تعاون الناس معه ، وتستمر هذه المشاعر عنده بعد ذلك فى ايامه المقبلة •

ولكن ابادر هنا بالقول بان اكتساب الثقة او فقدانها لا يتكون فى السنة الاولى من حياة الطفل بدرجة من الثبات يتعذر معها تغيير الاتجاه، فالطفل الذى يلتحق بالمدرسة بشىء من الاحساس بعـدم الثقة قد يتعلم على يدى مرب ـ او مربيه ـ يحوطه بعطف يدعوه الى التحول عن وجهة النظـر الاولى • كما ان الطفل الذى يجد فى سنته الاولى ما يدعوه الى الثقة فى العالم وفى الناس قد يفقد هذه الثقة اذا جد فى حياته الاجتماعية جديد ، كان يشتد الخلاف بين امه وابيه ويتم بينهمـا طلاق بائن •

وتشتمل المرحلة الثانية من حياة الطفل على السنة الثانية والسنة الثالثة من عمره وفيهـا يتحدد مدى اعتماد الطفل على نفسه ، ويرجع ذلك الى القدرات الحركية والعقلية التى تستجد فى حياته • وفى هذه المرحلة من العمر يستطيـع الطفل ان يمشى وان يتسلق ، وان يفتح المغلق ويغلق المفتوح ، وان يجذب وان يدفع ، ويمسك فى قبضته ويطلق من بين يديه،وهو بهذه القدرات الجديدة فخور ، ويحب ان يعمل بنفسه كل شىء ، يحاول ان يطعم نفسه وان يكتسى بنفسه حتى ان كان ذلك بغير اتقان وبكثير من الخطا ، واذا اقره ابواه على ذلك ـ ولو الى حد ما ـ تكون لديه اعتقاد بانه قادر على التحكم فى عضلاته ، وفى دوافعه ونفسه وبيئته ـ اى انه قادر على ان يحكم نفسه حكما ذاتيا •

اما اذا كان اولياء امره لا يصبرون علـى سقطاته ، ويؤدون له ما يستطيع اداءه ، فانهم بذلك يربون فيه الاحساس بالشك والخجل • ان الوالد قد يزجر ولده فى موقف ما ويتقبل الولد هذا الزجر لانه على درجة من الوعى يميز فيها بين الخطا والصواب • اما ان يصر الوالد على حماية الولد حتى حينما يكون ذلك بوسعه ، واما ان يصر الوالد على لوم الطفل كلما هفا (حينما

يسقط منه كوب من الزجاج فينكسر ، وحينما يتدفق منه اللبن رغما عنه ، وغير ذلك من المواقف التي تتكرر في حياة كل انسان) فانه انما يخلق بهذا السلوك لدى الطفل شعورا بالخجل من الناس وشعورا بالشك في قدرته على التحكم في نفسه وفي العالم المحيط به •

واذا خرج الطفل من هذه المرحلة من مراحل العمر بكثير من الخجل والشك وقليل من الاعتماد على النفس كان لذلك اثر بالغ فيما بعد في قدرته على التحكم في نفسه ابان المراهقة والشباب• اما الطفل الذي يكتسب في هذه المرحلة شعورا بالقدرة على التحكم الذاتي الذي يتغلب به على شعوره بالشك والخجل فانه انما يعد نفسه لحياة مستقبليه اساسها الاعتماد على النفس • على ان هذا التوازن بين التحكم في النفس من ناحية والشك والخجل من ناحية أخرى قد يتغير سلبا او ايجابا وفقا لما يقع للفرد من احداث بعد ذلك•

حتى تتغلب روح المبادرة

وحينما يبلغ الطفل الرابعة او الخامسة،ويدخل في المرحلة الثالثة من عمره ، وهي الفترة التي تسبق عادة التحاقه بالمدرسة ، نجد انه قد صار قادرا على التحكم في اعضاء جسمه ، فهو يستطيع ان يركب الدراجة ، وان يجري ، وان يصيب الهدف • ومن ثم فهو يستطيع ان يبادر بانشطة حركية مختلفة يقوم بها من تلقاء نفسه ، ولا يكتفي برد الفعل او بتقليد حركات غيره من الاطفال ، والامر كذلك بالنسبة لقدرته اللغوية وتصوراته وبناء على ذلك فان اريكسون يقول عن البعد الاجتماعي الذي يظهر في هذه المرحلة انه يتذبذب بين طرفين : المبادرة في طرف والاحساس بالخطأ في الطرف الآخر •

ولكي تتغلب روح المبادرة على الاحساس بالذنب في هذه المرحلة من العمر يجب على الوالدين ان يستجيبا بالتشجيع للنشاطات التي يبدي فيها الطفل نزعة الى المبادرة،فلا يصدانه عن اشتراكه في الالعاب الحركية كالجري وركوب العجلة والمصارعة وغير ذلك مما ينطوي على شيء من المغامرة ، وعلى الوالدين كذلك الا يسخرا من الطفل اذا توجه اليهما بسؤال فيه شجاعة فكرية اما اذا قال الوالدان لولدهما ان حركته سيئة وان اسئلته سخيفة وان الالعاب التي يمارسها لا تنم عن ذكاء فهما بذلك يربيان فيه الاحس ن بالخطا في كل ما يقوم به من فكر او عمل قد يلازمه هذا الاحساس مدى الحياة •

اما المرحلة الرابعة من العمر فتمتد من السنة السادسة حتى الحادية عشرة ، اي فترة المدرسة الابتدائية ، وهي الفترة التي يضمر فيها الطفل حبه لامه ومنافسته لابيه او تبدي فيها الطفلة حبها لابيها ومنافستها لامها ، وهي كذلك الفترة التي يستطيع فيها الصغير استنتاج النتائج من المقدمات والتي يستطيع فيها أيضا ان يلعب ان يتعلم وفقا لقواعد العلم او اللعب • ويزعم اريكسون أن البعد النفسي الاجتماعي الذي يبرز في هذه الفترة هو شعور الطفل اما بالاجتهاد والمثابرة واما بالنقص وعدم القدرة على ملاحقة المثابرين•

في هذه الفترة من العمر يهتم الطفل بالكيفية التي تصنع بها الاشياء ، والتي تتحرك بها ، والوظيفة التي تؤديها ، ومن ثم كان الاجتهاد سمة هامة من سمات هذه المرحلة • ونستطيع ان نشبه هذه المرحلة بالدور الذي قام به روبنسون كروزو حينما القي نفسه وحيدا فوق جزيرة مهجورة ، كان على روبنسون كروزو ان يجتهد وكان عليه ان يفكر في ادق التفصيلات في كل عمل يقوم على ادائه بنفسه ، واذا نحن شجعنا في الطفل الجهد الذي يبذله في اداء او بناء او صنع اشياء عملية (كنماذج الطائرات او بناء المنازل او الطهو او التطريز) واذا نحن سمحنا له بانجاز ما يشرع فيه ، واذا نحن اثنينا على ما يصنع وكافأناه عليه حثثناه بذلك على الاستمرار في الاجتهاد والمثابرة على العمل • اما اذا نحن نظرنا الى مايعمل الطفل على انه عبث ليس وراءه طائل فاننا بذلك نخلق في نفسه شعورا بالنقص •

عندما يبلغ الطفل السن التي يلتحق فيها بالمدرسة الابتدائية يتسع عالمه ليشمل نطاقا أوسع من بيئته ، ومجتمعا اكبر من اسرته • فالمدرسة تلعب دورا هاما لايجاد التوازن بين الاجتهاد والشعور بالنقص ، وكذلك يفعل آخرون من غير افراد اسرته •

عن ازمة الشخصية

ثم ياتي بعد ذلك دور المراهقة وما يلازمه من من ازمة في تحديد هوية المراهق ، وتقع هذه الفترة على وجه التقريب فيما بين سن ١١ وسن

١٨ وهي الفترة التي يقضيها الطالب في المرحلة الثانوية ، يقول علماء التحليل النفساني ان المراهق يقع حينئذ في مشكلة تحديد موقفه من اسرته ، ويتحول عنده الارتباط الاسرى من صلته بوالديه واخوته الى رغبة في مصاحبة رفيق من سنه يشاركه او يشاركها الوجدان • وينبهنا اريكسون الى ان المشكلة الاسرية هذه ليست وحدها ما يصطدم به المراهق ، فهو ـ فوق ذلك ـ ينضج عقليا وبدنيا ، وبالاضافة الى المشاعر والاحساسات والرغبات الجديدة التي يحسها نتيجة لما يطرأ عليه من تغيرات بدنية ، يكون لنفسه طرائق جديدة في النظر الى العالم والتفكير فيه، يفكر فيما فكر فيه السابقون ويكون له فيه راى خاص ••• ويتصور اسرا مثاليه ، وعقائد ومجتمعات افضل مما وقع له في خبرته • ومعنى ذلك ان المراهق يمسي قادرا على بناء نظريات وفلسفات يجعل منها كلامتوافقا يزيل بهاالمتناقضات التي يراها في المجتمع ، او على الاقل يتمسك بفلسفة وضعها احد المفكرين يشبع بها رغبته في وضع العالم في منظومة متسقة ، أى أن المراهق مثالي يحسب ان تحقيق المثل الاعلى أمر ميسور مثل تصوره •

ويرى اريكسون ان هذا البعد الجديد في تطور الشخصية يؤدى بالفرد اما الى تحديد هويته واما الى وقوعه في اضطراب شديد ، فهو يحاول ان يجمع كل ما تعلمه باعتباره ابنا وطالبا ولاعبا وصديقا وعاملا في أحد المجالات في كل واحد له معناه وله صفة الاستمرار ، فان استطاع ذلك حقق هويته النفسية ، اين هو والى اين ؟

ويصبح تاثير الوالدين في هذه المرحلة غير مباشر بعد ان كان مباشرا وفعالا واذا بلغ الصبي مرحلة المراهقة ، وقد بث فيه والداه روح الثقة والاعتماد على النفس والمبادرة والمثابرة افلح في تحديد هويته ، وعكس ذلك بالضرورة صحيح ، واذن فالاعداد لمراهقة ناجحة وبلوغ الاحساس بالذاتية النفسية الاجتماعية يجب أن يبدأ والطفل لا يزال في المهد •

واذا قضى المرء طفولة يائسة او مر بظروف قاسية فلم يستشعر في شبابه هويته الشخصية يظهر عليه الاضطراب ، وكانه لايدرى من هو والى من ينتمي وقد يسلك سلوكا لا يتفق مع ما تعلم من قيم ، او قد لايحقق مارسمه له ابواه • ولان يتعرف الفتى ويكون له في الحياة راى خاص خير من ان يكون عديم الشخصية •

حتى خريف العمر

والمرحلة السادسة من العمر هي التي يبلغ فيها المرء سن الرشد ، وهي السن التي يجد لنفسه فيها زوجا ويشرع في تكوين اسرة جديدة، وهي فترة تستمر حتى منتصف العمر ، ولا يزودنا علماء التحليل النفسي بجديد عن نفسية الانسان في هذه الفترة ، اما اريكسون فيرى ان ما تحقق للفرد فيما سبق من تحديد ذاتيته واشتراكه في عمل مثمر مما تتميز به هذه الفترة يعطينا بعدا جديدا من الالفة من ناحية او العزلة من ناحية اخرى •

ولا يقصر اريكسون الالفة على ممارسة الحب وانما يعني بها كذلك القدرة على مشاركة شخص اخر او العناية به دون أن يخشى على نفسه الضياع في هذا الاتصال • ونجاح المرء او فشله في حالة الالفة لايتوقف ـ كما كانت الحال في مرحلة تحقيق الذات ـ على الوالدين بطريقة مباشرة وانما يكون ذلك بطريقة غير مباشرة وبمقدار ما اسهم به الولدان في انجاح تكوين شخصيته فيما مر به من مراحل العمر السابقة وهنا ايضا ـ كما هي الحال في مرحلة تحقيق الذاتية ـ قد تكون الظروف الاجتماعية عونا او عائقا على تكوين الاحساس بالالفة، والالفة كذلك لاتتوقف على العلاقة الجنسية وحدها ، وانما هي تشمل ايضا العلاقة بين الاصدقاء ، فالجنود الذين حاربوا معا في ظروف خطرة كثيرا ما يتكون لديهم الاحساس بالالتزام نحو الزملاء ، التزاما تتمثل فيه الالفة باوسع معانيها ، واذ لم يحس الفرد بالالفة مع الزوج او الاصدقاء ادى ذلك الى انعزاله ، والى وقوفه في الحياة وحيدا لايجد من يخاطبه او يضفي عليه عنايته •

ثم تاتي المرحلة السابعة في حياة الانسان ـ وهي منتصف العمر ـ حينما يتحقق للفرد بصورة كاملة استقلاله عن والديه ، وفي هذه المرحلة نلمس بعدا جديدا في حياة الانسان يتذبذب بين الاهتمام بالاجيال القادمة من ناحية وبين الاستغراق في المصالح الذاتية من ناحية أخرى ، أو بين ان يمد المرء اهتمامه الى أبعد من اسرته ومن زمانه وينظر الى طبيعة المجتمع والعالم الذى تعيش

فيه الاجيال القادمة ، ويحاول ان يجعله مجتمعا افضل وعالما امثل • اما هذا واما الاستغراق في المصلحة الذاتية والاهتمام بالمتطلبات واسباب الراحة الشخصية •

ثم تحل المرحلة الاخيرة من عمر الانسان ، وهي المرحلة الثامنة ، المرحلة التي توشك فيها جهود المرء ان تصل الى غايتها لكي ينظر اليها كماض ويحكم على نجاحها او فشلها ، والمرحلة التي قد يكون للمرء فيها احفاد ينعم بهم • والبعد النفسي الاجتماعي الذي يبرز في هذه السن يتسم بالاطمئنان من ناحيه او الشعور بالقنوط من ناحيه اخرى ، وينشا الاحساس بالطمانينة من قدرة الانسان على ان ينظر الى ماضي حياته بدرجة كبيرة من الرضي • اما ذلك واما احساس المرء بان ماضيه لم يكن الا سلسلة من فرص لم يغتنمها واتجاهات لم يسايرها ، فيدرك في خريف عمره انه لم يعد بالامكان ان يبدأ من جديد ، والنتيجة الحتمية لمن يساوره هذا الاحساس هي الشعور باليأس من تحقيق ما كان بالامكان تحقيقه في عهد مضى •

محاولات تطبيق النظرية

هذه هي المعالم الكبرى للمراحل الاساسية في حياة الانسان كما وصفها أريكسون • وهذا الاتجاه الجديد الذي يقسم بمقتضاه أريكسون العمر الى مراحل له اهمية قصوى بالنسبة الى الآراء القديمة الخاصة بتطور الشخصية ، والاضطرابات العاطفية عند الكبار • لم يقف أريكسون في تشخيصه لتطوير الشخصية عند حد الطفولة ، فلقد رأى أزمات عاطفية تتميز بها كل مرحلة من مراحل العمر بما فيها الكهولة والشيخوخة ، ومعنى ذلك ان الطبيب النفساني يعالج المشكلات العاطفية عند مرضاه باعتبارها اعراضا يمكن الشفاء منها وليس باعتبارها رواسب من صراعات الشخصية وما صادفها من خذلان •

وهذه النظرية الخاصة بنمو الشخصية تعفي الآباء من بعض ما يقع على عاتقهم من مسئوليه تنشئتها تنشئة صالحة ، وتشجع في اعتبارها الدور الذي يلعبه الفرد نفسه والمجتمع في تكوين الشخصيه كما ان اريكسون ـ فوق ذلك ـ يبعث فينا الامل حينما يعزو الى كل مرحلة من مراحل العمر [illegible]

ولقد حاول اريكسون ان يطبق نظريته هذه على بعض الشخصيات ذات الشهرة التاريخية مثل ماكسيم جوركي وبرنارد شو وفرويد نفسه ليثبت صحتها • ومن دراسة هذه الحالات الخاصة امكن له ان يعرض علينا نظرات صائبة في تاريخ اوربا السياسي وادب هذه القارة ، ذلك لانه كان يحلل الشخصية ليظهر مدى تاثرها بزمانها ومدى تاثيرها في التاريخ • وهذه اضافة لها قيمتها قدمها اريكسون محاولا بها وضع نظرية خاصة في تكوين الشخصية وفي مسار التاريخ •

ولعل اهم السير التي كتبها في ضوء التحليل النفسي دراساته المطولة عن حياة مارتن لوثر ومهاتما غاندي ، ويلمس القارىء في هاتين السيرتين شبها بسيرة اريكسون ذاته ، فلقد كان لوثر يعاني من ازمة تتعلق بتحقيق هويته المهنية، كما كان غاندي يعاني من ازمة تتعلق باهتمامه بالاجيال القادمة ، وهاتان الصفتان من الصفات البارزة في شخصية اريكسون •

وعلى الرغم مما قدمه اريكسون للتحليل النفسي وعلم النفس والتربية والعمل الاجتماعي مما اكسبه شهرة عالمية ، فانه لم يخل من النقد ، ومن ذلك ما زعمه دوفان واديلسون من ان نظريات اريكسون قد تنطبق على البنين ولكنها لا تنطبق على البنات ، لان هؤلاء لا تتكون شخصياتهن الا بعد الزواج والمرور بمرحلة « الالفة » لان هوية المرأة كما يقول هذان العالمان تتاثر الى حد كبير بهوية الزوج •

وكذلك لقي اريكسون نقدا لانه كان شديد التفاؤل بالجنس البشري وقدرته على علاج نفسه، ولكننا بجانب ذلك يجب ان نذكر ان نظرة اريكسون نظرة سليمة ايجابية تقابل النظرة السلبية الى الانسان التي يتمسك بها فرويد واتباعه ، ومهما يكن من امر فهناك ما يدل على أن نظريات اريكسون تجديد للحد الذي وقف عنده تحليل النفس ، وتشكيك على الاقل في مزاعم فرويد ، [illegible] تصديقا اعمى في كل ما يقول •

لقد اكتسب تحليل النفس بفضل [illegible] حيوية جديده ودفعة قوية الى الا[illegible] من الطفولة لتشمل حياة الكبار بل [illegible] على محو التاريخ •

س والإحساس

لم : محمد خليفة التونسي

برد » او « احس
: « احس الحنان
حس الجفاء من
ا بمعنى شعر به
، او سعنه .

المعنى ، او هذه
حس » ، فنقول
نان ، او الجفاء»

هذا ، ولا يعدم
ة او تعلة تحتج
جة هؤلاء هنا ان
كريم هو «أحس»
فى الآية الكريمة
والاية « احسوا
هم من احد » ،
اعف او المضعف
ان يعقوب يطلب
يوسف وأخيه
يا بنى اذهبوا
» اى نفقدوهما
اطلبوا اخبارهما،
ما الفعل الثلاثي
القرآن الا بمعنى
تخاطب المؤمنين
لخصومهم « ولقد
نهم باذنه » اى
سلاح . وبهذه
حاسة » ـ اسم

والبصر والشم والذوق واللمس ، ويسمونها « المحسات » ويمنعون كلمة « محسوس » ـ اسم مفعول ـ وجمعه « محسوسات » ولا يجيزون الا « المحس » اسم مفعول ـ وجمعه المحسات ، ياخذونها من الفعل « احس » ثم يزيد بعضهم على الحجة السابقة ان استعمال « حاسة ، وحواس ، ومحسوسات » لافادة الشعور او العلم او المعرفة ـ استعمال من توليدات الفلاسفة وعلماء الكلام ، وهذا غير صحيح .

ولا شك ان القرآن الكريم هو الحجة الكبرى فى فصاحة اللغة وبلاغتها ، ولكن لا شك انه لم يستوعب كل كلماتها ، كما انه لم يستعمل كل كلمة فيه بكل معانيها اللغوية ، فليس تركه لكلمة دليلا على عدم فصاحتها ، ولا استعماله كلمة ببعض معانيها دليلا على ان استعمالها بمعان اخرى محظور ، او ضعيف ، فهو حجة فى اثبات لفظ ومعناه ، لا لنفيهما ، ومن هنا تبدو حجة هؤلاء المتزمتين متهافتة ، والحجة الاخرى اشد تهافتا .

ونسال : هل صحيح ان الفعل « حس » لم يات فى لغتنا الفصيحة او الفصحى بمعنى آخر غير القطع ؟ لقد جاء بمعان كثيرة اخرى لا يعنينا منها هنا الا معنى الشعور ، والمعرفة : يقينية كانت او ظنية ، وما يتصل بذلك كالعطف والتوجع . ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب « الانوار ومحاسن الاشعار » ص ٢٥٧ للشاعر الجاهلى السفاح بن خالد التغلبى .

فلبيت الصريخ ، ولم يرونا

والمعنى : « لما دعيت لنجدة عشيرتي على اعدائنا ، اجبت ، ولم ينظرونا ، ولا شعروا بوجودنا حتى ركبناهم بالهجوم » ولم تكن هنا ضرورة شعرية لاستعمال « حسوا » اذ كان يستطيع ان يقول كلمة اخرى بمعناها ووزنها مثل « شعروا » او « علموا » او « عرفوا » فلا يختل وزن البيت ولا يتغير معناه .

وقريب من ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي، وهو من شعراء العصر الاموي :

هل من بكى الدار راج ان تَحِس له
او يبكي الدار ماء العبرة الخضل

و « تحس » هنا ـ بفتح التاء ـ مضارع للفعل الثلاثي « حس » واذا فسرنا هنا « تحس له » بمعنى « تتوجع له » او « ترق له » فعلينا ان نذكر ان المعرفة او الشعور بالمحنة هي الاصل ، وتليها مرحلة ثانية هي العطف على صاحبها او الرقة له ، ثم يكون التوجع له ، فلا توجع بلا عطف ، ولا عطف الا بعد معرفة بالمحنة .

ومثل ذلك حديث قتادة ـ كما في اللسان ـ « ان المؤمن ليحس للمنافق » بمعنى يعطف عليه او يتوجع له ، ومن امثلة العرب كما في اللسان ايضا « ان العامري ليحس للسعدي » اي يرق له لما بينهما من الرحم وحسبنا هذه الشواهد مما لدينا .

وكلا الفعلين « حس » و « احس » ياتي لازما فيقال « حس به » و « حس له » كما يقال « احس به » وياتي كلاهما متعديا لمفعول به واحد فيقال « حسه » كما يقال احسه وعلى هذا يكون الفعلان « حس » و « احس » متساويين في المعنى وهو الشعور او المعرفة وكذلك مصدراهما « الحس » و « الاحساس » .

ومن « حس » تاتي صيغ كثيرة بمعنى الشعور والمعرفة وقد مر بنا في آية قرآنية الفعل « تحسس » بمعنى تتبع الخبر او الشيء في فطانة لمعرفته ، وهذا الفعل مضعف العين (السين الاولى مكررة مشددة) ومن استعماله بهذا المعنى « تحسس الطبيب جسم المريض تحسسا ليعرف

حين يكون في المسالة مجهول فيفترض راغب الحل فرضا وراء فرض حتى تصح له النتيجة ، وكذلك نفعل في تدبر كل امر يستغلق علينا في الحياة لمعرفة اسبابه او مجرياته او نتائجه ، فالتحسس اسلوب عقلي لحل كثير من مشكلاتنا في الحياة .

وياتي التحسس بمعنى تتبع المرء اخبار الاخرين نزوعا الى الفضول وهذا مما ينافي المروءة والعقل، ولهذا نهى عنه النبي عليه السلام كما نهى عن التجسس فقال : « لا تحسسوا ولا تجسسوا ».

وبهذا المعنى جاء من « حس » اسم الفاعل « حاسوس » مثل « الناظور » من « نظر » « وناطور » من « نطر » وكلاهما اسم لحارس الحديقة .

وقد يستعمل «التحسس» بمعنى «التجسس» والحس بمعنى « الجس » فيكون « الحاسوس » مثل « الجاسوس » وزنا ومعنى ، ويفرق بعضهم بين الاثنين فالتحسس والحاسوس في الخير ، والتجسس والجاسوس في الشر ، ومهما يكن الامر فكلاهما ـ بالحاء أو الجيم ـ يدل على طلب المعرفة مع اتفاق الباعث والغاية بينهما أو اختلافهما .

وقد مر بنا ان الفعل « حس » يكون مضعفا فتاتي صورته هكذا « حسس » وذلك بتضعيف عين الفعل اي تكرارها مع ادغام المثلين وهناك صورة اخرى للتضعيف ، وذلك بتكرار فاء الفعل بعد عينه اي تكرار الحاء بعد السين ، فنقول « حسحس » ومصدره « حسحسة » ومن ذلك « حسحس له » اي اشتد توجعه ورقته له ، ومثل هذا التصرف في الوزن يبلغ في لغتنا عشرات وعشرات ولكنه لا يطرد ، ومن ذلك «فض العظم وفضفضه فهو فضفاض » ، اي شديد الكسر ، « وسح المطر وسحسح فهو سحساح » ، اي اشتد تتابعه او صار غزيرا . واسم الفاعل من « حسحس » قياسيا « محسحس » ومثله « حسحاس » وقد سمت به العرب ، ومن ذلك « بنو الحسحاس » ومن عبيدهم الشاعر المخضرم « سحيم » وكان لقبه « عبد بني الحسحاس » وقد تمثل النبي عليه السلام ببعض شعره وتكهن له عمر بن الخطاب بالموت مقتولا لانه كان دنسا فاحشا في قوله وعمله فكان ذلك .

ة ، ومن هـذه
تحسس » ومنها
ل المضعف مثل
للمين فينطق كانه
« وحسينا له »

ـو « حـاس »
ذا شئنا المبالغة
ـة » للدلاله على
ن « فعال » مثل
افعال المضعفة :

، من « حس »
، سـمت العرب
وزنه « فعلان »
. وممن سمي به
ـ » .

ـصيحة والدارجه
هي ، سواء كان
وبمعناهـا كلمـه
في القرآن الكريم
جاه السعداء منها
ن حسيسها ..»
سائل المعرفة » .

لخمس: «السمع
للمس » وسمى
القدماء «الحواس
كر ، والتصور ،
ذلك في التفرقة ما
ى التشبيه وعلى
، احد طرفيه :
ـ عندهم من وجه
كان الوجه يدرك
موه « حسيا »
هيل مثلا ، واذا
عقليا » كالمودة في
ان مما ينبغي لنا
كلية عقلية .

ـا وحـديثـا في
ضهم يطلقها على
جنسات المادية ،

وقد يوصف « الحس » بحسب نوعه فيقال « حس ظاهر » بالمعنى السابق أو « حس باطن » للدلالة على الوجدان ، او التفكير كمـا يقال « حس فردى » لما يدركه فرد ، و « حس جماعي» او حس مشترك لما تشترك فيه احدى الجماعات أو كل البشر من قيم ، وقريب منه « الحس الخلقى » وهو الحس بالخير العام لجميع الناس (وقد يدخل فيه الخير الخاص الذى يجارى خير الاخرين ولا يعارضـه) وهنـاك « الحس الجمالى » ، « والحس الدينى » و « والحس الصوفى » و « الحس اللغـوى » و « الحس الموسيقى » ، و « الحسن الجمالـى ، والحس الفنى » .

وقد يطلق « الحس المشترك » ايضا على ما تشترك في ادراكه عده حواس كأنها حاسة واحده . وهناك الحدس لا بمعناه اللغوي العام ، وهـو الظن ، او التخمين بالرأي ، ولكـن بمعنـاه الفلسفي Intuition عند بعض الفلاسفه المحدثين والقدماء وهو يعني حضـور موضوعه للادراك على وجه اليقين ، دفعة واحده او نحوها ، وهم يقسمونه قسمين :« حدس حسي» يدرك موضوعه بحضوره للحس الظاهر فيمـا يتوارد عليه من الاشياء خارجه ، او بحضـوره للوجدان كوجودنا الذاتي أو اعمالنا الباطنية ثم « حدس عقلى » يدرك موضوعه بحضوره للعقل كالبديهيات .

ويبدو من هذه الجوله ان استعمال كلمـة « الحس » بمعنى الشعور او المعرفة اشيع من استعمال « الاحساس » بين الباحثين في مجالات شتى ، ثم هى اخصر والتعامل معها أيسر ثم ان كثيرا من الافعال العربية تأتي منها الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد بالالف بمعنى واحد ، مثل « حس » « واحس » كما يستعمل مثله لازما أو متعديا . وهذه الافعال ترتفع عددا من العشرات الى المئات.. ثم أليس الفعل « حس » هـو الاصل لمثيلـه « أحس » فلولا اشتراكهما في معنـى الشعور والمعرفة لما جاء أحس بهذا المعنى ، ثم لو لم يأت « حس » بهذا المعنى في المعاجم وغيرها لجاز ان نستنبط منه قياسيا ، تبعا لقاعدة اقرها المجمع اللغوي في استكمال مادة ناقصة من مادة مأثورة ، فكيف اذا كانت المادة جاهزة وان زعموا انهـا ناقصة أو غير موجودة . ■■

● قصة قصيرة ●

هذه الحاسة الملعونة

بقلم
الدكتور
محمد شكرى عياد

● الى ان طردت من الجريدة لم يكن الامر يشغل بالى كثيرا ..

نعم، كنت اجلس احيانا على الكرسى الاسيوطى الملاصق للنافذة ، فى شقتى الصغيرة بالطابق الرابع ، واتسلى بمراقبة المارة فى شارعنا . فربما قلت لنفسى :

ـ هذا الشاب الطويل الاسمر الذى يبدو على ملامحه المشدودة بحزم أنه مقدم على عمل خطير ، كان يكون ذاهبا لتناول فطوره مثلا ، سيقف الان بجانب هذا السور ، مستغلا انخفاضه النسبـى ويرفع ساقه اليسرى ليسند قدمه اليسرى علـى حافة السور ، ويعيد ربط حذائه .

وبالطبع يفعل كما قدرت تماما ..

وفى احيان قليلة كانت تغلبنى «الشيطنة» ، فارتكب ، اشياء تدخل فى باب المزاح الثقيل كان القول مثلا :

ـ هذه السيدة النصف ، التى تمشى متراقصة بشكل غير طبيعى وان عجيزتها تشدها الى الخلف ، سيقع الكعب الطويل لحذائها الايسر فى حفرة صغيرة ، وتسقط فى الشارع ويحدث ما لا تحمد عقباه .

لا حاجة بى ان اصف ما يحدث بعد ثوان قليلة .. ولكن الشىء الغريب هو اننى ، دون ان اشعر كنت اميل دائما نحو اليسار .

القدم اليسرى، الساق اليسرى، العين اليسرى، الانف الايسر .. الخ .

وفى ذلك الصباح بعث الى رئيس التحرير .

كانت المفاجاة الكبرى انى رأيته يقف منتصبا وراء مكتبه حالما دخلت من باب حجرته الواسعة الفخمة .. والتفت ورائى .. لا .. هو انا لا احد غيرى ..

مد ذراعه الطويلة من وراء المكتب وصافحنى بحرارة ، وانا لم افق بعد من دهشة المفاجـأة السابقة .

ـ يا استاذ انا اهنيك هذه عبقرية . هـذه بطولة . هذه رجولة . هذه ..

لعله قال ايضا « فحولة » ولكنى لا اذكر فى الواقع . كانت المفاجاتان معا قد شلتا مخى كما شلت لسانى .

افقت على قوله :

ـ لا يصح ان تبقى واقفا .. تفضل اجلس .

وكانت يده تشير الى الكرسى الملاصق للمكتب

لست بحاجة ان اشير الى انى لم اجلس على ذلك الكرسى قبل تلك المرة (ومفهوم انى لن اجلس عليه بعدها ابدا) .. هو كرسى عميق الى حد ما ، اعنى أن بين الظهرية والحافة مسافة لا بأس بها ، ولكنى اعطيت اليتى وفخذى ا راح الواجب واسندت ظهرى ، ووضعت ذراعى ضا علـى المسندين وشعرت ان الدم يتدفق ، وجهـى بكميات هائلة . ولابد ان اوداجى نما يقولون

كانت حقا منتفخة « معذرة يا قارئي العزيز •• الاوداج ـ ان كنت لا تعرف ـ عروق في اصل العنق •• على الاقل هكذا كنت احسبها ولا ازال لا شك انك تلاحظ ارتباكي •• انا لم اكتب منذ مدة طويلة ، كما اننى قد تعودت الكتابة لجمهور معين اعرف عاداته ورغباته ومقدار ثقافته ـ وهى ثقافة ضحلة طبعا ـ ولذلك احب ان استمتع الان بحريتي فاكتب كلمة « الاوداج » التى لم اكتبها منذ مدة طويلة •

كان رئيس التحرير يجلس مضطجعا في كرسيه المتحرك ، ممسكا مقالي بين يديه ، يقرأ بصوت عال واستمتاع ظاهر •• وفجاة رمى المقال على المكتب وهب واقفا وهو يصيح بي :

ـ هل صدقت انك عبقري يا جدع انت؟ انك لا تفهم ما يفهمه اغبى الاغبياء •• أى عبقرية هذه ؟ يمكنك ان تاخذها معك الى بيتكم ـ بدلا من ان تخرب بيتي •• تفضل ! تفضل !

كان يشوح بذراعه اليمنى نحو الباب •• ولا اذكر ان كنت لحظتها واقفا او قاعدا ، ولكني اذكر انى كنت مشدودا الى عينيه اللتين لمع فيهما بريق اكثر من بريق الغضب •• لعله بريق الجنون •

ـ انتظر ؟

ماذا أيضا ؟ هل غير رايه مرة ثانية ؟ مثله يمكن ان يفعل اى شيء • مد يده الى سماعة احد التليفونات الثلاثة المرصوصة على جانب مكتبه ورفع السماعة وادار رقما واحدا :

ـ سعد ؟ اسمع • يجيئك الان فلان (بلا جدع ولا استاذ) أعطه بقية حسابه •

قبل ان يتخذ هذه الخطوة كانت هناك بقية أمل •• اما الان فلا أمل على الاطلاق • اذن فهو الجوع والتشرد •• لا باس ، بشرط ••

كانت يده قد امتدت الى تلفون ثان • آه ! ترى من سيكون هذه المرة ؟ وغاص قلبي • ولكنه زعق :

ـ قلت لك تفضل !

ولا داعي لبقية القصة • الوجوه الصماء البكماء التي وجدتها في ادارة الحسابات ، زملائي في القسم أيضا ، مكتبي الذى عدت ـ بعد اقل من ربع ساعة ـ فلم اجده في مكانه •• منير الفراش ـ لا تستكثر عليه الاسم من فضلك ، عندنا الاسماء ديمقراطية ـ الذى رفض ان يخبرني أين ذهبوا به ، رغم الحاحي الشديد ، توسلي [illegible] كانت فيه أوراق لا تهم احدا غيري •

المهم ان هوايتي التي كنت امارسها في اوقات الملل ، للتنفيس عن بعض الرغبات الشريرة ربما ، اصبحت الان احترافا •

صحيح اني لا ازال اقوم ببعض الاعمال شبه الصحفية رغم انى مطرود من الجريدة (ومفهوم طبعا انى ، والحالة هذه ، لا يمكن ان اعمل في اية جريدة اخرى ، الا ان صديقا قديما لي، يمتاز بسعة اتصالاته ، تعود ان يمدني بمعظم اعمال الترجمة الدعائية التى تحتاج اليها سفارة احدى الدول الاسيوية الفقيرة ، ويقاسمني ثمنها ، ولا داعي لشرح الطريقة المعقدة التى لجا اليها لتنظيم اتصاله لي) •

ولكن الوقت الذى كانت تستغرقه هذه الاعمال كان قليلا ، والنقود التي احصل عليها منه كانت اقل ، فانا ـ والحمد لله على كل حال ـ ما زلت آكل ، وان كنت لا أشرب ولا أخرج الى الاماكن العامة كعادة الصحفيين • وهذا افضل في الحقيقة ، فبصرف النظر عن كون الشرب والخروج كليهما مكلفين ، فان احدهما يشجع على التبجح الذى يمكن ان يوقع الانسان في مصيبة ، والثاني يثير الشبهات التى يمكن اذا تكررت ان تصبح تهما فجرائم ثابتة •

وهكذا لم يبق امامي طريقة لقطع الوقت الا التنبؤ بما سيفعله الاخرون او ما سيحدث لهم •

اصبحت الان اجلس ساعات طويلة على الكرسي الاسيوطي بجانب النافذة • لم أكن انتبه الى مرور الوقت الا حين اشعر بالجوع ، أو الاحظ ان اشعة الشمس بدأت تصفر على اعالي البيوت ، فاقوم آسفا ، وافكر في طريقة اخرى اقطع بها الوقت •

بالطبع كان يتخلل ذلك «العمل» كثير من السرحان •• وبعد مدة اكتشفت شيئا غريبا • وهو أن التنبؤ والسرحان اخذا يتداخلان • لم آتنبه الى ذلك اولا ولكن حادثا غير عادى جعلني افكر في الامر طويلا ، واحاول ان اكتشف علاقته بظاهرة التنبؤ التى كانت وحدها محيرة بدرجة كافية •• كنت افكر في صاحب البيت بمناسبة تاخري في دفع الايجار ، وتذكرت خلافاته المستمرة مع المكوجي ومحاولاته لطرده من البيت ، وتصورت انه نجح اخيرا في الحصول على حكم غيابي ضده •

كنت انظر الى الشارع كعادتى ، وهنا لاحظت رطيا يتقدم نحو دكان المكوجى ، وبعد لحظات هذا من الدكان ، ولاحظت أن ملامحه بدا ا الفزع وهو يتكلم مع الشرطى ثم ياخذ من ورقة صغيرة ويوقع فى دفتر .

رتديت ملابسى ونزلت مسرعا :

. ماذا جرى ؟ ماذا كان يريد منك هـــذا رطى ؟

. كان يسلمنى انذارا باخلاء الدكان يا سيدى. دق ان صاحب البيت حصل على حكم غيابى ـى ؟ لم أبلغ بموعد الجلسة . القضية السابقة فظت . هذه قضية جديدة . متى رفعها ؟ فى اى حكمة ؟ والله ما عدت افهم كيف تجرى الامور فى ذا البلد ..

واخذ يضرب كفا على كف .. وانسحبت الى قتى لافكر فى الموضوع بهدوء .

وفجاة لمع فى ذهنى خاطر ابتهجت له . لماذا ا استغل هذه القدرة فى عملى الصحفى ؟ هل يمكننى ان اطورها ـ مثـلا ـ لاتنبا بان زلزالا سيحدث فى ايران ، او فيضانا سيحدث فى ... لا ، الهند ستكون سهلة ، فى البرازيل مثلا ؟ ان هذه الحاسة الملعونة تتطور باستمرار ودون اى تدخل منى ، فلماذا لا اوجهها الى شىء مفيد .

ساصبح اهم من اى وكالة من وكالات الانباء ، سيتقاتل رؤساء التحرير فى سبيل الحصول علىّ وعندئذ سيعرف الاستاذ ...

وهنا انطفا حماسى على الفور . فلا شك انهم سيقبضون علىّ وسيتهموننى بالتخابر مع عدة دول اجنبية ..

لا فائدة . كتب علىّ ان ارى ، واعلم واسكت.

ولماذا اجدنى ـ فى الفترة الاخيرة بالذات ـ لا اتنبا الا بالكوارث ؟ ولماذا أجدنى دائما غير قادر على منعها ؟ وما فائدة التنبؤ فى حالة كهذه؟ وتذكرت ـ وقلبى يقطر حزنا وندما ـ ان المسالة لم تبدا بطريقة فيها اى مراعاة للمصلحة العامة. لقد كنت اتسلى ، وكانت هذه الحاسة الملعونة تنمو على الرغم منى ، والعجيب انها لم تصل الى ذا المستوى الشديد الرقى الا حين اصبحت فعيد ارى ، ولم اعد استطيع ان اؤثر فى الاحداث او دنى تاثير . انا انظر الان الى السعداء الـــذين لا يتمتعون بهذه القدرة واحسدهم .. اليسوا يقولون : وقوع البلاء ولا انتظاره ؟ كتب على أن اكون المنتظر ابدا ، ان اكون شاهد الماساة وحدى.

واذا بخاطر آخر اشد ازعاجا :

ـ الست انا المسئول عن هذه الكوارث ؟

ـ بلى ، فماذا كان يحدث لو لم احلم بها ؟

من الجائز جدا ان شيئا مالم يكن ليحدث .فما دمت انا الوحيد الذى يعلم ، ويعلم قبل تكون الحادث ـ انتبه الى هذه الحقيقة فهى بالغـــة الاهمية ـ فمن الجائز جدا ان يكون لى دخل فى تكونه . اليس هذا منطقيا ؟

لم يبق الا ان احمل هموم الدنيا كلها علـــى راسى . هززت كتفى وقلت لنفسى :

ـ كلام فارغ . الجواز لا يثبت شيئا .

وقلت لنفسى ايضا بشىء من التشفى :

ـ اننى اجعل لك يا نفسى اهمية اكثر مـــن اللازم .

وانتبهت لدقة طويلة على جرس الباب .كانت السيدة التى تسكن فى الطابق الثالث فى الشقة المناظرة لشقتى .

ـ هل انت بخير ؟ اننى ادق الجرس منذ اكثر من عشر دقائق . لولا انى رايتك تصعد بعـــد ان تكلمت مع سيد المكوجى لظننت انك خرجت او انك نائم .

اننى احترم هذه السيدة جدا . الحزن ارهف احساساتها الى درجة غير معقولة . مات زوجها الشاب منذ سنتين،وترك لها طفلا عمره الان يقرب من السنين الست . تعمل وترعى طفلها ولا تفكر فى الزواج .

تذكرت فجاة فسالتها ؟

ـ كيف حال فؤاد الان ؟

اجابت والقلق يلوى ملامحها ؟

ـ ابدا حرارته لا تزال عالية.اتسمع بالتلفون؟

بينما كانت تطلب الطبيب دهمنى ذلك الاحساس الملعون . ويلى ! الا هذا ! طفلها الوحيد حظها من الدنيا ! بقية ابيه ! لا ، لا . الافضل ان اموت انا .. ليت موتى ينجيه ليت موتى يبقيه لها . للحياة . للمستقبل . لعالم افضل من عالمنا .. لعالم ليس فيه ....

استحلفكم بالله ان تخبرونى : اذا مت انا الان ـ هل يمكن ان يعيش الطفل .. ؟ ■■

د . شكرى محمد عياد

شلالات «نياجرا»

للدكتور محمد عبده غانم

أتيتُكَ قد جاوزتُ خمساً و ستّينـا ولم يَبْقَ إلاّ ما على الشيخِ يُـ

وقد كنتُ أرجو أن يتمَّ لقاؤنـا ولمّا يَزَلْ عُودِى يَمُجُّ النّدَى لينـ

وللغِيدِ مِن حَولى وقد طافتِ المُنَى حَنينٌ إلى الأسحار تَجمعنا حينـ

وحيناً الى شَوْقِ الليالى وقد خلتْ من الوَصْلِ لكنْ لايزَلْنَ يُمَنّينـ

ولوشِئْنَ متَّعن الهوى كلَّ ليلةٍ بوَصْلٍ يُمِتْن الشوقَ فيه ويُحيينـ

لَيالِىَ ماكان الجمالُ بضائعٍ على شاعرٍ قد كان بالحُسْنِ مَجنو

وما زال إن يَلْقَ الجمالَ يَهِمْ بـه وما زال بالأشواقِ يَلْهَجُ مَفتونـ

ولكنه الشّوق الذى صاغه الأسى مآسِىَ لو أنَّ المآسِىَ يُغنّينـ

ولو تَمَّ فى عَهْدِ الشباب لِقاؤنـا لأمسَتْ «نياجرا» في فَمِ الشعر تَلْحيـ

وأمسى بها الشلاّلُ في كلِّ قَطْرةٍ له نغْمةٌ ترويه لَحْناً وتَرْوينـ

تَدَفّق «سمفُونيةً» كلَّ دَفْقةٍ لها رَنّةٌ في القلبِ نَشْوَى تُناجيـ

رَوائع يَجلُوها الجمالُ جَداولاً من الطَّوْدِ في الأعماقِ تَهْوِى وتَرْمِـ

ذَكَرْنَا بها الشعراءَ وهْىَ جَداولٌ أحاطَتْ بنا والعِطْرُ بالمَوْج يُنْـ

يشدّ بها حُرَّ الشّذَى في انسكابه على العاشِقِ المبهورِ شَدَّ المُـ

إذا انقطعتْ أنفاسُه قال مَرحباً بنفسٍ بهاغَرْقَى الجمالِ جُو

* * *

«نياجرا» كأنْ لا رِىَّ في الأرض بَعدها تَبقّى بما يَنْصَبُّ من فَيْضِ ـ

كَرْنَا بها الصحراءَ في كُلِّ ذَرَّةٍ ... بكُثْبانِها العَطْشَى مُنادٍ يُنادِينا
ذا ما دَوَى في القَفْرِ هاجَتْ لصوْته ... عَوَاصِفُ يَهْوِي الطَّوْد فيهن مَدفونَا
ما ضَرَّ لو كانَتْ «نِياجَرا» بأرضنا ... وكانَتْ بَدِيلَ الرِّيِّ هذا بوَادِينَا
نُسْلَب حتّى في المِيَاهِ نَصِيبَنَا ... ألَمْ يَكفِ أنَّا قد سُلِبْنَا فلَسْطِينَا
أنَّا حُرِمْنَا من حَيَاةٍ كَرِيمةٍ ... فلا صَوْتَ إلاَّ أنْ نُرَدِّدَ «آمِينَا»
أنَّا خُذِلْنَا في وِفَاقٍ ووَحْدَةٍ ... وأنَّا فَقَدْنَا في الخِلافِ المَلاَيِينَا
وأنَّ نِصَالَ العُرْبِ تَرْمِي صُدُورَها ... فتَجْرَح ما شاءَتْ وتصْمِي فتُرْدِينَا
أَأَنْعَمُ بالشَّلاَّلِ والقَفْرُ قَدْ جرَى ... دِمَاءً وقَوْمِي في الدِّماءِ يَخُوضونَا

* * *

أتَيْتُكَ لكنْ في المَشِيبِ وقد ذَوَى ... على الدَّوْحِ غُصْنٌ كان غَضًّا يُغَنِّينا
في القَلْبِ قَفْرٌ ضاعَ بين رِمَالِهِ ... بِحَارٌ من الأحلامِ كانَتْ بوَادِينَا
عَفْوًا إذا لم تَلْقَ أنشودَةُ النَّدَى ... بقِيثَارَتِي إلاَّ ضَيَاعًا وتَهْوِينَا ■■

والذي هو أدنى والذي هو خير

● مقالات الاستاذ احمد بهاء الدين الشهرية فى العربى اوحت الي بطرح هذه الاسئلة :

١ – لماذا ينظر العالم العربي الى الدول الكبرى كقدوة له فى كل مجالات الحياة العربية ؟

مع ان شعوب تلك الدول من اشقى شعوب العالم . باعتراف مفكريه لا سياسييه . فقد قرات كتاب الدكتور الكسيس كاريل « الانسان ذلك المجهول » وكتاب الدكتور كولن ولسون « سقوط الحضارة » وكتاب الدكتور ادوارد سبنسر كولز « اعرف نفسك » ترجمة الدكتور امير بقطر يقول فيه « اننا معشر الامريكيين نستمتع بحرية سياسية واجتماعية فلما يحلم بها سوانا من شعوب الكرة الارضية ولكن .. بالرغم من الحريات الاربع ووثيقة حقوق الانسان فان الملايين منا لا يذوقون طعم الحرية لانهم مكبلون باغلال الخوف وتوقع المكروه والتحيز والوسواس » .

ولا اريد ان اكتب عن شقاء الانسان المعاصر . فالواقع المحسوس هو اكبر دليل صادق على انهيار الانسان المتحضر .

٢ – فهل يسعى العالم العربي قدما نحو هذا الشقاء المرير وهذا الضياع فى اللامنتهى ؟

اذا كان لا يريد ذلك . فهل نرفض الفكر العربى فى الجانب الانسانى – فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة . فى جامعاتنا وتفكيرنا الاعلامي وسياستنا في الحكم ؟؟

٣ – ما هو البديل لكل ذلك الذى اثبت فشله فى سعادة الانسان ؟ حتى يهتدى العالم العربى من جديد الى طريق سوى وحضارة انسانية عالية جديدة ؟

محمد عبد الغنى ابو شرخ – الاردن – الزرقاء

المائة الاوائل

● نشرتم فى العدد « ٢٤١ » من مجلتكم العربي فى زاوية حديث الشهر للاستاذ احمد بهاء الدين رئيس التحرير موضوع كتاب المائة الاوائل للدكتور مايكل هارت حيث انه خطا خطوة جريئة لم يجرؤ عليها انسان ولم يسبقه سابق اليهما بترتيبه اولئك العظماء حسب تأثيرهم فى الحياة الانسانية . والذى نجهله هو تعليله لوضع كل شخصية فى ترتيب مغاير ومتفاوت مع شخصية اخرى كوضعه « نيوتن » قبل « عيسى المسيح » عليه السلام ووضعه « لوليم هارفي » ونسيان « ابن النفيس » مكتشف الدورة الدموية الصغرى وغيرهم .

وسالت كثيرا عن هذا الكتاب « المائة الاوائل » فلم اجده بالمكتبات فحبذا لو اشرتم فى باب حوار القراء الى اسم الدار الناشرة لهذا الكتاب .

مخلص صباغ

حلب – سوريا

● اتحرق شوقا لقراءة كتاب المائة الاوائل الذى اشار اليه الاستاذ احمد بهاء الدين رئيس التحرير واقترح ان تخصص العربي بعضا من صفحاتها لنشر فصول هذا الكتاب ليطلع عليه القراء .

خليل عيسى

عمان – الاردن

المحرر : الكتاب لم يظهر فى طبعة اوروبية بعد ، والطبعة الاولى التي صدرت هي طبعة امريكية والناشر هو
Hart Publishing Company
New York City, New York
10012.

اسرائيل ونسف البيوت

● لم تترك سلطات الاحتلال الاسرائيلي وسيلة من وسائل القمع الوحشية الا واتبعتها ضد من يقاومها من سكان الضفة الغربية والقطاع .. ومن ضمن هذه الوسائل نسف البيوت .. وترك الاسر في العراء .. ولارهاب من يفكر في مقاومتها مستقبلا .

واعتقد ان منظمة التحرير الفلسطينية تستطيع ابطال مفعول هذه الوسيلة وذلك عن طريق بناء مجموعة من الوحدات السكنية الاحتياطية المؤقتة والقليلة في معظم مدن الضفة والقطاع .. فيستطيع ان يجد من ينسف بيته مأوى يلجا اليه .. بدلا من اللجوء الى بيت مكتظ بساكنيه .

آمل ان يجد اقتراحي هذا اذنا صاغية لدى اخوتي الثوار .

احمد عبد العزيز
الخليل ـ فلسطين

الزنج والنوبة

● قرانا في العدد ٢٤٢ ـ ص ١٦٠ موضوع « الزنج صلبان التاريخ الاسلامي للاستاذ احمد علبي » « كان الزنج شان القرامطة والنوبة والفرانية يعرفون التعامل باللغة العربية لانهم يعودون في اصولهم الى بلاد السودان والنوبة ذات الصلة بالعرب .. » الخ .

ان الكاتب جعل من ابناء النوبة عبيدا وارقاء في سوق النخاسة ولم يدر في خلده ان بالنوبة شعبا عريقا ينحدر اصله من انصار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يكونوا عبيدا او ارقاء لاحد في يوم من الايام بل انهم كانوا يذهبون في رحلات جماعية لافريقيا لشراء العبيد والارقاء لتشغيلهم في سواقيهم ولا اعرف من اين استقى الكاتب هذه المعلومات الخاطئة . وانت اعلم بنا منهم فنحن قوم عرف عنا الشرف والصدق والامانة والاخلاص . نحن ضحينا ببلادنا واوطاننا فيسبيل السد العالي وما زلنا نعيش ماساة التهجير على امل العودة لوطننا وتعميره وهل يعرف الكاتب ان العبيد وحدهم يتميزون بضخامة الشفاه وفطسة الانف والشعر الاكرت ونحن النوبيين نتميز باللون الاسمر فقط وليتقبل الكاتب مني دعوة لزيارة النوبة وابناء النوبة في قراهم الجديدة في كوم امبو ليصحح معلوماته عنا وليمحو عنا وصمة الرق الشنيعة .

اهالي النوبة
عنهم فتح الله محمد محمود
وكيل مجلس محلي كلابشة

استطلعوا فلسطين ثانية

●سبق ان نشرتم استطلاعا عن « الخطوط الامامية في فلسطين » المحتلة ، قبل ان تقع عام النكبة الكبرى ٦٧ الان وبعد ان جثم الاحتلال الصهيوني على فلسطين برمتها نمني النفس باستطلاع عنها لنعرف من خلاله صورة فلسطين ومعاناة الاهل في ظل الاحتلال ؟

عدلي محمد شاكر عايش
الاردن

غلاء اسعار الكتب

● ليسوا اهل الفكر هم المسئولين عن غلاء اسعار الكتب كما اشار القارىء السيد عبد الرحمن كامل في العدد ٢٤١ من العربي ، ولكنهم تجار الورق والناشرون واصحاب المطابع وسادة اسواق التوزيع فهؤلاء هم الذين ياخذون نصيب الاسد ولا يبقى لاهل الفكر الا الفتات .

عبد الرحمن احمد شادي
المنصورة ـ مصر

الزعماء الدينيون

● في عدد يناير الممتاز ، تحدث فهمي هويدي، في زاويته للمناقشة،عن الزعماء الدينيين وكانهم منساقون وراء عاطفة لا واعية يقودون ثورة دون ان يعرفوا لها مضموناوهذا واضح من السياق الذى جاء فيه (انهم ضد اشياء كثيرة ولا نستطيع أن نعرف بالتحديدمع اى شيء هم) . والحقيقة ان هؤلاء الزعماء قد بينوا في اكثر من مناسبة ماذا يريدون .. ولماذا يثورون .. انهم يثورون من اجل اعلاء كلمة الله ورفع راية الاسلام واقامة جمهورية اسلامية .

انا معك في ان بعض من يقودون العمل الاسلامي يتخبطون في ديجور .. ولكن القيادة الدينية الايرانية لديها اطار عمل كامل يستمد روحه من الاسلام بجدية ووعى تامين. وما تلك المظاهرات الصاخبة الدامية الا التعبير الواضح لرفض كل اشكال التبعية والفساد والظلم .

محمد محمود

بيروت ــ لبنان

الناس كالنوافذ

● قرات علىالصفحة ١٠٥ من العدد ٢٤١ النص التالي: « الناس كالنوافذ ذات الزجاج الملون فهى تتلألا وتشع في النهار وعندما يحل الظلام فان جمالها الحقيقي يظهر فقط اذا كان هناك ضوء من الداخل » اليزابث روس .

فانعكس تأثرى بالابيات التالية :

انما الناس كالنوافذ تزهو
بزجاج ملون يتلالا
واذا طوق الظلام واخفى الـ
ـكون لونا ورؤية وظلالا
ليس يجلو جمالها غير نور
داخلي فتستمر اكتمالا

فاروق حكيم

حلب ــ سوريا

تصحيح

● في مقالة الدكتور محمد احمد خلف الله،التى عنوانها «طرح جديد لقضايا المعارضة» في العدد ــ ٢٤٣ من «العربي» جاءت آية قرآنية في الصفحة ــ ٣٩ هكذا « ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ، لبيوتهم سقفا من فضة » وصوابها « ولولا ان يكون الناس » فارجو تصويبها.

م٠خ٠ب

ثمن صداقة العرب

● ان نتائج السياسة المتقلبة لبعضحكامنا ابعدت عن امتنا الكثير من الصداقات الدولية .. حتى بات البعض يجد في تاييد الحق العربي نقمة تنزل عليه من بعض الانظمة العربية وكذلك فان الاصدقاء لم يعد الواحد منهم يعرف ماذا يريد بعض حكامنا وما هى مطالبهم .

والادهى من هذا ان بعض الدول تذهب في تاييد الحق العربي اكثر مما يطلب بعضحكامنا . فالى متى هذا التخبط الذى افقدنا صداقة قوى كثيرة نحن في امس الحاجة الى صداقتها في صراعنا مع اسرائيل ؟

نبيل جبار حبيب ــ العراق

اعرضوا الافلام الفلسطينية

● ايضا ، قرات في العدد ٢٣٥ تقرير الاستاذ الفاروق عبد العزيز عن مهرجان بغداد الدولي الثالث لافلام فلسطين وتساءلت : لماذا لا تعرض هذه الافلام الوثائقية النضالية في دور السينما العامة حتى يراها الشعب العربي في كل مكان ؟

الدكتور محمد مأمون المهايني

وزارة الصحة العامة . الكويت

The Next 200 Years

Herman Kahn,

2176

1976

لقد اصبحت جميع دول العالم اليوم وبخاصة المتقدمة منها ملتزمة بتحديد مشكلات المستقبل واقتراح الوسائل الكفيلة بحلها . وكثيرة هي الكتب التي تحلق في آفاق الغد العريضة وتطوف في رحابه الواسعة محاولة فتح اقفاله واستشفاف مجاهله الا ان لكل من هذه الكتب وسيلته ومنظوره وحكمه الخاص به . وللكتاب الذي نحن بصدد تقديم عرض واف له قيمة خاصة لانه يعالج القضايا الحساسة التي تستأثر باهتمام الحكومات والمؤسسات الاكاديمية ووسائل الاعلام والناس في كل مكان ، وذلك على مدى فترة طويلة جدا من الزمن . ومع ان الهدف الرئيسي للكتاب ينصب على رصد المشكلات في المدى البعيد جدا فانه يلامس الماضي ولا يتجاهل الحاضر ويتصدى لكثير من التطورات المرتقبة في المدى القريب والمتوسط وان كان يعدها ظواهر انتقالية لا بد ان يطالها التغيير في المستقبل البعيد . وبتعبير آخر فان الكتاب يبحث اين كنا واين نحن والى اين نتجه .

وهو يرى ان القرنين الماضيين والقرنين القادمين لهما من الاهمية في التاريخ البشري ما للعشرة الاف سنة التي سبقت المئتي سنة المنصرمتين . ومن المعروف ان المشكلات لا يمكن فهمها بصورة علمية كاملة الا عندما تصبح تاريخا ويمكن تناولها من منظار تاريخي . وقد اضحى الاهتمام بالمستقبل على نطاق تاريخي امرا حيويا نظرا لان كثيرا من المفكرين والمختصين اخذوا يقرعون نواقيس الخطر ويتوجسون خيفة من احتمالات الغد وما يحمله بين طياته من اخطار .

وينظر كتاب (القرنان القادمان) الى المستقبل بأمل باسم وبثقة بقدرة الانسان على حل المشكلات التي تصطلي بنارها البشرية وهو يرسم تصورا كاملا يتناول الدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء مع الايمان بان هذا المخطط ان لم ينطبق بكل تفاصيله على ما سوف يقع فعلا فانه سيكون قريبا جدا منه . وبما ان كثيرا من النشاطات والبرامج الذي يجرى تنفيذها الان تثير قضايا لا يمكن التعامل معها الا ضمن اطار زمني بعيد المدى فان الكتاب يحاول استشراف آفاق قرنين كاملين قادمين من الزمان دون ان يهمل القاء الاضواء على بعض اتجاهات الماضي كما سبق واشرنا في حين ان معظم الكتب الاخرى لا تصل في حدود تنبؤاتها الى اكثر من بضع عشرات من السنين ، اي ان كتاب (القرنان القادمان) يتفهم حاجات احفادنا واحفاداحفادنا واهتماماتهم ، وهو يتسم بالمرونة لانه لا يغلق النقاش حول القضايا المطروحة او يضع حلولا متصلبة لها بل يبقي الباب مفتوحا على مصراعيه امام الحوار . ويحدد الكتاب الخطوط الفاصلة في التاريخ البشري بالثورة الزراعية (اي معرفة الانسان بالزراعة لاول مرة) التي ولدت منذ عشرة آلاف سنة وبالثورة الصناعية التي بدأت في هولاندة وانجلترا منذ مئتي سنة . وقد انتشرت الثورة الثانية بالطريقة نفسها التي انتشرت بها الثورة الاولى ولكن تأثير الاولى استمر حتى اليوم في حين ان تأثير الثانية لا ينتظر ان يتعدى القرن الثاني والعشرين . ومن المتوقع ان يبرز خط فاصل جديد في اوائل القرن الواحد والعشرين يمثله الاقتصاد بعد الصناعي او فوق الصناعي ، الذي سترافقه تحولات اساسية في الثقافة والمؤسسات تؤدي الى ظهور مجتمع جديد هو المجتمع ما بعد الصناعي .

امل البلاد النامية

ومن القضايا الهامة التي عالجها الكتاب في صفحاته مستقبل التطور والنمو في البلدان النامية وهذا الموضوع يهمنا بصورة خاصة بوصفنا شعوبا نامية . ويرسم المؤلفون (كاهن ، براون ، مارتل) مستقبلا مشرقا لهذه الدول على الرغم من اعترافهم بوجود بعض العوامل السلبية التي تعمل في غير صالحها والمتمثلة بتدخل الدول المتطورة في شؤونها ومحاولتها تعويق تطورها بوسائل شتى منها اشاعة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي فيها وتصدير الايديولوجيات الضارة اليها . اما العوامل الايجابية العشرة التي يتوقع ان تسهم في ازدهار الدول النامية فهي :

١ – توافر رؤوس الاموال بفضل الدخل البترولي المرتفع لدول الشرق الاوسط بعامة ودول الخليج العربي بخاصة .

٢ – القدرة على تصدير اليد العاملة : ومن المعلوم ان الدول المتقدمة سوف تعاني في المستقبل من نقص كبير في اليد العاملة يقابله وجود فائض منها في الدول النامية . وكل عامل يغادر بلاده للعمل في اوروبا او امريكا مثلا سيحصل على عشرة امثال دخله السابق تقريبا الى جانب ما يحرزه من خبرات ومهارات . وهكذا ... رصيدا لشعوب البلدان النامية .

٣ ــ امكانية استيراد مصانع كاملة : فقد تبين لكثير من رجال الاعمال الاميركيين والاوروبيين ان من الانسب لهم والاقل تكلفة ان ينقلوا الى البلدان النامية مصانعهم الكاملة ويستخدموا اليد العاملة المحلية فيها من ان يستوردوا عمالا منها . ولكن البلدان المذكورة . وهذا الاتجاه بدأ فعلا في الظهور منذ فترة من الزمن واوضح مثال عليه المصانع اليابانية في تايوان وكوريا الجنوبية والمصانع الاميركية في آسيا الشرقية وجنوب شرقي اسيا ، ومن المتوقع ان ينتشر تصدير المصانع بهذه الطريقة بدرجة كبيرة في المستقبل مما سيحقق مصلحة الدول النامية والمتقدمة على السواء .

٤ ــ ازدهار صناعة السياحة في البلدان النامية كما في غيرها من بلدان العالم فهذه الصناعة آخذة بالاتساع وتتضاعف كل سنتين او ثلاث سنوات بسبب ازدياد رغبة الناس في السفر والتمتع بمزايا التجوال والطواف وفوائدهما . وما نشهده اليوم في مصر العربية وهونغ كونغ واسبانيا وتايوان وغيرها خير دليل على ذلك . ومن المنتظر ان تغدو السياحة في نهاية القرن الحالي واحدة من اكبر الصناعات في العالم .

٥ ــ سهولة انتقال التكنولوجيا : فهناك انواع كثيرة من التكنولوجيا العلمية والصناعية كان انتقالها في الماضي في حكم المستحيل فبات الان ممكنا وميسور المنال . وتملك اليوم كثير من الدول النامية مصانع صلب مستوردة يستطيع الواحد منها انتاج مليون طن في السنة ، وهناك ايضا الحاسبات الالكترونية التي اصبحت في متناول يد معظم ان لم يكن جميع ابناء الدول النامية . ولكن الاهم من ذلك انتقال التكنولوجيا الزراعية التي ما زالت هناك بعض الصعوبات التي تعيقها وينتظر ان تاخذ طريقها الى الزوال في غضون السنوات القليلة القادمة .

٦ ــ توافر النماذج والمؤسسات والخبراء في الدول الاجنبية المتطورة : فالدول النامية في مسيرتها التطورية يمكنها الافادة من النماذج الناجحة التي توفرها الدول المتطورة . وهناك مؤسسات اميركية وغربية كثيرة تعمل على تسهيل عملية التطور والنمو في البلدان النامية ، كما ان هناك طلابا من هذه البلدان يدرسون الاقتصاد في البلدان المتطورة واساتذة مؤهلين من اميركا والغرب يدرسونه في بلدان العالم الثالث .

وتحصل هذه الدول على معلومات مفيدة كثيرة في

من اليسار الى اليمين وليام براون وليون مارتل وهرمان كاهن

الكتب والمجلات الاجنبية وغيرها من وسائل الاتصال والخبرة المباشرة . كما ان بامكانها استئجار الخبراء والمهارات التقنية والمؤسسات العلمية الاجنبية على اساس تجاري .

٧ ــ استيراد النشاطات والاعمال التي يتخلى عنها ابناء الدول المتطورة : فهناك كثير من الاعمال والنشاطات التي لم يعد المواطنون الاغنياء والمدربون في الدول المتقدمة راغبين في الاستمرار بادائها ، ويستطيع مواطنو الدول النامية الفقراء وغير المدربين القيام بهذه الاعمال مما يسهم بايجاد سوق جيدة للعمل لهم ويخفف من حدة البطالة في بلادهم . ولكن هناك من يرون ان في احتفاظ مواطني الدول المتقدمة بالاعمال الراقية لانفسهم وتصديرهم الاعمال الدنيا لمواطني العالم الثالث استثمارا دنيئا واستضعافا لهم يجب الا يقبلوه. ولكن غيرهم يحاجون بانه في البلد الواحد يقوم الاثرياء والفنيون عادة بالاعمال (السارة) ويتركون الاعمال (غير السارة) للفقراء والاميين واذا كان هذا يطبق بين الافراد على الصعيد القومي ، فما الذي يمنع الان تطبيقه بين الدول على الصعيد العالمي ؟

وعلى كل حال اذا قبل ابناء الدول النامية بمبدأ القيام بالاعمال التي يتخلى عنها مواطنو الدول المتقدمة فانهم يجب الا يقبلوا من هذه الاعمال ما يشكل خطرا على الصحة او يسبب تلوثا كبيرا للبيئة .

٨ ــ امكانية لجوء الدول النامية الى فرض تعرفات جمركية على الصناعات الخارجية حماية لصناعاتها الاهلية وتشجيعا لها . وبهذه الطريقة تصبح السلع المصنوعة محليا ارخص من السلع

الاجنبية المستوردة مما يكفل لها الرواج .

٩ ـ تضاؤل خطر الغزو العسكرى : على الرغم من ان الدول الاستعمارية ما زالت تتدخل فى الشؤون الداخلية للدول النامية وتمارس ضدها شتى انواع الضغوط السياسية والاقتصادية فان خطر غزوها عسكريا اخذ يتضاءل في العصر الحديث، باستثناء بعض الحالات الخاصة . وهذا يتيح للدول الصغيرة الضعيفة ان تنعم بالامن وتركن الى الاستقرار وتتخلى عن الخوف من احتمال غزوها عسكريا من جانب الدول الكبرى القوية مما يخلق لها جوا مناسبا للنمو والتطور .

١٠ ـ المساعدة الخارجية : وقد آثر المؤلفون ان يضعوا هذا العامل فى آخر قائمة العوامل الايجابية نظرا لانهم لا يعلقون عليه كبير اهمية ويعزون السبب الى ضعف هذه المساعدات وربطها فى بعض الحالات بشروط تتنافى مع سيادة الدول النامية . ومن المتوقع مع مرور الزمن ان تتناقص هذه المساعدات التي لاتهدف الى مساعدة الدول الفقيرة بنية سليمة وقلب مفتوح .

نظام اقتصادى جديد

وهكذا فان الكتاب يرسم ملامح مشجعة لمستقبل الدول النامية التى ينتظر ان تسير فى طريق التطور الاقتصادى بشكل يبعث على الرضي والتفاؤل وهو يتوقع ان يتراوح معدل دخل الفرد الواحد فى هذه الدول بين (٥٠٠) الى (١٠٠٠٠) دولار خلال المئتي سنة القادمة .

اما بالنسبة للعالم بصورة عامة فان هذا المعدل سيتجاوز الالف دولار عند ثلثي الجنس البشرى خلال العقود القادمة . وفى نهاية القرن الواحد والعشرين سيقفز الى اكثر من الفي دولار .

وعالج كتاب (القرنان القادمان) قضايا النمو والسكان من منظار جديد واتخذ مواقف تختلف عن كثير من المواقف التقليدية . ومنذ مئتي عام كان سكان العالم قليلى العدد وفقراء نسبيا ولكن هذا اخذ يتغير منذ ذلك الحين بصورة درامانيكية. ويتوقع الكتاب تغيرا مماثلا خلال القرنين القادمين فيستمر التفجر السكانى وتزداد رفاهية البشر وسيطرتهم على الطبيعة ويصل عددهم فى عام ٢١٧٦ اى بعد قرنين من الزمان الى (١٥) بليون نسمة . وهذا يتعارض مع رأى لستر براون فى كتابه (من اجل صالح البشرية) الذى يطالب بتثبيت سكان العالم عند رقم معين لا يزيد على ستة بلايين نسمة . وعلى كل حـ ثان المؤلفين يرون ان تكاثر السكان الذى بدا ـذ الثورة الصناعية قد وصل الان الى ذروته ا ريخية وان نسبته ستاخذ قريبا فى التباطؤ حتى يصبح المعدل معقولا ومعتدلا بعد قرن من الزمان ، وخلافا لكثير من الاراء الاخرى يرى الكتاب ان موارد الارض قادرة على مد السكان مهما تكاثر عددهم باحتياجاتهم الغذائية والكسائية لفترة غير محدوده من الزمن وهذا راى جديد ينطوى على اهمية كبيرة .

وفى السنوات الاخيرة ابدى البعض تشاؤمهم من احتمالات النمو الاقتصادى والتكنولوجي والصناعي واتساع الهوة بين الدول الفقيرة النامية والدول الغنية المتقدمة كما تزايد القلق بشان احتمال نضوب المصادر الطبيعية وبرزت تساؤلات كثيرة حول ما اذا كانت الدول الغنية تملك الحق الادبي فى استهلاك كميات كبيرة من المصادر النادرة غير القابلة للتجديد .

وهناك ايضا مخاوف في الدول المتطورة من احتمال نشوء نظام اقتصادى جديد تشكل بموجبه دول العالم الثالث الغنية بالمصادر الطبيعية اتحادات Cartels تفرض من خلالها اسعار عالية للسلع فهذا من شانه ان يؤدى الى حد م رخاء الدول الغنية وما ترفل به من جلابيب الرفاهية المفرطة وجعل الحياة لاتطاق بالنسبة للدول النامية الاخرى الفقيرة بالمصادر الطبيعية او التي لاتنضم الى كارتلات . وبالاضافة الى ذلك تتناقص اليوم او تنعدم الثقة فى مقدرة زعماء الدول المتقدمة على معالجة المشكلات الاقتصادية التي تعصف بالعالم ونقض مضجعه كما ان ما حدث فى جنوب شرقي آسيا قد اودى بالدور القائد للولايات المتحدة فى الشئون الاقتصادية الدولية بعد ان قوض سمعتها الاخلاقية . ومن الامور الاخرى التي كانت مثار قلق التضخم النقدى العالمي الذى جعل المؤسسات الاقتصاديه الدولية التي انشئت بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، فى موضع تساؤل .

وهناك ايضا انتشار البيروقراطيات فى حكومات الموظفين التي تصرف من خلالها مبالغ طائلة من ميزانية الدولة على اعداد هائلة من الموظفين .

ونتيجة لكل ذلك انعقد الاجماع بين كثير من المراقبين على ان التاريخ البشرى قد وصل الى منعطف او مفترق طرق فاما مستقبل ر قد ونقشفا واما تحول دراماتيكي وثورى فى لاقته

ـمع . وقد اوحت الحقائق الاقتصادية ـنولوجية والسياسية والاخلاقية لمعظم ـسين بان لابد من اجراء تغيير اساسي في ـلطات البشرية يحول التاكيد من النمو ـادى الى ابطاء هذا النمو ومن الرخاء الى ـف ومن تبذير الاقلية واسرافها الى التوزيع ـل للمنتجات المحدودة بين جميع الناس .

ـكن معهد هدسن في الولايات المتحدة ـ ومؤلفو القرنان القادمان اعضاء فيه ـ الذى عكف ـ من الزمن على دراسة هذه القضايا ينظر اليها ـنظار مختلف ، ويرى ان تشاؤم الكثيرين ناجم ـوء فهم للحقائق الراهنة . ويعتقد مؤلفو ـب الذين يمثلون المعهد ان انتهاج الحكمة ـك مسلك الذكاء في معالجة المشكلات الاقتصادية ان يفسح المجال لاستمرار النمو الاقتصادى ـ معقولة من الزمن وسيكون هذا في مصلحة ـية لاصدها . وبدون استمرار النمو حسب ـ فان الفجوة الواسعة بين الدول الغنية ـول الفقيرة التي نشكو منها اليوم بمرارة ـى كما هي ويستحيل سدها ، كما ان وضع للنمو سيؤدى الى الحكم على الفقراء بالفقر ـى وبتفاقم التوترات الحالية القائمة بين ـرين والعوزين . ومع ذلك فان المؤلفين لايطالبون ـمرار النمو الى زمن غير محدود بل لفترة ـة من الزمن يصار بعدها الى انقاص معدله ـدريج .

مستعمرات الفضاء

ـد تصدى الكتاب لموضوع النشاط الفضائي ـلما له من علاقة بالنواحي السكانية والتنموية ـد في هذا المجال تصوران او احتمالان :

ـاول يتجلى في استمرار اقامة البشر في الارض القرنين القادمين مع بقاء النشاط الفضائي ـرا على الاستكشاف والاستثمار ضمن حدود ـضعة وفي هذه الحالة لن يكون له اى تاثير في ـة النمو السكاني او معدل الانتاج القومي ـمالى على الارض .

الثاني يفترض بذل جهود كبيرة في حقل الفضاء ـض خلال القرن الواحد والعشرين عن انشاء ـعمرات كبيرة في الفضاء تقوم بتصنيع المواد ـم وانتاج الطاقة والسلع من اجل الاستهلاك ـي في هذه المستعمرات او التصدير الى الارض ـلى مستعمرات اخرى في النظام الشمسي .

ومثل هذه التطورات تستلزم هجرة واسعة النطاق من الارض . وفي هذه الحالة سيكون للنشاطات الفضائية تاثير في نسبة النمو السكاني ومعدل الانتاج القومي الاجمالي على الارض .

ويرى المؤلفون ان غلبة احد الاحتمالين السابقين على الاخر يتوقف على عدة عوامل معقدة الا انهم يرجحون الاحتمال الثاني .

ومن القضايا العالمية الاخرى التي تعرض لها الكتاب مستقبل السياسة والمجتمع مابعد الصناعي .

ففي المجال السياسي هناك عدة توقعات رئيسية

ا ـ اتجاه كثير من الدول نحو الديمقراطية

ب ـ انشاء مؤسسات دولية لمعالجة القضايا التي ستبرز في القرن الواحد والعشرين وبعضها سيكون جزءا من هيئة الامم المتحدة الحالية

جـ ـ ازدياد الميل نحو فكرة الحكومة العالمية الفدرالية

د ـ تناقص حدة التنافس الدولي

هـ ـ اتجاه الدول الكبرى نحو تقليص تدخلها في شؤون الدول الصغرى .

و ـ ازدياد التعاون الدولي

ز ـ ضعف الميل للحروب بسبب القناعة بان التنمية الداخلية هي الوسيلة المناسبة للامان والطمانينة .

وفي محاولة لرسم ملامح المجتمع مابعد الصناعي يبين الكتاب ان المجتمع الصناعى ظهر في اعقاب الثورة الصناعية التى انبثقت منذ مئتى سنة (وقد بدات بالاختراع فالتطبيق فالاستثمار) ثم تلاه اليوم المجتمع الصناعى المتطور . وفي اواخر القرن الحالى واوائل القرن العشرين سيبرز المجتمع ما بعد الصناعى او فوق الصناعى وفي المدى البعيد جدا ستصل جميع دول العالم الى هذه المرحلة .

قفزات هائلة

وفي المجتمع ما بعد الصناعى سكون الحياة مختلفة كل الاختلاف عما هى عليه اليوم لان العلم والطب والتكنولوجيا ستحقق قفزات هائلة ذات تاثير كبير في طراز المعيشة .

ومن هذه القفزات :

١ ـ اطالة الحياة والقضاء على امراض القلب والسرطان ٢ ـ تطبيق تقنية استبدال الاعضاء البشرية ٣ ـ احتمال نجاح تقنية تجديد الاعضاء البشرية ٤ ـ التاثير في تكوين المواليد الجدد

بواسطة هندسة الوراثة ٥ ـ تغيير الشخصية والمزاج بالعقاقير الطبية ٦ ـ زيادة القدرة على التعلم والابداع والاتصال بطرق طبية وسيكلوجية مختلفة ٧ ـ القدرة على التاثير في الاخرين سيكلوجيا دون علم منهم ٨ ـ الاستعمال المتزايد للآلة الالكترونية والانسان الآلي في الحياة .
٩ ـ وفرة المواد الغذائية والسلع .

ترى هل سيجد الانسان السرور والسعادة في مثل هذا المجتمع المتقدم جدا ؟ ان الكتاب لا يقدم جوابا لهذا السؤال ولا تصورا محددا لطراز الحياة والقيم والاخلاق والمواقف والتنظيمات الاجتماعية التي ستسود في المجتمع ما بعد الصناعي بل يترك ذلك للزمن ومع ذلك فانه يتنبأ ببعض التطورات الاجتماعية المشجعة مثل ضعف التنافس والحقد بين الناس بفضل وفرة المواد الغذائية والسلع ، وازدياد الميل الى السفر والسياحة وتناقص الخلافات بين الشعوب بسبب تقلص الهوة بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة .

ومن المشكلات الحساسة الاخرى التي عولجت (مستقبل البيئة) و (توافر المواد المعدنية) : وفي حين يذهب الكثيرون الى ان التكنولوجيا المتقدمة هي سبب تلوث البيئة فان المؤلفين يرون انه اذا كانت التكنولوجيا تنتج سيارات تلوث الجو فان هذا يرجع الى ان المهندسين لم يدخلوا اعتبار التلوث في حسابهم عند تصميم السيارات وبالتالي فان تحسين الاساليب التكنولوجية كفيل بان يؤدي الى انتاج سيارات اقل تلوثا . والمسألة تتعلق بصورة اساسية بالتكاليف . ومن المنتظر ان يتم خلال السنوات القليلة القادمة صنع سيارات نظيفة بصورة كاملة ولا تسبب اي تلوث على الاطلاق ولكنها ستكون بالطبع باهظة التكاليف .

وهكذا فان المؤلفين يقفون على طرفي نقيض مع اولئك الذين يرون ان حل مشكلة التلوث يمكن ان يتم بتحديد النمو .

وبدلا من ذلك يقترحون تطوير التكنولوجيا حتى تصبح قادرة على استئصال شأفة التلوث وقطع دابره في المعامل والسيارات او على الاقل تخفيفه بدرجة ملموسة . وهذا يرجى توقعه في المدى القريب . ويتصور الكتاب عدة احتمالات يمكن ان تهدد بيئتنا الارضية في المدى البعيد :

١ ـ وقوع حرب نووية تترك قسما من البيئة الارضية يبابا وقاعا صفصفا .

ب ـ تبرد الارض وظهور عصر جليدي جديد .
جـ ـ تسخن الارض وذوبان [illegible] الجليد وما يستتبع ذلك من فيضانات واخطار مختلفة .
د ـ فناء جزء من طبقة الاوزون المحيطة بالجو
و ـ لجوء بعض العلماء الى اطلاق فيروسا مسببة للاوبئة .
ز ـ زوال معظم المناظر الطبيعية بسبب استثمار الاراضي الطبيعية لاغراض العمران والاسكان .
جـ ـ تعرض قشرة الارض لتلف خطير بسبب التأثيرات البيئية المعقدة .
ط ـ الكوارث الطبيعية الطارئة .

ويدعو المؤلفون الى انشاء مؤسسات عالمية لدراسة الظواهر الطبيعية غير المحتملة حتى تكون بمثابة اجهزة انذار مبكر بالنسبة للمشاكل البيئية بعيدة المدى .

فائض المواد المعدنية

اما بالنسبة للمواد المعدنية فان العديد من المختصين يتوقعون حدوث نقص اساسي في المواد في المستقبل . ولكن كتاب (العرنان القادمة) يذهب مذهبا متفائلا ويرى مؤلفوه ان هناك فائضا من المواد المعدنية للجيل الحاضر وللاجيال القادمة وانه كلما احرز الانسان تقدما تكنولوجيا واقتصاديا اكبر ، ازداد توافر المزيد من المواد للانسانية جمعاء .

ويقدر المؤلفون بان الحاجة السنوية الى المواد المعدنية في عام (٢١٧٦) ستكون اكثر منها بستين مرة . ومع ان توزع هذه المواد لن يكون عادلا بين جميع دول العالم فانه لن تكون هناك ندرة في اي مادة باستثناء الذهب والفضة [illegible] في الاصل نادران .

وهذا يتناقض مع رأي دنيس ميدوز ، [illegible] من مؤيدي النظرية المالثوزية الجديدة ويذهب الى ان (١٩) معدنا سوف تنفد خلال قرن اذا [illegible] النمو الاقتصادي بمعدله الحالي . ويدعو [illegible] الى التوسع في عمليات استكشاف المعادن والى [illegible] الى اتفاقات دولية لتنظيم البحث عن [illegible] المعدنية في المحيطات والى تخزين المواد [illegible] الاساسية في مستودعات كبيرة لاستخدامها في [illegible] الطوارىء .

وقد احتلت مشكلتا الطاقة والغ[illegible]

: باس به من الكتاب . وكما كان الحال بالنسبة للقضايا السابقة فان التوقعات هنا أيضا مفعمة بالتفاؤل ومترعة بالامال ففي حين تذهب معظم التنبؤات الى ان اسعار الطاقة ستميل الى الارتفاع بدرجة مخيفة في المستقبل مما سيسفر بالتالي عن الحد من استهلاكها فان الكتاب يتكهن بان هذه الاسعار ستستمر كما هي او تزيد قليلا ثم تقف بعد ذلك في منتصف الطريق بين الرخص والغلاء اى انها لن تكون رخيصة كما هي اليوم . ولا كما يتوجس المتشائمون . لكن بعد قرنين من الزمان فان الحال ستختلف بالطبع وسوف تتفاوت اسعار الطاقة بين اسعارها الحالية وثلاثة اضعافها . اما استهلاك الطاقة فيتوقع الكتاب ان يستمر ولكن دون هدر اواسراف لا مبرر له . ومن المؤمل ان يتم استخدام آلات جديدة كفية تستهلك القليل من الطاقة وتحقق الكثير من المردود لها .

وطالما ان سعر برميل النفط يتراوح تقريبا بين (٥) و (٦) دولارات فان الاتجاهات الحالية في الاستهلاك ستستمر مع تحول بطيء نحو الفحم ولكن ارتفاع هذه الاسعار سيفضي الى وقوع تحول رئيسي في الاستهلاك نحو الفحم . ولحسن الحظ ان هناك من الفحم كميات احتياطية هائلة يمكن ان تسد حاجة البشرية لفترة طويلة جدا من الزمن . وفي اواسط القرن الواحد والعشرين يعتقد المؤلفون ان معظم امدادات الطاقة ستأتي من المصادر الشمسية ومن مفاعلات الانشطار النووي والانصهار الهيدروجيني وكذلك من المصادر الارضية الحرارية وبالنسبة لهذه الاخيرة فان من المعروف ان الاعماق الحارة في الارض سحيقة جدا الى درجة لا تسمح بالاستغلال التجاري لها ولكن العقود القادمة ستشهد تقدما ملموسا يسمح باستثمار محتويات اعماق الارض الساخنة كمصادر للطاقة .

التكنولوجيا والغذاء

اما بالنسبة للغذاء والزراعة فان الكثيرين يعتقدون ان الفجوة التي تفصل بين الطلب عليه ونوافره ستزداد اتساعا وبخاصة في الدول النامية التي يقف بعضها الآن فعلا على شفا هاوية المجاعة . وقد اسهم في هذه النظرة المتشائمة القحط الذي انتشر خلال عامي (١٩٧٢) و (١٩٧٤) في كثير من البلدان ومنها الولايات المتحدة ، مع أن سنتين عجافا من الطقس الرديء لا يمثلان اكثر من سوء حظ عابر في نظر مؤلفي الكتاب الذين يبشرون بمستقبل غذائي باسم سواء من حيث معدل الكمية الغذائية لكل فرد اوالميزان الغذائي للدول التي ترزح تحت وطأة عجز في هذا الميزان ، وذلك باستثناء بعض الازمات الطارئة التي قد تنجم عن كوارث طبيعية مفاجئة. ويرى هؤلاء ان تطوير التكنولوجيا سيؤدي الى توفير الغذاء الكافي لجميع الدول حتى الفقيرة منها . ومما يسهم في ذلك نقل الاساليب الزراعية المتقدمة المتبعة في الدول المتقدمة الى الدول النامية ، ومن ذلك تعليم الفلاحين وتدريبهم، وتطوير الاراضي ذات الانتاجية العالية ، توفير المال الكافي لشراء الآلات والاوائل الزراعية الحديثة ، استعمال وسائل التخزين والنقل المناسبة ، اجراء الابحاث الزراعية ، توسيع شبكة المواصلات حتى تشمل مناطق نائية جدا، ايجاد الاسواق المناسبة لشراء المواد الغذائية وبيعها ، انشاء المزيد من المدارس الزراعية ... الخ . ويؤكد الكتاب على حاجة الدول المتقدمة والنامية على السواء الى استعمال تكنولوجيات زراعية جديدة غير معتمدة الى جانب تطوير التكنولوجيات الحالية. ويتوقع المؤلفون ان تتوافر خلال العقدين القادمين امكانية دعم المدد الغذائي بانتاج البروتين وحيد الخلية وهذا البروتين يمكن تنميته في وسط معتمد على البترول او بتحويل سللوز الورق او الخشب او النفايات الى جلوكوز ثم تحويل الجلوكوز بتفاعلات كيميائية معينة الى بروتينات وحيدة الخلية . ويؤكد المؤلفون على ان المشكلة العاجلة بالنسبة للغذاء لا تتمثل بمدى القدرة على انتاجه بل بحسن توزيعه بين الناس .

يتضح من العرض السابق ان كتاب (القرنان القادمان) قد غطى جملة من اهم المشكلات التي تشغل كاهل الانسان وتؤرق جفنه واورد كثيرا من الافكار الجديدة التي تحمل بشائر الخير والرخاء للبشرية دون ان يقلل من اهمية الاخطار المحدقة بمستقبل الارض والبيئة . فهل تثبت العقود القادمة ان المؤلفين كانوا محقين في تفاؤلهم واستبشارهم بالغد المشرق أم أن الرياح ستجري بما لا تشتهي السفن ؟! ■■

ياسر الفهد ـ دمشق

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابا الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة عا ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور ا اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة ا الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٣٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة الـ ٢٤٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يونيو (حزيران) ١٩٧٩ ٠

اسئلة في واحدة :

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم وا من أشهر الدعاة الفاطميين ، كما ستجد في(٨) رأسيا اسم قائد أموي ٠

الكلمات الأفقية :

(١) في العين ـ عاصمة آسيوية ٠

(٢) فلكي ورياضي فرنسي ساهم في وضع الحساب المترى ـ من الأشجار ـ قحط ٠

(٣) وحدة قياس طولية ـ للتفسير ـ بعد ٠

(٤) لفظ تعجب ـ معركة انتصر فيها خالد بن الوليد على البيزنطيين ـ من الفرائض ٠

(٥) تتحكم في تدفق السوائل ـ وحدات قياس زمنية ـ نصف كلمة (لطيف) ٠

(٦) عالم فرنسي حقق الاستخدام العملي لغاز الاستصباح ـ للتعريف ـ مرض ـ سرور ٠

(٧) يسكن ـ خليفة قتله هولاكو ـ حرف متشابهان ٠

(٨) من أشهر الدعاة الفاطميين ٠

(٩) من الحشرات ـ وعاء ـ ارض مرتفعة

(١٠) مقام موسيقى ـ من سور القرآن الكر فوقه ـ أسف ٠

(١١) مصائد ـ يقابلك ـ مقام موسيقى ٠

(١٢) حيوان ـ لقب شاعر عربي معا ٠

(١٣) من اهم انهار الصين ـ في غم

(١٤) خبرة ـ قطع في الجلد ـ تبر

(١٥) من اعضاء الجسم ـ حرمه الدين ٠ عربية ٠

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥

الكلمات الرأسية :

١) لقب موسيقى شهير من عصر الرشيد ـ عالم يونانى شهير سابق للميلاد •

٢) من اللغات القديمة ـ عملة عربية ـ نصف مة (رائد) •

٣) من النباتات ـ أجسام ـ تعب •

٤) شاطىء ـ الاسم الاول لكافور الاخشيدى ـ لفظ تعجب •

٥) الروح عند الفراعنة ـ رخو ـ محافظة سورية ـ حاذق •

٦) شهر ميلادى ـ رمز جبرى ـ للتفسير •
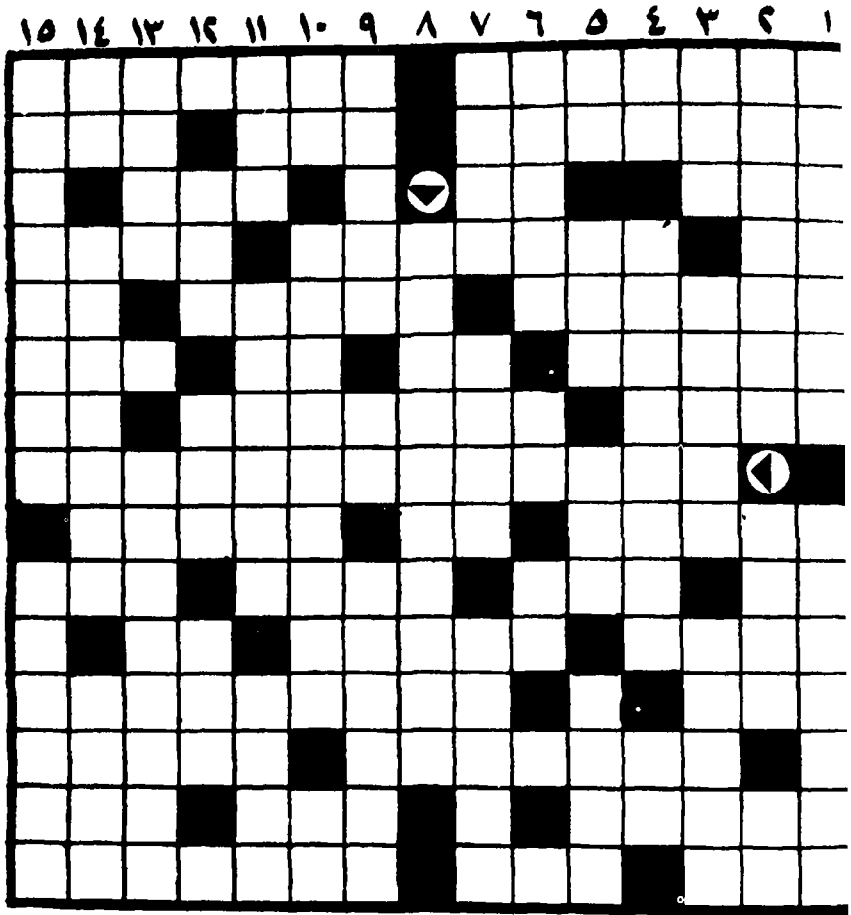
(٧) شدة الحر ـ النظير ـ أحرفها وآلمها •

(٨) قائد اموى •

(٩) من المكاييل ـ خطر ـ أكبر بحيرات اوروبا •

(١٠) نصف كلمة (ارغب) ـ من جمهوريات امريكا الوسطى ـ نصف كلمة (شارل)•

(١١) من أجزاء الذراع ـ من الفرائض ـ تالى•

(١٢) حكت ـ من اجزاء النهر ـ من اقسام السنة •

(١٣) من الالعاب الرياضية ـ كاتب مسرحى اسبانى حصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٢ •

(١٤) نصف كلمة (تدور) ـ القرائن المنظورة ـ كثير •

(١٥) شاعر ووزير ايوبى ـ فى المبانى الاسلامية•
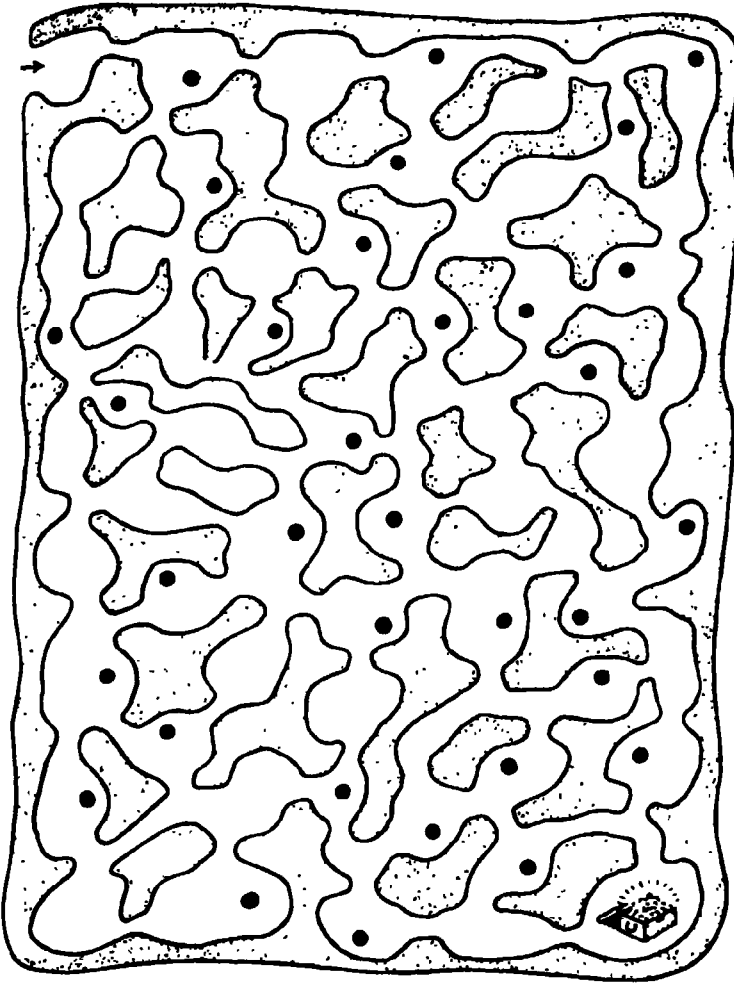
كنز علاء الدين

مضى علاء الدين يريد ان يصل الى الكنز الذى يستقر فى جوف الكهف الغريب ، بممراته المتشابكة داخل جسم الجبل • وكان عليه أن يحترس من هجوم الوحوش الضخمة التى تنتشر فى ثنايا هذه الممرات ، رابضة لا تقدر على الحركة ، لكنها تلتهم كل من يمر بها •

لم يكن مع علاء الدين عند دخوله الى الكهف سوى اربعة سهام فقط ، بمهارته يستطيع ان يردى بها اربعة وحوش فقط ، فهل يستطيع ان يصل الى الكنز دون ان يضطر الى المرور على اكثر من هذا العدد من الوحوش ؟ ••

سياسى انجليزى شهير

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لسياسى انجليزى شهير . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

(١) الحائط .
(٢) اكبر بحيرات اوروبا .
(٣) حرفان متشابهان ـ ارن .
(٤) من الفاكهة .
(٥) انصت .
(٦) من الأسماء الحسنى .

الكلمات الراسية :

(١) من الحيوانات .
(٢) عاصمة افريقية .
(٣) من الاقارب ـ رفعة .
(٤) مؤثرات سلوكه .
(٥) انفع .
(٦) اعجب ـ من الاقارب .

٦	٥	٤	٣	٢	١	
★		▼				١
	★				▼	٢
			■	★		٣
■	▼			▼		٤
	■					٥
			★	■		٦
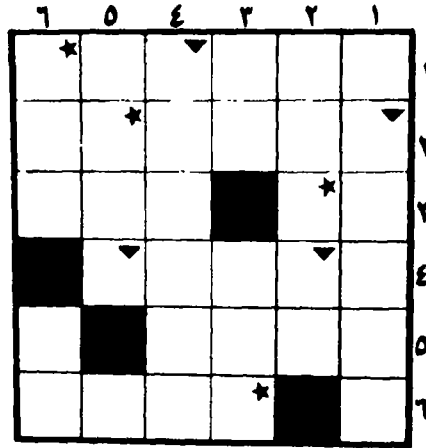
● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطا ؟ ..

هذه المعلومات العشر ، بعضها صحيح ،وبعضها خطا ، فهل تستطيع التمييز بينها ؟

(١) يارموث : من الحيوانات المنقرضة .

(٢) هيليوم : غاز اقل من الايدروجين .

(٣) وليم هارفي : مكتشف الدورة الدموية في الجسم .

(٤) مندل : من قواد الحملة الصليبية .

(٥) هانيبال : قائد المانى شهير في الحرب العالمية الاولى .

(٦) بنتون : كوكب في مجموعتنا الشمسية.

(٧) ميكل انجلو : فنان ونحات ايطالي من عصر النهضة .

(٨) نينوى : عاصمة الامبراطورية الآشورية القديمة .

(٩) ملبورن : ميناء انجليزى .

(١٠) دكتافــون : جهاز يستخدمه ضعاف السمع .

الشكل المطلوب

● من دراسة العلاقات بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول أن تعرف أى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول ١

النجمة والسهم :
لويد جورج .

أين الصواب .. وأين الخطأ ..

٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ صحيحة .

(١) يارموث : ميناء صيد بانجلترا .

(٤) مندل : عالم وصاحب نظرية في علم الوراثة .

(٥) هانيبال : من اعظم قواد قرطاجنة .

(٩) ملبورن : احدى المدن الكبرى فــى استراليا .

(١٠) دكتافون : جهاز تسجيل للمكاتب .

الشــكل المطــلوب :
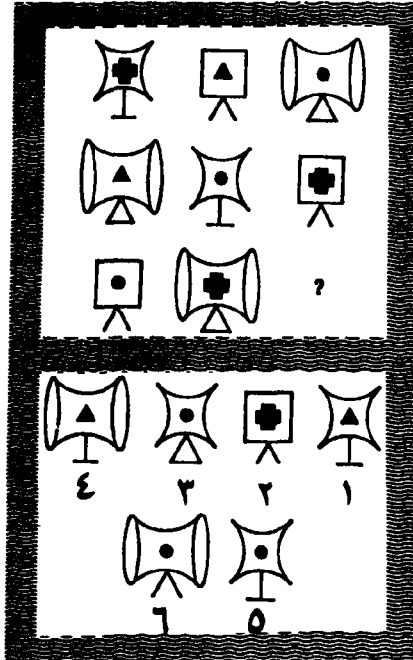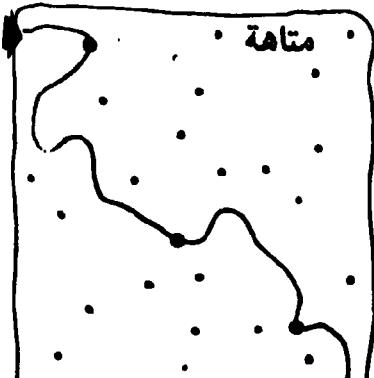
رقم ١ .

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

وزارة الإعلام فى الكويت

أول ابريل ١٩٧٩

١١٥ / ٣

من الأعمال المختارة

يوجين اونيل ـ ٣

مرحلة الواقعية الاولى

رغبة تحت شجر الدردار

ترجمة وتقديم : د. عبدالله عبدالحافظ متولى

مراجعة : د. محمود [illegible] عبدالحميد

وداعاً الشوكولاته تريتس

أهلاً بمينستريلز

تريتس بالشوكولاته الكاملة
لتذوب فى فمك وليس فى يدك
تسمى الآن ... مينستريلز.
مينستريلز بالحليب والشوكولاته
اللذيذة في الوسط والمغطاة بطبقة
هشة ورقيقة من السكر لاتزال تذوب
في فمك لا في يدك . تذكر أن الاسم على
الغلاف قد تغير فقط . أما الداخل فإنه
يحتوي على نفس كمية الشوكولاته الذيذة كالسابق دائماً.

مينستريلز . تذوب في فمك لا في يدك.

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

الكتاب السادس عشر

ابريل - نيسان
١٩٧٩

النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية

تأليف
د. محمود عبد الفضيل

سعر النسخة
٢٥٠ فلساً

الاشتراكات ترسل باسم :

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠ر٠٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الآداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

العدد ٢٤٦ / جمادى الثانى ١٣٩٩ / مايو "أيار" ١٩٧٩

عزيزى القارئ

لا نظن أن الامة العربيــة عاشت مرحلة مليئة بشواهــد الاحباط والتشاؤم مثل تلك التى نعيشها الان • ولا نبالغ اذا قلنا ان الصدمة فى العالم العربى ، تكاد تفوق بكثير تلك الصدمة التي صعقتنا جميعا فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧م • لقــد حدثت الهزيمة وقتئذ ، لكن بصيص الامل ظل باقيا ، وان كان ضعيفا وشاحبا • لكن الذى نواجهه الان هو موجة تذهب الى أبعد مما حدث فى عام ٦٧ ، اذ المهدد هذه المرة هو الامل ذاته • هو غد هذه الامة ومستقبلها •

وهذه الحقيقة ينبغى أن تستنفر فينــا كل طاقات وقدرات الرؤية ، لنعى حجم الاخطار المحدقة • اذ لن تتوقف محاولات تمزيق الامة العربية وقطع أوصالها • ولن تتوقف جهــود البث والترويج للوقيعة بين الجماهير العربية العريضة • ولن تسكت أصوات جاهلية هذا الزمان الداعية الى كافة صور ونعــرات الشعوبية والطائفية •

والتحذير من الانزلاق فى هذا الاتجــاه الخطــر ضرورة ملحة • والدعوة الى سد المنافذ أمام دعوات الفرقة هذه مسئولية قومية • والتشبث بكل صيغة لرأب الصدع العربى ، أو للعمل العربى ، هو ضمان قد يشكل أملا للمستقبل •

وهنا تبرز أهميــة استمرار نشاطات المنظمات العربيــة المتخصصة ، من ثقافية واقتصاديــة واجتماعيــة • اذ أن هذه المنظمات مطالبة أكثر من أى وقت مضى بأن تواصل العمل والاعداد لغد لا بد قادم يوما ما ، وان بعدت الشقة وطال السفر ! ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

سياسة واقتصاد :

اسلاميات :

استطلاعات :

شخصيات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 246 May 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

صورة الغلاف :

● تشكل العمارة اليمنية أحد الاوجه العظيمة والمنسية فى حياتنا العربية، وتكشف خطوط تلك العمارة الرائعة عن مواهب كامنة ودفينة فى الشعب اليمنى ، لم تسنح الظروف لاستثمارها على الوجه الافضل • والى جانب ذلك فان هذه العمارة تعبر عن قدر من الاصالة ضارب القدم فى جذور التاريخ • وحول هذه العمارة التى تعبر صورة الغلاف عن جانب منها ، كان استطلاع هذا الشهر • انظر الصفحات ـ ٧٦ •

أدب :

علم نفس :

تاريخ :

كتاب الشهر :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢٫٥ دينار • المغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها • ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

الحل والضمان :

ضرورات هذا الحديث بالذات كثيرة .

فنحن العرب نمر بأزمة منهكة . ربما لم تمر بمثلها منذ نصف قرن .

وليست هذه مقارنة بين حال وحال . ولا بين زمن وزمن . فمنذ نصف قرن كانت معظم البلاد العربية محتلة ، مسلوبة الارادة . وكانت معظمها فقيرة متخلفة ، ثرواتها اما مجهولة، واما مملوكة للاجنبي المغتصب . وجيوشها غير موجودة . وحكامها من صنع المستعمرين في الاغلب . الى غير ذلك مما نعرف من حال الامة العربية والشعوب الاسلامية قبل نصف قرن . اي قبل الحرب العالمية الثانية .

والان نرى الصورة بالتاكيد غير الصورة . صحيح ان المغتصب من ارضهم قطر عزيز هو فلسطين ، واحتلت اسرائيل اراضي من ثلاث دول عربية اخرى . ولكن الدول العربية صارت مستقلة الارادة في مجموعها . لها مقومات الدول في معظم الاحوال . ولها جيوش ودبابات وطائرات . ولها ثقافة وفكر وفن وادب . ولها ثروات ضخمة . واموال تؤثر في حياة العالم . وبعد ان كانت الكلمة تعبر ارجاءها في شهور صارت لديها من محطات الاذاعة والتليفزيون والصحف والاذاعات ووسائل التعبير ما لا يقل في نسبته الى مثلها السكاني عن مثله في كثير من البلاد المتحضرة .

ولسنا في حاجة الى الاطالة . ولكن كل قارئ يعرف ان الامة العربية بما لها من موقع وبما فيها من ثروات ، وما يتصارع داخلها من تيارات . صارت احد اهم ما يؤرق العالم من هموم . حتى ان الناس في اي مكان في العالم اذا التفتوا الى مكان

حق التفكير والتعبير !

يمكن ان يؤدي الى قيام حرب عالمية ثالثة • اشاروا باصابعهم الى شرقنا الاوسط ، او الى عالمنا العربي •

وكان هذا وحده كفيلا بان يضعنا امام اخطر الامتحانات واصعبها • فالاهتمام العالمي اذا كان موضع فخر فهو يجر الى التدخل • فتحوم وحوش الغابة وجوارح الطير من كل جانب • تبحث عن مواضع للخطا وثغرات للانقسام •

وكان زيادة وسائل التعبير في بلادنا ازادت من سوء التفاهم بينها وليس العكس•

وكان المجلة الواحدة التي كانت تصل بين قطر وقطر ، قبل البرق كقطرة الماء ، كانت افعل في تفاهم شعوبنا من الضجيج الاعلامي اليومي الهائل ، المتواصل ، الذي يعبر آلاف الاميال في اقل من الثانية ••ولكن القضية في كلتا الحالتين ، والقضية في كل العصور والقرون ، تبقى واحدة •

ان حرية الراي وفتح الباب لتعدد الفكر هو المخرج ، هو المخلص ، هو صمام الامان لكل امة وكل شعب وكل مجتمع وكل نظام ••

وقهر حرية الفكر قد يكون عمل فرد •كما كان يحدث قديما في بعض العصور الخالية • وقد يكون عمل آلاف الافراد والصحف والميكروفانات والكتب ، كما يحدث احيانا في اكثر المجتمعات تقدما ••

والعاقبة في كلتا الحالتين وخيمة ••

وقد استوقفني هذا في مناسبتين :احداهما ، كنت استرجع فيها حادثا فكريا

قديما من تراثنا . والمناسبة الثانية كنت اقرأ فيها كتابا جديدا مما اخرجته مطابع الولايات المتحدة الامريكية حديثا ..

ولكنهما ، على بعد الشقة ، واختلاف النتائج ، واختلاف نوع المجتمع تماما ، يوصلاننا الى نفس الاستنتاج . وربما كان الاستنتاج الواحد من محنتين مختلفتين تماما ، هو العبرة . فالعبرة الواحدة من ظروف غاية فى الاختلاف ، اقوى مائة مرة من عبرة تنتجها وتفرزها ظروف متشابهة ..

القصة الاولى ، قصة محنة أحمد بن حنبل مع الخليفة المعتصم ..

وبايجاز ودون خوض فى التفاصيل ، ثارت فى أواخر عهد الخليفة المامون قضية فكرية انقسم حولها الناس وهى : هل القرآن قديم ، أو أن وجوده مرتبط بوجود الله ، أم هو جديد أو مخلوق ، أى ان وجوده يرتبط بوقت نزوله على الرسول .

وقد تبدو لنا القضية لو طرحت اليوم غير ذات موضوع . ولا يمس الرأى فيها صدق ايمان أحد . ولكنها وقتذاك تحولت من جدل فلسفى الى شىء آخر تماما حين اعتنق الخليفة الحاكم رأيا من الرأيين . فبدأت المحنة الكبرى تلاحق من لا يرى رأى الخليفة . وكالعادة كان المثقفون هم من تعرضوا للمحنة . فهم فى ذلك الوقت الفقهاء والعلماء والقضاة . فارسل المامون الى وزيره وحاكم العاصمة بغداد اسحق ابن ابراهيم يطلب منه امتحان القضاة والفقهاء ، قائلا له ان من يخالفون الخليفة فى الرأى لا بد أن يكونوا « من حشد الرعية ، وسفلة العامة ، وأهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه .. » فكان الحاكم قد أدانهم بالكفر مقدما لمخالفة رأيه .

واخذ اسحق بن ابراهيم يحضر الفقهاء والقضاة ويقرأ عليهم كتاب الخليفة - محذرا ومنذرا - ثم يسالهم هل القرآن قديم أم مخلوق . فمنهم من قال برأى الخليفة فأخلى سبيله ، ومنهم من قال بغير رأى الخليفة ، فكان يوضع فى الاصفاد ، ويقيد باثقل الاغلال ، ويتعرض لشتى صنوف العذاب . فكان منهم من يعود فيعدل عن رأيه ، حتى يتخلص مما هو فيه . وما هى الا كلمة يقولها والله أعلم بما بقى فى ضميره . ومنهم من يثابر ، ثم يستسلم .

وكان من بينهم أحد أكبر فقهاء الاسلام وهو أحمد بن حنبل .. وكان أكثرهم عنادا ، فربطوه فى الحديد ، والقوه بكل مقامه الجليل فى السجن حتى يرى الخليفة فيه رأيه . ولكن الخليفة المامون لم يلبث ان توفى .

وأمر المعتصم فاحضروا أحمد بن حنبل الى مجلسه . وقد احضروه وهو مكبل باغلال من الحديد ، وهو الكهل ، لا يطيق حملها ولا السير بها .. ويجلسونه فى هذه الحال فى حضرة الخليفة .. ليناقش فقهاء السلطان . فاذا افحمهم وهزم حججهم ، أخذوه مثقلا باغلاله الى السجن .

جوزيف مكارثى

ويتكرر هذا يوما بعد يوم .

ولا أطيل على القراء . فقد انتهى الامر بأن أمر الخليفة آخر الامر فجردوه من ثيابه ، وربطوه الى كرسى ، وانهالوا عليه بالسياط .. حيث كان يجلس ناقش.وكلما غاب عن الوعى من العذاب، أفاقوه ، وسألوه ان كان قد عدل عن رأيه، يقول لا ، فيعودون ..

ولما كاد يموت فى مجلس الخليفة ، أعادوه الى أهله كتلة مهشمة من اللحم والدم ..

كانت السلطة فى أوج عظمة الامبراطورية الاسلامية تنزلق أكثر وأكثر الى الاستبداد .. وبالتالى الى التداعى والانهيار ..

●

الملاحظة الثانية التى استوقفتنى ، وجعلتنى أتأمل عوامل صعود وانهيار الامبراطوريات والامم حتى وان بدت فى أوج مجدها .. كانت فى كتاب أمريكى ، عن الولايات المتحدة الامريكية ..

الكتاب ضخم فى حوالى ألف صفحة . وقد اعتبرته الصحافة الامريكية أهم كتاب صدر هذه السنة . واسمه « البحث عن التاريخ » . ومؤلفه أحد أكبر الصحفيين المؤلفين فى أمريكا وهو تيودور هوايت . وقد جمع فيه خلاصة متابعته للاحداث التاريخية الكبرى حيثما وقعت طوال أربعين سنة تقريبا. وقد نعود الى جوانب أخرى من هذا المجلد الضخم فى أحاديث أخرى .

وقد غطى الكاتب ثلاث فترات تاريخيةعاشها حيث كان التاريخ يصنع بالفعل .

* مع الثورة الصينية (من ١٩٣٨ الى١٩٤٥) مزاملا ماوتسى تونج وشواين لاى .. وشيانج كاى شيك .

* اعادة بناء اوروبا مع الحرب بمشروع مارشال (١٩٤٨ ـ ١٩٥٣) .

* فترة التحولات الكبرى فى امريكابعد الحرب ، من رئاسة ايزنهاور الى مقتل جون كنيدى (١٩٥٤ ـ ١٩٦٣) .

ويهمنى فى هذا الحديث صفحات أرادالمؤلف فيها ان يجيب على سؤال هام :
ما الذىورط الولايات المتحدة الامريكيةفى حرب فيتنام ؟

ما الذى جعل هذهالدولة الكبرى تحارب حربا مجنونة طيلة عشر سنوات ، وتخسر نصف مليون من شبابها بين قتيل وجريح ،وتخسر فوق ذلك سمعتها، وخسائر سياسية لا حصر لها ، وانهيارات لمواقفها ، وشكفى حسن تقديرها حتى بين حلفائها ...

ثم أن امريكا لديها كل وسائل حريةالراى . وكل أسباب المعرفة ومشاركة الرأى العام . وكل انواع المخابرات ومراكز الابحاث ووسائل الدراسة . فما الذى أعماها رغم كل هذا ، وساقهامعصوبة العينين الى مستنقعات فيتنام ؟

يقول تيودور هوايت ، فى اجابةمفصلة جدا : انها « المكارثية » التى اجتاحت أمريكا لبضع سنوات قليلة !

ان الخوف ، مع الاسف ، هو الذىيحرك أحداث التاريخ ، أكثر مما يحركها الامل ..

وبمجرد أن انتشر الخوف فى امريكا ،من أن يتعرض لاتهام مكارثى له بما سمى « النشاط المعادى لامريكا » صاركل صاحب رأى ، أو صاحب منصب ، أو صاحب مسئولية ، يحاول أن يتخلى عندوره ، وينزوى ، ويسكت ، وهو يرى الكارثة المحققة .

كانت امريكا وقتها اغنى ما تكونبخبراء الصين والشرق الاقصى . يعرفون كل شىء من اللغة والاصل والتاريخالى السياسة والزعماء الجدد . ولكن الارهاب الفكرى الذى نشره مكارثىباتهام كل شخص فى وطنيته ، كان بمثابة من خلع عينى أمريكا وقطع أذنيها .فصارت بالنسبة لاحداث آسيا كلها لا ترى ولا تسمع . ومضت الى كارثة سياستهاالاسيوية التى دامت بعد ذلك حوالى ربع قرن !

لقد جر مكارثى كل عقل امريكا الىلجنة التحقيق فى الكونجرس . لم تكن هناك سياط كسياط المعتصم. ولكن كانتهناك سياط من نوع آخر لا يقل قسوة وهو التشهير امام الرأى العام و « اغتيالالشخصية » كما يقولون فى التعبير الانجليزى Character Assassination

جر الى المحرقة العامة أمام عشرات الملايين من الخبراء وأساتذة الجامعات وموظفي الدولة وجنرالات الجيش والكتاب والصحفيين . وكل من قال رأيا ذات يوم في سياسة أمريكا نحو الصين مخالفا لما جرى . بل وكل من قابل ولو في مهمة رسمية أحدا غير مرغوب فيه .

وقد انتهى مكارثي نهاية محزنة بفضيحة أودت به . ولكن رعشة الرعب التي صارت رمزا في كل مكان واسما يطلق وهو « المكارثية » .. رعشة الرعب هذه لم تفارق امريكا بكل ضخامتها وحرياتها سنوات طويلة ..

فلما بدأ العملاق يذهب في مغامرته الخاسرة ويغرق في وحول آسيا .. لم يجسر واحد على النطق . لا الخارجية . ولا المخابرات . ولا الخبراء . ولا الكتاب . ولا أعضاء الكونجرس ..

وكان الثمن نصف مليون قتيل وجريح . وربع قرن من السياسة المدمرة الفاشلة . وانفصام داخلي في أمريكا أدى الى عنف الستينات .. من مظاهرات المدن الى اغتيالات جون كنيدي وروبرت كنيدي ومارتن لوثر كنج وغيرهم .. كل هذا مقابل سنتين أو ثلاث من الارهاب الفكري العام !

ان الحكايتين اللتين رويتهما هنا ، ليستا فريدتين في التاريخ ..

ولكنني قصدت أن أضع جنبا الى جنب نموذجين متباعدين تماما .. في بيئتين وعصرين مختلفين أشد الاختلاف .

ولكن أثر قفل باب الاجتهاد ، والارهاب الفكري من السلطة أو من الجماهير ، يصل في الحالتين الى نفس النتائج ..

وامتنا العربية والاسلامية في أخطر ظروفها ..

الخلاف العربي ضار فتاك . القضايا المطروحة للاختيارات وللقرارات تدور لها الرؤوس . وبجوارنا في ايران تقوم جمهورية اسلامية ، وهو اسم له رهبة ، وله خطر ، ولكن دون أن نعرف شيئا عن تفسيراتها لقضايا اختلاف الرأى ووسائل التعبير . وقد يرتبط بها هذا الاسم الخطير (الجمهورية الاسلامية) وجودا أو عدما لزمن ليس بالقصير .

ونحن فوق هذا كله نخرج من ظلمة الى نور . ومن تخلف الى محاولة تحضر . ومن انكفاء على الذات الى انفتاح على العالم . ومن تجاهل العالم لنا الى اهتمامه بنا . ومن بحث عن هويتنا بين الاصالة والتجديد ..

فاذا لم يكن حق التعبير وحق التفكير لهما ضرورة بل وقداسة في هذه المرحلة . واذا لم يتعلم الحكام والمحكومون هذه الكلمة الان .. ففي أى وقت سنكون فيه أحوج اليها من وقتنا هذا في عالمنا هذا ؟ ■■

احمد بهاء الدين

المهاجر وحيداً

شعر :
فاروق شوشه

تتسلّل قطرةُ ضوءٍ من نافذةِ اللّيلْ
وكأنّ يداً تمتدُّ ، تُلامسني وتؤانسني
فأريحُ الرأسَ المكدودَ المُثْقَلْ
وأنقّلُ في دائرةِ الصمتِ المُسدلِ خطوًا مُعتلّ الأصداءْ
يامَنْ يحملني لينابيعِ الضوْءِ القادمْ
علّي أتسلّقُ هذا الخيْطَ الممدودَ ،
أجاوزُ هذا الأفق الكابي ،
أحملُ ما خلّفتِ الأيامُ بصدري ، أنأى عن وخزِ اللّعنةِ ،
أبعدُ في التّيـــهِ ،
وأرحـــلْ !

★★★

مـــاذا خلّفتُ ورائي ؟
عينيْنِ مُؤرّقتينِ تنـــوءانِ بعبْءِ الساعاتِ المرورة
في الشطّ النائي ، تنتظراني ، وتحـــوطاني
وتخفّانِ ورائي حين أسيرُ وحيدا
ألتفتُ ورائي ؟ كيْفَ ؟ رماحُ القومِ تلاحقني

« الى اصدقائنا ، حبات قلوبنا ، المتناثرة على رمال بعيدة ، تجاهد ضراوة الحنين ، ومرارة الايام ، وتحلم بالعودة الى الوطن »

...اتِ دمـي
...نسكِ المسمومِ ، فأرتدُّ

... قدمي

...نُ في صدري
...ـكُونا باصرتيَّ
... صاحب
...تُ ورائي

...ـِ الغربةِ والمجهول

...ُ العَجزَ ، وأنطحُ صخرَ

...ـحـقني
قطراتَ دمـي

قُولي لهم إنْ يسألوكِ : غابَ دُونَ أنْ يقول
أين !

وطارَ ، لم يترك كُلَيمةً للصحبةِ التي تجاهدُ
الحنينَ ما جدوى الكلامْ !

وليس بعدُ . غيرُ رَنْوةٍ إلى النجومِ وانتظار
لعلَّهُ يطلُّ ذاتَ ساعةٍ مُغبَّراً من خلْفِ قافلة
لعلَّهُ يجيءُ دونَ موعــد .
مُحمَّلاً بلفحــةِ السنينَ والأسفارْ
لعلّهُ . وآهِ من زيفِ لعــلَ
من أجْــلها .

أخــوضُ في وحُــولهم .
أنأى عن الصحــابِ والأحــبابِ
أجــتازُ المضيقْ
أرحــلُ في اللّيْلِ وحيداً. مثلَ نورسٍ
مُهاجــرْ
لعــلّني .
ـ عندَ نهايةِ المطافِ والتّرحالْ ـ
يلقفُــني وجــهٌ صديقْ
مـثْــلي
مهاجــرٌ غــريقْ !

القاهرة ـ فاروق شو

حين ثار الشريف الحسين بن علي ، أمير مكة ، ثورته الكبرى سنة ١٩١٦م ، على دولة الخلافة ، نقم منه المصريون كما اسلفت . واذا نحن اعتبرنا الشعر احيانا ترجمان المشاعر العامة ، ادركنا مدى النقمة في قول أحمد شوقي ، وهو يرثي الخلافة التي الغاها مصطفى كمال ، معرضا بالحسين وما سرى من تفكير في المناداة به خليفة :

لا تبذلوا برد النبي لعاجز
عزل يدافع دونه بالراح

بالامس اوهى المسلمين جراحة
واليوم مد لهم يد الجراح

ولكن بعد ان اتضحت الامور وانتهى الامر بالحسين قبرا في جوار الاقصى رثاه شوقي بمرثية ما احسب أن مرثية يمكن ان تبلغ من الروعة مبلغها ، ودونك مطلعها :

لك في الارض والسماء مآتم
قام فيها أبو الملائك هاشم

قعد الآل للعزاء ، وقامت
باكيات على الحسين الفواطم

وفيها : حبذا موقف غلبت عليه
لم يقفه للعرب قبلك خادم

زائدا عن ممالك وشعوب
نقلت في الاكف نقل الدراهم

ولقى فيصل بن الحسين ، قائد القوات الشمالية للثورة العربية ، حملات من كثير من الكتاب والشعراء المصريين .. ثم تطورت النظرة اليه والمفاهيم للقضية حتى سمعنا محمد عبد الوهاب يشدو بشعر شوقي :

يا شراعا وراء دجلة يجري
في دموعي تجنبتك العوادي

ويترنم فيها بفيصل « الاريحى الجواد » . ولم يكد ينعى فيصل في أيلول (سبتمبر ١٩٣٣) حتى امتلأت صحف مصر بمقالات الرثاء . وقرأنا تفجع عبد الرحمن عزام وعبد القادر حمزة وتوفيق دياب والزيات وفكري اباظة ، ويهمني هنا ان انقل من مقال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في رثاء فيصل وقد كنا نعلم عزوفه عن الفكرة العربية ـ قوله : « ان الجامعة العربية لاكبر واوسع واكرم من ان تكون جامعة لحم ودم وقرابة عمومة او خؤولة ، انما هي جامعة ثقافة ولغة وعقيدة ورجاء وماذا يضيرها ، وهي كذلك ، ان يكون فيها مصريون وعراقيون وسوريون وحجازيون ، لن يضيرها ذلك شيئا ، وانما يضيرها ان تتنافر على التاريخ وتتنابز بالاصول ، وتنسى ان المستقبل هو الامل المطلوب ، وان الذى يجمعه الرجاء لا تفرقه الذكريات » .

ولعل الزعيم السورى الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، قد أجمل القول عن هذا التطور الذى خبره بنفسه في حديث له بعد الثورة السورية ، وعودته الى مصر ، قال :

« ثم لاحظت أن الرأى العام يسيء الظن بالمشتغلين بالقضية العربية ويتهمهم بانهم آلة بيد الاجانب ، فكان موقفنا من أصعب المواقف : مشانق في الشام ، وسجون وتعذيب ونفى وارهاب وظلم دونه ظلم جنكيز خان وهولاكو في بلاد السلطنة ، وتهم وريب في مصر ، ثم ادرك المصريون بعد ثورة الشام وثورة العراق ان رجال القضية العربية غير ماجورين للاجانب ، وانهم انما يعملون لاستقلال بلادهم وتحريرها ، فحسنوا ظنهم بهم ، وعدت الى مصر بعد ثورة سورية الكبرى فشعرت ان هنالك ارتفاعا في اسهم القضية العربية ، وأدركت أن الناس صاروا يتتبعون سيرها ، ويدركون أن مصلحة مصر ان تعطف على رجالها وتؤيدهم في نضالهم لخير العرب » .

عن الفرعونية والشرقية

هنالك تعبيران ، كانا يتزاحمان في مصر ، تعبير « العربية » أو « العروبة » ، وكانا يثيران لدى عرب المشرق والمغرب نفرة او عدم ارتياح ، مع تفاوت في قدر ذلك بالنسبة اليهما ، وهما : « الفرعونية » طابعا لمصر يحمل معنى التنكر للعروبة ، وكانه مرادف للاعربية ، وعمق هذا المفهوم ان نغمة « الفرعونية » كان يرددها كتاب تنم نزعاتهم على روح شعوبية استفزازية ، وفيهم من دعا الى العامية كسلامة موسى .

---

* العربى ـ العدد ٢٤٤ ـ مارس (آذار) ١٩٧٩

واما التعبير الثانى فهو «الشرقية» رابطة مصر بسائر الاقطار العربية او « الشرقيون » يطلق على العرب بما فيهم المصريون . !

ولكن حساسية النغمه من « الشرقيه » لم تبلغ في الشدة مبلغ « الفرعونيه » ذلك لانها لم تكن تطلق على صورة استفزازية ، وليست عدوانا على العروبة ، وقد علمنا أن اعلاما من المصريين معهم اعلام من العرب غير المصريين ، الفوا « الرابطة الشرقية » وكانت لهـا منجزات جماعية عربية وبفضلها قام المهرجان العظيم الذي بويع فيه احمد شوقى اميرا لشعراء العرب..

وانت ترى أن احمد شوقي قد ذكر الشرق في كثير من شعره ، فلم نثر « حساسيات » سلبيه بل راح العرب يشدونها معجبين ، فمنها :

نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا في الهم شرق !

وفي قصيدة المهرجان ذكر « الشرق » ثلاث مرات لم يذكر « العرب » مع أن الوفود المبايعة كلها عربية ، ومع ذلك فلم يعترض على ذلك أحد ، وقدر الناس أنه اراد بالشرق بلاد العرب ، ولعلهم ذهبوا مذهب استاذنا ساطع الحصرى الذى قال عن « الرابطة الشرقية » : « لا نشك في أن فكرة هذه الرابطة عندما تتجرد من عناصرها وتنصهر بالتعارف الحقيقي ستتحول بالتدريج الى رابطة عربية بحتة » وهذه ابيات احمد شوقي في الشرق فما احسب انها تثير وجدة :

يا مكانا تألف الشرق فيه
من ملطيه الى بغدانه

كان شعرى الغناء في فرح
الشرق ، وكان العزاء في احزانه

كلما أنّ بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه في عمانه

ولكن التساؤل الذى لم ينقطع : لماذا تجنب كلمة (العرب) ؟ وهل تشمل كلمة « الشرق » مراكش والجزائر وتونس وليبيا وهم مغاربة ليسوا مشارقة ؟ الهند شرقية فيشملها التعبير، ومراكش مغربية لا يشملها التعبير ، فكيف يكون ذلك ؟ والواقع ان كلمه « عرب » كثيرا ما كان يعني بها البدو حتى في الاحصاءات الرسمية المصرية بعد أن تذكر ما يعود الى كل محافظة واحده فواحده تذكر ما يعود انه « العرب » وكأن أبناء المحافظات ليسوا عربا ! وكثيرا ما كنا ونحن اطفال نشير الى البدو الرحل : هؤلاء عرب ، وابن خلدون نفسه اطلق « العرب » على البدو دون الحضر . وللاستاذ ساطع الحصرى في كتابه عن ابن خلدون بحث معاض في هذا ، يرد فيه على الشعوبيين الذين يرددون اقوال ابن خلدون في معرض الحملة على الامة العربية وحضارتها ، كما أنه يطمئن المتحمسين من دعاة العروبة الذى قال احدهم : « لو كنا وطنيين حقا .. لنبشنا قبر ابن خلدون وأحرقنا كتبه » .

ولعل من اسباب اجتناب ترديد « العرب » وجود كثرة من ارستقراطية مصرية - في ذلك الوقت - منحدرة من اصول غير مصرية ، اى من الشراكسة والاتراك ، ففي « الشرقية » ما يشملهم وما يسع العرب في الجهد ذاته ، اقول هذا وانا اعلم ان العروبة ليست بالدم ، وان مصريين ليسوا عربا في أصولهم البعيدة خدموا الفكرة العربية والادب العربى ، ومن رواد القضية العربية ، وماذا نقول في امثال عزيز المصرى واحمد شوقي واحمد رمزى وابراهيم دسوقي اباظة وال راتب وغيرهم .

على اثر وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧م وفي حفل اقيم لتمجيد ذكراه في باريس وحضره مصريون وسوريون وفلسطينيون ولبنانيون ، دار البحث حول تأليف جمعية لتوثيق الروابط بين الاقطار العربية ، ورأى بعض المصريين تسميتها «الجمعيه الشرقية» واصر الاخرون على تسميتها العربية ، وكان الزعيم رياض الصلح حاضرا فنهض يقول : « انتم الان امام مثال حى ، فقد توفى سعد ، ولم تسمعوا ان بلدا من البلاد الشرقية قد بكاه ، على حين ان الاقطار العربية كلها بكته كما بكته مصر ، هل تظنون اننا اقرب الى النيبت منا الى برنديزى ؟ ثم رجحت كلمة « العربيه » وتألفت « جمعية الثقافة العربية » بباريس ، وانتخب الدكتور محمد صلاح الدين رئيسا لها ، وحيدر مردم بك نائبا له (وغدا الدكتور محمد صلاح الدين بعد ذلك من أقطاب الحركة العربية ودعاتها والمسهم الكبير في انشاء جامعة الدول العربية) .

ولقيت في سبتمبر (ايلول ١٩٣٢م)، في القدس الاستاذين فتحي رضـوان ، وكمـال الدين صلاح (الذي استشهد فيما بعد في الصومال) ، وكانا يلتهبان غيرة عربية ، ويدعوان الى عقـد مؤتمر باسم « مؤتمر الطلبة الشرقيين » ، وثار جدل بيننا حول الاسم ، فنحن نرى ان يدعى « مؤتمر الطلبة العرب » وهما يريان أن يدعى « مؤتمر الطلبة الشرقيين » ، وعلى هذا الاساس قد قاما بالرحلة والدعوة اليه ، ومع أن الفكرة لم يكتب لها التحقيق فان « مصر الفتاة » التي كانا ينتميان اليها ظلت رائدة عروبة في مصر ، ولا ضير اذا انا استطردت الآن ، فقلت : « ان للشهيد كمال الدين صلاح ـ حين كان قنصـلا في بيروت سنة ١٩٤١م ـ فضل تكليفي الجمـع بين الكتائب اللبنانية وحملة الفكرة العربيـة في بيروت في بيته هو ، للمذاكرة في صيغة عمل مشترك ، لمواجهة ظروف الحرب الخطيرة واذا ذكرت كمال الدين صلاح تشرق في ذهني ذكرى زميله ، صديقي واخي ، قديس الحركة الوطنية، وخلاصة خلاصة الايمان الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برليـن في الحرب العالميـة الثانية ، وكان هو وفتحي رضوان ، واحمد حسين ، وكمال الدين يستقون من ينبوع وطني عربي اسلامي واحد .

عندما جاء مكرم عبيد

وجاء مكرم عبيد سكرتير الوفد المصري سنة ١٩٣١ م الى لبنان وسوريه وفلسـطين ، وكان يلقب « ابن سعد » ، وكانت زياراته مهرجانات للفكرة العربية ومناسبات لتمجيد ذكرى سـعد العظيم ، واذكر ان الزعيم رياض الصلح اقام له حفلا تكريميا كبيرا في « صوفر » ، حضره وفد من دمشق للاشتراك في التكريم، ولدعوته باسم الكتلة الوطنية الى دمشق . وتكلم قطب الكتلة الوطنية « لطفي الحفـار » داعيا الى زعامة مصر للبـلاد العربية ، « على أن تكـونوا معنـا عـربا ، لا شرقيين ، ولا فراعنة » ومما قاله رياض الصلح في خطابه : « ان نغمة الشرقية » لا تلذ أسماعنا ولا نطرب لها ! وان هذه البلاد التي لها تاريخها ولها امجادها والتي حكمتها في زمن من الازمان مصر حتى بعد الفتح العربي لبلاد واحـدة في لغتها وتاريخها والامها وآمالها .. وكانت مصر ولا تزال في مقدمة الاقطـار العربية ، وكانت لها زعامتها فيها ، ونحن يا سيدى الاستاذ مكرم نقبل زعامتكم ، ونرحب بها كما قال الاخ الحفار ، على ان تكونوا معنا عربا .. لقد كنا معكم ، وايدناكم منذ الاحتلال حتى الآن ، ولكنا لم نشـهد منكم شيئا من هذا ، على رغم تراخي الايام . اسمح لي ان اكون صريحا ، واعول على زيارة مكرم ، وانه للذخيرة لنا ان نكتسـب الاستاذ مكرم واخوانه. لقد مصر العرب الامصار ، وافتتحوا العالم ، ولهم من الامجاد ما ليس لغيرهم من الامم التي تفخر بامجادها ، فاذا كان اخـواننا المصريون يقصدون من ترديدهم كلمة « الشرق » بمناسبة وبغير مناسبة ان (الشرق) ضد الغرب فهذا غير صـحيح ! كنت في باريس وجنيف اتردد على المندوبين الشرقيين لدى عصبة الامم من يابان وغير يابان ، انا ورفيقاي في الوفـد السـوري (الامير شكيب ارسلان ، واحسان الجابري)سنة كاملة ، فلم نجد لدى واحد منهم من العطف على قضـية هذه البلاد المظلومة ما كنا نلاقيه من عطف بعض مندوبي الدول الاوروبية الغربية ، اليس الشرق ضـد الغـرب : هـذه اوهـام ، ان العصر عصر قوميات .. ونحن عرب فلنكن عربا دائما ، ولا تحسب يا سيدى الاستاذ اننا نريد ان نكون عالة عليكم ، فنحن اهل كـرامة ، لنا جهـادنا ولنا اعمالنا ، وسـنعمل ما استطعنا لتوطيد دعائم حريتنا واسـتقلالنا فهي تضحيتنا ، واذا كان هنالك فائدة فهي لمصر سواء في المفاوضة او في الثورة ، فلو علم المفاوض الذي تفاوضه مصر لنيل حقوقها ـ انها مؤيدة من جميع الاقطار العربية وان هذه الاقطار تثور بها فيكون انئذ موقف المفاوض المصري موطد الدعائم ، اكثر مما اذا كان يتكلم باسم مصر وحدها ومثل ذلك اذا ثارت .. » .

وقد اجاب مكرم جوابا سديدا ومما قـال : « ان مصر عربية وتشعر بشعور عربي ، بل ان في عروق كل قبطي دم عربي ، واذا كان بعض الصحف المصرية يذكر احيانا ـ الشرقية ـ بدلا من العربية فما ذلك الا من قبيل التوسع ، ولكن العاطفة العـربية هي الغالبة في نفوس المصريين » ، ثم عاهد مكرم باسم الوفد المصري ان تكون مصر مع الامة العربية في جهادها للاستقلال ..

امـة واحدة

ومن هذا القبيل : حين اصدر الاستاذ كاظم الصلح جريدة ((النداء)) في بيروت سنة ١٩٣٠ ، وجعلها لســان حال الفكرة العـربية في جميع اقطارها ، واستكتب فيها اعلاما من حملة الفكرة العربية ، فرظتهـا جريدة ((المقطم)) قائلـة : ((والنداء جريدة شرقية كبرى تخدم الشرق))فلم يستسغ كاظم هذ التقريظ ، وارسلها افتتاحية عنوانها ((عربية شرقية)) ، وقد تمنى فيه ان يزول الابهـام الذي يصحب الحركة الوطنية في وادي النيل ، من الوجهة العربية التي نشـات على ضفافه ، وان نبني وطننا الجامع الشامل على هذه الصخرة الخالدة : العرب والعربية)) .

وتاثر عبد الرحمن عزام ، فارس الفكرة العربية الذي ارجو ان افرد له في احد اعداد ((العربي)) مقالا خاصــا بسـيرته القومية ـ بما كتب كاظم فارسل اليه يقول : ((وكل نداء بحق العرب في لواء شامل ، انما يستمد قوته من ضرورة الحياة، فما كان العرب الضاربون بين الخليج ((الفارسي)) والاطلنطي الا امة واحدة .. لا بد ان تجتمع ولو طال الشتات : فما اشرت اليه لتوثيق العلاقات بين الاقطار العربية هـو عمل محمود لان السلم والعمران بعض نتائجه)) .

ومما يدخل في هذا الباب : ان اصدر الدكتور محمود عزمي سنة ١٩٢٥ مجلة ((الجديد)) وكان الدكتور عزمي ممن يعنون بالقضايا العربية ، وله صـداقات عـربية ، وكان بادىء الراى يقـول ((بالشرقية)) في علاقات مصر بالاقطار العربية ، وفي سياسة المجلة الخارجية قال : ((اننا نعتبر الصفة الغالبة لنا فيها هي ((الشرقية)) ، لكن الشرقية المقيدة ، والمقيدة باعتبار الجوار ورابطة اللغة وبفعل التاريخ ، ونظريتنا في هذا هي ان المستقبل للاحلاف لا محالة ، لكن للاحلاف في التشعبة الاطراف كثيرا وغير المتباعدة الثقافـة خصوصا ، والمثل الاعلى لاقرب الاحلاف واضمنه بالنسـبة لمصر ـ وان من الوجهــة التهذيبية وحدها ـ انما هو مثل حلف يضم القطرين اللذين طالما نودي بانهما شقيقان : مصر وسورية الكبرى (لبنان والشام وفلسطين) ، لذلك تحل عنايتنا بدرس احوال القطر السوري الكبير (باجزائه الثلاثة) المحل الاول بعد عنايتنا باحوالنا المصرية البحتة ، ولما كانت سورية الكبرى على اتصال يكاد يكون متينا ـ بفعل اشتراك الحكم التركي وطول امده ـ بالعراق وبلاد العرب ، وكانت تربطنا ، نحن المصريين ، بهذين القطرين الاخيرين رابطة اللغة وفعل شيء من التاريخ كذلك ، فقد راينا ان نضم مباحثنا عن كل تلك الاقطار الثلاثة ـ الشام والعراق والبلاد العربية ! في باب واحد وهو باب ((الشرق السامي)) ولم نظفر بتسمية ادق وانقى فالشرقية مشتركة بين الشام والعراق والعربية جميعا ولا تجتمع الشرقية والشامية في بلاد غيرها)) واستدرك الدكتور عزمي الامر بالنسبة الى المغرب فقال : ((على ان هذه الشرقية المقيدة التي تدعونا الى غض الطرف عن احوال المغرب ، وبيننا وبينها هي الاخرى اعتبار الجوار ورابطة اللغة وفعل التاريخ ، وان لم تكن بمثل تلك التي تربطنا بما اصطلحنا على تسميته الى اليــوم بالشام)) ..

ولم يكتب للجديد العمر الطويل .. ثم تطور راى الدكتور عزمي فقـال في محاضرة القاهـا في باريس سنة ١٩٢١ : ((انه يؤمن بنظرية دعاة الوحدة بشرط ان يقال ((بلاد العربية)) لا البلدان العربية، فان لفظ بلدان العربية يترك مجـال التفســير والمدلول فســيحا ، فالبعض يعني به اللغــة ، والبعض يعني به القــومية والبعض يعني بــه الجنس)) .

وعن الوحدة العربية

وكانت لي والدكتور عزمي لقاءات ، وجـرت مناقشات ، واذكر هنا للتظريف أو الاحماض انه قال ذات مرة في جمهرة مازحا : الا ترون انفي ؟ الا يدل على انه انف فرعوني ؟ فاجابه الاسـتاذ عبد القادر المظفر ، وهـو من اعـلام الوطنيـة بفلسطين : ((انك عربي رغم انفك هـذا . واذكر انني تلقيت من الصديق الدكتور عزمي في مطلع سنة ١٩٣٦ كتابا يعلمني فيه عزمه على اصـدار مجلة أسبوعية اسمها ((الشباب)) وهي ((تتضمن ابحاثا في السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن من النوع الجدي الراقي ، على ان يكون بهـا باب خاص بالشرقيـات والمغربيات ، واعني بالاول بحوثا وانباء طـريفة عن الاحـوال الســياسية والاجتماعية والاقتصادية في فلسطين وســورية

والعراق وبلاد العرب ، والقصد بالثانية بحوثا واتباء خاصة بطرابلس وتونس والجزائر ومراكش، وهنا اتقدم لك راجيا ان تتفضل بمهمة الكتابة للشباب مرة في الاسبوع » .

وطبيعي ان البي رغبة الصديق ، لكنني لم اتردد في الكتابة اليه معترضا على تعريق المجلة بين بلاد العرب وسورية وفلسطين ، منكرا عليه اعتبار جزيرة العرب وحدها هي بلاد العرب ، واقترحت عليه ان يجعل « المشرق العربي » بدلا من « المشرقيات » « والمغرب العربي » بدلا من « المغربيات » ، وكاتبه ، وانا موقن بانه صائر الى الاقتناع الكلي بالعروبة لانه لا يحمل روحا شعوبية ، بدليل ذلك المقال الافتتاحي الذى كتبه في جريدة « الجهاد » ، كبرى الصحف الوفدية معلقا على برقيتى الخاء تبودلتا بين ملكى العراق والسعودية لمناسبة ابرام معاهدة الصلح بين بلديهما وقد اطلق عليها يومذاك : معاهدةالصداقة الاسلامية والاخوة العربية . جعل عنوانها : « الوحدة العربية في سبيل التكوين الجدى » دعا فيه مصر الى الاسهام بنصيبها في هذا السبيل الوحدوىوقال في نهايته : « ونحن نعرف انالاراء في مصر قد تطورت هذه السنوات الاخيرة الى حيث اصبح الزعماء والقادة يرون الآن ما كان يراه فردان أو افراد قلائل منذ عشر سنين او تزيد ، من ضرورة التضامن مع الشقيقات العربيات في سبيل الحلف او الوحدة العربية ، فماذا اعدت مصر ، وقد اخذت الفكرة تنتقل الآن من حظيرة الدعوة عن طريق المثقفين الى حظيرة السعي الحثيث عن طريق الحكومات ؟ ترى هل ستستمر في خطة عدم الاعتراف و « العزلة » أو هي ستدرك ولو آخر الامر انها مخطئة في موقفها ، وان مصلحتها ومصلحة المصريين جميعا انما هي في الاتجاه شطر « الاعتراف » والتآخي والمصادقة؟ ذلك ما نرجو ان تفقهه مصر الرسمية من تلقاء نفسها فتسلك سبيله من الآن مختارة ، بل قبل ان تضطر مكرهة الى سلوكه تحت ضغط الحوادث المتداعية .. » .

ذكريات من المعتقل

وتابى الذكريات التي تتنزل عني في هذاالموضوع الا أن اذكر ، اننا معشر المعتقلين في « صرفند » بفلسطين في ابان ثورتها الكبرى سنة ١٩٣٦ ، بلغنا ان المندوب السامي البريطاني يوالي تهديد الناس بالتنكيل بهم اذا استمر الاضراب الذي يتضرر منه الفقراء والعمال والفلاحون وحدهم ، محاولا التفريق الطبقي بين الناس ، فقررنا ان نوجه اليه بيانا جاء فيه : « ويا ايها المندوب ، لقد جرب زملاؤكم في مصر من قبلكم سياسة التفريق ، فما نفعتهم سياستهم ولا افادتهم شنشنتهم ، فمكثوا اربعين سنة حتى جاءهم رجل من لابسي الجلابيب يسمى ، يقال له في التاريخ « سعد زغلول » فهدم سياستهم ، وجعل عاليها سافلها ، فاصبحوا اليوم على ما فعلوا نادمين » هذه العبارة تلخص نظرتنا الى مصر ، ولكن حدث حين توقف الاضراب بوساطة ملوك العراق والسعودية واليمن وأمير الاردن ، أن فوجئنا بمجلة المصور المصرية تنشر مقالا حول اشتراك مصر في الوساطة تقول فيه : « ومن أهم الاسباب التي يستند اليها انصار عدم التدخل في المشكلة الفلسطينية ما لوحظ من ان التدخل الرسمي كان مقصورا على ملوك البلدان العربية فقط ، وليس جميع البلدان الشرقية بدليل موقف الحكومة التركية والايرانية والافغانستان في هذه المشكلة ، وقد آلمنا هذا القول ، وبادرنا الى الكتابة في هذا الى المجلة المذكورة .

ولكن كان عزاؤنا في مقال بالغ الروعة كتبه الكاتب الكبير ابراهيم عبد القادر المازني في مجلة « الشباب » مبكتا : « وفيه يقول .. وقد صارت مصر زعيمة ، فمن حقها ان ترى الامم العربية الاخرى تتبعها وتوقرها وتعظمها وتخدمها ، وليس عليها واجب تطالب بادائه لهذه الامم ، واذا اخطات مصر فان زعامتها تقتضي ان يغتفر لها الخطا ، بل ان يقلب حسنة ، واذا قصرت فان التقصير من مزايا الزعامة ، واذا ضلت وتخبطت واساءت وافسدت ، فان من الخيانة للزعامة ان تحاسب على شيء في ذلك » ثم انحى باللائمة على حكومة مصر التى لم يظهر اسمها بين اسماء الدول العربية التي تدخلت بالسعي الحسن .

واجيء الآن الى مثل آخر من السجال بين « الشرقية » و « العربية » ، فقبل اربعين سنة ، وجهت السيدة هدى شعراوى (زعيمة الحركة النسائية بمصر) ، الى سيدات مصر وسورية

فلسطين ولبنان والعراق الدعوة الى مؤتمر يعقد القاهرة انتصارا لقضية فلسطين ، وانتدبت مشورة في الموضوع ويممت القاهرة ، وقد دونت يومياتي ، بتاريخ ١٢ اكتوبر ، تشرين اول ١٩٣ تفاصيل اللقاء الاول الطويل والسيدة هدى قصرها الشرقي بحضور الآنستين ايفا حبيب المصري وحواء ادريس ، ثم قلت : « ولكن الشيء الوحيد الذى اقترحته ولم يظفر بموافقة السيدة هدى ، رغم قوة حجتي والحاحي ، هو جعل اسم المؤتمر : « المؤتمر النسائي العربي » واصرت السيدة في عناد على ان يكون اسمه « المؤتمر النسائي الشرقي » ومما قلت لها : « الهند الصين والبابان من الشرق فاين ممثلاتها ! المؤتمر هو اول مؤتمر عربي في التاريخ تمثل فيه سيدات مصر وبلاد الشام والعراق .. انك يا سيدتي سنبايعين في هذا المؤتمر العظيم زعيمة نساء العرب لا زعيمة لنساء الشرق ! » ولكن السيدة هدى عنيدة ، ولا تتراجع وهي التي دعت الى المؤتمر وتكفلت بنفقاته ، وخشيت ان يؤدى الحاحي الىنفرتها منيفاذعنت محسبلا محوقلا..

ولكنني قدرت اننا في النهاية سنكسب المعركة ونكسب زعيمة لنساء العرب » .

وكان نجاح المؤتمر باهرا ، وحفلت خطب السيدة هدى بعبارتي : « امتنا العربية » « بلادنا العربية » ، ودعت في كلمتها الختامية ان يؤيد الله العروبة ، وقالت : « وعنى مصر التي نعتبر زعيمة البلاد العربية ان تبرهن على انها جديرة بهذه الزعامة ، خليقة بثقة العرب بها ، بان تقوم حكومة وشعبا في وجه هذا التيار الصهيوني بكل ما اوتينا من حكمه وسياسة وقوه معنوية ومادية .. واعتقد انها اذا قامت بالتدابير الحازمة لمقاومة الصهيونية واغراضها فانها لا تحمي فلسطين فقط بل تحمي نفسها .. » ثم تكررت تسمية المؤتمر بالمؤتمر النسائي العربيفي القرارات والبيانات والبرقيات .

اما السجال بين الفرعونية والعربية وذكرياتي واسانيدي حوله فارجو ان تكون موضوع مقال ثان . ■■

بيروت ــ اكرم زعيتر

المؤلف .. المؤلف

● حين اسدل الستار على المسرح بعد ان تم تمثيل مسرحية جديدة لجورج كاوفمان ، ارتفع نداء الناس من مؤخر المسرح (المؤلف المؤلف) ، ثم اخذت اصداؤه تتردد بين جنباته، ورآه بعضهم واقفا قرب ردهة التمثيل وساله « لماذا لم يحي الهاتفين؟» فقال : «كنتمشغولا أهتف معهم : المؤلفالمؤلف» .

كما تضربين بابا !

● كان جمهور المتفرجين في دار السينما يتابع بشغف المشهد المثير بين بطل القصة وبطلتها - وبلغ بهم التوتر اقصاه عندما لطم الاول الثانية لطمة قوية على وجهها وفجأة وسط هذا السكون سمع صوت الطفل قائلا لامه : ماما .. لم لم تضربه هذه المرأة مثل ما تضربين بابا ؟ -

سألت الشيوخ

● قلت يوما لعمتي البالغة ٧٣ سنة من العمر : عجبا ! اترى الناس الذين يشيخون يحسون بان روحهم قد شاخت ؟فقالت عمتي : « لا انهم لايحسون فقد سألت الشيوخ ! »

هل نكف عن عداء الطبيعة ؟

حـل مجـانى لأعقـد مشـكلات الانـ

بقلم : الدكتور سعود عياش

**يحظى موضوع الطاقة بشكل عام باهتمام متزايد فى عالم
كان للأزمة التى حدثت في اعقـاب اكتـوبر ١٩٧٣ دور
الأضواء على هذا الموضوع الحيوى. وقد ازداد استهلاك الـ
بشكل كبير خاصة فى فترة ما بعـد الحرب العالمية الثانية
من عام ١٩٥٠ ــ ١٩٧٢ تضـاعف استهلاك العالم من الطا
وفى نهاية هذه الفترة كان استهلاك العالم من الطاقة يتـز
٣ر٥ ٪ سنويا .**

لقد كان من نتائج هذه الزيادة فى استهلاك الطاقة أن ازداد ادراك الانسـان بأن مصادر الطاقة الحالية من فحم وغاز وبترول لن تكفيه لمـدة طويلة ، اذ ان الكميات الاحتياطية من مصـادر الطاقة هذه محدودة ولا يمكن التعويض عنها . كذلك ، ازداد ادراك الانسـان لاخطار تلوث البيئة الناتج عن اشكال الاستعمال الحاليـة لمصادر الطاقة . فالغازات الناتجة عن احتراق الفحـم والغاز والبترول تقوم بتلو
كما تقوم النفايات الملقاة فـ
البحر وتعريض الاحياء الـ

وقد شكلت هذه العو
حقيقية من اجل البحث ء
ديمومة واكثر نقاء ، بمعنى
الى حد كبير اخطار تلويث
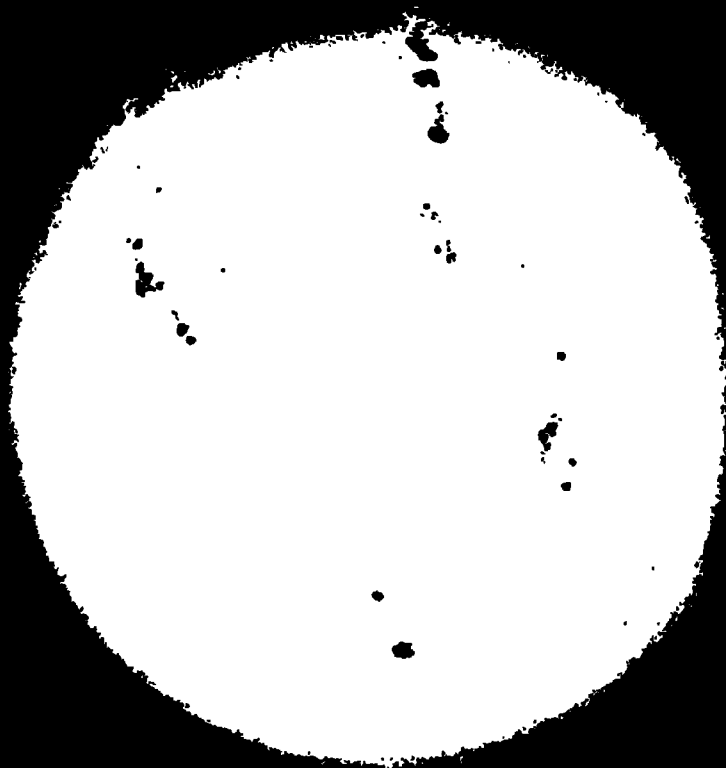
الشمس : مصدر
هائل لطاقة مجانية

جهاز لتحليه المياه يعمل بالطاقه الشمسيه

المجال ، تحتل الطاقه الشمسية موقعا هاما وتمثل أحد اهم المصادر للطاقه البديله .

الشمس كمصدر للطاقة

من الثابت ان الحياه بشكلها الحالي غير ممكنة على كوكبنا بدون وجود الشمس . كذلك فان الشمس تلعب دورا رئيسيا في تشكيل مصادر الطاقة الاخرى الممكن استعمالها . فالطاقة التي يمكن توليدها من الرياح ومن حركة امواج البحر ليست في النهاية الا نتائج لتأثيرات الشمس على الارض باعتبار أن الشمس تلعب دورا فعالا في حركة الرياح وحركة امواج البحر . لكن حين يجرى الحديث عن الطاقة الشمسية ، فان المقصود بذلك هو التأثيرات الناتجة عن الاشعاع الشمسي على سطح الارض والتي يمكن الاستفادة منها في أغراض استخدامات الطاقة .

وتشكل الشمس مصدرا هائلا للطاقة ، يمكن للانسان استخدامه في العديد من المجالات . وتقول بعض الاحصاءات بان معدل الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الارض خلال العام الواحد تعادل ما يستهلكه العالم من جميع مصادر الطاقة بحوالي ٢٠ الف مره . وبناء على هذه المعلومات فقد تم تقدير ان ٢ ٪ من مساحه الولايات المتحدة كافية لتوفير جميع احتياجاتها من الطاقة في عام ٢٠٠٠ . كما أن ٢ر٦٪ من مساحة الكويت كفيلة بتلبية متطلبات الكويت من الطاقة . ان هذا يدل على المقدار الضخم من الطاقه « النقية » الخالية من عواقب التلوث والتي يمكن استغلالها لتلبية متطلبات البشر .

٣ مجالات للاستخدام

هناك ثلاثة مجالات رئيسية يمكن من خلالها استغلال الطاقة الشمسية وتحويلها الى أشكال أخرى نافعة من الطاقة وهذه المجالات هي :

١ ـ التحويل الكيماوى للطاقة الشمسيه ، وينطوى هذا المجال على استخدام الطاقة الشمسة لانتاج بعض أنواع الوقود كالهيدروجين والميثان والكحول وكذلك العمليات العضوية التي تحدث في الكربوهيدرات بتأثير الطاقة الشمسية .

٢ ـ التحويل الكهربائي المباشر ، وفي هذا المجال يمكن تحويل الطاقة الشمسية الى طاقه

محطه طاقه كهربائيه تعمل على الطاقه الشمسيه

محطه لتجفيف الحبوب بواسطه الطاقه الشمسيه

كهربائيه بشكل مباشر ، وذلك من خلال تعريض المواد شبه الموصلة Semiconductors الى اشعة الشمس . ويتم استخدام التحويل الكهربائى المباشر للطاقة الشمسية فى الاقمار الصناعيه وفى المحطات العلمية الموجودة فى اماكن من الصعب ايصال التيار الكهربائى لها .

٣ ـ التحويل الحرارى للطاقة الشمسية ، وهنا يتم تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة حرارية يمكن استخدامها فى الأغراض الصناعية وفى أغراض استهلاك الطاقة المنزلية كتزويد المنازل بالماء الحار وفى التدفئة والتبريد .ويحظى هذا المجال باهتمام واسع فى أعمال البحث والتطوير وذلك لسهولته النسبية ولتعددالاغراض التى يمكن من خلالها استخدام الطاقة الشمسية بالتحويل الحرارى .

ومما ساهم فى تركيز الاهتمام على مجال التحويل الحرارى للطاقة الشمسية حقيقة ان التكنولوجيا المطلوبة فى هذا المجال متطورةومتوفرة فى ذات الوقت بتكاليف اقتصادية مقبولة .فمثلا هناك مئات الالاف من البيوت فى العالم التى يتم تزويدها بالماء الساخن عن طريق استخدامالطاقة الشمسية وتنتشر معظم هذه البيوت فى الولايات المتحدة واسرائيل واليابان . كما ان هناكالعديد من البيوت التى يتم تدفئتها كليا او جزئيا بالطاقه الشمسية . كذلك هناك الكثير منالبيوت التجريبية التى يتم تبريدها بمعدات تزود بالطاقة من الشمس . ومن الجدير بالذكر أيضا ان بالامكان تقطير مياه البحر بالطاقه الشمسية .

اما بالنسبه لاستخدامات الطاقه الشمسيه فى التحويل الكهربائى المباشر فان الكلفه الآن ما زالت عالية وتصل اضعاف كلفة الكهرباء المولده من مصادر الطاقة الحالية . غير أن العوائق العملية لم تكن يوما حجر عثره فى طريق تطوير المعرفة البشرية . وقد تم مؤخرا تقديم الكثير من الافكار والنماذج والتصاميم لتطوير فعالية اجهزة التحويل الكهربائي المباشر وتقليل كلفتها . وحيث ان موضوع الطاقه الشمسية تحظى باهتمام واسع وعالمى فمن المتوقع تطوير اجهزة فعالة فى المستقبل .

وسائل التحويل الحرارى

تقوم فكرة التحويل الحرارى للطاقةالشمسية على اساس خزن هذه الطاقة بشكل طاقةحرارية

فى الموائع (السوائل والغازات) أو الاجسام الصلبة ثم اعادة استعمالها بالشكل الملائم .وتتم عملية الخزن بواسطة انشاء مجمعات شمسية تمرد فيها سوائل أو غازات ترتفع درجة حرارتها ما بين دخولها وخروجها من المجمع الشمسى . وهناك نوعان رئيسيان من المجمعات الشمسية : المجمعات الشمسية المسطحه ـ والمجمعات الشمسية المقعره وتعرف أيضا بالمركزة .

يتكون المجمع الشمسى المسطح من لوحةمعدنية رقيقة تخترقها أنابيب ويطلى احد سطوح هذه اللوحة بمواد كيماوية خاصة لها قدره كبيره على امتصاص اشعة الشمس وقدرة منخفضة جدا على عكس هذه الأشعة أو اعادة اشعاعها . ثم توضع اللوحه فى صندوق ذى اطار معدنى أو خشبى ويكون وجه الصندوق المعرض للشمس من الزجاج. يمرر السائل المراد تسخينه فىالانابيب، وعند سقوط اشعة الشمس على اللوحة المعدنية ترتفع درجة حرارتها ، وتنتقل الحراره الى السائل المار فى الأنابيب فترتفع درجة حرارته .

اما المجمعات الشمسية المقعره فانها عبارة عن مرآة معدنية مقعرة وطويلة يمر فى خطمركزها أنبوب يحمل السائل المراد تسخينه . فحين تسقط اشعة الشمس على سطح المرآه فانها تنعكس وتركز على خط المركزحيث يمر الأنبوب. ويكون النتيجة رفع درجة حرارة السائل فى الأنبوب .

ان لكل نوع من المجمعات الشمسية مزاياه ومجالات استعماله . فمن الأفضل استعمال المجمعات المسطحة لتسخين الهواء لأغراض التدفئه وتسخين الماء لأغراض الاستعمال المنزلى ، حيث لا حاجة لرفع درجه حرارة الماء الى أعلىمن ٥٠ م. اما اذا كانت أغراض الاستعمال تقتضى درجات حرارة عالية أو تقتضى الحصول على بخار الماء فيفضل استعمال المجمعات المقعرة .

ومن جهة أخرى ، فان المجمعات المسطحة تستطيع امتصاص الأشعة الشمسية المباشره والأشعة المنتشرة أى الأشعة المنعكسة على الذرات العالقة فى الجو وعلى سطح الكرة الأرضية . اما المجمعات المقعرة فان باستطاعتها عكس الأشعة المباشرة فقط . ان ما يقرر أفضلية هذا النوع من المجمعات أو ذاك هو طبيعة الغرض الذى سيستعمل فيه الطاقة الشمسية . وفى العاده يتم تقرير ذلك من خلال اجراء الدراسات العلمية لأخذ العوامل الاقتصادية والفنية فى نظر الاعتبار.

حدود الطاقة الشمسية

كما ذكرنا ، فان كمية الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الكرة الأرضية كبيرة وكافية لاستخدامات الانسان من الطاقة . لكن هناك بعض العوامل التى لا يستطيع الانسان التدخل فيها أو التأثير عليها والتى بدورها تحدد آفاق استخدامات الطاقة الشمسية . ومن هذه العوامل :

١ ـ أن كميه الطاقة الشمسية على وحده المساحة ليست كبيرة ، وهذه بدورها محكومه بموقع الارض من الشمس . فمن المعلوم أن المسافه الفاصلة بين الارض والشمس ليست ثابتة وذلك بسبب ان مدار الأرض حول الشمس ليس دائريا . وبشكل متوسط فان كمية الطاقه العمودية الساقطه على المتر المربع الواحد من سطح الغطاء الغازى حول الكرة الأرضية يعادل ١٫٥ كيلو واط . لكن هذه الطاقه لا تصل كلها الى الأرض وذلك بسبب الأغلفة الغازيه المحيطه بالكرة الأرضيه والتى تقوم بامتصاص جزء من طاقه الشمس .

على هذا فان معدل الطاقة الشمسية العمودية الساقطة على سطح الكرة الأرضية أى بعدمرورها بالغلاف الغازى تعادل كيلو واط واحد على المتر المربع . لكن الأشعة الشمسية لا تسقط بشكل منتظم وعمودى على سطح الكرة الأرضية وانما تختلف شدتها من منطقة الى أخرى اعتمادا على موقع تلك المنطقة من خط الاستواء وموقع الأرض فى مدارها حول الشمس . وفى الكويت التى تقع على خط عرض ٢٩° ـ ٣٠° ، فان معدل الطاقة الشمسية على المتر المربع الواحد يصل الىحوالى ٥ كيلو واط فى اليوم الواحد . ان هذا من المعدلات العالية ويبين مدى الامكانات المتوفرة

شواظ شمسي

ستغلال الطاقة الشمسية في الكويت ودول الخليج
ربي وبقية اجزاء الوطن العربي .

ان هذا المعدل العام للطاقة الشمسية
ساقطة على وحدة المساحة يعني ان استخدامها
تاج الى مساحات واسعة من الخلايا والمجمعات
شمسية . فالخلايا الشمسية المتوفرة حاليا
مل بكفاءة في حدود ١٠ – ١٥ ٪ . وعليه
لننا تصور المساحات المطلوبة لانتاج الطاقة
لهربائية المباشرة من الشمس .

لكن ما يفتح المجال واسعا امام استغلال
طاقة الشمسية هو حقيقة ان نسبة كبيرة
، استهلاك الطاقة الكهربائية يمكن الاستعاضة
، بالتحويل الحراري للطاقة الشمسية .
لولايات المتحدة مثلا تستهلك حوالي ربع انتاجها
الطاقة في اعمال التدفئة والتبريد . والكويت
ستهلك اكثر من نصف انتاجها من الطاقة
كهربائية في اعمال التدفئة والتبريد . وهنا
ن للتحويل الحراري ان يحل محل استعمال

الطاقة الكهربائية وبذلك يقلل من متطلبات الطاقة الكهربائية .

٢ – اما العامل الاخر الذي يحدد استخدامات الطاقة الشمسية والذي لا يستطيع الانسان التدخل فيه فهو ان الطاقة الشمسية لا تصل الى الكرة الارضية بشكل منتظم . فهناك النهار حين تسطع الشمس ، وهناك الليل حين تختفي. ثم هناك صيف يكون الاشعاع الشمسي فيه عاليا والجو صافيا ثم هناك شتاء غائم او ماطر والاشعاع الشمسي فيه منخفض . بالاضافة الى ذلك هناك التغيرات في طول النهار وقصره وتغير عدد ساعات الاشعاع الشمسي .

ان هذا الوضع اللاانتظام لسقوط اشعة الشمس على الارض يقتضي القيام بتخزين الطاقة الشمسية باشكال مختلفة لاستعمالها وقت الحاجة .

ان ادراك هذه التحديات التي تفرضها الطبيعة على الانسان في مجال استخدام الطاقة الشمسية لا بد وأن يدفع به للتفكير العقلاني في استخدامه للطاقة بشكل عام ، وللعمل على التاقلم مع المعطيات الطبيعية المفروضة عليه .

ان الطاقة الشمسة مصدر هائل و « مجاني » و « نقي » . لكنها من الجانب الاخر مصدر طبيعي يفرض على الانسان تحديدات لابد من اخذها في عين الاعتبار . لقد دفعت الحضارة الحالية الانسان في طريق معادلة الطبيعة من خلال تلويثها وتبذير مصادرها بشكل لا عقلاني . والآن تتلمس هذه الحضارة بعض ازماتها والطريق المسدود الذي تسير فيه . وربما تؤدي محاولات الانسان الحالية في استخدامه للطاقة الشمسية الى انشاء علاقات متناغمة وعقلانية مع الطبيعة . وعلى مر التاريخ الانساني ، لعبت الطاقة دورا هاما في تكييف حياة الانسان ومفاهيمه ونظراته . والاغلب ان تلعب الطاقة الشمسية دورا نامل ان يكون ايجابيا . ■■

الكويت – د . سعود عياش

معهد الكويت للابحاث العلمية
قسم الهندسة – الطاقة الشمسية

أقوال معاصرة

■ ان الحد الادني لمهمتي هوالعمل علىالتضامن العربي الذى يترنح . لماذا أبقى اذن ؟ — **محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية قبل استقالته**

■ لقد تجاوزنا العـديد منالجبال ، ولكننا ما زلنا بعيدين عن الارض الموعودة . — **المهندس مهدى بازرجان رئيس وزراء ايران**

رضا بهلوى

■ لو اعطونى فرصة ثلاث سنوات اخرى ، لحققت لهم احلامـــا كثيرة !

امبراطور ايران السابق محمد رضا بهلوى

■ الاتفاقات امريكية الصنع مثال للشعوذة الدبلوماسية ، فهـي تعطى كل طرف كل شيء ، ولا شيء فى آن واحـد . وهى تعطى لاطراف النزاع ما يعطيه الساحر لجمهوره ، اشيـــاء تتلاشى امام عينيه ، فلا يستطيع الامساك بها .

مجلة ايكونومست البريطانية .

محمود رياض

■ مايجرى في القدس وباقي الاراضى المحتلة يمس جوهر وروح الثورة الايرانية .

جمال سميران مندوب حكومة الثورة الايرانية لدى مجلس الامن .

■ مهمة المفكر العربى هى ممارسة حريته ، لا السعى الـــــى تأمينها

الكاتب العربى كلوفيس مقصود

كارتر

■ نحن فلاحى ولاية جورجيا ، نعتذر لكلفلاحى الولاياتالمتحدة الامريكية ، لاننا قدمنا الى البيت الابيض رجلا مثل جيمى كارتر !

لافتة استقبلت الرئيس الامريكى فىمسقط راسه.

■ القدس عاصمة ابدية لاسرائيل والحكم الذاتى للسكان وليس للارض ، ولا عودة الى حدود ٦٧ !

رئيس الوزراء الاسرائيلى مناحيم بيجين بعد الاتفاق على معاهدة الصلح .

مهدى بازرجان

■ لقد اصبح هذا رمز امريكا فى الخارج : سفير يحمل تحت ابطه علما مطويا ، بينما يهرول متجها نحو طائرة هليكوبتر هاربـــة !

السناتور رونالد ريجان

■ عندما يتقاتل الشيوعيون مع بعضهم البعض ، يجب ان نقف بعيـدا .

الرئيس الامريكى جيمى كارتر

سد احتياجات الناس اولاً أم مشروعات الصناعة الكبيرة ؟

بقلم : د · عبد الكريم الاريانى *

يدور اليوم نقاش على مستوى المؤسسات والافراد المهتمين بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى العالم الثالث حول فلسفة التنمية واهدافها بعد تجربة مضى عليها ما يزيد على ربع قرن · والجدل المحتدم هو حول العلاقة بين الهدف العام للنمو الاقتصادى الذى يقاس بالمعدل السنوى لزيادة الدخل القومي ، بصرف النظر عن المنتفعين من تلك الزيادة ، ومدى تحقيق ذلك النمو للغرض الاساسي فى التنمية وهو سد الاحتياجات الاساسية للفئة المحرومة منها فى ذلك المجتمع الذى نعمل على تنميته اقتصاديا واجتماعيا · وبينما لا يكاد يختلف اثنان على ان هذه الاساسيات هى الغذاء والمأوى والصحة والتعليم ، الا ان انغلاف قائم على اشده حول افضل السبل وانجعها لتوفير تلك الاحتياجات الاساسية للغالبية العظمى من المعوزين والمحتاجين فى المجتمعات النامية اليوم·

لقد سادت الفكر التنموى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع عقد السبعينات نظرية « تسرب المنفعة » والتى تعنى باختصار انه تحت ظروف المنافسة الاقتصادية فان المنافع الناجمة عن تنفيذ مشروع اقتصادى معين سوف لا تنحصر فى اصحاب المنفعة المباشرة منه بل ستتسرب منافعه الى فئات اخرى من المجتمع ولو بصورة غير مباشرة، ومن هذا المنطلق فان بناء سد عظيم ورى مساحات

---

* مستشار بالصندوق التنمية الكويتى ووزير الاقتصاد اليمنى الاسبق

شاسعة من الارض مثلا سوف ينتفع منه بصورة مباشرة ملاك الاراضى ولكن منافعه ستتسرب أيضا الى مستاجرى الارض وعمال اليومية فيها ، وحتى الى الفئات التى لا تعمل داخل القطاع الزراعى بتاتا •

نتائج لم تتحقق

لقد فوجئت مؤسسات التنمية الدولية عندما قومت المنافع الناتجة من اقامة المشاريع الصناعية المعقدة وبناء السدود العظيمة وشق قنوات الرى الطويلة ، وتطبيق اساليب « الثورة الخضراء » التى استحوذت على التنمية الزراعية فى عقد الستينات ، فوجئت هذه المؤسسات بان ما تسرب من منافعها الى الفئات المحرومة فى مجتمعات شبه القارة الهندية وشرق آسيا مثلا كان محدودا جدا وذلك يؤكد ان هذه النظرية لا تنطبق تلقائيا ، فهناك عوائق اجتماعية وسياسية وأحيانا تقنية تحول دون تحقيق الغرض الاساسى من هذه المشروعات وهو سد الاحتياجات الاساسية لهذه المجتمعات ، ولذلك بدأ البعض منذ أوائل السبعينات يدعو الى تبنى فلسفة جديدة فى التنمية تقوم على اعطاء الاولوية لسد الاحتياجات الاساسية للفئات المحرومة فى المجتمعات النامية ، وقد اقر هذه الدعوة المؤتمر الدولى للاستخدام فى يونية ١٩٧٦ كما تبنتها منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية فى يونية ١٩٧٧ حيث اكدت حينها على ضرورة تحقيق غرضين اساسيين فى التنمية هما النمو الاقتصادى بشكل عام من أجل توفير الخدمات الاساسية للانسان بشكل خاص •

ليس مستغربا أن يرى البعض فى الدعوة لاعادة توجيه التنمية وتبنى مشاريع بالمتطلبات الاساسية للانسان محاولة للتقليل من قدرة الدول النامية على استيعاب التكنولوجيا الحديثة ، بحجة ان سد الاحتياجات الاساسية لا يتطلب مستوى عاليا من التقنية • وان يروا فيها تثبيطا لهمم الدول النامية عن تنمية القطاعات التى يعتبر انتاجها منافسا فى الدول المتقدمة كالصناعة مثلا : كما يرى البعض الاخر ان تعميم منافع التنمية على اكبر عدد ممكن من ابناء المجتمع لن يتحقق الا اذا تبنت الدول النامية نفسها مبادىء اساسية فى سياساتها تؤدى الى اعادة توزيع الدخل وتوسيع قاعدة المنتفعين بزيادته وذلك يعنى بالضرورة الزج بمؤسسات التنمية الدولية والاقليمية والحكومية فى الشئون الداخلية لتلك الدول •

ولكن الذين يدعون الى ضرورة تبنى فلسفة جديدة فى التنمية يضعوننا أمام الحقائق التالية المبرهنة على ان النمو الاقتصادى الذى حققته الدول النامية على مدى ربع قرن من الزمن لم يف بالغرض الذى من اجله قدمت المعونات والقروض الميسرة فى سبيل التنمية بالانسان وللانسان : ـ

اولا : بينما يعدد علماء التغذية ٢٣٥٠ وحدة حراوية من الغذاء اللازم للفرد البالغ يوميا لكى يعيش ويمارس عمله اليومى بصورة عادية، نجد ان ٤٠٪ من سكان العالم الثالث لا يحصلون اليوم على هذا القدر الضرورى من الغذاء •

ثانيا : هناك زيادة حقيقية فى نسبة سكان العالم الذين لا يحصلون على الماء النقى ولا على الخدمات الصحية الاساسية ويزيد عددهم اليوم على الف مليون نسمة •

ثالثا : يزيد عدد الاطفال الذين هم خارج المدارس عن ٣٠٠ مليون طفل وعدد البالغين الذين فاتتهم فرصة التعليم عن ٨٠٠ مليون فرد وهذا العدد فى تزايد مستمر •

رابعا : على الرغم من انه يصعب تحديد مشكلة الاسكان رقميا الا انه من السهل التعرف على مأساة الملايين من البشر الذين يأوون الى شوارع كلكتا وأكواخ كاركاس وازقة جاكرتا ومقابر القاهرة ومعظم المناطق الريفية فى غابات افريقيا وادغال آسيا وامريكا اللاتينية •

مشكلة الانسان العربى

فى وطننا العربى الذى تنتمى جميع اقطاره الى مجموعة الدول النامية يطرح السؤال نفسه : هل نحن بحاجة الى تبنى فلسفة تستهدف سد الاحتياجات الاساسية للانسان العربى فى مأكله ومسكنه وفى صحته وتعليمه ؟ وهل يعنى ذلك أن علينا كمجموعة عربية قاسمها المشترك هو الانسان

الاحتياجات الاساسية فى الوطن العربى
أ ٠ التعليم (١٩٧٥)

اسم البلد	عدد المسجلين فى المرحلة الابتدائية كنسبة مئوية من الفئة العمرية للمرحلة	عدد المسجلين فى المدارس الثانوية كنسبة مئوية من الفئة العمرية للمرحلة	عدد المسجلين فى مراحل التعليم العالى كنسبة مئوية لفئة العمر ٢٠ ـ ٢٤	النسبة المئوية للملمين بالقراءة والكتابة بين الكبار
مصر	٧٢	٤٠	١٣	٤٠
السودان	٤٠	٢٧	٢	١٥
ليبيا	١٤٥	٤٥	٧	٥٥
الجزائر	٨٩	١٩	٣	٣٥
المغرب	٦١	١٦	٣	٢٦
تونس	٩٥	٢٠	٤	٥٥
موريتانيا	١٦	٣	١	٢٠
الصومال	٥٨	٢	١	٣٠
العراق	٩٣	٣٥	٩	٢٦
سوريا	١٠٢	٤٨	١١	٥٣
لبنان	١٣٢	٣٨	٢٣	٦٨
الاردن	٨٣	٤٢	٤	٦٢
السعودية	٤٤	١٦	٣	١٥
اليمن الشمالى	٢٥	٣	١	١٠
اليمن الجنوبى	٧٨	١٩	١	١٠
الامارات	١٢٤	١٠	٣	١٥
الكويت	٩٥	٦٠	٧	٥٥
البحرين	٧٧	٤٥	٧	٤٧
قطر	٩١	٢٠	١	٢٠
عمان	٣٠	٣	١	١٠
المانيا الاتحادية	١٢٩	٧٠	٢١	٩٩
اليابان	١٠٠	٩٥	٢٥	٩٩

العربى او كدول مستقلة يعنيها رخاء ورفاهية مواطنيها ان نعيد ترتيب الاولويات التى تحكم اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى خططنا ام ان التفاوت فى درجات النمو بين هذه الاقطار لم يعد يسمح بتعميم نظرية واحدة على مجتمعاتها لان مايصبو اليه المواطن العربى فى عدن وصنعاء أصبح يبعد كل البعد عما يحتاجه المواطن فى دمشق والقاهرة او فى الجزائر وبغداد ؟ ٠

للاجابة على هذه التساؤلات نحيل القارىء اولا على الجدولين الاحصائيين التاليين رقم أ و ب اللذين يوضحان مستوى ما يحصل عليه المواطن العربى من خدمات اساسية وهى الغذاء والصحة والتعليم ومقارنة ذلك بما يتمتع به مواطنو دولتين متقدمتين هما المانيا الاتحادية واليابان ٠

يجد القارىء ان هذين الجدولين يعكسان بوضوح اولا التباين الشديد فى درجات النمو بين أجزاء وطننا العربى بشكل عام ٠ ولكنهما يؤكدان على وجه الخصوص ان الغالبية العظمى من اولئك البشر الذين يعيشون على ارضه والذين هم هدفنا الحقيقى فى التنمية لايزالون يعيشون تحت ظروف سيئة صحية وتعليمية والى حد ما غذائية ناهيك عن مانعرفه جميعا عن سوء الاحوال السكنية فى ريفنا العربى ، وفى اغلب مدننا لا تبشر بانهم هم او ابناؤهم من بعدهم سيحصلون فى نهاية هذا القرن على احتياجاتهم الاساسية ٠

اذن ففى الوطن العربى الذى كادت تبح فيه بعض الاصوات منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ بان الفجوة بيننا وبين العدو الصهيونى هى فجوة علمية ـ تكنولوجية وان سدها يستدعى التركيز على استيعاب التقنية الحديثة وذلك بالعمل على بناء العنصر الاساسى فى عملية الاستيعاب هذه وهو الانسان العربى نفسه ولكن انى لذلك الانسان ان يكون قادرا على استيعاب هذه التقنية اذا لم نف له بحاجاته الاساسية ؟ ٠

خداع النفس

ان خططنا الانمائية تزخر جميعها بالمشروعات الصناعية ومشروعات الهياكل الاساسية ، وهي مشروعات يمكن الجزم بان معظمها درستها او ستدرسها شركات اجنبيةوستعد مواصفاتها شركات اجنبية وستورد الاتها ومعداتها بكل تاكيد دولة اجنبية ، واخيرا وليس آخرا قد نضطر في النهاية الى تشغيلها وادارتها بواسطة مؤسسات اجنبية وما ذلك بناجم عن قلة في العدد او عجز في التفكير او قصور في الفهم ، ولكنه ناجم عن خطأ في ترتيب اولويات التنمية وهو خطأ لا نتحمله وحدنا في الوطن العربي ولا تتحمله الدول النامية فحسب • بل يقع جزء كبير من اللوم على الدول المتقدمة نفسها وعلى مؤسسات التنمية الدولية والاقليمية التي خلقتها بعد الحرب العالمية الثانية، حينما كانت خطة مارشال لاعادة تعمير اوروبا حينئذ والنجاح الباهر الذي حققته مثلا يحتذى ، حتى ان الزعيم الراحل نهرو كان ممن تبنوا فلسفته بتحويل الهند الى مجتمع صناعي متقدم على غرار نموذج « مارشال » في اوروبا ، ولكنه غاب عن ذهن اولئك الذين وجهوا التنمية في دول العالم الثالث على ضوء اعادة تعمير اوروبا بعد الحرب ان مقومات التنمية الاجتماعية بكل معاييرها البشرية كانت قائمة في اوروبا اصلا قبل الحرب وان ما كانت تحتاجه المانيا مثلا هو اعادة بناء مصانعها ومعاهدها ومؤسساتها العلمية والتقنية التي شغلها فورا وادارها ثم طورها الالمان انفسهم ، وذلك هو ما يفسر انها لم تمض سوى سنوات قليلة حتى استغنت المانيا عن «المساعدة» الاجنبية واصبحت مصدرا هاما للقروض والمعونات الى دول العالم الثالث •

انه من باب خداع النفس ان نقول ان جمهورية مصر العربية مثلا بحاجة الى خطة كخطة مارشال لتحقيق نفس النتائج او حتى جزء من تلك التي حققتها المانيا او اليابان بعد الحرب لان البعد الزمني اللازم لتطوير المجتمع المصري بملايين من الاميين يصبح بعدا لايقاس الا بعشرات السنين حتى يرقى المجتمع المصري الى مستوى المجتمع الالماني بعد الحرب العالمية الثانية • ولا ادل على صحة هذا القول من احصائية اصدرتها في شهر اكتوبر الماضي اول دولة عربية وصلتها مطبعة « هايد لبرج » منذ قرن ونصف من الزمن تقريبا، والمطبعة هي رمز الحضارة الانسانية الحديثة وعنصر هام يسرده علماء التاريخ من عناصر الثورة الصناعية في اوروبا • وتلك الدولة هي جمهورية مصر العربية نفسها التي اثبتت تلك الاحصائية عنها ان الغالبية العاملين في القطاع الصناعي اميون لا يقراون ولا يكتبون ومع ذلك فان هذا القطاع يساهم بنسبة ٢٤٪ من الدخل القومي •

خطأ ترتيب الاولويات

ليس المراد مما سبق الدعوة الى ايقاف عجلة التصنيع او الى تاجيل بناء الهياكل الاساسية ولا الى عدم الاخذ بوسائل التكنولوجيا الحديثة سواء في حياتنا اليومية او في مختلف انشطتنا الاقتصادية كما ان احدا لا ينكر ترابط مكونات النمو الاقتصادي والاجتماعي بعضها ببعض • ولكنني اعتقد ان هناك خطأ في تطبيق مبدأ اقتصادي تعرفه ربات البيوت بله علماء التنمية، وهو خطأ في تصنيف الاولويات تحت ظروف لا تسمح لنا بعمل كل شيء في آن واحد ولا أن نشد جميع الحبال من اطرافها المختلفة في عملية واحدة • وهو خطأ فرضته كما اعتقد ارادات سياسية ومن امثلة ذلك ظاهرة التركيز الشديد في خططنا على المشاريع الصناعية فعلى الرغم مما لها من اهمية في التنمية الاقتصادية الا ان المحصلة من منافعها الاجتماعية محدودة ، والا فماذا يعني بناء مجمع للحديد والصلب يعمل فيه بضعة الاف من العمال ولكن يحيط به مئات الالاف من البشر الذين يعانون من سوء التغذية وانعدام الخدمات الصحية وتصل نسبة الا[illegible]

الاحتياجات الاساسية فى الوطن العربى
ب ٠ الصحة (١٩٧٥)

ـ سد	الوحدات الحرارية فى الغذاء المستهلك يوميا (١٩٧٣)	سنوات الحياة المتوقعة عند الولادة	نسبة وفيات الاطفال فى كل الف مولـود	عدد السكان لكل طبيب	النسبة المئوية للسكان المزودين بالمياه النقية
	٢٨٧٠	٥٢	١٠١	٢٣٤٠	٠٠
	٢٠٩٠	٤٩	١٣٢	١٢٣٧٠	٠٠
	٢٥٤٠	٥٢	١٠٠	١١٤٠	٨٧
	١٨٩٠	٥٢	٨٠ (عام ١٩٧٠)	٨١٣٠ (عام ١٩٧٠)	٧٧
	٢١٨٠	٥٣	١١٧	١٢٨٠٠	٠٠
	٢٢١٠	٥٤	٦٣	٩٨٠	٤٠
	١٨٠٠	٣٧	١٨٧	٢٥٠٠٠	١٠
	١٧٧٠	٤١	٠٠	١٥٥٦٠	٣٨
	٢٠٥٠	٥٣	١٠٤	٢٣٧٠	٦٦
	٢٠٥٠	٥٤	٢٢	٢٩١٠	٩٥
	٢٣٦٠	٦٣	٨٢	١٣٣٠	٩٩
	٢٤٠٠	٥٣	٢٢	٢٤٤٠	٠٠
	٢٠٨٠	٥٤	٠٠	٦٦٦٠	٦٤
ـسمالي	١٨٠٠	٤٥	١٦٠	٢٦٤٤٠	١٠
ـعودي	١٨٠٠	٤٥	١٤٠	١١٤٦٨	٠٠
	٢١٠٠	٤٥	٠٠	٩٩٥	٠٠
	٣٤١٠	٦٧	٤٤	١١٤٠	٨٩
	٢٣٥٠	٦٥	٥٠	١٦٠٠	٩٨
	٢٠٠٠	٥٠	٠٠	١١٢٥	٠٠
	١٨٠٠	٤٥	١٥٠	٥٥٨٦	٢
ـعاربة	٢٩٤٠	٧٥	١٠	٠٨٥	١٠٠
	٢٤٥٠	٧٢	١٠	٠٨٧	١٠٠

بينهم الى اكثر من ٥٠٪ ؟ ان المنافع السياسية فى بعض هذه المشاريع تفوق جدواها الاقتصادية وقيمتها الاجتماعية ٠

اخيرا اننا لا ننكـر الحـيرة التى يواجههـا المخطط فى اية دولة نامية حيث تفرض المعطيات الاقتصادية لذلك المجتمع حرمان ابناء اليوم مـن بعض ما يصبون اليه من اجـل ضمان مسـتقبل افضل لاجيال الغد ولكن واجبنا هو ان نبحث عن نقطة التوازن بين تضحيات اليوم وفوائد المستقبل وعندها سنجد ان مدرسة ابتدائية او مستوصفا ريفيا سيحتل مكانا فى الاولويات يسبق مشروع اقامة مصنع لانتاج الملابس الجاهزة من قطع القماش المستوردة مثلا وان تزويد الجامعة بمختبرات ومواد لتعليم ابنائنا فيها اكثر فائدة من تعبيد بضعة كيلومترات بالاسفلت حرصا على ملابس المسافرين من الاتربة المتصاعدة ومن هذا المنطلق فان السؤال الثانى الذى يفرض نفسه هو : ـ

اليس واجبا قوميا علينا ان نعيـد ترتيـب الاولويات فى خططنا لتصبح الاهمية الاولى لعملية بناء الانسان الذى بواسطته لن نستوعب التقنية الحديثة فحسب بل سنساهم فى احداثها وتطويرها؟

هذا راى يحتاج الى مناقشة ٠ ■■

الكويت ـ عبد الكريم الاريانى

المصادر : ـ تقرير البنك الدولى للانشـاء التعمير من التنمية فى العالم ٠ اغسطس ١٩٧٨

كتاب الاحصاء السنوى للامم المتحدة (١٩٧٥)

وثائق الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصاديـة العربية ٠

رحلتى من القانون الى التاريخ ..

سئلت خلال حياتى أكثر من مرة من بعض الاخوان ، ما الذى دفعنى الى كتابة التاريخ ، وانا بمهنتى محام من رجال القانون . وحينما منحت وسام الجمهورية من الطبقة الاولى فى العلوم والفنون ، نتيجة لحصولى على جائزه الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، وصفنى المرسوم « بالمحامى والمؤرخ » ، وسئلت عندئذ من بعض الاخوان ما هى العلاقة بين الصفتين ؟

بقلم : محمد عبد الله عنان

ان « المحامى والمؤرخ » وفقا لنص المرسوم الجمهورى ، هما عنصرا حياتى المهنيه والعلميه كلها ، ولست اشعر بان هناك اى تناقض بينهما، بل بالعكس اشعر ان كلا منهما يتمم العنصر الاخر . ولما كان هذا يتسم فى نظر بعض الاخوان والنقده بشيء من التناقض ، او يبدو انه تحول فى الحياه العمليه ، من ميدان الى ميدان آخر ، فقد رايت ان انتهز هذه الفرصه لاشرح وجوه التوافق والتكامل بين الصفتين من الناحيه المهنيه والعلميه .

واود اولا ان الفت النظر الى أن ابدع واقيم سلسله وضعت فى تاريخ مصر الحديث فى عصرنا، هى السلسله التى وضعها محام ومؤرخ ، هو المرحوم الاستاذ عبد الرحمن «بك» الرافعى المحامى، وهو فى نظرى ونظر الكثيرين يعتبر عمده المؤرخين المصريين فى القرن الذى نعيش فيه . فقد تناول تاريخ الحركه القومية بمصر منذ اواخر القرن الثامن عشر ، وقيام محمد على حتى ثوره سنه ١٩٥٢ ، فى عدة اجزاء متتاليه ، تناول فيها عصور محمد على وابراهيم وعباس الاول فاسماعيل ، فالثوره العرابية ، فحياه مصطفى كامل ثم حياه محمد فريد ، ثم ثوره سنة ١٩١٩ ،

التى بذل فى انجازها قرابه ثلاثين عاما ، وعده مؤلفات تاريخية اخرى ، تحظى كلها بحمد الله بكثير من التقدير .

والذى نود ان نلفت اليه النظر ، قبل كل شىء ، هو انه قد كان لدى رجال الحديث والمؤرخين المسلمين ، ما يعد بديلا للقانون ، او المحاماه ، مما يحقق نفس الاغراض ، التى تحققها البحوث القانونية والجدلية ، من نفى الروايات الراجحة ، وترجيح الروايات المدعمة بالاسانيد المتصله ، على الروايات الضعيفه ذات الاسانيد المنقطعه ، ويعد رجال الحديث بما يسمى مبدأ «الجرح والتعديل» فان الحديث لا يعتبر صحيحا ، فى نظر علمائه ، الا اذا تتابعت سلسله الاسناد من غير انقطاع ، وكانت هذه السلسله تتألف من اشخاص عرفوا بصدق الرواية . وهذا التحقيق يرجع الى حياه الاشخاص انفسهم ، والى الوقت والظروف التى عاشوا فيها . وقد تكفلت بذلك ، حسبما سنرى بعد ، كتب الطبقات العديده التى اغنت هذه الماده ، وقدمت لنا تاريخ الصحابة افرادا ، ثم تاريخ التابعين وتابعيهم ، ورواة الحديث الاوائل جلهم من اولئك . ونستطيع على ضوء الروايات الخاصه بالاشخاص ان نقضى بتجريح صاحب السند الحديثى او تعديله ، اي اعتباره اما مجرحا او معيبا فى روايته او عدلا صادقا فيها . وهذا المبدأ فى ذاته يمكن تطبيقه على الروايات التاريخية ، وذلك بالرجوع الى حياه صاحب الروايه ، ومكانته من الصدق والثقه ، ثم الى الروايه ذاتها ، وما يقترن بها من ظروف العصر الذى تسند فيه ، وظروف غير المعقول ، وغير ذلك .

وتطبيق المبدأ الحديثى اي الجرح والتعديل ، فى تقسيم الرواية والاسناد ، وتقسيم صفات صاحب السند ، وما يمكن ان يوجه الى سنده ، او الى روايته من وجوه الضعف او الريبة ، او ما يمكن ان تشهد بصحة روايته ومتانة سنده ، او بعبارة اخرى ما تشهد بعدالته ، هو نفس ما يفعله المحامى فى بحث جوانب التأييد او

النفي في اثبات واقعة معينة ، أو وجود الريبة او الصحة في الاعتداد بسند معين ، وهو نفس ما يفعله المحامي المؤرخ في تقييم رواية او واقعة تاريخية معينة ، وترجيح ما يؤيدها او يقويها على ما يمكن ان ينقدها او ينفيها ، وهو نفس عملية الجرح والتعديل بذاتها .

رجال الحديث والمؤرخون

ويلاحظ ان اكابر المؤرخين المسلمين ، معظمهم من رجال الحديث ، ولا سيما اصحاب التواريخ الكبرى . فالطبري ، والذهبي ، وابن الاثير ، والمقريزي ، وابن حجر العسقلاني ، والسخاوي ، وهم نماذج بارزة من أكابر المؤرخين ، هم كذلك من اكابر رجال الحديث ، ولمؤلفاتهم التاريخية منزلة خاصة من التقدير فيما يتعلق بالموضوعية وصدق الرواية . وما من شك في أن صفة المحدث كانت عاملا هاما في ابراز هذه المراجع التاريخية الوثيقة .

ذلك أن رجال الحديث ، يستطيعون بشهر سلاح الجرح والتعديل ، ان يشقوا لأنفسهم طريق الوصول الى الحديث « الصالح » او الحديث « الحسن » ، ويتنكبوا طريق الوقوع في طريق الحديث « الضعيف » . ومن ثم كان رجال الحديث هم اصدق الرواة واوثق المؤرخين . وقد اصبح لديهم بمرور الزمن تراث عريق من كتب الطبقات ، التي تبدأ بطبقة الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أول كتبه من الرواة عما سمعه او شهدته من اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافعاله وتصرفاته . وتنقل رواياتها في القول والفعل الى الطبقة التي تليها ، وهي طبقة التابعين ، ثم الى الطبقات التالية من اتباع التابعين . ومن هذا التراث العريق تستخرج السنة النبوية مؤيدة بالرواية المباشرة ، والاسناد المتصل ، عن اشخاص عرفوا بالأمانة وصدق الرواية ، وكانت صفاتهم في ظروف حياتهم تضفي عليهم ما يطمئن الى تلقي اسنادهم والاعتداد به .

ولدينا في التاريخ الاسلامي تراث عريض من تواريخ الصحابة والتابعين ؛ في مقدمتها طبقات ابن سعد ، وطبقات الحفاظ للذهبي ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، والاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر النمري الأندلسي ، وكتب كثيرة اخرى وضعت في تواريخ متأخرة ، ترجع الى بعضها البعض ، وتتصل بالتوالي . وهذه كلها بطبقاتها المتوالية ، ورواياتها الوثيقة في خدمة رجال الحديث ، وخدمة مبادئ « الجرح والتعديل » .

ورجل القانون الذي يعالج كتابة التاريخ يستطيع حسبما تقدم من جانبه أن يلجأ الى ما يمكن مقارنته بمبادئ الجرح والتعديل في تحقيق الرواية . فهو بحاسته الجدلية التي اكتسبها من ممارسة دراسة جوانب النزاع القانونية ومقارنتها ، يستطيع أن ينقد مختلف الروايات ، ويرجح منها الاقوى والارجح ؛ ولديه من حاسة الوزن والمقارنة ، ما يعينه على الوصول الى مثل هذه النتيجة ، وهو في صدد بحث الوثائق ومقارنتها خبير ماهر ، يستطيع بحاسته الجدلية والاستقصائية ، أن يقف منها على الاصل المقنع ، ويستطيع أن يستكشف منها المدسوس الضعيف ، فيسقطه من حسابه ، وبذلك يمكنه في معظم الاحوال أن يستكشف قيمة هذه الوثائق وأثرها الحقيقي في تصوير الوقائع ، وفي تقصي الحقائق المحيطة بها .

والخلاصة أن رجل القانون ، يستطيع بشهر سلاح الجدل والبحث المقارن ، ترجيح الرواية القوية على الرواية الضعيفة ، والوصول الى استكشاف الوثيقة الراجحة ، التي يمكن الاعتداد بها والاستناد اليها ، في تدعيم النص أو الرواية . ومن ثم كانت كفايته في كتابة التاريخ ، وبراعته المقرونة بالاطمئنان في تدوين نصوصه . ■■

الرباط ـ **محمد عبد الله عنان**

ترجمة غريبة لبعض أحداث طهران وإيران !

بقلم : فهمي هويـــدي

يبدو ان « حيرة مسلم هذا الزمان » قد دخلت طورا جديدا بعد الذى جرى فى ايران . ذلك انه اذا كانت الاسئلة المثارة حول التطبيق الاسلامي قد بقيت زمنا فى دائرة الجدل النظرى ، الذى يحتمل الأخذ والرد والاختلاف والاتفاق ، فان هذه الاسئلة ذاتها قد دخلت الآن المختبر الايراني ، فى امتحان لا يحتمل التأجيل والانتظار .

وهي مصادفة تثير الانتباه ، ان تجرى تجارب التطبيق الاسلامي خارج العالم العربي ، وان تجرى تجارب « الترقيع » الاسلامي داخله ، وكثيرون يذكرون بغير شك تلك الآمال التى كانت معلقة على « باكستان الاسلامية » عندما قامت فى عـام ٤٧ ، وكيف ان دعاة انفصال باكستان وفى مقدمتهم الفيلسوف الشاعر محمد اقبال ثم محمد علي جناح ـ مؤسس الدولة ـ كيف كان هؤلاء يقدمون فكرتهم باعتبارها تجسيدا لحلم المسلمين فى اقامة دولة الاسلام . ثم مضت سنوات وسنوات ، ظل الأمل خلالها يخبو شيئا فشيئا ، وبقى الحلم كما هو ، يداعب خيالات ذوى النوايا الطيبة داخل باكستان وخارجها .

وها نحن نواجه دعوة مماثلة فى ايران ، وان اختلفت التفاصيل والاساليب والثمن . فالمطروح امامنا الآن هو اعلان شديد الجاذبية والاثارة ، خطف ابصارنا فى توقيت بالغ الدقة . اذ بينما يعيش الجميع حالة من التخبط والانكسار والاحساس بمرارة الهزيمة على كل جبهة ، اذا بهضبة ايران تهتز ، ويتزلزل عرش الطاغوت ، وينهار صرح القهر ، ويتحول ٣٥ مليونا من المهزومين والمقهورين الى مارد جديد ، ينشق عنه الارض رافعا شعار « الثورة الاسلامية » .

وقد قدر لي ان أرى وجه طهران فى تلك اللحظات ، بينما نشوة النصر اسكرت الجميع ، وعلامات البشر بادية على كل الوجوه ، وشعارات الثورة الاسلامية على كل جدار ، والاصوات تنادي ان ها قد تجددت ثورة الحسين ، وبلغت مرادها . وآن اوان اقامة حكومة محمد عليه الصلاة والسلام .

ثم راحت السكرة وجاءت الفكرة كما يقال ، وعاد السؤال الكبير يطرح نفسه : كيف تقام حكومة محمد عليه الصلاة والسلام فى هذا المكان ، وهذا الزمان ؟

ومن جديد ، اطلت حيرة مسلم هذا الزمان !

●

لم يعد الشعار وحده يجدى ، ولم يعد « خبز الجنة » وحده يكفى ـ كما يقال ـ لأن هذه الملايين بحاجة الى « خبز القمح » ايضا . ويكشف حقيقة تغيب عن بال الكثيرين ممن يتصدرون الدعوة الى الاسلام ، هى ان الشعارات فى عصرنا هذا فقدت معناها حتى صار الشعار الواحد يحتمل الشيء ونقيضه . وجاز عقلا ولغة ان نتداول تعبيرات مثل « يمين اليسار » « ويسار اليمين » ايضا ! . نحن الآن فى عصر التفاصيل كما هو معروف .

لم يعد يهم ، ولم يعد يثير احدا ، ان ينادى البعض بالديمقراطية او الاشتراكيه او حتى الشيوعية ، لأن السؤال الاهم هو : كيف ؟

ونفس المعيار ينطبق على دعاة الثوره الاسلاميه . فقد حدث ان نجحت الثوره بالفعل ، وتحولت الى دولة ، وواجهت السؤال الكبير : كيف ؟

ولناخذ مثالا محددا ، هو قضية الديمقراطية . لقد جاءت الثوره بفكر منحاز الى جانب الحريه . وكان مما قاله لي احد اعوان الامام الخميني : اننا لم نسقط ديكتاتوريه الشاه ، لنمارس ديكتاتوريه جديدة . وفتحت الثوره باب ممارسة حرية التعبير للجميع ، حتى سمح لحزب « تودة » الشيوعى بأن يصدر علنا صحيفته السرية « الشعب » التى ظلت تتداول في الخفاء طوال ٣٥ عاما . ثم عندما طرح موضوع الانتخابات والبناء الدستورى المستقبلى صدر عن الامام الخميني تصريح يقول فيه اننا لا نريد ديمقراطية الغرب ، ولا نريد ان نكون مقلدين لاحد .

وظل موضوع صيغة الممارسه الديمقراطيه معلقا ، واسئلتها حائره بين من يقولون بجمهوريه اسلامية ، ومن يقولون بجمهوريه على النظام الغربي . الامر الذى فتح الباب لاثارة مجموعة من الاسئلة منها مثلا : هل يعتبر كل ما هو غربي او شرقي منافيا للاسلام ، حتى ولو لم يتعارض مع نصوص القرآن والسنة ؟ وهل يرفض الشيء بناء على جنسيته ، ام على اساس مدى اتفاقه او تعارضه مع النصوص من ناحيه ، ومصلحة المسلمين من ناحيه اخرى ؟ .. واذا كان الاسلام يقرر ان الاصل في الاجسام الطهاره ، والاصل في الانسان الحرية ، والاصل في الاشياء الاباحه ، لماذا اذن نفترض ان الاصل هو الحظر ، عندما يتعلق الأمر بتجارب الآخرين ؟

ثم ، في قضية الديمقراطية ، يسجل الامام الخميني في كتابه « الحكومه الاسلاميه » ان « الاسلام استبدل بالمجلس التشريعى مجلسا آخر للتخطيط ، يعمل على تنظيم سير الوزارات في اعمالها ، وفي تقديم خدماتها في جميع المجالات » . ورغم انه لا يشير الى الدليل الفقهى الذى بنى عليه هذا الراى ، الا انه مفهوم من سياق كلامه ، قبل وبعد هذه الفقرة ، انه لا حاجة لمجلس تشريعي في التطبيق الاسلامي ، على اعتبار ان التشريع قائم بالفعل في كتاب الله وسنة رسوله . وهو راى يتبناه آخرون في عالمنا العربي ، اما باقتناع حقيقى ، او تبريرا لأوضاع قائمة .

(هذا الراى يخلط بين الشريعة التى هي من صنع الله - وهي الاساس - والتشريع الذى هو من صنع البشر ، ولا غنى عنه . ثم انه يفترض ان مهمه المجالس النيابية هي التشريع فقط ، في حين ان هذه المهمة تظل استثناء في ظل أوضاع قانونية مستقرة ، وتصبح المهمة الاولى - والقاعده - هي الرقابة على مؤسسات الدوله السياسيه والتنفيذية .)

وفي حين تطرح الخميني هذا الراى ، نقرا رايا آخر في الديمقراطيه لآيه الله شريعتمدارى ، احد ابرز فقهاء الشيعة ، يقول فيه ان الصيغة المطروحة للديمقراطيه الغربيه لا تصطدم مع تعاليم الاسلام ، ويمكن العمل بها ، « مع تعديلات طفيفة » .

ورغم ان الموضوع لم يحسم بعد ، الا انه يثير في النهايه قضيه النظريه السياسيه في الاسلام ، ويطرح بالحاح ضروره تقديم هذه النظرية بصيغة لا تحتمل الشك او التأويل ، ولا تفتح الباب لاقاويل تتهم الاسلام بانه نظام ثيوقراطي وشمولي .

وتقودنا هذه النقطه الى مناقشة مسالة العوده الى حكومة محمد عليه الصلاة والسلام ، التى تثير لبسا آخر يعزز اتهام الاسلام بالشمولية . ذلك ان البعض يتعامل مع هذا التعبير على انه عوده الى « شكل » الحكومة ، وقت ان كان النبي عليه السلام هو مبلغ الرساله

ورئيس الدولة والمشرع والقاضي والقائد . وذلك وضع استثنائي يبرره ان النبي لم يكن يتصرف الا بوحي من عند الله ، خصوصا في اطار التبليغ والتشريع ، فضلا عن ان تلك صيغة كان يحتملها البناء السياسي والاجتماعي قبل ١٤ قرنا ، رغم ان النبي (ص) كان دائم الاستشارة لصحابته ، على ما هو ثابت . وهذا الشكل ، لا مكان له الآن ، اذ ليس لاحد أن يزعم انه موحى اليه ، بعدما انقطع الوحي بوفاة خاتم الرسل ، ثم ان طبيعة البناء السياسي والاجتماعي المعاصر لم تعد تقبل هذا الشكل بأى قدر .

وهناك فريق آخر يفهم هذا التوجه نحو حكومة الاسلام الاولى باعتباره استلهاما للوظيفة والدور — لا الشكل — لارساء المجتمع الاسلامي على اسس نقية وقوية ، خالية من الشوائب والبدع . على اعتبار ان صلاحية الاسلام لكل زمان لا تعني في الواقع القدرة على نقل الزمان الى وقت نزول الاسلام ، ولكن القدرة على نقل الاسلام الى بقية الازمان . حتى يظل التطبيق الاسلامي دائما خطوة الى الامام ، وليس تراجعا الى الخلف !

●

وقد اخترت قضية البناء الدستورى كنموذج لاحد اختبارات التطبيق الجارية ، المحددة والعاجلة ، التى لم تجد تصورا اسلاميا معاصرا متفقا عليه . ولم اتطرق الى موضوع تعقيداته كثيرة ، وتفريعاته اكثر ، مثل القضية الاجتماعية ، ورغم ان مسألة الحجاب « والشادور » قد اثيرت مبكرا واحدثت زوبعة كانت الثورة في غنى عنها ، مما دعا احد الكتاب الى القول — بحق — انه اذا كان الحجاب هو محور القضية ، فان الامر لم يكن يحتاج الى اشعال الثورة ، وتقويض عرش الشاه ، وتقديم آلاف الشهداء .

ورغم أن المسالة الاقتصادية لم يفتح ملفها بعد ، الا انها تظل في انتظار دورها في المختبر ، وان كان الفقه الشيعي قد تجاوز في هذا الصدد ما لا يزال خلافيا عند أهل السنة ، اذ يبيح فقهاء الشيعة — والامام الخميني بينهم — التامين وشهادات الاستثمار ، ويحرمون الفائدة في الايداع أو الاقتراض .

وما يعنينا في هذا كله أن العمل الاسلامي صار يحتاج الآن الى جهد العلماء والمخططين، باكثر من حاجته الى الخطباء والوعاظ ، وان ممارسة الدعوة شيء ، واقامة الدولة شيء مختلف تماما .

ويخطيء رجال الدين عندما يظنون أن « الفقهاء » او المجتهدين يستطيعون ان يقيموا دولة ، وهو الامتحان الذى تعثرت فيه الثورة الايرانية ، وتجاوزته بقدر . انهم يستطيعون ان يؤدوا دور المشاعل التي تنير الطريق للسفينة وترشدها ، ولكن ادارة السفينة وظيفة اخرى لها اهلها وعلمها وخبراتها ، وحتى تخصصاتها . وبغير تكامل هذه الادوار لن تصل السفينة الى بر الامان .

وكثيرا ما يقع رجال الدين في خطأ تبسيط الاشياء الى حد انهم يعطون لانفسهم حق الخوض في علوم القانون والاقتصاد والاجتماع والفلك والطب وغيرها . وهو منهج ربما كان مقبولا تماما قبل قرون ، عندما كانت معرفة الانسان محدودة ، وايضا الحقائق العلمية محدودة . ولكنه منهج مرفوض الآن بنفس القدر ، اذ لم يعد مقبولا لا من ناحية المنطق ولا من حيث الاسلوب العلمي السليم ، ولا حتى من اجل مصلحة المسلمين ، أن ينفرد مجتهد مهما بلغ علمه،بان يقول الكلمة الاخيرة في قضية اقتصادية مثلا، ما لم تكن كلمته هذه هى ثمرة حوار شارك فيه خبير الاقتصاد على الاقل ، هذا اذا لم يسهم معه خبراء القانون والاجتماع .

ولكن رجال الدين يعملون في واد ، وغيرهم في اودية اخرى كثيرة . وبين الطرفين تزداد حيرة مسلم هذا الزمان ، ومحنته !

وغير ذلك ، فثمة حقائق اخرى ـ تعنينا جدا هنا ـ نبهت اليها احداث ايران ..

● أول هذه الحقائق أن ما جرى في ايران ، قدم نموذجا جديدا لرجل الدين ، من ذلك الطراز الذي كاد ينقرض في عالمنا الاسلامي ، فضلا عن انها كشفت عن وجه للاسلام طمست معالمه بفعل الممارسات المريضة والعاجزة . ان رجل الدين كما رأيناه في ايران الثورة ليس هو مفتي « الحيض والنفاس » ـ بتعبير الامام الخميني ـ ولكنه مناضل يتقدم الصفوف ، حاملا السلاح الى جوار المسبحة ، ويعيش حياة الجماهير المسحوقة حتى النخاع . كما أن الاسلام الذي اطل على الجميع لم يكن باي حال « أفيون الشعوب » ـ كما اريد له ـ ولكنه قنبلة موقوتة في وجه الظلم السياسي والاجتماعي .

● ثاني هذه الحقائق ان موقف الفكر الاسلامي عموما في مواجهة الظلم لا غبار عليه في الواقع . ولكن هذا الموقف اتخذ طابعا اكثر حدة وممارسة ابعد في المربع الشيعي . وربما لان لهم تاريخا حافلا بالظلم والاضطهاد ، تصدى له الفقه الشيعي بحزم ، حتى اعتبر مقاومة الظلم نوعا من الجهاد ، الذي هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة بنص الحديث الشريف .

● ثالث هذه الحقائق ، أن الاستقلال الفكري لرجال الدين وتحررهم ، يجب أن يسبقه تحريرهم هم أولا . وقد كان من أهم الاسباب التي مكنت رجال الدين الشيعة من تحدي الظلم ومقاومته ، انهم مستقلون ماليا ، ولا تملك السلطة من أمر أرزاقهم شيئا . لأن « سهم الامام » الذي هو نصف خمس ما يربحه الشيعي كل عام ، يجب ان يقدم لمن ينوب عن الامام ، وهو رجل الدين ، طبقا للفقه الشيعي . ومن هذه الحصيلة ، يتعيش الرجل وينفق على متطلبات اداءه لرسالته . من مراكز الدعوة (المعروفة باسم « الحسينيات » نسبة الى الامام الحسين) الى المساجد والمدارس .

ونحن نعلم ان أكثر فقهاء أهل السنة كانوا يعملون ويرتزقون بعرقهم ويجتهدون . وفي العصور الحديثة ، عندما عرف الاحتراف بين رجال الدين ، اصبح ريع الاوقاف يمولهم ويغطي احتياجاتهم ، ويوفر لهم بالتالي هذا الاستقلال المالي . ولكن الغاء الاوقاف الاهلية ، واخضاعها برمتها لسلطة الدولة ، أغلق هذا الباب ، وتحول الجميع الى موظفين ، يهمهم الدرجة والعلاوة والمعاش ، وكان الذي كان !

● رابع هذه الحقائق انه قد آن الاوان لاجراء حوار سني شيعي ، يدرك فيه الجميع ان تلك الفرقة هي سلاح لضرب الاثنين ـ كما قال الامام الخميني بحق ـ ويتذكر فيه الجميع انهم يعتنقون دينا واحدا ومذاهب متعددة . وان احدى آفاتنا ان البعض ـ خصوصا في عصور الانحطاط الفكري ـ تعامل مع المذهب باعتباره دينا . والدين أمره معروف ، بينما المذهب « يؤخذ منه ويرد » بغير حرج . وسوف نعبر اختناقات كثيرة اذا ما كانت هذه الفرقة واضحة.واذا ما كانت ادارة الحوار موكولة الى العقلاء ، لا المتعصبين وقصار النظر .

● خامس هذه الحقائق ـ وآخرها ـ انه آن الاوان أيضا لأن نسقط تماما أي انعكاس للموقف المذهبي على معاملة المسلم . ورغم أن القضية ليست مثارة في بعض انحاء العالم الاسلامي الا أن لها وجودا مؤثرا في أقطار اسلامية أخرى . وقد كانت هذه التفرقة الشعوبية من ناحية والمذهبية من ناحية أخرى ، (هي من العوامل التي مزقت العالم الاسلامي واسقطت دولة الاسلام . واذا كانت عصور التدهور في تاريخنا قد شهدت مراحل ساد فيها « حكم » المالكية او الاحناف أو حتى الشيعة لبعض الوقت ، فانه ليس مقبولا بأي مقياس أن نعيش امتدادات هذه العصور ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين .

ولأن الموضوع دقيق وحساس بالنسبة للجميع ، فانني أكتفي فيه بهذه الاشارة العابرة . وكل لبيب بالاشارة يفهم ؟

ليس كل الشـر في الدهن

ليس هذا أول تحـذير من تعاطى المواد السكرية، ولن يكون الاخير ، لكنه يظل بلا جدال ، واحـدا من أهم التحذيرات التى اطلقت في هذا الصدد •

ذلك العـدو الحـلو القـاتل !

بقلم : الدكتورة صبيحة الدباغ

أصبح الموت فى أوج الرجولة وعنفوانها فـى تزايد مستمر فى عصرنا . مما يجعلنا ندرسـ القضية عن كثب . فمتطلبات الحضارة والارهاق الزائد على جهاز الدورة الدموية والاعصاب من الامور التى تستدعى الاهتمام . وقد قامت نظريات طبية عديدة على جانبى الاطلسى لتفسير هـــذه الظاهرة ومعالجتها واكثرها يتركز فى موضوع التغـذية ونوعيتها ، فالدكتور كيز فى الولايات المتحدة يزعم ان السر كامن فى الافراط فى تناول المواد الدهنيه مما يزيد من نسبة الكوليسترول فى الدم • فيفضى الى تصلب الشرايين والعطب القلبيه وارتفاع ضغط الدم . وما الى ذلك من الامراض التى تعجل بوفاة الانسان فى شرخ الشباب او ذروة الكهـولة المثمرة ، فيرد عليه من هـذا الجانب من الاطلسى ومن بريطانيا بالذات البروفيسور جون يودكن استاذ التغذية بجامعة لندن قائلا : ان الشر كل الشر ليس متأتيا من الدهنيات بل من السكريات . وينعت السكر بالقاتل الحلـــو

الابيض • بل لقد بلغ الامر بالبروفيسور يودكن حدا يقول معه : « لو كان باستطاعتي ، لمنعت منعا باتا بيع السكر ومشتقاته من حلويات ومن مختلف صنوف الكيك والبسكويت والشوكولاتـه والمرطبات والمشروبات الروحية ، ولاسيما ذات المذاق السكري لانقذ البشرية من اخطر الامراض وعلى راسها امراض القلب • »

اننا لا نريد ان نعابث البروفيسوريودكن فنقول له :«سيدي» ماتحاول فان هذا القاتل الحلو الابيض ياتينا مقنعا بالف قناع وقناع ومن العسير مكافحته واستئصال شأفته ، ولا جدوى من ذلك،بل الافضل العمل بمختلف وسائل الدعاية الطبية على الاقلال من تناوله لانه اكثر العناصر الغذائية اغراء بالتناول لمذاقه وللطاقة والحيوية والنشاط الذي يمنحه للانسان • اننا لا ننكر انه سبب من اسباب الجلطة القلبية ولكنه ليس المسئول الوحيد فالجلطة القلبيـة يجب ان تكون لها ممهداتهـا ومهيئاتها والعـوامـل الاخـرى المسـاعدة على ذلـك • فقد يحدث الموت نتيجة تشنج مفاجيء في عضلات الاوعية الدموية المغذية للقلب نتيجة انفعال نفسي عنيف سارا كان او محزنا او في أعقاب رجـــة عصبية . ولا دخل للقاتل الحلو الابيض في ذلك•

السكر والنقرس والجلد

ويصر البروفيسور يودكن الحجة العالمي في التغذية على ان استهلاكنا للسكر في زيادة مستمرة فقد كان انتاج السكر سنة ١٨٥٠ مليونا ونصف المليون من الاطنان في العالم،اما اليوم فقد جاوز السبعين مليون طن ، ولكن الاستاذ العلامة ينسى ان سكان العالم يومذاك ما كانوا ليتجاوزوا الالف مليون نسمة ، اما اليوم فهم ، حسب آخر احصاء طلعت به الصحف علينا قبل ايام مستندا على احصائيات الامم المتحدة ، قد بلغوا ثلاثة الاف وسبعمائة وثمانين مليونا ، مع ذلك فان معــــدل الاستهلاك الفردي في الشعوب المتقدمة قد زاد زيادة ملحوظة • ومعها ازدادت حوادث أضطرابات القلب •

اما في الدول النامية فان استهلاك السكر اقل بكثير . مع ذلك ففي بعضها الكثير من حوادث السكتات القلبية ، بسبب القلق وعدم الاستقرار السياسي •

فناحية من صراع الطب اليوم مع المرض لتجنب الموت المبكر انما تتخذ سبيل اكتشاف العلاقة بين استهلاك السكر والجلطة القلبية والدايابيطس أو البول السكري وتسوس الاسنان وسوء الهضم والسرطان ، فالطب في صراع مستميت مع هـــذه الامراض جميعا ، وقد اتخذ بعضهم نقطة الانطلاق السكر ، كما بينا ، بعد ان كـان المتهم الاول « الدهن » • فيزعم انصار هذه النظرية ان خمس السعرات الحرارية للجسم في البلدان الراقية مستخلص منه، وان الادمان المفرط على السكريات يؤدي الى تشحم الكبد وتضخم الكليتين والمـــوت المبكر • وثمة احصائيات تشير الى ان هناك علاقة بين بعض انواع السرطان والمقادير المستهلكة من السكر ، فمن ذلك مثلا سرطان الشرج وسرطان الثدي وسرطان الدم •

ويذهب البروفيسور يودكن واشياعه الى ابعد من هذا فيقولون بوجود علاقة بين الغذاء السكري من جهة والنقرس وداء المفاصل من جهة اخرى ، فالنقرس في عرف الكثير من الاطباء وثيق الصلة بالطعام الدسم والمشروبات الروحية ، وقد لوحظ ان حقن مادة الفركتوز او سكر الاثمار يزيد من مقدار حامض اليوريا او البول في الدم ، وهو اكثر انتشارا في الرجال منه في النساء ، وقد وجد انمعدل استهلاك السكر عند المصابين بالنقرس اعلى منه عند غيرهم بنحو الضعف ، ولهــؤلاء استعداد خاص لمرض تصلب الشرايين على هيئة بقع متفرقة •

وقد اتضح اثناء دراسة ارتباط امراض القلب باستهلاك المواد السكرية ان للسكر تاثيرا فـــي بعض الامراض الجلدية ومن بينهما ما نسميه بحب الشباب ، وكذلك في تسوس الاسنان وأمراض العين المتاتية من الاصابة بداء السكر •

ويقتلع اطباء الاسنان في بريطانيا وحدهـا اربعة ملايين سن متسوسة سنويا ، وقد تبين من دراسة الجماجم المتحجرة لانسان ما قبل التاريخ ، انه لا يكاد يوجد اي اثر لتسوس اسنانه ، وذلك قبل معرفته الزراعة واستهلاك المواد النشويـــة والسكرية •

حتى يطول العمر

لنعد الى امراض القلب القتـاكة فان نسبتها في شعوب افريقيا جد ضئيلة اذا ما قورنت بنسبتها

، الولايات المتحدة وبريطانيا التي ضربت الرقم ، ياسي في النهم السكري . هذا ما يقوله اعداء ـكر ولا ابغي معارضتهم . غير انني اود ان ، نر هنا استدراكا بين قوسين وهو ان الافريقي ، يداني يموت بادواء اخرى قبل ان يصل السن التي تقصم فيها الرجولة بامراض القلب نتيجة الاسراف السكري وليست عليه تبعات حضارية ضخمة . فالمقارنة في مثل هذه الحال تعتورهـا ملابسات ليس من السهل التغلب عليها .

غير انه من الامانة العلمية هنا ان نقول انـه اجريت تجارب عديدة على حيوانات من فصيلـة القواضم . فوجد ان التي كانت تغذيتها سكرية محضة عاشت اقل من سواها ، ويقـدر فريق من الباحثين ان الانسان الذي يستطيع ان يعيش سبعين عاما من غير ادمان على السكريات . قد لا يمكنه ان يعيش اكثر من خمسين عاما عند الافراطه في تناولها .

لقد استطاع الطب ان يزيد من معدل الحياة بانقاص وفيات الاطفال واطالة اعمار الشيوخ بمكافحة العدوى الجرثومية والفيروسية . ولـكنه لايزال في حيرة من امر انقاذ طائفة من الفئـة الوسطى ذات النشاط والحيوية التي تتهاوى على حين غفلة فتحرم المجتمع من المزيد من فعالياتها الهائلة التي تسير عجلة الثقافة والحضارة .

انالطب يحاولجاهدا مكافحةمرضين خطيرين هما مرض القلب والسرطان . ولاسيما الاول فهو اشد فتكا واكثر ضحايا ، ونظرية اعداء السكر هو ان السكر يكون مع المواد الدهنية مادة لزجة في الدم تفضي الى الجلطات القلبية . وقد البت السـر شارلسبيست احد مكتشفي الانسولين منذ ثلاثين عاما ان السكر يسبب تشحم الكبد كالكحول سواء بسواء،على انه يمكن الحيلولة دون ذلك باستعمال بعض انواع الفيتامين (ب) . وقد ابانت التجارب العديدة التي اجريت علىعددمنالشباب ان نسبة الكوليسترول في الدم ترتفع بزيادة مقادير السكر المعطاة لهم.ومن الطريف انه لم يلاحظ فيالشواب ولكنه كان واضحا في النساء المتقدمات في السـن بعد انقطاع الطمث .

ومن الغريب ان الدكتور كيز جاءنا باحصائيات من ستة اقطار عن علاقة الدهنيات بامراض القلب فصدقهالناسواكبروا شانه،بينما جاءنا البروفسور يودكين باحصائيات من واحد واربعين قطرا عـن علاقة اوثق للسكريات بامراض القلب،فهاجالناس وماجوا ورماه فريق من العلماء بالالحاد العلمي والمروق ، الا ان الرجل استمر في جهاده بموجب الخط الذي اختطه لنفسه وتمكن من الحصول على مليون دولار من كبريات الشركات المنتجة للسكر والحلويات ليثبت نظريته باجراء مزيدمنالتجارب.

وقد ركز انصار يودكن جهودهم على تفهـم ارتباط السكر بالجلطة القلبية بالدرجة الاولى. ذلك لان كل واحد من ثلاثة اشخاص ممن تجاوزوا الخامسة والاربعين في البلاد المتقدمة يموتـون بالنوبة القلبية ، لان مادة الكوليسترول في الدم تزداد كلما تقدم الانسان في السن وعليه بالاقلال من الدهنيات والاعتدال في الزلاليات والانقطاع جهد الامكان عنالسكريات والاكثار من الخضراوات وتناول اقل الفواكه احتواء على السكر .

ويقيني انه لو كان بمقدور يودكن وانصاره ان يمنعوا بيع السكر لفعلوا ذلك او لشرعوا قانونا يكتب بموجبه على كل علبة سكر او حلوى او شوكولاته ما نجده اليوم مدونا على كل علبـة سكائر في بريطانيا ، الا وهو : « تحذر من حكومة صاحبة الجلالة : بوسع التدخين أن يضر صحتك ! » ولاستعاضوا عن ذلك بعبارة :حذار من العدو الحلو الابيض القاتل ! » ■■

اكسفورد / د . صبيحه الدباغ

حتى لاانام

● قيل لفولتير الفيلسوف الكبير : « لماذا لم تذهب الى الاوبرا ؟ » أجـاب ـ أخشى أن أزعج النظـارة بغطيطي أثنـاء النوم .

تفرض التبدلات والتناقضات فى الظروف الاجتماعية والسياسية والحضارية ، التى يعيشها الانسان العربى ، تحولات هامة على الاشكال الادبية والفنية التى تحاول تجسيد الشخصية العربية •

ونستطيع أن نرصد نموذجا لهذه التحولات فى كتابات أديب مصر الكبير نجيب محفوظ •

ذلك أننا يمكن ان نجد عند (نجيب محفوظ) وبعد انزاء..ن شكلاومعنى اصيلا للرواية الواقعية النقدية كانت ذروتها ثلاثية « بين القصرين » ، يمكن ان نجد تحولات أساسية تتجاوز نوع الرواية الوصفية المستوفاة للشروط الاجتماعية والسيكولوجية ، والمستهدفة أساسا بناء نماذج نمطية لنوعيات الطبقة المتوسطة والحياة الشعبية فى الحارة المصرية •

ولعل أهم تجاوز لنجيب محفوظ كان فى روايته (المرايا) ثم فى عودته واستغراقه بعمق وملحمية وحساسية فى (تقصى معالم الحارة المصرية) كاصل للحياة ، ومنبع للاسطورة ومنجم للاحداث والشخصيات ، وتاريخ الفتوات ، ثم والاهم من ذلك التشوف لرؤى فكرية تتعلق بمعنى الزمن والموت والميلاد ، العدل والظلم ، البراءة والخسة، بحيث تصبح الرواية هنا شهادة وحلما ، والعا ومجازا رمزيا دليلا ومناجاة لمعنى الحياة والموت ، وقد بلغت قمة هذه المحاولة فى (ملحمته الحرافيش)•

ان المنهج الروائى فى (المرايا) أوصل الكاتب لشكل وبناء قابل لان تصبح الرواية شهادة على الانسان المصرى فى ربع قرن ، شهادة تغوص حتى

رؤية للغربة في

واقعه الاعمق والاهم . فهي تكشف وتجسد بتحليل عميق عناصر الواقع الاجتماعي وازمة الطبقة المتوسطة وتقدم المصير الذي ينتظرها ، غير أن دوافع الكاتب لتقديم هذه الشهادة الكلية برغم تحفظاته واستهدافه الموضوعية . تغرينا بالباتها ، لانها متناقضة وغير منطلقة لمداها البعيد ، ولانها اصطدمت بصميم مشكلات الحياة الشخصية والاجتماعية والعقائدية المتوافقة التي يعاني منها الكاتب نفسه . لقد قدم ترجمات لشخصيات هي دورات حياة وشهادات ساخرة ، حيث تنمو وتتحرك جميع صور العالم غير انها في النهاية آثار خاصة لا تنظر الى العالم وحواشي الحياة ، الا من خلال العقد النفسية والازمة الفكرية التي نسجت جوهر رؤية أبناء البرجوازية الصغيرة المصرية في تاريخنا الحديث ، وبالتحديد في الثلاثينات وحتى الان ، بحيث يمكن ان تصبح دراسة وجدانية للصعود الاجتماعي لابناء هذه الطبقة،وايضا العجز والشلل الذي بدأ يصيب عالمهم الاخلاقي ، وتقديم الاسانيد الاجتماعية لدورهم التاريخي في حياتنا ، وبالتالي ضياعهم ووحدتهم ، وبوارهم . والعودة للكشف المباشر عن طبيعة هذه النماذج على أرض الواقع ، وفي شكل وثائق تتضمن مغزى صريحا ، وهو ان المحاولات السابقة للتخلص من وطأة هذه المحاولات اصبحت غير مقنعة للكاتب نفسه ، وهي بذلك تقدم المنافذ وجهات نظر أصيلة لعلاقة الواقع بالفن ، وبغنى تحولات وخصوبة النفس الانسانية التي تمرد على الصياغة النمطية ، وما يسمى النموذج في الفن . ولسنا نبالغ لو قلنا ان الشخصيات الرئيسية المترجم لها هنا ، برغم تعددها وتنوعها وسحرها المزدوج ، لا تخرج عن عائلته الروائية وهم :

- انتهازيون وتجار فرص اجتماعية .
- ثوريون يطرحون افكارا يسارية تتغير وتتعمق مع تغيرات الصراع الطبقي،وهم كالاشباح الفكرية.
- متدينون لهم افكار حالمة عن عدالة تعانق ما بين السماء والارض ، وامتدادا لهم نجد مشايخ التصوف المحلقين أبدا في صفاء لا يتحقق ، غير اننا نقع في الخطأ لو اكتفينا بالابعاد الوثائقية والاجتماعية التي تكشف لنا عنها هذه الملحمة المعاصرة فثمة مشاكل ميتافيزيقية ، يغازلها الكاتب وتدور حول الموت والقلق ، وفقدان المعنى .

واخيرا قد يبقى تساؤل عن علاقة هذا العمل بالذاكرة وحدودها ، والى اى مدى هي اداة نفعية تقدم ما يتوافق او يعبر عن موقف الكاتب الفكري والاخلاقي وتترجم في نفس الوقت عن رؤيته السياسية ، لان الرواية تتجاوز دائما موضوعها ، فهي اكثر الفنون شبها بالحياة .

عالم الحارة

ولكن يبقى من طموح (نجيب محفوظ) في تحولاته الروائية ، وبعد أن أرخ ونقد وتأمل الحياة المصرية في نصف قرن ، بكل عوامل الحركة الوطنية والتطورات الاجتماعية وانعكاساتها على نمط وايقاع الحياة . يبقى (لنجيب محفوظ) ما اسسه وابدعه من (وحدة للمكان الروائي) وهو (عالم الحارة) ببعده (العيني والغيبي) .

حيث التكية والاناشيد والسور العتيق ، والقرافة (ارض المقابر) والزاوية وعالم الخلاء ، ثم حياة الحارة ، الميلاد والموت والحياة ، وقصة اجيال الفتوات ، وحياة الصعاليك ، والحرافيش في مزاوجة بين الحلم والواقع . لقد قدمت الحارة في عالم (نجيب محفوظ) الروائي على اكمل شكل واقعي في (زقاق المدق) ثم تحولت من حارة تدور فيها اصوات واقعية في الحاضر او الماضي القريب ، بمفهوم زمن الاجندة ، تحولت الى بعد اسطوري ، تناقش فيه قضية الحياة باشمل معنى ، والموت والعدالة والدين ومصير الصراع التراجيدي الابدي بين الشر والخير ، بين العنف والسلام بين البراءة والنذالة بين البكارة والعقم .

ان (اولاد حارتنا) تعبر عن حقائق العدالة والتقدم والخلاص في العلم ، تتفشى الان في الحاضر الدائم ، لكن هذا الحاضر المتعاقب يخلق في تتابع هذه الاحداث (بحارة الجبلاوي) زمانا لا متناهيا لنا في النهاية عن الشعور به ، انه زمان الرجوع الابدي لكنه ليس رجوع التاريخ . ان سلالة الجبلاوي (الجد واصل الحياة) وهم ورثة الوقف القديم يعانون ابدا اذلال ناظر الوقف ونبابيت الفتوات (عصيهم الغليظة) . ويتلمسون عبر اشجع ابناء الحارة ، حلولا نسبية لهذا الظلم بتوالي ادهم ، وجبل ورفاعة ، وقاسم واخيرا (عرفه) ، فالمقصود هنا بالحارة (تاريخ البشرية) وصراعها ضد القهر وهي تبشر برؤية حسية تكتشف في العلم الخلاص ، غير انها تعتمد على علم ممزوج بغلالة تصوف وحدس ، ونلمح فيه رغبة مثالية للدفاع عن القيمة العليا ، اصل وبداية ونهاية الاشياء .

ولسوف تتصل وتتنوع وتتعمق رؤية (نجيب محفوظ) لمعنى الحياة واصل الاشياء ودراما الخير والشر ، كل ذلك سيتراكم في رواية (حكايات حارتنا) خلال حياة مصرية مضاعفة متعددة الاشكال الاجمالية ، تتقدم بتصاعد ملحمي وعلى ايقاع (ربابة معاصرة) . هي ترجمات لشخصيات عادية وموحية معا ، ودورات حياة وشهادات ساخرة توصلنا في النهاية لنمو درامي ، بعيد المدى ، تتحرك في افقه جميع صور الحياة ، من الميلاد حتى الموت ، من البحث عن يقين واصل الكون حتى العلم وسخرية وعبث الفناء ، من الرحلة والمغامرة والصعلكة والجنس والحب ، حتى الهدوء والاستقرار في ظل معالم الحارة الابدية ، التكية والسبيل والحلم الدائم برؤية الدرويش الاكبر الذي تبدأ به حكايات (نجيب محفوظ) وتنتهي به ، على لسان طفل الحارة الذي تترسب في ذاكرته كل التجارب وخبرات اطفال مصر ، وبعد حوار مع رجل مسن هو (الشيخ ـ عمر ذكرى) الذي امضى عمره يبحث بلا جدوى عن اصل حكاية الدرويش الاكبر الذي تردد كل الحارة ذكره دون ان يراه احد. فسال الطاعنين في السن، فاختلفوا، وتحرى في ديوان الاوقاف ، واخيرا لجا الى العقل الذي علمه ان يرى التكية والدراويش ولا يرى الشيخ الاكبر الذي تردد كل الحارة ذكره دون ان يراه احد ، وانتهى بان يتفرغ لخدمة اهل الحارة ، بان يفتح مكتب خدمات متنوعة من سمسرة لزواج ، لعمل .. الخ فالخدمات الارضية اكثر فاعلية من البحث عن مجهول .

على لسان هذا الطفل ومقابل ما يقوله (الشيخ ذكرى) يعترف (نجيب محفوظ) في نهاية حكاياته قائلا (حتى اليوم لم اجد الشجاعة الكافية لمخالفة القانون ، ولكن في الوقت نفسه لا استطيع تصور تكية بلا شيخ اكبر ، وبمضي الايام لم اعد ارى التكية الا في موسم زيارة المقابر فالقي عليها نظرة باسمة ، واستقبل ذكرى او اكثر ، واحاول ان اتذكر صورة الشيخ او من توهمت ذات مرة انه الشيخ ، ثم امضي ، نحو الممر الضيق الموصل الى القرافة).

فالموت اذا هو مخلصنا من هذا الوهم ، وايا كانت متوافقة او صادقة هذه الرؤية الوجدانية التي يهمس بها (نجيب محفوظ) فعلينا ان نعيش احداث حارتنا التي يرتفع فيها بناء بيت الفتوات لتخرس الالسنة النافذة ، وتمارس اساليب الفحش والعنف جنبا الى جنب مع البراءة والنقاء، والبحث عن خلاص ، غير ان المخلصين مطاردون ابدا بتهمة الجنون والاشاعات وخسيس التلفيقات التي تشوه ذكراهم في الحارة .

بحثا عن العدالة والكمال

واخيرا نصل للحن القرار في السيمفونية الروائية عن الحارة المصرية التي استعدها (نجيب محفوظ) فنجد ملحمة (الحرافيش) تقد

مة والعقيقة
العالم المعاش

يق العدالة
باة (عاشور
م ، والذى
يدان) على
وصل الى
ش وجعلها
. البلطجة ،
، « ان يضع
وقال له لا
الى طهارة

ى (عاشور
بودة بالفتونة
ا فى ايديهم ،
الهدف فى
جى) الى
طجة وفرض

ما ، وعاشت
لوت والقهر
لعودة لعصر
ناشيد التى

. قصة حياة
بول تسير ،
يف وايحاء

الصورة الشعرية فى سرد وقائع الاحداث ونماذج الشخصيات ، وتومض من حين لاخر تاملات غاية فى العمق عن تراجيدية الصراع الانسانى بكل جوانبها من الميلاد والموت، الحب والكراهية ، الخير والشر، الفتنة والغواية والهداية ٠

انها صورة بانورامية لا متناهية عن حارة مصرية تحدها معالم ذات رمز واضح ، التكية والسور العتيق ، رمز للغيب ، للمجهول ، للاصل واليقين، والله ، تنثال منها الاناشيد بلغة فارسيــة ، عندما نترجمها نجدها تعليقات ذات رنة صوفية عن (المأساة والملهاة) فى حياة البشر، ثم الزاوية والسبيل وحوض الحمــير ، ودكان شيخ الحــارة والبوظة ٠ واخيرا المقابر والخلاء، ووسط كل ذلك تظل ترتفع اصوات الحياة والنبابيت ، وتقتــال البراءة والطيبة ، ويسيطر الشر والعنف، وتستمر الحياة ، حياة مصرية فى عبقها ، غير انها صورة مصغرة للانسانية ٠

وهذه هى قيمة تحولات الرواية عند (نجيب محفوظ) حيث اثبت (بملحمة الحرافيش) مساهمته بتجربة روائية لها اصالتها فى الموضوع والبنــاء خاصة بكاتب مصرى عربى اكتشف صوته وصوت حضارتــه وحضارة شعبه العــريق فقدم رؤيتــه الروائية بلغة وبناء يحافظ على اصالة التراث فى الحكاية والشخصية والمكونات التراثية للانسان المصرى ، ثم وهو الاهم عانق المعاصرة ، وكل ما عرفته اساليب الرواية المعاصرة بدون ادعاء او اصطناع ٠ ■■

القاهرة ــ عبد الرحمن أبو عوف

مثل هذا

ظ بأدبه وعلمه كما اشتهر بقبحه وشناعته
هذه القصة ٠ قال انه كان يوما سائرا فى
قائلة انها تريــد منه غرضــا فتبعهــا
وقالت « مثل هذا » ثم مضت ٠ فبقى
الصانع عن مقصود تلك المرأة ٠ فاجابه
ن اعمل لها صورة شيطان فقلت ما ادرى
ك » !

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

سور الله .. سور بديع بعيوننالن نراه ، لكننا نستشف وجوده اذا ما خبرناه !

سور ليس فى السماء ، فحاشاان تكون لله حدود او اسوار ، وهو المطلق فى كل ما صنعت ((يداه)) .. فاذ باتقانه يظهر ويتجلى ، لكل من تامل فبحث فجمع فاوعى !

ومع ذلك فبمقدورنا ان نطلع علىعظيم نظمه فىاسواق لاتزال تحتفظ فى طياتها بمخزن هائل من اروعالأسرار التى تشكل امامنا اعظم تيه .

ومع اننا لم نشهد هذا السوربعيوننا كما نشهد الاشياء من حولنا، الا اننا قد رايناه صورا ، وعرفناهتكوينا يقع فيما وراء حدود الحس والبصر والفؤاد .

والواقع ان اسوار الله فى اكوانه لكثيرة . . اسوار او اغلفة او طبقات فى ارضه وفضائه .. فى اجرامه وسماواته ، وهى ـ بلا شك ـ تختلف باختلاف طبيعة التكوين الذى تقوم عليه كل النظم الموجودة فى المخلوقات ، او فى الكواكب والنجوم والمجرات .. فاحيانا ما تبدو هذه الاسوار على هيئة قوى تتجلى ، او موجات تسمى ، او كهربات تدور فى مجالات لا عوج فيها ولا فوضى ، او فى اغلفة وطبقات ترشح الاشعة الكونية القاتلة ، ولها تتصدى ، ثم قد نراها تارة اخرى ، وكانما هى تنتظم كحرس شديد له فى عاله شئون لا تعد ولا تحصى !

لكن .. اى الاسوار لهذه الدراسة نختار ؟.. اسوار نتتقى من الارض ؟.. او منالسماوات؟. او من نفس تكويننا الحى الذى يحدد لكل شىء فينا معالم الطريق ؟

دعنا نختر هنا اسوار الحياة .. اسوارا توجد فى اجسامنا بملايين الملايين .. اسوارا بنيت وشيدت كما لم يبن او يشيد بناء من قبل .. فاحجارها دقيقة ، ونظمها بديعة ، وخططها من لدن خبير حكيم !

بالمجاهر الاليكترونية !

ان اسوارنا التى سنقدمها هنا اسوار
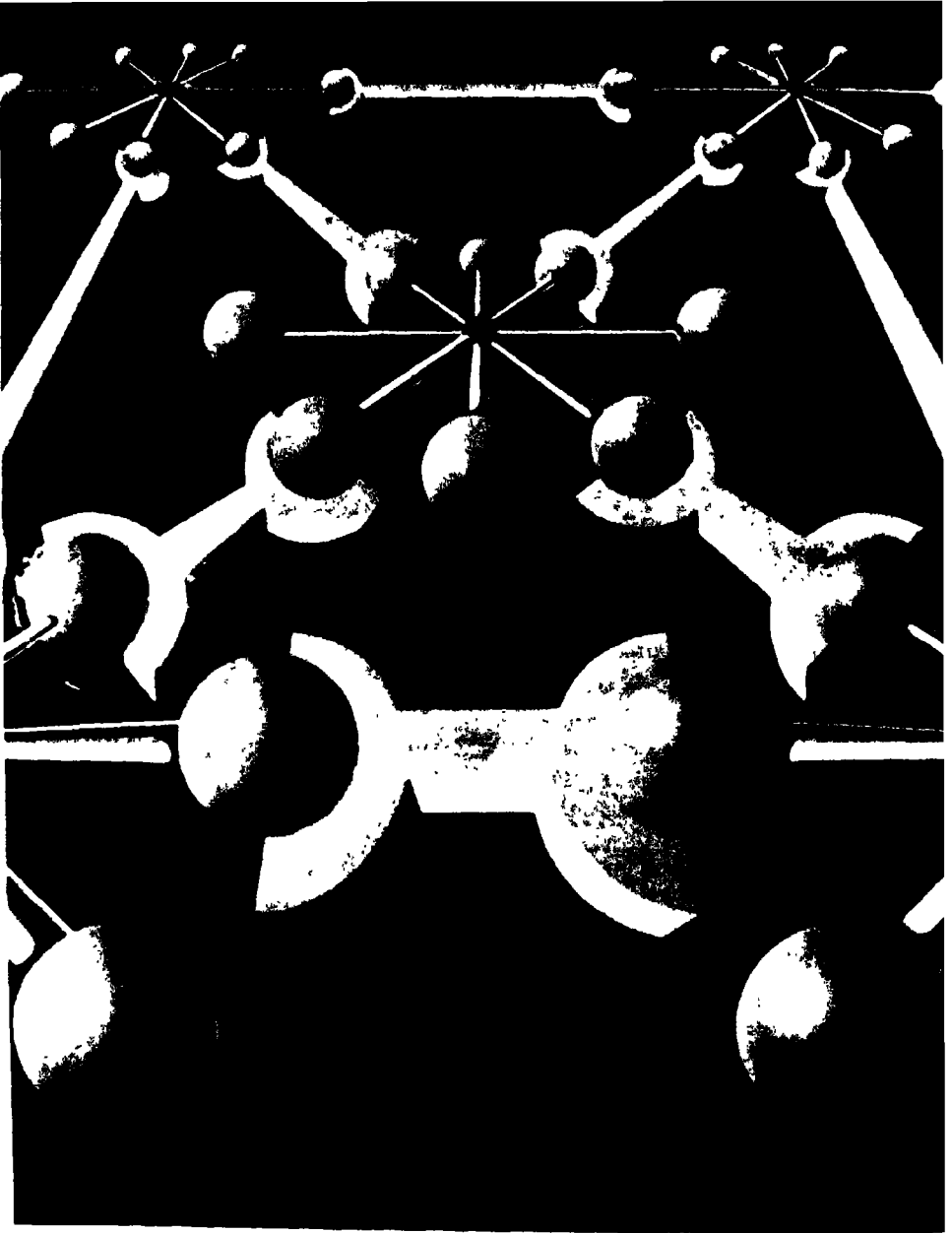
رسم توضيحي يبين كيف تتحد الاجسام المضادة (الادرع) مع مكونات خاصة على غشاء العدية او
كروب (الكور) . ومن هذا التلاحم الـــذي يؤدي الى شلل في العلية الحية . تفقد الحية
تها في النهاية . وكأنما الجسم المضاد هــــا بمثابة « صاروخ » بروتيني خاص يلمس في اى
هدف مناسب غزا الجسم الحي '

لغات مشتركة .. لكن لهجاتها قد تختلف ، أو تتوافق ، فان اختلفت دمرت ، وان توافقت، عزفت لحن الحياة !

لكن .. ماذا نعني حقا باسوار تتكلم وتدمر وتعزف انغاما فيها حياة ؟

نعني بها سور الخلية الحية .. سور رقيق غاية الرقة ، ولهذا لا تتضح معالمه الا اذا سلطنا عليه المجاهر الاليكترونية لتكبره لنا عشرات او مئات الألوف من المرات ، وعندئذ يبدو لنا على هيئة شريط ليس فيه ما يثير العجب ، ومع ذلك، فقد تاه العلماء في أسراره عشرات السنوات، ولا يزالون .. فسور الخلية الدقيق بمثابة الحدود التي يتراص عليها حرس شديد ، فلا يخرج منها ، او يدخل اليها مركب من المركبات الكيميائية ، الا « بجواز مرور » خاص يناسب عالمه الدقيق !

ولا احسبنكم بعد هذا الوصف المثير لغشاء لا نراه العيون ، ستغفلون موقف عالم الصواريخ مع عالم الحياة ، عندما كان الاول ضيف حفل كبير ، اقيم تكريما لعلمه الغزير ، اذ قدم هذا العالم لدولته تصميمات صاروخية رائعة ،بحيث اذا انطلقت صواريخه ، اصابت بدقة أهدافها ودمرتها ، كما انه صاحب الفضل في وضع الخطوط العريضة لشبكة دفاعية قوامها صواريخ مضادة لصواريخ الأعداء، ولذلك كرمه الحاضرون، واعتبروه من العلماء الافذاذ الذين يشار اليهم بالبنان ، ومن أجل هذا كان يتنقل بين الداعين مزهوا بنفسه ، متعاظما بعلمه ، وكأنما ليس في الدنيا سواه !

وفي وسط هذا الجمع الصاخب ، كان يجلس عالم من علماء الحياة ، تبدو عليه سيماء التواضع والخشوع ، وكأنما هو شارد متأمل في أكوان أخرى تسيطر على عقله بغير حدود . . ويأتي عالم الصواريخ ليخرجه من شروده ، فيوجه اليه سؤالا يستفسر فيه عن مجال بحوثه، ويرد عليه عالم الحياة : الواقع انني ابحث في خلية حية ، وبالتحديد في غشاء رقيق يحيط بها احاطة السوار بالمعصم .. غشاء لا يزيد سمكه عن جزء من مائة الف جزء من المليمتر او ربما أقل !

وهنا يبتسم عالم الصواريخ بسخرية ،ولعالم الحياة يقول « ياه » .. لا شك انك تضيع عمرك فيما لا ينفع ولا يفيد ، وقد تعيش وتموت مع غشاء خليتك المتواضع ، دون أن يشعر احد ، أو يقيمك احد .. ليتك كنت مثلي يا صديقي المغبون !

ويرمق عالم الحياة عالم الصواريخ بشفقة وبهدوء شديد يقول : ليتك أنت يا « عالم الصواريخ » كنت مثلنا .. عندئذ لاطلعت على « صواريخ » ادق واعظم وأروع من كل صواريخك .. صواريخ حية غير منظورة ، لكنك لو رأيتها وهي تشتغل في عالمها ، او كيف تجهز وتخرج من « ترساناتها » ، لتصيب اهدافها ، لما اخذتك العزة بالاثم ، ولعلمت أن صواريخك « العظيمة » ليست الا شيئا بدائيا لا يستحق هذا التكريم الذي تلقاه ، وعلى ايدي من حجبت عنهم أسرار الحياة !

وبهت الذي تجبر ، وعلى صاحبه استأسد وتكبر !

لكن .. ما دخل الصواريخ هنا باسوار الخلايا او اغشيتها ؟

لان الخلايا الحيةهنا بمثابة الدول ،واغشيتها بمثابة الحدود بين الدول ، ومن يتخطى حدوده، فمآله الضرب حتى الموت ، حتى ولو كان ذلك على مستوى خلية لا تراها العين .

لكل مخلوق اسواره

ولكي نوضح معنى الحدود او الأسوار التي جاءت بها الحياة ، ليكون لكل كائن حي «ملكوته» الذي لا يشاركه فيه أحد سواه ، دعنا نتعرض لعضو او نسيج مزروع في انسان جاءه من انسان آخر ، وهو ما نطلق عليه زراعة الاعضاء البشرية .. مثل نقل الكلى والقلوب والغدد وما شابه ذلك من انسان الى انسان ، أو من حيوان الى انسان !

ان العقبة الكبرى التي تواجه الجراحين ، وتؤدي الى فشل نقل الاعضاء وزراعتها ،تتركز في مقاومة الجسم لأي نسيج غريب يدخل في « امبراطوريته » الخلوية العظيمة ، حتى ولو كان في ذلك انقاذ لحياته ، فالكائن الحي يفضل الموت على حياة يدنسها الغرباء !

فالعضو المزروع من أنسجة .. الانسجة من خلايا .. للخلايا اسوار .. على الأسوار بصمات كيميائية لا تتشابه ابدا بين مخلوق ومخلوق (يستثنى من ذلك التوائم المتشابهة تماما) .

ولو ا اصبح لجسم كل منا « ارشيف » عظيم ...بط فيه « بسجلات » سرية لكل بصمة من ...ات اسوار انسجته وخلاياه ، فاذا ادخلنا فيه عضوا مزروعا ، رصدته اجهزة المناعة على انه عضو غريب لا تتوافق بصماته مع البصمات التي جاءت بها اسواره ، وكانما هو يقرأ صفحته ، ويعرف انه ليس من « ملته » ،وعندئذ يجهز له « ترسانة » من بروتينات حربية خاصة يطلق عليهااسم الاجسام المضادة Antibodies هذا بالاضافة الى جيوش من كرات الدم البيضاء التى تتجسس على الاسوار ، فتحس بانها ليست اسوارها ، فتعمل هذه وتلك على ابادتها ، ومادامت الاسوار الخلوية قد ابيدت ، فلا تنتظر خيرا !

اى كانما اجسامنا تمتلك ذاكرة هائلة ، وبها تحفظ عن « ظهر قلب » كل انواع بروتيناتها التى تدخل فى تكوين اسوار خلاياها ، أو ما فى داخل الخلايا من مركبات .. هذا ويحتوى جسم كل انسان على حوالى مائة الف نوع من البروتين .. فاذا حل بينها بروتين غريب ، انتجت له بروتينا مضادا يناسبه تماما ، ويبطل مفعوله ، فاذا بهذا الغريب من المدحورين !

ان الجسم الحى يستطيع ان « يتذكر » اي نسيج او خلية عزلت منه لفترة ، فاذا اعيدت اليه ، يتقبلها قبولا حسنا ، فلغة اسوارها تتطابق تماما مع اللغة المشتركة التى يحتفظ بها فى داخله لكل انسجته وخلاياه .. لكن الأمر يختلف لو اننا غيرنا او تلاعبنا فى أسوار او اغشية الخلايا التى عزلناها منه ، وهذا التلاعب امر ممارس فى معامل العلماء ، اذ انهم من خلال تربية خلايا الجسم وانسجته المعزولة فى الدوارق والأطباق ، ومعاملتها بمواد كيميائية ، او تسليط الاشعاعات عليها ، فانها قد تطفر ، والطفرة تعنى تغيرا فى تكوينها وصفاتها وسلوكها ، وقد ينعكس ذلك على غشائها ، فاذا اعيدت هذه الخلايا الى الجسم التى منه قد عزلت ، رصدها على انها غريبة ، وكانما هى قد عادت اليه « بلهجة » تختلف فى قليل او كثير عن لهجته التى يعرفها تمام المعرفة ، وعندئذ يضربها ببروتينات مضادة، حتى يبعدها من ساحته !

الحذر . . تجنبا للخطر !

والواقع ان الاجسام الحية حذرة متنمرة

الجسم المضاد – كما يتخيله العلماء – وهو عبارة عن سلاسل بروتينية معقدة غاية التعقيد . وتبدو هنا فى هذا الشكل التوضيحى كما لو كانت تتكون من اربعة اجزاء مترابطة بشكل خاص . لتستطيع ان تتعرف على اية مادة عضوية غريبة حلت بالجسم الحى . اما الجزءان الصغيران ، فيمثلان جزيئين عضويين غريبين . وفيهما يلبس « الصاروخ » او الجسم المضاد ، كما يلبس المفتاح فى القفل مثلا .

لكل ما هو غريب عليها ، ولقد زودتها الحياة بشبكة دفاعية على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد .. وكانما هذه الشبكة قد امتلكت ايضا هيئة من « المخابرات » الخلوية التى تتجسس ليل نهار على ما فى ثنايا الجسم من تغيرات او اضطرابات او طفرات قد تنشأ من خلايا الجسم ذاته .. فداء السرطان اللعين ينشأ من خلية طفرت أو تغيرت ، وعندئذ تصبح منشقة او خارجة على القانون .. قانون الجسم واحكامه ، والواقع ان ما يطفر من خلايا الانسان البالغ فى اليوم الواحد يصل الى ملايين خلية ، وقد تكون اى منها بؤرة لداء السرطان ، لكننا لا نلحظ ظهور هذا « الغول » الرهيب الا فى نسبة ضئيلة من البشر ، وقد يرجع ذلك الى تراخى شبكة الدفاع والمخابرات الحيوية عن رصد « المنشقين » وابادتهم ،وعندئذ قد يعم بلاؤهم ، وينتشرى فسادهم ، لكن هذا

موضوع طويل ذكرناه هنا ذكرا عابرا ليتبين لنا ان المصائب قد تاتي الجسم الحي من داخله (على هيئة طفرات سرطانية) ، او من خارجه (على هيئة ميكروبات) ، ولو تراخى في هذا او ذاك ، فقل على حياته السلام .

والواقع ان الجسم الحي يعامل الخلايا او الانسجة او الاعضاء المزروعة فيه على انها بمثابة ميكروبات قد حلت في ساحته ، وهو - بطبيعة الحال - لا يستطيع ان يفرق بين خلية ميكروبية وخلية جسدية جاءته من انسان آخر .. لانه دائما ابدا يطبق الاحكام بحذافيرها ، ويعرف من هو العدو ، ومن هو الصديق .. اما عدوه فيتمثل له في كل خلية جاءته بلغة غير لغته التي يعرفها تمام المعرفة ، ومن اجل هذا يجهز لها ما يناسبها ، ويحاول ان يمحوها من ملكوته!

وطبيعي ان الميكروبات لها « جلود » او اغشية او جدر تختلف في تفاصيلها الكيميائية عن اغشية خلايانا ، وعلى هذه الجدر الميكروبية توجد مواقع استراتيجية حساسة ، ولكل موقع « صاروخ » او جسم بروتيني محدد يجهزه الجسم الحي ، « ليلبس » في الموقع او الهدف تماما ، ونحن نستطيع ان نعزل هذه الاجسام البروتينية المضادة من دماء من اصيبوا بالميكروب ، ونجربها على الميكروب ذاته في انابيب الاختبار ، ونعرف مفعولها الذي يشله او يميته بطرق شتى ، لكن الحديث عن هذه الحرب الخفية قد يتشعب ويطول ، ولهذا لن نتعرض لها هنا لضيق المجال، ومع ذلك يكفي ان نذكر ان اجسامنا قادرة على ان تميز بين بلايين فوق بلايين من اغشية الكائنات الحية جميعا ، وفوق كل هذا تستطيع ان تصنع لكل واحد من هذه البلايين سلاحا بروتينيا يناسبه تماما ، وكأنما الجسم الحي يمتلك خططا دفاعية بقدر ما على هذا الكوكب من بشر وقرود وكلاب ودجاج وميكروبات وفيروسات ... الخ ... الخ .. اى تريليونات فوق تريليونات !

هدم اغشية فيه بعث حياة

على ان الصورة تختلف اختلافا جوهريا بين الخلايا الجنسية اذا ما قورنت بالخلايا الجسدية، فلو اننا حصلنا على بضعة خلايا جسدية من رجل متزوج (او حتى غير متزوج) ، ووضعناها بطريقة او باخرى بين خلايا جسد زوجته

(او العكس) ، فان اجهزة المناعة في الزو[illegible] تبدأ في شن حرب ضارية ، حتى تهلك خـ[illegible] الزوج الجسدية، وتكتسحها من الميدان اكتسا[illegible] فلا تبقى فيها ولا تذر .. لكن الخلايا الجنـ[illegible] بين الزوجين تنهج نهجا آخر مختلفا .. صحيح ان « رداء » او غشاء البويضة يختلف عن رداء او غشاء الحيوان المنوي ، الا انهما اذا تقابلا ، تعارفا ، وتقبل احدهما الآخر قبولا حسنا ، فعلى اغشيتهما كتبت «بطاقات» التعارف ، وبها يمزقان اجزاء من أرديتهما ، ومن هذا التمزق او التحطيم ، تنشأ حياة كل انسان او حيوان او نبات !

دعنا الان نوضح هذه الحقيقة بشيء من الايجاز، حتى يتبين لنا « اعجاز » هذه الاسوار .

ان حيواناتنا المنوية التي خرجت بمئات الملايين من الذكر ، لها رأس وذنب .. الرأس فيه خطة العمل ، والذنب هو الذي يدفع الخطة الى هدفها ، ويوصلها الى مرادها .

ولقد جاءت الحيوانات المنوية وهي ترتدي على رؤوسها « طواقي » او قلنسوات او قبعات او « كابات » .. تعددت الاسماء والشيء واحد ! (تسمى علميا كروموسومات) .. لكن هذه القلنسوات تختلف باختلاف انواع المخلوقات .. هي في الحيوان المنوي للانسان «كلبدة» الصعيدي (طاقية مستطيلة وبيضاوية من اعلى) ، وفي الفئران كالمنجل ، وفي الدجاج كالقرطاس ، وفي قنافذ البحر (الرتسا) كالرمح ، وفي الصراصير كالمخروط .. الخ ، ورغم اختلاف هذه « الموديلات » التي جاءت لتناسب اهدافها ، الا ان الفكرة - في تنفيذ ما تسعى اليه - واحدة .. ففيها جميعا المفاتيح او «المقصات» الكيميائية التي تمزق بها اردية « العروس » الدقيقة (أى اغشية البويضة) ومن خلال ما تمزق تنفذ الى الداخل ، ليتم التلقيح والاخصاب .

والواقع ان « كابات » او قبعات الحيوانات المنوية ليست الا مخزنا دقيقا غاية الدقة لعدد من الانزيمات (الخمائر) الهادمة في جدار البويضة ، لكنها لن تنطلق من معاقلها الا اذا ارتكز الحيوان المنوي برأسه على غشاء بويضة في وضع مناسب ، ومن خلال هذا الوضع تهدم غشاءها ، وتهدم غشاءه .. اول هدم في [illegible] من الاحداث المثيرة التي تتم في غضون دقائق

معددة .. وتنطوى فكرة هذا الهدم على نفس الفكرة التى قدمناها عن الاجسام المضادة التى تهاجم الاعضاء الغريبة المزروعة ، كما تهدم جدر الميكروبات كذلك .. فعلى الغشاء الخارجى الذى يقع فوق قبعة الحيوان المنوى مباشرة تتراص بروتينات سكرية معقدة تسمى « المخصبات » ، وعلى الغشاء الذى يحيط بالبويضة تنتظم ايضا بروتينات مضادة تسمى « المخصبات المضـــادة » (انظر دراستنا فى العدد السابق من المجـلة) وهما هنا أشبه بالقفل والمفتاح ، فيفتح هـذا ذاك ، او يتمزق الغشاءان أو الرداءان فى موقع محدد ، ويصبح لهما طرفان منحروان ، وعـلى الطرفين تجرى سلسلة من التفاعلات الكيميـائية المعقدة ، وفيها يحاك طرف هذا الرداء او الغشاء بطرف الرداء الآخر (انظر الشكل المنشور هنا)، وعندئذ يصبح الرداءان واحدا ، وكأنما هذالباس لتلك ، أو تلك لباس له .. مصداقا لقوله تعالى « هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن » .. صحيح

ان ذلك ينطبق على عالمنا المنظور بذكوره واناثه، لكن له أيضا اساسا عريضا وبديعا فى الخــلايا الجنسية الذكرية والانثوية ، اذ بهذه التعـرية الجزئية فى رداء هذا وتلك ، يكون السبيل الى التحام الكيانين الدقيقين فى كيان واحد ، او ذوبان الخليتين الجنسيتين فى خلية واحدة ، وبهذا تاتى اجيال من وراء اجيال ، من ســائر أنواع النبات والحيوان والانسان .

هدم الطاقية .. وتحرير المفاتيح !

لكن العملية تبدأ بداية اخرى مثـيرة . . فالبويضة التى تريد تلقيحا ، تفرز مادةكيمياتية خاصة ، وبنركيزاب جد ضئيلة ، لتصبح هـذه المادة بمثابة كلمة سر جديده « تذيع » بها على الحيوانات المنوية - الشاردة هنا وهناك - موطنها الذى تختفى فيه ، أى كأنما هى تنـادى عليها بطريقتها الخاصة ،ولقد عزل العلماء بعض

فرص الحياة

- الفرص لاتتاح للقاعدين ، وانما هى فى متناول كل يـد لاتتردد فى الهجوم عليها والامساك بها قبل ان تفلت !
- الفرصة التى تتاح لنا مرة فى الحياة ، تبدو كبيرة عندما تفلت من يدنا وتبدو صغيرة ونحن نقف امامها مترددين ·· هل نقبلها ام نعرض عنها !
- عندما تدق الفرصة على بابك ·· لاتتردد ، افتح لها فورا الباب وخذها بالاحضـان وتشبث ·· كثـيرا مـا تخطىء الفرص « العنوان » فتعود من حيث اتت لتبدأ بحثها من جديد عن « العنوان الصحيح » !
- السبب فى ان الكثيرين من الناس يضلون طريقهم فى الحياة ، هو أنهم دائما مشغولون بالعمل فى الفناء الخلفى للبيت فلا يكلفون أنفسهم مشقة البحث عمن يكون الطارق على بـاب البيت الامامى !
- الفرصة « بيضة » اذا تركتهـا تسقط مـن يدك اصطدمت بالارض فتهشمت وتطايرت محتوياتها ! هل من سبيل بعـد هذا لتملأ بها معدتك ؟!

هذه المواد ، ووجدوها تختلف بين نوع ونوع اخر ، فكلمة السر الكيميائية التي تنشرهابويضة انثى الانسان حولها تساعد الحيوانات المنوية لذكر الانسان على التوجه اليها دون سواها .. لكن « كلمتها » تصبح غير محسوسة ولا مفهومة لحيوانات منوية جاءت من قرود وحمير وجرذان ... الخ ... الخ .

وبفضل هذا « النداء » الصامت ، تسعى الملايين من الحيوانات المنوية الى بويضتها ، لتطوف برحابها ، وكانما قد استبدت بها نشوة كبرى ، وفي اثناء طوافها تفرز بعض الانزيمات التي تذيب الطريق امامها (نتيجة لوجود خلايا تحيط بالبويضة وتسمى خلايا التاج) ، علها تجد منفذا ممهدا للوصول الى « سور » البويضة العظيم ، وتنجح منها واحد ، ربما تكون اقواها وانشطها ، وتنغد برأسه ، وبها يرتكز على سور «عروسه» ، وكانما هو يقبلها قبلة حياة ستنشا بعد قليل ، وستجيب البويضة لهذا اللمس من ذكرها (او حيوانها المنوى) ، ويقال انها تفرز له كلمة سر اخرى تأمر بها ، بدليل ان بعض التغيرات الفسيولوجية والكيميائية تجتاح كيانه الدقيق ، فيتخلى عن طاقيته بتمزيقها وتحرير ما فيها من انزيمات او مفاتيح كيميائية (اهمها انزيم اسمه هيالورونيديز Hyaluronidase) وبهذه المفاتيح يؤدي رسالة اخرى هامة ، فيحطم بها غلافا ثانيا في بويضته ، والى هنا يكون قد وصل الى اخر غشاء او رداء من اردية « عروسه » التي جاءت بها الى الحياة !

وفي النهاية يرسل الحيوان المنوى من غشائه الذي كان مختفيا تحت « طاقيته » (لقد ظهر بعد ان تحطمت الطاقية واختفت) بروزا دقيقا يمكن تشبيهه بانسان يمد شفتيه اثناء القبلة ، وستجيب الغشاء الاخر للبويضة لهذا البروز ، فترسل بدورها بروزا دقيقا (اسمه مخروط الملقح Fertilization) ليقابل بروز « فاها » ، وعند ذلك تسري في بويضتنا رعشة خفيفة ، أو اهتزازة نشوانة كالتي نراها مثلا في عالمنا الكبير ، لكن النشوة أو الاهتزازة هنا لا تدل على احساس كالذي نشعر به كبشر ، بل هي رعشة تنعكس على سلسلة من الاحداث الكيميائية النشيطة ، التي يجب ان تتم في اسرع وقت ممكن ، حتى توصد « العروس » الدقيقة كل الابواب دون بقية ملايين العرسان أو الحيوانات المنوية التي تصارع حول اسوارها ، علها تجد منفذا تنفذ فيه ، لتظهر في حياة جديدة قادمة !

والواقع ان التنظيمات البديعة والرائعة التي تتجلى للعلماء وهم يرقبون هذه التمثيلية الغامضة تدعو حقا الى التأمل والخشوع .. فللبويضة رداء من فوق رداء من فوق رداء .. اذن فهناك اردية ثلاثة ، هي بالنسبة للعقل البشرى بمثابة ظلمات ثلاثة ، ونعني بالظلمات هنا جهلنا النسبي بما هو كائن فيها من نظم دقيقة لم نعرفها على حقيقتها معرفة تامة .. صحيح أن « الخامات » الكيميائية التي تنسج منها الاردية لا تختلف كثيرا بين الانواع ، انما يجيء الاختلاف في « التطريز » الدقيق الذي تقوم به كل نوع من الكائنات في ارديته او اسواره ، فلا يتشابه التطريز بين البشر والقرود والبقر ... الخ .

ولا بد ان تتمزق هذه الاغشية أو الاردية في سلسلة من التفاعلات الكيميائية التي تشرف عليها جيوش من انزيمات تهدم وتبني ، أو تمزق وتحبك ، لتوصل بين اردية البويضة واردية حيوانها المنوى ، وكل هذا يتم حسب بروجرام محدد ، وزمن مقدر ، يحسب بالثواني والدقائق والساعات ، فبعد ان تحس البويضة مثلا بمقدم الحيوان المنوى ، وولوجه فيها ، تسارع ببناء سور منيع تحميها من دخول حيوان منوى اخر ، ويتم هذا البناء المعقد في فترة تتراوح ما بين ٥ ـ ١٠ ثوان فقط ! .. اما كيف يبنيه بمثل هذه السرعة الفائقة ، فذلك أمر لم نتوصل الى كل أسراره بعد .. كل ما نعرفه هو حدوث تغيرات طبيعية وكيميائية وكهربية ، وكانما دخول الحيوان المنوى كان بمثابة الزناد الذي اطلق قذيفة الحياة ، لتنطلق باقصى سرعتها ، معلنة بداية مخلوق قادم ايا كان شكله ونوعه ومرتبته في سلم المخلوقات ، وهكذا ينطلق طوفان الحياة في ديناميكية محددة متفردة ، ومن وراء ذلك نظم اسوار سواها الخالق وابدعها ، لتسري كل شيء بحساب ومقدار . « انا كل شيء خلقناه بقدر » . ■

الاسكندرية : د. عبد المحسن صالح

لماذا ؟

التعسف الباطل في تفسير القرآن بجر العلم إليه أو حجبه عنه

بقلم : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

هو خلاف يتفاقم بين انصار طريقتين معروفتين في تفسير القرآن الكريم ، احداهما تحاول ان تجر القرآن جراالى العلوم الحديثة ، والاخرى تقاوم هذه الدعوة بالسير في اتجاه معاكس ،ينـاى بالقرآن عن الخـوض في تلك العلوم .

وحتى الان ، وفيما هو ظاهر ، لم يستطع الطرفان ان يلتقيا على ميزان يفصل في الامر،ويجمع خطوط الخلاف على صراط واحـد من الحـق الذى لا مرية فيه ، ولا يقع فيه اى خلاف .

جر القرآن الى العلوم الحديثة .. وجذبه عنها .. كلاهما تعسف باطل

على ان هذا الميزان موجود ، ولا تحتاج المسالة الى اى معـاناة في استخراجه او البحث عنـه . فمكانه معروف من كتب علوم القرآن المختلفة ، بل في اى مرجع قديم او حديث يعنى بمناهج البحث وقواعد تفسير النصوص ، لو ان النقاش استهدف جذور المسائل وكلياتها .

ذلك انه ليس محور الصحة والبطلان في تفسير القـرآن ، ان يتضمن التفسـير شيئا من مسـائل العلوم الحديثة او ان لا يتضمن شيئا منها .

بل ليس محـور الصحة والبطـلان في ذلك اى معنى من المعانى او نظرية من النظريات يمكن ان ينتهى المفسر بتفسيره اليهـا ، الا اذا شئنا ـ والعياذ بالله ـ ان نجعل من رغبة او فكرة سابقة في اذهاننا ، اساسا مستقرا وقرارا لا محيص عنه، فعندئذ تغدو عملية التفسير مجرد ذريعة لدعم هذا

القرار . وعندئذ يتخذ التفسير صفة الصحة أو البطلان ، حسب قرب مدلول الآية أو بعده من الفكرة السابقة التي نتبناها .

وهذا منتهى ما يمكن ان يصل اليه المذهب الذرائعي في التجرد عن الموضوعية ،وفي تسخير المنطق والعقل لاي رغبة سابقة ! .. ونعوذ بالله من أن تكون مطامعنا أو رغباتنا النفسية السابقة بالايمان أو نقيضه ،. بالتدين أو عكسه ، . هي القائد الموجه لعقولنا في ساحة النظر والبحث .

ميزان واضح

اذن ، فما هو المحور الذي يدور عليه تفسير القرآن صحة وبطلانا ؟ .

والجواب أن هذا المحور لا يتمثل في أكثر من الميزان الذي نعتمد عليه لتفسير أي كلام عربي ، صاغه من لا شك لدينا في انه حكيم لا يهذي ولا يعبث .

هذا الميزان يتكون من المقومات والاركان التالية:

أولا ـ خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف فيها .

ثانيا ـ خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها . كاحكام العموم والخصوص والاطـــلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم الخ .

ثالثا ـ الا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون أي آية أخرى في القرآن . بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل أي قاعدة مـــن قواعد تفسير النصوص .

رابعا ـ الا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح . بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلا سائغا للتوفيق بينهما.

من هذه المقومات الاربعة فقط يتكون الميـــزان الذي لا بد من الاحتكام اليه لتفسير آية من القرآن. وهو ميزان متفق عليه عند علماء العربية والتفسير والاصول جميعا . وهو الذي يمثل القاعدة المشتركة التي يلتقي عليها كل من أقطاب مدرستي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي . فما نعلم اماما من أئمة التفسير بالرأي استجاز لنفسه الخروج عن سلطان هذا الميزان قيد شعرة . كما لا نعلم اماما من [illegible] التفسير بالمأثور حرم أو أنكر أي تفسير اجت[illegible] ينضبط بقيود هذا الميزان . وان لم يتخذ من [illegible] مذهبا شخصيا لنفسه في نطاق أعماله [illegible] الخاصة .

وما قصة هاتين الطريقتين اليـوم في تفسـ[illegible] القرآن على ضوء العلوم الحديثة . الا امـ[illegible] لمدرستي التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور . و[illegible] ثار بين أرباب هاتين الطريقتين الخلاف بل الـ[illegible] الحـاد . على خلاف ما كان الامر عليه بالنسـ[illegible] لائمة التفسير بالمأثور وأئمة التفسير بالرأي . لان هؤلاء لم يحتكموا الى بنود هذا الميزان [illegible] احتكم اليه أولئـك الائمة السـابقون ولو [illegible] فعلوا ذلك لامتص هذا الميزان من بينهم كل خلا[illegible] وجدال .

وبناء على هذا فانني أقول :

اذا التزم المفسر لكتـاب الله تعالى بالبنـ[illegible] الاربعة لهذا الميزان التزاما صادقا وصحيحـا فمن التشطط . بل من التعسف المجوج . أن [illegible] المعنى الذي توصـل بتفسيره اليه أيا كان [illegible] المعنى وباي النظريات أو العلوم تعلق .

أما اذا لم يلتزم بهذا الميزان التزاما صا[illegible] ودقيقا . فمن الشطط والتعسف عندئذ أن [illegible] المعنى الذي انتهى بتفسيره اليه، سواء كان متعـ[illegible] بالعلوم الكونية الحديثة . أو بالاحكام الدينـ[illegible] أو الاخبار التاريخية أو باي شيء آخر .

ومن هنا يتبين أن الغوض في نقاش حول صـ[illegible] تفسير القرآن بالعلوم أو النظريات الحديثة عدم صحته . دون الالتفات الى هذا الميزان الـ[illegible] ذكرناه . انما هو خوض فيما لا طائل منه و[illegible] لا حصيلة له .

ارهاص الصعود للقمر ؟

وبوسعنا الان أن نستعرض نماذج من النـ[illegible] القرانية التي يمكن أن تكون جزءا من مو[illegible] النزاع الذي نتحدث عنه ، وسنرى بعد احـ[illegible] الى الميزان الذي أوضحناه ، انه لا يؤيد [illegible] الطريقة ولا تلك تاييدا ذاتيـا مطلقا .

يعرض بعض هذه النماذج عما يسمى بالتفسير العلمي المزعوم ، ويؤيد هذا التفسير ويؤكد على صحته بالنسبة للبعض الاخر .

يقول الله تعالى في سورة الرحمن : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا . لاتنفذون الا بسلطان » .

ما اكثر الذين يفسرون هذه الاية بانها ارشاد وتوجيه علمي للناس بان يحاولوا كشف السبل العلمية التي تيسر لهم الصعود الى طبقات الجو والنفوذ الى ما فيها من كواكب وأجرام ! .. فهي اذا ـ بناء على هذا التفسير ـ بمثابة الارهاص الذي جاء بين يدي صعود الانسان الى القمر ، بل هي بمثابة الاخبار الغيبي عن هذا الكشف العلمي الفريد الذي توصل اليه الانسان ! ..

فهل يتفق هذا التفسير مع البنود الاربعة لميزان تفسير النصوص القرآنية ؟

اذا تاملت في الفاظ الاية ، ادركت أن هذا التفسير يتعارض تعارضا بينا مع أول بند من بنود الميزان المذكور ، الا وهو خضوع التفسير للدلالة اللغوية وقواعدها المتفق عليها .

ان الاية تقول : « ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السماوات » ولم تقل « .. الى اقطار السماوات » . وفرق كبير في الدلالة اللغوية بين التعبيرين .

ان « من » لا تصلح في هذا المقام الا لمعنى واحد ، هو التجاوز .. فالمعنى اذا : ان استطعتم ان تتجاوزوا اقطار السماوات والارض وتخرجوا عن دائرة المكونات الالهية فافعلوا ! ..

وواضح أن الامر هنا للتعجيز وان المعنى المراد الذي تكني عنه الاية : ان الانسان لن ينجو من قبضة الله تعالى وما قد ينتظره يوم القيامة من حساب وجزاء ، مهما حاول ومهما أوتي من القوة، الا بسلطان من الارادة الالهية اذ تتعلق بنجاته .. وهذا المعنى لا شان له ـ كما نرى ـ بصعود الانسان الى القمر أو المريخ أو حتى بسياحته المكوكية بين الاجرام السماوية الجائمة ـ مهما كانت بعيدة ـ ضمن دائرة المكونات وداخل اقطار السماوات والارض .

نعم لو جاء التعبير بـ « الى » بدلا عن « من » لكان التفسير الشائع للاية ممكنا ومقبولا .

من اجل هذا نقول : ان جر هذه الاية الى المعنى الذي يطيب لبعض الناس لصقه بها، تعسف ممجوج وتجاوز لقواعد اللغة العربية وضوابط تفسير النصوص .

وفي سورة نوح قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا »

لقد وقف بعض الناس عند هذه الاية وقفة من عثر فيها على كنز نادر ثمين ! .. ذلك لان الاية قد تحدثت عن التطور بصريح العبارة والبيان ! .. بل نصت على أن خلق الانسان جاء متطورا !!

اذن ، فالاية سجلت سبقا علميا رائعا على كل من لامارك ، وداروين ، وسائر القائلين بنظرية تطور الانسان من أنواع أو أجناس اقل شانا ! ..

ترى هل يساعد ميزان تفسير النصوص القرآنية على قبول هذا التفسير ؟ .

ان الميزان المذكور لا يساعد على هذا التفسير البتة . ذلك لان صرف كلمة « أطوارا » الى هذه المعنى يتناقض مناقضة حادة مع آيات صريحة أخرى من مثل قول الله عز وجل « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » ومن المعروف أن « أل » في الانسان للجنس . فالاية نص قاطع اذن على أن الله تعالى أبدع جنس الانسان في أحسن تقويم، وهو مناقض لتصور أن الانسان قد تصاعد من فصائل وأشكال دنيا.. ذلك لانجنس هذه الفصائل كلها يغدو ، بناء على هذا التصور ، واحدا ، والافراد الذين تساموا ضمن هذا الجنس الى أحسن تقويم لا يبلغون معشار افراد الجنس كله .

هذا الى أن كلمة « أطوارا » في هذه الآية ، انما تتولى تفسيرها آية صريحة أخرى في القرآن، هي قول الله تعالى : « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » ٦ : الزمر . بالاضافة الى ما هو ثابت في القرآن نفسه من أن النشاة الاولى للانسان انما كانت من أخلاط التراب والماء ثم النطفة وهكذا .. الخ وقد فسر

هذا كله قول الله عز وجل « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم » ٤ : الحج .

فانظر الى جر هذه الاية الى هذا المعنى «العلمي» فيما زعم البعض ، كم جر من المفاسد :

المفسدة الاولى : الوقوف في وجه آية صريحة تتناقض مع هذا التصور مناقضة كلية .

المفسدة الثانية : الاعراض عن آيات اخرى تتولى بيان المعنى الايجابي المراد لكلمة «أطوارا» .

المفسدة الثالثة : تحميل القرآن ـ بعد هذا كله ـ مسؤولية التاييد لنظرية « بل لفرضية » لم يدعمها اى برهان علمي بعد ، بل تواردت البراهين والادلة على بطلانها .

وجاذبية الارض

والآن نقرا قول الله تعالى في سورة المرسلات : « الم نجعل الارض كفاتا ، احياء وامواتا » ، فما معنى كفاتا ؟

والكفت والكفات ، في اللغة العربية بمعنى الجذب والضم ، وعليه قول الشاعر :

كرام حين تنكفت الافاعي
الى أجعارهن من الصقيع

اى حين تنجذب الافاعي الى داخل جحورهن من شدة البرد .

اذن ، فالآية تقول بصريح العبارة ، في مجال الامتنان والتذكير بالنعم : الم نجعل هذا الكوكب الارضي الذى تعيشون عليه جاذبا لكم ، بحيث ترون فيه أسباب طمانينتكم واستقراركم .

ولكي لا يتصور متصور ان هذا الجذب او الضم انما يكون اذا دفن الانسان بعد موته في باطن الارض ، جاء القيد المعمم يقول : « أحياء وأمواتا» اى : بل جعلناها بحيث تجذبكم اليها اذ تكونون أحياء تتحركون على ظهرها ، واذ تعودون أمواتا مدفونين في باطنها .

ولقد أيقن العلماء قديما ، ـ ومنهم يونس بن قرة ـ من دلالة هذه الآية ، ان الله اودع في الارض قوة جاذبة اليها بها يستقر الانسان فوقها يلقى فيها طمانينة حياته وأسباب عيشه .

فهذا معنى علمي تدل عليه الآية دلالة متفقة كل الاتفاق مع الميزان الذى ذكرناه ، اذ الدلالة اللغوية مؤيدة له ، بل هي لا تؤيد الا هذا المعنى . وقواعد تفسير النصوص مؤيدة هي الاخرى . وليس من تعارض بين هذا المعنى واى آية قرآنية اخرى ، او حديث نبوى صحيح .

اذن فالشطط والتعسف هنا انما يتمثل في العمل على صرف الآية عن هذا المعنى ، لمجرد انه معنى علمي يتعلق ببعض المكتشفات العلمية الحديثة .

مثال آخر . وهو ما نلاحظه من ان القرآن اذا تحدث عن الشمس وصفها دائما بانها سراج مضيء ، واذا تحدث عن القمر وصفه دائما بانه منير . فالسراج والاضاءة صفتان للشمس دائما ، والانارة صفة للقمر دائما . انظر الى هذه الايات :

« تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » ٦٢ الفرقان

« الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » نوح ١٦

« هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل » ٥ : يونس

واذا عدنا الى اللغة العربية لنتبين المعنى الدقيق لكل من سراج ومضيء ومنير ، ولنقف على مظاهر الفرق بينها ، نجد ان الشيء لا يقال عنه سراج او مضيء الا اذا كان يبث مع الشعاع حرارة ، ويقال عنه منير اذا كان يبث ضياء لا حرارة فيه . كما انك لا تقول عن الشيء سراج او مضيء الا اذا كان الشعاع منبثقا من داخله وجوهره ، وتقول عنه منير اذا انعكس عليه الضوء من جرم آخر . فانت تقول عن الغرفة منيرة ولا تقول عنها انها سراج او مضيئة ، الا على وجه المبالغة او التشبيه .

وبناء على هذا البيان اللغوى الذى يعرفه علماء اللغة جميعا ، تكون الآية السالفة ناطقة بان القمر جرم بارد لا حرارة فيه ، وبانه انما يكتسب نوره من جرم آخر ، بعكس الشمس .

فهذا تفسير علمي لا محيص عنه بالنسبة لهذه الايات . وهو ـ كما نرى ـ متفق كل الاتفاق مع الميزان المتبع لتفسير كتاب الله تعالى فان

يتناول بعض
التعسف الباطل

ارسلنا الرياح
اكموه وما انتم

معناها معروف.
التي ابتتهـا
ب ، واداة هذا
فانزلنا • اذن
التي جعلهـا
، الذي نراه••
بمنطوقها الذي
نفر بهذه الاية
ول ان الرياح
بين يدي تجمع
وجه الارض ؟

ذه ـ عن هذا
ى الحقيقة الا
ذا الفـرار •

لاقصاء القران عن مدلولات معينة • على كل حال، ومهما كانت الموجبات • ولا ريب ان هذا العمل لا يسمى تفسيرا بحال من الاحوال •

اردت من عرض هذه النماذج ان يتجلى للقارىء بكل وضوح ، ان محور الصحة البطلان في تفسير ايات القران ليس متمثلا في ماهية المعنى الذى نتوصل بالتفسير اليه ، فتلك أسبقية فضولية لا مسوغ لها في نطاق البحث الموضوعى المتجرد •

وانما محور الصحة والبطلان ، الخضوع او عدم الخضوع للميزان الذى لا بد من اتباعه بصدد تفسير القران ، ولا تغير ماهية المعنى الذى نصل بالتفسير اليه من طبيعة هذا الميزان او سلطانه شيئا •

وكل جدال حول التعرف على الطريقة المثلى في تفسير القران ، لا يحتكم الى هذا الميزان الذى هو محل وفاق واجماع ، ليس الا سلسلة من الجدل المتوالد الذى لا نهاية له ولا ثمرة منه •

■■

د • محمد سعيد رمضان البوطى
استاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق

والدى هو الذى رفض !

سيدة وونج للمرة الثانية زواج ابنها من الفتاة
أحد الاصدقاء في أذن الابن الشاب قائلا عليك
ـه والدتك •

. أبلغ الشاب صديقه بقوله عثرت في النهاية
ى في شكلها وحديثها وسلوكها •

ادن تقبل سي التهنئة . الا أن الابن الشاب عاجله
ة والدى هو الذى رفض •

انفيزتمان ـ تايوان

بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

■ اطفال المدينة يصادقون القطط والكلاب والارانب ، اما نحن ابناء الفلاحين فنقول ان الكلاب نجسة ، ونطردها كلما حاولت ان تتمسح بنا ، ونقول ان القطط خائنة ، ولذلك نكرهها كرها عميقا ، اما الارانب فلا نعرف منها تلك الاجناس التى ربما تعلق بها اطفال المدينة ، لا نعرف منها الاجنسا واحدا شديد الحذر ، دائم التوجس ، لا يالف ولا يؤلف ، فهو فى حالة فرار دائم ،نهايتها التى لا تتخلف ابدا هى الذبح ٠

اصدقاؤنا الذين نصطفيهم من دون الناس هم البقر والحمير ٠ وربما صادقنا عجول الجاموس ولكن اعجابنا بها لا يدوم طويلا ، فهى لا تكاد تكبر حتى تفقد رشاقتها ويرين الغباء على عيونها ٠ اما البقرة فهى حسناء من يوم ان تولد حتى تشيخ ، والحمار رفيق لابد منه ، فنحن نحتمله على علاته٠ اذا كانت البقرة هى امنا او اختنا الكبرى فالحمار هو اخونا الاصغر ، نضيق بعناده او بلادته او سوء سلوكه احيانا ولكننا نضحك منه غالبا ، ونقول انه مهما يرتكب من حماقات فهو لاشك طيب القلب ٠

وكنت اباهى لداتى بان صديقى اكبر من اصدقائهم جميعا ٠ ولعلى كنت اعبر بالكبر عن معنى لا يقتصر على كبر الجسم ٠ كنت احس احساسا غامضا بانه انبل واعظم ، ولعل ما كان يحاط به فى الدار من اهتمام خاص هو اول ما ولد هذا الشعور فى نفسى ، ولكنى لا اذكر متى بدا هذا الشعور ، بل لا اذكر متى بدات اعى وجوده فى الدار ٠ واغلب الظن انى وعيته منذ وعيت نفسى وعرفته كما عرفت ابى ، ولم يكن حبى له اقل من حبى لابى ، ولعلى حين استعيد طفولتى الاولى ، واطرح عن نفسى ما لدسته العادة ، ورياء النفاق ، اقول بغير مواربة انى كنت ـ فى تلك الايام على الاقل ـ احبه اكثر من ابى ٠ وهل كان ابى يبرك امامى ، ويمد عنقه الطويل على الارض كى اعلوه ، فاذا احس انى تمكنت فى مجلسى راح يحركه يمنة ويسرة ، وهو يبغم كالحمامة ؟ وعندما كبرت اصبحت قائده فى رحلاته بين الدار والحقل ، وكان يلقى الى قياده مسرورا ان رآنى كبرت ، والحق انى لم اكن اقوده ، كان حبله دائما مرخى فى يدى ، وكان يعرف طريقه ويتوجه اليه بنفسه ٠ كذب من قالوا ان الجمل حيوان غبى ٠ الجمل نبيل ، صبور ، حيى ٠ فلا عجب اذا حسب الاغبياء نبله غفلة ، وصبره بلادة ، وحياءه غباء ٠ لاعجب ان اطمعهم كرمه وحلمه٠لا عجب ان جهلوه كما جهله جارنا عبد الوارث ، والجهل يهلك اصحابه ٠

وقبل ان اقص عليكم خبر الكارثة التى حلت بى بفراق جملى ، لابد ان اعرفكم بجارنا عبد الوارث٠

اننا نتمثل دائما بالحديث الشريف : اذكروا محاسن موتاكم ٠ ولا ادرى فى الحقيقة ان كان حديثا ام حكمة جعلها الناس حديثا ٠ ولكنى على كل حال حاولت ان اجد لعبد الوارث حسنة واحدة فاعيانى الامر ٠ لم يكن فلاحا كسائر الفلاحين ٠ يقولون ان الفلاح ماكر بفطرته ٠ ولكن الذين يقولون ذلك هم ابناء المدن ، لانهم نهموا لغة الفلاح ٠ اما الفلاح نفسه فلديه نايسه

ـة التي يميز بها الانسان الماكر حقا . وقد
عبد الوارث ، بشهادة اهل القرية كلهم ،
ا خبيث المكر : فالمكر عندنا انـــواع :
مكـر الثعالب ، وهـذا امـره هـين ،
راد ان يسـرق ارنبـا او دجاجـة .
مكـ الثعابين مثل عبد الوارث : « يلبد » ،
ـه احد ، حتى اذا تمكن لدغ ، واذا لدغ
فـ فيه رقية راق . كان اهل القرية جميعا
ـذ ولكنـه كان كالقضاء ، اذا نزل باحـد
فـ ـمه حذر . كان يعبد المال ، ويقول اهل

القرية ان معه منه الكثير . لم يكن يخرجه بالربا،
ولكنه كان يقدمه فى رهن الارض ، وكان يعرف
كيف يتصيد الفلاح الفقير المحتاج ، او المسرف
المتلاف ، لكان الرهن يغلق دائما . وبعد نصف
فدان ورثه عن ابيه اصبح عنده خمسة افدنة ،
فيها انصبة اخوته الذين كانوا اول ضحاياه .
اما كيف حصل على راس ماله فيقولون انه حتال
على ابيه قبل موته ، حتى وثق به ودله على مكان
النقود التى جمعها على مدى سنين طويلة املا فى
ان يحج الى بيت الله ، واوصاه ان يجهزه ببعضها

ويقسم الباقي بالعدل بينه وبين اخوته • وطمأن عبد الوارث اباه ، وظل ملازما له اثناء مرضه ، وعندما احس بقرب نهايته طرد كل من في الدار بقسوة ، حتى اخواته وعماته ، زاعما ان اباه بخير . وان بكاء النسوة يجلب الشؤم • وقبل ان يعلن خبر موته كان قد اخفى المال حيث لا تصل اليه يد احد •

كان عند عبد الوارث راع واحد يساعده في زراعته ، ولم يكن عبد الوارث فلاحا ماهرا ، ولكنه كان قاسيا • كان يعذب راعيه باوامره المتناقضة ، وسبابه الدائم ، وصفعاته ولكماته احيانا حتى امام الناس • لذلك اصبح وجه راعيه اشبه بقناع يمثل التعاسة • لم يكن يستطيع ان يتركه لانه كان مدينا له . وكان في استطاعة عبد الوارث ان يدخله السجن بالف تهمة اخرى • ولم يكن يستطيع ان ينتحر لان الرجال في قريتنا لا ينتحرون • وبعد مدة لم يعد يكلم احدا ، اصبح حيوانا اعجم له لسان وشفتان •

هذا هو عبد الوارث الذي رأيته يدخل دارنا ذات مساء ، ويخرج بعد قليل ممسكا بيده اليسرى مقود جملنا . والجمل يتلفت الى جوانب الدار ويحن •

كنت انذاك قد بدات أخلع رداء الطفولة وادخل في طور جديد ، واخذت تتجاذبني احلام غامضة ، وتتكشف لي الدنيا عن اسرار شائقة . فاسير ذاهلا عما حولي . أو اجلس في الدار وحيدا اجتر خيالاتي الساحرة • ولكنني حين رأيت جملي يخرج من الدار ويحن . اعتصر قلبي حزن ثقيل ، وشعرت باليأس من كل شيء •

لعلي قلت لكم ان عبد الوارث كان جارنا ؟ لم أعن داره . ولكنه كان يملك حقلا ملاصقا لحقلنا .

وكنت قليل الذهاب الى الحقل مذ شغلتني الدراسة . فعزيت نفسي بانني لن ارى جملي الا قليلا . وربما استطعت أن أنساه • وهكذا كان • ولكنني كنت اتذكره من حين الى حين ، واتخيل سوء معاملة عبد الوارث له ، فينقبض قلبي ، والعن الفقر والحاجة •

وذات يوم شاء سوء حظي أن أكون في الحقل وان ارى عبد الوارث يبرك الجمل الذي صار جمله ، وكان يجذبه من مقوده بعنف ، ويركل قائمته القريبة منه ، ويضربه على عنقه بطرف المقود ، ونظرت الى وجهه ـ وجه الجمل ـ فرأيت قناعا من التعاسة يشبه قناع الراعي . فانطلقت هـ[ـار]با الى الدار •

أما كيف حدث ما حدث في ذلك اليوم [المشـ]ـئوم، فلا احد يدري • ولكن بعض الجيران كانـ[ـوا] في الحقول المجاورة فالتفتوا على صوت هدير عال يشبه صهيل الفرس ، وصراخ عرفوا فيه صوت عبد الوارث ، ونظروا فاذا الجمل قد امسك صاحبه بين اسنانه وانطلق يعدو به وهو يحرك عنقه يمنة ويسرة ، وقد استحال صراخ عبد الوارث عواء كعواء الكلب المسعور حين تمزقه رصاصة : خشن يخرج من حلقه ، متهالك فيه رنة البكاء • وحين بلغ الجمل الطريق الترابي الضيق المحفوف باشجار الاثل جعل يضرب صاحبه في جذوع الشجر (وقد بقيت عليها آثار الدماء زمنا مديدا فكان الناس يقولون : هنا قتل جمل عبد الوارث صاحبه) • ولم يعد يسمع انين عبد الوارث حين طرحه الجمل على الارض وراح يعجنه بخفيه الاماميين • ولكن اهل القرية جميعا روعوا بصوت ما سمعوا مثله قط • لقد ذاب هدير الجمل وصهيل الفرس في شيء غريب كانه مزيج من قصف الرعد وزئير الاسد ، ولم يبق رجل ولا امرأة ولا طفل الا وقد خرجوا من الدور يتاملون المنظر الفظيع مبهورين ، وهم لا يجرءون على الاقتراب منه •

كان الذي عند خفي الجمل كتلة معجونة بالطين والدم ، من لم ير المشهد من اوله لا يصدق انها كانت يوما عبد الوارث •

كف الجمل عن الحركة ، واستحال هديره قرقرة خافتة وراه أهل القرية يولي ظهره للمشهد ، ويمشي خطوات ، ثم يسقط على ركبتيه الاماميتين ، ويبرك ، ويمد عنقه الطويل ، ويلصق راسه بالارض • وسمع يحن حنينا طويلا مكتوما كانه يخرج من اعماق بئر ، وعندما اقترب منه اهل القرية ملأت انوفهم رائحة عرقه النفاذة •

هؤلاء هم يتقدمون نحوك يا جملي • بعد قليل سيحيطون بك • سيقيدونك بالحبال • سيسلخون جلدك ويعلقون لحمك في الخطاطيف ، وياكلونه مع الثريد وهم جالسون بين نسائهم واطفالهم • ترى هل يمكن أن يبث في دمائهم شيئا من شجاعتك •

■■

د • شكري محمد عياد

حل مسابقة العدد ٢٤٣ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	م	ر	ك	ى	و	ر	ى	■	ح	ى	ا	ن	ا	■	ا
٢	س	ا	ن	ب	ج	و	ن		ر	م	ل	■	ر	ش	ا
٣	م	س	ه	■	و	ا	د	ك	ا	ل	م	ل	و	ك	■
٤	ا	ه	■	ى	د	ى	ر	و	ن	■	س	ه	■	ر	ر
٥	ر	و	ا	ى	ى	ه	■	س	ى	ر	ى	و	م	■	ا
٦	ى	د	ق	ب	ه	■	م	ف	ت	ا	ح	■	ر	ا	س
٧	ه	ن	■	ل	■	ع	ن	ب	■	ى	■	م	س	ل	ى
٨	■		ى	و	س	ف	ب	ن	ت	ا	ش	ف	ى	ن	■
٩	ا	ل	ا	ن	ف	■	ر	م	ى	ن	ه	■	ل	ا	ى
١٠	ا	و	م	■	ا	ى	■	ح	م	■	د	م	ى	م	ه
١١	■	ا	ل	ا	ن	ت	ى	م	و	ن	■	خ	ا	و	ى
١٢	ص	ن	و	■	ا	ل	ا	د	ر	ى	س	ى	■	س	م
١٣	ا	د	ن	و	■	ا	ى	■	ل	■	ا	خ	ى	■	ن
١٤	م	ا	■	ى	ع	ى	و	■	ن	ج	د	■	ب	د	و
١٥	ن	■	ا	ل	ب	ى	ت	■	ك	ر	ى	ب	ب	و	ن

يوسف بن تاشفين

●

يوسف بن محمد

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : يوسف بن تاشفين ٠ اكبر سلاطين المرابطين ، ولد عام ١٠١٩ ، اسس مدينة مراكش ، وانتصر على ملوك الاندلس ، وهزم جيوش الفونس السادس ملك قشتالة ٠

(٨) رأسيا : يوسف بن محمد ٠ سلطان أيوبي ولد في حلب ، ومدّ نفوذه على سوريا باكملها ، تعاهد مع الملك لويس التاسع ضد مصر ٠ قتله هولاكو بعد احتلال حمص ٠

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها ٠ محمد محمود احمد سعد/المنصورية ـ الكويت ٠
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : حسين محمد الزبيدي/صور ـ لبنان ٠
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : عايدة عبد الغني يونس عبد الرحمن/دبي ـ الامارات العربية المتحدة ٠

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبد الملك عبد الله علي الجنداري / صنعاء ـ اليمن الشمالي
٢ ـ بثينة قاسم عبد الله/الخرطوم ـ السودان
٣ ـ مامون سعيد صالح/عمان ـ الاردن
٤ ـ عبد الصمد عزيز بحر/البصرة ـ العراق
٥ ـ طيبو محمد/وجدة ـ المغرب
٦ ـ خضر علي يغمور/الرياض ـ السعودية
٧ ـ وارتوهي اوسيبيان/حمص ـ سوريا
٨ ـ حسين محمد شفيق جندية/شبرا مصر ـ مصر

اعداد : يوسف زعبلاوي

الزراعة والرواسب الملحية

● تعاني أحدى المناطق الزراعية في كاليفورنيا من مشكلة المياه الملحية التي طال استعمالها في ري المزروعات حتى تراكمت الاملاح وباتت تهدد بتحويل المنطقة الى صحراء قاحلة .

والمنطقة شاسعة واسعة لا تقل مساحتها عن ٨ر٥ مليون فدان .. انها وادي سان يواكين الذي يقع بين جبال سيرانيفادا شرقا وديابلو الى الغرب .. وقد اشتهرت هذه المنطقة بخصوبة تربتها التي سمحت بزراعة أنواع مختلفة من النباتات نذكر منها القطن ، والبنجر ، والطماطم ، والعنب .. وضمنت لها دخلا سنويا بلغ مجموعه ٤٧٦٠ مليون دولار في سنة ١٩٧٧ وحدها. هذا بالرغم من أن الامطار في وادي سان يواكين شحيحة لا تجاوز ١٠ بوصات سنويا .. مما اضطر مزارعي تلك المنطقة الى استيراد ٦٠٪ مما تحتاج مزراعهم من مياه الري من خارج المنطقة . أما البقية البالغة ٤٠٪ فقد حصل عليها المزارعون من المياه الجوفية في الوادي ..

وشاءت الاقدار أن تكون تلك المياه التي احيت المنطقة وأغنتها في الماضي هي نفسها التي باتت تهددها بالفقر والدمار في المستقبل القريب .. ذلك انها مياه مالحة وان الطبقات الطينية الموجودة في باطن الارض لاتسمح بتسرب رواسبها الملحية الى أحواض المياه الجوفية . وهكذا تجمعت تلك الرواسب مع الايام وتراكمت حتى تصلبت واقتربت من سطح الارض ، بل أصبحت لا تبعد عنه سوى نحو خمسة أقدام . وذلك في مساحة لاتقل عن (٤٠٠ر٠٠٠) فدان .هذا

بالاضافة الى الرواسب الملحية التي خلفها تبخر المياه على وجه الارض فراحت الاملاح تغطي التربة الزراعية نفسها .. لا عجب اذن ان بلغت الخسائر التي تكبدتها المنطقة بسبب تلك الاملاح نحوا من ٣٢ مليون دولار سنويا .. وتتضاءل هذه الخسائر اذا ذكرنا أن استمرار الآفة دون علاج يهدد بتحويل تلك الحدائق الغناء الى صحار جرداء ..

العلاج الناجع . في رأى سلطـ . واشنطن المختصة . وحـ . الدراسة المستفيضة التي اجرتها تلك السلطات فلا يتعدى حسن التصرف بالمياه، بل حسن تصريفها . ويشير التقرير الذى وضعته تلك السلطات (١٤٠ صفحة) الى شبكة تصريف قائمة حاليا في المنطقة وتعرف باسم « سان لويس» ويبلغ طولها ٨٢ ميلا ..

ففي الامكان انشاء شبكات تصريف أخرى جديدة تكون الشبكة القديمة بمثابة نواة لها . فمن شان انابيب هذه الشبكات ان تنقل المياه المالحة الى مراكز تجميع ثم تجرها من هذه المراكز لتلقى بها فيما يعرف بخليج سويسون على بعد ٢٩٠ ميلا . وتضاعف مياه الرى المستوردة في وادى سان يواكين لتصبح كلها عذبة .

المشكلة التى عانى منها الاطباء الهنود اختلفت كثيرا عن المشكلة المعروفة في الغرب .. اذ كانت تلك المشكلة الابقاء على حياة البويضة طيلة ٥٣ يوما بعد ان انتزعوها من مبيض السيدة «بلا» ولم تكن في اعادة زرع تلك البويضة .. وتضيف المجلة التي اقتبسنا عنها هذا النبا . وهى الهند اليوم (India Today) في العدد الصادر ١٩/١٠/٧٨. أن الاطباء المعنيين اختاروا اعادة زرع البويضة اثناء فترة العيض ... وذلك حرصا على توفير المناخ الطبيعى . الكفيل بانزراع البويضة كما يقولون.

طفل الانبوب الثانى أو الثالث ...

● ولد طفل الانبوب الثانى في بريطانيا في ١٤ فبراير الماضي .. وكان ذكرا وقد سموه : الاستير مونتغومرى Alastair J L Montgomery

اما وزنه فزاد على ٢ر٥ كيلو جرام . علما بانه ولد مبكرا، في نهاية شهر العمل الثامن. غير ان الولادة كانت طبيعية ولم يكن ثمة حاجة لاجراء عملية قيصرية للام البالغة من العمر ٣٢ سنة .

ومما تجدر ملاحظته أن الدكتور المولد كان في هذه الحالة الدكتور ماكى هارت Dr. Mckay Hart ولم يكن الدكتور باتريك ستبتو الذى تولى - هو وزميله الدكتور ادواردز - امر تمكين المسز مونتغومرى من العمل .

ذلك ان هذه السيدة التى تعمل مدرسة طهى لجات الى الدكتور ستبتو بعد العملية التي أجريت لها واستئصلت فيها قنواتها الرحمية المسدودة.

ولم يكن صعبا على الدكتور ستبتو وزميله اخصاب احدى بويضات المسز مونتجومرى في انابيب المختبر . ولكن معاولته الاولى لاعادة زرع تلك البويضة فشلت .. ونجحت محاولته الثانية التى أجراها في شهر مايو / ايار الماضي .. فكانت بداية العمل الذى انتهى بولادة طفل الانبوب الثانى . على نحو ما أسلفنا .

وتجدر الاشارة هنا الى طفلة الانبوب الهندية التى روت قصتها بعض صحف الهند (لا كلها) . وخلاصة هذه القصة أن المسز بلا (٣١ سنة). وهى من أهالى كلكتا . قد مضى على زواجها ١١ سنة دون أن تنجب اطفالا . وذلك بسبب انسداد في انابيب فالوب .. لجات الى الدكتور (بهاتاشاريا) سنة ١٩٧٤ .. فعمد هذا الى طريقة الاخصاب خارج الرحم وساعده في ذلك بعض مشاهير الاطباء المختصين. والغريب أن

وتمت الولادة فى ٣/١٠/٧٨ ولكن بعملية قيصرية أجراها للسيدة « بلا » الدكتور بهاتاشاريا Dr Sarojkanti Bhattacharya الذى ذكرنا .. وتؤكد المجلة أن طفلة الانبوب الهندية واسمها (دورجو) هى الآن بصحة جيدة وقد بلغ وزنها عند الولادة ٣ر٣ كيلو جرام .

والجدير بالذكر أن قصة طفلة الانبوب الهندية اخذت الاوساط الطبية في الغرب والشرق على حين غرة .. اذ لم يسبقها اى خبر أو تقرير عن الجهود أو المشاكل التى بذلها او جابهها الاطباء الهنود طيلة سنوات تعاونهم في هذا الصدد . وهى لا تقل عن ٤ سنوات. وذلك خلافا للتوقعات ولما كانت عليه الحال في بريطانيا . ■■

الموشحات والأزجال في الفن الشعبي الجزائري

بقلم : صفوت كمال

لا شك أن أية محاولة علمية لتحقيق التواصل الثقافي في حياتنا المعاصرة ، لا بد لها أن تدرك بوعي عميق مكونات الثقافة العربية ، بما تتضمنه هذه الثقافة من تراث مدون ، وما تحتويه من مأثورات شفاهية ٠

فالمأثورات الشعبية بطبيعتها ، كتعبير عن فكر ووجدان المجتمع ، تتوسل بمختلف وسائل التعبير من فنون قولية أو غنائية أو موسيقية أو تشكيلية أو صناعات تطبيقية ، ذات قيمة جمالية ، لتعبر معا عن واقع الخبرة الثقافية للانسان ٠٠ تلك الخبرة التي يمارسها تلقائيا في حياته اليومية الجارية ٠

وثقافتنا العربية تتميز بالتواصل الحي بين ماهو موروث مدون وبين ما هو مأثور وشائع شفاهة في اطار متماسك من وحدة اللغة كوسيلة للتعبير المباشر عن المقولات الفكرية للمجتمع ، وكذلك في وحدة مترابطة من العادات والتقاليد ، كتعبير عن التزام الانسان بمقولاته الفكرية خلال تجربة الحياة وممارستها ٠

وقد ظلت اللغة العربية على مر الحقب الزمانية تؤكد وحدة التعبير وحيويته في نفس الوقت ، كعامل اساسي من عوامل تاكيد الوحدة الثقافية للمجتمع العربي ، على امتداد المساحة الجغرافية للوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط ٠٠ وفي لقاء حضاري منقطع النظير بين الانسان واخيه الانسان سواء في جبال اليمن او جبال اطلس ٠

وقد ظلت اللغة العربية محتفظة باصلها كجذع شجرة متعددة الاغصان ، مورقة دائما في حيوية واشراق دائمين ٠ سواء كان ذلك في اصالتها الفصيحة أم في تنوع لهجاتها المرتبطة اساسا باللغة الام الفصيحة أم في تنوع أشكال استخدام هذه اللغة وتبديل بعض صيغها اللغوية او اشتقاق بعض الالفاظ ، أو تغيير طرق النطق الصوتي ، وتصحيف بعض الحروف او بعض الكلمات ، او ادخال تراكيب لفظية جديدة تتوافق مع متغيرات الحياة اليومية نفسها ٠ وقد ساعد كل ذلك على اثراء اللغة العربية وتعدد اغراضها الوظيفية في الحياة ٠٠ كوسيلة تعبير واسلوب ادراك سواء كان في المدونات والوثائق ام خلال الاستخدام اليومي الشفاهي كوسيلة تخاطب يومي ٠

وظلت اساليب التعبير الادبي والفني الشفاهية محتفظة باشكالها الاساسية ، وطرزها وانماطها التقليدية ، تعبر عن صور الحياة التي يعتز بها الانسان العربي ، وعن المقولات الفكرية التي يلتزم بدلالاتها في اشكال وانماط سلوكه اليومي في اطار من عاداته وتقاليده ، وفي مختلف اشكال وانماط سلوكه ومظاهر احتفائه بالحياة ٠

كما أن التعدد والتنوع في مظاهر البيئة الطبيعية اوجد تعددا وتنوعا ثرا في عناصر الابداع الشعبي العربي ، هذه العناصر الابداعية ، كلها تلاقت في انماط متسقة وسمات متجانسة ، لتعبر في النهاية عن طراز خاص من طراز الابداع الثقافي الانساني ، ابداع ثقافي متميز ، يرتبط بواقع الحياة الاجتماعية العربية ، ويعبر تعبيرا مباشرا عن الاتجاهات الفكرية والذاتية للانسان العربي في تفسير وجوده ، وتشكيل حياته في وحدة ثقافية متميزة ٠

التواصل الثقافي الحي

وقد تميزت الثقافة العربية بين سائر الثقافات الانسانية ، بالتواصل الحي بين ما هو موروث ، ون

.. شاعريته يتناغم مع الايقاع الموسيقى فى فنون الموشحات الموسيقية.

ومتواتر • لتعبر بهذا
هو كائن ـ عن وحدة
الانسانية بعامة ، نظرا
التقائى بينما هو موروث
ثابت، وبين ما هو مأثور
لى جيل دون انفصام أو

لة الماضية ومع بدايات
القرن بالذات ، وبعد أن
ارادتها حرة من قيود
اولات علمية وفنية جادة
ن العربية باصالتها
، تحقيق قدراتها الابداعية
صر من خلال ادراك ومعرفة
ثقافى العربى من اشكال
. واساليب واسس هذا
ا التراث موروثا مدونا
يا يعيش فى ذاكرة الناس
بعد جيل .. فى حيوية

واتجه عدد من الباحثين الجادين والدارسين المخلصين فى مختلف ارجاء الوطن العربى ، يواصلون السعى فى الكشف عن القدرات الابداعية للشعب العربى ، فى مختلف فروع المعرفة الانسانية من علوم وفنون ، واستقراء ما تضمنته المراجع والوثائق التاريخية من مواد ثقافية وفنية ، مع جمع وتسجيل ودراسة مازال حيا معاشا فى ذاكرة ابناء المجتمع العربى ، من مأثورات ثقافية .تكشف عن مكونات الخبرة الثقافية التى يمارسها الانسان العربى فى حياته اليومية الجارية • لتكون هذه الخبرة الثقافية فى تواصلها الحى مصدرا اساسيا ومباشرا من مصادر العمل على تحقيق الاصالة فى النتاج الفكرى المعاصر •

وقد ظلت هذه الجهود تتتابع فى وعى واصرار ومثابرة ، لتحقيق المسئولية الثقافية بتجرد عن اى شبهة عنصرية او نزعة اقليمية لتكشف عن مصادر اصيلة للابداع الثقافى المعاش •

وخلال السنوات العشر الماضية اينعت هذه الجهود العلمية وبخاصة فى الدراسات الادبية ،

فصدر العديد من الدراسات الجادة والاكاديمية التى تكشف عن مكونات بنية الثقافة العربيـــة ومقوماتها ، من تراث مثبوت مسجل ومأثور شائع ذائع بين الناس جميعا ·

التراث الغنائى الجزائرى

ومن الدراسات التى صدرت حديثا فى الجزائر كتاب التراث الغنائى الجزائرى ، الموشحات والازجال ، من جزءين وقد قام بجمع مادته الـ..ير الاستاذان / يلس جلول ، مدير المعهد الوطنى للموسيقى ، والحفناوى امقران المستشار الـ..ام للمعهد ·

وقد قام الاستاذان جلول وامقران بجهد علم كبير فى جمع وتدوين النصوص الادبية لهذه الفنو الغنائية من فنون الموشحات والزجل · وتصنيفه حسب انماطها الاساسية وتحديد اماكن ذيوع ..

تتناغم الوحدات الزخرفية الهندسية فى صناعة الزرابى العربية مع ثراء الايقاعات الموسيقية فى فنون الغناء الشعبى
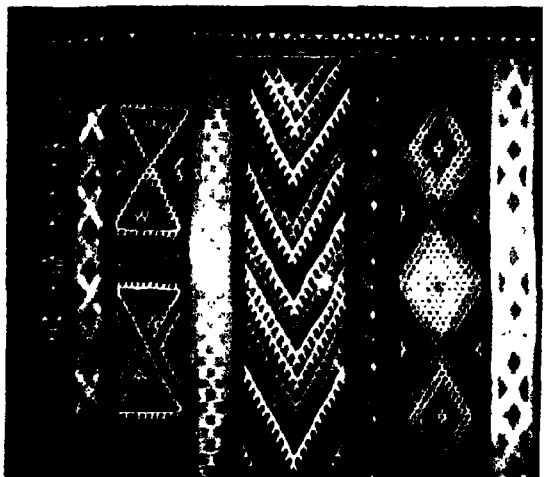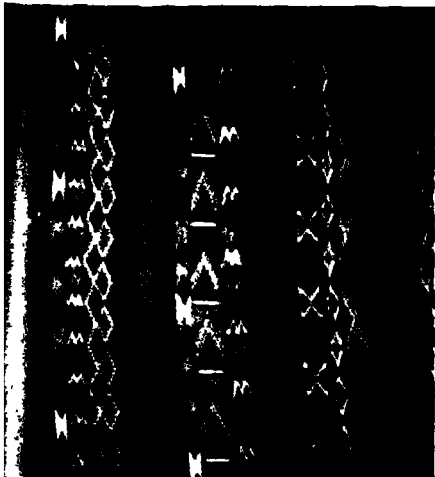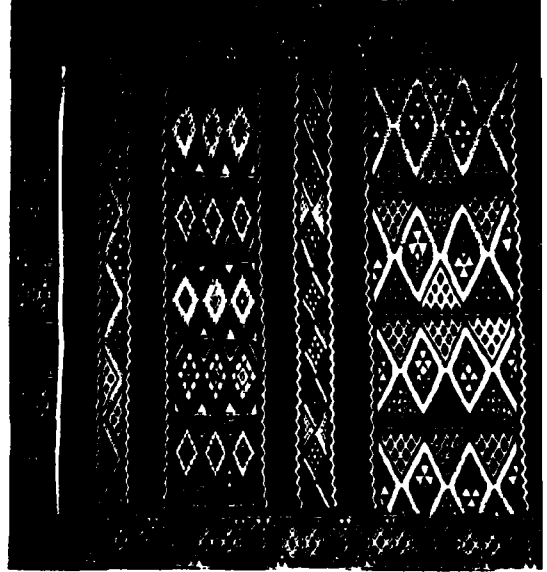
الحلى الشعبية تعبير مباشر عن وحدة الثقافة العربية وقدرة الانسان العربى على ادراك الجمال الفنى وصياغته

نوع ومسميات الالحان والايقاعات التي تصاحب اداء كل نص والمتغيرات الموجودة في كل نص تبعا لتغير المكان الذي يردد فيه •

ويشتمل الجزء الاول على ٣٦٠ صفحة والجزء الثاني على ٣٣١ صفحة من القطع الكبير • ويتضمن كل جزء مئات النصوص الشعرية من فنون الموشحات والزجل مما تمثل جزءا كبيرا من التراث الغنائي العربي في الجزائر •• وكلها مفهرسة فهرسة دقيقة ، ومبوبة حسب موضوعاتها، ومرتبة ايضا ترتيبا ابجديا • ومصنفة حسب النوب • والنوب مفردها نوبة ، وهي قالب موسيقى له قواعده الشكلية التي تتحكم في سير المقطوعات وطبوعها (مقاماتها) •

وهذه التسمية هي اصطلاح مجتمعي في المغرب العربي ، يدل على الفصول التي تتركب منها الادوار الغنائية •

وللنوبة أساسيات وقواعد تقوم عليها في تكوينها وتركيبها وهي •• : ـ

١ ـ وحدة الطبع (المقام الموسيقي) •
٢ ـ اختلاف أو تنوع الايقاعات •
٣ ـ تنوع في الحركة الموسيقية •

النوبة في الغناء الجزائري

وقد تضمنت الدراسة التي قدم بها الباحثان الجليلان كتابهما ، شرحا لمعنى النوبةوتاريخا لها• فقد بدأ استعمال كلمة النوبة في عهد الخليفة العباسي الثالث ، المهدي بن أبي جعفر المنصور ، الذي اهتم بكل النواحي الحضارية والثقافية ،وما تستلزمه من ألوان الادب والفنون ، وافرد لكل ناحية يوما يشرف هو بنفسه فيه على المسابقات والمساجلات : فيقال هذا يوم أو (نوبة) الشعر ، أو الغناء ، او الرماية ، أو السباق ••• الخ •

ولما آلت الخلافة الى ابنه هارون الرشيد ،صنف طبقات الموسيقيين والمغنين • فجعل نوابغ الفن في طبقة ممتازة ، وطبقة ثانية منهم ، وطبقة ثالثة من اصحاب المعارف ، ومن يجمع بين الغناء والنادرة، والجواري الضاربات بالعيدان •

وكان لكل مغن فرصة يعرض خلالها ما عنده ، وينشد الصوت الذي أعده على عزفه او عزف غيره•• وهكذا تتوالى نوب وفرص المغنين •

وقد أوضح الباحثان كذلك تركيب النوب وقواعدها•كما أثارا قضية هامة من قضايا ال... العربية المعاصرة ، وهي الاهمال الذي عانت ...ه المأثورات الشعبية العربية • حيث أن الدا...ين اهتموا بالتراث المدون وغفلوا عن التراث الش...هي الذي يشكل جانبا هاما واساسيا من الثقافة ال...بية (فالسلطة العلمية أو الاكاديمية جعلت من ...لادب الكلاسيكي فنا له اهميته،يحافظون عليه ويسـ...ونه بمعايير علمية وقوانين اكاديمية ، بحيث يضمنون الاواصر المتينة التي تربط بين النوعين المدرسي والشعبي • وفي الوقت الذي يمكن أن يتم التزاوج بينهما لولا الاعتماد على القيم الادبية والكلاسيكية والفنيات الخاصة التي تتطابق والافكار العلمية والتي تمنع هذا التزاوج بين أدبين أو شعرين أو فنين من طينة واحدة •

والسلطة العلمية ايضا هي التي تحدد المصطلحات الكتابية في التاليف والتعابير اللغوية • (ج ١ ص ١٢ ، ١٣) •

والواقع اننا نتفق مع الاستاذين جلول وامقران في هذا الرأي • فالدراسات الاكاديمية التي اهتمت بالموروثات الشعبية العربية ، والتي انتهت الى وحدة الثقافة العربية في تكاملها من تراث مدون ومأثورات شفاهية ، ما زالت هذه الدراسات محدودة ، بل تواجه صعوبات شتى داخل الجامعات العربية • وان كانت جامعة القاهرة ـ كلية الاداب ، وقسم اللغة العربية بخاصة ـ قد أرست قواعد الحركة العلمية للمأثورات الشعبية منذ بدايات النصف الثاني من القرن الحالي •

وتعبر الدراسة العلمية التي قدم بها الباحثان الجزء الاول والجزء الثاني ـ رغم ايجازها ـ عن تكامل الجهود العلمية ، في مختلف أرجاء الوطن العربي ، في دراسة قطاع هام من قطاعات ثقافتنا العربية ، وهو الموشحات والازجال •• فالموشحات والازجال تجمع في طبيعة تكوينها بين التراث والمأثور •• وبين الشعر الفصيح والشعر العامي والملحون • كما ان موسيقى هذه الفنون ، تخضع لتقاليد موروثة (كلاسيكية) مع حيوية في الاداء مما يجعلها ايضا تندرج في اطار المأثورات الشعب...

فالموشحات والازجال أوجدت لنفسها بامكانيا...ا الشعرية الفنية واساليبها الخاصة ما مكنها ... الاندلس العربية الاسلامية وغيرها •• وأصب... فنون الموشحات الاندلسية طابعا متميزا في التر...

...ي المغربي بعامة ، في المملكة المغربية والجزائر ...تونس وليبيا ، وتتلاقى في طراز فني خاص مع ...الموشحات والازجال في المشرق العربي .. وتتالف ...ع فنون الغناء في الوطن العربي الكبير .

...لقد حظيت فنون الموشحات والازجال بعدد من الدراسات العلمية الادبية والاكاديمية في محاولات ...ادة وجهود علمية متتابعة للكشف عن مقومات هذه الفنون في الثقافة العربية . فالدكتور ...عبد العزيز الاهواني قد اولى فنون الزجل ...الموشحات عناية علمية خاصة . (١) وكذلك الدكتور مصطفى عوض الكريم الاستاذ بجامعة الخرطوم ...ي دراسته الاكاديمية عن « فن التوشيح » ١٩٥٩ الاستاذ الصادق الرزقي في دراسته عن « الاغاني التونسية » (١٩٦٧) والدكتور عباس عبدالله الجراري عن دراسته الاكاديمية «الزجل في المغرب» القصيدة » (١٩٧٠) . وكذلك الدراسة التي ...صدرها الدكتور رضا محسن حمود القريشي عن الفنون الشعرية غير المعربة ، باجزائها الثلاثة ، ...خصص الجزء الثاني منها عن « الزجل في ...الشرق » . (٢)

وهذه الدراسات بما تتضمنه من قوائم باسماء الكتب والمراجع ، تكشف عن ما تزخر به المكتبة العربية من مادة علمية ، نامل ان تكون موضع ...راسة مقارنة لفنون الموشحات والازجال في الوطن العربي الكبير مرتبطة بفنون الغناء العربي بعامة ، ...بخاصة ان فنون الموشح اليمني بدات بعض الارهاصات العلمية تعطي دلالات على أن الموشح الاندلسي كان ...وطنه اليمن ، ثم هاجر مع غيره من اشكال التعبيرات الادبية والفنية وعناصر الثقافة العربية الى ...الاندلس ، (انظر احمد حسين شرف الدين ، ...الطرائف المختارة من شعر الخفنجي والقارة) ...١٩٧٠) . كما ان فنون الصوت الشائعة في ...الخليج والجزيرة تحتاج الى دراسة مقارنة تاريخية وتحليلية مع غيرها من فنون الغناء العربي ..

وفنون الموشحات والزجل ، ما زالت الى حد كبير تدرس كنمط مستقل في فنون الموسيقى والشعر دون تحليل روابطه مع غيره من فنون الغناء العربي على صعيد الوطن العربي ككل .

وقد يكون سبب ذلك ان البحث حول اصول هذا الفن الغنائي لم يتحدد بعد بشكل علمي اكيد فيرى بعض الباحثين ان اصله اسباني ينبع من الحياة الاجتماعية والثقافية والسلوكية للمجتمع الاسباني . او انه نتيجة التزاوج الذي تم بين العرب والاسبانيين .

تاريخ الموشحات والزجل

فقد ظهر فن الموشح بصفة عامة في الاندلس خلال القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ، واول مخترع للموشحات هو مقدم بن معافر من شعراء الدولة المروانية . والموشحات هي المحاولة الكبرى التي لم تسبق ولم تلحق – كما يقول الاستاذان الباحثان – في الخروج على الاوزان التقليدية . وقد عرف ابن سناء الملك (٥٥٠ – ٦٠٨هـ ، ١١٥٥ – ١٢١١م) الموشح « بانه كلام منظوم على وزن مخصوص » . وعرفه محمد شنب الجزائري بانه « قصيدة نظمت من أجل الغناء » .

ويرى غيرهما ان الموشح فن قائم بذاته ، واسم هذا اللون من النظم اشتق من الوشاح (بكسر الواو وضمها) ، والاشاح (بكسر الهمزة) . لان اغصانه وخرجاته كالوشاح ، والوشاح او الاشاح هو ترسان اللؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما ، معطوف احدهما على الاخر ، تتوشح المراة به .

ويتركب الموشح من جزءين اساسيين : –

١ – المطلع ، القفل ، الخرجة .
٢ – البيت .

... انظر دراسته عن الزجل الاندلسي ، القاهرة ١٩٥٧ .
... انظر الفنون الشعرية غير المعربة ، جـ ١ ، المواليا ، بغداد ١٩٧٦ .
جـ٢ ، الزجل في المشرق ، بغداد فبراير ١٩٧٧ م .
جـ ٣ ، الكان وكان والقومان ، بغداد ، يوليو ١٩٧٧ م .
... ت تحقيقه لكتاب : تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي (١٢٧٤ – ١٤٢٣ م) ، « بلوغ الامل ... ن الزجل » ، دمشق (١٩٧٤) .
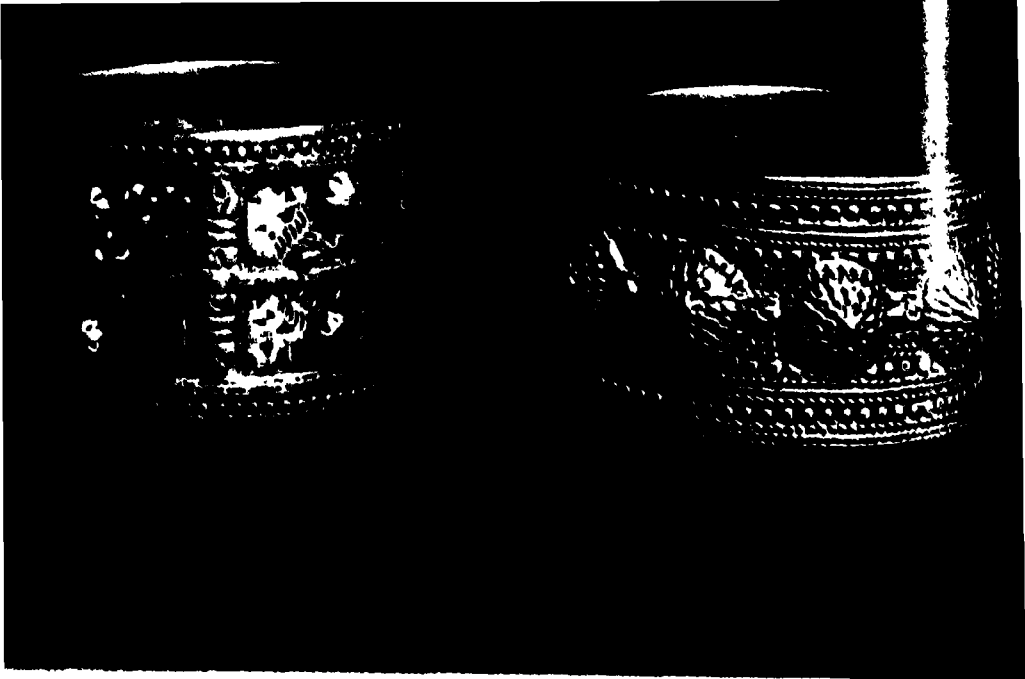
سوار من جبال عمور يتماثل مع اساور «الدويصات» في الخليج العربي

الاداء في مختلف ارجاء الوطن العربي ٠

كما أن « المقطوعات التي تؤدى في هذه النوب تتصل اتصالا مباشرا بالمناسبة والمكان ٠ ومن هذا الارتباط يمكن‌ان نقر بان‌هناك نوبا دينية موضوع مقطوعاتها ابتهالات واذكار (القصائد في الجزائر) كما ان هناك نوبا (شعبية) تؤدى بمصاحبة الطبلة والرزنة وبمقاطع صوتية ، وما تزال عند بعض شيوخ هذا اللون من التراث الفني الجزائري تتبع فيها نفس القواعد التي تتبع في النوبة من التراث الفني الذي يسمى بالاندلسي » جـ (١ ، ص ٣٩)٠

ثراء الايقاع الزخرفي الهندسي من اهم مميزات فنون النسيج العربي الاسلامي

« الى جانب هذا نجد ايضا المدائح التى تشكل الجانب الاكبر والتى ما يزال الكثير منها يغنى على طبوع الموسيقى الكلاسيكية والتى تسمى (القصائد) .

ولم يجد الباحثان تفسيرا لوجود هذه المدائح « القصائد » الا تفسيرا واحدا هو ان اولئك الذين نظموها على طريقة الموشحات هم العلماء والمشايخ الذين تشبعوا من العلوم الدينية والاسلامية ومنها القراءات . (جـ (٢) ، ص ١١) .

الموشحات والثقافة العربية فى الجزائر

والواقع ان هذا الجهد الكبير والدقيق فى جمع وتصنيف واعداد ونشر هذه المجموعة القيمة من الموشحات والازجال فى الجزائر يكشف عن الدور الهام الذى قامت به الموشحات كشكل من اشكال الغناء العربى فى تاكيد عروبة الوجدان الجزائرى الاصيل . سواء فيما كان يردد داخل البيوت او فى الساحات او خلال الاحتفالات العائلية او ما ينشده المتصوفة من اشعار غنائية دينية وقصائد ومدائح تتغنى بامجاد العروبة والاسلام وتصور بصيغها الادبية المختلفة احداث البطولة وقصص ابطال السير العربية .

والموشحات وان تميزت بطابع خاص فى مجالات ادائها ومناسبات هذا الاداء وموضوعاتها ووظيفتها كشكل من اشكال الطرب والرفاهية الفنية ، الا انها بنصوصها الشعرية العربية والمعربة تعبر عن جوانب هامة من بنية الثقافة العربية فكرا وذوقا ولغة .

وقد اتبع الباحثان نفس المنهاج فى كتابهما من « المقاومة الجزائرية فى الشعر الملحون » الذى صدر ايضا عام ١٩٧٥ ويتضمن عشرات القصائد من الشعر العامى الذى ردده المداحون الجوالون (القوالون) فى المدن والقرى واماكن التجمعات ليسمع المتحلقون حوله ، تلك القصائد التى تحكى البطولة والشجاعة ، او تلك القصائد التى تطفح حبا وعطفا ، وغيرها من القصائد التى يحفظها المداح ، والتى يلف بها (المداح) الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .. (ص ١١) وهذا الكتاب عن المقاومة الجزائرية فى الشعر الملحون الذى صدر ضمن سلسلة دراسات التراث الشعبى .. مع كتاب ، « ابو مدين شعيب » ، « الجواهر الحسان فى نظم اولياء تلمسان » الذى حققه وقدم له وعلق عليه الاستاذ عبد الحميد حاجيات الاستاذ فى كلية الآداب ـ جامعة الجزائر (١٩٧٤) يكشف

التفاؤل .. والتشاؤم !

- المتفائل هو الرجل الذى يرى ضوءا لاوجود له ، والمتشائم هو الغبى الذى يحاول ان يطفىء هذا الضوء !
- المتفائل يرى الضوء الاخضر ، والمتشائم ينظر الى نفس هذا الضوء ، ولكنه يراه دائما أحمر .. اما الفيلسوف فهو مصاب بعمى الالوان !
- كيف يمكن ان نتطلع الى مستقبل وردى ، ونحن نسرح بافكارنا ونغوص بها فى احزان الماضى ؟
- الفرق بين المتفائل والمتشائم ، هو الفرق بين الرجل الذى يراك تقع فى حفرة فيمد اليك يده ويساعدك على الخروج منها ، وبين الرجل الذى لا يكاد يراك تسقط فى الحفرة فيسارع بدوره الى القاء نفسه فيها معك !

جزائرية بملابس القرن الثامن عشر

لنا مع غيره من الدراسات في التراث الجزائري عن باطن هذه الثقافة واصالتها العربية والاسلامية.. وعن الدور الذي لعبه الشعر الفصيح والعامي.. وفنون الغناء ـ التقليدية والشعبية في التعبير عن

● الفن الشعبي في الجزائر

الانسان العربي في الجزائر فكرا وحسا وذوقا .. ... وعن الدور الذي لعبته المأثورات الشعبية في مقاومة كافة الضغوط الاستعمارية التي جابهها ابناء الجزائر .

فالمواد التي تجمع وتسجل من رواتها وحفظتها وأهل صناعتها تتكامل مع الوثائق التاريخية في الكشف عن حيوية وصلادة الثقافة العربية . سواء تمثل ذلك في حيوية اساليب التعبير الادبي او تناقل الخبرة الثقافية من جيل الى جيل من خلال المأثورات الشعبية ، ادبا وفنونا تطبيقية وتعبيرية في اطار من وحدة العادات والتقاليد .

هذه الدراسات الجادة عن التراث الشعبي الثقافي العربي تقدم للاجيال القادمة رؤية واعية عن واقع الخبرة الثقافية للانسان العربي، وقدراته الابداعية في اثراء الثقافة الانسانية بعامة ... باعتبار ان التراث الثقافي موروثا ومأثورا ـ هو مصدر من مصادر الابداع الثقافي الجديد ... يعطي للحديث اصالة كما يقدم الحديث للقديم بهاء ، في تواصل حي يجمع بين الاصالة والمعاصرة . ■■

الكويت ـ صفوت كمال

■ ليس هناك اى خطر على عينيك اذا مضيت تركز على الجانب المضيء وحده في كل شيء يمر امامك . ثق ان قوة الابصار عندك سوف تزداد قوة !

الاخطاء !

■ الوسيلة الوحيدة لتجنب الوقوع في الاخطاء ، هي ان يكتسب المرء خبرة ، وأسهل وسيلة لاكتساب هذه الخبرة أن يرتكب بعض الاخطاء .

■ بالامس شاهدت رجلا لم يرتكب خطأ واحدا منذ اكثر من أربعة الاف عام .. لقد كان مومياء في متحف للاثار القديمة .

■ لقد ارتكبت اخطاء كثيرة في حياتي ، ولكنني لم ارتكب خطأ واحدا محددا .. خطأ أن أقول انني لم اقع في خطأ .

■ اكبر خطأ نقع فيه هو ان يستبد بنا خوف دائم من الوقوع في الخطأ .

العمارة اليمنية تتحدى

استطلاع :
فهمي هويد:

تصوير :
أوسكار متر
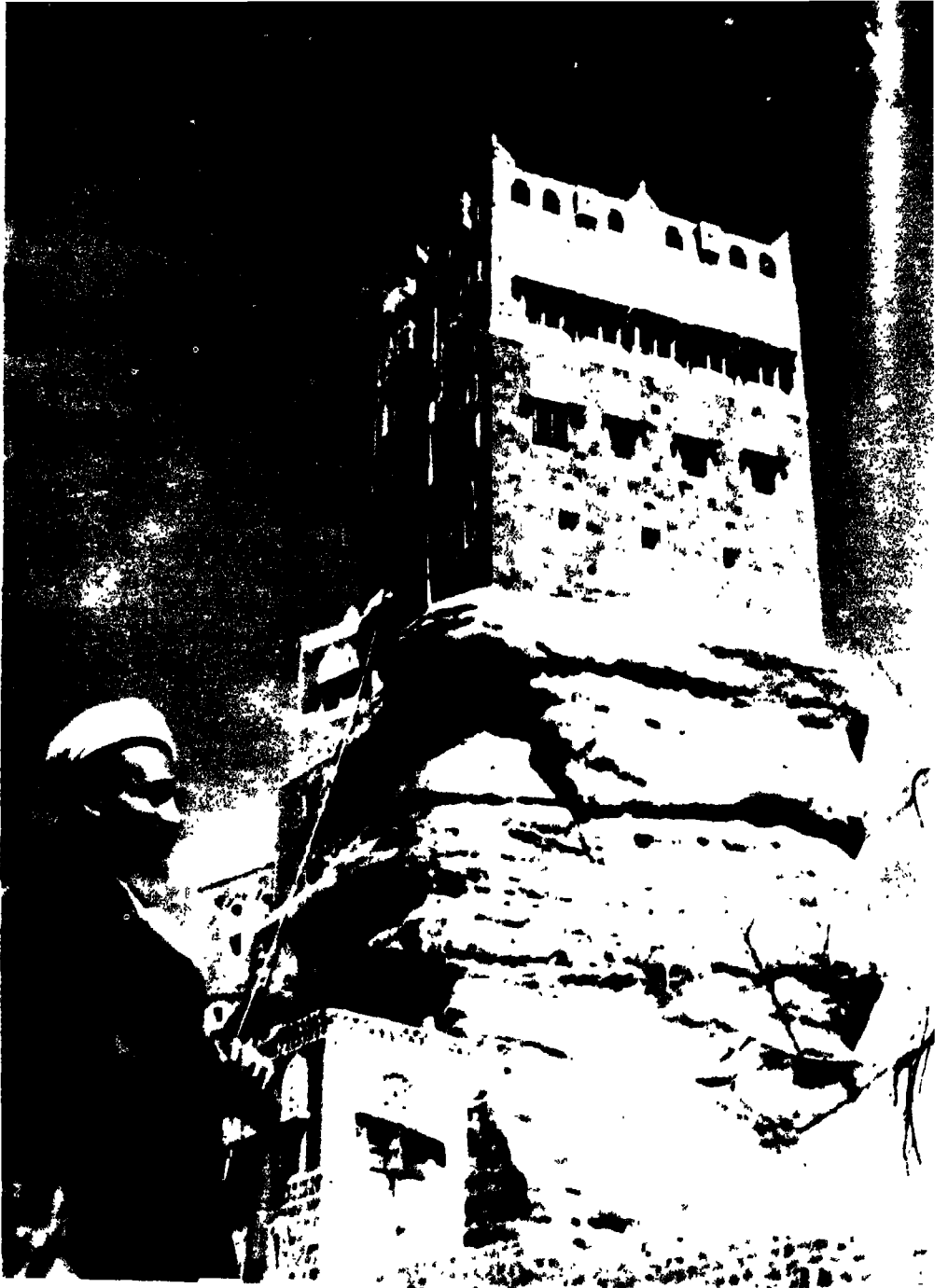
صورتان تعكسان بصيغتين مختلفتين مدى الابداع في العمارة اليمنية • الاولي ، الى اليمين بعض
نقوش التى تعلو مدخل احد المنازل ، وبينهـاكتابات محفورة على الجدار تقول : بسم اللـه
حمن الرحيم • ما اريد الا الاصلاح ما استطعت،وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب•
تقول في جانب منها : ما شاء الله كان ومالم يشا لم يكن • والصورة الثانية (فوق) قصر
جر قرب العاصمة صنعاء ، وهو احد قصورالائمة السابقين • وقد تربع فوق صخرة عالية فى
تكون معمارى مدهش • لاحظ الانسجام بين شكل الصخرة وشكل المبنى •

هذا بلد منقوش على الحجر !

بايديهم ـ فى اليمن ـ نحتوا كل شيء ، الجبل والسفح وواجهة البيت ، بل وابوابه ونوافذه ومفاليقه . لم يتركوا شيئا بغير نقش ، حتى الاساور والخناجر والاحزمة والمكاحل !

وحيثما ذهبت فى اليمن تتراءى لك النقوش ، باهزة واخاذة ، حتى تبدو لك القرى المبنية المتناثرة فوق قمم الجبال الشاهقة ، كما لو كانت شريطا يعرض مجموعات من اعمال النحاتين العظام .

يدهشك مثلا ، كيف حمل اليمنى بجسده النحيل وسيقانه الرفيعة كتل الحجر الى ارتفاع ثلاثة الاف متر فوق سطح الارض ، لا ليبنى قصرا او معبدا ، ولكن لينشىء قرية باكملها ، بل عديدا من القرى . ولا يكتفى بذلك ، بل يعمد الى تزيين واجهات بيوت تلك القرى بالاحزمة والحجارة الملونة ، وعقود الزجاج المعشق !

وتاخذ العقل ـ كما يقول اهل الشام ـ قرى اخرى فى الوديان ، ـ زبيد مثلا ـ وقد لجا الفنان اليمنى الى « تطريز » واجهاتها بنقوش لا يخلو منها شبر واحد . ولا مبالغة فى استخدام كلمة « تطريز » هنا ، لان كثافة النقوش ، والجهد المبذول فيها ، والصبر الهائل على انجازها ، والتفنن فى تصميم اشكالها ، بحيث يبدو كل منها مختلفا تماما عن الاخر ، هذا الابداع المكتمل العناصر ، لا يسمح لاى منصف بان يصف العمل باقل من انه « تطريز » . حتى ولو انصرفت الكلمة فى الاساس الى الثياب والمفارش والملاءات !

ثم ماذا تقول فى صنعاء ؟ ، وقد كست النقوش مبنى من سبعة طوابق ، من عتبة الباب عند المدخل الارضى ، حتى سور السطوح حول « المفرج » ؟ .. وبين الطابق والطابق حزام بنقش مختلف ، وفوق كل نافذة عقد برسم مختلف ، وعلى كل جدار تكوين بخطوط مختلفة ! ... ثم تتبين ان هذه ليست بدعة او « صرعة » ، ولكنها نمط وطراز مدينة كاملة . وتدهشك بقية الصورة فى الكتب ، اذ يروى ابن بطوطة الذى زار المدينة قبل ٦٠٠ سنة ، انها مفروشة كلها بالبلاط ، وان الامطار كانت تغسلها كلما هطلت !

وليس فى هذا كله اكتشاف ولا مفاجاة ، رغم ان اجيالا عربية باكملها لا تعرف عن اليمن الا وجهها التعس ، التخلف والفقر والجهل ، والحرب والامامة والقات ! . وبغير عد اولئك الذين ذهبوا الى اليمن ، لكن اكثرهم لم ير فيها الا قسمات ذلك الوجه التعس . ربما لانهم شغلوا برصد الهموم عن أى شيء آخر ، وربما لان عقدة الشعور بالنقص عندنا تحجب عنا دائما رؤية النصف الملآن من الكوب بحيث لا نرى فيه الا نصفه الفارغ . ولا نرى فى حياتنا الا وجهها الكئيب ، ولا نلمح فى تاريخنا الا صفحاته الجدباء !

حتى على مستوى البحث العلمي ، فانه منذ تنبه الباحثون الى اهمية الحضارة اليمنية ، وبدأوا يلهثون وراء اكتشاف اسرارها فى منتصف القرن الثامن عشر . فان الباحثين العرب الذين شاركوا فى هذا الجهد لا يتجاوز عددهم اصابع اليدين * . وبقية القافلة كلها من « اعاجم » اوروبا وامريكا !

وخلال محاولاتنا « التنقيب » عن أى مطبوع يتحدث عن العمارة اليمنية ، لم نعثر الا على كتاب واحد ، اعده اثنان من الايطاليين ـ مهندس ومصور ـ كانا يعملان بادارة الآثار فى صنعاء ، واستطاعا ان يستخدما امكانيات الادارة ، فضلا عن موهبة المصور اينيو فيكاريو ومعرفة المهندس باولو كوستا ، وقدما الكتاب بعنوان « اليمن بلاد البنائين » .

وكانت نتيجة هذا الخليط من الجهل والتجاهل ، ان ظل اليمنيون وحدهم يجترون صفحات الماضى ، وشعراؤهم وحدهم يتغنون بالمجد القديم . وهي مصادفة لا تخلو من دلالة ، ان كان اهم مرجع عن حضارة اليمن كتبه

---

* أول بعثة عربية سافرت الى اليمن ، اوفدتها جامعة فؤاد الاول المصرية (القاهرة) عام ١٩٣٦ ، وكان من بين اعضائها العالمان العربيان الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي .

احد ...علماء اليمنيين فى القرن العاشر الميلادى ، هو ...احمد الحسن بن احمد الهمدانى ، الذى قدم ...موعته الشهيرة « الاكليل » ، فى عشرة اجزاء .

بلد بلا زيف

واذا كانت النقوش علامة ترف فى بلاد كثيرة ، فانها فى اليمن ، ومنذ عرف التاريخ المكتوب ، لغة تعبير يستخدمها الجميع . والواح « المسند » ... النقوش اليمنية القديمة التى ترجع الى اوائل القرن التاسع قبل الميلاد * ــ شاهد على ذلك . فرموز ابجدية المسند (عددها ٢٩) تعتمد اسلوب التكوينات التجريدية ، التي تعبر عن اصوات الحروف العربية الحديثة . بينما الهيروغليفية (المصرية القديمة) تستخدم الى جانب التجريد وسائل اخرى للتعبير مثل صور الكائنات ، الطيور او الحيوانات .

ويربط بعض الباحثين بين شكل ابجدية المسند وبين العمارة اليمنية . وفى هذا الصدد يقول اسرائيل ولفنستون فى كتابه « تاريخ اللغات السامية » ان « الحضارة جنوب بلاد العرب عملية تنحو نحو الاعمدة في عمارة القصور والمعابد والاسوار والسدود وابواب المدن . ومن اجل ذلك فان لديهم ميلا شديدا لايجاد حروف على هيئة الاعمدة » .

ورغم ان اللغة تطورت ، واخذت الحروف صياغات واشكالا مغايرة ، فان النقوش ظلت محفورة فى اعماق اليمنى ، « يسقطها » احيانا على واجهة منزل ، واحيانا على سفح جبل ، ودائما فى ثيابه وكل ادوات زينته .

وسنرى ان النقوش لا تؤدى دورا جماليا فقط ــ على اهمية هذا العنصر ــ وانما كثيرا ما تؤدى « وظيفة » فى الوقت ذاته . وفى الحالتين ــ لانها لغة الجميع ــ فان طراز العمارة اليمنية لم يختلف فى القرى عنه فى المدن . بل لم يختلف منذ قرون سحيقة عنه الآن !

وربما لهذا السبب ، فانك فى اليمن ــ ومعذرة لعدم ...التفرقة بين الشمال والجنوب ، لان المعنى هو ...اليمن بشطريه ، ورغم ان زيارتنا كانت للشمال ــ تشعر بانك وسط بلد لم تمتد اليه يد التزييف .بلد له جذور ضاربة فى اعماق التربة واعماق التاريخ ، وتفوح من شوارعه رائحة الاصالة والعراقة .

وهو على العكس من بلاد اخرى فى عالمنا العربي، تشعرك بانك تتعامل مع واقع لا يمت الى الحقيقة بصلة . لا توقف امامه التاريخ ، وبالكاد اقحم على الجغرافيا ! واقع يرتدى اكثر من قناع . فالمدن وهمية والبشر ممثلون ، والجميع يؤدون ادورا مرسومة فى فيلم سينمائي يجرى تصويره . وينتابك احساس بان هذه الاقنعة سوف تختفى بعد فترة تطول او تقصر ، لترى مكانا غير المكان ووجوها غير الوجوه ، وازياء مختلفة تماما ، وربما قصة مختلفة ايضا !

وغير تلك المدن الوهمية فى عالمنا العربي ، فثمه مدن اخرى يتنازعك فيها الوهم والحقيقة . او قل هي مصابة بمرض ازدواج الشخصية ، الذى نعانى منه جميعا بدرجات متفاوتة . فمقابل الوجه الاصيل عشرة اوجه اخرى مزيفة . بل ربما بدا هذا التخبط فى البناء الواحد ، الذى لا تعرف بالضبط اشرقى هو ام غربى ، ام مزج بين هذا وذاك ، ام مسخ لهذا وذاك !

وهي مشكلة ــ لم تحل ــ تتجاوز الحجر الى البشر ، وتطرح قضية أهم واخطر ، هي قضية الشخصية العربية المستقلة ، وكيف نبقى على اصالتها امام موجات التحديث المطلوبة والتغريب المرفوضة . حتى لا نلقى مصير الغراب ، الذى فشل فى تقليد الطاووس ، وفشل فى ان يعود الى طبيعته ، فجرى له ما جرى. او مصير بلد كتركيا، الذى انتزعه كمال اتاتورك من الشرق قبل نصف قرن ، والبسه ثيابا غربية وهميه ، فانتقل من صدارة الشرق الى مؤخرة الغرب ، كما قيل بحق ، فلا بقى شرقيا ، ولا صار غربيا !

وهكذا ، فان العمارة فى أى بلد تكاد تعكس واقعه بامانة شديدة ، هى مرآة الشخصية العامة ، السوية او المريضة ، الاصيلة او المزيفة، القوية او الهشة والهزيلة .

وكثيرون هم الذين تحدثوا عن الالتصاق بين العمارة والبيئة ، الطبيعية والاجتماعية . اذ ان عمارة البيئة الحارة او الصحراوية ، تختلف بالضرورة عن عمارة البيئة الباردة او الزراعية .

---

* نشر خطأ فى العدد السابق أن النقوش ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ــ ص ١٠٨ .

المبنا رق : صنعاء القديمة من بعد ، وبنايات المدينة مكسوةكلها بالنقوش المرسومة والمحفورة : نين التين
المعمارى ، الذى لا يمكن ان يتصور احد انـهوليد التلقائية ، وان يد مهندس لم متد الب
ورغم ان البنايات تبدو متراصة ومتلاصقة عـنبعد ، الا ان الشوارع او الحارات ت رق المبنا
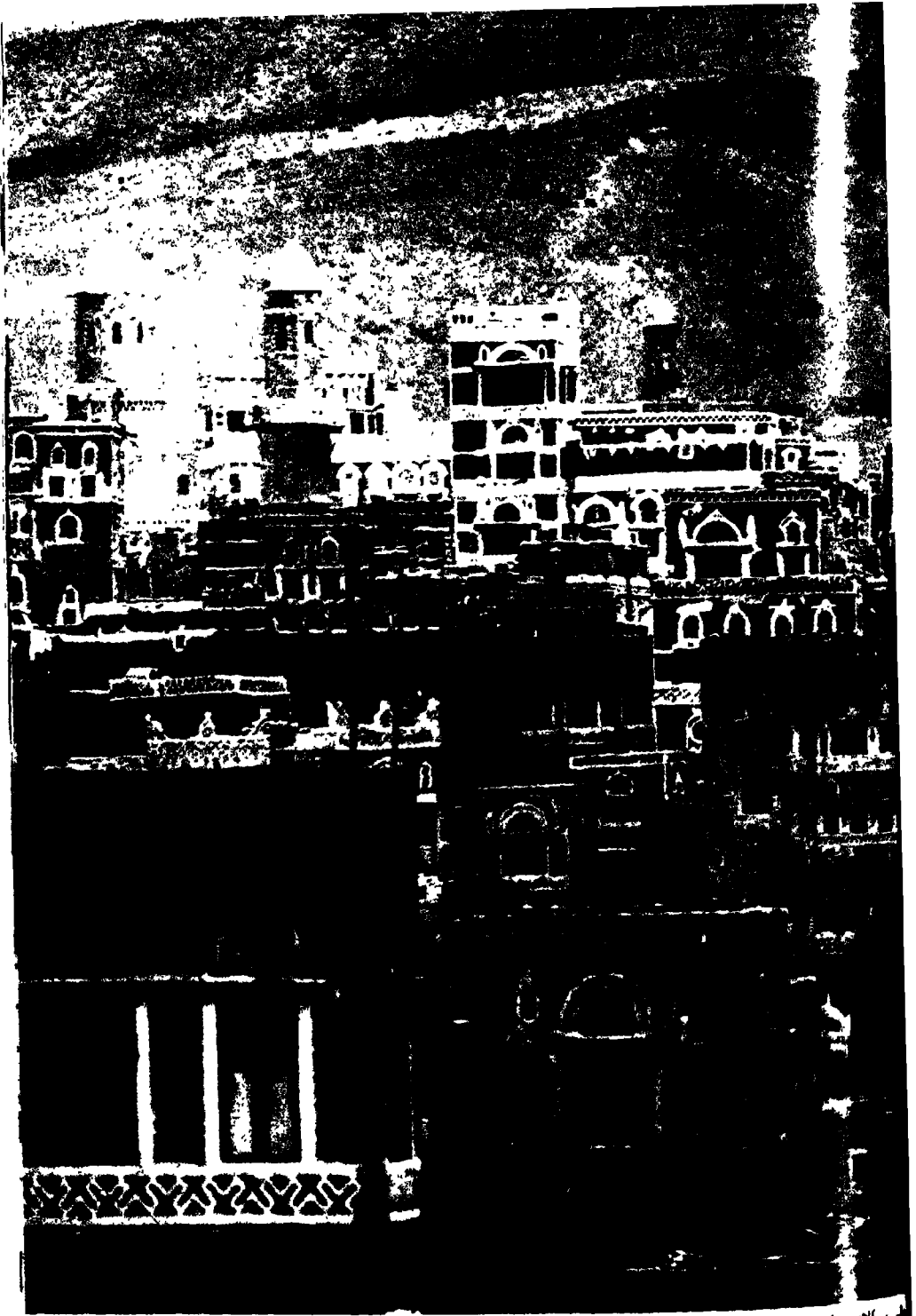
ط ، الاو لون الحجر ، والثانى هـو اللـون الابيض • واللوحة تبرز الى حد كبير مدى الجمال
ى الاطلاق • ذلك ان المقاول اليمنى هو الذىيقوم بكل شىء : التصميم والانشاء والنقوش •
ورة منظ للغاية ، بحيث يكون فى كل حارة مسجد وبستان •

وبنفس القدر فانهم يربطون بين العمارة والعادات والتقاليد ، فيذهب البعض ـ مثلا ـ الى ان هناك علاقة بين الشرفات والسفور ، وبين المشربية والبرقع (الخمار المثقوب الذى يغطى الوجه) ، وبين النوافذ الصغيرة (الطاقات) والحجاب .. وهكذا . وهم يستندون فى ذلك الى منهج يرى ان نجاح العمارة يقاس بمدى استجابتها لاحتياجات الفرد ، الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

أغنى العرب

يقودنا ذلك الى تقرير حقيقة اخرى ، هي ان العمارة العظيمة لا يمكن الا ان تكون نتاج حضارة عظيمة . وهي بالضبط كذلك فى اليمن . ذلك أنه اذا كان للحضارة شكل ومضمون ، فالمؤكد ان العمارة هي احد عناصر الشكل .

فالموقع الجغرافي لليمن ، اتاح لها فى الزمن القديم احتكار الوساطة التجارية بين امم الشرق، الهند والشرق الاقصى من ناحية ، وبين شمال الجزيرة العربية ومصر وبقية الدول المحيطة بالبحر الابيض من ناحية اخرى * . حتى صار اليمنيون « وكلاء كل ما يدخل تحت صفة النقل التجارى بين آسيا والغرب » ، كما سجل مؤرخ القرن الثالث قبل الميلاد ، اجاثرخيدس . وظلوا على هذه الحال طوال ١٣ قرنا ، حتى قدر المؤرخون ان العصر الذى شغلته حضارة اليمن يشمل عهود : بابل وآشور والفرس واليونان والرومان .

ويقدم لنا مؤرخ هو البريبلوس (القرن الثالث للميلاد) صورة لميناء « المخا » اليمني وقتئذ او « موزا » كما كانوا يسمونه ، فيقول : « ان المكان كله يعج باصحاب السفن العرب والبحارة و (التجار) ، الذين لهم صلات تجارية مع ساحل الجانب القصى (الصومال) وباريجازا (فى الهند) ويبعثون اليها بسفنهم .

وتتوالى الكتابات التي تصف ثراء هذه المناطق. فهذا « استرابو » يقول : انهم اغنى العرب ، يقتنون الرياش الفاخر ، ويتمتعون بكل اسباب الرخاء والترف (**) . ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفراش الثمينة . ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والا حجاره الكريمة . ويصف ارضهم بانها اخصب ارض العرب ، وانها تنتج المر واللبان والقرفة .

وهذا اجاثرخيدس يقول انهم اغنى اهل الارض ، وسبب غناهم اتجارهم بغلال بلاد العرب والهند . فيحملونها على القوافل الى الغرب او بحرا الى بابل. ولهم سفن ضخمة تسير فى المحيط الهندى ومراكب تسير في الانهر ،يصلون بها الى بابل ، وقد يصعدون فى دجلة الى مدينة « اوبيس » ، ومنها تنتقل البضائع الهندية والعربية ، وتنتشر في بلاد مارى وارمينيا وما جاورها . ويضيف المؤرخ اليوناني هيرودوت « ان بلاد العرب كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب ، لانها البلاد الوحيدة التي تنتج المر واللبان والاقاصيا واللادن » .

وقد كان هذا الثراء والرواج ، هو الذى اغرى الرومان بمحاولة غزو اليمن فى العام الخامس والعشرين قبل الميلاد ، لكن الحملة لم تنجح ، وعاد قائدها يوليوس جالوس الى بلاده وهو لا يزال يحلم بكنوز بلاد اليمن ، التى روى عنها الكثير للمؤرخ بلينوس ، وسجلها هذا فى كتاباته .

كما كان هذا الثراء والرواج فى العصر القديم هو المصدر الحقيقي لكل اوصاف « السعادة » التي ارتبطت باليمن . فقال عنها الرومان « اربيا فيلكس » اى العربية الخيرة او السعيدة . وحرص بلينوس على ان يشرح لماذا اطلق عليها هذا الوصف ، فكتب يقول : كسبت بلاد العرب نعت سعيدة لانها فياضة بحاصلات يستعذبها أهل الترف ، ويتباهون فى اقتنائها جهازا لموتاهم (يقصد بذلك اللبان) . وذكرت فى التوراة باعتبارها « العربية الغنية » وعرفها العرب بانها « بلاد العرب الخضراء » ، واعتبرها الفراعنة « البلاد المقدسة » ، وسماها الاخباريون « بلاد ؟؟

ليست هذه احدى لوحات الفن الحديث ، ولكنها جزء من واجهة مبانى صنعاء القديمة ، والفتحات المرسومة بهذا الشكل هى فى الواقع نوافذ « لمطبخ » المنزل ! ـ لاحظ النغم المفتوح ، والتجانس بين الشكل والمضمون والوظيفة .

(*) تاريخ اليمن القديم ـ محمد عبدالقادر بافقيه .

(**) اليمن وحضارة العرب ـ الدكتور عدنان ترسيسى .

على هذه الصفحة ، اثنان من مساجد زبيد «مسجد الفرحانية (فوق) بلا سقف يغطيه ، ومع ذلك فلم يخل من النقوش • والمسجد الكبير (تحت)الذى يزيد عمره على عشرة قرون ، سقفه محمول على ٢٠٠ عمود ، وله ١٣ بابا ، والضوء فيه مزبركة مياه» وعلى الصفحة المقابلة صورتان تؤيدان فكرة التماثل بين العمارة والثياب : هل هناك فرق كبير فى الشكل بين المبنى والمرأة ؟!

الطيب » بينما اطلق عليها الاغريق اسم « بلاد المطور » .

وبسبب اشتغالهم المبكر بالتجارة ، فقد كانوا اكثر العرب معرفة بالعالم القديم ، وكان ترحالهم في اقاصي المعمورة امرا طبيعيا ، وكانت درايتهم بمسالك البحار وشعاب الارض تفوق اى خبرة اخرى .

الجنتان وسد مارب

وكان ازدهار التجارة مصحوبا بازدهار الزراعة، واساليب الرى والعمارة .

ولعل اشارة القرآن الكريم في سورة « سبأ » خير شهادة لمدى التقدم الزراعي الذى عرفته اليمن في العصور القديمة ، اذ نصت على انه « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان ، عن يمين وشمال »، ووصف الجنة هو ادق ما يمكن ان تقدم به الزراعة في ذلك الزمن . ورغم ان اقدم نقش سبئي يرجع الى القرن الثامن قبل الميلاد ، الا انه من الثابت ان جنات اليمن ظلت قائمة حتى قبل ظهور الاسلام ، وان خبرات اليمنيين في الزراعة لعبت دورا كبيرا في اثراء المد الاسلامي فيما بعد . اذ كان اليمنيون وراء ظهور « جنات » اخرى في البلاد التي دخلها الاسلام ، من المغرب الى الاندلس وصقلية كانوا هم الذين عرفوا كيف يستثمرون ما خلفه الرومان من مشروعات زراعية وانشائية . اذ لم يكن بين العرب الفاتحين لهذه البلاد ، من يملك ناصية الخبرة في هذا المجال غيرهم . (لا تزال آثارهم باقية الى الآن في الاندلس ، وفي مقدمتها قلعة يحصب وقلعة همدان في غرناطة ، وقلعة خولان في اشبيلية) .

ومنذ الازل ، واليمني يبني المدرجات وينحتها على جوانب الجبال العالية ، ليزرع كل شبر فيها ويعيد بناء ما تهدمه الامطار الغزيرة والسيول ، وخبرته عظيمة بانواع المزروعات التي تناسب كل ارتفاع ، ماذا ينبغي ان يزرع على القمة ، وماذا ينبغي ان يزرع وسط الجبل وعند سفحه ، وفي اسفل الوادي . ولا عجب بعد هذا ان عدد الهمداني في « الاكليل » ٢٠ صنفا من العنب كانت تزرع في اليمن ، ولا تزال !

اما تخزين المياه بالسدود بكافة احجامها ، وبالخزانات والصهاريج ، فالمرجح انها كانت من اختصاص اليمني منذ اقدم العصور . حتى ذكر الهمداني ان منطقة واحدة في اليمن (يحصب العلو) كان مقاما فيها ٨٠ سدا ، ذكرها شاعر اليمني القديم في قوله :

وفي البقعة الخضراء من ارض يحصب
ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

وسد مارب هو) اشهر آثار اليمن واعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها » كما يقول الدكتور احمد فخري . وهو « ثورة في عالم الهندسة وتفكير الانسان » ، كما يقول العلامة الدكتور جواد علي .

ويقدر بان هذا العمل العظيم بني في بداية الالف الاولى قبل الميلاد ، وان ملوك سبأ الذين تتابعوا عليه ، ساهموا في ترميمه وتعليته ، حتى بلغ ارتفاعه في المراحل الاخيرة الى ١٤ مترا فوق سطح الوادي ، بينما طوله ٦٠٠ متر ، وعرضه ٨٠ مترا . وقد ظل يؤدي وظيفته في تخزين مياه الامطار والسيول ، حتى انهار تحت ضغط سيل كاسح دمر مدينة مارب ، عاصمة السبئيين في القرن السادس قبل الميلاد .

وفي كتابه « اليمن ماضيها وحاضرها » ، حقق الدكتور احمد فخري نقشا هاما سجل عليه مجموع ما انفق في انشاء السد، يشير الى ان بناته انفقوا ٥٠٨٠٦ كيس من الدقيق ، و ٢٦ الف حمل من البلح ، وثلاثة آلاف ثور وجمل ، وسبعة آلاف رأس من الغنم لتغذية العمال » .

وكان الهمداني أول من رأى انقاض السد ، وكتب عنها في « الاكليل » يقول : وهي (سبأ) كثيرة العجائب . و « الجنتان » (اللتان ورد ذكرهما في القرآن) عن يمين السد ويساره ، وهما اليوم غامرتان . والغامر هو العافي ، وانما عفتا ، كما انسحق السد فارتفع عن ايدي السيول .

الى ان يقول : ورأيت بناء احد الصدفين ، وهو الذي يخرج منه الماء ، قائما بحاله على اوفى ما يكون ، ولا تتغير الى ان شاء الله . وانما وقع الكسر في العرم (صلب البناء) . وقد بقي من العرم شيء مما يلي الجنة اليسرى ، تكون عرض اسفله ١٥ ذراعا » .

اول ناطحة سحاب !

والذين بنوا هذا السد الهائل ، ما كان ا[illegible] عليهم ان يشيدوا الى جانبه عمارة عظيمة ، [illegible] ان البعض اضاف الى اوصاف اليمن وصفا [illegible] هو : بلاد القصور . وسجل كتب التاريخ ال[illegible]

بعض نقوش « المسند » أو الكتابة اليمنية القديمةالتى يرى البعض ان لها علاقة بنقوش العمارة اليمنية . ليس بالضرورة فى الشكل . ولكـن فىطريقة التعبير .

ان ى مدنني باجبةومنه ـ اندريا ـ ٦٥ هيكلا ـ رى سبوه ـ ما زالت باقية على الطرىالصحراوى بن مارب وحضرموت ـ ٦٠ هيكلا .

واذا ذكرت العصور ، بل واذا ذكرت العمارة ى اليمن ، فلا بد أن نمرن بها اسم قصر غمدان، المدفون الآن ى صنعاء وعلى تلاله أقيم « القصر » وهو بناء قديم نصفه مخزن للسلاح ، والنصف الآخر سجن للمعتقلين السياسيين !

قصر غمدان هذا يعتبرونه أول ناطحة سحاب ى التاريخ المدون ! . اذ انه بنى ى القرن الاول للميلاد ، ومن الثابت انه كان لا يزال قائما ى أوائل القرن الاول للهجره ، على عهد الخليفة عثمان بن عفان ، اى انه استمر حوالي ستة قرون . وقد شاهد الهمداني بقاياه ، تلا عظيما كالجبل ، ونقل الينا اخباره .

وهو يقدم وصفا مثيرا لذلك البناء الشامخ ، الذى كان يتألف من عشرين طابقا ، والمسافة بين كل سقفين عشره اذرع ، اى ان ارتفاعه بلغ مائتى ذراع . وكانت حجارته من الجرانيت والرخام .

و[illegible]ذكر أن « صاحب غمدان » كان يجلس ى الط[illegible] العليا ، التي غطى سقفها برخامة واحده . وكا[illegible] يستلقى على فراشه ، فيمر به الطائر ، وي[illegible] الغراب من الحدأه ، وهو تحت الرخام ! ولا [illegible]ابه فى ذلك ، لان رخام « الالبستر » الشفاف مع[illegible]ف ى اليمن باسم « القمريه » ، وله اس[illegible]امات عديدة حتى الآن . (البعض يرى أن هذه الغرفة العلويه هى أصل « المفرج » ، حجرة الاستقبال ذات النوافذ الواسعه التي تقام فوق أسطح البيوت اليمنية ، وفيها تعقد جلسات القات) ، وأكثر منذلك ، فقد كانعلى كل ركنمن أركان القصر الاربعه تماثيل مجوفه لاسود من نحاس ، رجلا الاسد ى الدار وراسه وصدره خارجان من القصر . وبترتيب خاص ، فانه اذا هبت الريح ودخلت اجواف التماثيل ، سمع لها زئير كزئير الاسد . ولهذا القصر اوصاف كثيره ، ويبدو انه كانت تعرف اتجاهات الريح من نوع زئير كل اسد بحسب اتجاه موقعه . وقيل ايضا ان الاسود كانت تنار بالقناديل فتبدو ى اشكال عجيبة . وقيل انه كان عند مدخل كل باب من ابواب الغرفة الرئيسية تمثال نحاسى ، اذا هب الريح زأر . وداخل الغرفة ستائر لها اجراس ، اذا ضربتها الريح تسمع الاصوات من بعيد .

ومن الاشعار التي كتبت ى قصر غمدان ، قول احدهم :

يسمو الى كبد السماء مصعدا
عشرين سقفا سمكها لا يقصر

ومن السحاب معصب بعمامه
ومن الغمام ممنطق ومؤزر

متلاحكا بالقطر منه صخرة
والجزع بين صروحه والمرمر

وغير قصر غمدان ، فان القائمة حافلة بالقصور العظيمة . قصر ناعط الذى كان يتألف من ٢٠ قصرا كبيرا مقامة على قمة جبل تنين بهمدان .

لا احد يصدق ان هذه واجهة منزل ، لانه يصعب على بشر عادى ان يقوم بهذا التطريز كله على الحجر ، وان يكون الهدف منه هو تجميل المنظر فى اعين الاخرين • وليست هناك اى مبالغة فى القول بان‌اى جدار فى زبيد يمكن ان يتصدر جناحا باكمله فى متحف اللوفر بباريس• اختر اى وحدة وتامل نقوشها وتكوينهـا ، لتـدرك اى ذوق رفيع رسم هذه الوحدات ، واى خيال بديع قدمها على هذه الصورة •

فى زبيد مرة اخرى ، والصورة تسجل شكلا آخر من‌اشكال نقوش واجهات المنازل ، لم تستخدم فيه الكتابة هـذه المرة ،باستثناء كلمتى الله ـ حى • لاحظ ان الباب‌ايضا لم يخل من النقوش التى تمتد لتشمل الجزء العلوى‌من الباب ، ثم الضلفتين ، ومغلاق الباب ، وهو طراز ليس فريدا فى نوعه ، ولكنه تعبير على كل باب ، ويختلف من باب الى باب !

وقصر مدر الذى كان يضم ١٤ قصرا ، وقصر كوكبان الذي وصفه الهمداني بقوله « كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيض ، وداخله مجر بالمرمر والفسيفساء وصنوف الجوهر » .. الى آخر تلك القائمة .

وبقى الشكل

ولكن قدر لهذه المسيرة الحضارية العظيمة ان تتوقف ، بعد ان دارت دورة الزمن ، وتجمعت اسباب عديدة ، حولت المد الى انحسار وجزر . وهنا يقول الدكتور عدنان ترسيسى ان « انهدام سد مارب كان رمزا لانهدام الحضارة اليمنية القديمة الضخمة ، مما ادى ايضا الى انهيار السدود العديدة الاخرى ، والمنشآت الزراعية والصناعية ، وغيرها من الانجازات التي كانت قائمة في فترة الازدهار الطويلة ، التي قد تعود بداياتها الى ما يقارب الالفي سنة قبل الاسلام » .

لم تعد التجارة بين آسيا والغرب مقصورة عليهم ، اذ لم تكن ممكنا ان يواصلوا احتكار اسرار تجارة الشرق لاكثر من ١٢ قرنا . بل وتعددت طرق التجارة ايضا ، ولم يعد جنوب الجزيرة هو اهم جسورها . ومنذ تأثرت تجارة العالم القديم عموما بالحروب الاهلية الرومانية في اواخر عهد البطالسة (وحتى القرن الاول قبل الميلاد) ، ومنذ سيطر الرومان على مصر والشام وانزلوا اسطولا فى البحر الاحمر ، ثم ازداد نشاط التجار الاغريق فى المحيط الهندى ، فقد كان ذلك ايذانا ببدء مرحلة الافول والانحسار . وتوافق مع ذلك ان اليمن اصبحت تعاني ويلات صراع داخلي طويل ، اتاح للاحباش ان يثبتوا اقدامهم فى سواحل عسير والحجاز ، وان يحاولوا التغلغل فى اليمن . وهى المرحلة التي انهار فيها سد مارب ، وضربت الزراعة اليمنية ضربة قاصمة .

وقدم الاسلام (القرن السادس الميلادى) بينما الافول مستمر ، وكانت قبائل الاوس والخزرج اليمنية المهاجرة الى المدينة من اول من اعتنقه . وجاءت هذه المرحلة مصحوبة بانتقال صناعة الاحداث بعيدا عن اليمن . اى الى دمشق وبغداد والقاهرة وشمال افريقيا والاندلس ، الامر الذى صارت اليمن فى ظله « رأس جزيرة معزوله ، لا تؤثر ولا تتأثر » كما يقول الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه « عن الشعر المعاصر في اليمن » .

وكانت لخبرة اليمنيين بالترحال فى انحاء الدنيا هى التي نشرت الاسلام فى الشرق الاقصى والسواحل الافريقية . كما كانت لخبرة اليمنيين فى التجارة والزراعة والادارة وحتى القتال هى احد الاعمدة الاساسية التي قامت عليها دولة الاسلام ، حتى اصبح اليمنيون هم الركيزة الاولى للجيش الاسلامي المنظم فى عهد الخليفة الاول ابى بكر الصديق ، اذ انضم الى هذا الجيش ٢١ الفا منهم ، وحتى قال جورجي زيدان فى كتابه « التمدن الاسلامي » ان « اليمانية هى التي رفعت عرش الدولة الاموية » . وهو الامر الذى دفع الدكتور المقالح الى القول بان « اليمنيين ظهروا على مسرح الاحداث فى حواضر الاسلام المختلفة ، باكثر مما ظهروا على ارض اليمن » .

ومع مرحلة الافول تلك ، فقدت الحضارة اليمنية اهم عناصرها . او قل فقدت المضمون وبقى الشكل وكان هذا الشكل هو العمارة التي لازالت ماثلة امامنا الان . وان شئنا الدقة فى

• بيت الشربة • الذى يقوم مقام الثلاجة فى البيت • مكان صغير مطل على الواجهة البحرية توضع فيه اوانى المياه للتبريد والاطعمة المتبقية لليوم التالى •

الذ . فانه ازاء عظمة هذه العمارة وابداعها ، فان القول الحقيقي ينبغي ان يكون من جانبنا نحن . .

ليس انتقاصا من الاسلام

على ان هذه الرحلة ، التى نقفز فيها قفزا عبر العصور والقرون، يثير انتباهنا فيها حقيقتان هامتان تبطلان بعض ما هو شائع بيننا من افكار وآراء .

الحقيقة الاولى ، هي انه كانت هناك حضارة حقيقية للعرب قبل الاسلام . وان مقولة ان الاسلام وفد على جزيرة العرب واهلها يعانون من الجدب الحضارى والتخلف ، هذه المقولة يبدو الان ابعد ما تكون عن الصحة . وهو ما اكده العلامة العراقى الدكتور جواد على في مؤلفه الضخم « العرب قبل الاسلام »(١٢ جزءا) .

الحقيقة الثانية ، هى ان العمارة اليمنية لها جذورها الضاربة في اعماق التاريخ ، قبل الاسلام بقرون عديدة ، ولها سماتها الفريدة منذ الازل ، ومحاولة الغاء الشخصية اليمنية في العمارة ، واطلاق وصف العمارة الاسلامية عليها، هي مغالطة لا مبرر لها « فضلا عن انها افتئات على الواقع .

ولا ينقص من قدر الاسلام ان يكون للعرب حضارة قبل مجيئه ، كما انه لا ينقص من قدر العمارة الاسلامية القول بانه كانت هناك قبلها – بل والى جوارها – شيء اسمه العمارة اليمنية .

والمؤتمرات العربية والاسلامية العديدة تشهد مواقف حادة من بعض الباحثين تجاه هاتين القضيتين ، ربما لان هؤلاء يخشون من ان تطوع حقائق التاريخ لصالح الغاء دور الاسلام ، بدعوى انه لم يضف جديدا الى حضارة كانت قائمة او عمارة كانت مزدهرة . وربما لان هؤلاء ينتمون الى مدرسة التفكير العربي التي تنمو الى الغاء الماضى ، لابراز عظمة الحاضر وجلاله . وهى المدرسة التى نعانى من افكارها المريضة في مجالات الارتزاق بالحاضر والمزايدة عليه ، في مجالات السياسة والثقافة خصوصا ما يتعلق بالتاريخ .

وايا كانت الحجج التى يمكن ان تساق في هذا الصدد ، فان ثمة حقائق تاريخية لا سبيل الى انكارها واذا انكرناها اليوم فلا بد ان تظهر غدا ، واذا حجبناها نحن فسوف يكشف عنها غيرنا !

سمات اساسية

تلك اذن عمارة يمنية اصيلة ، ما في ذلك شك .

والذين شيدوها هم ذواقة موهوبون ، من ابناء حضارة اصيلة ، ايضا ، ما في ذلك شك .

وهذه الاصالة في الطراز ، اقترنت بقدر من التميز والتفرد ، تستطيع العين ان ترصده عن بعد ومن اول نظرة .

فالتلقائية هي سمة اساسية في العمارة اليمنية . لاشيء مفتعل . لا شيء مقنن . لا شيء مقلد . لاشيء تحول الى نمط ثابت . ولكن الفنان اليمنى الماهر يقترف كيفما اتفق . وما يخرج به هو بالضبط ما يعكسه على عالمه الخارجي . ولان الامر كذلك ، فهو في كل مرة يقدم شيئا مختلفا ، وما يقدمه اصيل دائما . وربما لاجل هذا السبب ، فان بضاعة المهندسين المعماريين بائرة الى حد كبير ، ولا اقبال يذكر على هذا التخصص . ومن بين ٦٠ مهندسا في اليمن . فليس في بلاد البنائين هذه الا خمسة فقط من المعماريين !

وهذا الالتصاق بالبيئة والتعبير الامين عنها، سمة اخرى اساسية في العمارة اليمنية . ذلك ان التصميم والالوان والخامات والوظائف ، هذه العناصر تغطى تماما مساحات عريضة جدا من الحياة اليمنية ، كما سنرى .

والشكل المعمارى لا يعرف هذا التميز الشائع بين الريف والمدينة والذى هو دائما لحساب المدينة . لان المسالة لا علاقة لها بالقدرة الاقتصادية . ولكنها مرتبطة باعماق الانسان ذاته. ومن هذه الزاوية ، فان تراه في المدينة هو ذاته الذى تراه في القريه ، كما قلت من قبل .

ثم ان هذا الاهتمام البالغ بالشكل الخارجي ، هذا التجمل والاستعراض الموجه الى الاخرين ، هو عنصر له دلالته ، التي تعزز فكرة حلول حضارة الشكل – اذا صح التعبير – محل

... في زينة الرجال جنباً الى جنب مع النساء • والقطع كلها منفذ...
بصورة غاية في الدقة والجمال • وكثير من الخطوط السائدة على الخناجر او الاساور ...
ذاتها على جدران المساكن •

الصورتان تعكسان شيئين : الاول مدى احتفال اليمنى بمظهره الخارجى الذى تلعب فيه « الجنبية » ـ خنجر الوسط المعلق فى حزام عريض ـ دورا كبيرا ،بقيمتها المالية والجمالية ، وهى تختلفباختلاف الوضع الاجتماعى دائما ، وباختلاف القبيلة احيانا • والشىءالثانىهوثروة الالوان التى تحفل بها طلعة اليمنى•• . وهذان العنصران ينعكسان الى حد ما على منطقالعمارة اليمنية ، الموجهة ايضا الى الخارج•

(بفتح الجيم والنون) من بعد ،وقد
ازلها العالية حول قمة احد الجبال ،
كل بيت على كتلة من الحجر الصلب
البيت اشبه بالقلعة) •• بينما طوقت
نم الجبل والوادى ، فى تكوين طبيعى

حضارة المضمون . وتصاعد قيمة المظهر الى اعلى درجة،متجاوزة بذلك العديد من القيم الاجتماعية الاخرى ، مثل قيمة الانتاج مثلا .

وفضلا عن هذا وذاك ، فان المدينة اليمنية ، تشترك مع بقية المدن العربية في شيئين هما : الاسوار والاسواق . فالاسوار تحيط بكل مدينة ، لاسباب امنية في الغالب ، والمداخل محكومة بعدد محدود من الابواب ، مفاتيحها اما بيد الحراس أو في خزانة السلطان (لاحظ ان المفهوم لا يزال سائدا ، وان كانت الاسوار غير مرئية !) .

ثم ان الاسواق مقسمة بحيث يتجمع اصحاب « التخصص » الواحد ، في مكان واحد . وهو النظام الذي كان متبعا في كافة المدن العربية والاسلامية ، من القاهرة الى دمشق وبغداد .

وهناك اعتبار لابد من تسجيله ، ساهم في الحفاظ على تراث العمارة واستمرارها طوال تلك القرون ، هو تلك العزلة التي عاشت فيها اليمن ، منذ تحولت عنها الانظار في الماضي، واذا كانت هذه العزلة قد اضرت كثيرا بمسار التقدم في اليمن طوال العصور الحديثة ، الا انها ساهمت الى حد كبير في الابقاء على هذا الوضع الراهن ، وترسيخ التمسك بالصيغة اليمنية في انماط الحياة المختلفة ، والعمارة فيها . يؤكد ذلك انه في داخل اليمن ، كلما اقتربت المدينة من الحياة العصرية وازداد انفتاحها النسبي على العالم الخارجي ، انحسرت فيها ظلال العمارة اليمنية الاصيلة ، وهو واقع لم ينعكس على القرى اليمنية ولله الحمد .

و « الحديدة » نموذج يؤكد هذه الحقيقة ، فالمدينة مفتوحة اكثر من غيرها ، باعتبارها ميناء بحريا ، الامر الذي ادى الى اندثار طابعها المعماري التقليدي الى حد كبير ، وانحساره في نطاق ضيق ، لا يكاد يتجاوز ما يسمى الان بالمدينة القديمة . ليس هذا فقط ، بل ان بعض المباني تحمل الطابع الهندي ، لوجود جالية هندية كبيرة فيها . « وتعز » نموذج آخر، وانفتاحها ليس راجعا لاعتبارات متعلقة بالموقع، ولكنه مرتبط بالوظيفة بالدرجة الاولى . ولان تعز هي المدينة التجارية الرئيسية في اليمن ، فضلا عن انها كانت مقر اقامة الائمة ـ لاسباب امنية ايضا حتى نقل « البدر » ـ وا رهم ـ المقر الى صنعاء قبل الثورة في بداية الستينات، لهذين السببين اساسا فان تعز التجارية والعاصمة الفعلية مضت على درب « الحديدة » ، فقد انحسر منها الطابع اليمني ، بنسبة اقل ، امام زحف البنايات الحديثة على شوارع المدينة .

ومع ذلك فان وظيفتها كمقر للامام ، افادت من ناحية واحدة ، هي انهم « اضطروا » الى اقامة عديد من القصور لاقامتهم ، وهي التي تشكل الان الملامح البارزة لاستمرار العمارة اليمنية في المدينة .

خارج هذا النطاق ، فان الطابع الاصيل هو السائد في بقية انحاء اليمن .

الصنعاني : باني اليمن

لكن الشائع ـ في العاصمة على الاقل ـ ان الذي بنى اليمن هو في الاصل « صنعاني » !

ويبدو ان هذه المقولة صحيحة الى حد كبير. ففي صنعاء تتجلى العمارة اليمنية في اوضح وابهى صورها . اذ يتوفر فيها اشهر البنائين والنقاشين وصناع العقود ، ولا تزال صنعاء القديمة كما هي ، باستثناء سورها العتيد ، الذي تهاوت بعض اجزائه . احيانا بفعل الزمن ، واحيانا بفعل فاعل ، هو « البلدية » للاسف البالغ .

واذا اعتبرنا مقياس نجاح العمارة هو مدى تعبيرها عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي،وتلبيتها لاحتياجات الانسان المختلفة ، فاننا ينبغي ان نتعرف اولا على هذا الواقع وهذا الانسان وحتى نتمكن من استيعاب وتقييم مدى نجاح هذه العمارة .

وفي كلمات قليلة ، نستطيع ان نقول ان صنعاء مدينة تقع في منطقة الوسط الجبلية والصخرية، وانها كانت على مر العهود هدفا لاعتداءات القبائل الطامعة فيها ، هذه القبائل هي التي اطلقت العبارة المشهورة : (لابد من صنعا وان طال السفر) ، اي لابد من باوغ المدينة والاستئثار بما فيها رغم كل المشاق . وان طقسها معتدل الى حد كبير ، واهلها محافظون الى حد كبير ، وجلسات القات هي الصيغة الوحيدة المريحة للم شمل الناس الى حد اكبر !

وا... انك تستطيع ان تستخلص هذا كله ، من طـ العمارة وحده ، دون اطلاع على تاريخ او جغـ فيا ، ولا حتى اطلاع على احوال الناس وعوائدهم .

وكل بيت صنعاني اصيل هو قلعة عسكرية ، قد يصغر او يكبر لكنه يظل قلعة بالمعنى الحرفي للكلمه . فهو مؤهل للدفاع عن النفس من ناحية، وسوفر له كل عناصر الاكتفاء الذاتي ــ التي يحمل الحصار الطويل ــ من ناحية اخرى .

ففي مواضع عديدة من البناء تتخلل الجدران فتحات تؤدي وظيفة في التهوية ، ولكنها اساسا للرصد واطلاق الرصاص على المهاجمين . ثم ان الطابق الاول من البناء مخصص لتخزين الحبوب ، وفي كل بيت بئر للمياه ، ومطحنة وفرن . الامر الذي يتيح لسكانه ان يعيشوا شهورا طويلة داخل البيت ، بغير متاعب تذكر .

والبيت الصنعاني متعدد الطوابق ، قد تصل الى ثمانية او عشرة . ولكونها منطقة جبليـة ، فقد توفرت الحجارة بانواعها بسهولة بالغة . ...رص قطع الجرانيت الاسود بارتفاع متر او متر ونصف ، ثم يجيء دور الحجارة البيضاء ، ويعلو البناء . وتؤدي الحجارة دور التكييف الطبيعي . فهي تمتص الحرارة والبرودة في آن واحد . ويحتاج عملية قطع هذه الاحجار وتهذيبها الى جهد هائل ، اعتاد عليه البناء اليمني ، وصار يمارسه كما لو كان يعبث بقطع من العجين !

والمدهش ان البناء التقليدي مهما علا ، فان الاسمنت ــ مثلا ــ لا يستخدم فيه . وان الحجارة يتم تركيبها فوق بعضها البعض بشكل طبيعي وبدائي ، وان « الطين » هو الذي يستخدم لملء الفراغات التي تبقى بين الاحجار. وهو اسلوب يسمح « بترقيع » المبنى من اي مكان .

وقد رايت بعض البنائين وقد افرغوا جانبا من اساسات مبنى بارتفاع ستة طوابق ، لكي يجددو ، بعد ان تساقط الطين الفاصل بين احجار . وكل ما فعلوه ، عندما حل عليهم الظلا ان وضعوا قطعة من الخشب استندت الهيا لة الحجر الرئيسية في المنطقة خلعوا احجا ا ، حتى صبيحة اليوم التالي !

ثياب المراة والمباني

الطابق الارضي للماشية ، وهو بغير نوافذ (لاحظ ان من طرق التغذية الحديثة للماشيه ان توضع في مكان مظلم مع توفير طعام مقرر لها ، الامر الذي يعجل بتسمينها اذ ينصرف كل همها في الاكل) . والطابق الاول لتخزين الحبوب كما قلنا ، بينما فتحات الجدار اشبه بالثقوب .

يصعد معنا عبد العزيز قصمة ، احد اشهر مقاولي صنعاء ، الذي توارثت اسرته المهنة منذ الجد السابع . من الطابق الثاني تبدأ غرف السكن ، ويظل البناء يعلو بقدر حجم الاسرة وقدرتها الاقتصاديه . ويفترض دائما ان اسرة واحدة تعيش في البناء الواحد . الجد والابناء وزوجاتهم . درجات السلم عالية ، وسقوف الحجرات عالية ايضا ، حتى تصل ارتفاع كل طابق الى ثلاثة امتار . السلم والمطبخ والحمام في اتجاه الشمال ، بينما الغرف في اتجاه الجنوب (يسمونه البيت العدني لان عدن في جنوب اليمن) . بين كل طابق وطابق ، مكان مفتوح على الواجهه البحرية ، يسمونه « بيت الشربه » ، وهو يقوم مقام « الثلاجة » ، وفيه توضع اواني المياه للتبريد ، والاطعمه ــ اللحوم اساسا ــ التي تبيت لليوم التالي . لا شرفات للبيت ،ونوافذ الحجرات صغيرة للغاية ، بارتفاع ٥٠ سنتيمترا في اغلب الاحوال . فوق السطوح تقوم « المفرج » ، او حجرة الاستقبال التي يلتقي فيها رجال الاسرة وخلانهم ، في جلسات القات اليومية . ينقلك المفرج الى عالم مختلف. فهو على عكس كل حجرات البيت واسع نسبيا ، ومليء بالنقوش والزينات ، ونوافذه كبيره تصل ارتفاع الواحدة منها الى متر ونصف متر . ويفترض طبقا للتصميم الاصلي للمدينه . ان يطل المفرج على بستان (لاحظ وصف الحجره العلوية من قصر غمدان) .

ثمة رافعات للمياه من البئر الى الطوابق العليا ، وفتحات تنزل بتصبيب دورات المياه الى حفرة عميقة في اسفل البناء . والفرد يحتاج لحفرة اعمق من ٧ او ٨ امتار ، لتستوعب فضلاته طوال حياته ، والعهدة على القصدي :

لكن الاحتفال كله ، والزينه والنقوش كلها . موجهة الى الخارج . الباب الصغير ، المقبض

الصورة العليا لاحد منازل صنعاء القديمة ، ذات الطابع الفريد ، سواء فى خامات البناء او نقوشه • ذلك ان المنزل مبنى هنا بالطوب الاحمر ، وان كانت اساساته من الحجارة • فضلا من ان النقوش ذات حجم كبير ، والدوائر الظاهرة فيها صورة طبق الاصل لكلمات النقوش اليمنية القديمة (المسند) التى كشفت عنها الحفريات ، ويمتد عمرها الى ما قبل الميلاد • لاحظ ايضا ان الحزام العلوى الذى يفصل الطابق عن السطوح والمفرج ، هو صورة طبق الاصل من الحزام الذى يطوق اليمنى به خصره •

والصورة الجانبية (الى اليمـ) لاحلى النوافذ ، وقد ظهر العقد فو بالوانه الزاهية •
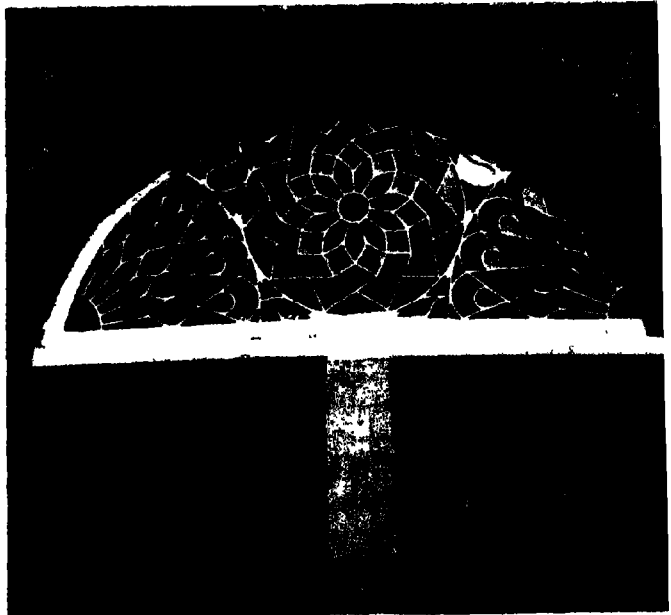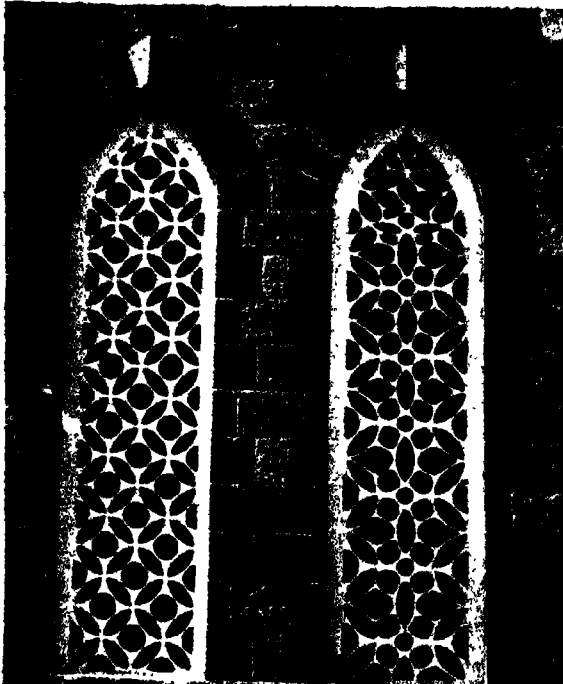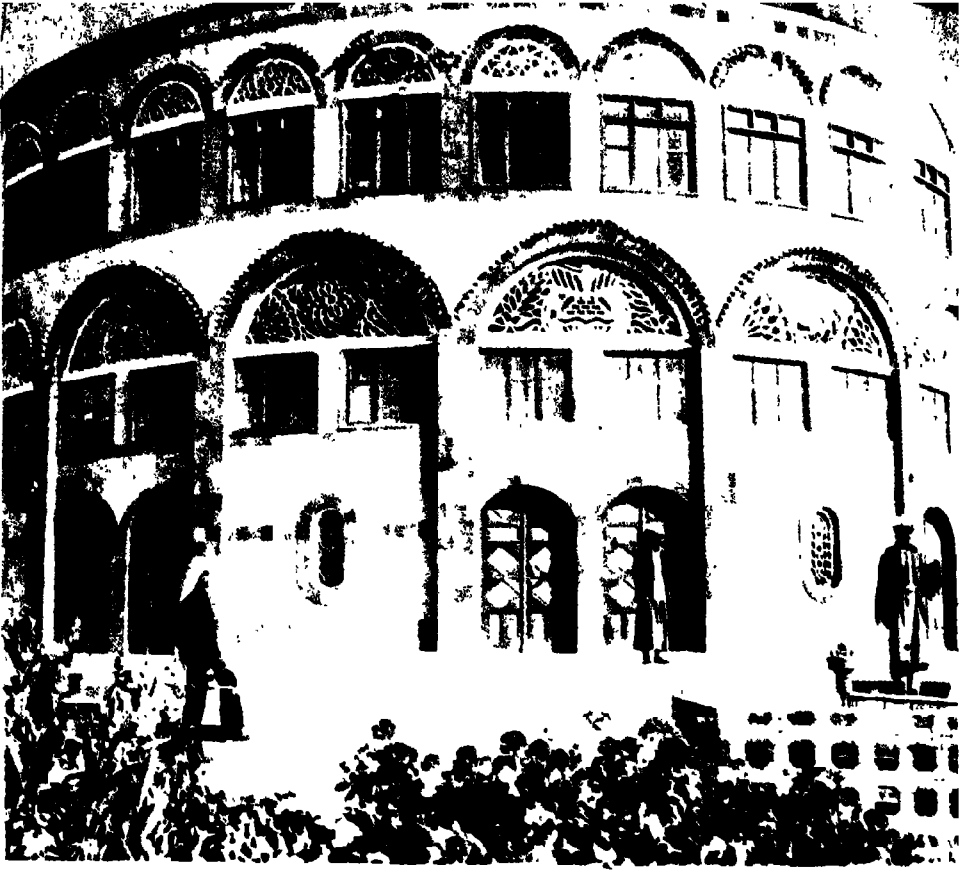
الصورة العليا لمبنى وزارة العدل فى صنعاء الجديدة ، وهو نموذج للعمارة اليمنية الحديثة التى طورت التصميم التقليدى ، واحتفظت بطابعه ،وقدمته على هذا النحو • وقد استخدم مصمم البناء كل عناصر البناء التقليدى ، الحجارة الملونة والاقواس والعقود ، وان جاء التصميم على شكل دائرى غير مالوف فى العمارة اليمنية • اما (الصورة الى اليسـار) ، فتقـدم نموذجا للعقود التى تعتمد على الزجاج الملون ، والتى يلفت النظر فيها انها لاتخضع لاية صيغة نمطيـة • بمعنى ان كل عقد لابد ان يكون مختلفا عن الاخر ، حتى وان تجاور العقدان ، كما فى لصورة الجانبية •

والمغلاق والاطار والصلف ، هذه كلها من الخشب المنقوش . والجدران مزينة بالنقش المحفور او الرسوم . واللون المستخدم في التزيين هو الابيض ، وبطوق خطوطه النوافذ بوجه خاص . وفضلا عن الشكل الذى يمنحه اللون الابيض ، فان مكوناته طارده للحشرات والذباب خاصة . أي ان اللون له دور جمالي ووظيفة في الوقت ذاته . على أن المهم هنا ايضا ان أرضية الجدران ذاتها من لون الشارع تقريبا .

ومن انه الوان غير الابيض تضاف اليها تكون دائما اصيلة وغير مصنعة . ذلك انهم يستخدمون احيانا احجارا ملونة بطبيعتها في تزيين بعض جوانب البناء .

العقود المزينة بالزجاج الملون فوق كل نافذة . والاحزمه العريضة تفصل بين الطابق والطابق . والتشكيلات التجريديه توزع على البناء كله . وتلك مجالات بغير حدود . ومتوسط تكلفة نفس الطابق الواحد ٢٠ الف ريال ، والعقد الواحد يمكن ان تصل الى ٥٠٠ ريال .

(الدولار يعادل قيمه ٤٫٥ ريال) .

ولابد ان يثير انتباهك هذا التشابه العفوى بين شكل المباني وثياب البشر . فاحتفال اليمني بمظهره الخارجي هو ذاته مسجل على واجهة البناء . ونقوش عباءه المراه ، والفتحة الصغيرة التى تطل منها لا تختلف كثيرا عن اي بناء تتناثر الفتحات في اعلاه ! بل ان هذا وذاك يلمح ظلاله في المشغولات الفضية التى تتزين بها النساء والرجال !

على ان اي وصف للبناء الصنعاني يعجز عن نقل الحقيقة كاملة ، والصورة قد تؤدي هذه المهمة على وجه افضل . ولا يمكن ان تستوعب قيمة هذا الفن المدهش الا اذا رأيته بعينيك ، حتى اذا تقطعت انفاسك ـ مثلي ـ وانت تصعد الدرج المرتفع لكى تصل الى « المفرج » !

ذلك عن البناء الواحد ، فما بالك اذا كانت هذه الوحدة مضروبة في الف ؟ ، وتراصت هذه المباني جنبا الى جنب في مشهد رائع تتحول معه المدينة الى لوحه باهرة ابدعتها ريشة فنان عظيم .

اما تخطيط المدينة فيثير الدهشة ايضا .

فهي تقوم اساسا على فلسفة البناء الـ..شه ، حيث تم التوسع رأسيا وليس افقيا . وهو افضل استثمار لمساحة الارض المحدو ، لصالح عدد السكان المتزايد والوسيلة الوحيد لتجنب الجور على المساحات المزروعه المحيطة بها . وفكرة الطوابق العديدة المرتفعة تعكس هذا التصور . وما ناطحات السحاب الا ابنه شرعية لهذه الفكرة .

وشوارع المدينة (يسمونها « الحارات) عموديه على البحر ، بحيث تشكل مسارات للرياح ، حتى لا تصطدم بالمباني . ثم ان الشوارع تصب بالضروره في الاسواق . ولكل حارة مسجد امامه بستان ، هو الطبيعة الجميلة التى يطلع اليها الجالسون في «المفارج» ، وهو الممول لسكان الحارة بحاجتهم من الخضر والفاكهة ! وهذه المعالم كلها لازالت باقية الى الان ، لا احد يعرف منذ متى ، لكن احد ابنية المدينة في مكانه منذ سبعة قرون . والمرجح ان التخطيط القائم لا يقل عمره عن ذلك .

في زبيد

واذا كانت صنعاء هى نموذج لمدينة الجبل ، فزبيد نموذج لمدينة الوادى .

وزبيد (٩٠ كيلو مترا من الحديدة) كانت عاصمة قديمة للدولة اليزيدية التي انشقت عن الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري وتسكنها اساسا قبيلة الاشاعرة ، ومنهم ابو موسى الاشعري الصحابي الشهير ، الذي انتدبه امير المؤمنين علي بن ابي طالب لتمثيله في التحكيم بينه وبين معاوية (الذى كان يمثله عمرو بن العاص) . وهي مشهورة بفقهائها وعلمائها . تختلف عمارة زبيد عن مثيلتها في صنعاء في التصميم والخامات . فالبيت القلعة غير قائم . كما ان البيت متعدد الطوابق لا حاجة اليه ، اذ ان مساحة الارض تسمح بالتمدد بارتياح ، فضلا عن ان المناخ تلائمه اكثر الحجرات الواسعة

ليست هذه احدى لوحات الفن الحديث ° ولكنها جزء من واجهة مبانى صنعاء القديمة ° والفتحات المرسومة بهذا الشكل هى في الواقع نوافذ « لمطبخ » المنزل !

والافقية . والى جوار كل بيت حديقة ، والمرج هو الصق الحجرات بالحديقة ، ولان المنطقة ليست صخرية ، والحجر الابيض اكثر وفرة ، فلا وجود للحجارة السوداء ، وكل الابنية بالحجارة البيضاء .

ولان المدينة كانت حتى عهد قريب ، قبل نصف قرن ، في حالة انتعاش ورواج ، اذ كانت مركزا لصناعة النسيج اليدوي ومقرا لحوالي ٥٠ مصنع نسيج بالاضافة الى ١٥٠ مصنعا للصباغة ، ثم ان وجودها في منطقة سهلة وفر لها ثروة زراعية لها قيمة . واذا اضفنا الى ذلك ازدهارها الثقافي ايضا ، فانه لهذه الاسباب كان التعبير الفني أكثر ثراء في زبيد عنه في صنعاء .

وواجهات البيوت القديمة كلها مكسوةبالنقوش المنحوتة وليست المرسومة ، والتى لم اجدسوى كلمة « تطريز » تعبر عنها . ويضاف الى هذه النقوش كتابات محفورة ـ ايضا ـ تتصدر مدخل كل بيت تتراوح بين الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة وتسجيل تواريخ الانشاء ، واي واجهة في اي « حارة » بزبيد ، تصلح لان تتصدر جناحا باكمله في متحف اللوفر بباريس لان اى مربع صغير . أى حجرة او نافذة ، هى بحد ذاتها تحفة فنية رائعة .

في القرى والمدرجات

على ان التوقف عند صنعاء وزبيد وحدهما بعد ابتسارا للصورة . وهو عرض ناقص بكل المقاييس . بل ان التوقف عند المدن والقرى وحدهما هو ظلم آخر للواقع لا يغتفر . لان الوديان مليئة بالمدرجات البديعة التى اقامها اليمنيون على سفوح الجبال . نحتوها نحتا ، وبداب مذهل ليزرعوها ، وليحولوا الصحراء الى معرض فني آخر يشكل اعلانا عن المهارة والاصالة .

وعلى طول الطريق من صنعاء الى الحديدة كانت المشاهد الرائعة تشد ابصارنا ، خصوصا في « مناخة » ثم « الحيمة » . ومنذ خرجنا من الحديدة الى تعز وتوقفنا عند بيت الفقيه وزبيد ، ثم بعد مرورنا على « الجند » واب (اللواء الاخضر) . منذ ذلك الحين ,انا على يقين من ان اي بلاغة لن ترقى الى مستوى التعبير عن مدى جمال هذه المناطق ، ,ان الامر يحتاج في تقديمه الى شعراء باكثر من حاجته الى صحفيين وكتاب .

وهو يقين تأكد اكثر واكثر ، عندما صعدنا الى جبل صبر الذى يطل على تعز ، وقضينا حوالى ساعتين ونحن نشق بالسيارة طرقا ملتويةلنصل الى اقرب منطقة من قممه الشاهقة التي ترتفع لاكثر من ثلاثة آلاف متر فوق سطح الارض ! . . وطوال الطريق ونحن نخترق مدرجات مزروعة تشكل على البعد نقوشا مدهشة لجوانب الجبل ، ثم بطول الجبل وعند قممه ، تناثرت القرى اليمنية فيتكوينات لا يمكن لاحد ان يتصور انها من صنع بشر ، لا في الجمال ، ولا في الموقع ، وهو شعور يتكرر في مواجهة القرى التى ترصع قمم جبل سمارة قرب صنعاء .

واعترف انني تعمدت عدم التفصيل في تقديم تلك الثروة الهائلة من المساجد المنتشرة في اليمن والتى تستمد غناها من قيمتها التاريخية من ناحية ، ثم قيمتها المعمارية بعد ذلك . يكفي ان في اليمن ثلاثة مساجد يرجع تاريخها الى القرن الهجرى الاول وهى : المسجد الكبير في صنعاء ، وجامع الجند (بفتح الجيم والنون) في بلدة تحمل الاسم ذاته ، ثم جامع الاشاعرة في زبيد . وهذه المساجد الثلاثة والمئات الاخرى المنتشرة في ارجاء اليمن يشكل كل ركن فيها ـ ايضا ـ تحفة فنية رائعة .

وهذا المرور السريع على المساجد مقصود ، لانه ربما لا يكون من قبيل الاضافة ولا يثير الدهشة ان نشهد اروقة المساجد وجدرانها وسقوفها صورا عديدة من الابداع الفني ، لان هذه الصورة مكررة في العديد من العواصم العربية ، والمعابد عموما كانت ولا تزال حقلا غنيا بكافة صور الفن التشكيلى ، من رسم وتصوير وزخرفة ونحت ، لكن المثير والمدهش ان تخرج هذه الفنون من المعابد الى الشوارع « والحوارى » ، وهو الوضع الشائع في المدن والقرى اليمنية .

اخطار محدقة

ومع ذلك ، فمن الانصاف والامانة ان اقول ان هذا كله في خطر !

واذا كنت حتى الان قد حرصت على ان اسجل الوجه المشرق للعمارة اليمنية ، الا انني لم اشر من قريب أو بعيد الى ما تتعرض له هذه العمارة من اخطار . ذلك انك بقدر ما تؤخذ بجمال هذه العمارة ، فلابد ان تصدم فيما بعد عندما تعلم كيف تعامل . وكما ان الدهشة تستغرقك في زبيد وبيت الفقيه ، فان حزنا بنفس القدر لابد أن يستغرقك وانت ترى كيف تحجب هذه الواجهات الرائعة وكيف تطمس ملامحها بل وكيف تنقرض مع زحف الابنية الجديدة.

ثمة مشكلة حضارية كما قلت ، تتمثل في تشتت الشخصية العربية وتمزقها ، وانسياقها بغير وعي وراء كل ما هو غربي ومستورد . وهي مشكلة تتفاقم كلما كانت « النخبة » في اى مجتمع من ضحاياها . وقد كان حزني عميقا عندما طلعت الى المبنى الجديد لوزارة الاشغال في صنعاء وهو مبنى على الطراز اليمنى ، ووجدت ان وزير الاشغال ذاته طلب أن يصمم مكتبه بشكل « مودرن » يصل الى حد استخدام الالومنيوم في النوافذ ! وبدأت الاستجابة للطلب بالفعل ، ولكن انصار العمارة اليمنية ثاروا ، فاضطر الوزير الى سحب قراره !

وهذا الحزن تحول الى اسى ، عندما شاهدت مبنى من ٢٠ طابقا لشركة الطيران اليمنيه ليس فيه من العمارة اليمنية شيء ، بل ان واجهته كلها مكسوة بالالمنيوم . والعجيب ان هذا المبنى هو أول ما يطالع القادمين من المطار الى مدينه صنعاء !

وثمه مشكلة اقتصادية ايضا ، لان الخامات المستخدمة في البيت اليمنى الاصيل - وفي مقدمتها الاحجار - ثم النقوش والعقود والاحزمة، هذه كلها تكلف الكثير . حتى ان تكاليف النقوش وملحقاتها في طابق واحد تقترب احيانا من تكاليف بناء الطابق . وهنا كثيرون الان لا يحتملون هذه التكاليف وللمهندس عبدالله الشرفي مسئول التخطيط في وزارة الاشغال وجهة نظر في هذه النقطة ، خلاصتها ان عمر المبنى الذى يقام بالحجر ضعف عمر المبنى الذى يقام بالقوالب الاسمنت أو الطوب ، الامر الذى لا يعطى البناء الحديث اى ميزة اقتصادية ، فضلا عن المزايا الاخرى التى تترتب على استخدام الحجر ، فهو يمتص الحرارة والرطوبة ولا يحتاج الى صيانة .

ثم أن هناك مشكلة قانونية ، فليس هناك ضابط يحكم عملية الانشاء . وغاية ما تستطيع الدولة أن تمارسه الان ، هو الزام الجهات الحكومية ببناء منشأتها على الطراز اليمنى ، ورفض اى تصميم يخالف ذلك . لكن مبانى القطاع الخاص تخرج من دائرة هذا الالزام .

وهناك بعد ذلك مشكلة رابعة ، يهمسون بها ولا يصنفونها تحت اى من التقسيمات السابقة . ذلك أن هناك أكثر من دولة عربية تقدم مساعدات لها اهميتها بالنسبة لليمن . ومؤسسات هذه الدول تباشر مشروعات انشائية عديدة ، لكنها كثيرا ما تتغاضى عن الالتزام بخطوط العمارة اليمنية ، ربما بسبب التكاليف . وهو وضع احرج السلطات في اليمن، التى لا تريد أن تضغط على هذه المؤسسات ، ولا تريد أن توقف نشاطاتها التي هي في امس الحاجة اليها ، ثم انها في الوقت ذاته ، ليست سعيدة بما تصممه هذه المؤسسات من مشروعات !

المهم أن المجنى عليه في النهاية هو هذا الفن المعمارى اليمنى العظيم .

ترى ، هل تجدى الدعوة الى انقاذ العمارة اليمنية؟ام تلقى هذه الدعوة مصير دعوات اخرى سابقة طالما بحت الاصوات وهى ترددها ، ولم تفلح واحدة منها في انقاذ بقايا الشخصيه العربيه الاصيلة في القاهرة ودمشق وفاس المغربية وبو سعيد التونسية وحي القصبة في الجزائر .

ام كتب على هذه الشخصية العربية أن تندثر حتى في العمارة !

وبعد الذى جرى ويجرى ، ماذا سيبقى من العرب بعد قرن من الزمان ؟!

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

■ منذ ثلاثة واربعين عاما واكسفورد ـ ام المعجمات فيالعالم ـ في صراع من اجلاخراج اعظم معجم لاتيني انكليزي صدر حتى الان ، وقد تعاقب على العمل فيه العديد من فطاحل العلماء وجلة الاساتذة وماتوا دونه ولم تكتحل اعينهم بمرآة حتى اذا ما حلت سنة ١٩٦٨ صدر الكتاب الاول منه Fascicle بـ٢٥٦ صفحة(١) ، فايقن محبو الثقافة اللاتينية والحضارة الرومانية ان بوادر النور الجديد قد انطلقت ، فراحوا يترقبون الاجزاء الاخرى فظهر الكتاب الثاني سنة ١٩٦٩ والثالث سنة ١٩٧١ والرابع سنة ١٩٧٣ ، وتبين ان ميلاد كل كتاب او جزء مخاضه سنتان بانتظام ودقة ، وستظهر اربعة كتب اخرى فيكتمل المعجم ،ومعنى ذلك ان عام ١٩٨٢ سيشهد معجم اكسفورد اللاتيني بشكله النهائي ، ويشمل المعجم مفردات اللاتينية منذ ظهورها الى الوجود حتى نهاية القرن الثاني للميلاد غير ان الكتاب المسيحيين الذين يمكن اعتبارهم من رجال هذه الفترة قد استبعدوا .

المعجم الجديد

والمعجم الاكسفوردي هذا سيكون اضخم بكثير من معجم لويس وشورت Lewis & Short ، ولو ان هذا الاخير يمتد الى سنة ١٦٠٠ للميلاد ،فان المعجم الجديد سيتقصى الالفاظ الكلاسيكية بدقة اكثر لان نطاقه الزمني اضيق ، ويعتمد على طبعات افضل لكتب المؤلفين الذين اعتمد عليهم المعجم القديم ، وهو اغنى بشوط بعيد بمادته المقتبسة من الكتابات المنقوشة ويعد تصنيفه للاستعمالات المختلفة للمفردات شيئا ممتازا بصورة عامة ، وبوسعي ان اضيف انه عمل فني قدر ما هو جهد علمي ، ويندر ان يجتمع العلم والفن مثل هذا الاجتماع او ان يظهر البحث الاكاديمي بهذا الاطار الفني الرفيع ، على ان عجبنا يتلاشى عندما نعلم انه من انتاج مطبعة جامعة اكسفورد التي هي بحد ذاتها عجيبة من العجائب ،فقد بدات بقرض لا يتجاوز الثلثمائة دولار قبل نحو اربعمائة سنة ، وهي اليوم مؤسسة

(١) صدر باشراف البحاثة بيتر غلير Peter Glare

عالم راسمالها سبعة عشر مليون جنيه استرليني تضم الاف الموظفين ،ولها فروع في القارات الخمس وفيه لا يقل عن تسعة عشر قطرا في شتى اصقاع المعمورة، ويسيرها الكثيرون من الاساتذة والعلماء في اقدم جامعة من جامعات العالم والعديد منهم لا يتقاضى اجرا او يكتفي باجر يسير ، وكان يراسها الى عهد قريب حجة في قراءة كتابات اوراق البردي .

ولكي نقرب صورة مطبعة جامعة اكسفورد من الاذهان بوضوح علينا أن نتصور مؤسسة النيويورك تايمس ومصانع رولز رويس Rolls-Royce في اطار امبراطورية للكتب ، اذ ذاك نفهم عظمة دار جامعة اكسفورد للطباعة والنشر ، فهي اكبر دار نشر اهلية (غير حكومية) في العالم ،وقد نشرت حتى الآن ما لا يقل عن ثمانية عشر الف مصنف في سجل يضم احد عشر الف صفحة ، وبين هؤلاء المؤلفين كتاب احرزوا جائزة نوبيل Nobel وعدد هائل من الكتاب المسرحيين والقصاصين والشعراء والفلاسفة فضلا عن رؤساء الدول ورؤساء الوزارات لدول مختلفة ، ولعل اروج ما نشرته حتى الان هو الطبعه الانكليزية الجديدة للكتاب المقدس ، الذي نشر بالمشاركة مع مطبعة جامعة كمبردج التي اقل منها شانا واصغر بكثير ، وقد بيع منها نسخ يقدر ما بيع من (مجموعة اقوال ماوتسي تونغ) .

دار اكســفورد

ويتراوح مجال منشوراتها بين قصص الاطفال وأحدث الاطالس الديمغرافية للمسح السكاني .

ولم تشتهر مطبعة جامعة اكسفورد في شيء قدر ما اشتهرت بمجلداتها الثلاثة عشر الضخمة « لمعجم اكسفورد الانكليزي » المهدى الى الملكة فكتوريا ، ويباع منه رغم سعره الباهظ الف مجموعة كل عام وهو بطبيعة الحال المرجع الاعلى والاخير في اللغة الانكليزية .

ومما يساعد دار النشر هذه في انتاجها الضخم ان بها معامل للورق خاصة بها يرجع عهدها الى ما قبل ثلاثة قرون ، ولكنها مزودة باحدث الاجهزة الالكترونية ، وهي الى ذلك تزود العالم بنصف ما يطبع من الكتب المدرسيـة ، ويوازي فرعها فـي الولايات المتحدة مطبعتي جامعتي كاليفورنيا وشيكاغو معا .

وتدار المؤسسة برمتها من اكسفورد من بناية اثرية فخمة تعد من مفاخر الفن المعماري وتعرف ببناية كلارندون يرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر ،ويعقد فيها ثلاثة عشر اجتماعا سنويا لمجلس المديرين ومنهم شخصيات علمية مرموقة مكافاتهـا الوحيدة الحصول على اي كتاب تحتاج اليه من مطبوعات المؤسسة بالمجان،وكان يراس «امبراطورية الطبع والنشر»هذه ، الى عهد غير بعيد ولمدة ستة عشر عاما كولن روبرتس Colin Roberts ، الذي كان استاذا بجامعة اكسفورد لاربعين عاما في موضوع « علم البرديات » Papyrology وكان اول مـن اكتشف اقدم فقرات من العهد القديم مكتوبة على اوراق البردي وكثيرا ما كان يقول انـه سيشرع عندما يحال على المعاش بكتابة المزيد من الكتب غير الرائجة التي يصعب بيعها في المكتبات .

امبراطورية حول العالم

ويسيطر مدير المؤسسة على امبراطورية مقسمة الى ثلاثة اجزاء ، الجزء الاول باكسفورد ويقـع تحت سيطرته المباشرة ويليه الجزء الثاني بلندن على بعد ثلاثة وخمسين ميلا ، والجزء الثالث وهو اوسعها جميعا اذ يكاد يلف الكرة الارضية برمتها ويشتمل على دوائر تمتد من كاليفورنيا الى كلكتا ومن نيروبي الى هونغ كونغ Hong Kong .

اما المقر العام لمطبعة جامعة اكسفورد فيقع بين بحيرة كلية ورسستر Worcester والاحياء الفقيرة باكسفورد وكان قد بني سنة ١٨٣٠ ، وفيه تشتغل احدث المطابع المقتناة من المانيا وايطاليا فضلا عن بريطانيا وتقذف بسيل مـن المعجمات والقواميس والموسوعات واوراق الامتحانات والكتب والمجلات العلمية ، وتستخدم من الحروف ما زنته خمسمائة

طن بخمسمائة وخمسين حجما وبمائة وخمسين هيئة ومنها الحروف الهيروغليفية والقبطية والامهرية والصينية والارمنية بحيث تضم مائة واربعين لغة، ومن الغريب انني لم اجد بها الحروف العربية(٢) وهذا من اعجب العجب ،رغم وجود الحروف العبرية والافريقية ووجود اختصاصيين يصححون المسودات الطباعية بهذه اللغات الاجنبية العديدة •

على ان ما تطبعه مطبعة جامعة اكسفورد من امهات المراجع والمعجمات بالنسبة لسائر مطبوعاتها هي كقمة الهملايا بالنسبة لقمم سائر الجبال في العالم ، وان ما تبيعه من المعجمات وحدها يبلغ الربع مليون نسخة سنويا ،وقد استغرق اخراج معجم اكسفورد الضخم سبعين عاما ، اذ صدر المجلد الاخير وهو المجلد الثالث عشر سنة ١٩٢٨ ، ومنذ ذلك الحين والاف الرسائل تترى على المطبعة لاستدراك كلمات جديدة ظهرت بالانكليزية ،وسيظهر المستدرك بمجلدين اضافيين يحويان الالفاظ الجديدة التي استعملها الكتاب والشعراء المحدثون او عثر عليها في الصحف والمجلات المعاصرة ، وهكذا فان معجم اكسفورد الكبير في نمو مستمر كالعملاق الذي لا يعرف نموه توقفا ، وحبذا لو اتبعنا الاسلوب ذاته في اصدار معجم ضخم للعربية يؤرخ لنا الالفاظ والتعابير منذ نشاتها نشفعه بملاحق ومستدركات كلما ظهرت الفاظ وتعابير مستحدثة فان مستدركات معجم اكسفورد يشارك في تصنيفها ملايين الناطقين بالانكليزية من شتى انحاء المعمورة • وهكذا اصبح المعجم وسيلة لتعلق الكتل الهائلة من البشر بالانجليزية والتفاهم حولها • وان عملا مماثلا بالعربية سيخلق الشعور ذاته ويزيد من ارتباطنا الفكري واللساني والروحي •

دور الاساتذة

ويشارك في عملية الاضافة الى معجم اكسفورد الكبير بصورة خاصة الاساتذة والمعلمون والقسس والرهبان والكتاب والنقاد وعلى رأس الاخيرين الناقدة المعروفة مارغانيتا لاسكي Marghanita Laski ، ولعلها اكثرهم نشاطا ومساهمة لا لشيء الا لحبها الغامر العميق للغة ، ويقوم بتصنيف هذه الالفاظ الاستاذ روبرت برجفيلد Robert Burchfield الاختصاصي باللغة الانكلوسكسونية والانكليزية القديمة والوسيطة •

وتقوم دار جامعة اكسفورد بنشر معجم الاعلام الوطني The Dictionary of national biography (D.N.B.) مرة كل عشر سنوات مع انه يتضمن سيرة الموتى من الاعلام المحدثين اعتمادا على الصحف التي تنشر سيرهم ، فان الكثيرين منهم يحذفون مع مرور الزمن لعدم تمتعهم بالاهمية الدائمة ، فالشهرة غير الخلود ، وكثيرون هم المشاهير ولكن الخالدين قلة !

اما المعجم الآخر الضخم الذي استهللنا به بحثنا هذا ، فهو من غير شك (معجم اكسفورد اللاتيني) باشراف بيتر غلير ـ على ما اسلفنا ـ وهو خريج جامعة كمبردج ويقوم باستخراج الفاظ معجمه من النصوص اللاتينية الكلاسيكية ولا سيما مما كتبه فرجيل Virgil وسينيكا Seneca وهو اشبه ما يكون براهب من القرن الخامس الميلادي •

مع شكسبير

ولقد انحصرت فعاليات دار اكسفورد للنشر خلال الثلثمائة سنة الاولى من وجودها ضمن نطاق مدينة اكسفورد ، فقد اسست سنة ١٥٨٥ عندما بلغ شكسبير مبلغ الرجولة ، وبعد مائة عام من ذلك قام الدكتور « فيل » Dr. John Fell باعمال باهرة للمطبعة وزودها بحروف لا يزال بعضها مستعملا ومحفوظا لاغراض تاريخية ، غير أن الغريب ان الرجل رغم خدماته اصبح هدفا لاهجية ظريفة لا تزال ترن في الاسماع ، يقول فيها الهاجي الذي لا يعرف اسمه ولا سبب هجائه :

انا لا احبك يا دكتور فيل
ولا استطيع ان ادلي اليك بالسبب
غير ان الشيء الوحيد الذي اعرفه تمام المعرفة
هو انني لا احبك يا دكتور فيل !!

وبدأ القرن الثامن عشر بنجاح تجاري عظيم برواج كتاب اللورد كلارندون Lord Clarendon

---

(٢) لقد سالت في ذلك فقيل انها موجودة غير انها لا تستعمل الا لاوراق الامتحانات لان المصححين بطيئون يستغرقون الساعات الطوال في ترتيبها وهذا ما يكلف المؤسسة اجورا عالية ، وفي الوقت ذاته لا يمكنهم استخدام مرتبين عرب لمعارضة وزارة العمل البريطانية •

« الرواية التاريخية الصحيحة للثورة والحــروب الاهليـــة في انكلترة »
True Historical Narration of the late and Ciril Wars in England .

المطبعة أن تبني من ارباح هذا الكتاب [illegible]رندون المشهورة التي اصبحت مقرا عاما [illegible] يزال مديروها يجتمعـــون في قاعة من [illegible]تي تتصدرها صـــورة بالحجم الطبيعي [illegible]آن ملكة انكلترة يومذاك ، وتوســعت [illegible] الربع الاخير من القرن التاسع عشر [illegible]اها عالميا ولا ســيما بعد عام ١٨٧٤ [illegible]ف باهمية فرعها الجديد بلندن ، ومن [illegible]يه السير همفرى ميلفورد Sir Humph-rey الذي تولى الادارة من ١٩١٣ الى ١٩٤٥ [illegible]رجل ذي الطاقة الاســطورية اذ ابتدع [illegible]ارية جــديدة ، واخرج طبعات جديدة [illegible] منها ديوان شـــعر روبرت براوننغ Robert [illegible] وديـــوان وليم كاويـــر Willian[illegible] ، ويطبع مـا بين ربع وثلث [illegible] النشر في لندن ولها مخزن يستوعب [illegible] مليون مجلد ، وتفكر الشركة في اقامة [illegible] لدائني (بلاستيكي) قابل للتوسـع [illegible]ب في العالم .

فروع الشركة

[illegible]رع الاميركي في نيويورك فيطبع ما لا [illegible]ستمائة كتاب ســنويا ويشحن اليه من [illegible]حو ٦٥٠ طنا من الكتب كل عام .

[illegible] فروع اخرى مهمة في الحبشة ونيجيريا ولعل الفرع الاخير يلي الفرع الاميركي من حيث الاهمية فهو يطبع وينشر باربع عشرة لغة محلية عدا الانكليزية .

لقد سقت كل هذه التفاصيل لابين ما يمكن ان تكون عليه دار عربية كبرى للطباعة والنشر اذا ما احتذت حذو دار اكسفورد العريقة ،فنحن احوج ما نكون الى دار من هذا الطراز ، ما دمنا نملك المال والامكانيات والطاقات والتراث الممتدة جذوره في اعماق اربعة عشر قرنا او يزيد .

ولقد اتيت على ذكر المعجم اللاتيني الانكليزي وما تبذله جامعة اكســفورد من اجله في حين ان اللغة اللاتينية ـ كما نعلم جميعا ـ لغة ميتـة لا تثير الهمم ـ لايجاد معجم تاريخي حي متطـور للغة العربية من اقدم عصورها الى يومنا هذا.

وحبذا لو وضعنا نصب اعيننا معجم اكسفورد الانكليزي الضخم ذا الثلاثة عشر مجلدا كنموذج مع الاستعانة بالاسلوب المتبع في المعجم اللاتيني، اذن لامكننا ايجاد ما يمكن ان يكون نصبا تذكاريا خالدا للغتنا السماوية المقدسة .

وقد اتيح لناشروا المعجم طريقة بارعة في طبعه طبعة خاصة لا تتجاوز المجلدين وذلك بتصغير صفحاته الى اقصى حد ممكن ووضع كل اربع صفحات في صفحة واحدة من الاصـــل ، مع تزويد القارئ بعدسة مكبرة قوية بحيث يستطيع مراجع المعجم ان يقرا ما يريد من غير عناء ، وبذلك يسروا على الكثيرين الاكتفاء بمجلدين عن ثلاثة عشر مجلدا قد تحتل حيزا كبيرا في المكتبات الخاصة .

وهكذا يحببون المعاجم الضخمة الى الجمهـور بطبعها باشكال وحجوم ملائمة لتسرى الفائدة الى جميع النواحي التي قد تخطر للانسان . ■■

صفاء خلوصي

تعاون !

● كان طالبان في أحد الصفوف يساعدان بعضهما البعض أثناء تأدية الامتحان ، وذلك بهدف الحصول على علامات أفضل من أى طالب آخر في الفصل . وبعد انتهاء الامتحان وتدقيق كراسات الاجابة أعيدت اليهما ورقة اجابة واحدة كتب في أسفلها التعليق التالي : تقاسما هذه العلامة بينكما .

ج . فراى . ليدز

المرأة والحرب
في التاريخ الاسلامي

بقلم : الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

■ لم يكن للعمل السياسي في صدر الاسلام ميدان يختلف عن ميدان العمل العسكري كما هو الحال اليوم ، حين اختص قوم بهذا وقوم بذاك • بل كان لكلا العملين ميدان واحد لا يفصل بينهما خيط ، وجهد واحد لا يفرق بينهما اختصاص • وفي هذا المنطلق • سجل التاريخ للمرأة المسلمة بطولات عسكرية قل نظيرها ، وتضحيات شاقة يعز على كثير من الرجال احتمالها •

ومن الامثلة على ذلك ما رواه التاريخ لنا عن « غزالة » زوجة شبيب بن يزيد الخارجي ، التي خرجت مع زوجها على عبد الملك بن مروان في امارة الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق ـ وكانت غزالة تقدم له النصح والمشورة ، وتقاتل الى جانبه في المعارك ، وتستقل عنه احيانا بالقتال على راس مجموعة من الاتباع ، حتى ان الحجاج نفسه هرب امامها في بعض المواقع ، فعيره بعضهم بقوله :

إسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر

ولم تزل غزالة وزوجها شبيب يحاربان الحجاج حتى هزما له عشرين جيشا على مدى سنتين، منها: جيش عتاب بن ورقاء ، وجيش الحارث بن معاوية، وجيش أبي الورد البصري ، وجيش طهمان مولى عثمان • وفي مرة : كبست غزالة وزوجها شبيب الكوفة ليلا ، ومعهما ألف من الخوارج ، ومائتان من النساء قد اعتقلن الرماح،وتقلدن السيوف، وقصدوا المسجد الجامع ، فقتلوا حراس المسجد والمصلين فيه ، ونصبت غزالة على المنبر ، فخطبت في الجيش وقال خزيم بن فاتك الاسدي في ذلك:

اقامت غزالة سيف الضراب
لاهل العراقين حولا مميطا
سرت للعراقين في جيشها
فلاقى العراقان منها أطيطا

ولما قتل شبيب بايع اصحابه ـ في الجانب الاخر من نهر الدجيل ـ غزالة التي بقيت تصرف الامور وتقود المعارك ، حتى عقد سفيان بن الابرد الجسر، وعبر مع جنده الى أولئك الخوارج ، وقتل اكثرهم وفيهم غزالة ، وأسر الباقين من اتباع شبيب •

ومن ملامح الوعي السياسي للمرأة في صدر الاسلام • ذلك الايمان به الذي يتجاوز المالوف ، وذلك البذل الذي يفوق التصور ، وذلك التخلي في سبيله عن كل شيء •

ولعل الكثيرين يتفقون معي على أن العمل السياسي في اذهان البعض من الناس اليوم لا يعدو كونه هواية تفتقر الى العقيدة ، ونزهة تخلو من التضحية ، وتحركا لا تلحقه التبعات ، يخوض الفرد المعاصر غمار السياسة من أجل السياسة وحدها ، لتوصله الى منصب يدر عليه الربح ، أو موقع يستدر منه الجاه ، أو لقب يوفر له السلطة والنفوذ ، من غير ان يعاني في سبيل ذلك ثقلا نفسيا ينوء به ، أو ثكلا اسريا ينوح عليه ، أو موقفا حاسما يدفع فيه حياته .

الفدائية الاولى

ولم يكن الامر كذلك في ممارسة المرأة - في صدر الاسلام - للعمل السياسي ، يوم ان جاهرت بالرأي حين كان العنت دونه ، وشاركت في الجهاد حين كان النصب حوله ، وتقلدت حمائل السيف حين كان الموت اقرب اليها من غمده . ولكنه الايمان الذي كان حاميا لها من الضعف ، وكانت العقيدة عاصمة لها من التخلف ، وكانت الاخرة احب اليها من الدنيا . حتى ضربت المرأة في ذلك مثلا لا يستوعبه العقل ، واعطت لذلك نموذجا لا يعرفه ال[illegible]ف ، وقدمت في سبيل ذلك تضحيات لا تحتملها ال[illegible]اقة البشرية المعتادة .

فلان تضحي المرأة بمالها امر معقول ، ولان تضحي بنفسها شيء ممكن ، ولكن ان تضحي باولادها وتدفعهم بيدها الى الموت دفعا مع فرصة للنجاة متاحة ، ونافذة الى الحياة مشرعة : فهذا هو الامر اللامعقول واللاممكن ، غير ان نوعية ما تملكه المرأة المسلمة من ايمان ، وحقيقة ما تحمله من عقيدة ، وحصيلة ما تتسلح به من وعي ، هو الذي جعل من ذلك كله ممكنا ، بل معقولا ، بل واجبا يتحتم القيام به والاقدام عليه . فالتاريخ لا ينسى - مثلا - ما فعلته ذات النطاقين « أسماء بنت أبي بكر الصديق » تلك التي قامت في شبابها بدور الفدائية الاولى في الاسلام في احلك ساعة من ساعات رسول الله (ص) وساعات أبيها رفيقه في الغار حين كان الهول في الساحة يومئذ شديدا ، وحين كان الخطر من حولها حينئذ محتوما ورهيبا .

غير ان ما فعلته أسماء في شيخوختها أمر مختلف ، يستحق الوقوف عنده للعبرة ، ويتحتم الوقوف عليه للدراسة ، ويجب الوقوف له وقفة الاجلال والاكبار .

وقبل ان نقف عنده ، ونقف عليه ، ونقف له ، اليك القصة :

كانت أسماء بنت ابي بكر الصديق اما لعبدالله ابن الزبير- فجاء اليها وقداحاط به اعداؤه وأيقن

انه مقتول لا محالة • فسالها ماذا يصنع ؟

فقالت له : « ان كنت تعلم انك على الحق فامض فى سبيلك غير هياب ولا وجل » •

فقال لها : ولكن الحجاج امننى على حياتى ان انا القيت السلاح واستسلمت •

فقالت له : والله لان تموت على الحق وراسك الى السماء خير من أن تعيش وراسك أمام الحجاج الى الارض •

فقال لها : ولكنهم سيمثلون بى بعد قتلى •

فقالت له : وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها ؟

فينهب ويقاتل حتى يقتل • اى طراز فى النساء هذا الطراز الذى حمل الدعوة وادى الامانة ، وكان عند حسن ظن الله به •

فماذا كان على اسماء لو انها أتاحت لولدها الفرصة المتاحة للنجاة ، ووهبته اللحظة السانحة للحياة ، وهى لا تخشى من جراء ذلك عارا يحفظه الناس ، أو اثما يغضب الله ، ولكنهــا خيرت فاختارت أشد الامرين هولا ، واقسى المشربين غصة، واخشن السبيلين مسلكا ووعورة ، وكانى بها حين عرضت لها فكرة النجاة كانت راغبة فيها ، وحين خطرت لها فكرة الموت كانت راغبة عنها ،غير ان تلك الرغبة المشروعة من المراة الام صادفت زخم الايمــان فى قلبها فتراجعت عاطفة الامومــة ، وصادفت تكوين الاسلام لوعيها فتجمدت نوازع الحنان ، وقارعت تربية ابى بكر الصديق فارسلت أسماء نفسها على سجيتها غير نادمة ولا نادبة •

ويستمر مفعول الايمان فى التاثير على شيخوخة أسماء الموغلة فى القدم ، فيسند قواها المتداعية، ويجدد عزمها الواهن ، وتحترق امومتها الطاهرة بنوره وناره ، وتصبر صبر الجبال على مشهــد ابنها المصلوب ، ويكويها الشوق الى ضم جثتــه الحبيبة بين احضانها فتغفو • ولكن ماذا تفعــل وقد حال بينها وبين هذا قسم الحجاج الذى اقسم على أن لا ينزله من على خشبة الصلب حتى تاتى أسماء بنفسها تطلب ذلك،وسول له غباؤه وغروره المنتصر أنها ربما تفعل ذلك ، وفاته أنها احتملت من مقارع الهول حين دفعت بولدها الى الموت ما هو أشد واقسى مما تحتمله الان « وهى بانتظار جثته ، وان من تصبر على فقد عبد الله حيا ، لصــابرة على فقد جثته ميتا » • وتمــر الايام وعبد الله مصلوب على خشبته ، والحجاج بجانبه يتمنى لو تحضر أمه تطلب منه الجثة لتر[illegible] من احراج اثقل عليه ، وعذاب أسرع به ، وث[illegible]ور بالتفاهــة والوحشية والسخف اذهب عليه [illegible]ذة النصر• ولكن أسماء لا تاتى ، والحجاج لا يتراجع، والتــاريخ يشهد ذلك مبهور الانفاس ، ويغيب الحجاج فى بعض شؤونه ، وتعلم أسماء بغيبته ، وتخرج من بيتها فى جنح الليل تقودها عصاها ، وتصل الى المكان الذى فيه جثة عبد الله المصلوبة، تحتضن قوائم الخشبة التى يتدلى منها الجسد الحبيب ، وتتارجح عليها العظــام الغالية ، فتخالط انفها روائح البطولة الممزوجة بالدم ، وتملأ صدرها باريــج الرجولة التى امتحنهــا السيف ، وتناجى نفسها وتقول : « أما آن لهذا الفارس أن يترجل » •

وتبلغ الحجاج مقالتها هذه ، فيخدعه الوهم الذى تمكن منه ، ويعتبر ذلك طلبا من أسماء بانزال الجثة ، ويحاول أن يقنع نفسه المتصدعة بهذا الوهم الذى لا يملك سواه ، فيامر بانزال المصلوب وتسليمه الى أمه ، ويذهب الجنود به اليها ، فتحتضنه وتغفى فيه ، وتتناثر أطرافه المتهرئة من حولها ، وتقضى ليلتها وهى علــى ذلك،تبكى عليه بكاء قويا كايمانها ،وتحزن عليه حزنا شديدا كعزمها ، وتحنو عليه حنوا عبقريا كوعيها ، حتى بلغ فرط الحنان عندها أن در لبنها عليه كما تقول بعض الروايات •

فاى طراز من الامهات هذا الطراز ، واى عطاء من المراة هذا العطاء ، واى بنية تلك التــى احكمها الاسلام •

عند صفحة الخنساء

ويقلب التاريخ صفحة أسماء ، ويفتح لنــا بعدها صفحة الخنساء « تماضر بنت عمرو بــن الشريد » الخنساء التى ملات الدنيا بكاء على اخيهــا صخر ، حتى ابكت الفاتنة فى ليلة عــرسها ، ونــاجت الطيــر والشجر وهامت فى الاودية والبقاع ، وعشقت كل واد تجرى على بطاحه عيون الماء لانه يذكرها بعينيها الجارتين على صخر ، فتقول :

وواد حكى الخنساء لا فى شجونه
ولكن له عينان تجرى على صخر .

الخنساء هذه نفسها ياتيها الاسلام فيـ[illegible]ـها

المعنى الجديد للحياة ، والهدف الجديد للوجود، والصياغة الجديدة للمرأة، وتمضي الايام سريعة حافلة • ويخرج المسلمون الى حرب القادسية، وتخرج اليها مع ابنائها الاربعة ، وفي ليلةالمعركة تجمعهم وتوصيهم فتقول :

« يابني ، انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا اله غيره ، انكم لبنو رجل واحد وامراة واحدة ، ماخنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، وقد تعلمون ما اعد الله لعباده المجاهدين ، امضوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين » •

فيخرج الابناء الاربعة الى الحرب وتبقى الخنساء تقوم بدورها في مؤخرة الجيش ، تواسي الجريح، وتسقي العطشان، وتحضر المؤن،ويستبسل الابناء في القتال وينشدون الشعر بذكر العجوز الخنساء ، ويقتلون واحدا تلو الاخر ، ويبلغ الخنساء خبر مقتلهم جميعا ، فتقول :

« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » • ثم تمضي في سبيل ما هي فيه لم تتوقف ، وكان شيئا مروعا لم يقع ، وكان حدثا جليلا لم يحدث •

ولست ثقيل الظل الى الحد الذي يجعلني افسد على القارىء تاملاته بالتعليق ، او اقتحم عليه انبهاره بالكلام ، او اربك له خشوعه بالتوضيح• لان اى كلام في مثل هذا المقام لابد وان يكون غثا مهما احكمته الفصاحة ، ولان اى تعليق علىمثل هذه المواقف لابد وان يكون فجا مهما زوقتهالبلاغة، ولان اى توضيح لمثل هذه الملاحم لابد وان يكون فظا مهما كانت الملاحظة دقيقة وعميقة وذكية •

ولقد صادف رسول الله (صلى) مثل هذه البطولات فاكتفى بالتثمين ، ومرت امامه مثل هذه التضحيات فقابلها بالاجلال ، وامتحنت المراة من حوله فتفجرت على شفتيه ابتسامة اعجاب عريضة، هي ابلغ من اى حديث •

ام عمارة امام الرسول

في غزوة احد يعرف التاريخ جيدا موقف ام عمارة « نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الانصارية »، من اوائل المسلمات ، وحضرتليلة العقبة وبايعت النبي (ص) وشهدت احد مع زوجها يزيد بن عاصم وابنيها حبيب وعبدالله ولما انهزم المسلمون انحازت الى رسولالله بالسيف،واخذت ترمي بالقوس حتى اقبل ابن قميئة وهو يصيح : دلوني على محمد – فلا نجوت ان نجا – فاعترض له مصعب بن عمير وأم عمارة – فضربها ضربة وضربته على ذلك ضربات ، ولكن كان عليه درعان فاتقى بهما ضرباتها •

وحدثت ام عمارة عن احد فقالت : « انكشف الناس عن رسول الله (ص) فما بقى الا نفر ما يتممون عشرة ، وانا وابناى وزوجي بين يديه ، نذب عن رسول الله والناس يمرون منهزمين •

ورآني رسول الله (ص) لا ترس معي ، فراى رجلا منهزما معه ترس فقال لصاحب الترس : « الق ترسك الى من يقاتل » فالقى ترسه ، واخذته ، فجعلت أتترس عن رسول الله (ص) ، وانما فعل بنا الافاعيل اصحاب الخيل ، فيقبل رجل عليّ على فرس ، فيضربني ، فتترستله، فلم يصنع سيفه شيئا وولى ، فضربت عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي (ص) يصيح على ولدي قائلا : « ياابن ام عمارة ، امك امك » فعاونني عليه حتى اوردته الهلاك •

وجرح ابنها « عبيد بن زيد » وجعل دمه يسيل وهي لاهية عنه بقتال الاعداء حتى نادى رسول الله (ص) ابنها فقال : « اعصب جرحك » فتنبهت اليه ، واقبلت عليه معها عصائب قد اعدتها للجراح ، فربطت جرحه ، والنبي واقف ينظر اليها باعجاب واكبار ، ثم قالت لابنها : بني انهض فضارب القوم . فنهض ونهضت معه • فلم يزد رسول الله على أن قال وكانه يحدث نفسه : « ومن يطيق ما تطيق ام عمارة » •

ثم اقبل الرجل الذي ضرب ابنها ، فقال رسول الله (ص) لها : هذا ضارب ابنك •

قالت : فاعترض له ، فاضرب ساقه فبرك •

قالت : فرايت رسول الله (ص) يبتسم حتى رايت نواجذه •

وحدث رسول الله (ص) عنها بعد ذلك فقال : « لمقام نسيبة خير من مقامفلان ، وفلان،ما التفت يمينا وشمالا الا وانا اراها تقاتل دوني » وكان يراها تقاتل يوم احد اشد القتال ، وانها لعاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر رجلا •

وقد حدثت ام عمارة عن دور المراة في تلك المعركة ، ومن طريف ما ذكرت عن ذلك : انالنساء كان معهن المراود والمكاحل ، فكلما ولى رجل او

تكمكم ناولته احداهن مرودا ومكحلة ،ويقلن له: خذ تكحل فانما انت امراة • (ولكنه ليس امراة كام عمارة على اى حال) •

وقد شهدتت ام عمارة بيعة الرضوان ، ثم شهدت قتال مسيلمة باليمامة حيث جاهدت اجل جهاد حتى جرحت احد عشر جرحا ، وقطعت يدها، وقتل ولدها ، ولم تتوقف •

بهذه النوعية الفذة من النساء المسلمات بلغت الرسالة اهدافها ،ولبست الحياة حلتها ،وحققت الانسانية احلامها •

ومن هذه الحقيقة التى لا يحيط بها اللبس ، ولا يحيط بساحتها الغموض : وفرت المراة عناصر القوة للفكر ، واستكملت عوامل الفتوة للمجتمع، وهيات اسباب الحياة للحياة •

ومخاطبة الجماهير ايضا

ومن الملامح الاساسية للوعي السياسي عند المراة فى صدر الاسلام ، هو القدرة الكاملة على مخاطبة الجماهير ، والقاء الخطب السياسية المؤثرة التى تتميز : بقوة التعبير الناتج عن وضوح الرؤيـة وبلاغة البيان الصادر عن عمق الفهم ، وشـدة السبك التى تدل على تكوين فذ واستعداد كبير•

وفى التاريخ امثلة كثيرة على ذلك ، ومنها : ماروى من خطبة «امكلثوم بنت على بن أبى طالب» حين وقفت تخاطب اهل الكوفة سنة ٦١ هـ بعد مقتل الحسين بن على بن أبى طالب ، فارتجلت الكلمة التالية :

« ابدا بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه، اما بعد : ياأهل الكوفة ياأهل الختر والغذلان ، فلا رقأت العبرة ، ولا هدأت الرقة ، وانما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ، الا وهل فيكم الا الصلف والشنف ، وملق الاماء وغمز الاعداء ، وهل انتم الا كمرعى على دمنة ، وكفضة علـى ملحودة ، الا ساء ما قدمت انفسكم ان سخط الله عليكم وفى العذاب انتم خالدون •

اتبكون ؟ اى والله فابكوا ، وانكم واللــه احرياء بالبكاء ، فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فلقد فزتم بعارها وشنارها حين قتلتم سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهــل الجنة ، ومنار محجتكم ، نازلتكم ، فتعسا نكسا، لة الصفقة وبؤتم بغضب من الذلة والمسكنة،لقد جئتم يتفطرن منه وتنشق الارض اتدرون اى كبد لرسول ال له ابرزتم واى دم له سف شوهاء خرقاء ولعذاب الاخر فلا يستخفنكم المهل ، فانه يخاف عليه فوت الثار ، بالمرصاد » •

هذا انموذج للخطب ال تصدر عن ثقة وكفاءة من فى التاريخ منها الكثير •

ولقد كانت ام كلثوم تث حين ترى ذلك امرا ينفع الضرر ، وسبيلا يراب الص

ومن هذه المواقف : ان الخطاب (رضى) كان على وقعت بين على ومعاوية نظ ولما خرج طلحة والزبير و البصرة اغتم على لذلك كث حدث البارحة حدث هو اذ والزبير وام المؤمنين ومع وماذاك ؟ قالوا خرج ابز فارتج على لهـذا النبا عمر لو انحاز الى معاوية الرجال واعد لكل طريق فر ابن عمر ، وماج اهل المدي

فسمعت ام كلثوم بالنب ببغلتها ، فركبتها فى رحل واقف فى السوق يفرق الر « مالك لا تزتئد من هذا ا خلاف ما بلغته وحدثته ، فد ضامنة له » • ففكر على وطابت نفسه ، وقال لذ انصرفوا والله ما كذبت و عمر ، وانه عندى لثقة » • يحدث او انطلق الرجال فى وتطور الامر الى حد الاعتد التى عند المسلمين • غير

وتأثير في الاحداث وتدخلها في الامر استطاعت ان تقضي على الفتنة قبل ان تقع .

وماذا على ام كلثوم لو انها لزمت دارها وكفت نفسها شر القتال ، ولكنه الوعي الاسلامي الذي لا تشكل السياسة الا جزءا من اجزائه ، وليس غريبا على ام كلثوم ان تفعل ما فعلت ، وان تقول ماقالت ، فهي ابنة علي ، وزوجة عمر ، وغرس الاسلام الذي لا يخيب .

حتى المزاج السياسي

ولعلي اثقلت على القارىء بالجانب المؤثر من وعي المرأة السياسي الذي يمتزج الاعجاب بــه بالحزن عليه ، ويختلط الامل فيه بالالم منه ،وان في الجوانب الاخرى متسعا للقول ومجالا للحديث، فقد كانت المرأة في صدر الاسلام تحسن المــزاج السياسي المؤدب . والغمز السياسي الرزيـــن والشواهد على ذلك كثيرة منها :

دخلت بثينة – صاحبة جميل – على معاوية . وكانت عجوزا – فقال لها معاوية مازحا : ماالذي رآه جميل حتى قال فيك ماقال ؟

فقالت غامزةله : «رأى فيَّ ما رآه فيك المسلمون حين ولوك عليهم » : فضحك معاوية من قولها .

ولقد ضربت هند بنت عتبة بن ربيعة المثل على استقلال المرأة في الرأي ،. وانقياد التصــــرف للاقتناع ، بعيدا عن التقليد او المحاكاة . فبعد أن اظهرت هذه المرأة كرها شديدا للاسلام بعد ان قتل في بدر ابوها عتبة بن ربيعة ، وعمها شيبة ابن ربيعة واخوها الوليد بن عتبــة واستــــمرت عداوتها المشهورة للاسلام ولرسول الله : اصبحت ذات يوم تقول لزوجها انما اريد ان اتابع محمدا، قال : قد رايتك تكرهين هذا الحديث امس .فقالت: اني والله ما رايت ان عبدالله حق عبادته في هذا المسجد كما يعبده اتباع محمد ، ان ياتوا الا مصلين قياما وركوعا وسجودا . فقال : فانك قد فعلت ما فعلت فاذهبي برجل من قــومك معــك ، فذهبت الى عمر بن الخطاب ، فذهب فاستاذن فدخلت ، فقالت : يارسول الله الحمد لله الذي اظهر دينه الذي اختاره لنفسه واني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ، والله ماكان على الارض اهل خباء احب الي ان يذلوا من خبائك ، ولقد اصبح . وما على الارض اهل خباء احب الي ان يعزو من خبائك» .

وحين ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولدها معاوية ابن ابي سفيان ماولاه من الشام كانت هند تقوم بدور المستشار السياسي في كثير من المواقف . ومن ذلك : انها كانت مرة في بلاد كلب تتجر ، فباعت واشترت ، فبلغها ان ابا سفيان وعمرو بن ابي سفيان قد اتيا معاوية ، فعدلت اليه من بلاد كلب ، فاتته . فقال لها : ما اقدمك يا امة ؟ . قالت النظر اليك ، اي بني : انـــــه عمر ،وانت تعرف من يكون ، انما هو يعمل لله، وقد اتاك ابوك – فخشيت ان تخرج اليه من كل شيء ، واهل ذلك هو ، فلا يعلم الناس من اين اعطيته فيؤنبك عمر ، فلا يستقيلها .

فبعث الى ابيه والـى اخيـه بمـائة دينـار ، وكساهما ، وحملهما . فتعظمها عمرو بن ابي سفيان – اي استهول ان يكون عطاء معاوية لابيه واخيه بهذا القدر اليسير – فقال ابوسفيان لا تعظمها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ، ومشورة قد حضرتها . وكانت صائبة في رايها فلقد علم عمر بذلك ، وصادر المائة دينار ووضعها في بيت المال . ولقد شهدت هند اليرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وجعلت تخطب في الجيش .

والكلام في مواقف النساء السياسية في هذه الفترة الزمنية القصيرة لا ينتهي ، واعلام النساء في هذا الصدد تملأ صفحات التاريخ.امثالفاطمة بنت مروان ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وام كثير امراة همام بن الحارث النخعي ، ولبانة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، وليلى بنت ابي حثمة بن حذيفة ، وليلى بنت الخطيم ، وليلى بنت عميس وغيرهن الكثير الذي ليس بمقدور مقالة كهذه ان تعطي اكثر من ضرب المثل،وتقديم الانموذج .

واذاكان للمرأة المسلمة مثلهذا الوعيالسياسي فانها برواية الحديث اشد وعيا ، وبدراسة الفقه اكثر دراية،وبجوانب التربية اعمق خبرة،وبصنوف البلاغة والادب اخصب الماما تجيد عند الحديث ، وتحسن عند العمل ، وتخلـص عند النصيحـة ، وتصدق عند اللقاء . ■■

ابوظبي – د . احمد عبد الكبيسي

رئيس قسم الدراسات الاسلامية

العربية المتحدة بجامعة الامارات

غذاؤك سنة ٢٠٠٠

كله مصنع من الخضر والفاكهه الى اللحم البقرى !

يعد العلماء من الآن لانقلاب شامل فى غذاء الانسان ، مع بداية القرن الواحد والعشرين، حده الادنى الاعتماد على الاغذية المصنعة ، من الخضر الى اللحم البقرى ! .. ويبدو ان هذا هو الحل المنظور لمواجهة ازمة تزايد البشر وعدم كفاية الانتاج .

والاسئلة المثارة الان كثيرة ، ففى عام ٢٠٠٠ ، هل سيبقى انواع اللحوم والبطاطا التى يتناولها الانسان كما هى عليه الان ؟ هل سيظل لون الطماطم (البندورة) احمر ، والفاصوليا والبازلاء ، ذات لون اخضر ؟ هل سيستمر وصول الروبيان — او الجمبرى — من البحار ؟ وهل سيستمر البرتقال فى النمو على الاشجار ؟

لم يستطع علماء الغذاء فى الولايات المتحدة الامريكية اعطاء اجوبة قاطعة على هذه الاسئلة ولكنهم متفقون على ان تحولات رئيسية فى هذا الميدان ستحدث فى المستقبل .

ويستطيع المستهلكون ان يتطلعوا الى امكانيه الحصول على دجاج قليل الدهن او خال منه ويحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات ، وديوك رومية يزن الواحد منها ثلاثين رطلا ، ولحم بقرى قليل الدهن ، وبندورة اكثر نضجا ، والقرع الصيفى الذى ينمو داخل مبان. وبامكان المشترين ان يتوقعوا نقصا حادا فى الاغذية المجمدة ورواجا للمنتجات المجففة بما فى ذلك كافة انواع المشروبات على شكل مسحوق ، ومحليات بلورية الشكل ذات نسبة بروتينية عالية مصنوعة من نخالة القمح ، وحتى صلصة الصويا المجففة والزبدة والخ...

و ...كون هناك مزيد من الاطعمة الخفيفة المغذية بما ذلك المشروبات الغازية التى تحتوى على نسب عالية من البروتين .

زيادة النباتيين

لقد تم التنويه بصورة جلية ومتكررة عن تحولين رئيسين : التحول الاول : الاستنبات وهو مجال سريع الاتساع يشتمل على نمو الحياة البحرية فى بيئة مسيطر عليها .

وعملية الاستنبات هذه شائعة فى آسيا منذ زمن بعيد غير انها قد تؤدى في امريكا الى انتاج كميات وفيرة من الحيوانات البحرية بمختلف انواعها ، فضلا عن اغذية بحرية اخرى سيجرى انتاجها بطريقة الاستنبات ذاتها .

التحول الثانى، يتمثل في ازدياد حركة النباتيين الذين يقتصرون في طعامهم على الخضر والحبوب والفاكهة مع نقص في الاعتماد على البروتين الحيوانى . وبغض النظر عن التغيرات المتوقعة فان انتاج الاغذية في المستقبل سيضع في اعتباره بالدرجة الاولى تكاليف الطاقة ، ومخاطر الصحة الواضحة الناجمة عن تناول الغذاء المحتوى على نسبة عالية من الدهن ، والحاجة الى استغلال مصادر البروتين فى السمك والخضراوات .

ويتفق معظم اولئك الذين يتطلعون الى مستقبل الاغذية فى الولايات المتحدة على ان الاغذية المبتكرة والاطعمة جميعها ستستمر فى البقاء جنبا الى جنب مع اشتداد حدة الصراع بين انصار كل حركة فى دفاعهم عن موقفهم ، ومع هذا فهناك اتفاق جوهرى على موضوع واحد وهو عدم الاعتماد في الطعام على قليل من الاقراص الحمراء او انواع من الاغذية التى يشمئز منها البعض وتسبب لهم حالة من الغثيان كالصراصير، والنمل الابيض والديدان . ويقول الخبراء المختصون في ميدان الاغذية ان مثل هذه الاطعمة لن تلقى قبولا من جانب المستهلكين .

ويؤكد احد الخبراء البارزين في حقل الغذاء وهو ريشارد ماك كورميك بان الجنس البشرى مقبل على رؤية مزيد من الاطعمة والاغذية المبتكرة التى تشبه تلك التى يتم انتاجها بصورة طبيعية . ومثال ان من هذه الاطعمة المبتكرة الكافيار الذى يدعى انه يشبه فى مذاقه وشكله الكافيار الطبيعى . ويضيف ماك كورميك قائلا ان كثيرا من الاغذية المبتكرة اصبحت الان فى قبضة التقنية الحديثة وليس فى قبضة التسويق . وبكلمات اخرى ففى الوقت الذى يتعلم فيه المستهلكون العيش مع بدائل البيض القلى وبعض المشروبات المجففة وجميع انواع اللحوم المصنوعة من بروتينات الخضار المركبة فان هذه الاغذية ستلقى انتشارا واسع النطاق .

ان الكثير من الاغذية كالبيتزا مثلا ستبقى فى شكلها الظاهرى كما هى عليه الان ولكن مكوناتها الاساسية ستتغير بصورة كبيرة ، فبدلا من اللحم البقرى المضاف اليه توابل كثيرة والجبنة المزوجة بالحليب ، فان البيتزا فى المستقبل ستحتوى على سجق مصنوع من بروتين فول الصويا المركب ، وجبنة منتجة من زيت الخضار .

وتوقع ماك كورميك حدوث تغييرات كبيرة فى الاسواق المركزية تختفى معها الاغذية المجمدة بشكل تام تقريبا من هذه الاسواق بسبب التكاليف الباهظة للطاقة اللازمة لتشغيل السفن وحفظ هذه الاغذية فى المخازن . وتكهن ايضا باستخدام تقنية حديثة لحفظ الاطعمة بطريقة التجفيف في القالب ، الامر الذى يؤدى الى الكف عن انفاق ملايين الدولارات كل عام لنقل الماء في سائر ارجاء البلاد .

اللحم البقرى المبتكر

وبينما الكثير من الاغذية بدءا من اللحوم الى الخضار ومن السمك الى الحبوب ستظل في حالة وفرة جيدة ، فان مظهرا جديدا سيغلب على معظم هذه الاطعمة . فقد طور العلماء فى مركز البحث الحيوانى بولاية نبراسكا الامريكية نوعا من اللحم البقرى وهو خليط من فول الصويا المزوج مع القمح وزيت العصفر ويحتوى على نسبة اقل من الدهن الحيوانى .

واوضح مدير المركز روبرت رولتجن قائلا «اننا نستطيع تسويق هذا اللحم البقرى المبتكر الان ، ولكننا آثرنا التريث قليلا حتى يتم التاكد من جدواه الاقتصادية ومن ثم انتاج كميات وفيرة منه . »

وتكهن جراهام بيرشيس احد العلماء العاملين فى

مختبـر البحث الزراعي الخاص بالـدواجن في بيلتزفيل بالولايات المتحـدة ، بامكانية الحصول مستقبلا على دجاج قليل الدهن او خال منه ، وعلى ديوك رومية اكبر حجما . ولاحظ بيرشيس انه في الوقت الذي يوجد فيه دجاج وطيور قليلة الدهن فان المستهلك سيتحول عن الدهنيات فضلا عن النفقات القليلة التي تتطلبها عملية تسمين الطيور .

وقال ان المستهلكين قد يتوقعون مزيدا مـن الاطعمة المصنوعة من الطيور كالسجق ، طالما ظل الدجاج مصدرا غير باهظ الثمن للبروتين الحيواني.

بالاضافة الى اللحـم البقـري والدجاج فان منتجات الالبان ستحتوي كذلك على نسبة قليلة من الدهنيات طالما ان زيوت الخضار ستحل محل بعض الدهون الحيوانية في الحليب والجبنة .

وبامكان الامريكيين ان يتوقعوا وفرة اكثر من السمك وطعام البحر وباسعار زهيدة على الارجح عندما يتم تنفيذ العديد من برامج الاستنبات في انحاء متفرقة من الولايات المتحدة .

ونجح علماء الاستنبات في جامعة سان دييجو بولاية كاليفورنيا الامريكية في انماء سرطان بحري صغير ذي غطاء صلب غير سميك في مياه احد الانهر المتدفقة في المدينة .

ومن المنتظر ان تصبح الحيوانات المسننة كالسرطعون (واسمه الشائع ابو جنمبو أو الكاوريا) والسلمون والتي تتم تنميتها بسرعة كبيرة وباحجام اصغر من مثيلاتها التي تؤخذ من البحار ، من المنتظر ان تصبح غذاء المستقبل .

ولا يتوقع الاختصاصيون في علم النبات تغييرات في اشكال الفواكه والخضراوات مع انهم يعملون على تحسين القيمة الغذائية في العديد من الاطعمة بما في ذلك البطاطا والبندورة مع نسبة اعلى من فيتامين سي . ويتـم جني الفواكـه والخضـار كالهليون بطرق ميكانيكية فضلا عن الطرق اليدويه. ومن المتوقع ان تصبح الخضراوات المنتجة في بيوت زجاجية وبخاصة في المناطق الصحراوية اكثر شعبيه ورواجا طالما انها تحتاج الى قليل من الماء وان نموها لا يخضع او يتاثر بتقلبات الجو . ■■

ترجمة : سمير جيوسي

بذور الازهار

● مات قاض مشهور بحكمته وعـدله حتى أحبـه النـاس حبا جما ، فارسل مريدوه والمعجبون به طاقات كثيرة من الزهور وضعت حول نعشه . وجاء زنجي شيخ ليحيي القاضي تحيـة الوداع الاخيرة فلقيه ابنه وقال : « انظر ياعم الى هذه الازهار الغضة الكثيرة التي بعث بها اصدقاء ابي » .

فقال الزنجي : « قضى ابوك ايام حياته يبذر البذور التي انبتت هذه الازهار » .

لابد يعرفني !

● نزلت جماعة من السياح مدينة هوليوود وذهبت فـي الليل الى ملهى مشهور ، فلم ينفك افرادها عن التحديق فـي الكواكب الذين يحيطون بهم وقد حرصت احـدى الفتيـات على التحديق في المغني بنج كروسي فلم ترفع عينيها عنه . وأخيـرا التفت اليها وانحنى فقالت : « اليس هذا شيئا غريبا ؟ لقد رأيت عددا وافرا من الافلام التي مثل فيها، حتى ليخيل اليه أنه يعرفني» .

ـر ـسة
ـفـ ـية

هؤلاء المبدعون الصغار !

لعل من اهم الجوانب الحديثة فى دراسة الابداع ، وفى البحث عن العوامل التي تتعلق بتشكيل القدرة على الخلق والتفكير الحر المستقل، تلك التي تختص بحياة المبدع (فى مجالات الفن والعلم وغيرها) فى فترات المبكرة من العمر .

بقلم :
الدكتور عبد الستار ابراهيم

والحقيقة ان ثمة شبه اتفاق بين البحوث النفسية الحديثة والسير الذاتية التي كتبت عن العديد من المفكرين او كتبوها هم عن انفسهم، على ان المبدعين عاشوا فى طفولتهم حياة تختلف

عن غيرهم في مظاهر متعددة . فحاجتهم للتعبير عن الذات منذ البداية اقوى، وتجتذبهم الاشياء الناقصة والمجهولة والصعبة وتسيطر عليهم دوافع قوية لاثارة الاسئلة وطلب الايضاحات وتشتد دوافعهم للاستغراق في العمل والنشاط العقلي اكثر من غيرهم فيغامرون احيانا ، ويشاكسون احيانا ، ويؤكدون فرديتهم في التعلم المستقل في اغلب الاحيان .

ومن المؤكد ان طفولة من هذا النوع قد تثير للطفل مشكلات نفسية ، يتعلق بعضها بالتوافق الاجتماعي ، ربما مع اقرب الناس كالاصدقاء والزملاء وافراد الاسرة ويتنبه الدكتور « بول توارنس » استاذ علم النفس التربوي بجامعة جورجيا الى شيء من هذا فيرى ان التعبير المبكر عن الابداع غالبا ما يوقع الاطفال المبدعين في مشكلات توافقية رئيسية ، اذ يبعدهم عن الاخرين او يبعد الاخرين عنهم ـ مما يجعلهم يتذوقون طعم الغربة والاغتراب مبكرا .

ونحن في موضوع كهذا نخطيء خطا جسيما اذا لم تكن بصيرتنا بالمشكلات التي يثيرها التعبير المبكر عن الابداع بصيرة واضحة وواعية وهي ـ في اقل الاحوال ـ تجنبنا تكرار اخطاء تربوية قد تبدو بسيطة ولو انها في الحقيقة تفتك باكثر الامكانيات شاهدا على اعجاز الانسان وتفوقه .

ليس في الكتب وحدها

وثمة اجماع على ان المبدعين قد نشاوا في بيئات امتازت بالتحفيز العقلي والاثارة الذهنية . ومن المرجح ان يكون ذلك من الاسس التي تساعد الشخص فيما بعد على التفاني والاخلاص لعمل علمي او بيئي .

وتمتاز البيئة او الاسرة التي تشجع على الاثارة العقلية بمظاهر منها : شيوع قيم ثقافية او وجود احد من افراد الاسرة المقربين (اب ، او اخ ، او ام ، او جد ..) ممن يولي اهتمامه لهذا الجانب الثقافي . يتذكر الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر شيئا من هذا القبيل عن الطفولة:

« في حجرة مكتب جدي كانت الكتب في كل مكان ، وكنت لا اعرف القراءة بعد . ومع ذلك فقد كنت اجلها هذه الحجارة المرفوعة ، وسواء كانت قائمة ام متزاحمة كقطع الطوب فوق ارفف المكتبة ام منفصلة بعضها عن بعض . كنت اشعر بان ازدهار عائلتي موقوف عليها.

وذكر « برتراند رسل » ان والده يميل للفلسفة والدرس وكان متحرر الفكر وكان يملك مكتبة غنية وكانت امه بالمثل تفيض بالحيوية والقدرة على الابتكار • اما جوته فقد اعتادت امه ان تقرا له بصوت عال في طفولته المبكرة . وبهذه الطريقة استطاع ان يلم بالادب الانجليزي الماما كبيرا في السنوات الاولى من العمر فقرأ معها شكسبير وملتون وجين اوستن وغيرهم « صفحات متفرقة من سيرتي الذاتية ، لبرتراند راسل » .

والحقيقة ان التحفيز الثقافي قد يمتد لاعمق من وجود كتب او مثقفين في داخل الاسرة كما هو الحال في اسرتي راسل وسارتر .. ان الخبرة تعلمنا وهي غير خاطئة في هذا ان هناك نماذج اخرى وعباقرة نشاوا في اسر مختلفة عن ذلك اختلافا كبيرا . لهذا فان التحفيز العقلي او الاثارة الذهنية تمتد فتشمل التشجيع العام على حرية التفكير وحرية ممارسة الخبرة واحترام افكار الطفل مهما كانت تافهة وابداء التفهم لها والتقبل والمدح ... الخ وقد تاتي التحفيزات الثقافية الاخرى « كتوافر الكتب » مواكبة لهذا النمط من التنشئة او تالية على ذلك (بعد فترات زمنية او طويلة او قصيرة) لكي تجد ان العالم الوجداني والفكر العام للشخص ممهد لتقبلها واستثمارها استثمارا جيدا .

ومن هنا تنبع اهمية وجود قدوة او نموذج مبكر في حياة الطفل يتوحد به . ويستطيع الطفل من خلال هذا التوحد ان يتحمل المصاعب وان يواجه التحديات المختلفة باساليب ناضجة .

اذكياء مبدعون وغير مبدعين

وتميل بعض الدراسات الى التمييز بين الاساليب التربوية الاسرية التي تستخدم لتشجيع النجاح الاكاديمي والمهني ، والمكيفة لقواعد النجاح الاجتماعي بشكل عام ، وبين الاساليب الاسرية التربوية التي من شأنها التشجيع على التفكير للمستقبل والابداع والاصالة • فالاساليب الاولى تشجع على الاستقلال النشاط العقلي في التكيف الاجتماعي والاساسي للبيئة (اي الذكاء) . والاخرى تشجع على

اسه... النشاط العقلي لابراز التميز والاختلاف الابدا... (اي الابداع) . وكلا الاسلوبين قد يميز خصائص متعارضة تماما .. هناك على سبيل المثال دراسة اجراها عالمان من جامعة ستانفورد استطاعا ان يبينا من خلالها ان اساليب تنشئة المبدع تختلف عن اساليب تنشئة الذكي .. وقامت خطتهما على اساس اجراء مقابلات شخصية عميقة لمجموعتين من الاسر لاطفال اذكياء (اسر اطفال حصلوا على نسب ذكاء مرتفعة على مقاييس الذكاء العادية) في مقابل مجموعة اخرى من اسر لاطفال مبدعين (غير حاصلين بالضرورة على نسب ذكاء عالية ، غير ان افكارهم اميل للاستقلال ، والمرونة ، والتلقائية ..) وقد تبينت فروق في اساليب التفاعل بين الاسرة والطفل في كلا المجموعتين .

على سبيل المثال : امهات الاطفال الاذكياء كن اميل للنقد الشديد او عدم التقبل للاخطاء . بينما كان اتجاه الامهات في مجموعة المبدعين اميل للتقبل والتشجيع والتغاضي عن اوجه الخطأ .

وهم ـ اي آباء الاطفال المبدعين ـ يبدون حرية اكثر في التعبير عن النفس والمشاعر ، ويظهرون طمانينة وجدانية،واهتماما اقل بالمركز الاجتماعي الرسمي . اما آباء الاذكياء (من غير المبدعين) فيعبرون عن درجة أكبر من الشعور بالتهديد وعدم الطمانينة المادية .

ومن ناحية اخرى فقد اتجه آباء المبدعين نحو التشجيع على استقلال الشخصية اكثر من التشجيع على التحصيل الدراسي التقليدي . وفي الحالات التي كان يظهر فيها اهتمام بالتحصيل الدراسي فقد كان يحدث بتوازن مع تشجيع الاستقلال واتخاذ القرار وحرية استكشاف البيئة أما آباء الاطفال غير المبدعين فقد كانوا اميل للتشجيع على التحصيل الدراسي المجرد،واظهار عدم التقبل والاستحسان للاجتهادات الفردية أو التعدية التي قد تظهر عند اطفالهم .

وعندما كان الامر يتعلق بالتفاعل بين الاباء والابن... فقد ظهرت انماط اخرى من الاختلاف . فاسلو... التفاعل بين الاباء والابناء في اسر المبدعين امتاز بالتسامح وعدم التاكيد على ضرورة الخضوع لقيم الوالدين وحرية التعبير عن المشاعر ، بينما اتخذ التفاعل في اسر الاذكياء (من غير المبدعين) شكلا معارضا يؤكد على التصلب ، وضرورة الخضوع لقيم الوالدين واتجاهاتهم . وفي دراسة اخرى سئل عدد من المهندسين ممن يشهد لهم بالابداع والابتكار عن اتجاهاتهم نحو والديهم واتجاهات والديهم نحوهم اثناء الطفولة ، فتبين انهم (اي الاباء) كانوا يحملون ويظهرون الاحترام الفائق لهؤلاء الاطفال كما كانوا يعاملونهم بثقة اكبر في قدراتهم واحكامهم وقراراتهم .

ومن الجلي ان اساليب التعامل في داخل اسر المبدعين تتميز بالتشجيع المباشر على استغلال القدرات الابداعية وتوظيفها وتوجيهها من فترة مبكرة . وهذه الاساليب تختلف عن تلك التي تستخدمها اسر الاذكياء الذين لم تتح لهم فرصة استغلال او تنشيط قدرات الموهبة والابتكار في تلك الاسرة الاخيرة ـ فيما هو واضح ـ يتجه الاهتمام ـ كل الاهتمام ـ نحو اثارة الذكاء التقليدي والمجازاة والتحصيل الدراسي والنجاح المجرد .

تشجيع الامكانيات المبكرة

لكن يلزم ان نوضح حقيقة بسيطة وهامة في نفس الوقت وهي ان شكل التعبير عن الابداع في الطفولة لا يكون متميزا او متبلورا بشكل قوي ومحدد . لهذا فان ما نلاحظه منه يجب ان يمتد ليشمل جوانب من الشخصية تعتبر اشارة لوجود استعداد (مستقبلي) للابداع (وان لم تكن هي الابداع نفسه) . فميل الطفل للسؤال وحب الاستطلاع ورغبته في الاختلاف وثقته بنفسه وتلقائيته وتقبله لاوجه القصور في ذاته وقدرته على مواجهة الفشل .. كلها مظاهر لا يمكن النظر اليها بصفتها قدرات ابداعية ، ولو انها تساعد على خلق التربة الاولى التي تقوم عليها محاولات الخلق الابداعي الناضج فيما بعد .

لهذا ، فان اهمية اساليب التنشئة المبكرة تمتد الى ابعد من التركيز على ابراز الموهبة او المقدرة على الابتكار .. اذ انها يمكن ان تتجه الى اعمق من هذا ، اي الى الاتجاه نحو خلق خصائص من الشخصية تعتبر بمثابة الارضية الضرورية التي تتفرع منها اي امكانية مستقبلية للابداع والتفكير المستقل البناء .

ومن هنا تنبع اهمية بعض المبادىء التربوية كالتشجيع التلقائي للطفل ، واحترام اثارة الاسئلة والافكار بدلا من الرفض او الصد او

الانسحاب والتهرب ، وياخذ التشجيع اشكالا مختلفة منها التشجيع المعنوي والتشجيع المادي. ومن مظاهر التشجيع المعنوي : التحبيذ والتاييد اللفظي ، والتقبل ، والحماس للفكرة والاضافة اليها ، اما التشجيع المادي فيتضمن المكافآت والهدايا المختلفة . وتبين البحوث ان التدعيم المعنوي ذو فاعلية اقوى من التدعيم المادي في اثارة بعض الدوافع التي ترتبط بالابداع . فالاثابة والوجدانية واظهار الاهتمام وكلمة مديح عندما يتصرف الطفل بطريقة مرغوبة تعتبر محفزا قويا للتفكير المستقل والتفرد البناء .

ولعل من اكثر الاخطاء التي يرتكبها الآباء (بوعي أو بدون وعي) هي تعمدهم واقتصارهم على ادراك أوجه القصور او الضعف في افكار الابناء . فيعمدون الى النقد والسخرية والحقيقة انه ما من عمل من الاعمال أو فكرة من الافكار تخلو في بدايتها من نقطة ضعف او جانب من جوانب القصور . بل ان اوجه القصور قد تكون احيانا اكثر من اوجه القوة . والنقد الحاد الذي قد يوجه لنشاط الاطفال قد يجعل الطفل يتخلى عن اوجه الضعف لكنه وفي احوال كثيرة سيتخلى بجانب ذلك عن نقاط القوة متوقفا عن الاجتهاد وممارسة النشاط ربما كلية ، والآباء والمربون الذين تشغلهم فكرة تكوين وتنشئة اطفال قادرين على الاستفادة بالخبرة والتفتح والاجتهاد قد يجدون ان من المهم ان يتبينوا اتجاها بنائيا وليس ناقدا للافكار .

ومن الخطأ ايضا ان نتصور بأن المبدع والموهوب انسان لا يحتاج للتوجيه والارشاد لكي ينمي مواهبه ويطورها .. ومن الخطأ ان نتصور بان الموهبة تقود الموهوب تلقائيا الى اهدافها وان المبدع قادر ان يختار بنفسه المصادر التي ستساعده على التعبير عن ابداعه مسترشدا بقوة الموهبة الطبيعية . وتزداد اخطار هذه الاخطاء في التصور في الفترات المبكرة من حياة المبدعين . ولعل من اكثر اخطارها هي اننا نقتل تدريجيا الموهبة الكامنة في حياة الاطفال ان لم نساعدهم بكل الطرق على قرارات مستقلة وتنمية مهاراتهم حتى ولو كانت محدودة . والبحث العلمي أيضا يدعم هذه النصيحة . فقد تبين في دراسة مقارنة بين اباء المهندسين الموهوبين والمهندسين المختصين في مستوى الابداع ان آباء المجموعة الاولى كانوا يشجعون ابناءهم في سنوات الطفولة المبكرة على اتخاذ قرارات مستقلة فيما يختص بحياتهم الشخصية .

والاغتراب والعزلة ايضا

وتبين دراسات الاطفال الذين يظهرون استعدادا مبكرا وطيبا لاستقلال التفكير انهم يشعرون دائما بين اقرانهم بالعزلة .. وتكشف السير الذاتية للمفكرين عن مظاهر كثيرة مماثلة من الشعور بالاغتراب .

وابعد ضررا وخطرا ان يتبنى الآباء تصورات خاطئة عن ظهور الموهبة والشخصية الابداعية وان يفرضوا هذه التصورات ويعكسوها في اساليب معالجتهم لابنائهم . ويستطيع القارىء الحصيف ان يستنتج ان كثيرا من المبادىء التربوية السابقة التي عرضناها انما تقوم على تصحيح خطأ ما في تصوراتنا لظهور الابداع ونمو المبدع .. ومن امثلة هذا الخطأ الخلط بين الخروج عن المالوف او العادى وبين المرض العقلى والشذوذ .. فكثير من الناس ينظرون الى اى اختلاف عن المالوف بانه علامة على التعقيد والاضطراب وعدم التكامل .. وهذا غير صحيح ـ علميا ـ ويحتاج كثير من المبدعين والمفكرين ـ في طفولتهم وما بعد الطفولة ـ لمن يدعم لديهم الاحساس بان افكارهم ونشاطهم شيء يختلف عن المرض النفسي والعقلي .

وكون ان كثيرا من جوانب النشاط الابداعي يتاثر بظروف طارئة احيانا او صدف مفاجئة غير متوقعة ، لا يجوز ان ينتهي بنا الى خطأ آخر في التفكير ، فنتصور بان الحظ هو الفيصل النهائي والتحكم في مجريات الامور .. صحيح ان الفرص والصدف غير المتوقعة امر لا يمكن انكاره في مجالات الاكتشاف العلمي والتفكير والبحث ، لكن الصدفة لا يمكن ان تقبل الا على من يعرف كيف يغازلها . كما يقول شارل نيكول . لكن من الضروري ايضا ان نتعلم وان نعلم الاخرين اساليب ملائمة من الغزل وفي هذا يكمن المغزى العميق لدور الاسرة ومؤسسات المجتمع في تبني الموهبة الابداعية وترشيدها . ■

د . عبد الستار ابراهيم

استاذ علم النفس الاكلينيكي المساعد بجامعة الكويت ، ووين بأمريكا

مقالات في كلمات

■ اعظم فائدة للحياة ، هو ان نقضيها فى عمل شىء ·· اىشىء يعيش مدة اطول من الحياة ذاتها !

« وليام جيمس »

وليام جيمس

■ جلست يوما بجوار فراش رجل يحتضر ·· واحس الرجـل بأننى حزين من أجله ، فنظر الى وقال مبتسما : « لا تحزن لموتى ·· فقد مت فعلا منذ عشرين عاما ! ان ما تراه الان هو النهاية الطبيعية لكل كائن حى · أما الموت يا بنى ، فهو موت الرغبة فى الاستمرار فى الحياة ·· وقد حدث هذا عندما وضعوا قلمى فى السجن ، وحبسوا فكرى فى غرفـة مظلمة ليس فيها بصيص من نور ! »

« هال بويل »

■ ما اكثر اخطائى ·· لو اننى سردتها ووصلتها لكانت كافية لان تغطى سور الصين ·· اننى مازلت اخطىء كل يوم لاننى مازلت اتنفس واتحرك واعيش مع الناس !

« ايمرسون »

ايمرسون

■ الحياة ليست شمعة صغيرة فى يدى ·· انها مصباح يشـع ضوءا قويا ، وهو فىيدى الآن ، وأنا اريده ان يضى بقوة اكبر ، قبل ان اسلمه لتلك الايدى التى سوف تجىء مـن بعـدى ·

« جورج برنارد شو »

■ قياس الحياة ليس فى طول بقائها·· ولكن فى قوة عطائها!

« كنت روث »

برنارد شو

■ ثلاث قواعد اساسية للحياة النافعة تعلمتها فى صغرى ، ومضيت اعلمها لكـل الناس : القاعـدة الاولـى ان يمضى الانسان فى طريقه · والثانية ان لا يتوقف عن المضى فى هذا الطريق والثالثة أن يساعد غيره من الناس على المضى معه فى الطريق الذى اختاره وسار فيه بنجاح ·

« تيودور اوامز »

الكسندر اوستروفسكي

مسرحيات الحي

كثيرون جدا فى عالمنا العربى لم يسمعوا باسمه : الكسندر اوستروفسكى . من هو هذا الرجل ؟

■ فى الرابع عشر من فبراير عام ١٨٤٧ م دق منزل شيفيريف الاستاذ بجامعة موسكو اجمع لفيف من الادباء المسكوفيين ، وكان من بينهم موظف مغمور يعمل باحد المحاكم التجارية وبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما . قرا هذا الشاب على الحاضرين اول مسرحية له « صور السعادة العائلية » ، وما ان فرغ من قراءتها حد. اقترب منه رب الدار ليصافحه قائلا : « اهـ ـ كاتبا

دراميا » ولم يكن هذا الشاب سوى الكسندر اوستروفسكى نفسه ورغم أن الحاضرين فى ذلك اليوم قد اثنوا على اول عمل مسرحى لاوستروفسكى الا ان احدا منهم حينئذ لم يفطن الى انه كان شريكا لحدث تاريخى عظيم اعتبره النقاد فيما بعد « بداية ثورة فى العهد الدرامى الروسى » ، اذ برز اوستروفسكى فى تاريخ الأدب الروسى كعملاق للفن الدرامى مكرسا له كل حياته الادبية وواهبا له كل قواه وعبقريته وبذا استحق عن جدارة لقب « مؤسس المسرح القومى الروسى » .

وعلى مدى ٤١ عاما من حياته كرسها اوستروفسكى للفن المسرحى واستطاع ان يقدم من خلالها ٤٧ عملا مسرحيا ومئات المقالات عن المسرح ، جاءت فى مجموعها معبرة عن أسس ومبادىء الفن الواقعى المسرحي فى روسيا فى النصف الثانى من القرن ١٩ واصبحت مدرسة للعديد من المسرحيين الروس ، وسجلت هذه المسرحيات بكل صدق ما يقرب من نصف قرن من حياة روسيا بكل أبعادها الاجتماعية .

● بداية الطريق

ولد الكسندر أوستروفسكى فى ١٢ أبريل سنة ١٨٢٣ م لأب قادر ذى حظ من الثقافة العالية

وبدا أوستروفسكى منذ سنوات طفولته المبكرة شديد الحب للقراءة . وساعدت المكتبة الكبيرة التى يقتنيها ابوه على تنمية هوايته وتطويرها . وكانت المكتبة تزخر بروائع الكتاب والنقاد الروس الكبار حتى وبصفة خاصة يمكن القول بانه كان للآراء النقدية والجمالية للناقدين الروسيين الكبيرين بيلنسكى وجيرتسين فضل كبير فى تشكيل ذوقه الفنى والادبى .

وجاء اوستروفسكى فى الساحة الادبية فى الاربعينات من القرن الماضى ، . فى وقت كانت تتشكل فيه « المدرسة الطبيعية » ، ولذا فقد كان انتاجه المبكر مرتبطا بأسس ومبادىء « المدرسة الطبيعية » (١) التى ارتبط باسسها أغلبية الادباء الروس الذين ظهروا فى الاربعينات والخمسينات من القرن الماضى . وقد تميزت الفترة التى برز فيها أوستروفسكى بانتعاش فى الحياة الادبية حيث انتشرت المحاضرات الادبية العامة التى اجتذبت اليها مختلف القطاعات وبدأ يتدعم المذهب الواقعى فى الادب ويتخذ طريقه نحو السيادة فى التيار الأدبى العام .

وقد كان يسود الحياة فى روسيا ابان تلك الفترة تيارات اجتماعية وفكرية مختلفة ، فمن جهة كان هناك تيار ، « محبى الروح الغربية » وقد كان مؤيدو هذا التيار يعتبرون أن طريق

بقلم : الدكتورة مكارم أحمد الغمرى

التطور الذى يجب أن تنهجه روسيا هو طريق الاصلاحات الاوروبية لديموقراطية الحياة السياسية . أما التيار الاخر « محبو الروح السلافية » .

فقد كان انصاره يرون الطريق الى التطور فى العودة الى النموذج التقليدى لحياة الروسية القديمة وليس فى التعلق بمظاهر الحضارة الغربية الدخيلة .

وعلاوة على ذلك فقد بدأ يتضح التيار الثورى الديموقراطى وكذلك افكار الاشتراكية الطوباوية ، واجتذبت هذه الافكار الشباب المثقف الذى اقبل عليها . . ووجد أوستروفسكى نفسه أيضا تحت تأثير هذه الافكار . لا سيما انه كان قد تأثر بشدة خلال دراسته فى المدرسة الثانوية بافكار المتعاطفين مع الامزجة التحررية وبالمناخ الليبرالى الذى كان يسود كلية الحقوق وقت دراسته

بها ، وقد ساهمت كل هذه المؤثرات في تشكيل فكر أوستروفسكي الذي تميز بالوطنية العالية وبالعداء للحكم القيصري واهتمامه بالفلاحين ،وهم الاغلبيه الساحقة من الشعب ، وقد دفعه حبه للفلاحين الى أن ينزل اليهم ليرقب حياتهم عن كثب .. وكتب اوستروفسكي عن ذلك في مذكراته يقول ، لقد بدات التعود على القرية وطفت تقريبا كل الضواحي وتعرفت على بعض الفلاحين وشاهدت أعيادهم .. أي شعب هم هنا .. ؟ ان لكل شخص منهم قيمته (ولم اقابل أي اوغاد) ان كل ذلك ينتظر ريشة فنان ، كما ينتظر الحياة من الروح الخلاقة » .

ولذا توجه أوستروفسكي بقلمه العملاق ليسجل بكل الصدق عالما كاملا تجرى احداثه في روسيا ، اما زمانها (باستثناء المسرحيات التاريخيه) فهو نصف قرن من حياة الشعب الروسي .

مسرحيات الحياة

لعل اصدق ما قيل عن مسرحيات اوستروفسكي هو وصف الناقد دبرولوبوف لها على انها « مسرحيات الحياة » ، فقد كان هذا الناقد الكبير يرى أن القيمة الحقيقية للمؤلف الادبي تكمن بالدرجه الاولى في الصدق في تصوير الواقع، واعتبر ان هذه السمه كانت دائما في المقدمة من اعمال أوستروفسكي ، وكان يرى ان من اهم خصائص أوستروفسكي هو مقدرته على ان « يغوص في اعماق الانسان ، وأن يميز بين ما هو طبيعي وبين ما هو دخيل » ورغم اختلاف حدة النقد في مؤلفات أوستروفسكي المسرحية خلال فترات انتاجه المختلفة ، الا انه بقي طوال حياته الادبية وفيا للطريق الذي اختاره وهو نقد الكيان الاجتماعي والسياسي لروسيا من منطلق حبه للشعب وحرصه على مصالح شعبه .. وعلى مدى مسرحياته باجمعها برز أوستروفسكي كاديب شعبي حق .. واذا نظرنا الى انتاج اوستروفسكي فسنرى انه يمكن تقسيم طريقه الفني الى اربعة مراحل :

المرحلة الاولى : ١٨٤٧/١٨٥١ م

يربط الكثير من النقاد البداية الحقيقية لاوستروفسكي ككاتب مسرحي بمسرحية «الافلاس» . (١٨٤٩) فقد جلبت هذه المسرحية لاوستروفسكي شهرةادبية كبرى ، واصبحت حدثا ادبيا كبيرا ، وقد طور اوستروفسكي كوميديا « افلاس » هذه نفس الموضوع الذي قد تناوله في أول تجربة مسرحية له « صور من السعادة العائلية » اذ ركز على تصوير نمط العلاقات الانسانيه التي تسود بين طبقه التجار وقد حاول أن يجسد الزيف والرياء والخداع الذى كان سائدا بينهم .

وكتب أوستروفسكي في اعقاب ذلك «مسرحية صباح شاب (١٨٥٠) » ، « حادث غير متوقع » (١٨٥١ م) « بيد ان هاتين المسرحيتين لم يكلل لهما النجاح ،ثم كتب في اعقابهما مسرحية « العروس الفقيرة » (١٨٥٢) التي صور فيها الظروف الصعبة التي تمر بها فتاة فقيرة من ماريا من وسط الموظفين حيث تدفعها هذه الظروف الى «زواجالمصلحة» من رجل لا يناسبها ولا تختاره بعواطفها ، وانما تضطر للزواج منه لانقاذ عائلتها من الوضع المالي الذي تمر به وتحاول ماريا أن تتكيف مع حياتها وان تصلح من زوجها المرتشي ولكن محاولاتها تبوء بالفشل .

اختلفت الآراء حول تقييم البطلة ماريا وجاء افضل تقييم لها في مقالة الناقد الروسي الكبير دبرولوبوف « مملكة الظلام » فقد وجد في مشكلة البطلة صدى لمشكلة وجود المرأة الروسية وحالة العبودية التى تعاني منها في الظروف التي كانت تعيش فيها روسيا ابان الفترة .

بمسرحية « العروس الفقيرة » التي وضع فيها روح الديموقراطية وانعكست عليها اصداء فترة الاربعينات ، تنتهي المرحلة الاولى من ابداع اوستروفسكي الذي جاء مكملا لخط الادب الروسي الكلاسيكي وممثلا حقيقيا للمدرسة الطبيعية .

المرحلة الثانية : ١٨٥٢/١٨٥٤ م

اعتبر اغلبية النقاد هذه المرحلة من ابداع اوستروفسكي بداية عهد جديد في فكره واتجاهه مشيرين الى وجود نوع من الازمة الروحية

اعماله . واذا نظرنا الى مؤلفاته فى هذه المرحلة لالفينا نوعا من الانعطاف عن الخط الذى تميز به انتاجه من المرحلة السابقة ، فقد تجلى ابتعاده عن الطابع النقدى اللاذع الذى ينطوى على كشف وفضح مساوىء الواقع . وبالرغم من الخط النقدى فى مؤلفاته الا انه اتخذ اشكالا خفيفة اكثر مما سبق .

حدد اوستروفسكى بنفسه فى عام ١٨٥٣ م منهجه قائلا : « ان اتجاهى قد بدأ فى التغير . فنظرتى الى الحياة فى اول كوميديا لى تبدو قاسية للغاية ، انه لمن الافضل ان نجعل الانسان الروسى يسعد وهو يرى نفسه على خشبة المسرح بدلا من ان يحزن ، فالمصلحون سيوجدون بدوننا ، ولكى نعطى لانفسنا الحق فى اصلاح الشعب دون اهانته فانه يلزم ان نميط اللثام عما ينطوى عليه من طيبة ، وهذا هو اهتمامى الآن ، حيث احاول ان اربط المثل الاعلى بالكوميديا ».(٢) .

اما مسرحيته « الفقر ليس عيبا » (١٨٥٣م) فقد صور فيها الصراع بين القديم والجديد فى وعى عينة ممثلة لطبقة التجار وعكس فيها نمط الثقافة الروسية القديمة والعريقة فى صراعها مع الثقافات الدخيلة وانعكاسات هذا الصراع فى وعى التجار — فلاحى الامس — ، ونقل اوستروفسكى هذه الصورة بطريقة شاعرية ناصعة اما فى مسرحية « لاتعش هكذا كما تريد »(١٨٥٥م) فقد انتقل اوستروفسكى بمعاصريه الى احداث جرت قبل مائة عام عن زمنه معتمدا فى ذلك على التراث الشعبى . وقد حاول اوستروفسكى أن يبرز مثله العليا الاخلاقية فى ثوب دينى .

المرحلة الثالثة : ١٨٥٥/١٨٦٠ م

كان لظروف الحياة فى روسيا فى الخمسينات من القرن الماضى وما انطوت عليه من انتشار الفساد داخل النظام الاقطاعى الاستبدادى الذى وضحت مساوئه فى حرب القرم ، واندلاع الحركة الشعبية الواسعة لجماهير الفلاحين الاقنان ، الفضل فى لفت انظار القيصر الى ضرورة اجراء تعديلات شاملة لكل جوانب الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية ، وكان لظروف الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة انعكاساتها على الفكر والحركة الادبية وتبلور كل ذلك فى موجة من النشاط تجسدت فى المؤلفات التى كانت تنتقد بشدة النظام القائم وتلح بضرورة التغيير . وتأثر اوستروفسكى ايضا بالتغيرات الجديدة وانعكس هذا التأثر فى اقترابه من المعسكر الديموقراطى وظهر ذلك عمليا فى مسرحياته « المكان المربح » ، و « التادبة » و « العاصفة » . فقد جاء هجوم اوستروفسكى الشديد على النظام البيروقراطى السائدوكشفه لعيوبه ومساوئه او ما كان يسميه اوستروفسكى « بالنظرة القاسية » للحياة دليلا على عودة الكاتب الى صف الديموقراطيين . ففى مسرحية « المكان المربح » هاجم اوستروفسكى بشدة الهيكل البيروقراطى وحاول خلال بطل المسرحية جادوف ان يكشف مساوئه والرشوة التى تسوده . فالبطل شاب مالبث أن انهى تعليمه والتحق بالمؤسسة التى يديرها عمه الذى كان يعيش معه فى نفس الوقت ، وكان جادوف مفعما بافكار عن الحياة يمكن ان توصف بالمثالية بالنسبة لما يجرى فى الواقع ، الا ان افكار البطل سرعان ما تصطدم بالواقع الذى يدفعه الى التراجع عنها مقررا انه من الممكن العيش ، وقد تجلى صدق وواقعية اوستروفسكى فى هذه المسرحية فى الطريقة التى حسم بها الصراع بين البطل والواقع فلو أن الكاتب ترك البطل يحقق فى الحياة الافكار المثالية التى يتحدث عنها لبدا ذلك تشويها للواقع والحقيقة

وتعتبر مسرحية « العاصفة » من ابرز كتابات اوستروفسكى فى المرحلة الثالثة واكثرها دلالة على تخطى اوستروفسكى لمرحلة « الازمة » التى مر بها . وتقع حوادث المسرحية فى مدينة كالينوف على ضفاف الفولجا ، وتعكس احداثها واقع الحياة والعلاقات الاجتماعية لنماذج من سكان المدينة فى تلك الفترة ، فنرى ديكوى احد التجار الاغنياء فى المدينة والذى يوصف بانه « شخص معروف » يتعامل مع الجميع فى

(٢) جورافليقا « مسرحيات أوستروفسكى » ، موسكو ، سنة ١٩٧٤م ، ص ٢٥

قسوة وغلظة ويستولى على ارث ابن اخيه باريس الذى يعامله بحقارة ويكثر من سبابه .

اما عائلة كابونوفا التى تتصل بها الاحداث الرئيسية للمسرحية فتتالفمن الام مارفا كابونوفا وهى ارملة غنية من طبقة التجار وابنها يتخون كابونوف وزوجته كاترين .. وتبرز الام مارفا كابونوفا فى المسرحية كامراة متسلطة على ابنها وزوجته ، دائمة الشجار معهم وهى تحاول دائما الوقيعة بين ابنها وزوجته وتحيل حياتهما الى جحيم .. اما الزوجة الرقيقة كاترين التى تتميز بالرقة والوداعة والصفاء فان حياتها حزينة وهى دائما حائرة بين الزوج المغلوب على امره الذى ادمن الشراب والام المسيطرة الشرسة .

جاءت مسرحية « العاصفة » لتجسد نظرة اوستروفسكى لكل الطبقة التى تنتمى اليها عائلة كابونوفا . الا ان اوستروفسكى لاحظ وجود بشائر امل فى نفوس بعض الافراد التى تحاول الثورة ضد « قيود مملكة الظلام » وكانت كاترين هى تلك البطلة التى كانت تحمل نذيرا بالتغيير ، فقد صورت المسرحية ذلك التضارب والصراع الذى يمكن ان يحدث مع امراة سوية تقع فى براثن عائلة مثل عائلة كابونوفا والمصير الذى يمكن ان تلاقيه مثل هذه المراة . جاء اسم المسرحية « العاصفة » ذا دلالة رمزية ، فقد تمثلت هذه العاصفة فى كاترين التى كانت تتوق الى الانطلاق وتحلم بالسعادة ، مما جعل النقاد من معاصرى اوستروفسكى يربطون بين مضمون المسرحية وبين الافكار التى تنادى بحقوق المراة ، اما شخصية كاترين فقد شاهد فيها الناقد الكبير دبرولوبوف « قبسا من نور فى مملكة الظلام » .

المرحلة الأخيرة ١٨٦١/١٨٨٦ م

تعتبر المرحلة الاخيرة من انتاج اوستروفسكى اطول فترة فى انتاجه ، فقد امتدت هذه الفترة ما يقرب من خمسة وعشرين عاما كان فيها اوستروفسكى فى قمة نضجه وعطائه . وقد تميزت هذه المرحلة عن المراحل الاخرى التى سبقتها برسوخ افكاره ومعتقداته الفنية والاجتماعية ، وتمكن اوستروفسكى فى هذه الفترة من ان يشغل مكانة فريدة وبارزة فى الادب الروسى ، ورغم تنوع الموضوعات التى تناولها الا ... جاءت جميعها لتعكس فى عمق وبوضوح كل التغيرات التى طرات على الحياة الاجتماعية فى روسيا فى اعقاب الغاء قانون القنانة فى سنة ١٨٦٠ م ، وقد تميز وجه الحياة فى روسيا فى تلك الفترة ببروز طبقة جديدة على سطح الحياة من رجال الاعمال والتجار الذين جاءوا ليحلوا محل الطبقة النبيلة السائدة التى اخذت فى الزوال ، وقد تعددت بشدة اشكال وموضوعات مسرحيات اوستروفسكى فى هذه الفترة اكثر من اى مرحلة سابقة ، فقد كانت هناك مسرحيات تتناول تصوير حياة التجار ، منها مسرحياته «الحقيقة شىء طيب اما السعادة فهى شىء افضل » ، « القلب ليس بحجر » ومسرحيات تعكس حياة الانسان البسيط وذلك مثل مسرحيات « لوحات من حياة موسكو » و «الصديق القديم افضل من صديقين جديدين» و « الايام الصعبة » وغيرها . وكذلك مسرحيات يغلب عليها الطابع الهجائى وذلك مثل « لكل عالم هفوة » ، « القلب الحار » ، « الغابة » ، « ذئاب وحملان » . وغيرها ثم انتج ايضا المسرحية النفسية وذلك مثل مسرحيات «الحب المتاخر » ، « الضحية الاخيرة » ، « المراة غير المهورة » و « المواهب والمعجبون » و « بدون ذنب مذنبون » .. وغيرها .

ورغم ان اوستروفسكى اهتم بالدرجة الاولى بالحياة المعاصرة له الا ان الماضى لم يغب عن اهتمامه ، فقد كان من الطبيعى ان يتجه اوستروفسكى الانسان والفنان ذو الوطنية العالية الى التاريخ الروسى ، وقد جاء اهتمامه بالموضوع التاريخى فى الوقت الذى كانت فيه الدراما التاريخية فى الادب الروسى تعيش على فتات الدراما التاريخية ذات الاتجاه الرومانسى التى سادت فى الثلاثينات والاربعينات من القرن الماضى الا ان اوستروفسكى يخرج من دراماته التاريخية عن هذا الخط الرومانسى ليصور الماضى بصدق مبرزا فى صدارته دور الشعب .. وعن خاصية مسرحيات اوستروفسكى التاريخية كتب الناقد ماشينسكى يقول : « استطاع اوستروفسكى فى مسرحياته التاريخية ان يقضى على التناقض بين الحقيقة التاريخية والخيال الفنى ، فقد اكتسب خياله الفنى طابعا تاريخيا

ها الشمول
روفسكى فى
يتش مينين
تاريخى هام
. . صور
رامية مـن
ا ، اذ باتت
الداخليـة
لذين يطمعون
شـخصية
عن الجبن
ب ، وقـد
حية والانكار
ع .
ام) صـور
ا بين سلطة
من القـرن
لقائد صورة
نه على انها
الاجتمـاعى
مرءوسـيـه
كى يخضـع
بأن « اى
المسرحيـه
م الاقطـاعى

خيتين كتب
التاريخيـه
ا ميلنيفان

رح

شبة المسرح
قبل العرض
ب المسـارح
يمة الفنـان

العظيم الذى شـق طريقه وتغلب على الصعاب ، وقد كان للطابع النقدى اللاذع والخط الهجائي الذى انتهجه اوستروفسكى السبب فى عدم رضاء الدوائر الرسمية عن مؤلفاته ، ورغما عن هذا فقـد تصدرت مسرحيات اوستروفسكى عروض المسارح فى عصره ، وقد كتب الناقد خـولاف عن احصائيات مسرحياته التى اخرجت وهو على قيـد الحياة يقول : « من بين سبعة واربعين مسرحية كتبها اوستروفسكى تم اخراج اربعين مسرحية وهـو على قيد الحياة ، وعلاوة علـى ذلك اخرجت سـبع مسرحيـات اخـرى كتبهـا اوستروفسكى بالتعـاون مع مسرحيـين آخرين بالاضافة الى مسرحية مترجمة له وست مسرحيات مقتبسة(٤) .. وبذا فقد بلغ مجموع المسرحيات التى قدمها اوستروفسكى للعروض المسرحيه ستين مسرحية .

ولاسـباب الرقابه جاءت حياة اوستروفسكى الادبية غير مطابقة مع عروض مسرحياته علـى المسرح . فقـد شاهدالمتفرج على المسرح مسرحيات اوستروفسكى فى نظام يختلف عن النظام الـذى كتبت به ولم تستفد المسارح الحكوميـه من امكانيات هذه العبقريه . الا ان هذا الموقف لم يثن اوستروفسكى عن سعيه الى عرض مسرحياته على الجمهور مما دعاه الى العمل على انشـاء مسرح خاص به .

وبالرغم من اثراء هذا الكاتب العظيم للفـن المسرحى ليس فقط الروسى بـل والعـالمى . وبالرغم من ان معظم اعماله قد ترجمت الى العديد من اللغات الاجنبيـه الا ان قـراء العربيـه لم يعرفوا الا على القليل مـن اعمـاله ، فمسرح اوستروفسكى من الغنى والاثراء والتنوع بحيث لا نبالغ اذا قلنا انه يحتاج الى حشد من المترجمين لنقله الى القارىء والمسرح العربى . ■■

د. مكارم الغمرى

استاذ مساعد الادب الروسى والمقارن
بجامعة عين شمس

تاريخية لاوستروفسكى » بكتاب ، أوستروفسكى الفنان المسرحى
ا
بحاث » ، الكتاب الثانى ، موسكو ، سنة ١٩٧٤ م ، ص ٧
ار اليها باللغة الروسـية .

عندما قال الشعر :

لا للموت !

بقلم : عبد الوهاب شكرى

كلف العرب بالشعر ، وهاموا به الى درجة التقديس ، بالرغم مما وصفوا به احيانا من خشونة وحدة فى المزاج ، ومجاراة لبيئتهم الصحراوية • كما كان للشعر عليهم نفوذ آسر ، لم يكن ليعرف الحدود ، ولا ليميز بين الاشخاص على تفاوت فى الاقدار والمنازل • فقد كانت طباعهم رقيقة وعواطفهم وجدانية،وأحاسيسهم مرهفة ما أسرع ما تهتز لدى سماع القصيد فتتجاوب مع عذوبة معانيه التى فى قوافيه الحسان وكانها عنصر غذائى لا غناء لهم عنه ، يدخل فى التركيب الفسيولوجى لذواتهم •

وكثيرا ما جعل الشعراء قصيدهم شفيعا لا فى اغراض التكسب او النسيب او ما اليها ، ولكن عندما تنتابهم الملمات ويقعون تحت طائلة العقاب، ادراكا منهم لما للشعر من قيم فى النفوس او تاثير فى الوجدان، ما اكثر ما افاد فى انقاذ حياة العديد منهم من بطش سلطان او من حافة الموت وهو منهم قاب قوسين او ادنى •

واذا ، ما طبيعة هذا النفوذ الشعرى ؟ وكيف يملك على النفوس ارادتها المطلقة ؟ ثم كيف يحجز عليها قواها الغضبية ويحول دون ما عزمت عليه من أحكام قاسية فى لحظات رهيبة والامر يومئذ لله ؟

التلقائية والعفوية والشاعرية الحافزة • وانما نشا بعضها كاستجابة لبواعث ظرفية دفاعية بحتة فى آن واحد •

غير انه من مميزات الشاعر العربى على مستوى الارادة والسلوك ، ضبط النفس فى اغلب الاحيان مع التمسك برباطة الجاش حتى فى أحلك الظروف، وكذا عندما تحدق به الاخطار من كل جانب ، مما كفل له الى أبعد مدى وضوح الرؤية الشعرية فى صورتها البنوية رغم ما يجتازه من معاناة ويقاسيه من شدائد فى مختلف اطوار حياته الحافلة بالوان من المواقف والمفاجآت •

خصائص ومميزات

يحفل ديوان العرب بضروب من القصائد الوجدانية التى كان لها تاثير مباشر وحسم سريع لمواقف معينة عايشها الشاعر العربى بكل ما فيها من انواع الهموم •

وذلك كان وظيفة ايحائية ونفسية اداها الشعر العربى فى معظمه بكفاءات فائقة على نحو لم يكن اعتباطيا ما كان لينهض بها لولا انه بدائع من الجمال او عيون من القريض فى القمة الشماء •

وتمتاز تلك القصائد بكونها فيضا من التجارب والمعاناة ، تنطوى على عناصر الجودة ، تطبعها

عن... انه من خصائص الشعر العربي في أرقى مظاهر... النفسية ، القدرة على تحريك العواطف ومخاطبة العقل ، واثارة الشعور وتهذيب الطباع وصقل الاذهان ، واستبطان النفس بالنفاذ الى أغوارها في اكتساح شامل يجلو عنها حلكة الغضب ورواسب الاضغان والحزازات والامراض والمتراكمات وهو ما يشبه عملية فورية لغسل الدماغ ، تخضع فيها النفس آنئذ للتاثير الايحائي بمقياس لا حدود له ، نتيجة انعكاس الحوافز الاستجابية عليها ٠

وتوظيف الشاعر لهذه الاغراض في منحى كهذا، هو الذي جعله يهزم الموت بشكل موقت حينا ، ويحوز في عدة واجهات اخرى من سامي الرتب وعلو الشان ما قد تقصر دونه جميع المحاولات الجادة في غير المجال الشعري حينا آخر ٠

وههنا اسوق ثلاثة نماذج ـ وهي غيض من فيض، والبحر لا ساحل له ـ حملت المخاطبين بها على تغير مواقفهم ، والاسراع في تبني مواقف جديدة تتسم بالمرونة والتراجع الفوري لتنسجم وروح القصد مع ما تتميز به ـ سلفا ـ من شدة وصرامة٠ واول ما يطالعنا منها موقفان للرسول صلى الله عليه وسلم مع شاعرة ثم شاعر :

لو سمعت شعرها

ومع أن هذه الاحكام عن خصائص الشعر العربي قاعدة قياسية تنسحب على فلان وفلان ، فانهـا على علاتها تصبح استثنائية عندما يتعلق الامر بشخص النبي الذي انزل الله عليه سكينته وايده بروح من عنده ونزع عنه كل ضغينة وحقد وطهره من كل رجس،وادبه فاحسن تاديبه ثم صاغه في قالب فريد من الخلق العظيم ٠ وحاشاه ان يخضع لاي تاثير ايحائي ما لم يكن مصدره وحيا الاهيا ٠ وما حدث له في هذا المعنى ، هو من قبيل ما جبل عليه من مكارم الاخلاق فحسب ٠

فلقد قتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، بامر من الرسول النضر بن الحارث بن كلدة يوم الرجوع من بدر ، فكان الاحساس بمرارة الفاجعة دافع ليلى بنت النضر او اخته على اختلاف في الاسم والقرابة الى ان تعرض للرسول وهو يطوف بالبيت وتستوقفه بشده حتى ينكشف منكبه لتنشده هذه الابيات الرقيقة في العتاب :

يا راكبـا ان الاثيـل مظنـة
من صبح خامسة وانت موفـق (١)
ابلغ بهـا ميتـا بان تصيـدة
ما ان تزال بهـا الركائب تخفـق
فليسمعن النضـر ان ناديتـه
ان كان يسمع ميت لا ينطـق
ظلت سيوف بني أبيـه تنوشه
لله أرحـام هنـاك تشقق (٢)
قسرا يقـاد الى المنيـة متعبـا
رسف المقيـد وهو عان موثـق
امحمـد ها أنت ضنء نجيبـة
في قومهـا والفحل فحل معـرق (٣)
ما كان ضرك لو مننت وربمـا
من الفتى وهو المغيظ المحنـق (٤)
فالنضر أقـرب من تركت قرابـة
واحقهم ان كان عتـق يعتـق

وعندها قال الرسول في أسف ظاهر : (لـو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته (٥)) ٠

ولكن ما الفائدة من ايراد هذه الابيات وقد سبق السيف العذل ؟ الذي يعنينا منهـا واضح جلي ، هو هذا التجـاوب الحـار مع العتـاب الرقيق في عاطفة الرسول واحساساته المتسامية ، اعرابا منه عن اسفه العميق لكونه لم يسمع هذا الشعر حتى

---

[1] ـ الاثيل : بالتصغير ، عين ماء بين بدر ووادي الصفراء ٠ ويقال له (ذو الاثيل) من صبح خامسة تعني ما بينها وبين قبره من مسافة ٠

[2] ـ تنوشه · تتناوله وتأخذه ٠

[3] ـ الضنء · بفتح الضاد وكسرها الولد ٠

[4] ـ المحنق : الشديد الغليظ ٠

[5] ـ البيان والتبيين جـ ٤ ص ١٤٤ ط ٠ القاهرة، الاغاني حـ ١٧ ص ٤٣ ط ٠ دار الثقافة ٠

حصل الفوت ، ولم يعد بالامكان انقاذ الموقف الا بالتاسف والندم في تقديره لمشاعر الاخرين بنبل وشهامة ومشاطرة • ولو سبق هذا الشعر الـى اذني الرسول اذا ، لكتب بالتاكيد البقـاء للنضر على قيد الحياة بان لا يموت بسيف علي •

شاعر وجائزة

وعندما اسلم الشاعر المخضرم بجير بن زهير ، بعث اليه اخوه كعب ينهاه عن الاسلام ويلومه على اعتنـاق دين لم يجد عليه « ابا ولا امـا •• » ، فبلغ ذلك النبي فاباح دمه وهدد بقتله • ولما ايقن انه هالك لا محالة ، بعد ان ارجف الناس بذلـك وتخلى عنه من كان يامل نصرته، ضاقت به الارض بما رحبت ، فنصحه اخوه بجير ان ياتي الرسـول تائبا فلا ريب يشمله بعفوهورضاه• وهو ما حصل بالفعل حيث حـزم كعب امره واحتـال حتى لـقي الرسول وأسلم بين يديه وقبل منه بواسطة ابي بكر رضي الله عنه •

ورغم ان اسلام كعب قد حقن عليه دمه في البدء الا أن مدحـه للرسول كان له الفضـل الاكبر في الابقاء على حياته • والا فلا اقل من أنه اكسبه حظوة عنده وزاده قربا ، ما كان لينالهما لولاه •

ولاميته الرائعة (بانت سعاد) هي صاحبـة هذا الفضل • نستقطب منها هذه الابيات التي في مدح الرسول ، وينفي فيها كعب اقوال الوشـاة والمرجفين فيما نسب اليـه من هجـاء للرسول او تعريض عليه •

فبعد ان استهلها بالتغزل في الحبيبة على عادة الشعراء اذ ذاك ، تلاها بالفخر ، ثم مضى يمـدح الرسول بقوله :

نبئـت أن رســول اللـه أوعـدني
والعفـو عنـد رسـول الله مبـذول

مهـلا ، هـداك الذي أعطاك نافلـ
القـرآن ، فيهـا مواعيـظ وتـ سيـل

لا تأخـذني بأقـوال الوشـاة ولـ
أذنـب ولـو كثـرت فـي الاقا يـل

ويبلغ المديح ذروته حين يضيف الشاعر قائلا :

ان الرســول لنـور يستضـاء به
وصـارم من سيوف الله مسـلول

في عصبة من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا : زولـوا

زالوا ، فما زال انكاس(٦) ولا كشف(٧)
يوم اللقاء ولا سود معازيل (٨)

« فنظر الرسول الى من عنده من قريش كانه يومىء لهم ان اسمعوا » (٩) • لما في هذا المديح من صدق وروعة هو معهما حقيق بالانصات •• مما حدا بالرسول الى نسيان ما حدث ، كما هياه لان يقابل اساءة كعب له بالحلم والصفح • وفوق هذا أن الرسول خلع على الشاعر بردته كمكافاة تقديرية وتعبير عن الرضا والقبول •

لا للموت !

وقصة تميم بن جميل الدوسي الخارجي مع المعتصم العباسي ، اكثر الامثلة قوة لاثبات قدرة الشعر على كسب الرهان في صراع الحياة ضد الموت ، وهـو البعد الحقيقي للآثار الايجابية التي يحدثها الشعر حتى فـي ذوي الطبيعـة الشرسة لتلـين أعطـاف أصحابها ، ويتولد لديهم الشعور بالرأفة بـدل الرغبة في سفك الدماء •

فلقد حكم على تميم بالاعدام جريا على لغـة العصر لجريرة اقترفها ، وسيق بين يدي الخليفـة لضرب عنقه ، وأصبح يرى ـ ويا لهول ما يرى ـ نفسه في مواجهه صريحة مع الموت ، ولا منجاة له منه الا بمعجزة خارقة تجود بها السماء التي أخذ يسترحمها تلميحا لا تصريحافي قصيدة يخـاطب

٦ ـ الانكاس • ج نكس وهو الضعيف الذليل •
٧ ـ الكشف • ج الذين لا يحسنون حمل الترس في المباراة •
٨ ـ المعازيل : ج معزال وهو من لا سلاح معه•
٩ ـ الشعر والشعراء ج ١ ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١•• الخ ط • دار الثقافة •

بها أمير المؤمنين الذى اشرف بنفسه على وقائع الاستنطاق • فانبرى لسانه يردد لحنا تجلله مسحة من الحزن والاسى ، هو آخر ورقة فى يده‌ان خسرها ضاعت حياته فى متاهات العدم •

وما جزعه ان يموت ، لان الموت كما ايقن شىء مؤقت ، ولكن خلفه صبية تتفتت اكبادهم حسرة من هول ما قد يحل بهم من رزء او فاجعة فى فقدانه • ولا علينا فى التلميح الى اسباب هذه المأساة المروعة كما تتراءى لنا بادىء ذى بدء ، وقد تجلى فيها صمود الرجل بقدر كاف أثار اعجاب الخليفة ولا شك وادهش من كان حاضرا • وان انتهت المأساة بسلام على ما ناله الرها من عفو الخليفة وحلمه بعد ياس او شك ان يصيب منه مقتلا ، ولكن لحسن‌الطالع ـ ويا لها من‌معجزة ـ ارتد أملا باسما منعشا •

لقد كانت القصيدة على قلة عدد ابياتها ـ ولا عبرة بالكم ـ نافذة اغاثة هيات للمتهم فرصة النجاة من خطر داهم قد نصبت ادواته واعدت له سائر اللوازم • ولكن الاعمار بيد الله يفعل بها كيف يشاء ويقدر •

وما هى ذى ابيات القصيدة تعكس بوضوح حالات الشعور النفسى عند الرجل فى لحظة ما قبل الموت ، وترسم فى‌خطوط عريضة انضباطه‌وتوقعاته لنتائج رحيله عن صبيته كما يتخيلها ليواجهوا الموت والردى بمفردهم على ما هم فيه من الحداثة وضعف الحيلة‌وقلة التجربة‌وانعدام الجلد والصبر على‌الخطوب ، خصوصا وانه‌ربط مصيرهم‌بمصيره•

يقول تميم مصدقا لما بين يديه من مشاعر قلبية تنطق بلسان الحال والمآل :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث ما اتلفت
واكبر ظنى انك اليوم قاتلى
وأى امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى ياتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى انى اموت واننى
لاعلم أن الموت شىء موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
واكبادهم من حسرة تتفتت
كانى اراهم حين انعى اليهم
وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
لان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

لقد كان حقا مشهدا مؤثرا كما تصوره ابيات القصيدة ، وقد وقف فيه الرجل موقف ادانة لا لا يحسد عليه • كيف لا وقد اقتيد الى مصرعه قسرا يتراءى له الموت (بين السيف والنطع كامنا) ولم يبق له من رجاء الا ان يدلى بعذر او حجة عسى ان تمحو ما قد أتى به من ذنب حين خرج على امير‌المؤمنين فيمن خرج من الخوارج ، والا قضى الامر ليسدل الستار على حياته وتطوى صحيفته ولما يرتد للناظر طرف •

ومع جلال الموقف ورهبته ، جرت على لسانه‌تلك الابيات بلا خوف ولا وجل وقد سارعت الاقدار الى اسعافه بها لتحجم هذه المرة عن السخرية • فكان لها حقا سحر البيان وثقل فى الميزان بقدر الان قلب الخليفة الحانق وارخى عليه ظلال‌الفتور بعد حرارة انفعالية ملتهبة خبا اوارها بعد حين قليل، تلا ذلك دمعة تنسكب من مقلتيه تعطفا واشفاقا على اولئك الصبية الذين تنفطر أكبادهم جزعا على الاب الذى أخذ ليلقى مصيرا غامضا لا يفقهونه ، ولكنه على اية‌حال رحيل ابدى لو قدر له ان يحدث ، وفراق لا يطيقونه البتة •

وتطفو ـ أخيرا ـ الحكمة على سطح الشعور ، ويعود للعقل وعيه يرافقه الحلم والصفح بعد أن انقشع ضباب الغضب والانتقام ليامر الخليفة بالتخلية عن سبيل الرجل مع نفحه بهبة نقدية يصلح بها أحواله •

وبعد ،

فيا لها من رحمة ثنت سيف المنية وطوت النطع ليموت الرجل بعد لأى على فراشه حتف أنفه وقد استوفى حياته على مهل !

ثم اعظم بها من منة للشعر !

ولله الامر من قبل وبعد •

■■

عبد الوهاب شكرى
ورزازات ـ المغرب •

ترجمة واعداد : رجاء ابو غزالة

هذه الدراسة تعتمد على كتاب صدر اخيرا باللغة الانجليزية للكاتب روبرت سلفربرج عنوانه «مدن ضائعة ومدنيات اندثرت»

بعضنا شاهد آثار مدينة بومباى ، و بعضنا الآخر قرأ عن كريت وبابل ، لكن اكثرنا لا يعرف سر وسحر وعظمة شعب اضمحل فى ظروف غريبة هو : شعب المايا

■ لا شك بان الكثير منا قد قرأ التاريخ وتساءل بفضول عن سر تلك المدن الضائعة والمدنيات المضمحلة التى لم يبق من اثرها المثير للخيال ، سوى اسم المدينة والقائد ، كمثل بابل ونبوخذنصر ، او طروادة بريام وهكتور ، او كريت وملكها العظيم مينوس •

الا انه بالرغم من احترامنا للتاريخ ظل هو ذاته فى بطن عقولنا ، عبارة عن ذكرى اثرية ،او ربما فكرة خيالية نتوقف عندها كما يتوقف المسافر فى محطة •• ثم لا نلبث حتى نتابع طريقنا غير عابئين بما سلف ، ضائعين رغما عنا فى مجرى الاحداث اليومية •

والتاريخ ، مهما كانت الظروف المحيطة بـه غامضة ، لا تنجلى معالمه الا بعلم الاثار والحفريات الحثيثة اللامتناهية ،فلولا هذا التكالب على معرفة المجهول ، لما برز الى حيز الوجود مدن خرافية ، كمثل المدينة الرومانية التى حكمها الامبراطور « تيتوس » وطمرتها اتربة البراكين لقرون خلت • ولولا ارادة رجال مثل « تومسون » و « ستيفنس » لما اكتشفت اسرار اواسط اميركا واهراماتها الفخمة ومعابدها التى تشبه الابراج •

الى العالم الجديد

..شاف اميركا مباشرة ، ابحر الجنود الاسبان
..لم الجديد طمعا بالذهب ونشر الديانة
. وقد وجد الغزاة ، لشدة دهشتهم ،
..ركا مسكونه باناس يتمتعون بدرجة عالية
..يه . الا ان طمع الجنود الجهلة وقسوتهم
، قد ادت الى القضاء على اروع الاثار
، محو اهم الثقافات التي ما زالت تحير
حتى الان ، ملغية بذلك ضبابا كثيفا على
ذلت العالم الجديد القديم .

..بيرو ازدهر شعب « الانكا » الذى هزمه
الاسباني « بزارو » في اوائل الفتوحات .
..لمسيت عاش « الازتك » وهزموا على يد
« كورتيز » .. اما في جواتيمالا ويوكاتان
..ش المايا حياتهم الخاصه ، وعندما جاء
لم يقاوموا ، وبذلك لم يتعرضوا بشدة
..الجسدى والحرق والتنكيل الذى قضت
..مدنيات الشعوب الانفة الذكر ، بل رضوا
..سلام فاخذوا كعبيد وبذلك استطاعوا الحفاظ
..سم من هذا التاريخ

..بنى المايا مدنا عظيمة الا ان الغابات قد
..ا لعده قرون ، فقد احيطت بعرائش متسلقة
، ضخمة حجبت معظمها عن الاعين ، وبذلك
..عليها ظل النسيان لما يقارب ال ٣٠٠ سنة .
وبعد ان استردها علماء الاثار ، تاتي
..ر مدينة « اتزا » المدهشة التي تمع آثارها
..برة يوكاتان القابعة كمثل الابهام الضخم
..ج المكسيك .

..تزا » هي عاصمة المايا واخر مدينة بنوها
..سمال بعد عدة هجرات غريبة .
..ازيحت عنها النباتات واعدت باتقان فبدت
..ما هجرها المايا سنة ١٤٠٠ م . واول شيء
..لزائر وهو قادم اليها ، هو الاهرام الكبير
..بمعبد كالبرج .

.. تسعون درجة تقود الى القمة حيث يتمكن
..ن رؤية آثار المدينة من فوق . ففي ناحية ،
..قصر ضخم وجميل ، بنى من الحجر فوق
..واسع ، واسفله على بعد خطوات ، يقع
..ا سقف مكون من الف عمود . على الناحية
..يمتد استاد واسع خصص للمبارزات
..ية ، والى جانبه اقيم مرصد جوى كان
..ه المايا في دراسة السماء واسرارها ..

وعلى استدارة لثلاثة اميال مربعة تتناثر بيوت المدينة في كل اتجاه .

والاهرام العظيم هو قلب مدينة اتزا ، ويبلغ علوه ما يقارب المئة قدم . اما المعبد الذى يقع على قمته فقد كانت تدور فيه مراسيم الموت .. كان المايا يضحون بالفتيات الجميلات للاله « يوم ـ شاك » كي يرسل اليهم المطر .

وتبدأ مراسيم الاحتفال من اسفل الاهرام حيث يصعد الكهنة ومعهم الضحية . تقاد الفتاة العذراء الى جسر يصل بين المعبد والبئر المقدسة التي ستلقى بها في النهاية . وعلى طول الجسر الذى يصل الى ربع ميل ، وعرضه الى ١٥ قدما والمزين برسوم الحيات المجنحة ، يواكب الحفل ثلة من الجنـــود وقارعي الطبول .. وفجاة يتوقف الموكب امام هيكل يقع امام البئر البيضاوية البالغ اتساعها ١٩٠ قدما ، وتصدع الحناجر بالاناشيد ، فترتجف عروس يوم ـ شاك ، وتقاوم ، فتصل اليها ايدى الكهنة وترفعها بحزم ، ثم تلوح بها عدة مرات وتقذفها بعيدا ، فتبدو وكانها قد علقت بتوازن في الفضاء ومن ثم تهوى فجاة الى القاع التي تقبع مياهه المظلمة على عمق ٧٠ قدما .

بعد ذلك تنهمر العطايا الثمينة في اثر الضحية مثل الصحون والاجـراس الـذهبية .. ويلتفت الكهنة الى بعضهم في انحناءة سرور وارتياح .. لقد قاموا بالواجب امام اله المطر وهم على يقين بانه لن يبخل عليهم بنعمة بعد ذلك !

قصص مثيرة وراء الكشف

تبدا قصة اكتشاف آثار المايا سنة ١٨٣٩ عندما وقع بين يدى لويد ستيفنس ، وهو محام وهاوى آثار ، كراس مهم للكونونيل جارلندو المكسيكي . يتحدث فيه عن مدن عظيمة في غابات يوكاتان .

ذهب ستيفنس برفقة صاحب له الى اواسط اميركا ، مدعوما باذن من حكومة الولايات المتحدة . وصل الى هناك في وقت كانت الحرب الاهلية في اوج اندلاعها ، وبمعجزة كبيرة ، وبعيدا عـن خطوط الاعداء ، استطاع ستيفنس ان يتسلل على ظهور البغال الى قرية «كوبان» في هندوراس حيث بدات رحلته الجدية الى الغابات .

كانت الرحلة اشبه بالحلم المزعج ، لقد غرقوا عدة مرات في المستنقعات ونجوا ، ليقطعوا الاف الاميـال من المسالك الوعـرة المليئة بالاشـواك

والمتسلقات العنيدة الجبارة .. عدا ذلك ، فقد اغارت عليهم جيوش الناموس والحشرات وكانها السحاب حتى كاد الياس يجرفهم الى العـــودة .. لكن وفى النهاية وصلوا كوبان حيث استاجر ستيفنس ادلاء هنود وتابعوا طريقهم فى اقتناص الاثار ..

مضت ايام وهم يبحثون ويقتلعون الاشجار ويزيحون النباتات ، حتى عثر ستيفنس ذات يوم على جدار نباتى اختفت وراءه الوجوه المنحوتة والهياكل الضخمة . ضرب فاسه عدة مرات ثم اخذ يزيح النباتات غير مصدق عيناه .. وبفرحةغامرة اخذ يكتشف المزيد من الوجوه والاهرامات والهياكل حتى تاكد له الحلم،وكتب فيما بعديصف اهرامات المايا على انها مساوية بروعتها لاهرامات مصر .

بعدئذ صـــدر لستيفنس كتـــاب يتحدث فيه عن مغامراته الاستــــكشافية فـــى كوبـــــان وشياباس ويوكاتان.ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات فتلقفه العلماء بدهشة عارمة .. وعلى اثرها قامت عدة نظريات مفادها ، انه ليست هناك حضارة هندية استطاعت الوصول الى هذا الحد من التفوق ، اذن فشعب المايا ليس هنديا . البعض قال بانهم بنوا اهرامات توازى اهرامات مصر بروعتها . اذن فلا بد انهم من اصل مصرى ، والبعض الاخر قال بانهم جاءوا من الهند ، والبعض صمم على انهم بقايا شعب اتلانتا ، تلك القارةالتى يفترض بانالمحيط

قد ابتلعها ،واكد آخرون بانهم جاءوا .. باسفيك أو من الاسكا أو من قرطاجنة .

انهمك العلماء فى تتبع آثار اخرى .. بعض الاضواء على هذا الجدل العميم . و.. علينا وليام برسكوت باكتشاف آثار الازتيك فى المكسيك سنة ١٨٤٣ الا ان الغموض ظل مهيمنا على اعمال واعمال غيره من العلماء لعدة سنوات لاحقة .

من اعمال الشيطان !

وفى سنة ١٨٦٣ عثر على كتاب ثمين جدا ظل منسيا قرابة الـ ٣٠٠ عام فى احد زوايا الاكاديمية الملكية للتاريخ فى مدريد ، الا ان التاريخ لن يغفر لصاحب هذا الكتاب «دييغو دى لاندا » ما فعله من عمل اجرامى حين جمع كتب المايا سنة ١٥٦٢ في الساحة العـــامة فى بلدة « مانى » واحرقها كلها مدعيا بانها من اعمال الشيطان . ثلاثة كتب فقط قدرلها انجاء من.دت الحريق.التاريخى وهى.موجودة الآن فى اوروبا . وبالرغم من ان حماس دى لاندا الدينى قد قضى على آداب وتاريخ وعلوم المايا الا ان حاسته الثقافية قد حفزته على تعداد ما قد عرفه وقرأه عن ثقافة وحكمة المايا . وقد احتوى كتابه على رسومات ثمينة ومفيدة توضح كتاباتهم وتعدد تواريخهم ، والتماويم التى.اتبعوها ، وبذلك مسح الكتاب كافة الخرافات والتنبؤات التى.رافقت كل بحث واكتشاف تعلق سابقا بالمايـــا ، واعطى الدليل على ان المايا هم من الهنود المتطورون وهكذا أصبح فى مقدور العلماء ترجمة ما قد كتب على الهياكل والآثار ، والانغماس بحماس أكثر فى تتبع بقية الاعمـــال الحفريـــة .. ومن هؤلاء المتحمسين «ادوارد تومسون » ، عالمالآثار الامريكى الذى امضى.زهاءالاربعين عاما يكتشفامريكا الوسطى ويتحفنا بادق المعلومات .

قـــرأ تومسون كل الكتب التى تتنـــاول ذكر « يوكاتان » والبئر المقدسة وبقية الاكتشافات ثم عول على الرحيل الى هناك . وفى سنة ١٨٨٥ ذهب الى.يوكاتان بيجددات المصاعب اسى.تعرض لها ستيفنس من قبل فى الطريق .وعندما قرر الغوص فى البئر كى يكتشف المزيد من الاسرار . ضحك منه أصدقاؤه ، لاعتقادهم بان البئر لم يدخلها احد وخرج منها سالما ، انها ببساطة عملية انتحار فاذا كان حقا يود الموت فلم لا يسعى ور.. طريق اقل رعبا وغموضا .

لكن ...سون ضرب بتعليقاتهم عرض الحائط وسافر . بوستن ليتلقى دروسا فى الغوص العميق . لم يكتف بذلك بل اقترض الدراهم الكافية .. زويده بثمن الكراكة اللازمة لاستخلاص الاثار من البئر ولمن ادوات الغوص وتكاليف النقل فى البحر والبر عبر الغابات الى مدينة اتزا.

فى موقع البحث وجد تومسون صعوبة جمة فى معرفة المكان الذى يجب الحفر فيه • وهداه تفكيره الى صنع العاب خشبية بحجم الانسان ثم راح يلقى بها فى البئر ، تماما كما كان يفعل الكهنة ، وهكذا تمكن بسهولة من تحديد الهدف ومن ثم بدأ الحفر •

مضت ايام طويلة والكراكة تدفن فكها الحديدى فى اعماق البئر ولا تخرج سوى اطنان الاشجار وعظام الحيوانات والنباتات المتعفنة • تملك تومسون اليأس وفكر بما سيتعرض له من سخرية لو عاد خائبا • فكر بالتكاليف والديون التى عليه ولم يتراجع ، ظل يعمل ويكد حتى أتاه الفرج • ففى ذات يوم غائم وممطر خرجت الكراكة على غير عادتها بكوم من الوحل الاصفر • شم تومسون المادة وتذوقها بحذر ثم لمعت فى ذهنه ان يضعها فوق اللهب ، واذذاك انتشرت فى الجو رائحة ذكية تبين من خلالها بخور المايا الذى كان يستعمل فى قرابينهم •

ومع هذا النجاح المليء بالامل ، نام تومسون جيدا بعد شهور من القلق والعذاب • بعدئذ انكب على الحفر حتى بدات الكنوز تظهر ومن ضمنها عظام العذارى والاجراس وكافة الادوات المنزلية •• ثم فكر تومسون بالنزول الى البئر ، وقد كانت خطوته جريئة فى زمن لم يكن الغوص بعد مامونا ، ووسط ظلام موحل وبرفقة غواص محترف استطاع اخراج مزيد من الكنوز المثيرة •

بعد نجاح مهمته هذه حول تومسون مجهوداته الى الاهرامات، حيث اكتشف مقابر الكهنة والملوك، واستنادا الى ما وجده من منحوتات الحية المجنحة ، استطاع استخلاص مدى صحة الخرافة القائلة بان القائد « كلولكان » لم يكن سوى رجل ابيض بلحية فى وقت لم يكن للمايا لحا •

يعتقد بعض المؤرخين بان كلولكان هو احد الناجين من حطام سفينة « نورس » زمن « ليف اركسو » • ومهما يكن من امر فقد حكم اواسط امريكا طويلة ، وعندما جاء الاسبان فى القرن السادس عشر اعتقد معظم الهنود بان كلولكان قد عاد حسب وعده •

كتب المايا الثلاثة

لقد اعتبر كتاب دى لاندا ثمينا لاحتوائه على مفاتيح لغة المايا التى بواسطتها استطاع علماء الآثار قراءة التواريخ والمعلومات المنحوتة على الاثار كما أورد ايضا التقاويم التى كان يستعملها المايا قديما وهى : ـ

« التزولكن » او التقويم المقدس •

و « الهعاب » او التقويم السنوى •

التقويم الاول فيه ١٣ شهرا ، كل شهر يتكون من ٢٠ يوما والسنة تحسب ب ٢٦٠ يوما • كل يوم أو شهر يمثل برسم أو « جليف » ولا احد يعلم لماذا اختار المايا ٢٦٠ يوما لتقويمهم الدينى •

الهعاب يتكون من ٣٦٥ يوما كالسنة الميلادية تماما • ويعد هذا التقويم من افضلها وادقها اذ يتالف من ١٨ شهرا ، والشهر من عشرين يوما زائد خمسة أيام تسمى « يوايب » اى الخالية بمعنى المنحوسة •

بنى المايا من هذين التقويمين حلقة معقدة من الزمن ، فالسنة « تون » ٣٦٥ يوما اى « كتز » والعشرون سنة « كاتون » اى ٧٢٠٠ يوم ، يتبعها وحدات عد مثل « باكتون » وبكتون حتى تصل « الاوتون » ••• هذا التقويم المعقد للزمن رجع بالمايا وتاريخهم الى ما يقارب الـ ٩٠ مليون سنة، الى ما قبل وجود الانسان ، تلك الدقة لم يسبق لها مثيل فى الثقافات و المدنيات الاخرى •

وكتب المايا الثلاثة توزعها عدة دول أوروبية، منها المانيا الشرقية حيث عثر على احد الكتب وسمى باسم البلدة الالمانية Dresden Codxe وهو الآن بعهدة علماء الآثار الروس ويتناول علم الفلك • اما الكتاب الثانى ويدعى Codex Peresionus فقد عثر عليه فى المكتبة العالمية فى باريس سنة ١٨٦٠ ويشمل علم التنجيم • اما الثالث Codex Trocrtecianus فقد وجد مقسوما وفى مدينتين ثم جمع ونقل الى مدريد ويتحدث عن المراسيم الدينية •

قبل الاسبان وبعدهم

تدلنا التواريخ المنحوتة على المعابد والقبور والابنية بان المايا سكنوا مدنا شامخة ثم اخلوها

بلا ادنى سبب ، لم يكن هناك اثر يدل على ان هذه المدن قد فتحت بالقوة او قضى عليها بكوارث طبيعية • لقد ظل المايا يتنقلون من مدينة الى اخرى حتى جاء تاريخ ٩٠٠ ميلادى حيث تجمعت كل شعوب المايا فى يوكاتان •• لماذا ؟ لا احد يعلم • لقد تركت تلك المدن للغابات الزاحفة بكل بساطة : لماذا ؟

وربما دلتنا الكتب التى احرقها دى لاندا الى الكشف عن هذا السر •• لكن افضل تفسير توصل اليه العلماء كان سببه زراعيا • فقد كان شعب المايا زراعيا قبل ان يكون معماريا • كان يستعمل نظاما ما زال مزارعو اواسط امريكا يتبعونه حتى الآن وهو نظام « الميلبا » ويتلخص فى تنظيف الغابات وحرقها فى موسم الجفاف • لم يفطن المزارع آنذاك الى استعمال السماد وبذلك تضاءلت مساحة الاراضى الزراعية التى تضررت بواسطة الحرق فاضطر المزارع الى هجرها والانتقال الى مكان آخر •

كانت لديهم ايضا مشكلة الرى والاعتماد على المطر فى كل حاجتهم من المياه •• لم يكن يوجد لديهم انهار او بحيرات فبنوا الخزانات الضخمة لحجز الامطار •

والغريب فى الامر ان المايا بنوا مدنا رائعة ، لكن لسوء الحظ لم يكونوا على معرفة بماهية الدولاب وفائدته فى اغراض كالنقل والزراعة ، واكتفوا بصناعته على شكل العاب خشبية لاطفالهم •

ونستطيع تتبع تاريخ المايا الحديث بالرجوع الى اول رجل ابيض راى المايا وهو كولومبس ،ففى سنة ١٥٠٢ حط رحالة عند شاطىء جزيرة هندوراس والتقى ببعض الهنود ، وعندما سالهم من اين اتوا ، رددت كلمة « مايام » • ومن بعد اتى الاسبان ليلقبوا هؤلاء القوم بالمايا •• ولما تعاقب الفاتحون على تلك الشواطىء وسالوا بالاسبانية عن بناة هذه المدن واسم البلاد ، ردد الاهالى كلمة « سى يوتان » وتعنى – نحن لا نفهم ماذا تقولون – اخذها الاسبان على انها اسم البلاد فسموها يوكاتان ، بالطبع كان للمايا اسم مختلف لبلادهم لكننا لا نعرفه •

وفى سنة ١٥١١ تحطمت سفينة احد الاسبان عند شاطىء يوكاتان فاخذ الناجون الى البلد حيث تحول اثنان منهما الى وليمة دسمة ، اما الكاهن والبحار « جويريرو » فقد احتجزا لانهما غير صالحين للطعام • وذات ليلة استطاع الراهب ... باقيجيلا[illegible] وذلك بمساعدة قوات اسبانيه تحت امرة [illegible]ورتيز لكن البحار جويريرو بقى مع المايا ، [illegible]تزوج [illegible] ابنة احد القواد ، ليصبح فيما بعد من اهم [illegible] الذين قادوا فلول القبائل ضد هجمات الاسبان مستعملا نفس تكتيك الاسبان الحربى • وقد مكن مساعدته العظيمة للمايا من صمودها لمدة طويلة الا ان موته قد جعلها تستسلم الواحدة تلو الاخرى ما عدا قبيلة اتزا ، التى هربت من التنكيل [illegible] سنة ١٥٤٦ واتجهت الى الجنوب ، الى مدن [illegible] القديمة ، التى يعود تاريخها الى ١٢ قرنا واعتصمت هناك بعناد حتى سنة ١٦٩٦ ، [illegible] دخلها راهب اسمه « افدانيو » واقنع قائد[illegible] بالاستسلام ، وبذلك انتهت آخر مقاومة للمايا

والجدير بالذكر ان مدينة المايا استطاع[illegible] الاستمرار زهاء ما يقارب الـ ٤٠٠٠ سنة ، [illegible] كان الاسبان انفسهم يعيشون فى المغاور ، [illegible] ذلك لم تاخذ ثقافتهم اكثر من عدة اجيال تموت ، مسحوقة تحت نعال الاسبان ، لكن بال[illegible] من ذلك ظل دم كلولكان يجرى فى عروق ا[illegible] وفلاحى يوكاتان وجواتيمالا وهندوراس وبقي[illegible] لغتهم حية يتحدثون بها ولا يكتبونها ، فهم يج[illegible] كل شىء عن تاريخهم وآدابهم وحتى اسم[illegible] ملوكهم •

خبراء فى الرياضيات

لقد كان شعب المايا خبيرا بالرياضيات ، [illegible] اسلوبهم بالعد كل اسلوب •

لقد استوعبوا فكرة الصفر كرقم قبل ال[illegible] والرومان والمصريين ، وبذلك استطاعوا [illegible] حسابات معقدة وتدوين ارقام غاية بالدقة ، يشهد على ذلك تقويمهم السنوى • اما المعمارى فيعد آية بالروعة ، كذلك الرسوم والمنحوتات العديدة •

ويتالف مجتمع المايا من طبقتين :-

طبقة النبلاء (الميهنوب) والقواد ([illegible] يونيسل) اى الرجال الحقيقيون •

والطبقة السفلى (يالبا يونيكوب) [illegible] الفلاحون ، الجنود والخدم • وقد استفرد [illegible] بكافة العلوم والاداب والحسابات لذلك عند[illegible] الاسبان وقتلوا (الميهنوب) اختفت ثقا[illegible] بموتهم • لم يكن الفلاح يعرف شيئا [illegible] سوى خدمة سيده • حتى البناء الشامخ [illegible]

على النبلاء ، اما الطبقة الفقيرة فكانت تسكن الاكواخ .

لقد كان للمايا افكار غريبة بينها تبسيط رؤوس اطفالهم وذلك بوضعها بين عارضين من الخشب حتى جاء كل شعب المايا قادوسي الراس . ولان الحول كان يعد جمالا في ذلك الوقت ، فقد علقت الامهات كرات شمعية على شعر اطفالهم ، فكانت الكرات تتحرك امام وخلف عيونهم محدثة ذلك الحول المطلوب .

اهتم المايا بالموسيقى فطوروا البوق والطبل وعنوا بالرقص لانه كان من اهم ميزات حياتهم اليومية .

عرف المايا الدراما فبنوا المسارح لالقاء الحكايا المضحكة .. كما انهم اهتموا بلعبة « البوكاتوك » الى درجة قامت حولها المراهنات . وهي تقام عادة على ساحة واسعة وتثبت على جانبي الملعب حلقتان من حجر في حائط على علو ٣٥ قدما .. تماما كما في كرة السلة ، لكن بالطول لا بالعرض ، والغرض من ذلك تمرير كرة مطاطية خفيفة داخل الحلقة دون المساس بها . وقد وجد في مدينة اتزا سبعة ملاعب على الاقل .

والحقيقة ان شعب المايا كان حيا وخلاقا كما تبين لنا من خلال نشاطاته العديدة ، كان ايضا غريبا ومتناقضا ، فبينما نراه مدهشا في امور عديدة نجده غبيا في أخرى .

وبينما اعطتنا مدنيات قديمة كبابل كل اسرارها العائدة الى ماقبل ٦ آلاف سنة ، ظلت مدنية المايا غارقة في عالم الغموض والاسرار غير ان العمل الحثيث ما زال جاريا لاكتشاف المزيد ومعرفة الكثير عن هذا الشعب الرائع ، ومن يدري ربما استطاع علماء الاثار حل هذا اللغز بعد اسبوع او شهر او سنة او ربما عشرين ، وعندها فقط نستطيع ان نفهم الكثير عن هؤلاء الجبابرة الذين عاكسهم الحظ فقضى على ثقافتهم قبل ٤٠٠ سنة فقط ■■

رجاء ابوغزالة

نداء المجهول

تاليف : فرانك تلسلي

ترجمة : أحمد البشبيشي

■ ترى هل ينبئنا العلم بما يحتجزه الغد ويحتويه المجهول ؟ فنهتدى بفضل ما نراه الى الاسلوب الذى نتقى به شرا متوقعا ، او نستقبل به خيرا فى أى صورة • ولكن ، اليس غريبا حقا ان تصدق الاحلام احيانا حتى يتكون لدى الفرد منا احساس ينميه تتابع الاحلام حتى يبلغ حد الطاقة المحركة لقدره وقضائه • ! واسمحوا لى ان اعترف لكم ، ايها السادة ، اننى ما فكرت يوما فى شيء من هذا القبيل ، بل ان اسلوب تصورى لمثل هذه الاشياء كان بعيدا كل البعد عن واقع ما اصبحت أعيش قصته منذ التقيت بـ (نانسى) فتاة السيرك التى حبتها السماء جمالا متميزا بابعاد تتحدى بها افتن النساء ، غير انها حرمتها نعمة الاستقرار لفترة امتدت من حياتها حتى رات ذلك الحلم الذى سوف أحدثكم عنه •

كانت « نانسى » قد وطنت نفسها على تقبل حياة التنقل من اجل لقمة العيش ، كما يقولون ، فالعاملون فى السيرك مقضى عليهم بعدم الاستقرار فى مكان واحد • وليت الامر اقتصر على ذلك ، اذ ان العرض ذاته ، الذى يستغرق ساعات يقتنص اغلبها من كل يوم جديد ، تسبقه تدريبات عنيفة خاصة بالنسبة لـ « بهلوانة » مثل (نانسى) تسير على الحبال المشدودة وتتعلق فى الهواء ، وتتعلق معها انفاس المشاهدين •• وكم من مرة تعرضت (نانسى) لخطر محدق ، غير انها بذكاء فطرى واحساس غامض كانت تعالج مواقفها الخطرة ، دون ان يشغلها غير ان تضم الى رصيدها الانسانى شحنات جديدة تستمدها من بسمة طفل ، او اعجاب شاب او حركة ياتى بها مشاهد ما تخلصه من تزمت فرضه عليه نوع العمل الذى يؤديه ، ولا يجد لنفسه متنفسا الا فى ساعات يقضيها هنا فى هذا السيرك او فى أى مكان آخر •

والعجيب فى (نانسى) انها كانت مشدودة الى مجموعة من المبادىء ، هى ذاتها الموحية بذلك الاحساس الغامض الذى كان يتحكم فى اغلب تصرفاتها •• كان هذا الاحساس يلح عليها فى يقظتها ، بل انه كثيرا ما تابعها فى نومها ، وعديدة هى تلك الاحلام التى رات فيها نفسها فى صور غريبة واوضاع غير مالوفة لديها ، غير انها لم تحظ منها باهتمام يذكر • ولعل نوع عملها واسلوب ممارستها له لم يتيحا لها مجال الاهتمام الشديد ، حتى كانت تلك الليلة او بمعنى ادق ، تلك اللحظات من فجر يوم جديد •

كانت (نانسى) فى حالة من الاجهاد لم تدع لها فرصة لتتناول عصير البرتقال كعادتها • والقت بنفسها القاء فى فراشها • وما لبثت ان استغرقت فى نوم عميق ولما استيقظت ، كنا على موعد للقاء فى مطعم (التيرو) فى قلب مدينة روما ، رأيت فى عينيها معنى تاكدت معه ان لديها شيئا تصارع نفسها بين كتمانه والكشف عنه ، فاستدرجتها باسلوبى الخاص ، وبحكم ثقتها بى ، نجحت فى انتزاع ما حرصت على كتمانه ـ وكان حلم هذا

ـيب • ولادع (نانسى) ترويه بنفسها •
.جدت نفسى فى عربةفاخرة ضخمة ذات لون يميل
الاصفر ، وعجلة القيادة تهتز بعنف فى يدى،
كنت أنطلق بها بسرعة فائقة خلال طريق ممتدة.
ـاة وجدتنى عند الحافة حيث يتعين على أن اتجه
ـنـا • واذا عربـة نقـل ضخمة تبـرز لتعترض
بقى • حاولت تفادى الاصطدام بها قبل الاقتراب
ـا ـالضغط على الفرملة لتبطىء ، وحين مددت
ـو ـقطت قدمى بعيدا عنها • حاولت ثانيــة
ـه منطلقة بأقصى سرعة • وفشلت المحـاولة
ـة • وأدركت من حركـة قـدمى أن لا فرملـة

وتاكـدت من ذلك حـين .كزت بصرى ، فى سرعة
خاطفة على مكان الفرملة من السيارة •• وأسقط
فى يدى ، ولم يعد يفصلنى عن عربة النقل سوى
أمتار معدودة ، وأسلمت نفسى للقدر ، وفجـــاة
بلغنى صوت هادىء منجانبى ، صوت من ؟ لم أدر•
ولم يكن يرافقنى فى العربة أحد مطلقا • وحـين
التفت الى مصدر الصوت وقعت عيناى على انسان
غريب لم يسبق لى معرفته ولا أذكر أننى شاهدته
حتى بين رواد السيرك الذى ألفت وجوههم • غـير
أنه ممـا هـدأ من روعى أنه ابتسم لى فى ود •
ورغم نظرتى المضطربة استطعت أنأحدد ملامحه••

كان في منتصف العمر ، يرتدى قميصا حريريا ، وتكسو رأسه قبعة حمراء • وتحدث ولكنني لم أع ما قال •• كانت كلماته سريعة في فرنسية سليمة، وحصيلتي من الفرنسية ، لم تكن على مستوى يمكنني من التجاوب معه• غير انني بحركةاضطرارية وكزت عيني على يديه النظيفتين اللتين امتدتا في لطف الى عجلة القيادة التي تغير موضعها من اليمين حيث كنت اجلس الى اليسار حيث فوجئت بوجوده حين بدأ يتحدث الى •• واذ تولى هو القيادة ، احسست بقدرته على التحكم في سرعة سيارتي ومن ثم ، تجاوزنا المنعطف ، وتفادينا الخطر •

« امتدت الطريق امامنا ، وكانت خالية تماما الا من امرأة كانت تجلس امام كوخها الابيض ترتب بعض الزهور • وما ان لمحتنا حتى لوحت لنا ببعض الزهور تدعونا ان نقبل على الشراء •

لم يكن فيما فعلته هذه المرأة ما يثير اى دهشة غير ان احساسا مزعجا انتابني فجأة ، اذ نظرت الى الزهور وكانت منسقة في شكل دائرى ، اشبه بذلك الذى تكون عليه الزهور التى تضعها على المقابر ، وذكرتني على الفور بالموت ••

« في هذه اللحظة كانت عربة النقل قد لحقتنا، حاذتنا في خط واحد ، ثم اذا هي تغير اتجاهها ، اذ استدارت يمنة حيث كنا كأنها تحاول مصادمتنا عمدا ، كما قرأت في عيني سائقها •• واقتربت واقتربت حتى بت واثقة من هلاكنا • وهنا صاح جارى الغريب في حنق دون ان يفقد قدرته على التحكم في سيارتنا ، واستدار بها في ذكاء تفاديا للاصطدام • وفجأة حدث انفجار في مؤخرة العربة صاحبه تمزق • واذا بدخان يملأ الجو حولي وصوت الانفجار كاد يصمم اذنى ، وغشيت عينى سحابة من دخان قاتم ، واحسست ان الارض قد زلزلت زلزالا •• وصحت في رعب واخذت اتحسس ما حولي ملتمسة لنفسي سببا للنجاة • واصطدمت يداى بوسادتي وقد كنت احتضنها • وبعد تأمل ، ادركت انني يقظة ، وان ما رأيته مجرد حلم •• ! وحين حاولت النوم بعد ذلك ، لم استطع • فقد كنت في حالة من الاضطراب الشديد • وخالجني شعور بأن شيئا ما لا احبه سوف يتهدد حياتي ، نبأتني به مشاهد الحلم مسبقا » •

لم تدع لى (نانسى) فرصة للتعقيب على ما روته • وان كانت قد قرأت بذكائها معالم الدهشة في وجهي، دون ان اشاركها الاضطراب الذى احتواها • واستطردت (نانسى) في حديث كانما شاءت به ان تلقى ظلالا على معالم الصور المشكلة في خاطرها •• وناولتها كوب البرتقال الذى يبدو انها قد نسيته خلال روايتها لعل رشفات منه ـ يهدئن من روعها ، ويعدنها الى وضع اكثر استقرارا •

وقالت (نانسى) كالمخاطبة لنفسها : « ترى !• هل ترمز هذه العربة الى شيء ما ؟ ولم تحدد لونها مائلا الى الصفرة •• ! وعربة النقل التى شاء سائقها ان يصطدم بنا عمدا ، ما سره • ! ثم ما سر هذا الغريب الذى اوجدته الصدفة الى جوارى ليحدثني بفرنسية لم استطع مجاراته فيها •• ! ثم ، ما شأنه بى ، ولم حرص على حياتي •• ! ثم الانفجار ، والتمزق و •• و •• يا الهى ! لشد ما انا منزعجة ••

قلت وانا اتأمل معالم وجهها عن كثب :

بل لشد ما انت متعبة يا (نانسى) •

قالت نانسى : الا تؤمن بالاحلام •• ؟

قلت : سؤال غامض وواضح معا • كلنا يرى اشياء كثيرة في احلامه ولكن قليلا منا هم الذين يتأثرون بها ، ويعلقون عليها ••

وكأنما لم يرق لها هذا الرأى ، اذ اشاحت بوجهها قليلا ـ وهذا جزء من طبيعتها عند الغضب او عدم الرضا ـ ثم استدارت الىّ وفي نظرتها بسمة ذات معنى • وامضينا فترة عذبة كدت خلالها انسى كل ما يتصل بذلك الحلم • ومع الايام نسيته تماما ، اذ لم يكن هناك ما يدعوني لتذكره، لا سيما ان ابى كلفني بمهمة عاجلة خارج روما استغرقت منى شهورا متتابعة •

لا انكر ان مشاغلي حالت دون الاتصال ب (نانسى) وحين عدت كان اول ما اهتممت به الاتصال بها • وليتني ما فعلت لان الذى شاهدته كان ابعد مما يقوى على تصويره خيالي .. وكان ـ من ثم ـ واحدا من اقوى اسباب ايماني بالاحلام واهتمامي بها •• وقبل ان اروى لكم القصة احب ان تعرفوا ان روح المغامرة كثيرا ما كانت تدفع ب (نانسى) الى المخاطر • وكانت تجد لذ[illegible] دائما

... الـ...م الاخطار ، والا لما قبلت منذ البداية ... العمل بالسيرك ، ولما قبلت ايضا الخضوع لنظام ... التدريبات العنيفة • ولشد ما كنت اشفق عليها ... كانت تقدم عليه ولكنها كانت تشيح بوجهها ... عادتها ، ثم تعود فتبتسم ، ولا تتيح لى فرصة ... واحدة لمناقشتها فى ذلك •

... فشلت محاولاتى فى العثور عليها •• لقد ... برت بيتها •• والسيرك ، لم يعد له اثر ، وكل ... توصلت الى معرفته هو ان نقلة جديدة حدثت ... مار السيرك والعاملين فيه •• ولكن ! الى اين؟•

ومع الايام كادت مشاغلى واعباء الحياة تستحوذ ... لى اهتمامى • وفى غمرة ذلك تخبو ذكرياتى مع ... نانسى) وما عتمت ان ضمها النسيان •• وذات ... م ، بينما كنت اقضى جانبا من اجازتى السنوية ... باريس ، قرات خبرا فى جريدة (لوفيجارو) ... شهيرة تحت عنوان « حادث سيرك » ••

... اهاجت كلمة « سيرك » كل ذكرياتى فجأة ، ... بيد مرتعشة وانفاس متلاحقة اخذت اقرا الخبر : ... بينما كانت (نانسى جيروم) ـ بطلة سيرك ... اريزونا ـ تقوم باحدى العابها الخطرة على حبل ... مشدود من الكتان الاصفر ، على ارتفاع شاهق داخل خيمة السيرك فى (مون مارت) ، وقبل ان تصل الى نهاية الحبل لتستدير كعادتها ، اذا باحد المصابيح القوية ينفجر فجاة محدثا صوتا كالرعد ، ويمزق الحبل الذى كانت تسعى عليه نانسى ، فاختل توازنها وسقطت من هذا الارتفاع الشاهق• ولكنها قبل ان تصل الى الارض انحرفت بحكم الهزة بعيدا عن شبكة الانقاذ • واذ بيد تتحرك بسرعة من الجانب الايسر وتلتقطها وتدفع بها الى الجانب الايمن من الخيمة حيث كانت شبكة الانقاذ •• ونجت (نانسى) من موت محقق •• ورغم انها غابت عن الوعي لفترة ، الا ان كلمات فرنسية سريعة متلاحقة قد بلعتها فى غيبوبتها • فلم تقو على تفسيرها • ولكن حين افاقت ادركت انها لاحد لاعبى السيرك الذى انقذها حين كان يقوم باحدى التشكيلات البهلوانية التى تضمنها برنامج الحفل• وكان فرنسي الاصل يرتدى قميصا حريريا وقبعة حمراء •• اما (نانسى) فقد كانت فى حلة صفراء والغريب فى الامر ان هذا اللاعب كان قد عين اخيرا ولم يسبق لنانسى التعرف عليه ••

ودعونى ، ايها السادة ، اتساءل ثانية :

« الا تنبئنا الاحلام احيانا بما يحتجزه الغد او يحتويه المجهول •• ! »

■■

المؤلف

ولد عام ١٩٠٤م ، وعمل بسلاح الطيران البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية • غذته احداث الحرب بشحنات اهاجت استعداده الفكرى للكتابة ـ وكتابة القصة القصيرة بالذات ـ الى جانب العديد من البرامج الاذاعية التى تناولت شؤون الحياة • غير انها .فى اغلبها كانت تتميز بغرابة التركيز على ما يتصل بعالم الغيب واقدار الناس • وقد صدر انتاجه الاول عام ١٩٣٣ ، ثم اكتسب اسلوبه نضجا فيما بعد • من مؤلفاته القصصية مجموعات بهذا العنوان: اكره ان اموت (١٩٣٨م) ـ قصة حب جلبرت برايت (١٩٤٠م) ـ السيدة ذات معطف الفراء (١٩٤١) ـ اشد سمكا من السماء (١٩٥٠) ـ اولاد السواحل (١٩٤٤) ـ هذه القصة « الحلم » صدرت ضمن مجموعة قصصية عام ١٩٧٣م جمعها G.C Thonrley وتولت طبعها ونشرها مؤسسة لونجمان Longman

حوار القراء

الحروف العربية .. مرة أخرى

● نشرت مجلة العربي في عددها ٢٣١ ، في حقل (قضايا حيوية) مقالا لي تحت عنوان: (دعوة لاعادة النظر في الحروف العربية) وقد علق عليه الاستاذ احسان جعفر بكلمة نشرت في العدد ٢٣٤ ، وانا لم اسعد بالاطلاع على تعليق الاستاذ احسان جعفر لان مجلة العربي لا تحصل في يد كل انسان بل لا بد لمن يود الحصول عليها من ان يكون مشتركا بها او سباقا الى شرائها وذلك لقلة عدد نسخها بالنسبة الى كثرة قرائها وطلابها ، ولكني حصلت على العدد ٢٣٨ واطلعت فيه على تعليق الاستاذ الدكتور محمد محمود السلاموني ، استاذ الدراسات اليونانية واللاتينية في جامعة الاسكندرية ، وفهمت من تعليق الاستاذ الدكتور السلاموني مضمون تعليق الاستاذ احسان جعفر ، كما اني اطلعت في العدد المذكور على تعليق للاديب بن احمد محمد من المغرب وقد افدت فائدة كبيرة من كلا التعليقين .

اما كلمة الاستاذ الدكتور السلاموني فانها تدل على علم وحصافة والمام بالموضوع ، وملاحظتي عليها هي اني اذا كنت اهملت ذكر الحرفين اللينين U و I في كلمة چرچل فهذا اهمال يمكن تداركه بالتشكيل كما تفضل الدكتور السلاموني ، واهمال التشكيل ليس ، في نظري ، مما يؤثر على لفظ الكلمة الاجنبية كثيرا لو لفظها عربي ولناخذ مثالا على ذلك كلمتي چيكوسلوڤاكيا ويوگو سلافيا فلو لفظ العربي مقطع (كو) في كلمة چيكوسلوڤاكيا Ko او Roo ولفظ مقطع (يوگو) في كلمة يوگوسلاڤيا Yogo او Yoogoo لما ابتعد بلفظه كثيرا عن فهم السامع ، لان مثل هذا الانحراف البسيط يحدث عند اهل اللغة انفسهم من مقاطعة الى مقاطعة اخرى في اسماء الاعلام ، ومع ذلك فيمكن ضبطه ، عند الحاجة ، بالتشكيل .

واما ما تفضل به الدكتور السلاموني من ان حرفي (تش) يغنيان عن استعمال الجيم المثلثة فانا لا اوافقه عليه لسببين اثنين الاول هو انه ما دام لدينا حرف واحد يقوم مقام حرفين او ثلاثة حروف فلماذا نستعمل حرفين او ثلاثة حروف مقابل حرف واحد ؟ والسبب الثاني هو ان استعمال (تش) او (اتش) بدل الجيم المثلثة يسبب اضطرابا ومثال ذلك ان التاء في اول كلمة تشرين ، وهي لفظ غير عربي ، هي اصلية فيها ولا يجوز حذفها بينما هي زائدة

الخيط الرفيع

● يقول المنادون بترجمة القرآن الكريم انها واجبة دينيا لنشر الاسلام في المشارق والمغارب وان هذا الطريق اسرع وايسر من الانتظار الطويل حتى تنتشر اللغة العربية في العالم ويقرأ الناس القرآن بلغته الاصلية . واين الموارد المالية والبشرية التي تؤدي هذه المهمة خير اداء فيقرأ القاصي والداني (في عالم واسع مختلف الالسنة) القرآن باللغة العربية .

ويقول رأي آخر ان الترجمة غير ممكنة فلا يستطيع انسان ان يعبر بالفاظ من عنده ثم تسمى هذه الالفاظ (القرآن الكريم) لانه يتكون من معنى واللفظ العربي المعجز

في لندن چرچل • اما اذا كانت الجيم المثلثة من الحروف الجامدة في اللغة العربية فهي ليست كذلك في الفارسية او الاردية ولا يحتاج لفظها الى حرف الالف اللينة لكي يستطاع التلفظ بها وبالتالي فاننا لا نحتاج الى ثلاثة حروف وهي (اتش) في چرچل ما دمنا نستطيع ان نكتفي بحرف واحد وهو الجيم المثلثة •

اما حرف (الغين) فانه وان كان قريبا من حيث اللفظ من حرف (گ) فان الواحد لا يغني عن الآخر اذ لكل منهما صوت خاص في مكانه فال (گ) في كلمة (گورداسپور)، وهي مدينة في باكستان ، هي غير الـ (غين) في كلمة (غزني) ، وهي مدينة في افغانستان ، والتي يجب ان تلفظ (غ) فلو كتبنا الكلمتين بالغين لكنا مخطئين خطا ولفظا ولذا فلابد من ايجاد حرف في الحروف العربية لكي نستطيع ان نلفظ الاسماء العلمية لفظا صحيحا •

واما جوابي على ملاحظة الاستاذ بن احمد محمد المدرجة في العدد ٢٣٨ فهي انني حينما طلبت ادخال اصوات هجائية جديدة على الحروف العربية لم اطلب ادخال تحسينات على اللغة العربية، كما تبادر للذهن الاستاذ الفاضل ، لاني لا اجهل ان اللغة العربية هي سيدة لغات العالم وهي اللغة الوحيدة بلا خلاف بين العلماء انها لغة كاملة لفظا ومعنى وصرفا ونحوا وبلاغة وهي هي التي نزل بها القرآن قبل نحو ١٤ قرنا ، بينما يدخل اصحاب اللغات الحية تعديلات على لغاتهم ، تعديلات مستمرة لايصالها الى درجة قريبة من الكمال ، وكل ما طلبته او بالاحرى اقترحته هو ادخال اصوات جديدة على الهجائية العربية لكي تستوعب التلفظ بالالفاظ الاجنبية وليس في هذا ما يعيب اللغة العربية او يدل على انها قاصرة في حدود كونها لغة عربية لالفاظ عربية ، واما قول الاستاذ بن احمد من ان اللغة العربية لغة مرنة تتكيف مع جميع لغات العالم فهذا مما لم انفه في كلمتي السابقة بل هو ما اردت اثباته ، واثباته لا يكون الا باضافة اصوات جديدة على الهجائية العربية لكي يلفظ العربي اللفظ الاجنبي على وجهه الصحيح في لغة اهله. واذا كان العربي يتقن اللغات الاجنبية ويتحدث بها دون ان يشعر مخاطبه انه امام عربي فما احرى هذا العربي ، حينما يتكلم العربية ويضطر الى ذكر اسم علم اجنبي ان يلفظه لفظا صحيحا •

واحب في الختام ان اقول ان الغيرة على اللغة لا تكون بالجمود بل بالتطور فيما لا يمس الجوهر •

دمشق — د • احسان حقي

نزل من عند الله •

ولاتسمى قرآنا وليس لها حكمة ولا تكون دليلا ومصدرا للاحكام الخ •

والسؤال الذي يفرض نفسه هو اليس بين الفريقين خيط رفيع ينتهي بنقطة يمكن التلاقي عنده والتوفيق امامها بين وجهتي النظر المختلفة لتسير الامور بدلا من وقف الحال الذي تعانيه وقديما قيل : سير الامور على الخطا خير من وقوفها على الصواب •

عبدالرحمن احمد شادى

— المنصورة

العربي الصغير

● ما المانع في ان يكون العربي الصغير جزءا من العربي الكبير حتى لا يتعرض العربي الصغير الى الضياع او وصول العربي الكبير الى القراء دون وصول الصغير •

محمد الامين عثمان —

الاسكندرية — ج • م • ع

الثورة الايرانية

● هل فى نية العربى تقديم استطلاع عن الثورة الايرانية؟ ولم لا .. فالثورة وقعت فى منطقتنا ولابد ان يكون لها تاثير علينا .. سواء اكان سلبيا ام ايجابيا .

عبد القادر طربية ـ عمان

ـ نامل فى زيارة قريبة لايران بذن الله .

■■■

عندما تكلمت الحيوانات

ورد فى العدد ٢٢٨ تحت عنوان «عندما تكلمت الحيوانات فى التراث العربى » قصة شعرية نسبها كاتب المقال لابى العنبس أحد شعراء المتنبى كما رواها المسعودى فى مروج الذهب . ولدى عدد قديم من مجلة الهلال تطرق فيه الاديب الراحل كامل كيلانى فى آخر حديث اجرى معه لنفس القصة حيث قال :

« فقد مات من بشار حمار فرآه فى المنام يغازل آتانا عند باب الصيدلانى وفى ذلك قول الحمار على لسان بشار :

سيدى : خذلى اماتا
من اتان الاصبهانى
هام قلبى باتان
عند باب الصيدلانى
ولها خد اسيل
مثل خد الشنفرانى

فسأله بشار : ما الشنفران ؟
قال اسم لا يعرفه الا الحمير
فاذا قابلت حمارا فاسأله !

مجيد ابو حدور ـ فنزويلا

الملتقى الفكرى فى الجزائر

● نقلنا فهمى هويدى مشكورا ، الى اجواء الملتقى الفكرى فى الجزائر ، وذلك بمقالته المنشورة فى العدد ٢٤٠ ، تحت عنوان « موقعة جزائرية لاكتشاف الذات » . والمح فى سياق الكلام الى (الجدل الاكبر) الذى قام بين المشاركين حول مرحلة الحكم العثمانى ، مبينا ان الخلاف بين مفكرى المشرق والمغرب صار تقليديا ، وان المغاربة من المدافعين عن المرحلة ، والمشارقة من المنددين بها ، منوها بان المؤرخ المصرى الاستاذ محمد عبد الله عنان قاد الاتجاه المناوىء .

وتجدر الاشارة الى ان المصريين ، بوجه العموم ، يلتقون مع المغاربة فى الدفاع عن هذه المرحلة ، وهذا ما اظهره بحث سابق نشر فى العربى منذ وقت قريب ، وينددجون اذن فى موقفهم مع تيار المغاربة . وهو يتفق ، مثلا مع الموقف العفوى للشعب الذى عبر عنه المؤرخ الجبرتى ابان المعارك ضد حملة نابليون على مصر . اما الاستاذ عنان فهو من الحالات النادرة التى تتبنى مثل هذا الموقف المتحامل .

ثانيا ، وهذا هو الاهم ، كل مشترك فى الملتقى نطق باسم الشخص فقط ، وعبر عن مستوى تفكيره ونوع رؤيته ودرجة امانته . ومن المؤكد ان مسلمى المشرق لم يعطوا تفويضا لاحد للتحدث باسمهم حتى يجوز ادراج المشارقة بين المناوئين .

مروان على ـ ادلب

ما رأينا نحن فى القضية ؟

● ورد فى العدد/٢٤٢ فى اقوال معاصرة للرئيس السورى حافظ الاسد ما نصه : « راى الامريكيين فى القضية نعرفه وراى السوفيت نعرفه ايضا . ولكن الراى المشترك للدولتين يتطلب بعض التفسير » .

ولكن الا نرى فى هذه الايام ان موقف بعض الحكومات العربية من نفس القضية لا يفسر .

طه حسين الرحل ـ حذ

وهم السل

هذا العرض يعتمد في الاساس على المعلومات والارقام التي ذكرها روبرت جراهام في كتابه الذي صدر اخيرا في لندن : «ايران ـ وهم السلطة» ، مع اضافات من مصادر اخرى ٠

وكان جراهام قد عمل لاكثر من عامين (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧) مراسلا لصحيفة «فايننشيال تايمز» البريطانية في لندن ٠ واتيح لكتابه ان يصدر اثناء احتدام الثورة الايرانية ضد الشاه والعرش٠ ورغم ان الكتاب يقدم بشكل موضوعي حيثيات سقوط نظام الشاه، الا ان المؤلف لم يستطع ان يتنبأ في كتابه بسقوط الشاه او العرش الايراني ٠ لكن الكتاب يثبت مع ذلك ان بعض الصحفيين او المؤرخين ذوي النظرة الثاقبة يعرفون (لحسن الحظ) اكثر مما تعرف اقوى اجهزة المخابرات العالمية !

■ عندما قررت الدول العربية المنتجة للنفط استخدام سلاح النفط بتخفيض الانتاج ومنع تصديره للدول المؤيدة لاسرائيل اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، قررت حكومة شاه ايران ان تنتهز الفرصة «الذهبية » ٠ واعلنت شركة البترول الايرانية عن «مزاد» لبيع النفط لكل من يدفع اكثر ٠ وللمرة الاولى منذ اكتشف النفط يصل سعر البرميل الى اكثر من ١٧ دولارا ، بينما كان اقصى ارتفاع قررته منظمة « اوبيك» اقل من ١٢ دولارا للبرميل ٠

وعندما توقفت معارك حرب اكتوبر اصبح السعر الرسمي للبترول قريبا من السعر الاستثنائي ، وقفز دخل ايران السنوي من حوالي خمسة الاف مليون دولار الى عشرين الف مليون دولار ٠

كان الشاه يعتقد ان ايران لاينقصها الا المال لكي تصل خلال اثني عشر عاما الى ما اسماه بمرحلة « الحضارة العظمى » ، ولكي تصبح القوة الخامسة في العالم ٠

وكانت الخلفية الحقيقية لكل ما يصدر عن الشاه في هذا الاتجاه هي استخدام الثروة لتدعيم النظام الامبراطوري وتثبيت سلطته الشخصية وسلطة اسرة بهلوي على عرش ايران ، بصرف النظر عن اصول علم الاقتصاد وقدرة المجتمع الايراني على استيعاب احدث مبتكرات التكنولوجيا في العالم ٠

وقد ورث الشاه عن ابيه احساسا عميقا بعدم استقرار سلطة الاسرة ، وضاعفت الظروف السياسية من هذا الاحساس لدى الابن عندما عزل ابوه ونفي الى جنوب افريقيا ، ثم كاد الابن ان يواجه نفس المصير اثناء صدامه مع الحركة الوطنية بزعامة مصدق لو لم تتول المخابرات الامريكية تدبير الانقلاب الذي اعاده الى السلطة ٠

ان تاريخ الاسرة المالكة لم يتعد ثلاثة وخمسين عاما منذ ان استولى ضابط ايراني مغمور اسمه رضا خان على السلطة ونصب نفسه ملكا ٠ والغريب ان رضا خان والد الشاه الحالي لم يكن ضابطا تلقى تعليمه في مدرسة عسكرية ٠ كان من اسرة متواضعة اضطرته الظروف عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره الى التطوع في لواء القوزاق الايراني الذي يتولى قيادته ضابط من روسيا القيصرية ٠ وكان رضا خان اميا لا يعرف الكتابة والقراءة٠ لكنه استطاع بشخصيته القوية ان يفرض نفسه ويثابر حتى اصبح ضابطا بعد ان تعلم بعض مبادىء القراءة والكتابة ٠ واستطاع رضا خان في النهاية ان يتولى بامر القائد البريطاني في ايران قيادة لواء القوزاق (وهو القوة المحاربة الوحيدة في ايران في ذلك الوقت) على اساس استخدامه بعدئذ لخلع الشاه الذي يحكم ايران باسم اسرة « قاجار » ٠

ولكي يعطي الشاه الجديد انطباعا بشرعية وعراقة اسرته غير اسمها من «خان» الى «بهلوي» وكلمة بهلوي تعني اللغة التي كان يستخدمها الذين حكموا فارس بعد الاسكندر الاكبر ، وهي اساس اللغة الفارسية الحالية ٠

ولكي تكتمل « العراقة » و « الشرعية » لا بد من توفر الثروة ، ومن هنا انتزع رضا بهلوي الاب مساحات شاسعة من الاراضي او «اشتراها» بثمن رمزي ٠ وعندما تنازل عن العرش [illegible] تركها لابنه محمد رضا بهلوي من بين ممتلكاته الخاصة ٢٠٠٠ قرية تضم ٢٣٥٨٠٠ [illegible]

وبـ .لابن على نفس منوال الاب فى هذاالشان مع توم ظروف افضل ، بسبب الثروة النفطية حتى وصلت ثروة الشاه واسرته الى ارقام فلكية كما يشير الكاتب فى مكان آخر •

الخطيئة الاخيرة

وهبطت الثروة على ايران وارتكب الشـــاه خطيئته الاخيرة • قرر دون أن يراجع مستشاريه ان المال كفيل بحل كل المشاكل ، وأن نقص العمالة الفنية وانهيـــار مستوى الخــدمات من مواصـــلات واتصالات ومساكن واجهزة مساعدة ، وكل مايسمى « بالبناء التحتى » ليست بذات خطورة !

ومع بداية عام ١٩٧٤ اصدر الشـــاه قـــرارا بمضاعفة اعتمادات خطة السنوات الخمس لتصـــل الى ٦٩ الف مليون دولار • بل تجاوز الانفـــاق الحكومى هذه الحدود نفسها ، اذ انفقت الحكومة فى عام ١٩٧٤ فقط ٢٢ الف مليون دولار فاصبحت كما يقول جراهام « كالسيارة التى تنتقل فجاة من السرعة الاولى الى الرابعة وهى تندفع الى اسفل منحدر » •

واصبحت طهران محطة ثابتة لكل رجال الاعمال الاجانب ، ومن يزعمون انهم من رجال الاعمـــال حتى لا تفلت فرصة الاثراء السريع •

وشاهد المؤلف جراهام بنفسه مجموعات من ابرز مديرى الشركات الدولية الكبرى وهم يتنازلون بشكل مهين عن الكرامة الشخصية واحترام الذات من اجل الحصول على عقد او صفقة •ولان طهران لم تكن مستعدة لهذا « الزحف العظيم » اضطر رجال الاعمال الى النوم اياما واسابيع فى طرقات الفنادق • واضطر احد كبار مديرى الشركات اليابانية مرة الى النوم فى صحن احدالمساجـــد انتظارا للقاء مسئول ايرانى لتوقيع احد العقود•

ولكى ندرك مدى عجز ايران عن استيعاب الاف الملايين من الدولارات وفقا للمشروعات الاقتصادية المرتجلة ، يكفى ان نعرف ان طهران العاصمةهى اكثر قطاعات ايران عصرية وتقدما تضم ١١٪من السكان وتستوعب ثلث كل موظفى الحكومة و٦٠٪ من مجموع الطلبة و ٥٠٪ من كل الاطباء • ومع كل نداءات التحديث والعصرية الكاذبة حيث

اعلن الشاه « اننـــا عبرنا الحـــدود بالفعـــل الى الحضارة العظمى » ، لايستطيع المريض خــارج طهران ان يجد جهازا حديثا للاشعة بسبب النقص الفادح حتى على هذا المستوى من الفنيين !

وبينما توزع الصحف الايرانية ٨٢٠ الـــف نسخة يوميا ، فان مجموع النسخ التى توزع خارج طهران لايتجاوز ٢٠ الف نسخة •

ورغم اكتظاظ طهران بسكانها وعجز اجهـــزة الخدمات فيها ، ادت الخطط الاقتصادية التـــى تتجاهل الاولويات الى تدفق الهجرة من الريف الى المدن عامة والى طهران بشكل خاص •

وعندما يختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملا ، لكنه كان مقصورا فى الحقيقة على بعض الافراد المحظوظين او ذوى العلاقات الوثيقة بالقصر والاسرة الامبراطورية ، الــذين جمعـــوا عشرات الملايين فى وقت قياسى •

لكن غالبية الايرانيين كما يقول جراهام شعرت باحباط شديد وهى ترى اكبر جانب من ثروة ايران القومية يتسرب الى المغامرين الاجانب والمحليين•

وبعد عامين من الازدهار !

وخلال اقل من عامين من «الازدهار» اصبحت ايران امام موقفين او ازمتين فى غاية الصعوبة • فمن ناحية كادت ان تنهار الزراعة الايرانية بسبب الهجرة الكثيفة من الريف وراء الارتفاع الهائل فى الاجور والحاجة الى ايد عاملة كثيرة •فبسبب ضعف الاراضى وندرة المياه ابتكر الفلاحون منـــذ ازمان طويلة نظام القنوات التحتية التى تتجمـــع فيها مياه الامطار والسيول لاستخدامها عندالحاجة، وهذا النوع من القنوات يعتمد على توفر الايدى العاملة فى الريف بكثرة ، لانها تحتاج الى صيانة مستمرة وتمتد عشرات الاميال بين القرى والحقول• وعندما اشتدت حركة هجرة الفلاحين الى المدن انعدمت عمليات الصيانة المطلوبة للقنوات وانهار ٢٥٪ منها ، وكانت النتيجة اضطرار الحكومـــة لاستيراد ٦٠٪ مما تستهلكه ايران من الموادالغذائية من الخارج •

ومن ناحية اخرى بدات الاختناقات والازمات تحاصر المشروعات الصناعية الضخمة التى ستوصل ايران الى اعتاب « الحضارة العظمى » !

ويضرب روبرت جراهام مثلا حيا لهذه الاختناقات التى اودت بالاف الملايين من الدولارات فى مشروعات غير مجدية ، بما حدث عام ١٩٧٥ • كانت هناك ٢٠٠ سفينة تتجمع بحمولاتها خارج ميناء «خورامشهر » الايرانى • وبسبب عجز الميناء عن استيعاب هذه الحمولة الهائلة من السلع ولوازم الانتاج والمصانع كان على السفن ان تنتظر خارج الميناء ١٦٠ يوما قبل ان تستطيع تفريغ حمولاتها •

وكلف ذلك ـ وفقا للقوانين الدولية ـ خزانة ايران مبلغ الف مليون دولار تعويضا عن تاخير تفريغ السفن !

وعندما فكر المسئولون على عجل بنفس شعار « النقود تحل كل المشاكل » قرروا شراء ٢٠٠٠ سيارة نقل وستة آلاف جرار من الخارج •لكنهم اكتشفوا بعد شرائها انه ليس هناك ٢٠٠٠ سائق ايرانى مدرب لقيادتها • فقاموا « باستيراد »٨٠٠ سائق من كوريا الجنوبية وباكستان • لكن هؤلاء تمردوا بعد وصولهم بسبب عجز الحكومة عن توفير اماكن ووسائل اعاشتهم • وانسحب الكوريون والباكستانيون بعد اقل من ستة شهور ، فبدات حكومة الشاه برنامجا عاجلا لتدريب الايرانيين • لكن البرنامج لم يف بالعدد المطلوب • وحتى نهايات عام ١٩٧٧ عندما ترك « جراهام» ايران كان الزائر لميناء « بندر عباس » يرى مجموعات ضخمة من اللوريات والجرارات الجديدة التى اكلها الصدا بعد ان انتظرت لاكثر من ثلاثة اعوام وصول سائقين دون جدوى !

الاقتراض من الخارج

كان الشاه يتفاخر امام الجميع بان ايران ستصبح القوة الخامسة فى العالم • وبدا فى تقليد الدول الراسمالية الكبرى بالبحث عما يشتريه من اسهم الشركات الكبرى المعروفة فى اوربا والولايات المتحدة وامريكا اللاتينية • وتجاوز ذلك باقراض الدول الصناعية المتقدمة •

وفى عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ انفق الشاه مبلغ ٢٣٨٠ مليون دولار فى قروض واستثمارات خارجية منها ٧٢٨ مليون اقرضت او اودعت فى فرنسا وبريطانيا والدانمارك •

والمبلغ الاول يزيد كثيرا عما خصصته ايران لخطط التنمية فى الفترة ما بين ١٩٤٩ و ١٩٦٢ •

واتفق الشاه فى عام ١٩٧٤ ايضا مع بريطانيا على اقراضها مبلغ ١٢٠٠ مليون دولار على ثلاث دفعات سنوية ، حيث سدد دفعتين فى موعدهما وعجز عن دفع القسط الثالث • وهو نفس ما حدث مع بنك فرنسا الذى اقرضه مبلغ ١٠٠٠ مليون دولار •

وتطلع الشاه الى شركة كروب للصلب فى المانيا الغربية لشراء بعض اسهمها •لكن الشركة الاصلية رفضت وعرضت عليه ان يشترى ٢٥,٠٤٥٪ من اسهم شركة فرعية من مجموعة كروب اسمها « كروب هايتنفرك » ، وهى اكبر الشركات التى تحقق خسائر فى مجموعة كروب ، فدفع الشاه ٣٠٠ مليون مارك المانى ثمنا لهذه الصفقة •

ثم دفع مبلغ ٥٥٠ مليون مارك ثمنا لربع اسهم شركة فرعية اخرى تابعة لكروب فى البرازيل ،

وخلال هذا كله استورد الشاه خلال اربعة اعوام فقط اسلحة ومعدات عسكرية تجاوزت ٢٠ الف مليون دولار ، على اساس وهم اعادة امجاد الامبراطورية الفارسية والتوسع على حساب العرب فى منطقة الخليج •

لكن فى يوليو عام ١٩٧٥ ادى السفه فى الانفاق دون خطط مدروسة الى اضطرار الحكومة الايرانية للسماح لمؤسساتها بالاقتراض من الخارج • وكان الاعتقاد قبل عام واحد فقط ان ايران قد كفت الى الابد عن الاقتراض من الخارج ، بعد ان ارتقت الى مستوى الدول التى توزع على الاخرين معوناتها •

ورغم اضطرار حكومة الشاه الى اعادة النظر فى بعض المشروعات الكبرى ، وتخفيض ميزانيات البعض الاخر ، الا ان الشاه لم يكف عن احلام العظمة العسكرية حتى عن طريق المقايضة بالبترول اذا تعذرت السيولة النقدية •

وفى ابريل عام ١٩٧٦ توصل الشاه بسبب هذا العجز المالى الى اتفاق ثلاثى للمقايضة ؛ شركات البترول وشركات الاسلحة الامريكية والبريطانية• ويقضى هذا الاتفاق بحصول ايران على ٣٠٠ طائرة اف ـ ١٦ امريكية واربعة مدمرات مق

الف ... بل بترول يوميا • ومن جهة اخرى تحصل ايران على صفقة صواريخ رابير بريطانية تساوى ٤٠٠ مليون جنيه استرليني مقابل ١٦ الف برميل بترول يوميا • وكان الشاه قد تعاقد من قبل مع شركة روكويل على نظام للمراقبة يتكلف ٨٥٠ مليون دولار •

لكن خطايا الشاه كانت اكبر واكثر حتى من مجرد استنزاف ثروة البلاد فى مشروعات اقتصادية فاشلة ، او فى انفاق عسكرى لا تحتمه ضرورات الامن القومى الايرانى •

فقبل هذا وذاك كان الشاه قد خلط امن ايران وامنه الشخصى،وازال الحدود بين ميزانية الدولة وميزانية الاسرة الامبراطورية، ورأى فى نفسه وصيا على شعب قاصر بوصفه هو الاب والمعلم والقائد، ورفض السماح بوجود او نمو اى حزب او هيئة او جماعة او فرد مستقل الراى • اما من يتمردون من هنا او هناك فاما ان تغريهم الاموال او تردعهم سجون السافاك •

اعادة الترتيب

بعد نجاح الانقلاب العسكرى الذى دبرتــــه المخابرات المركزية الامريكية عاد الشاه الى طهران، وبدات حملة القمع والقتل والسجن والتعذيب لكل من يشك فى ولائه المطلق للشاه•واحكمت الرقابة حتى على الصحف الموالية ورقب رجـــال الدين وتجار « البازار » باكثر الوسائل صرامة وبالمقابل اعاد الشــاه ترتيب كل شىء واشرف بنفسه على تسليم اهم المناصب واخطرها الى اقرب المقــربين اليه او الذين تعاونوا معه ضد مصدق •

تولى الجنرال فضل الله زاهدى قائد الانقلاب رئاسة الحكومة ، وعين الضابط الذى قبل ان يحمل مرسوم الشاه باقالة مصدق رئيسا لجهاز الشرطة السرية (السافاك) ولم يكن هذا الضابط سوى الجنرال نعمة الله نصيرى (الذى كان من اوائل الذين اقتصت منهم الثورة اخيرا وحكمت عليهم بالموت) •

الطيار الذى قاد طائرة الشاه الهارب الى روما قبل الانقلاب واسمه محمد خاتمى فقد عين قائدا للسلاح الجوى وزوجا لاخت الشاه غيــــر الشقيقة (فاطمة) !

ومن الامثلة الاخرى المعروفة،احد الارستقراطيين الايرانيين من اقرباء الاسرة المالكة السابقة ويدعى امير هاشانج دافالو ، الذى كوفىء بمنحه احتكار تصدير «الكافيار» الايرانى الى اوربا ، جزاء اتصاله بالشاه من فرنسا وعرضه تقديم اى معونات مالية له اثناء اقامته القصيرة فى روما • امــا الرجل الذى نسق اعمال المخابرات لخلع مصدق وهو سير شابور ريبورتر (ايرانى يحمل لقب سير بسبب خدماته لبريطانيا) فقد حصل على امتيازات ايرانية ضخمة تدر عشرات الملايين من الدولارات•

ولجا الشاه الى الاسرائيليين للاشراف على امنه الشخصى بعد ان قامت المخابرات الامريكية والمخابرات الاسرائيلية (الموساد) بتنظيم جهاز السافاك الايرانى •

ولم يبق سوى ان يعلن الشاه بعد ذلك كله قيام الحكم « الديموقراطى » !

ولما كان من مقومات «الديموقراطية» وجود الاحزاب السياسية فقد قرر الشاه انشاء حزبين : حــزب مؤيد اسمه الحزب الوطنى (مليون) والاخر يعارض باسم حزب الشعب (ماردوم) • ويتولى زعامة الحزبين بالطبع والانخراط فى صفوفهما مؤيدو الشاه واعوانه ، لان كل من يعارض الشاه او يعترض ليس ايرانيا ولا مكان له فى ايران •

الشاه يقوم بالثورة

لكن لم تمض بضعة اعوام حتى عاود الشــاه الاحساس بعدم الامن والافتقار الى الشرعية ، فخشى حتى من بقاء اخلص اعوانه فى المناصب القيادية • وبدا بالجنرال زاهدى حيث طلب منه ان يرحل الى جنيف (لانه اصبح اقوى مما يجب) وعين الجنرال باكرفان احد رؤساء السافاك سفيرا فى باكستان لانه لا يتمتع بالعزم الكافى ضـــد معارضى الشاه • اما الجنرال تيمور بختيار ابن عم ثريا اصفنديارى بختيار زوجة الشاه السابقة فقد طرد من رئاسة السافاك بعد ان حولها الى جهاز فى غاية القوة والبطش ، بتهمة طموحه الـــى

السلطة . ثم امر بمغادرة ايران ، واعترف الشاه بعد ذلك ان جهاز السافاك تولى قتل بختيار خارج ايران .

لم تستتب الامور تماما رغم ذلك . وبدلا من الاحزاب العلنية والسرية التي قمعها الشاه وصفى قياداتها اليمينية واليسارية وما بينهما ، نشات كرد فعل للقهر تنظيمات سرية ترى في اكثر الاحزاب السابقة (المتطرفة في نظر الشاه) احزابا مستكينة وتقليدية بما في ذلك حزب « تودة » الشيوعي نفسه . وقامت تنظيمات سرية متعددة تؤمن بالكفاح المسلح وحرب عصابات المدن ضد النظام الامبراطوري . وكان ابرزها من ناحية فدائيو الشعب (فدائيين خلق) ومن ناحية اخرى مجاهدو الشعب (مجاهدين خلق) .

وتضايق الشاه كثيرا من الحديث الهامس المستمر عن الثورة فاتخذ قرارا «خطيرا» وهو أن يقوم هو شخصيا بالثورة نيابة عن الشعب الايراني . ومن ثم كلف عميد جامعة طهران باعداد نظرية هذه الثورة باسم فلسفة الثورة الايرانية وعلى اساسها اعلن الشاه ثورة الشاه والشعب .

وتقول الوثيقة التي اعدها عميد الجامعة ان الشاهنشاه اب لجميع الايرانيين وهو القائد والمعلم والمرشد لروح وفكر وقلب الامة، وهو فوق الطبقات مسئول عن التفكير والتدبير للشعب كله ونيابة عنه، وهو ما يسمى «فرمانديه» في اللغة الفارسية ويوازي لقب « الدوتش » لموسوليني في ايطاليا ولقب « الكوديللو » لفرانكو في اسبانيا .

وفي ذلك يقول الشاه للصحفية اوريانا فالاسي: صدقيني عندما تكون ثلاثة ارباع الشعب لا تقرأ ولا تكتب ، فان الاصلاح يجب ان يتم عن طريق الاجراءات الشمولية الصارمة

وتحقيقا لهذا الهدف وهو ان يستمر الشاه في السلطة الى ان يتسلمها ابنه من بعده اصبحت كل السلطات جزءا من سلطة الشاه وشعارها : حكومة النخبة بالنخبة لصالح النخبة .

وتضخمت اجهزة الامن والقمع . فهنالك القوات المسلحة التي تنفق ٣٥٪ من ميزانية ايران وتضم حوالي نصف مليون جندي ، ويشرف الشاه على ترقية وتنقلات ضباطها ابتداء من رتبة الم . وهناك الحرس الامبراطوري حوالي ١٥ الف جندي ويضم ابناء العائلات والقبائل والاقليات الموالية، ويسلح باحدث الاسلحة . اما عدد العاملين في السافاك فيقدرون بحوالي ٦٠ الفا . لكن عملاء السافاك غير المتفرغين تجاوزوا كثيرا هذا العدد. ولم يكن السافاك هو جهاز القمع والرقابة الوحيد. كانت هناك اربعة اجهزة اخرى تراقب اي نشاط سياسي او فكري وتراقب بعضها البعض . وفوق هذه الاجهزة جميعها هناك جهاز اخر اسمه هيئة الرقابة الامبراطورية وهو المرجع الوحيد والنهائي امام الامبراطور .

كان جهاز السافاك مسئولا عن كل شيء في ايران ، وموافقته او اعتراضه هي الفيصل بالنسبة لاي مواطن . ويروي روبرت جراهام ان اعتراض السافاك على تعيين كل من يصلح للعمل في الوظائف الفنية لاسباب سياسية في مطار طهران ادى الى عجز المطار عن تعيين أحد !

ورغم ان الشاه مسئول عن كل شيء في ايران، لكن وظيفة رئيس الوزراء لا يمكن الاستغناء عنها لانه لابد ان يتحمل احد مواجهة النقد بدلا من الشاه . ورغم وجود الكثيرين من رجال الشاه في قيادة الحزبين السياسيين على استعداد لاداء هذا الدور الا ان الشاه كان سريع الملل من لعبة الحزبين وتبادل الادوار ، فقرر في النهاية تاليف حزب واحد باسم راستاخيز « النهضة » . وكانت مهمة الحزب الاساسية هي القيام بدور الشرطة « الشعبية » ، وافراغ اي مشكلة او مناقشة عامة من محتواها السياسي .

من مارس الى مارس !

ان دراسة نظام الشاه لا تكتمل الا بالحديث التفصيلي عن الطريقة التي تصرف بها في اموال ايران وثروتها القومية، دون ان يفرق بين ميزانيته الخاصة وميزانية الدولة . ورغم ان الميزانية الرسمية التي تخصصها الدولة للامبراطور بلغ ٤٠ مليون دولار في عام ٧٦ ـ ١٩٧٧ لكن الامبراطور يملك التصرف في اموال الدولة كلها دون ان

يراح احد • وهو يسيطر مثلا بشكل مباشر على شركة البترول الايرانية ، التى تقدم للجنة الخطة والميزانية حساباتها لكن دون ان يكون من حق احد مناقشة هذه الحسابات • وهي تزود ـ كما يقول براهام ـ الشاه سرا بالاموال التى يريدها • وقد تعجب الامريكيون مرة عندما تاكدوا ان احدا لا يستطيع متابعة ميزانية الشركة ، واكتشفوا ان هناك سببا فى غاية الغرابة • ذلك ان الشركة تتعمد وضع ميزانيتها ودخلها على اساس السنة الميلادية اما كمية النقد الاجنبى الذى يأتـــى باسم الشركة الى البنك المركزى الايرانى فيتم حسابه وفقا للسنة الايرانية من مارس الى مارس!

ومن هنا لا يستطيع احد ان يحدد بالدقة دخل شركة البترول •

وفي عام ١٩٧٦ نشرت مجلة « لوكناو انشانيه » الفرنسية وثيقـة رسمية تبـين حسابات مؤسسة بهلوى عام ١٩٦٢ فى بنك سويسرى ، وجاء فيها ان الدخل الاساسى فى ميزانية المؤسسة يصل الى ١٢ مليون دولار شهريا تحول الى حسابها من شركة البترول الايرانية •

اما « مؤسسة بهلوى » هذه فلها حكاية اخرى • فقـد حلت محـل « ادارة اراضى الشــاه » التى « ورثها » عن ابيه كما تقدم وتصل الى ٥ر٢ مليون هكتار • وعندما اصبحت قضية ثروة الشاه مثار احاديث كثيرة اعلن عام ١٩٦١ انه سيحول امواله وممتلكاته الى « مؤسسة بهلوى » • وقدرت هذه الممتلكات بحوالى ١٣٥ مليون دولار • واعلن الشاه يومئذ ان ما تنازل عنه « لمؤسسة بهلوى » ٩٠٪ من ثروته ، اى لم يبق فى حوزته الا ١٥ مليون دولار •

لكن الارقام التى قدمها الشاه لم يصدقها احد• لانه سبق ان صرح فى عام ١٩٤٧ عندمـا شـكل «مؤسسة الخدمة الاجتماعية» بانه تبرع للمؤسسة بحوالى مليون دولار مؤكدا ان هذا المبلغ يشكل نصف ما يملك من ثروة !

حقيقة فى النهاية ان الشاه اراد ان يبـدو الا كما لو انه اعاد للدولة ما استولى عليه من هد تها • لكـن « مؤسسة بهلـوى » قامت فى الاسـاس لكى تخـدم باموالهـا ومشروعاتها نفس الاهداف التى تخدمها ثروة الشاه الشخصية •ولم يحدث سوى تغيير فى الاسماء •

وتقدر الاوساط المحايدة ارصدة مؤسسة بهلوى بحوالى ٣٢٠٠ مليون دولار وهى تضم ١٠ مصارف وشركة تامين ، وخمسة فنادق كبرى وخمس مناطق ومجمعات سياحية ، و٥ شركات تجارية ، وشركتين دوليتـين ، وست شركات بنـاء ومقاولات ، وثلاث شركـات للسيارات ، وخمس شركـات للصناعات الكيماوية والجلود وغيرها ، و٣ شركات طباعة • وعشر شركات صناعية زراعيـة (سـكر ولحـوم واغذية) •

لكن الحقيقة ايضا ان الشاه لم ينفرد بثـروة ايران ، وسمح لكثيرين من اتباعه بان يحققــوا الملايين بكل الوسائل • فبعلم الشاه وموافقته حصل سير شابور ريبورتر على مليون جنيه استرلينى عمولة صفقة دبابات « تشيفتين » البريطانية •وفى دراسـة « للبنتاجون » الامريكى عن الرشـوة فى صفقات الاسلحة الامريكية لايران وصلت عمولـة بعض المقربين من الشــاه مبلغ ٢٨ مليون دولار عن صفقة واحدة •

ورغم المرتبات الخيالية التى كان يمنحها الشاه لضباط الجيش وهى ٢٠٠٠ دولار شهريا للضابط حديث التخرج و ٧٠ الف دولار سنويا للضــابط برتبة لواء ، بخلاف الامتيازات العينية الكثيرة ، الا ان شهية كبـار الضباط تفتحت فى كثير من الاحيان لدرجة ان احدهم وهو الاميرال رمزى عباس عطايا قائد البحرية ، استخدم السفن الحربيـة الايرانية فى نقل سلع بحوالى ٤ مليون دولار من منطقة الخليج لحسابه الشخصى ، حيث تاجر بهـا فى ايران !

لهـذه الاسـباب كلهـا انهـارت اعمدة الحكم العسكرية والبوليسية والاقتصادية ، بفعل ضربات وجهها اناس عزل فى اغلب الاحيان ، الا من الطوب والحجارة والتصميم• وسقط الشاه والعرش وكان سقوطهما مدويا • ■■

فيليب جلاب ـ القاهرة

مسـابقة العـدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمـات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحـة العدد بقطعها منه.. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهـــاه دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٦ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقـة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسـم متصوف اسلامي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم شاعر اسلامـي مـن المخضرمين .

الكلمات الافقية :

(١) من الآثار العربية بالقدس ـ من سور القرآن الكريم .
(٢) من اصحاب المعلقات ـ قبر .
(٣) طوى ـ انفة واباء ـ بر .
(٤) نصف كلمة (وميض) ـ بحيرة مصرية ـ تتوق ـ ادخل .
(٥) نامو ـ احصى ـ ارتفع .
(٦) من الاشجار ـ نصف كلمة (تابع) ـ قطر عربي ـ مقام موسيقى .
(٧) تثقل وتمرض ـ لغة ـ من المشروبات .
(٨) متصوف اسلامي شهير .
(٩) زعيم اليعاقبة في الثورة الفرنسية ـ حسم ـ من الاحجار الكريمة .
(١٠) حرفان متشابهان ـ يلفظون ـ تستجيب .
(١١) حساء ـ تجيء من الاسلاف ـ من وسـائل العلاج الشعبي القديم .
(١٢) لقب هندي ـ في الاقدام .
(١٣) ننتمي ـ يعاجل ـ وكالة انباء عر.ية .
(١٤) في احدى مراحل العمر ـ من الفلزات .
(١٥) الخائف ـ حرف نفي ـ للنداء ـ ارق

الكلمات الراسية :

(١) عاصمة جامبيا ـ دولة من القارة الامريكية.

(٢) حيوان كان يستخدم قديما في صيد الارانب ـ مدينة سومارية قديمة ـ مجرى مائي

(٣) من الالوان ـ اقل ـ مميتة .

(٤) حرفان متشابهان ـ حرف عطف ـ يقدم ـ نصف كلمة (لسان) .

(٥) في الحركة الكشفية ـ زعيم افريقي راحل .

(٦) خلقك ـ في الجهاز التنفسي ـ حرفان متشابهان .

(٧) اذبلوا ـ حرفان متشابهان ـ اخفينا .
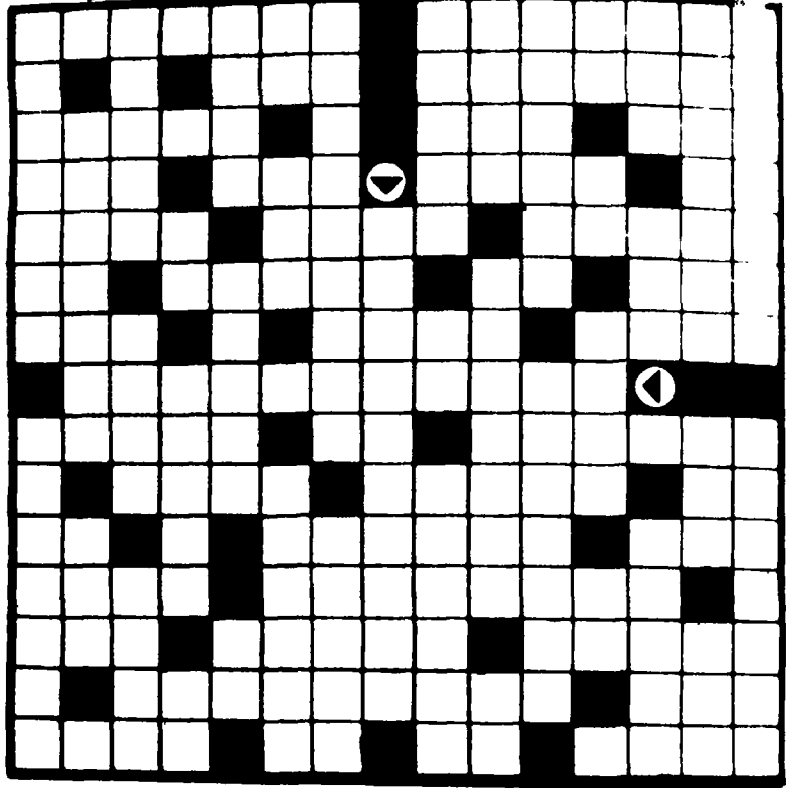
(٨) شاعر اسلامي من المخضرمين .

(٩) في الذرة ـ يماشي .

(١٠) نصف كلمة (صالح) ـ اتى ـ تبختروا .

(١١) وحدة قياس مساحات ـ ذكرى سنوية ـ هزء .

(١٢) حرفان متشابهان ـ الاسم الشائع لاستيارات الصوديوم ـ من سور القرآن الكريم .

(١٣) ولاية امريكية ـ ينتسب الى احدى الجهات الاصلية ـ مساعدته .

(١٤) شبه جزيرة آسيوية ـ حرف ابجدى .

(١٥) روائي امريكي شهير راحل ـ دولة آسيوية.

اديب مصرى كبير راحــل

ابدا اولا بحل مسـابقــة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ؛ ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لاديب مصرى كبير راحل . ثم انقــل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

(١) سهول عشبية .
(٢) زجاجة .
(٣) من الاسماء الحسنى ـ اضاع .
(٤) راسخ .
(٥) اواظب عليه .
(٦) فى العين ـ فى الجهاز الدورى .

الكلمات الراسية :

(١) من الزهور .
(٢) راسبون .
(٣) نصف كلمة (ترصع) ـ زنبرك .
(٤) يرسلك .
(٥) ظاهرة جوية ـ مناص .
(٦) ارق ـ ضمير .
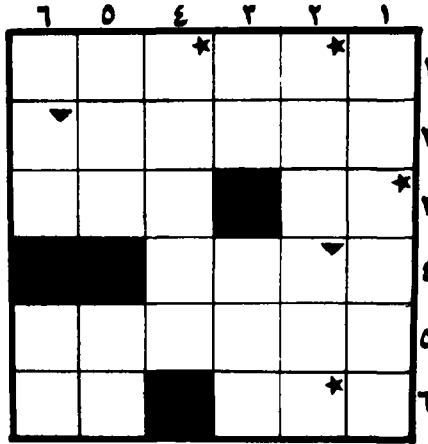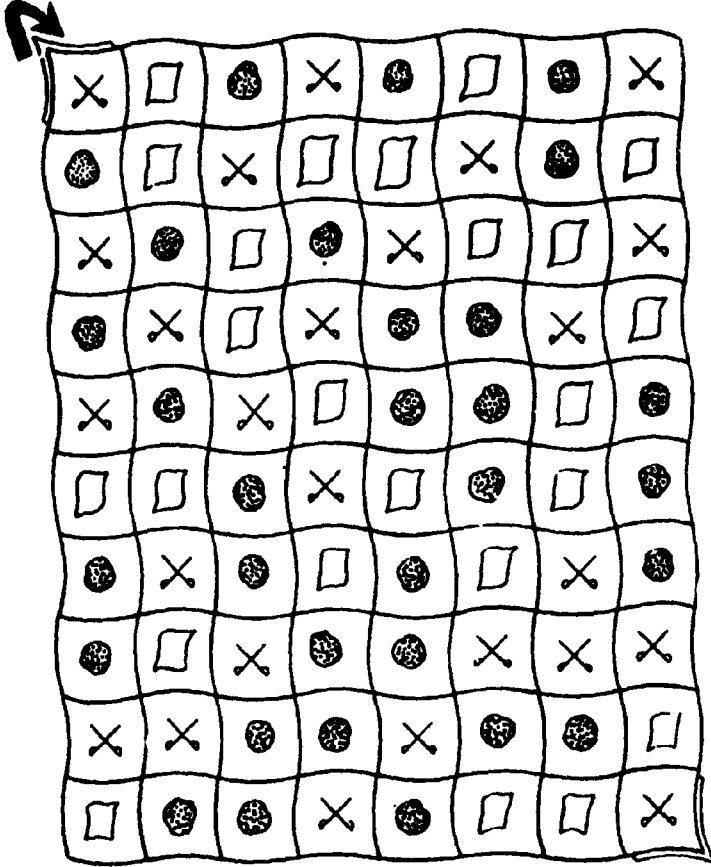
المتاهة الصينية

اذا سافرت بالقطار داخل الصين، ستدهش عندما ترى المواطنين يبدون كالصم والخرس، يتبادلون حركات الايدى بسرعة فى صمت. لكن اذا سالت، ستعرف انهم يلعبون لعبة «المقص يقطع الورق». فتح اصبعين يعنى مقصا، وبسط الكف يعنى ورقة، وضم القبضة يعنى الحجر. اذا كان غريمك يلوح لك بقبضته، عليك ان تبسط له كفك، فالورق يلف الحجر. والكف المبسوطة تواجهها اصبعين مفتوحين، فالمقص يقطع الورق. والاصبعان المفتوحان تقابلهما بقبضة مضمومة. فالحجر يكسر المقص .. وهكذا.

اذا بدات من المربع الذى يشير اليه السهم باعلى الرسم، حاول ان تصل الى الركن من اسفل الرسم، مراعيا القواعد السابقة، مقص ـ ورقة ـ حجر ـ مقص .. ، ولك ان [تتحرك] بين المربعات، من مربع الى آخر مجاور، افقيا او راسيا او قطريا، لتصل [الى] اقصر الطرق.

اختبار معلومات :

اين الصواب .. واين الخطأ ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خطأ، فهل تستطيع ان تميز بينها ؟ .

(١) عبد الله النديم : من رواد الصحافة المصرية الوطنية الشعبية .

(٢) العقاب : طائر كبير الحجم من الجوارح.

(٣) فان دايك ـ اول من سافر بالطائرة عبر الاطلنطى .

(٤) ابن رشد : من اشهر فلاسفة وعلماء العرب بالاندلس .

(٥) الفولجا : رقصة اوربية شهيرة فى القرن التاسع عشر .

(٦) قرطاجنة : اسم معركة بين الفرس والعرب فى فجر الاسلام .

(٧) بيدبا : فيلسوف هندى وضع قصص كليلة ودمنة .

(٨) كراكاتو : سلسلة جبال فى امريكا الجنوبية .

(٩) كيوى : طائر لا يستطيع الطيران فى نيوزيلندة .

(١٠) نبتون : كوكب من المجموعة الشمسية.

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التى بين الاشكال فى الصفين العلويين، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الحلول ١

النجمة والسهم :

طـه حسين .

اين الصواب .. واين الخطأ؟

١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ صحيحة .

(٣) فان دايك : رسام فلمنكى شهير مات عام ١٦٤١ م .

(٥) الفولجا : اطول انهار اوروبا .

(٦) قرطاجنة : مدينة قديمة فى افريقيا الشمالية ، اسسها الفينيقيون قرب تونس حاليا .

(٨) كراكاتو : احدى جزر الهند الشرقية .

الشكل المطلوب :

رقم : ٤ .

المسرح العالمي

رة الإعلام فى الكويت

أول مايو ١٩٧٩

١١٦

الجهنمية

ليف : جان كوكتو

يم : ميخائيل بشاى

بعه : د. منيرة الصعيدى

في كل ساعة... وفي كل وقت
ساعات اورينت كوارتز
جميلة كيفما نظرت إليها
ORIENT اورينت
ORIENT WATCH CO., LTD.
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

ما تصممه كاتربلر وتبنيه
تدعمه كاتربلر وتسانده

سهولة الوصول الى القطع والاجزاء، الصيانة البسيطة، والنقاط القليلة للفحص والمعاينة.
هذه هي بعض صفات ومزايا شاحنات كاتربلر ذات الرافعة، المصممة لضمان نفقات تشغيل متدنية، مقابل الحصول على قيمة اجمالية عالية.
فالجودة والنوعية الفائقة مدمجة في كل من الموديلات الخمسين المختلفة كلها، التي تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٢٠٠ كلغ انطلاقاً من لوحة الرسم ومروراً بكل مرحلة من مراحل الانتاج.
تمتد قيمة كاتربلر لتشمل الخدمة التي تحصل عليها من الوكيل "قد تشمل. مساعدة ومشورة الخبراء فيما يختص باختيار الشاحنة. الصيانة والخدمة. توفر القطع بسرعة لضمان حصولك على القطعة التي تحتاجها عندما تحتاجها وبذلك لا تهدر أموالك في انتظار القطع أو تضطر للاحتفاظ بمخزونات من القطع الباهظة التكاليف".
ونحن نوجز ذلك بعبارة فهي تضمن حصولك على شاحنة ذات رافعة مدعومة بالخدمة والصيانة، علاوة على كونها مصممة ومبنية لتأمين حصولك على قيمة اجمالية عالية، بتكاليف اجمالية منخفضة.
وهذا سبب وجيه للاتصال بوكيل كاتربلر الآن.

Caterpillar Tractor Co هي ماركات مسجلة لشركة Caterpillar . Cat . ®

محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب ٤٤١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٢٢٣٨٧ البحرين محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب ٥٣٥٧، المنامة، تلفون ٧١٣٩٠٧
محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب ١١٧٠، دبي، الامارات العربية المتحدة، تلفون ٦٠٢٥٥ مصر مانتراك، ٢٢ شارع امين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، تلفون ٨٠٧٨٩٧
شركة احمد ... والمعدات الارضية المحدودة، طريق السلطان، ص. ب ٣١٣، عمان، تلفون ٤٣/٤٢/٦١١٤١ الكويت محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب ١١٨
الكويت، تلفون ٥٩/٨١٠٨٥٥ لبنان ... عرب حلاوة واولاده، ص. ب ١١٠٢٠٨، بيروت، تلفون ٩٣٢٥٢٢ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
... للآلات الزراعية والادوات الزراعية، سيدي مصري، ص. ب ١١٨، طرابلس الغرب، تلفون ٣٢٥٢٠ فرع بنغازي، تلفون ٩٢٣٢٩ سلطنة عمان شركة الواحة للتجارة
ص. ب ١٠٠٢، مطرح، مسقط، تلفون ٧١٩٠٠ قطر محمد عبد الرحمن البحر، ص. ب ٤١٧١، الدوحة، تلفون ٢٦ ٢١ المملكة العربية السعودية
شركة الزاهد ... والمعدات الثقيلة المحدودة، ص. ب ١٥٨٨، جدة، تلفون ٧٧٠٠٠ الفروع الدمام، تلفون ٢٢٥٩٤ الرياض، تلفون ٢٨٤٦٨ الجمهورية التونسية
شركة ... ، ٩١ حافة قرطاجنة، تونس، تلفون ٢٥٩٥٧٧ المغرب الشركة المغربية لوسائل في ماروك، ١٤٥٠ شارع المقاومة، ... الدار البيضاء، تلفون ٣٠٥٦٧٥
... واولاده، ص. ب ٢٣، شارع حلب، القصاع، دمشق، تلفون ١٩١٤٨٥٤، فروع في حلب، واللاذقية، والقامشلي

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

مايو - أيار
١٩٧٩

الكتاب السابع عشر

سعر النسخة
٢٥٠
فلساً

الاشتراكات ترسل باسم :

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

عزيزي القارئ

رغم ان رحلة القارئ عبر هذا العدد تطوف به فوق مساحة جغرافية شاسعة ، تمتد من أسرار كوكب المشتري التي تكشفت أخيرا في عالم الفضاء ، الى العديد من اركان العالم الارضي ، من السودان الى مصر الى الرباط ثم الى صنعاء ، ومن فرنسا الى انجلترا وايطاليا .. نقول رغم هذا كله ، فان موضوع العدد الاساسي هو « القدس » .

ذلك اننا لم نجد مادة افضل من « القدس » نركز حولها اهتمامنا ، في عدد شهر يونيو (حزيران) ، دون غيره من كل اشهر السنة ، لسبب لابد يدركه الجميع . فها قد مرت على وقوع القدس في الاسر ١٢ عاما ، تكتمل تماما هذا الشهر ، ليبدأ عام جديد ، تتواصل فيه احزان القدس ، لأجل لا يعلم الا الله مداه .

لقد اردنا ان نذكر بالقدس في هذا الشهر وتلك المناسبة ، اذ لا نملك الا التذكرة بان القدس هي الرمز عندنا بقدر ما كانت هدفا عند الغزاة . هي رمز الانتصار او الانهزام العربيين ، وكلما بعدت الشقة بيننا وبين استعادة القدس العربية ، بعدت المسافة بيننا وبين يوم النصر ، والعكس صحيح .

وسنظل نذكر ونلح في التذكير ، حتى يوم يعود صلاح الدين ليعيدها الى اهلها واصحابها وابنائها الشرعيين .

والى ان يجيء هذا اليوم ، ستظل القدس في القلب !

المحـرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

شخصيات :

استطلاعات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 247 June 1979 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر

.ورة الغلاف :

● من دون كل الصور والاغلفة فان صورة غلاف هذا العدد لا تحتاج الى تقديم او تعريف • اذ ليس لدينا ما نقوله عندما تقع اعيننا على قبة الصخرة • هى رمز القدس وكفى •وهى ـ القدس ـ موضوع استطلاع هذا الشهر (انظر الصفحات ٦٨ـ٩٤)•

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائـر ٢٫٥ دينار • المـغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهـما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر • « للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

العناصر الناقصة..

ضعف اذا كان سببا في التفكك والتناحر ...

●

مجلة « الشئون الخارجية FOREIGN AFFAIRES » الامريكية ، التى تصدر مرة كل ثلاثة شهور .. اصدرت عددا خاصا بمناسبة مرور خمسة وخمسين عاما على صدور اهم مجلة في نوعها ، كرست معظمه لعدد من اكبر المفكرين والساسة يناقشون فيه موضوع « القوة » ؛

بمعنى « القوة » في السياسة الدولية طبعا ...

وهناك طبعا ، عناصر « القوة » التقليدية المعروفة ، نسجلها هنا في ايجاز ، حتى نصل الى ما نريد التركيز عليه .

فمن ابرز عناصر القوة ، بمعناها التقليدى منذ القدم :

● القوة العسكرية ، وامرها معروف وحاسم طبعا .

● القوة الاقتصادية والمادية . وهي ايضا امرها معروف . وهي في الواقع - اى القوة الاقتصادية والمادية - هى التى تنتج الى حد كبير بين العنصر الاول وهو القوة العسكرية فالدولة اذا كانت صناعية متقدمة ، ولديها مصادر الخامات المطلوبة ، تصبح اقدر من غيرها على انتاج السلاح وحشد الجيوش . وانتاجيتها تجعلها اقدر من غيرها على احتمال تمديد الحرب زمنا اطول من خصومها .

● قوة عدد السكان والموقع الجغرافي ...

فالصين مثلا دولة متخلفة مثل دول العالم الثالث ، اذا اخذنا في الحساب مستوى المعيشة ومعدل دخل الفرد وغير ذلك . ولكن مجرد انها دولة تضم حوالي الف مليون ، يجعل لها هيبة خاصة وخطرا خاصا ، ولو كان خطرا مستقبلا وليس آنيا ، ولكنه يدخل بالتأكيد في كل حساب .

وكذلك الهند ، وما يليها من بلاد .

وفي الصراع العربي الاسرائيلي مثلا ، رغم ان اسرائيل خرجت منتصرة في معظم الحروب ... إلا ان مجرد ان عدد سكانها ثلاثة ملايين والعرب اكثر من مائة وعشرين مليونا ، يجعلها في نظر العالم في وضع المدافع عن نفسه ، وضع من لايملك المستقبل .

ولا شك ان التقدم العلمى الهائل ، وانعكاسه على قدرة القوة العسكرية ، قد قلل من قيمة « العدد » ورفع من قيمة « النوع » : *أي نوع الاسلحة التى في يد الجنود* ، ومدى كفاءة وتعليم *الجنود الذين يحملون السلاح* ..

ـضائل الجيوش في الحروب القديمة ، حروب السيف والرمح ، من شجاعة وحماسة وكثرة عدد . حلت محلها فضائل اخرى هي درجة التعليم ، ودرجة استيعاب الاسلحة الحديثة والتحكم فيها وقوة النيران لا قوة الافراد .

وليس مصادفة ان نجد ان « القوتين الاكبر » ، امريكا وروسيا ، كلتيهما تتجمع لها اكبر درجة من عناصر القوة سالفة الذكر :

العدد الكبير [٢٢٠ مليون امريكا ـ ٢٥٠ مليون روسيا] ، والقوة الانتاجية الهائلة وتوفر معظم المعادن الخام المطلوبة للصناعة داخل ارضها [حديد ـ فحم ـ بترول ـ الخ] فهما ليستا مثل اليابان او المانيا ، اللتين هزمتهما ، الى جانب اسباب اخرى ، ندرة البترول المستورد كله من الخارج .

القدرة على التحالف !

● يأتي بعد ذلك عنصر هام وان بدا غريبا ، وهو : قدرة الدولة على التحالف مع آخرين .

فهناك دولة تكون على درجة من الذكاء السياسي ، والمرونة ، وبراعة التخطيط ، بحيث يكون لها دائما حلفاء من دول اخرى تقف بجانبها في الحرب او السلام على السواء ..

فالمانيا مثلا خسرت حربين عالميتين ، لأنها كانت معزولة في اوروبا ، ولانها في الحربين لم تتمكن من كسب تضامن حلفاء مهمين معها .

وانجلترا بالمقابل هزمت نابليون ، ثم هزمت الامبراطور غليوم ، ثم هزمت هتلر .. لان انجلترا كانت دائما لا تخوض حربا بمفردها قط . انما تخوض حروبها دائما مع حلفاء . وكما قال تشرشل عندما امكنه التحالف مع اعدى اعدائه ، الاتحاد السوفيتي ، خلال الحرب ، من انه مستعد « للتحالف مع الشيطان » لكسب الحرب ، كان دائما هو شعار الامبراطورية في اوج مجدها ، وقبل زوال شمسها ..

واسرائيل ، لم تكسب موقعة حرب او موقعة سلام . الا بمحالفات مع دول قوية .. مع انجلترا سنة ١٩٤٨ .. ومع فرنسا وانجلترا سنة ١٩٥٦ .. ومع امريكا سنة ١٩٦٧ .

واذا كانت هذه الصفة « القدرة على التحالف مع الاخرين » مهمة للقوى الكبرى .. وقد رأينا صراع الاحلاف في العقدين الماضيين وكيف كانت ضراوته . فانه الزم للدول الصغيرة والنامية .. وفي هذا المجال يمكن ملاحظة المزايا التى استفادتها دول هذا النوع في دائرة التجمع العربي ، او التجمع الاسلامى ، او التجمع الافريقي ، او تجمع دول عدم الانحياز . فلاشك أن

التجمع على هذه المستويات قد ساعد في حالات كثيرة على تحقيق استقلال اقطار لم تكن مستقلة ، وحماية مصالح بلاد اخرى ..

وربما نلاحظ لهذا السبب ان الدول الكبرى او العالم الصناعي المتقدم كله .. ينفر من هذه التجمعات ، ويحاول تخريبها او تفكيكها قدر الامكان .

والواقع ان بند « القدرة على التحالف مع الغير » انما يشير ـ بين عناصر القوة ـ الى عنصر الحذق السياسي ، وبعد النظر .. واكتشاف المجالات المشتركة مع الغير ـ سياسيا واقتصاديا ـ وكيف تضع الدولة قضاياها في موضع القضايا العادلة التي « تقنع » الغير فوق ذلك

ونستطيع ان نضيف في اطار وسائل الاعلام الحديثة ، ذات القوة الساحقة ، من سينما وصحافة واذاعة وتليفزيون . وهنا ايضا من السهل ان نلاحظ قيمة هذا العنصر ، اذا تذكرنا ما حققته اسرائيل من نتائج ، بسبب تأثيرها على اجهزة الاعلام في الخارج ، وكسبها للرأى العام العالمى خلال فترة طويلة ، قبل ان يتنبه العرب الى خطورة هذا السلاح وقيمته ...

الاوبيك !

● وقد وجد الباحثون والمفكرون ما وصفوه بانه نوع جديد تماما من انواع « القوة » لم يسبق له مثيل خلال التاريخ الانساني كله . وهو ليس موجودا حتى اليوم الا في حالة واحدة فقط : هي دول منظمة « الاوبيك » او منظمة الدول المصدرة للبترول .

نحن هنا نواجه نموذجا جديدا تماما : دول تفتقد معظم عناصر القوة التقليدية ـ في رأيهم ـ دول قليلة السكان ، ضعيفة عسكريا ، وغير ذات موقع استراتيجي هام . ولكن تكوين الكرة الارضية اعطاها ما يشبه الاحتكار لسلعة باتت اهم سلعة في العالم وهي البترول .

ولو كانت كل دولة مصدرة للبترول ، منفردة بنفسها ، لكانت قوتها اقل بكثير . ولكن قدرتها على التجمع ونجاحها فيه ، جعلها ذات نفوذ عالمي من نوع خاص .

فهي تستطيع بقرار منها ان ترفع اسعار كل شيء في العالم او تخفضها . اى ان اثر قراراتها يصل الى كل بيت وليس الى كل دولة فحسب . والدول العربية منها متقاربة جغرافيا ، ولها قضايا سياسية مشتركة ازاء العالم ، وبالتالي فهي قادرة على استخدام البترول كسلاح سياسي مباشر . وقد حدث هذا بالفعل بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وبعد ان كانت الشركات العملاقة ، المتعددة الجنسيات ، تملي شروطها على دول البترول ، انعكست الاية تماما .

ـضرب الخبير « جون كامبل » مثلا بالتأثير السياسي . اذ يذكر كيف ان الدول الاكثر اعتمادا على البترول العربي ـ اليابان وغرب اوروبا ـ هرولوا ساعة الحظر الى محاولـة انقـاذ علاقاتهم . وكان هذا موضع خلاف شديد بين هذه الدول وحليفتهم الأسـاسية . الـولايات المتحدة الامريكية ..

وحتى الان ـ يقول جون كامبل ـ نجد ان هذه الدول الاكثر اعتمادا على البترول العربي ، ان لم تأخذ خط السياسة العربية تماما ، بسبب وجود الولايات المتحدة ، الا انها على الاقل مضطرة « لمجاراة » العرب احيانا ، او على الاقل « مداراتهم » حتى لا تتدهور الامور الى وضع خطر .

وقد كان ممكنا ان تفعل دول اخرى ما فعلته دول البترول : اى ان تظهر « اوبيك » تضم الدول المنتجة للفوسفات ، وهكذا بالنسبة للسلع الاخرى الأساسية .

ولو ان تلك الدول المنتجة للخامات تمكنت من عمل تكتلات مثل تكتل دول البترول ، لتغيرت موازين القوى في العالم كله ، ولاصبحت الدول الفقيرة المنتجة للخامات في وضع قوى جدا ، ازاء الدول الصناعية المتقدمة ، المستهلكة لمعظم خامات العالم ..

ولكن هذا لم يحدث الى الان . ربما لان السلع الاخرى ليس لها اهمية البترول . ولكن من يخطط للمستقبل عليه ان يضع في حسابه هذا الاحتمال ..

البعد الداخلي

يأتي بعد ذلك عنصر من عناصر القوة ، ربما كان اقدم العناصر ، والكثيرون يعتقدون انه أهم عناصر القوة .

ذلك هو : البعد الداخلي ... اى الظروف الداخلية لاى دولة تريد ان تكون ذات قوة ما في الحياة الدولية ..

فكل العناصر السابقة .. من مال او سلاح او صناعة او اقتصاد .. انما هي في النهاية اسلحة في يد الدولة او المجتمع الذي يملكها ...

فهي كلها ـ مجتمعة او متفرقة ـ بمثابة السيف . وكما انه من المهم ان يكون سيفا قاطعا فانه من الاهم ان تكون « اليد » التي تمسك بهذا السيف ثابتة ...

فقد رأينا ـ مثلا ـ امبراطوريات اعرق واكثر حضارة وانتاجية وقوة عسكرية .. تنهار امام

المد الاسلامي ، البسيط ، القادم من صحراء فقيرة .. ذلك ان هذه الامبراطوريات كانت قد شاخت ، ودبت فيها عوامل الانحلال . فانهزمت رغم قوتها امام قوة اضعف منها في كل شيء الا في طاقة الايمان ، والاقتناع ، وقوة الاندفاع .

ونفس الشيء حدث للامبراطورية الاسلامية .. عندما وصلت الى ذروة حضارتها ، ثم دبت فيها عوامل الانحلال ، فصارت تتساقط قطرا بعد قطر ، امام زحف اوروبا الجديدة . التي استردت شبابها .

وشروط « الوضع الداخلي » لاى بلد ، كثيرة ، وفي تقديري انها معروفة لاي قارىء

ولكن ذلك الحوار توصل الى ان هناك شرطين أساسيين ، لاغنى عن وجودهما قط ، حتى يصبح المجتمع مجتمعا قويا ، والدولة دولة قوة ...

بلهارسيا الامية

الشرط الاول هو التعليم

والشرط الثاني هو الاطار السياسي والاجتماعي

بالنسبة للشرط الاول ، فهو بالفعل شرط بديهي ، فقد دانت الدنيا في عصرنا هذا بالذات للعلم . والعلم ليس بمعنى العلوم التطبيقية وحدها ـ الكيمياء والطبيعة والهندسة والذرة ـ ولكن العلم بمعنى الاخذ بالاسلوب العلمي ، من اكبر الامور الى أصغرها ، وهذا لايتوفر الا بوجود قاعدة واسعة « متعلمة » .

وغياب هذا العنصر ، من أقتل الاشياء للقوة العربية الممكنة ..

ان وجود نسبة من الامية تدور حول ٧٠٪ في العالم العربي بوجه عام ، امر لم يعد مقبولا وعبء على كاهل الامة العربية يفترس حيويتها ، كما تفترس الامراض المتوطنة جسد الانسان

ولو وضعنا تاريخا مقبولا في معظم الحالات .. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ثم توالى حصول الدول العربية على استقلالها ، نجد ان دول الاستقلال قد ضيعت ربع قرن من الزمان ، دون ان تختفي الامية او حتى تقل بدرجة ملحوظة . انما نكاد نلهث لملاحقة عدم زيادة النسبة مع تزايد عدد السكان .

وقد اخذت قضية الامية في نظرنا مأخذ الترف . او الشيء الذي لا حل له . وهذا غير صحيح . اذا اطلعنا على تجارب بلاد اخرى ...

.. الى الصاروخ في الحرب .. تتضاعف قيمة أي أداة بمدى تعلم
مع أدوات العصر ...

ات الكبرى التي يحتاج اليها العالم العربي وبغيرها لا يمكن
وة .

نفصام الشخصية العربية ، هو وجود فئة متعلمة مثقفة .. وفئة
ر الذي يجعل الحوار في داخل الامة « حوار طرشان » و ينتج تمزقات
، والاهداف والمثل العليا .

الانسجام الاجتماعي

لاطار السياسي الاجتماعي السليم ، القوي المرن في نفس الوقت ،

اي مفكر غربي مدى توفر هذا الشرط هو . مقياس الديمقراطية

ليم : فالشعب الذي يستطيع ان يحقق الاستقرار مع توفر
الذي يمكن ان يقال عنه انه شعب منسجم مع نفسه ، قد تعمقت

ة صورة واحدة للديمقراطية وحرية الرأي ، منقولة حرفيا من عالم

ر هذين العنصرين ، بشكل ينسجم مع تقاليد وقيم كل شعب ،

ى في كثير من بلادنا العربية ..

ينقصنا ونحن محرومون منه .

ة التي يملكها شعب ، اذا استطاع بمحو الامية ونشر الثقافة
، ان يشارك كل الشعب - وليست فئة قليلة منه - في الحوار
ى كل امة ، صاعدة ، ناهضة ، تنوي حقا ان تهزم مشكلاتها وان
وة . ■■

احمد بهاء الدين

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

هذه اشارات بالغة الاهمية، تضمنها سياق الآيات في القرآن الكريم . قد نمر عليها سراعاولا نلتفت آلى ما تعكســه من فكر ومـا تطرحه مـن قضاياحيوية ، وثيقة الصلت ببنـاء المجتمع وحركته .

بالتخطيط لا بانتظار المفاجآت

(انا كل شيء خلقناه بقدر : القمر ٤٩) ..

وهكذا فانه ما من شيء في بنيان الكون ، وتركيب العالم والحياة .. يخضع للصدفة .. من اصغر شيء فيه يغور في الطوايا التي لاتراها العيون : نيوترونات وبروتونات والكترونات .. وجينات وكروموسومات . وحتى السدم والنجوم والمجموعات الشمسية الهائلة والمجرات المنتشرة عبر مساحات لايحيط بها خيال انسان !!

كل شيء يجد نفسه مضبوطا ضمن ارادة الله، وعلمه ، وتخطيطه ، للخلق والصيرورة والمصير . انها رياضيات الابداع الالهي التي تحكم سنن الكون والحياة .. فلا تند ولاتطغى . ومن خلال هـذه الحقيقة الكبيرة ، المعجزة ، يريد القرآن الكريم ان يعلمنا شيئا آخر : الا نتحرك في تجربتنا البشرية عبر العالم فوضى وعلى غير هدى .. الا نخطو خطوةواحدةتبني احتمالات نجاحها او فشلها على الصدفة .. ان نتجاوز هذا الموقف السلبي الى الايجاب الذي يليق بحجم الانسان وكرامة الانسان كخليفة لله على الارض ..

التخطيط ، ذلك هو ما يتطلبه منا الموقف . التخطيط الذي هو نقيض الارتجال ، والفوضى ، والتخبط ، وانتظـار احتمـالات الصـدفة ، وعطف الحظوظ ، وتكشف المفاجآت ..

بهذا المعنى .. لاحظوظ ولا مفاجآت .. (من يعمل سوءا يجز به : النساء ١٢٣) .. وليس وراء هذه المعـادلة الواضحة البينة من مصدر ..

وعندما دهش المسلمون لهزيمتهم في معركة احد اجابهم القرآن الكريم بالصراحة نفسها : (أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند انفسكم : آل عمران ١٦٥)

لم يلتزموا الخطط المدروسة المبرمجة ، التي رسمها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام .. فهزموا ..

ان دقة البنـاء الكوني ، وحبكـة الانشاء المعجزة .. وتنظيم السموات والارض . تعلم

المـ دائما ، وهو خليفة الله فى العالم ويـده الو- ، ان عليه ، اذا ما اراد ابداع حيـاه طيبه ، سعيدة جديرة بان نحيـا ، ان يلتزم المخـاطـ ، ويتجاوز الفوضى والارتجال ..

ان هذا المعنى الكبير يكمن وراء انتصارات الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، واختزالهم المدهش لحيثيات الزمن والمكان ، وضرورات التاريخ ، وهم بصدد حقيق متطلبات خلافتهم فى الارض .. ووراء تلك المعطيات الحضارية الباهرة التى انحنى لهـا الباحثون فى الشرق والغرب .. وانه كذلك وراء نهوض المسلمين فى اعقاب كل كبوة او هزيمه لحقت بهم على مدار التاريخ .. ولن ينهضـوا من كبوتهم المعاصرة الا باعتماد المبدا نفسـه . المبدأ ، المستمد من جوهـر الايمان بالله .. لخالق .. المدبر ..

وليس ما يقال ، وراء هذه الحقيقة ، من ان الدين يعلم الانسان الاتكال على الصدف ، والحظوظ وانتظـار المفاجآت .. بدى بـال .. وهو اتفه من ان تدور حوله المناقشات !!!

المنفيون من ساحة العلم

(عالم الغيب والشهادة ..)

وما اكثر الحقائق التى تبدو لحواسنا وعقولنا ظواهرها ، اما البواطن فهي مغيبة ، ولكنها مع ذلك جزء من الحقيقة لاتنفصل عنها ..

ان الغيب والشهادة أشـبه ــ اذا صـحت الاستعارة ــ بعملة ذات وجهين ، ليس بمقـدور احد ان يفصل احدهما عن الاخر والا فقدت العمله شكلها وقيمتها .. والفرق هو ان العملة نرى وجهاها اما الحقيقة فقد يرى وجهها الاخر وقد لا يرى .. ومع ذلك فهـو (وجـــود) حقيقي لا يقل ثقلا من الوجه المنظور .. ان لم يفقه بكثير .. ان الغيب أشبه بالبطانة غـير المرئيه للشهادة .. أشـبه ببعدها العميق الذى يغور بعيدا عن احاطة الحواس ..

.. من شهادة مجردة .. انها بشكل او اخـر تجسيد لحقيقة مغيبة .. وان التشبث بالشهادة لا يعدو ان يكون نوعا من العلم المبتور .. نوعا من لامية بحقائق الاشياء .. ولقد حكم القرآن ... والضلال على اولئك الجاهلين الماديين الذين اتهموا الدعوة الجديده باعتماد السحر ، لانه جاء بما لم تالفه معطياتهم الحسية الناقصة الرتيبة فقال « افسحر هذا ام آنتم لا تبصرون الطور ١٥ » .. ودعاهم بذلك بل تحداهم ان يتخلوا عن اسلوب الابهام الباطل الرخيص الذى لا يقوم على الحق الى التبصر بالحقائق لكي يلموا بابعادها الشاملة قبل ان يصدروا عليها حكما اسوة بما يفعله الماديون المعاصرون حذوك النعل بالنعل .

فهاهم بعض المثقفين منهم يتهمون كل من يؤمن بالوجه الاخر للحقيقة ، ويعلن اقراره بالغيب ، يتهمونه باللاعلمية ــ وفى احدى المحاضرات عن فلسفة توينبى الحضارية اتهم الرجل من قبـل احد الاساتذة باللاعقلانية .. !! لانه حلق بفلسفته فى السماوات وتحدث عن أمور غيبية لا تمسك بها الحواس ..

نرى . . اذا حدث وان تغزل انسان بضـوء الشمس ونادى اشعتها البيضاء قائلا : (يا من تضمين جوانحك علـى الاحمر والاخضر) .. انخرجه مقولته تلك عن حدود العقل ، والتبصر لانه لا يتكلم عما تراه العيون ؟ .

ابدا ــ بل بالعكس ــ .. انه اكثر عقلانية بالمفهوم الواسع الذى يتجاوز بـه العقـل اسر الحواس الى ما وراءها ، ويغادر دائرة المنظور القريب الى المنظور الابعد الـذى يقره العلـم المختبرى وتؤكده الدراسات التجريبية رغم نايه المباشر عن الحواس ..

ان الحديث عن الحقيقة ليس امرا بسـيطا سهلا ، كما أنه ليس حكرا على الذين اسرتهم ظواهر الاشياء المادية فحرنوا عنـدها ورفضـوا تجاوزها الى الاعماق .. والذين يقفون دائمـا هناك هم عدد من الفلاسفة الظنيين الذين لـم يحلوا معادلة رياضية واحدة ولم يدخلوا مختبرا .. امـا العلمـاء الذيـن عاشـوا فى المختبر ، واستخدموا لغـة الرياضـيات لفـك الطـلاسم والرموز ، فانهم على النقيض . اخترقوا قشرة الظواهر والاشياء الى بطانتها وتوغلوا الى العمق .. وحدثونا ، وهم يحاولون هناك ، عن تهافت المـادية ، وتفتت الصـلابة وخداع الحواس ، وتكلموا عن الطاقة والحركة .. وتجاوزوا ذلك وقالوا بمـا يشبه التواجـد الواعى فى قلـب الذرة .. وبالغيب الذى يصعب حصره والتعامل

التهاني معه .. معترفين ، بذلك بان الاحاطة التامة بالجانب الاخر للحقائق ، الجانب المغيب ، ليس في طاقة انسان ..

وتبقى الحقائق ، تحمل دوما وجهيها .. الشهادة والغيب .. ولهذا يقرن القرآن الكريم في اكثر من موضع هذين البعدين وهو يتحدث من علم الله المحيط بكل شيء ..

اما الذين آثروا ان يقفوا عند الاعتاب ، ولا يجراون على تجاوز القشور الى العالم الداخلي للظواهر والاشياء .. فانهم آثروا أن ينفوا ليس فقط من ساحة الدين .. ولكن .. من ساحة العلم ايضا .. !

ليس بالاشياء تحيا المجتمعات

(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا : مريم ٧٤)

انه ما من عصر كالقرن العشرين هذا يمكن ان يجسد امام وعينا ابعاد هذه الاية القرآنية الكريمة الموجزة .. انه حقا قرن الاثاث .. والرئي . قرن التكاثر الشيئي والتسابق في المقتنيات والتطاول في البنيان .. القرن الذي غدا فيه الاعلان عن (الاشياء) علما له اصوله ومناهجه .. وغدت احاديث الناس في المجتمعات اليومية تنصب في معظمها على التزود بالحاجيات المستجدة وملاحقتها واصطيادها والتباهي بتكديسها في غرف البيوت وصالاتها حتى ولو لم يكن وراءها ايما منفعة ..

القرن الذي اصبح الناس فيه ينفقون اكثر دخلهم على المظاهر المادية التي يعتقدون انها تمنحهم وجاهة اكثر وتشبع في انفسهم حاجات اعمق .. المظاهر في ملابسهم والمظاهر في مراكبهم .. والمظاهر في واجهات دورهم وعماراتهم .. حتى لقد غدا (الديكور) هو الاخر ، علما له اصوله ومناهجه ... يتهافت الناس على اصحابه من اجل ان يبدوا احسن اثاثا ورئيا !!

ان التقدم التكنولوجي ، بل النمو الذي تشهده (المدنية) عموما ، اي الجانب المادي من الحياة ليس سوى تراكم شيء .. تكديس الاثاث بعضه فوق بعض .. ولم يكن بمقدور الاثاث يوما ، مهما كان نظيفا لامعا جميلا متقدما ومتقنا .. ان يقف بمواجهة المصير .. ان يخلص امة لم تحسن التعامل مع القيم التي هي اكبر من الاشياء والاثاث والديكورات .. يخلصها من مصائرها المفجعة .. من الهلاك النفسي والاخلاقي والصحي والاجتماعي والادبي الذي يقتحم عليها جدرانها الشيئية كالطاعون ، ويكتسحها وأثاثها ورواءها الخارجي من مسرح التاريخ ..

وبصيغة اخرى يحدثنا القرآن عن هذه المأساة كما اعتاد ان يحدثنا عن كل قضية خطيرة من اكثر من زاوية ، فيطرح هذا النذير (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام ، حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس : يونس ٢٤) .

فها هنا ايضا يطرح القرآن النذير بصيغة عكسية بين استكمال الزينة الخارجية .. زينة الاثاث والاشياء والديكورات .. وبين الدمار الحضاري الشامل الذي يصيب امة ما انصرفت بكليتها الى القشور ، ولم تحسن ، بل لم تعرف كيف تتعامل مع الجواهر والاصول .

ولم تكن الحضارة في يوم ما مجرد تراكم في الاثاث وتكاثر في الاموال .. انه بدون معامل القيم ، وشدها ، ومؤشراتها ، لن يكون بمقدور هذا الحشد المفكك من المقتنيات أن يصنع شيئا ..

من اجل ذلك يطلق كبار المفكرين والفنانين المعاصرين نذرهم ضد هذا التكاثر المخيف الذي تختنق معه الرؤية الانسانية ويضيع بين اكداسه الانسان..انه يتزايد وفق توالي هندسي..فالقطعة الواحدة تغدو قطعتين ، والاثنتان تغدوان اربعة .. وهكذا .. تزداد عزلة الانسان يوما بعد يوم ، ويزداد حصاره .. ولن يكون الحصاد سائغ الشراب .. وصدق الله العظيم (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) ...

ليضع عنهم اصرهم والاغلال

(قل : لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا

او ... خنزير ، فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان ربك غفور رحيم ، الانعام ١٤٥ ..

يؤ... الصدق الرباني الذي علمنا اياه الاسلام ، يحدثنا كتاب الله على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عن مسألة يومية تتعلق بالطعام والشراب بلمسات واقعية ، سمحة ، ترفض الدجل الديني الذي مارسه البعض .

(لا اجد فيما أوحى الى محرما على طاعم ..) بهذا الاطلاق السمح الذي يرفض القيود والتعقيدات والتضييق على الناس .. ويفتح امامهم – بدلا من ذلك – طريق الحياة السوى عريضا .. واسعا .. ممتدا ..

ان القاعدة هي الاطلاق .. واما التحريم فهو مجرد استثناءات محدودة وضعت لصالح الانسان نفسه .. وفرق بين استثناء محدد يجيء لصالح الانسان بعلم من الله وبين حشد من الاغلال والتحريمات يريد مرتزقة الدين أن يطوقوا بها اتباعهم لكي يزيدوهم ذلة وخضوعا ..

وفي دوائر اخرى يمارس المرتزقة لعبة مكشوفة ولكنها تمر عليهم الكثير . انهم بتضييقهم الخناق على اتباعهم .. بتجهيلهم والالغاز عليهم .. بتجويعهم وافقارهم باخضاعهم واذلالهم بوضع بتجويعهم وافقارهم باخضاعهم واذلالهم ، بوضع القيود والاغلال في ايديهم وارجلهم ، يضمنون عبوديتهم المطلقة والكسب الحرام الذي هو مردود هذه العبودية ..

ولقد جاء الاسلام السمح في الوقت المناسب تماما . جاء لكي يكسر الحلقة المفرغة ويدمر على المرتزقة مواقعهم ويوقف لعبتهم المرذولة ويحرر المستعبدين من ربق الاوهام والخرافات التي اذلتهم طويلا (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم : الاعراف ١٥٧) .

وفي كثير من الايات يؤكد القرآن الكريم رفضه للتحريمات المصطنعة ، واطلاقه حرية الممارسة الضرورية ، في اصولها المعقولة : ماكلا وملبسا وا... باعا جنسيا ، بما يوازي حجم انسان و... تم ضروراته لا افراط ولا تفريط (يا ايها الذ... ن آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله أن كنتم اياه تعبدون : البقرة ١٧٢) ..

(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين .. قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة : الاعراف ٣١-٣٢؛ (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه : آل عمران ٩٣) .

وفي كثير من الايات يسخر القرآن الكريم باسلوبه الذي يرسم الصور ويجسد المواقف من اضاليل كهنة الدين ومرتزقته ، ويكشف الهدف الحقيقي الذي يكمن وراء هذه الاضاليل:

(وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله : الانعام ١٤٠) (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا . فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون: الانعام ١٣٦) (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها .. ، وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم : الانعام ١٣٨/١٣٩) .

(ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين . قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين ، نبئوني بعلم ان كنتم صادقين : الانعام ١٤٣) .

ولكن ، اذا كان القرآن الكريم يرفض هذا الافراط المتمثل باغلال المرتزقة وتحريماتهم التي ما انزل الله بها من سلطان ، وكبتهم لضرورات الانسان وانشطته الحيوية .. فانه في المقابل يرفض اي تفريط يقود الى الاسراف في التعامل مع هذه الضرورات : ماكلا ، وملبسا وجنسا ، بما يتجاوز حجم مطاليبها المعقولة الى نوع من البذر والاستنزاف . ويؤدي ليس فقط الى تدمير الانسان المفرط ، المسرف .. بل الى تدمير المجتمع البشري باسره .. المجتمع الذي يسمح للتفريط بان يكون ممارسته اليومية .

والايات القرآنية كثيرة في هذا المجال وشواهد التاريخ كثيرة هي الاخرى ... ■■

الموصل — د. عماد الدين خليل

كوكب المشتري هو خامس كواكب المجموعة الشمسية في تسلسل البعد عن الشمس ، التي تعتبر بمثابة الام التي تجذب اليها تسعة أبناء ، تدين لها بولاء الجاذبية وتدور حولها في حركة دائبة .

ورغم ام هذه الكواكب التسعة تكون مع الشمس أسرة اصطلح على تسميتها « المجموعة الشمسية » ، الا أن هناك فارقا جوهريا بين طبيعة تكوين أم هذه الاسرة أي (الشمس) ، وبين أبنائها الكواكب .

فالام أتون متقد تنبعث منه الحرارة والاضواء ، أما الابناء فاجسام باردة ، جمدت سطوحها ، وتقلصت تربتها وأصبحت تشكل من الصخور والأتربة الهامدة .وان كانت تختفي تحت هذه السطوح نيران متأججة ، تشكل جوفا سائلا ملتهبا لباطن هذه الكواكب .

وكشأن كل الأسر تتفاوت الكواكب من حيث القطر وبالتالي الحجم وكثافة المادة والوزن وان كان أغلبها كرويا أو قريبا من الكروى من حيث الشكل واذا أخذنا كوكب الأرض كمقياس تنسب اليه هذه الا جام

✱ عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس .

لى عرش الحجم ، فهو
ق قطر كوكب الأرض
يبلغ قدر حجم الأرض
ذا الحجم كوكب آخر .
تري يبعد عن الشمس
ن كيلو متر لأنه يتخذ
مدارا بيضاويا تقع
دورته الكاملة حول
ى عشرة سنة أرضية
ة ، ٣١٣ يوما وهذا ما
« عام) الكوكب . أما
، حول نفسه فلا تجاوز
ليتنا الأرضي .

يتفرد به كوكب المشتري
ماجه بمقدار $\frac{١}{١٧}$ من
كما أنه يجذب اليه عددا
ل عددها (١٢) اثنى
ب كذلك في اجتذاب

ولهذه الأقمار الاثنى عشر ـ والتي أصبح مشكوكا أن يصل عددها الى أربعة عشر ـ روعة خاصة عند رصدها بواسطة التلسكوبات الفلكية خاصة وأنها متساوية في الحجم . ولقد كان جاليليو أول من رصد هذه الأقمار وسمى أربعة منها عام ١٩١٠ . ورغم أنها أقمار تابعة في دورانها لهذا الكوكب الضخم ، الا أن أحجام بعضها يقرب من حجم الأرض .

ويزيد من تعقد تصور حركة هذه الأقمار حول الكوكب أن بعضها يدور حوله في اتجاهات مخالفة للاتجاهات الأخرى . فكأنها تشكل مجتمعة حول الكوكب مجموعة شمسية مستقلة .

في البدء كانت « بيونير »

أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أولى سفنها لاستكشاف كوكب المشتري في فبراير ١٩٧٢ وكانت تحمل اسم « بيونير ـ ١٠ » وقد ظلت السفينة تتحرك في الفضاء نحو الكوكب ما يقرب من ٢٢ شهرا حتى اتخذت لنفسها مدارا حوله بين ١٠٠ ، ١٦٠ ألف كيلو متر .

وكان الهدف الرئيسي منها هو التقاط صور لسطحه بالاضافة الى قياس الاشعاعات البيكوكبية (التي بين الكواكب) .

وكانت السفينة تحمل عديدا من الأجهزة العلمية ضمن وزنها الذي بلغ ٢٧٠٠ كيلو جراما ، من أهمها أجهزة التصوير التي أرسلت الى الأرض صوراً واضحة عن سطح الكوكب وعن أسطح أقماره الاثنى عشر التي تدور حوله . ولقد استحدث استخدام وحدات نظائر كهرو ـ حرارية تعمل بالطاقة النووية لامداد السفينة « بيونير » بالقدرة اللازمة لتشغيل أجهزتها .

وكان على متن السفينة رسالة صامتة من أهل الأرض الى أي عقلاء يمكن أن يكونوا فوق سطح المشتري ، تتمثل في لوحة معدنية منقوش عليها رسم يعبر عن ذكر وانثى تسطع من خلفها أشعة الشمس ، مع سهم يشير الى انتقال سفينة فضاء من دائرة تحتل المركز الثالث بين تسع دوائر تمثل الكواكب الى دائرة أخرى أكبر منها تحتل المركز الخامس . وكأن ذلك تعبيرا عن انتقال سفينة الفضاء من كوكب الأرض ذات المركز الثالث في تسلسل البعد عن الشمس ، الى المشتري الذي يحتل المركز الخامس في هذا التسلسل .

ولقد حملت الرسالة الى سطح الكوكب مظلة انفصلت عن السفينة وحطت على سطح الكوكب برفق اعتمادا على أن لغة التخاطب هي الرسم ، التي يمكن أن يتفهمها أي عقلاء على سطح الكوكب .

ولقد كان السبب الرئيسي في اطلاق الولايات المتحدة الامريكية للسفينة « بيونير ـ ١٠ » عام ١٩٧٢ هو تخير الوقت المناسب لتفادي حزام « الكويكبات » أو الأحجار الكونية الذي يحتل المدار بين كوكبي المريخ والمشتري حتى لا تتعرض للاصطدام بها .

ولقد أمدت صور « بيونير ـ ١٠ » العلماء بصور عديدة عن سطح المشتري ، ساهمت في فض المجهول عنه . وكان من أبرز ما استخلصوه وجود بقع كبيرة المساحة تتحرك فوق سطحه في حركة سريعة ، وتتفاوت ألوانها بين اللون الأحمر والأصفر والبني . ولقد كان من الممكن رصد هذه البقع بواسطة المحطات الأرضية وهي تقطع قرص الكوكب المرئي خلال خمس سا . ولكن لم يكن لدى الفلكيين أية دراية عن طبيعتها وبعد ذلك تكررت عملية استكشاف كوكب المشتـ ي وزحل باطلاق السفينة « بيونير ـ ١١ » لتقوم بنفس المهام

السفينة فواياجير تحقق الآمال

ولقد أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٧ سفينتين من طراز « فواياجير » (الرحالة) لغزو أربعة كواكب واحدا اثر الآخر وقد وصلت أولى السفينتين الى كوكب المشتري ، بعد رحلة طولها أكثر من ٨٠٠ مليون كيلو متر ومدتها ١٨ شهرا في الفضاء بدأت تقترب من الكوكب لتقوم بتصوير سطح الكوكب والحق يقال أن السفينة « الرحالة » هتكت بعدسات أجهزة تصويرها كل أسرار المشتري وأعطت صورها تفسيرات جديدة بددت كثيرا من المفاهيم الخاطئة لدى العلماء . ومن اهم هذه المفاهيم أن عدد الأقمار التوابع للمشتري ليس (١٢) اثنى عشر كما كان مفهوما لدى الفلكيين من قبل ، بل زاد العدد الى ١٣ أو ربما ١٤ قمرا .

والسبب في حدوث هذا اللبس في عدد الأقمار رغم أنه معروف أن بعضها يفوق الأرض في حجمه ، أنه يصعب رؤيتها بواسطة المراصد الفلكية من الأرض ، عندما يكون خلف مدارها القرص الضخم لسطح الكوكب نفسه والذي سبق أن أوضحنا أن قطره يفوق قطر بعض هذه الأقمار مئات المرات . فضلا عن أن رصد حركة هذه الأقمار يكون صعبا وسط آلاف من الفوهات الدائرية التي تنتشر على سطح الكوكب . ولقد ثبت لدى العلماء من صور السفينة « الرحالة » أنه يوجد حول الكوكب حزام يبلغ سمكه ما يقرب من ٣٥ كيلو مترا وعلى ارتفاع ٦٠ ألف كيلو متر فوق خط استواء الكوكب ، ويتكون هذا الحزام من أتربة وأحجار كونية وهذا الكشف له أهمية خاصة لأن هذا الحزام استحال على الفلكيين رؤيته خلال أى مرصد أرضي عبر ـثر من ثلاثة قرون . على عكس الحزامين اللذين يسهل ـيتها حول كوكب زحل . ويرجع الكثيرون أن يـ ـ هذا الحزام قد تكون نتيجة لتفكك أحد الأقمار الكث التي
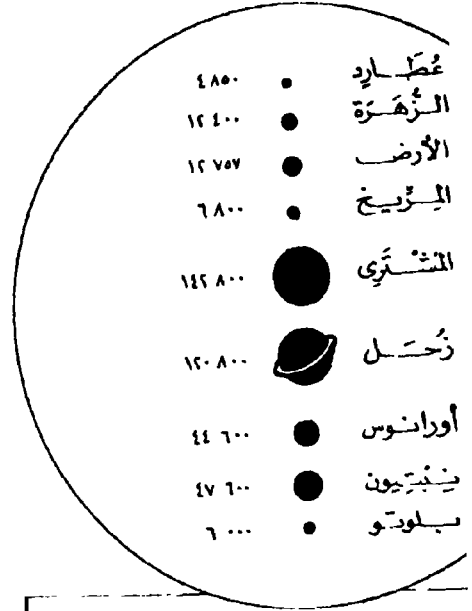
● كوكب المشترى يكشف عن اسراره

لصور التي أخذت
نى عشر ، سطوح
، يتوفر لأي أجهزة
ـ الندوب والحفر
ـها وتأكد أن هذه
، سطح هذه الأقمار
ة فيها في فجر عصر
البراكين الحية على
، للمشتري المعروف
ـرى آثار عمليات
غرافية لبعض هذه
، و « كاليستو » .

ـا » سلسلة جبال
ـتر وحولها كثير من

سر المنطقة الحمراء

ولقد أجرت السفينة « فواياجير » قياسات بأجهزة جديدة لجو كوكب المشتري وقد تبين أن بعض الألوان التي وضحت في صور السفينتين (بيونير ـ ١٠ ، ١١) قد تحولت من اللون الاحمر الى اللون البني . وكانت هناك منطقة في جو الكوكب أطلق عليها الفلكيون اسم « المنطقة الحمراء » وهي تكبر الكرة الأرضية أكثر من ثلاث مرات وقد ثبت من صور السفينة « فواياجير » أن هذه المنطقة تمثل عاصفة دائمة تتحرك فيها الرياح في حركة حلزونية متمركزة فيا يشبه الأعاصير العاتية التي تهب على الأرض ، وتتمركز حول بؤرة تعرف باسم « عين الاعصار » . ذلك أن سرعة الرياح التي رصدت في هذه المنطقة تعتبر بالنسبة لنا على الأرض رياحا مدمرة لأنها لا تقل عن ٤٠٠ كيلو متر في الساعة لكنها ليست رياحا

كتلك التي نعهدها على الأرض والتي تحرك كتلا من الهواء ، بل قوامها غازات الهيليوم والنشادر والهيدروجين وبعض من بخار الماء ، وكلها في حالة فوران متقد يدور في دوامات حلزونية . ويقدر العلماء أن هذه المنطقة الحمراء لا يمكن أن يكون عمرها أقل من ثلاثة قرون . والى جانب هذه القياسات في جو المشتري سجلت أجهزة السفينة قياسات أخرى عن الاشاعات التي يتعرض لها الكوكب وأقماره والتي تؤثر على طبوغرافية ولون سطحه ومن أهمها الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية .

احتمالات الحياة على المشتري

على ضوء الثروة الضخمة التي وضعتها صور السفينة الرحالة « فواياجير » بين أيدي علماء الكونيات أصبحت صور الحياة المحتملة على كوكب المشتري غير محتملة بشكل شبه مؤكد . فقد كانت الافتراضات القديمة تقوم على أن البقعة الحمراء والسحب الملونة التي تظهر في المراصد الفلكية على سطح هذا الكوكب قد تخفي وراءها ظروفا ملائمة لصورة من صور الحياة . وسرح الخيال العلمي لدى بعض الروائيين فمزجوا العلم بالأدب ونسجوا قصصا عن مخلوقات غريبة الشكل والتكوين يمكن أن تسكن هذه المحيطات الهائلة على سطح الكوكب . واعتمد الروائيون في ذلك على تصوير تكوين هذه المخلوقات بحيث تكون شيئا ما بين الهواء الشفاف والمادة السائلة ، وتزعم هذا الاتجاه الافتراضي العالم الأمريكي « كارل ساجان » الأستاذ بجامعة كرونول وافترض أن يكون اللون المائل للاحمر الذي يشاهد على المشتري ربما يكون مادة عضوية وقد تكون هي الأساس الكيميائي للحياة .

وقد أجرى دكتور ساجان تجارب معملية على غازات تحاكي الغازات التي في جو المشتري ، وعندما عرض هذا الغاز للاشعة فوق البنفسجية لمدة ٤٠٠ ساعة متواصلة تكونت مواد عضوية ، وتخلف عنها فضلات مركبة تبين له أنها تشبه الى حد كبير تكوين البقعة الحمراء التي على المشتري . غير أن التحليل أثبت بعد ذلك أن هذه النواتج مركبات كبريتية أكثر منها مواد كيميائية .

وحاول عالم امريكي آخر هو دكتور لو ن الأستاذ بمعهد ماساسوتش ومع افتراضات رياضية ـلغة القلو عن كميات الضوء الصادرة من الشمس ، ومن البرق ومن الصدمات الكهربائية والتي تحدث في حو المشتري وانطلق من ذلك الى تقدير كمية المواد العضوية التي يمكن أن تتكون عليه ، وخلص الى أن كمية ضئيلة جدا من المواد العضوية يمكن تخليفها على كوكب المشتري . ولقد أكدت صور السفينة « فواياجير » ـ ١ » من الفحص المبدئي لها أن صور الحياة على هذا الكوكب تبدو مستحيلة . ولكن الكلمة قد تتقرر بعد عدة شهور عندما يكتمل تفسير ما تجمع من آلاف الصور أمام لفيف العلماء الذين استقبلوها في المحطة الارضية لمتابعة السفينة والموجودة في بلدة باسادينا الأميركية . وسوف تكتمل هذه الصور عندما يتوالى ارسال صور أخرى من السفينة الثانية « فواياجير ـ ٢ » التي ستصل الى المشتري بعد شهور قليلة لفض مزيد من الغموض عن هذا الكوكب .

الخطوات التالية

بعد أن قامت السفينة الرحالة « فواياجير ـ ١ » بالتقاط آلاف الصور ، وأصبحت هذه الثروة بين أيدي العلماء لاعطاء المزيد من التفسيرات الجديدة لها ، وجهت السفينة بعيدا عن كوكب المشتري لتكمل رحلتها ميممة وجهها شطر الكوكب التالي زحل . ومن المقرر أن تبلغه في نوفمبر عام ١٩٨٠لتقوم بنفس المهام معه . غير أن السفينة التالية « فواياجير ـ ٢ » ستكون في طريقها من جديد الى كوكب المشتري لالتقاط مزيد من الصور ، ولا شك أن العلماء يركزون على محاولة جمع المزيد من المعلومات عن الحزام الذي اكتشف أخيرا حول المشتري .

وهكذا تمضي الجهود تباعا في كسر حلقات المجهول ، عن جاراتنا كوكب المجموعة الشمسية ، في محاولة للوصول الى اجابة شافية للسؤال الذي يحيرنا منذ الأول ، هل نحن سكان هذا الكون وحدنا ؟ ■■

م . سعد . ىبان

أقوال معاصرة

■ الشيطان يحاول الان ان يفسد ما حققته الثورة الايرانية ، ويجب ان نطارده ونستبعده .

الامام آية الله الخميني

الخميني

■ دبلوماسية القوة والزوارق العسكرية لم تعد سياسة حكيمة من جانب الدول الكبرى ، فضلا عن انها مرفوضة تماما .

الشيخ سعد العبدالله

ولي العهد ورئيس وزراء الكويت .

■ ستكون « دولة لبنان الحر » هي الدرع الواقي لاسرائيل !

الرائد سعد حداد

في حديث مع تلفزيون العدو .

الشيخ سعد

■ على الامريكان ان يفهموا انه اذا لم يكن هناك حل شامل في المنطقة ، فان مصالحهم كلها ستصبح مهددة ، وهم يحرقون حتى اصدقاءهم دون ان يدروا .

المفكر الفرنسي كلود بورديه .

■ ان الضفة الغربية وقطاع غزة هما جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل .. ولن تكون ابدا دولة فلسطينية ولن يكون هناك انتقاد لسياسة اسرائيل في مناطق الحكم الذاتي .

حاييم لاندو ـ وزير المواصلات الاسرائيلي

■ واهمون اولئك الذين يطالبوننا بالحياد لان انحيازنا الى الولايات المتحدة الامريكية موقف لا بديل عنه .

الرئيس الفلبيني فردناند ماركوس

ماركوس

■ يجب الا يعامل صديق للولايات المتحدة منذ ٣٧ سنة كشاه ايران ، مثل الهولندي الطائر الذي لا يستطيع ان يجد مرفا يرسو فيه .

هنري كيسنجر

وزير خارجية امريكا السابق

■ المهم ان يحصل الفلسطينيون على حق تقرير المصير ، وبعد ذلك سيقررون كل شيء بشأن مصيرهم .

شفيق الحوت

ـ مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين ـ بيروت .

■ لقد كرهت نفسي والحياة ، لانني لا استطيع الصعود الى الباص ، كل ذلك لانني اتخذت قرارا بالدفاع عن وطني ، وخضت الحرب في فيتنام .

جون لانكستر ـ رئيس رابطة المشوهين الامريكيين .

كيسنجر

الحرب تطبيقات نظرية

شهدت منطقة الشرق الاوسط خلال الشهور القليلة الاخيرة عديدا من الحروب « المحدودة » . واستخدم تعبير حرب محدودة لانه هكذا يطلق عليها السياسيون وعلماء السياسة في الدول العظمى . اذ طالما ظلت الحروب محصورة بين التوابع او بين صغار الامم فهي محدودة ، ولا يجعلها اقل محدودية ارتفاع عدد ضحاياها او الخسائر الاقتصادية الناجمة عنها .

وتختلف الحروب المحدودة عن بعضها باختلاف درجة سخونتها ونوعية وتعدد اطرافها . فهناك حروب ساخنة كالحرب بين شطري اليمن والصومال والحبشة ، وهناك حروب يجري تسخينها ـ او على الاقل لا يجري تبريدها ـ كالحرب بين الجزائر والمغرب والحرب بين مصر وليبيا . وهناك حروب بين ابناء الوطن الواحد كحرب لبنان وحرب تشاد وحرب الاكراد ، وهناك ثورات وانفعالات وتمردات في ايران وافغانستان وتركيا .

ولا يعنينا في هذا المجال حصر حالات العنف التي تسود منطقتنا العربية وهوامشها في الشرق الاوسط ، ولكن يعنينا البحث عن عناصر مشتركة توحد بين هذه الانواع المتنافرة ، علنا نجد تفسيرا منطقيا لهذه الظاهرة . وبشكل انطباعي أقدم هذه الملاحظات السريعة :

أولا : ان العالم العربي محاط ـ ولاول مرة ـ بسلسلة من بؤر التوتر والقلق وعدم الاستقرار ، ففي الشرق ثورة في ايران وافغانستان . وفي الجنوب والغرب حروب بين اوغندا وتانزانيا وبين الصومال واثيوبيا وعلاقات تتدهور بسرعة بين السودان واثيوبيا ، وحرب في [illegible] وفي الشمال قلق وتوتر في تركيا وتحرك بين اكراد [illegible] .

ثانيا : ان العالم العربي ـ ولاول مرة ايـ[illegible] يتمزق بصراعات داخلية غير محورية اي ان الحـ[illegible]

المحدودة في الوطن العربي

بقلم : جميل مطر

السائدة والصراعات القائمة تنشب بشكل لا يسمح بانشاء تكتلات عربية واسعة تحسم الصراع سلما او حربا ، بل هي من النوع الذي يؤدي الى تفتيت العمل العربي الجماعي او شبه الجماعي .

ثالثا : ان معظم اطراف الحروب والثورات السائدة في المنطقة يمارسون حروبا او اشكال عنف يصعب خضوعها لتصنيف منطقي يجمع بين الحروب ذات الاسباب العقائدية او بين الحروب ذات الاسباب الاقتصادية او غيرها من اسباب الصراع المعروفه .

رابعا : ان الصراع الاساسي في المنطقة الناشب بين العدو الصهيوني والامة العربية يتوارى وتقل درجة سخونته وينخفض الاهتمام به جهدا ووقتا مع كل حرب جديده في العالم العربي او في هوامشه .

الوفاق والحروب المحدودة

كنا كدول صغيرة في زمان الحرب الباردة وخاصة في ايزنهاور ودلاس ، نحسب ألف حساب لرد الفعل الغربي ازاء تصرفاتنا التحررية والاستقلالية ، ووجد بيننا في هذه الدول من اشفق على مصر حين تجاسرت وفرضت ارادتها على احد ممرات التجارة العالمية ، وكان رد الفعل عنيفا ودرسا قاسيا لكل من تسول له نفسه التعرض لمسارات التجارة والنفط او السماح لاعداء الغرب بمد بعض نفوذهم اليها .

ولقد كان الفهم العام لعلاقات الدولتين العظميين ان المواجهة بينهما مواجهة مصيرية للعالم كله ، اذ منذ ازمات البلقان وبرلين ظن العالم ان جميع المواجهات ستكون على هذا النمط ، الامر الذي يجعل البشرية في خطر دائم بسبب الاسلوب الذي اختطه القطبان لمواجهاتهما الدولية .

ثم كان الاتحاد السوفيتي اول من بدأ اسلوب ممارسة المواجهة عن طريق اتباعه . مكتفيا بمد هؤلاء الاتباع بالعتاد والخبراء ، بينما استمر القطب الامريكي مستخدما اسلوب الممارسة الفعلية للحرب في مواجهة الاتباع او قوى التحرر العالمي . ولاشك ان فيتنام كانت الدرس الذي اقنع الامريكيين بفائدة النظرية

السوفيتية . اذ طالما ظل نظام القطبين قائما ظل التنافس على مناطق النفوذ مستمرا ، سواء كانت علاقات القطبين يسودها التوتر كما في ايام الحرب البـاردة ، او اكتسـت بالوفاق كما هو الحادث حاليا . وحين تأكدت الولايات المتحدة ان استمرار ممارستها بنفسها حروبـا المحدودة يؤدي الى اضعاف قوتها وهيبتها وان المواجهة المباشرة كبديل آخر صارت امرا في حكم المستحيل بالنظر الى نوعية الاسلحة والصواريخ المخزونة لدى الطرفين ، لم يعد امام القطـب الامـريكي سوى الاعتـراف بفشـل سياسته والاقتناع بجدوى السياسـة السـوفيتية التـي تعتمد على حروب يمارسها الاتباع والاصدقاء .

بذلك اصبحت الحروب المحدودة جزءا من مفاوضات الوفاق وليست عنصرا من عناصر المواجهة السكرية بين القطبين ، فالوفاق كما شهدناه ـ ونشهده ـ لم يكن اتفاقا أو حدثا وانما عملية مستمرة من محـاولات ابعـاد خطـر المواجهة العسـكرية المبـاشرة عن طريق تعـدد وتنـوع المواجهة غير العسكرية وغير المباشرة ، والحروب المحدودة في مناطق اخرى غير مناطق المواجهة المباشرة (اوروبا واليابان) ، تعتبر احدى هذه المحاولات الامنة لتحقيق التنافس المشروع على مناطق النفوذ ، بشرط ان تمارسها اطراف اخرى تابعة او صديقة للقطبين المتنافسين .

مفهوم الوفاق لمناطق النفوذ

الا ان تبدل طبيعة العلاقات بين القطبين العظميين من حالة التنافس بالمواجهة خلال الحرب الباردة الى حالة التنافس بالوفاق استلزم وضع محتويات جديدة لمفاهيم سائدة ـ مفهوم الاحلاف مثـلا ـ لم يعـد يعنـي نفس الشيء لما كان يعنيه خلال الحـرب البـاردة ، بل يمـكن القول ان المساحة الاكبر من العالم خارج دائرتي القطبين صارت ارضا مفتوحة للتنافس الجديد . بمعنى اخر لم تعد هناك دولة صغيرة او منطقة باسرها محظور على القطب الاخر ان يحاول النفاذ اليها دون ان يهدد نفسه او العالم بمواجهة نووية مباشرة .

لقد اصبح من الممكن ان يشمل القطب السوفيتي بنفوذه دولة او منطقة تسيطر على ممر او خليج بالغ الاهمية من الناحية الاستراتيجية دون ان يقدم القطب [illegible]ـر على التصدي مباشرة لهذا النفوذ . وربما فسر بعض اصدقاء الغرب هذا الموقف من جانب القطب الامريكي على انه تساهل او تفريط او اهمال لحلفائه واصدقائه . بل وحدث ان القلق ساد دولا كثيرة تعتمد في امنها واستقرارها على الولايات المتحدة . ان هذا القلق ناشيء في الحقيقة عن اختلاف في الفهم لمحتوى نفس التعبير او المفهوم في السياسة الدولية . واذا صح القول فإنه يسود تخلف عام لدى معظم الدول النامية في هذا النـاحية ، اذ لا زال اغلبها يعيش في اطار مفاهيم الحرب الباردة ، ومنها ان الدولة التي تقع تحت نفوذ قطـب دولي فانهـا لا شك ستعمل يوما ما على حرمان القطب الآخر من مصـادر تموينه او استخدام الممرات المائية الاستـراتيجية التي تطل عليها .

هذا النوع من الفهم لا يستقيم مع قواعد السلوك الدولي الراهن . . اذ انه يفترض مرة ثانية ان القطبين مستعدان لمواجهة عسكرية مباشرة ، وهو امـر لم يعـد ممكنا ، فضلا عن انه اذا وصل تدهور العلاقات بين القطبين الى حد التهديد بالمواجهة العسكرية المباشرة ، فان نوعية الاسلحة والصواريخ التـي توجد في حوزة القطبين تجعل المواجهة لا تعتمد على قاعدة عسـكرية بهذه الدولة النامية او تلك .

الى جانب ذلك ، فان الدولة التي تصبح قاعدة لنفوذ اي من القطبين او التي تمتلك من المادة الخام أو الموقع ما يجعلها رصيدا استراتيجيا هائلا للقطب الذي تصادقه او تخضع لنفـوذه ، هذه الدولـة لن تستـطيع بامكانياتهـا العسـكرية المتواضعة ان تقوم باعمال تهدد حدود التوازن بين القطبين ، وستظل حركتها الدولية والاقليمية مقيده بارادة القطب التابعة له ، وهو الطرف الذي يدرك جيدا حدود مصالحه الدولية الاكبر وعلاقاته بالقطب الاخر .

وفي ضوء المفهوم المتخلف لقواعد السلوك الدولي لم يكن رد الفعل الامريكي لنظـام منجستـو في اثيوبيا شافيا لاصدقاء او اتباع الولايات المتحدة ، ولـم [illegible] حتـى الان حيرة المراقبـين التقليديين تجـاه السيـ[illegible]ـة الامركية التي مورست في ايران خلال العام الا[illegible]

لتطوع لانقاذ القطب
طرا لنفوذ القطب
دول بالغة الحساسية
إقع انه لا توجد دولة
سارف البحر الاحمر او
وصول النفط الى
يا للاتحاد السوفيتي
السوفيتي ان يفتعل
را بالمواجهة النووية
لا يتطلب ان يسبقه
، بمنع مرور الناقلات

سير الى ان القطب
اع عن مصالحه دولة
ه في هذا الحلة تكون
س بين القطبين عن
بعيدا عن المواجهة
غيرة للسلاح فتمتص
، وتنشأ اهداف لهذه
ن اهداف اكثر خطرا
عدة .

الم النامي

يرا من دول الشرق
ربية ، من « عدم
مرة قيام نظم تابعة او
ن نفس نوع القلق
ية بعد نشأة نظام
لسائد بين قلة من
، رأيا مرفوضا من كل
، - ان كوبا تخدم
لمصلحة الولايات
يهدد كل حكومات
وعدم التساهل مع
، قرن من قيام حكم
ة في الامم المتحدة ،

والمبعوث الشخصي للرئيس كارتر لحل العديد من المشاكل الافريقية ، ان الوجود الكوبي في القارة الافريقية عنصر استقرار في هذه القارة .

امامنا الدليل اذن على ان التجربة الكوبية لم تهدد مصالح الولايات المتحدة في القارة اللاتينية بل على العكس لدينا اكثر من دليل مادي على ان كوبا الماركسية حققت استقرارا مهما في القارة اللاتينية وساعدت على استمرار هيمنة الاستبداد العسكري في معظم انحاء القارة . ولدينا الدليل الاخر على انها تساهم في منع انفلات القارة الافريقية الى وضع يسيء للمصالح الغربية فيها .

ولربما كان المفروض ان تقوم اسرائيل بالمهمة الكوبية في المنطقة العربية . وربما ايضا كان فشل اسرائيل في القيام بهذه المهمة لطبيعة العداء القومي بينها وبين العرب هو السبب في ان الولايات المتحدة صارت اكثر ميلا لعدم الحيلولة دون قيام « كوبات » في الشرق الاوسط ، وبذلك يتحقق الامن للمصالح الامريكية عن طريق خصم مقيد الارادة محكوم التصرفات والانفعالات وهو مالم يتحقق عن طريق حليف حر الارادة مطلق التصرفات قد تتعارض طموحاته الاقليمية مع بعض المصالح الامريكية .

الحروب المحدودة حولنا

من بالغ الضرر ان نعتبر ان مظاهر العنف التي تجتاح المنطقة العربية وحواشيها من صدف العصر ، او انه لا يوجد بينها قاسم مشترك ، صحيح ان الصراعات والخلافات العربية ليست امرا جديدا على الامة العربية وصحيح انها تصل احيانا الى حد الاشتباك بالسلاح ، ولكنها لم تكن في اي وقت نابعة اساسا من جذور خارج المنطقة . ففي معظم الصراعات التي عرفها الوطن العربي في السابق كان الدور الاجنبي يأتي عنصرا مساعدا و مستفيدا من الصراع ، وفي معظم الصراعات استطاع الوطن العربي ان يحافظ على اقليميتها ويمنع محاولات تدويلها . أما الان فأكثر صراعاتنا يلعب

العنصر الاجنبي فيها الدور الاساسي سواء في اشعالها او في توجيه مساراتها . واكثرها ايضا تجاوزت حدود الوطن فصارت تناقش في منظمات دولية اخرى غير الجامعة العربية او تمول وتسلح من قوة عظمى .

والعنف كظاهرة من ظواهر السياسة التي صاحبت نشأة المجتمع الانساني ظاهرة لها ايجابياتها وسلبياتها ، ولا يمكن تجاهل ايجابياتها بالنسبة لتقدم البشرية والتطور الاجتماعي والاقتصادي وعملية بناء الامم ، الا اننا لا يمكن ان نتجاهل انواع العنف التي دمرت كثيرا من الحضارات والمجتمعات الانسانية وعطلت مسيرة التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وفي تاريخ الامة العربية سجل حافل لعنف اقام حضارة ونشرها في ربوع واسعة ولعنف دمر هذه الحضارة . وفي كل هذه الاحوال كانت الافكار التي تشعل العنف والاهداف الموجه ضدها او من اجلها ، هي المعيار الذي يحدد ابعاد ايجابياته وسلبياته .

وبالتحليل المتأني للعنف الواسع الناشب حاليا في المنطقة تتضح الامور التالية :

أولا : انه في اغلب الاحوال يأخذ شكل « الحروب المحدودة » ، اي ان اطرافه المحلية تحارب بعضها من اجل تحقيق اهداف غير عربية .

ثانيا : انه يأتي بعد مرحلة استهدفت فيها اطراف دولية ومحلية متعددة فكرة القومية العربية والعمل العربي الواحد ونجحت في كبح جماحها وتم خلالها تقليص امال واهداف الامة ، واحلال مذاهب براجماتية محل الفكر القومي .

ثالثا : ان حواشي المنطقة العربية صارت تحظى باهتمام الاطراف العربية اكثر من اهتمام هذه الاطراف ببعضها ، وبذلك يتحقق هدف تقليدي لاعداء الامة العربية الذين عملوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على وأد فكرة النظام العربي ، وترسيخ نظرية نظام الشرق الاوسط . فالنظام العربي لا يمكن ان يسمح باندماج اسرائيل ويرفض وجودها عمليا كما يرفضه نظريا ، بينما في ظل نظام شرق اوسطي تصبح هوامش النظام العربي اطرافا عضوية تتساوى مع الاطراف العربية وتتفاعل معها في اطار غير عربي . ولذلك لا يفيد اسرا[ئيل] كثيرا ان تتحول دولة هامشية كايران الى مناصبتها العداء ، بقدر ما كان يضيرها اصرار العرب على اعتبار ايران وتركيا دولتين هامشيتين .

رابعا : انه بتحول الاهتمام الى الدول الهامشية كايران وتركيا وافغانستان وتشاد يخف التركيز العربي على اسرائيل . هذا التحول في حد ذاته يمكن اعتباره ضمانا « لأمن اسرائيل » افضل كثيرا من اي ضمان مادي او معنوي يمكن ان تقدمه الولايات المتحدة تحفيزا لها على توقيع معاهدات سلام منفصلة او شامله .

خامسا : انه في ضوء اكتشاف بعض الدول النفطية لسوء استغلال الدول الصناعية الكبرى للفوائض المالية العربية عن طريق امتصاصها برفع اسعار منتجاتها ، لجأت معظم الدول النفطية الى تقليص الانفاق الخارجي ، الامر الذي قد يؤدي الى مشكلات اقتصادية في الدول الصناعية التي وضعت خططها على اساس امتصاص الفوائض لآجال معينه . ولا شك ان الحروب المحدودة وسيلة ناجحة ومضمونة لتعويض الفاقد في المشتريات الصناعية والاستهلاكية عن طريق زيادة مشتريات السلاح .

سادسا : ان الحروب المحدودة اسلوب فعال لارضاء طموحات الدول الصغير التي فقدت ادوارا رئيسية في العمل الاقليمي او الدولي ، والدول التي تسعى لتلعب أدوارا لا تتناسب مع امكانياتها اذا عملت منفرده .

سابعا : ان التغيرات التي طرأت على المنطقة العربية بعد عام ١٩٦٧ نتيجة الحربين ورفع سعر النفط والصدمات الدبلوماسية الامريكية المتعاقبة تسببت في تغيير معدلات القوة السياسية ولم تنشيء توازنا اقليميا جديدا في ظل هذه الوسيلة الاقليمية تصبح الحروب المحدودة دوامات تنزلق اليها بسهولة الاطراف التي لم تكتمل لها عناصر القوة الاقليمية ، فتضطر الى [تد]عيم روابطها بقوة خارجية او ترهن المصالح القومية والـ[وط]نية لصالح اهداف جزئية ووقتيه . ■

القاهرة ـ جميل مطر

جريت تاتشر

امـــرأة فى أوروبـا

بقلم : منير نصيف

فى عام المـــرأة الـــدولى « ١٩٧٥ » فازت مارجريت تاتشر بزعامة حــــزب المحافظين وفى هذا العام أصبحت أقوى امرأة فى أوروبا ... الى أى جانب تنتمى هذه المرأة !؟

هل تركب رياح التغيير والى متى ؟

لو أن ادموند بيرك فيلسوف المحافظين الكبير في القرن الثامن عشر كان حيا اليوم ، لمن كان سيعطي صوته في الانتخابات العامة التي جرت في بريطانيا ؟ الزعيمة المحافظة التي راست اول حكومة في اوروبا أم للرجل الذي اكتشف فجاة في مبادىء بيرك وفلسفته خير منقذ له ، فراح ينادي بالعيش مع «الشرور» القديمة التي اعتادها الناس لانها افضل على أية حال من « الفضائل » الجديدة التي لا يستطيع أحد أن يتكهن في النهاية بنتائجها !

حيرة ، لابد أن بيرك كان سيجد نفسه فيها ، لو انه عاش هذا اليوم الذي مرت به بريطانيا منذ سقوط حكومة العمال برئاسة جيمس كالاهان ، عندما سحب الشعب ممثلا في نوابه ثقته بها ، وكانت اول مرة تفقد فيها حكومة بريطانية ثقة الشعب منذ ٥٥ عاما ، فيضطر رئيس الحكومة الى تقديم استقالة حكومته ، ويدعو الى اجراء انتخابات عامة حتى يتمكن الشعب من اختيار حكومة جديدة يعطيها ثقته !

ثورة

وحيرة فيلسوف المحافظين في هذا الذي جرى ويجري امامه ، ان رئيسة الحكومة الجديدة ، والوريثة الطبيعية الشرعية لزعامة الحزب الذي ساهم في خلقه ورسم له مبادئه ، تعلن تمردها على التقاليد ، وتدعوا الى التغيير الذي طالما حاربه وهو يقف مبشرا معلما مؤكدا ضرورة الإبقاء على ما هو قائم ، ومقاومة التجديد والتغيير .. فقد كانت هذه وما زالت ، هي مبادىء حزب المحافظين وسياسته !

ثم على الجانب الآخر .. صوت زعيم حزب العمال ورئيس الحكومة المستقيلة المهزومة ، وقد اصبح بين يوم وليلة من « غلاة المحافظين » ، ووقف يعلن في خطابه الذي ألقاه على الشعب في بداية الحملة الانتخابية : « هل يريد الانجليز ان يروا كل شيء من حولهم يستأصل من جذوره» وكأنه يريد ان يقول لهم : « احموا النظام العمالي القديم بالرغم من كل اخطائه .. فالشيطان الذي تعرفونه خير من الشيطان الذي لاتعرفونه » .

فلسفة بيرك !

من هنا كانت الحيرة التي توقعوها للرجل الذي قامت فلسفته على اعلان الحرب على كل ماهو جديد ، حتى عندما قامت الثورة في فرنسا ، ولقد ادركها في حياته التي امتدت من عام ١٧٢٩ حتى عام ١٧٩٧ ، لم يتردد في الدفاع عن نظام الحكم القديم رغم كل شروره ومساوئه ، وكانت صيحته : « لقد ظل هذا النظام الملكي قائما لفترة طويلة.. ان جذور الملكية والارستقراطية القديمة قد غرست في الارض بقوة ، بحيث اذا حاولنا اقتلاعها ، فقد ينقلب كل ما حولها ، وتشيع الفوضى والاضطراب !! »

الى هذا الحد من العداء التقليدي لكل ماهو جديد . ذهب بيرك في فلسفته ! وتمر السنون وتتردد الصيحة من جديد ولكن على لسان الرجل الذي قامت سياسة حزبه على قبول كل ماهو جديد ، طالما انه في النهاية سوف يعود بالخير على الشعب ، والطبقة العاملة الكادحة منه بصفة خاصة !!

ويذهب الفيلسوف المحافظ ، وتبقى فلسفته ولكن مرة اخرى في راس الرجل الذي طالما اعتمد هو ومن كان من قبله من زعماء العمال على استنكارها والسخرية منها ، في كل حملة انتخابية جاءت بهم الى مقاعد الحكم في بريطانيا !

التغيير .. التغيير !

ثم تظهر هذه السيدة « المحافظة » لتعلن الثورة على هذه الفلسفة القديمة التي تعتبر تحديا لروح العصر ، وتعلن بقوة : « لقد خانت حكومة العمال العهد ، وحان وقت ذهابها لا بد من التغيير .. لقد بقي العمال في الحكم ١٤ عاما متصلة !

وذهب العمال ، وجاء المحافظون برئاسة مارجريت تاتشر المرأة التي قلبت كل الموازين ، وضربت بالتقاليد « المحافظة » عرض الحائط في بلد التقاليد !

من هي هذه المرأة وماهي سياستها ؟ و؟ ف

ستواجه المرحلة العصيبة المقبلة بعد ان اعلنت تحديها السافر لاتحادات نقابات العمال القوية ، التي وصفتها بانها اصل البلاء والشر في بلادها ؟ انها تؤمن بان المخرج الوحيد للازمة الاقتصادية الطاحنة التي تمر بها بلادها ، هو مزيد من العمل والانتاج مع مضاعفة الحوافز ، وتخفيض اعباء الضرائب عن كاهل الطبقة العاملة بصفة خاصة.

اول امرأة

ومارجريت هي اول امرأة تنتخب زعيمة لاحد اكبر حزبين سياسيين في بريطانيا ، وقد جاء انتصارها الاول ـ زعامة حزب المحافظين ـ في الوقت الذي كان العالم كله يحتفل فيه بالعام الدولي للمرأة وهو عام ١٩٧٥ • ومنذ ذلك الوقت وهي تتعلم « لعبة السياسة » وكيف يجب ان تكون وخاصة عندما ذاقت مرارة الفشل وهي وزيرة للتعليم في حكومة المحافظين برئاسة ادوارد هيث. فقد دعت الوزيرة الى الغاء توزيع الحليب بالمجان على الاطفال في المدارس ، وقالت في تبريرها لهذا الاجراء ان معظم اهالي التلاميذ الصغار في هذه المدارس قادرون على دفع ثمن كوب الحليب لاطفالهم ، ثم ان الاموال التي ستوفرها الدولة من ثمن هذا الحليب الذي يوزع بالمجان ، سوف تغطي نفقات بناء ٧٥ مدرسة ابتدائية جديدة للاطفال الذين ضاقت بهم المدارس الموجودة حاليا في مختلف انحاء بريطانيا ! واثار القرار سخط الاباء واستياءهم ، ووصفها البعض » بسارقة لبن الاطفال « ! Thatcher milk snatcher .

ولكن مارجريت تاتشر لم تستسلم للهزيمة ! فبعد عام واحد من هذه « النكسة السياسية » استطاعت ان تنتزع زعامة الحزب من ادوارد هيث. الرجل الذي دعمها وشجعها ونقلها من نائبة في المقاعد الخلفية في مجلس العموم ، الى متحدث بلسان الحزب •• ومدافع عن سياسته ! وكانت خطوة جريئة ، وكانت في الوقت نفسه مفاجاة للكثيرين من زعماء الحزب الذين رفضوا تحدي هيث ، بدافع من الولاء والخجل !

تقول اصدقاء مارجريت المقربون اليها : «لعل اهم ميزة في هذه المرأة انها تؤمن دائما بسياسة المواجهة فهي لاتعرف الطريق الى الباب الخلفي، وتؤمن بالنوافذ المفتوحة ، ولكنها لاتدخل منها »!

النجاح •• عادة !

ومارجريت امرأة غير عادية ، وقد اجمع اصدقاؤها وخصومها على انها سيدة على قدر كبير من الذكاء ، تتمتع بشخصية قوية ، لاتؤمن بالفشل ، وهي تقول دائما : « ان النجاح عندها عادة » ! وهي تعرف طريقها اليه ، وتعرف ماذا تصنع من اجل بلوغه ، ثم ان النجاح لا يخطئها لانها تستحقه فهي شديدة الثقة بنفسها !

حدث عندما كانت طفلة في التاسعة ، انفازت بالجائزة الاولى على القائها لقصيدة في مهرجان للشعر اقيم بمدينة جرانثام بمقاطعة لنكولنشاير، وحملت الطفلة هديتها ، وعادت الى مدرستها ، فلما لقيتها ناظرة المدرسة ، قالت لها : « لقد حالفك الحظ يا مارجريت » ؟

ولكن مارجريت الصغيرة لم يعجبها تعليق الناظرة ، فسارعت تقول لها : « لا •• انه ليس الحظ ياسيدتي ، فانا استحق النجاح » !

ابنة بقال !

ولدت مارجريت لابوين فقيرين من عامة الشعب وكان ابوها الفريد روبرتس بقالا ، وامها « خياطة » •• وكان من الممكن ان تنتهي دراستها ، كما يحدث احيانا في الاسر الفقيرة الكادحة في الريف ، عند المرحلة الابتدائية او الثانوية على الاكثر ثم تبحث عن عمل تعاون بدخلها منه اسرتها الكادحة ولكن ابويها صمما ، شانهما شان الكثيرين من الاباء ، على ان تكمل الفتاة الصغيرة تعليمها الجامعي •

ربما كانت نزعتها الى « التغيير » في اسلوب الحياة التي تعوداها وشكلها ، هي السبب ، والآن فقد ورثت مارجريت تاتشر عن اسرتها ، اصرارها على تجربة كل ما هو جديد طالما انها مقتنعة بجدواه ونفعه !

وحصلت « ماجي » ، وهو اسم « الدلع » الذي كانت تناديها به امها ، ثم زملاؤها في الجامعة ، وفي البرلمان ، على بكالوريوس العلوم في جامعة

اكسفورد (شعبة الكيمياء) ، ودرست القانون بعد ذلك ، ورأست جمعية المحافظين بالجامعة ، وكانت ثاني امرأة تتولى هذا المنصب !

.. الزواج وظيفة

وفي الجمعية التقت بالرجل الذي اصبح فيما بعد زوجا لها وهو دينس تاتشر ، ولم تكن تفكر في الزواج في ذلك الوقت ، لان عملها في الجامعة وفي الجمعية ، يشغل كل وقتها ولانها كانت تؤمن بان الزواج وظيفة ، وان هذه الوظيفة تتطلب تفرغا «نصف الوقت» قبل مجيء الاطفال ، والوقت كله بعد وصولهم ! ولكنها مع هذا استجابت لدعوة دينس وهو يعرض عليها ان تشاركه حياته ، فقد كانت تحترمه وتحبه !

ولم تعط وظيفتها الجديدة كزوجة ، الوقت الذي كانت تريد ان تعطيه لها ، حتى عندما اصبحت اما لتوامين ـ ولد وبنت ـ هما الآن في الخامسة والعشرين من العمر .

هل كانت تهرب !

قالوا عنها كلاما كثيرا ، ووصفتها الصحف الانجليزية وغير الانجليزية بصفات شتى، ولكن الذين عرفوا مارجريت تاتشر عن قرب يؤكدون انها من اقدر الشخصيات التي تعرف كيف تدير المناقشة وتخرج منها منتصرة. دعاها كالاجان اثناء الحملة الانتخابية الى الظهور امامه في حوار ينقله التلفزيون على الهواء مباشرة! ورفضت مارجريت ! وقالت الصحف: « هذه اول مرة تهرب فيها من المواجهة .. ثم هي تعرف ان كالاجان « استاذ » في المناورة وانه سيغلبها ، وان هزيمتها امامه على الشاشة سوف تؤثر على الناخبين وتفقدها الكثير من اصوات المتحمسين لها ! »

وقد يكون لهذا الكلام نصيب من الصحة ، فهناك نقاط ضعف كثيرة فيها ، وهي تعترف بها، وفي مقدمة ما تاخذه السنة النقاد واقلامهم اللاذعة عليها ، انها لا تنفعل للاحداث ، حتى ان البعض يجد صعوبة كبيرة في اكتشاف مزاجها .. وهل هي سعيدة ام غير سعيدة ، حتى لو كانت في قمة انتصارها !

وجه جامد كالصخر

لقد قفز النواب المحافظون من مقاعدهم في مجلس العموم ودوت حناجرهم بالهتاف ، وحدث هرج ومرج عندما اعلنت نتيجة الاقتراع بسحب الثقة من حكومة كالاجان في شهر ابريل الماضي ، وقبل اجراء الانتخابات العامة بشهر كامل تقريبا.. وتطلع الجميع الى « مارجريت » التي كانت هذه اللحظة بالنسبة لها هي بداية السباق في الشوط الاخير الذي سيوصلها الى كرسي الحكم.. فوجدوا وجهها جامدا كالصخر ! ولا حتى شبح ابتسامة صغيرة يوحي بما كان يعتمل في صدرها من انفعالات وهي تسمع نبأ هزيمة خصمها التي تحققت بفارق صوت واحد ، كان صاحبه النائب العمالي قد اصيب بنوبة قلبية ، ابعدته عن حضور هذه الجلسة العاصفة !

اما مارجريت نفسها ، فقد ردت على حملات النقد التي وجهت اليها بسبب رفضها دعوة كالاجان الى الظهور امامه في مناقشة تذاع على الشعب بالصورة والصوت ، بقولها : « ان المشاكل والسياسات التي ستوضع لحل هذه المشاكل والتخفيف من اثرها وحدتها هي التي ستقرر مصير الانتخابات .. اية انتخابات ! فهي ليست منافسة بين شخصيات .. نحن لاننتخب رئيسا جديدا للجمهورية .. ولكننا ننتخب حكومة ! »

وقالوا عنها : « انها تتمتع بقدرة عجيبة على تعرية الناس ، والوصول الى اعماقهم ، تماما كما ينزع المرء قشرة ثمرة الموز قبل اكلها ! »

وهي تقول ان هذا صحيح ، ولعل السبب المباشر وراء محاولاتها الدائبة في البحث عن الحقيقة والوصول اليها ، هو هذا القناع الزائف الذي تراه رئيسة الحكومة البريطانية الجديدة على وجوه الناس !

السياسة .. حملة عسكرية

كتب ستيفن فاي المعلق السياسي لصحيفة صانداي تايمز يصف مسز تاتشر : « انها تمشي وسط الجماهير في خطوات بطيئة وكانها في نزهة، ويضطر مرافقوها من اعضاء الحزب الى اعطاء

المقدمة •• ويمضي
ت في التطلع الى
لانها سمعت صوتا
م الى الناخبين ،
لا ، واخذت تتطلع
•• ثم تبدأ في
ض في نفس الوقت
جل عليها النقاط
انتهى ، وجـاء
ي جدية ، لا مكان
تلف عن اى زعيم
نهـاية العـرب
فحسب ، بل لانها
» عسكرية في بلد
د ! »

ن والدها ،ايمانه
لتعليم ، والاعتماد
مستوى الافراد •
والفطائر وتنهب
م لهم مما اعدته
وفها وهي طفلة !

شل

شل والحـرب
نازي تدك العاصمة
كان لنـدن للعيش
•• وقالت تاتشر
او الثامنة عشرة
شل محارب عظيم،
ة •• هكذا يبدو
ته التي لا تختفي
كون ـ هو والياس
ت اول قنبلة على
لكي اجيبكم على

وانها تقدس حياة
نعم ، ثم ما هـي
صغيرة التي يتألف

اسها عندما وقفت

● مارجريت تاتشر

تلقي خطابها في مجلس العموم قبل سقوط حكومة العمال بساعات قصيرة ، لقد استهلت هجومها على كالاجان وحكومته بالحديث عن التضخم ومن الجنيهات الكثيرة التي تنفقها ربة البيت في السوق، مقابل كميات صغيرة من المواد الغذائية الاساسية التي لا تشبع ولا تغني من جـوع •• فهي امـرأة اولا ، والمرأة اكثر احساسا من الرجل بالغلاء واثره على حياة الاسرة والمجتمع وخاصة اذا كانت امرأة عاملة •• فهي تذهب للاسواق ، وهي التي تشتري، وتدفع ثمن ما تشتريه ! وقالت تاتشر : « التضخم ثم التضخم •• فهو الـذي يهـدد امن الاسرة ، ويغير من العلاقات بين افراد الاسرة الواحـدة ، وعندما يفقد المال قيمته ، تتضاعف عملية الاقتصاد صعوبة ، ويصبح التخطيط مستحيلا ، وبالتـالي يبدو المستقبل معتما مخيفا ! »

وهناك ازمات كثـيرة تفاقمت في عهـد حكومة العمـال ، ولم يفت تاتشر الحديث عنها طـوال حملتها الانتخابية ، ومن بينها ازدياد نسبة البطالة وهبوط الانتاج كما وكيفا ، وازمة الاسـكان •• ولكن في مقدمتها كلها الاضرابات العمالية التي شلت الحياة في بريطانيا ••

تكون أو لا تكون

هل تستطيع مارجريت تاتشر رئيسـة حكومـة المحافظين ان تواجه اتحادات نقابات العمال القوية، هل تنجح في وضع حد لاضرابات العمال في المرافق الحيوية •• انها معركة ايديولوجية ، هكذا تصفها الصحف البريطانية المحافظة ، وستكون اول مواجهة لمارجريت تاتشر مع الحركة العمالية التي تزايدت قوتها بصورة خطيرة في السنوات الاخيرة •• اما هي فقد اعلنت تحديها لهذه القوة التي باتت تتحكم في البلاد وكانها « دولة داخل دولة » ، هل تنجح « ماجي » في الغـاء حـق العـاملين في المرافق الاساسية في الاضراب عن العمل مهما كان السبب؟ الاجابة على هذا السؤال هي التي ستحدد الـى متى تبقى مارجريت تاتشر في ١٠ دوننج ستريت ؟

انه ليس مجـرد « تغيير » هذا الذي تنـادي به رئيسة الحكومة الجديدة •• انه تحد لاكبر قوة في بريطانيا اليوم ! تكون او لا تكون ! ■■

حوار جديد حول التراث والتحرر

نظمت الجمعية الفلسفية المغربية بالاشتراك مع الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية مائدة مستديرة فى الفترة ما بين ٢ ـ ٨ ابريل الماضى بمدينتى الرباط وفاس بالمغرب حول موضوعين : الاول « النقد الذاتى للفلاسفة » حيث يقوم بعض الفلاسفة بعرض فكرهم عرضا نقديا امام عدد آخر من الفلاسفة لتحديد مسارهم الفكرى وتطورهم العقلى ، كنوع من الاعتراف امام النفس بحضور الاخرين لتحديد قدر الفيلسوف • والثانى « التراث والتحرر » لتحديد الصلة بين القديم والجديد او بين الماضى والحاضر او بالتعبير الشائع بين الاصالة والمعاصرة •

والحقيقة انه لا رابط بين الموضوعين • فقد اختار الاتحاد الدولى الموضوع الاول لانه يصدر كل عام مجلدا على عديد من الفلاسفة ، وقد صدر حتى الان اربعة مجلدات لم يحتو اى منها على مفكر عربى واحد من بين سبعة مفكرين اوروبيين على الاقل فى كل مجلد • فى حين اختارت الجمعية الفلسفية المغربية الموضوع الثانى بالاشتراك مع الاتحاد الدولى ، وهو موضوع يهم العالم العربى والعالم الثالث بوجه عام • تبدو النزعة الفردية على الموضوع الاول وتتغلب النزعة الاجتماعية والحضارية والتاريخية على الموضوع الثانى وهو ما يميز بالفعل المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات النامية •

وسوف نركز على الموضوع الثانى ، الذى يشكل احدى القضايا الحيوية التى تهم العقل العربى •

٤ اتجاهات

لم يقدم منذ البداية تحديد دقيق لمعنى «التراث» فبينما ظنه البعض هو التقاليد والعادات وال[illegible] لمجتمع معين اى المعنى الاجتماعى الخالص [illegible] البعض الاخر ، ومنهم كاتب هذا المقال ، ا[illegible]

بقلم : الدكتور حسن حنفى

بالمعنى الواسع)
ة والتصوف واصول
العقلية النقلية ،
، والفقه والتفسير
، او فى علـــوم
الجغرافيا والتاريخ
• وقد ظنه فريق
تتوب والمجهول المصدر
والاساطير والملاحم
لتى مازلنا نستشهد
ط السلوك • وظل
حتى استحال احيانا
من وجود بحث اولى
•

اتجاهات فى معالجة
ـة : الاول الاتجاه
الموضوع من الناحية
نسانية • الثانى ،
المفكرين الاوروبيـين
لب جوانب الايمان
، كان انسانيا ام
المجموعتين الاوربية
تحررى الذى يمثله
كرين العرب •
ـد مثل هذا الاتجاه
ية بالمغرب فى بحثه
» فقد فهم مصطلح
جتماعية وتحدث عن
اليد فى الحركـــة
هذا الحديث بلحظة
نماذج محددة فــى
التراث او التقاليد
النظر عن تطـــور
ريخية معينة • كما
والمتعارضة للتراث
حافظة على التراث
ـورة نزعة تراثية

محافظة للتمسك بالقديم دون الجديد ، وذلك انه فى لحظات ضياع الهوية القومية او فى معارك التحرر ضد الاستعمار يكون التمسك بالتقاليد تاكيدا للهوية القومية التى حاول المستعمر طمسها. فقد كان الحرص على اللغة العربية وتحفيظ القرآن والتمسك باللباس الوطنى فى الجـــزائر والمغرب عاملا مساعدا على مقاومة الاستعمار • كما ان التمسك بمجرد الطربوش الاحمر والزر الاسود والمسواك واطالة الذقون واطلاق البخـور والنحر فى عيد الاضحى عند المسلمين السود فى امريكا تاكيد للهوية ضد المجتمع العنصرى الابيض. والامثلة كثيرة فى حرب تحرير فيتنام وفى اعتناء النظم الاشتراكية بالفنون الشعبية كعلامات مميزة للخصوصيات القومية للشعوب • وفى مقابل ذلك قد تكون هذه المحافظة فى انظمة رجعية اخرى وسيلة لتغليب الظاهر على الباطن ، والشكل على المضمون ، كما هو الحال فى تلك الانظمة التى تغالى فى مظاهر التدين الخارجى فى اللباس واقامة الشعائر على المضمون الاجتماعى للدين حتى ينصرف الوعى من الجوهر الى المظهر ، ومن المضمون الى الشكل . وهنا تبدو التقاليد قناعا للتستر والنفاق ووسيلة لايقاف اية حركة اجتماعية تنادى بالتغيير واتهامها بالكفر والالحا لانها تتجاوز المراسم والطقوس •

وقد حاول الاستاذ موتسوبولوس فى بحثه عن « الجهل والاحكام المسبقة» بيان عدم معرفة الناس بمعنى التراث أو التقاليد وتحيزهم ضدها او معها ولكن ظل الحديث نظريا خالصا دون ضرب امثلة من مجتمعات بعينها •

ماذا يعنى التحرر ؟

٢ ــ الاتجاه التراثى : وهو الاتجاه التقليدى الذى دعا الى التراث القديم والمحافظة علــى التقاليد الايمانية للمجتمعات فى المراحل الاولى من تطورها. وقد مثل هذا الاتجاه الاستاذ مرسبيه رئيس الاتحاد الدولى للجمعيات الفلسفية واستاذ الطبيعة والميتافزيقا فى آن واحد وذلك فى بحثه

«هل يؤدي التحرر الى فقد الاحساس بالمقدس ؟ » وكانت اجابته بالنفي ، وان التحرر لا يؤدي الى ضياع الشعور بالمقدس. وقد اعتمد في تحليلاته على الطبيعة والوجود مستعملا ثقافته العلمية من اجل تحقيق اهدافه الميتافيزيقية وعلى راسها الدفاع عن الدين وابراز مقولة المقدس في شعور الانسان فالانسان يتحدد بالتعالي او المفارقة على ما يقول المثاليون في تحديدهم مسار الوعي من الخارج الى الداخل ثم من الداخل الى المتعالي .

وقد هاجمه العديد من المفكرين العرب من ان هذه النظرة قد يحتاجها الغرب بعد ان سئم من عقلانيته وعلميته وعلمانيته وتقدمه ، ولكن بالنسبة لنا في المجتمعات الناهضة فان التحرر لابد وان يقضي على كل المحرمات التي تكمن في وعينا باعتبارها مقدسات او « تابوه » لا يجوز لمسه او تناوله او الاقتراب منه مع اننا نفكر فيها ليل نهار بل ولا نفكر الا فيها وهي ثلاث : الله والسلطة والجنس . وكلما زدناها تحريما وتقديسا زاد احساسنا بها وتركيز وعينا عليها. وقد نشات هذه المقدسات في وعينا لاننا حرمنا منها ، حرمنا من التفكير الحر في الدين ،وحرمنا من ممارسة السلطة وممارسة الديمقراطية،وحرمنا من الجنس والحب كسلوك طبيعي للانسان ولم نتصوره الا في زوجة او في مومس ، وانكرناه كحق طبيعي . فالمقدس لا يعني فقط المحرم او التابوه في مقابل الدنيوي بل قد يعني العالم كله ، فالارض المحتلة مقدسة والفقراء الجياع مقدسون ، وثروات المسلمين التي تنهبها القلة مقدسة ، فالمقدس لا يعني الاخرة بل قد يعني الدنيا ايضا . فاذا كان الغرب قد شبع من الدنيا واتجه الى الاخرة عن صدق او نفاق فان مجتمعاتنا النامية مازالت تتحسس طريقها الى الدنيا وتحاول التحرر من تجميد المقدس في صورة كتاب او مكان او زمان او شيء حتى نثق في العالم وننشط فيه .

وقد سار في هذا الاتجاه كل الفلاسفة الاوروبيون بلا استثناء ليبراليون او ماركسيون مما يدل على ان البناء الحضاري للوعي يجب الانتماء المذهبي له . فقد قدمت الاستاذة باران فيال بحثا عن « حقوق المستنيرين وواجباتهم » مبينة ان نمط المستنير هو المؤمن الذي يحب الاخرين وليس المفكر الحر الذي قامت على اكتافه الثورة الفرنسية، الذي غالى في العقل فانكر الايمان وتطرف في ابان الطبيعة ونسي ما بعد الطبيعة ، وآمن بالحرية والفردية والمسئولية والمواطنة ورفض الارادة الالهية المطلقة ومدنية السماء .

وقد افاضت في الشرح والتطويل والاقتباس والاستشهاد حتى مل الجميع فكانت في واد والوعي العربي كله في واد آخر .

وقد شارك في هذا الاتجاه الاستاذ محجوب بن ميلاد من جامعة تونس على نحو نسبي في بحثه « الاسلام وحرية الفكر » . فالبرغم من انه اشاد باعلاء الاسلام من شان حرية الفكر وطلب النظر العقلي والبحث عن البرهان ، الا انه اعتبر الغزالي نموذج هذا الفكر الحر الذي يكون فيه العقل مدركا لحدوده ليفسح المجال لملكة اخرى غير العقل وهي البصيرة او الايمان . وقد اقتبس كثيرا من نصوص الغزالي من «المنقذ من الضلال» ليبين حدود العقل لاثبات قيمة حرية الفكر في الاسلام .

عن العقل والثورة

٣ ـ الاتجاه الماركسي : وقد مثل هذا الاتجاه الاستاذ مركوفتش استاذ الفلسفة السياسية في جامعة بلجراد بيوغوسلافيا على نحو ليبرالي والدكتور مراد وهبة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس على نحو عقلاني . فقد قدم الاستاذ مركوفتش بحثا بعنوان « انماط التحرر المعاصر ونظرياته » عارضا نوعا من ماركسيات القرن العشرين . وهو الماركسية الليبرالية التي تجعل من الماركسية هدفا ومن الليبرالية وسيلة كما هو الحال عند سدني هوك في امريكا او عبدالله العروي في المغرب ومثل باقي القرن العشرين مثل الماركسية الوجودية عند سارتر، والماركسية البنائية عند التوسر ، والماركسية البرجسونية عند جارودي ، والماركسية الهيجلية عند كوجيف .وقد بدت الماركسية الليبرالية عند ماركوفتش وكانها نموذج مطلق للتحرر لكل المجتمعات الاشتراكية والراسمالية ومجتمعات العالم الثالث. فالمجتمعات الاشتراكية تنقصها النزعة الانسانية التحررية الفردية ، فتضحي بالحرية الفردية من اجل العدالة الاجتماعية ،والمجتمعات الراسمالية تنقصها النزعة

لة الاجتماعية فى
ة العالم الثالث
فلاهي اقامت عدالة
ى على الطبقات
ية الفرد وحقه فى
مركوفتش مواجهة
وع من الماركسية
وسطة او تحريفية
ن مطلب الحريـة
ن المثقفون فى كل
ك به • والغريب
تجربة اليوغسلافية
الوطنية والتمسك
مسكر الاشتراكى•
فة الحريـة حتى
ة انسانية تحررية
ا كل المفكرين •

قدم بحثا بعنوان
ل اساسا للثورة
ى • فالعقل وحده
ت ليس فقط بين
لواهر الاجتماعية•
الثورة • وقـد
يا انه وقع اسير
ا العقل كل شيء
ة هيجلية تقـوم
لعقل • والحقيقة
ة بل تحول العقل
الطبقة حتى يكون
ى التاريخ • هذا
لية قد قامت على
تعقيل الواقع على
ماركوز تحدث عن
ما تطالب بـه
ليم بالامر الواقع•
لبقة او الوعـى
تشيؤ • وقد يكون
الثورة هو تكييف
ة التى ما زالت
يكون هناك ضمان
ها •

نحن والتنوير

٤ ـ الاتجاه التحررى : وهو الاتجاه الذى حاول الربط بين التراث والتحرر مبينا كيفية انتقال مجتمع معين ، خاصة المجتمع العربى ، من التراث الى التحرر بالمقارنة مع مجتمعات اخرى مـرت بلحظات مشابهة ، فالاتجاه التراثى سكون وتضحية بالتحرر فى سبيل التراث ، والاتجاه الماركسى رغبة فى التقدم دون تحقيق شرطه وهو الاستمرارية والتواصل فى التاريخ • وقد مثل هذا الاتجاه كاتب هذا المقال فى بحثه « نحن والتنوير » • فالتنوير هو هذا الانتقال من التراث الى التحرر او من الماضى الى الحاضر ، او من القديم الى الجديد • حدث ذلك فى نهضتنا الفكرية فى القرن الماضى والذى اطلق عليه بعض لباحثين وصف العصر الليبرالى او عصر الاحياء ، والذى يشمل الحركات الاصلاحية والتيارات العقلانية العلمية الغربية والفكر الاجتماعى السياسى حول الامة والقومية والوطنية والدستور والحريـة والديموقراطية • وقد حدث ذلك ايضا فى بدايات النهضة الاسلامية عندما حمل المعتزلة الاوائل لواء الفكر الحر ، وكانوا اول المدافعين عن الاصالـة والمتمثلين للمعاصرة حتى اتت المحنة فى القرن الثالث الهجرى • كما حدث ذلك فى الوعـى الاوروبى فى القرن الثامن عشر فى فلسفة التنوير التى ورثت الاصلاح الدينى فى القرن الخامس عشر والنهضة فى السادس عشر والعقلانية فى السابع عشر • خاصة وان مفكرينا فى القرن الماضى مثل رفاعه الطهطاوى قد تتلمذوا على مفكرى الثورة الفرنسية وهم الفلاسفة الاحرار ، وتمثلوا افكار الحرية والديمقراطية والدستور والوطن • فالوعى العربى الان بالرغم من انتكاساته الحالية وكبواته وعثراته ينتقل من التراث الى التحرر •

ويقوم التنوير على عدة مفاهيم هى فى الحقيقة ابنية نظرية او قوالب ذهنية تحدد تصوراتنـا للعالم وتوجه سلوكنا سواء كنا خاصة ام عامة• ويمكن تلخيص هذه المفاهيم فى ستة : العقل ، والحرية ، والطبيعة ، والانسان ، والمجتمع ، والتاريخ •

فاذا كان العقل قد ظهر فى كل فلسفة تنوير عقلا مرتبطا بالحس وبالتجارب والمشاهدات كما

هو الحال عند لوك وهوبز وهيوم او عند علماء اصول الدين الاوائل ، واذا كان العقل ايضا عقلا بديهيا استدلاليا قادرا على استنباط النتائج من المقدمات كما هو الحال عند ديكارت وعند المعتزلة الاوائل ، عندما جعلوا النظر اول الواجبات وعندما جعل ابو الهذيل الشك سابقا على النظر . فان العقل فى وعينا المعاصر لم يرتبط بالحس بل غاب عنه الواقع المباشر كما انه لم يقم بوظيفة الاستدلال حيث تتسق المقدمات مع النتائج ولكنه ظل عقلا صوريا يعمل فى لا مادة تعبيرا عن عجزه عن تناول الواقع تخوفا وايثارا للسلامة ، او عقلا وجدانيا ينقلب فيه العقل الى ضده فيعتمد على الالهام الباطنى والعلم اللدنى .

وذا كانت الحرية قد ظهرت فى التنوير الغربى على انها مطلب اساسى وتعنى اساسا حرية الفكر قبل حرية العمل ، واذا كان مفكرونا من المعتزلة الاوائل قد مارسوا حرية الفكر وجعلوها شرطا للمسئولية ، فاننا فى هذا الجيل انشغلنا فى نيل استقلالنا الوطنى والدفاع عن حرياتنا السياسية ضد المستعمر الاجنبى . ونسينا حرية الفكر باعتبارها شرط التحديث وضمان استمرار التقدم. فقام « الضباط الاحرار » فى جيلنا بمهمة المفكرين الاحرار حتى وصلنا الى ما نحن عليه من انكار حق التفكير على الاخرين ، ومن غياب للحوار والاراء المعارضة ومن سيادة الرأى الواحد والحل الواحد . وفى الممارسة سادت النظرية الاشعرية التى جعلت فعل الانسان مشروطا بتدخل الارادة الالهية ينتظر منها العون والتوفيق او الضلال والخذلان .

ولما كان الانسان فى كل تنوير هو نقطة البداية فالعقل عقل الانسان ، والحرية حرية الانسان ، فان الانسان فى وعينا المعاصر لم يتضح بعد كمقولة مستقلة ، ولذلك لم تقحم انظمتنا المعاصرة على احترام الانسان عقلا وارادة. وقد ورثنا من تراثنا القديم هذا الغياب ، فوصفنا الله فى علم اصول الدين على انه انسان كامل ، فالهنا صورة مكبرة لانفسنا ، وجعلنا الانسان طريقا الى الفناء فى الله فى علوم التصوف وانكرنا الذاتية الانسانية التى حاول اقبال اعادة اثباتها ، وجعلنا الانسان فى علوم الحكمة محاصرا بين الطبيعيات والالهيات ، فهو اما بدن او نفس ولكنه ليس عالما مستقلا بذاته يعيش فى العالم ، وتصورنا الانسان على انه منفذ للاحكام فى الفقه ، وكان الانسان قد خلق من اجل الشريعة وليست الشريعة من اجل الانسان .

مشكلة النظم الاجتماعية

واذا كان التنوير فى كل مجتمع يضع الانسان فى علاقة مع الاخرين ويؤسس نظاما اجتماعيا يقوم على العدل والمساواة ، بل ويفجر الثورات من اجل ذلك كما حدث فى الثورة الفرنسية ، فان نظمنا الاجتماعية ، بالرغم من الثورات العربية الاخيرة ، مازالت تقوم على رعاية مصالح الاقلية على حساب مصالح الاغلبية ، لدينا مشكلة الغنى والفقر ، والفيضان والقحط ، فائض الاموال ونقص الاموال . ولم تنجح ثوراتنا الاجتماعية القديمة مثل ثورات القرامطة والزنج فى هز المجتمعات التقليدية التى قامت على النشاط التجارى والاقتصادى الحر ، كما لم تنجح الفرق الثورية مثل الخوارج فى تاصيل فكر اجتماعى يؤثر فى وعى الامة ويكون رصيدا لثوراتها الاجتماعية الاخيرة .

ولما كان كل تنوير هو تنظير للتقدم وتحويل العناية الالهية الى قانون لتقدم المجتمعات وحركة التاريخ كما حدث عند هردر وكانط ولسنج فى المانيا ، فان وعينا المعاصر لم يكتشف البعد التاريخى بعد ، ولم ندرك حتى الان فى اى مرحلة من التاريخ نحن نعيش . لقد كانت حضارتنا القديمة تعيش فى الخلود وتعتبر الزمان وهما ونقصا وعرضا زائلا كما هو الحال فى علوم العقائد والحكمة والتصوف . لقد كان التاريخ لدينا رواية ونقلا على ماهو معروف فى علم الحديث ، او طبقات واجيال ومشاهير الرجال فى الحياة العامة او فى فروع العلوم المختلفة او تاريخ بنوة منذ خلق آدم عليه السلام حتى آخر الانبياء . بل ان ابن خلدون فيلسوفنا للتاريخ تصور التقدم على انه انهيار وان المجتمع لاينهض الا لكى يكبو ويعود على بدء ، ان التاريخ يمر بحركة دائرية تتم فى اربعة اجيال . ومازال يغلب على اتقيائنا تصور التاريخ ك

فلا يحدث تقدم الى
ف • ومن لم غاب
رنا الذهبي وراءنا،
خلف • وقد حدثت
والباحثين العرب
التنوير القويم او
المجال للاشعرية
نية تحقيق التنوير
وعلى يد من يحدث

ن العقل

ديرة في آخر يوم
ركين اوربيين وعرب
ظهر ان المجموعتين
ذا طبيعي ،فبالرغم
يش نفس العصر •
حوالي ستة قرون
الديني في القرن
العشرين • اما نحن
سيط وبداية عصور
بالاصلاح الديني
نتح على الحضارة
الامة والقومية
، خمسة قرون تقل

للتحديث ، وطريق
تقاليد الى التحرر،
ظة التاريخية التي
ضارة • بل يمكن
، يوصف على النحو
ضارة ما مركزا حول
ال الى مركز آخر
ا حول الانسان فان
المركز الاول وهو
ا حول الخلود فان
اما اذا كان مركزا
ن بالانتقال الى
، تراث ما دائريا
، الزمان كتقدم ،

اما اذا كان التراث يحتوى على تصور الزمان الخطي فان تحديثه يكون بالعودة الى التصور الدائرى • واذا كان تراث ما يركز على الديني فان تحديثه يكون بتحويل بؤرة اهتمامه الى الدنيوى ،اما اذا كانهناك تراث آخر يركز على الدنيوى فان تحديثه يكون بتحويل اهتمامه الى الديني • وهكذا يستمر البناء من الالهام الى العقل في تراث او من العقل الى الالهام في تراث آخر ، من الارادة الالهية الى الحرية الانسانية او من الحرية الانسانية الى الارادة الالهية ، من الايمان الى العمل او من العمل الى الايمان •

وقد يكون النمط الاول هو طريق تحديث مجتمعاتنا الاسلامية وقد يكون النمط الثانى هو طريق تحديث المجتمعات الاوربية • فبالرغم من انهما متزامنان الا انهما ليسا متعاصرين • ويبدو ان هذه الخاتمة هي التي ارضت جميع المؤتمرين في المجموعتين العربية والاوربية فلم تعد الامور تصاغ بمفاهيم الصواب والخطا او الحسن او القبيح او الخير والشر بل بمقياس اللحظة التاريخية التي يمر بها كل مجتمع وكيفية انتقاله الى لحظة تاريخية اخرى •

وقد بذلت الجمعية الفلسفية بالمغرب برئاسة المفكر العربي محمد عزيز الاحبابي كل جهودها لانجاح المؤتمر بالاشتراك مع جمعية « عنان »التي قامت بكل التسهيلات والسهر علىراحة المؤتمرين•

وقدمت جامعتا الرباط وفاس كل امكاناتهما للمؤتمر ، كما ساهم في ذلك معظم الاساتذة في الجامعتين وخاصة الشبان الجدد الذين يبشرون بخير كثير للامة العربية • كما شارك الطلاب باعداد غفيرة في الحضور • وقد تفضل المسئولون المغاربة بتقديم كل مظاهر الترحيب والكرم العربي والدعوات في القصور العربية على انغام الموشحات الاندلسية • وتخلل المؤتمر زيارات لمعالم المغرب ولمدنها الرئيسية ، حتى ازداد يقيننا جميعا بان المغرب هي بحق بلد العروبة والاسلام، وبلد الطبيعة الخلابة والتاريخ العريق • ■■

د • حسن حنفى

استاذ الفلسفة ـ كلية الاداب ـ جامعة القاهرة•

بقلم : الدكتور على الراعى

قضيت وقتا حافلا بالمتعة أقرا هـذاالكتاب الصغير : « حكايات واساطير يمنية » ، جمعها المثقف اليمنى الاستاذعلى محمد عبده *

والاستاذ على يعرف القيمة الحقيقيةلهذه الحكايات والاساطير ، فهى عنده محاولة من افراد الشعب اليمنى لتسجيل مواقفهم وعاداتهم وتقاليدهم وافراحهم واحزانهم • وهى فى الوقت ذاته تصورالصراع بين الخير والشر ، وبين الانسان واعداء الانسان ، وتعبر عن التفاؤل العريض الذى يحس به افراد الشعب من ضرورة انتصار الخير على الشر ، مهماأظلمت الحياة ، وقست الظروف وتفنن الطغاة فى التنكيل بالناس •

---

* الناشر : دار العودة ـ بيروت ـ دار الكلمة ـ صنعاء •

الجرجوف

في الحكاية الاولى واسمها : « الجرجوف » ، نجد انفسنا مع سرب من الفتيات ، قد تزين بخير ما يمكن من لباس وحلي ، وخرجن يحملن الجرار على رؤوسهن • كان عددهن سبعا ، في ان اصغرهن كانت افقرهن • لم تكن تلبس لباسا فاخرا ولا حليا ، بل سترت نفسها باسمال بالية •

سار سرب الفتيات وعيونهن تبحث في كل شجرة عن الدوم الذي خرجن لجمعه ، حتى انتهين الى واد فسيح ، انتصبت وسطه شجرة دوم كبيرة مثقلة بالثمار ، حتى كادت هذه ان تغطي اوراق الشجر •

ووقفت الفتيات يتداولن فيمن منهن تتسلق الشجرة وتلقي الى الباقيات بالدوم • وواحدة بعد واحدة رفضت الفتيات تسلق الشجرة • هذه تخشى ان يتمزق قميصها الجديد ، وتلك تعتذر بانها استعارت ثوبها من امها ، فهي لا تملك المخاطرة به ، وثالثة تضن بمنديل ورابعة بسروال وخامسة بسحبه •• وهكذا حتى وصل الامر الى الفتاة السابعة ، الفقيرة •

لم تكن هذه تملك حجة واحدة تكفيها مشقة التسلق ، فكل ملابسها مزق ولهذا وافقت ـ مكرهة ـ على التسلق ، بعد ان وعدتها الفتيات بان يملان جرتها مع باقي الجرار • ووصلت الصغيرة بعد لأي الى الاغصان المثقلة بالثمار ، فجعلت تهزها فتسقط الثمار ، وتهرع الفتيات الى انتقاء الافضل منها ، والانضج ، ويتركن الاقل جودة او الافرع للبنية المسكينة • وما ان امتلات جرارهن ، حتى غادرن المكان ، تاركات البنت فوق الشجرة ، تبكي وتتوسل وتستغيث ، وما من واحدة منهن تاخذها بها شفقة •

ومر الوقت ولا من انسان تتوسل اليه الفتاة ان يساعدها • وفجأة رات شبحا يتجه نحوها ، وسرعان ما تبينت فيه « الجرجوف » (١) • كان قد شم رائحتها فاتجه اليها ، واستقالت البنت به

هذه الكلمة وان كان واضحا من الحكاية انه ما يسمى في حكايات

كي يساعدها على النزول ، فقال ان وراءه ستة جراجيف ، سوف يلي الواحد منها الآخر ، وترك لها امر الاستعانة بواحد منهم ويأتي الجراجيف الستة ، وكل منهم يحيلها الى من يليه • حتى وصل الجرجوف السابع ، فوافق على أن يعينها على النزول على شرط واحد هو انها اذا وقعت على اصبعه الخنصر فسياكلها ، واذا وقعت على الاصبع الاوسط فسوف يتزوجها ، اما اذا وقعت على السبابة فسيمتقها ، وان وقعت على الاصبع الاكبر فسوف يقتلها !

وتوافق الفتاة على هذا الشرط الخطر ،وتلقى بنفسها فتقع على الاصبع الاوسط فيتزوجها الجرجوف من فوره ، وياخذها الى بيته ، الذي يشبه بيوت الآدميين ، وان كان يفوقها بما فيه من اثاث فاخر وحلي نادرة واموال لا تحصى • وفي البيت حول الجرجوف نفسه الى شاب جميل ، استمال قلب الفتاة بما اظهر لها من حب • ولكي يوفر لها المزيد من الثقة سلمها مفاتيح ست من غرف البيت السبع ، ولكنه احتفظ لنفسه بالمفتاح السابع ، وترك للزوجة الشابة حرية التجول في الغرف الست ، وحذرها من ان تحاول دخول السابعة•

وبالطبع يثور فضول الزوجة الشابة ، ويزداد فضولها ثم يتفاقم فلا تستطيع ان تمنع نفسها من محاولة معرفة ما بالغرفة المحظورة • وتبحث طويلا حتى تجد المفتاح ، فلما تفتح الباب تلقى نفسها امام منظر مريع حقا • لقد امتلأت الغرفة باشلاء الضحايا الذين افترسهم الجرجوف على مر الايام• وكان للغرفة باب سري يدخل منه الوحش •

عودة الشقيق

كرهت الفتاة نفسها وحياتها مع الجرجوف ، واستبشعت ان تقضي الايام والشهور مع هـذا الوحش المخضبة يداه وفمه بالدماء • وحدس الجرجوف السر ، واراد ان يستوثق ، فقال لزوجته انها قد عراها الذبول وان صحتها ليست على ما يرام ، فلعلها تحن الى امها ، التي تركتها وحيدة قبل الخروج مع البنات • واقترح الجرجوف ان يدعو اليها امها ، فوافقت المرأة على الفور • وعلى الفور ايضا حول الجرجوف نفسه الى صورة امها ، وجعلت هذه تحاول ان تحصل من ابنتها على سر شقائها • وهمت الزوجة بان تبـ[illegible] بالسر ولكنها منعت نفسها في آخر لحظة • واضطر الجرجوف الى ان يحول نفسه الى اخ الزوجة والى صديقة لها ، على التوالي ، حتى ظفر من زوجته بما يؤيد شكوكه : لقد فعلت الزوجة المحظور • غير ان الوحش لا يبطش بالمرأة وانما ينصحها ـ وهو في هيئة صديقتها ـ ان تنسى ما حدث وان تحاول التعايش مع الجرجوف • غير ان الفتاة تعجز تماما من ذلك •

وذات يوم شاهدت المرأة راعي غنم يرعى اغنامه على جبل يبعد عنها بمسافة فلوحت له بردائها ، فلما جاءها تبينت فيه اخاها ، فتعانقا ، واخبرها الاخ بانه منذ اختفائها وهو دائب البحث عنها في كل يوم •

وبقي الاخ مع اخته حتى وقت الغروب ، فجاء الجرجوف وشم على الفور رائحة الآدمي فقرر ان يبطش به • اقترح على زوجته ان يخرج مع اخيها الى السوق لشراء لحم ، وفي الطريق غدر الوحش بالاخ ، فذبحه وقطعه اجزاء اخذ بعضها وترك بعضا • فالتقطت حدأة الاصبع الاصغر للقتيل وكان يحمل خاتم الاخ ، واتجهت به الى الزوجة واخذت تصيح : وآما مريم ، قتل اخوك بين زمزم وهذا هو اصبعه والخاتم • ثم القت للزوجة بالاصبع والخاتم •

وعاد الجرجوف بلحم الاخ المقطع وقدمه لزوجته على انه لحم اشتراه ، وطلب الى الزوجة ان تطهوه ، ففعلت هذه مكرهة ، وجلس الاثنان لياكلا اللحم ، فجعلت الزوجة تتظاهر بالاكل ، وتجمع اللحم ما استطاعت ، فلما قام الجرجوف جمعت ما خلفه وراءه من لحم ، ووضعت الجميع في حفرة صغيرة ، واخذت تسقي الحفرة وما فيها كل يوم •

وبعد ايام قليلة نبتت شجرة فرع اخذت تكبر وترتفع اغصانها ، ثم اثمرت زهرة واحدة ، تحولت من بعد الى قرن اخذ ينمو والمرأة تتعهده بالعناية صباح مساء ، حتى نضج فقطفته واخفته عن العيون وداومت على العناية به حتى تشقق ذات يوم ، وخرج منه طفل صغير ، فرحت به الفتاة وعقدت عليه الامل في الخلاص ، فقد علمت انه اخوها وقد عاد الى الحياة من جديد •

وقالت الزوجة للجرجوف انها رزقت منه [illegible] •

لولد يعيش في
• وكبر الطفل
ـرته على قتـل
ـق فـوق رأس
ـه ضربة واحدة
لا بثالثة ، فان
نقذا الجرجوف

ضرب الجرجوف
لي ، ولا يسمع
ـة أو يخطو على
يلبث الجرجوف
نفس الاخير •

• محملين بمـا
•

ن

منية بالاسطورة
ريس » ،واضحة
يقتل ، وتقطـع
متعلقة بقضيته
هذه الاشلاء الى
يـاة ، وينتصر
و رمز الشر في
رمز الشر في
نية تجعل رمـز
الوقت نفسه ،
• اما الاسطورة
يد الابن وحده،
شي ، فان المراة
: توجه البطل،
له •

ـ ذلك الولوع
ي يدفع الادميين
معها ، والدخول
ـا الادمي وقـد

مفتونا ـ لاسي
لونجا » • وهي
• فان فتـاة

تسمى لونجا تخرج مع أخ لها اسمه حسن ،فيضلان الطريق ، وتقع لونجا في أسر غول مثل الجرجوف ياخذها هو الاخر الى بيته حيث تعيش معه مكرهة، الى أن تحين ساعة الخلاص ، فتصبغ لونجا كل ما في البيت بالحناء وتنسى «الرقة» ، ثم ياتي الشاطر حسن فياخذ الفتاة ويهربان معا ويجيء الغول مـن بعد ويزعق على لونجا كي تدلي «شعورها الطوال» وتنقذ اياها الغول من الحر والجبال » • وتروح الاشياء التي صبغتها لونجا بالحناء تلتمس للفتاة عـذرا بعـد عـذر • فالفرن يقول انها مشغولة بالخبيز ، والطشت يدفـع بانهـا تغسل الملابس ، والغرفة بانها تكنس المكان • ثم ياتي دور «الرقة» الذي نسيت لونجا أن تحنيه فيكشف السر • ويثور غضب الغول فياخذ يطارد لونجا والشاطر حسن ، وكلما وضع هذان في طريقه العقبات تغلب عليها حتى يوشك المطاردان على السقوط في اسره ،وفي النهاية يفلت الاثنان من فتك الانياب العاوة •

وفي الحكاية اليمنية ايضا ظاهرة المكان المحظور وهو الغرفة السابعة ، وظاهرة العدد السحري وهو ايضا الرقم السابع • فعدد الفتيات اللاتي خرجن لجمع الدوم سبع وعدد غرف بيت الجرجوف سبع ايضا • كما ان عدد « الجراجيف » الذين توالـوا على الفتاة وهي معلقة بالشجرة هو كذلك سبعة •

والقدرة السحرية التي يملكها الجرجوف على تقمص الشخصيات وتحويل نفسه الى اى منها في ثوان ، هي ايضا من السمات المشتركة في الحكايات الشعبية كلها • كما ان تداخل عالم النبات فـي عالـم الانسـان هو مسحة مشتركة كذلك • وفـي الحكـايات الشعبية المصرية يقتـل الادمي فيلة ، فيدفنه شخص عزيز عليه ويتعهده بالسقيا حتى يرتد ادميا من جديد • وفي هذه الحكايات ايضا ، كمـا في الحكـاية اليمنية ، يصادق الطير الانسان ويكشف له الاسرار ، مثلما تفعل الحداة فـي حكاية الجرجوف ، وفيها كذلك رغبة دفينة فـي الانتصار على الموت • فاشخاص الحكاية الشعبية يقتلون ثم يعودون الى الحياة ـ الحياة الادميـة او النباتية •

وورقة الحناء

الى جوار « الجرجوف » ، هناك حكايات اخرى

فاتنة . لعل ارقها جميعا هي حكاية «ورقة الحناء» وهو اسم فتاة جميلة ، ماتت امها ، فتزوج ابوها من ارملة لها بنت من زوج سابق • واسم البنت اكرام •

ولا تسمح المساحة بسرد هذه الحكاية الفاتنة ، ولكن ما يدعو الى الدهشة فيها انها تحوى في بعض اجزائها قصة الفتاة الجميلة الفقيرة المضطهدة « ورقة الحناء » التى تتزوج من ابن السلطان بعد حفل راقص نسيت فيه ورقة الحناء فردة حذائها ، فجعل ابن السلطان يبحث بنفسه عن صاحبة الفردة الى ان وجدها وتزوجها • هذه هي قصة سندريلا ، التى نرددها ، ونتعلق بصاحبتها اسما ومضمونا ، على حسبان انها بعض من الادب الشعبي الغربي ، وواقع الامر انها ايضا جزء من اساطيرنا العربية في اليمن •

وفي هذه المجموعة من الحكايات حكاية فكاهية طريفة ، بطلها يحمل صفات واضحة من شخصية دون كيشوت • فهو يعيش في الخيال ليهرب من واقع مر هو هنا خياط اسمه حسن ، عرف بالبلاهة والجبن ، ودأب الحظ على معاندته ، فما من زبون واحد يطرق بابه • ومن لم تحتقره امراته وتروح تتخذ لنفسها عشيقا من دونه •

ولا يجد حسن ما يفعله سوى قتل الذباب ، وهو يحسب أن ما يقتله هو آدميون ويذهب الى امراته آخر اليوم فيقول : قتلت كذا من الاعداء وجرحت كذا وفر الباقون • يفعل حسن هذا ويتغنى ببطولاته في كل مرة حتى تصدقه زوجته آخر الامر فتتخلص من عشيقها ، وتاخذ زوجها ماخذ الجد •

وتطير شهرة حسن والشجاعة التى هبطت عليه فجاة ، فيستخدمه السلطان في التخلص من عدوين له لدودين • الاول وحش مفترس ، يقبع عند اسوار المدينة ليبطش بمن يدخل اليها او يخرج منها • وهذا يتغلب عليه حسن بمحض الصدفة فانه يخرج خارج المدينة على راس دابة محملة بمحلة فيها اقراص خبز وحبات نبات مخدر • ويربط حسن الدابة الى شجرة ، ويتسلقها خوفا على نفسه من الموت فياتي الوحش وياكل الدابة ويعبث بمحتويات المحلة ، ويلتهم الاقراص والحبات المخدرة فيصيبه الخدر وتبطل حركته • ويستيقظ حسن من الفجر فيلجم الوحش ويركبه الى المدينة ، وهو لا يدرى حقيقة ما يجرى • وبالطبع يعتبره الكل بطلا مغوارا ، بينما هو تذهب نفسه شعاعا كلما تذكر ما حدث •

وبالصدفة ايضا يحرر حسن السلطان من عدوه الثاني ، وهو ثائر متمرد كان يعد العدة لغزو البلاد والاستيلاء على الحكم ، وهذا يخيفه حسن ـ دون ان يدرى ـ بمجرد نطق اسمه مجردا من كل لقب • وكانت بطولات حسن سبقته الى مكان الثائر ، ولذا يستسلم الرجل ، خاصة وان حسن لا يقاتله بل يعانقه ، مما يجعله يظن أن حسن قد جاء معه بعفو السلطان • ويتوجه الجميع في موكب كبير الى قصر السلطان حيث ينعم السلطان على دون كيشوت اليمني بالخلع والاموال •

●

وكم هي رقيقة وفاتنة الحكايات اليمنية الاخرى التي تضمها هذه المجموعة حكايات مثل : « جليد الحمار » و « وسيلة » و « بشيبة ولا كل الشباب» وهي جميعها مليئة بالحكمة والمتعة والخيال المجنح •

انني اضم صوتي الى صوت الاستاذ علي محمد عبده في حث الكتاب العرب على النظر المدقق في هذه الحكايات ، قصد اتخاذها مادة لفنونهم في القصة والرواية والمسرح • ان احدى هذه الحكايات واسمها : صاحبة التويقت (اى المتسولة) تكاد تصرخ طالبة من يستخدمها في عمل مسرحي • بل ان الشخصية النسائية فيها لتقوم بالتمثيل • فهي متسولة تزوجها رجل غني ، فلما مرت عليها الايام والشهور حنت الى مهنتها ، واخذت تمثل لنفسها دورين : دورها هي كمتسولة ، ودور المحسن او المحسنة التى تتوجه اليه او اليها بالتسول • ويضبطها زوجها وهي تتسول من نفسها ، فيتأكد انها ما خلقت لنعيم البيوت وانما سعادتها في حياة التنقل ، فيطلقها وهو يقول : المتسولة تحن الى ماضيها •

علي الراعي

● عن الدين والسياسة ●

بقلم : فهمي هويــدي

هكذا عدنا الى « المربع الرقم واحد » ـ كما يقول الامريكان ـ واطلت برأسها من جديد دعوة الفصل بين الدين والدولة ، حتى يذهب ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر وهي الدعوة التي وصفها محمد رشيد رضا في بدايات هذا القرن « بالمقالة الابليسية » ، نسبة الى ابليس ، وصنفها الزعيم المغربي علال الفاسي ضمن « الاسرائيليات الجديدة » ، التي تسللت الى التفكير الاسلامي ، واشار اليها سيد قطب بتعبير « الفصام النكد » !

ولابد أن نسجل ابتداء ان الذين صاروا يرددون هذه « المقالة الابليسية » هم اهل السياسة بالدرجة الاولى ، وان هؤلاء انفسهم هم الذين يسحبون « المقالة » عند اللزوم اي ان اهل السياسة ينادون بالفصل عندما يشعرون بان الاسلام الحقيقي يهدد مصالحهم ، ولا يترددون في تأييد الضم كلما كان في ذلك خدمة لمصالحهم . فاذا بادر الاسلاميون الى التأييد والتبريك ، واذا خرجت طوابير الطرق الصوفية في مواكب الاستقبال والتوديع ، واذا اقيمت صلاة الشكر عندما يفرح السلطان ، وصلاة الخوف اذا قطب جبينه ، وصلاة الاستسقاء اذا عطش ، اذا حدث ذلك ، فمرحبا بالضم ، وسحقا للقائلين بفصل الدين عن الدولة .

اما اذا انفتح باب الحوار والاعتراض ، وتناثرت عبارات حق الله وحق الناس ، ورفعت شعار الشورى والعدل والحرية ، فهنا ينبغي ان « يصحح » الوضع ، ويعرف كل حده وحدوده . ويطالب المتدينون بان لا يتجاوزوا عتبات المساجد ، وان يتركوا ما لقيصر لقيصر !

وفي التاريخ العربي الحديث ، من الثابت ان الانجليز رشحوا الملك فؤاد ـ ملك مصر ـ ليكون خليفة للمسلمين بعدما الغى كمال اتاتورك الخلافة الاسلامية في عام ١٩٢٤ . وأن الانجليز عندما فرضوا الملك فيصل بن حسين ملكا على العراق بعد الحرب العالمية الاولى ، قالوا ان اهل « الحل والعقد » ، هم الذين اختاروه ، بحر ارادتهم ، وبالضبط كما قال الشرع والملة !

وفي التاريخ الاسلامي ، فان واحدا فقط من اهل العلم هو الذي قال « بالفصل » ، هو الشيخ علي عبد الرازق ، في كتابه الذي اثار عاصفة شديدة وقت صدوره بمصر عام ٢٥ ، وان كان المدافعون عنه يقولون انه استهدف بكتابه قطع الطريق على تعيين الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، على اعتبار انه ليس في الاسلام خلافة ولا ملك .

وعندما قال العلامة الجزائري الكبير عبد الحميد بن باريس ، انه لا شأن لرجال الدين بالسياسة ، لم يكن يطرح قضية الفصل بكل تأكيد ، بل انه كان يريد ان يبعد ايدي الاستعمار الفرنسي عن التدخل في شئون جمعية العلماء الجزائريين ، التي كانت التربة الحقيقية التي نبتت فيها الثورة الجزائرية فيما بعد .

وعندما كتب الامام محمد عبده يقول : اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن كل حرف يلفظ في كل سياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة » .. عندما قال ذلك كان يعني « السياسة التي تضطهد الفكر او الدين او العلم ـ سياسة الظلمة واهل الاثرة » . بتعبيره هو ، تلك السياسة التي كانت وراء نفيه من مصر في اعقاب تأييده للثورة العرابية ، حيث كان يمارس ذروة العمل السياسي .

●

وخارج هذا الاطار . فاغلب الظن ان احدا من مفكري الاسلام لم يردد مقولة الفصل بين الدين والدولة ، التي لا يختلف اثنان على انها ضمن مواريث الفكر الغربي التي اخذت مكانها في التفكير العربي ، في عصور التدهور والانحطاط ، التي عاشها العالم العربي والاسلامي منذ اواخر القرن الثامن عشر ، مرتبطة بتحلل الامبراطورية العثمانية وبدء اندثارها .

وقتئذ كان الطلاق البائن بين الدولة والكنيسة قد تم منذ زمن لاسباب معروفة ، وكانت الثورة الفرنسية قد احدثت زلزالها في التفكير الاوروبي ، بينما سحرت شعاراتها في الحرية والاخاء والمساواة ، كل الطامحين الى النهضة في كل مكان .. وكانت عيون الشرق متجهة الى فرنسا . وفي تلك الظروف كانت طلائع المثقفين في الشرق تتوافد على باريس ، تنهل وتتعلم وتنقل . حتى قيل ان مؤلفات

فولتير وروسو ومونتسكيو قد وجدت في مكتبة احدى المدارس المصرية في عام ١٨١٦ . في تلك المرحلة وفد على باريس اثنان من ابناء الشرق ، قدر لهما ان يتركا بصمات بارزة على التفكير العربي ، فيا سمي بالتنوير عند البعض ، والتغريب عند آخرين . والاثنان هما رفاعه الطهطاوي القادم من مصر . وخير الدين التونسي القادم من تونس . وظلت كتب الطهطاوي والتونسي تعكس انبهار الشرقي بالتمدن الاوروبي ، وتدعو ملحة الى الاخذ باساليب الغرب في الحياة والتفكير . وان « نتخير منها ما يكون بحالنا لائقا ، ولنصوص شريعتنا مساعدا وموافقا » .كما يقول خير الدين التونسي في مدخل كتابه « اقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » .

وعبر هذه الجسور انتقلت شعارات وافكار كثيرة الى العقل الاسلامي ، في مقدمتها تلك « المقالة الابليسية » . في الفصل بين الدين والدولة .

اي ان هذه الدعوة افراز غربي بحت ، اذ هي وليدة تجربة تاريخية خاصة وظروف مختلفة تماما ، دينية وسياسية واجتماعية . الامر الذي يتعذر معه ، باي منهج علمي ، ان تنقل المقولة الى تربة غير التربة ، ومناخ غير المناخ ، الا اذا تم ذلك بأساليب التعسف والمغالطة .

ومن الثابت تاريخيا ايضا ان الذين رفعوا لواء هذه المقولة ، من غير اهل السياسة ، هم فريقان . الببغاوات الذين استقر في اعماقهم ان الغرب هو التقدم والشرق هو التخلف ، وان « قرآنهم » الجديد - والعياذ بالله - هو كل مدونات الغرب وشعاراته . ودواء كل داء عندهم لا بد ان يكون في « صيدلية الحضارة الغربية » دون غيرها ، بتعبير المفكر الجزائري مالك بن نبي .

اما الفريق الثاني فيضم عددا من المفكرين غير المسلمين ، المستشرقين والعرب ، وبعضهم كاره للاسلام ، لا يتمنى الخير لاهله فضلا عن دولته . وبعضهم خائف من الاسلام متوجس منه بسبب من عجز في الفهم وقصور في الرؤية .

والكارهون لا تجدى معهم مناقشة ، والخائفون امرهم هين اذا حسنت نواياهم ، ومن اليسير تبديد مخاوفهم اذا ما رغبوا في الوقوف على الحقيقة . اما المقلدون فمشكلتهم اكبر . اذ ان هؤلاء هم الاغلبية ، وهم اصحاب مدرسة كبيرة ضاعت من بين اوراقها بطاقات الهوية والانتماء ، والغيت من قاموسها كلمات الحصانة والشخصية المستقلة . هؤلاء المقلدون تستهويهم صياغات الغرب وشعاراته - من الفصل بين الدين والدولة الى العلمانية والليبرالية واليمين واليسار - فينقلونها باعين مغمضة الى واقعنا ، ثم يطالبوننا بان نفصّل الاسلام على قياسها .

●

وحتى لايكون التعميم ظالما ، فلابد ان نشير الى ان هناك من يلجأ الى هذه الصياغات ، لا بهدف التقليد الاعمى ، ولكن فقط من قبيل استخدام تعبيرات عصرية ، قد تساعد في الايضاح والافهام . ويدخل في هذا الاطار بين المحدثين مؤلف الدكتور مصطفى السباعي « الاشتراكية في الاسلام » ، ودعوة الدكتور فتحي عثمان الى ما اسماه باليسار الاسلامي [مجلة المسلم المعاصر -

العدد الثالث] .

وواقع الامر ان الباحث يستطيع ان يجد في كتابات اكثر الفقهاء ومفكري الاسلام شيئا من هذا كله . من التوازن - وليس الفصل - بين الدين والدولة ، ومن العلمانية التي ترفض السلطة الدينية ، ومن الليبرالية التي تطلق حرية الانسان ، ومن اليسار الذي يقف الى جوار الفقراء والضعفاء ومن الاشتراكية التي تطرح العدل الاجتماعي كقيمة اساسية .

لكن الخطأ والخطر هو في اعتبار هذه المداخل هي الاصل ، بينما الاسلام هو الوافد والطاريء . الامر الذي يفتح الباب لمنزلقات تقودنا الى نهايات قد تكون بعيدة عن الاسلام او نقيضة له . واذا افترضنا ان ذلك ليس الهدف المطلوب ، فينبغي ان يظل الاسلام اسلاما ، بغير تصنيف في مربعات الاشتراكية او اليسار او العلمانية . ينبغي ان يكون الاسلام هو الاصل ، هو الاطار والوعاء ، وكل ماعدا ذلك من صياغات لايتجاوز « وسائل الايضاح » وادواته . خصوصا وان الممارسات قد وسعت من تفسيرات تلك الشعارات المستحدثة ، حتى افقدتها اللون والطعم والرائحة .

وبالمقابل ، فان ثمة خطأ آخر يقع فيه بعض الاسلاميين ، هو انهم يستفزون ويعلنونها حربا شعواء ، تتراوح اسلحتها بين التشهير والتكفير ، على كل من ينطق بهذه الصيغ العصرية دون تمييز بين الدعاة والعصاة ، الامر الذي يضر بهم وبالاسلام ابلغ الضرر . فاذا كان الاسلام ليس هو الاشتراكية . لكنه بالتاكيد ليس ضد الاشتراكية . وحربهم على اليسار كثيرا ما تدفع بهم الى الوقوف في مربعات اليمين . وكم عانى الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - وهو من اجل مفكري الاسلام وقيادات الحركة الاسلامية في سوريا - لمجرد انه استخدم تعبير الاشتراكية . ولا يزال الدكتور فتحي عثمان ، الذي يعد من ابرز الكتاب الاسلاميين الواعدين ، يعاني من جراء استخدامه لتعبير « اليسار الاسلامي » .

●

لم نناقش تلك « المقالة الابليسية » في الدعوة الى الفصل بين الدين والدولة في الاسلام ، لان القائلين بها - كما سبقت الاشارة - اما ساسة احسوا خطرا من الاسلام فطالبوا بحبسه في المساجد ، او فريق الحاقدين على الاسلام ، او الجاهلين به من خائفين ومقلدين . اى انه ليست هناك دوافع موضوعية وراء طرح هذه الفكرة ، الامر الذي يضيق من فرصة المناقشة او يلغيها .

واذا كان هناك رأي واحد انفرد به رجل من اهل العلم مثل الشيخ علي عبد الرازق فانه منذ العشرينات وحتى الان لم يجد الكتاب الاسلاميون من فقهاء الشريعة او القانون رأيا يفندونه وينقضونه في هذه القضية ، الا ما قال به صاحب كتاب « الاسلام واصول الحكم » وبعد ستين عاما من التفنيد والنقض ، هدم رأي الشيخ علي عبد الرازق ولم تقم له قائمة من الناحية العلمية .

ولن نتوقف طويلا امام مقوله الشيخ علي عبد الرازق ، مكتفين بتسجيل رأيين لواحد من اشهر فقهاء السنة في العصر الحديث ، هو الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، وآخر من اشهر فقهاء - وزعماء - الشيعة المحدثين هو الامام آية الله الخميني .

ت الاسلام) كتب الامام شلتوت يقول : « .. ويصعب ان نفرق في
مى دينا فقط او سياسة فقط فكل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة دين ،
سلام في التربية والخلق . وكل ما يتعلق بالمعاملات دين ، ويمكن ان
صادية والاجتماعية . وكل ما يتعلق بالحكم وتدبير مصالح المسلمين في
ن يسمى نظام الاسلام في الحكم وادارة الدولة ، وهكذا يرتبط الدين
لام . ارتباط القاعدة بالبناء . فالدين اساس الدولة وموجهها ، ولايمكن
. كما لا يمكن تصور الدين الاسلامي فارغا من توجيه المجتمع وسياسة
اسلاما » .

لجهاد والرفض) ، يقول الامام الخميني لاتباعه : عرفوا الناس بحقيقة
الشباب ان اهل العلم في زوايا النحف وقم يريدون فصل الدين عن
سوى دراسة الحيض والنفاس ، ولا شأن لهم بالسياسة .

ن يقول بفصل الدين عن السياسة ، لا يفهم في الدين ، ولايفهم في

●

ن موقف الاسلام من قضية الدين والسياسة ، فان هذه الازدواجية في
فس وجسم ، عقل وروح ، ومخاطبة كل جانب بمدخل مختلف ، بحيث
ذاء روحه في الكنيسة وغذاء عقله خارجها . هذه الازدواجية اصبحت
الدكتور عماد الدين خليل في كتابه « تهافت العلمانية » ، ان فيلسوف
ي) يؤكد في مؤلفاته على ان الفصل بين العقل والروح في عالم الاشياء
ية البائدة . ويكتب الدكتور محمد البهي في مؤلفه « الفكر الاسلامي
غربي » ، « ان الانسان الان في نظر البحث العلمي وحدة واحدة لا
.. « وان تجربة توزيع السلطة في الغرب بين الكنيسة والدولة ، لم تثمر
، بل كان من ثمراتها اخضاع احدى السلطتين للاخرى في النهاية » .

، الثمن الفادح الذي يدفعه الغرب الان نتيجة ممارسات هذا الفصل بين
نتشار الجماعات التي يختلط في فكرها الدين بالشعوذة في الولايات
؟ اعلان عن اشهار افلاس هذه المدرسة التي اقامت ذلك العازل الخطير
لانسان وواقع المجتمع وما مذبحة مزرعة جويانا الامريكية الشهيرة
بخص في « انتحار مقدس » ـ الا جرس انذار يحذر من ذلك الفراغ
كرة حبس الدين وراء جدران المعابد ، التي تتردد بيننا الان

صل بين الدين والدولة مرفوضة ، ما هو المقبول اذن ؟

■■ القادم باذن الله .

الى شاعر مهاجر

شعر : الدكتور

عبد العزيز المقالح

والحـدقا وجفنـه في مرافي دمعه احـترقـا
ن تغسلـه في بحـرها ، لا ولا في بحـرها غرقا
طامحـه وكـم يكابـد مـن أشجـانه حرقـا
فانتحـرت به القـوافي ومن أصدائهـا شرقـا
احتـرقت محـاجر الفجـر في أجفـانه شفقـا
ر غربتـه انا على القـرب نصلى نارهـا الارقـا
عاصفـة وأوقدت في دمائـي الرعب والفـرقا
ن يابسـة جفت ، فما أثمـرت وردا ولا ورقـا
بـلت بـه فصـار يفـترش الاحـداق والطـرقـا
غـاربـة تنـاثرت أدمعـا ، قد مزقت مزقـا
جـذوتها وفي خـلايا دمائـي سيفهـا برقـا
منطرحـا وفي ضحى الفجـر أشدوهن منطلقـا
، شجنـا أصـير حرفـا على الافـاق مؤتلقـا
أحملهـا في مهجتي رعشة ، في خافقي قلقـا
مفاتنهـا وأطعمـت شفتـي من ريهـا عبقـا
يجـرحهـا وقومهـا يعبـدون السيـف ممتشقـا
يندبهـا ورأسه في يديـه ، ينـدب المنقـا
ـا طربـا فأصبحت في ليـالي بؤسنا رهقـا
مرتعـش عاش الحيـاة ضـلالا والمنى حمقـا
يحسبهـا مفتـوحـة فطـواه صمتهـا حنقـا
وأذهـلني أن لا أرى فسحـة في الارض أو نفقـا
غاضبـة فلا أرى فرجـة في الجـو أو نفقـا
لصرعهـا كم مرة قتلت ، كم حلمهـا انسحقـا
طالعـة وفي دمـاء الضحـايا قلبهـا خفقـا
ظلمتهـا والمـح الفجـر من أشواقهـا انبثقـا

■■

صنعاء ـ عبد العزيز المقالح

من قصائد الثورة والحزن

للشاعر الايطالي الشاب انجيلو انبيزيني

الشاعرة والفنانة ريجينا عرفتها سنة ١٩٦٤ ، وكان الصديق الشاعر كوازيمودو ، رحمة الله عليه ، قد قدمها الي في بعض رسائله . ثم جاءت تزور الأردن في ذلك العام ، وبقيت معنا أكثر من ثلاثة أسابيع ، زارت فيها مختلف أرجاء ضفتي الأردن ، وعادت من الرحلة راضية سعيدة .

وأما شقيقها أنجيلو فقد عرفته في منزلها في ميلانو بعد ذلك ، سنة ١٩٧٣ ، وعرفت أسرته . ووجدت ... شاعرا انسانا ، طيب القلب ، رقيق الشاعرية ، رق... العبارة . ولمست لديه حبا للعرب ، وايمانا بعدال... قضيتهم ، وكرها لاسرائيل وللغرب الذي يساند ظا...

الشاعرة ريجينا أنبيزيني

الشاعر سلفاتور كوازيمودو الفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٩

ىوانها . وأطلعني أنجيلو على عدد من قصائده ، ىبت فيها العفوية الناعمة المتدفقة ، والانسانية ميلة ، والعاطفة الرقيقة الغامرة .

ان أنجيليو يقيم ويعمل في مدينة جنوا منذ أن أنهى سته الجامعية . وهو لا يكتب الشعر الا في فترات باعدات ، ولا يكتبه الا بدافع نفسي ملح .

كان أنجيلو شديد التعلق بأمه ، وكانت أمه ملاكا ا فعلا ، وكانت تستحق محبة أبنائها . ثم توفيت أمه ، انت وفاتها صدمة عنيفة له لم يستطع تصديقها . ل يحس بأنها تعيش معه في يقظته ونومه ، وترافق مه الليلية . ومرارا متعددة كان يراها تزوره في منزله حنوا ، وتجلس معه تخاطبه ويخاطبها كأنها ما تزال حية . وقد أقسم لي مرارا أن هذا لم يكن خيالا ، بل حقيقة ... الى هذا الحد كان تعلقه بها . وقد كتب عدة قصائد حزينة من وحي فراقها ، ومن وحي زياراتها له بعد موتها . وكان من أثر وفاتها أنه أصيب بذبحة صدرية ، وكاد يلحق بها .

من قصائد ايمانه بالقضية العربية ودفاعه عنها نختار قصيدتين له ، كما نختار عددا من قصائده الحزينة التي كتبها في والدته بعد موتها ، لكي يشاركني قراء (العربي) في تقدير هذه الشاعرية الجميلة ، وهذه الانسانية تفيض بها نفس الشاعر الشاب أنجيلو أنيبزيني .

١ ــ انذار الى جزاري الأمة العربية

Monito ai carnefici della nazione Araba

(هذه القصيدة كتبها الصديق الشاعر يوم الاثنين الثامن من تشرين الأول / أكتوبر١٩٧٣ ، وهو اليوم الثالث من أيام حرب أكتوبر . وهو يعرب فيها بحماسة وغبطة عن فرحته بالمفاجأة العربية التي كانت يومذاك في أوج تحطيمها لغرور اسرائيل)

لم تكونوا تتوقعون هذا . أليس كذلك ؟
ولكن المصريين السريعين
عادوا فعبروا القناة ،
والسوريين يقاتلون على الجولان .
انها لأمة بأكملها تزأر
بصوت واحد . بل هو
قلب العروبة برمتها .
لقد حشرتموهم من قبل دون رحمة
في معسكرات الاعتقال ،
ورحتم تنسفون بيوتهم عابثين ،
وتهزأون بهم
بعد تجريدهم من كل شيء ،
الا من الروح .
وها هي الروح العربية تنبعث من جديد
واللاجئون ينتظرون في كبرياء
بعد سنين عديدة من التعاسة والعذاب .
وجنود الجيش الأردني الأبطال
الذين سقطوا شهداء ، دفاعا عن القدس المقدسة ،
ينهضون في عظمة
من قبورهم المكللة بالمجد .

. . .

لست أحقد عليكم ، أيها اليهود ،
بل أتألم لأجلكم في هذه الساعة .
ولكن من الممكن نسيان
جرائمكم الماضية كلها :
الارغون[1] ، والهاغاناه ، والارهاب
المنظم في أرض،
لم تكن قط أرضكم .
بعد ألفي سنة عدتم
كالأذلاء المتسولين ،
ولكنكم كنتم في الحقيقة تتربصون
بمن لم يكونوا قط ممن اضطهدوكم .
ليس من الممكن نسيان شماتتكم القاسية
ازاء الخصم المهين

من جراء اذلالكم الهمجي الوقح .
ليس من الممكن نسيان
ازالتكم قرى بأكملها ،
ولا نسيان مأساة الشعب الفلسطيني .
ليس من الممكن نسيان النابالم
الذي احترق به الأطفال العرب كالمشاعل .
ان تلك المشاعل ما تزال
تحرق ضمير العالم المتمدن .
ومع ذلك فلن توراتكم تتحدث
عن سدوم وعمورة ،
وكانت صحافتكم تصف العرب
بأنهم قطاع طرق في الصحراء . وها هم زعماؤكم
قطاع الطرق في القرن العشرين .
انكم تصرخون الآن ضد العدوان ،
وتخافون كما يخاف اللصوص :
سرقوا أرض الآخرين ، ولصوص الدماء البريئة
التي ستضطرون يوما الى ردها الى أهلها .
ومع أنه مكتوب
في الوصية التاسعة من وصاياكم العشر :
« لا تشته ما لغيرك » ، فقد سلبتم ما لغيركم .

. . .

كلا ، لست أحقد عليكم ، أيها اليهود ،
بل أسأل الله ان يعينكم ، وينير قلوبكم .
تعلموا من هذا الدرس الذي جاءكم صاعقا
مع هدير الاسلحة العربية
التي ستعرف كيف تكون كريمة .
عودوا الى المقاييس الانسانية ،
وتعلموا أخيرا كيف تصفحون
اذا شئتم أن يصفح عنكم الآخرون .
وعاشت فلسطين الى الأبد !

= = • • • • = =

٢ ـ الى أين يا اسرائيل ؟ Quo vadis , Israel ?

(في هذه القصيدة الثانية ، يخاطب أنجيلو اليهود كما كان يخاطبهم المسيح حين كان ينعتهم بأبناء

---

(١) الأرغون هى عصابة السفاح مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل اليوم ، وصاحب مجزرة دير ياسين ، وتفجير فندق الملك داود (ع . ن)

انكم لم تستطيعوا هزيمته
في ميدان القتال .

. . .

الويل لكم أيها الفريسيون ، يا جنس الأفاعي !
لقد عدتم الى عبادة الأصنام ،
حتى الحكم يعد معكم ،
ولا بد أن يسحقكم في النهاية .
اسرائيل ، اسرائيل ! الى أين يا اسرائيل ؟
ستبقى فلسطين الآن والى الأبد !

= = . . . = =

٣ ـ الأم ـ Madre

(هذه القصيدة وما يليها من قصائد الشاعر الحزينة ، التي أوحى بها فقد والدته) .

خطاك الحلوة مخملية كخطى غزالة ،
وعيناك البليلتان الزرقاوان بلون السماء
تنعكسان على الخضرة المترامية
وعلى مياه نهر تيشينو .
كل شيء هناك ما زال يتحدث عنك ،
فأنت في كل شيء
حتى في ما لا تبصره العيون .
في سواد الحزن الانساني
(وما زلتُ حياً) أحس صوتك
الهادىء المداعب ، ويديك
المعزيتين تداعبان شعري .

. . .

يا لجمال شَعركِ ، يا طائر الفردوس الأشقر .
لا أريد أن أسالك
لماذا ينبغي
أن تتركينا ؟ الله وأنت تعلمان ذلك .
ولكن هذا العالم لم يعد عالمك .
لقد تألمتِ كثيرا
ولعلكِ كنتِ تشعرين بفقدان
طفولتك السحرية .
هناك شيء واحد ما زلت أريد
أن أقوله لك اليوم ، وهو أن تسمعي

صوتي العالي جدا وهو يناديك : « أمي ! »

٣ ـ بشرى تحت شارة الأم ـ
Humanus sub signo matris

لم يعد لديّ ما أقوله
من خير أو من شر .
لقد توهم عقلي كثيرا جدا
وأصبح الآن متلاشيا أمام السرّ
الأشد وضوحا ،
سرّ الحياة والموت .
ان ظلمة الليل الداجية
لا ترعبني ،
غير انني الآن ما عدت أستطيع
أن أجيء أشد لذعا
مما رأيت .
لم يعد لدي ما أقوله .
انني بَشر تحت شارة الأمّ .

٤ ـ انتظار ـ Attesa

ان ضياءك ، يا نورا من النور ،
قد صعق الشمس .
ولكن أنت ؟ وأعني مظاهرك الأرضيةَ
التي عرفتُ متأخرا جدا
مدى انسانيتها الفائقة ،
عند الهبوط المعزّي ، هبوط الموت
المحرّر ، والقاسي لأنه عادل
ومن أصل الهيّ .
ولكن أنت ؟ وجسمك المتناغم ،
وصوتك الناعم ،
وأنت بشكل عام ،
وألمك الجبار ،
وكل ما رأيناه
منك بالعيون البشرية ،
ألم يكن كل ذلك كافيا
لمجد الله والأبديةْ ؟
انني أترقب منك الجواب !

٥ ـ فراغ ـ Vuoto

انا لست ما قد كُنْتِهِ أنت
وحتى الآن لا أدرك
ولا أرى المطلق .
أما أنت فعيناك تريان الآن كل شيء
وهما الحدقتان ذاهلتين
أكثر من عيني طفل ،
في الفردوس الأرضي
أمام تجلّي
السر المطلق والالهي .

= = • • • = =

٦ ـ خشية الموت لا تقلقني
(timor mortis non conturbat me)

(في هذه القصيدة يشير الشاعر الى أنه رأى أمه ، بعد موتها ، تزوره في بيته في جنوا مدة دقيقتين ... وكان يؤمن بأن ذلك قد وقع فعلا ، وليس مجرد تصور ووهم)

لئن جفَّ لساني
متآكلا من الشر الذي لا علاج له ،
ولئن أُغلِقَتْ عيناي
أمام إدراك المرئيات ،
وتوقف قلبي
حين قارب ما يُدْعَى
بالموت الطبيعي ، حتى عند ذلك كله
وحتى لو أصبحتُ باردا
على رخام القبر ، أو مسجى
في تابوت ، فلن أموت .
انني أعيش ، وقد عشت ، وسأعيش دائما
لأنني رأيتك . دقيقتان
كانتا كعمر الأبدية :
أكثر من اليقين البشري ،
كانتا حدسا الهيا ، وعزما .

د . عيسى الناعور
(عمان / الأردن)

بهرى

لمير

ة

ل!

راشد

ر أغسطس سنة
، الساحة المركزية
'لزاس الفرنسية ،
التي ساقتنى الى
ت تعدني ، من

دون سائر آلاف الناس الذين يمرون بهذه البقعة في موسم السياحة من صيف كل عام ، لأقف في هذا المكان بعينه ثانية ، وبعد عشر سنوات بالضبط ـ أى في يوم من اغسطس سنة ١٩٧٨ ـ شاهدا ومحققا في أطرف واقعة « تزوير فنى » دبرتها بلدية تلك المدينة ذات التاريخ

المأسوي . فان أكثر ما استرعى انتباهي وأثار تعجبي كان ذلك الرسم المجسم ـ في احدى اللوحتين البرونزيتين المثبتتين على جانبين متقابلين من جوانب قاعدة التمثال ـ لفلاح مصرى شاب لاينقصه شئ من « طاقم الشغل » التقليدي المتواضع الذي لا يزيد على فأس في يده و « لبدة » تبتلع ثلث رأسه وقميص واسع الطوق ينزل الى ما تحت الركبة بقليل . وهي اعجوبة أو في الاقل مفارقة لا يشفع لها أن يكون هذا الفلاح هو أحد الشخوص التي تموج بها لوحة اريد لها ـ كما سطر تحتها ـ أن تمثل « موقعة » جرت في أطراف القاهرة بين المصريين وجنود « الفرنسيس » من أتباع الجنرال كليبر « ساري العسكر » حينذاك . فان بمجرد وجود الفلاح المصرى شاهرا فأسه في ذات الوضع الذي يتخذه وهو يهوى بها على الأرض الطيبة يهيئها للزرع ، في مواجهة جنود فرنسيين مزودين بأفتك أسلحة العصر ، لا يوحى فقط بأن « المعركة » كانت غير متكافئة ، بل يقطع بأنه لا معركة هناك على الاطلاق . وان الامر لا يعدو أن يكون مشهدا لجنود الجنرال كليبر وهم يقمعون في وحشية احدى الانتفاضات الشعبية التى كانت أسلوب اهالى القاهرة والريف المتاخم في مقاومة الاحتلال الفرنسي . ويكون وجه العجب من ثم هو أنه فات كل من اسهم في اقامة النصب تخليدا لامجاد الجنرال كليبر في مصر أن تلك اللوحة لا يمكن ان تحتسب من بين هذه الامجاد ، وأنها على الأقل لا تستقيم مع اللوحة الأخرى المثبتة في الجانب المقابل والتي تصور ـ كما سطر في أسفلها ـ موقعة « هليوبوليس » وقد سحق فيها جنود الجنرال الاتراك وفرسان المماليك والحقوا بهم الهوان الذي شاء خيال الفنان صانع اللوحة أن يجسده في أحد هؤلاء الفرسان وقد سقط من على جواده وقبع رثا ذليلا بينما تدحرجت عمامته واستقرت على قيد خطوات منه .

مفاجأة الزيارة الثانية

على أنني لم استرسل حينذاك فيما كان التعجب خليقا بأن يجرني اليه من البحث للتحقيق من مصدر تلك المفارقة . ولم أعد أفكر في الأمر ، وغادرت استراسبورج بكل مالها وما عليها بغير أدنى أمل او رغبة في العودة اليها . الى ان قادتني بعض اهتماماتي في اغسطس الماضي الى أن أتوقف فيها لبضع ساعات وأنا قادم من الغابة السوداء بالمانيا في طريقي الى « نانسي » عاصمة مقاطعة اللورين المتاخمة . ولم أشأ أن تمر بي هذه الساعات المعدودة في استراسبورج دون أن اهرول الى ساحتها المركزية في زيارة خاطفة لمواطني الفلاح المصرى ولكن ياهول المفاجأة . لقد اختفى الرجل من اللوحة التي بقيت مع ذلك في مكانها محتفظة بشكلها الظاهرى جميعه ، بما في ذلك لونها الأخضر الترابي الذي اكتسبه البرونز بفعل الزمن الذي استطال عليها من تاريخ اقامة التمثال في سنة ١٨٤٠ كما سجل على جانب من قاعدته وأصابني الارتباك برهة أخذت اتنقل خلالها بين اللوحتين اقارنهما بما وعته الذاكرة عنهما في زيارتي قبل عشر سنوات . وما لبثت الحقيقة أن تكشفت لى بكل أبعادها فما زالت اللوحة التى تمثل موقعة « هليوبوليس » على حالها في الجانب الشمالي للقاعدة ، وقد كتب تحتها « هليوبوليس ٢٠ مارس ١٨٠٠ » ، يلى ذلك نداء نصه : « أيها الجنود ، ان الرد على مثل تلك الوقاحة لا يكون الا باحراز الانتصارات . فاستعدوا اذن للقتال » ، ثم توقيع بالأحرف الأولى وتاريخ « ١٨٤٠ » . أما اللوحة الأخرى على الجانب الجنوبي للقاعدة فقد برز فيها الجنرال كليبر ممتطيا صهوة جواده وسط جنوده في معركة ساخنة مع جنود جيش أوروبي آخر ، وقد سطر تحتها بيان مقتضب نصه « التنكيرشن ١٩ يونيه ١٧٩٦ » ، إشارة الى الموقعة التي مهدت لاستيلائه على « فرانكفورت » عاصمة ولاية « هيس » في غرب المانيا .

اذن فقد فطن القوم للمفارقة الفنية بعد نيف وقرن وربع من الزمان ، فاستبدلوا لوحة أعدوها لموقعة انتصر فيها كليبر في ألمانيا على أعداء الثورة الفرنسية ، بلوحة « الموقعة » التي دارت بعد ذلك بسنين حول القاهرة . وزاد هذا الخاطر من خيبة أملي بل محنتي في هذه اللحظة ، وخشيت أن يمتد أثر هذا الاحساس الى مطلبي في « نانسي » فيفسده . ومن ثم لم أجد مفرا إلا أن اعدل برنامجي لأبقى في استراسبورج من الوقت ما يتيح لى جمع أدلتي « الفنية » على ذلك « التز[illegible] »

اعزز بها شهادتي الشخصية التي شاركني فيها لحسن الحظ بدای اللذان كانا برفقتي في جولتي الأولى قبل عشر سنوات ، وربما شهود أخرون أجهلهم . وصرت اتردد على التمثال وادور حوله متفحصا ومدونا خواطري وملاحظاتي ، مما لفت في احدى المرات انتباه زوجين من السائحين لم يملكا مقاومة الرغبة في استطلاع أمري ، فاقتربا مني مبتسمين وبادراني بالاستفسار عما يشغلني من أمر هذا التمثال . ولما أنهيت اليهما طرفا مما وقفت عليه ، كم كانت مفاجأتي اذ اطلعاني على تحريف أخر أقل شأنا - بل لعله مجرد خطأ مادي - تبيناه فيما سطر على أحد جوانب قاعدة التمثال عن تاريخ مولد كليبر وأنه في يوم ٦ مارس سنة ١٧٥٣ ، لا يوم ٩ مارس كما هي الحقيقة المثبتة في وثيقة ميلاده الرسمية التي يحتفظان بصورة زنكغرافية لها انتزعها الزوج من أحد كتبه واحتفظ بها منذ كان صبيا . وكان من المشروع أن استفسر بدوري من ذلك السائح - الذي تنم لكنته وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة عن انه اوروبي من غير الفرنسيين - عن سر اهتمامه بالجنرال كليبر الى هذا الحد . ولك ان تقدر مبلغ ذهولي عندما أعلمني بأنه هو كذلك ينتمي الى أسرة هولندية تحمل اسم « كليبر » ''

مفارقة أكبر

والواقع انني لم ألق صعوبة تذكر في جمع الأدلة فقد يسر لي الأمر أن القائمين على استبدال اللوحة قد ترديا في مفارقة فنية أشد وانكى من تلك التي ارادوا طمس معالمها . ذلك أن التمثال قد صمم في الأصل استجابة لرغبة « مواطني كليبر ورفاقه في السلاح » - وهذا هو ماسجل على احد جوانب القاعدة - لتخليد ذكراه في مصر حيث اغتيل سنة ١٨٠٠ ووضع رفاته في تابوت عثر على قاعدته مؤخرا بحديقة مستشفى « قصر العيني » في القاهرة . والتمثال في ذاته قد لايعلن عن ذلك ، ولكن يعلن عنه كما لو كان بالحروف المضيئة ذلك النموذج الصغير لابي الهول الرابض عن يمين كليبر ... يكاد يصل الى طرف ردائه (الردنجوت) ، وكأنني ... تشكيلين البرونزيين على قمة النصب حروفا هائلة ... من كلمتين : « كليبر بمصر » . ثم يتأكد هذا المعنى بما لايدع مجالا لادنى شك باللوحتين الجانبيتين تموجان بأحداث قادها كليبر ضد اهالي مصر بل القاهرة على التحديد ، وقد سجل تحت كل منهما المكان والتاريخ زيادة في التوثيق . ففضيحة من دبروا استبدال اللوحة هي انهم لم يلتفتوا الى هذا اللحن المسيطر على معزوفة التكوين الفني كله ، فكانت لوحتهم عن موقعة (التنكيرشن) الالمانية « نشازا » يصدم الحس الفني ويؤذيه ، وتزويرا يسهل افتضاحه حتى بغض النظر عن السكوت المطبق عن ذكر اى بيان يشير الى تاريخ صنعها خلافا للوحة « هليوبوليس » في الجانب المقابل . وأما اللون الاخضر الترابي الذي اكتسبته اللوحة الزائفة فانه لايخدع الا من يجهل ان هذا اللون هو مما يستحضر كسائر الالوان التي يستخدمها الفنانون ، وانه شائع الاستعمال عندما يراد اعطاء التشكيلات - ولو كانت من مادة الفخار - مسحة البرونز الذي تقادم به الزمن .

هدأت نفسي بعد ان وضعت يدي على كل تلك المعطيات ، ذلك الهدوء الذي يستشعره المحقق بعد ان تكتمل لديه عناصر الادانة في الواقعة التي اجهد نفسه في تحقيقها ، وهو يجهل مع ذلك مصيرها أمام القضاء ومع كل ذلك فانه ليس فيما وقع معنى « التزوير » بالمفهوم القانوني ، لانه فوق ان الفعل بلغ من الافتضاح حدا بحيث لا ينطلي الا على من لا يحميهم « القانون القضائي » من التزوير ، فانه من عمل هيئة عامة تملك « الحقيقة » فيما تقيمه من التماثيل ، فاذا ما استبدلت لوحة بلوحة أخرى بعد اكثر من قرن وربع من الزمان فليس هذا منها تغييرا للحقيقة ، وانما هو ابراز للحقيقة التي تملكها في صورة أخرى مختلفة ولو كانت فجة تصدم الحس الفني . فكلتا اللوحتين تمثل « الحقيقة » لدى بلدية استراسبورج في زمنين مختلفين . وعلى كل حال فقد قدرت أن مما يواسيني في محنتي باختفاء اللوحة التي تحمل رسم ذلك « الفلاح » المصري الوسيم ، أن أدفع بالقصة كلها الى ساحة « القارئ » غير المنظور ليرى فيها مايرى ، ولا عليه اذا ماعد الأمر كله مجرد « زوبعة في تمثال » ! ■■

د . علي احمد راشد

ولا يقف ضرر التبغ عند هذا الحد .. خاصة اذا عرفنا ان البعض يمضغ التبغ ، نعم .. تصوروا : يمضغ التبغ ، يمضغه ممزوجا مع مواد مخدرة حينا وحينا غير مخدرة ! يضع هذا المزيج بين الشفة واللسان ، ثم من هذا الموضع .. تبدأ الآفات بالكشف عن هويتها .. يغزر اللعاب . تتخدر اللثة ، تحتقن الشفتان ويمسها جفاف مصحوب بورم وانتفاخ ، يزول رونق الاسنان ويقترب لونها من الاصفرار والسواد ، يصيب حدودها القاطعة وسطوحها الطاحنة انسحال ملحوظ .. بعد حين ، وبعد ان تصيب الآفات اهدافها .. تحيط ذلك الوجه الانساني هالة منفردة ، لكثرة بصاقه ونتن رائحته !

والبعض يستعمل الغليون او السيجار .. يضعه في طرف فمه ، وقد يقلبه بين حين وآخر او ينقله من طرف لآخر .. فتنسحل الاسنان انسحالا يناسب شكل الغليون ، هذا الانسحال يكشف العاج فيسمح بتسرب التبغ اليه والى كل النسج السنيه العميقة والسطحية ويلونها بالوان قبيحة غير مستحبة .. ثم ان هذا الغليون الصلب او السيجار القاسي يبدل من شكل هذه الاسنان ويغير من ارتصافها الطبيعي .. يجعل محاورها ذات انحراف غير مقبول ، فلا تعود كما كانت منتظمة في صف متزن نموذجي ، بل ان سوء الاطباق يصبح من ملامحها الاساسية المميزة !

وما ينطبق على الغليون والسيجار ، يكاد ينطبق على (المشرب) المستخدم لامتصاص دخان الجوزة او النارجيلة ..

واللسان ايضا

فاللثة تشكو .. ذلك الدخان يمرضها .. يزيد من سوء حالتها ، خاصة اذا رافقه اهمال لصحة الفم ونظافته ..

وما من شك ان نسبة اصابتها بالتخرب والالتهاب المزمن هي اعلى من نسبة اصابة شقيقاتها اللواتي يعشن في افواه غير المدخنين ..

ورغم ان الاطباء ينصحون صاحب اللثة المصابة بالتوقف عن الدخان حين اصابتها بالتهاب حاد ، خاصة في فترة نشاط هذا الاخير .. الا ان هذا الصاحب يعود الى سابق عهده بعد ركود المرض ، وكأن شيئا لم يكن

واللسان له حصة من الشكوى .. وحصته كبيرة ، وان نعدد الان منافع اللسان ، فهي معروفة لدى الجميع .. ولكننا سنعرج على الافات التي يمكن ان تهاجمه من جراء التدخين ..

بالاضافة الى التصبغات التبغية والطعم المر .. هناك :

اولا : اللسان المشعر : لا اظن ان يدا تشد حليات الذوق ! ولكنها تتطاول .. نعم تتطاول من تلقاء ذاتها حتى تغدو مشابهة للشعر الكثيف المجعد الملون باللون الاصفر او البني او الاسود ..وتجلس هذه الحليات المفرطة النمو على الخط الاوسط لظهر اللسان وفي اماكن اخرى ..

غريب .. اليس كذلك ؟ بل الاغرب من ذلك ، انها احيانا تستطيل بشكل كبير لدرجة ان طولها يقترب من حدود السنتيمتر . فتلامس حين تحركها شراع وقبة الفم مسببة شعورا بالغثيان وميلا للدوار ..

هل هناك إضرار أخر ؟ .. نعم ، ان هذه الحليات الكبيرة تؤلف مزرعة واسعة تتعهدها بالعناية ، وترعى في حظ.رها المواد المتقرنة والفضلات المتراكمة ، وتحتضن بين رجاتها تلك الجراثيم التي تسرح وتمرح .. الا انها مزرعة عظيمة غزيرة المحصول ، من انتاجها : رائحة الفم الكريهة شعور بحس الاحتراق ، احساس بطعم غير مقبول ، بؤر انتانية لا تكل ولا تمل ..

لن تتحسن هذه الحالة .. ابدا ، الا ـ والا اداة استثناء كما تعلمون ـ الا اذا خفض الانسان عدد سجائره اليومية ، واعتنى بتنظيف لسانه بالفرشاة على الدوام .

ثانيا : طعامنا الشهي نتذوقه بلساننا .. فما حالنا حين يفقد هذا اللسان الجزء الاكبر من حاسة الذوق ؟ ما حالنا حين تتخرب اشعار الحس في براعمه الذوقية وتحسر حس تذوق الاطعمة المرة والمالحة والحلوة !!

ان المدخن المدمن يحتاج ـ كي يتذوق طعامه تذوقا جيدا ممتعا ـ الى تركيز في الملح يفوق التركيز الذي يتطلبه غيره بـ ١٢ الى ١٤ مرة .. وكما تعرفون يجب تجنب التركيز المرتفع في الملح لعلاقته بارتفاع ضغط الدم وامراض القلب . مع الاعتذار من الزملاء اطباء الداخلية !

لكن ـ ولحسن الحظ ـ جميع هذه التأثيرات المرضية في حليات الذوق مؤقته ! ويستطيع الانسان استعادة

تذوقه الطبيعي في حال توقفه عدة ايام عن التدخين ..

ثالثا : تأملوا هذه اللويحات ، التي يتدرج لونها من الابيض في المركز حتى الاحمر الطبيعي عند الحواف .. تأملوا توزعها بشكل كبير عن اطراف اللسان الجانبية ..

انها الطلاوة !

في بداية اصابتهـا .. تكون غير مؤلمه ، مرتفعـه قليلا ، وحيدة في سطح معين ، او معممة تشمل ظهر اللسان او اسفله او قاع الفم وحوافه الجانبية ..

اما في الاصابات المتوسطة .. هي تؤدي الى شعور بالحكة ، وحرقة في اللسان ، وجفاف في الفم .

وعندمـا تصبح الاصابـات شديدة .. فانهـا تزداد ثخانـة ، وتصبح سميكة صلبـة جلـدية القـوام .. لا تستهينوا بها ، فهي ان اصيبت بتشقق وتقرح ، فان الطبيب يضع في هذه الحالة احتمال تحولها الى ورم خبيث !

رابعا : القرحة اللسانية المتشققة : قرحـة وحيدة .. تشكو العزلة وتبكي الغربة ، تفتش مكانها عند الشـق الاوسط تارة او على حواف اللسـان قرب الـذورة تارة اخرى .. تنشأ وتنمو ـ غالبا ـ على ذلك اللسـان الـذي يقبله الدخان باستمرار !!

خامسا : سرطان الفم : السرطان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، يمكن ان ينشأ من التدخين او مضغ التبغ ، يمكن ان يبدأ بالطلاوة كما ذكرنا التي تتحول مع الاهمال الى سرطان ، خاصة .. اذا لم يكف الانسان عن ممارسة تلك الهواية المؤذية !

المدخنون المدمنون

نتنقل من اللسان الى بقية الجيران .

تعالـوا نسـأل الشفـة .. واصغـوا معـي الى تلك الوقائع :

يقول جوزيف برن مدير دار التجميل (ان وجـوه السيدات المدخنات هزيلة ضعيفة ، وتفقد شفاههن لونها الجميل ، وتتجمع الغضون حول زوايا افواههن ، وتمتد شفتهـن السـفلى الى الامـام ويبـرز ما تحت الشفـة العليا !) .

هذا من الناحية الجمالية !

ترى هل هناك امور اخـرى ؟ .. نعـم ، فالتدخين بالغليون مثلا يؤدي الى سرطان الشفة الخاصة المعروف بسرطان الغلايين ، وهـو ناشيء عن التخـريش بالتبغ والحرارة والضغط .. وليس غريبا ان يقال ان ٧٥٪ ـ ٨٠٪ من المصابين بسرطان الفم من المدخنين المدمنين !!

اذن ، هاهو جمال الشفة قد توارى ، وهاهو الـورم الخبيث قد مزق حجابه واعلن عن وجوده ..

ولكن بين الآفة البسيطة الاولى ، والآفة المخيفة الثانية .. تاخذ آفات شفوية اخرى ، اماكن تتفاوت في اهميتها ..

مثلا .. هناك التقرن الشيخوخي : لويحات بيضـاء متقرنة ناتجة عن حروق التدخين الدائم هي حالة قليلة الالـم ، وتـزول بالـكف عن التدخـين واعطـاء بعض الفيتامينات .

هنـاك الاكزمـا : التـي تصـاب بهـا بعض الشفـاه الحساسـة ، تشفـى ايضـا بالتـوقف عن ممارسة هواية الايذاء .

هناك الاعتياد على فتح الشفة الخفيف : الناشيء عن وضع اللفافة او الغليون في طرف الفم مما يجبر المدخن على التنفس الفموي حتى في حال عدم التدخين ، فتجف النسج الفموية وتحدث بها تغيرات التهابية تؤدى الى هبوط في مقاومتها !!

ننتقل من ملف الشفة .. الى ملف آخر .

ان ملف الغدد اللعابية .. ماذا يقول هذا الملف ؟

التدخين جسر يسمـح لالتهـاب الفم النيكوتيني بالعبور .. وحين يعبر هذا الالتهاب فانه يقذف احجاره الى كل مكان !

نقاط حمراء منتشرة في الجزء الخلفي من الغشاء المخاطي الحنكي ، والنقاط هي فتحات للغدد اللعابية الملتهبة ، والمتسعة ، بفعل النيكوتين .

هـ ـ ن اول الهجوم .

ا ـ ندما يزداد تقدم القوى المعادية ، فان تقرن النسج ـنكية يزداد ، وتظهر بعض العقيدات في هذه النسج عدد قليل من العقيدات يتوضع في المنطقة الامامية من قبة الحنك ، اما منشأ هذه العقد فهو ضخامة الغدد اللعابية الناشئة عن انحباس اللعاب وحدوث تليف .

الان هجوم مكثف ، والمعركة الدائرة قد حمي وطيسها . في هذه الحال ، تنشأ عقد في المنطقة الحنكية الخلفية التي تحتوي غددا لعابية ، ثم يصبح كامل المخاط الحنكي غير المخاطي ابيض اللون ذا مظهر شبيه بظهر اللحم المطبوخ .

بقي ان تعرفوا .. ان هذا المرض يصيب غالبا الانسان الذي يدخن الغليون ، وهو يحدث بفعل الحرارة والعوامل المخرشة ، وحدوثه حسب طريقة التدخين ـ مدار التبغ المستعمل ـ حساسية الفرد .

ولا يغيب عن ذهننا .. ان النيكوتين بكمياته الكبيرة يمكن ان يشمل العقد العصبية اللعابية ، والنتيجة المتوقعة في تلك الاحوال : نقص افراز اللعاب ، وجفاف الفم . وللعاب كما نعلم اثر كبير في شفاء الالتهابات والجروح الفموية ، هذا بالاضافة الى وظيفته الاساسية في هضم اللقمة الطعامية .

ويمكن للدخان ايضا ، ان يغير من تركيب اللعاب الكيماوي ، ويزيد من تفاعله القلوي .. كما ان التدخين يضعف المادة الهاضمة للنشويات الموجودة في اللعاب ، ويخرب الخلايا التي تفرزها !!

العدو اللدود

هاهي الاسنان ، واللسان ، واللثة ، والشفة ، والغدد اللعابية .. قد تحدثت عن آلامها واحزانها ..

ترى .. هل بقي كلام ؟
ترى ان الجعبة لم تنته بعد !!!

الغريب الذي يشقى الانسان بمعرفته كل ساعة .. قد ـد من كمية (القلح) ويساهم في تلوينه ، والقلح كما معروف ذلك الراسب القاسي الذي يتمركز غالبا عند اعناق الاسنان ، فيؤدي الى تشوه شكلها ويسبب التهاب اللثة وانحسارها .

العدو اللدود الذي يدخله الانسان الى جوفه بمحض ارادته .. سبب من اسباب (القلاع) هذا المرض الفموي المزعج الذي يسميه العامة (بالحمو) . والذي يظهر على الوجه الباطن للشفتين وعلى حواف او ذروة اللسان .. يبدأ بشكل حويات التهابية انتكالية حمراء مؤلمة تزول بعد ساعات ، احيانا تتحول الى قرحات مستديرة ذات حواف واضحة يتراوح حجمها من راس الدبوس الى حبة العنب .. واحيانا ـ في حالة الاهمال الشديد ـ تتطور الى التهاب الفم القلاعي المعمم !

الزائر الثقيل الذي يستضيفه الانسان عشرات المرات كل يوم .. يبث رائحة كريهة تلازم فاه المدخن وتنفر الناس من الاقتراب منه .. وهذه الرائحة ثابتة تخرج مع النفس الاصلي القادم من الاعماق ، ومهما كانت المطهرات الفموية قوية والمعاجين التجارية فعالة ، فهي تبقى محدودة التأثير مالم يتوقف المدخن عن استضافة هذا الثقيل !

واخيرا .. وليس أخرا !

بما ان الفم يعتبر محطة اولى لمسيرة الدخان ، فلماذا لا نعمل على اعلاق هذه المحطة في وجهه ؟ لماذا لا نضع المتاريس وننصب الحواجز ؟ لماذا لا نقول له عد من حيث اتيت .. عد باذيال الخيبة والفشل . عد بملامح العجز عن ممارسة هواية الايذاء في اجهزة الجسم ؟؟

محاولة بسيطة .. قد تساعدنا في هذه المجابهة ..

هناك محاليل يمكن استخدامها مضمضة ، تجعل للدخان طعما وتولد في المرء نفورا داخليا من هذا الداء اللعين .

محاولة قد تنجح وقد لا تنجح ، فالاعتماد الاكبر ـ اولا واخيرا ـ على ارادة الانسان ورغبته الجادة في ترك الدخان . ■■

د . موفق ابو طوق
حماة / سوريه

قصة بقلم : الدكتور شكرى محمد

● تعالوا يامن تحسدون الراعى فانظروا كيف صـــار •

عيناه ترودان الافق ، فاذا قابلتا وهج الشرق توقفتا هنيهة ، وصعدتا ببطء وانكسار تقيسان ارتفاع الشمس • وكلما علت مترا زاد الهواء احتداما ، واشتدت ماماة الخراف ، وانقبض قلب الراعى •

وعندما ترود عيناه الافق كرة اخرى ، يجد كل شيء كما كان • يجد لا شيء •

دائرة كانهـــا رسمت بالبركار ، لايكسرهـــا نتوء ما • لا بيت ، لا شجرة ، لا جبل ، لا نار ولا دخان ، لاشيء يبشر بخلاص اخير او هلاك سريع، يرحم ذل الراعى وشقاء القطيع •

والارض بنية اللون عند الفجر ، صفراء بعيد الشروق ، بيضاء كالملح عند الظهيرة ، سوداء فى الليل كحظ الراعى •

وسواد الليل أرحم من بياض النهار •

سواد الليل ظل كله • الارض كلها تستظل بالظلام • واذا لم يكن الا الظلام ظلا فمرحبـــــا به • هكذا كان يفكر الراعى ، ولعل الخراف كانت تفكر مثله ، فهما فى المحنة قريبان •

فى الليل يحل التعب بالخراف فلا تشـــعر بالجوع ، ويضع الراعى حقيبته ويخرج منها اداوة الماء وكسرة من خبز الشعير ، فياكل ويشرب • ويرقد مستلقيا على ظهره ، ينظر الى النجـــوم ويحلم ، وهو يحس انساما دافئة ، محملة بندى البحر ، تلفه كدثار لين •

لم يكن المرعى القديم ممحلا كل الامحال ، كانت ثمة اعشاب قليلة جافة ، وربما وجد الراعى ارطاة قصيرة فاندس تحتها حين يشتد الحر ، ملتويا كانه ثعبان • ولكنه الطمع ، قاتل الله

الطمع ! راح يـ
السماء ، ويرصد
ولا بلة مطر ،
وراى امارات ،
قطيعة نحو الغرب
وكلما اوغلا
ويعود الراعى يـ
السماء ، فيقدر
الجدب خصبا ،
الحساب ، ولا
وتصميما ، فيقـ
القطيع موجة نـ
مامات ، وتتوالى
المرعى اصبح منـ
ولكن الطريق
الاظلاف ، وتلبد
الغباء على الو
بياضها بالسواد
الراعى فنان
متحلقون حول ا
عصر كانوا ياكلو
اين هم الان ؟
يامر نفسه • مـ
يامل ان يصل ا
فيكون اكثر ثراء
وحافظت على مـ
سنة الحياة •
الراعى فنان
للنسيان • اخر
واصابعه • خرج
ولكنه ناعم رطب

ثم جعلت الاصابع تعلو وتهبط ، واتلعت الشياه اعناقها منصتة للنغم • ابدا ما سمعت راعيها يحدثها بمثل هذه البلاغة ، ابدا ما دغدغ الناى حواسها بمثل هذا الشبق• ابدا ما انتشت اعطافها بمثل هذا السحر •

تمثلت لها من ثقوب الناى ارض خضراء تتالق فى الندى والنور ، فغاصت فى عشبها الطرى حتى شبعت وارتوت ، ثم راحت متكاسلة الى راعيها الذى اسند ظهره الى جذع دوحة عظيمة، وتحلقت حوله تثغو فى سعادة على ترجيع انغامه الحنون •

وأبدا ما رات عينان مثلهما راعيا وقطيعا ، ولا سمعت اذنان مثلهما غناء وترجيعا • كان الناى يترجم احلام الراعى انغاما البرية ، فاذا هى فى قلب كل خروف ونعجة • وكانت قلوب القطيع كله تنبض بامل واحد فتلهم خيال الراعى •

(وما دامت هذه الدائرة الكهربية متصلة فلن تؤذيهما صلابة الارض ، ولا حرارة الشمس ، ولا رطوبة البحر) • سيعتسفان الطريق لا يحسان ضيقا ولا رهقا ، ففى قلوبهما ايمان لا يتزعزع بانهما بالغان الغاية حتما ، ولو سارا الى آخر العالم فلا بد ان يجدا الارض الخضراء التى تتالق فى الندى والنور •

(كيف انقطع التيار ؟ من عند الراعى ام من عند القطيع ؟ لا احد يدرى) • ولكنهما افاقا فاذا الاوصال مرتهكة ، والاظلاف دامية ،والارض كالعهد بها جهامة وصلابة ، وقد اكل كل واحد ظله • رباه ، اما لهذا الحلم البشع من آخر ،

ايهما العلم وايهما الحقيقة ؟ المرج الاخضر الناعم بعشبه الطرى وظله الظليل ، ام الرحلة الطويلة المضنية في ارض لاتبض ، وتحت شمس لاترحم ؟

تدلت الالسنة ، وتقبضت الغلاصم • واصبح الموت قلما واختنافا اقرب من حبل الوريد •وعجيب وسط هذا الجفاف كله ان تبقى في القلوب نداوة تبعث قطرات من الدمع في العيون الشواخص • شواخص ولكنها لاترى • ولو رات ما احست • ولو احست العيون ما وعت القلوب • وعجيب وسط هذا الياس كله ان يبقى ثمة يقين تتعلق به آمال القطيع : يقين يحسه كل خروف (او نعجة) عندما ينظر في عيني اخيه • فمن هذه العيون البليدة التى كاد بياضها يمحق السواد ، كانت تطل شعلة صغيرة ، وستبقى هناك ، في الخلب الظلن ، حتى يطفئها الموت : شعلة الايمان بان للراعي عيونا اخرى ، لاتغفل ولا تنام •

نظر الراعي الى نـايه في غضب ، وهم بان يحطمه • (فقد ايقن ان هذه القطعة من البوص ، المليئة بالثقوب ، والتى لاتزيد على ان تتلقى انفاسه ، وتقسمها طوعا لحركات اصابعه ، هي المسئولة عن انقطاع التيار) ثم ادكر انه لا يملك سواه ، ولن يجد في هذه القفار عودا واحـــدا من القصب ليتخذ نايا آخر ، فكظم غيظه ،وجعل يخاطب نفسه :

« النفس تضعف ، وقد عانت هــذه الشـياه طويلا ، وكادت تهلك جوعا وعطشا ، فلا غـرو ان سئمت الحانى ، فهي لا تستطيع ان تقضمها باسنانها ، ولا تلوكها بالسنتها ، وليس فيآذانها قنوات توصل الى المعدة » •

وبرقت في ذهنه فكرة :

« لقد اخطات حين مثلت بالحانى مرجا اخضر ، وعشبا غزيرا ، وطعاما وفيرا ، وهذه اشياء خطرة ، وبما طربت الشياه لذكرها قليلا ، وماهى الا ان تتلفت فلا تجدها فتعظم حسرتها ، وربما نفقت او جنت • انما الراى اناعزف لها الحانا تنفخ رؤوسها كبرا ، وكانها اصبحت مالكة لكل هذه الارض الشاسعة الممتدة بين الجبل والبحر ، بل لكل مابين الارض والسماء ، ولا باس عندئذ بان املا هذه الارض مروجا وانهارا ايضا ــ لــم لا ؟ ــ فسوف تظل تحلم بانهذا كله طوع اظلافها، تنال منه ما شاءت متى شاءت كما شاءت • نعم الراى هذا » •

انتعشت روحه بحماسة جديدة ، و[illegible] الناى من شفتيه ، وبدأ بصفير قوى ايقظ [illegible] بقى في الشياه من نماء قليل ، فرفعت رؤو[illegible] بعد انخذال ، ودفعت صدورها الغاوية في [illegible]طولة ، ودقت الارض باظلافها كدابها من قديم • وانطلقت الانغام نشيطة جريئة فرحة ، فاذا الشياه لاتعتسف ارضا جاسية تكاد تلتهب من حرارة الشمس ، ولكنها تخطو فوق سحاب كنديف القطن نصاعة ولينا ، ونظرت فاذا تحتها مروج خضر لا يبلغ البصر مداها ، فلم تشك ان كل هذه المروج لها ، وانها القطيع المختار منذ آلاف السنين ليعمر هذه الارض ويملأها نعـاجا وحملانا • وكلما راق في عيونها مرج وهمت بان تهبط لترعاه لاح لها مرج جديد أبهى وانضر •

واخذت الراعي نشوة الفن ، فراح يطيل في انغامه ويقصر ، ويصدح ويزغـرد ، ويجلجل ويهمس ، ويندفع ويتمايل • راى خرافه تضحك، شفاهها تضحـــك ، عيونها تضحـــك ، والفـرو الابيـــض النـــاصع على اجسامهـــا السمينة يكسوها عزا ومهابة • واستحال مشيها رقصا ، وهي تسبح في نور كنور القمر ليلة الرابع عشر، والهواء صاف كانما روقته الملائكة من اجلها • ثم ابتلع الضوء كل شيء • لم يعد الراعي يرى خرافا ترقص • لم يعد يشعر بالهواء الصافي • لم يعد يتنفس • لم يعد جسده يضايقه ويشل حركته • كان يمد ذراعه فيمسح على النجوم ، ويربت على القمر • اصبح روحا كله • ها هو ذا قد ذاب في الهواء الصـافي ، ذاب في ضوء القمر ، سيحمله ضوء القمر الى بعيد سيلف به الارض ، سيطوف به على النجوم • ولكنه لاينسى خرافه • (انه الراعي الحدب الشفيق • خرافه هم اولاده) • لقد اصبحت ارواحا مثله ، تطوف معه على النجوم • لاتعرف جوعا ولا عطشا • لاتسال اين يذهب بها • سعيدة هي براعيها • آن ياخرافي ان تستريحي • آن ان نستريح ، انت وانا • هذا هو المرج الاعظم • فسيح فسيح• لانهاية له • رطب لين • وعميق الزرقة دعيه يحتضن اعضاءك المتعبة • ساظل اعزف لك حتى تنامي وتستريحي • وعندما يسكت صوت [illegible]ناى ، ساكون انا ايضا قد استرحت • ■■

شكرى محمد [illegible]

• نتيجة مسابقة العدد ٢٤٤ •

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ت	ن	ز	ا	ن	ى	ا		ا	ل	ا	ن	س	ا	ن
٢	ا	س	ق	ر	ب	و	ط	ه	ل		ا	ش	ك		ى
٣	ل	ه		غ	ع		ل	ا	ع	ب		ج	ر	ا	م
٤	ى	ا	س	م	ه	ن		ب	ن	د	ا		ى	ل	م
٥	ر	ن	ى	ن		ت	ع	و	د		ل	ج	ا	م	
٦	ا		د	ا	ن	ه		ا	ل	ا	م		ت	و	ا
٧	ن	ش	ق		ا	ى	ك	ل	ى	ب	و	س		ص	ر
٨	◐	ه	ش	ا	م	ب	ن	ع	ب	د	ا	ل	م	ل	ك
٩	ش	ر	ط	ى		ه	ف	ت		ى	ل	ى	ق		ى
١٠		ى	ه	ا	ج	م		ا	ك	ن		م	ى	ن	و
١١	ل	ا		م	ا		ا	ه	ر	ا	م	ا	ت		ل
١٢	ا	ر	ب		ل	ه	ب	ى	ا		ق	ل		د	و
١٣	م		ا	ب	و	ا	ل	ه	و	ل		ا	ر	و	ج
١٤		ب	ر	و	ن	ت	ه		ى	ح	ت	و	ى	ن	ى
١٥	ق	د	ى	م		ف	س		ه	د	ى	ل		ه	

افقيـاً:

هشام بن عبد الملك

رأسيـاً:

أبو العتاهيه

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : هشام بن عبد الملك . خليفة اموى ، بلغت الامبراطورية الاسلامية في عهده اقصى اتساعها . حارب البيزنطيين ، وبلغت جيوشه أبواب بواتييه في فرنسا ، حيث جرت معركة « بلاط الشهداء » مع شارل مارتل .

(٨) رأسيا : ابو العتاهية . هو أبو اسحق اسماعيل بن القاسم ، كنى بأبى العتاهية لميله الى المجون والتعته . اغلب شعره في الزهد والتنكر للدنيا ، مع حرصه الشديد على المال . بلغ منزلة عالية عند الرشيد .

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :سعد عبدالواحد حسين ـ بابل / العراق •
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :جعفر حسن علوى الجفرى ـ الحديدة / اليمن •
* الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :غنان محمد ـ الناظور / المغرب •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ اروى عبدالغنى محمود ـ عمان / الاردن
٢ ـ منى على سليم ـ صيدا / لبنان
٣ ـ مصطفى صالح حمدان ـ الشعيبة / الكويت •
٤ ـ عبدالله ادريس البشير ـ الدمام/السعودية
٥ ـ عبد الرحمن عبد الله مشمع ـ المكلا/اليمن الديمقراطى •
٦ ـ يوسف محمد عبد القادر ـ الخرطوم/السودان
٧ ـ محمد بن احمد شريقى ـ حلب / سوريا
٨ ـ امية كمال ـ ادنبره /بريطانيا • ■■

بقلم : مصطفى نبيل

للقدس سحر خاص .. واستمرارية فريدة تتحدى التاريخ .التقت داخلها حضارات العالم ، ومر بها الانبياء والاباطرة وجحافل الغزاة . كانت دائما احد مراكز التصادم بين الامبراطوريات القديمة والحديثة ، تعرضت للتخريب في حياتها الطويلة ١٦ مرة . وفي كل مرة كانت تقفز الى الحياة من جديد ، وتعود قوية متعافية ..

تجلت بها حكمة الانبياء ، ولعبت دورا هاما في حياة الاديان الثلاثة ، وشهدت « الاسراء » معجزة الاسلام الكبرى ، وهي اولى القبلتين وثاني الحرمين ، وشهدت جبالها ووهادها دعوة السيد المسيح ، وقال عنها العهد القديم « ارض حنطه وشعير وتين ورمان ، ارض زيتون وزيت وعسل » .

وهي للعرب « تاريخ محفوظ » ، وقد ظلت لفلسطين كالقلب ومن أكبر مدنها حتى بدأت المؤامرة الصهيونية ، ووقعت في الاسر . واصبحت اخطر تحد يواجهه العرب في تاريخهم الحديث ..

حينما اتجهت الى القدس تظهر رؤوس التلال في مظهر مهيب ساحر ، حتى تطل عليك المدينة « الخالدة » ، تقف وسط الجبال منتصبه في كبرياء على طول الافق ، وتلوح امامك صخورها البيضاء الداكنه ، وتستنشق رحيقها من حقول الزيتون وكروم العنب وسنابل القمح واشجار التين واللوز ..

انت امام المدينه المقدسه التي تقوم على جبلين يمتدان على ارتفاع حوالي ثمانمائة متر فوق سطح البحر ، يعلنان هيمنة « القدس » على المنطقة باكملها ، في لوحة بديعة تكشف موقعها الخاص وتاريخها الغني ، ولعل سحرها في تلك الاعشاب البرية متعددة الالوان التي تغطي تربتها ، او لعله في مبانيها التي شيدت من حجارة محليه خاصة تضفي عليها غلالة من الوقار والسكينه ، او لعله ما يحيطها من جبال مشهوره اهمها جبل سكوبس من الشمال وجبل المكبر من الجنوب وجبل الزيتون من الغرب ، فهي مدينة التاريخ وما من موضع فيها الا به اثر لنبي او لحدث تاريخي ، وكل حجر من احجارها يحفظ ذكرى عزيزة غالية ..

وترى القدس موزعه على منطقتين متميزتين ، القدس القديمة التي يحيطها السور الكبير العتيق ، والذي كلما هدم في الحروب المتتاليه اعيد بناؤه ، وبها كل المقدسات : الصخره المشرفه ، والمسجد الاقصى ، وكنيسة القيامه ، ومعظم سكانها من العرب الفلسطينيين ، وقد بلغ عددهم عند نشوب الحرب العربية الصهيونية عام ١٩٤٨ نحو ستين الفا ، وللقدس القديمة أحد عشر بابا اهمها : باب العمود (او باب دمشق) ، وباب الخليل ، وباب النبي داود ، والباب الجديد ، وباب الاسباط ، وبوابة مندلبوم .

أما القدس الجديدة فتقع خارج السور القديم ، وتتميز بالعمران الحديث والاحياء الجديدة ، والشوارع المشجره والفيلات الانيقة والحدائق المنتشره ، وهي التي سقطت في ايدي العصابات الصهيونية في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ..

والقدس كما يقول الجغرافيون قمة تل ، تستمد اهميتها الجغرافية من قاعدة موضعيه ، فهي من « مدن » القوافل بالموقع والموضع ، الذي يستولي عليها يصبح امامه الطريق الى الحجاز ، الى مكة والمدينة ، كما تصبح مواضع الحماية ملمحا واضحا فيها ، وهي نقطة التقاء طريق الحركه التاريخي من الشمال الى الجنوب على طول الهضبة الوسطى بالطريق العرضي الرئيسي بين يافا واول نقطه تصلح لعبور الاردن شمال البحر المي[illegible] ، اما موضعها فقد بدأت على قمة تل منيع - وتلك ك[illegible] ميزة هامة في الماضي - ، وتبدو نقطة ضعفها الجغ[illegible] واضحة ، فهي تقع في اقليم جاف غير منتج ، وته[illegible]

بين ١٩٤٨ و١٩٦٧
الاطماع الصهيونية بالقدس قديمة :
في حرب ١٩٤٨ وبتسهيل من سلطات
الاحتلال تم احتلال معظم قطاعات المدينة
خارج الاسوار وصمدت الاحياء الباقية
خارج السور كما ارغمت الطلائع اليهودية
داخل السور على الاستسلام .
كرست اتفاقيات رودس مأساة
تقسيم القدس واحتفظت حكومة العدو
بما يقارب ٨٠ ٪ .
نفذت اسرائيل مخططاتها لتحويل
المدينة المقدسة الى مدينة يهودية بعدد من
الاجراءات ضد المدينة سكانا وارضا
وعقارات وحضارة ومقدسات وتنظيما .
اعلان القدس عاصمة اسرائيل
١١/١٢/٤٨ .
ارتفع عدد سكان اليهود في القدس
من ١٠٠،٠٠٠ سنة ١٩٤٨ الى ١٩٠،٠٠٠
عام ١٩٦٧ .
هداسا
الجامعة العبرية
الجسمانية
حارة النصارى
الصخرة المشرفة
النبي داود
المسجد الاقصى
رحافيا
الطالبية
محطة السكك الحديدية
القطمون
بعد احتلال اسرائيل القسم الثاني
من القدس ١٩٦٧/٦/٧، بدأت المؤامرات
التي استهدفت تصفية عرب القدس تدريجيا
ومصادرة اراضيهم وعقاراتهم وطمس
حضارة اجدادهم والاعتداء على مقدساتهم
وازالة اقتصادهم وتغيير معالم البناء
التي اشتهرت بها مدينتهم متحدين جميع
المواثيق الانسانية غير عابئين بالشكاوى
العربية او بالقرارات الدولية .
ضمت القدس القديمة اداريا وسياسيا
لاسرائيل في ١٩٦٧/٦/٢٧ . اتخذت سلطات
اسرائيل ثلاثة قرارات استهدفت تصفية
السيادة والادارة والبلدية العربية بالقدس
مستعمرة تالبيوت
خط الهدنة الغربي .
خط الهدنة الشرقي .
منطقة منزوعة السلاح .
اراضي مبنية في عام ١٩٤٨
عمارات رئيسية .
سكة حديد يافا
سور المدينة القديمة
٥٠٠
يارد
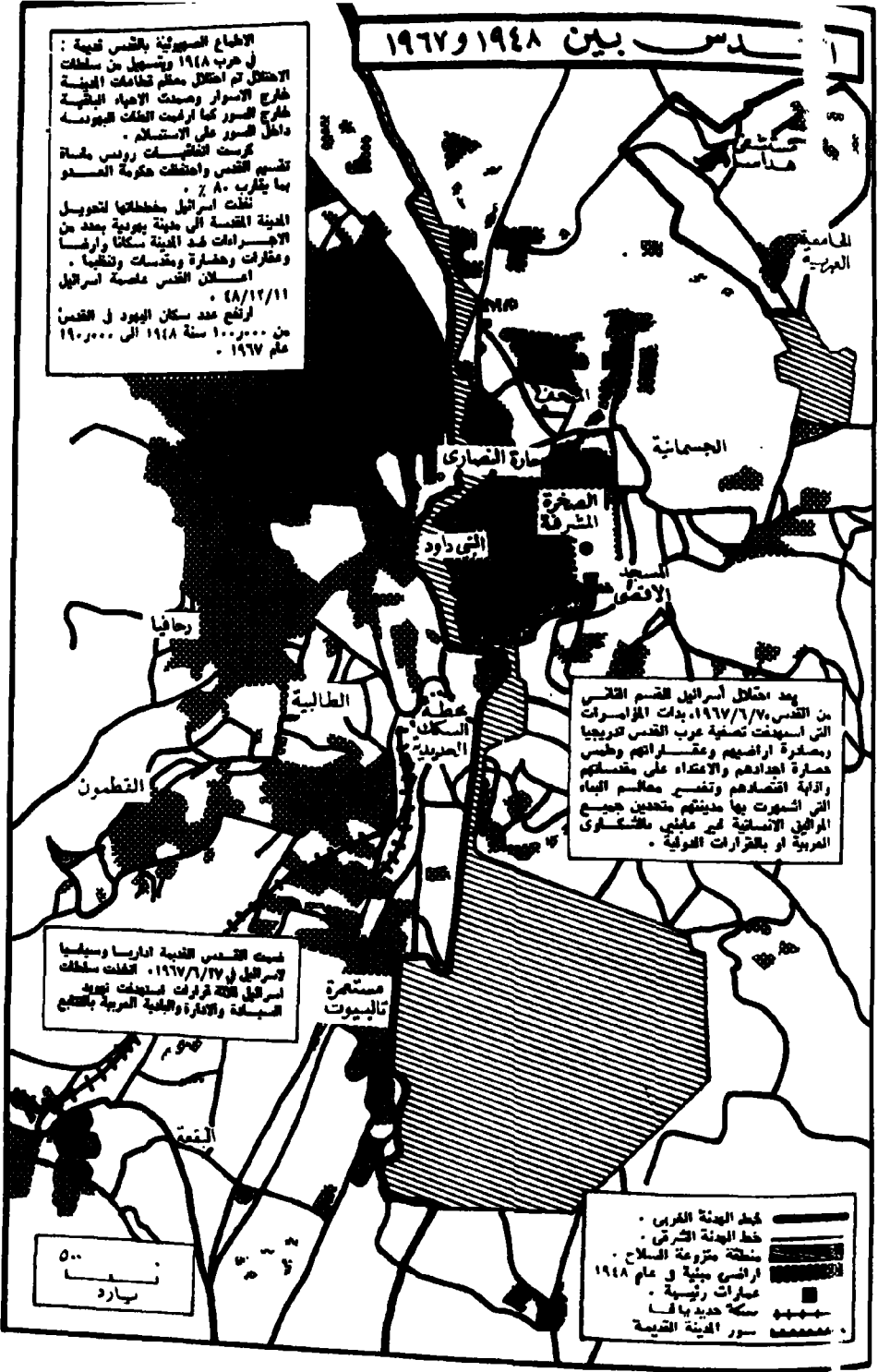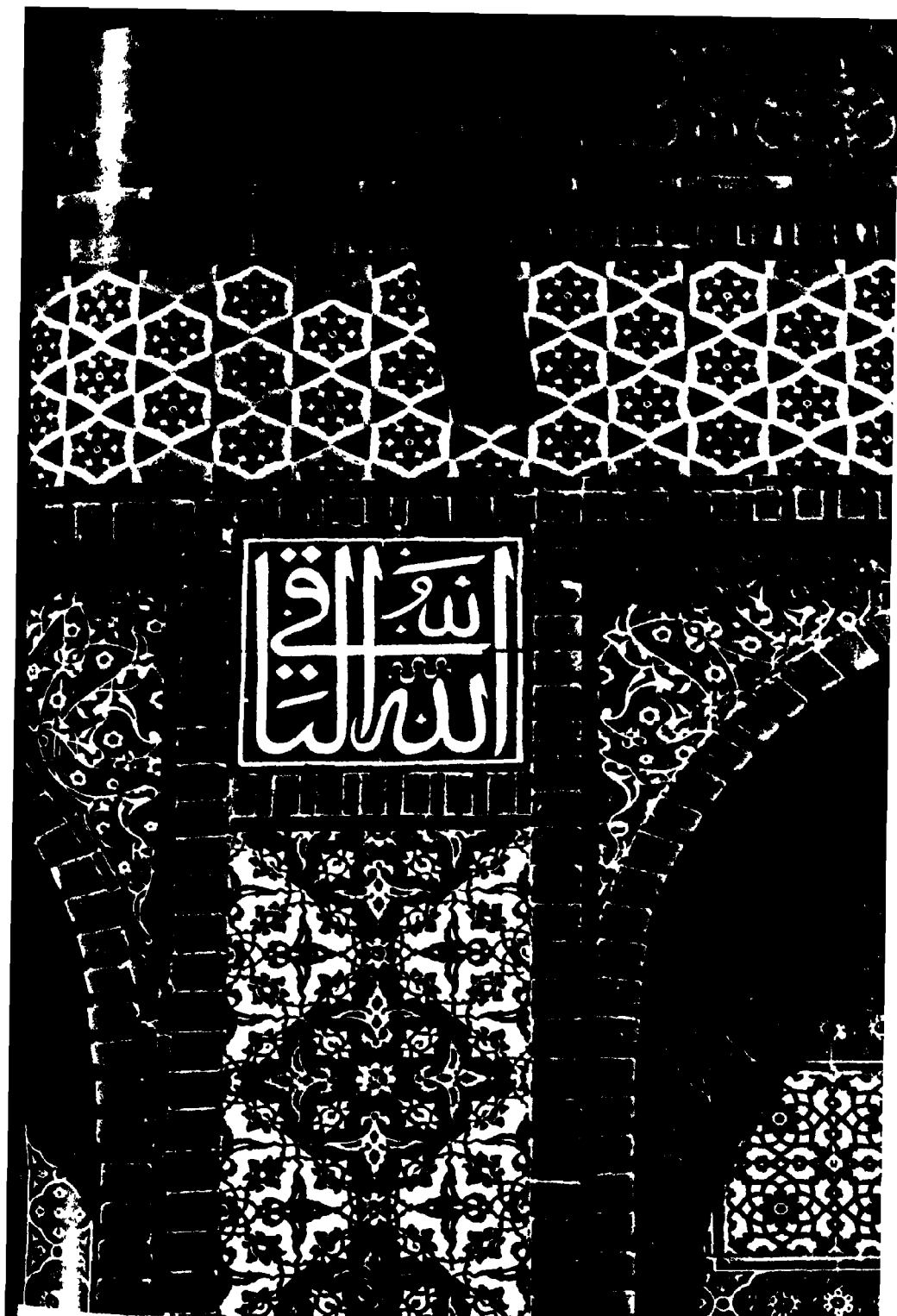
نقوش على قيشاني داخل قبة الصخرة ، وقد قام الفنانون العرب بتزيينها بالفسيفساء في صور نباتية أو اشكال هندسية

سيدات عربيات من القدس يصعدن الى قبة الصخرة ، وتظهر قبتها الذهبيه ، وقطرها ١٢ مترا ، وارتفاعها ٢١ مترا

اساسا على صهاريج المياه الصخرية ، وتجلب المياه الان من عيون بعيدة في الشمال والغرب بالاتسابيب والمضخات ..

القدس .. المعيار

ولكل مدينه وظيفة خاصة ، فما بالك بالمدينه الخالدة المقدسة .. ؟ !

تأتي وظيفتها من موقعها ، او من اهميتها السياسية او الحربية او الدينية ، او من مواردها مما يجعلها موطنا لصناعات خاصه ، والقدس يتداخل في دورها كل هذه الوظائف ، فهي « قافلة ثابته » ، وهي ليست من مدن الحدود ولا الثغور ، وهي منبع الديانات الثلاث ، ومن كبرى مدن الحج في العالم العربي . ولكن دورها ووظيفتها التاريخية يفوقان هذا كله ، بل ان القدس تتحدى الجغرافيا ، فتقع وسط الاقليم الجبلي الذي يصعب اختراقه فهو ليس عتبه بقدر ما هو عقبه ، على حد تعبير الدكتور جمال حمدان ، وقامت مثل مكة المكرمة في « واد غير ذي زرع » ، وليس في الجغرافيا السياسيه ما يفسر قدمها ، ولا حيويتها النادره ، فقد قامت بعد ان خربت في حياتها ١٦ مرة ، وكانت تقفز كل مرة من انقاضها الى الحياة ثانية في استمرارية تتحدى التاريخ ..

وهذا يقودنا الى وظيفتها الدائمة والتاريخية ..

لقد كانت على مر التاريخ تمثل المعيار الذي لا يخطىء على قوة العرب والاسلام ، فهي أمنة مزدهره في ظل ازدهار العرب ، وهي اسيرة كسيحة في ظل الضعف والانهيار الحضاري ، وهي دائما محور المواجهة بين العرب واعدائهم ، واذا اعدنا قراءة التاريخ ، فستتوالى اسباب هذا الحكم التاريخي ، هكذا كانت « محورا » للحروب الصليبية ، وهكذا كانت عندما تعرض الوطن العربي كله للاستعمار الأجنبي ويكشف ما قاله النبي عندما دخل القدس حيثيات هذا الحكم ، قال كلمته الشهيرة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » وهكذا هي الان المعيار والمقياس ، تكشف رغم كل الاقنعه ـ وعمليات التجميل ـ الفاصل القاطع بين الهزيمة والانتصـ وتبين الفارق في المسار بين التقدم والانهيار ..

فالقدس قلب القضية العربية بلا جدال ، . سار العرب على طريق تحريرها ، فهم سائرون على طريق المواجهة الصحيحه مع الحركه الصهيونية ، بكل ابعاد المواجهة الحضارية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والسياسية ..

لكي لاتنسى .. !

لقد وقعت القدس في الاسر الاسرائيلي في جولتين : احتلال القدس الجديدة عام ١٩٤٨ ، ثم احتلال القدس بكاملها في يونيو عام ١٩٦٧ .

اصدرت الامم المتحدة في ٢٩ اكتوبر عام ١٩٤٧ قرار التقسيم ، ووضعت القدس تحت اشراف دولى ، كأحد حلقات التآمر على الارض العربية ، ورفضت الحركة الصهيونية تدويل القدس ، وبدأ الصراع التاريخي الجبار بين الحركة الصهيونية والحركة العربية على قدس الاقداس ..

والقدس ستبقى دائما المقياس والمعيار لقدرة العرب على انتزاع حقوقهم ، فهي ذات موقع أستراتيجي هام تحيطها التلال ، وهي « رقبة الضفة الغربية ، وبقية المنطقة غربي النهر . فاذا تمكن الاسرائيليون من تطويق هذه الرقبة فسرعان ما ينهار بقية الجسم » .

وسرعان ما تذرع البريطانيون بقرار التقسيم ، واصروا على خروج اي جندي عربي من الضفة الغربية لنهر الاردن قبل الرابع عشر من مايو ، وما ان حلت ساعة جلاء القوات البريطانية حتى كانت القدس خالية من المقاتلين العرب تقريبا ، وتسللت التنظيمات العسكرية الصهيونية مغتنمة هذه الفرصة وتسللت الى القدس القديمة (العربية) . بعد ان كانت قواتهم قد استولت على القدس الجديدة واخرجوا سكانها العرب الى داخل القدس القديمة ، وبدأ ضباط الهاجانا يجوبون شوار . القدس بمكبرات الصوت يخاطبون اهلها قائلين « طريق اريحا لا تزال مفتوحة ، اخرجوا من القدس ة ان تقتلوا » .

قبة الصخرة عام ١٨٧٥

وبدأت في ١٦ مايو الكتيبة السادسة الاردنية بقيادة عبد الله التل تتقدم نحو القدس القديمة لانقاذها من براثن الصهيونية ، وكانت في هذا الوقت قوات « الجهاد المقدس » تقاتل فيها رغم افتقارهم للسلاح والذخيرة والخبرة القتالية .

وفي صباح يوم ١٨ مايو كانت كتيبة الفيلق العربي [illegible] مشارف القدس القديمة لتمنع الصهاينة من اقتحام ابوابها بعد ان احتلوا الاحياء المحيطة باسوار القدس القديمة كالشيخ جراح ومدرسة الشرطة وغيرها ، بينما كانت قوات الجهاد المقدس تحاصر الحي اليهودي في القدس القديمة بعد ان عززت بقوات من الجيش العربي ، وتم قطع الاتصال بينهم وبين القوات الصهيونية خارج الاسوار ، ثم ادخل قائد القوة المحاصرة دباباته الى الحي اليهودي مع فرقة هندسية تابعة لقوات الجهاد اخذت تنسف كل اوكار المقاومة الصهيونية ، وبعد عشرة ايام

منظر عام للقدس القديمة .. ى الصخر
سوق القدس تحت قباب تار عتيقة مـ
الصليبيين . قال عنها الرحالة ى : « لم
لأسواقها شبيها كلها مسقوفة ، اب » .

من المصار وفي يوم ٢٨ مايو اقبل حاخامان من الحي اليهودي نحو القيادة العربية يحملان علما ابيض وعرضا استسلام الحي للكتيبة العربية ، وتم الاستسلام بشروط القائد العربي ، وهي ان يؤخذ المقاتلون اسرى حرب ، وان يرحل النساء والشيوخ والاطفال والجرحى خارج اسوار المدينة المقدسة وان يتم تسليم السلاح والعتاد الحربي والذخيرة ، ووقعت وثيقة التسليم من قبل عبد الله التل قائد الكتيبة عن الجانب العربي وموشيه روزنك قائد الهاجانا عن الجانب الصهيوني في ٢٨ مايو ١٩٤٨ .. واخذ المقاتلون من اليهود اسرى حرب الى عمان ، وبقية السكان نقلوا الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة .

وقد بلغت خسائر الحركة الصهيونية في هذه المعركة ثلاثمائة قتيل وثمانين جريحا واربعين اسيرا ، اما خسائر العرب فكانت أربعة وعشرين شهيدا من الجيش العربي وعشرة من قوات الجهاد المقدس ، وخمسة وعشرين جريحا .

ملحوظة :

بسبب الظروف الموضوعية التي لا تشك أن قارىء العربي يدركها جيدا ، فقد اضطرت المجلة الى الاستعانة في تقديم صور القدس بعدد من المصادر والمراجع الاجنبية والعربية . في مقدمتها :

الارض المقدسة للمصور العالمي اليستر دنكان ، والقدس ليكولين ثيرون ، ورسومات الفنان العالمي دافيد روبرتس التي خطها في القرن السادس عشر ، ومجلة ناشيونال جيوجرافيك مجازين ، والمجلة الوثائق « فلسطين تاريخ وحضارة » ، الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، واطلس الصراع العربي الصهيوني الصادر عن دار القدس .

المحرر

وانتهت هذه الجولة بسيطرة الصهيونية ع[illegible] القدس الجديدة وتجاهلها لقرار الامم المتحدة الخاص [illegible]دويل القدس ، ومن جانب أخر تم انقاذ القدس الق[illegible]ة من السيطرة الصهيونية ..

ومنذ اثنى عشر عاما ، وفي ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، شنت اسرائيل الحرب على كل من مصر وسوريا والاردن ، وخلال هذه الحرب وقعت القدس القديمة وبقية فلسطين بكاملها تحت الاسر الاسرائيلي .

القدس بعد الاحتلال ..

لم يكد يمضي على احتلال اسرائيل للقدس سوى ثلاثة ايام ، حتى اقتحمت الجرافات العسكرية منطقة الحرم الشريف ، ودمرت المنازل العربية ، وخلال ايام ثلاثة ازيلت من الوجود معالم حي تاريخي باكمله ، ثم انتقلت الى شارع الانبياء . في المنطقة المحيطة بحائط المبكى ، ومنطقة باب العمود واماكن اخرى ، وبدأت تغييرات في معالم المدينة المقدسة ، خلافا لكل الاعتبارات الدينية والتاريخية والجمالية والقانون الدولي ، وبعد حرب ١٩٦٧ مباشرة صادرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي مساحات واسعة من اراضي القدس العربية لوصل القدس العربية بجبل سكوبس ، والغرض كان جغرافيا وسياسيا ، لضمان سيطرة اليهو[د] عليها ..

وقد ادى هذا التخطيط الى مد القدس الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني قبل ١٩٦٧ ، بمساحة اشبه بالحزا[م] عرضه ثلاثة كيلو مترات شمالا وجنوبا واصبحت بيت صفافا محاطة بالمناطق السكنية اليهودية وهي الان ليس لها سوى منفذ واحد نحو بيت لحم .

ومن شأن اقامة همزة الوصل بين نيفي يعقوب والقدس اليهودية المقامة على الاراضي العربية ان تثبت الوجود اليهودي شمال شرقي المدينة تاركة ممرا واحد[ا] يربط القدس العربية بالضفة الغربية والجسور المقا[مة] على نهر الاردن ، وتحف بهذا الممر مواقع الجامعة الع[برية] شمالا وتلبيوت الشرقية ـ مقر الحكومة ـ غربا وب[illegible] هذا الممر طريق اريحا ، وهذا الممر الوحيد الذي ي[illegible] الحرم الشريف بالعالم العربي .

المسجد الاقصى عام ١٨٧٥

وتوالت قرارات مصادرة العقارات والمباني العربية ، وبدأت الحفريات وعمليات الهدم .

ولم يسلم المسجد الاقصى ، فشب حريق في صبيحة ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ابتلع الجناح الجنوبي والشرقي من المسجد ، وأتت النار على المنبر المطعم بالعاج الذي اقيم في عهد صلاح الدين .

واستمرت اسرائيل في سياسة خلق « حقائق جديدة » في القدس ..

من التاريخ

هذا هو ما آلت اليه القدس ذات التاريخ الطويل الحافل ، ننقل هنا بعض الفصول من تاريخها ، لا بقصد الرد على المزاعم الصهيونية فيها . فهذه المزاعم محاولة مكشوفة لتضليلنا عن الطريق ، والحجة الظاهرة التي تعتمد عليها اسرائيل بالنسبة للقدس ، هي ان للقدس مكانا خاصا في اليهودية ، مما يجعل اطماع اسرائيل فيها مستساغة ، ورمز هذه الاطماع يتمثل في « حائط المبكى » تمويها لاهدافها الحقيقية ، وهذه المزاعم لا تسندها الحجة بل يسندها المدفع والطائرات وجنازير الدبابات وأفواه الجرافات ، ومن السذاجه ان نواجه المدفع بالحجة ، والصهيونية تستخدم منذ قيامها الدين اليهودي كأداة في لعبة الامم بين الدول الكبرى ، اما نحن فنميز بوضوح بين الصهيونية واليهودية ..

وندرك اهداف اسرائيل الحقيقية في القدس ، والتي تدور حول الرغبة في قهر الارادة العربية بانتزاع هذه الدرة الغالية من العرب ، وبالقهر تتحول الى عاصمة اسرائيل ، فكل شيء « قابل للتفاوض باستثناء القدس » و « سنقاتل اسرائيل من جديد من اجل بقاء القدس موحدة » ❋ ، وهل هناك بقية من نفع من حصر قرارات الامم المتحدة التي تؤكد حق العرب في القدس .. وهل من فائدة ترتجى من استعراض اعمال اللجان العلمية الدولية التي تؤكد هذا الحق ، مضافا لها قرارات اليونسكو ، اكثر من الطحن الفارغ ، طالما بقيت غير مدعمة بالقوة ! !

يروي التاريخ ان أول من استقر بالقدس [illegible] موطنا هم الكنعانيون ، وهم قبيلة عربية خرجت من شعاب الجزيرة العربية ، منذ اربعة آلاف عام قبل الميلاد ، وحطت القبيلة رحالها حول نبع غزير فوق احد جبال القدس ، وقد وجدت نصوص مصرية قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة قبل الميلاد تشير الى وجود الكنعانيين في القدس ، وتكشف هذه النصوص عن حضارة متقدمة حققها الكنعانيون الذين استطاعوا التوصل الى استعمال المعادن في تلك العصور السحيقة .

ويمضي التاريخ في حركته فبعد الكنعانيين جاء العموريون ، وهم قبيلة عربية ايضا خرجت من الجزيرة ، وكانوا اول من بنى سورا للمدينة ، وفي سنة ١٤٠٥ قبل الميلاد احاطت بالقدس بعض القبائل المهاجمة ، فاستنجد ملكها العموري بفرعون مصر تحتمس الثالث الذي هب لنجدته ، وانقذ المدينة من الاخطار المحدقة بها ..

ولن نتابع كل تاريخ المدينة الحافل ، بل بعد بداية التاريخ المعروف للقدس ، نكتفي بمتابعة الفاتحين ، فمر بالقدس الفرس ، فالاغريق ودخلها الاسكندر المقدوني منتصرا سنة ٣٣٠ ق . م ، فبطالمة مصر ، فاباطرة الدولة الرومانية .

ولم يأت العبرانيون للقدس الا بعد ثلاثة آلاف سنة من انشائها ، ففي عام الف قبل الميلاد تجمعت القبائل الاسرائيلية وهاجمت القدس وفشلت في الاستيلاء عليها ، ولكن المغيرين دخلوها عن طريق سري يصل بين النبع خارج سور المدينة وقلبها داخل السور ، وبقيت القبائل العربية تعيش في القدس ، وحولها ، الى ان سقطت اخيرا المملكة اليهودية تحت ضربات المصريين القدماء ، وفي القرن السادس قبل الميلاد فتح نبوخذ نصر الملك الاشوري مدينة القدس واخرج اليهود منها وسباهم جميعا الى بابل .

ويكشف هذا العرض ان صلة العرب بالقدس سابقة على دخول المسلمين عام ١٧ هجرية ، وان الفتح الاسلامي لم يكن سوى الموجه العربية الاخيرة التي ازالت عن فلسطين العربية حكم الرومان الاجنبي ،

❋ تصريحات مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل .

القدس رسمها دافيد روبرتس ويظهر المسجد الاقصى .

خلصت العراق مثلا من حكم الفرس . وكان سكان البلاد عربا من الموجات الارامية ، والكنعانية والعمورية من القبائل العربية التي سبقت موجة الاسلام ، واليبوسيون العرب احد بطون الكنعانيين ، هم الذين بنوا القدس ..

اما اليهود فقد كانوا في القدس في مراحل محدودة وباعداد قليله ، قبل الفتح الاسلامي وبعده ، ولم يكن قدومهم الى القدس الا متأخرا ، ولم يقيموا في القدس اكثر من سبعين عاما متصلة زمن حكم داود وسليمان ..

مواكب دخلت القدس

وفي مواكب التاريخ كانت القدس مركز الصراع ، ومعيار نتائجه ، وآخر محطاته ..

وهناك موكبان حاسمان في تاريخ العرب والقدس ، وقف عندهما التاريخ اجلالا واكبارا للحضارة العربية ، والذين دخلوا القدس كثيرون : دخلها معاوية ونصب ذاته خليفة في مسجدها الاقصى ، ودخلها الوليد بن عبد الملك يتفقد فسيفساء القبة التي بنى ، ودخلها المأمون معجبا من زخرفها الذهبي المنقوش ، ودخلها المعز لدين الله الفاطمي ..

واستمرت مواكب الزاحفين تصعد اليها بلا انقطاع ..

اهم مواكب التاريخ العربي وقع منذ اربعة عشر قرنا ، والموكب الثاني شهده التاريخ بعد ستة قرون : موكب الفاروق عمر .. وموكب الناصر صلاح الدين .. الاول حرر القدس من البيزنطيين الغزاة ، والثاني رد عن القدس الحملة الصليبية ، ومازلنا ننتظر الموكب الثالث الذي يحرر القدس من الاحتلال الصهيوني ..

فبعد ان فتح المسلمون الشام ودمشق ، وحمص واللاذقية ونابلس ويافا وغزة ورفح ، اجتمعت كل فلول القوى البيزنطية المهزومة في القدس التي كانت تسمى « ايلياء » ، وحوصرت المدينة واستمر الحصار لمدة اربعة شهور ..

وبكل الابهة ولمعان الذهب ، ظهر صفرونيوس طالبا من المحاصرين قبول التسليم ، وطالبا الامان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه !

وعندما وصل الى عمر هذا الطلب ، قال ومن حوله عدد من الصحابه بينهم علي بن ابي طالب سأذهب ، ان تخليص ثاني الحرمين من الروم يستحق أن يسير من اجله الفاروق ، وخاطب علياً : اني استخلفك على

نظر داخل لكنيسة القيامة ، اهم الأماكن الدينية المقدسة عند المسيحيين في جميع أنحاء العالم ، وتحتوى على قبر نفيه
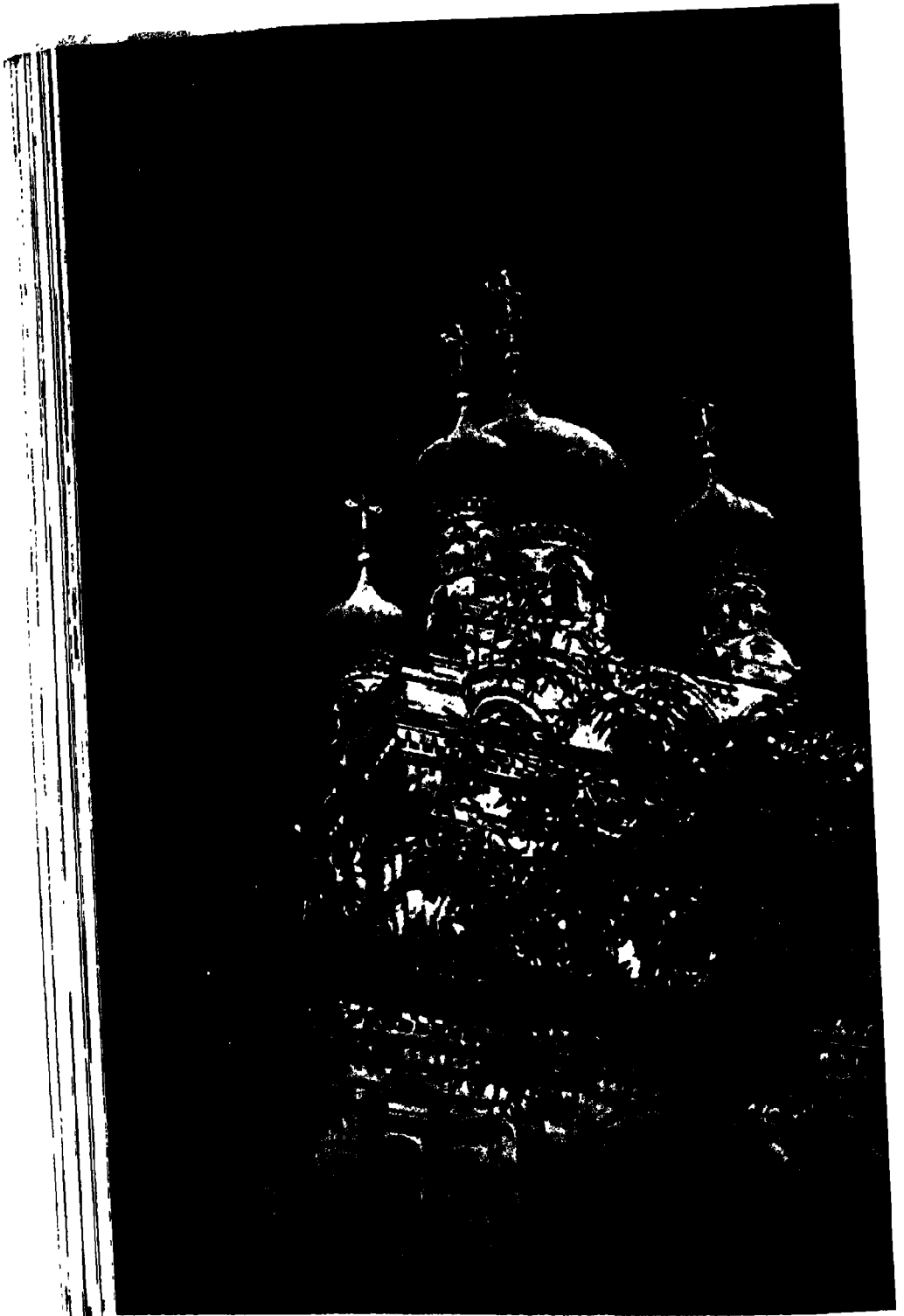
كنيسة مريم المجدلية ، التي اقيمت على طراز الكنائس الأرثوذكسية الروسية القديمة .

المدينة يا علي ، فلم يبق الا القدس ، ويد الله هي العليا ..

وفي اليوم التالي خرج قاصدا القدس على بعيره وليس معه سوى غلام ، حتى وصل « الجابيه » على مشارف الشام ، وهناك كتب عمر « عهد اهل ايلياء » المشهور ، والذي جاء فيه :

« هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود ، وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة » .

وهذا المشهد احد المواقف الحضارية التي هي اسمى وانبل ما في التاريخ العربي ، فلم يأخذهم بالسيف وهم في قبضته ، بل اعطاهم الامان ، وهذا معنى ان تكون القدس عربية ، ان يجد فيها الامان كل من توجه الى خالقه .

وقد دعا اهل ايلياء الخليفة ليتسلم المدينة ... وكان موكبه « بعيرا احمر وخلفه خضمة مملوءة بالتـ...ربة ماء .. » حتى انه فات الذين في استقباله ان ...رفوا عليه ، ولحق به الناس ، وعلى رأسهم البطـ...ريق « صفرونيوس » حامي الكنيسة وسلمه مفتاح المدينة ..

وطاف صفرونيوس البطريق بضيفه العظيم ازقة المدينة التي سار فيها السيد المسيح من قبل ، وعندما هم بالصلاة في كنيسة القيامة ، خرج وصلى على نشز من الارض خارجها ، وتساءل صفرونيوس :

ـ أعن قلى يا امير المؤمنين ؟

× قال عمر : لا .. ولكني اخشى أن يغصبكم احد المكان من بعدي ، ويقول : هنا صلى عمر .. واقيم حيث صلى الفاروق جامع عمر ..

وبدأت منذ هذا التاريخ اهم الآثار الاسلامية ، فاقام عبد الملك بن مروان ، اقدم بناء اثري اسلامي هو مسجد الصخره ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، وقد استخدم عبد الملك المهندسين والفنانين المدربين ، وللمسجد ابواب برونزية مزينة بصفائح فضية مزخرفة ، وهي من اقدم مابقي من هذا النوع من الزخارف ، وقام الفنانون بتزيينه بالفسيفساء والرسوم ، سواء عند بنائه او عند ترميمه او تجديده ، ويشتمل على الطراز القاشاني الذي رصف بقطع البلاط المربعة او المسدسة الصقيلة ، ورسمت فيها صور نباتية او اشكال هندسية ، وترك لنا عبد الملك على دائر باطن القبة كتابة بالخط الكوفي ، هي اقدم كتابة اسلامية ، وبعد ذلك بنحو قرن وربع ، عمد الخليفة العباسي المأمون الى ترميم هذا البناء ..

وشرق القبة بناء صغير انيق يعرف بقبة السلسلة ، وكان يقوم مقام بيت المال لمسجد القبة ويبدو من طرازه وزخارفه انه يعود للعصر نفسه ..

وبالقرب من قبة الصخرة ، اقام الخليفة عبد الـ... مسجدا آخر هو المسجد الاقصى ، غدت القبة منه ... المزار ، واسم المسجد الاقصى يطلق على الباحة الـ... برمتها ، البالغة نحو ٣٤ فدانا بكل ما يقوم عليها

سبيل قايتباي ـ القدس ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

بوابة دمشق احدى بوابات القدس وهي جزء من المدينة المقدسة .

ابنية مقدسة ، وقد قام الخليفة المنصور بترميم هذا المسجد مما لحقه من فعل الزلازل ، وقد اجرى فيه الصليبيون بعض التغييرات ، حتى استرده بطل الموكب الثاني صلاح الدين عام (١١٨٧م ـ ٥٨٣ هـ) .

موكب الناصر صلاح الدين

فقد كان الموكب الثاني الذي صعد تلال القدس نحو النصر ، هو موكب صلاح الدين ، وكما كانت وراء الموكب الاول امجاد اليرموك تواكبه ، كانت وراء هذا الموكب امجاد حطين تواكبه ، ولم يكن قد مضى على ملحمة حطين سبعون يوما بعد ، ثمانون عاما من الاحتلال وجاء الخلاص يوم دخل صلاح الدين عسقلان واستقبل وفدا من الفرنجة يعرضون السلم والمدنة والاحتفاظ بالقدس لمن فيها ، واصر صلاح الدين على تسليم القدس مقابل الامان لمن فيها ، ورفض الوفد ، فقال صلاح الدين :

ـ اذن اقسم ان انالها بالسيف عنوة ..

ولم يمض أسبوعان وكان موكب النصر يصعد تلال القدس ، وضرب الحصار حولها ..

وظل صلاح الدين يطوف حول السور لمدة خمسة ايام حتى عثر على ثغرة الهجوم ، وهبط مساء اليوم الخامس على جبل الزيتون ، تجاه باب عمودا في كنيسة صهيون مهاجما ..

واشتد القتال حتى خرج وفد يطلب الصلح والامان ..

وقال صلاح الدين : لكم الامان على اموالكم وانفسكم ، تخرجون من ابواب المدينة تحت سيفي فقد اقسمت ان افتح المدينة عنوة بالسيف ..

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ ـ ٢٠ اكتوبر عام ١١٨٧ ، وفي ذكرى الاسراء ، كان موكب صلاح الدين يدخل القدس ، وارتفعت اعلامه وحدها فوق القدس العربية . ❋

❋ الذين دخلوا القدس وصلوا في المسجد الأقصى ـ د . شاكر مصطفى (مجلة العربي عدد ٢٣٢) .

سبيل باب السلسله ـ القدس ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

صوت الماضي

وقد تغنى بالقدس كل من زارها من الرحالة العرب والاوربيين ، ولم يغب عنهم جميعا سحرها وجلالها ، وفي تاريخ العرب ظاهرة واضحة ، وهي عدد الكتب التي ارخت للمدن العربية ، وهي في مجملها كتابات جميلة حانية ، وحظيت « بيت المقدس » بعناية لا مثيل لها ، فقد ارخ لها ، ووصف آثارها واظهر منزلتها عدد كبير من العلماء ، وهذا صوتهم من اعماق الماضي .

كان اكثر من تغنى بالقدس ووصفها المقدسي الجغرافي (٣٧٥ ـ ٩٧٥ م) صاحب كتاب احسن التقاسيم ، يقول واصفا القدس : « ليس في مدائن الكون اكبر منها ، وليس بها حر وقل ما يقع بها ثلج ، سألت عن الهواء فقلت : سجسج لا حر ولا برد شديد ، بنيانهم حجر لا ترى احسن منه ولا أتقن من بنائها ، ولا أعف من اهلها ، ولا اطيب من العيش بها ، ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ، ولا اكثر من شاهدها .. » ويضيف ..

« انها بلدة جمعت الدنيا والاخرة فمن دعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها ، واما كثرة الخيرات فقد جمع الله فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشياء الـ... كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز ... الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر والـ... المنشر » .

ويصف الصخرة التي تقوم القبة فوقها : « والصخرة حجر ازرق لونه ، لم يطأها احد برجله ابدا ، وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض ، كأن انسانا سار عليها فبدت آثار اصابع قدميه فيها ، كما تبدو على الطين الطرى ، وقد بقيت عليها آثار سبع اقدام ، وسمعت ان ابراهيم عليه السلام كان هناك ، وكان اسماعيل طفلا فمشى عليها ، وزينت ارضه بالسجاد الجميل من الحرير ، وهناك قناديل كثيرة من فضة ، امر بصنعها سلطان مصر ، ورأيت هناك ايضا شمعة كبيرة جدا طولها سبع اذرع وقطرها ثلاثة اشبار ، ولونها كالكافور وشمعها مخلوط بالعنبر ، وسلطان مصر يرسل الى هناك كل سنة كثيرا من الشمع ، منه هذه الشمعة الكبيرة ، ويكتب اسمه عليها بالذهب .. »

وقبة الصخرة وصفها الرحالة العربي الشهير ابن

القدس عام ١٨٥٠ .

القدس عام ١٨٧٥ .

بطوطة (ولد عام ١٣٠٠م) ، فلم يكن يفوته زيارة قدس الاقداس ، قال :

« وهي من اعجب المباني واتقنها وأغربها شكلا ، وقد توافر حظها من المحاسن ، واخذت من كل بديعة بطرف . وهي قائمة على نشز في وسط المسجد ، يصعد اليها في درج رخام ، ولها اربعة ابواب ، والدائر بها مفروش بالرخام ايضا ، محكمة الصنعة ، وكذلك داخلها ، وفي ظاهرها وباطنها من انواع الزواقة ، ورائق الصنعة ما يعجز الواصف ، واكثر ذلك مغشى بالذهب ، فهي تتلألأ نورا ، وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها في محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفي وسط القبة الصخرة الكريمة ، التي جاء ذكرها في الآثار . فان النبي ﷺ عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ، ارتفاعها نحو قامة ، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ، ارتفاعها نحو قامة ايضا ، ينزل اليها على درج ، وهناك شكل محراب ، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل ، يغلقان عليها ، احدهما : وهو الذي يلي الصخرة ، من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب ، وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك ، والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه » .

فيض النور

وها نحن نعثر على وصف لفيض النور في اليوم السابع لعيد الفصح المقدس تركه لنا برنارد الحكيم ، ويكشف مدى ما يشعر به من القداسة وقد كتبه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) قال :

« يجد الداخل الى القبر قناديل كثيرة معلقة فوقه ، فاذا كان صباح السبت السابق ليوم الفصح بدئت الصلاة في الصباح ، حتى اذا تمت ، انشد الكل بصوت رخيم : استجب يارب ، واستمروا في ذلك حتى ينزل الملاك وينير القناديل المذكورة ، وعندما يتقدم البطريك ويعطي لكل مطران حصته من هذا النور المقدس ، يسمح للشعب ان ينير كل قناديله .. »

وفي اواسط القرن الخامس الميلادي (الحادي عشر الهجري) زار القدس الرحالة الفارسي ناصري خسرو

لوحة للفنان العربى حلمى التونى لقبة الصخرة ، التى تظهر واجهتها من سبع قناطر
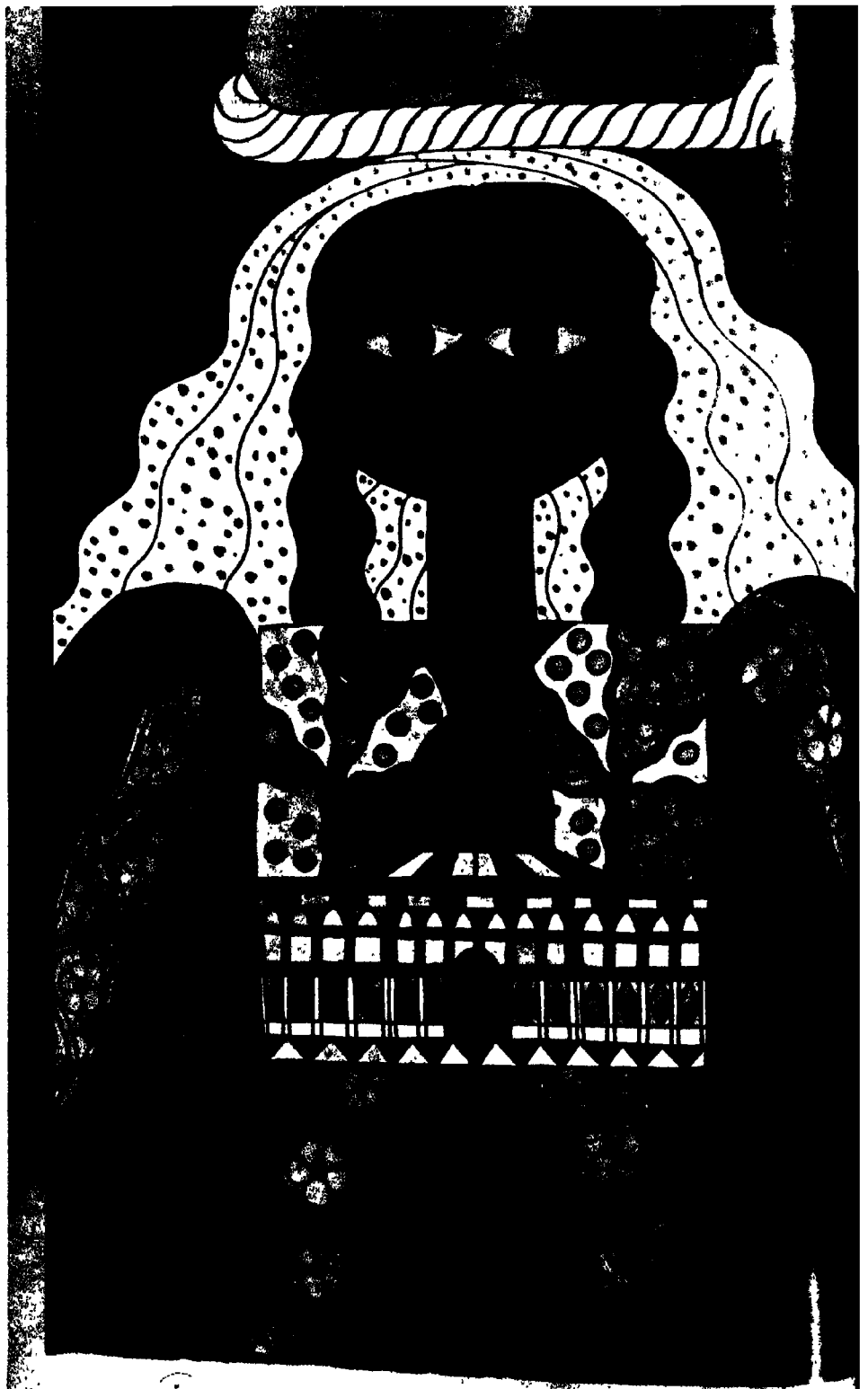
« القدس في القلب » اللوحة الثانية للفنان التوني .

وقدم وصفا للمدينة والصخرة يعكس مكانتها في قلب المسلمين في كل مكان .. يقول : « في الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ (١٦ مارس ١٠٤٧ م) بلغنا بيت المقدس ، يسمى اهل الشام واطرافها بيت المقدس القدس ، ويذهب الى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من اهل هذه الولايات ، فيتوجه الى الموقف ويضحي ضحية العيد كما هي العادة ، ويحضر هناك لتأدية السنة ، في بعض السنين ، اكثر من عشرين الف شخص ، في اوائل ذي الحجه ، ومعهم ابناؤهم ، كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس ، من ديار الروم ، كثير من النصارى لزيارة الكنيسة هناك » ووصف القدس قائلا ..

« هي مدينة مشيدة على قمة الجبل ، ليس بها ماء غير الامطار ورساتيقها ذات عيون ، واما المدينة فليس بها عين فانها على رأس صخر ، وهي مدينة كبيرة كان بها ، في ذلك الوقت ، عشرون الف رجل ، وبها اسواق جميلة وابنية عالية ، وكل ارضها مبلطة بالحجارة ، وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات ، وجعلوها مسطحة ، بحيث تغسل الارض كلها وتنظف حين تنزل الامطار ، وفي المدينة صناع كثيرون ، لكل جماعة منهم سوق خاصة ، والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي ، وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى (الساهرة) يقال انه سيكون ساحة القيامة والحشر ، ولهذا يحضر اليه خلق كثيرون من اطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فاذا جاء وعد الله كانوا بارض الميعاد » .

واوجز عبد الله بن عمر بقوله : « بيت المقدس بنته الانبياء ، وعمرته الانبياء ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه ملك أو قام عليه ملك .. » .

الرحالة الغربيون

وفي مرحلة تاريخية بعينها ، كثر الرحالة الأوروبيون الذين اموا القدس ، ينقلون ويكتبون عن المناطق التي شهدت مولد السيد المسيح ، والمناطق التي تنقل فيها ، ونقل عدد من الرسامين بريشته تلك المناطق التاريخية الساحرة . ومن هؤلاء الرحالة فابري [illegible] ترك لنا الكثير عن مدينة القدس .. قال :

« بيوت القدس مبنية بالحجارة ، وقد رأيت [illegible]ها بيوتا جميلة كبيرة ، لكن جزءاً كبيرا من المدينة متهدم مهجور » .. « ورغم ان القدس قد تهدمت فانه لا يزال فيها اربع اسواق جميلة طويلة ، مما لم ار له من قبل شبيها ، كلها مسقوفة بالقباب ، وتحوي جميع انواع المتاجر ، وهذه الاسواق الاربع هي : سوق التجار وسوق العطارين وسوق الخضار وسوق الاطعمة المطبوخة والخبز .. »

ووصف اسواق القدس قائلا .. « زرت صباح اليوم اسواق المدينة وشارع الطباخين ، حيث رأيت جماعات كبيرة تشترى من المطاعم ، لان القوم لايطبخون في بيوتهم ، والطهاة ماهرون نظيفون » .

وقد قام عدد من الفنانين الغربيين في القرنين الثامن والتاسع عشر ـ بالتعبير عن قيمة القدس سواء بالقلم او الريشة ، والهدف ابراز صورة القدس التى لم يتبدل بهاؤها ، ومن هؤلاء : بارزون الفرنسي ، والذي رسم العديد من المشاهد في فلسطين وسوريا ، والاسكتلندي دافيد روبرتس الذي زار الشرق العربي في الاربعينات من القرن التاسع عشر والذي تعتبر اعماله ذات قيمة كبيرة ، وخاصة تصويره لطراز البناء القديم ، وايضا الامريكيان فن وودورد ..

وفي الوقت الراهن ، قامت الكاميرا بتسجيل مباني القدس التاريخيه ، بعين حساسة للفن والجمال وتنقل مأساة المدينة الى كل مكان ..

وبعد ..

ان الصراع حول القدس ليس صراعا حول قطعة أرض ، بل على تاريخ وحضارة ، ومفهوم رسالة ورمز ..

فهل تبقى القدس « جيتو » يهوديا تحيط به جدران العزلة والاستعلاء ، ام تعود القدس عربية ، مدينة للسلام ، تتعايش فيها الاديان الثلاثة ، وتفتح ذراعيها لكل من يسعى الى الله عابدا ..

هذا هو محتوى الصراع الذى نواجهه . ■

درس فى التذوق الفنى

بقلم : الدكتور لطفي محمد زكي *

ان تناول التفاصيل المرئية هام في كل من تذوق أشكال الفن وفي انتاجها وابداعها . وهنا بعض الاختبارات في استجاباتنا البصرية . ففي لوحة « الموسيقيين الثلاثة » « للفنان بيكاسو » نجد فيها تفاصيل كثيرة . وفي نظرتنا الاولى اليها لا نستطيع ان نستجيب الى كل شيء تتضمنه هذه اللوحة ..

وفي الوقت نفسه قد نحبها في الحال او لا نحبها كلية . ويمكن أن ننمي قدرتنا على الاستجابة الى اللوحة عن طريق نوعين من التدريب : الالفة باللوحة ـ والوعي بالوظيفة البصرية للتكوين او البناء الفني ..

فاذا كنا قد رأينا الكثير من اللوحات واسلوب الفنان الذي انتجها ، نكون بذلك قد قطعنا شوطا نحو الالفة بهذه اللوحة . (مثل ما قد نلاحظ ان بعض الناس يتطوعون في ان يكونوا ضد اسلوب لوحة لم يروها قط في حياتهم) .

دعنا نكتب في سجل ملاحظاتنا ، وصفنا لاستجابتنا الاولى لتلك اللوحة ، ثم نسجل استجاباتنا اكثر في الاسابيع التالية ، كلما رأينا اللوحة مرة ومرات أخرى .

واذا درسنا التكوين او البناء الفني سوف نستطيع الاستجابة بقدر اوفر للوحة . ولكي نساعد انفسنا في عملية الالفة . دعنا نوازن بين لوحة « الموسيقيين الثلاثة » لبيكاسو ، ولوحة « منظر خلوي » للمصور « فان جوخ » . فقد بنيت لوحة « الموسيقيين الثلاثة » من أجزاء ومساحات كثيرة يمكن ان نتذوقها كتكوين او بناء فني في حد ذاته .. على حين انه قد استخدمت اكثر لوحة « منظر خلوي » الالوان كوسيلة اساسية للتعبير عن ذلك الموضوع .

واللوحة لاتكون افضل من الاخرى بسبب انها تختلف في تكوينها وفي بنائها ، ولكن اختلاف تأثيرها علينا كمراقبين او مشاهدين .

واذا كان في الاستطاعة استعارة مستنسخة لاحدى اللوحات من المكتبة الفنية . فاختر لوحة يبدو انها صعبة عليك في فهمها . (كاحدى اللوحات المعروضة هنا) ، ثم احتفظ بها في حجرتك حتى تستطيع ان تراها من وقت

* رئيس قسم التربية الفنية ـ كلية التربية ـ جامعة الرياض .

الى آخر . لاحظ اى تغييرات في احساسك بها ، حاول ان تحتفظ بنحو « مجموعة احاسيسك » عنها في اقرب وقت . واذا كانت هذه المستنسخة من حقبة تاريخية بعينها ، ومن ثقافة غير مألوفة لك ، يمكنك ان تزيد من تقديرك لها عن طريق دراسة تاريخ تلك الحقبة . .

فاذا تناولنا ـ مرة اخرى ـ لوحة « الموسيقيين الثلاثة » للمصور بيكاسو شكل (١) واردنا ان نعرف شيئا عنها لكي نزيد من تقديرنا لها . فنجد انه في تاريخ الحركة الفنية المعاصرة قد تأثرت غالبية الافكار عن الفن باعمال المعماريين والمصممين .. وهؤلاء بدورهم تأثروا بالمصورين التكعيبيين امثال « بيكاسو » ، و « براك » صاحب لوحة « المنضدة » شكل (٣) .

فاللوحتان تحللان الاشكال الاساسية للبناء اكثر من مظهرها الخارجي فحسب . فلقد قام هذان الفنانان بتحليل الاشكال والهيئات الاساسية ، واهتما بالبناء والعلاقات القائمة بين التكوينات . وقد ذكر احد نقاد الفن : ان بيكاسو اكتشف وسيلة يوحد بها ويربط الابعاد الثلاثة في الموضوع مع سطحية المسطح . واضاف ناقد أخر بالنسبة للوحة « الموسيقيين الثلاثة » ان فيها قوة تردد فلا تحتوي فقط على عناصر زخرفية ، ولكن يوجد بها ايضا موسيقى داكنة اللون في العلاقة بين اشكالها . والمدرسة التكعيبية هي رد فعل للاشكال الفنية السابقة . والمدرسة التأثرية التي نعرض لها لوحة « منظر خلوي » للفنان « فان جوخ » الهولندي هي جماعة

الموسيقيين الثلاثة ـ متحف الفن الحديث بنيويورك للفنان : بابلو بيكاسو .

بهرتها الاضواء والالوان في الطبيعة فانجذبت لها .. وساعدها الكشف العلمي لنظريات اللون على تدعيم فلسفتها هذه ..

●

وهكذا آلى التأثيريون على انفسهم الا يستخدموا غير الوان الطيف (الالوان السبعة : البنفسجي ـ النيلي ـ الازرق ـ الاخضر ـ الاصفر ـ البرتقالي ـ الاحمر) . وان يحصروا همهم في تسجيل مظاهر تلك الطبيعة في كل لحظة من لحظاتها الشاردة .

ولكي نكون فكرة اكثر وضوحا عن هذه المدرسة التأثيرية واساتذتها .. او قل هذا الكشف الجديد في ذلك

منظر خلوى متحف التيت
بلندن للمصور : فان جوخ

الوقت .. نأخذ مثالا لفنان رأى لاول مرة في حياته اعمال هذه المدرسة التأثرية .

هذا الفنان هبط على اخيه في باريس فصحبه الى معرض لاعمال هذه المدرسة .. فعندما رأت عينا الفنان هذه الاعمال .. جلس وفرك عينيه وتمتم :

« لقد تعودت منذ كنت في الثانية عشرة من عمري ، ان ارى لوحات قاتمة معتمة ..

هذه اللوحات لم أرها قط في حياتي .. ولا احلم ان اراها !

المنضدة ـ متحف الفن الحديث
بنيويورك للمصور : جورج براك .

لوحات غارقة مجنونة بالنور ! بالضوء والهواء !

لوحات مرحة تنبض بالحياة !

صورت في الوان حمراء اولية !

وفي الوان خضراء ..

وفي الوان زرقاء ..

رماها الفنـان خلف بعضهـا في جرأة .. وعـدم مبالاة ! »

تمتم الفنان بذلك ونظر الى توقيع اللوحة ..

فقرأ « ديجا ـ Degas » !

ثم نظر هنالك ..

مجموعة لوحات لمناظر خلوية لضفتي النهر .. اخذت كل نصيب من التشبع .. غزارة اللون ووفرته للصيف الحار ، وقيظ الشمس وحرارتها وهي على رؤوسنا .

والتوقيع « مونيه ـ Munet » !

« ان الوان هذا الفنـان هـي اكثـر نورا وسطوعـا عشرات المرات مما نجده في ازهى الوان لوحات متاحف هولندة كلها ..

ففيها : يبرز العمل بالفرشاة .. ياللغرابة !

كل ضربة فرشاة واضحة جلية ! تلوح منسابة في موسيقى الطبيعة .. ياللغرابة !

سطح اللوحة دسم سميك ! عميق ، يخفق في ثمارها الناضجة ..

حقا انه فن غني ..

ان هؤلاء الفنانين جعلوا الهواء في لوحاتهم شيئـا له قيمة .. شيئا له كيانه .

وهذه الحياة ، والحركة جعلت الهـواء يفعـل شيئـا للعناصر التي تتكون منها اللوحة ..

انهم اكتشفوا النور والحياة ! الجو والشمس ! رأوا الاشياء في عنفـوان قوتهـا .. رأوهـا وهـي تحيا وتهتـز وتفيض ..

رجال خلقوا فنا جديدا ..

وخرج الفنـان مسرعـا مندفعـا من المعر... الى اين ؟

الى مرسمه .. الى لوحاته يحملق فيها ..

●

« يالله ! انها معتمة قاتمة !

يالله ! انها ثقيلة لاحياة فيها ! ميتة !

لماذا لم تخبرني .. يا اخي ؟

لماذا لم اعرف ؟

لماذا لم تستدعني من قبل ؟

لقد تركتني افقد ست سنوات كاملة من عمري ..

ولكن ماذا انا فاعل ؟

انظر الى هذه الكومة ! »

ودفع بقدمه في لوحة كبيرة معتمة ..

« انها كلها ميتة ، لا قيمة لها »

●

اتعرف من كان هذا الفنان .. وكيف اصبح بعد هذه الثورة العارمة على الفن الاكاديمي ؟ انه « فان جوخ » الذي اضحى فيما بعد علما من اعلام المدرسة التأثرية في الفن ..

ان نموك في التذوق الفني سوف يتضاعف اذا توافر لك مايلي :

١ ـ فهمك الخلفية الثقافية للاشكال الفنية .

٢ ـ احساسك بالفروق بين الفنانين في الاختبارات ، وفي التفسيرات ..

٣ ـ امتلاكك الفرصة المتكررة للاستجابة الف...
هذه لقطة نوعية لمجال من مجالات النشاط ال...
اوردتها على سبيل المثال لا الحصر . ويمكن في ضوء...
المعالجة التصـدى لنشاطـات عديدة تؤكد هذا الت...
وتبرز معالمه وما اكثر هذه النشاطات المجتهدة في ...
التربية عن طريق الفن .

هوايتهد .. فلسفته ومحاوراته

بقلم : عزت محمد ابراهيم

■ تتناثر فى السيرة الذاتية لـ « برتراندرسل » Bertrand Russel ، صفحات هنا وهناك تكون فى مجموعها صورة للفيلسوف الامريكى « الفرد نورث هوايتهد » Alfred North Whitehead (١) ، علها ان تكون فى ملامحها وسماتها اوضح من المطولات التى كتبت عنه ، او خصصت له ، ومرد ذلك الى الصلة القوية المتينة التى ربطت بين الفيلسوفين، فقد اشتركا معا فى تاليف كتاب «اصول الرياضيات» وكان « هوايتهد » استاذا لـ « راسل » فى جامعة « كمبردج » ، ثم قويت بينهما اواصر الصداقة يوما بعد يوم ، فكانا يتزاوران ، ويقيمان معا الايام الطويلة فى المكان الواحد ، ولم يغير من طبيعة هذه العلاقة غير رحيل « هوايتهد » الى امريكا ليتخذ منها وطنا غير وطنه .

كان عالما رياضيا جذبته الفلسفة

وقد كان « هوايتهد » فى بداية حياته الفكرية عالما رياضيا ، ثم شدته الفلسفة ، او لعله هـــو

(١) انظر كتاب « سيرتى الذاتية » ــ تاليف برتراند رسل ، الترجمة العربية ــ دار المعارف ــ مصر (الهلالى) .

(٢) توفى عام ١٩٤٧ ، ومن مؤلفاته : اهداف التربية ، مغامرات الافكار ، دور العقل ، اساليب التفكير ، السلوك والحقيقة ، العلم والعالم الحديث .

الذي ارتمي في احضانها ، يلتمس فيها السلوى، والعزاء،او لاذ برحابها ينشد اجابة على تساؤلات، بعد ان نكبته الايام بفقد ابن له في بواكير شبابه•

الاستاذ والانسان

وصورة « هوايتهد » الانسان في هذا المقال هي من تصوير « رسل » ، او هي « هوايتهد » من وجهة نظر « رسل » ، وهو على ذلك الاعتبار كان على جانب كبير من الفكاهة الحلوة ، كما كان غاية في الرقة واللطف ، ولم تكن آراؤه اللاهوتية شديدة التزمت ، ولكن شيئا من هيئة القس كان يظهر في الطريقة التي يعبر بها عن مشاعره ، وفي كتاباته الفلسفية المتاخرة ، كما كان جم التواضع، لا يجد حرجا من سرد حكايات عن نفسه تغض من شانه ، وكان متشعب الاهتمامات ، وكانت معرفته الوثيقة بالتاريخ مثار الدهشة والاعجاب •

قدرته على التركيز

اما قدرته على التركيز في العمل ، فان «رسل» يصفها بانها كانت « خارقة تماما » ، ويسوق لذلك دليلا ، انه عندما كان يقيم معه في قرية مجاورة لـ « كمبردج » ، وجاءهما صديق ، فصحبه «رسل» اليه ، حيث كان جالسا يكتب شيئا في الرياضيات على مسافة ياردة منهما ، ووقفا امامه وهو يملأ الصفحات تلو الصفحات بالرموز الرياضية ، غير ملتفت اليهما ، وغير شاعر بوجودهما ، وانصرفا بعد برهة وقد تولاهما شعور بالرهبة البالغة ، ورجل يستغرقه العمل على هذا النحو لا ينتظر منه ان يرد على خطاب ياتيه من صديق ، وقد كتب اليه « رسل » مرة يساله عن مسالة في الرياضيات كان في مسيس الحاجة اليها ، فلم ياته منه رد ، وكتب اليه ثانية فلم يظفر منه بجواب ، وارسل اليه برقية فيها الرد على نفقته ، فكان مصيرها مصير سابقتيها ، ولم يجد مناصا آخر الامر من ان يشد اليه رحاله لينال ضالته،ويبرر «هوايتهد» تصرفه ذلك بانه لو رد على كل ما يصله من خطابات فلن يجد وقتا للعمل الاصيل •

كان شديد التعلق بزوجته

وهو مع ذلك لم يكن من النوع الذي لا يهتز ولا يتاثر ، ولم يكن على التحقيق ذلك الوحش المجرد عن انسانيته الذي يطلق عليه اسم « روح الفكر الخالص » ، فقد كان شديد التعلق بزوجته واولاده ، بارا بهم ، عطوفا عليهم ، وكان « رسل » يقيم معه حين كانت زوجته تعاني من مرض في القلب ، وساوره القلق عليها ، وانتابته من اجلها الوساوس والاوهام ، حتى كان « رسل » يشك ـ اذا اصابها مكروه ـ أن يكون في مقدوره القيام بعمل علمي له قيمته •

ويصور « رسل » « هوايتهد » في صورة من كان على وشك الاصابة باختلال العقل ، والوقوع في مهاوي الجنون ، ولعله كان مسرفا في هذا الظن اسراف زوجته التي كان ينتابها القلق عندما تراه يقضي الايام في بيته لا ينبس بكلمة ، ولم تكن تخفي قلقها على « رسل » ، ملتمسة منه العون في الحيلولة بينه وبين ما تخشاه، ومرد ذلك الى ما يصفه « رسل » من انه كان شديد الضبط لنفسه ، حتى لا يطلع الناس على ما يعانيه في دخيلته وكان ذلك سر متاعبه ، وسر اختلاف ظاهره عن باطنه •

كان يعنى بتلاميذه وكانوا يحبونه

اما « هوايتهد » « الاستاذ الجامعي فان « رسل » يصفه بانه كان من طراز نادر ، فهو يولي اهتماما شخصيا لمن يتتلمذون على يديه ، فيضفي عليهم خير عنايته ، ويستخرج منهم خيرا ما عندهم ، ولا يهزأ بهم ، ولا يتعالى عليهم ، ولا يغض من شانهم ، ولذلك كان موضع حبهم وايثارهم ، كما كان موضع تقديرهم واعزازهم •

فلسفة عسيرة

ويصف « رسل » فلسفة « هوايتهد »بعسرالفهم، وان فيها مالم يتوصل الى فهمه قط ، وانه كان في دور تكوينه الفلسفي واقعا تحت تاثير الفيلسوف الفرنسي « برجسون » ، ولعله كان ينعى عليه ميله الدائم لفلسفة كنط « Kant » ، ولم يكن «رسل» يحسن الظن بها •

عقدة انجليزية ، في الفلسفة الالمانية

ويظهر ان لدى فلاسفة الانجليز ما يشبه العقدة من الفلسفة الالمانية عامة ، وفلسفة « كنط » بخاصة ، فقد راينا في مقال

عمانويل كنط » (٣) ان الفيلسوف الانجليزى جون ستيوارت ميل » Mill ، كان يصف الفلسفة الالمانية بانها « كتاب اغلق بسبعة اختام » ، وبانه لم يقرا « كنط » ولا هيجل Hegal ، ولم يتصل بهما الا عن طريق شراحهما من الانجليز .

هوايتهد والرياضيات

واذا كان «هوايتهد» قد اعرض عن «الرياضيات» وولى وجهه شطر الفلسفة ، فانه لاينكر جدوى « الرياضيات » مما يدخل فى باب الثقافة العملية، والحياة العامة اللازمة للانسان فى مسعاه ، فهو يرى ان لكل شيء وجها رياضيا ، نجده فى طيران الطير ، ووزن الشعر ، وايقاع الموسيقى ، ومن مزايا الرياضيات انها تشجع على تطوير قوى التفكير المجرد ، واستنتاج القواعد العامة ، ولا ينكر فضل الهندسة فى التفكير المنطقى السليم ، فالتفكير الجاد يتطلب جمـع الافكار الاساسيـة ، والانصراف عن التشتيت الذى تسببه الاعتبارات غير المتعلقة بالموضوع « وهذا هو ما يحدث تماما فى الهندسة » .

وهو لا يسلم من الوقوع فى التناقض، فهو يحط من قدر رياضيات القرن التاسع عشر ، ويرى ان الزمن قد عفى على ما كان يعد منها « حقائق ثابتة » مما كان يدرسه فى جامعة « كمبردج » ، ثم هو يعلى من قدر رياضيات ما قبل الميلاد ، والتى لم تكن تزيد فى زمانها عن تاملات مجردة ، لم تتناولها التجربة العمليـة ، (ومع ذلك جاء يوم ظهرت فيه قيمتها الكبرى منالناحيتين النظرية والعمليـة ، ولقد فتح « كلبر » و « ديكارت » و «نيوتن» باب العالم العلمى الحديث، واستعملوا الادوات التى اخترعها علماء الهندسة الاغريق قبل الفى عام) . ولذلك فهو يعد الحد من التامل « خيانة للمستقبل » .

هوايتهد والفلسفة الحضارية

ولقد كان لـ « هوايتهد » الى جانب تخصصـه الرياضى والفلسفى نظرات صائبة فى التاريخ والاجتماع والفن والجمال ، مما يدخل فى نطاق الفلسفة الحضارية التى اولاها جانبا من اهتمامه ، وهى كذلك التى قربت بينه وبين القارىء العادى ، فجعلت كتبه وافكاره فى متناول يده ، ولو وقف اهتمامه على الرياضيات والطبيعيات فحسب ، لظلتكتبه وتاليفه حبيسةجدران الجامعات لا يعرفها الا المختصون (٤)

وشان « هوايتهد » فى ذلك شان « جـورج سانتيانا» و « وول ديورانت » وغيرهما منالفلاسفة والمفكرين الذين اقتربوا من مشكلات الانسان عن وعى وبصيرة ، فدفعوا بعجلة الحضارة الانسانية الى الامام مع من دفع بها ، وقد كانت الحضارة هى الشغل الشاغل لـ « وول ديورانت » ، كما كانت « قصة الحضارة » فى مجلداتها العديدة هى خلاصة تفكيره ، وما كان لفيلسوف مثل « برتراند رسل » علىسبيل المثال — ان يتحقق له ما تحققمن شهرة ، وذيوع صيت ، وبقاء اثر ، لو اقتصر فى تاليفه على « الرياضيات » ، ولم يشغل نفسه بقضايا الانسان عامة ، فى وطنه وغير وطنه ، وكم من فلاسفة ومفكرين ابتلعتهم لجة النسيان لانهم ناوا بانفسهم عن مشكلات الانسان .

والفن والفلسفة واعلاء قيمة الفرد وضمان حريته ، هى من اهم المقومات الحضارية عنـد « هوايتهد » .

الفن عند هوايتهد

ومن ملاحظاته الصائبة عن الفن انه يحيل التجريد الى واقع ملموس ، فتتحول الافكار المجردة الى عمل ابداعى اذا مستها يد فنان ، فتدب فيها الحياة ، وتضطرب بالواقع ، وذلك هو محك قدرة الفنان ، ومقياس عظمته . والفكرة الواحدة قد تعبر عشرات العقول ، ويلتقطها عقل المتفنن — من بينها — فيحيلها الى عمل فنى يكتب له البقاء والدوام .

والفن عند « هوايتهد » ليس اضطرابا وفوضى وقلبا للاوضاع ، انما هو دقة ونظام ، ومصدرة الفنان الحق هى الافادة من العاطفة الجياشة ، وتحويلها الى فن له ضوابط واصول . ويذكرنى رايه فى ذلك براى للمفكر الفرنسى «اندريه مالرو»

---

(٣) عدد ديسمبر ١٩٧٤ من العربى .

(٤) فلسفة هوايتهد فى الحضارة : أ . هـ .جونسون — مؤسسة فرانكلين — بيروت ١٩٦٥ .

Malraux تتضمنه عبارته « الابداع الفني لاينبثق عن استسلام للاشعور، وانما عن القدرة على السيطرة عليه وتوجيهه ، وهذا هو الفارق بين الفن الحقيقي وفن المجانين • »

وليس معنى الضوابط والاصول عند «هوايتهد» هو التحجر والجمود ، فهو يعلي من شان مغامرات الافكار ، ويعدها من اهم العناصر الجوهرية لتكوين الحضارة ، واحسب ان الفرق بين الافكار في جيشانها واضطرابها ، وبينها في هدوئها وتنظيمها وترتيبها كالمياه المتدفقة تنحطم على فتغرب وتدمر، وتنساب هادئة مترفقة فتحيي وتورق وتزهر وتضفي على الحياة جمالا وبهاء •

والفلسفة لا مناص منها

والفلسفة امر لا مناص منه لازدهار الحضارة عند « هوايتهد » ، فهي محاولة لتنظيم المعلومات المتوفرة في فكرة عامه ، وهي كذلك لان العقل المتحضر يزداد حيوية بفعل نوع من « عدم الرضا السامي » ، وهو ما يمثل النزوع الفلسفي لملكة النقد •

العلم عند هوايتهد

وليس للعلم عنده كبير اعتبار في البناء الحضاري ، وحجته في ذلك ان الحضارة الانسانية قد قطعت شوطا بعيدا في الصين ، ولم يكن لها من التقدم العلمي شيء ذو بال ، وكذلك الحال في الهند وفارس ، والحضارة الاغريقية قامت على الفن والادب ولم تقم على العلم • وغير ذلك مما لم يذكره « هوايتهد » ان العلم اذا كان في مقدوره ان يخلق الحضارات ، فان في مقدوره كذلك ان يدمرها ويخربها ، ويحيل ازهر المدن واحفلها بالعمران الى خراب ويباب ، وليس كذلك الفن ، وليست كذلك الفلسفة ، الا ان تحول عن وجهتها على ايدي المتهوسين والمجانين ، ويجر ذلك الى استخدام العلم فيما هو غير خليق به •

قيمة الفرد في حريته

اما اعلاء قيمة الفرد وضمان حريته، فلان الفرد المبدع الخلاق هو قوام التقدم والحضارة ، وهو لا يؤتي ثمره ، ولا تزدهر ملكاته الا في ظل حرية وارفة يستظل بظلها ، وبغير ذلك فان « خصوبة الحياة لا تلبث ان تتلاشى وتتبخر في حرارة الطغيان » ، وما اكثر ما يحفل التاريخ على ذلك بالادلة والشواهد ، ولعله من مثار السخرية ان « موسوليني » كان دائم التساؤل عن ان ايطاليا الفاشية لم تستطع ان تنجب اديبا او فنانا يكون موضع فخرها •

هوايتهد يرفض نظرية التطور

وفي نطاق فلسفة التطور في التاريخ يرفض « هوايتهد » نظرية التطور ، فاذا كان هناك صراع على البقاء نتج عنه انقراض بعض الكائنات ، فان هناك كذلك تعاونا وثيقا بين الكائنات ، هو ضرورة لبقائها واستمرارها ، فالاشجار تنمو وتورق لان حشرات بعينها تقتل بعض الكائنات الضارة بها ، ولو بقيت لتوقف النمو ، ولاصاب الاشجار الموات والاضمحلال ، وكذلك بقاء الاشجار ، هو عون على بقاء بعض انواع من الحشرات تستمد منها غذاءها ، وسلوك اسراب الطيور حين يحدق بها خطر ، هو مثل في الطبيعة على ظاهرة العون المتبادل بين الاحياء •

وهو لا يرى بقاء الاصلح مقياسا للتفوق ، لان الحجر يقوى على البقاء القرون الطويلة ، وليس للانسان ما للحجر من عوامل البقاء ، وليس التكيف مع البيئة شرطا من شروط البقاء ، فالبيئة تتغير في بعض الاحايين ، والكائن الحي الذي يتكيف معها تكيفا وثيقا يكون عرضة للفناء، ولكنه لا ينكر ان مرونة التكيف وامكانية التجديد في السلوك يكونان من دواعي استمرار البقاء والتغلب على عوامل الفناء •

رأيه في نظرية السكان

وهو يتصدى لنظرية « مالتوس » في السكان بالنقد والاعتراض ، فهي لا تنطبق على كل ناحية من نواحي العالم ، وليس صحيحا ان كثافة السكان والبؤس متلازمان بالضرورة ، فان مستوى المعيشة في الاراضي الواطئة ابان القرن السادس عشر كان مرتفعا ، وكانت البلاد مكتظة بالسكان، وعلى العكس من ذلك ما كان في المانيا حين كان البؤس متفشيا فيها ، مع قلة عدد سكانها ، وهذا كله فضلا عن ان النظرية قد اسقطت من حسابها اثر التقدم العلمي والتغييرات في التجارة ، والتوسع

الجغرافى » ومن هنا فان الواقع قد جعل هـذه النظرية واهية لا تنطبق على جزء كبير من وجه الارض » •

ولعلنا نجد مصداق ذلك اليوم فيما تبذله دول من مال ودعاية فى تحديد النسل وضبطه ، يقابله ما يقع من دول اخرى من ترغيب فى الانجاب وحث عليه ، حتى لتصبح الام المثالية عندها هى تلك التى تنجب اكبر عدد من الابناء ، فتمنح الجوائز وتغدق عليها العطايا والاموال •

دور الجامعات فى الحضارة

ولعل من خيرة افكار « هوايتهد » وملاحظاته مامس به شؤون الجامعات ودورها فى الحضارة ، وهو يرى الا يقتصر دور الجامعات على الحقائق والاساليب ، وانما ينبغى ان يتعدى ذلك الى اعلاء شان القيم ، وانماء ملكات النقد ، والحكم على الاشياء • والمعرفة وحدها لاتكفى ، واذا لم يصاحبها امتاع فى تناولها ، ومالم تستخدم بحكمة ، فانها تكون « لعنة مخيفة » ، والجامعات العظيمة تتطلب اساتذة عظاما ، وليس مقياس عظمة الاستاذ الجامعى عنده هى كثرة تاليفه وتصانيفه ، ووفرة ما يصدر باسمه من مطبوعات ، فان بعض ما يطبع لغو كله ، ومكانه هو محرقة القمامة ، وليس صفحات مجلة الابحاث الجامعية »، وانما مقياس العظمة هو الحماسة والاصالة والعبقريـة والتحصيل النـافع والثقـة ، ولكنه يحذر من الوقوع فى الالتباس فى فهم حقيقة هذه الصفات ، فان منها ما يكون زائفا مصطنعا « وما يبدو اشبه بالاصالة كثيرا ما يكون لغوا ، وما يحسب عبقرية يظهر بعد التمحيص والاختبار انه مرض عقلى » •

العبقرية عند هوايتهد

ومن نظراته الجديرة بالاعتبار للعبقرية انها ليست فى كل الاحوال موهبة الفرد الذى يتمتع بها ، فما اكثر العبقريات التى تذبل وتضمحل اذا افتقرت للبيئة الصالحة التى تنمو فيها وتزدهر ، وهو يقول فى ذلك : « ان الظروف التى تساعد على القيام بعمل عظيم سام هى العبقرية بمعناها الواسع الذى يتضمن المعرفة والملكة المكتسبة التى تضبط السلوك » •

فيلسوف متفائل

و « هوايتهد » على وجه الاجمال فيلسوف متفائل، لا ينظر الى الانسانيه بوجه معطب ، وانما يتطلع الى العالم بوجه مشرق ، وهو حريص على بقاء الحضارة ونمائها وازدهارها ، ولا يخشى عليها من شىء قدر خشيته من القـوة والبطش والجبروت ، وهذه فى رايه علامة على اخفاق الحضارة ، والذين يلجاون اليها ، ـ مهما تكن الاسباب والدواعى ـ هم اقل من المستوى الانسانى ، واقرب الى المستوى الحيوانى ، وهم اميل الى السعى وراء المنافـع السطحيـة التى يؤثرونهـا على المزيـج المصب للحق والجمال والخير ، اما السلام فهو موضـع سخريتهم ، وان مغامراتهم مالها الشر والخسران والعاقبة الوخيمة ، ويضرب لهؤلاء مثل « هتلر » و « موسولينى » اللذيـن كانا مجلبـة للدمـار لنفسيهما وللعالم على السواء •

ندوات فى بيته يجتمع فيها طلابه

وبالرغم من كثرة مشاغل « هوايتهد » وتعدد مناصبه ، ووفرة تاليفه وتصانيفه ، واهتمامـه باسرته ، وحدبه على اولاده ، وعنايته بطلابه ، بالرغم من كل ذلك فانه كان يجد الوقت لعقد ندوات فى بيته يجتمع فيها طلابه يتناقشون ويتعلمون ويعلمون ايضا ، لا يعلم بعضهم بعضا فحسب ، ولا يفيد بعضهم بعضا فقط ، بل يعلمون استاذهم كذلك ، اذ كان يقول «من الخطا ان يظن الكبار انهم لا يستطيعون ان يتعلموا من الصغار » •

واعاد «هوايتهد» بندواته ذكرى صالونات فرنسا ابان القرن الثامن عشر ، وبدا الناس يتسامعون بها ، ويتحدثون عن « سهرات فى بيت هوايتهد » فيكثر الاقبال عليها ، ويتزايد عدد المترددين على جلساتها حتى ليبلغوا عددا يتراوح بين الستين ، وما يزيد على التسعين فى الليلة الواحدة ، وبين هؤلاء جميعا اتيح لـ « لوسيان برايس » المحرر فى مجلة « جلوب » فى « بوسطن » ان يحضر هذه الليالى السامرة العامرة ، وان يستمتع بما يدور فيها من محاورات ومناقشات ، يعجب بها، ويؤخذ بروعتها ، ويدعوه ذلك الى ان يسجلها فى كتابه « محاورات الفرد نورث هوايتهد » الذى كان وليد تلك السهرات الشائقة •

وكان « هوايتهد » يرسل الحديث فى محاوراته على اذلاله ، ويترك نفسه على سجيتها ، فيبدأ

حديثه مثلا عن مناسبة من المناسبات التى تحتفل بها امريكا ، ويفضى به الكلام الى موضوع عن الصحافة الامريكية مقارنا بينها وبين الصحافة الانجليزية ، واذا به بعد ذلك امام مسالة من مسائل الفن والابداع تشغل البال وتستاثر بالاهتمام ، هى تلك الظواهر النابغة التى تظهر فى زمن ، فتكاد تحجب كل من ياتى بعدها ، فلا يتطاولون عليها ، ولا يمتد لهم ظل يضارع ظلهم، فضلا عن ان يمحوه من فوق اديم .

ان عصر النهضة يضمحل بعد « ميشيل انجلو » والاوبرا بعد « فاجنر» تبدو هزيلة ضعيفة ، فهل معنى ذلك ان يـ ـاثر فنان واحد بعصر باكمله ، وبصورة من صور الفن فى زمانه ؟

ذلك سؤال يلقيه « برايس » ويسمع الاجابة من « هوايتهد » فى قوله « ان امثال هؤلاء يظهرون فى نهايات عهود مضطربة قلقة ، فيجمعون فى جعبتهم الموضوعات الكبرى الشاملة ، ويذهبون فلا يجد من ياتون على الرغم شيئا يقدمونه ، فيتهافتون على صغائر الامور ، ولا يبلغون شيئا مما بلغه سابقوهم » .

ولعل معنى ذلك ان عصور الانقلابات والاضطرابات عصور لا يتسنى فيها الابداع والابتكار ، فهى تشغل الناس بما هم فيه من نكد وكمد ، وطلب السلامة لانفسهم ، وان كل ما كان مقدرا له ان يبتكر ويخلق فى مثل هذه الآونة يضطرب ويمور فى الخفاء ، حتى اذا هدات الاحوال تبلورت فى شكل من اشكال عباقرة الفن والابداع، ولا يتيسر تكراره الا اذا تيسرت نفس الظروف والاحوال ، وعادت الدورة كرة اخرى ، وقلما يعود الزمان على نفس الوتيرة بالرغم مما يقال من اعادة التاريخ نفسه .

بين العلم والشعر

وبعد حديث الفن وعباقرة المبتكرين فيه يثار حديث عن العلم والشعر ، وما قد يكون بينهما من عداء خفيف او مستحكم ، فيقول « هوايتهد » : « اعتقد ان بعض علماء الشعراء لو عاشوا فى زماننا ربما كانوا علماء ولم يكونوا شعراء ، ولقد ظلت « اكسفورد » قرونا عديدة تدرس الادب القديم ، وابت « كمبردج » ان تعلم الادب وعلمت الرياضة، ومع ذلك خرجت « كمبردج » من الشعراء اضعاف ما خرجت « اكسفورد » منهم » .

وحديث عن ديكنز

ويخوض المتحاورون يوما فى حديث عن « شارلز ديكنز » Dickens ، الذى واتته الشهرة على غير انتظار، ولم تكن شهرته بسبب اقبال القراء عليه، او بسبب من اسباب النقد وما يتصل به ، وانما كانت بسبب ظهور قانون اعانة الفقراء ، ومشروع اصلاح المساكن ، وينسب « هوايتهد » الشهرة فى عصرنا الى التاثر الدعائى ، وافانين الناشرين ، لا الى الاصالة والقيمة فى حد ذاتها .

■ ■

ولعل محاورات « هوايتهد » قد اعادت الى ذهن القارىء ما كان لنا من ندوات ومحاورات على شاكلتها ، نتج عنها قدر عظيم من مسائل الفكر والفلسفة ، من مثل « الامتاع والمؤانسة » لابى حيان التوحيدى ، الذى قيل فى كتابه « انه خاض كل بحر ، وغاص فى كل لجة » ، وهو ليال بلغت نحو اربعين ليلة قضاها ابو حيان مع الوزير ابى عبد الله العارض فى مسامرات فكرية ، ثم جمعها فى سفر من اجزاء ثلاثة .

وقد كان الوزير يقترح موضوع الكلام ، يسال فيجيب ابو حيان ، او يسال ابو حيان فيجيب الوزير ، او يتحاوران معا فى نقاش يتخلله اتفاق او تعارض ، ولا يخضع الكتاب لترتيب او تبويب، انما يسترسل مع سبحات الفكر حيثما سنح او برح ، وتمضى الليالى ليلة الى اخرى ، فاذا آذنت الواحدة منها بانقضاء جاءت « ملحة الوداع » فتكون نادرة لطيفة ، او ابياتا رقيقة ، يختتم البحث ، فتكون ترويحا للنفس من بعد كد الذهن وعناء التفكير .

ولكن ذلك زمن مضى وانقضى ، واخشى ان ... فى التغنى به قول القائل :

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان اولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم

وصدق من قال :

اذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

■■

عزت محمد ابراهيم

اعداد : يوسف زعبلاوى

البنكرياس الصناعى

● تحدثنا فى هذا الباب وقبل حين عن مثل هذا الجهاز الخطير الذى مازال قيد التطوير .. وتعزى خطورته الى ان الدور الذى يقوم به يجعله جديرا بالاسم الاخر الذىيطلقونهعليه : البنكرياس الصناعى .. فهو لا يقف عند حد حقن المريض بالانسولين اوتوماتيكيا .. ولكنه يذهب الى حد تزويده به بالمقدار المناسب وفىاللحظات المناسبة. فقد تهبط نسبة السكر فى دم المريض فجاة وعلى غير توقع اثناء الليل او النهار .. وقد يتعرض هذا المريض تبعا لذلك لمضاعفات السكر الخطيرة البشعة .. وهى تشمل فيما تشمل العمى وامراض القلب والشلل وتعطل الكلى بغتة.. من هنا كانت الامال الكبيرة التى يعقدها علماء جامعة ييل Yale على الجهاز الصغير الذى ابتكروه وطوروه حتى اقترب من مرحلة الانتاج على نطاق واسع .

وغنى عن البيان ان هذا البنكرياس الصناعى كان موضع تجربة وامتحان فى المدة الاخيرة .. وقد جرب بصفة خاصة فى حالات السكر المستعصية التى يصعب التحكم فيها بنسبة السكر فى الدم ، بالرغم من حقن الانسولين المنتظمة . وهى حالات كثيرا ما يعانى منها صغار السن من الشباب والاطفال .

ويوضع الجهاز الذى لا يزن اكثر من ٤٥٠ غراما على خصر المريض ويعلق بحزامه بحيث يسهل ايصال انبوبته البلاستيكية الى جسم المريض وغرس ابرتها الدقيقة فى جلده .. ويتولى الجهاز بعد ذلك امر المريض فيقوم بتحليل دمه وتحديد نسبة السكر فيه بصورة متواصلة ويحقنه بالانسولين اوتوماتيكيا فى اللحظة التى يظهر فيها ذلك التحليل هبوطا فىنسبة السكر فى دمه . والجهاز معد بحيث يستطيع المريض مضاعفة جرعة الانسولين التى يحقنه بها وذلك بالضغط على زر صغير من ازرار الجهاز وذلك فى الحالات التى يخرج فيها المريض على الحدود والقيود التى يلتزمها فى طعامه .

ويؤكد الدكتور فيليبفيليج Dr. ph. feli8 وهو العالم الذى تولىرئاسة فريق العلماء الذين نجحوا فى اختراع البنكرياسالصناعى وتطويره. يؤكد ان الجهاز مازال بحاجة الى مزيد من تجارب قبل دفعه الى الاسواق .

تاريخ التكنولوجيا فى سبعة مجلدات

● صدر فى بريطانيا فى مطلع هذه السنة كتاب «تاريخ التكنولوجيا» •• وهو كتاب ضخم يقع فى ٧ مجلدات ، ويبلغ عدد صفحات كل من المجلدين الاخيرين منه نحو ٧٠٠ صفحة •• اما الفترة الزمنية التى يغطيها هذا الكتاب فطويلة جدا وتشمل التاريخ كله •• منذ بداياته الاولى وحتى سنة ١٩٥٠ • وقد استغرق العمل فى هذا الكتاب ربع قرن كاملا وسددت نفقاته كلها شركة الصناعات الكيماويــة الامبراطوريــة I. C. I. باستثناء المجلدين الاخيرين، وقد تعهدت بالانفاق عليهما مطابع جامعة اكسفورد، وهى الدار التى تولت نشر الكتاب بكامله ••

اما اعمال التحرير فقد قام بها اربعة علماء معروفون هم شارلز سنجر Charles Singer واختصاصه تاريخ الطب •• اريك هوليارد Eric Holmyard استاذ العلوم فى معهد كلفتون Clifton روبرت هول Rupert Holl استاذ العلوم فى الامبريال كولج فى جامعة لندن • تريفور وليمز Trevor Williams كيميائى ناشىء شارك فى بحوث البنسلين ايام الحرب •

والغريب ان هذا الكتاب لاقى من الرواج حتى الان اضعاف ما توقعه له ناشروه•• وقد تم نشره مترجما الى عدة لغات اخرى غير الانجليزية•• منها الايطالية واليابانية •• اضف الى ذلك ان احد اندية هواة الكتب فى الولايات المتحدة اقدم على طبع الكتاب على اوسع نطاق •

ومما يذكر ان المحررين لاقوا من الصعوبة فى الكتابة عن التكنولوجيا فى القرن العشرين اكثر مما لاقوا فى الكتابة عنها فى القرون السابقة •• وفى ذلك يقول المستر تريفور : « سهل علينا الحديث عن الاشياء حتى عام ١٩٠٠ • اما بعدها ، ولاسيما حين تناولنا موضوع الالكترونيات ، على سبيل المثال ، فقد تعقدت الامور واصبحت مهمة العرض مهمة صعبة للغاية » ••

الحق الشمس •• !

● يبدو ان عصر الطاقة الشمسية قد بدأ او على الاقل بات قاب قوسين او ادنى •• فهذا جهاز جديد يضمن الحصول على حرارة الشمس واستعمالها لاغراض تسخين الماء ، وذلك بتكاليف زهيدة ، اقل كثيرا من تكاليف السخانات العادية.

••اما مخترع الجهاز فاسترالى اسمه دافيد لتل D. Little .. وقد اطلق على جهازه اسم (تراك ـ صن) Trac - sun •• او ، ان شئت ، الحق الشمس او رادار الشمس ! وحسبك ان هذا الجهاز د. فاز مؤخرا بجائزة منظمة

الصحة العالمية ..

ويتكون الجهاز من اربع ادوات .. اداة ملاحقة الشمس بين نورها وحرارتها .. وهى هيدروليكية .. واداة تجميع الحرارة الشمسية ثم انبوب الحرارة .. وهو يعمل على اساس الجاذبية.. ورابع تلك الادوات مستودع الخزن..وهو مصنوع بمواد عازلة .

وتعمل الاداة الاولى ، اداة الملاحقة على توجيه الثانية ، اداة التجميع ، نحو الشمس بقصد امتصاص اقصى ما يمكن امتصاصه (من الطاقة الشمسية . وتسقط هذه الطاقة على انبوب الحرارة المفرغ من الهواء والذى يحتوى على قليل من الماء .. وما اسرع ما يغلى هذا الماء فيتبخر وينطلق الى مستودع الماء حيث يتكثف على جدرانه .. وهكذا يتم نقل الحرارة الشمسية بسرعة هائلة .. تفوق سرعة الصوت، كما يقول المخترع .. ويتم توزيعها فى الماء الموجود داخل المستودع ..

وتجدر الاشارة الى انجهاز « الحق الشمس » هذا لا يعتمد فى عمله على اية بطاريات شمسية او ادوات كهربائية وسيكون فى الامكان استعماله على نطاق واسع - فى اواخر السنة الحالية - لا لمجردتسخين الماء فحسب ولكن كاساس لشبكات التدفئة المركزية .. او مصانع تحلية المياه .. او محطات توليد الكهرباء .

عمليات زرع القناة الرحمية هل تنجح .. ؟

● اجرى الدكتور بيتر سلفرستون Mr P.Silverstone مؤخرا عملية زرع فريدة .. كان ذلك فى مستشفى بنشام Bensham فى بلدة جتسهد .. وقد استغرقت العملية ٣ ساعات وساهم فى اجرائها ثمانية اطباء .. ولم يكن العضو المزروع سوى القناة الرحمية ، قناة فالوب الذى يسبب انسدادها عقم النساء فى الثلث تقريبا من حالات عقمهن . فان كان الاخصاب خارج الرحم هو السبيل الذى اختاره الدكتور ستبتو وزميله الدكتور ادواردز لحل مشكلة ذلك العقم فان عملية زرع قناة رحمية تحل محل القناة المسدودة هى الطريق التى سلكها الدكتورسلفرستون لحل هذه المشكلة ..

اما المرأة التى اجريت لها عملية الزرع هذه ففتاة من مدينة نيوكاسل فى الثلاثين من العمر .. استئصلت قناتها الرحمية الاصلية بقصدالاعقام قبل خمس سنوات..ثم تزوجت مجددا ورغبت فى الانجاب ثانية فكانت عملية الزرع التى اجريت لها . ومما يذكر ان القناة التى زرعوها لها استاصلوها من فتاة اخرى اتفق ان وجدت فى مستشفى بنشام فى الوقت نفسه ،وذلك من اجل استئصال قناتها الرحمية وبقصد الاعقام .. وهكذا التقت مصلحة الفتاتين اللتين ثبت انتماؤهما لزمرة دم واحدة .

والظاهر ان عمليه الزرع التى اجريت لفتاة نيوكاسل قد نجحت .. وقد دل على ذلك الفحص وصور الاشعة . فقد بقيت القناة المزروعة مفتوحة ولم تنسد بعد زرعها ، كما يحدث فى مثل هذه الحالات .

الا ان الحمل هو محك نجاح العملية الحقيقى . فما لم تجرب القناة المزروعة عمليا وتحمل فتاة نيوكاسل بالفعل فان الحكم بنجاح العملية يكون سابقا لاوانه .

وعملية الزرع هذه ليست الاولى من نوعها وان كانت قليلة او فريدة .. فقد اجروا عملية اخرى مثلها فى جنوب افريقيا وعمليتين اخريين فى استراليا . والمرجح ان هاتين العمليتين قد فشلتا ... اما عملية جنوب افريقيا فما اسرع ما عكسوها واستاصلوا القناة التى زرعوها وذلك بعد زرعها مباشرة . اما السبب فاصابة المرأة بالتهاب البريتون Peritonitis
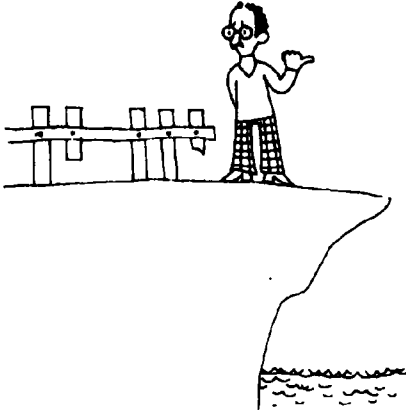
توصيلة
بريشة
بهجت
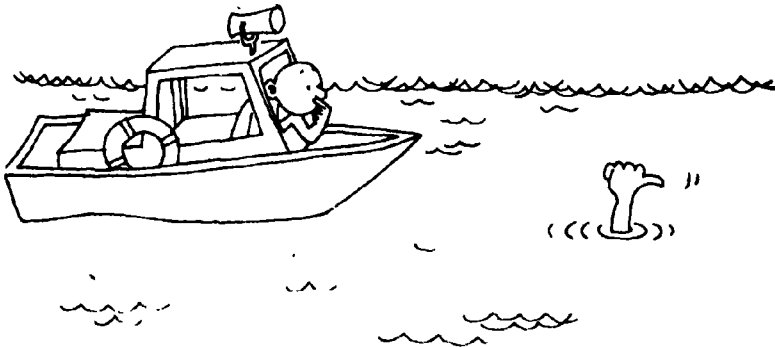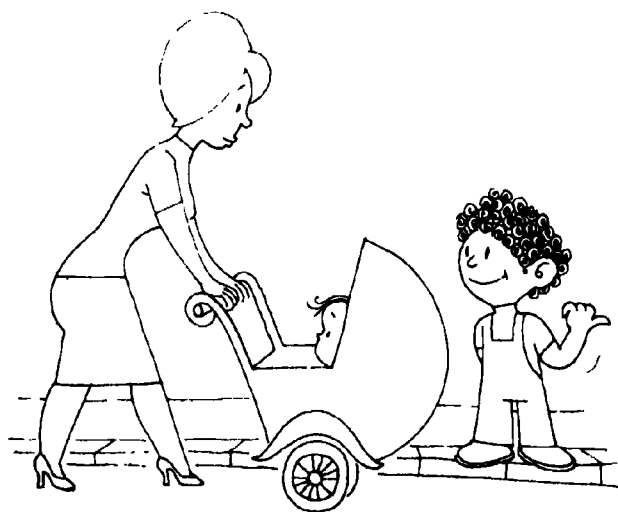
الشاعر الاندلسى القسطلى وحيرة النقاد فى أمره

بقلم : على ادهم

كثيرا ما تختلف آراء النقاد فى تقدير مواهب الشعراء والكتاب والفلاسفة والمفكرين، وتتباين احكامهم فى وزن انتاجهم ، وبطبيعة الحال يرجع هذا الاختلاف والتعارض فى التقدير والوزن الى أسباب كثيرة ، قد يكون من غير الميسور استقصاؤها جميعا ، ولذلك ساكتفى بالاشارة الى بعض الاسباب التى اعتقد انها فى اغلب الاحايين لها الصدارة فى الاعجاب والترجيح أو التحامل والتنقص • وقليكون فى طليعتها الحماسة والاعجاب الذى يستشعره الشبان فى مطالع حياتهم ، وغلبة المثالية على طباعهم •

ففى فورة حماسة الشباب يبحث الشبان عن بطل يعجبون به ، ويقفون فى صفه ، ويسيرون تحت لوائه ، ويتلقون آراءه وافكاره كانها وحى هابط من السماء، او كانه ملك الحكمة، واخذ بناصيتها، فاصبحت طوع امره ، ورهن اشارته ، وهذه المبالغة فى التقدير والمغالاة فى الاعجاب قد ينقلبان الى النقيض حينما تهدأ فورة الشباب ، وتنجلى غيابته ، وقد عرفت الكثيرين فى الحياة والكتب ممن استحال اعجابهم مقتا وزراية ، وتنكروا غاية التنكر لما كانوا يقدرونه ويكبرونه •

وهناك حكم عرفان الجميل والاشادة بما افاده الانسان من الكاتب او الشاعر ، ومن الامثلة البارزة فى تاريخ الادب لهذا النوع من الاعجاب والتقدير اعجاب الكاتب الكبير والمؤرخ الناقد « توماس كارلايل » بشاعر الالمان وحكيمهم « جيتى » ، فقد كان « كارلايل » فى ميعة شبابه يعانى حيرة فكرية ويضرب فى تيه مضل من الشكوك والحيرة امام مشكلات الحياة وغوامضها وخفاياها، واتفق انه تعلم فى تلك الفترة الحرجة من حياته اللغة الالمانية ، وشاءت المصادفة الحسنة ان يطلع على مؤلفات « جيتى » ، فوجد فيها ضالته المنشودة ، وردت عليه الامل فى الحياة ، والايمان بالخير،وعرف كارلايل لاستاذه هذا الجميل والفضل فى استنقاذه من بيداء الشكوك ، وظلام الحيرة ، فظل طوال حياته يشيد بعظمة جيتى ، ويثنى على حكمته ، ويكبر عبقريته ، وكان تقديره العالى ودفاعه المتوالى عن مكانة جيتى الادبية ثمرة من ثمرات الوفاء وعرفان الجميل ، ونقاد الادب المحدثون يقدرون مواهب كارلايل ، ويعجبون بوفائه وصدق سريرته واخلاصه لاستاذه، وان كانوا يرون فى فرط اعجابه بجيتى شيئا من المبالغة والاسراف قد لا يتابعونه فيه الى النهاية •

دور الحسد والغيرة

وهناك حكم الحسد والغيرة وما يولدانه من الكراهية والعنف ومجافاة الانصاف ، على ان حكم الحسد والغيرة قد لا يخلو من فائدة ، وقد يجيء الخير من الشر ، وينعم الله بالبلوى وان عظمت، والشاعر الذى قال ان اعداءه لهم عليه فضل لانهم عرفوه عيوبه فاجتنبها ـ قد أصاب الصواب ووفق ، ومن الامثلة البارزة فى تاريخ الادب لما يفعله الحسد والغيرة رسالة الصاحب ابن عباد التى أسماها « مساوىء المتنبى » وقد نقل الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » فى الجزء الاول الذى ترجم فيه للمتنبى جانبا منها ، وقد قيل ان المتنبى حينما فارق بغداد متوجها الى حضرة أبى الفضل ابن العميد ، طمع الصاحب بن عباد فى زيارة المتنبى اياه باصفهان ، واجرائه مجرى مقصود من رؤساء الزمان كما روى البديعى فى كتاب « الصبح النبى عن حيثية المتنبى » ، وكان الصاحب حينذاك شابا ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطف المتنبى فى استدعائه ، فلم يقم له المتنبى وزنا ، ولم يجبه عن استدعائه ، فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهامه ، ويتتبع عليه سقطاته فى شعره وهفواته ، وهو أعرف الناس بحسناته • وهذه الرسالة على ما بها من تحامل ومجافاة للانصاف وتعمد للاساءة ومغالطة فى بعض الاشارات لا تخلو من فائدة ، وهى تعد من المراجع فى دراسة أدب المتنبى ، لان الصاحب كان من كبار أدباء عصره ، وبرغم تحامله فانه قد وضع يده على بعض العيوب الجوهرية فى شعر المتنبى •

وهناك حكم الجهل والغباء وعدم الفهم والعجز عن التقدير الدقيق وهو من أسوأ الاحكام ، واشدها امعانا فى الشطط ، وان كان فى الواقع لا يضر بجوهر رسالة الشاعر أو الكاتب ، وذلك لانه لا يصيب الهدف ، ويتحدث عن موضوع آخر غير الموضوع الذى يزعم العلم به ، ومن بواعث الاسف ان أحكام الجهل وعدم التعمق فى الدراسة وسعة الاحاطة ليست قليلة ، سواء فى الحياة أو عوالم الادب والفكر • وكثيرا ما يتحامل الناس على أحد المفكرين وهم لا يعرفون حقيقة تفكيره واتجاه مذهبه ، وانما توهموا له صورة مخالفة لحقيقته ، وقد يكون سبب ذلك عجز تفكرهم وعدم قدرتهم على الارتفاع الى مستوى المفكر الذى يتصدون لنقده ، وقد يكون الدافع الى ذلك الدعاية التى بثها خصومه واعداؤه ، ومن كبار المفكرين الذين أساء اليهم واضر بهم حكم الجهل ومجانبة الانصاف الفيلسوف الاسلامى الكبير ابن رشد ، فانه مع صحة ايمانه وصدق تدينه اتهم فى دينه • ومنهم الفيلسوف الحكيم اسبينوزا الذى اتهم بالالحاد والذى قال عنه رينان فى الاحتفال برفع الغطاء عن تمثاله فى مدينة «لاهاى» انه كان ممتلىء النفس بفكرة وجود الله ، ولكن الذين عجزوا عن فهم تفكيره الفلسفى الدقيق رموه بالالحاد •

وهناك احكام أصحاب المذاهب المعينة،والنظريات الخاصة ، وهؤلاء يجد الانسان نفسه مضطرا الى تلقى احكامهم فى احتياط وحذر ، لانهم ينظرون الى الشعراء والكتاب والمفكرين من زاويتهم الخاصة ، ويحاولون أن يفسروا آراءهم فى ضوء الاتجاهات التى يؤثرونها، فالوجوديون مثلا يميلون الى ادخال أكثر الكتاب والشعراء فى حظيرة الوجودية ، ويفسرون أقوالهم فى ضوء المذهب الوجودى ، وأكثر أصحاب المذاهب والنحل يتبعون هذه الطريقة ، فهم لا ينظرون الى الشاعر أو الكاتب نظرة خالصة وانما يحاولون أن يجعلوه وسيلة لتأييد مذهبهم • وهناك اختلاف الاحكام الناشىء عن اختلاف الامزجة والطبائع والاخلاق والعادات والبيئة والنشأة •

حتى تتحقق البراءة

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن من يلتمس الحق ، ويتحرى براءة التقدير ، عليه أن يتلقى معظم ما يسمع من الاحكام الادبية فى تحفظ وتبصر ، وأن يقلبها على جوانبها قبل أن يقتنع بصحتها ليعرف غثها من سمينها •

والقسطلى ـ واسمه أحمد بن دراج ، وكنيته أبو عمر ، ولقبه القسطلى نسبة الى بلد فى غرب الاندلس تسمى « قسطلة دراج » وقد ولد سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ـ يعتبر فى طليعة كبار الشعراء الذين أثروا الادب الاندلسى ويقول عنه الثعالبى فى الجزء الثانى من كتابه « يتيمة الدهر » كان بصقع الاندلس كالمتنبى بصقع الشام » ، واختار فى كتابه مجموعة من أشهر قصائده •

وقد ظهر ابن دراج بين شعراء قرطبة فى أواخر

فترة الخلافة ، واتصل بالمنصور بن أبي عامر في اوائل فترة الحجابة ومدحه بقصيدة مطلعها : ـ

أضاء لها فجر النهى فنهاها
عن الدنف المضنى بجر هواها

وضللها صبح جلا ليلة الدجى
وقد كان يهديها الى دجاها

وهي قصيدة حسنة السبك متينة البناء ، جعلت الشعراء المعاصرين له والمقربين من المنصور يخشون منافسته لهم فاتهموه بالانتحال والسرقة ، وقد بذل جهدا ليبطل هذا الاتهام ، ويثبت امتيازه وعظيم كفايته وصدق شاعريته ، وقربه المنصور ، وقدر كفايته الشعرية ، وكان يصحبه مع سائر الشعراء الذين كانوا يصحبون المنصور للاشادة بغزواته الموفقة المتوالية ،وارتفع شانه بين شعراء الاندلس والمغرب ، وقدره النقاد المعاصرون له واشادوا بنبوغه وعبقريته وقال عنه عبد الواحد المراكشي في كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » بعد ان اشار الى قوله في المنصور :

تلاقت عليه من تميم ويعرب
شموس تلالا في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم
سحائب تهمي بالندى وبحور

« أبو عمر هذا من فحول شعراء الاندلس والمجيدين منهم .. وكنت انا في ايام شبيبتي مولعا بشعره كثير الدراسة له ، فلم يبق على خاطري منه شيء أصلا خلا بيتين هما مما ارتجلفي بعض مجالسه وهما :

اجد الكلام اذا نطقت فانما
عقل الفتى في لفظه المسموع

كالمرء يختبر الاناء بصوته
فيرى الصحيح به من المصدوع

وقال عنه الحميدي في كتابه « جذوة المقتبس » كان كاتبا من كتاب الانشاء فيايام المنصور بن أبي عامر ، وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء ، والمذكورين منالبلغاء ... وانطريقته في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته ، وينقل عن أحد أدباء الاندلس قوله « لو قلت انه لم يكن بالاندلس اشعر من ابن دراج لم أبعد »

وقوله مرة اخرى « لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بندراج لما تاخر عن شأوحبيب والمتنبي » .

وقد خصص له مؤرخ الادب الاندلسي ابن بسام في كتابه القيم « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » فصلا مطولا في القسم الاول من المجلد الاول نقل فيه قول ابن حيان « أبو عمر القسطلي سباقحلبة الشعراء العامريين ، وخاتمة محسني أهل الاندلس اجمعين » ، وقول أبي عامر بن شهيد « الفرق بين أبي عمر وغيره ان أبا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لاحرار الالفاظ ، وسعة صدره ، وجيشة بحره ، وصحة قدرته علىالبديع ، وطول طلقه في الوصف » واتبعذلك ابن بسام بذكر جملة فصول من شعر القسطلي ونثره ، قال في مقدمتها « وقد اثبت انا من شعره بما يبهر نيرات الالباب ، ويظهر خفيات الاسباب ، ومن نثره ما يبهر العقول ، ويباهي الغرر والحجول ،ويسامي التيجان والاكاليل » .

وقد ذكره ابن خلدون في مقدمته في الفصل الذي عقده ليوضح أن أهل الامصار قاصرون في تحصيل الملكة اللسانية البيانية ، وعده احد من قويت فيهم هذه الملكة بكثرة المعاناة والامتلاء من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا ، مثل ابن حيان المؤرخ وامام اهل الصنعة في رأى ابن خلدون ، ومثل ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد .

رأى المحدثين

اما النقاد المحدثون فانهم لم يقبلوا احكام النقاد القدامىعلى انها مسلمات ، فالدكتور احمد ضيف يقول عن القسطلي « لم يكن شاعرا فطريا يقول الشعر عن شعور صحيح أو دافع نفسي ، وانما هو مقلد بارع حتى في المعاني التي لم يشعر بها نفسه ، وفي وصف الامكنةالتي لم يرها الا في كلام الشعراء ،فهو منالذين اتخذوا الشعر صناعة لفظية ، وآلة من آلات الكلام ليمدح به من يريد » .

والدكتور أحمد امين يقول عن القسطلي في الجزء الثالث من كتابه القيم « ظهر الاسلام » والحق ان شعره يشبه شعر المتنبي في المظهر دون

المغبر ، فشعر المتنبي في مظهره اسلوب فخم قوي، تسمعه كأنه قعقعة سلاح ، ومكنته قدرته على ان يأتي بالفاظ جزلة ، وأساليب عربية يستطيع ان يرغمها على التقديم والتاخير ، والذكر والحذف.

ولكن لم يكن لابن دراج قوة المتنبي في المعاني الذهنية الدقيقة ، ولا في الحكمة الرفيعة ، انما هو تلميذ المتنبي في فخامة شكله ، وهي مدرسة كان على راسها ابن دراج ، ومن تلاميذها ابن شهيد وابن هانيء ... وفي الحقيقة انك اذا قرات شعر هؤلاء الثلاثة ادركت ان شعرهم من راسهم .. وفرق بين الصوت القوي الاقرع الذي يخرج من الراس وبين الصوت الحنون الذي يخرج من القلب ، وقد روى ان لابن دراج ديوانا من جزاين ولكن مع الاسف لم يصل الينا .

وقد خالف الدكتور احمد هيكل الدكتورين احمد ضيف واحمد امين في تقديرهما لشعر القسطلي وذلك في كتابه القيم عن « الادب الاندلسي » ، والدكتور هيكل حجة في دراسة الادب الاندلسي،وهو يقول في كتابه عن القسطلي بعد ان اثبت بعض قصائده « وهكذا تتضح شاعرية القسطلي الاصيلة البارعة ومقدرته على التصوير الحسي والنفسي ، وخاصة حين يصف الترحال ويصور الحنين ، وهكذا ايضا تتضح قسوة المرحوم احمد ضيف في حكمه على القسطلي .

ويرد على راى احمد امين قائلا « وقد قسا المرحوم الدكتور احمد امين على ابن دراج فقال بعد ان اورد أبياتا من قصيدته الرائعة « فنرى من هذا محاكاة المتنبي في الوزن والقافية وتقليده في اسلوبه ومعانيه » والحق ان القسطلي لم يكن يحاكي او يقلد ، وانما كان كفيره من كبار شعراء الاندلس ينافس ويسابق .

ويقول الناقد المستشرق الروسي « اغناطيوس كراتشكوفسكي » في الفصل الذي كتبه عن الشعر العربي في الاندلس ضمن كتابه « دراسات في الادب العربي» وقد قام بترجمته الى اللغة العربية محمد المعصراني « كان ابن دراج مثالا للشاعر الكاتب ، لا في الحضارة الاندلسية وحدها بل في الحضارة العربية كلها ، لقد كان واسع العلم ، قادرا على ان يقرض بسهولة شعر المديح والاستعطاء ، ونظم التواقيع شعرا ، فهو ناظم اكثر منه شاعرا ، ولكنه كان يملك ــ على اكمل وجه ناصية الصنعة بكل دقائقها ، وهو بطبيعته ذو روح بوهيمية ، ميال الى الحياة المرحة ، وكان هذا النموذج من الشعراء منتشرا في جميع قصور الملوك في الاندلس وافريقيا الشمالية ومصر ، وكان معروفا جيدا في الشرق ايضا في ايام العباسيين ، ولم يكن لهذا النموذج مكان معين ، ولا عصر معين ، وكلما قامت في عصر من العصور سلالة ملكية قوية وحاولت ان تكسب لنفسها الابهة اجتمعت حولها على الفور حلقة من الادباء تساعدها في توطيد مركزها السياسي ، وتلبي حاجات افرادها الثقافية والجمالية ،وبفضل هؤلاء الشعراء الذين هم من نوع ابن دراج تثبتت نهائيا لدى قصور الملوك في الاندلس دعائم الشعر ذي الميول الكلاسيكية الجديدة الذي نشا في مدن العراق قبل العصر الاندلسي بقرنين .

ويقول الدكتور احمد هيكل « وقد كان ابن دراج كثير الشعر ، غزير الانتاج ، فقد روى أنه خلف ديوانا من جزاين ولكن هذا الديوان لم يبق عليه الزمن وكل الذي بين أيدينا من شعر ابن دراج هو عدة قصائد ومقطوعات متفرقة في الكتب التي ترجمت له او عرضت مختاراته .

وواضح من ذلك ان اكثر الذين كتبوا عن ابن دراج وتصدوا لنقده لم يكونوا قد اطلعوا على ديوانه الذي يجمع الشعر الذي نظمه طول حياته وارجح ان هذا كان من أسباب اختلاف النقاد في تقدير شاعريته ، لان التقدير الصحيح يقتضي الاطلاع على الديوان ، وعدم الاكتفاء بقراءة المختارات الواردة في المراجع الادبية التي تناولت جانبا من سيرته وبعض نواحي شاعريته .

وقد عني الشيخ علي بن الشيخ عبد الله آل ثاني حاكم قطر السابق بالبحث عن الديوان حتى ظفر به الباحثون وتم طبعه على نفقته . وقام بتحقيق المخطوط الاستاذ الدكتور محمود علي مكي، وظهرت الطبعة الاولى فيسنة ١٩٦١ وأرجح ان وجهات النظر في تقدير ادب القسطلي وشاعريته قد تتقارب بعد الاطلاع على الديوان واستيفاء بحثه ودراسته . ■■

علي أدهم

ما يفرقه الانسان

تجمعه الحياة

لكثيرة .. كثيرة جدا ، كما ان البحوث التي قاموا بها للكشف عن الالغاز التي تدثرها الحياة بغلالات من السرية والكتمان لضخمة .. ضخمة جدا ، ومع ذلك ، فكلما تعمقنا فيها ، زاد شعورنا باننا كم كنا جاهلين !

بداية السر .. من مستعمرة اسفنج !

لكي ندرك سر الخلية الحية ، كان لابد أن نعزلها من المجتمع الذي فيه تعيش ، وندرس سلوكها في الدوارق والانابيب والاطباق ، والواقع ان هناك علما قائما بذاته الان : هو علم زراعة الخلايا والانسجة بعيدا عن الجسم الحي ، فنحن نستطيع مثلا ان نربي اية خلية نشاء ، من اي مخلوق نريد .. بداية من خليه من المخ ، الى خلية من القلب او الكبد او الامعاء أو اي نسيج آخر نتوق الى معرفة الميكانيكية البيولوجية التي تجري في وحداته او خلاياه ، ولقد توج العلماء هذه البحوث العميقة باحداث الاخصاب بين الخلايا الجنسية ، ثم السيطرة عليه خارج الارحام ، ودراسة سلوك الخلايا الجنينية وهي تتشكل وتهاجر وتغير مواقعها تحت سمعنا وبصرنا ، بغية التوصل الى الاسرار التي تسيطر على بداياتنا ، او بداية اي كائن حي آخر ، ولقد تجسدت هذه البحوث اخيرا فيما اسماه العامة بطفل انبوب الاختبار ، وهو ما سبق ان قدمناه في دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة (انظر عددي يناير وفبراير ١٩٧٩) .

لكن بداية هذه البحوث كانت متواضعة .. فعندما راودت عقول بعض العلماء في هذا المجال بعض الاسئلة الحائرة ، كانت التجربة العلمية الهادفة خير سبيل للتوصل الى اجابات مقنعة عن الكيفية التي يمكن فيها ان يحدث التجاوب والترابط والتفاهم بين خلية واخرى ، ولقد اجريت اول تجربة بسيطة في هذا الميدان على مستعمرات الاسفنج ، وللاسفنج بعد ذلك انواع كثيرة تصل الى حوالي ٥٠٠٠ نوع .

هذا ومن المعروف ان الاسفنج حيوان بدائي يتكون من مستعمرات تضم في طياتها ثلاثة انواع من الخلايا ، والواقع ان الاسفنج الذي نستخدمه ليس الا « اطلال » البيت المهجور الذي تعاونت ملايين الخلايا في بنائه لتسكن فيه ، او بالتحديد في القنوات الكثيرة المتشعبة التي نراها على سطحه كثقوب صغيرة .

في عام ١٩٠٧ قام عالم الفسيولوجيا الامريكي هـ.ف. ويلسون من جامعة نورث كارولينا باحضار مستعمرة لاحد انواع الاسفنج ، ووضعها داخل قطعة من الشاش ذات الثقوب الضيقة ، وعصرها عصرا هينا ، فخرجت الخلايا من فجواتها ، ومرت خلال قطعة الشاش ، لتستقر في وعاء يحتوي على ماء بحر ، وهامت الخلايا الشردة في كل الاتجاهات دون هدف ظاهر ، لكن الامور قد بدات تتكشف بعد ساعات قليلة ، اذ اخذت الخلايا تتحرك وتزحف على قاع الوعاء ببطء شديد ، ثم بدات تتقارب وتتجمع وكأنما هي تحتضن بعضها بعضا ، وتبين فيما بعد كأنما هناك دافع يدفعها ليجتمع شملها في كيان او « جاليات » خلوية .. ليس ذلك فحسب ، بل ان الخلايا قد بدات في عمليات فرز وتنظيم وتبادل المواقع في التجمعات الجديدة ، وكأنما كل خلية تسعى لتحتل مكانها المناسب بالنسبة لغيرها كما كان الحال في المستعمرة الام التي تحطمت ، او كأنما هي لاتزال « تتذكر » موقعها بالنسبة لجيرانها في المستعمرة ، فتسعى لتحقيق ذلك في الجالية الخلوية التي جمعتها مع غيرها في وعاء باحد معامل العلماء .

وخطا بعض العلماء ـ بعد ذلك ـ خطوات اخرى هامة ، فيجيء بول جالستوف من معمل بيولوجيا البحار ، وتوم همفريز من جامعة شيكاغو ، فيختار كل منهما أنواعا من مستعمرات الاسفنج ذات الالوان المختلفة ، ويشردان الخلايا من مستعمراتها ، ثم يخلطان خلايا مستعمرة صفراء على خلايا مستعمرة برتقالية في اناء به ماء بحر ، لمعرفة ماذا يمكن ان يحدث لهذا الخليط المشرد ، وكأنما يراود عقليهما سؤال محدد : هل يمكن لخلايا النوع الواحد ان تتعرف على بعضها ، ويجتمع شملها في مستعمرات خلوية صغيرة ؟

ولقد كان .. اذ تبين ان خلايا النوع الاصفر

حيوان الهيدرا البسيط التركيب ، اذ يتكون من طبقتين من الخلايا المختلفة، واحدة الى الخارج والاخرى الى الداخل (الصورة اليمنى) . والى اليسار يبدو الحيوان متكاملا ، ولقد أمكن قلبه كما نقلب الجورب مثلا، فجعل احد العلماء خارجه داخله ، وداخله خارجه (انظر المقال)

قد سمت الى بعضها ، وكذلك فعلت خلايا النوع البرتقالى ، ولم يحدث ان تجمع هذا مع ذاك فى مستعمرة مختلطة (انظر الشكل الذى يوضح ذلك) .

ولقد اعيدت هذه التجارب على انواع وانواع، فعرفت الخلايا من كل نوع نوعها ، فتآلفت فى جاليات خلوية ، لو انها عزلت وتهيأت لها الظروف المناسبة ، لنظمت كل جالية نفسها ، ولاخلت خلاياها اوضاعها ، وعندئذ تبدأ فى تكوين مستعمرة اسفنجية لاتختلف عن المستعمرة الام فى قليل او كثير !

وبدأ العلماء فى البحث عن السر الكبير . . اذ كيف تعرف الخلايا الشاردة أترابها ؟ وتجىء واحدة من التجارب بالكشف عن سر مثير . . أول سر فى قائمة من الاسرار التى تنظم هذه العوالم الصغيرة .. فعندما وضع احد العلماء خلايا مفككة لنوع من الاسفنج فى ماء بحر خال من املاح الكالسيوم والماغنسيوم ، لاحظ ان الخلايا لم تتآلف او تترابط ، بل ظلت هائمة على « وجوهها » فى الماء .. والغريب هنا أن الخلايا السرطانية التي تنشأ فى أجسام الانسان والحيوان قد تتفكك أيضا من اورامها ، وتهاجر الى مواقع اخرى ، وهذا ما لا تفعله خلايا انسجة الجسم السليمة ، فبينها رباطات خلوية تمنعها من الهجرة من مكان الى مكان ، ولقد توصل احد العلماء الى ان هجرة الخلايا السرطانية ، وانتشارها فى الجسم ، يرجع ايضا الى نقص الكالسيوم فى اغشيتها لسبب لا يدريه احد ، انما الذى ندريه أن تلك الخلايا المدمرة تفسد خواص جدرها ، فتجعلها قابلة للتفكك، وربما كان للكالسيوم فى ذلك دخل ، وفى هذا قد يتشابه سلوك خلايا الاسفنج مع خلايا السرطان ، فنقص

الكالسيوم يؤدى الى تفكك هذا وذاك ، لكن الامر يحتاج الى بحوث اشمل واعمق لتعرف الخبر الاكيد ، خاصة مع الخلايا السرطانية التى لا تزال سرا مستعصيا حتى يومنا هذا .

ومع ذلك فهناك بحوث توضح ان بعض الكائنات البحرية مثل قنافذ البحر (الرتسا) لا تستطيع ان تعيش بدون وجود الكالسيوم ، خاصة فى مراحلها الجنينية الاولى .. من ذلك مثلا ان كرب هربست وجد أن خلايا أجنة حيوان الرتسا المتماسكة تتفكك الى خلايا هائمة اذا عاشت فى مياه بحر خاليه من الكالسيوم ، فاذا اضيف اليها هذا العنصر الهام ، بدأت فى التجمع والالتحام ، وعاد الجنين الى وضعه .

كلمة السر يحملها كل نوع فى خلاياه !

لكن البديهة ساقت العلماء الى أن أملاح الكالسيوم أو المافنسيوم أو أى ملح آخر لايستطيع ان يكون الهادى أو المرشد أو الموجه الذى يوجه الخلايا الشاردة لتعرف اترابها ، بل لابد من وجود جزىء أو جزيئات عضوية ذات تكوين خاص، وبه أو بها «تنادى» الخلايا على بعضها، لتتقارب وتتآلف فى مستعمراتها .

ولقد تحقق ذلك بالفعل عن طريق التجارب العلمية ، فلو اننا اخذنا مستعمرة اسفنج ، وشردنا خلاياها فى وعاء ، ثم رشحنا هذا الخلايا وغسلناها بالماء ، ثم وضعناها فى ماء بحر متكامل الاملاح ، فان الخلايا تظل هائمة على وجوهها ، ولن يسعفها وجود الكالسيوم والماغنسيوم فى التعارف والترابط ، وهذا يعنى ان كلمة السر قد انفصلت من أسوارها او جدرها وراحت فى الغسيل ، فاذا اعدنا اليها «الغسيل» بما حوى ، زحفت وتقاربت والتام شملها فى مستعمرات صغيرة .

وهل « كلمة السر » هذه واحدة بين الخلايا التى جاءت من أنواع مختلفة من الاسفنج ؟ .. أم ان لكل نوع شفرته أو « كوده » الخاص به، فلا يهتدى به أحد سواه ؟

لقد اجاب العالم الفسيولوجى همفريز على هذا السؤال بسلسلة من التجارب التى استخدم فيها أنواعا من الاسفنج ذات الوان مختلفة ،حتى يمكن التعرف عليها بسهولة اذا ما تجمعت فى مستعمرات ، فقام بتفكيك كل نوع وترشيحه وغسله فى وعاء مستقل ، ثم خلط خلايا الانواع المختلفة فى وعاء مشترك ، وامدها بماء بحر متكامل الاملاح ، فهامت الخلايا على وجوهها دون هدف ظاهر ، وعندما اضاف همفريز جزءا من الرشيح الذى تفككت فيه خلايا الاسفنج الابيض الى الخليط الهائم غير المتجانس ، بدأت خلايا هذا النوع

من القرص الجنينى أخذ العلماء قطعة من نسيجين مختلفين ، وفصلوا خلاياهما ، ثم خلطت هذه الخلايا مع تلك ، وبدأت فى التجمع فى مستعمرة واحدة (كما فى ٢) ، ثم حدثت هجرة وتعارف، بحيث أصبحت خلايا الجلد الى الخارج والخلايا العصبية الى الداخل (كما فى ٣) .. وأخيرا حدث انفصال تام بين هذه وتلك ، ليصبح كل نسيج قائما بذاته ، وبالصورة التى يوجد عليها فى البداية الجنينية (كما فى ٤) (راجع المقال لمزيد من التفاصيل)

،فتجمعت وتآلفت فى مستعمرات
خلايا النوع القرمزى والاصفر
وعندما اضاف الى الوعاء رشيح
التام شمله ، وبقى القرمزى
ف حقا الا برشيحه .

كلمة السر الكيميائية ليست
اع المختلفة من الاسفنج ، بل
، الخاصة التى « ينادى » بها
، تكون هذه الشفرة معقدة غايه
شدما تتكون من جزيئات بروتينية
آلف البروتينات مع السكريات
ودها على اغشية الخلايا او
تحدد لها معالم طريقها مع الخلايا
د ترابط وتتآلف .. أى كانما
نات لها فى عالمها شان يذكر .

ى يفيدنا من كل هذه البحوث
هل لذلك دخل فى حياتنا ؟
بالواقع ان البحوث تبدأ دائما
ة ، ثم تتطور وتتعقد بتطور
معنى ذلك ، لكن بعد أن نقدم
لها صلة بالموضوع .

.. فى الهيدرا

م فسيولوجيا الحيوان ر.ل.
عة ايوا الامريكية تجربة طريفه
، الهيدرا البسيط التركيب ،
خلاياه ، فجعل داخله خارجه ،
، اى انه قلبه كما نقلب مثلا
، القفاز او قطعة من الامعاء
الداخلى خارجيا ، والعكس
مر ميسور فى الجوارب أو
ليس كذلك بالنسبة لكائن حى
كان بسيطا بساطة الهيدرا ،
العالم فى سعيه .

بنا ان نقدم وصفا مبسطا
يوان المائى ، حتى نلم بمغزى
وان ــ رغم بساطته ــ اعقد
ات الاسفنج ، اذ يتكون من
وفة ، تحيطها خلايا تتكون من
طبقتين ، طبقة داخلية هاضمة ، وطبقة خارجية بمثابة جلده الذى يحميه ، وبين خلايا هذه الطبقة وتلك، توجد خلايا حسية وعضلية وافرازية، وللحيوان بعد ذلك لوامس تحيط بفتحه الانبوبة (والفتحة تعتبر مجازا بمثابة فمه) ، فيصطاد بها رزقه ، او يستخدمها فى التنقل والحركة .

عندما قلب العالم الهيدرا ، فجعل خارجه داخله ، اوقعه فى مازق ، اذ اصبحت الطبقة الداخلية الهاضمة الى الخارج ، « وجلده » الى الداخل .وطبيعى أن الحيوان لو استمر على هذا الوضع الغريب ، فسوف يموت ان آجلا او عاجلا !

لكن الحيوان لم يمت ، بل استطاع ان يستخدم « تاكتيكا » بيولوجيا مثيرا ، وبه تغلب على الاوضاع المقلوبة فى كيانه ، فكان ان فكك الروابط التى تمسك بخلاياه ، وجعلها ــ اى الخلايا « تتزحلق » وتهاجر وتغير اوضاعها ، بحيث عادت خلايا الطبقة الهاضمة الموجودة فى الخارج ، فاصبحت فى الداخل ، وعاد الجلد الى الخارج ، بعد أن كان فى الداخل ، وبهذا فقد حل الكائن الاشكال ، وعادت الامور الى وضعها الطبيعى .

والواقع ان ما يحدث فى الهيدرا ، أو غيره من كائنات اعقد قليلا (تتكون من طبقات ثلاثة من الخلايا) ، قد حدث لكل منا فى بداية حياته الجنينية .. ففى بداية تكوين اجنة الانسان والحيوان ، تمر الاجنة باطوار ، وتحدث فى خلاياها هجرات وتغيير مواقع وتشكيلات غريبة ومثيرة ، وكانما الخلايا تحمل معها برنامجا زمنيا لا تحيد عنه ولا تميد ، ففى أوقات محددة تنطلق منها «رسل» كيميائيه على درجة هائلة من الحساسيه والكفاءة والتعقيد ، وكانما هذه الرسل بمثابة لغة رائعة تستخدمها الخلايا فيما بينها ، فتستجيب لها ، ومن خلال هذه الاستجابة والتفاهم تتشكل فى طبقات من فوق طبقات ، ثم تتميز الطبقات الى خلايا ، فتصبح هذه بشرة أو جلدا ، وتلك قلبا ، وغيرها عينا أو اذنا او اعصابا او كبدا او امعاء او عظاما .... الخ ... الخ .

لكن مما لا شك فيه ان هذا الموضوع قد اخذ

من عمر العلماء عشرات السنوات ، واشتغلت فيه مئات المعاهد ومراكز البحوث ، ومع ذلك ، فلا تزال أسراره والغازه تعصر العقول عصرا ..

صحيح اننا حصلنا على الكثير من المعلومات التى كتبت فيها مجلدات من فوق مجلدات ، الا ان هذا الكثير لا يزال قليلا بالنسبة لما تطويه الحياة من الغاز تحيرنا اعظم حيرة ، وطبيعى اننا لانستطيع ان نتعرض هنا للكشوفات الكثيرة والمثيرة التى حققها العلماء فى هذا المجال ، فذلك يحتاج الى عشرات الاعداد الكاملة من هذه المجلة ، لكن يكفى ان نشير هنا الى بعض القشور ، اما لب الموضوع وجوهره ، ففيه متاهات قد نغرق فيها حتى آذاننا ، ودعك من العلماء ، فهم لا يزالون غارقين فى بحر من الاسرار حتى الان !

انسجتنا تتشكل فى الدوارق والاطباق !

وطبيعى ان عامة الناس ، أو حتى المثقفين منهم ، خاصة ممن ليست لهم دراية او صلة بالعلوم التجريبية البيولوجية ، قد يعرفون شيئا عن اطفال « انابيب الاختبار » ، لكنهم لا يدرون ان هذا الانجاز لم يكن لبتحقق الا من خلال عزل خلايانا الجسدية وزراعتها ، ثم تفصيصها وتربيتها وملاحظتها فى الانابيب والدوارق والاطباق وهى تنقسم وتتحرك وتتشكل وتتغذى وتتنفس وتخرج نفاياتها .. الى آخر هذه العمليات الحيوية الهامة التى قادتنا الى طوفان من المعلومات عن اسرار تشكل الخلايا فى اجنتها .

لكن دعنا نختر واحدة من هذه المعلومات ، فنختتم بها موضوعنا هذا ، وليتبين لنا ان ما عرضناه فى سلوك خلايا الاسفنج او الهيدرا او غير ذلك من كائنات لم يتسع لها المجال ، ليس الا جذورا قديمة ، أو دعامات متينة لما يجرى فى سمكة او ضفدع او سحلية أو حمار او انسان .

ان بدايات الاجنة واحدة ، لكن « البروجرام » مختلف . فالبروجرام هو الذى يحدد شكل المخلوق وصفته ونوعه ، ومع ذلك ، فالتجربة التى سنعرضها هنا جاءت من طور خاص من الاطوار الاولى فى حياة الضفدع ، ولو اجريناها على نفس الطور الجنينى الذى يمر به القرد او الفأر او الانسان ، فسوف تؤدى الى نفس النتيجة .

وبدون الدخول فى التفاصيل نقول باختصار شديد : لو اننا اخذنا جزءا يعرف باسم عرف العصب من جنين السمندر (وهو الذى يعطى فيما بعد الجهاز العصبى فى الحيوانات) ، وفصصنا خلاياه بطرق كيميائية حيوية خاصة ، دون الاضرار بها ، ثم اخذنا الجزء الذى فوقه مباشرة (والذى يعطى البشرة فيما بعد) ، وفصصنا خلاياه كذلك ، ثم خلطنا هذه بتلك فى محلول غذائى خاص ، لوجدنا ان الخلايا تتحرك وتتقارب ثم تميل الى التآلف والتماسك فى كتلة خلوية يختلط فيها الحابل بالنابل ، دون تمييز ظاهر (انظر الشكل المنشور هنا للتوضيح).

لكن الامور تتضح بعد ذلك ، فينفصل الحابل عن النابل ، اى تعرف خلايا البشرة اترابها ، وخلايا العصب اترابها ، ليس هذا فحسب ، بل تحدث هجرة موقوتة بزمن، فتهاجر خلايا العصب الى الداخل ، وتهاجر خلايا البشرة الى الخارج، وتتآلف فى نسيج يحيط بخلايا العصب احاطه السوار بالمعصم ، ثم يحدث امر غريب ، وفيه تتشكل خلايا العصب فى الطبق بنفس الطريقه التى نراها بها فى الكائن الحى ، ثم يصل الامر الى منتهاه عندما يؤكد كل نسيج استقلاله فى موضعه ، فتحدث بينهما فجوة ، وكأنما كل يعرف طريقه ومنتهاه .

ومما لا شك فيه أن خلايا الانسجة المختلفه قد نشأت عن اصل واحد .. أى من خليه وحيدة ملقحة ، وعندما تنقسم وتتشكل وتتطور، نراها تمر بنفس المراحل التى مرت بها رتب الكائنات الحية على هذا الكوكب .. اى أن جنين الانسان مثلا يعيد لنا قصة التطور التي استمرت اكثر من ١٥٠٠ مليون عام على الارض ، يعيدها لنا فى اشهر تسعة ، وهو يتشكل ويتطور ويتعقد فى رحم امه .. لكن هذا موضوع آخر ، وقد نفرد له دراسة اخرى مستقلة ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما اكثر ما لا نعلم من أسرار الكون والحياة ... ■■

د. عبد المحسن صالح
الاسكندرية

مقالات وكلمات

■ عش يوما خاليا من الهم ، تعش يوما خالدا .

(مثل صينى)

■ من كثر ادبه كثر شرفه ، وان كان قبل وضيعا ، وبعد صيته وان كان خاملا ، وساد وان كان غريبا ، وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا .

(بزرجمهر)

■ أعن أخاك ظالما او مظلوما ، ان كان مظلوما فخذ له بحقه، وان كان ظالما فخذ له من نفسه .

(من الحديث النبوى)

■ لايضيق سم الخياط على متحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين .

(الخليل بن احمد)

■ من وثق من نفسه فهو غير محتاج الى ثناء غيره عليه، ومن طلب الثناء فانه يدل على شكه فى قدر نفسه .

(جستاف لوبون)

■ افاضل الناس اغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن فى جيل سواسية ... شر على الحر من سقم على بدن

(المتنبى)

■ ما معنى الشهرة ؟ هل يكترث النهر بزبده ؟ هكذا الشهرة: زبد متناثر من تيار الحياة .

(تاجور)

■ اذا تم العقل نقص الكلام .

(الامام على)

■ خذ الشراب قطرات ، وخذ الحكمة جرعات .

(مثل صينى)

■ الرحمة جوهر القانون، ولايستخدم القانون بقسوة الا الطغاة.

(شكسبير)

■ سوء الظن بالناس هو المبرر لهم لكى يخدعونا .

(لاشفوكو)

■ ملكت نفسى منذ هجرت طمعى ... اليأس حر ، والرجاء عبد

(مهيار الديلمى)

■ من تراخى تألف ، ومن شد نفر ، والشر التنافل .

(اكثم بن صيفى)

السلطان اللى ما يعرفش السلطان !

فى امثالها الشعبية

بقلم : الدكتور كمال نشأت

ينعقد الاجماع فى مجال تعريف المثل الشعبى على انه حكمة شعبية شفهية مجهولة القائل لها طابع تعليمى من حيث الموضوع ، ولون من التركيز من ناحية الصياغة ، وان هاتين الخصيصتين ساعدتا المثل الشعبى على الذيوع والانتشار ٠

والامثال ظاهرة شعبية لا تنفرد بها امة من الامم وهى صورة للمجتمع وطريقة تفكيره ، ومنهجه فى السلوك من ناحية العادات والتقاليد ، ولذلك تعتبر وثيقة اجتماعية وتاريخية ونفسية يهتم بها الدارسون ، لانها ـ فى المقام الاول ـ تترجم عن فلسفة الحياة التى يدين بها شعب من الشعوب فى تلقائية وبساطة ٠ ولا شك ان انواع الخبرات الماخوذة من تجارب الحياة ، والتى يقوم عليها المثل الشعبى فى كثير من الاحيان ذات اثر فى سلوك الناس اعتمادا على ان المثل نتيجة خبرة سابقة لاجيال ماضية ، ومن هنا نعرف لماذا يقدم قائل المثل الجملة التالية كمقدمة للمثل الذى سيقوله وهى (اللى قبلنا قالوا ٠٠٠) على ان المتتبع للامثال الشعبية المصرية يرى لها امثلة مشابهة فى المضمون فى امثال الاقطار العربية الاخرى ، وفى بعض الاحيان يجد نفس المثل مع تغير طفيف يمس لفظة هنا او هناك ، مما يؤكد فلسفة عربية شعبية تحدد مزاجا خاصا ، ونظرة واحدة لشئون الحياة ٠ ومن الجدير بالذكر ان اجدادنا قد اهتموا بجمع الامثال الشعبية قبل ان يعرفوا ما تسميه اليوم بالادب الشعبى ، فالميدانى والابشيهى وابن عاصم الكوفى من الاسماء اللامعة فى هذا الميدان٠

وثيقة تاريخية

وقد ساعدت صياغة المثل التى تعتمد على التركيز وفى احيان كثيرة على السجع على سهولة حفظه ولعلنا نرى هاتين الخصيصتين فى مثل قولهم (فى الوش مراية وفى القفا سلاية) او (قصقص طيرك لا يلوف بغيرك) او (ما تيجى المصايب الا من القرايب) ٠ وكثيرا ما يعتمد المثل الشعبى على عنصر المفارقة او المقابلة مثلما نرى فى قولهم (زبال وفى ايده وردة) او (ناموسة وعاملة جاموسة) او (بره وردة وجوه قردة) او (ابنها بيعيط وراحت تسكت ابن الجيران) ٠ اما ناحية المضمون ، فالمثل الشعبى المصرى ـ مثل امثال الشعوب الاخرى ـ وثيقة تاريخية واجتماعية فيه كل ما تعرضت له مصر فى تاريخها الطويل من تفتح وازدهار او كبوة وانكسار ٠ ترى ذلك كله فى صياغة عامية رشيقة تتحرى الايقاع عبر تناسق الجملة اللفظى ، وهى جمل قصيرة تتعمد

، فضلا عن روح
المصرى ٠
، النظر ، ما نراه
يحدد العلاقة بين
ـ كبقية شعوب
كـام المستبدين ٠
، الحكام علاقـــة
كان ابتعاد المصرى
اته الخاصة يدبر
، اللى ما يعرفش
، التسرع والاخذ
كم الظالم للتحقيق
ـاكم مالوش الا
رى بنظرته الثاقبة
الحكم قال (اذا
للطور يا باشا)٠
كان الشك يسيطر
الجديد ، لانهم
رط من ستى الا
ش فى اللى اتعزل
، افرحوا بقدومه

ظالم التى كانت
ساطة لرفع الغبن
يحة فى مثل هذا
بواب العالية)٠
، طبقة السادة

الحكام ومن لاذ بهم من كبار الموظفين ، وطبقـــة الشعب الفقيرة من فلاحين وحرفيين وصغار تجار وموظفين ، ظهرت الامثال التى تتحدث عن أبنـاء السـادة وهم (ابنـاء الاصـول) ربيبو البيوت الارستقراطية والتربية الحسنة ، أما العامة من أفراد الشعب فلن تجد لديهم الا الخسة ٠

من يسوق الحمير ؟!

ولا شك أن هذا التقسيم الطبقى كان هـــدفه تاكيد الفوارق بين الناس ، لصالح الطبقةالعالية، ومن هذه الامثال التى تدور فى هذا المجال قولهم (أيش عرف الفلاح اكل التفاح) و (حاتروح فين يا صعلوك بين الملوك) ولكن الشعب الواعى كان ينظر بفطرته الصافية الى أن البشر جميعا سواسية كاسنان المشط وان (كلنا ولاد تسعة) وان (الاقرع حصل ابو تاج) بل هم ينظرون الى المدل بقوته المترفع عن العمل من هذه الوجهـــة (لما انت كبير وانا كبير مين يسوق الحمير) ٠ من وحى هذه النظرة أيضا كانت روح المقاومة لكل ما هـو ظالم واستبدادى ، ولا ننسى هنـا أن بعـض الباحثين قد رموا المصريين بالوداعة التى ربطوها بزراعة الارض ،لان الزراعه تتطلب الصبر والبعد عن المشاكل ، والمقصود بالوداعة هنا غلبة روح المسالمة والابتعاد عن القتال ، وقد رد عباس العقاد على هؤلاء شارحا حقيقة الامر ، قائلا أن دماثـة المصريين وتجنبهم القتال الا للضرورة القصـــوى ترجع الى انهم أمـة ورثت حضـارة عريقة وانهم

لا يحبون حياة الاغارة والقتال اذا شحت الارض٠٠ انهم امة (اذا دعاها الحاكم الى حرب لا تعنيهـا فذلك شانه وليس شانها ، وتلك خسارته وليست بخسارتها ، اما اذا اصيبت فيعمائدها وموروثاتها او ظهر الجور على ارزاقها ومرافقها فهنـــالك يستعصى قيادها كاشد ما يستعصى قياد امه ،وهنالك تصمد للحرب كما يصمد المقاتل المجبول عليها) ، وفي صد جيوش المغول والتتار والصليبيين ، وفي مقاومة الحملة الفرنسية ، وفي الثورة العرابية ، وفي حرب ١٩٧٣ ما يثبت كلام العقاد ٠ ومن هنا تظهر هذه الروح في مثل قولهم (اللى يرشنا بالمية نرشه بالدم) او (افطر بيه قبل ما يتغدى بيك)، كما نراهـا فى هذا المثـــل الداعى الى القـــوة (الحيطة الواطية كل الناس تنط عليها) ٠

يحرم على الجامع !

ومن خصـــائص المثـــل الشعبى المصرى الـــروح الفكاهيةالتى تظهر فى محاولةالرسمالكاريكاتورى او السخرية التى غالبا ما تكون سخرية مفـارقة دالة لا سخرية عدوان او شماتة ، ولعلنا نحس بذلك فى الامثال الآتية :

(قالوا للمشنوق غطى رجليك ، قال ان رجعت ابقوا عاتبونى) و (ما تعرجش قدام مكسحين) و (الفار وقع من السقف قال القط اسم اللـــه عليك) و (زى بعجر انما ما فيه الا شنابه)٠

والمصرى مؤمن ايمانـــا قلبيا بالله ورحمتـــه ورعايتـــه ، انه ـ سبحانه ـ فـى صف الضعيف والمظلوم (اللى مالوش حد له ربنا) و (ربنـا مع المنكسرين جابر) ٠ وهو سبحانه راع لكـــل الضعفاء والمساكين يدبـر امورهم وهم لا يدرون (رب العطا يدى البرد على قد الغطا) ، ومن هذا الايمان العميق تنبع الدعوة الى اعمال العقل فى جميع شئون الحياة ٠٠ انها دعـوة الى استخدام اشرف ما وهب الله للانسان وهو العقل الذىوصل بالانســان من المعيشة على التقـاط الثمـار الى الصعود والمشى فوق سطح القمر ٠٠ فالمصرى امام الامر الذى يحتاج الى تفكير او استنتاج يقـول (ربنا عرفوه بالعقل) ، ولكن هذا الايمان الاصيل لا ينتهى الى « الدروشة » فاستعمال العقل حسب المثل الذى سبق هو الذى يؤدى الى مثل الموقف الذى يبلوره المثل الاتى : (اللى يلزم البيت يحرم على الجامع) فاهل البيت احق بما فيه حتى لو كان الجامع فى حاجة الى شىء مما يحتويه ، بل ان اللمعه التى تذهب جوع الجائع هى فى منطق التفكير الدينى السليم احق من بناء جامع (كل لقمه فى بطن جايع احير من بنايه جامع) ٠ ويتصل بهذه النقطة الفهم الخاطىء بان الزكاة واجبه على كل انسان حتى الذى لا يجد القــوت الكفاف ، من هنا جاء المثل الحكيم (يا مزكى حالك يبكى) ٠

ومن خلال الخبرة العميقة بالحياة عرف المصريون حقائق نفسية قبل ان يعرف علم النفس علمـا مستقلا كاشفا خبيئة الانسان ، فقد عرف الناس « عقدة النقص » قبل أن تسمى بهذا الاسم فقالوا (الفرعة تتباهى بشعر بنت أختها) فالتى لا تملك شعرا ـ والشعر تاج الانوثة ـ لا تجد فى مجـال المفاخرة الا المباهاة بشعر بنت اختها ما دامت لا تملك هذه الميزة الانثوية المطـــلوبة والفـار القصير الذيل الذى راح مع بقية الفئران يضرب بذيله فى ماعون العسل فلا يحصل على شىء على عكس رفاقه فذم العسل وقال انه حامض ٠٠ وادرك صاحب المثل هذه الحقيقة ٠٠ وهى ان المتطلـع الى شىء عندما لا يناله بعد الجهد الجهيد يذمه ، فقالوا تعليقا على ذم هذا الفاشل (ده قصر ديل) ، وقالوا فيمن يتنبه باستمرار لنقصه ولو ذكر عرضا فى كلام برىء (اللى على راسه بطحة يحسس عليها) ، أما الموظف الذى يظلمه رئيسه فلا يستطيع ان ينفس عن نفســه امامــه فيروح يصب غضبـــه على مرؤوسيه الصغار فله مثـل يقول : (ما قدرش على الحمـار اتشطـر على البردعة) ٠ أما العـدوانى الذى لا يسعـد الا بالاعتـداء على الاخرين فله هذا المثـل (قالوا للغراب بتسرق‌ليه الصابونه قال الاذية فيطبعى)٠ وقبل أن يتحدث علماء النفس عن مخيلة الخائف واضطراب اعصابه حتى يرى أشياء لا وجود لها ، كان المثل المصرى قد حدد هذا الموقف خاصة حينما كان الناس يكثرون الحديث فى قصص العفاريت ، فاذا بالمثل يتناول هٰذه القضية ويلخصها فى هذه الجملة البسيطة (اللى يخاف من العفريت يطلع له ٠٠) ■■

د ٠ كمال نشات

، حين ولادته يكون غير واع لاحتياجاته
لا عن حقوق الاخريـن والام هي التي
دها وتقوم بخدمته وتلبية حاجاتـه ،
طاعة عمياء بدافع من فطرتها وعواطفها
. الاشهر الاولـى مـن عمـره يتصرف
باشرة استجابة لنوازعه الداخليـة ،
حفظ ، فهو اذا ما جاع او عطش بكى
طلبه ، واذا ماشعر بضيق او انزعاج
او الم بكى حتى يهرع الى مساعدته، بـل ان
خطر بباله شيء او احب ان يحوز شيئا بكـى
حتى يحصل على مراده . فهو تبع لهواه ومصلحته
ورغبته ، والأهل والناس عموما يتقبلون هـذا
السلوك من الطفل الصغير بكل رحابة صدر .
ولكن عندما يبدأ الطفل في سنته الثانية ، ويصبح
قادرا علـى المشي ومولعـا بالتعلـم والتقصي
والاختبار ، يبدأ شيئا فشيئا بتحمل المسؤولية

والقيام بشؤون نفسه ، كما يبدأ الاهل بوضع الحدود على تصرفاته بالتدرج شيئا فشيئا ايضا ويبدأ بسماع : انتبه ، لا تقرب هذا الشيء ، لاتفعل هذا الشيء ... ويتقبل الطفل الذى غذى بالمحبة والعطف الحدود التي يضعها له اهله ابتداء من السنة الثانية بكل ترحاب . تلك الحدود التي يضعها الاهل بالروح الطيبة التي لاتعنى بحال من الاحوال قصد المعاقبة او النكاية او نقصان المحبة . وهكذا يتعلم الطفل راضيا ان يقف عند حدوده ، وان لا يتعداها وان يكون نظاميا فى حياته بحيث يستطيع في كبره ان يسلك فى مجتمعه سلوكا مرضيا سليما .

ولكن هذه الطريقة الطبيعية في تطور سلوك الانسان والناجحة عن التعود على احترام حقوق الآخرين ، وعدم تجاوز الحد لا تتحقق دائما .

فقد لايوجد الجو المناسب فى محيط الاسرة لنمو هذه العادات الحسنة ، وذلك لعدم توفر مايمكن ان نطلق عليه « الاحترام التوازن المتبادل ما بين الطفل والأهل ». وهناك كثير من التصرفات الشاذة التي تعوق وجود الاحترام التوازن المتبادل ، ومن اهم هذه التصرفات واكثرها شيوعا : ـ

١ ـ الخضوع المفرط لرغبات وطلبات الاطفال : فالاهل هنا يسارعون فى تلبية رغبات ابنهم واهوائه فى طفولته ويفعه دون مراعاة حقوقه واحتياجاته الحقيقية . وهذا يحدو بالطفل الى المبالغة فى طلباته ، وان يثور غاضبا اذا لم يسارع الى تلبيتها ، مما يجعله مع الزمن اثرا غير مكترث لحقوق الآخرين او ممتلكاتهم .

٢ ـ الاغداق على الطفل : ـ وهنا يغدق الأهل على الطفل باللعب وغيرها بشكل مفرط ، مما يؤدى بالطفل الى الضيق والملل وانعدام المبادرة او محاولة بذل الجهد .

٣ ـ الاهمال : وهنا لا يكون عند الأهل الوقت الكافي للاهتمام والانتباه الى الطفل ، مما يحرمه من لذة الاستمتاع بمساعدة اهله فى كل مرحلة من مراحل نموه وتطوره . والتفاعل الطبيعي تجاه هذا الاهمال ، وخاصة ان حدث في السنين الاولى من العمر ، هو عدم المقدرة على عقد صداقات ناجحة مع الآخرين في المستقبل والاستمتاع بمثل هذه العلاقات ، ويغدو الطفل اثرا لانه لم يمارس العلاقات الصحيحة مع الآخرين ليتعلم منها معرفة مراقبة تصرفاته . وبفقدان الاستمتاع مع الآخرين يجد الطفل لنفسه لنفسه متنفسا باتباع هواه .

٤ ـ تحميل الطفل فوق طاقته من المسؤولية : هنا يحمل الاهل الطفل من المسؤولية عن قصد او غير قصد ما لا طاقة له به بالنسبة لمستواه الفكرى او التطورى . وهذا يجعل الطفل مشغول الفكر بشدة ، مما لايتيح له الاستمتاع بانشاء علاقات شخصية مع الآخرين ، او اللعب المنمى للمواهب كما انه قد يؤدى الى العصيان والتمرد او حتى الى اللامبالاة ورفض تحمل المسؤولية .

صفات نقص المراقبة العامة : يبدى الشخص المصاب بنقص المراقبة الذاتية بعض الصفات المميزة ، فهو يعيش ساعته دون اكتراث كبير للمستقبل ، وقد يكون انانيا . كما انه قد يميل الى النهم او الاكثار من الشراب او التهور فى قيادة السيارة ، كما انه يكون مضيعا للمال والفرص . وباعتباره انانيا لجوجا فانه قد ينفجر غاضبا فى سورة عارمة ولو اصبح كهلا عندما يصاب بخيبة امل فجائية ، او لا يستجاب طلبه . كما ان الشخص الأثر غالبا ما يكون غير منتبه او مقدر لمشاعر الآخرين ، فهو يؤذيهم ويجرح شعورهم وفوق ذلك ياخذه العجب ان اكتشف انهم قد تاثروا من حماقته وعدم مبالاته بهم .

واكثر مظاهر نقص المراقبة الذاتية شيوعا هي : ـ

● النزوات : قد تعترى النزوات كل انسان ، فيريد الأشياء عن غير طريقها وعلى الفور . ولكن من ينقصه المراقبة الذاتية يخضع لنزواته كليا ، ولو كانت تتعدى حقوق الآخرين او تتضارب مع اهدافه ومبادئه . وقد يكون سبب هذا السلوك الشاذ مغالاة الاهل في مدح الطفل واقناعه بتفوقه بالاضافة الى المغالاة فى تلبية كل رغباته . فقد يقول الاهل للطفل بانه ذكي جدا وانه سيكون شخصا هاما فى مستقبله وانه سيتغلب على كل الصعاب التي ستعترض طريقه مهما كانت . فهنا لم يساعد الاهل طفلهم فى تطوير ملكة التنظيم الذاتي للنجاح . فعندما يكبر الطفل ويكتشف انه ليس ذلك الشخص الهام المزعوم ، وان النجاح ليس سهلا وآنيا واكيدا فقد ينتابه الشعور بالنقص وينتقد

نفسه لعدم تمكنه من النجاح الذى ضمن له من قبل اهله لما كان صغيرا .

ومهما كان نوع النزوات المسيطرة فالنتيجة واحدة وصاحبها شخص متهور لا يثبت على حال، يميل الى الافراط فى الملذات ، ويتنقل من عمل الى آخر ، ومن مكان الى آخر ، ومن صداقة الى اخرى ، وقد لايفلح فى تحقيق اهدافه مما يؤدى الى تعاسته وشقائه في اغلب الاحيان .

● كثرة الطلبات : يصر الطفل على اهله بان يقدموا له اطعمة خاصة ، وحلوى خاصة ، وان يقصوا عليه ما لا ينتهى من القصص عند نومه ، وان يلعبوا معه عندما يريد ، ويصر على ان يهيا له وسائل التسلية ، الى غير ذلك من الطلبات الكثيرة ، ولعله يثور غاضبا ان قدمت له البوظة السادة لان رغبته كانت في البوظة بالشوكولاته .

ليس من الشذوذ فى شيء ان يطلب الانسان من الآخرين ان يفعلوا له بعض الاشياء ، ولكن على ان يشعر ان هناك حقوقا متبادلة فمن حصلنا منه على امر من الامور له الحق ان يحصل منا ما هو مقابل لذلك فى المستقبل .

ويظهر تصرف هذا الشخص غير الطبيعي في كل مجال من مجالات الحياة اليومية . فان دخل المطعم مثلا اثقل على الخادم بكثرة طلباته وشكاياته ، وقد يعيد طبق الطعام اكثر من مرة لعدم موافقته لمزاجه الذى تصعب معرفته ، واذا ما اراد شراء حذاء فانه يعاين ويجرب كل نموذج فى الدكان ثم يخرج دون ان يشترى .. وهكذا . وقد يستعمل بعض الوسائل المنافية للاخلاق الكريمة للحصول على مراده كالتهديد بافشاء الاسرار مثلا . وان كان تحت امرته بعض المرؤوسين يطلب منهم اشياء لا حق له بها مهددا اياهم بالعمل على الطرد او حسم الراتب . وقد يحاول استغلال نقاط الضعف عند الآخرين لجلب المصالح لنفسه .

هذا ، وان الطفل المهمل فى صغره من قبل ذويه لايتوفر له الدافع القوى لايجاد وممارسة المراقبة الذاتية ، ذلك لان من اهم الحوافز التي تجعل الانسان يراقب تصرفاته هو الحرص على رضاء من حوله ممن يبادلهم العاطفة والمحبة والاحترام ، وهو غير قادر على انشاء علاقات صميمة كما قدمنا . ويكون من عادة هذا الشخص استغلال الآخرين لمجرد مصلحته القريبة ولايستبعد ان يقطع صلاته التي لاتعود عليه بالنفع المباشر ، ومن شب على شيء شاب عليه .

شيء من التطمين الهادىء

● كثرة الغضب : وليس من المستغرب ان يشعر الانسان بميل نحو الغضب والغيظ عندما يصاب بخيبة امل ، ولكن الشخص الناضج يستطيع ان يكبح جماح غضبه ويكظم غيظه بحيث لا يؤذي الآخرين ويعلم ان انفعاله الشديد وصياحه قد يؤدي الى نتائج وخيمة تبعده عن الاشياء التي يريد تحقيقها . ولكن الشخص المتهور يندفع فى سورة غضبه ، غير ميال لما يقول من فاحش القول ويسترسل فى صب جام غضبه على الآخرين ثم لا يتورع مع ذلك من لومهم لاثارته .

ان مثل هذا الشخص يكون قد ترعرع على الاغلب فى اسرة لم تضع حدا لسورات غضبه في صغره . ولعل اهله كانوا يخافون غضبه وقالوا له : ان غضبك شيء فظيع ! وهو خارج عن ارادتك وعلينا كلنا ان نخضع له . وقد يجد الشخص النزق معذرة لنفسه فى القول المأثور بان الغضب يخفف من الكبت ، وهو قول غير صحيح فالمشاعر التي تتعدى الحدود وتؤذى الآخرين يحسن كبتها ، وهذا وان كان صعبا لكنه لا يقال عنه غير صحي بحال .

● المخاوف غير الطبيعية : وهي كسابقاتها من النزوات وكثرة الطلبات وسورات الغضب عبارة عن نوازع غير مراقبة ذاتيا وهي تبدا بصورة عامة من الطفولة لتستمر مع الكبر وخاصة ان كان هناك شعور بالنقص ، او تجاهل ، او افراط فى الرعاية . فمن الطبيعي ان يشعر الطفل بشيء من المخاوف لما يتمتع به من خيال واسع ، فقد يتوهم اشياء مخيفة فى الجوار عندما يسمع صوت الريح العاصفة ، او حركة اغصان الشجر ، الى غير ذلك . وما يحتاجه الطفل فى مثل هذه الاحوال هو شيء من التطمين الهادىء فقط ، ولا يجوز ابدا الانتقاص من الطفل ، او موافقته على مخاوفه . فكلا الموقفين يؤدي الى ازدياد الشعور بالخوف ولكن لا باس في افهامه سبب ما يسمع وبكونه شيئا عاديا طبيعيا ، وان يؤخذ

بلطف وهدوء لينظر ويتأكد بنفسه مع ذويه ان لا شيء هناك .

وقد يطلب الطفل الى امه ان تنام جانبه لانه راى حلما مزعجا او ان يذهب لينام الى جانبها لان شيئا ما اخافه في غرفته ، وهنا ايضا لا بديل عن تطمين الطفل بهدوء ولطف ، اما الخضوع له ومسايرته فانه يؤدي الى تثبيت المخاوف واشتدادها لان واقع التصرفات قد يوحي بوجود اشياء مخيفة حقا .

ان الانسان العادي لا بد وان يشعر بالخوف في بعض الظروف . فقد يشعر المستخدم بشيء من الخوف لدى مراجعته لرئيسه من اجل طلب ترفيع يستحقه نظرا لسوء طباع الرئيس . وقد يخاف المرء المرور من الاماكن المنعزلة المظلمة بعد ان سمع عن وقوع حوادث اعتداء مكررة في تلك الاماكن . وقد يخاف الانسان السفر بسيارته الى مدن بعيدة ان كانت سيارته قديمة لاحتمال تعطلها . فهذا كله وما شابهه من الامور الطبيعية .

ولكن ان يخاف الانسان ركوب الطائرة او السيارة او الصعود بالمصعد ، او ان يبقى وحيدا في منزله فهذا هو خوف مرضي .

والوقاية الطبيعية تكون بتطوير المراقبة الذاتية منذ الطفولة ومساعدة الناشىء لوضع حد لمخاوفه .

واما ان بقي هذا الخوف المرضي حتى الكبر فلا بد من مساعدة الطبيب لازالته ، ويتبع في ذلك طريقة الشرطية المعاكسة . ويدخل الطبيب بمقتضى هذه الطريقة مع مريضه الى منطقة المشكلة او الخوف بالتدرج خطوة خطوة ابتداء من التخيل ثم من الواقع . فان كان الشخص يخاف مثلا ارتياد الابنية المرتفعة فيبدأ الطبيب بمساعدة مريضه على تخيل نفسه وهو يصعد الى الدور الاول من بناء شديد الارتفاع ، ثم في جلسة ثانية يصل به الى الدور الثاني ، وهكذا. ثم في مرحلة ثانية يصعد به فعليا الى الدور الثاني ثم الثالث ، وهكذا حتى يزول الخوف نهائيا .

بسبب شذوذ التربية

لقد ذكرنا ان المواقف التربوية السيئة في الاسرة تشكل السبب الاهم في ضعف المراقبة الذاتية وان من اهم هذه المواقف تأثيرا الخضوع الزائد لرغبات الطفل،والاغداق عليه بالحاجات، وتحميله من المسؤولية فوق طاقته ، واهماله ، وخاصة ان استمرت هذه المواقف سنين طويلة حتى البلوغ ، ولا بد عندها من اللجوء لمعونة الطبيب من اجل التخلص من هذه الصعوبات في اغلب الاحيان .

فان كان السبب الخضوع الزائد لرغبات الطفل وطلباته ثم لسورات غضبه فان الطفل يستمرىء هذا السلوك ويؤوله تأويلا باطنيا ، فيتعود الخضوع لنفسه ونوازعه ، واذا ما استمر على ذلك واصبح كهلا فانه لا بد له من جهد كبير ووقت طويل حتى يستطيع تعديل سلوكه . وقد لا يحاول جديا تعديل سلوكه الا بعد صدمات وصعوبات يلاقيها في حياته كفقدانه وظيفته او صعوبات في علاقاته مع زوجته واصدقائه مما يسبب له آلاما كثيرة .

ومن كان ضحية الاهمال واستمر في رعاية نفسه لوحده فقط حتى البلوغ وظل خاضعا لنوازع الطفولة الابتدائية دون ان توضع له الحدود من قبل الآخرين ، فانه سيستمر على ذلك في كبره ، ويجد في الخضوع لنوازعه الداخلية اهمية اكبر من اللذة التي تحصل عليها من معاشرته للآخرين .

ومن كان ضحية الافراط في الكرم فقد تكون حالته صعبة المعالجة ، فملله وضجره بالحياة يجعل عليه من الصعب المواظبة على المعالجة وما تحتاجه من تجمع للارادة والاصرار .

ومن كان ضحية الضغط الزائد والمطالبة بالمسؤوليات غير المستطاعة ، وكبر رافضا لتحمل المسؤولية ، واصبح نزوانيا طلوبا اتكاليا ، وكانه يريد ان يعيش حياة الطفولة التي حرم منها في صغره . فهؤلاء يرفضون حياة الكهولة ولا يريدون ان تتاح لهم الفرص لمزاولتها .

المجتمع ونقص التربية الذاتية

قد يكون للمجتمع والبيئة والتقاليد التي يعيش فيها المرء دخل كبير في التاثير على المراقبة الذاتية ، فقد تكون هناك اغراءات كثيرة تنحرف بالانسان الطبيعي ، او تغريه بالانحراف على

ول ، فما بالك بالانسان الاثر غير الملتزم في
اصل ؟

فمن الاقوال المشهورة في مجال الدعاية وخاصة في العالم الغربي : «انك تستحق شيئا افضل». ومن الاقوال الشائعة لدى الجميع: « متع نفسك» رده عن نفسك ، استمتع بحياتك قبل ان يفوت الاوان » ... وكان القصد من هذه الفلسفة القول : انك لم تحسن التصرف مع نفسك فلا بد من اشياء خاصة من متع ومآكل وملبس الى غير ذلك ، ويشابه ذلك في التأثير الاعلانات الكثيرة المغرية في الشراء بالتقسيط . ومن الناحية الجنسية فالحال ادهى وامر فالسينما واعلاناتها وبعض برامج التلفزيون والرادو والمجلات وغيرها كلها تثير الغرائز الجنسية وتشجع على ارضاء الشهوة من اقرب الطرق ، ولو كان ذلك ينافي مع كل مبدأ او عرف . وكذلك بالنسبة لمواضيع اللهو والتسلية فكثيرا ما يكون البطل الممجد هو ذلك الشخص المتهور المندفع وراء شهواته والمحب للعنف والمجازفة .

كما ان نظرة اكثر المجتمعات اليوم للطعام والشراب والملبس اصبحت بعيدة كل البعد عن الاعتدال فلا يأكل او يشرب او يلبس الانسان للحاجة فقط بل للتمتع والمباهاة والمفاخرة . والامر اوضح من ان نطيل فيه الكلام .

واخيرا لا يخفى على احد تلك الموجات الحديثة من الحركات الاجتماعية التي تخالف ما تعارف عليه الانسان عبر الاجيال بل القرون من مبادىء واخلاق وانظمة مع ما فيها من تمجيد لهوى النفس والغرائز . فهذا كله ولا شك جعل اتباع الهوى وكأنه من الاوبئة الاجتماعية .

ولكن ما مدى مسؤولية الاهل يا ترى فهل هي فردية فحسب ام انها شاركت بشكل فعال في هذا كله ؟ مهما كان الحال فمما لا شك فيه ان نقص المراقبة الذاتية واحد من الاسباب الاساسية للفوضى والتسيب

وخلاصة البحث والقصد ان على الاهل مسؤولية المراقبة الذاتية عند اطفالهم . بتجنب اتباع المواقف المرضية ، وخاصة منها الافراط في الدلال او الافراط في دفع الطفل وتحميله ما لا يطيق من المسؤولية ، او اهماله . وان توضع للطفل حدود ثابتة بروح من المحبة والاحترام دون انتقاص من الطفل او انتقاد زائد او اهانة ، بالاضافة الى تكليفه بالمشاركة ببعض الاعمال او الواجبات المنزلية ، حسب طاقته دون عنت ما .

ويحتاج اليافعون الى مزيد من الرعاية والاحترام ولكن دون الخضوع لرغباتهم غير الناضجة . ولا باس بتشجيعهم على عمل يكسبون منه شيئا من الدخل يصرفون منه ان كان ذلك متيسرا كما هو الحال في البلاد الغنية مثلا والا فلا يعطون من النقود الا ما هم بحاجة اليه .

واما ان كبر الانسان وهو لا يزال ضعيف المراقبة الذاتية . فيحسن له استشارة الطب لمساعدته . والا فانه قد لا يفكر في تعديل موقفه الا بعد تجارب اليمة ومريرة ، وقد يستمر في عاداته رغم ذلك لانه يجد في اتباع هوى نفسه راحة اكبر .

واما ما يتبعه معظم الناس من الانتقاد اللاذع فانه لا يجدي ، بل يجعل المصاب اكثر لوما لنفسه وقد يصل به الحد الى الهمود والعصيان . على حين ان المعالجة تبدأ باحترام الطلب الذي يؤدي الى احترام الذات فعندها يبدأ الشخص بتعديل سلوكه ، ولكن الامر يحتاج الى وقت وجهد طويلين على كل حال. ■

(دمشق — د. نبيه غبره)

فاتورة في الجراحة

● قال الطبيب لرجل اسكتلندي : ان زوجته تحتاج الى جراحة استئصال اللوزتين ، وأن هذه الجراحة كان ينبغي أن تتم حين كانت زوجته فتاة صغيرة ،فأمر الاسكتلندي بأجراء الجراحة، وارسل فاتورة الجراحة الى حميه مطالبا بالاجرة .

طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الاطباء

داء الاسقربوط

● كثيرا ما نسمع عن داء الاسقربوط .. ترى ما هذا الداء ؟ .. وهل له علاج ؟

ان داء الاسقربوط هو مرض ناجم عن النقص في فيتامين جـ / C وكان قبل قرن ونصف نقمة على البحارة في رحلاتهم الطويلة•ومما يذكر ان فاسكو دى جاما الرحالة الشهير في رحلته الخالدةحول راس الرجاء الصالح عام ١٤٩٧ فقد مائة من بحارته الذين كانوا (١٦٠) في تلك الرحلة •

وان انسونز Ansons في رحلته حول العالم فقد نصف بحارته بعد مضى ثلاثة اشهر فقط من الاقلاعه •

وكان السلاح البحرى للدول فقد العديد من افراده ومن قدراتهم على القتال لاصابتهم بهذا الداء •

لم اكتشف بان هذا المرض يحدث من نقص فيتامين جـ لعدم تناول الفواكه والخضراوات الطازجة • وعندما نصح لند Linds رجال الاسطول البريطاني بتناول ملعقتين من عصير الليمون يوميا تضاعفت قوة افراده القتالية وقوة احتمالهم للرحلات الطويلة وغاب عنهم هذا المرض اللعين•

ويجب أن لا يفهم مما تقدم بان هذا المرض يصيب البحارة فقط •

اذ هو يصيب الجميع كبارا وصغارا ذكورا واناثا اذيصيب كل من خلا طعامه لفترة طويلة• من هذا الفيتامين فهو منتشر بين الجماعات التي تعتمد في اكلها على انواع معينة من الغذاء كالنشويات مثلا او على ما لا يحسن حفظه وطبخه من الطعام • فمن المعروف عن هذا الفيتامين بانه يتاكسد ويفقد تاثيره لو ترك معرضا لاكسجين الهواء وانه يتاثر كثيرا بالقلويات وكذلك بارتفاع الحرارة كما يحدث في عملية الطبخ •

وهو ضرورى لبناء المادةالتي تنتشر بين خلايا الجسمولسلامة جدار الشعيرات الدمويةونضوج ونمو الكريات الحمراء بالدم وفي التكوين السليم للعظم والاسنان، وفي عملية التنفس التي تحدث لانسجة الجسم •

ونقصه في الاطفال يحدث عادة ما بين الشهر الثامن حتى الثاني عشر فيعرض الطفل لتوقف النمو الطبيعي والنزف من الشعيرات الدموية وخاصة ما وجد منها تحت غشاء العظم والعريب من الاطراف النامية للعظام الطويلة وان كان هنا قواطع بالفم ظهر نزف منها وا يحدث النزف في العينين ا بالجهاز البولى او من اى مكا آخر •

ويبدأ الطفل بالبكاء الشد وخاصة اذا لمس او حمل لاحساسه بالم في عظامه وعند يترك في سريره ياخذ وضعا خاصا فيثني الركبتين ويبا بين الفخذين كانه الضفدع انخفاض في القص ونتوء باطرا الضلوع وفلخ في غضاريفها

ويشعر الكبار بضعف شد وانحطاط ثم تظهر اعراض ا اللثة حيث تنتفخ وتصبح كالاسفنج وتلتهب وقد تظهر على شكل براعم تكبر حـ تغطي الاسنان زرقاء اللـو تنزف مع ابسط لمس مع رائـ كريهة في الفم ثم يبدأ ظهـ بقع من النزف الصغير حو فتحات حويصلات الشعر بالجـ

الجسم كمية ضئيلة من هذا الفيتامين ما بين ٢٥ ـ ٧٥ جم يوميا لحمايته من هـذا المرض اللعين ٠

ولذا ينصح الطبيب باعطاء الطفـل الرضيع فى الاسبوع الثانى من عمره مقدار ملعقتين من عصير البرتقال المخففبكمية متساوية من الماء يوميا ٠

وهذا الفيتامينموجود بكثرة فى :

أولا : الحمضيــات مثـل البرتمال والليمون والكـريب فروت الـخ ٠٠ سـواء كـانت طازجة أم عصارة محفوظة ٠

ثانيا: الخضراواتكالبندورة والسبانخ والملفوف والقرنبيط واللفت والجـزر والبطاطـا والجرجير ٠

ثالثـا : فواكــه الصيف كالفراولة وانواع التوت ٠

د ٠ فاروق المهتدى

...يــا

...اصبت بالتهاب علمت أنـه
...م ولدى بقع بيضاء أخبرنى
...هذه المونيليا وهل هناك صلة بين

او متاعب ٠

ومن العوامل التى تؤدىالى انتشار المرض او زيادة حدته وجود الفطر على الجسم ٠ الا أن هذا لا يؤدى الى الالتهاب أو الشكوى الا فىحالاتالضعف العام ، زيادة السمنة ، مرض السكر حيث تزداد قابليـــة الشخص للاصابة، زيادة افراز العرق وكذلك الحمل يؤدىالى نشاط الفطر وزيادته كمـا يزداد المرض عند استعمـــال المضادات الحيوية بكثرة ، واستعمال الكورتيزون لفترات طويلة ٠

والتهاب المونيليا يمكن ان يصيب اى جزء من الجسمسواء البشرة أو الغشاء المخاطى وقد يـكون فى منـاطق محـددة أو منتشرة على الجسم كله الا أن أكثر الاجزاء تعرضا للاصابة هى الاظافر وما حولها وكذلك ثنايا الجلد مثلالابطوالفخذين واسفل الثدى حيثيكون الجلد رطبا ودافئـا ويظهر التهـاب المونيليا فى الفم خاصـة فى الاطفـال وكذلك المهبـل عنـد النساء بعد الحمل ولذلك يجب علىالحاملعلاج هذه الالتهابات حتى لا يتاثر المولود بالالتهاب الذى يظهر على فمه ويسبب له متاعب تمنعه من الرضاعة السليمة ٠

وفى بعض الحالات قدتصيب المونيليا الرئتين وفى هـــذه الحالة تكون شديدة ٠

أما العلاج فقد اصبح الان أسهل من ذى قبلوذلك بواسطة عقار ميكوستاتين Mycostatin ويوجدعلىشكلحبوب للاصابات الداخلية وكذلك على شـكل مرهم للاصابات الخارجية ، الا أناحتمال معاودة المرض واردة ولذلك وجب الانتباه الـــى استمرار العلاج حتى تمـام الشفاء مع الابتعاد عنالاسباب والعوامل التى تزيد منفرصة حدوثه ■■

لرئيسية ، وهى تنقل المياه العلوة الىحقول قصب السكر ، وتمتد لمسافة ٢٧ كيلومترا
الابيض حتى قلب مشروع كنانة (الصورةالى اعلا) ٠٠ « ونجوى » بنت البلد السودانية
ة المهندس الزراعى حمزة احمد التقىمدير مزرعة كنانة وهى « تشيكية » فى لقاء مع
عيدان القصب ! (الصورة الى اليسار)

لى طريق الأمن الغذائى فى السودان :

السكر

أغلى من الذهب الأبيض وأنفع

استطلاع بقلم : منير نصيف تصوير : صلاح آدم

لسكر فى كنانة ٠٠ كل معداته جاءت منفرنسا والمانيا ٠٠ وهو ثالث مصنع من نوعه فى
يبلغ انتاجه عندما يكتمل العمل فى ينائهفى العام المقبل ، ١٧٠٠ طن من السكر يوميا ٠
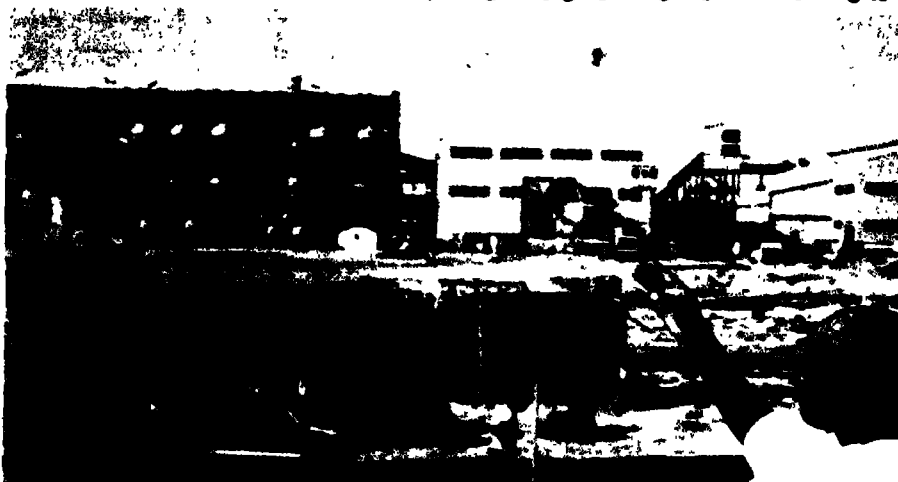
من الارض غذاء .. من الارض حياة منذ كانت هناك حياة .. فهي الماضي والحاضر والمستقبل .. لان الحياة مستمرة ..

والمستقبل هنا عندنا في ارضنا الشاسعة الواسعة المترامية شمالا وجنوبا .. نحن في حاج الى كل حبة قمح .. كل ثمرة شجر .. كل قطرة ماء نرتوى منها ونروى بها ارضنا وزرعنـ وحيواناتنا .. !

ولقد اهملنا الارض والزرع طويلا ، سعيا وراء رزق أسرع مع الالة في المدن ، فقد هرب الفلاح من ارضه لانه مل الانتظار .. يفلح الارض وينتظر .. وينثر الحب وينتظر .. وتمر شهور طويلة قبل أن يجني ثمار ما زرع ، وياليتها تكفيه وتكفي قوته وقوت أولاده !

وصحونا فجأة على الواقع .. ان الثروة في الارض وليست في المدن .. فالعرب .. كل العرب وبدون استثناء ، يواجهون أزمة حادة في الغذاء .. لقد ثبت ان الغذاء العربي الذي يخرج من الارض العربية التي اهملناها ، بالكاد يكفي نصف عدد السكان الذين يعيشون على هذه الارض العربية من محيطها الى خليجها . من أين ياكل النصف الثاني . ؟

كيف يتوفر الغذاء للافواه التي تتزايد عاما بعد عام ؟

والجواب :

من المواد الغذائية التي نضطر الى استيرادها من الخارج وباضعاف تكاليف انتاجها لاسباب واضحة .. وبعملية حسابية بسيطة اتضح ان العالم العربي يدفع خمسة ملايين دولار يوميا لتغطية العجز في الغذاء الذي تحتاج اليه شعوب هذه المنطقة الغنية بارضها ومياهها ومواردها الطبيعية . !

هذا ما تضمنه التقرير الخطير الذي قدمه الدكتور فخري قدوري الامين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية في اجتماعات المجلس التي انعقدت في دبي في اليوم الخامس من شهر ديسمبر من العام الماضي .

خمسة ملايين دولار يوميا ، أى ما يقرب من الفي مليون دولار سنويا ..

بل ٧ آلاف مليون

وعند الدكتور خالد تحسين علي الخبير الزراعي في الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتما في الكويت ارقام اخرى مثيرة .. نقلتها عنه حديث سابق معه عندما لقيته ليشرح لي ا برنامج « لتحقيق الامن الغذائي العربي » ف السودان الشقيق موضوع هذا الكلام قال الر يومها : « ان دول العالم العربي قد استور ما قيمته ٧ الاف مليون دولار من السلع الزرا الرئيسية خلال عام ١٩٧٥م وحده ! انني أست أن اقول بلا تحفظ ان ما دفعه العرب خلال ا العام وحده يبلغ ثلاثة اضعاف ما كان يدفعه حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م .

لماذا كان هذا الارتفاع الهائل المخيف ؟

ويكمل الدكتور خالد حديثه : « هذه الز ترجع الى ثلاثة عوامل .. اولها الارتفاع المس في تعداد سكان العالم العربي، والثاني ، الز المستمرة لاحتياجات الفرد الواحد نتيجة لارتف مستويات الدخول في الدول العربية المنت للبترول ، وأخيرا ارتفاع اسعار المواد الغذا المستوردة ، وهي ظاهرة لم تأت مصادفة ، وا كانت شيئا مدروسا ومخططا له .. كانت الرد الوحيد من جانب الدول المستهلكة للبتر على الاجراء الذي اقدمت عليه دول « الاوبك عندما رفعت اسعار بترولها . !

« ودفعنا ، ومضينا ندفع ثمن المواد الغذا

أرض شاسعة ضائعة !

- مساحة السودان ٦٠٠ مليون فدان .
- الارض الصالحة للزراعة تزيد على ٢٠٠ مليون فدان .
- المساحة المنزرعة منها حتى الان لا تزيد على ١٥ مليون فدان .

السيد علي شمو وزير الاعلام السوداني ..
« نحن نريد أن يرى العرب ماذا صنعوا ويصنعون في السودان بأموالهم المستثمرة ، وكيف حققنا الكثير من المشروعات الانسانية بفضل جهودهم ، لا من أجل السودان وحده ، بل ومن أجل العرب ، كل العرب في كل مكان.. فالسودان سوف يحقق في المستقبل القريب باذن الله، الامن الغذائي للامة العربية كلها»

الذي ظل يرتفع ويرتفع عاما بعد عام لاننا امة مستهلكة ، ولان هذا الغذاء ضروري واساسي للفرد العادي ولا يمكن الاستغناء عنه فهو قوته وقوت أولاده ! » .

« وبدأ العرب يشعرون باهمية فتح مجالات الاستثمار النافع لرؤوس اموالهم داخل الوطن العربي ، لتغطية احتياجاتهم من الغذاء من ناحية، ولانهم بداوا يدركون عدم جدوى الابقاء على رؤوس اموالهم في شكل ودائع في البنوك الاجنبية ، خارج حدود العالم العربي ، والاخطار التي تتعرض لها نتيجة بقائها بعيدا عن الاستثمار المجدي الذي يمكن ان يوفر لهم بلايين الدولارات كل عام ..

« فهناك التقلبات في اسعار العملات الاجنبية ، كما حدث للجنية الاسترليني ، وكما حدث ويحدث للدولار ، وهناك التضخم المالي المخيف الذي يسود العالم الغربي منذ فترة طويلة من الزمن ، وكلها عوامل تؤدي في النهاية الى تدهور القيمة الحقيقية لهذه الودائع » ..

المال العربي ... والتنمية

« ثم ، وهذا هو الاهم ، ان مشروعات التنمية العربية في شتى المجالات في حاجة الى المال العربي من اجل خير العرب ومن أجل مستقبل اكثر رفاهية .. وعلى رأس هذه المشروعات « الامن الغذائي » لتوفير حاجتنا من الغذاء اولا ، ثم تصدير الفائض على المدى البعيد .. وهكذا يتحول العرب من امة مستهلكة فقط الى امة مستهلكة مصدرة . وهو ليس حلما ، وانما حقيقة واقعة ومرتقبة ، ففي تقرير منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة ، جاء بالحرف الواحد « ان العالم سيأكل في الغد من ثلاث مناطق .. السودان العربي ، واستراليا وكندا ».

واصبح « الامن الغذائي » صيحة هذا الثلث الاخير من القرن العشرين .. فقد بدأنا نفيق من رقدتنا الطويلة . وعدنا نتجه الى الارض التي ارتبط بها اباؤنا واجدادنا منذ قرون طويلة .. فنحن شعب زراعي اولا .. وقد عرفنا الزراعة وتحولنا اليها منذ الاف السنين حتى جاء وقت كنا نصدر فيه خير الارض ، رغم ضآلة الرقعة المنزرعة منها للخارج .. بعد أن ناخذ منها كل احتياجاتنا ، عندما كانت الكثافة السكانية عندنا لا تزيد على ثلاثة أو اربعة انفس في الكيلومتر المربع واقل من ذلك في بعض البلدان العربية .

هل ضاقت بنا الارض اليوم .. وهل تضيق أكثر واكثر في الغد .. خبراء الزراعة والاقتصاد يقولون ابدا لن تضيق الارض بالعرب ، فما زالت لدينا مساحات شاسعة واسعة لم نستغلها، بل لم نصل اليها فنكتشف مجهولها بعد : وهي امامنا على الخريطة .. في مصر .. وفي العراق وفي سوريا وحتى في شبه الجزيرة العربية حيث يندر الماء ، واخيرا في السودان الكبير بنهره الخالد وروافده ..اراض هائلة صالحة للزراعة.. المساحة الاكبر منها تعتمد على مياه الانهار .. ومساحات اخرى ايضا كبيرة تعتمد على مياه الامطار وعلى المياه الجوفية !

شيد القائمون على المشروع مساكن تناسب كل فئة من العاملين فيه •• وهذه مجموعة من مساكن الفلاحين في قرى كنانة، نفس طراز المساكن التى اعتادوا العيش فيها قبل ان يستقروا • (الى اعلا)

المهندس الزراعى حمزة احمد التقى مع عيدان القصب • انها ضعف طول قامة الانسان او اكثر لقد نجحت زراعة قصب السكر فى ارض الجزيرة بصورة فاقت كل ما كان متوقعا لها •(الى اليمين)

فى السوق المركزى الذى اقيم وسط هذا المجتمع الزراعى الصناعى الجديد •• ، مدينة كنانة ، يجد العاملون كل ما يحتاجون اليه من المواد الغذائية التى تنقل اليهم بالطائرات من الخرطوم (الى اسفل)

كيف كانت البداية

وبدانا من حيث كان لا بد أن نبدأ ·· من السودان الكبير ·· وكانت نقطة البداية هنا فى الكويت ، وفى عام ١٩٧٤م على وجه التحديد ، فى اعقاب حرب اكتوبر ·· حرب رمضان المبارك ويقول الدكتور : خالد تحسين على « فى أوائل هذا العام ، وبعد النصر الذى حققه العرب فى اول حرب نشتبك فيها مع العدو وجها لوجه ، بدات الحقائق تتضح للعالم العربى وكانت كلها حقائق حيوية تتصل بغذائه ، اى بحياته ووجوده فى هذه البقعة الغنية بارضها ومياهها والغنية ايضا بمواردها الطبيعية والبشرية » ·

« وكان فى مقدمة هذه الحقائق المحسوسة ، الجفاف الذى اصاب مناطق عديدة من العالم ، مما ادى الى تخفيض الصادرات من مناطق الفائض الى مناطق العجز فى العالم ، ثم الزيادة الهائلة فى اسعار المواد الغذائية ، كما ذكرنا ! منذ هذه اللحظة بدانا نعيد النظر فى اعتمادنا بصفة كلية على الدول المتقدمة ·· وبدانا نعمل ·

« وكانت الخطوة الاولى التى اقدمت عليها « الهيئة العربية للاستثمار والانماء الزراعى » هى مشروع استغلال الموارد الزراعية والحيوانية فى العالم العربى ·· وقام الصندوق العربى الذى انبثقت منه هذه الهيئة باعداد فريق من الخبراء فى كافة المجالات الزراعية وفى مجالات المرافق والخدمات كالرى وتوليد الطاقة الكهربائية والنقل والتخزين الى آخره ·· واعد هذا الفريق بدوره بالتعاون مع عدد كبير من السودانيين وبعض خبراء المؤسسات الدولية فى الزراعة ما اسموه بالبرنامج الاساسى لتنمية القطاع الزراعى فى السودان للسنوات العشر القادمة ·

« هذا البرنامج ، يشتمل على مائة مشروع ومشروع فى كافة مجالات الانتاج النباتى والحيوانى والصناعات التى تقوم على المنتجات الزراعية والتسويق ومشاريع الخدمات والمرافق المكملة لها »·

ويكمل الدكتور خالد حديثه : « وقد قدرت تكاليف هذا البرنامج خلال السنوات العشر المقبلة بحوالى ستة آلاف مليون دولار ·· والهدف فى النهاية هو زيادة المنتجات الزراعية والحيوانية فى السودان بنسبة تتراوح بين مائة فى المائة و ١٥٠٪ لاغلب السلع الزراعية الاساسية باستثناء السكر فقد حدد البرنامج زيادة انتاجه بنسبة ٥٠٠٪ اى خمسة اضعاف ما ينتج منه حاليا !

لماذا السكر ؟

ونقف عند السكر ·· لماذا السكر ؟ وليس القطن مثلا الذى كان وما زال محصولا رئيسيا يعتمد عليه الاقتصاد السودانى وفى السودانى منذ امد طويل ؟ الجواب السريع ، أن القطن ليس غذاء ثم هو بعد ذلك يدخل فى صناعات لا يقدر عليها غير القادرين !

وفى السودان ·· وعلى ارض كنانة فى قلب « الجزيرة » ، وهى الارض التى تقع بين النيلين الازرق والابيض ·· اكثر مناطق السودان خصوبة وانتاجا ·· وفى منطقة تبعد حوالى ٢٤٠ كيلو مترا جنوبى الخرطوم ، قضينا اياما مع قصب السكر ، ومع اضخم مصنع لانتاج السكر فى العالم العربى ، وعشنا فى هذا المجتمع الزراعى الصناعى الجديد الذى قام هناك مؤكدا استمرار الثورة الخضراء فى السودان وعرفنا اخيرا الاجابة الشافية على تساؤلنا : « لماذا السكر » ·

يقول الدكتور محمد عثمان ابو زيد الخبير بوزارة الزراعة بجمهورية السودان الشقيقة فى تقريره « قصب السكر محصول نقدى » يقول : « منذ أمد بعيد كان اكثر الباحثين فى ميادين الاقتصاد والزراعة يبحثون عن محصول ينافس محصول القطن فى مكانته التصديرية ، أو يساند القطن فى مركزه القيادى ، ولكن معظم هذه الدراسات اثبتت ان محصول القطن ما زال يعود بربح كبير لا ينافسه فيه اى محصول آخر ··

المهندس الالمانى « سونتاج » قضى أكثر من ربع قرن فى بناء مصانع السكر ·· فى السودان وفى الهند وباكستان وفى ايران ·· المصنع السودانى أحد أكبر مصانع السكر فى العالم ·

وارباح القطن ، كما هو معروف ، تفيد المزارع في معيشته وتساعد الحكومة على القيام بالتزاماتها » .

ثم ... ربح أكبر

ولكن هذا البحث ، وقد وضع في عام ١٩٧١م، يثبت ولاول مرة أن محصول قصب السكر لانتاج السكر ، هو الضالة المنشودة ، فهو يعود بربح اكبر بكثير من ربح القطن بالنسبة للمزارع وللدولة ، وللارض ذاتها ، ولكن هل تنجح زراعة القصب وصناعة السكر من القصب في السودان ؟ هل ينتهي عصر « الذهب الابيض » !

واثبت البحث أن كل الظروف متاحة لنجاح زراعة قصب السكر الذي اصبح اليوم منافسا للقطن ، الزراعة التقليدية الرئيسية ! لماذا ؟ لتوفر المناخ والتربة والماء والارض البكر الواسعة اللازمة لزراعة القصب ، ولان العائد من زراعة القصب اكبر بكثير بعد تصنيعه كما ذكرنا ، من زراعة القطن ، كما أنه يوفر فرص عمل لآلاف العمال الزراعيين والصناعيين ، بعكس القطن الذي ينتهي العمل فيه بمجرد الانتهاء من جمعه من الحقول ! فمثلا اذا اقيم مصنع للسكر يمكن ان يطحن اربعة الاف طن من القصب يوميا فان العمل في الحقل وفي المصنع يوفر عملا لاكثر من اربعة آلاف فني وعامل سوداني .

واخيرا ، لان السودان سوقا كبيرة لتسويق واستهلاك السكر محليا ، فقد بلغ الاستهلاك مثلا في عام ١٩٧٠م ، ٢٢٠ الف طن سكر وارتفع الرقم الى ٣٣٠ الف طن في عام ١٩٧٠م ومن المنتظر ان يصل الى ٤٣٠ الف طن في عام ١٩٨٠م . وتدفع الدولة الملايين من العملات الصعبة لتوفير هذه الكميات للاستهلاك المحلي ! وهي ارقام تفوق بكثير ما يدخل خزائنها من تصدير القطن للخارج ، لان ما كانت تنتجة مصانع السكر محليا ، لم يكن يكفي نصف استهلاك السودان المحلي .

سوق كبيرة في العالم العربي

واخيرا لان هناك بعد ذلك سوقا كبيرة للسكر في الدول العربية الشقيقة ، وتقول الاحصاءات ، وهي آخر ما امكن الحصول عليه أن استهلاك الاقطار العربية من السكر في عام ١٩٦٩م مثلا بلغ ما يقرب من مليوني طن من السكر ، لم يكن لديهم منه اكثر من ربع هذه الكمية التي قدمتها المصانع العربية ، ومعنى هذا ان العرب استوردوا ما يقرب من مليون واربعمائة الف طن سكر من الخارج ! وتقول نفس الاحصائية ان ما استوردته السعودية واليمن بشطريها الشمالي والجنوبي ودول الخليج والكويت والعراق وحدها اكثر من نصف مليون طن من السكر في نفس ذلك العام . ولا بد ان الرقم تضاعف هنا وهناك خلال السنوات العشر الماضية منذ هذا الاحصاء الذي لم نجد اقرب منه !

السيد عبد الرحمن سالم العتيقي وزير مالية الكويت عندما زار المشروع عام ١٩٧٧ .. قال : « يكفي ما سيوفره هذا المشروع الحيوي من فرص عمل لهذا العدد الكبير من الاخوة العرب في السودان »

وليس معنى هذا ان السودان لم يعرف زراعة قصب السكر قبل هذا البحث ، فقد زرع المصريون القصب في السودان قبل اكثر من
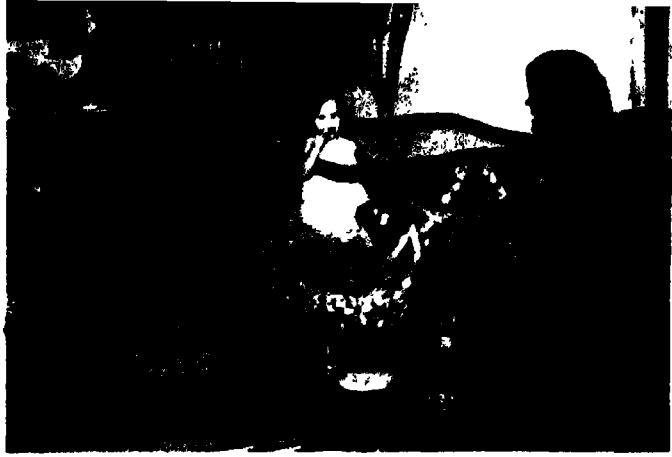
داخل وحدة سكنية خصصت للخبراء الاجانب الذين ستنتهي مهمتهم بانتهاء العمل في بناء المصنع •• مهندس انجليزي مع زوجته وطفليه ، وبيت مزود بكل وسائل الراحة •

الثروة الحيوانية في السودان•• ثروة هائلة ، فهناك اكثر من٥٠ مليون رأس من البقر والاغنام والماعز والجمال موزعة على جميع انحاء القطر ••• (احصاء عام ١٩٧٦) •
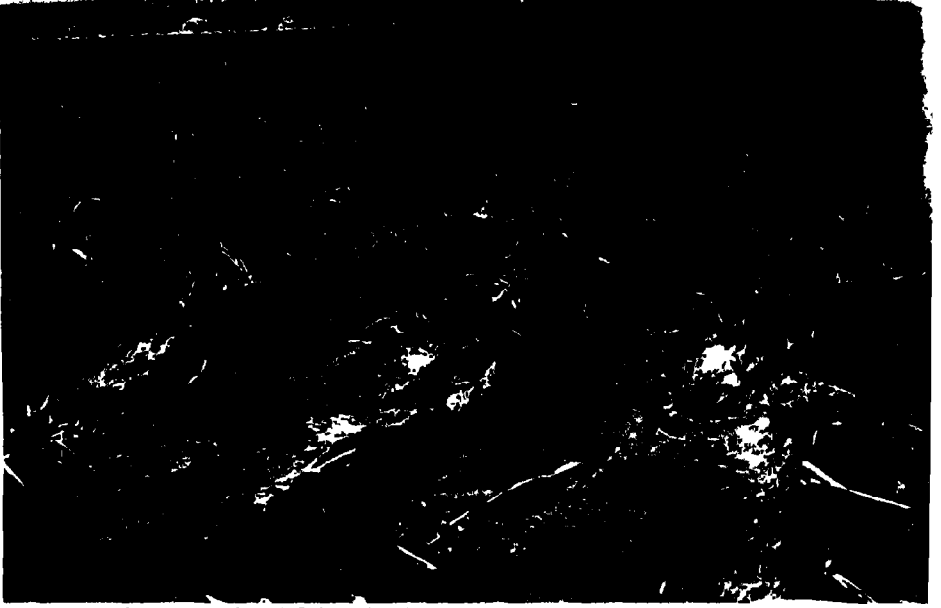
حقل آخر من حقول قصب السكر فى قرى كنانة ٠٠ما زالت العيدان صغيرة لم تنضج بعد ٠٠ ان المساحة المخصصة لزراعة القصب فى منطقة المشروع تزيد على ٨٠ الف فدان ، تمت زراعة نصفها تقريبا او أكثر !

قرية بمساكنها الريفية (القطاطى) هكذا يسمونها ، وهناك عدة قرى تنتشر وسط حقول القصب الواسعة ٠٠ وتتميز هذه المساكن بقدرتها على مقاومة حرارة الجو فى الصيف ، والامطار فى الخريف ، فليس فى السودان شتاء بارد !

ربع قرن واقام السودان اربعة مصانع فى «خشم القربة » أو حلفا الجديدة وشمال غربى سنار وفى الجنيد وفى عسلاية فى ارض الجزيرة ولكنها كانت زراعات محدودة ومصانع صغيرة ، بالكاد يكفى انتاجها ما حولها من المجتمعات الزراعية الصغيرة المنتشرة فى بعض أجزاء وادى النيل الكبير فى السودان •

ثم بدأ العمل الجدى من اجل تحقيق الاكتفاء الذاتي من السكر •• هذا الغذاء الشعبى الذى يدخل فى عشرات الصناعات البسيطة والمعقدة ومن ثم تصدير الفائض منه الى الاسواق العربية فى الدول الشقيقة • وكان ذلك فى عام ١٩٧١م عندما اتجهت الدولة نحو التوسع فى زراعة القصب وانتاج السكر من القصب على اثر الانتهاء من الدراسات التى قام بها الخبراء من المواطنين السودانيين والعرب والخبراء من شركة لونرو الانجليزية ، والتى اكدت كلها ان السودان يمكن ان يصبح اكبر مزرعة لقصب السكر فى العالم العربى كله ، وبالتالى اول دولة منتجة للسكر •

ولقيت نتائج الدراسات ترحيبا من جانب المسؤولين فى حكومة السودان • ورئيس الجمهورية بصفة خاصة الذى كان فى هذا الوقت بالذات يعمل جاهدا من خلال أجهزة التنمية فى السودان على النهوض بالزراعة والصناعة القائمة على الزراعة فى آن واحد •

المزرعة ••• والمصنع

وانتهت الدراسات النظرية الاولية ، لتبدأ دراسات التنفيذ •• وكان بطبيعة الحال موقع هذا المشروع الجديد الكبير اول شاغل للباحثين، أين نقيم هذه المزرعة • ؟ واين يقام المصنع الضخم الذى سيحول هذه العيدان الخضراء الى سكر ؟ واتفق رأى الخبراء أخيرا على ان ارض الجزيرة ، او ارض ما بين النيلين الازرق والابيض هى أنسب مكان لاقامة هذه المزرعة الواسعة والمصنع الملحق بها لسببين •• توفر مياه الرى من ناحية ، وخصوبة التربة من ناحية اخرى •

ووضع الخبراء اصبعهم على الموقع الذى شهد مولد هذا المشروع الكبير فى عام ١٩٧٣ م ، فى منطقة تبعد حوالى ٢٩ كيلومترا جنوبى مدينة « ربك » شرقى النيل الابيض وتبعد حوالى ٢٨٠ كيلومترا عن مدينة الخرطوم (عاصمة السودان) و ٨٠ كيلومترا عن مجرى النيل الازرق او النهر الثائر كما يسمونه لغزارة مياهه وسرعة جريانها فيه•

وبدأ العمل فى شهر مايو من عام ١٩٧٣ م ونقصد بالعمل هنا ، التجارب الزراعية التى اجريت على زراعة القصب فى منطقة لا تزيد مساحتها على ٣٥ فدانا بعيدا عن الارض التى خصصت للمشروع بالقرب من شواطىء النيل الابيض •

وفى عام ١٩٧٤م تم شق ترعة نموذجية من النيل الابيض طولها تسعة كيلومترات وقد ساهمت المياه التى تدفقت فيها ، فى اقامة مزرعة تجريبية اخرى داخل اراضى المشروع فى هذه المرة ، وكانت مساحة هذه المزرعة الثانية حوالى الفى فدان ، وشكلت هذه المزرعة الاخيرة مصدرا أساسيا لاستزراع الارض التى خصصت للمشروع الرئيسى ومساحتها ٨٠ الف فدان •

ولكن المشروع مالبث ان اصطدم بالمشكلة التى كان لابد وان تواجهه •• مشكلة التمويل ، فلم تكن حكومة السودان وشركة لونرو قادرتين على توفير السيولة اللازمة للمضى فى تنفيذ هذا المشروع •• وبناء عليه بدات الجهود تركز فى شرح مزايا المشروع وفوائده للدول العربية الشقيقة •• شركة لونرو من ناحية ، والحكومة السودانية من ناحية اخرى •

الكويت تساهم فى المشروع

وكانت الكويت فى مقدمة الدول الشقيقة التى سارعت الى المساهمة فى المشروع ودعمه فقد دخلت الشركةالعربية للاستثمار،كما دخلت حكومةالكويت نفسها ممثلة فى صندوق التنمية الكويتى ، باكثر من ٤٠٪ من تكاليف المشروع التى ستصل الى ٦٠٠ مليون دولار عند الانتهاء منه • وساهمت الحكومة السودانية بحوالى٤٠٪ أيضا منالتكاليف، وغطت العشرين فى المائة الباقية مؤسسة التنمية السودانية ومؤسسة الخليج وشركة نيشو ايواى Nisho Iway اليابانية وبعض المؤسسات الاخرى•

ثم بدأ العمل فى حفر القناة الرئيسية التى

تتفرع من النيل الابيض وطولها ٢٧ كيلومترا في مطلع عام ١٩٧٦م . وحملت شركة Mcalpine ماكالباين الانجليزية مهمة شق القناة واقامة ثلاث محطات ضخ رئيسية . وكذلك شق قناة فرعية ، وكانت هذه أول خطوة مكنت القائمين على العمل من استزراع أول خمسة الاف فدان من قصب السكر .. لقد توفر المال . وبدا المشروع يخرج الى حيز الوجود . وكانت البداية مشجعة دفعت العاملين الى مزيد من العمل الجاد المثمر ، وخاصة بعد أن قامت مؤسسة الرى والعفريات السودانية بشق قناة فرعية أخرى أتاحت للعاملين امكانية رى وزراعة ١٥ الف فدان أخرى من قصب السكر وبذلك اصبحت مساحة الارض التي تم زراعتها بالقصب ٢٠ الف فدان .

وفى نفس الوقت الذى كانت زراعة القصب تمتد وتتسع كان العمل يجرى على عجل في بناء مصنع السكر ، المصنع الكبير الذى يعتبر ثالث مصنع من نوعه في العالم ، فقد شيد الاول في ايران والثانى فى البرازيل والمصانع الثلاثة ما زالت تحت الانشاء في مراحلها الاخيرة ، صممها نفس الرجل ، وهو مهندس المانى اسمه سونتاج Sonntag .

التقينا به ونحن نجول وسط هذا المجتمع الجديد الذى قام في قلب هذه المنطقة التى كانت الى عهد قريب مرعى للحيوانات ومأوى للقبائل التى استوطنت منذ مئات السنين بضعة أكواخ من الطين والقش تناثرت هنا وهناك ، ومن حولها الحيوانات ترعى ولا شيء اكثر من ذلك !

العمل عنده هواية

وفى مطار المدينة الزراعية الصناعية الجديدة كان لقاؤنا بسونتاج الرجل الذى أمضى اكثر من ربع قرن من الزمان يبنى مصانع السكر في كل أرض يزرعونها بهذا النبات الحلو .... السكر والبنجر ، ولو أنه شخصيا يفضل سكر القصب ، فهو أجود وأحلى أنواع السكر اطلاقا .

قال سونتاج ، وكانت ترافقه زوجته في رحلة قصيرة الى الخرطوم يعودان بعدها الى مقر العمل في المصنع ، قال : « انها هواية أكثر منها عمل احترفه ، وهل هناك أحلى من طعم النبات الذى يقطر عسلا .. لقد شيدت مصانع للسكر في الهند وباكستان وايران والسودان .. وهذا المصنع الذى ترونه امامكم هنا في كنانة ، يعتبر أضخم مصانع السكر في العالم ، انه سينتج في اليوم الواحد أكثر من ١٧٠٠ طن من السكر ، وهو نتاج طحن ١٧ الف طن من قصب السكر يوميا أى أن كل عشرة أطنان من القصب تنتج طنا واحدا من السكر ! » وبعملية حسابية اخيرة يكون انتاج المصنع عندما يكتمل في شهر نوفمبر من هذا العام ٦٠٠ الف طن من السكر سنويا ، سوف يستهلك السودان نصف هذه الكمية أو اكثر قليلا ، ويصدر الباقى للدول العربية الشقيقة عندما تكتمل عملية التوسع فيزراعة قصب السكر

ثروة حيوانية هائلة

تحدث يس حاكم وزير الدولة السودانى للشئون الزراعية بالارقام عن الثروة الحيوانية في السودان ، قال ان الاحصاء الذى اجرى فى عام ١٩٧٦ ، وهو آخر ما لدينا من احصاء رسمي يقول ان في الاراضى السودانية الاعداد التالية من الحيوانات :

الابقار : ١٦ر٣ مليون
اغنام : ١٦ر٧ مليون
ماعز : ١١ مليون
جمال : ٢ر٦ مليون

وهذه الحيوانات موزعة على جميع انحاء القطر السودانى ، ولكن في غرب السودان (أى مديريات دارفور وكردفان والنيل الابيض واعالى النيل وجونجلى وبحر الغزال) .. في هذه المديريات تكمن الاعداد الرئيسية للانتاج الحيوانى .. وهو يكفى العالم العربى كله ويزيد.. والزيادة السنوية في هذه الحيوانات بمختلف انواعها تتراوح بين ٥٪ و ١٠٪ .

في مطار « كنانة » تهبط الطائرات قادمة من الخرطوم مرتين في الاسبوع ، ثم تقفل عائدة الى العاصمة •• وهكذا لا ينقطع الاتصال بين ادارة المشروع والعاملين فيه •• انهم في سباق مع الزمن لانجاز المرحلة الثانية والاخيرة في العام المقبل (١٩٨٠) •

حتى تصل الى الهدف المرسوم (٨٠ الف فدان) في عام ١٩٨١م •

أيام في كنانة

وقضينا بضعة أيام نجول داخل المدينة الجديدة وحولها،وتطوع المهندس الشاب حمزة احمد التقى مدير مزرعة كنانة لمرافقتنا في جولتنا •• لقد قام المصنع معلنا اقتراب الثورة الزراعية الصناعية في السودان ، وقامت حول المصنع وحول الارض الزراعية المحيطة بهاأول مدينة سكنية فيهذه البقعة

قاعة الطعام الرئيسية وسط بيوت المهندسين العاملين في المشروع ، حيث تقدم لهم الوجبات الرئيسية الثلاث باسعار رمزية •• ويجدون فيهااطباق الطعام التي اشتهر بها المطبخ السوداني

الآلة فى الحقل ، وهناك العديد من الجرارات الزراعية التى تنتشر فى مختلف انحاء مزارع القصب الشاسعة كما ان هناك « ورشة » لاصلاحها وصيانتها ٠٠ والعامل الزراعى هنا يقوم بنقل عيدان القصب لاجراء التجارب عليها قبل تقطيعها وزراعتها من جديد ٠

لتى ظلت مهجورة منسية مئات السنين ! مجتمع امل تتوافر فيه كل الخدمات التى يحتاج اليها عاملون من كل الفئات ٠٠ فى الاسكان والتعليم الصحة ودور العبادة ووسائل الترفيه ٠٠ وانتشرت ساكن المؤقتة والمساكن الدائمة التى بدأ العمل فى بيينها واوشك بدوره على الانتهاء فوق رقعة من الارض يد مساحتها على اربعة الاف فدان ٠٠ مساكن ن كل نوع ٠٠ مساكن الفنيين التى شيدت بالطوب لاسمنت المسلح وزودت باجهزة تكييف الهواء ساكن للمزارعين فى القرى الصغيرة المنتشرة

بين مزارع القصب وقد روعى فى بنائها الا تكون غريبة على اهل القرية من حيث الشكل والتصميم ٠٠ ثم محال تجارية لبيع المواد الغذائية لافراد هذا المجتمع الجديد من المزارعين والعمال ومساجد ومدارس ٠٠ واخيرا دور للسينما وملاعب ونواد رياضية ٠٠

١٠ آلاف فرصة عمل

كم فرصة عمل سيوفرها هذا المشروع الجديد لابناء السودان ؟

عشرة آلاف على الاقل بين مهندس وموظف وعامل فني وفلاح ، وعشرة الاف فرصة أخرى للعمال الموسميين ، المجموعة الاولى سوف تستقر مع اسرها ، فاذا قلنا ان متوسط عدد افراد الاسرة الواحدة من أبناء السودان العاملين خمسة افراد فسوف نجد أن أكثر من ١٥٠ الف نسمة سوف يرتزقون من العمل في هذا المشروع بين المصنع والحقل • قال عبدالرحمن سالم العتيقي وزير مالية الكويت عندما دعي لزيارة المشروع في السودان : « يكفي انه سيوفر فرص عمل لهذا العدد الكبير من المواطنين العرب • انني سعيد بهذا المشروع • »

أما الحقل الذي تبلغ مساحته ٨٠ الف فدان ، كما ذكرنا فقد تم تقسيمه الى خمس مناطق ، وقسمت كل منطقة بدورها الى مزارع وكل مزرعة تحتوي على اقسام ، وكل قسم منها يضم الف فدان ••

وكل قسم من هذه الاقسام يعتبر وحدة كاملة متكاملة بكل مرافقها وخدماتها للعاملين وأسرهم •• وكل مجموعة من العاملين في كل قسم تقع عليهم مسئولية العمل والانتاج داخل نطاق دائراتهم • وقد روعي في هذا التقسيم تطبيق نظام اللامركزية كما نرى •

ولم ينس القائمون على المشروع تخصيص مساحة صغيرة من الارض تتراوح بين أربعة وخمسة افدنة في كل قسم من هذه الاقسام لزراعة شتى انواع الخضراوات والفاكهة لامداد العاملين فيه بما يحتاجون اليه •• وبذلك يحقق لهم الاكتفاء الذاتي •

انفع من الذهب الابيض

والخلاصة •• ونحن ننقل هنا عن مدير مشروع كنانة ، السيد محمد البشير الوقيع : « ان الهدف من تنفيذ هذا المشروع هو تحقيق اكتفاء ذاتي للسودان من السكر الذي تنتجه المصانع الاربعة القائمة حاليا في الجنيد وخشم القربة وشمال غربي سنار وعسلاية ويبلغ مجموع ما يمكن انتاجه

مجلس ادارة مشروع كنانة

يرأس المجلس الدكتور بشير عبادي وزير الصناعة السوداني ، ويمثل السودان ثلاثة اعضاء وهناك عضوان يمثلان الشركة العربية للاستثمار وعضوان يمثلان الكويت وعضوان آخران يمثلان المملكة العربية السعودية، ثم عضو واحد لكل من المساهمين الاخرين من غير العرب ، ولا تزيد نسبة من يساهمون به على ٥٪ من تكاليف المشروع •

في هذه المصانع ٤٠٠ الف طن ، أي بزيادة ٤٠ الف طن عما يستهلكه اهل السودان حاليا •• والوصول بانتاج هذه المصانع الى ما هو مأمول ومرتقب ، يتطلب زيادة رقعة الارض التي تزرع بالقصب أو زيادة انتاجية الفدان الواحد وهو ما نعمل الان على تحقيقه •

واذن فسوف يصبح السكر الذي سوف ينتجه مصنع كنانة كله للتصدير مستقبلا ••• وبذلك تستطيع الدولة كسب ملايين الدولارات بالعملة الصعبة ، وتخصيصها لتنفيذ المزيد من مشروعات التنمية •

ثم ماذا ؟ يقول المسئولون عن المشروع : « لا بد لنا ان نعترف بدور الكويت في تشجيع هذا المشروع ودعمه ، فقد كانت الكويت ولا زالت سباقة في المساهمة في مثل هذه المشروعات التي تتصل اتصالا مباشرا بالتنمية الزراعية وتحقيق الامن الغذائي في الامة العربية •

هل يبقى الذهب الابيض في السودان ذهبا •• ان السكر ايضا ابيض وهو اغلى بكثير من الذهب وهو انفع !

يتفانى المخلص فى عمله

وزن «تفاعل» ودلالاته

بقلم : محمد خليفة التونسى

اذا قلنا « يتفانى المخلص فى عمله » فهم السامع ان المخلص يبذل اقصى جهده فى عمله ، كأنه يحاول ان يفنى نفسه فيه . واستعمال الفعل « تفانى » فى هذا المعنى هو المشهور بيننا اليوم ، ولكن بعض لغويينا المعاصرين ينكرون فصاحته ، وحجتهم فى ذلك ان المشهور فى كل فعل على وزن « تفاعل » أن يدل على المشاركة بين اثنين او اكثر ، مثل تجادلا ، وتخاصما ، وتحابا ، ومثل : تجادلوا ، وتخاصموا ، وتحابوا ، او يدل على التظاهر ، مثل : تناوم ، او تغافل ، او تحامق ، اى تظاهر بالنوم ، او الغفلة ، او الحماقة ، وهو خلو منها .

فاذا طبقوا هذه القاعدة المشهورة على العبارة « يتفانى المخلص فى عمله » يجدون ان الفعل « يتفانى » لا يدل على التظاهر ، ولا على المشاركة بين اثنين او اكثر ، وان الصواب استعماله للمشاركة فيقال مثلا « يتفانى المتحاربان او المتحاربون » .

الانكار بهذه الحجة خطأ من جانبين : جانب القاعدة وجانب التطبيق ، فالفعل اذا كان على وزن تفاعل يدل على المشاركة او على التظاهر ولكنه قد يدل على معان اخرى يعنينا منها هنا اولا حصول الفعل بالتدريج او على التوالى فاذا قلنا « تفانى المخلص فى عمله » فمعنى ذلك انه « يفنى نفسه ، بالتدريج خلال عمله » .

وللفعل « يتفانى » هنا اشباه ، منها مثلا المضارع « تساقط » اى « تتساقط » فى وصف امرىء القيس لعذاباته فى مرض موته ، وقد احس أن الحياة تتسلل منه بالتدريج ، والموت يأتيه رويدا رويدا ، فتمنى لو جاءه الموت دفعة واحدة ليخلص من الامه التى هى فوق طاقة اللحم والدم ، فقال :

« ولو أنها نفس تموت جميعة
ولكنها نفس تساقط أنفسا »

ومثل ذلك قول ابن الرومى فى رثاء ابنه الاوسط « محمد » ـ وقد مات طفلا ـ يصف تقلبه بين الايدى التى تحتضنه وهو يذوى بالتدريج كما يذوى الغصن الطرى .

« وظل على الايدى تساقط نفسه
ويذوى كما يذوى القضيب من الرند
فيالك من نفس تساقط أنفسا
تساقط در من نظام بلا عقد »

ويلاحظ فى عبارتنا « يتفانى المخلص فى عمله » كان الفاعل هنا مفعول به ايضا ، وهذا كثير فى لغتنا ، فيقال مثلا « رايتنى فى الحديقة » و « وجدتنى على النهر » و « حسبتنى فى حلم » فالرائى هو المرئى ، وهكذا .

وعلينا هنا قبل المضى فى بيان دلالات الافعال على وزن « تفاعل » ـ ان نذكر تعريف الفاعل فى لغتنا وهو « الاسم الذى يدل على من فعل الفعل ، او اتصف به » فاذا قلنا « يتطامن السيد الكريم لخادمه » فالسيد هنا هو الذى حدث منه « التطامن » واذا قلنا « تطامن انفه » فالانف متصف بالتطامن ، كما نذكر ان الحدث فى الفعل الماضى (على وزن « تفاعل » او غيره) هو الحدث

في مضارعه وفي الامر منه ، وفي مصدره ، واسم الفاعل منه واسم المفعول ولهذا يجوز لنا هنا ان نضرب الامثلة بالمصدر وكل مشتقاته •

خلاصة أقوال قديمة وحديثة

يشير ما اطلعنا عليه من كتب الصرفيين القدماء الى أن الفعل « تفاعل » ياتي من اثنين أو جماعة بمعنى افتعل ، مثل تلاقينا بمعنى التقينا ، وتخاصما ، بمعنى اختصما ، كما ياتي من واحد ، مثل « تراءيت له » ، وياتي بمعنى اظهر ، مثل : « تغافل وتجاهل وتمارض » اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وهو خلو من ذلك •

واوضح ما اطلعنا عليه ، في ذلك عند المحدثين ما ذكره الشيخ احمد الحملاوي في كتابه « شذا العرف في فن الصرف » وخلاصة ما أورده ان « تفاعل » اشتهر في أربعة معان •

١ ـ التشريك بين اثنين فاكثر ، فيكون كل منها فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى ، مثل : تجاذب زيد وعمرو ، فكلاهما جاذب ومجذوب •

٢ ـ التظاهر بالفعل دون حقيقته ، مثل : تناوم وتغافل وتعامى ، أي أظهر النوم والغفلة والعمى ، وهي منتفية عنه •

٣ ـ حصول الشيء تدريجا ، مثل : تزايد النيل، وتواردت الابل ، أي حصل ذلك بالتدريج •

٤ ـ مطاوعة فاعل ، مثل : باعدته فتباعد •

ملاحظات اضافية

وقد انكشف لنا من تتبع طائفة من الافعال على وزن «تفاعل» انها تاتي لمعان كثيرة ، وهذه خلاصة ما انكشف لنا منها ، ونقسمها قسمين مجملين لم نفصلها ، وقد لاحظنا أن بعضها ياتي من واحد ، وبعضها ياتي من اثنين أو جمع •

أولا : تفاعل من واحد

ياتي « تفاعل من واحد » مثل : تبارك الله وتعالى ، وتطامن البعير ، وتجافى جنبي عن المضجع ، وتقاعس الجبان عن الحرب ، وتخاذل في نصرة صديقه ، وتراخى الاجل بالشيخ ، او ترامى به العمر ، وتهالك البخيل على المال ، وتشاءب الطفل ، وتفاءل بالنجاح ، وتعاظم في قول أبي نواس منيبا الى الله :

تعاظمني ذنبي ، فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ويقول عمر بن أبي ربيعة في قصة له مع نسوة استدعينه الى مجلسهن مخادعات له ، وهو يظن انه يخدعهن :

تبالهن بالعرفان لما رأينني
وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وفي هذه الحال يدل الفعل على أحد المعاني الاتية :

١ ـ التظاهر بالفعل رياء ، مثل : تحامق مع الحمقى اذا كنت فيهم ، وكما في قول الشاعر

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظن أني جاهل

٢ ـ تكلف الفعل عن اعتقاد به ، مثل : تتباهى الفتاة بجمالها ، وتتفاخر بنسبها ، وتتواجه بثرائها ، وتتعاظم بثقافتها، وتتفاصح في كلامها، وتتعالى في معاملتها ، وتتمايل في سيرها ، ويقول : بشار

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر

٣ ـ المشابهة ، مثل : تكالب على الشهوات (أي أشبه الكلب في الحرص عليها) وتذاءبت الريح ، (أي أشبهت الذئب في اتياله من جهة مرة ، ومن غيرها مرة ، وربما كان منها « يتخايل في مشيه » (أي يشبه الخيل ، فانها تمشي احيانا متعرضة بجنبها ، لا الى الامام) •

٤ ـ حدوث الفعل متتابعا ، مثل : تماوج صوت أم كلثوم ، وتقاطر المطر ، وتناقص الماء بالتبخر ، وترادف الرزق ، وبتهالك على الدروس، ويتحامل على خصمه ، وتقادم العهد ، وتنامى الطفل وتهاوى البناء ، وتراجع في سعيه ، وتراخت الحملة ، وتسارعت الحركة ، وتواتر الحديث ، وترامى الينا الخبر ، وتمادى في الضلال •

٥ ـ الدخول في شيء ، او الميل اليه ، مثل : تيامن الطريق ، وتياسر في سعيه ، وتباشر بالصباح ، وتفاءل بالوجوه الحسان ، وتشاءم بنعيق البوم ، وتكاسل في عمله ، وتساهل في حقه ، ومثل : تشاب الطفل (اي مال الى الشاب وهو الفتور والكسل) •

٦ ـ طلب الفعل : مثل تقاضاه الدين (اي طلب منه قضاءه) وتحاكم الشاعر الى الناقد (اي طلب حكمه) ، ذهب الى الطبيب ليتداوى

يتشافى (اى يطلب
من اى وزن) اى
فتنافر (اى انتثر)
، ومثل « تدافع »
نخل اليشكرى فى
العربى :
مت
الى الغدير
، متصف بالفعل ،
: فى معنى المبنى

(اى دون تاثـر
الثلاثى ، مثـل :
ساءل عن اخيه(سال)
ر عليه (جسر)
باوز الحد (جاز)

مثل : اعطيته فى
« قليلا) وتعاظمت

او المقام هو الذى
انى ، وقد يصلح
ركنا نود ان نضرب
.

اثنين او جمع

، او جمع ، مثل :
تجادلا فى القضية،
: تواصوا بالحق
كالاخوان وتعاملوا
« تفاوى » فى قول
البشر ، وتهالكهم
ن من ذلك نفسه :
جيفة
ت لأمها كلبا
تحسناه يدل على

تراك فى الفعـل ،
لا وتشاربا ساعة
فى صمت،ومثل :
كانوا متعاصرين .

وتزامنت الوقـائع (اى وقعت فى زمن واحـد) وتناهبوا الغنائم .

٢ ـ التبادل (ويدخل فيه التشارك ايضا) مثل : تامروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، (اى تبادلوا ذلك ، فامر بعضهم بعضا بالمعروف، ونهاه عن المنكر) ومثل : وتعاونوا على البـر والتقوى ، وتتجاذب الكواكب والنجوم ، وتعامد الخطـان ، يتقارضان الثنـاء ، تعـارفا بعد ان كانا متناكرين ، تقايض المتبايعان ثم تفارقا ، الصديقان يتساران ، اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان ، تفاهما فى القضية ، تتارك المتخاصمان، ثم تهادنا ، وتصالحا وتسالما ، ثم تهاديا المودة.

٣ ـ المغالبة فى الفعل (وهى تشمل التشارك والتبادل بين طرف واخر مع رغبة كل طرف ان يغلب الاخر) مثل : تفاخر الشاعران ، ثم تهاجيا، تبارى الفريقان فى الكرة ، تتسابق الخيل ،يتسابق المتحاربون الموت و «فى ذلك فليتنافس المتنافسون» والاحياء تتنازع البقاء .

ويلاحظ ان الافعال على وزن «تفاعل » اذا كانت تاتى من واحد فانه يمكن ان تاتى من اثنين ومن ذلك مثلا : يتلاعب القط بالفار . اذ يمكن ان نقول : يتلاعب الطفلان او الاطفال بالكرة،ولكن من الافعال الدالة على اثنين ما لا يمكن ان ياتى من واحد ، فنحن مثـلا لا نقول : « تخاصم محمـود » ونسكت بل لابد ان نذكر له خصيما .

وبعض الافعال تاتى من واحد ومن اكثر ، مثل : « تفانى » فهو يمكن ان يدل على أكثر من واحد كما فى قول شاعرنا الجاهلى زهير بن أبى سلمى فى مدح هرم بن سنان والحـارث بن عوف حين اصلحا بين عبس وذبيان وتحملا الديات بينهما على اثر تحاربهما :

تداركتما عبسا وذبيان بعدمـــا
تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم

ويقول المتنبى فى تهوين رغائب الدنيا وانها احقر من ان نتهالك عليها :

ومـــراد النفوس أصــغر من أن
نتعـــادى فيه وأن نتفــــانى

ويمكن ان ياتى « تفانى من واحد » كما وضحنا انفا .

وللفعل على وزن « تفاعل » افعال من جنسه.. ترادفه ، سنتناولها فى صفحة قادمة بعون الله .

■■

.. عودة الذكرى

شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي

■ وانسابت الذكرى تقلـ ... قلُ مضجعي وتقض امنى ..
وتدافع الأمسَ البعيـ ... ـد فقرَّ في عينى وأذنى
وبعثت فيّ . . وكنت مد ... فونا على مضض وضن
ورجعت أعنفَ ما تكو ... ن .. فما الذي ترويه عني .. ؟
أتراك تعرفني ؟ وما ... أبقى الزمانُ عليك منى ؟
وأنا التى كانت وكنـ ... ـت .. فأين أنت ؟ وأين أينى؟!
حدث عن الأمس البعيـ ... ـد .. عسى حديث الروح يغنى
وانقل عن العهد الأكيـ ... ـد .. وقل بأنك لم تخنى ..
وأفضْ على الروح الأما ... نَ ، وقلْ : أيا نفس اطمئنى ...
فلكم ضنيتُ وكم ظمئـ ... ـتُ وكم ضللتُ وتاه ظنى ؟
ونسيتنى . . حتى كأنـ ... ـك لم تكن .. وأنا كأنى .. !
ولقاؤنا المشهود والـ ... ـقسم العظيم يُشيحُ أذنى ..
اكذاك عهد المالكيـ ... ـن : الغدر من بعد التجنى؟ !
ونسيتنى والغيد حو ... لك حُوَّمٌ تثنيكَ عنى
ويغرك الألَقُ السرا ... ب ، فتنتشي من غير دنٍّ
وتدل بالتاجين : تا ... ج المُلكِ والحسن المرن
وأضاع في بحر الغرو ... ر ، فيالخفة مرجحنٍّ !
وأنا؟ ترى ماذا لديـ ... ـك؟ ومن أنا ؟ ماكنت اعنى .. ؟

ـــــــــ لك ، وويلتاه عليك منى .. !
رى وقـــد طفحت على جيـبى ورُدْنى
الصـــمــو ت يهل دمعا بين جفـــنى
رف المبـــ ن ، فيا لعــىً قيد لســن
ــــــا ء يجد في سمعــي وعيــنى
ما تكـــو ن ترفُ من دَلٍ وحســن
والـــــ غيدُ الحســانُ عليك تُثنى
خــــلا تق كالضحى في يوم دَجْنٍ ..
القلـــو بِ خُطى المليك المطمئن
حـــا م ، فكنت منك ، وكنت منى ..
الغريـــ ر ، وما تشكك منك ظـنى
ـــــو د على المدى ، وثبت أنّــى
س منـــك ، وما أراه يضيع مـــنى .. !
مس لـــ كن لن اراك تغيبُ عنى ..! ■■

قصة قصيرة

كشف الهيئة

بقلم : عباس أحمد

رسم : حلمى التونى

■ حينما هبط عصام في محطة سيدى جابر ، لم يكن المساء قد خيم تماما على مدينة الاسكندرية ، ولم يكن قد راى البحر في حياته من قبل . سار بضع خطوات يبحث عن صديق له فى انتظاره . شعر بالهواء كانه قطع من الثلج الصافى تذوب بين يديه وفى روحه . راى الاشياء وقمم الشجر والبيوت البعيدة تلمع من خلال صفاء رائق كالبلور . كان يثبت منظاره على عينيه ، وينظر الى الافق ، وحين عاد ، دخل صديقه رواش فى مجال رؤيته . واحتضن الصديقان . قال رواش :

– اين طلبة ، لماذا لم يات، معك .

– عدل عن رايه .

وامتعض رواش قليلا ، واحس بخيبة الامل . ذلك ان طلبة بالذات ، كان هو الذى اثارهما للتقدم لمعهد التربية ، والدخول امام لجنة كشف الهيئة التي ستنعقد غدا . كان اكثرهم حماسة . كان هو الذى قال لهم حينما اجتمعوا عنده فى القاهرة منذ ثلاثة اسابيع ، انه يجب ان نترك وظائفنا الحقيرة هذه التي نشغلها ، ونتخصص لتعليم ابناء الشعب . ان هذا هو الطريق الوحيد الذي يناسبنا ونناسبه ...... بل ان هذا هو الطريق الوحيد الذي يفتح كل الطرق الاخرى .

وكان عصام ورواش – على كل حال – يعرفان ان طلبة ، مهما تحمس ، واخذ على نفسه العهود والوعود ، يمكن دائما ان يخلف ، ولذلك سرعان ما تعديا الموقف . قال عصام ، وعيونه تريد ان تغطي كل شيء .

– اين البحر الان ؟

ضحك رواش

– لا تستعجل . بمجرد ان نضع حقيبتك فى المنزل ، سننزل اليه . ويمكنك ان شئت ان تغرق فيه نفسك .

واصر عصام على ان يركب الترام فى الطابق الثاني . كان البحر يلوح له من خلف الشوارع الضيقة فى لمحات سريعة.. لم يفهم وضع البحر بالنسبة للمدينة لم تكن للشوارع نهاية . كانت نهاياتها شفافة مضيئة دائما .

قال رواش ، مقلدا سمت الحكماء .

– يجب ان تحذر من نفسك تجاه البحر . شيئان يمكنهما ان يقصفا عمرك قبل الاوان ؛ البحر والنساء .

لم يضحك عصام . كان البحر قد لاح له في قوس كبير ثم اختفى . كأنه خطف عينيه للحظة . بل كأنه خطف قلبه . قال : ـ

ـ الواحد محدث .

ونزل الصديقان في الشاطبي . وعلى شارع دينوكرات الذي يقطن فيه رواش ، بدا البحر كأنه اشرطة من الحرير . وعلى النواصي ، كانت البنات والصبيان تفرد باحاديث متآنسة وبين وقت وآخر تنهيدة عالية .

ـ احبك ... احبك موت آه .

في شقة رواش فوق السطوح ، عاد الصديقان يناقشان لماذا لم يات طلبة . وقال رواش :

ـ لعله علم ان السلالي باشا ، سيكون رئيس اللجنة ـ فايقن ان فرصته لن تتاح .

ـ لم يقل لي ذلك .

وكان السطوح مفتوحا على البحر ـ في صدره شقة رواش ، وعلى يمينه شقة مدام تاسيا والماء الازرق الصافي يملأ الساحة بالجلال والفرح . وكانت مدام تاسيا قد خرجت ـ مشت في الساحة قليلا ، ثم وقفت وضمت روبها الاحمر حول جسدها . يبدو انها تحاول ان تتذكر شيئا . ثم لم تلبث ان عادت بسرعة الى شقتها واغلقت الباب .

قال رواش غاضبا .

ـ عصام ... يجب ان نناقش بجدية ... هل سندخل امام لجنة كشف الهيئة غدا املا ...

واجاب عصام مبتسما وهادئا .

ـ انا لم اتردد في هذا الامر ؟

ـ اذن يجب ان تنصت الي .

وكانت تاسيا قد خرجت مرة اخرى . وراحت تنشر على الحبل فوطة بيضاء ناصعة . وقف عصام بعد ان كان جالسا .

رأته تاسيا يحملق فيها ـ ابتسمت وحيته . وقف رواش عن الكلام . رأته تاسيا .

ـ ازيك يا مسيو رواش ... دى اخوك ...

ـ لا يا مدام . دا واحد صاحبي . تصوري بيشوف البحر اول مرة في حياته

ـ باين عليه . عينه واسعة « كتير » .

وضحكت المرأة ... وانصرفت

ولاح القماش الابيض اللي نشرته على الحبال كأنه معلق في الفضاء وترقرقت عين عصام ب[illegible] الالوان .

ـ من هذه المرأة . قل لي عنها شيئا .

وجاء صوت رواش ساخرا .

ـ اقول لك عنها شيئا انها امرأة طيـ[illegible]

ـ وماذا ايضا .

ـ ان مدام تاسيا تحبك . انها مديرة « الركن الصغير لفرنسا » سنخرج ونتنـ[illegible] عشاءنا هناك . هل انت سعيد ؟

ولم يستطع عصام ان يهدأ . خرج من الـ[illegible] الى ساحة السطوح تجول في ارجاء السطو[illegible] نظر على شبابيك مدام تاسيا عن قرب ، و[illegible] عندها ... قال في نفسه يا سلام ان البـ[illegible] لا نهاية له وفاجأه صوت رواش من بعيد .

ـ ماذا تفعل هناك يا عصام

ـ لا شيء يا رواش (بعد لحظة) لماذا تلاحقني ؟

وعاد عصام يتجول على مرمى السطوح البحـر ...

ـ مدام (وصمت ... ثم همس) ما لون عيونك ؟

ـ (وبدت عيون مدام تاسيا من خلال الشـ[illegible]

ـ (يهمس) مدام

ـ «العيون تاسيا من خلال فرجات الشيشـ[illegible] لم يبد انها فهمت شيئا » .

ـ مدام تاسيا ... انا اسمي عصام [illegible] من آخر العالم لكي تحدث بيننا هذه اللحظة لماذا لا تفتحين الشباك .

ـ (وعيونها ما تزال بين فرجات الشيش) لا اريد ...

ـ (لم يسمع عصام) . مد انه همس [illegible]

ـ لا اريد .

وكاد عصام لاول وهلة ... ان يمد اصـ[illegible] بين فرجات الشيش ولكن عيون تاسيا ابتعدت وسمع الصوت واضحا .

ـ لا اريـد

ارتد عصام عن فرجات الشيش وهو يـ[illegible] في ذهول . ووجد نفسه يترنح على مرمى الـ[illegible] وكانت الموجات البيضاء تحطه الى بعيد ، و[illegible] تحامل ، ودخل شقة صاحبه واستلقى [illegible]

السرير ، وقد يكون نام بعض الوقت .

في الليل — بينما عصام يهبط السلالم وراء
رواش ...

— انا لست متأكدا ... انني اريد ان اذهب
امام كشف الهيئة غدا .

وكان الشارع فارغا تماما من كل الناس ،
كان البحر مجرد ظلمة وراءهما . ولم يستطع
رواش ان يقول شيئا الا ان يهز كتفيه ويسير
بجانب صاحبه .

قال عصام

— هل الركن الصغير لفرنسا بعيد عن هنا ؟

— (نظر اليه رواش وكل غضون وجهه مملوءة
هم) ليس بعيدا . (بعد لحظة)
هل تريد ان تنام معها ؟

— (عصام فوجىء بالسؤال) بعد وقت
طبعا » .

— هل تسخر مني ؟

— لا

— انا سمعتها تجاوبني

— سمعتها تجاوبك ؟! ماذا تعني .

— قالت لا اريد

— ها ... ها ... ها ... هي
ت ذلك ... يالك من ساذج .
متى قالته ؟!

— سنذهب اليها ونرى

« الركن الصغير لفرنسا » — في شارع
ة زغلول — دخل الصديقان .

نت مدام تاسيا واقفة على البار . في الركن
ون يوناني عجوز .

هل يمتد من الانفساح العريض الى ركن
ضيق يحوي السلالي باشا جالسا مع
ه .

س عصام

نرجع يا رواش .

، رواش وهو يضغط ذراع صديقه .

هذه فرصتنا اذا اردنا ان ننجح في كشف
غدا .

ر الباشا من ركنه البعيد ، عليهما ، وقد
يتسم .

تاسيا فرحت بوجودهما . اصبحت كانها
شخاص في المحل .

جاءت لهما بمفرش جديد على المائدة . وضعت
امامها الكئوس من اشكال مختلفة

ضحكت مع رواش . نظرت في عيون عصام
بحذر

— شفت البحر مسيو عصام .

— (ارتبك عصام قليلا ... احب نطقها
لاسمه) أيوه . لكن مالحقتش (لم ينظر في
عينها . ادرك حذرها ، فكلمها وهو خافض ...
العينين ..) . « لا احد يستطيع ان يرى البحر
دفعة واحدة » .

ضحكت تاسيا ضحكة صغيرة . ذهب حذرها
فجأة

— ايوه ... يبدو ان صديقك شاعر مسيو
رواش . (رفع عصام عينيه — وتلاقى معها)
السلالي باشا ... في ركنه البعيد كح كحة
عصبية . نادى عليها . ذهبت اليه .
قال عصام

— لقد تحدد الموقف يا رواش

— اى موقف هذا الذي تحدد

(غضب عصام من برود صاحبه)

وكان الباشا في الركن يقف تجاه تاسياويتدفق
معها في كلام ما . كان يملأ المكان . كانت نظارته
سميكة ... وبدت عيونه كأنها مسلحة . اى
نظرة فيها كانت متسلطة وهادفة . أى اتجاه
منها كان يذهب الى حيث يريد بالتحديد .

حاول عصام ورواش ان يفهما حديث الباشا
المتدفق بالفرنسية . ادركا انه يطلب منها كاسا
خاصة من الخمر . كان يشرح لها النسب التى
تتكون منها الكاس . كان يشير باصابعه محددا
كل كمية على حدة . كانت اصابعه طويلة تتحرك
برشاقة وبطء كأنها ديدان . وكان هو نفسه
يتحرك برقة وحرية — حتى اصبحت المرأة في
متناوله تماما ، وكانت هي بنفسها كانها استسلمت
له .... ولكنه برقة ايضا تحاشى ذلك .
وعادت تاسيا بسرعة الى البار . سحبت بعض
الزجاجات . اضافت من بعضها الى بعض .
في اول الامر كان المشروب في الكاس في حمرة
العقيق ، ثم اضافت اليه من جديد فاصبح
كعصير القصب الطازج . ثم اضافت اليه شيئا
كأنه البهارات او التوابل .

— قال الباشا وهو يتذوقه

— برافو .... برافو ...

قالت

ـ لا احد ياصاحب السعادة يستطيع ان يعد لك هذا المشروب سواي . ضحك الباشا وقبلها على جبينها برقة .

وشعر عصام كانه يلقى بـه بعيدا على ساحل البحر ، والبحر اسود ، لا يعطيه شيئا

ـ مالـك .

ـ (عاد عصام ـ لكنه ظل غير متحد بما حوله) لا شيء .

ـ تبدو متعبـا .

ـ دوار مفاجيء اصابني

وقام عصام ، وسأل الجرسون .

ـ اين دورة المياه

واشار الرجل الى الركن الذي يجلس فيه الباشا .

ـ في هذا الاتجاه على الشمال .

وكانت تاسيا تقف على البار حاملة وجهها بين كفيها . وكانت حزينة . قبـل ان يتحرك عصام ... رأى وجهها كانه يغرب . كانت الان في وضع لا يراها فيه الباشا . يبدو ان حزنها كان عميقا . سمع صوت رواش .

ـ هل آتى معـك ؟

ـ لا ...

واذا به ينثني نحو تاسيا على غير توقع منه او من اى احد آخر . فوجئت المراة به . عادت من استغراقها البعيد . لم تتكلم ولكنها كانت كانها تقول شعرا . لما همس عصام بكلمة لـم تدركها ابتسمت ، وظلت ابتسامتها حزينة.... قال عصام كلمات اخرى . كان يحدق فيها . كانت كلماته منغمة كتعاويذ السحرة . قالت المراة اخيرا .

ـ توجد دورة مياه خاصة داخل البار . تعال .

ولكن كل شيء ـ في هذه اللحظة بالذات ـ كان قد تكدس وتكشف .

الباشا هرع الى البار وبقايا كاسه في يده .

ـ مدام تاسيا ، اعدى كاسا اخرى .

وفي نفس الوقت ـ على باب الركن الصغير لفرنسا كان زائر جديد واقفا يرقب المحـل بتمعن ... وكان رواش ايضا واقفا .

★★★

النور الاحمر الداكن على مدخل المحل . لم يبين ملامح الرجل الواقف . ومع ذلـك فكل واحد منهم قدر من هو . وفي هـذه اللحظـة المطلقة ـ لتقدير الشخص العام وحصره في اطار شخص معين ، تلمع الاحـلام في خواطرهـم . السلالي باشا ظنه سائقه معتور

بينما رواش صاح ... طلبة ... طلبة ...

بينما الجرسون العجوز تحرك بقلق بين ارجاء الركن ، لا يستقر . واختفت تاسيا ، كان الارض انشقت وابتلعتها .

ولكن عصام كان قد واجه الباشا

ـ فلينته كل شيء الان .

ـ طلبة ، افعل شيئا .

ـ الحقني يا معتور . سيقتلني .

ـ لا بد ان ينتهي كل شيء الان .

ـ معتور الا ترى انه يقتلني اطلق عليـه الرصاص

ـ (لاح بينهم مسدس ... انطلق بلا صوت)

ـ طلقة اخرى ايها الابله .

ـ طلبة ... الا تحاول شيئا لانقاذ الموقف ؟

ـ سينتهي كل شيء الان .

ـ قدرت انكم هنا . وان هذا كله سيحدث .

ـ ليس هذا وقته . لقد انبثق الدم من انف الباشا .

ـ لم يمت بعد ..

ـ البحر راح . كل الانفتاح انغلق .

ـ بل انه طريق بلا نهاية .

ـ بل انها نهاية بلا طريق .

ـ ليس ثمة شيء الان بذى جدوى .

ـ اطفئوا الانوار .

ـ اطفئوا الانوار .

ـ من بين شيش الشباك نرى شيئا .

ـ فرجات الشيش

ـ نبص فيها

نلاقي وما نلاقيش .

ـ لا بد زى السواقي .

ان كنا عايزين نلاقي .

ـ نملا ونصب بره .

ـ في الغيط .

ونصب .

ونحب .

والليه تبقى مرة .

■■

عباس أحمد

تعامل الغرب

علـى العرب
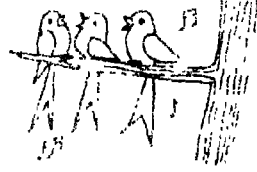
● قرات فى العدد الممتاز
مجلة العربى لشهر كانون
انى ١٩٧٩ تعليقات الدكتور
د زكريا على كتاب (معاولة
م العقل العربى) لمؤلفه
ون لالن) وتفنيده الطيب
جاء فى هذا الكتاب من
ل مفرض على العرب
سلمين ، وقد سبق لى ان
، مقالا للاستاذ محيى الدين
ى فى مجلة (الحياة
نية) لصاحبها سمير
كلى مجلة ١ عدد ٢ لشهر
، ١٩٧٨ بعنوان (نحو
تعامل الغرب على
،) ، وقد تطرق الكاتب
ل الى ما جاء فى كتابين
ا اليهودى رفائيل باتاى
(العقل العربى)
لعقل اليهودى) حاول
هذا المؤلف ان يصور
اليهود على انهم جزء
ضارة الغربية وبالتالى
لتها والمدافعون عنها ،
العرب بانهم امة بدوية
جامدة تقليدية غبية
ة عدوانية ، وانهم
، للغرب بفطرتهم
تكوينهم • وبالنسبة
فان الثقافة الغربية
تعتبر كل جديد افضل من كل قديم ، وان التغيير فى حد ذاته يعتبر حسنا لديها ، اما الثقافة العربية المرتبطة بالتقاليد فتعتبر القديم افضل من الجديد وبالتالى فان المحافظة على النظام القائم تعتبر فضيلة (كذا) •

واذا ما عدت الى تعليقات الدكتور فؤاد زكريا القولبانني قد قرات كتاب (جون لالن) وانا اعالج فى احدى مستشفيات لندن ولم اتمالك بعد ان انتهيت منه من صب اللعنات على العالم الغربى الجاحد الذى يتقبل مثل هذه الافتراءات عن العرب وفيه عدد كبير من المثقفين والمستشرقين الذين درسوا تاريخ العرب وتعرفوا على فضلهم على الحضارة الغربية اليوم ، كما ان هناك كثيرين ممن زاروا البلاد البلاد العربية وعاشوا فيها ردحا من الزمن واختلطوا باهلها وعرفوا ما عند العرب من فضائل اخلاقية موروثة لم تتبدل رغم المصائب والنكبات التى اصابتهم •

اننى فى الوقت الذى اقدر فيه حق التقدير تعليقات الدكتور فؤاد على كتاب (جون لالن) كنت اتمنى لو كان هذا المقال باللغة الانكليزية ليطلع عليه الغربيون ليتبينوا ما فيه من دس رخيص وتحامل وافتراء على الحقيقة وخروج عن الموضوعية التى يحاول بواسطتها المؤلف الاساءة الى العرب لاغراض شخصية او بدوافع سياسية او لكسب منافع مادية من رواج كتابه فى اسواق الكتب المثيرة للعداء بين الشعوب والامم •

ان (جون لالن) و (رفائيل باتاى) ليسا وحدهما فى هذا المضمار ، بل يتابعهما فى ذلك مؤلفون اخرون هم الذين يشكلون التكوين الثقافى لرجال الاعلام الغربى فينشا الغربيون ولديهم فكرة مغلوطة وثابتة ضد العرب • وليس من حل لهذه المشكلة التى تحول دون تفاهم الغرب مع العرب الا باعادة تثقيف العالم الغربى عن طريق كتب يضعها اساتذة من العرب مؤمنون بعروبتهم وعدالة قضيتهم باللغة التى يقرؤها الغربيون •

شريف يوسف
العنوان فى بغداد
محلة نجيب باشا ـ شارع
الحريرى ٥/٢٣ ـ ٢٧

● قرات فى العدد ٢٤٢ لعام ١٩٧٩ فى باب «كتاب الشهر» نقد الدكتور فؤاد زكريا لكتاب « العقل العربى تحت الفحص » للمؤلف الانجليزى المتعصب

«جون لالن» ويطيب لي ان ابعث للدكتور زكريا عبر مجلتنا الرضية الهادفة باطيب التحيات والتقدير للاحظاته القيمة العميقة •

وبالمناسبة هل تعلمون ماذا يفعل اليهود في مثل هذه الحالة ؟ انهم يسارعون دون ابطاء بواسطة المتخصصين منهم لهذه الغاية وبمساعدة مؤسساتهم المالية الغنية الى جمع نسخ الكتاب بابتياعها من المكتبات مهما غلا سعرها واتلافها حتى لايطلع عليها احد ! ثم من يدرينا انهم هم قد اشتروا هذا المؤلف وحملوه على تاليف كتابه للتشهير بنا والحط من شاننا سيما واننا لانجهل اساليبهم الخبيثة في سبيل كسب قضيتهم على جميع المستويات والظهور بمظهر المتفوقين علينا في جميع المجالات • فاين مؤسساتنا واين الريالات ــ وهم كثر ــ يبددون الاموال بلا حساب على الترف والكماليات للتصدى لهذا العمل الجليل ؟

ان القضايا القومية تحتاج الى نضج وتضحية لكسب الراى العام العالمى ومجابهة عدونا المثقف الشرس ، وكفانا دعايات للاستهلاك المحلى فقط ، فالدعاية المفيدة والفعالة مكانها الصحيح المنبر الدولى •

واسمحوا لي ، بهذه المناسبة ، ان اقترح تاليف لجنة قومية على مستوى الوطن العربي من كبار مثقفينا ووضع كل الامكانات تحت تصرفها تكون مهمتها الاطلاع على كل ما يكتب عن العرب للاجابة عليه وتفنيده • والله من وراء القصد •

دمشق — معذى هنيدى

العروبة فـى مصر

● قرات مقال الاستاذ اكرم زعيتر فى عدد (مارس) ١٩٧٩

وقد بعث السكينة في قلبي وكان كالغيث في وقت الجفاف •

ففي هذا الوقت تنطلق الاقلام الرخيصة لاستغلال الخلافات السياسية بين الاشقاء العرب في محاولة لهدم الكيان العربي الذى يقف حائلا امام الاطماع الاستعمارية وذلك باطلاق الافكار المسمومة لتشويه صورة مصر والنيل من عروبتها ونزع جذور الانتماء الذى يحسه كل فرد مصرى تجاه وطننا الام •• عالمنا العربي •

ومجلة العربي بتقديمها لمثل هذه المقالات انما تؤدى التزاماتها الكاملة نحو العروبة •

عبدالرحمن كامل

بلبيس ــ شرقية •

ازمة الديمقراطية في العالم العربي

● ان ازمة الديمقراطية في عالمنا العربي ، تتمثل في ان حياة المجتمعات العربية سياسيا ودستوريا من حيث الواقع والعمل ، اصبحت بعيدة عن جوهر التعبيرات والاشكال الدستورية القائمة ، بصورة تفتح الباب الى فقدان الاستقرار المطلوب للتنمية والتطوير •

وقد عبر المرحوم الاستاذ عبدالرحمن الرافعي اصدق تعبير عن هذه الازمة بقوله : (من الحق ان نلاحظ الفارق الكبير بين نصيبنا من النظم الديمقراطية ، ونصيب كثير من البلدان التى سبقتنا اليها ، فالديمقراطية عندنا ــ والمراد منها حكم الشعب بواسطة الشعب ولصالح الشعب ــ تتعثر في سيرها ، ولايتجاوز نصيبنا منها بعض الظواهر التى تخفى وراءها اوضاعا ومعانى من الاستبداد والحكم المطلق) •

ولا شك ان اهم مظاهر هذه الازمة يرجع الى عدم قدرة المؤسسات النيابية على التمثيل الشعبي بكفاءة وفاعلية وعدم القيام بوظائفها التشريعية ، علاوة على التدخل الادارى المباشر او المقنع في تزييف الانتخابات البرلمانية •

عمرو عبدالمنعم

مصر •

الاطباق الطائرة بين الحقيقة والوهم

● في العدد رقم ٢٤٣ كتب الاستاذ مجدي نصيف مقالة عن عودة الاطباق الطائرة وخلاصة ما توصل اليه: ان هذه الاطباق خدعة تتحمل مسؤوليتها المخابرات الامريكية •

والحقيقة ان رؤية الاطباق الطائرة ليست وليدة يومنا هذا فهناك مقالات عنها في مجلة ريدرز دايجست في الاعداد التي تلت الحرب الكونية الثانية • وفي هذه الاعداد ما يدلنا عند ويطبه فكريا بالمعلومات المستجدة ان هناك شيئا ما وليس الامر مجرد وهم • واذكر مما اورده احد هذه الاعداد لمجلة ريدرز دايجست ان طبقا فضائيا قد تحطم فوق الغابات السودانية ووجود شكلين متفحمين قزمين بالقرب من الحطام •

ويذكر المقال ايضا التراب الصحون الطائرة من الغلاف الجوي لكوكب الارض عند نشوب حروب كبرى فيذكر مشاهده الناس لها في فترتي الحرب الكونية الاولى والثانية•

واذا نظرنا الى الموضوع من الزواية العلمية البحتة فكل المزاعم الماضية واللاحقة مقبولة • فرمال الصحراء مكان مناسب لما يدعى بالهبوط (اللين) اى الهبوط مع اقل قدر ممكن من الارتطام • واغصان الاشجار في الغابات تخفف من شدة الارتطام ايضا•• هذا في الماضي اما في الحاضر فكل الروايات تتحدث عن هبوط اطباق في اماكن يكسوها الثلج كبولندا ••• او اماكن تكسوها الرمال في امريكا والكويت ودول الخليج ونحن نعلم ان الروس كانوا يعيدون مراكبهم الفضائية الى المناطق المكسوة بطبقة كثيفة من الثلج لتؤمن اقل صدمة ممكنة حين الارتطام •

صلاح عثمان

وادي الاردن يناديكم

● ان وادي الاردن من المناطق التي تعتمد عليها المملكة الاردنية في انتاجها الزراعي والانجازات التي تمت هناك قمينة ان تنشر العربي عنها استطلاعا ، فهلا فعلتم ، خصوصا وانكم لم تستطلعوا الاردن منذ مدة •

السلط / الاردن
محمد عناسوه

ربي
المحتلة

تستطل الينا
والقطاع
اضعاف
، وانا
ذا الفلاء
س من
لا توجد
ن جشع

د متولي
المحتلة

ة
ة

اهتمام
ستاذ
اللغة
اسم
ترون
العدد

في
مات
بية
وع
بفعل
مة
مات
ع
لة
وا
نان

جون الان ويطيب لى ان ابعث للدكتور زكريا عبر مجلتنا الرضية الهادفة باطيب التحيات والتقدير لافاضاته القيمة العميقة •

وبالمناسبة هل تعلمون ماذا يفعل اليهود فى مثل هذه الحالة ؟ انهم يسارعون دون ابطاء بواسطة المتخصصين منهم لهذه الغاية وبمساعدة مؤسساتهم المالية الفنية الى جمع نسخ الكتاب بابتياعها من المكتبات مهما غلا سعرها واتلافها حتى لايطلع عليها احد ! ثم من يدرينا انهم هم قد اشتروا هذا المؤلف وحملوه على تاليف كتابه للتشهير بنا والحط من شاننا سيما واننا لانجهل اساليبهم الخبيثة فى سبيل كسب قضيتهم على جميع المستويات والظهور بمظهر المتفوقين علينا فى جميع المجالات •فاين مؤسساتنا واين اثرياؤنا ـ وهم كثر ـويبددون الاموال بلا حساب على الترف والكماليات للتصدى لهذا العمل الجليل ؟

ان القضايا القومية تحتاج الى نضج وتضحية لكسب الراى العام العالمى ومجابهة عدونا المثقف الشرس ،وكفانا دعايات للاستهلاك المحلى فقط ، فالدعاية المفيدة والفعالة مكانها الصحيح المنبر الدولى •

واسمحوا لى، بهذه المناسبة، ان اقترح تاليف لجنة قومية على مستوى الوطن العربى من كبار مثقفينا ووضع كل الامكانات تحت تصرفها تكون مهمتها الاطلاع على كل ما يكتب عن العرب للاجابة عليه وتفنيده • والله من وراء القصد •

دمشق معذى هنيدى

العروبة فى مصر

● قرات مقال الاستاذ اكرم زعيتر فى عدد (مارس) ١٩٧٩

وقد بعث السكينة فى قلبى وكان كالغيث فى وقت الجفاف•

ففى هذا الوقت تنطلق الاقلام الرخيصة لاستغلال الخلافات السياسية بين الاشقاء العرب فى محاولة لهدم الكيان العربى الذى يقف حائلا امام الاطماع الاستعمارية وذلك باطلاق الافكار المسمومة لتشويه صورة مصر والنيل من عروبتها ونزع جذور الانتماء الذى يحسه كل فرد مصرى تجاه وطننا الام •• عالمنا العربى •

ومجلة العربى بتقديمها لمثل هذه المقالات انما تؤدى التزاماتها الكاملة نحو العروبة •

عبدالرحمن كامل

بلبيس ـ شرقية •

ازمة الديمقراطية فى العالم العربى

● ان ازمة الديمقراطية فى عالمنا العربى ، تتمثل فى ان حياة المجتمعات العربية سياسيا ودستوريا من حيث الواقع والعمل ، اصبحت بعيدة عن جوهر التعبيرات والاشكال الدستورية القائمة ، بصورة تفتح الباب الى فقدان الاستقرار المطلوب للتنمية والتطوير •

وقد عبر المرحوم الاستاذ عبدالرحمن الرافعى اصدق تعبير عن هذه الازمة بقوله : (من الحق ان نلاحظ الفارق الكبير بين نصيبنا من النظم الديمقراطية ، ونصيب كثير من البلدان التى سبقتنا اليها ، فالديمقراطية عندنا ـ والمراد منها حكم الشعب بواسطة الشعب ولصالح الشعب ـ تتعثر فى سيرها ، ولايتجاوز نصيبنا منها بعض الظواهر التى تخفى وراءها اوضاعا ومعانى من الاستبداد والحكم المطلق) •

ولا شك ان اهم مظاهر هذه الازمة يرجع الى عدم قدرة المؤسسات النيابية على التمثيل الشعبى بكفاءة وفاعلية وعدم القيام بوظائفها التشريعية ، علاوة على التدخل الادارى المباشر او المقنع فى تزييف الانتخابات البرلمانية •

عمرو عبدالمنعم

مصر •

الاطباق الطائرة
بين الحقيقة والوهم

● في العدد رقم ٢٤٣ كتب الاستاذ مجدي نصيف مقالة عن عودة الاطباق الطائرة وخلاصة ما توصل اليه: ان هذه الاطباق خدعة تتحمل مسؤوليتها المخابرات الامريكية .

والحقيقة ان رؤية الاطباق الطائرة ليست وليدة يومنا هذا فهناك مقالات منها في مجلة ريدرز دايجست في الاعداد التي تلت الحرب الكونية الثانية . وفي هذه الاعداد ما يدلنا عند ربطه فكريا بالمعلومات المستجدة ان هناك شيئا ما وليس الامر مجرد وهم . واذكر مما اورده احد هذه الاعداد لمجلة ريدرز دايجست ان طبقا فضائيا قد تحطم فوق الغابات السودانية ووجود شكلين متفحمين الزمين بالقرب من الحطام .

ويذكر المقال ايضا اقتراب الصحون الطائرة من الغلاف الجوي لكوكب الارض عند نشوب حروب كبرى فيذكر مشاهده الناس لها في فترتي الحرب الكونية الاولى والثانية .

واذا نظرنا الى الموضوع من الزاوية العلمية البحتة فكل المزاعم الماضية واللاحقة مقبولة . فرمال الصحراء مكان مناسب لما يدعى بالهبوط (اللين) اى الهبوط مع اقل قدر ممكن من الارتطام . واغصان الاشجار في الغابات تخفف من شدة الارتطام ايضا.. هذا في الماضي اما في الحاضر فكل الروايات تتحدث عن هبوط اطباق في اماكن يكسوها الثلج كبولندا ... او اماكن تكسوها الرمال في امريكا والكويت ودول الخليج ونحن نعلم ان الروس كانوا يعيدون مراكبهم الفضائية الى المناطق المكسوة بطبقة كثيفة من الثلج لتؤمن اقل صدمة ممكنة حين الارتطام .

صلاح عثمان

وادي الاردن يناديكم

● ان وادي الاردن من المناطق التي تعتمد عليها المملكة الاردنية في انتاجها الزراعي والانجازات التي تمت هناك قمينة ان تنشر العربي عنها استطلاعا ، فهلا فعلتم ، خصوصا وانكم لم تستطلعوا الاردن منذ مدة .

السلط / الاردن
محمد مناصره

دبلوماسية الوفاق

على الرغم من ان سياسة الوفاق الدولي قد ابعدت عن البشرية شبح التهديد بحرب نووية مدمرة لاتبقي ولاتذر فان منعكسات هذه السياسة على مصالح الدول الصغيرة ، ومنها الدول العربية ، لم تكن طيبة فقد دفعت هذه الدول ثمن سعادة الدول الكبرى وطمأنينتها من جيبها الخاص.

فى كل عصر من عصور الزمان ، بوجه عام ، وفى عصرنا الحاضر ، بوجه خاص ، لايمكن القول بان مايجرى بين الدول الكبرى يخصها وحدها ، وان العلاقات القائمة بينها تعنيها دون غيرها . فسياسات هذه الدول واستراتيجياتها تترك ماسمها على اقدار الدول الصغيرة ومصائرها وتطبع بصماتها على مصالحها بدرجات متفاوته . فبعضها يخضع لهذه الدولة الكبرى أو تلك خضوعا تاما مستكينا ويقف منها موقف العميل الذى يدور فى فلك سيده ويمتثل لكل رغباته ، وبعضها الاخر يتاثر بها تاثرا محدودا . ويصعب التصور أن هنالك أى دولة صغيرة تستطيع الادعاء بانها لاتابه لنفوذ الدول الكبرى ولا تقيم له وزنا . وفى الماضى البعيد لم يكن هذا النفوذ بمثل قوته اليوم . فقد برز الآن بالاضافة الى التفوق الكمي تفوق نوعي هائل تمتاز به الدول الكبرى ويتجلى فى التقدم العلمي والتكنولوجي وتطور الاسلحة النووية . صحيح ان كثيرا من الدول الصغرى تملك البترول والمعادن والمواد الخام بانواعها الا انها لم تحشد امكانياتها وتلم صفوفها بعد بدرجه تكفي لمواجهه سيطرة الدول الكبرى وهيمنتها عليها . وبالنسبه للدول العربيه وهي دول صغيرة نامية فان لسياسات امريكا والاتحاد السوفياتي انعكاسات كبيرة جدا على مصالحها . وقد دخلت هذه السياسات منذ بواكير عام ١٩٦٩ منعطفا جديدا يمثل بدبلوماسية الوفاق او الانفراج الدولي التي القت بظلها الثقيل على الاوضاع العربيه فاخذت هذه الاوضاع تزداد سوءا على سوء بصورة لم يسبق لها مثيل حتى وصلت الى ماهي عليه اليوم .

سياسة الوفاق

ان معظم الكتب التي تتصدى لموضوع الوفاق الدولي تتناول العلاقات الامريكية ـ السوفييتية وتاثيراتها فى مشكلة الحد من التسلح وقضايا اوروبا الغربية ، وقليل منها يتصدى للوفاق بين امريكا والصين ومايستجره من عواقب على اليابان ، ولكن كتاب (دبلوماسية الانفراج

ـمد عرضه وتحليله يبحث
س بين اميركا والاتحاد
ايضا بين اميركا والصين.
ف يمثل استراتيجية
لاتي للقوى الكبرى
الكتاب هو البروفسور
سابق لمادة العلاقات
س ، وعضو البحوث
طنيه الاستراتيجية في

: دراسة في شؤون
روبا بدون بريطانيا
ل للجدل (١٩٦٥)
، واخيرا الكتاب الذي
مادة هذا الكتاب من
ولندن مستعينا بالمعهد
يجية في لندن،وبمركز
فكرين في واشنطن .
تاريخية عن العلاقات

الدولية ، فبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانيه أوزارها وانقشعت عن البشرية غيوم حرب ساخنة رهيبة اطلت عليها حرب اخرى من نوع جديد هي الحرب الباردة .. اى سياسة حرب المعارك الدبلوماسية والعراك السياسى وتصعيد التوتر الدولي حتى يصل الى حافة الحرب النوويه الساخنة . وقد حبك حبكة هذه السياسة جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية السابق . وكثيرا ماوضعت هذه السياسة العالم على شفير الهاوية وتخوم الهلاك.

ومع اطلالة عام ١٩٦٩ غربت بصورة رسميه شمس الحرب الباردة وهلت على العالم سياسة جديدة هي سياسة الانفراج او الوفاق الدولي التي حاك خيوطها ونسج خطتها الاساسيه هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق ، وقوام هذه السياسه تخفيف التوتر الدولي وعمادها الابتعاد عن حافة الحرب الساخنة بين الدول الكبرى (وهذا لايعني استبعاد الحروب السريعة بين الحين والآخر بين الدول الصغيرة

وذلك مراعاة لمصالح صناعات الاسلحة !) .

ولكن سياسة الوفاق لم تولد بضربة كف ، بل ان بذورهـا الأولى زرعت في عهـد ونستون تشرشل ، رئيس الوزراء البريطاني السابق الذى سعى الى تحقيق نوع من الانفراج في العلاقـات بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٥ . وبعد موت ستالين بدأ مالنكوف يبدي ردود فعل ايجابيـة تجاه هـذه السياسة . ومـع مجيء خروتشوف بلغت القناعة داخل الاتحاد السوفاتي بجدوى الوفاق ذروة جديدة فقد شعر رئيس الوزراء السوفييتي الجديد ان الصين حليف غير مناسب قد يدفع بالاتحاد السوفياتي الـى مزالق حرب نووية هو الخاسـر فيهـا فاوقف مساعداته النووية عنها وشد الرحال ميمما شطر اميركا مبشرا بالانفراج السياسي ولكن حتى ذلك الوقت كانت دبلوماسية الحـرب الباردة هـى الوجهة الرسمية هي السائدة .

في مهب الريح

وعندما اعتلىبريجنيفسدة الحكم كان كيسنجر في اميركا قد اتم حياكة الخطوط الرئيسيةلسياسة الوفاق الرسمية . ومن هنا يتبين ان الملامح الاولى للانفراج رسمت في عهد تشرشل ثم تطورت بعد ذلك حتى بلغت اوجها الذهبي علـى يد كيسنجر الذى انطلق في حماسه لها من كراهيته الشـديدة لقوميـة نابليون وهتلر وروحهمـا العسكرية وتقوم خطته على اساس المصالحة مع الاتحاد السوفياتي من جانب ومع الصين مـن جانب آخـر . وتكتسـب دبلوماسية الوفاق الاميركيمعالصين مغزى خاصا لان العداء والتوتر كانا اكثر حدة واستحكاما بين اميركا والصين منه بين اميركا والاتحاد السوفياتي .

ودبلوماسيـة الوفاق ليست دبلوماسية ثابتة قابلة للاستمرار الى الابد فهي معرضة للسقوط مع هبوب رياح تغير المعادلات والمصالح الدولية ، وان كان من المتوقع ان تستمر الآن لبضع سنوات قادمة . ونستطيع اجمال الثغرات الرئيسية في الوفاق الحالي بين الدول الكبرى بما يلي .

في كل دولة من دول الوفاق الثلاث متطرفون يتحينون الفرص للانقضاض عليـه واستبداله باتجاه آخر متطرف يتنافى مع اهدافهم وقناعاتهم.

ـ انه لايسري بين الصين والاتحاد السوفياتي، حلفاء الامس . فالصين ترى في الاتحاد السوفياتي عدوا لدودا لا يشق له غبار ويشكل خطرا عليها يفوق خطر الولايات المتحدة . كما ان الاتحاد السوفياتي بدوره يتوجس شرا من نوايا الصين. وهذه الثغرة بمثابة قنبلة موقوتة تهدد بنسف سياسة الوفاق برمتها .

ـ انه لم يستطع ان يمنع نشوب حروب صغيرة هنا وهناك بين فترة وفترة .

ـ انه اخذ في الحسبان مصالح الدول الكبرى فحسب دون مصالح الدول الصغرى .

ـ انه الآن يحقق فوائد للاطراف الضالعة فيه . فاذا مالاحت في الافق بوادر تبين لاى طرف من هذه الاطراف في يوم ما ان الوفاق لم يعد يخدم مصالحه ويحقق اغراضه فان اغلب الظن انه سيقلب له ظهر المجـن ويخرج عليه مفضـلا الارتداد الى سياسة الحرب الباردة او انتهاج نهج سياسي آخر .

وفي الوقت الراهن يستفيد الاتحاد السوفياتي من الوفاق اقتصاديا وتجاريا وتكنولوجيا فقـد انتعشت بفضله تجارته بصورة ملحوظة مـع اميركا واوروبا الغربية كما فتحت امامه الفرص لاستيراد السلعوالتكنولوجيا الغربية ، ومن جهة اخرى سـاعده الوفـاق علـى تقليص ميزانيته الدفاعيـة وسـريان الدم الغزير في مشـاريعه التنموية . اما الصين فانها تستفيد بتحسين وضعها الاستراتيجي . وربمـا تكـون الولايات المتحدة اكبر المستفيدين من الوفاق فهو يدعم فعاليتها الدبلوماسية ويمنحها مرونة وقدرة اكبر علـى المنـاورة السياسة ويخفف عـن كاهلهـا مسؤوليات السعي الدائب للحفاظ على التوازن في مختلف مناطق العالم .

الشرق الاوسط

يثير المؤلف في كتابه مسالة هامة تتعلق بمدى تاثير الوفاق، في اثناء الازمات والاحداث العصيبة. في الدول الكبرى والدول الصغرى التابعة لها . والجواب الذى يقدمهمن ذلكهو انمصالح الدول الصغرى توضع على الرف ويضحى بها قرابين على مذبح الوفاق . ويسوق (بل) مثالا على ذلك حرب

تشرين التي ذرت قرنها بين مصر وسورية من جهة واسرائيل من جهة اخرى في عام ١٩٧٣ . ففي هذه الحرب تعرض الوفاق لمحنة عصيبة وتجربة خطرة ولكنه خرج في النهاية مكللا بالنصر بعد ان نجحت اميركا في اقناع الاتحاد السوفياتي بالضغط على العرب لنقل الصراع من ارض المعركة الى مائدة المفاوضات ، فقام هذا بدوره بافهام العرب بصورة ضمنية غير مباشرة بانه غير مستعد لدعمها عسكريا على نطاق واسع لئلا يعرض ذلك وفاقه مع اميركا للخطر . وقد حدا هذا الموقف بالعرب الى تلمس خطى التسوية السياسية كبديل عن الصراع العسكري . فكان ماكان من اتفاقيات الفصل التي حظيت بموافقة ضمنية من السوفييت رغم معارضتهم العلنية لها (وكانت هذه المعارضة للاستهلاك الداخلي العربي) . ويقول (بل)ان اميركا وحدها مؤهلة للضغط على اسرائيل لانتزاع تنازلات اقليمية منها لصالح العرب . والاتحاد السوفياتي وحده ايضا يستطيع — من حيث المبدأ — ان يضغط على اميركا لحملها على الضغط بدورها على اسرائيل من أجل تسوية عادلة . ولكن الاتحاد السوفياتي يصعب عليه القيام بهذا الدور في ظل سياسة الوفاق ، مما يجعل الخيار الوحيد المتبقي امام العرب التوجه نحو اميركا حتى تتخذ سياسة متوازنة في الشرق الأوسط (ولكننا نرى ان العرب اذا احسنوا استغلال طاقاتهم الهائلة ووحدوا صفوفهم — وهذا يبدو في الوقت الحاضر املا بعيد المنال للاسف الشديد فسيكون بوسعهم وحدهم الضغط مباشرة على اسرائيل وانتزاع حقوقهم من اشداقها انتزاعا) .

ويمضي المؤلف الى ان كيسنجر استطاع اقناع بعض العرب بان اميركا هي معقد املهم وموئل رجائهم الوحيد وذلك بفضل سياسته اللينة المحنكة فهو دائما يحمل في يديه اقداح الشهد ويلوح بغصن الزيتون لا بالعصا ... فيلوح لاطراف النزاع بالمكاسب والاغراءات : انه يتحدث عن سحب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة اغواء للعرب وعن منح اسرائيل مزايا اقتصادية وامنية حتى يغريها بالدخول في شبكة التسوية كما يبشر بجماعة امدادات البترول وفتح قناة السويس ... الخ ، وهكذا انساق بعض العرب الى احاديث كيسنجر الساحرة واخذتهم روعة وعوده .

واذا كانت حرب تشرين قد اظهرت كيف تتفق الدول الكبرى على حساب الدول الصغرى فان المؤلف يبين ان هذه الحرب انطوت على بعض المكاسب بالنسبة للعرب الذين تعلموا — رغم ان الغرب استطاع تجنب حظر بترولي كامل — كيف يستخدمون سلاح النفط سياسيا واقتصاديا وكيف يرفعون اسعاره بعد ان كان ذلك لايخرج عن النطاق النظري . والنتائج الاساسية التي يخلص اليها المؤلف بشأن المنعكسات الشرق اوسطية لسياسة الوفاق هي : (آ) ان الوفاق تم على حساب المصلحة العربية (ب) التحالف العربي — السوفييتي في ظل سياسة الوفاق اصبح في صالح الاتحاد السوفياتي اكثر منه في صالح العرب، لان السوفييت ينالون في هذا التحالف مايبغون في حين لايحظى العرب منهم بالمقابل على مايريدون بسبب الالتزامات السوفييتية تجاه الولايات المتحدة (جـ) ازدياد النفوذ الامريكي وتقلص النفوذ السوفياتي . (ونعتقد ان التراجع السوفييتي في الشرق الاوسط ليس بدون ثمن فقد قبض الاتحاد السوفياتي ثمنه في صفقات اميركية — سوفييتية وفرت له مكاسب اقتصادية وتجارية هامة فضلا عن المكاسب السياسية في مناطق اخرى من العالم . ولكن هذا في رأينا يجب الايدفع العرب الى قطع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي نهائيا فسياسة الوفاق لن تدوم الى الابد، ومن الاجدى ابقاء الجسور مفتوحة والعلاقات قائمة ولكن على اساس التعامل بالمثل اى عدم اعطاء الاتحاد السوفياتي اكثر مما يعطيه للعرب . فالسياسة المثلى التي يجدر بالعرب انتهاجها تجاه الدول الكبرى جميعها ، وليس الاتحاد السوفياتي فحسب ، هي سياسة التعاون على اساس خدمة المصلحة العربية) .

في قبرص وآسيا

ويتعرض الكتاب ايضا للمنعكسات القبرصية لسياسة الوفاق وهي على عكس مايتوقع الكثيرون منعكسات سلبية لا ايجابية فقد كان من السهل كبح جماح الصراع بين اليونان وتركيا ونزع الفتيل عنه في سنوات الحرب الباردة بسبب شعور الدول الضالعة بالازمة مثل قبرص واليونان وتركيا بالخطر وبالحاجة الى تضييق شقة الخلاف فيما بينها

والى الاتحاد تحت المظلة الاطلسية امام العدو المشترك . ولكن هذا اصبح أصعب بعد تحقق الانفراج الدولي فقد خف الشعور بالتهديد وبالحاجة الى التعاضد واصبحت الدول المذكورة تستطيع تحدي بعضها بعضا دون مخافة العدو بل ان بامكانها الاستعانة بنفوذ هذا العدو لممارسة الضغط ، الواحدة منها على الأخرى .

على ان اهم ما تمخضت عنه سياسة الوفاق بالنسبة لجنوب شرقي آسيا التراجع الاميركي في هذه المنطقة لحساب الاتحاد السوفياتي (ونعتقد ان هذا جزء من الثمن الذى قبضه الاتحاد السوفياتي لقاء تراجعه في الشرق الأوسط والخاسر الوحيد في النتيجة هو العرب) ومن النتائج الأخرى اذكاء حدة الصراع بين الصين والاتحاد السوفياتي (وهذا دليل على مدى استفادة اميركا من الوفاق) فقد ولد الانسحاب الاميركي فراغا في منطقة جنوب شرقي آسيا مما ادى الى اشتداد التنافس بين الصين والاتحاد السوفييتي لملء هذا الفراغ (ونستطيع ان نلمس آثار ذلك في الأحداث الاخيرة التي شقت مجراها في المنطقة كالغزو الفييتنامي لكمبوديا والغزو الصيني لفييتنام) .

واوروبا بشطريها الغربي والشرقي ، لا تبدو سعيدة بدبلوماسية الوفاق لأنها اكتسبت شخصيتها الحالية ونظمها الأمنية (كحلف الأطلسي وحلف وارسو) في اثناء الحرب الباردة . وقد اضحى الحلفان المذكوران مزعزعين الان ومعرضين للزوال بسبب قلة الحاجة لهما بعد الانفراج ولانهما صمما في الأساس لمواجهة ظروف الحرب الباردة . ومن النتائج الاخرى لسياسة الانفراج توتر العلاقات الاوروبية ـ الأميركية . فقد كان هناك دائما حتى خلال الحرب الباردة تناقض بين مستلزمات الامن الأميركي والشخصية الاوروبية الغربية المستقلة وهذا التناقض أثر في العلاقات الاطلسية ، والشيء نفسه ينطبق على العلاقة بين الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية والعلاقات الوارسية . وبعد سريان الوفاق ازداد التناقض حدة . ومن جهة اخرى فقد كان هناك دائما عدو مشترك لاوروبا الغربية واميركا هو الاتحاد السوفياتي وكذلك عدو مشترك للاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية هو اميركا مما كان يدفع كل طرفين الى لم الشعث والتضامن في وجه الطرف الثالث وبعد الوفاق زال هذا العامل ووهن الرباط في الصفوف الاطلسية والوارسية .

مستقبل سياسة الوفاق

ان اى دبلوماسية دولية هي حتما دبلوماسية مرحلية تدوم لفترة من الزمن قد تطول او تقصر ، وهذا ينطبق بالطبع على دبلوماسية الوفاق . ولا شك ان انهيار هذه الدبلوماسية سوف يقرب العالم من حافة الدمار النووى .

يبقى سؤال اخير هو : ما موقفنا نحن من سياسة الوفاق .. هل علينا ان نشجعها من اجل صالح البشرية ام ان نتمنى زوالها من اجل صالحنا ؟

من الصعب جدا الاجابة عن هذا التساؤل بجواب واحد محدد . فمن غير المعقول أن يصفق العرب لسياسة الوفاق ويهللوا لها وهم أوائل ضحاياها ولكن من غير المنطقي ايضا ان يستبشروا خيرا بالعودة الى سياسة الحرب الباردة التي قد تدفع البشرية الى شفا حرب ذرية هوجاء تحرق الأخضر واليابس وتبيد الحضارة الانسانية عن بكرة أبيها . وفي هذه الحالة لن تكون الدول الكبرى وحدها ضحية مثل هذه الحرب بل ان الوبال سيلحق بالدول الصغرى ايضا ومنها الدول العربية . فركوب وعثاء الحرب النووية ليس بالامر اليسير الذى يمكن المراهنة عليه . ومن جهة اخرى فان الحرب الباردة تغري الدول الكبرى باستخدام الدول الصغرى أدوات لها . والشيء الذي يجدر بالعرب ان يتمنوه هو استمرار دبلوماسية الوفاق الدولي دون أن يكون ذلك على حساب المصلحة العربية . وهذا لايتأتى لهم الا اذا استخدموا ثرواتهم البترولية والمعدنية والغذائية والمالية بطريقة تجعل من الصعب على الدول الكبرى الاستهانة بهم وحل قضاياها على حسابهم . فالحل عربي لادولي . واذا بقي العرب على ماهم عليه من تشتت وتخلف فان اوضاعهم ستستمر سيئة وحقوقهم مهدورة سواء اسادت دبلوماسية الوفاق أم الحرب الباردة وسواء حل السلام وخيم الوئام على العالم او اطل شبح الحرب وانشب اظفاره بين الدول . ■■

دمشق ــ **ياسر الفهد**

أدب الطف

شعر الحسين عليه السلام

من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر

الجزءان الخامس والسادس ، تاليف الاستاذ البحاثة جواد شبر (دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع)

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

ان الخامس والسادس من
متازة، ويضم جزؤها الخامس
من شعراء القرن العاشر
، عشر ، ويحتوي السادس على
ا من شعراء القرن الثاني
ن القرن الثالث عشر الهجري،
قد احتضنت حتى الآن مائتين
وانه لعمري لعدد ضخم ونحن
ع شعراء آخرين من القرن
، السابع المقبل .

ناس من الوان الادب العربي
قد نسيه او تناساه ـ كما
ـ بل هو ملء القلب والنفس
ـ) على ما يروي صاحب
ـ وفناء الدار ، والطف اسم
، وفي حديث مقتل الحسين
يقتل بالطف ، سمي به لانه
الفرات وكانت تجري يومئذ
كلام ابن منظور) وعلى ذلك
ما يتعلق بمقتل الحسين من

شعر ونثر ، وقد انصرف الاستاذ شبر في القسم الاولى من موسوعته الى أولئك الذين نظموا شعرا في الحسين ومأساة كربلاء والمع الماعا الى من عداهم ممن نظموا مقطعات او ابياتا عابرة ، وباعتقادي ان امثال هؤلاء يجب ان يفرد لهم فصل خاص ، وقد اشار المؤلف الى بعضهم في مقدمة الجزء الخامس ذلك لان الحسين والطف وكربلاء وعاشوراء الفاظ لها مدلولات مأساوية عميقة في لغتنا ، فقد لايكون الشخص قاصدا الرثاء وانما مشبها حالا من احواله بمأساة سبط النبي وآل بيته ، فمن ذلك مثلا قول الوزير المغربي ، وهو من شعراء القرن الخامس الهجري وكان الحاكم قد قتل أهله بمصر ، كما جاء في معجم البلدان :

اذا كنت مشتاقا الى الطف تائقا
الى كربلا فانظر عراص المقطم
ترى من رجال المغربي عصابة
مضرجة الاوساط والصدر بالدم

وقد يصادف ان يكون صديق لك سميا للحسين او مكنى به ويقضي نحبه ، فيضطرم اوار مأساة الحسين في مخيلتك من جديد، على نحو ما جاء في قول

ابي جعفر الخازن يرثي أبا الحسين ابن سيمحون :

لهفي عليك ، أبا الحسين
عينا رمتك بكل عين
جرعتني غصص الجوى
وأريتني يوم الحسين

فهذان الشاعران وامثالهما ذكروا الحسين ويومه في مصائبهم لعمق انطباع المأساة في ذهن كل عربي ومسلم فما اسرع ما يتذكر احدنا الحسين عندما تلحقه مساءة أو تصيبه مظلمة .

وقد تفنن الشعراء ما شاء الله لهم التفن في ادب الطف حتى ادخلوا فيه بدائع الرقة والظرف، فقال قائلهم :

ولائم لام في اكتحالي
يوم استباحوا دم الحسين
فقلت : دعني أحق عضو
البس فيه السواد عيني

وأبعد الشعراء شوطا بل أشواطا حتى تغلغل هذا اللون من الادب في ماسينا العاطفية والغزلية واضاف الى الطف بعدا جديدا على نحو ما جاء في قول الشيخ حسين الكركي العاملي :

جودي بوصل أو ببين
فالياس احدى الراحتين
أيحل في شرع الهوى
أن تذهبي بدم الحسين ؟

او في قول محمد بن عمر النصيبي الشافعي :
حسين ، ان هجرت فلست أقوى
على الهجران من فرح الحسود
ودمعي قد جرى نهرا ولكن
عذولي في محبته (يزيد)

ولا يقل الجزءان الخامس والسادس عما سبقهما من اجزاء من حيث الجودة وحسن الاختيار ، ويقوم منهج البحث في الجزءين كما في سائر الاجزاء على استهلال الفصل بقصيدة للشاعر تعقبها ترجمة ، وتتلو الترجمة ابيات وقصائد اخرى للمترجم له ، فانت تستمتع بالقصيدة ثم يحلو لك ان تعرف شيئا عن قائلها فيسعفك المؤلف بذلك ، ويجب ان تتذكر ان اكثر من يذكرهم من الشعراء مغمور منسي ، فليس من السهل العثور على تراجم كاملة لهم في المصادر والمظان ، فالموسوعة اذن مرجع للتراجم ممتاز .

وقد استعرضنا القصائد فوجدناها من شتى البحور والقوافي ، مزدانة بالوان البديع والمحسنات البلاغية ، ولا اخال المؤلف الدؤوب الا أنه قد عانى مشقة كبيرة في تقصي أحوال القرون الثلاثة في جزئه الخامس ، ولا سيما القرن العاشر الهجري الذي انتابت فيه العراق ، موطن ادب الطف ومهده، من النكبات والمحن والاضطرابات ما نجده موضحا في كتاب (البابليات) للخطيب اليعقوبي و (سلافة العصر) للسيد علي خان المدني الذي جلا لنا وسط الصراع العسكري والسياسي اسماء نفر من شعراء الطف الذين تالقت بهم سماء النجف وكربلاء واعقبه الشيخ محمد علي بشارة النجفي بكتابه (نشوة السلافة) ليستدرك فيه أسماء من نبغوا بعد ظهور (سلافة العصر) ولولا هؤلاء المؤلفون لضاع الكثير من (أدب الطف) في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين .

وقد وضع الاستاذ في جزئه الخامس قائمتين حوت احداهما اسماء تسعة عشر شاعرا من القرن الحادي عشر وخمسة وثلاثين من القرن الثاني عشر، مع تواريخ وفياتهم .

ومن فحول شعراء هذا الجزء الشيخ علي العادلي العاملي وله رائعة في مدح الرسول الكريم يقول فيها :

سل وميض البرق ان لاح ابتساما
عن يمين الجزع من أبكى الغماما ؟

ويتساءل الشاعر عن أحبته الماضين ومقامهم ، ثم يستقر به الرأي الى انهم لا يزالون بين اضلعه فيقول :

بل همو في المنحنى من اضلعي
لا حجازا يمموها وشاما
يا وميض البرق بالله فسل
من ظباء الحي ان جزت الخياما
أحلال عندهم سفك دمي ؟
أي شرع حللوا فيه حراما ؟

والقصيدة كلها تذكرنا باسلوب مهيار الديلمي، احد مشاهير شعراء الشيعة في القرن الرابع الهجري ، بل ان لمهيار قصيدة بذات البحر والروي والانسياب الشعري الاخاذ .

ف الفاضل جواد شبر ،
ادس كثرة شعراء الطف
ا ، لانهم « ليسوا من
صد ، فقد نظم في يوم
م ... ذلك لان هدف
يقتصر على طائفة دون
ة ، بل الحسين للجميع
والكرامة والنخوة
اذ شبر بالاديب المسيحي
يد الغدير) حين يقول:

ي لسواها
اول استقلالا

ادس بشاعر من اكابر
يث وهو كاظم الازرى
ي بغداد والنجف ، وكان
رها يبلغ العشرين ، ولا
يد على السنة البغادة

نيا ولكن
اها غير حاد

من صديق
صيغة من مصاد

ريقة ابي تمام والمتنبي
شخصيته .

زء بوجود فصل عن ابن
ن من النشر الشعري
لبند » ، واشهر بند هو
، الطف كان السبب في
المعجب الذي يندر ان

نجد له نظيرا في ادب امة اخرى والى القراء نموذجا منه وهو في مدح الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد . يقول ابن الخلفة الحلي في استهلاله الغزلي للبند : « الا يا ايها اللائم في الحب ، دع اللوم عن الصب ، فلو كنت ترى الحاجبي الزج ، فويق الاعين الدعج ، او الخد الشقيقي ، او الريق الرحيقي ، او القد الرشيقي ، الذي قد شابه الغصن اعتدالا وانعطافا ... لما لمت محبا في ربى البيد من الوجد بها هام » ثم يبدي ابن الخلفة براعة في حسن الانتقال من الغزل الى المدح فيقول : « ولا اعلنت بذكر الشادن الاهيف سرا وجهارا ، مثل اعلاني بمدحي للامامين الهمامين التقيين النقيين ، الوفيين الصفيين » ثم يمضي في مدحه كاحلى ما يكون المدح وفي ثنائه كاخلص ما يكون الثناء . ورغم ضيق المجال فان الشيخ محمد رضا النحوي يجب ان يفرد من بين فطاحل هذا الجزء فقد كان بارعا في التخميس والتضمين ومصداق ذلك تضمينه لبيت سائر من ابيات المتنبي اذ يقول :

الى كم نعادي من ودنناه رقبة
وخوفا ونمنحي الود من لا له ود
(ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى)
صديقا يعاديه لخوف حتى يبدو
وانكد من ذا ان يبيت مصادقا
(عدوا له ما من صداقته بد)

وبعد فلا يسعني الا ان اشد على يد الاستاذ جواد شبر بكلتا يدي مهنئا ومتمنيا له النجاح والمزيد من التوفيق وسلام الله على السيد الحسين ابي الشهداء ما كر الجديدان وتعاقب الملوان .

■■

د . صفاء خلوصي

طعم للسمك !

لق صاحب دكان يبيع أدوات صيد السمك ، لوحا على
كتب عليه : « طعم للسمك » ولاحظ احد زبائنه
: « الم ينبهك احد الى هذا الخطأ ؟» فقال التاجر:
خل على كثيرون لينبهوني ، فلم يخرج منهم احد الا
شيئا » ...

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه.. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار موزعة على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى قيمتها ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهـــاه دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٤٦ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم رحالة عربي شهير ، وستجد في (٨) راسيا اسم قائد اسلامي .

الكلمات الافقية :

(١) دولة افريقية ـ الاسم الجديد لسيام .
(٢) هولندي اخترع التلسكوب ـ ذهب ـ حرفان متشابهان .
(٣) عارض زائل ـ صلح بين الرسول عليه الصلاة والسلام وقريش .
(٤) نصف كلمة (توبخ) ـ دولة افريقية ـ مقاصد مضمرة .
(٥) نسق ـ نحات فرنسي شهير وصاحب تمثال المفكر ـ حرف استفهام ـ احسان .
(٦) نصف كلمة (ارضى) ـ في فمه ـ بسيط.
(٧) نتنادم ـ عائمات .
(٨) رحالة عربي شهير .
(٩) فرح ـ من الاعشاب الطبية .
(١٠) نصف كلمة (صراع) ـ تقصير ـ يفقد الذكرى .
(١١) مستت ـ حيوان اليف ـ حرف جر ـ نصف كلمة (تاته) .
(١٢) لبق ـ رمز جبري ـ جروا ـ افك .
(١٣) تلقى عن الاسلاف ـ من الاحياء المائية.
(١٤) قصد ـ من العناصر الكيميائية ـ مناص .
(١٥) يقصرون ـ نصيبها .
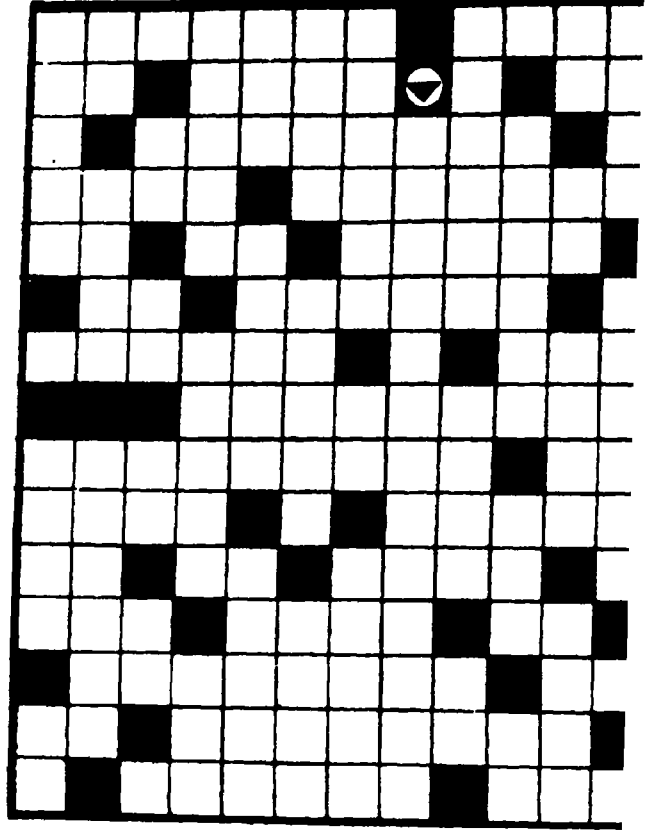
بة :

يطالـى اخترع ارسـال

مة ـ من المدارس الفنيه

. هاشة ـ تشارك .

ات .

لمة (وريث) ـ باعثة

قص .

م النيل ـ من الاحجار

النعليدية ـ يتصاعد من

، الاقارب .

(٨) قائد اسلامى .

(٩) تجاوزنا ـ فقد العقل ـ سمنة .

(١٠) من القارات ـ نتقدمه ـ رضيع .

(١١) يلزم ـ رواتب ـ مكان كريه السمعة .

(١٢) عندنا ـ عاصمة اوربية ـ جمعه .

(١٣) ضمير ـ فى البيضة ـ حرفان متشابهان ـ حرف عطف .

(١٤) غير ناضج ـ اشرع ـ خليط من الزيت والماء .

(١٥) اله الحصاد الاغريقى ـ عملة عربية ـ حرفان متشابهان .

مؤسس الحركة الكشفية

ابدا اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تحصل على الاسم الاول لمؤسس الحركة الكشفية . ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه .

الكلمات الافقية :

(١) ينتسب الى دولة اوربية .
(٢) اسفون .
(٣) حيوان ـ حيوان .
(٤) يقى .
(٥) افزعكم .
(٦) اتبختر .

الكلمات الراسية :

(١) الاسم الاول لشخصية نسائية هندية.
(٢) عائمات .
(٣) مناص ـ يصحبه .
(٤) من القارات .
(٥) حرف ابجدى ـ بسط .
(٦) يشرب .

ثمرة الحياة
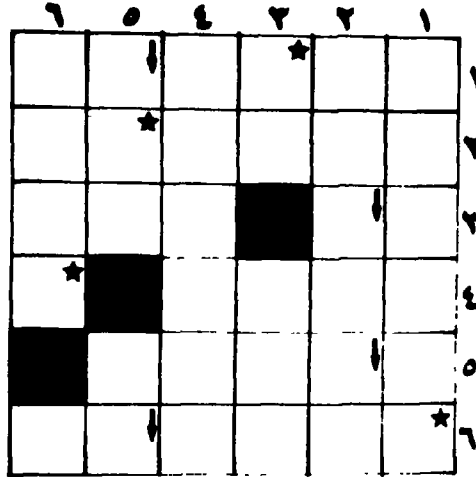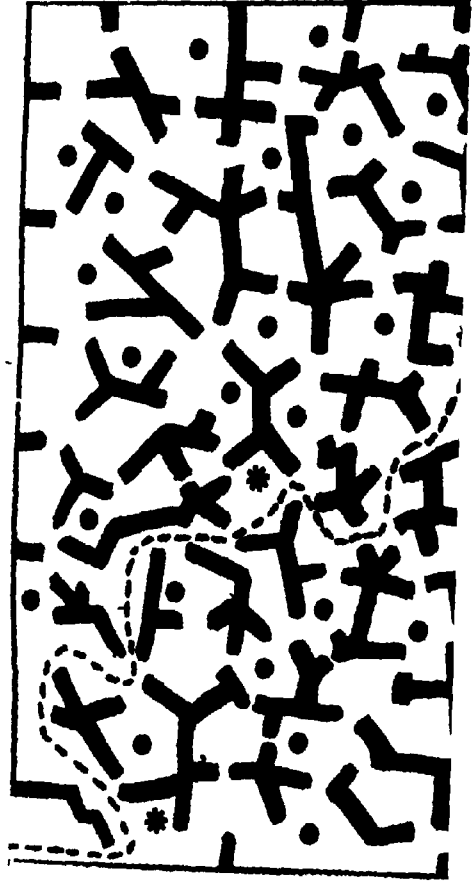
بستان حرسا لحماية « ثمرة الحياة » التى استنبتها ، فطمع فيهـا
ة فى عمق البستان ، ووزع حرسه فى جميع انحائه ، وكانت ضربة
ارق لا تقتل ولكن تفقد الوعى لمدة خمس دقائق .
امرين على الثمرة ، ومع هذا لم يغب عن وعيه اكثر من عشرين دقيقة ،
حتى وصوله الى الثمرة . هل تستطيع ان تعرف الطريق الذى سلكه؟
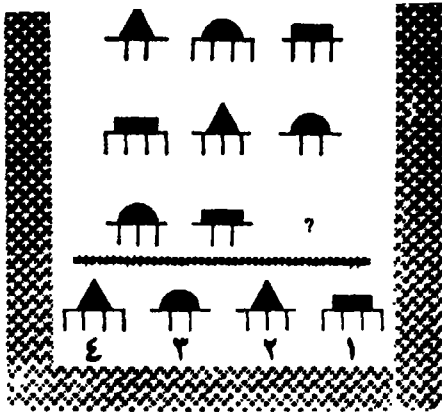
الشكل المطلوب

من دراسة العلاقات التى بين الاشكال التى فى الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب ان يحتل المكان الخالى فى الصف الثالث .

● اختبار معلومات ●

اين الصواب .. واين الخطأ ؟

هذه المعلومات بعضها صحيح وبعضها خاطىء ، فهل تستطيع ان تميز بينها ؟ .

(١) الاستاكوزا : تعيش فى المياه الضحلة.

(٢) الاخطبوط : له اثنتا عشرة ذراعا .

(٣) ارسطو : كان معلم الاسكندر الاكبر .

(٤) التكسينات : هى السموم التى تفرزها الجراثيم فى الجسم .

(٥) الاصلة العاصرة : احدى عضلات الجهاز الهضمى .

(٦) ايسوب : مؤلف يونانى اشتهر بقصصه الخيالية .

(٧) البطريق : لقب دينى فى العصور الوسطى .

(٨) رجل الغراب : نوع من الحلوى الشرقية .

(٩) البيسون : نوع من البقر الوحشى .

(١٠) مالك الحزين : لقب شاعر عباسى .

الحلول

النجمة والسهم

بادن باول

اين الصواب .. واين الخطأ .. :

١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٩ صحيحة .

(٢) الاخطبوط له ٨ اذرع .

(٥) الاصلة العاصرة نوع من الثعابين .

(٧) البطريق طائر يعرف باسم البنجوين.

(١٠) مالك الحزين طائر بمنقار طويل وارجل طويلة ، ويعيش على السمك .

متاهة : الحل كما فى الرسم

الشكل المطلوب :

رقم : ٤ .

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يونيو ١٩٧٩

١١٧

جيتس فون برلشنجن

تأليف : يوهان فلفجانج جيته

ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوي

ل ساعة... وفي كل وقت
اورينت كوارتز
ما نظرت إليها
ORIENT
ORIENT QUARTZ
ORIENT ـرينت
ORIENT WATCH CO. LT
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

الكتاب الثامن عشر

يونيو - حزيران
١٩٧٩

التراجيديا والكوميديا

ترجمة

د. علي أحمد محمود

سعر النسخة
٢٥٠
فلساً

الاشتراكات ترسل باسم :

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد احمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ١٠٠,٠٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي اا للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (الجوي) .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكـ الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ماكس
تحتاج بعد اليوم أن تأتي
لتجلس في أنسب المقاعد

SANYO
سانيو